شرح

ديوان الحماسة

لأبي تمام

تأليف

أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

علق عليه وكتب حواشيه

غريد الشيخ

وضع فهارسه العامة

إبراهيم شمس الدين

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

شرح

ديوان الحماسة

لأبي تمّام

تأليف

الخطيب التبريزي

أبي زكريّا يحيى بن عليّ بن محمّد بن حسن بن بسطام الشّيبانيّ

المتوفّى سنة ٥٠٢ هـ

كتب حواشيه

غريد الشيخ

وضع فهارسه العامّة

احمد شمس الدين

الجزء الأول

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السُّنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3589-9
9782745135896 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقـــدمة

أبو تمام وديوان الحماسة

حبيب بن أوس الطائي الذي كانت حياته سيّاحة متّصلة ووطنه ظهور المطايا، هو نفسه مؤلّف كتاب الحماسة.. ولكن ما هي حكاية هذا الكتاب المتميّز بشموليته وحُسْن اختياره.

في إحدى رحلاته وكان قد قصد عبد الله بن طاهر بخراسان فمدحه فأثابه الأخير على مدحه، وعاد أبو تمام إلى بغداد، فكان من حُسْن الحظ ـ حظّ التراث الأدبي ـ أن وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنعه من السفر.

في هذا الوقت كان شاعرنا ضيفًا لدى صديقه أبي الوفاء بن سلمة في همذان.. ضاق صدر أبي تمام الذي تعوّد التّرحال والتنقّل، فما كان من صديقه أبي الوفاء إلا أن وضع مكتبته بين يديه وطلب منه أن يوطّن النفس على الإقامة فالثلج لن ينحسر إلا بعد زمن.

وهكذا بدأت رحلة الاختيار والانتقاء لدى شاعرنا الذي وافق العمل ما يعتلج في نفسه من حبّ للشعر والأدب، ووُلد كتاب «ديوان الحماسة» الذي يُعدّ اليوم من أهمّ الكتب وأجلّها.

ولا نعرف إن كانت تسمية الكتاب من صنيع أبي تمام نفسه أم هي عُرفٌ جرى بين الأدباء وشُهرة سارت على وجه الدهر حتى انتقلت إلينا جيلًا بعد جيل. فالديوان ليس مختصًا بأشعار الحماسة فقط وإنما جمع فيه أبو تمام المراثي، والأدب والنسيب والهجاء، والأضياف، والمديح، والسِّيَر، والمُلَح، وحذمّة النساء. وربما كان أبو تمام قد سمّاه باسم أول أبوابها وأهمها.

يقول المرزوقي في وصف عمل أبي تمام في الحماسة: «وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه،

المجيب لكل داعٍ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليّهم ومخضرمهم، وإسلاميّهم ومولّدهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأن ضروب الاختيار لم تخفَ عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه، وحتى إنه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه، فيجبر نقيصته من عنده، ويبدّل الكلمة بأختها في نقده».

شروح الكتاب:

«أبو تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره» هكذا قالوا، وهكذا فتح الباب أمام النقاد واللغويين وأصحاب المعاني ليعملوا على هذا الكتاب ويشرّحوه ويدققوا النظر في اختياراته.

وقد ذكر صاحب كشف الظنون أسماء بعض من شرحوا الحماسة وهم:

١ ـ أبو بكر محمد بن يحيىٰ الصولي (ت ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م).

٢ ـ أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢ هـ/ ١٠٠٢ م). وقد سمّي شرحه: «التنبيه على شرح مشكلات الحماسة».

٣ ـ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي صاحب الموازنة (ت ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م).

٤ ـ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت بعد ٣٩٥/ ١٠٠٥ م). وقد اعتمد التبريزي على شرحه، ويمتاز شرحه بالعناية بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء مع بيان اشتقاق أسمائهم.

٥ ـ أبو المظفر محمد بن آدم الهرويّ (ت ٤١٤ هـ/ ١٠٢٣ م).

٦ ـ أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م).

٧ ـ أبو عبد الله الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ/ ١٠٢٩ م).

٨ ـ أبو الحسن علي بن سيده، اللغوي المشهور (ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٣ م) وسمّى كتابه (الأنيق) وهو في ستّ مجلدات.

٩ ـ أبو القاسم زيد بن علي الفسويّ (ت ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥ م).

١٠ ـ أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي (ت ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢ م).

١١ ـ عبد الله بن أحمد الشاماتي (ت ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢ م).

١٢ ـ الأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م).

١٣ ـ أبو بكر بن يحيىٰ الصولي (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م).

١٤ ـ عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخبريّ (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م).

١٥ ـ أبو زكريا يحيىٰ بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩ م).

١٦ ـ أبو المحاسن مسعود البيهقي (ت ٥٤٤ هـ/ ١١٥٠ م).

١٧ ـ أبو إسحـٰق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمي الإشبيلي (ت ٥٨٤ هـ/ ١١٩٠ م).

١٨ ـ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري. (ت ٦١٦ هـ/ ١٢١٩ م) وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب.

١٩ ـ أبو نصر منصور بن مسلم بن علي الحلبي، المعروف بابن الدميك.

٢٠ ـ أبو علي حسن بن علي الاسترابادي النحوي.

٢١ ـ أبو نصر قاسم بن محمد النحوي.

٢٢ ـ أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني (ت ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م) وقد نقل التبريزي الكثير من هذا الشرح.

٢٣ ـ أبو عبد الله النمريّ ألّف كتابًا في «مشكلات الحماسة» والتبريزي يورد نصوصًا من هذا الكتاب ثم يعقبها بردّ أبي محمد الأعرابي عليها وتخطئته لها معتمدًا على شيخه أبي الندى في أكثر الأمور.

٢٤ ـ أبو محمد الأعرابي: صنع نقدًا لشرح النمري وأسماه: «إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي النمري البصري مما فسّره من أبيات الحماسة».

٢٥ ـ أبو العلاء المعريّ (ت ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧ م). وقد نقل التبريزي الكثير منه في شرحه.

٢٦ ـ وهناك شرح حديث منسوب إلى محمد سعيد الرافعي وهو في الحقيقة لإبراهيم الدلجموني وقد طبع عدة مرات.

٢٧ ـ شرح للعلّامة الشيخ سعيد بن علي المرصفي.

٢٨ ـ شرح لبهاء الدين بن عبد القادر بن لقمان سمّاه «الرصافة القادرية» طبع بالهند سنة ١٢٩٩.

المرزوقي:

أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، أبو علي، من أهل أصبهان، كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف، وإقامة الحجج وحسن الاختيار.

وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة.

قرأ على أبي علي الفارسي كتاب سيبويه وتتلمذ له.

له من الكتب: كتاب شرح الحماسة، كتاب شرح المفضليات، كتاب شرح الفصيح، كتاب شرح أشعار هذيل، كتاب الأزمنة والأمكنة، كتاب شرح الموجز في النحو، كتاب شرح النحو.

أما كتابه الأول وهو شرح الحماسة فقد أسماه: «شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي المعروف بكتاب الحماسة».

قال الصاحب بن عباد: «فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك وحلّاج وإسكاف، فالحائك هو المرزوقي، والحلّاج هو أبو منصور بن ماشِدَة، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالريّ، صاحب التصانيف في اللغة».

وكان المرزوقي معلم أولاد بني بويه بأصبهان، ودخل إليه الصاحب فما قام له، فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه.

ترجمته في معجم الأدباء ٤:٣٥، وبغية الوعاة ١٥٩.

ديوان الحماسة بين المرزوقي والتبريزي:

مما لا شك فيه أن التبريزي قد أخذ الكثير من شرح المرزوقي، فهو في أحيان كثيرة ينقل شرح المرزوقي دون أن يكلف نفسه عناء الصياغة، حتى إنه يشرح رواية المرزوقي رغم أنها مخالفة لروايته في النص الشعري ويتجاهل التعليق على روايته هو.

ويمتاز شرح المرزوقي باهتمامه بمعاني الشعر وبالنقد والموازنة والاهتمام باللغة والاشتقاق وكذلك بالنحو والصرف، أما تقصيره فهو في الاهتمام بالشعراء والمناسبات.

والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيّرة يتكلّف لها الصنعة حينًا، ويعمد حينًا آخر إلى السجع الهيّن. وأهم ما يميّز شرحه هو المقدمة النفيسة التي تُعَدّ وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي: نقد الشعر ونقد النثر، ضمّنها مسائل شتى تتعلق بموازنة النظم والنثر، وما أثر الصنعة والطبع في الآثار الأدبية في قيمتها وفي جمالها.

هذا إلى أن هناك اختلافًا بين شرحي المرزوقي والتبريزي في ترتيب المقطوعات والأبيات وعددها، وقد أثبتنا هذه الاختلافات في الحواشي، مع ذكر الأبيات الزائدة عند التبريزي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله خالقِ الإنسان، متميِّزًا بما علّمه من التبيُّن والبيان، وصلّى الله على أفضلِ مَن صدح بأمره وزَجْره، داعيًا وناهيًا، وعلى الطاهرين من آله وسلم.

وبعد فإنّك جارَيْتَني ـ أطالَ الله بقاءك في أشملِ سعادة وأكمل سلامة، لَمَّا رأيتَني أَقصُر ما أستفضِلُه من وقتي، وأستخلصه من وَكْدي، على عملِ شرحٍ للاختيار المنسوب إلى أبي تمامٍ حبيب بن أوس الطائيّ، المعروف بكتاب الحماسة أَمْرَ ـ الشِّعرِ وفنونِه، وما نال الشُّعراءُ في الجاهلية وما بعدها، وفي أوائلِ أيّام الدولتين وأواخرها من الرفعة به، إذ كان الله عزّ وجلّ قد أقامه للعرب مقام الكُتُب لغيرها من الأمم، فهو مستودع آدابها، ومُستحفَظ أنسابها، ونِظام فَخارها يوم النِّفار، وديوانُ حِجاجها عند الخِصام.

ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه، وعمّا يتميز به النّظم عن النّثر، وما يحمد أو يذمّ من الغُلُوّ فيه أو القصد، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلامُ فيها وعليها، حتّى تصير جوانبُهَا محفوظة من الوَهْن، وأركانها محروسة من الوَهي إذ كان لا يُحكم للشّاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلّا بالفحص عنها، وتأمُّلِ مأخَذِه منها، ومدى شَأْوِه فيها، وتمييز المصنوع مما يَحُوكُه من المطبوع والأتِيّ المُستسهَل من الأبيّ المستكرَه. وقضيتَ العَجَب كيف وقع الإجماعُ من النُّقّاد على أنه لم يَتّفق في اختيار المقطّعات أَنْقى مما جمعه، ولا في اختيار المُقصَّدات أوفَى مما دوّنه المفضَّلُ ونقده.

وقلت إنّ أبا تَمّام معروفُ المذهب فيما يقرِضُه، مألوف المسلك لما ينظمه نازعٌ في الإبداع إلى كل غاية، حاملٌ في الاستعارات كلّ مشقّةٍ، متوصِّلٌ إلى الظَّفَرِ بمطلوبه من الصَّنعة أين اعتَسَفَ وبماذا عَثَر، متغلغِلٌ إلى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنّى

تأتّى له وقَدَر؛ وَهو عادلٌ فيما انتخَبَه في هذا المجموع عن سلوك معاطفِ مَيْدانه، ومُرْتضٍ ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشأنِهِ، فقد فَلَيْتُه فلم أجدْ فيه ما يوافق ذلك الأسلوبَ إلا اليسير. ومعلومٌ أن طبع كل امرئٍ - إذا ملك زمام الاختيار - يجذبُه إلى ما يستلذُّه ويهواهُ، ويصرِفُه عما يَنفِرُ منه ولا يرضاه. وزعمْتَ بعد ذلك أجْمَعَ أنّك مع طول مجالستِك لجهابِذة الشِّعْر والعلماءِ بمعانيه، والمبرِّزين في انتقادِه، لم تقفْ من جهتهم على حَدٍّ يؤدِّيك إلى المعرفةِ بجيِّدهِ ومتوسِّطهِ ورديئِهِ، حتى تجرِّد الشهادةَ في شيءٍ منه، وتَبُتَّ الْحُكْمَ عليه أوْ له، آمنا من المجاذبينَ والمُدافعين. بل تعتقدُ أنَّ كثيرًا مما يستجيدُه زيدٌ يجوز أن لا يطابقَه عليه عمْرو، وأنه قد يُستحسَنُ البيتُ ويثْنَى عليه ثم يستهجن نظيرُهُ في الشَّبَه لفظًا ومعنًى حتّى لا مخالفةَ، فيُعرضُ عنه، إذْ كان ذلك موقوفًا على استحلاءِ المستَحْلِي واجتواءِ المُجتوِي، وأنّه كما يُرزق الواحِدُ في مجالسِ الكبارِ من الإصغاءِ إليه والإقبال عليه، ما يُحْرَمُ صِنْوُهُ وشبيهُهُ، مع أنّه لا فضيلةَ لذلك ولا نَقيضةَ لهذا إلّا ما فازَ به من الجَدِّ عند الاصطفاء والقَسْمِ.

وقلتَ أيضًا: إنّي أتمنّى أن أعرفَ السببَ في تأخُرِ الشُّعراء عن رُتبةِ الكُتّاب البُلغاء، والعذرَ في قِلّة المترسِّلين وكثرة المُفلقِين، والعلّةَ في نباهة أولئك وخُمُول هٰؤلاء، ولماذا كان أكثرُ المترسِّلين لا يُفْلِقون في قَرْض الشعر، وأكثرُ الشعراء لا يَبْرعون في إنشاء الكُتُب، حتى خُصَّ بالذِكر عَدَدٌ يسير منهم، مثل إبراهيم بن العبَّاس الصوليّ، وأبي عليٍّ البَصير، والعَتَّابيّ، في جمعهم بين الفَنَّين، واغترازِهم رِكابَ الظَّهْرَين. هذا ونظامُ البلاغة يتساوى في أكثره المنظومُ والمنثور.

وأنا إنْ شاء الله وبه الحولُ والقوّة، أُوردُ في كلّ فَصْلٍ من هذه الفُصولِ ما يحتمله هذا الموضع، ويمكن الاكتفاء به؛ إذ كان لتقصّي المقالِ فيه موضِعٌ آخَر، من غير أن أَنْصِبَ لما تُصَوِّرُه النعوتُ الأمثِلَة، تفاديًا من الإطالة، ولأنه إذا وَضَحَ السّبيلُ وقَعَتِ الهداية بأيسرِ دليل. والله عزّ وجلّ الموفِّق للصواب، وهو حسبنا ونعمَ الوكيل.

اعلم أنّ مذاهبَ نُقَّادِ الكلام في شرائِطِ الاختيار مختلفة، وطرائقَ ذوِي المعارف بأعطافِها وأردافِها مفترقَة، وذلك لتفاوُتِ أقدار منادِحِها على اتّساعها وتنازُح أقطار مظانِّها ومعالمها، ولأنّ تصاريفَ المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة في المنثور، اتَّسَعَ مَجالُ الطبع فيها ومَسْرَحُه، وتَشَعَّبَ مَرادُ الفِكْر لها ومَطْرَحُه. فمِن البلغاء من يقول: فِقَرُ الألفاظ وغُرَرُها، كجواهر العقود ودررها، فإذا

وَسِمَ أَغْفَالُها بتحسين نظمها وحُلِّيَ أعطالُها بتركيب شُذورِها، فراق مسموعُها ومضبوطُها، وزانَ مفهومُها ومحفوظُها، وجاء ما حُرِّر منها مُصَفًّى من كَدَر العِيّ والخَطَل، مقوّمًا من أَوَدِ اللّحن والخطأ، سالمًا من جَنَف التأليف، موزونًا بميزان الصواب، يَمُوج في حواشيه رونَقُ الصّفاءِ لفظًا وتركيبًا ـ قَبِله الفهمُ والتذّ به السمع. وإذا وَرد على ضدّ هذه الصفة صَدِيءَ الفهمُ منه، وتأذّى السّمع به تأذّي الحواسّ بما يخالفها.

ومنهم من لم يَرْضَ بالوقوف على هذا الحَدّ فتجاوزه، والتزم من الزيادة عليه تتميمَ المقطع، وتلطيفَ المطلَع، وعَطْفَ الأواخر على الأوائل، ودَلالةَ الموارد على المصادر، وتناسُبَ الفصول والوصول، وتعادُلَ الأقسام والأوزان، والكشفَ عن قناع المعنى بلفظٍ هو في الاختيار أوْلَى، حتّى يطابق المعنى اللفظَ، ويسابق فيه الفهمُ السمع. قال: ولا غاية وراء هذا.

ومنهم من تَرَقّى إلى ما هو أشقُّ وأصعب، فلم تُقنعه هذه التكاليفُ في البلاغة حتّى طَلب البديع: من الترصيع والتسجيع، والتطبيقِ والتجنيس، وعكْس البناءِ في النّظم، وتوشيح العبارةِ بألفاظٍ مستعارة، إلى وجوهٍ أُخَر تَنطق بها الكتُب المؤلّفة في البديع، فإني لم أَذْكر هذا القَدْر إلّا دلائل على أمثالها. ولكلٍّ مما ذكرتُه ومما لم أذكرْ رسمٌ من النفوذ والاعتلاء، بإزائه ما يضادُّه فيُسَلم للنُّكوص والاستقال. وأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ، إذ كانت المعاني بمنزلة المعارِض للجواري، فأرادوا أن يلتذّ السمْعُ بما يُدْرِك منه ولا يمُجّه، ويتلقّاه بالإصغاء إليه والإذْن له فلا يحجُبَه.

وقد قال أبو الحسن بن طَبَاطَبَا رحمه الله، في الشّعر: هو ما إن عَرِيَ من معنًى بديع لم يَعْرَ من حُسن الديباجة؛ وما خالف هذا فليس بالشعر.

ومن البُلَغاء من قصد فيما جاشَ به خاطِرُه إلى أن يكون استفادةُ المتأمّل له، والباحثِ عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قولهِ أو مِثْلَه. وهم أصحابُ المعاني، فطلبوا المعاني المُعْجِبَةَ من خواصّ أماكنها، وانتزعوها جزْلَةً عَذْبَةً حكيمةً ظريفةً أو رائقةً بارعةً، فاضلةً كاملةً، لطيفةً شريفةً، زاهرةً فاخرةً؛ وجعلوا رسومَها أن تكون قريبةَ التشبيه، لائقةَ الاستعارة، صادقةَ الأوصافِ، لائحةَ الأوضاح، خَلّابةً في الاستعطاف، عَطّافةً لدى الاستنفار، مستوفيةً لحظوظِها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض، والإطناب والتقصير، والجِدّ والهَزل، والخُشونة واللِّيان،

والإباء والإسماح، من غير تفاوُت يظهر في خِلالِ أطباقِها، ولا قصورٍ ينبَعُ من أثناء أعماقِها، مبتسمةً من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف، محتجبة في غموض الصِّيَان، لدى الامتهان تعطيك مُرادَك إن رفَقت بها، وتمنعُك جانِبَها إن عَنُفْت معها. فهذه مَناسِبُ المعاني لطُلّابها، وتلك مناصِبُ الألفاظ لأربابها. ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تَصُوبُ به العقولُ فتعانَقا وتلابَسا، متظاهِرَين في الاشتراك وتوافَقا، فهناك يلتقي ثَرَيَا البلاغةِ فيُمطرُ روضُها، ويُنشَر وشْيُها، ويتجلّى البيان فصيحَ اللسان، نَجيحَ البُرْهان، وترى رائدَي الفَهمِ والطَّبعِ متباشرين لهما من المسموعِ والمعقول بالمَسرح الخِصْب والمَكْرَع العذب. فإذا كان النثرُ ـ بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم ـ اتسع نطاقُ الاختيار فيه على بيِّنّاه بحسبِ اتساع جوانبها وموادّها، وتكاثر أسبابها ومَوَاتّها، وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه، ثم تفرّد عنه وتميّز بأنْ كان حَدُّه «لفظ موزون مُقَفًّى يدُلُّ على معنًى»، فازدادت صفاتُه التي أحاط الحَدُّ بها بما انضمَّ من الوزن والتقفيةِ إليها، ازدادت الكُلَف في شرائطِ الاختيار فيه، لأن للوزن والتقفيةِ أحكامًا تماثلُ ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تُقارِب، وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقِد، مثلَ ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفِّح، لئلا يختلَّ لهما أصلٌ من أصولهما، أو يعتَلَّ فرْعٌ من فروعهما.

فإذا كان الأمر على هذا، فالواجب أن يُتبيَّن ما هو عمودُ الشعرِ المعروفُ عند العرب، ليتميَّزَ تَليدُ الصنعةِ من الطريف، وقديمُ نظامِ القريضِ من الحديث، ولتُعرفَ مواطىء أقدام المختارين فيما اختاروه، ومَراسمُ إقدام المزيِّفين على ما زيَّفوه، ويُعْلَمَ أيضًا فرقُ ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلةُ الأتِيِّ السَّمْحِ على الأبيِّ الصعب، فنقول وبالله التوفيق:

إنهم كانوا يحاولون شرفَ المعنى وصحّتَهُ، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابةَ في الوصف ـ ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثُرت سوائر الأمثال، وشواردُ الأبيات ـ والمقاربةَ في التشبيه، والتحامَ أجزاء النَّظم والتئامَها على تخيُّرٍ من لذيذِ الوزنِ، ومناسَبةَ المستعارِ منه للمستعارِ له، ومشاكَلَةَ اللفظ للمعنى وشِدَّة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ـ فهذه سبعة أبواب هي عمودُ الشعر، ولكلّ باب منها مِعْيار.

فعِيَار المعنى أن يُعْرَضَ على العقل الصحيح والفَهم الثاقب، فإذا انعطف عليه جَنْبَتَا القَبُول والاصطفاء، مستأنِسًا بقرائِنِه، خَرج وافيًا، وإلّا انتَقَص بمقدار شَوْبِه ووحْشَتِهِ.

وعيار اللفظ الطَّبعُ والرِّواية والاستعمال، فما سَلِمَ مما يُهَجِّنُهُ عند العَرضِ عليها فهو المختار المستقيم. وهذا في مُفرداته وجملته مُرَاعًى، لأنّ اللفظة تُستَكرم بانفرادها، فإذا ضَامَّها ما لا يوافِقُها عادت الجملةُ هَجِينًا.

وعيار الإصابة في الوصف الذَّكاءُ وحسنُ التمييز، فما وجداه صادقًا في العُلُوق مازِجًا في اللُّصوق، يتعسّر الخروج عنه والتبرُّؤ منه، فذاك سِيماءُ الإصابة فيه. ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير: «كان لا يَمدَحُ الرجلَ إلّا بما يكون للرِّجال». فتأمّل هذا الكلامَ فإنّ تفسيره ما ذكرناه.

وعيار المقاربة في التشبيه الفطنةُ وحسنُ التقدير، فأصْدَقُه ما لا ينتقِض عند العكس، وأحسَنُه ما أُوقع بين شيئين اشتراكُهما في الصفات أكثر من انفرادهما ليَبِينَ وجهُ التشبيه بلا كلْفَة، إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهرَ صفات المشبَّه به وأملَكَها له، لأنه حينئذٍ يدلُّ على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس. وقد قيل: «أقسام الشعر ثلاثة: مَثَلٌ سائرٌ، وتشبيه نادر، واستعارةٌ قريبة».

وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخيُّرٍ من لذيذ الوزن، الطبْعُ واللسان، فما لم يتعثّر الطبعُ بأبنيتِهِ وعقودِهِ، ولم يتحبّس اللسانُ في فصوله ووصوله، بل استمرَا فيه واستسهلاه، بلا مَلَالٍ ولا كلالٍ، فذاك يُوشِك أن يكون القصيدة منه كالبيتِ، والبيتُ كالكلمةِ تَسالُمًا لأجزائه وتقارُنًا، وألّا يَكُونَ كما قيل فيه:

وشِعرٍ كبعر الكبش فَرّقَ بينَهُ ... لسانُ دعِيٍّ في القريضِ دَخِيلِ(١)

وكما قال خَلَفٌ:

وبعضُ قريضِ الشِّعرِ أولادُ عَلّةٍ ... يَكُدُّ لسان الناطقِ المتَحَفِّظِ(٢)

وكما قال رُؤبَةُ لابنه عُقبَةَ وقد عَرَضَ عليه شيئًا مما قاله، فقال:

قد قلتَ لو كان له قِرَانُ(٣)

وإنّما قلنا «على تَخيُّرٍ من لذيذ الوزنِ» لأنّ لذيذَهُ يَطْرَبُ الطَّبع لإيقاعه، ويُمازِجُهُ بصفائِهِ، كما يَطرُبُ الفهمُ لصواب تركيبه، واعتدالِ نظومِهِ. ولذلك قال

(١) لأبي البيداء الرياحي في البيان ١: ٦٦.
(٢) انظر البيان ١: ٦٦، والعمدة ١: ١٧٢.
(٣) البيان ٢: ٦٨.

حَسَّان: [البسيط]

تَـغَـنَّ فـي كـل شـعـرٍ أنـت قـائِلُهُ إنّ الغِنـاءَ لهـذا الشـعر مِضمـار(١)

وعيار الاستعارة الذِّهن والفطنة. ومِلَاكُ الأَمرِ تقريب التّشبيه في الأصل حتى يتناسَبَ المشبَّه والمشبَّه به، ثم يكتفي فيه بالاسم المستعارِ لأنّه المنقولُ عَمّا كان له في الوضع إلى المستعار له.

وعيارُ مشاكلة اللفظ للمعنى وشدَّةِ اقتضائهما للقافية، طول الدُّرْبة ودوامُ المدارسة، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعضٍ، لا جفاء في خِلالها ولا نُبُوّ، ولا زيادة فيها ولا قُصورَ. وكان اللفظ مقسومًا على رُتَب المعاني: قد جُعِلَ الأخَصُّ للأخصّ، والأخسُّ للأخَسّ، فهو البريءُ من العيب. وأما القافيةُ فيجبُ أن تكون كالموعودِ به المنتظر، يتشوَّفُها المعنى بحقّه واللفظ بقِسْطِهِ، وإلا كانت قَلِقَةً في مَقَرِّها، مُجتَلَبَةً لمستغنٍ عنها.

فهذه الخصال عَمُودُ الشّعر عند العرب، فمن لَزِمها بحقِّها وبَنَى شِعرَه عليها، فهو عندهم المُغْلِق المعظَّم. والمُحْسن المُقدَّم. ومن لم يجمعها كلَّها فبقدر سُهْمَتِه منها يكون نَصيبه من التقدُّم والإحسان، وهذا إجماعٌ مأخوذٌ به ومُتَّبَع نَهْجُه حتى الآن.

واعلم أنّ لهذه الخِصالِ وسائطَ وأطْرافًا، فيها ظَهَر صدقُ الواصف، وغُلُوّ الغالي؛ واقتصادُ المقتصِد. وقد اقْتَفَرَها اختيارُ الناقدين، فمنهم من قال: «أحسنُ الشعرِ أصدَقُه» قال: لأن تجويد قائِلِه فيه مع كونه في إسارِ الصدْقِ يدلُّ على الاقتدارِ والحِذق. ومنهم من اختار الغُلُوَّ حتى قيل «أحسن الشعر أكذبه»؛ لأنَّ قائِلَهُ إذا أسقط عن نفسه تقابُلَ الوصف والموصوفِ امتدّ فيما يأتيه إلى أعلى الرُّتبة، وظهر قوَّتُه في الصياغة وتمهُّرهُ في الصناعة، واتّسعت مخارجُهُ وموالِجَه، فتصرَّف في الوصف كيف شاء، لأنّ العَمَلَ عنده على المبالغة والتمثيل، لا المصادقة والتحقيق. وعلى هذا أكثرُ العلماء بالشّعر والقائلين له. وبعضهم قال: «أحسَنُ الشّعر أقصَدُه»؛ لأنّ على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعرًا فَقَطْ، فما استوفَى أقسام البراعة والتجويد أو جُلَّها، من غير غُلُوٍّ في القول ولا إحالةٍ في المعنى، ولم يُخْرِج الموصوفَ إلى أن لا يُؤْمَنَ

(١) لحسان في ديوانه ٢٨٠، وبلا نسبة في اللسان (غنا)، وأساس البلاغة (ضمر).

لشيءٍ من أوصافه، لظهور السَّرفِ في آياته، وشمول التزيُّد لأقواله، كان بالإيثار والانتخاب أولى.

ويَتْبع هذا الاختلافَ مَيْلُ بعضِهم إلى المطبوع وبعضِهم إلى المصنوع. والفرقُ بينهما أن الدّواعي إذا قامت في النفوس، وحَرَّكت القرائح، أَعملت القلوبَ. وإذا جاشت العقولُ بمكنون ودائعها، وتظاهرت مكتَسَباتُ العُلومِ وضروريّاتُها، نبعت المعاني ودَرَّتْ أخلافُهَا، وافتقرت خفيّات الخواطرِ إلى جليّات الألفاظ، فمتى رُفِضَ التكلُّف والتعمُّل، وخُلِّيَ الطبعُ المهذَّب بالرّواية، المدرَّب في الدّراسة، لاختياره، فاسترسل غيرَ محمولٍ عليه، ولا ممنوع مما يميل إليه، أدّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكونُ صَفْوًا بلا كَدَرٍ، وعَفْوًا بلا جَهدٍ، وذلك هو الذي يسمَّى «المطبوع». ومتى جُعل زِمامُ الاختيارِ بيدِ التعمُّل والتكلُّف، عاد الطبع مستخدَمًا متملَّكًا، وأقبلتِ الأفكارُ تستحمِلُهُ أثقالَها، وتردِّدُه في قَبُول ما يؤدّيه إليها، مُطَالَبَةً له بالإغرابِ في الصنعة، وتجاوزِ المألوفِ إلى البِدْعة، فجاء مؤدّاهُ وأَثَرُ التكَلُّفِ يَلُوحُ على صفحاته، وذلك هو «المصنوع».

وقد كان يتّفقُ في أبيات قصائدهم ـ من غير قَصْدٍ منهم إليه ـ اليسيرُ النَّزْرُ، فلما انتهى قَرْضُ الشعر إلى المُحْدَثين، ورأوا استغرابَ الناس للبديع على افتنانهم فيه، أُلعوا بتَوَرُّدِهِ إظهارًا للاقتدار، وذَهابًا إلى الإغراب. فمن مُفْرِط ومُقْتَصِد، ومحمودٍ فيما يأتيه ومذموم، وذلك على حسب نُهوض الطبع بما يُحمَّلُ، ومَدَى قُوَاهُ فيما يطلب منه ويُكَلفُ. فمن مال إلى الأوّلِ فلأنَّهُ أشبه بطرائق الإعراب، لسلامته في السَّبْك، واستوائه عند الفحص. ومَن مال إلى الثاني فلدلالته على كل البراعة، والالتذاذ بالغرابة.

وأما تعجُّبُك من أبي تمّام في اختيار هذا المجموع وخروجِه عن مَيْدان شِعره، ومفارقتِه ما يهواه لنفسه؛ وإجماع نُقّاد الشعر بَعْدَه على ما صحبه من التوفيق في قصدِهِ، فالقولُ فيه أنّ أبا تَمّامٍ كان يختار ما يختار لجودته لا غير، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته. والفرق بين ما يُشْتَهى وبين ما يُستجاد ظاهرٌ، بدلالة أنّ العارف بالبَزّ قد يشتهي لُبْس ما لا يستجيده، ويستجيد ما لا يشتهي لُبْسَه. وعلى ذلك حالُ جميع أعراض الدُّنيا مع العقلاء العارفين بها، في الاستجادة والاشتهاء. وهذا الرجُل لم يعْمِدْ من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشّعر إلى المتردِّدِ في الأفواه، المجيب لكلّ داعٍ، فكان أمرُه أقرب، بل اعتَسَفَ في دواوينِ الشّعراء

جاهليِّهم ومخضرَمِهم، وإسلاميِّهم ومولَّدِهم، واختطف منها الأرواحَ دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجَمَع ما يوافق نظمَه ويخالفه؛ لأن ضروبَ الاختيار لم تَخْفَ عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تَستتِر عنه، حتى إنّك تراه ينتهي إلى البيت الجيِّدِ فيهِ لفظة تَشِينُه، فيَجْبُر نقيصتَه من عنده، ويُبدّل الكلمة بأختها في نقده. وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم، فقابل ما في اختياره بها. ولو أنّ نقْد الشعر كان يُدرَك بقوله لكان مَن يقول الشعرَ مِن العلماء أشعر الناس. ويكشف هذا أنه قد يميِّزُ الشعر من لا يقولُه، ويقولُ الشعرَ الجيد من لا يَعرف نَقدَه. على ذلك كان البُحْتُرِيّ، لأنّه فيما حُكِيَ عنه كان لا يُعْجَبُ من الشّعر إلا بما وافق طبعَه ومعناه ولفظَه.

وحكى الصُولِيّ أنه سَمع المُبَرِّد يقول: سمعت الحسنَ بن رجاء يقول: ما رأيت أحدًا قطُّ أعلمَ بجيّد الشعر قديمِهِ وحديثِهِ من أبي تمّام. وحُكي عنه أنه مَرّ بشعر ابن أبي عُيَيْنَة فيما كان يختاره من شِعر المحدَثين فقال: «وهذا كله مختار». هذا وشعرُه أبعدُ الأشياءِ من شِعره. وهذا واضِح.

وأمّا ما غَلب على ظنك من أنّ اختيار الشعر موقوفٌ على الشّهوات؛ إذ كان ما يختارُه زيدٌ يجوز أن يزيِّفَه عمْروٌ، وأنَّ سبيلَها سبيلُ الصُّوَر في العيون، إلى غير ذلك مما ذكرْتَهُ - فليس الأمر كذلك؛ لأن من عَرَفَ مستورَ المعنى ومكشوفه، ومَرْفوض اللفظ ومألوفَه، ومَيَّزَ البديعَ الذي لم تقتسمه المَعَارِض، ولم تعتسفْه الخواطر، ونَظَر وتبحَّر، ودار في أساليب الأدب فتخيَّرَ، وطالت مجاذبتُه في التّذاكر والابتحاث، والتداوُل والابتعاث، وبانَ له القليلَ النائبُ عن الكثير، واللّحظ الدالُّ على الضمير، ودَرَى تراتيبَ الكلام وأسرارَها، كما درى تعاليق المعاني وأسبابَها، إلى غير ذلك مما يكمِّل الآلةَ، ويَشْحَذُ القريحة - تراه لا يَنظر إلّا بعين البصيرة، ولا يسمع إلا بأُذن النَّصَفة، ولا ينتقد إلا بيد المَعْدِلة، فحُكمُه الحكم الذي لا يُبدُل، ونقدَه النقد الذي لا يُغيَّر.

واعلم أنه يَعرف الجيّد من يجهل الرديء. والواجب أن تَعرف المقابح المتسخَّطة كما عَرفتَ المحاسن المرتضاة، وجِمَاعُها إذَا أُجمِلت أنّها أضدادُ ما بيّنّاه من عُمُد البلاغة، وخِصال البراعة، في النظم والنثر. وفي التفصيل كأنْ يكون اللفظُ وحْشِيًا أو غير مستقيم، أو لا يكونَ مستعمَلًا في المعنى المطلوب، فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير: «لا يتتبّع الوحشيّ ولا يُعاظِلُ الكلامَ». أو يكونَ فيه زيادة

تفسد المعنى أو نقصان، أو لا يكون بين أجزاء البيت التئام، أو تكون القافية قَلِقَةً في مقرِّها، أو مَعِيبةً في نفسِها، أو يكونَ في القَسْم أو التقابُلِ، أو في التفسير فساد، أو في المعنى تناقض وخروجٌ إلى ما ليس في العادة والطبع، أو يكونَ الوصفُ غيرَ لائقٍ بالموصوف، أو يكونَ في البيت حَشْوٌ لا طائِلَ فيه، إلى غير ذلك مما يحصِّلهُ لك تأمُّلك جُمَل المحاسن وتفصيلَها، وتتبُّعُك ما يُضادُّها وينافيها، وهذا هَيِّنٌ قريب.

وإنما قلت هذا لأنّ ما يختاره الناقد الحاذق قد يتّفق فيه ما لو سُئل عن سبب اختياره إياه، وعن الدّلالة عليه، لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول: هكذا قضيَّةُ طَبْعِي، أو ارْجِعْ إلى غيري ممن له الدُّرْبَةُ والعلم بمثله فإنّه يَحْكُم بمثل حُكْمي. وليس كذلك ما يَسترذله النّقد أو ينفيه الاختيار، لأنه لا شيءَ من ذلك إلّا ويمكن التنبيهُ على الخلل فيه، وإقامة البرهان على رداءته، فاعلمْه.

وأمّا تمنّيك معرفةَ السبب في تأخّر الشعراء عن رتبة الكُتّاب البُلَغاء، والعذرِ في قِلّة المترسّلين وكثرة المُفْلقين، والعلّةَ في نباهة أولئك وخُمولِ هؤلاء، ولماذا كان أكثر المفْلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب، وأكثرُ المترسّلين لا يُفْلِقُون في قَرْض الشعر، فإنّي أقول في كل فَصْلٍ من ذلك بما يَحْضُر، والله وَلِيُّ توفيقي، وهو حسبي وعليه توكُّلي.

اعلم أن تأخُّر الشعراء عن رتبة البلغاء، مُوجِبُه تأخُّرُ المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب، لأمرين:

أحدهما: أنّ ملوكهم قبل الإسلام وبعدَه كانوا يتبجّحون بالخطابة والافتنان فيها، ويَعُدّونها أكملَ أسباب الرياسة، وأفضلَ آلات الزّعامة. فإذا وقف أحدُهم بين السِّماطيْن لحصولِ تنافُرٍ أو تضاغُنٍ أو تظالم أو تشاجر، فأحسَنَ الاقتضابَ عند البُداهة، وأنجَعَ في الإسهاب وقت الإطالة، أو اعتلى في ذِرْوة مِنبرٍ فتصرّف في ضروب من تخشين القول وتليينه، داعيًا إلى طَاعَةٍ، أو مُسْتَصْلحًا لرعيّةٍ، أو غيرِ ذلك مما تدعو الحاجةُ إليه، كان ذلك أبلغَ عندهم من إنفاق مالٍ عظيم، وتجهيز جيشٍ كبير. وكانوا يأنفون من الاشتهار بقَرض الشعر، ويَعُدُّه ملوكُهم دناءة. وقد كان لامرىء القيس في الجاهلية مع أبيه حُجر بن عَمْرٍو، حين تعاطى قولَ الشعر فنهاه عنه وقتًا بعد وقت، وحالًا بعد حال، ما أخرَجَه إلى أن أَمر بقتله. وقِصّتُه مشهورة، فهذا واحد.

والثاني: أنهم اتخذوا الشعر مَكْسَبَةً وتجارة، وتوصَّلوا به إلى السُّوَق كما توصلوا به إلى العِلْية، وتعرَّضوا الأعراض الناس، فوصفوا اللئيمَ عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريمَ عند تأخُّر صلته بصفة اللئيم، حتى قيل: «الشعر أدنى مروَّة السريّ، وأسرى مروَّة الدّنيّ». وهذا الباب أمرُه ظاهر. وإذا كان شرفُ الصانع بمقدار شرف صناعته، وكان النظمُ متأخّرًا عن رتبة النثر، وجب أن يكون الشاعر أيضًا متخلِّفًا عن غاية البليغ.

ومما يدلُّ على أن النثر أشرف من النظم، أن الإعجاز من الله تعالى جدُّه والتحدّيَ من الرسول عليه السلام وقَعَا فيه دون النظم؛ يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أُمَمُهم يُولَعون به في حِينهِم، ويغلِبُ على طبائعهم، وبأشرف ذلك الجنس. على ذلك كانت معجزةُ موسى عليه السلام، لأنها ظهرت عليه وزمنُه زمن السّحر والسَّحَرة، فصارت من ذلك الجنس وبأشرفِه. وكذلك كان حالُ عيسى عليه السلام، لأن زمنَه كان زمنَ الطبّ، فكانت معجزتُه وهي إحياء الموتى، من ذلك الجنس وبأشرفه. فلما كان زمنُ النبي ﷺ زمن الفصاحة والبيان، جعل الله معجزتَه من جنس ما كانوا يُولَعون به وبأشرفه، فتحدّاهم بالقرآن كلامًا منثورًا، لا شعرًا منظومًا.

وقد قال الله عزّ وجلّ في تنويه النبي عليه السلام: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: الآية ٦٩].

وقال أيضًا: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشُّعَراء: الآيات ٢٢٤ - ٢٢٦].

ولمّا كان الأمر على ما بيَّنّاه وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا، وأعلى سَمْكًا وبناء من النظم، وأن يكون مزاوِلُه كذلك، اعتبارًا بسائر الصناعات وبمزاوليها.

وأما السبب في قِلّة المترسلين وكثرة المُفْلِقِين وعِزّ مَن جمع بين النوعين مبرّزًا فيهما، فهو أنّ مبنَى «الترسُّل» على أن يكون واضحَ المنهج، سهلَ المعنى، متسِع الباع، واسع النُّطاق، تدلُّ لوائحُهُ على حقائقه، وظواهرُه على بواطنه، إذ كان مورِدُه على أسماعٍ مفترقةٍ: من خاصيٍّ وعاميّ، وأفهام مختلفة: من ذكيّ وغبيّ. فمتى كان متسهِّلًا متَساويًا، ومتسلسِلًا متجاوبًا، تساوت الآذانُ في تلقِّيه، والأفهام في درايته، والألسن في رِوايته، فيُسمِحُ شاردُه إذا استُدعيَ، ويَتعجَّلُ وافِدُه إذا استُدني، وإن

تطاوَلَ أنفاسُ فصوله، وتباعَدَ أطراف حُزُونِهِ وسهوله. ومبنى «الشعر» على العكس من جميع ذلك لأنه مبنيّ على أوزان مقدّرة، وحدود مقسَّمةٍ، وقواف يُساق ما قبلَها إليها مهيَّأةٍ، وعلى أن يقوم كلُّ بيت بنفسه غير مفتقرٍ إلى غيره إلا ما يكون مضمَّنًا بأخيه، وهو عيب فيه. فلما كان مداه لا يمتدُّ بأكثر من مقدار عَرُوضِه وضَرْبِه، وكلاهما قليل، وكان الشاعر يعمل قصيدتَه بيتًا بيتًا، وكلُّ بيت يتقاضاه بالاتحاد، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى، وأن يبلغ الشاعرُ في تلطيفه، والأخذ من حواشيه، حتى يتسع اللفظ له، فيؤدّيه على غموضِه وخفائه ـ حَدًّا يصير المُدركُ له والمشرِفُ عليه، كالفائز بذخيرة اغتنمها، والظافرِ بدفينةٍ استخرجها. وفي مثل ذلك يحُسن امِّحَاءُ الأثر، وتباطؤُ المطلوب على المنتظِر. فكلُّ ما يُحمَد في الترسُّل ويُختار، يُذمّ في الشعر ويُرْفَض.

فلما اختَلف المبْنَيَانِ كما بيّنّا، وكان المتولّي لكل واحدٍ منهما يختار أبعدَ الغايات لنفسه فيه، اختلفت فيهما الإصابتان، لتبايُن طرفيهما، وتفاوُتِ قطريهما، وبَعُد على القرائح الجمع بينهما. يكشفُ ذلك أن الرّجَزَ وإنْ خالف القصيدَ مخالفةً قريبة ترجع إلى تقطيع شأو اللفظ فيه، وتزاحم السجع عليه، قلّ عددُ الجامِعِين بينهما، لتقاصر الطباع عن الإحاطة بهما. فإذا كان الرّجز والقصيد مع أنهما من وادٍ واحد، أفضت الحالُ بمتعاطِيهما إلى ما قلتُ على خلافٍ يسير بينهما ـ فالنثر والنظم وهما في طرفين ضِدَّين، وعلى حالتين متباينتين، أولَى وأخصُّ.

وأمّا السبب في قلّة البلغاء وكثرة الشعراء، ونباهة أولئك وخمول هؤلاء، فهو أنَّ المترسِّل محتاجٌ إلى مراعاة أمورٍ كثيرة، إن أهملها أو أهمل شيئًا منها رجعت النقيصةُ إليها، وتوجهت اللائمة عليه.

منها تبيُّنُ مقاديرِ من يَكتب عنه وإليه، حتّى لا يرفع وضيعًا، ولا يضع رفيعًا.

ومَنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه، حتّى تجيءَ لائقةً بمن يُخاطَب بها، مُفخَّمة لحضرة سلطانه التي يصدر عنها.

ومنها أن يعرف أحوالَ الزمان، وعوارضَ الحدَثَان، فيتصرّف معها على مقاديرها في النقض والإبرام، والبسط والانقباض.

ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل، والإيجاز والتخفيف؛ فقد يَتّفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار، حتّى يستغرق في الرسالة الواحدة أَقدارَ القصائد الطويلة، ويَتّفِق أيضًا ما تُغْنى فيه الإشارة، وما يجري مَجرى الوَحْي في الدّلالة.

ومنها أن يعرف من أحكام الشّريعة ما يقف به على سَوَاء السبيل ولا يَشتطّ في الحُكومة، ولا يَعدِل فيما يخُطّ عن المَحَجّة. فهو إنّما يَترسّل في عهود الوُلاة والقضاة، وتأكيد البَيعة والأيمان، وعِمارة البُلدان، وإصلاح فسادٍ، وتحريضٍ على جهادٍ، وسَدّ ثغورٍ ورَتْق فتوق، واحتجاجٍ على فئةٍ، أو مجادَلَةٍ لمِلّةٍ، أو دعاءٍ إلى أُلفةٍ، أو نهيٍ عن فُرقةٍ، أو تهنئة بعطيّة، أو تعزية برزيّةٍ، أو ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب، وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها إلى أدواتٍ كثيرة، ومعرفةٍ مفتَنّةٍ.

فلما كان الأمرُ على هذا صار وجود المصطلعين بجَودة النثر أعزّ، وعددُهم أنْزَر. وقد وسمَتْهم الكتابةُ بشرفها، وبوّأتهم منزلةَ رياستها، فأخطارُهم عالية بحسب عُلوّ صناعتهم، ومَعاقِدِ رياستهم، وشدةِ الفاقة إلى كِفايتهم.

والشعراء إنّما أغراضُهم التي يُسدّدون نحوَها، وغاياتُهم التي يَنْزِعون إليها، وصفُ الدّيار والآثار، والحنين إلى المعاهد والأوطان، والتشبيب بالنساء، والتلطيف في الاجتداء، والتفنُّن في المديح والهجاء، والمبالغةُ في التّشبيه والأوصاف. فإذا كان كذلك لم يتدانَو في المِضمار، ولا تقارَبُوا في الأقدار. وهذا القول كافٍ.

وإذْ قد أتينا بما أردنا، ووفّينا بما وَعَدنا، فإنا نشتغل بما هو القصد من شرح الاختيار، والله الموفّق للصواب، والصلاة والسلام على رسوله محمدٍ وآله الأخيار.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باب الحماسة

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقيّ الأصفهاني رحمه الله.

الحماسة: الشجاعة، والفعل منه حَمِسَ، ورجلٌ أحْمَسُ. وكانت العرب تسمّي قريشًا: حُمْسًا لتشدُّدهم في أحوالهم دِينًا ودُنْيا وتسمّي بني عامر: الأحامِسَ، وكأنّهم ذهبوا في واحد حُمْس إلى أنه صِفَةٌ، فجمعوه جَمع الصفات، كما يقال أحْمَرُ وحُمْرٌ، وأشقر وشُقْرٌ، وذهبوا في واحد الأحامس إلى أنه اسم، فجمعوه جمع الأسماء كما يقال أحْمد وأَحَامِد، وأجْدَل وأجادِلُ. وهم يُخْرِجون الأسماء إلى باب الصفات كثيرًا، فيقولون: بنو فلان الذوائب لا الذنائب، والمراد هم الأعالي لا الأسافل، كما يُخرجون الصفات إلى باب الأسماء كثيرًا. وعلى هذا الأساود: الحيّاتُ، والأَدَاهِمُ: القُيُود: قال: [الرجز]

أَوْعَدَنِي بالسِّجن والأداهِم[1]

والأباطح: جمع الأبطح. وكلُّ ذلك صفات أُخرجتْ إلى باب الأسماء.

وقال الدُّرَيْدي[2]: حَمِسَ الشرُّ: اشتدَّ. والحُمْسُ: قريش، وكِنَانةُ وخُزَاعةُ، تَحَمَّسوا في دينهم. وبنو حِمَاسٍ: قبيلة من العرب، وكذلك بنو حُمَيْسٍ. وقوله:

---

(١) للعديل بن الفرخ في خزانة الأدب ٥: ١٨٨، والدرر ٦: ٦٢، وتاج العروس (دهم). وبلا نسبة في ديوان الأدب ٣: ٢٦٦، واللسان (وعد، رهم).

(٢) الدريدي: يعني أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد.

١ ـ قال بعض شعراء بَلْعَنْبَر[١]:

المراد بني العنبر، ولهذا وجب ألّا يصحبَ الكسرة التي في الراء التنوين. وإنّما حذِف النون من «بني» لاجتماعه مع اللام من العنبر، وتقاربهما في المخرج. وذلك لأنّه لما تعذّر الإدغام فيه جُعِلَ الحذف بدلًا من الإدغام. وإنّما تعذَّر الإدغام لأن الأول متحرّك والثاني ساكن سكونًا لازمًا، فلما كان من شرط المُدْغَم تحريك الثاني إذا أُدْغِمَ الأولُ فيه، وكان لام التعريف ساكنًا سكونًا لازمًا، جُعِلَ الحذْفُ لكونه مؤدّيًا إلى التخفيف المطلوب من الإدغام بدلًا لمّا تَعَذَّرَ هو. ولا يلزم على هذا أن يُحذفَ النون من بني النّجّار لأنّ اللام قد أُدْغِمَ في النون التي بعده، فلا يمكن تقدير إدغام النون التي قَبْلَه فيه، حتى إذا تعذّر جُعِل الحذْفُ بَدَلًا من الإدغام، بدلالة أن ثلاثة أشباه لا يصحّ إدغامُ بعضها في بعض، ومما يُشْبهُ هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين واستعمال الحذف في أحدهما بدلًا من الإدغام قولهم عَلْمَاءِ بنو فلان[٢]، والمعنى على الماء. ومما يُشبهه لكنهما التقيا في كلمة واحدة، قولهم ظَلَلِتُ ومَسِسْتُ يقال منهما ظَلْتُ ومَسْتُ، وإن شئت ظِلْتُ ومِسْتُ. تُلْقَى حركة المحذوف على فاء الفعل. قال الله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقِعَة: الآية ٦٥]. وإنّما تعذر الإدغام هٰهنا لأنّ لامَ الفعل في مثل هذا المكانِ إذا اتّصل به ضميرُ الفاعل يُسكّن البتّة، فلما لزمه التكون لم يصحّ إدغام العين فيه، فلذلك حُذِف.

والعَنْبَرُ في اللغة: التُّرسُ والطِّيبُ. وعَنْبَرةُ الشتاءِ: شِدَّتُهُ. وعنبرة القوم: خلوص أنسابِهم. ويقال: رأيته بهذا البلَدَ عَنْبَريًا، يُضرَبُ به مثلًا في الهداية. وبنو العنبر أهْدَى قَوْم. ويمكن تقدير النون زائدة فيه، فيكون فَنْعلا من عَبَرْتُ، كأنّه بحُسنِ تأتّيهِ للاهتداء يَعْبُرُ الطُّرُق. ومنه قيل في البعير: هو عُبْرُ أسفار. [البسيط]

١ ـ لَوْ كُنْتُ من مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إبِلِي   بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

مَازِنُ بن مَالِك بن عَمْرو بن تَميم، هُمْ بَنُو أَخي العَنْبَر بن عَمْرو بن تميم، وإذا كان كذلك فمَدْح هذا الشاعر لهم يَجْرِي مَجْرَى الافتخار بهم، وفي بني مازن عصَبِيّةٌ

---

(١) في التبريزي: «واسمه قُرَيْط بن أُنَيْف» وهو شاعر جاهلي، ترجمته في (شرح شواهد المغني ص ٢٥، وسمط اللآلي ٥٤٥، والأعلام ٦: ٣٨).

(٢) استشهد التبريزي في شرحه ١: ١٤ بقول قطريّ بن الفجاءة: [الطويل]

غداةَ طغت عَلْمَاءِ بكرُ بنُ وائل   وعُجنا صدورَ الخيلِ نحو تميمِ

شديدة قد عُرِفوا بها وحُمِدوا من أجلها، ولذلك قال[١] بعض الشعراء موبّخًا لغيرهم: [الطويل]

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ وهل كُفَلائِي في الوفَاءِ سَواء

كأنَّ دَنَانِيرًا على قِسَماتِهِم وإنْ كان قد شَفَّ الوجوهَ لقاء

وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بَعْث قومه على الانتقام له من أعدائه ومُهْتَضِميه، وتهييجهم وهزِّهم، لا ذَمِّهم. وكيف يَذُمُّهم ووبالُ الذمّ راجع إليه؟! لكنّه في هذا المعنى سالك لطريقة كَبْشَةَ أخت عَمْرو بن مَعْدِيكَرِبَ في قولها[٢]: [الطويل]

أرْسَلَ عبدُ الله إذْ حَانَ يَوْمُهُ إلى قومِهِ لا تعقلُوا لَهُمُ دَمِي

ألا تَرى أنّها قالت في جملة هذه الأبيات: [الطويل]

وَدَعْ عَنْك عَمْرًا إن عَمْرًا مُسَالِمٌ وهَلْ بَطْنُ عَمْرٍ غَيْرُ شِبْرٍ لمَطْعَمِ

فلا يجوز أن يُتَوَهَّم أنها كانت تهجو أخاها عَمْرًا أو تَنْسُبه إلى العَجْز والتقصير في طلب ثأر أخيه، وعمرو هو الذي كان يُعَدُّ بألْفِ فَارِسٍ، ولكن مرادها بَعْثُهُ وتهييجُه. وهذا كما يقول العبد لمولاه والغلام لصاحبه وقد لحقتهما هَضِيمة من أجنبيّ: لو كُنّا في خدمة فلانٍ عمِّكَ أو أخيك لما جَسَر هذا أن ينالَنا بمكروه! ولا يجوز أن يقال إنهما هجَوَا سيّديهما أو فضّلا غيرَهما عليهما، ولكن المراد تحريكُهُما لهما، وإذا كان الأمر على هذا فمن الظاهر بُطلانُ قولِ من يذهب إلى أنَّ هذا الشاعر هجا قومَهُ ومَدَح بني مازن يؤكِّدُ ما قلته قوله: [البسيط]

يَجْزُونَ من ظُلْمِ أهل الظلْمِ مَغْفِرَةً ومن إساءَةِ أهْلِ السُّوءِ إحْسانا

لأنه لا يقال لمن يُمْسِكُ عجزًا عن الانتصار إنه غَفَرَ، ولا لمن يقدر على جزاء الإساءة إنه اختار الإحسان. فإن قيل: أليس قد قال: [البسيط]

لَيْسُوا من الشَّرِّ في شيءٍ وإنْ هَانَا

وقال أيضًا: [البسيط]

فليْتَ لي بِهِمُ قَوْمًا إذا رَكِبُوا شَنُّوا الإغارةَ فُرْسَانًا ورُكْبَانا

---

(١) البيتان لمحرز بن المكعبر الضبي ضمن أبيات أخرى في الحماسية رقم (٦١١).

(٢) البيت في الحماسية رقم (٥٢).

قلت: ليس يزيدُ شيءٌ مما قاله على قول كبشة: [الطويل]

وَدَعْ عنك عَمْرًا إنَّ عَمْرًا مُسَالِمٌ

وإذا كانت أبياتُها باتّفاقٍ من أصحاب المعاني لا تكون هجوًا، فكذلك أبيات هذا العنبريّ. ومما يشهد للطريقة التي سلكناها ويؤيّدها، أنّ في جملة أبياته التي وصف فيها قومه: [البسيط]

يُخْبُونَ نِيرانَهُمْ حتى إذا خَمدَت شَبُّوا لِمُوقِدِ نار الحَرْبِ نيرَانَا(١)

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفات نفسه فقال: [المتقارب]

أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ في رِخْوِهِ فكيفَ الفِرارُ إذا ما اقْتَرَبْ

بل الذي ذكره العنبري أزيَد، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن، فإذا اهتاجوا زادُوا على كل هائج. ألا ترى أنه قال:

شَبُّوا لِمُوقِدِ نارِ الحربِ نيرانا

ومعنى البيت لو كنت مازنيًا لم تُغِرْ بنو اللَّقِيطةِ على إبلي.

ولَقِيطَةُ أُلحِقَ بها الهاء وإن كان فَعِيلًا في معنى مَفْعُولَةٍ، لأنّه أُفْرِدَ عن الموصوف به وجُعِل اسمًا. وهذا كما يقال النّشِيطَةُ والذَّبيحَةُ، والبَنِيّةُ في الكعبة.

فأما الاستباحة، فقد قيل هي في معنى الإباحة، وقد قيل: إن الإباحة هي التّخلِيَةُ بين الشيء وبين طَالِبِه، والاستباحة اتخاذُ الشيء مباحًا للنّفس. وكأن الأصل في الإباحة إظهار الشيء للمَنَاظر ليتناوَلَه مَن شاء ومنه بَاحَ بسرّه بَوْحًا وبُؤُوحًا. والمَازِنُ في اللغة: بَيض النّمْل، ويقال: هو يَتَمَزّن على أصحابه، كأنه يَتَفَضّل عليهم. وذُهْل من ذَهَلْتُ عن الشيء.

٢ - إِذًا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا

اللام في «لقام» جوابُ يمينٍ مضمرة، والتقدير إذًا والله لقام بنصري. فإن قيل: فأين جواب لو كنت؟ قلت: هو لم تستبح إبلي. وفائدة «إذًا» هو أنّ هذا أخرَجَ البيت الثاني مُخْرَج جواب قائلٍ قال له: ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن؟ فقال: إذًا لقام بنصري مَعْشَرٌ خُشُن. قال سيبويه: «إذًا جوابٌ وجزاءٌ»، وإذا كان كذلك فهذا

---

(١) هذا البيت ليس من مختارات أبي تمام في الحماسة.

البيت جواب لهذا السائل وجزاءٌ على فعل المستبيح. ويجوز أن يكون أيضًا إذًا لقام جوابَ «لو»، كأنه أجيب بجوابين. وهذا كما تقول: لو كنتَ حُرًّا لاستقبحت ما يفعلُه العبيدُ، إذًا لاستحسنت ما يفعله الأحرار. وقوله «إنْ ذو لوثة» يرتفع ذو عند حُذّاق النحويِّين بفعل مُضمَرٍ، الفعلُ الذي بعدَه تفسيره، وهو لَانَ. والتقديرُ إن لَانَ ذو لُوثَةٍ لانا. وإنّما قالوا هذا لأنّ «إنْ» لمّا كان شرطًا كان بالفعل أولى، وعملُه الجزم فيجب أن لا يفارِقُ معمولَهُ في اللفظ والتقدير. وليس هذا موضعَ الكلام على من يجعل «ذو» بعد إنْ وما أشْبَهَهُ مبتدأ. ومعنى البيت: إذًا والله لقامَ بنَصْرِي، أي لَتكفَّلَ به قومٌ أشدّاءُ عند الغضبِ، إذَا الضعيفُ لَانَ. ويقال: قام بالأمر، أي تكفّل به، وهو القائم والقيِّم. وقام بالقِسْطِ والعَدْلِ في الرعيَّةِ، وقامَ عليه إذا ساسَه ووليه، ومنه القيُّومُ والقَيَّامُ في صفات الله تعالى، وقولُه: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ﴾ [آل عِمران: الآية ٧٥] أي قاهرًا. وأقمتُ الرُّمْحَ فقامَ، بمعنى قوَّمْتُه فتقوَم. وقولُه «إنْ ذو لوثَةٍ» تعريضٌ منه بقومِه ليَغْضَبوا ويهتاجُوا لنُصْرَتِه، وهو في البعثِ والتهييج أحسن من التصريح، كما أنه في الذمِّ والهجو كذلك. وهذا بعضُ الناس رواه «إنْ ذو لَوْثَةٍ» وزعم أنَّ ذو لُوثَةٍ ليس يجيّد لأن الضعيف أبدًا مَهينٌ، والواجب أن يقول إنِ القويُّ لَانَ، واللَّوْثَةُ هي القوَّة. والرّواية الصحيحة هي ضم اللام من اللُّوثَة؛ والفائدةُ ما ذُكرت من التعريض بقومه. ولأَنْ يكون طَرَفَا البيت متناولَين لمعنيين متقابلين، أحسن من أن يكونا مفيدَين لمعنًى واحد. و«المَعْشَرُ»: اسم للجماعة، لا واحد له من لفظه. وقال الخليل: هو اسم لجماعةٍ أمْرُهُم واحد. ويقال جاؤوا مَعْشَرَ مَعْشَرَ، أي عَشَرةً عَشَرةً. و«خُشُنٌ»: جمعُ خَشِنٍ وأَخْشَن. و«الحفِيظَةُ»: الْخَصْلَةُ يُحفَظُ لها، أي يُغضَبُ. وقيل هي الْحَمِيّة، وفي المثل: «الحفائظُ تحلِّلُ الأحقادَ» وقيل أيضًا: «أهل الْحَفائظِ أهل الْحِفاظ». وذلك أن ذا الأَنْفِ يحترِسُ من العارِ، فلا يزال يَتحفّظ ويُحافِظ حتى يَسْلَم منه. وكأنَّ الأصل في الكُلِّ الحِفظُ الذي هو نقيض النِّسيان. وقد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعةُ به، وجادَ البيتُ له، كأنه قال: معشَرٌ خَشِنُون عند الحفيظة إن كان ذَوُو اللُّوثةِ ليِّنين عندها.

٣ ـ قَوْمٌ إذا الشَّرُّ أَبْدَى ناجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدانَا

أراد أن يَصف بني مازن بما يهتاج له قومُه فينصرونه، فقال: هم قوم إذا ظهر لهم الشَّرُّ واشتدّ سارعوا إليه غير متوقِّعِين لتَجَمُّع، ولا مُعَرِّجين على تَأَهُّب، لكنّهم

يتبادرون أفرادًا وثُبَاتٍ، وأشتاتًا وجماعاتٍ. وإبداءُ النّاجِذ ـ وهو ضرس الحِلْم ـ مَثَلٌ لاشتداد الشرّ. ومثله قولُ الآخر: [الطويل]

فَمَنْ يَكُ مِغْزال اليدينِ، مكانُهُ إذَا كَشَرَتْ عن نابِها الحَرْبُ خامِلُ

فأمّا قول[1] عَنتَرَة: [الكامل]

إذْ تَقلِصُ الشفتانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ

وقول[2] الأعْشى: [الرمل]

سَعَةُ الشِّدْق عن النَّابِ كَلَحْ

وقول الآخر: [المتقارب]

وقَدْ أسْلَمَ الشَّفَتَانِ الفَما

فإنما هو صفةٌ للمُصطلى بنار الحرب عند اشتداد الأمر عليه. ومثلُه لبعض البلغاء: «صارَ الأكَسُّ كالأرْوَق، والمُحتال كالأحمق؟ وذو البصيرة كالأخْرَق». ويقال: عَضَّ على ناجِذهِ، إذا صَبَرَ على الأمر. ونجّذَتْهُ الأمورُ: أحكمَتْه. قال[3] الشاعر: [الوافر]

ونَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤونِ

ويقول الرجل إذا أراد أن يتشدّد على صاحبه: لأُرِيَنَّكَ نَاجِذِي! والمعنى أنه يكْشِرُ له ويكْلَحُ في وجهه حتّى يبدوَ ناجِذُهُ. ويقولون: «خِلْتُهُ لِعُبُوسه يبتَسِم، ولإقدامِهِ يَنْهَجِمُ». وقال بعضهم: النواجِذُ: الضَّوَاحِك، واحتجّ بحديث النبي ﷺ: «أنّه ضحك حتى بَدَتْ نواجذُه». قال: وأقاصي الأسنان لا يُبدِيها الضَّحِك. والصحيحُ الأوّل، فأمّا الخَبَرُ فمحمولٌ على المُبَالَغَةِ وإنْ لم تَبْدُ النواجِذُ.

وجواب «إذا» طاروا. و«وُحْدَانًا» هو جَمْعُ واحد، وواحِدٌ صِفَةٌ، كصاحب وصُحْبَانٍ، وراعٍ ورُعْيَان. ويقال: طِرْتُ إلى كذا، إذا أسْرعتَ إليه، وطِرْتُ بكذا، أي

---

(١) لعنترة في ديوانه ٢١٥، وتاج العروس (قلص)، وصدره:
«ولقد حفظتُ وصاة عمي في الضحى»

(٢) للأعشى في ديوانه ١٦١، وصدره:
«وله المقدم في الحرب إذا»

(٣) لسحيم بن وثيل الرياحي في اللسان (نجذ، دور، درى)، وأساس البلاغة (دور). وصدره:
«أخو خمسين مجتمع أشدّي»

سبَقْتُ به. والزَّرَافاتُ: الجماعاتُ، واشتقاقُه من الزَّرْف، وهو الزِّيادة على الشيء. ويقال زَرَفْتُ القَوْم قُدَّامِي، أي قَدَّمتُهُم فِرَقًا. وحُكِيَ في الزَّرافَة تشديد الفاء، يقال: جاء القوم بِزَرَافّتِهِم، أي بجماعتهم؛ وهو غريب. والمعنى أنهم لحرصهم على القتال وجُرْأتهم، لا ينتظِرُ بَعْضُهُم بَعْضًا، لكنّ كُلّا منهم يعتقد أن الإجابة تعيّنت عليه إذا تشدّد الشرُّ لهم. وفي طريقته قول بعضِ الشعراء: [الكامل]

قَوْمٌ إذا هَتَفَ الصَّرِيخُ رأيتَهُمْ ... مِنْ بَينِ مُلْجِمِ مُهْرِه أو سافِعِ

سَافِعٌ: آخذ بناصية فَرَسِهِ. ومنه قول الله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: الآية ١٥].
وقول الآخَر: [الطويل]

وكنتُ إذا جاري دَعَا لمضُوفَةٍ ... أشَمِّرُ حتى يَنْصُفَ الساقَ مئزري

٤ ـ لا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... في النائِبَاتِ عَلَى ما قَالَ بُرهَانَا

الأصْلُ في النُّدْبة ـ وإن اشتهرت ببكاء الأموات وقولِهم عنده: وافُلَانَاه: ـ الدُّعَاء، وتوسَّعُوا فيه فقالوا: نُدِبَ فُلَانٌ لكذا وكذا، إذا نُصِبَ له ورُشّحَ للقيام به. ويقولون: تكلَّمَ فلانٌ فانتدَبَ له فُلَانٌ، إذا عارضَهُ. والشاعر يقول: هؤلاء القوم، يعني بني مازن، لحسن محافظتهم وقوّة تناهيهم في نُصْرَةِ المُنتَسِبِ إليهم والمُعَلّق حَبْلَهُ بحَبْلِهم، لا يسألونَ الواحد منهم إذا دَعَاهُم حُجَّةً على دعواه، ولا يراجعونه في كيفية ما ألجأه إليهم، لكنهم يُعَجِّلون الإغاثة له. وهذا تعريضٌ منه بما لَحِقَهُ من قومه أو رآه من عادتهم عند الاستغاثة بهم. والعرب تقول: يا أخا قريش؛ والمعنى يا وَاحِدًا منهم. ومِثْلُه: [الطويل]

إذا اسْتُنْجِدُوا لم يَسْألُوا من دَعَاهُمُ ... لأيَّةِ حَرْبٍ أمْ بأيِّ مكانِ[١]

وقد وَصَفَ بني مازنٍ غيرُ واحِدٍ من الشعراء بمثل ما وصفهم هذا الشاعر، فمن ذلك قول بعضِهِم: [السريع]

نَفْسِي فِدَاءٌ لبني مَازِنٍ ... من شُمُسٍ في الحَرْبِ أبْطَالِ

وقول[٢] الآخر: [الطويل]

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مازِنٍ ... وهَلْ كُفَلَائي في الوَفَاء سَوَاءُ

---

(١) ورد البيت ضمن الحماسية رقم (١٨). (٢) انظر الحماسية رقم (٦١١).

٥ ـ لَكِنَّ قَوْمِي وإِنْ كانوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ في شَيْءٍ وإِنْ هَانَا

رَجَع إلى صفة قومه بما يأنفون منه عنده؛ وتَدْخُلُهم الحميّة لدى الإصْغاءِ إليه، وليس قَصْدُهُ ذَمّهم فقال: لكنّ قومي وإن كان فيهم كثرة عَدَدٍ وعُدَّةٍ ليسوا من دَفْع الشر وإنكارِهِ، وقَصْدِهِ وارتكابه في شيءٍ، وإن كانَ فِيهِ خِفةٌ وقِلَّةٌ. وقد قابَلَ الشَّرْطَ بالشَّرْطِ في الصَّدْرِ والعَجزُ، وطَابَق العَدَدَ والكثرةَ بالهَوْن والخِفّة في هذا الكلام، ويريد أن يَصِفَهُم بأنهم يؤثرون السلامَةَ والعَفْو عن الجُناة ما أمكن، ولو أرادوا الانتقام لقَدرُوا بعَددهم وعُدّتهم ولكنَّ المراقَبَةَ والتقوى تدعُوهُمْ إلى إيثارِ الحُسْنَى.

٦ ـ يَجْزُونَ من ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ومن إساءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا

روى بعضهم «من ظَلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ» والظَّلْمُ بالفَتْح المصدر وبالضَّم الاسم. وهذه الرواية عندي أحسن وقد بيّنْتُ ما في المغفرة والإحسان من الدلالة على أنهم كانوا يَقْدِرُون على إيثار ضدّهما. والظُّلْم: انتقاص الحظّ والنصيب. وقيل: هو وضْع الشيء في غير موضِعِهِ، ونقِيضُهُ العَدْلُ. ويَنتصب إحسانًا بيَجْزُونَ مضمَرًا، كأنه قال: ويَجْزُون من الإساءة إحسانًا. وجَازَ حَذْفُهُ لأن الفِعْلَ قَبْلَه يَدُلُّ عليه.

٧ ـ كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ الناسِ إِنْسَانَا[1]

الخَشْيَةُ والخَشْيُ والمَخْشَاةُ: مصدر خَشِيَ. ويقولون: هذا المكان أخْشَى مِن ذاك، وهو نادرٌ لأنّ المكانَ يُخْشَى فهو مفعول. ورجُل خَشْيَانٌ وامرأةٌ خَشْيَانَةٌ. وقوله «سِوَاهم من جميع الناسِ» هو استثناءٌ مَقدَّمٌ، ولو وَقع مَوقِعَهُ لكان الكلامُ لم يَخْلُق لخشيته إنسانًا سواهم، فكانَ يجوزُ في سِواهم البَدَلُ والاستثناء والصِّفةُ، فلمّا قُدِّمَ بَطَلَ أن يكُونَ بدلًا وصِفةً لأنهما لا يتقدّمان على الموصوف والمبدل منه، فبقِيَ أن يَكونَ استثناءً. وقد نَبَّهَ بهذا الكلام أنّ احتمالهم لاحتسابِ الأَجْرِ على زَغْمِهِم، وإبقاءَهم في الانتقام لِخَشْيَةِ فواتِ الذُّخْرِ في دعواهم، فكأنّ الله لم يَخْلُق لخوفِهِ غيرَهُمْ.

---

(١) أورد التبريزي في حماسته بيتًا ثامنًا هو:

فليتَ لي بهم قومًا إذا رَكِبوا شدّوا الإغارة فرسانًا وركبانا

وقال في تفسيره: «شنّوا الإغارة: فرّقوها، وفرسانًا وركبانا: أي إنهم كانوا يقاتلون على الخيل والإبل».

٢ ـ وقال شَهْلُ بن شيبانَ الزِّمّانيّ[١]:

ويُلَقَّبُ بِالفِنْدِ، والفِنْدُ في اللغة: القطعة العظيمة من الجبَل، وجمعه أَفْنَادٌ. قال الدُّرَيْدِي: لُقِّبَ به لعظم شخصِه. قال: وهو أحد الفرسان. وقال غيره: لُقِّبَ به لأنَّه قال لأصحابه في يومِ حَرْبٍ: «استَنِدُوا إليّ فإنّي لَكُمْ فِند». [الهزج]

١ ـ صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وقُلْنَا القَوْمُ إِخْوَانُ

صَفَحْتُ عنه: عَفَوْتُ عن جُرْمِه. ويقال أعرضتُ عن الأمرِ صَفحًا، إذا تركتَهُ. وقد يقال: أَصْفَحْتُ عنه، كما يقال أَضْرَبْتُ عنه. ويقال: أَبْدَى لي صَفْحَتَهُ، إذا مكّنك من نفسه. يقول عفَوْنا عن جرم هؤلاء القوم، وراعَيْنا من الأحوال المتواشِجة بيننا وبينهم، ما حَمَلَنا على الإغضاء على قَبِيح يتّفق منهم، والتجاوزِ عن هَفْوَةٍ تَحْصُل مِن جهتهم، وقلنا: إنّ ما بيننا وبينهم من الأُخوَّةِ يقتضي الإبقاء على الحال معهم، وانتظارَ لفَيْئَةٍ تكون منهم. وحقيقةُ صَفَحْنا عن بني ذُهْلٍ: أعرضْنا عنهم: ولَّيْنَاهم صَفْحةَ أعناقِنا ووجوهِنا، وهي جانبُها، فلم نؤاخذْهم بما كان منهم. وقال في هذا المعنى ضربْنَا عنهم صَفْحًا، وفي القرآن: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزُّخْرُف: الآية ٥].

٢ ـ عَسَى الأيامُ أن يَرْجِعْـ نَ قَوْمًا كالذي كانوا

إنّما نَكَّر قومًا لأنَّ فائدتَه مثل فائدة المعارف، ألا ترى أنه لا فَصْل بين أن تقولَ: عَفَوْت عن زَيْدٍ فلعلّ الأيام تردُّ رَجُلًا مثل الذي كان، وبين أن تقولَ فلعلّ الأيام تَرُدُّ الرجلَ مثلَ الذي كان؛ لأنك تريد في الموضعين به رَجُلًا أو الرَّجُلَ. والمعنى: فَعَلْنا ذلك بهم رجاءَ أن تَرُدَّهم الأيامُ إلى أحْسَنِ ما كانوا عليه من قَبْلُ. وعَسَى: من أفعالِ المقارَبَةِ. وأن يَرْجِعَنْ: في موضع خبر عسى، ولو قال: عَسَى أن يَرْجِعَ الأيامُ قومًا لكانَ أن يرجعَ في موضع فاعل عَسَى وكان يَكْتَفِي به؛ وذلك لأنّ عَسَى لمقاربة الفعل، والفعل لا بُدّ له من الفاعل، فإذا تقدّم الفِعْلُ مع أن وتبعه الفاعل فقد حصل ما يطلبه، فإذا وليه الاسم بقي ينتظر الفعل وإن ارتفع ذلك الاسم به، فيجري الفعل مع أن بعده مجرى خبر كان بعد اسم كان. ومعنى يَرْجِعَنْ: يَرْدُدْنَ، وهو باب فَعَل وفَعَلْتُه. يقال: رَجَعَ فلانٌ رجوعًا ومَرْجَعًا ورُجْعَى ورُجعانًا،

(١) شهل بن شيبان، ويلقّب بالفِند الزِّمّاني: شاعر جاهلي، كان سيّد بكر وفارسها (ت ٧٠ ق.هـ. ٥٥٥ م). ترجمته في الأغاني ٢٠: ١٤٣ (بولاق)، وشرح الأمالي ٥٧٩، والخزانة ٢: ٥٨.

ورَجعْتُهُ رَجْعًا. ومعنى يرجعن قومًا: يَردُدْن بأمرهم أمر قوم، وبائتلافهم ائتلاف قوم؛ فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامَه. وخبر (كان) محذوف كأنه قال: كالذي كانُوه، أي كانوا عليه قبلُ من الائتلاف والتوادّ والاتّفاق. والضمير الذي أظهرناه في «كانوه» هو الذي تصحُّ الصلة به، لأنّ الموصول لا بدّ من أن يكون في صلته ضمير يعود إليه إذا كان اسمًا، والذي ليس يرجع إليه من كانوا شيءٌ إلا ما أبرزناه من الضمير. ومن جَوّز حذف الجارّ والمجرور من الصفة في نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٨] ويقدّر فيه أنّ الكلام لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئًا، لا يَسُوغُ له أن يقدِّر في الصّلة أيضًا كذلك. وإذا كان الأمر على هذا فلا يجوز أن يكون التقدير يَرْجِعْنَ قَوْمًا كالذي كانوا عليه، لأن مثل عليه لا يجوز حذفه من الصلة، لا تَقولُ الذي مَرَرْتُ جالسٌ، وأنت تريدُ مررتُ به، والذي دَخَلتُ منطلقٌ، وأنت تريد الذي دخلت عليه. وبمثل هذا تَوَصَّلَ مَن زعم في الآية أنّ التقدير: واتَّقُوا يومًا لا تجزيه نفس عن نفس شيئًا، لأنه قال: الصفة كالصّلة، فكما لا يجوز حذْف فِيهِ وأشباهه من الصّلة، كذلك لا يجوز حذفها من الصّفة، فاعلمْه. ويجوز أن يكون قوله كالذي كانوا، أراد «كالذين» كانوا، وحذَف النون تخفيفًا، كما قال: [الطويل]

إنّ الَّذِي حانت بفَلْج دماؤهم هُمُ القَوْمُ كلُّ القومِ يا أمّ خَالِدِ

فيكون المعنى يَرجِعْن بهم قومًا كالذين كانوا من قبل. وفي هذا الوجه يجوز أن يُجْعَل «الذي» للجنس، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٣] ثم قال ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٣]، والفصل بين هذا الوجه وبين الوجه الأوّل أنّه أمّل في الوجه الأول أنّهم إذا عَفَوا عنهم أدَبْتهم الأيام وردّت أحوالهم في التَّوَادّ والتّحابّ كأحوالهم فيما مضى، وأزالت من فسادِ ذات البين ما اعترض بسُوء عشرتهم. وفي الوجه الثاني أمّلَ أن ترجِعَ الأيامُ أنفسَهم إذا صفحوا عنهم كما عُهِدَتْ: سلامةَ صدورٍ، وكَرَمَ اعتقادٍ وعُهُود.

٣ ـ فَلَمّا صَرَّحَ الشَّرُّ فأمْسَى وهْوَ عُرْيانُ

فائدة أمسَى وأصبح وظَلّ وبات في مثل هذا المكان على حدّ الفائدة في «صار» لو وَقَعَ موقعها، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [النّحل: الآية ٥٨]، والبِشارة بالأنثى تقع ليلًا ونهارًا. وكذلك تقول: أصبحوا خاسرين وأمسَوْا نادمين، وإن كانوا في كلّ أوقاتهم على ذلك. «ولَمّا» عَلَمٌ للظرف،

وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره، ولهذا لا بدَّ له من جواب. ويقال: صَرَّحَ الشيءَ إذا كشف عنه وأظهره، وصَرَّح هو إذا انكشف. ومثله بيَّن الشيءَ وبيَّن هو، أي تبيَّن، وفي المثل «قد بيَّنَ الصُبحُ لذي عينين». وفَعَّلَ بمعنى تفعّل واسِعٌ، يقال وَجَّهَ بمعنى توجَّه، وقَدَّم بمعنى تَقَدَّمَ، ونبَّه بمعنى تنبه، ونكَّبَ بمعنى تنكَّبَ. فيقول: لمّا ظَهَرَ الشَّرُّ كلَّ الظُّهور وصار بحيث لا يستُره شيء ولم يبقَ بيننا وبينهم سِوَى الصَّبر على الظلم الصريح. والمعنى أنهم لمّا تجاوزُوا الأحوالَ المتشابكة، والأخذَ بالإنصاف والمَعْدِلة، إلى استعمال الظُّلم ورَفْع الحِشْمَةِ، حينئذٍ جازيناهم بمثل ما ابتدؤونا. وذكر العُريَانِ مَثَلٌ لظُهور الشر. وقد اشتمل هذا الكلام على تفسير البيت الذي يتلوه، وهو قوله:

٤ ـ ولم يَبْقَ سِوَى العُدْوَا نِ دِنَّاهُم كما دَانُوا

العُدْوان والعَدَاءُ والعَدْوَ: الظُّلم. وأما قوله دِنَّاهُمْ كما دانوا، والأول ليس بجزاء، فهذا لميلهم إلى المطابقة والموافَقة، وإخراجِ اللفظ في مِعْرَض صاحبه ليُعْلَمَ أنه جزاؤه على حَدِّه وقَدْرِه، أو ابتداؤه. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٢] و﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥] ومَا أشبهه. وجواب لَمَّا صَرَّح «دِنَّاهُمْ». وقوله في البيت التالي هو تفصيل لما أجمله قوله دِنَّاهُمْ، لأنه فَسَّرَ كيف كان ذلك الجزاء. والدِّين لفظةٌ مشتركة في عدّة معانٍ: الجزاء، والعادةُ، والطاعة، والحِسَاب. وهو هٰهنا الجزاء. ويقولون: «كما تدين تُدان» أي كما تَصْنَع يُصْنَع بك.

٥ ـ مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْثِ غَدَا واللَّيْثُ غَضْبَانُ

كرّر الليثَ ولم يأت بضميره تفخيمًا وتهويلًا، وهم يفعلون ذلك في أسماء الأجناس والأعلام. قال عديّ: [الخفيف]

لا أرى الموتَ يسبِقُ الموتَ شيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغني والفقيرا[1]

فيقول: سَعَيْنا إليهم مِشْيَةَ الأسد ابتكر وهو جائع، وكَنَى عن الجوع بالغضب لأنّه يصحبه. وهذا التشبيه أخرج ما لا قوّةَ له في التصوُّر إلى ما له قوّة فيه، ومن روَى «عَدَا» على أن يكون من العدوان فليست روايته بحسنةٍ، لأنّ الليث في أكثر أحوالهِ ظالمٌ عادٍ. والمِشْيَةُ: اسم الحالة التي يكون عليها الماشي في مَشْيِهِ، والمَشْيَةُ

(١) لعدي بن زيد في ديوانه ٦٥، وخزانة الأدب ١: ٣٧٨، ولسوادة بن عدي في الكتاب ١: ٦٢.

المَرّة الواحدة، والفعل يتعدّى إلى كلٍّ واحد منهما. والليث من أسماء الأسد، ويقال: استَلْيَثَ الرجل، إذ اشتدّ وقَوِيَ.

٦ ـ بِضَرْبٍ فيه تَوْهِينٌ وتَخْضِيعٌ وإقْرَانُ[1]

تَعَلّقَ الباء منه بمشَيْنَا، أي مَشَيْنَا بضَرْبٍ في ذلك الضرب تضعيف للمضروب به، وتذليلٌ ولينٌ. ويجوز أن يكون المعنى فيه تَوْهين وصوتٌ في القَطع وكسرُ العِظام وإطاقَةٌ وقوّةٌ. ويكون حينئذٍ «تَخْضِيعٌ» من الخَضْعَةِ والخَضِيعَةِ وهما اختلاط الصَّوت في الحرب. ومنه خَضِيعَةُ بَطْنِ الفَرَس، قال الأصمَعِيُ: يقال: «للسِّيَاطِ خَضْعَةٌ» لا أَدرِي أَمِنَ الصَّوْتِ هو أو من القَطْع. وقد روى بَعْضُهم: [الرجز]

والضَّارِبين الهامَ تحت الخَيْضَعَة[2]

وقال: هي السيوف. و«إقْرَانٌ» من قولهم: أَقْرَنَ فُلَانٌ، أي أطاق. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزّخرُف: الآية ١٣]. وفي الأوّل إقْرَانٌ من قولهم: أَقْرَنَ الدُّمَّلُ، إذا نَضِجَ ولان. ويقال: استَقْرَنَ الجِبْنُ أيضًا. و«تَخْضِيعٌ» من الخضوع يكونُ، وهو الذُّل. ويقال: خَضَعَ الرجل وأَخْضع، إذا لَيَّنَ كلامَه للنِّساء. وفي الحديث: «نَهَى أن يَخْضَعَ الرجل لغير امرأتِه»، أي يُلَيِّنَ كلامَه.

٧ ـ وَطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقِّ غَذَا والزِّقُّ مَلآنُ

كرّر ذِكْر «الزّق» كما كرّر ذكر الليث فيما قبله؛ وهذا الوصف أبلغُ من قول النابغة: [الطويل]

وطَعْنٍ كإيزَاغ المخَاضِ الضَوارِبِ[3]

(١) عند التبريزي: «ويُروى:
بضربٍ فيه تفجيعٌ وتأييمٌ وإرنانُ
والتأييم: قتل الأزواج، والإرنان: من الرنين، وهو رفع الصوت بالبكاء».

(٢) الخيضعة: صوت القتال، والبيت للبيد في لسان العرب (خضع):
المطعمون الجفنةَ المدعدعةْ الضاربون السهامَ تحت الخيضعَة
وفي ديوانه ٧ ـ ٨، والعمدة ١ :٢٧، والخزانة ٤ : ١١٧.

(٣) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤٦، واللسان (سكن) وأساس البلاغة (سكن)، ويُروَى «كإيزاغ» بالعين المعجمة. وصدره:
«بضربٍ يزيل الهام عن سكناته»

وهذا التشبيهُ أبرَزَ ما يقلّ في الاعتياد في صورة ما يَكثُر فيه، ومثلُه: [الخفيف]

فَجَبَهْنَاهُم بِضَرْبٍ كما يَخْـ رُجُ من خُرْبَةِ المَزَادِ الماءُ[١]

أي وبطَعْنٍ في اتّساعه وخروج الدم منه كفم الزِّق إذا سال بما فيه وهو مملوء. وغَذَا يَغْذُو غُذُوًّا، إذا سال. وغَذَاهُ يَغْذُوه غَذْوًا، والاسم الغِذاء. فأمّا قول الهُذَليّ[٢]: [البسيط]

فالطّعْنُ شَغْشَغَةٌ والضَرْبُ هَيْقَعَةٌ

فهو حكايةُ صوت الوَقْعِ، وقوله: «غَذَا» في موضع النصب على الحال، والأجودُ أن يُجْعَلَ «قَدْ» مُضْمَرَةً.

٨ ـ وبَعضُ الحِلْمِ عند الجَهْـ لِ لِلذِّلَّةِ إذْعَانُ

يَعْتذر من تركهم التَحلُّمَ مع الأوِدَّاءِ والأقارب، لَمَّا كان مُفْضِيًا إلى اكتساء ذُلٍّ، واكتساب خُضُوعٍ وعَارٍ. والتقديرُ: بعض الحِلم إذْعان للذِّلَّةِ عند جَهْلِ الجاهل. وهذا إذا تُوُهِّمَ أن المُحْتَمِلَ إنما فَعَلَ ما فَعَلَهُ خَوْفًا وعَجْزًا؛ لا مَيْلًا منه إلى التجاوز والإغضاءِ واستبقاءِ الأُخُوَّةِ والوِدادِ. ويقال: أذْعَنَ لِكذا: إذا انقاد له، ومنه ناقَةٌ مِذعانٌ، وأذْعَنَ بكذا: أقرَّ به.

٩ ـ وفي الشّرّ نجاةٌ حِيـ نَ لا يُنجِيكَ إحْسَانُ

قوله «في الشرّ نجاة» أراد: وفي دفع الشرّ، فحذَف المضاف وأقام المضافَ إليه مُقامَهُ. ويجوز أن يريدَ: وفي عمل الشر نجاةٌ، كأنه يريدُ وفي الإساءة مَخْلَصٌ إذا لم يُخَلِّصْكَ الإحسان. وهذا مِثْلُ قولِهم: «الطَّعْنُ يَظْأَرُ» أي يَعْطِفُ، وكما قال زُهَيْر: [الطويل]

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فإنَّهُ مُطيعُ العَوالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ[٣]

وهذا الكلام يجري منه مجرى الاعتذار مما أَجرَى إليه مع القَوْم، فاعْلَمْهُ ويقولون أيضًا: «من لم تُقَوِّمه الكرَامة قَوَّمته الإهانة».

---

(١) للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته.

(٢) لعبد مناف بن ربع الهذليّ في شرح أشعار الهذليين ٦٧٤، واللسان (عضد، هقع، شغغ، عول). وعجزه:

«ضربُ المُعَوِّلِ تحت الديمةِ العضدا»

(٣) لزهير في ديوانه ٣١، واللسان (زجج)، وتاج العروس (زجج). وصدره:

٣ ـ وقال أبو الغُول الطُّهَويّ[١]:

الغول مأخوذٌ من غَالهُ يَغُولُهُ غَوْلًا، إذا أهْلَكهُ. وهم يُسَمُّون كلَّ داهية غولًا، وبذلك سَمَّوا الشيطانَ والحَيَّة غُولًا. والغِيلَان عِندهم سَحَرة الجنّ. قال: [البسيط]

كَمَا تَلَوَّنُ في أثوابِها الغُولُ[٢]

[الوافر]

١ ـ فَدَتْ نَفسِي وما مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صدَّقُوا فيهم ظُنُونِي

لَفظُه لفظ الخبر، والمَعْنى معنى الدعاء. يقول: تفدي نفسي مالي أجْمَعُ فوارس يكونون عند الظَّنّ بهم في الحَرْبِ، وقد رُوِيَ آخر البيت على وجوهٍ تتقارب معانيها. رُوِيَ: «فوارسَ صُدِّقَتْ فيهم ظُنُونِي». ويكون ظنوني في موضع رفع بصُدِّقت، ويُروى: «صَدَّقَتْ فيهم ظُنوني»[٣] بفتح الصاد وتضعيف عين الفعل يَدُلّ على التكثير، وظنوني يرتفع بالفعل، وتخصيص اليمين في قوله: «وما ملكت يميني» لِفَضْلِها وقوة التصرّف بها. وهم يقيمون البعضَ مقام الجملة فينسُبون إليه الأحداثَ والأخبارَ كثيرًا، على ذلك قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٤]. وقَوْلُهُم: عُذْتُ بِحَقْوِ فلان، وهو عَبْدَ المَقَذِّ، وحُرُّ الوجهِ، ولئيمُ القَفَا وما أشبهه. وفي القرآن: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النّساء: الآية ٣]. وفوارِس شاذٌّ فِي الجُمُوع عند سيبويه، لأنّ فواعل إنما تكونُ جمع فاعلة في صفات ما يَعْقِل دُون فاعل، واستُدْرِكَ على سِيبَوَيْه هَالِكٌ فِي الهوالِك.

وبيتُ الفرزدق: [الكامل]

وإذَا الرِّجالُ رأَوْا يزيدَ رأيتَهُم خُضعَ الرِقابِ نَوَاكِسَ الأبصَارِ[٤]

---

(١) قال التبريزي: «هو شاعر إسلامي»، وكان في الدولة المروانية. انظر الخزانة ٣:١٠٩، واللآلىء ٥٧٩.

(٢) البيت لكعب بن زهير في ديوانه ص ٨، والمخصص ١٧: ٥، والمذكر والمؤنث للأنباري ص ٤١١، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١:٢٨. وصدره:

«فما تدوم على وصلٍ تكون به»

(٣) هذه رواية التبريزي.

(٤) البيت في ديوانه ١:٣٠٤، وجمهرة اللغة ص ٦٠٧، وخزانة الأدب ١:٢٠٦، وشرح أبيات سيبويه ٢:٣٦٧، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١: ٢٩.

وبيتُ عُتَيبة بن الحارثِ: [الوافر]

ومِـثْـلي فـي غَـوَائِبِـكُـم قَـلِيـلُ[(١)]

وقال أبو العباس المُبَرِّد: هو الأَصْلُ في جميعه، ويجوز في الشِّعر.

٢ ـ فَـوَارِسُ لا يَـمَـلُّونَ الـمَـنَـايَـا إِذا دَارَتْ رَحَـى الْحَـرب الـزَّبُـونِ

مَلِلتُ الشيءَ أَمَلُّه مَلَالًا وَمَلَالَةً ومَلَلًا، إذا سَئِمْتُهُ. ويقال: فُلَانٌ ذو مَلةٍ طَرِفٌ، إذا ضَجِرَ بشيءٍ فتطرَّفَهُ. قال[(٢)]: [السريع]

إنَّــــك واللهِ لـــــذو مَـــــلَّةٍ

ويجوز الرفْعُ في فوارِس على أن يَكُونَ خبر ابتداءٍ مُضْمَرٍ، كأنه قال: هم فوارِسُ. ويجوز النصب فيه على أن يَكُونَ بَدَلًا من فوارِسَ الأُولى، ولا يمَلُّون في موضعِ الصفة للفوارس. والمعنى: فَدَتْ نفسي فوارسَ لا يَضجرون بمكايدة الحرب ومقَاسَاة الشدائد فيها، ولا يكرهون المقاتلةَ إذا دارت رحَى الحرب بأهلِها. والزَّبُون: الدَّفُوع، ومنه الزَّبانِيَةُ. وإنما شَبَّهَ الحربَ بالناقةِ الزَّبُونِ فوصف بصفتها، وهي التي تَزْبِنُ حالبَها وتدفعُه برجْلها. قال:

تَـزْبِـنُ بـالأخـفـاف والـمَـنَـاسِـمِ عَـنْ ذِرْوَةٍ تَـخْـضِـبُ كَـفَّ الـهَـاشِـمِ

ويقولون: ثَبَتَ فُلانٌ في مَرْحَى الحَرْب، أي حيثُ دارت رحاها، ومَنِيَّةٌ ومَنَايَا، كصحيفة وصَحَائفَ، والأصل منائِيُ فاستُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ في الياء فحذقت ثم فروا من الكسرة وبعدها ياءٌ إلى الفتحة فانقلبت اليَاءُ أَلِفًا فصار مَنَاءَا، فأَبدَلوا من الهمزة لتوسُّطِها أَلِفَيْنِ يَاءً فصار مَنَايَا.

٣ ـ ولا يَـجْـزُونَ مِـن حَـسَـنٍ بِـسَـيْءٍ ولا يَـجْـزُونَ مِـن غِـلَـظٍ بِـلِـيـنِ

هذا الكلام من صفة الفوارِس، يريدُ أَنَّهم يعرفون مَجَارِيَ الأمور ومقاديرَ الأحوالِ فيُوَازِنُونَ الخَشِنَ بالخَشِن واللِّينَ باللِّينِ، كما قال الآخر: [الرجز]

تُـجَـازِيَ الـوَافِـي بـكَـيْـلٍ وافِ مَـلْآنَ والـطِّـفَـافُ بـالـطِّـفَـافِ

(١) البيت لعتيبة في أمالي ابن الشجري ١٤١، وشرح التبريزي ١:٣٠، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ٢:١٥٣. وصدره:

«أحـامـي عـن ذمـار بـنـي أبـيـكـم»

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة في اللسان (طرف)، وإصلاح المنطق ٢٢٢. وعجزه:

«يـطـرفـك الأدنـى عـن الأبـعـد»

وقولُهُ «بِسَيْءٍ» أراد بسَيِّئٍ فخفّف، كما قالوا في هَيِّنٍ هَيْنٌ، وفي لَيِّنٍ لَيْنٌ. وروى بعضُهم: بسِيٍّ». والمعنى أنهم يزيدون في الجزاءِ على قَدْرِ الابتداءِ. وليس ذلك بشَيء لأنّ سَيِّىء في مقابَلَةِ حَسَنٍ، كَمَا أنّ اللّينَ في مقابَلَةِ الغِلَظ، وفي العُدُول عنه إلى سِيٍّ إخلالٌ بالتقابُلِ، والبيت إنّما حَسُنَ به.

٤ ـ ولا تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وإنْ هُمْ صَلُوا بالحَرْب حِينًا بَعْد حِينِ

يقال: بَلِيَ الثَّوبُ يَبْلَى بِلًى وَبَلَاء، ويستعار فيقال: لبِسْتَ فُلَانًا وبَلَّيْته، إذا استمتَعْتَ به وتَمَلَّيْتَهُ. وإنّما يصفهم بالاستمرار على حالةٍ واحدةٍ في مُزَاوَلَةِ الحَرْبِ، وأنّ شجاعَتَهُم لا تَنْقُص ولا تَبْلَى عند امتدادِ الشَّرّ، واتّصال البَلاءِ. والبَسَالَةُ تُوصَفُ بها الأُسْدُ والرّجال، يقال أَسَدٌ باسِلٌ وبَسُولٌ. كما يقال رجل باسل وبسول. قال امْرُؤُ القَيْسِ: [السريع]

ما غَرَّكُمْ بالأَسَدِ البَاسِلِ[1]

و«صَلُوا» هو من صَلِيتُ بكذا أي مُنِيتُ به، وهو من الفِعْل فَعِلُوا بكسر العين، ولهذا انضمَّ اللام من صَلُوا، ولو كان فَعَلُوا بفتح العين لقيل صَلَوْا، كما قيل دَعَوْا ورَمَوْا. فإن قيل: فأين جوابُ الشرط في قوله «وإن هُمْ صَلُوا بالحرب»؟ قيل: هو متقدّم، والتقدير إن صَلُوا ومُنُوا بالحرب لم تَخْلُقْ شجاعَتُهم. وفَصَل بين الفِعْلِ وإنْ بـ«هُم»، لأنه ماض لم يَظْهَر فيه أثرُ إنْ بالجزم. ولو كان الفِعْلُ مُسْتَقْبَلًا لَظَهر الجزمُ فيه، ولَمَا حَسُنَ الفصلُ بينه وبين إنْ بالاسم. يقْبُح أن يقال إنْ زَيْدٌ يأتِنِي أكْرِمْهُ، وتقولُ إن اللهُ أقْدَرَنِي على زَيْدٍ فَعَلْتُ به كذا. وهذا شيءٌ يجوز في إنْ دون سائر حروف الجزاء، لأنه الأصْلُ في الجزاءِ والحَرْفُ الذي لا يَزولُ عنه. وروى بعضُهم: «ولا تُبْلَى بَسَالَتُهم» من بَلَوْتُه إذا اختبرتَهُ، ويكون المعنى لا يمكن اختبار شجاعَتِهِم فَيُعْرف غَوْرُها ومُنْتَهاها على مَرّ الأزمان، واختلاف الأحوال.

٥ ـ هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقْبَى بضَرْبٍ يُؤَلِّفُ بينَ أشْتَاتِ المَنُونِ[2]

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١٤٨. وصدره:

«قولا لبرصانِ عبيدِ العصا»

(٢) الوَقْبى: ضبطه ياقوت بفتح القاف وكذلك التبريزي (١: ٣١)، وقال: «الوقبى: موضع، وهو مأخوذ من الوقب، وهو مثل النقرة في الصخرة، يقال: وقب الشيء، إذا دخل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝﴾ [الفَلَق: الآية ٣] قيل: أراد الليل إذا دخل». وقد جاء خبر الوقبى عند التبريزي ١: ٣٣.

قوله «بضرب يؤلّف» وقد وقع المنع والضرب جميعًا حكايةُ حال، لولا ذلك لقال: بضربٍ ألّف. ومثله في القرآن: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: الآية ١٨]. يقول: هؤلاء القوم الذين أشرتُ إليهم بقولي: فوارس صدَّقوا فيهم ظُنوني، هم الذين منعوا حمى هذا المكان بضَرْبٍ يجمع بين المنايا المتفرِّقة. وهذا تقييدٌ بعد إطلاق، وتخصيصٌ بعد تعميم: والحِمَى: موضع الماء والكلإِ. ويقال: أحْمَيْتُ المكان، أي جعلتهُ حِمًى. وَحَمَيْتُهُ: ذَبَبْتُ عنه. وقوله «يؤلف» من صفة الضَّرب، ويحتمل وجوهًا: يجوز أن يكون المعنى إنّ هؤلاء لو بقُوا في أماكنهم ولم يجتمعوا في هذه المعركة لوَقَعَت مَوتاتُهم متفرِّقة في أمكنةٍ متغايرة، وأزمنةٍ متفاوتةٍ، فلما اجتمعوا تحت الضرب الذي وصفه صار الضربُ جامعًا لتلك المنايا ووجوهِها. وحُكِيَ عن أبي سعيد الضرير أن المَعنَى إذا وَقع بهم أَلَّف بين أقدارهم التي قُدِّرت عليهم. ويجوز أن يكون المعنى أنّ أسباب الموت مختلفةٌ، وكأنّ هذا الضَّربَ جمع بين الأسباب كُلِّها. ويجوز أن يكون المراد ضَرْبًا لا يُنفِّسُ المضروبَ ولا يمهِلُهُ، لأنه جمع فِرَق الموت له. وقوله «أشتاتَ المَنُون» واحدها شَتٌّ. والمَنُون: الموت، وهو من مَنَنْتُ أي قطعت.

٦ ـ فَنَكَّبَ عنهمُ دَرْءَ الأعادِي وداوَوْا بالجُنُونِ مِنَ الجُنُونِ

نَكَّبَ قد جاء متعدّيًا إلى مفعولين، قال أَوْسٌ: [البسيط]

نَكَّبْتُها ماءَهُمْ لمّا رأيتُهُمُ صُهْبَ السبَالِ بأيديهم بيازيرُ[1]

والأكثر نَكَّبْتُ عن كذا. يقول: حَرَّفَ عن هؤلاء القومِ هذا الضربُ اعوجاجَ الأعداء وخِلافَهم، وداوَوْا الشر بالشر. وهذا كما يقال: «الحديد بالحديد يُفلَحُ». وكما قيل: «لا يَفلُّ الحديدَ إلَّا الحديد». وأصلُ النَّكب: المَيْلُ، ولذلك يقال نَكَبْتُ الإناء، إذا أَمَلْتَهُ. ونُكِبَ الرجل نَكبَةً. وعلى هذا النَّكْباءُ في صفة الريح: والدَّرْءُ، أصله الدَّفع، ثم استُعْمِل في الخلاف، لأن المختلِفَين يتدافعان. ومثله: [الطويل]

وقَوَّمتُ عنه دَرْأَه فتَنَكَّبا[2]

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٤٤، ومقاييس اللغة ١: ٢٤٦، والتبريزي ١: ٣٢.

(٢) لابن مفرغ الحميري في البيان ٢: ٢٨١. وصدره:

«فيا ربّ خصمٍ قد كفيت دفاعه»

٧ ـ ولا يَـرْعَـوْنَ أَكْـنـافَ ٱلْهُـوَيْـنَـى إذا حَـلُّوا ولا أَرْضَ ٱلْهُـدُونِ

يُروى: «ولا رَوْضَ الْهُدُونِ»، وهو أفصح. والْهُدُون: الصُّلح والسُّكون. وفي الحديث: «هُدْنَةٌ على دَخَنٍ»، أي صُلْحٌ على فَسَادٍ دَخِيلةٍ. يصفهم بالميل إلى الشر، والحرصِ على القتال والقتل، وأنهم يؤثرون جانبَ الخصومة على الصلح، وناحيةَ الذُّعر على السكون، فيقول: لا يَرعى هؤلاء القومُ جوانبَ الخصال السَّهلة والأمور الهيِّنة، ولا ينزلون منازل الأمْنِ والراحة. والْهُوينَى: تصغير الْهُونى، والْهُونى: تأنيث الأهْوَن. ويجوز أن يكون الْهُونى فُعْلَى اسمًا مبنيًّا من الهِينَةِ، وهي السكون. ولا تجعلْه تأنيث الأهون.

٤ ـ وقال جعفر بن عُلْبَة الحارثي: [الطويل]

١ ـ أَلَهْفَى بِقُرَى سَحْبَلٍ حين أَحْلَبَت علينا الولايا والعدوُّ المُبَاسِلُ

التلهُّف يكون على الفائت بعد الإشراف عليه، يقولون: وا لَهْفاه، ووالَهْفَ أُمَّاه. ولَهَّفَ نفسه وأمَّه إذا قال ذلك. وفي المثل: «إلى أُمِّهِ يَلْهَفُ اللَّهفان»[1]. وقوله «أَلَهْفَى» يجوز أن يكون مُنادَى مفرَدًا، ويجوز أن يكون مضافًا، فإذا جَعَلْتَه مضافًا فإنَّ أصلَهُ أَلَهْفِي أو أَلَهْفِ، فإذا كان أَلَهْفِي فكأنه فَرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفًا. وعلى ذلك: يا غُلامًا أَقْبِلْ. وقوله: [الطويل]

وهـل جَـزَعٌ أنْ قـلـتُ وا بـأبـاهُـمـا

وإنَّما المعنى بأَبِي هُمَا. وعلى ذلك طريقتهم في مَدَارِي ومَدَارَى، وعَذاري وعَذارَى، وصَحاري وصَحارَى، وفي بَقِيَ بَقَى، وفي رَضِيَ رَضَى. وإذا كان أَلَهْفِ يكون الألف قد زيدت لامتداد الصوت به ليكون أدلّ على التحسُّر. وكذا إن جعلتَه ألهفُ مفرَدًا يكون الألِفُ زيدت لذلك. ومعنى «أَحْلَبَتْ»: أعانت. وأصله الإعانة في الحَلَبِ خاصّة، ثم استمرت في الإعانات كلِّها. وقد يكون الشيء مختصًّا في الأصل ثم يصير بالعُرف عامًّا، كما قد يكون عامًّا في الأصل ثم يصير به مختصًّا. ورُوِيَ: «الوَلَايا» وهي جَمْعُ الوَلِيَّةِ، وهي البَرْذَعَةُ، وهي تكون كنايةً عن النساء إن شئت، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت. ويشبه هذا قول أم تأبّط شَرًّا تؤبّنه: «وا ابناه ليس بعُلْفُوف، حُشِيَ من صوف، تَلُفُّه هُوف»[2]. وقولهم: «هو كالحِلْس

(١) في اللسان (لهف): «يقال لمن اضطر فاستغاث بأهل ثقته».
(٢) العلفوف: الجافي الكثير اللحم والشعر، والهوف: الريح الحارة.

المُلْقَى». ويُروى: «المَوالِي» ومعنى البيت أنه يتلهف لِمَا نزل بهم في الموضع الذي ذكره حين أعان الأعداءَ عليهم كَوْنُ الحُرَمِ مَعَهُم أو مَن يجري مَجْرَى الحُرَم من الضعفاء الذين لا دِفاعَ بهم؛ لِمَا وجَبَ عليهم من الذبِّ عنهم، والاشتغال بالحماية عليهم. ومن رَوى المَوالي ـ وهم أبناءُ العمّ ـ فإنما خَصَّهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشدّ تأثيرًا في النفس. ألا تَرَى أنَّ من كان بنو عمه عليه فهو كمن قُوتِل بسلاحِهِ، ألا ترى إلى قول الآخَر حيث يقولُ: [الطويل]

مَخَافَةَ جَوْرٍ من أميرٍ مُسَلَّطٍ ... ورَهْطِي وما عاداكَ مثلُ الأقاربِ

والعدوّ إشارة إلى الجنس، والمُباسِل، من البَسالة. وأجراه على لفظ العدوّ لا على معناه. وفي القرآن: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٧٧].

٣ ـ فقالوا لنا ثِنْتَانِ لا بُدَّ منهما ... صُدورُ رِماحٍ أُشْرِعَتْ أوْ سَلاسِلُ

التاء في «ثنتان» كالتاء في بنتان، إلا أنه لم يُستعمل واحدةُ كما استعمِل بنت. وكذلك التاء في اثنتان كالتاء في ابنتان إلّا أنهم لم يقولوا اثْنَةٌ كما قالوا ابْنَة. والشاعر حَكَى ما دار بينهم عند الالتقاء فيقول: أدارَنا أعداؤُنا على خَصْلَتَيْن حكموا علينا بهما، وخَيَّرُونا فيهما، وهو الاستسلام الذي آخره الأسْرُ، أو القتل الذي أوّلُهُ الامتناعُ والدَّفع. وقوله «ثنتان» أراد خصلتان اثنتان، ثم فسَّرهما بقوله «صُدورُ رماح أشرِعت» وخصّ الصدورَ لأن المقاتلةَ بها تقع، ويجوز أن يكون ذَكَر الصدور وإن كان المرادُ الكُلّ كما قال: [الكامل]

الواطئين على صدور نِعَالِهِم

وإن كان الوطءُ للصدور والأعجاز، وكنى عن الأسر بالسَّلاسل. وقوله «لا بدّ منهما» أراد لا بدّ منهما على طريق التعاقب لا على طريق الجمع بينهما، وإلّا سقط التخيير الذي أفاده «أو» من قوله «أو سلاسل». ألا ترى أنّه إذا قال: خُذ الدينار أو الثَّوبَ، وكُلِ السمك أو اشرب اللبن، فليس فيه الجمع بينهما. وإذا كان الأمر على هذا فالمعنى لا بدّ من إحداهما. و«أُشرعت»: هُيِّئَتْ للطَّعن. وكذلك شُرِعت. ويُستعمل في السَّيف أيضًا وكان الأصلُ فيه مشارعُ المياه. وفي المَثل: «أَهْوَنُ الوِرْدِ التشريع»[1]، أي إيراد الشريعة.

(١) التبريزي ٤١، ٢١٩.

٣ ـ فقُلنا لهمْ تِلكمْ إذًا بَعْدَ كَرَّةٍ تُغادِرُ صَرْعَى نوؤُها متَخاذِلُ

يقول: أجبناهم وقلنا تلكم، أي تلك التخييرة وذلك التحكّم، ولا يجوز أن تكون الإشارة بتلكم إلى واحدة من هاتين الخَصْلتين اللتين تقدَّم ذكرُهما، لأنّه لا اختيار فيهما لمختارٍ حكمه حكم هؤلاء، إلا أن يكون الكلام على طريق التهكُّم والسخرية. والمعنى إنّما يكون ذلك بعد عَطْفَةٍ وجَوْلةٍ تَترك بيننا قومًا مصروعين يخذُلُهم النُّهوض ولا يطيقون الحَرَاك. وإذًا، هو جوابٌ وجَزَاءٌ، وهو مُلْغًى هَاهُنَا. وكُمْ من (تِلْكُمْ) للخطاب لا للضمير، فلا موضع له من الإعراب. واختار أن يقول «متخاذِلُ» لأن هذا البناء يختصُّ بما يَحْدُثُ شيئًا بعد شيء. على ذلك قولُهم تداعى البناء كأنّ أجزاء النهوض يخذُل بعضُها بعضًا فلا يكمُل، وكأنه أنكَرَ عليهم الاشتراط والتحكم والإلجاءَ منهم إلى ذلك، فقال: يَسُوغُ ما ابتدأتم فيه لكُمْ بعدَ جولةٍ يتعقّبها هذا الأمر. ويجوز أن يكون الحُكم والتخيير بقوله «ثنتان لا بدّ منها» وقع بين الحرب والاستِئسار، لا القتل والاستئصال، فاختاروا المحاربةَ. والإشارة بقوله تلكم حينئذٍ يجوز أن تكون على ما قَدَّمْتُهُ، ويجوز أن تكون إلى ما دَلَّ عليه قوله أو سَلَاسِلُ، من الأَسْرِ فكأنه قال: الخَصلة الثانيةُ نؤخّرها وننظر في الأولى ماذا يَنْتَتِجُ منها. وقوله «تُغادِرُ» صفةٌ للكَرّة، وقوله «نوؤُها» الضمير يعود إلى صَرْعَى، والجمع مآله إلى التأنيث، ولو قال: نوؤُهمْ لكان أحسن. والنوْء: النُهوض، وهو أصل المناوأة، وإن اشتهرت في المعاداة. ويكون النَّوْء: السقوطَ أيضًا: ويُشبِه هذا قول الآخر: [الوافر]

ينوءُ بصدره والرّمحُ فيه

٤ ـ ولم ندر إنْ جِضْنَا من الموت جَيْضَةً كَمِ العُمْرُ باقٍ والمدى مُتَطاوِلُ

جاضَ عن قِرْنِه وحاصَ بمعنًى، أي عَدَلَ وانحرَفَ. والعُمْر والعَمْر لغتانِ: الحياةُ والبقاء. ومنه قولُهم: لعَمْر الله، وعَمْرَك اللهَ. إلا أنه في اليمين لا يستعمل إلا بفتح العين. وقوله «كم العُمْر» في موضع الظرف، والمعنى: كم يومًا أو وقتًا العمر باقٍ، وارتفع العمر بالابتداء. والواوُ في قوله «والمدى متطاوِل» واو الحال، أي كم العمر باقٍ ومداه متطاول. ولم يأت بالضمير لأنَّ الواو أغنَى عنه، والمعنى: لم نَعْلَمْ إن عَدَلْنَا عن الحرب عَدْلَةً كم بَقِيَ من أعمارنا، وغايات العمر ممتدّة مبهمة حتّى لا ينتهي أحدٌ منها إلى حدّ إلّا وكما يرجو أن يتّصل بعده أيضًا لا يَأمن أن ينقطع، فكأَنه قال: إذا كان الحال في الأعمارِ على هذا أبدًا فلا مَعنَى للعُدُول عن الحَرْب، إذْ لا

يمتَنِعُ مع تطاول المدَى في رجاء العُمْر أن يَقْصُرَ في نفسه وينقطِعَ عن المأمول فيه. ويَجوز أن يَتعلق الحال الذي دَلَّ عليه «والمَدَى متطاوِلُ» بإن جِئنَا. والتقدير: لم نَدْرِ إن جِئنَا ومَدَانَا متطاوِلٌ كَمِ العمْر باقٍ أي مَدَى رجائِنا، وهذا حَسَنٌ عندي. ويجوز أن يكون الواو عاطفةً كأنه قال: لم نَعْلم كم العُمْر بَاقٍ وكم المدى متطاوِلٌ إنْ جِئنَا. وحُكِيَ عن بعض المتأخرين أنه فَسَّرَ العُمْر على أنَّهُ الحِينُ، قال: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ [يُونس: الآية ١٦] وهذا إذا حُقِّق يرجع إلى الأوّل.

٥ ـ إذا ما ابْتَدَرْنَا مَأْزِقًا فَرَجَتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَتْها الصَّيَاقَلُ

يقول: إذا ما استَبَقْنَا إلى مَضِيقٍ في الحرب وسَّعَتْهُ لنا سُيُوفٌ مَصْقُولَةٌ بأيماننا والفائدة في قوله «جلتْها الصَّياقل» اهتمامُهم بإصلاح آلاتِ الحرب، لدوام مُزَاوَلتهم لها. وجَعَلَ الفِعْلَ للسُّيوف على المجاز والسَّعَة.

٦ ـ لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ وَلِي مِنْهُ ما ضُمَّتْ عَلَيْه الأَنَامِلُ

هذا مثل قوله: [المتقارب]

مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الأَكُفّ وأغْمَادُهُنَّ رؤوسُ المُلُوكِ

وإنْ كان في هذا تقسيمٌ خَلَا منه المُشَبَّهُ. وَلَكَ أن تَرْوِيَ «ما ضُمَّتْ عليه الأناملُ» و«ضَمَّتْ»، فإذا قلتَ ضُمَّت فالمعنى: قُبضتْ عليه الأناملُ. وإذا قلتَ ضَمّت فالمعنَى قبضَتْه الأنامِلُ. والبَطْحَاءُ والأَبْطَح: مَسِيلٌ فيه دُقَاقُ الحَصَى واسِعٌ. وهما صفتان أُخرِجتا إلى باب الأسماء. وبطحاءُ مَكّة وأبْطَحُها معروفان، والتأنيث والتذكير فيهما يُحْمَلان على البَلْدَة والبقْعَةِ، والبَلدِ والمكَانِ، إلّا أنّه لا يُقَالُ مكانٌ أَبطحُ ولا بُقعةٌ بطحاءُ. ويقال: تَبَطَّحَ السَّيْلُ، إذا سال عَرِيضًا. فأمّا «سَحْبَلٌ» فاسم موضعٍ أُضيفَ البطحاءُ إليه، كما يقال صَحْراءُ سَحْبَلٍ. ويقال: ضَبٌّ سَحْبَلٌ، إذا كان عريضَ البَطْنِ. ولا يَمتنع أن يكون المكانُ سُمّي به لاتّساعه.

٥ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ لا يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إلّا ابنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَراتِ الموتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

مَعنى «يرى غَمَرات الموت» أنْ يتحقّقَها بالممارسة حتّى يصير كأنّه أدرَكَها بحاسة العين وشَاهَدَها، فيقول: لا يكشف الخَصْلَةَ الشديدة إلّا رَجُلٌ كريم يرى قُحَم

الموتِ ثم يتوسّطُها ويَصْبِرُ فيها ولا يَعْدِلُ عَنها. وإنما قال «ابنُ حُرَّةٍ» لينبّه على زوال الهُجْنَةِ منه، وخُلوصِ مَوْلده مما يَشُوبهُ، وليصِير كَرَمُه مهيَّجًا. لِأَنَفَتِهِ، ومصبِّرًا له على كلِّ ما يُدْفَع إليه من الشرِّ إِلّا أنْ يُزِيلَهُ. ولأنّ ما يَسْتَنْكِفُ منه العرَبُ هو الهُجْنَةُ إِذْ كان مَن ليس أبوه من العربِ خارِجًا من أن يكون عَرَبِيًّا. والغَمَّاءُ والغَمُّ والغُمَّةُ والغَمَمُ مَرْجِعُ جميعها إلى التغْطِية. فإنْ قيل: لِم عَطَف الزِّيارةَ على رؤية الغَمَرات بحَرْفِ المُهْلَة، وهلّا جعلَها عَقِيبَ الرُّؤية؟ قلت: إنَّ «ثُمَّ» وإن كان في عطفِه المفردَ على المفرَدِ يدلُّ على التَّراخي فإنه في عَطْفِه الجملةَ على الجملةِ ليس كذاك. ألا تَرَى قولَه عـزّ وجـلّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البـلَد: الآيـات ١٢ - ١٧]. ولا يجوز تراخِي الإيمان عن شيءٍ مما عَدَّدَهُ وذكره.

٢ ـ تُقَاسِمُهُم أَسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَوَاشِيهَا وفيهِمْ صُدُورُها

وَضَع «قِسمةٍ» موضع مقاسمة، أراد شرَّ مُقاسَمَةٍ. وانتصاب «شَرَّ» على المصْدَر. والغَوَاشي: القوائم، وتكون الأغمادَ أيضًا. والصُّدور، أراد بها المضاربَ، وإنما قال: شَرَّ قِسْمَةٍ، لأنّ مَنْ حُمِلَ على مثل هذه القِسْمة فيما يُقَاسَمُ عليه كان الشَّرُّ لَهُ. وهذا أيضًا مِثْلُ قوله: [الطويل]

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ(١)

والمعنى قاسَمْناهم سيوفَنَا ففينا مقابِضُها وفيهم مضارِبُها.

٦ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ هَوَايَ مَعَ الركْبِ اليَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وجُثْمَانِي بِمكّةَ مُوثَقُ

هذه الأبيات ضمَّنها هذا الباب لِمَا اشتملتْ عليه مِن حُسْنِ صَبْرِه على البَلَاءِ، وقلّة ذُعْرِهِ من الموت والفناء، واستهانته بوعيد المتوعِّد وحِذْقه بِرَسَفَانِ(٢) المُقَيَّد. و«هَوَايَ» ياءُ الإضافةِ فُتِحتْ منه على الأصل، وذاك أنّ هذه الياء لمّا كان ضميرَ اسْمٍ على حَرْفٍ واحدٍ متطرّف كَرِهوا أن تُسَكَّنَ فتَخْتَلَّ فجعلوا من أصلِه التحريك، فإذا كان

---

(١) البيت السادس من الحماسية رقم (٤) لجعفر بن علبة الحارثي. وعجزه:

«ولي منه ما ضمّت عليه الأناملُ»

(٢) الرسفان: مشي المُقَيَّد.

ما قبلَه متحركًا كغُلامِي ودارِي كان لك فيه وجوهٌ: تحريك الياء وهو الأصل، وتسكينه تخفيفًا، وحَذْفُهُ من النّداء إذا قُلْتَ: يا غُلَامِ، وإبدالُ الألفِ منها مع انفتاح ما قَبْلَها كقولك: وا بِأباهما ويا غُلَامَا أقبِلْ. وإذا سَكَوَنَ ما قَبْلَهُ فمتى كان واوًا أو ياءً أُدْغِمَ فيه ولم يَكُنْ بُدٌّ من تحريكه لئلّا يلتقيَ ساكنان، تقول: مُسْلِمِيَّ في الجميع، ومسلمَيَّ في التثنية. وإذا كان ما قبله ألِفًا كَعَصَايَ وقَفَايَ وهَوَايَ، لم يكن بُدٌّ من الإتيان به على الأصل، وهو تحريكه، لئلا يلتقي ساكنان أيضًا، ولا يجوز الإدغام هٰهُنا كما جاز مع الواو والياء، لأنَّ الألف لا تُدْغَمُ في شيء ولا يُدغمُ فيها غيرُها، لكونها هوائيّةً لا مُعتَمَد لها في المخرَج، إلّا في لُغَة هُذَيلٍ، لأنهم يُبْدِلونَ من الألِفِ الياء ويُدْغِمُون. على هذا قوله: [الكامل]

سَبَقُوا هَوَيَّ وأعْنَقُوا لِهَوَاهُم فَتُخَرِّموا ولكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ(١)

واليَمَانُون: جمْع يَمانٍ، والنسبةُ إلى يَمَنٍ يَمَنِيٌّ، لكنه حُذِف إحدى ياءي النسب وأُتِيَ بالألف عِوَضًا مِنْهُ. ومِثْلُهُ شَآمٍ وتَهَامٍ، ومعنى: البيت هَوَايَ رَاحِلٌ ومُبْعِدٌ مع رُكْبَانِ الإبل القَاصِدِين نحو اليَمَن، مُنْضَمٌّ إليهم، مَقُودٌ معهم، وبدنِي مأسُورٌ مُقَيَّدٌ بمكة. ورَاكِبٌ ورَكْبٌ مثلُ تَاجِرٍ وتَجْرٍ. وقد قيل في الجُثمانِ إنّه الشَّخْصُ والجُسْمَانُ الجسْم، هكذا قاله الأصْمَعيُّ. والشَّخْصُ إنما يُستعملُ في بدن الإنسان إذا كان قائمًا. والخليلُ ذَكَر في العين أنَّ الجُثْمَان والجُسْمَان بمعنًى واحدٍ. وأَصْعَدَ في الأرض: أَبْعَدَ، وحُكِيَ أن صَعْدَةَ اسْمٌ عَلَمٌ للأرض، وأنَّ الصَّعيد منه. ولهذا قيل لحُمُر الوحش: بَنَاتُ صَعْدَةَ، وأولادُ صَعْدَةَ، وهذا إن ثَبَتَ فهو كما يقال بناتُ البَرِّ. وقوله «جَنِيبٌ» أي مَجْنُوبٌ مُسْتَتْبَعٌ. وذكر أنَّ بَعْضَهُم يرويه «حَثِيثٌ»، والصحيحُ الأول لفظًا ومعنًى.

٢ ـ عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ إلَيَّ وبَابُ السِّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ

يقول: تعجَّبْتُ من سير هذهِ الخيال إليَّ، ومن حُسْن توصُّلِهَا مع هذه الحال، وهو أنَّ بابَ السجن مرتَجٌ دوني. فأيمًا تعجُّبُه من سيْرها فَعَلَى عادة العرب والشُّعراء في وصف الخيال، وذاك أنَّهم يُجْرُونَها مجرَى المرأةِ نَفْسِها، فيستطرفون منها ما

---

(١) البيت لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١: ٧، وإنباه الرواة ١: ٥٢، وشرح شواهد المغني ١: ٢٦٢، وشرح قطر الندى ص ١٩١، وشرح الحماسة للتبريزي ١: ٤٤.

يُسْتَطرَفُ من تلك لو وَقَع الفعل منها على الحقيقة مع نَعْمَتِهَا. وهذا كما قال غيره: [الكامل]

طَرَقَ الخيالُ ولا كَلَيْلَةِ مُدْلجِ سَدِكًا بأَرْحُلِنَا ولم يَتَعَرَّجِ[1]

وكما قال الآخر[2]: [الطويل]

وأنّى اهْتَدَتْ والدَّوُّ بيني وبينها وما خِلْتُ سَارِي الليل بالدَّوِّ يَهْتَدِي

وأمّا تَعَجُّبه من تَوَصُّلِهَا فهو تَعَجُّبٌ من لُطْفِهَا في ذَلِكَ، وحُسْنِ تأتّيها، مع العوارض والموانع. والمَسْرَى يصلُح في اللُّغة أن يكون مصدرًا ومكانًا ووقْتًا والبيت لا يمتنع من وُجُوهِهِ. وأنّى معناه كيف، أو مِنْ أين، كذا قال سيبويه. وقد تَجَرَّدَ لأن يكون بمعنى كيف في قول الكميت: [المنسرح]

أنّى ومن أين آبَكَ الطَّرَبُ

٣ ـ أتتنا فحيّتْ ثم قامت فودّعتْ فلمّا تولّتْ كادتِ النّفسُ تزهقُ[3]

التَّحِيَّةُ: السَّلام والمُلكُ والبقاء. والمُحَيَّا: الوجْهُ من الإنسان، لأنه يُخَصُّ عند التسليم بالذِّكر فيقال حَيّا الله وَجْهَكَ، وإن كانَتْ الجملةُ متلقاةً به. وقيل: التّحية مشتقة من الحيَاةِ أَوِ الحياءِ. والمُحَاياةُ: تحيَّةُ القومِ بعضهم بعضًا. والمحيَّا من الفرس: حيث انفرَقَ اللَّحم تحت الناصِيَة. فيقول حاكِيًا لحال الخَيال: جاءتنا فسلّمت علينا، ثم لم تلبث إلّا قليلًا حتّى قامت وأعرضَتْ، فلما تَولَّتْ كادت النفس تَخْرُجُ في أثَرها. ويُروَى: «ألَمّتْ فحيّت». والإلمامُ: الزيارة الخفيفةُ. وقوله «لما تولَّتْ» جوابُهُ «كادَتِ النفسُ» وهو عَلَمٌ للظرف. ومتى كان عَلَمًا للظرف لم يكن له بُدٌّ من جَوابٍ، لأنّه يكون لوقوع الشيء لوقوع غيره. وتَزْهَقُ خبر كادَتْ، لأنّ كاد ككان وأخواته هٰهنا إذا وقع بعده الاسم، وهو موضوعٌ لمشارفةِ الفِعْل ومشافَهته، ولهذا وجبَ ألّا يكُونَ مَعَهُ «أن». تقول: كاد يَفْعَلُ، ولا يجوز أن يفعلَ إلّا في الشِّعر. ومعنى تَزْهَقُ: تَهْلِكُ، ومنه قيل للبئر البعيدة القَعْر والمَتْلَفةِ البعيدة: زاهِقَةٌ وزهوق. وفي القرآن: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: الآية ١٨]. ويجوز أن يريد به في البيت

(١) للحارث بن حلّزة في ديوانه ٤٢، واللسان (سجج) وتاج العروس (مدك، رحل)، وأمالي القالي ١: ٢٠٥، وشرح اختيارات المفضل ٣٣٧.

(٢) للحطيئة في ديوانه ٢١.

(٣) عند التبريزي (ألَمّتْ) بدل (أتتنا).

تَخرج في إِثرِهَا سريعةً لما تَولّت. ومنه زَهَقَتِ الراحِلَةُ: تَقَدَّمَتْ، وَزَهَقَ السهمُ: أسرع.

٤ ـ فَلَا تَحْسَبِي أَنّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لِشَيْءٍ ولا أَنّي من الموْتِ أَفْرَقُ

ترك الإِخْبَارَ عنها وأقبل عليها يخاطِبُها، جَرْيًا على عادتهم في التَنَقُّلِ والافتنانِ في التصرُّف. ومعنى تَخَشَّعْتُ: تكلّفتُ الخشوع، والخشوعُ في البَصرِ كالخُضُوع في البدن. ويقال: اختشع فلانٌ، إذا طأطأ رأسَهُ رَامِيًا ببصره إلى الأرض وهو خاشع الطَّرْفِ خاضِعُ العُنُقِ. يقول مُسْتَهِينًا بما اجتمع عليه من الحبس والتقييد، ومتبجّحًا عندها بالصبر على الهوى والتهالك فيه ـ وبهذا دخلت الأبياتُ في الحماسة ـ لا تظنّي أني تكلّفتُ الخشوع بعدَكم لشيءٍ عارضٍ، ولا أنّي أخاف من الموت. والفَرَقُ: الخوفُ، وهو فَرِقٌ وفَرُوقٌ وفَرُوقَة. وقال[١]: [الوافر]

أَنُوْرًا سَرْعَ ماذا يا فَرُوقُ

فإن قيل: فأين مفعول تحسبي؟ قلت: قد نابت الجملة، وهي قوله «أني تخشّعت بعدكم» عن المفعولين. ألَا ترى أنّ تقديره لا تحسبيني خاشِعًا، فكما أنّ المفعولين يحصلان من دون «أنَّ» كذلك إذا دخل «أنّ» في الكلام ينوب مع ما بَعْدَهُ عنهما، لأن اللفظ بالمفعولين قد حَصَل وإن كانا في صلة أنَّ. وأنَّ وما بعده في تقدير اسمٍ، وهذا كما تقول: لو أنك جئتني لأكرمتُك، إذْ كنتَ قد لفظتَ بالفعل في صلة أنّ، وإن كنت لا تقولُ لَوْ مجيئُك.

٥ ـ وَلَا أَنّ نَفْسِي يَزْدَهِيهَا وَعِيدُكُمْ وَلَا أَنّنِي بِالمَشْيِ فِي القَيْدِ أَخْرَقُ

الوعِيدُ والْوَعْدُ من أَصْلٍ واحدٍ، وإن كانَ أحدُهُمَا ضَمَانًا في الخَيْرِ والآخر ضمانًا في الشرّ، لكنه فُرِقَ بين المعنيَيْن بتغيير البناءين، كما فعلوا مثل ذلك في العِدْل والعَدِيل، فجعلوا أحدَهما في الأناسيّ والآخر في غيرهم. يقول: ولا تَظُنّي أن نفسي يَسْتَخِفُّها تهدُّدُكُمْ، ولا أنني ضَجِرت بالرَّسَفَان، وهو المشي في القَيد. ويقال زَهَاهُ زَهْوًا وازدهاه، إذا استخفّه. ويُستعمل الزَّهو في الباطلِ والتزيُّدِ في القول. يقال: قال زَهوًا، وفي الكِبْر يقال زُهِيَ لا غير، وهو مَزْهُوٌّ، والأصل الخِفَّةُ. والأخرَق: القليل

---

(١) لمالك بن زغبة الباهلي في اللسان (نور، سرع)، ولزغبة الباهلي في اللسان (حذق)، ولزغبة أو لجزء بن رباح الباهلي في اللسان (بوق). وعجزه:

«وحبل الوصل منتكث حذيق»

الرِّفق بالشّيء. وقال أهل اللغة: الخُرْق: ضدّ الرفق، وفلان رقيقٌ وفلان أخرق. وربّما قالوا: فلانٌ صَنَع وفلان أخرق. قال: [الرجز]

وهْيَ صَنَاعُ الرِّجْلِ خَرقاء اليَدِ

ويُرْوَى «أخرُق» بضم الراء فيكون فِعلًا، و«أخرَق» بفتح الراء فيكون صفةً.

٦ ـ ولكنْ عَرَتْنِي من هوَاكِ صَبابَةٌ كما كنت أَلْقى مِنكِ إذْ أنا مُطْلَقُ

قوله «كما كنت ألقى منك»، الأجود أن يكون «ما» موصوفة غير موصولة، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت مَعْرفة وفي تَقديرِ الذي، والقصْد إلى تشبيه صَبابةٍ مجهولةٍ بمثْلِها، والتقدير: عَرَتْ صبابَةٌ تشبه صبابةً كنت أكابدها فيكِ في ذلك الوقت. كأنه شَبَّه حالَه فيها بعد ما مُنِيَ به بحالِه من قبل. ومفعول أَلْقى محذوف تخفيفًا له، أراد كما كنتُ ألقاهُ منكِ. ويقال: عَرَاه وأعراه بمعنًى واحد، ومنه عَرَاءُ الدار وعَرْوتها بفتح العين، أي حيث تُعَرى منه أي تُؤتَى. يقول: ولكنّي تعروني في الهوَى رِقَّةُ شوْقٍ وجَهْد صبابة، كما كنتُ أقاسيه منكِ وفيكِ حين كنتُ مُطْلقًا ومُخَلًّى. والفعل من الصَّبابة صبِبْتُ بكسر الباء، والصفة صَبٌّ. وقولُه: «إذْ أنا مطلق» الجملة في موضع جرّ بالإضافة، وقد شُرِح بها «إذْ» كأنّه قال: وقت إطلاقي.

٧ ـ وقال أبو عَطَاءِ السِّنْدِي[(١)]: [الطويل]

١ ـ ذَكَرْتُكِ والخَطِّيُّ يَخْطِرُ بَيْنَنَا وقَدْ نَهِلَتْ مِنَّا المثَقَّفَةُ السُّمْرُ

يَعنِي بالخطّيْ رُمْح نفسه، أي يتَردّدُ بالطَّعْنِ. كأنّه يُصوِّر حالَهُ وما يُكابِدُه في مُجَاهدةِ أعدائِه. والخَطُّ: سيفُ البَحرين وعُمَان وإليه يُنسب القَنا. وكأنّ قولهم: الخطيطةُ، وهي أرض لم تُمْطَرْ بين أرضين ممطورتين، منه. والخَطْرُ أصله التحرُّك، يقال مَرَّ يَخْطِر خَطْرًا، وخَطَر البَعير بذنَبِه خَطْرًا وخَطَرَانًا. فنبّه بهذا الكلام على قلّةِ مبالاته بالحرب، وأنّ نفسَه تاقت والرمح يختل بالطَّعْن بينهم إليها حتّى كانت تلك هَمَّه وشُغْلَهُ، فقال: ذَكَرْتُكِ بقلبي ورماحُ الخَطِّ تضطرب في الحرب بيننا، وقد رُوِيَتْ منّا أي من دمَائِنَا. وروى بعضُهم: «وقد نُهِكَتْ منّا المثقَّفة» من نَهْك المرض، وليس

---

(١) أبو عطاء السنديّ: اسمه أفلح، مولى غبر بن سماك بن حصين، شاعر فحل قويّ البديهة، من شعراء بني أمية، شهد حرب بني أمية وبني العباس (توفي بعد سنة ١٨٠ هـ/ ٧٩٦ م)، ترجمته في: فوات الوفيات ١: ٧٣، وسمط اللآلي ٦٠٢. والأبيات الثلاثة في الزهرة ١: ٢٧٨.

بشيءٍ. ومصدر ذكرتُكِ ذُكر بضم الذال، لأنّ الذُّكر بالقَلْب والذِّكْر باللِّسان، والاسْمُ من نَهِلَتْ النَّهَلُ. والمَوْرِدُ: المَنْهَلُ، وقد عُدَّ الناهِلُ في الأضداد، لوقوعه على الرَّيَّان والعَطْشَان، وكأن حقيقة النَّهَلِ أوّل السَّقْي، والاكتفاءُ بِهِ قَدْ يقع وقد لا يَقَعُ فلذلك استُعمل النَّاهِلَ في الرِّي والعَطَش.

٢ ـ فَــوَاللهِ مــا أَدْرِي وإنِّــي لَصَــادِقٌ أَدَاءٌ عَـرَانِـي مـن حِـبَـابِـكِ أم سِـحْـرُ

أقسَمَ بالله على استواء علمِه بالحالتين اللتين ذكرهما. ويسمّى الألِف التي في قوله «أَدَاءٌ عراني» ألفَ التَّسوية، لهذا الذي ذكرناه. وكذلك لو قال: ليت شعري أزيْدٌ في الدار أم عَمْروٌ، لكان الألفُ ألفَ التسوية أيضًا، لأنّه بتمنّيه العِلم بما ذَكَرَهُ من الأمرين، دَلّ على استواءِ دِرَايته بهما: «وعَرَاني». معناه أصابني. يقال: عَرَاه يَعْرُوه، واعتراه يعتريه، وعَرَّهُ يَعُرُّهُ بمعنًى واحد. و«الحِبَابُ» بمعنى الحُبّ، كأنه مصدر حَببتُه. وقد يكون مصدر حابَبْتُه ويكون من اثنين. ويكون أيضًا جَمع الحُبّ، وكأنّه جَمَعه على اختلاف أحواله فيه، كما تُجْمَعُ الشَّمس على مواقِعَها. ويُروَى «جَنَابِكِ»[1] والمعنى من ناحيتك. وقوله «إنّي لصادِقٌ» يجوز أن يريد به صِدْقَهُ في الخَبر، ويجوز أن يُريدَ بِرَّه في الحَلفِ، ومرجع الوجهين إلى معنًى واحدٍ.

٣ ـ فإنْ كَانَ سِحْرًا فاعْذِرِيني على الْهَوَى وإنْ كَــانَ دَاءً غَــيْــرَهُ فَــلَكِ الْعُــذْرُ

السِّحر والتمويه يرجعان إلى معنًى واحد، ولذلك قال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعرَاف: الآية ١١٦]، أي أخرجوه على وَجهٍ في مَرأى العين وحقيقتُه على خِلَافه. والسَّحَّارَة: لُعْبَةٌ ذلك صِفَتُها. ويقال: عَنزٌ مسحورةٌ، إذا عَظُمَ ضَرْعُها وقَلّ لَبَنُهَا. وأرضٌ مسحورةٌ، إذا لم تُنبِتْ شيئًا: فيقول: إنْ كان ما بي سِحْرًا فلِي عُذْرٌ في هواكِ، لأنّ من يُسْحَر يُخبِبْ، وإن كان داءً غيرَ السحر فالعُذر لك، لأنّي وقعتُ فيه بتعرّضي لك، وفِكْري في مَحَاسِنِك، والدَّلالة على أن «فاعْذِرِيني» في موضِع فَلِي عُذرٌ، ما قابَلَهُ به من قولِهِ «فَلكِ العُذْرُ». وفي هذا إسقاطُ سؤال السائل: لِمَ قال اعذِريني ولا ذَنْب له وإنّما يحتاجُ إلى بَسْطِ الْعُذْرِ مَن له ذَنْب أو يتَصَوَّرُ بصورته، وانتصاب «داء» على أنْ يكون خبر كان، كأنّه قال: وإن كان ما بي داءً. ويجوز أن يكون تَوَهَّمَ أن تلك تصوَّرتْهُ بصورة المُذنَبِ فيما أظهرَه من عشقِهِ فقال لها: إن أنتِ فَتَنتِنِي وأوقعتِني في حِبَالَتِكِ لِمَا عَرَضْتِ عليّ من محاسنِكِ فلي عُذْرٌ حين افتتنت،

(١) وقال التبريزي ١: ٥١: «ويُروى (من جِنابك) أي من مجانبتك».

لأن مثْلَ محاسِنِك تُزِلُّ العفيف، وَتنقُلُ عن طَبعِهِ الحليم. وإن كنتُ المتعرِّضَ لك والجالب على نفسي ما شَقِيتُ به، فالعُذْرُ لكِ.

٨ ـ وقال آخر(١): [البسيط]

١ ـ وَفَارِسٍ فِي غُمَارِ المَوْتِ مُنْغَمِسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلى مَكْرُوهِهِ صَدَقَا

جَعَلَ للموت غِمَارًا على التَّشبيه بالماء، ثم جَعَلَهُ مُنْغَمِسًا فيها فَحَسُنَت الاستعارة جِدًّا: وتَأَلَّى وائتلَى وآلى من الأَلِيَّةِ. ولا حَلِفَ ثَمّ، إنّما يريد الحَتْم والإيجابَ، فيقول: رُبَّ فارسٍ داخلٍ في شدائد الموت إذا حَلَفَ على ما يُكْرَهُ منه أو يكون كريهًا في نفسه بَرَّ ولم يحنثْ أنا فَعَلْتُ به كذا. ويُروى «مكروهةٍ» والمعنى خَصلةٍ تُكْرَهُ وتَشُقُّ. فعلى هذا يكون صفةً مُفْردةً عن الموصوفِ. ويجوز أن يكون مصدرًا كالمصدوقة وما أشبهها من المصادر الجائية على زنَةِ المفعول. وأضاف المكروه إذا رويت «مكروهِهِ» إلى الفارس لوقوعه منه. والمنغمسُ: الداخِلُ في الشّيء، يقال غَمَسْتُه في الماء وغيرِه، ورَجُلٌ مُغامِسٌ للذي يغشى الحَربَ ويتردّد فيها. والغِمَارُ والغَمَرات جمع غَمْرَةٍ، وهي في الماء والحرب والشرّ ترجع إلى السِّتْر. ويقال: رجل مُغَامِرٌ، إذا ألقى نفسه في الغمرات والمهالك. وروى بعضهم «في غُمَار الموت» بضم الغين، وكسرُها أجود مع ذكر المنغمِس.

٢ ـ غَشَّيْتُه وهو في جَأْوَاءَ بَاسِلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فانفَلَقَا

العَضْبُ: القَطْعُ، وتوسَّعُوا فيه فقالوا: عَضَبَهُ عن حاجته، أي حَبَسَهُ، وامرأةٌ مَعْضُوبَةٌ أي معضولة، وسيْفٌ عَضْبٌ أي قاطع، كأنّه وُصِفَ بالمصدر. والتغشّي أصله الإتيان والملابسة، ومنه الغِشاوة: الغِطاء. وتوسعوا فيه حتى قيل تَغَشَّاهم بالعَدْل أو الجَوْرِ. وفي القرآن: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: الآية ١١]. فقولُه غَشَّيْتُه، هو كما يُقال قَنَّعْتُهُ، وهو جَوَاب رُبَّ فارسٍ هكذا أنا ضربْتُه وهو في جيشٍ تَامِّ السِّلاح كريه اللِّقاء، بسيفٍ قاطع أصاب وَسَطَ رأسِه فَشَقَّهُ. والسَّوَاءُ: الوسط هٰهنا، وفي التنزيل: ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: الآية ٥٥]. ويوضَعُ موضعَ المصدر ثم يوصَف به، وفي التنزيل: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فُصِّلَت: الآية ١٠]. وأصابَ،

(١) عند التبريزي: «وقال بلعاء بن قيس الكناني». وبلعاء: شاعر محسن، كان رأس بني كنانة في حروبهم. مات قبل يوم الحريرة وهو اليوم الخامس من أيام الفجار. انظر المؤتلف ١٠٦.

بمعنى طَلَب وبمعنى نَالَ، ويقالُ: أَصَبْتُ الصواب فأخْطَأتُه. والجأواء: المخضرَّة، وهو من الجُؤوَة، يعني اخضرار السلاح. والبَسالة تستعمل في الناس وغيرهم، وهي الشَّجاعة. ويقال: رَجُلٌ باسل وأَسَدٌ باسِلٌ وبَسُولٌ. قال: [السريع]

[قـولا لـدودان عـبـيـد الـعـصـا] مـا غَـرَّكُـم بـالأَسَـدِ الـبـاسِـلِ

وهذا يجوز أن يكون من البَسْلِ، وهو الحرام، كأنه لتمنُّعه محرَّم.

٣ ـ بِضَرْبَةٍ لـم تَـكُـنْ مِـنِّي مُـخَـالَسَةً ولا تَـعَـجَّـلْتُـهـا جُـبْـنًـا ولا فَـرَقـا

يُقَالُ: تَعَجَّلْتُ الشيء، أي تكلّفْتُه على عَجَلَةٍ. ويقال أيضًا: أعْجَلْتَه واستعجلتُه وتعجّلته بمعنًى. والخَلْسُ: أَخْذ الشيء مخاتَلةً، وقيل الاختلاسُ أَوْحَى من الخَلْسِ. ويقالُ: هو لَكَ خُلْسةٌ، كما يُقال نُهْزَةٌ وفُرْصَةٌ. يقولُ: غَشَّيْتُه سَيْفًا بأن ضَرَبْتُه ضربَةً هكذا. فأمّا قوله لم تكن مني مُخالسةً، فهو خلاف قول الآخَر[1]: [الهزج]

وَقَــدْ أَخْــتَــلِسُ الــضَّــرْبَــ ةَ لا يَــدْمَــى لَهَــا نَــصْــلِي

وقول الهُذَليّ[2]: [الطويل]

وَطَـعْـنَـةِ خَـلْسٍ قَـدْ طَـعَـنْـتَ مُـرِشَّـةٍ

لأنّ قصْد الشاعر هٰهنا إلى أنّه تناوَلَ من خصمه ما تناول بتثبُّتٍ وقوّة قلب لا كما يفعله الجَبَانُ. وثَمَّ يذكر تَمَكُّنَه من خَصْمه على شدّة احترازٍ منه حتى تناول ما تناوَلَه خَلْسًا. وقد وُصِفَ الشجاعُ بالمخَالِس والخَلِيسِ، وكذلك المُصارِعُ. ومن مَدَح خَصْمَه ثم ذكر غلبتَهُ له كانَ أبلغَ في الافتخار به، فاعرِفْ فرقَ ما بين المَوضعين. وقوله: «ولا تعجلتُهَا جُبنًا ولا فَرَقا» يُؤَكِّدُ ما ذكرناه. وانتصاب «جُبْنًا» على أنّه مفعول له، وهو الذي يُسَمَّى مصدرًا لعلّةٍ. والمعنى: ولم أتَكَلّف عَجَلَتَها لضَعْفِ قلبي ولا لخوفي من صاحبي، وضَرْبَةُ الجبان أعجَلُ وأسرع.

---

(١) لامرىء القيس بن عابس الكندي في اللسان (عرقب، دفنس، فقا)، وللفند الزماني في تاج العروس (دفنس)، وبلا نسبة في أساس البلاغة (فلي).

(٢) لربيعة بن جحدر الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٦٤٦، واللسان (مجج)، وتاج العروس (مجج). وعجزه:

«يمجُّ بها عرق من الجوف قالسُ»

٩ ـ وقال رَبِيعة بن مَقْرُوم الضَّبِّيّ[١]: [الكامل]

١ ـ ولَقَدْ شَهِدْتُ الخَيلَ يَومَ طِرَادِهَا بِسَلِيمِ أَوْظِفَةِ القوائمِ هَيكَلِ

اطِّراد الماء والسَّراب والكلام: اتِّساقُها على حدّ الاستقامة والمرادِ. ويقال: جَدْوَلٌ مطَّردٌ، وبَلدٌ طَرَّادٌ، أي واسِعٌ يطّرد فيه السَّراب. وأراد بالخيل الفُرسانَ لا الأفراسَ، ألَا تَرى أنّه قال «يوم طِرَادِها». والطِّرادُ من الفُرْسَانِ: حَمْلُ بعضهم على بَعْضٍ. وعلى هذا ما رُوِيَ عن النبي ﷺ، وهو «يا خَيْلَ الله اركبي». والمعنى: حَضَرْتُهم يوم تَطارُدِهِمْ بالرِّماح وأنا على فَرسٍ ضَخم سليم الأوظفَة من العيوب. ولـ«شهدتُ» موْضعانِ: الحضورُ من قول الله تَعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: الآية ٢]. وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: الآية ٥١]، وحينئذٍ يتعدى إلى مفعول واحدٍ. والعِلمُ والتبيين، على ذلك قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨]، وحينئذٍ يَتعدّى إلى مفعولين. وقد يُقْسَمُ به كما يُقْسَمُ بالعِلْمِ، فيقال يشهدُ الله كما يقال يَعلَمُ الله. فأمَّا شهادَةُ الشاهِدِ فلا بدَّ من القول فيها. والهَيْكَلُ أصله في البناء العظيم، ثم وُصِفَ به الفَرَس.

٢ ـ فَدَعَوا: نَزَالِ، فكنتُ أوّلَ نازِلٍ وعَلامَ أرْكَبُهُ إذا لم أنْزِلِ

قوله: «دَعَوا نَزَالِ» أي صاحوا: نزال نزال. ومنه قيل لتطريب النائحة في نِياحَتها: التَّدَعِّي. وهذا كما قال[٢] الأعشى: [البسيط]

قالُوا الطِّرَادَ فقلنا تلك عَادَتُنَا

وفي القرآن: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يُونس: الآية ١٠]. ويجوز أن يكونوا جعلوا نَزَالِ على التوسُّع هي المَدْعُوَّة وإن كانت دُعِيَ إليها؛ ويَشْهدُ لهذا الوجه قولُهم: [الكامل]

دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ[٣]

---

(١) ربيعة بن مقروم الضبّي: من مخضرمي الجاهلية والإسلام. وفد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتوح في الإسلام، وحضر وقعة القادسية (ت بعد ١٦ هـ/ ٦٣٧ م). ترجمته في الإصابة ٢: ٢٢٠، والشعر والشعراء ١١٥.

(٢) للأعشى في ديوانه ١١٣، وخزانة الأدب ٨: ٣٩٤، والدرر ٥: ٨٠. وعجزه:
«أو تنزلون فإنا معشرٌ نُزُلُ»

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٨٩. وصدره:
«ولنعم حشو الدرع أنت إذا»

وفي القرآن: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفُرقان: الآية ١٣] ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفُرقان: الآية ١٤]. ونزالِ: اسْمٌ لانزِلْ، مَبنيٌّ على الكسر، معرفةٌ مؤنّث معدول. والدلالة على تأنيثه قول زهير:

دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ في الذُّعرِ

والمعنى: تنادَوْا وقالوا نَزالِ فكنتُ أوّلَ النازلين. ثم قال مظهرًا لتَرك التحمُّد بذلك، وأنّه فيما فعله كمن أدّى واجبًا عليه: «وعلام أركبُه». المعنى: لأيِّ شيءٍ أركب فرسي إذا لم أنزل إذا دُعِيتُ إلى النَّزال. و«ما» من «عَلَامَ» حُذف ألِفُهُ لأنه في الاستفهام إذا اتَّصل بحرف الجر يخفَّف بالحذف، على ذلك بِمَ وَلِمَ وفِيمَ وعَمّ ومِمّ، إلا إذا اتَّصل بذا فيقال بماذا ولماذا، لأنّه يصير ماذا كالشَّيء الواحد فلا يغيِّر «ما»، وقوله: «وعلام أركبُه إذا لم أنزِل» يجري مجرى الالتفاتِ ويقاربهُ. وفائدتهُ أنّه أسقط التحمُّد بما فعله به. وفي طريقته من جهة المعنى قولُ الآخَر: [الطويل]

ولا يَحْمَدُ القومُ الكرامُ أخاهُمُ الـ ... ـعتيدَ السِّلاحِ عنهم أن يمارِسَا

ومثل الأوّل قوله: [الطويل]

عَلَامَ تقولُ الرُّمحَ يُثْقِلُ سَاعِدِي ... إِذَا أنا لم أَطْعُنْ إذا الخيلُ كَرَّتِ(١)

٣ ـ وألَدَّ ذِي حَنَقٍ عَلَيَّ كأنَّمَا ... تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ

أَخرجَ التشبيهُ ما لا يُدْرَكُ من العداوة بالحِسّ إلى ما يُدْرَكُ من غَلَيَانِ القِدْرِ، حَتَّى تَجَلّى، فصارَ كالمشاهَد. والألدُّ: الشديد الخصومة، كأنّه لدَّ بالخصومة، أي أُوجِرَ فلُدَّ به. ولذلك كان اللَّدَدُ مصدر ألَدّ. ويقال في معناه ألَنْدَدٌ. والحَنَقُ: شِدّةُ الغَيظ، يقال: أحْنَقَهُ فَحَنِق، يقول: رُبَّ خَصْم شديد الخصومة ذي غيظٍ وغضبٍ عليَّ تغلي عداوتُه لي في صدره غليانَ المِرجل بما فيه إذا كان على النار، أنا دفعتُه عن نفسي. وجواب رُبّ هو صدر البيت الثاني. والحَنَقُ يجوز أن يكون من اللُّزوق، كأنّ الحِقد لزِق بصدره، ومنه يقال أحْنَقَتُ الدابّةَ، إذا ضَمَّرتَه.

---

(١) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ٧٢، وخزانة الأدب ٢:٤٣٦، والدرر ٢: ٢٧٤.

٤ ـ أَرْجَيتُهُ عَنّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيتُه فوق النواظِر من عَلِ

ذكر بعض المتأخرين في أرجَيْتُهُ، أن الرّواية الصحيحة «أوْجَيْتُهُ» وما عداه تصحيف. قال: وهو أفعلته من الوَجَى، وإنما أوجب ذلك ليكون لِفْق قولِه بِزُعْمِهِ: «وَكَوَيْتُهُ». والمعنى: أَذْلَلْتُه وردذتُه رازِحًا كرُزوح الفَرَس الوَجِي. ثم أنشد قول طَرَفَة مُؤَنِّسًا به: [الطويل]

وقَوْم تَناهَوْا عن أذَاتِيَ بعدما أصاب الوجَى منهم مُشَاشَ السّنابِكِ

قال الشّيخ: ولقد قضيتُ العَجَبَ من هذا المُسْتَدْرِكِ، ومن ضَلَالِهِ عن طريق الرَّشادِ فيما قَصَدَهُ من المعنى، ورواه في الاستشهاد، وذلك أنّ شعر طَرَفَة إنما هو: [الطويل]

وما زَالَ شُرْبِي الرّاح حَتّى أشَرّني صَدِيقي وحتّى ساءني بعضُ ذَلِكِ
وحتّى يقولَ الأقربُونَ نَصَاحَةً دَعِ الغيَّ واصرِم حَبْلَهُ من حِبَالِكِ
وحتّى تناهَوْا عن أذاتيَ بعدما أصاب الوَجَى منهم مُشَاشَ السّنابك

فقوله: «حتى تناهَوْا» ليس مما فَسّره واستشهد له بسبِيلٍ، إنما يُرِيدُ طرَفة أنّه أبْعَدَ غايته في الخَسارة، وتمادَى في تعاطي الصِّبَا والجَهَالة، فلم يُصِخْ لناصحٍ، ولم يَرْعَوِ لعاذلٍ، حتّى نَفَضُوا أيديهم من إنابَتِه، ويَئسوا من قَبُولِهِ وإعتابه، فألقَوا حَبْلَهُ على غَارِبِه: وصاروا من بين ناسبٍ له إلى الشَرّ، ومسيءٍ إليه في القولِ، وقاذفٍ إيّاهُ بالغَيّ، فأفضَتْ بهم الحال إلى أنْ تناهَوْا بعد أن بَلَغ منهم العناءُ كلّ مبلغ، وأثّر فيهم الإعياءُ والإحْفَاءُ أَشَدَّ تأثير. ألا تَرَى أنه جَعَلَ الوَجَى في المُشَاشِ من السّنابِكِ منهم. فهذا ما عليه في الرواية، والذّهابِ عن طريقة الشاعر. وبَعْدُ فإنّهُ لا يقال أوجَيْتُ الدّابةَ عنّي ويُراد الإحفاءُ، ولم يُسْمَع في التّذليل ذكر الحَفَى والوَجَى مُسْتَعَارًا كما سُمِعَ الكيُّ والوَسْمُ فيه. وبُعْد الغَوْصِ لا يُدْرَى على ماذا يَهْجمُ بصاحِبه. والرواية الصحيحة «أرْجَأتُهُ» و«أَرْجَيْتُه» وهما لُغَتان، والهَمْزُ أَفْصَحُ. قد قُرِىءَ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٥١] و﴿تُرْجِى﴾. ويُروى: «أوحَيْتُه»، ويُروى: «أزجيتُه» والمعاني تتقاربُ في الكلّ. يقول: رُبَّ خَصْم هكذا أنا وحَّيْتُه عن نفسي وصرفْتُه، وقد أَبْصرَ رُشدَهُ، وعرَف مقدار نفسِه، فعاد إليه بعد أن كان يشتطُّ فيما له، ويتغابَى عما عليه. والقَصْدُ: ما لا سَرَفَ فيه، ولذلك قيل: اقتَصِدْ في كذا، وطريقٌ قاصِدٌ، إذا كان على حَدِّ الاستواء. ومن كلامهم: ضَلّ عن قَصْد الطريق، كما قيل: ضَلّ عن

سواء السَّبيل. قال الراجز:

إنّـي إذا حَـارَ الـجـبـانُ الْهُـدَرَهْ رَكِبْتُ من قصد الطريقِ مَنْجَرَهْ(١)

وقوله: «وكويّته فوق النّواظر»، يشبهه قول الآخر: [الطويل]

ولَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أرادُوا نقيصتي جَعَلْتُ لَهُمْ فوق العَرانينِ مِيسَمَا(٢)

أي كَوَيْتُهُ مِنْ عَلِ فوق نَاظِرِهِ، أي وَسَمْتُهُ بِسَمةٍ من الذّلّ اشتهر بها، ولم يمكنه إخفاؤها. ويقال لمن يُتوَعّد بالإذلال والتّشويه: لأسِمَنَّك وَسْمًا لا يفارِقُكَ. ولذلك قال جرير: [الكامل]

لمَّا وَضَعْتُ على الفرزدق مِيسَمِي وضَغَا البَعيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأَخطلِ

وكما يجعلون هذه السِّمة في الجبين يجعلونها في الأنف، ولذلك قال الأعشى: [الطويل]

أَنْـــفَ مَـــنْ أَنْـــتَ وَاسِـــمُ(٣)

وفي القرآن: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ [القَلَم: الآية ١٦]. فإن قيل: لم أتى بقوله من عَلٍ، وقد قال: فَوْقَ النواظر ويُعْلَم منه أنّهُ أعلى؟ قيل: إنّ التقدير كَوَيْتُه من عله فوقَ النواظر، أي من أعْلَاه فوق ناظره، وفيه التّقديم والتّأخير، ولو سكت عَلَى من عَلٍ لكان يجوز أن يكون فوق النّواظر ودون النّواظر، لكنه بيَّن أنّ قَصْدَهُ إلى الجبين بميسمه. والمعنى شَهَرْتُه بإذلالي، ووسَمْتُه بكيِّي حيثُ يظهر للناظرين ولا يخفى. وانتصاب «فوقَ» يجوز أن يكون على البَدَلِ من الضمير في كويْتُه، لأن «فَوْقَ» من الظُّروفِ المتمكنة. ويجوز أن تجعلَه ظرفًا تُرِيدُ كَوَيْتُه في هذا المكان مما علا مِنْهُ. وإنما لم يَبْنِ من علٍ لأنّه جَعَلَهُ نكرةً، كما تَقولُ أَتَيْته قَبْلًا أي أوّلًا، وأَنْتَ لا تَقْصِدُ إلى أنّه مُضَافٌ إلى مَعرِفَةٍ مخصوصةٍ، فاعلمه ومنه: [الطويل]

كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْل من عَلِ(٤)

---

(١) للحصين بن بكير الربعي في اللسان (هدر)، والتنبيه والإيضاح ٢٦٦:٢، وبلا نسبة في اللسان (نجر).

(٢) للمتلمس في ديوانه ٢٩، والأصمعيات ٢٤٥، وخزانة الأدب ٥٩:١٠.

(٣) ديوانه ص ٥٧ وتمامه:

«.... يـغـنـيـك واعـمـد لـغـيـرهـا بشعرك واغلب أنف من أنت واسم»

(٤) لامرىء القيس في معلقته. وصدره:

«مـكـرّ مـفـرّ مـقـبـل مـدبـر مـعًـا»

فالكسرة في الموضعين كسرة إعراب، وإن شئت جعلته معتلَّ الآخِر لا مَنْقُوصًا كشَجٍ وقَاضٍ، وجعلتَهُ في النِّيَّةِ مُضَافًا، فيكون مَعْرِفَةً وتنوى ضَمَّة البناء في موضع لامه، كما تنويها في الياء من قَاضٍ وغازٍ إذا ناديت بهما واحدًا بعينه. وفي عَلِي لُغَاتٌ كثيرةٌ، وله نَحْوٌ في البناء والإعراب لَيْسَ لأخواته من الغايات، وليس هذا موضعَ شرحه.

١٠ ـ وقال سَعْدُ بن نَاشِبِ بن مَازِنِ بن عَمْرو ابن تميم(١):

[الطويل]

١ ـ سَأَغْسِلُ عَنِّي العارَ بالسَّيفِ جَالِبًا عَلَيَّ قَضاءُ اللهِ ما كان جَالِبَا

القضاء، أصله الحَتْمُ والإيجاب، ثم يستعمل في إكمال الصُّنع والفَراغ من الشيء. ولهذا قيل قُضِيَ قضاؤك، أي فُرِغَ من أَمْرِكَ. وفي القرآن: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فُصِّلَت: الآية ١٢]. ويروى: «قضاءُ اللهِ» بالرفع والنصب، فإذا رفعتَه فإنه يكون فاعلًا لِجَالبًا عَليَّ، وما كان جَالِبًا في موضع مَفْعولِهِ، ويكون القضاءُ بمعنى الحكم؛ والتقدير: سأغسل العارَ عن نفسي باستعمال السَّيف في الأَعْدَاءِ، في حال جَلْبِ حكم الله عليَّ الشيءَ الذي يجلبه. وإذا نَصَبَ القضاء فإنه يكون مفعولًا لِجَالِبًا وفاعِلُهُ ما كان جَالِبًا، ويكون القضاءُ الموت المحتوم والقَدَر المقدور، كما يقالُ للمَصِيدِ الصَّيْدُ، وللمَخلُوق الخَلقُ. والمعنَى: جَالِبًا المَوْتَ عَلَيَّ جَالِبُهُ. وذَكَرَ بعضُهم أنّ «كان» من قوله ما كان جَالِبًا في مَعنى صار. قال: ومثله: [الطويل]

بِتَيْهَاءِ قَفْرٍ والمَطِيُّ كأنَّهُ قَطَا الْحَزنِ قد كانت فِرَاخًا بيوضُها(٢)

لأن المعنى قد صارت.

٢ ـ وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وأَجعَلُ هَدْمَها لِعِرْضِيَ مِنْ باقِي المَذَمَّةِ حَاجِبَا

الذُّهول: تَرْكُ الشّيءِ متناسيًا له ومتسلِّيًا عنه، ومنه اشتقاق ذُهْلٍ، يقول: إذا ضاق المنزلُ بي حتى يصيرَ دارَ الهوان انتقلت عنه، وأَجْعَلُ خَرَابَهُ وقاية للنَّفس من

---

(١) سعد بن ناشب: شاعر إسلامي، من الفتّاك المردة، من أهل البصرة، وهو صاحب يوم الوقيط في الإسلام بين تميم وبكر بن وائل. (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م). ترجمته في (سمط اللآلي ص ٧٩٢، والشعر والشعراء ٦٧٧).

(٢) البيت لعمرو بن أحمر في ديوانه ص ١١٩، والحيوان ٥: ٥٧٥، وخزانة الأدب ٩: ٢٠١، وله أو لابن كنزة في شرح شواهد الإيضاح ص ٥٢٥، وبلا نسبة في أسرار العربية ١٣٧، وشرح الأشموني ١: ١١١، وشرح الحماسة للتبريزي ١: ٥٧.

العار الباقي، والذمّ اللاحق. وهذا قريبٌ من قوله: [الكامل]

وإذا نَـبـا بِـكَ مَـنْـزِلٌ فـتـحـوّلِ(١)

وهو ضدّ المعنى الذي يقصِدونه بالثّبات فيه والصّبر عليه، من الإقامة في دار الحفاظ والافتخار به، لأنّ الانتقال ثَمَّ هو الجالب للعار، كما أن الإقامة هنا هو الجالب. فمن ذلك قوله: [الكامل]

وتُقِيمُ في دَارِ الحِفَاظِ بُيُوتُنَا ... زَمنًا ويَظْعَنُ غَيْرُنا لِلأَمْرَعِ(٢)

ومنه قوله: [البسيط]

يُقال مَحْبِسُهَا أدْنَى لِمَرْتَعِها ... وإنْ تَعادَى بِبَكْءٍ كُلُّ مَحلُوبِ(٣)

وفي ضِدّه قولهُ: [الكامل]

دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رآهـا دارَهُ ... أفَراحلٌ عنها كمن لم يَرحَلِ

وقول الآخر: [الطويل]

ولَسْنَا بِمُحتَلِّينَ دَارَ هَضِيمَةٍ ... مَخَافَةَ مَوْتٍ إن بِنا نَبتِ الدّارُ

وانتصبَ «حاجبا» على أنه مَفعُولٌ ثانٍ لأجْعَلُ، لأنه بمعنى أُصَيِّرُ. والتقدير: أجعل هَدْمَهَا حاجِبًا لِعِرْضِي، ومانِعًا من باقي الذّمّ. ولـ«جعلت» غيرَ هذا مواضعُ، يكون بمعنى خَلَقْتُ وأنشأت فيتعدّى إلى مفعولٍ واحد، كقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: الآية ١]؛ ويكون بمعنى سَمَّيْتُ، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزّخرُف: الآية ١٩]؛ ويكون بمعنى ظَنَنْتُ، تَقُولُ: جَعَلتُه عَبْدًا وشَتَمْتُهُ، أي ظَنَنْتُه؛ ويكون بمعنى طَفِقَ فلا يتعدّى. تقول: جَعَلَ يُكَلِّمُهُ، أي أقْبَلَ. وعلى هذا قوله: [الطويل]

جَعَلْتُ وما بِي مِنْ جَفاءٍ ولا قِلًى ... أزورُكُمُ يَوْمًا وأَهْجُرُكم شَهْرَا

٣ ـ ويَصْغُرُ في عَينِي تِلَادِي إذا انْثَنَتْ ... يَمِينِي بإدْرَاكِ الذي كُنتُ طَالِبَا

---

(١) البيت لعنترة في ديوانه ص ١٧٦، ولعبد القيس بن خفاف التيمي في حماسة البحتري ص ١٧٩، وبلا نسبة في شرح التبريزي ١:٥٨. وصدره:

«احذر محلّ السوء لا تحللْ به»

(٢) للحادرة الذبياني في المفضليات ١:٤٣. (٣) لسلامة بن جندل في المفضليات ١:١٢٢.

أراد بقوله «يصغُر» صِغَر القدر وخفّتَه ونَزارَتَهُ في الهَمّ والفِكْرِ. وخصّ «التلاد» وهو المَالُ القديم، لأنّ النّفس بمثله أضَنُّ، وبه أَنْفَس، وله أَضْبَطُ. نبّه بهذا الكلام على أنّه يَخِفُّ على قَلْبِه تَرْكُ الدار والوَطن خوفًا من التزام العار، كذلك يقلُّ في عينه إنفاق المالِ عند انصراف اليدِ حائزةً للمطلوب، جامعةً له. وجوابُ «إذا» قُدّم عليه وهو قوله «يَصْغُرُ»، فأمّا قوله «كنت طالِبًا»، فقد حُذِف منه الضمير العائد إلى الذي، والتقدير كنت طَالِبَهُ.

٤ ـ فإنْ تَهدِموا بالغَدْرِ دارِي فإنّها ... تُراثُ كَرِيمٍ لا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا

الهَدْمُ: القَلْعُ والتخريبُ، ويسمّى المهدوم هَدَمًا. قال: [البسيط]

كأنّهُ هَدَمٌ في الجَفْرِ مُنْقَاضُ(١)

وتوسّعوا فيه فقيل للثوب الخَلَقِ هِدْمٌ، وجمعه أهدَامٌ. وقيل عَجوزٌ متهدّمةٌ أي هَرِمَةٌ فانِيَة. وتَهَدّمَ عليه من الغَضَب، كما يقال تَهَجّمَ. والغَدْرُ: تَرْكُ الوفاءِ، ومنه غادرتُهُ، والغدير. وكأنّ هذا الرجل كان أخلّ بدارِه لنائبةٍ نابَتْهُ فصار يخاطِبُ أعداءهُ ويريهم قِلةَ فِكرِه فيما تجري عليه أحواله من جهتهم، وفيما تُفضِي عواقبُ أمرِه إليه معهم، فيقول: إنْ تخرّبوا دارِي غدْرًا منكم فإنّها ميراث رَجُلٍ هكذا، ويعني بِهِ نَفْسَهُ، وسَمّى مِلْكَهُ ميراثًا وهو حَيٌّ والمعنى أنّه سيُورَثُ، وهذا تسمية الشّيء المتنقّل في أيدي مُلّاكه والمتصرّفين فيه على التشبيه: ميراثًا، وإن لم يتنقّل بالأسباب والأنساب. على ذلك قول الله عزّ وجل: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٠]، وقوله: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الأحزَاب: الآية ٢٧]. وتُراث، أصله وُرَاثٌ، والتاء فيه كالتاء في تُكأةٍ وتُخَمَةٍ. وقوله: «تُرَاثُ كريمٍ» أراد بالكَرَم التنزُّهَ عن الأقذار، والتّباعُدَ مِن جوالِبِ العار. على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفُرقان: الآية ٧٢]. وقوله: «لا يبالي العواقبا» يقال: ما بَالَيْتُه بَالَةً وبالِيَةً ومبالاةً وبِلاء، وما باليت به. وكأنه أُخِذَ من البَلَاءِ، واستعمل في المفاخَرَةِ وتَعدَادِ الخِصال الحَسَنَةِ عند المُنَافَرَةِ، ثم كَثُر استعماله حتّى صار يُقَالُ في الاستهانة بالشّيء. ويشهد لهذا الذي قلناه قولُ الآخر: [الرجز]

مَا لِي أَرَاكَ قَائِمًا تُبَالِي ... وأنتَ قد مُتُّ من الهُزَالِ(٢)

(١) اللسان (هدم). وصدره:

«تمضي إذا زجرت عن سوأة قدمًا»

(٢) البيت في اللسان (بلي) بلا نسبة.

أي تفاخر.

٥ ـ أخِي عَزَماتٍ لا يُرِيدُ عَلَى الّذي يَهُمُ به من مَقْطَعِ الأمْرِ صَاحِبَا

يقال: ما له عَزْمٌ وما له عَزِيمةٌ، أي تَثَبُّتٌ وصبرٌ فيما يعزِم عليه. وحقيقة العزْم: توطين النَّفس وعَقْدُ القلب على ما يُرَى فِعْلُه، ولذلك لم يَجُزْ على الله عزّ وجلّ. والاعتزامُ: لزوم القَصْدِ وترك الانثناء، ولذلك قيل اعتَزَمَ الفرسُ على الجري. يصف نفسَه بأنّه صاحب همم وأخو عَزَمَاتٍ، مستبِدٌ برأيه فيها غيرُ متَّخِذٍ رفيقًا، ولا مستنصرٍ أخًا وصديقًا. و«مَقْطَعُ الأمرِ» أراد فَصْلَه والخروج منه. ويُرْوَى: «أخِي غَمَرَاتٍ» وهي الشدائد. ويُروى: «من مُفْظِعِ الأمر» وهو من فَظُعَ الأمْرُ وأفْظَعَ، فَظَاعَةً وإفْظَاعًا، وهو فَظِيعٌ ومُفْظِعٌ. أو من أفْظَعَنِي الأمْرُ فَفَظِعْتُ به، أي أعياني فضِقْتُ به ذرعًا. وقوله: «صاحِبا» صِفة في الأصل استُعْمِلَتْ استعمالَ الأسماءِ، فلم يَجْرِ مَجْرَى أسماء الفاعلين، ويَجري على طريقتِه قولُهم والِدٌ.

٦ ـ إذَا هَمَّ لم تُرْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ ولم يَأْتِ ما ياتي من الأمْرِ هَائِبَا

الهَمُّ: ما تُجِيلُ لِفعله وإيقاعه فِكرَكَ. والهِمَّةُ: اسم الحالة التي تكون عليها في ذلك. ويقال في المَثَلِ لمن يُعَيَّر بطول الأمَل: «تَهُمُّ ويُهَمُّ بك»، ومنه المُهِمَّات، وهذا يخبر عن نفسه بأنّه يتبع الرأي الأوّل. وهذا طريقةُ الفُتَّاكِ لأنّ الرجوع عن الرّأي إلى غيره طريقةُ من يتدبَّرُ العواقب فيَترك الشَّيءَ إلى الشيءِ لما يرجُوهُ من حُسْنِ المآب. فقال: إذا هَمَّ هذا الرجل بشيء أنْفَذَ عزيمَتَهُ ولم يَرْدَعْهَا، ولم يَفْعل ما يفعله خائفًا. ومثله قول الآخر: [الوافر]

جَسُورٌ لا يرْدَعُ عِنْدَ هَمّ ولَا يَثْنِي عزيمتَه اتِّقاءُ[1]

ويقال: رَدَعْتُه فَارْتَدَعَ، أي كَفَفْتُه ورددته رَدْعًا. ومنه الرُّدَاع في العِلَّةِ وهو النُّكْسُ، يقالُ رُدِعَ رَدْعًا ورُدَاعًا. والهَيْبَةُ تكون من الذُّعْرِ ومن الإجلالِ جميعًا، ويقال للجبان هَيُوبٌ وهَيُوبَةٌ، والهاء للمبالغة، وللمحتشَم مَهِيبٌ. وفي الحديث: «الإيمانُ هَيُوبٌ»[2]. ويقال: تهيَّبْتُ الشيءَ وتهَيَّبَني بمعنًى، لمَّا كان لا يَلْتَبِس، ومثله من المقلوب كثير.

(١) بلا نسبة في الحماسة للتبريزي ١: ٥٩.
(٢) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٨٥ بلفظ (في حديث عبيد بن عمير: «الإيمان هيوبٌ» أي يهاب أهلُه) فالناس يهابون أهل الإيمان لأنهم يهابون الله تعالى.

٧ ـ فَيَالَ رِزَامٍ رَشِّحُوا بي مُقَدِّمًا   إلى المَوْتِ خَوَّاضًا إليه الكتائبا

ويروى: «الكرائبا». الفاءُ من قوله «فيالَ رِزَامِ» النِّيَّةُ بها استئناف ما بعدها وإن نُسِقَ بها جملةٌ على جملة. واللام من يال رِزَام، هو لامُ الاستغاثة، ورِزَامٍ ينجرُّ به وهم المدعوُّون. وأصل حركة لام الإضافة إذا دَخَل على ظاهِرِ الكسر، ولهذا إِذَا عُطِف على هذه اللام بلام أخرى كُسِرَت الثانية، تَقولُ: يا لَزيدٍ لِعمرو، ولكن هذه فُتِحَتْ لكون ما بَعْدَها مُنَادَى، ووقوعِ المنادَى على هذا الحدّ موقعَ المضمرات، فكما قيل لك وله، قيل يا لَزَيْد. وقوله «رشّحوا بي مقدِّما» بكسر الدال بمعنى متقدِّمًا، فهذا كما يقال وَجَّهَ بمعنى توجَّه، ونَبَّه بمعنى تنبّه ونكَّبَ بمعنى تَنَكَّب. وعلى هذا قولهم مُقَدِّمة الجيش، ومن فتح الدال فالمعنى على أنّه يُقدَّم ليَقيَهُم بنفسه. «خَوَّاضًا إليه الكتائبا»، انتصب الكتائب على أنّه مفعول خوّاضٍ. ويُروى «الكرائب» وهي الشدائد جمع كَرِيبَة، والأصل في الكَرب: الغَمّ الذي يأخذ بالنَّفَس. والتَّرشيح أصله التَّنْبيت والتَّربِية، ومنه قيل رَشَّحَتِ المرأةُ ولدَها إذا درَّجتْهُ في اللَّبَنِ، ثم قيل رُشِّحَ فلانٌ لكذا، توسُّعًا. ومعنى البيت: يا بني رِزام هَيِّئُوا بي رَجُلًا يَتقدَّم إلى الموت ولا يَحيد عنه، مقتحمًا الجيوش والشدائد غير متنَكِّبٍ ولا حائد. ويُروى: «رَشِّحوا بي مُقْدِمًا»، وتلخيصه: رَشِّحوا بترشيحكم رجلًا هذه صفتُه، فأقام الصِّفةَ مقام الموصوف.

٨ ـ إذَا هَمَّ أَلْقَى بينَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ   ونَكَّبَ عن ذِكْرِ العواقِبِ جَانِبًا

قوله: «ألقى بين عينيه عزمَه»، أي جعله بمرأى منه لا يغفُل عنه، وقد طابق في المعنى لَمّا قَابَل قولَهُ ألقَى بين عينيه عزمَهُ، بقوله: نَكَّبَ عن ذكر العواقب جانبًا. ومثله قول الآخَر: [الطويل]

ولا نـاظِرٌ عند الوَغَى في العواقِبِ

وانتصب «جانبًا» على أنه ظَرْفٌ. وَنكّب يكون بمعنى تنكَّب. والمعنى أنّه إذا هَمَّ بالشيءِ جَعَلَهُ نَصْبَ عينيه إلى أن ينفُذ فيه ويخرج منه، ويصير في جانبٍ من الفكرِ في العواقب. ويجوز أن ينتصبَ جانبًا على المفعول، ويكونُ نَكّب بمعنى حَرَّف. والمراد انحرفَ عن ذكر العواقب وطَوَى كَشْحَهُ دُونَهُ. وسمّي المعزوم عليه عَزْمًا على عادة العرب في وصف الفاعل والمفعول بالمصادِر.

٩ ـ ولم يَسْتَشِر في أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ولم يَرْضَ إلّا قائمَ السَّيْفِ صَاحِبَا[١]

مِثلُ المِصراعِ الأول قول ابنِ هَرْمَةَ: [الطويل]

ولَا يَنْتَجِي الأَدْنَيْنِ فيما يُحَاوِلُ

ويقارب الثاني قول الآخر: [الطويل]

فَفِي السيفِ مَوْلًى نَصْرُهُ لا يُحَارِدُ

والشاعر يصف استبدادَه وتفرّدَه عندما يَذهمُه بما يأتِيه فِعْلًا ورَأْيًا. وإنّما نَبّهَ على الرأي بقوله: «لم يَسْتَشِرْ»، وعلى الفعل بقوله: «ولم يَرْضَ إلا قائمَ السّيف صاحبا». وانتصبَ قائم على أنّه استثناءٌ مقدَّم، ألا تَرَى أن الأصل ولم يَرْضَ صَاحبًا إلا قائم السيف، ولو أتى على هذا لكانَ الوجْهُ أين يكون بَدَلًا، فَقدَّم المستثنى كما ترى.

١١ ـ وقال تَأَبّطَ شَرًّا[٢]: [الطويل]

١ ـ إذا المرءُ لم يَحْتَلْ وقد جَدَّ جِدُّه أَضَاعَ وقَاسَى أَمْرَهُ وَهْوَ مُدْبِرُ

قولُه: «لم يَحْتَلْ» ذهب بعضُهم إلى أن الحيلة مأخوذة من قولهم حَالَ الشيءُ، أي انقلبَ عن جهتِهِ، كأنّ صَاحبَها يريد أن يستنبط ما يَحُول عند غيره ولذلك قيل: فُلانٌ حُوّلٌ قُلّبٌ. وقولُه «جَدَّ جِدُّهُ» أي ازداد جِدُّه جِدًّا. ويكونُ مثلَ قولِه: [الطويل]

حتى اسْتَدقّ نُحُولُها[٣]

المعنى ازداد دَقيقُها دِقّةً، ويجوز أن يكونَ المعنى صار غَيْرُ الجِدّ جِدًّا بمآله، وهذا كما يُقال رِيعَ رَوْعُهُ، وخَرجتْ خوارجُه، وجُنَّ جُنونُه، وقال الهُذَلِي: [البسيط]

يُذْعَوْنَ حُمْسًا ولم يَرتَعْ لَهُمْ فَزَعُ

وإنما هو ريع أَمْنُهُ، وخرجت دَوَاخِلُه، ولم يَرْتَعْ لهم أَمْنٌ. فَسَمّى الشيءَ بما آل إليه. وقولُه «أَضاعَ» يجوز أن يكون معناه وَجَد أمرَه ضائعًا، ويجوز أن يكون بمعنى

---

(١) في رواية التبريزي: «ولم يستشر في رأيه».

(٢) تأبط شرًا: هو ثابت بن جابر بن سفيان، من مضر، شاعر عدّاء من فتّاك العرب في الجاهلية. (ت ٨٠ ق.هـ، ٥٤٠ م). ترجمته في: الشعر الشعراء ٢٧١، والأغاني ١٨: ٢٠٩.

(٣) هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٧٥، واللسان (نحل، عجم). وتمامه:
«وكنتُ كعظم العاجمات اكتنفنه بأطرافِها حتى استدقّ نحولُها»

ضيَّع. ويقال: ضاع الشيءُ ضَيْعةً وضَياعًا، وتَرَكهم بضَيْعَةٍ ومَضِيعةٍ. وإذا أَخَذ الرجُلُ فيما لا يَعْنيه، قيل: فَشَتْ عليه الضَّيْعة. ويقاربه قولهم: [السريع]

اتَّسَع الخَرْقُ على الرَّاقع[1]

وقوله: «وهو مُدْبِرُ» يجوز أن يكون الضمير للأمْر، والمعنى قاسَى أمره، أي شقِيَ به وهو مُوَلٍّ فائتٌ. ويجوز أن يكون الضمير للمرء، والمعنى عالَجَ أمرَه وكابَدَه مُدْبِرًا فيه غيرَ مُقْبِلٍ ولا مَنصورٍ، ومعنى البيت إذا الرجُل لم يَطلُب رشده ولم يُنْفِذ الحيلةَ في إصلاح أمرِه، في الوقت الذي يجب أن يَفعَلَه، وقد صار الأمر جِدًّا لا شُبْهةَ فيه، عالَجَه وهو هكذا، أو عالجه والأمر هكذا. ومثله: [الطويل]

ولكنَّ مَن لا يَلقَ أمرًا يَنُوبُه بِعُدَّتِه يَنزِلْ به وهو أعزَلُ

٢ ـ ولكنْ أَخُو الْحَزْمِ الذي ليسَ نازِلًا به الخطْبُ إلّا وهْوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ

السائرُ عنهم في مَثَلِ قولُهم: «رَوِّيء تحزُمْ، فإذا روَّأْتَ فاعزِمْ»، فيقول: صاحبُ الحزْم هو الذي يَستعدُّ للأمر قبل نزوله، ويدبِّره قبل فوْتِه، حتى إذا نزَل به يكونُ عارفًا بالقصة فيه، سالكًا للوجْهِ الذي يفصِلُهُ منه. وهذا كما قيل في المَثَل: «قَبْلَ الرِّماءِ تُمْلأُ الكنائن». والحزْمُ في اللغة: الشَّدُّ والضبط، ومنه الحِزَام، والحَزْمة، والحَيْزومُ، والمَحْزِم: والخَطْب: الأمر المطلوب، ويقال: خَطَبْتُ الأمر فأَخطَبَ، كما تقول طَلَبْتُه فأَطْلَبَ.

٣ ـ فذَاكَ قَرِيعُ الدّهرِ ما عاش حُوَّلٌ إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ جاشَ مَنْخِرُ

«ذاك» أشار به إلى أخي الحَزم. و«قريعُ الدَّهْرِ» يحتمل وجهين: يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر، ويكون من قَرَعْتُ الشيءَ أي اخترْتُه وخَصَصتُه بقُرعَتي، ويقال: هو قَريعُهم وقريعتُهم وقِرِّيعهم بمعنًى واحد. ويجوز أن يكون بمعنى مَن قرَعَهُ الدهر بنوائبِه حتى جرَّب وتبصَّر. ويكون قريع في الوجهين فَعيلًا في معنى مفعول. ولا يمتنع أن يكون المراد بقريع الدهر فَحْلَ الدهر، ويكون في هذا الوجه قريع في معنى فاعل، لأنه يَقرَعُ الناقة أي يضربها. وما تقدَّم أَحسن. وقوله «ما عاشَ» في

(١) البيت لشقران السلامي في المجتنى لابن دريد ص ٧٨، أو لابن حمام الأزدي في المؤتلف ٩٢. وصدره:

«كنا نداريها فقد مزقت»

موضع الظَّرْف، والمعنى مُدّةَ عَيْشِه. وقولُه «إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ» مَثَلٌ للمَكروبِ المُضَيَّقِ عليه، وهذا كما استُعمل فيه الخَنْقُ والخِنَاق. وأصل المنخر في الأنف من النخير؛ ويسمّى النُّخْرة أيضًا. والجميع النُّخَر. والنخير: مدّ النَّفَس، ومنه نَخِيرُ الحمار. وقيل: نُخْرَتا الأنفِ: حَرْفاهُ. وجاشَتِ القِدْرُ: غَلَتْ. وجاشَ البحرُ: اهتاجَ، وأصلُهُ التحرُّك في الموضعين والاضطراب: ومنه الجيش واحِدُ الجيوش. والمعنى: لافتنانه في الحِيَل لا يؤخَذُ عليه طريقٌ إلّا نَفَذَ في آخَرَ. و«الحُوَّل»: الكثير التحوُّل في الأمورِ. ويقال هو قُلَّبٌ وحُوَّلٌ، وفي معناه رَجُلٌ حَوِلٌ وحَوَالِيٌّ. قال ابن أحمر[1]: [السريع]

أو يُنْسِئَن يَوْمِي إلى غَيْرِهِ أنّي حَوَالِيٌّ وأنّي حَذِرْ

ويقال: هو ذو حَوْل وحَوِيل، وفي المثل: «لو كان ذا حيلة تحوّل». فأمّا قولهم: هو ذو مَحْلَةٍ، فهو في معنى مَحَالَةٍ، وَلَيْسَ من بنائِهِ، لأن الميم في مَحْلَة أصلية، وفي مَحَالَةٍ زائدة.

٤ ـ أَقُولُ لِلحْيَانٍ وقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وِطَابِي ويَوْمِي ضَيِّقُ الحَجْرِ مُعْوِرُ[2]

من كلامِهِم: «نعوذ بالله من صَفَرِ الإناء، وقَرَعِ الفِناء». وهذه الاستعارة من شُمول القَحْط وهَلَاكِ المال. ولِحيان: بَطْنٌ من هُذَيْل كان تَأَبَّطَ شَرًّا راغَمَهُمْ ووَتَرَهُم، فكانوا يطلبون غَفلتَهُ، حتى اتَّفق منه الصُعودُ إلى الجبل الذي وصفَه ليشتار العسل، ولم يكن له إلا طريقٌ واحد، فجاؤوا وأخذوا عليه ذلك الطَّريق، فقال: أقول لهم، يعني عند مخاطبتِهِ إيّاهم وهو على الجبل. وقوله: «وقد صَفِرتْ لهم وِطابي» يحتمل وجوهًا: يجوز أن يكون المعنى وقد خلا قلبي من وِدِّهم. وبعضهم يستضعف هذا ويقول: ومتى كان يَودُّهم؟ وهذا اللفظ كيف يفِيد هذا المعنى. ويمكن أن يُقال في ذلك إنّما أراد وِطابَ وِدّي. وهذا كما قال بِشْر: [الوافر]

وإذْ صَفِرَتْ عِيَابُ الوُدِّ مِنْكُمْ ولم يكُ بيننا فيها ذِمام[3]

---

(١) البيت في اللسان (حول) لابن أحمر أو للمرار بن منقذ العدوي، وفي التبريزي «يَنْسَأَنْ».
(٢) في التبريزي ١: ٦٣ «ضيّق الجُحْر: مثلٌ ضربه لضيق منفذه وتخوّف ظفر الأعداء به، والخائف مُضَيّق عليه وإن كان في فضاء الله».
(٣) له في المفضليات ٢: ١٣٥.

كأنه تَبيّن منهم أنّهم لا يُبقُون عليه، ولا يَرعَون ذِمامًا لَهُ، فلا رِعَةَ ولا رِقةَ لديهم، ولا بُقيًا ولا محافظة عندهم، فصار اعتقاده فيهم كما بانَ له اعتقادهم. فيه. فلهذا قال ما قال. ويجوز أن يكون المعنى أشرفَتْ نفسي، بسببهم ولتعرُّضهم وهَمِّهم بانتهاز الفرصة لما أمكنهم، على الْهَلاك. ويكون هذا من قوله: [الوافر]

ولــو أدركَـنَــهُ صَــفِـرَ الــوِطَــابُ[1]

وفي طريقته قول الآخر[2]: [الطويل]

هَـرَقْـنَ بسـاحُوقٍ جِفَـانًـا كـثـيـرةً وأَدَّيْـن أُخْرى من حَـقِـيـنٍ وحازِرِ

وقال غيره: [البسيط]

يا جَفْنَةً كنَضيحِ الحَوْض قد كُفِئَتْ بِثْنْيِ صِفِّينَ يعلو فوقها القُتَرُ[3]

ويجوز أن يكون أشار بالوِطاب إلى الجسم، أي كاد تفارقُه الرُّوح. وهذا كما يقال: الإنسان: زِقٌّ مَنفُوخٌ. ويجوز أن تكون الإشارة إلى ظروف العَسَل التي اشتارها لأنه لما تيقّن قَصْدَهم لِقَتْلِهِ وتركَهمْ مسامحتَه صَبَّ العسلَ على الجبل من الجانب الآخر وركِبَهُ متزلِّقًا عليه، حتّى لَحِق بالسَّهْل. قولُه: «ويَوْمِي ضَيِّقُ الحَجْرِ مُعْوِرُ»، أي ضَيِّقُ الناحية مُمكنٌ. ويقال في الْحَجْر الحَجْرةُ أيضًا. وفي المَثَل: «يَربِضُ حَجْرَةً ويَرْتَعِي وَسَطًا». ومُعوِرٌ، من أَعْوَرَ لكَ الشيءُ، إذا بَدَتْ لَكَ عورَتُه، وهي موضع المخافَةِ. قال الله تعالى في الحكاية عن المنافقين لما قَعَدوا عن نُصْرَة النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ١٣] أي واهيةٌ يجب سَتْرُها وتحصينُها بالرِّجال، وكما قيل يومٌ مُعْوِرٌ قيل مكان معوِرٌ، أي مَخُوفٌ. ويقال: عَوِرَ المكانُ إذا صار كذلك، وقرىء: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوِرَةٌ﴾. وقال بعضُهم: كلُّ ما طلبْتَه فأمكَنك فقد أعْوَرَكَ وأعْوَرَ لَكَ. ومعنى البيت: أقول لهؤلاء القوم والحالُ هذا، وهو أنّي قد جعلتُ لنفسي طريقًا إلى الخَلاص منهم أوْ أنّي أشرفتُ على الهلاكِ واليَوْمُ يوم شديدٌ عَسِيرٌ.

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ١٦٠. وصدره:

«وأفلتهنّ علباءُ جريضًا»

(٢) لسلمة بن الخرشب الأنماري في تاج العروس (هرق) والمفضليات ١: ٢٦.

(٣) لأبي زبيد الطائي ٦٩، والمعاني الكبير ٨٨٦.

٥ ـ هُـمَـا خُـطَّـتَـا إِمَّـا إِسَـارٌ ومِـنَّـةٌ وإمـا دَمٌ والـقَـتْـلُ بـالـحُـرّ أَجْـدَرُ

الخُطَّةُ مأخوذةٌ من الخَطِّ، وهي تجري مجرى القِصّة، وإن كان لها مواضع تنفرِد بها، وحَذَف النون من «خُطتَا» إذا رَفَعْتَ «إمَّا إسَارٌ» استطالَةً للاسم، كأنه استطال خُطَّتَا ببدَلِه وهو قولُه إما إسَارٌ، كما استطال الشاعرُ الآخرُ الموصول بصلته، والموصوفَ بصفَتِهِ فقال: [الكامل]

أَبَنِـي كـلَيْـبٍ إنَّ عَـمَّـيَّ الـلَّذَا قَـتَـلَا الـمُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلَالا[1]

فحذَف النون من اللَّذَا. ومثله في الحذف قول الآخر: [المتقارب]

لـهـا مَـتْـنَـتـانِ خَـظَـاتـا كـمـا أَكَـبَّ عـلى سَـاعِـدَيْـهِ الـنَّـمِـرْ[2]

فحذف النون من خظاتا. وقول الآخر: [الطويل]

لَنَـا أَعْـنُـزٌ لُبْنٌ ثَـلَاثٌ فَـبَـعْـضُـهـا لأولادهـا ثِنْتَا وما بيننا عَنْزُ[3]

ويجوز أن يكون الحذف على وجه الحكاية، كأنّه قال: هُمَا خُطَّتَا قولِكُم إمَّا كذا وإمَّا كذا، فلما نَوَى ذلك حَذَفَ النونَ للإضافة. وكأنهم كانوا يُدِيرونَهُ على الخَصْلَتين، فأخذ يتهكّم عليهم ويحكي مقالتَهُم، ونحوُه قولُ الخليلِ في قَوْلِه: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩﴾ [مريم: الآية ٦٩]، قال معناه لَنَنْزِعَنَّ من المتشايعين الذي يقال لعُتُوِّه أَيُّهم أشدّ؛ فحَكى. وقولُه: [الكامل]

فـأَبِـيـتُ لا حَـرِجٌ ولا مَـحْـرُومُ[4]

وإذا جَرَرْتَ «إمَّا إسَارٍ» يكون حذف النون لنيّة الإضافة، والتقدير: هُمَا خُطَّتَا إسارٍ ومِنَّةٍ. والمعنى: ليس لي إلا واحدةٌ من خَصْلَتَيْنِ اثنتين على زُعمِكم: إما استئسارٌ والتزامُ مِنَّتِكم إنْ رأيتم العفو، وإمَّا قتلٌ وهو بالحرّ أجدر من التعرّض لما

(١) البيت للأخطل في ديوانه ص ٣٨٧، والأزهية ٢٩٦، والاشتقاق ص ٣٣٨، والكتاب ١: ١٨٦، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢: ٣٦٢، وخزانة الأدب ٨: ١٠، وشرح التبريزي ١: ٦٣.

(٢) لامرىء القيس في ديوانه ص ١٦٤، وخزانة الأدب ٧: ٥٠٠، وشرح اختيارات المفضل ٢: ٩٢٣.

(٣) بلا نسبة في خزانة الأدب ٧: ٥٨٠، والخصائص ٢: ٤٣٠، وسرّ صناعة الإعراب ٢: ٤٨٧، والتبريزي ١: ٦٤.

(٤) للأخطل في ديوانه ٦١٦، وخزانة الأدب ٣: ٢٥٤، وشرح المفصل ٣: ١٤٦، واللسان (ضمر). وصدره:

«ولقد أبيتُ من الفتاة بمنزلٍ»

يُخزِيه ويُكسِبه الذلّ. فهاتان الخَصلتان هما اللتان أشار إليهما بقوله هما خُطّتان؛ وقد ثلّثهما بخطّة أخرى ذكرَها فيما بعد. وفي هذا الكلام تهكّم وهُزْء. وقوله: «والقتل بالحرِّ أجدر» يسمّى اعتراضًا لوقوعه بين ما عَدّدَه من الخصال.

٦ ـ وأُخرَى أُصَادِي النَّفسَ عَنها وإنَّها لَمَورِدُ حَزمٍ إن فَعَلْتُ ومَصْدَرُ

المصاداة: إدارة الرّأي في تدبير الشيء والإتيانُ به على أتْقَنِهِ، ومنه يقال: إنّه لصَدَى مال، إذا كان حَسَنَ القيامِ به. يقول: وهٰهنا خَصْلةٌ أخرى أُداري نفسي فيها، وأُداوِرها عليها، وإنّها لَلموضِعُ الذي يَرِدُهُ الحزم ويَصدُر عنه إن فعلْتُ. وهذا إنّما قَسّم الكلامَ هذه الأقسامَ لأنّه رآهم يبنون أمرَه عليها، ولأنّه نظر إلى جهتي الجَبَل فعلِمَ أنّه إنْ رَضِيَ الطريق التي عليها بنو لحِيَانَ لنفسه طريقًا كان فيها إحدى الحالتين: من الأسْرِ أو القَتْل، على ما كانوا يزعمون ويقولون. وإن احتال للجهة الأخرى والحزمُ فيها، لأنّ خلاصه منها، كان أمرًا ثالثًا. ثم اقتَصّ ما فعله. وقوله «وإنّها لموردُ حَزمٍ» اعتراضٌ أيضًا، لوقوعه بين قوله وأخرى أصادي النفسَ عنها، وبين تبيين كيفية مزاولَته لها وشَرْحِهَا.

٧ ـ فَرَشْتُ لها صَدْرِي فَزَلَّ عن الصَّفَا بِهِ جُؤجُؤٌ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ

الفَرْش: البَسْط، ثم توسّعوا فيه فقالوا: فَرْشْتُه أمري، وافتَرَش لسانَهُ فتكلّم كيف شاء. وقوله «لها» الضمير للخَصْلةِ التي عبّر عنها بقوله «وأخرى». يقول: فَرشت من أجْل هذه الخُطّة صدري على الصّفا. وهذا حين صَبَّ العسلَ فَزَلِقَ به عن الصَّفا. أي بصدْرِه صَدْرٌ ضخم ومَتْنٌ دقيق، والصَدْرُ والمَتْنُ صَدْرُه ومَتْنُهُ، ولكن أَخرجَه مخرجَ قولهم: لَقِيتُ بِزَيْدٍ الأسَدَ، وزَيد هو الأسد عندهم. وَوَضَع فرشْت موضع أَلْقَيْتَ ووضَعْت. ويقال: فَرَشْتُ ساحتي بالآجُرّ، وافترشت الشاة للذّبح إذا أضْجَعْتَها. وذكر بعضهم أنّه يجوز أن يكون الضّمير من «لها» للصّفاة، والكلمة مقلوبَةٌ، والمعنى فَرَشْتُها لصدري. وفي هذا إضمارٌ قَبْلَ الذّكر والقلب، وإذا كان كذا فالأوّلُ هو الوَجْه.

٨ ـ فَخَالَطَ سَهلَ الأرْضِ لم يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَدْحَةً والموتُ خَزْيَانُ يَنظُرُ

الخَلْط أصله تداخل أجزاء الشّيء في الشيء، وقد توسّع فيه حتّى قيل: رَجُلٌ خَلِطٌ، إذا اخْتَلَط بالنّاس كثيرًا. وجاء في الحديث: «لا خِلاط ولا وِرَاطَ»[1]، وفي

(١) رواه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٥: ١٧٤.

المثل: «ليس أَوَانَ يُكْرَهُ الخِلَاطُ». يقول: أَسْهَلْتُ ولم يؤثّر الصَّفا في صدرِي أثرًا، لَا خَدْشًا ولا خَمْشًا، والموتُ كانَ طَمِعَ فِيَّ، فلما رآني وقد تَخَلَّصْتُ بقيَ مُسْتَحْيِيًا ينظُر ويتحيَّر. والواو من قَوْله «والموت» واوُ الحالِ. وهذا من فصيح الكلام، ومن الاستعارات المليحة. وقد حُمِل قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٨٤] على أنْ يكون. المعنى تتحيّرون. وقد سَلَكَ أبو تَمّام مَسلكَ هذه الاستعارة فقال:

إن تَـنـفَـلِتْ وأنـوفُ الـمَـوْتِ راغِـمَـةٌ[1]

ويقال إنّ الموضع الذي يقع عليه كان بينه وبين الطَّريق الذي عليه بنو لحيان أميالٌ عِدَّةٌ. وقوله «يَنْظُر» يجوز أن يكون في موضع الحال ويجوز أن يكون خَبَرًا بعد خَبَرٍ، ويكون معناه في مقَابَلَتي. ويقال: بُيُوتُهم تَتَناظر، إذا تقابَلَتْ، لأنَّ النَّظَرَ تَقْليبُ العين نحو المرئِيّ وفي مقابلته. لذلك صَحَّ أن يقال للأعمَى: نَظَر إليّ، ويجوز أن يكون معنى يَنْظُر يَعلمُ حُسْنَ حِيلتي وغَنَائِي فيما يَدهَمُني. وفُسّر قولُه تعالى: ﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفَال: الآية ٦]، أي يعلمون ذلك ويتيقّنون. وقوله «لم يَكدَح الصَّفَا» قيل: الكَدْح بالأسنانِ والحجَر دون الكَدْم، ومنه قيل المكدَّح المكدَّمُ في حمار الوحش، لتعضيض بعضها بَعْضًا. وقوله «خَزْيَانُ» يجوز أن يكون من الخِزي: الهَوانِ، ويجوز أن يكون مِنَ الخَزَايَةِ: الاستحياء.

٩ ـ فَـأُبْـتُ إِلـى فَـهْـمٍ ولـم أَكُ آيِـبًـا   وكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُها وَهيَ تَصْفِرُ[2]

يقولُ: رجعتُ إلى قبيلتِي فَهْم، وكِدْتُ لا أَؤُوبُ، لأنّي شافَهْتُ التّلَفَ. ويجوز أن يُريدَ: ولم أَكُ آيِبًا في تقديرهم وظنّهم. واختارَ بعضهم أن يُرْوَى: «فَأُبْتُ إلى فَهَم وما كِدْتُ آيِبًا» وقال: كذا وجدتُه في أصلِ شِعْرِه. قال: ومثْلُه في أَنّهُ رَدٌّ إلى الأَصْلِ وَوَضع اسم الفاعل مَوْضعَ الفعل قولُ الآخَر: [الرجز]

أَكْثَرْتَ فِي العَذْلِ مُلِحًّا دائما   لا تُكْثِرَنْ إِنّي عَسَيْتُ صَائما[3]

(١) ديوانه ٩٨، وعجزه:

«فاذهب فأنت طليق الركض يا لبد»

(٢) في التبريزي ضبطت «كم مِثلِها».

(٣) الرجز لرؤبة في ملحقات ديوانه ص ١٨٥، وخزانة الأدب ٩:٣١٦، والخصائص ١:٨٣، والدرر ٢:١٤٩، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ٣٠٩، وشرح التبريزي ١:٦٥.

والمثل السائر: «عَسَى الْغُوَيْر أَبْؤُسا»(١). ولا أدري لِمَ اختار هذه الرواية! ألِأنَّ فيها ما هو مَرْفُوضٌ في الاستعمال شَاذٌّ؟ أم لأنّه غَلَبَ في نَفْسِهِ أنَّ الشاعرَ كذا قَالَهُ في الأصْلِ؟ وكلاهما لا يُوجِبُ الاختيار. عَلَى أنّي قد نَظَرتُ فوجدتُ أبا تَمّام قد غَيَّر كثيرًا من ألفاظ البيوت التي اشتملَ عليها هذا الكتاب، ولعلهُ لو أنشَرَ اللهُ الشُّعراءَ الذين قالوها لتبعوه وسَلَّموا له. ويُروَى: «ولم آلُ آيِبًا» والمعنى: لم أدَعْ جَهْدِي آيِبًا وفي الإياب، والأوّل أَحْسَنُ. وكم مِثْلِهَا، أي كم مِثْلِ هذه الخُطَّة فارَقْتُهَا بالخروج منها، وهي مغلوبَةٌ تَضْغُو(٢) وأنا الغالب. وصَفِير الطائر معروف، ومنه ما في الدار صَافِرٌ، أي ذو صفير.

١٢ ـ وَقَالَ أَبُو كبير الهُذَلِيُّ(٣): [الكامل]

١ ـ وَلَقَدْ سَرَيْتُ على الظَّلَامِ بِمِغْشَمٍ جَلْدٍ مِنَ الفِتْيَانِ غَيرِ مُثَقَّلِ

يقال: سَرَى يَسْرِي سُرًى، وأَسْرَى إسرَاءً بمعنى، وهو سَيْر الليل. وفي القرآن: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: الآية ١]. وعلى الظلام، أي في الظلام موضعه نَصْبٌ على الظَّرف. ويقال: فَعَلْتُه ظَلَامًا ولَيْلًا في مُقَابَلَةِ فعلته نهارًا. ويقولون: عِمْ ظَلَامًا وعِمْ صَبَاحًا، وهذا كما جعلوا في مقابَلة اليومِ اللّيلةَ. ويجوز أن يكون على الظلامِ في موضِعِ الحالِ، أي وأنا على الظلامِ، أي راكبٌ له. يقول: ولقد سَرَيْتُ لَيْلًا برجُلٍ غَشُومٍ قَوِيّ من الرِّجالِ غَيْرِ منسوبٍ إلى الثِّقَلِ والكسلِ في الأمورِ. فإن قال قائلٌ: إذا كان السُّرَى لا يكون إلا ليلًا فلِمَ قال على الظلام، ولم جاء في القرآن: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ و﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ [الدّخان: الآية ٢٣]؟ قلتَ: المرادُ توَسُّط الليل والدخولُ في معظَمه، تقول: جاءَ فلانٌ البارِحةَ بِليلٍ، أي في معظَمِ ظُلْمَتِهِ وتَمَكُّنِ ذلك الوقتِ من لَيلَتِهِ. والجَلْدُ: الصُّلب القويُّ؛ ومنهُ الجَلَدُ من الأرضِ. وإنّما قال «مِغْشَم» لأنّه جَعَلَهُ كالآلةِ في الغَشْمِ، ومِفْعَلٌ بناءٌ لهذا المعنى، ويريد به تَأَبَّطَ شَرًّا. وكان لأبي كَبِيرٍ مَعَهُ قِصَّةٌ معروفَة، والأبيات مَقْصُورَةٌ عليها، وناطِقَةٌ بها أو بأكْثَرِها. والغَشْمُ والاعتِسَافُ يتقاربان، ويقالُ: غَشَمَ الوَالِي

(١) قال الأصمعي: «وأصله أنه كان غارٌ فيه ناس فانهار عليهم أو أتاهم فيه عدوّ فقتلوهم فيه، فصار مثلًا لكلّ شيء يُخاف أن يأتي منه شرٌ ثم صُغِّر الغار فقيل: غُوَير» (اللسان، غور).

(٢) الضغاء: صوت الذليل المقهور.

(٣) أبو كبير الهذليّ: عامر بن الحليس الهذلي، من بني سهل بن هذيل، شاعر فحل، (أدرك الإسلام وأسلم) ترجمته في الشعر والشعراء ٢٥٧، وخزانة البغدادي ٣: ٤٧٣.

رَعِيَّتَهُ غَشْمًا وفي كلام بعضهم: «أَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ من سلطان غَشُومٍ». ويجوز أن يكون معنى «غَيْرِ مُثقل» أي كان حَسَنَ القَبُولِ، مُحَبَّبًا إلى القلوب.

٢ ـ مِـمَّـنْ حَـمَـلْنَ بـهِ وَهُـنَّ عَـوَاقِـدٌ حُـبُكَ الـنِّطَـاقِ فَـشَـبَّ غَـيْـرَ مُـهَـبَّـلِ

قولُه: «وهُنَّ عواقِدٌ حُبُكَ» حكايةُ الحال وإن كان ذلك فيما مضى. ومثلُه قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: الآية ١٨]. ويُرْوَى: «مِمَّا حَمَلْنَ به» أي هو من الحَمْلِ الذي حَملنَ به. والضميرُ في حَمَلْنَ للنِّساء ولم يَجْرِ لَهُنَّ ذِكْرٌ، ولكن لمَّا كان المرادُ مفهومًا جازَ إضمارها. ويُرْوَى: «مِمَّنْ حَمَلْنَ به»، والمعنى: هذا الفتى من الفتيان الذين حَمَلَتْ أمهاتُهم بهِمْ وهُنَّ غيْر مستعدّاتٍ للفِراشِ ولا واضعاتٍ ثِيَابَ الحَفْلَةِ فنشأ مَحمودًا مَرْضِيًّا، لم يُدْعَ عَلَيْهِ بالهَبَلِ والثُّكل. وإنما قيل: مِمَّنْ حَمَلْنَ به، لأنّه رَدَّ الضَّميرَ على لَفْظِ مَنْ، ولوْ رَدَّ على المعنى لقال بهم. وفي القرآن في موضع: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٥]، وفي آخر: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: الآية ٤٢]. وحُكي عن بعضهم: إذا أردتَ أن تُنجبَ المرأةُ فَأَغْضِبْها عند الجِماع. وأنشد: [الطويل]

تسنَّمتُهَا غَضْبَى فَجَاءَ مُسَهَّدًا وأَنْفَعُ أَوْلَادِ الرجالِ المُسَهَّدُ[1]

وكذلك يقال في ولد المذعورة: إنّه لا يُطاق. والحُبُكَ: الطَّرائق. والنِّطَاقُ: ما تَشُدُّ المرأة في حَقْوِها. والرواية: «حُبُكَ الثِّيابِ»، لأنَّ النِّطَاقَ قد جاء من بَعْدُ في صِفَةِ أمِّ المِغْشَمِ فَتكرّر، ولأنَّ النِّطاق لا يَكُونُ لَهُ حُبُكٌ وطرائق. وواحد الحُبُكِ حَبِيكٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ [الذاريات: الآية ٧]. وقال الباهِليُّ: الحُبْكَةُ والحِبَاكُ: الإزار أيضًا. وقد احتبَكَتِ المرأة. وذكر بعضُهم أن المُهَبَّل: المعتوه الذي لا يتماسَك فإن صَحَّ ذلك فكأنَّهُ من الإسراع، يقال جَمَلٌ هِبِلٌّ.

٣ ـ ومُـبَـرَّإٍ مِـنْ كـلِّ غُـبَّـرِ حِـيـضَـةٍ وفَـسَـادِ مُـرْضِـعَـةٍ وداءِ مُـغْـضِـلِ[2]

غُبْرُ الحَيْضِ وغُبَّرُه: بَاقِيهِ قبل الطُّهْرِ. وكَذَلك غُبْرُ اللَّبَنِ: باقيه في الضَّرْعِ. وتزوَّجَ رَجُلٌ من العَرَبِ بامرأةٍ مُسِنَّةٍ فقيل له في ذلك، فقال: «لَعَلِّي أتغبَّرُ منها وَلَدًا». والحِيضَةُ والحَيضُ وَاحِدٌ والغُبَّرُ يكون جَمْع غَابِرٍ أيْضًا. ولم يَرْضَ بلفظ التَّبرئة حتى

(١) بلا نسبة في أساس البلاغة (سنم).
(٢) في التبريزي: «وداءِ مُغْيِلِ، والمُغْيِل: من الغَيْلِ، وهو أن تغشى المرأة وهي تُرضع، وذلك اللبن الغيل».

أتى بلفظ الكلّ مَعَهُ تأكيدًا، كأنّه نَفَى قليل ذلك وكثيرهُ. وأضاف الفسَادَ إلى المُرْضِعَةِ لأنّه أرادَ الفسادَ الذي يكونُ من قِبَلِها. وهم يُضِيفُون الشيء إلى الشيءِ لأدنى مناسَبَةٍ. ويروى «مبرأً» بالنصبِ والجرّ، فإذا نصبتَهُ فإنّه ينعطِفُ على «غير مُهَبَّلٍ»، كأنه قالَ: شَبَّ في هاتين الحالتين. وإذا جَرَرْتَهُ ينعطف على قَوْلِهِ «جَلْدٍ من الفتيان» كأنّه بمِغْشَم جَلْدٍ ومبرّإ. والمعنى أن الأمّ حَملت به وهي طاهِرٌ ليس بها بَقِيَّةُ حَيْضٍ، ووضَعَتْه ولاَ دَاءَ به استصحَبَهُ من بطنها فلا يقْبَلُ عِلَاجًا، لأنَّ داءَ البَطْنِ لا يفارِق. ولم تُرْضِعْهُ أمُّهُ غيلًا، وهي أن تسقِيَه وهي حُبْلَى بعد ذلك. ويروى عن أمّ تأبّطَ شَرًّا قالت: «ما وضَعْتُهُ يَتْنًا[١]، ولا أرضعتُه غَيْلًا، ولا أَبَتُّه مَئِقًا[٢]، ولا رأيتُ بنفسي دَمًا. ولقد حَمَلْتُ به في لَيْلَةٍ مظلمة وتحتَ رأسي سَرْجٌ، وعلى أبيهِ دِرْعٌ». وإنّما تريد بهذا الكلام الآخِرِ ما تقولُ العربُ من أن المرأةَ إذا أُكْرِهَت على الوطْء، أو وُطِئت وهي مذعورة، أنجبت وأَذْكَرَت. الداء المُعْضِل: الذي لا دواءَ له كأنه أعضل الأطباء وأعياهم، وأصل العَضْل المنع، ومنه عَضَّلت المرأةُ إذا نَشِبَ ولَدُهَا في بطنِها فلم يَخْرُج. وعَضَلْتُها: منعتها التزويج ظلمًا.

٤ ـ حَمَلَتْ به في لَيلَةٍ مَزْؤُودَةٍ   كَرْهًا وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لم يُحْلَلِ

الزَّأْدُ: الذُّعر، وقد زُئِدَ فهو مزؤود. والمعنى حملت الأمُّ بهذا المِغْشَم. ويُروى «مزؤودةً» بالنصب على الحال للمرأة؛ ويُروى «مزؤودةٍ» بالجر، ويجوز فيه وجهان: أحدُهما أن تجعله صفةً لِلَيْلَةِ، كأنّه لمّا وقع الزُّؤود والذُّعر فيها جَعَلَهُ لَها، والأكثر في المجاز والاتّساع أن يُنسَب الفعلُ إلى الوقت، فيُؤتَى به على أنّه فاعل، كما قيل: نهارُه صائمٌ، وليلُه قائمٌ. وحَسُن هذا لأنّ الظَّرف قد يقدَّر تقدير المفعول الصحيح، بأن يُنزع منه مَعْنَى في، كما قال الشاعر: [الطويل]

وَيَوْمٍ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا[٣]

فعلى ذلك تقول شُهِدَت الليلةُ، وزُئِدَت اللّيلة، وليلةٌ مشهودة ومزؤودة. ويجوز أن يكون انجرارُه على الجِوار، وهو في الحقيقة للمرأة، كما قيل: هذا جُحْرُ ضَبٍّ

(١) البيتين في اللسان: الولاد المنكوس ولدته أمّه تخرج رجلا المولود قبل رأسه ويديه، وتكره الولادة إذا كانت كذلك. ووضعته أمه يتنًا.

(٢) مَئِقًا. باكيًا.

(٣) لرجل من بني عامر في الدرر ٣:٩٦، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧:١٨١، واللسان (جزي). وتمامه:

«ويومٍ شهدناه سُليمًا وعامرًا   قليل سوى الطعن النهال نوافلُهْ»

خَرِبٍ. وهذا لميلهم إلى الحَمْل على الأقرب، ولأمْنِهم الالتباس. وانتصاب «كَرْهًا» على أنه مَصْدَر في موضع الحال، والتقدير كارهةً. ومعنى البيت بما تقدّم ظاهر. وقولُه: «عَقْدُ نِطَاقِهَا لم يُحْلَلِ»، ابتداء وخبرٌ، والواو للحال. وأظهر التَّضعيف في قوله لم يُحْلَل، وهو لغةُ تميم، ووجه الكلام لَمْ يُحَلّ. والنِّطاق: ما تَنْتَطِق به المرأةُ: تشدُّ به وسَطَها للعمل. قال الأصمعيّ: كنّ في القديم ينتطقن بخَيطٍ أو تِكَّةٍ. وذات النِّطاقين: أسماءُ بنت أبي بكر رضي الله عنه، والمِنطَقةُ أُخِذَت من هذا. والمعنى: أُكرِهَتْ ولم تحُلّ نطاقَها. وحُكي عنها في وصف ابنها قالت فيه: «إنّه والله شيطان، ما رأيتُه قطُّ مستثقِلًا ولا ضَحِكًا ولا همّ بشيء منذُ كان صبيًا إلّا فعلَه، ولقد حَمَلْتُ به في ليلةٍ ظلماء وإنّ نطاقي لمشدود».

٥ ـ فأتَتْ بِهِ حُوشَ الفُؤادِ مُبَطَّنًا ... سُهُدًا إذَا مَا نَامَ لَيلُ الهَوْجَلِ

حُوشُ الفؤاد وحُوشِيُّ الفؤاد: وحشِيُّهُ، لحدَّته وتوقُّده. ورجُلٌ حُوشِيٌّ: لا يُخالِط الناس. وليلٌ حوشيٌّ: مظلم هائلٌ، وكذلك إبِلٌ حوشٌ وحوشِيَّةٌ أي وحْشِيَّةٌ. وهذا كما يقال: ليلٌ سُخَامٌ وسُخَامِيٌّ: أسْوَد. وقيل: الحُوشُ: بلاد الجن. مبطَّنًا: خميص البَطْن. وقولُه «نامَ ليلُ الهَوْجَلِ»، جعل الفعل للّيل، لوقوعه فيه. والمعنى نام الهَوْجَلُ في ليله. والهوْجلُ: الثقيل الكَسْلَانُ ذو الغفلة. يقول: أتت الأمُّ بهذا الولد متيقِّظًا حذِرًا، حديدَ الفؤاد ذَكِيًّا، يَسْهَرُ إذَا نامَ الثَّقيل البليد. والسُّهاد والسُّهَد: السَّهَر. ورَجُلٌ سُهُدٌ ومُسَهَّدٌ. ويقولون للملدوغ: سَهِّدُوه لا يَسْرِ فيه السّم. وقيل الهوْجَل: الأحمق لا مُسْكَةَ به. قالوا: وبه سُمِّيَ الفَلَاةُ لا أعلامَ بها ولا يُهْتَدَى فيها: الهوْجَل(١).

٦ ـ وإذَا نَبَذْتَ لَهُ الحَصَاةَ رأيتَهُ ... فَزِعًا لِوَقْعَتِها طُمُورَ الأَخْيَلِ(٢)

يقال: نبذْتُ الشيءَ من يدي، إذا طرحتَهُ، وتوسّعوا فيه فقيل صبيٌّ منبوذٌ، ونابذْتُ فلانًا، إذا فارقتَه عن قِلًى. والحصى: صغار الحجارة. والشاعر إنما يَحكي ما رآه منه؛ وذلك أنّ أبا كبيرٍ ذُكر أنه كان أراد أن يغتالَه، وكان يطلُبُ منه فرصةً ينتهزها

(١) ذكر التبريزي في تفسير الهوجل: «والهوجل أيضًا: الناقة الصلبة الشديدة، قال الشاعر: [السريع]

وأقطعُ الهوجلَ مستأنسًا ... بِهوجلٍ عَيرانةٍ عَنتريس»

(٢) عند التبريزي: «ينزو لوقعتها».

في نومِهِ أو غَفْلته مع أنه كان لا يجترىء عليه، فكان يَروز أحوالَه ليتمكَّن من مراده فيه. والمعنى: إذا رميتَه بحصاةٍ وهو نائمٌ وجدتَه ينتبه انتباهَ مَنْ سمِعَ بوقعتها هدَّةً عظيمة، فيطْمُرُ طُمُورَ الأخْيَل، وهو الشِّقِرّاق. وانتصاب «طمورَ» بما دلّ عليه قولُه «فزِعًا لوقعتِها»، كأنّه رأيتَه يَطْمُرُ طُمُوره؛ لأنَّ الخائف المتيقِّظ يفعل ذلك. والطُّمور: الوَثْب؛ ومنه قيل فَرَسٌ طِمِرٌّ، أي وثّابٌ. وذكر أبو العباس أن الطِمِرَّ في وصف الفَرَس هو المُشْرِف، ومنه قيل للموضع العالي: طَمَارِ. وفزِعًا انتصابه على الحال، وجواب إذا قولُه رأيتَهُ. وقال بعضُهم: الأخْيَل: الشاهِينُ. ومنه قيل تَخَيَّلَ الرَّجل، إذا جَبُن عند القتال فلم يثْبت. والتَّخَيُّل: المُضِيُّ والسُّرْعَةُ والتلوُّن.

٧ ـ وإذا يَـهُـبُّ مِـن الـمَـنَـامِ رأيـتَـهُ كَـرُتُـوبِ كَـعْـبِ الـسَّـاقِ لَيْـسَ بِـزُمَّـلِ

أصلُ هَبَّ تحرّكَ واضطرب، ثم قيل: هَبَّ من نَوْمِهِ هَبًّا، وهَبَّتِ الريح هُبُوبًا، وهَبَّتِ النّاقة في سيرها هِبَابًا، وهَبَّ التَّيْسُ هَبيبًا. وأهْبَبْتُ السّيفَ: هَزَزْتُه. يقول: إذا استيقَظَ هذا الرجُل من منامه انتصب في مضجعه سريعًا كانتصاب كَعب السَّاق في الساق، وهو ليس بضعيفٍ. وإنّما يعني شهامَتَه وتشمُّرَه في تلك الحالة. وكَعْبُ الساق مُنْتَصِبٌ أبَدًا في موضعه، فلذلك شَبَّهَهُ به. والرَّاتب: القائم، ومنه المراتب. وتحقيق الكلام: وإذا يَهُبُّ رأيت رُتُوبَه كَرُتُوبِ كَعْب الساق، لكنَّه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهذا التَّشبيه يجري مجرى التصوير. والزُّمَّل والزُّمَّال والزُّمَّيْلَة، كلّه الضَّعيف، واشتقاقه من التلفُّفِ كأنّه متساقِطٌ لا مُتَشَمِّرٌ مُتَجرِّدٌ.

٨ ـ مـا إنْ يَـمَـسُّ الأرْضَ إلّا جـانِـبٌ منه وحَرْفُ الساق طَيَّ المِحْمَلِ[١]

إنْ، زيد لتوكيد النفي، ويبطُل عمل «ما» بانضمامه إليه في لغة من يُعْمِله. وانتصب طيَّ على المصدر مما دَلّ عليه ما قبله، لأنّه لما قال، ما يمسُّ الأرضَ منه إذا نامَ إلا جانِبُه وحَرْفُ السَّاقِ، عُلِمَ منه أنّ الرَّجل مَطْوِيٌّ غير سَمِينٍ، وهَضِيم الكَشْحِ غير ثقيل. والمعنى أنّه إذا نام لا يتبسّط على الأرْضِ ولا يتمكّن منها بأعضائه كلها، فِعْل من يُرْخِيه نومُه ويَتمكّن منه، حتّى لا يكاد يتجمّع ويتشمّر عند الانتباه إلا بعد مزاولةٍ وتهيُّؤٍ يُعْمِلُه في كلّ عضو. وهذا من أبياتِ كتاب سيبويه[٢]. واحتجّ به بقوله «طيَّ المَحملِ». وأراد بالمِحمل حمائل السَّيف، وهذا كما يُقال: هو كالجديل، وكالزِّمام. والمِحملُ والحِمالةُ بمعنًى.

(١) عند التبريزي: «إلا منكبٌ».
(٢) انظر الكتاب: ١: ١٨٠.

٩ ـ وإذا رَمَيْتَ بِهِ الفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي غَوارِبَهَا هُوِيَّ الأَجْدَلِ

قال الخليل: الفَجُّ: الطَّريق الواسع في قَبَل جَبَلٍ ونَحْوِهِ، والجَميعُ الفِجَاجُ. وغارِبُ كلِّ شيءٍ: أعلاهُ، ومنه غارِبُ البعير. والشَّاعرُ يحكي في هذا أيضًا عنه ما رآه منه عند استصحابه له، فيقول: إذا وجَّهْتَه في طُرُق الجبل رأيتَه يَقْصِدُ عَاليَها قَصْدَ الصَّقْرِ. والهُوِيّ بضم الهاء، هو القَصْدُ إلى أعْلَى، وبفتح الهاء القَصْدُ إلى أسفل. على ذلك قولُه: [الوافر]

هَوِيَّ الدَّلْوِ أسْلَمَه الرِّشَاءُ(١)

ولا تَخْتَرْ في رواية البيت على الضَّمّ. وأُنشِد فيه قوله: [الوافر]

كأنَّ هُوِيَّهَا خَفَقَانُ ريحٍ خَرِيقٍ بينَ أعْلَامٍ طِوَالِ(٢)

ويُروى: «مخارِمَها» والمخارِمُ: جمْع المَخرِم؛ وهو منقطَعُ أنفِ الجبل. والخَرْمُ: أنف الجبل، وجَمْعُه خُرُومٌ. ومن فصيح كلامِهِمْ: «هذه يَمينٌ طَلعتْ في المخارِمِ»، وهي التي تَجعل لصاحِبِها منها مَخْرَجًا. والأجْدَلُ، مِن جَدَل الخَلْقِ.

١٠ ـ وإذا نَظَرْتَ إلى أَسِرَّةِ وجْهِهِ بَرَقَتْ كَبَرْقِ العارِضِ المُتَهَلِّلِ

الخطوط التي في الجبهة الأغلب عليها سِرَارٌ ويجمع على الأسِرّة، والتي في الكفّ الأغلبُ عليها سِرَرٌ وسِرٌّ ويُجمع على الأسرار. قال: [السريع]

أنظُرْ إلى كَفٍّ وأسرارِها هَلْ أنتَ إن أوعدْتَنِي ضَائري(٣)

وقد قيل: الأسِرّة: الطرائق. يقول: إذا نظرْتَ في وجه هذا الرّجل رأيتَ أساريرَ وجهه تبرُق وتُشرِق إشراقَ السَّحابِ المتشقِّق بالبَرْقِ. يصفُه بحُسْن البِشْر وتَطلُّق الوجهِ في كلِّ حال. والعَارِضُ: ما يعرض في جانبٍ من السماءِ من السَّحاب. وعلى ذلك العارضُ في الأسنان، ولهذا قيل العارضان لما يبدو من جانبيها. ويقال: تهلَّلَ الرجل فَرَحًا، واهتلّ، إذا افترَّ عن أسنانه في التبسُّم(٤).

---

(١) البيت لزهير في ديوانه ص ٦٧، وعجزه في شرح التبريزي ١: ٧٠ وصدره:
«فشجَّ بها الأماعز وهي تهوي»

(٢) البيت للأعلم الهذلي في لسان العرب (خرق).

(٣) البيت للأعشى في ديوانه ص ١٠٧، واللسان (سرر)، وصدر البيت فقط عند التبريزي ١: ٧١.

(٤) في شرح التبريزي بيتان زيادة على العشرة:
«١١ ـ صعبُ الكريهةِ لا يُرامُ جنابُهُ ماضي العزيمةِ كالحسامِ المِقْصَلِ =

١٣ ـ قال آخر، ويقال إنها لتأبَّطَ شَرًّا[1]: [الطويل]

١ ـ إنّي لَمُهْدٍ من ثَنَائي فَقَاصِدٌ ... به لابنِ عَمّ الصِّدْقِ شمْسِ بن مالِكِ

لا يُقال في الهديّة إلّا أهديتُ. ويُقال في العَروس: هَدَيْتُها وأهديْتُها جميعًا. والأصل واحد، لأنَّ المعنى على القَصْدِ والدّلالة، فيقول: إني أمدح ابنَ عمّي الكريمَ الصادقَ في الودّ شَمس بن مالك، بما أقْصِدُ به راغِبًا، وأُنفِذُهُ إليه مُتْحِفًا. والمعنى: إنّي في غيبتي منه وحضوري له، مولَعٌ بالثناءِ عليه، فلا أُخْلِيهِ من المَدْحِ في الحالتين جميعًا. واللامُ في قوله: «لابن عمّ الصدق» يجوز أن يتعلّق بمُهْدٍ، يقال: أهديتُ له كذا، وعلى هذا تكون أعْمَلْتَ الفِعْلَ الأوّل، وما أهْدَاه يكون محذوفًا لعِلْم السامع بأنه يُريدُ شِعْرَهُ وتقريظَهُ. وكان الأجْوَدُ أن يقال فقاصِدٌ إيّاهُ به، ويجوز أن يكون على قَوْلِ من يزيد «مِنْ» في الواجب أن يكون قوله ثنائي مفعولَ مُهدٍ، فيكون أهْدَاهُ مذكورًا. ويجوز أن يتعلّق اللام بقولِهِ فقصادٌ، يقال: قَصَدْتُه بكذا وقصَدْتُ له به. وعلى هذا تكون قد أعْمَلْتَ الفِعْلَ الثاني، وهو المختار إذا جَمَعْتَ بين فعلين عند أصحابنا البصْريّين، ويُقال: هذا ثوبُ صِدْقٍ وأخو صِدْق، وُضِع الصِّدْقُ موضع الفَضْلِ والصَّلَاح. والتّسمية بالشّمسِ كالتسمية بالبَدْرِ والهِلَال. وذكر بعضُ المتأخّرين أنه يُروى «شُمْسِ بن مَالك» بضمّ الشين، قال: ويكون هذا في أنّه عَلَمٌ لهذا الرجل فقط، كَحَجَرٍ في أنّه عَلَم أبي أوسِ الشاعِر، وأبي سُلْمَى في أنه عَلَم أبي زهير الشاعر، والأعْلَام لا مضايقة فيها.

٢ ـ أَهُزُّ بِهِ في نَدْوَةِ الحَيِّ عِطْفَهُ ... كَمَا هَزَّ عِطْفِي بالهِجَانِ الأوَارِكِ

عِطْفُ كلّ شيءٍ: جانِبُه. ويقال: ثَنَى عِطْفَهُ، إذا أعْرَضَ وجَفَا. وكأنّ القَوْسَ والرِّداءَ سُمِّيَا عِطَافًا لاشتمالِهما عند التوشّح بهما على العِطْف. يقول: أُحَرِّكُ بالثّناء جانبَهُ كما حَرّك جانبي بعطيّته، أي أسُرُّهُ بذلك حتّى يرتاح ويطرب كما سَرّني حتّى اهتززت. والهِجَان: الإبل البيض الكرام. والأوَارِك: التي رَعَتِ الأرَاكَ، يُقَالُ أَرَكَتِ الإبل فهي أرِكَةٌ. وقال ابن السكّيت: الأوارك التي تَرْعَى الأرْك، وهو نَبْتٌ. والنَّدْوَةُ أصلُه الجَمْع، ويقال: نَدَاهُم النّادي، أي جَمَعَهم.

= ١٢ ـ يحمي الصحابَ إذا تكون عظيمةٌ ... وإذا هُمُ نزلوا فمأوى العُيَّلِ»
ذكر التبريزي خبر هذه الأبيات مفصلاً.

(١) في شرح التبريزي: «وقال تأبّط شرًا».

وانْتَدَى القوْمُ وتنادَوا، إذا تجمَّعوا، ومنه دار النَّدْوةِ. والنَّدِيّ: المجلس، والجميع أَنْدِيةٌ. ويقع لفظُ هجَانٍ للواحد والجمع، يقال: ناقَةٌ هِجَانٌ ونُوقٌ هِجَانٌ، ومثله دِرْعٌ دِلَاصٌ، ودروعٌ دِلَاصٌ، وذلك لأنّ فِعَالًا وفَعِيلًا يتشاركانِ كثيرًا، وكما جُمِعَ فَعِيلٌ فِعَالًا كذلك جُمِعَ فِعَالٌ فِعالًا. ألا تَرَى أنَّ العدد والوزنَ فيهما واحِدٌ وحرف المدِّ من كل واحدٍ بإزاء ما في الآخَر؟ فإذا كان كذلك حُمِل عليه، إلّا أنّ فِعالًا إذا كان جَمْعًا يُنْوَى بحركاته وأَلِفه أنّها حركات بنائه وهو جَمْعٌ لا واحِد، كأنّ الكسرةَ في أوّلِهِ الكسرةُ التي في أول ظِرافٍ وكِرَامٍ، لا الكسرة التي في أولِ حِمَارٍ وإزارٍ، وكذلك أَلِفُهُ فاعلَمْه.

٣ ـ قَليلُ التشكّي للمُهِمّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الهَوَى شَتَّى النَّوَى والمسالِكِ

المُهِمّ يجوز أن يكون من الْهَمّ الذي هو الحزْن، ويجوز أن يكونَ من الهَمّ الذي هو القَصْد. يَقُولُ: هو صَبُورٌ على النوائب والعِلّات، لا يكادُ يتألّم مما يَعْرُوه من المهمّاتِ. واستعمل لفظ القليلِ والقَصْدُ إلى نَفْي الكُلّ، وهذا كما يقالُ فُلَانٌ قَلِيلُ الاكتراث بوعيدِ فُلَانٍ، والمعنى: لا يكترث. وعلى ذلك قولُهم: قَلّ رجُلٌ يقولُ كذا، وأقلّ رجُلٍ يقول كذا. والمعنى معنى النفي، وليس يرادُ به إثباتُ قليلٍ من كثير. فإن قيل: من أين ساغ أن يُستعملَ لفظُ القليلِ وهو للإثبات في النفي؟ قلت: إنّ القليل من الشيءِ في الأكثرِ يكون في حكم ما لا يُعتَدُّ به ولا يُعرَّجُ عليه، لدخولِه بخفةِ قدْرِه في مَلَكَةِ الفناء، والدُّروس والامْحاء، فلما كان كذلك استُعمل لفظه في النفي على ما في ظاهرهِ من الإثباتِ محترزين من الردّ، ومُجْملين في القوْلِ، وليكونَ كالتعريضِ الذي أثَرُه أبلَغ وأنكَى من التصريح. وقولُه: «كثيرُ الهوَى» طابَقَ القليلَ بقوله كثيرٌ، من حيث اللفظ لا أنّه أثبت بالأوّلِ شيئًا نَزْرًا فقابلَه بكثير. والمعنى أنّه كثيرُ الهمّ مختلفُ الوجه والطرُقِ، لا يوقَف منه على مَدَى غَوْرِه في الأمور، ولا يَقِف به أَمَلُه على فَنّ لا يتجاوزه إلى الفنون. ويريدُ بالهوى الجِنْس وكذلك النوَى، وهي وِجْهَتُه التي ينويها. ومثله قول الآخَر: [الوافر]

شديدُ مجامعِ الكتفين باقٍ عَلَى الحدثانِ مختلِفُ الشُّؤون[1]

---

(١) البيت بأكمله في شرح التبريزي ١: ٧٤.

٤ - يَظَلُّ بِمَوْماةٍ ويُمْسِي بغيرِها جَحِيشًا ويَعْرَوْرِي ظُهورَ المَهالِكِ

المَوْماةُ: المَفازة، ووزنه فَعْلَلَةٌ، وجمعها موامٍ. وإنما قال «يُمْسِي بغيرها» ولم يقُل يَبيت، لأنّ قصدَهُ إلى أن يصفَهُ بأنه يقطَع في بياض نهاره مَفازةً، ولو قال يبيت لم يتبين منه ذلك. فيقول: يقطع المفاوِزَ لاكتساب المكارم، فتَراهُ يكون نَهارَه بمفازةٍ فإذا أتى عليه المَساء تجده في أخرى فريدًا وحيدًا - ويقال: حَلَّ فُلانٌ جحيشًا، أي منفردًا - ويركَبُ ظهور المَهالك والمعاطب غير مستصحبٍ رفيقًا، ولا مستجمعٍ سلاحًا. وهذا كما يقال: اعروريتُ الفرسَ، إذا ركبتَه عُرْيًا. وكانت طباعُهم أنَّ من كَدَّ نفسَه وابتذلَها، وتوَحَّشَ في المهالك ولَزِمَها، وتعرّض للمعاطبِ ولم يتوقَّها، كان ذلك أدعَى إلى ما يُنَوِّهُ به ويميِّزه عن رِجالِ جِنسِه. وانتصب «جحيشًا» على الحال، وقولُها بغيرها لا يجوز أن يكون مستَقَرًا فاعلمْه.

٥ - ويَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ من حيثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ من شَدِّهِ المتدارِكِ

قوله «من حيث ينتحي» يجوز أن يكون للممدوح، ويجوز أن يكون لوفْد الرِّيح، لأنّ المراد أنّه يسبقُه وإن أعطاهُ مُهْلَةً. ومعنى ينتحي: يَقْصِد. والشاعر إنّما يصف خفّتَهُ وتشَمُّرَهُ وجِدَّهُ وتيقُّظه، فيقولُ: من حيث اعتَمَد في السَّير جاء سابقًا للريحِ بعَدْوٍ له واسعٍ من عَدْوِه. المتدارك: المتتابع. وجَعَل العَدْوَ منخرِقًا لاتّساعه. والمتدارِك. المتلاحِق. ويقال: أَدْرَكَ فلانٌ عِدّةً من أصحابه، أي لَحِقَهُم وشاهَدَ أيامَهُم. وأخذ أبو تمّامٍ هذا فزاد عليه وإن كان في لفظه ركاكة، فقال: [الوافر]

فَمَرَّ ولو يجارِي الريحَ خِيلَتْ لديْهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ في القُيُودِ

٦ - إذَا خَاط عينيهِ كَرَى النَّوْمِ لم يَزَلْ له كَالِىءٌ من قَلْبِ شَيْحَانَ فاتِكِ(١)

الكَرَى: النوم الخفيف، وكأنه مأخوذ من كَرَيْتُ، إذا عَدَوْت عَدْوًا شديدًا. فقوله: «خاط عينيه» يريد مَرَّ فيه، وليس يريد التمكُّن منه حتى يَجعلَ أجفانه كالمَخيطة. ومنه قَوْلُه: [الكامل]

حَتّى تُخَيِّط بالبياضِ قُروني(٢)

(١) في شرح التبريزي «إذا حاص».
(٢) البيت لبدر بن عامر الهذلي في اللسان (خيط)، وعجز البيت فقط بلا نسبة في شرح التبريزي ١ : ٧٥، وصدره:

«تـالله لا أنـسـى مـنـيـحـة واحـد»

وأضافَ الكَرَى إلى النَّوم كما يُضاف البعض إلى الجِنْس، كأنّ النوم لِجنس الفِعْل، والكَرَى لِما كانَ على جهةٍ مخصوصةٍ. يقول: إذا نامَ النَّوْمَةَ التي أشارَ إليها لم يَزَلْ له رقيبٌ وحافِظٌ من قَلْبِ رَجُلٍ جَادٍّ في الأمور، مفاجىء عِرّيضٍ، وهذا الرَّجُل هُوَ هُوَ، كأنه يريد إذا نام عينُه لا ينامُ قلبُه. والشَّيْحَانُ والشَّائحُ والشِّيحُ: الحذِر الحازِم. قال الهُذليّ: [الطويل]

وشـايَـحْـتَ قَـبْـلَ الـيَـوْمِ أنّـكَ شِـيـحُ[١]

والفاتِكُ: الذي يفاجىء غيره بمكروهٍ أو قَتْلٍ. وفي الحديث: «الإيمانُ قَيَّدَ الفَتْكَ»[٢]. وقال الدُّرَيْدِي: هو الذي إذا هَمَّ بالشيءِ فَعَلَ.

٧ ـ ويَـجْـعَـلُ عـيـنـيـهِ رَبِـيـئَةَ قَـلْـبِـهِ إِلَى سَـلَّةٍ مـن حَـدِّ أَخْـلَقَ بَـاتِـكِ[٣]

يُرْوَى:

إذا طَـلَعَـتْ أولَى الـعَـدِيِّ فَـنَـفْـرُهُ إلـى سَـلَّةٍ ....

وهي أَسْلَم الروايتين. والعَدِيُّ: الرَّجَّالة الذين يَغْدُون قُدَّام الخيل. وهو اسم صِيغ للجَمْع، كالكَلِيب والضَّئِين. وعلى الرواية الأولى يقول: لا يَغْفُلُ قَلْبُه عن التحفُّظ، وعينُه دَيْذَبَانُهُ إلى سَلِّ سيفه. فإنْ قيل: كيف يكون العَيْنُ دَيذَبان القلب، وهذا يقول إذا نام بعينه لم يَنَمْ بقلبه، أم كيف تَصِحّ هذه الرواية وفيها يتكرّر معنًى واحدٌ في مصراعَي البيتين، وهل الواجب في هذا إلّا أن يقال إنّ القلبَ هو دَيذبان العين، لأنّ العين نائمةٌ والقلب منتبِهٌ؟ قلتَ: إنه وصَفَ حالتين، بالمتقدِّم صِفةُ حال النوم، والثاني هو صفةُ حال اليقظة والمعنى أنّ العين رقيب القلب، والمنتظر لإظهار ما يكرَهُهُ وتغييرِه، فإذا كره القلبُ شيئًا كان العينُ صاحبَه الذي يُظهره، فهو ربيئتُه إلى نَزْعِ السَّيْفِ وتجريدِه، وإنكارِه ما أنكره وتغييره. والأَخْلَقُ: الأَمْلَس. والباتِكُ: القاطع. وقوله «إلى سلةٍ» يجوز أن يكون إلى بمعنى مع، كما تقول هذا إلى ذاك، أي

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ص ١١٦، واللسان (شيح)، وعجز البيت بلا نسبة في شرح التبريزي ١: ٧٥، وصدره:

«بدرت إلى أولاهم فسبقتهم»

(٢) رواه أحمد في مسنده ١: ١٦٧ هكذا: «الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمنٌ»، وورد في المعجم الكبير للطبراني ١٩: ٣١٩، وفي مستدرك الحاكم ٤: ٣٥٢، وشرح السنة للبغوي ١١: ٤٥.

(٣) رواية التبريزي: «أخلقَ صائك».

مع ذاك، ويجوز أن يكون المعنى أنّها ربيئته إلى أن يستلّ سيفَه، وبعد ذلك فالعمَلُ للقلب، ويكونُ إلى للانتهاء. وقوله: «من حَدٍّ أخلَقَ» فيه تَوَسُّع، لأن السَّيف يُسْتَلّ من الغِمْدِ فيصير مسلولًا. ألا تَرَى قولَه: [الطويل]

إذا سُلَّ مِـن جَـفْـنٍ تـأكّـلَ أثْـرُهُ   على مثلِ مِصحاةِ اللُّجَيْنِ تأكُّلا[1]

وهذا جعَل الجفنَ مسلولًا والسيف مسلولًا منه. ألا ترى قولَه: «إلى سَلَّةٍ من حَدٍّ أَخلَقَ»، فهو في ذلك كقولِهم: أدخلتُ الخُفَّ في رِجْلي، والقَلَنْسُوَة في رأسي.

٨ ـ إِذَا هَـزَّهُ فـي عَـظْـمِ قِـرْنٍ تَـهَـلَّلَتْ   نـواجِـذُ أَفـواهِ الـمَـنَـايـا الـضـواحِـكِ

مثله قول الآخر: [الطويل]

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إذا سُلَّ أَوْ مَضَتْ   إليه تنايا الموتِ من كلِّ مَرْقَبِ

وإن كان هذا وصَفَ السيفَ وقوّةَ صاحبه في الضرب. والمعنى أنه مَتَى حرَّكَه في الضريبة ضَحِك الموت عِلمًا بظفره بالمضروب. وذِكْرُ التهلُّلِ والناجذِ مَثَلٌ وتصويرٌ للمراد. وقوله «المنايا الضَّواحك»: أي التي من شأنها أن تَضحك عند الظفر بمطلوبها، وإنما قال «في عَظم قِرن» إيذانًا بأنّه لا يتعرّض له إلا من يقارنه بأسًا وشدّة، وكذلك هو لا يُعمل هذا السيفَ إلا في عَظم من يقارنه حَزمًا ونَجدةً. ونسبةُ التهلل إلى النواجذ مجاز وسَعَةٌ، وهذا كما يقال سُرَّ فلانٌ بكذا حتى صار لكل سِنٍّ له ضَحِكٌ، وقد سُمِّيَتْ ما يبدو من الأسنان عند الضحِك الضواحِك.

٩ ـ يَرَى ٱلْوحْشَةَ الأُنْسَ الأَنيسَ وَيَهْتَدِي   بحيثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُجُومِ الشَّوابِكِ

قوله: «يرى الوحشةَ الأنسَ» أي ذلك مذهبُه. وهذا كما يقال: هو يَرَى رأْيَ أبي حنيفة، أي يذهب مَذْهبَه. فيقول: أُنسُ هذا الرَّجُل التامّ في التفرُّدِ الذي يعُدُّه غيرُه وَحشةً، وإتباعه الأنسَ الأنيس تأكيدٌ وإظهارٌ للمبالغة. وهذا كما قيل: ظِلٌّ ظليلٌ، وداهيةٌ دَهْيَاءُ. وهم يَبنون من لفظ الشيءِ ما يُتْبعونه به طريق التأكيد. وقوله: «يهتدي بحيث اهتَدَتْ» يصِفُ عِلمَه بِالطُّرُق واستغناءَه عن الدليل. وقد قيل في «أُمّ النجومِ» إنه الشمس، وقيل هو المَجَرّة. والمعنى أنه يهتدي بحيث تهتدي الشمسُ.

---

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص ٢٠، وفي اللسان (صحا)، وبلا نسبة في شرح التبريزي ١: ٧٦.

ويُسمّى مُعظم الشيء أُمّه، والشمسُ أعظمُ الكواكب. ويسمّى جامع الأشياء أُمّها، يُعنَى أنها تأوي إليه. والشَّوابك: المشتبكة. وإذا جعلت أُمّ النجومِ المَجَرّة فيجوز أن يكون المعنى أنه يهتدي بالكواكب التي تجمعها، فجعَل الفِعْل لها لاجتماعها فيها، ويجوز أن يكون المعنى أنه يستغنى عن الدليل كما تستغني تلك.

١٤ ـ قال بعض بني قَيس بن ثَعْلَبَةَ، ويقال إنها لبَشَامَةَ بن جَزْءٍ(١) النَهْشَلي: [البسيط]

١ ـ إنّـا مُـحَـيُّـوكِ يـا سَـلْمَـى فَـحَـيِّـيـنَـا وإن سَـقَـيْـتِ كِـرَامَ الـنـاسِ فـاسْـقِـيـنـا

يقول: إنّا مُسَلِّمون عَلَيْكِ أيَّتها المرأة فقابلينا بمثْلِه، وإن خَدَمْتِ الكرامَ وسَقَيْتِهِمْ فَأَجْرِينا مُجْرَاهُم فإنّا منهم. والأصل في التحية أن يقالَ حَيَّاكَ الله، ثم اسْتُعْمِلَ في غيرِهِ من الدُّعاء عند اللِّقاء. وأما قولُه: [الكامل]

ولَكُـلُّ مـا نـالَ الـفَـتَـى قـد نِـلْـتُـهُ إلا الـتَّـحِـيَّـهْ(٢)

فالمراد به تحيّة المُلُوكِ خَاصَّةً، وهو قولُهم: أبَيْتَ اللَّعْنَ! وقيل في سَقَيْت إنَّ معناهُ: إن دَعَوْتِ لأماثِلِ الناس بالسُّقْيَا فادْعِي لنا أيْضًا. والأشْهَرُ في الدُّعاءِ أن يُقال فيه سقَّيْتُ فُلَانًا فيُثَقِّل، والحجة في التخفيف قول أبي ذؤيب: [المتقارب]

سَـقَـيْـت بــه دارَهــا إذ نــأت وصـدَّقت الـخَـالَ فـيه الأنُوحا(٣)

وعلى هذا يكونُ في الكلام إضمارٌ، كأنه قال: وإن سَقَيْته بظَهْرِ الغَيْبِ الكِرَامَ بالدُّعاء عند ذِكْرهم فافعلي بنا مِثْلَهُ، وقُولِي سَقَاكم الله. وقد فَصَل بعضُهم بين سَقَيْتُ وأسْقَيْت بأن قال: أسقيتُهُ: جَعَلْتُ له سُقْيَا يَفعل بها ما شاء، وسقَيته: أعطيته ماءً لفيه. ومثلُه كَسَوْتُهُ وأكْسَيْتُهُ، لأن معنى كَسَوْتُهُ ألبَسْتُهُ، وأكْسَيْتُه جعَلْتُ لَهُ كِسْوَةً، وبعضُهم يجعلهما سواءً، ويحتجُ ببيت لبيد: [الوافر]

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وأَسْقَى نُـمَـيْـرًا والـقـبـائـلَ من هِـلَالِ(٤)

---

(١) عند التبريزي «لبشامة بن حَزن»، ونسب ابن قتيبة الأبيات في الشعر والشعراء ص ٦٢٠ إلى نهشل بن حري، وفي عيون الأخبار ١: ١٩٠ إلى بشامة.
(٢) لزهير بن جناب الكلبي في الأغاني ١٨: ٣٠٧، والشعر والشعراء ١٣٠، واللسان (بجل، حيا).
(٣) البيت له في اللسان (أ ن ح)، والتبريزي ١: ٧٨.
(٤) البيت في اللسان (سقى)، وديوانه ١٢٧، والتبريزي ١: ٧٨.

وإذا فُصِلَ بينهما في البيت لم يختلّ به لفظًا ولا معنًى، كما أنه إذا سُوِّيَ بينهما لم يختلّ معنًى ولا لفظًا، فكأنه لا حُجَّة فيه لواحدٍ من القَوْلَيْنِ. والقَصْدُ في الدعاءِ بالسُّقْيَا إلى أن يُمهدَّ اللهُ المدعُوَّ له بما يزيد في نمائِه ونَضارته. ألا تَرَى الآخَرَ قال لما دَعا على ما تَسَخَّطَهُ: [البسيط]

إذا سَقَى اللهُ أرضًا صَوْبَ غادِيَةٍ فلا سَقَاهُنَّ إلا النارَ تَضْطَرِمُ[١]

فذكر ما يُحرِق ويَستأصِل.

٢ ـ وإنْ دَعَـوْتِ إلى جُـلَّى ومَـكْـرُمَـةٍ يـوْمًـا سَرَاةَ كِـرَامِ الـنَّـاسِ فـادْعِـيـنَـا

جُلَّى فُعْلَى، أجراها مجرى الأسماء ويُرادُ بها جليلةٌ. كما يُرادُ بأفْعَلَ فاعِلٌ وفعيلٌ، نحو قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ [الرُّوم: الآية ٢٧]، أي هَيِّن؛ وكما قال: [الطويل]

فـتـلكَ سَـبِـيـلٌ لَسْـتُ فـيـهـا بـأوْحَـدِ[٢]

أي بواحدٍ؛ وكقولك: الله أكبر، تريدُ كبير. يقول: إنّ أشَدْتِ بذكر خيار الناس بجليلةٍ نابَتْ، أو مَكْرُمَةٍ عَرَضَتْ وسَنَحَتْ، فأشيدي بذكرنا أيضًا. وهذا الكلام ظاهره استعطافٌ لها، والقصدُ به التوصُّلُ إلى بيانِ شرفه واستحقاقِه ما يستحقُّه الأفاضل الأشراف، والأماثل الكرام. ولا سَقْيَ ثَمَّ ولا تحيَّةَ ولا دُعاءَ ولا مَغاثَة. ألا ترى كيف اشتغل بمقصوده مِن الافتخار فيما يتلو هذا البيت. وهم كما يتخلصون من التّشبيبات وغيرِها إلى أغراضهم على اختلافها فإنهم قد يتوصَّلون بمبادىء كلامهم إلى أمثالها، فتقلّ المؤونة، وتخفّ الكُلْفة. ولهذا نظائرُ وأشباهٌ تجيء فيما بعد. والسَّرَاة في الناس، والشَّراة بالشين معجمةً في المال والخيْلِ. وفي حديث أُمّ زرع: «فنَكَحْتُ بعدَهُ رَجُلًا سَرِيًا، رَكِبَ شَرِيًا، وأخذ خَطِّيًا، وأرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًا»[٣]. والجُلَّى بالألف واللام: تأنيث الأجَلّ، كما يقال الأكبر والكُبرى، وكما قيل السَّبْعُ الطُّوَل جمع الطُّولَى. ولا يُحذف الألفُ واللام منه حينئذٍ، لأنَّ أصْلَه يكونُ أفعَلَ الذي يَتمُّ بمِنْ. ويقال لكلّ ما عَلَا شيئًا: جَلَّلَهُ، ومنه الجَلَالة.

---

(١) لزياد بن منقذ في تاج العروس (نقم)، ومعجم البلدان (نقم).

(٢) للإمام الشافعي في ملحق ديوانه ١٥٩، وتاج العروس (وحد)، وللإمام علي في ديوانه ٦٧، ولطرفة بن العبد في بهجة المجالس ٢: ٧٤٦. وصدره:

«تـمـنّـى أنـاسٌ أن أمـوتَ وإن أمـتْ»

(٣) انظر حديث أم زرع عند السيوطي في المزهر ٢: ٥٣٢.

٣ ـ إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لا نَدَّعِي لِأَبٍ عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالأَبْنَاءِ يَشْرِينَا[١]

نَدَّعِي: نَفْتَعِلُ من الدَّعْوَةِ. وقوله «عنه» تَعَلَّقَ به. ويقال: ادَّعى فلانٌ في بني هاشِم، إذا انتسبَ إليهم؛ وادّعى عَنهم، إذا عَدَل بنسبِهِ عنهم. وهذا كما يقال: رَغِبْتُ في كَذَا ورَغِبْتُ عن كذا. وقوله: «لأبٍ» أي من أجلِ أَبٍ ولمكان أَبٍ. وانتصاب «بني» على إضمارِ فِعل، كأنه قال: أَذْكر بني نَهْشَل، وهذا على الاختصاص والمَدْح. وخبر إنّ «لا نَدَّعِي». ولو رَفَعَ فقال: بنو نَهْشَلٍ، على أن يكون خبر إنّ لكان لا نَدَّعِي في موضِع الحَال. والفَصْل بين أن يكونَ اختصاصًا وبين أن يكون خَبَرًا صُرَاحًا: هو أنّه لو جَعَلَهُ خَبرًا لَكَانَ قَصدُه إلى تعريف نفسِه عند المخاطَبِ، وكان لا يَخْلُو فِعْلُهُ لِذلك من خُمُولٍ فيهم، أو جَهْلٍ من المخاطَبِ بشأنهم. فإذا جُعِل اختصاصًا فقد أَمِنَ هو الأمرين جميعًا. فقال مفتخرًا: إنَّا نَذْكر من لا يخفى شأنُه، لا نَفْعَلُ كذا وكذا. وإنَّما قُلتُ خبرًا صُرَاحًا، لأنَّ لفظ الخَبَرَ قد يُستعار لمعنى الاختصاص، لكنه يُسْتَدَلُّ على المُرَادِ منه بقرائنِه؛ على هذا قولُه: [الرجز]

أَنَا أَبُو النَّجْم وشِعْرِي شِعْرِي[٢]

ومعنى البيت: إنا لا نَرْغَبُ عن أبينا فننتَسِبَ إلى غيره، وهو لا يَرْغَبُ عنا فيتبنّى غيرَنا ويبيعَنا به، لأنه قد رَضِيَ كلٌّ منا بصاحبه، عِلْمًا بأن الاختيار لا يَعْدُوه لو خُيِّرَ فاختار. ويقال: شَرَيْتُ الشيءَ بمعنى بِعْتُهُ واشتريته جميعًا، ومنه الشَّرْوَى، وهو المِثْلُ.

٤ ـ إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَوابِقَ مِنَّا والمُصَلِّينا

يقال: بادَرْتُهُ مكان كذا وكذا، وإلى مكانِ كذا. قال:

فَبَادَرَهَا ولَجَاتِ الخَمَرْ

وكذلك يقال: ابتدَرنَا الغَايَةَ وإلى الغَايَةِ. وقولُه: «لمكرمةٍ» أي لاكتسابِ مكرمةٍ. ويجوز أن يكون اللامُ مُضيفةً للغاية إلى المَكْرُمَةِ، كأنّه يريدُ تَسَابُقَهُم إلى

---

(١) عند التبريزي: «إن كان الشعر للقيسي فالرواية (إنّا بني مالك)».

(٢) الرجز لأبي النجم الراجز، الفضل بن قدامة العجلي: من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشادًا للشعر، نبغ في العصر الأموي (ت ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م). ترجمته في معاهد التنصيص ١: ١٨، والأغاني طبعة الدار ١٠: ١٥٠، والشعر والشعراء ٢٣٢.

أقصاها. يَقُولُ: إن تُستَبَق نهايَةُ مَجْدٍ أو غايَةُ مكرمةٍ تَرَ السابقينَ مِنّا والتّالِينَ أيضًا مِنّا. وإنّما قال «المصَلّين» ولم يقل المُصَلّيات مَعَ السَّوابق، لأنّ قَصْده إلى الآدميّين، وإن كان استعارَهُما من صفات الخيل. ويجوز أن يكون أخرجَ السابقَ لانقطاعِه عن الموصوف في أكثر الأحوالِ، ولنيابته عن المُجَلّي وهو اسم الأوّل منها إلى بابِ الأسماء فَجمَعه على السّوابق، كما يقال كاهِلٌ وكواهلُ، وغاربٌ وغواربُ. والمُصَلّي هو الذي يتلو السابق فيكون رَأسُه عند صَلاهُ. والصَّلَوانِ: العظمان الناتئان من جانبي العَجز. وقال الدُّرَيدي: هو العظم الذي فيه مَغْرِز عَجْبِ الذَّنَب. وقال بعض أهل اللغة: هما عِرْقان في موضع الرّدفِ.

٥ ـ وليسَ يَهلِكُ مِنّا سَيِّدٌ أبَدًا إلّا افتَلَينا غُلامًا سَيِّدًا فينا

نَبّه بهذا الكلام على أنّ مَن يستحق السيادة فيهم يكثُر ولا يقلّ، فمتى دَرَجَ منهم رئيسٌ ترشّح لسدّ مكانِهِ واحدٌ. وهذا مثلُ قولِه: [الطويل]

وإنّي من القوم الذين هُمُ هُمُ إذا مات منهم سيّدٌ قام صاحِبُه(١)

والافتلاء: الافتطام والأخذُ عن الأمر، ومنه الفَلُوّ. والمعنى هنا: التشريح والتهيئة والرفُ عما عليه إلى الرّياسة. و«أبدًا» في المستقبل بمنزلة قَطُّ في المُضِيّ. والقصدُ أنهم كلّ وقتٍ على ذلك. فلا يحتاجون إلى الاستعانة بالأجانب دون الأقارب. والأبَدُ: الدّهر، وقيل سُمّيت الوَحْشُ أوابِد لأنها تُعمَّر على الدّهرِ، حتى لا تموتُ إلا بآفة. وأن يكُون من التأبُّد التوحُّش أحسَنُ، وإن أمكن رَدُّ الكلّ إلى أصلٍ واحد.

٦ ـ إنّا لنُرخِصُ يومَ الرَّوْعِ أنفُسَنا ولَوْ نُسَامُ بها في الأَمْنِ أُغْلِينا

«أُغلينا» الألف للإطلاق، والنون ضمير الأنفُس، ومعنى أُغلينَ وُجِدَتْ غاليةً أو جُعِلَتْ غاليةً. وهو هكذا أجْوَد، وليس يُريد أنهم مع الغلاءِ يمكّنون منها، بل المرادُ قَطْعُ المَقْدُرَةِ عنها. ومثل هذا: [الوافر]

نُعَرِّضُ للسُّيوفِ بكلّ ثَغرٍ خُدُودًا لا تُعَرَّضُ للسِّبابِ(٢)

---

(١) للقيط بن زرارة في الحيوان ٣:٩٣، ولأبي الطمحان القيني في الكامل ٣٠، والوساطة ١٥٩.

(٢) البيت للقتال الكلابي في الكامل ص ٦٧، وبلا نسبة عند التبريزي ١:٨١ (إذا التقينا) بدل (بكلّ ثغر).

فيقول: نَبتذل أنفسَنا في الحروب ولا نصونُها، ولو عُرِضَ علينا إذالتُها في غيرها لامتَنَعْنا. وهذا لحِرْصِهِمْ على تخليد الذِّكر الجميل، والإبانة عن مَحَلِّ النفس في الشجاعةِ. والرُّخْصُ في السِّعر: سُهولتُه ولِينُه، وهو من قولهم فيما أظنُّ امرأةٌ رَخْصةٌ، إذا كانت ناعمةً. وقولُه: «ولو نُسامُ بها» أي نُحمَل على أن نَسُومَ بها. ويقالُ سامَ بسلعته كذا وكذا، واستامَ أيضًا، وأَغْلَى السَّوْمَ والسِّيمَةُ وأَسَمْتُهُ أنا، أي حَمَلْتُه على أن سامَ. ولا يمتنع أن يكون قولُهم: سُمْتُه خَسْفًا، أصله من ذاك وإن استُعْمِل في المكروه، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: الآية ٤٩]. وفي البيت طِباقٌ بذكر الإرخاص والإغلاء، والرَّوْع والأمن، في موضعين، وهو حسنٌ جيِّد.

٧ ـ بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا ... نَأْسُو بِأَموالِنا آثارَ أَيْدِينَا

يُروى: «بِيضٌ معارفنا»، وهي الوجوه. والمراد بذلك نَقاء العِرضِ وانتفاءُ الذَمّ والعيْب. ويقال: امرأةٌ حسنةُ المعارِف، أي الوجْهِ بما يشتمِلُ عليه، وقيل الأنفُ وما والاهُ. وقيل: الحُسْنُ في الأنف، والمَلَاحةُ في الأسنان. وواحِدُ المعارِفِ مَعْرَفٌ ومَعْرِفٌ، وكأنَّ الوجهَ سُمِّيَ بها لأنَّ معرفةَ الأجسام وتمييزها تقعُ بها. والأشهر والأحسن «بِيضٌ مفارِقُنا». ويجوز أن يكون أراد ابيضَّت مفارقنا من كثرة ما نقاسي الشدائد. وهذا كما يقال أَمْرٌ يُشِيبُ الذَّوائب. وفي القرآن: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المُزمّل: الآية ١٧]. و«تَغْلي مراجلُنا» أي حروبُنا، كقول الآخَر: [الطويل]

تَفُورُ علينا قِدْرُهُم فَنُدِيمُها ... ونَفْثَؤُهَا عَنَّا إذا حَمْيُها غَلَا[١]

ويجوز أن يكون المراد: ابيضَّت مفارقُنا لانحسار الشّعر عنها، باعتيادِنا لُبس المَغافر والبَيْض، وإدماننا إيّاه، ويكون هذا كما قال: [السريع]

قد حَصَّتِ البيضةُ رأسي فما ... أَطْعَمُ نَوْمًا غيرَ تَهْجَاعِ[٢]

(١) البيت منسوب للنابغة الجعدي في اللسان (فثأ). وبلا نسبة في التبريزي ١: ٨٢. ونفثؤها: نُسَكّن غليانها.

(٢) البيت منسوب لأبي قيس بن الأسلت في اللسان (ح ص ص)، والمفضليات ٢: ٨٤، وبلا نسبة عند التبريزي ١: ٨٢.

وتكون المراجِلُ على هذا كنايةً عن الحروب أيضًا. ويجوز أن يكون المراد: ابيضّت مفارقنا من كثرة استعمالنا للطِّيب، ويكون كقول الآخر: [الطويل]

جَلَا الأذفَرُ الأحوَى من المِسْكِ فَرْقَهُ[١]

ويكون على هذا معنى «تغلي مراجلنا» أي قدورُنا للضِّيافة، ويجوز أن يُريدَ: مَشِيبُنَا مَشِيبُ الكرام، لا مشيب اللئام. وأنشد ابن الأعرابي في نوادِرِه: [الطويل]

وشِبْتَ مَشِيبَ العَبْدِ في نُقْرَةِ القَفا وشَيْبُ كِرامِ النَّاسِ فوق المفَارِقِ[٢]

وعلى هذا يُحْمل المراجِلُ على أنّ المُراد بها قدور الضيافة. فأمّا قولُهُ: «نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا» فإنما يريد تَرَفُّعَهم عن القَوَدِ ودَفْعَ أطماع النَّاس عن مُقَاصَّتِهِم، فيداوون جراحاتِهم ببذل الأُرُوشِ والدِّيات. والأَسْوُ: مداواة الجُرْح وإن استعمل في موضع الإصلاح. قال:

والأُساةُ الشُّفَاةُ للدَّاءِ ذي الرِّيـ ـبةِ والـمُـدْرِكـون للأَوْغَـام

ويُقال للضّارّ النّافع: يَشُجُّ ويأسُو. ومنه اشتقاق الإسوَة، ويقال الأُسْوَةُ أيضًا. ويُروى أنّ مُصْعَبَ بن الزُّبير لما انهزمَ الناسُ عنه يومَ مَسْكَنَ جعل يُقاتِل ويتمثّل: [الطويل]

وإنَّ الأُلى بالطَّفِّ من آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوا فَسَنُّوا للكِرَام التأسِّيَا[٣]

وفي البيت مع حُسن المعاني التي بيَّنتُها توازُنٌ في اللفظ مستقيم، وسلامةٌ ممّا يجلب عليه التَّهجِين.

٨ ـ إنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوائِلَهُم قَوْلُ الكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ المحامُونا[٤]

يقاربه قول الخَنْساء: [الطويل]

أَقَلَّتْ مُسَامَاةُ الرِّجَال عَدِيدَنا

فيقول مفتخرًا إنِّي لمِن قوم أهلَكَ أسلافَهُم قولُ الأبطال لَهُمْ: ألا أين الذّابّون والمُحَامون؟ فكانوا يتقدّمون ويفنَوْن. والكُمَاةُ: جمع الكميّ، وهو من قولهم كَمِيَ

(١) بلا نسبة عند التبريزي ١: ٨٢.
(٢) عند التبريزي ١: ٨٢ (وشيبُ مشيبِ).
(٣) لسليمان بن قتة في تاج العروس (أسا)، وبلا نسبة في اللسان (أسا، أولى). وديوان الأدب ٤: ٢٤٤.
(٤) التبريزي: «قيل الكماة».

شهادتَه، إذا كَتَمَها؛ لأنَّ الشُّجاع يستغني بالفَعَالِ، عن الدَّعْوَى والمَقَال، فكأنَّه يستُر أمره وشأنه لوقت الحاجة، ولأنّه إذا سَكَتَ دَلَّ على صِفَاتِهِ بلاؤُهُ.

٩ ـ لو كانَ في الألْفِ منّا واحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إيّاه يَعْنُونا

يعني بقَوْلِهِ «فَدَعَوْا» أعلنوا الاستغاثة بيَال فُلانٍ، ومَن فَتًى، وما أشبهه. ويقال: خِلْتُهُ أَخَالُه خَيْلًا ومَخِيلةً وخَيَلانًا. وهذا مثل قول طَرَفَةَ: [الطويل]

إذا القومُ قالوا من فَتًى خِلْتُ أنّني عُنِيتُ فلم أكْسَلْ ولم أتَبَلَّدِ

وقد زاد هذا عليه بقوله «لو كان في الألف مِنّا وَاحِدٌ». لأنّ ذلك قال:

إذا القومُ قالوا من فَتًى، فنصب نفسه مع قومه؛ وهذا جَعَلَهُ مُنضَمًّا مع الكثرة إلى الغرباء. وإنما قال: «مَن فارِسٌ» فَنَكّر، كما قال طَرَفَةُ: «من فتًى» فنكّر. ولم يُعرِّف واحدٌ، منهما، لأنّ السُّؤال بالمنكَّر لشدة إبهامه يكون أشمَلَ لتناوله واحِدًا واحدًا لا سيَّما وليس القصد في الاستفهام إلى معهودٍ معيَّن، ولا إلى الجِنْس فيقال: من الفَتَى، ومن الفارس. وفي هذه الطريقة قولُ الآخَر: [الطويل]

إذا القومُ قالوا مَن فتًى لعظيمةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى ولكنّه الفتى[١]

وبيت بشامة أجْوَد الثلاثة. وقد أحسن الفرزدق كلَّ الإحسان لمّا أشار إلى هذا المعنى فقال: [الوافر]

إذا ما قيل يا لَحُماةِ قَوْمٍ فَنَحْنُ بدَعْوَةِ الداعِي عُنِينَا

١٠ ـ إذَا الكُمَاةُ تَنَحَّوْا أن يَنَالَهُمُ حَدُّ الظُّبَاتِ وصلناها بأيْدِينَا[٢]

إنّما قال حدّ الظُّبات ـ وظُبةُ السّيف: حَدُّه ـ لأنّه أراد المضارب بأسْرِها. وكما صَلَحَ أن يُقال أَصَابَتْهُ ظُبَةُ السيفِ صلح أن يُقَالَ حَدُّ الظُّبَةِ. وقيل الظُبَةُ: طَرَفُ السيف، والشباةُ حَدُّ طَرَفِه. يقولُ: إذا الأبطالُ تباعَدُوا عن المصادمة والمكافحة، مخافة أن ينالَهُم حَدُّ السيوف مَدَدْنا أبْوَاعَنَا إليهم بها أو وصلناها، وفي هذا المعنى قوله: [الطويل]

إذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كان وَصْلُهَا خُطَانا إلى أعدائِنَا للتّضارُبِ

---

(١) بلا نسبة في التبريزي ١: ٨٣.

(٢) التبريزي: «أن يصيبهم».

وقوله «تنحّوا أن ينالَهم» أي تنحّو أن ينالَهم، ومخافةَ أن ينالَهم؛ فلمّا حُذِفَ مِنْ وَصَلَ الفِعْلَ فَعَمِل. وعلى هذا قولهم: تَحَصَّنَ فلانٌ أن يُطْلَبَ، وقول الله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النِّساء: الآية ١٧٦]. وقوله: «وصلناها بأيدينا» أي إذا عَجَزت جعلْنا وصَلَها أيدِيَنا. وهذه الأبيات إذا تُؤُمّلَت فكلٌّ منها غاية يدعُو إلى نفسِه لَفْظًا ومعْنًى.

١١ ـ وَلَا تَرَاهُـمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُـمْ ... مع البُكَـاةِ علـى من مَـاتَ يَبْـكُـونا

يصف تعوُّدهم للثُّكل، وإلْفَهُم للمصائب والقتل، وأنَّ قلوبهم قد مَرَنَتْ عليها حتّى قَسَتْ، فلا يبكون مع البكاةِ على من قُتِلَ منهم. ومثله قول عمرو بن كلثوم: [الطويل]

مَـعَـاذَ الإلـه أن تَـنُـوحَ نِـسَـاؤُنَـا ... على هَالِكٍ أو أن نَصِيحَ من القَتْل

١٢ ـ وَنَـرْكَـبُ الـكُـرهَ أَحْـيَـانًـا فَـيَـفْـرُجُـهُ ... عَـنَّـا الـحِـفَـاظُ وَأَسْـيَـافٌ تُـوَاتِـيـنَـا

يجوز أن يكون هذا كما قال الآخر: [الطويل]

فحـالَفْـنَـا الـسُّـيـوفَ عـلـى الـدهْـرِ

ويجوز أن يكون أراد بالسيوف رجَالًا كأنّهم السيوف مضاءً ونفاذًا، والأوّل أولَى. وإنما يصِفُ خِطارَهُم بمُهَجهم، وركوبَهم المهالك، ورمْيَهم بأنفسهم المَرَامِيَ المُعْطِبَةَ. فيقول: إذا فعلْنا ذلك في الوقت بعد الوقت، وسَّعَتِ المضايِقَ عَنَّا مُحَافَظَتُنَا على الكرم وصَبْرُنا على الشدائد، واستعمالنا سُيُوفَنَا المطاوِعةَ لنا. ومعنى يفرُجُه: يكشِفه ويوسِّعه. ويقال: فَرَجَ الله غَمَّه وفرَّجه، بالتخفيف والتشديد. ومنه سمِّي ما بين القوائم: الفروج. وإطلاق لفظ الفَرج على العَوْرَةِ يجري مجرى الكنايات. وعلى هذا قيل: رجُلٌ فُرَجَةٌ، إذا كان كشّافًا لأسراره.

١٥ ـ عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي
ويقالُ إنّهُ للسَّمَوْأَل بن عَادِيَا اليهوديّ[1]: [الطويل]

١ ـ إِذَا الـمرءُ لـم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْم عِرْضُهُ ... فـكـلُّ رِدَاءٍ يـرتَـديـهِ جَـمِـيـلُ

(١) وقال التبريزي: (ويقال: إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، وهو إسلامي).

يقال: دَنِسَ دَنَسًا، وَتَدَنَّسَ تَدَنُّسًا، إذا تكلّفه. فيقول: إذا لم يتدنّس الرجلُ باكتساب اللُّؤم واعتياده فأيُّ مَلْبَسٍ لَبِسَهُ بعد ذلك كان حَسَنًا جميلًا. وذِكر الرّداء هٰهنا مُسْتَعَار، وقد قيل: ردّاه الله رداءَ عَملِه، فجُعِل كنايةً عن مكافأة العبْد بما يعمَله، أو تشهيره به، كما جَعَله هذا الشّاعر كنايةً عن الفِعْلِ نفسِه. وتحقِيقه: فأيُّ عملٍ عَمِلَهُ بعد تَجَنُّبِ اللُّؤم كان حَسَنًا. واللؤم: اسمٌ لخصالٍ تجتمع، وهي البُخل واختيار ما تتّقيه المروءة، والصّبرُ على الدنيّة، ودناءةُ النّفسِ والآباءِ. وإذا يَتضمَّن معنى الجزاء، والفاء مع ما بعده جوابه. وليس هنا من قول عمرو بن معديكرب: [الكامل]

لـيـس لـجـمـالُ بـمـئـزرٍ فـاعـلمْ وإنْ رُدِّيـتَ بُـرْدَا[1]

فيُعتقَد أنّه يريد بالرّداء الثيابَ بسبيلٍ، فاعلمْه.

٢ ـ إذا المَرْءُ لم يَحمِلْ على النّفسِ ضَيمَهَا فَلَيس إلى حُسْنِ الثّنَاءِ سَبِيلُ[2]

يقول: إذا المرء لم يَحمِل ظُلْمَ نفسِه عليها، ولم يصبّرها على مكارِهها، فليس له طَرِيقٌ إلى الثّناء الحسن. وهذا يشير إلى كَظْم الغيظ، واستعمال الحِلْم، وترك الظُّلْم والبَغْي مع ذويه، والصّبر على المشاق، وإهانة النفس في طلب الحُقوق؛ لأنّ مَنْ تعوّد هذه الأشياءَ علا ذِكْرُه، وحَسُنَ ثناؤه. ويقال: ضامَهُ ضَيمًا، وهو مَضِيمٌ، إذا عَدَلَ به عن طريق النَّصَفَةِ واهتضمه. ومنه قيل: قعد في ضِيم الجَبَلِ، أي في ناحيةٍ تَنعدِل إليه. وكما استُعْمِلَ الضّيمُ من ضَامَ، كذلك استُعمل الهِضْمُ واحِدُ أهْضَامِ الوَادي من هَضَمَ. ويَبْعُدُ من طريق المعنى أن يُرِيدَ بقوله «ضَيْمَهَا» ضَيْمَ الغَيْر لها فأضَافَ المَصْدَرَ إلى المفعول، لأنَّ احتمالَ ضَيْم الغَيْر لهم يأنَفُون منه، ويعدّونه تذلُّلًا.

٣ ـ تُـعَـيِّـرُنـا إنّـا قـلـيـل عَـدِيـدُنَـا فـقُـلْـتُ لـهـا إنّ الـكِـرَامَ قَـلـيـلُ

يقال: عَيَّرْتُه كذا، وهو المختار الحَسَنُ، وقد جاء عَيَّرته بكذا. قال عَدِيٌّ: [الخفيف]

أيُّـهَـا الـشـامِـتُ الـمُـعَـيِّـرُ بـالـدّهْـ ـرِ أأنْـتَ الـمـبـرّأُ الـمـوفُـورُ

والمعنى: أنكرَتْ منّا قلّة عَدَدِنا فعدّته عارًا، فأجبْتُها وقلتُ إنّ الكِرامَ يقِلّون. والكَرَم: اسمٌ لخِصالٍ تُضادُّ خِصالَ اللُّؤمِ، وقد ذكرناها. وهذا الاعترافُ الذي حصل

---

(١) البيت في ديوانه ٣٣، والتبريزي ١: ٨٦. (٢) عند التبريزي: «وإن هو لم يحمل».

منه إنما هو اعترافٌ بقلّة العدد لا بقلّة القَدْرِ والغَنَاءِ، ألا تَرَى أنه رَجَعَ عليه بالنّفي في البيت الثاني فقال:

وما قَلّ مَن كانت بقاياه مِثْلَنا

على أن قولَه «إنّ الكرام قليل» يشتمل على معانٍ كثيرة: وهي وَلوعُ الدَّهر بهم، واعتيام الموت إيّاهم، وقلة النَّسْل فيهم، واستقتالهم في الدِّفاع عن أحْسَابِهِم، وإهانتُهمْ كرائم نفوسهم مخافةَ لزوم العار لهم، ومحافظتُهم على عِمارة ما ابتناه أسلافُهم، وكلُّ ذلك يقلّل العَدَد، ويقصر المَدَد. وقليلٌ وكثيرٌ يوصف بهما الواحد والجمع.

٤ ـ وما قَلَّ من كانَتْ بقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلعُلَا وكُهُولُ

الهاء من قوله «بقاياه» راجعة إلى لفظ «مَنْ» لأنّ معناه الكثرة. ولو ردّ عليه لقال بقاياهم. يقول: وما حصَلت القِلّةُ في القَدْر والغَنَاءِ، ولا لَحِقت الذِّلّةُ في اللّقاء والدفاع لأسلَافِ أخلافُهم نحنُ، شبّانٌ وكهُولٌ يتسامَون في اكتساب المعالي، ويترقّون في درجات الفضل. و«شبابٌ» مَصْدَرٌ في الأصْل ووُصِفَ به، ولذلك لا يثنّى ولا يُجْمَع. يقال: شَبَّ الصبيّ يَشِبُّ شَبَابًا. وقولُه «تَسامى» أراد تَتَسَامَى، فحذف إحْدَى التاءين استثقالًا للجمع بينهما. فإن قلتَ: هَلّا أدغمَت كما أُدغِمَتْ في أدّراك ـ والأصل تدارك؟ قلت: ليس هذا موضعَ إدغام، لأنّه فعل مضارع. ألا تَرَى أنه لو أُدْغِم لاحتيج إلى جَلْب ألف الوصْل لكون أوّله، وألفُ الوصل لا يدخل على الفعل المضارع. والكَهْل: الذي قد وخَطه الشيب، ومنه اكْتَهَلَ النَّبْتُ، إذا شَمِلَهُ النوْر.

٥ ـ وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليلُ

في هذا الكلام تعريض بعشيرة من جاذبه الكلام. يقول: وما يضرّنا قلّةُ عددنا وجارُنا في عِزٍّ، وجار من لهم العدَدُ والكثرة في ذُلّ. وقوله: «وما ضَرّنا» يجوز أن يكون ما حَرْف نفي، والمعنى: لم يضُرَّنا؛ ويجوز أن يكون اسمًا مستفهَمًا به على طريق التّقرير، والمعنى: أيُّ شيءٍ يَضُرُّنا. والواو من قوله: «وجارُنا عزيزٌ» واو الحال، أي لا يضرُنا ذلك والحال هذا. وكذلك الواو من قوله: «وجار الأكثرين ذليل» واو الحال. وإنّما صَلَح الجمع بين الحالين لأنّهما لذاتين مختلفتين، ولو كانا لذات واحدةٍ لم يَصْلُح. والعِزُّ والعزازة استُعمل في القُدرَة والمَنْع، وفي الصَّلابة

والشِّدَّة. ويقال: تعزَّز اللَّحم، لأنَّ الكلَّ يرجع إلى أصل واحد، كما أنَّ الذُّل والذِّل الذي هو ضدُّه استُعْمِل في الانقياد والسُّهولة واللِّين والوَطاءة، إذ جميعُه يدعو إلى شيءٍ واحد. وفي طريقته: [الوافر]

فجارُكَ عند بيتك لحمُ ظَبْيٍ وجارِي عند بيتي لا يُرامُ

وقول الآخر: [الطويل]

وهم يَمْنَعون جارَهم أن يُقَرَّدَا[1]

٦ ـ لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ من نُجِيرُهُ مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كَلِيلُ

ومثله: [الطويل]

لنا هَضْبَةٌ لا يدخُلُ الذُّلُّ وَسْطَهَا ويأوِي إليها المستجيرُ ليُعْصَمَا[2]

وأراد بذكر الجبل العِزَّ والسموّ. فيقولُ: لنا جبلُ عِزٍّ يدخُله من نُدْخِله في جوارِنا، ممتنعٌ على طالِبِه، يَرُدُّ لإشرافه وسُمُوقه طَرْفَ الناظر إليه وهو حسير. ومنيعٌ: اسم الفاعل من مَنُعَ مَنَاعَةً ومَنَاعًا، ومنه المَنَعَةُ. ويجوز أن يكون فعيلًا في معنى مفعول، أي ممنوع منه، وكما استُعْمِل المنيع في العِزِّ استُعْمِلَ أيضًا في العِفَّةِ، فقيل: امرأة منيعةٌ وممتنعةٌ أي عفيفَةٌ. وحَلَّ واحتلّ بمعنًى. والطَّرْف: النَّظَرُ والعين جميعًا. وقال الدُّرَيْدِيّ: طَرْف العين امتداد لَحظِها.

٧ ـ رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَما بِهِ إلى النَّجْمِ فَرْعٌ لا يُنَالُ طَوِيلُ

رَسَا الجبَلُ: ثبتَ أصلُه في الأرض. ومنه رسَت السُّفُن، إذا انتهت إلى قَرار البَحر، والرُّسُوُّ والرُّسوخ يتقاربان. والثَّرَى: النَّدَى. وما تحت الأرض ثَرًى. ويقال: ثرًى ثَرِيٌّ، على المبالغة. يقول: ثبت أصلُ هذا الجبل ـ وهو يريد العزّ على ما بيّنت ـ تحت الأرض وارْتَفَع به أَعْلَى طويلٌ لا يَنَال إلى محلّ النَّجم. والمرادُ: عِزُّنا أصلُه تحت الأرض السّابعة، وفَرْعُه عند النجم. ومعنى لا يُنال: لا يُوصَلُ إليه ولا يُحَصَّلُ

---

(١) البيت للحصين بن القعقاع في لسان العرب (سنت) و (قرد)، والتنبيه والإيضاح ١: ١٦٥، وللأعشى في أساس البلاغة (قرد) وليس في ديوانه، وبلا نسبة في ديوان الأدب ١: ٣٣٢، وتهذيب اللغة ١٢: ٣٨٥. وصدره:

«همُ السمنُ بالسَّنْوتِ لا ألس بينهم»

(٢) بلا نسبة عند التبريزي ١: ٨٨.

مثلُه. وكما كان يقال في الرَّفيع الشّأن العالي القدْر: هو في النجم وهو في السُّكَاك، وكان قصْده في الفَرْع أنه مديدٌ حتَّى اتّصل بالنجم، زاده صِفَةً فقال طويل. وقد طَابَقَ الرسُوَّ بالسُّمُوّ، كما قابل الأصل بالفَرْع. ونقله أبو تمّامٍ فقال: [المتقارب]

لـنـا نَبْعَـةٌ فـرعُـهـا فـي الـسـمـاءِ وفـي هـامـةِ الـحـوتِ أَعْـرَاقُـهـا

٨ ـ وإنّـا لَقَـوْمٌ مـا نَـرَى الـقَـتْـلَ سُـبَّـةً إذا مـــا رأتـــهُ عَـــامِـــرٌ وسَـــلُولُ

كان وجه الكلام أن يقول: ما يَرَوْن القتل سُبَّةً، حتَّى يرجع الضمير من صفة القوم إليه ولا تَعْرَى منه، لكنّه لمّا عَلِمَ أنّ المُرَادَ بالقَوْمِ هُمْ قال: ما نرى. وقد جاء في الصّلَة مثلُ هذا، وهو فيه أفْظع، قال: [الرجز]

أنا الـذي سَـمَّـتْـنِ أُمّـي حَـيْـدَرَهْ[١]

والوجه «سَمّته» حَتَّى لا يَعْرى الصّلةُ من ضمير الموصول. قال أبو عثمان المازنيُّ: لولا صحة مورِدِهِ وتكرُّره لردَدته. فَضَّل عشيرته في الصَّبر على الموت، والثَّبات في الحرب على عامرٍ وسَلُول، وهما قبيلتان. فيقول: إذَا حَسِبَ هؤلاء القتل والقتال عارًا ومنقَصةً عدّهما عشيرتي فخرًا ومكرُمةً. والسُّبّة: ما يُسَبّ به، كما أن الخُدعةَ ما يُخْدَع به. وأصل السَّب: القَطْع، ثم اسْتُعْمِلَ في الشَّتم. وهذا كما يقال: فلانٌ يُقَطِّعُ أعراضَ الناس. وقولُه: «ما نَرَى» أي لا نجعل ذلك مذهبًا.

٩ ـ يُـقَـرِّبُ حُـبُّ الـمـوت آجـالَنَـا لَنَـا وتَـكْـرَهُـهُ آجـالُهُـمْ فَـتَـطُـولُ[٢]

قوله: «يقرب حبُّ الموت» أي حبُّنا للموت. وجعل في مقابلته: «وتكرهُه آجالهم» لأنّه يشتمل على ما يوفّيها حَقَّها من اللّفظ. وإنْ كانت من حيث المعنى قد حَصَلَتْ: ويبعُد بُغْضُهُمْ إيّاه آجالهم. ويكون الشّاعر مُلِمًّا في المصراع الأوّل بقول الآخر: [الطويل]

رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليس له عُمْرُ

لأنه يشير إلى أنهم يُغْتَبَطون لاقتحامهم المنايا، وحِرْصهم على ملابسة الحروب، وأن أولئك يعمَّرون لمجانبتهم الشرور، وزهدِهم في مجاذبة العدوّ. ويجوز

(١) لعلي بن أبي طالب في اللسان (ح د ر)، وبلا نسبة في شرح التبريزي ١:٨٨، وحيدرة: الأسد.

(٢) عند التبريزي (وتطول).

أن يكون أضافَ الحُبَّ من قوله «حُبُّ الموت» إلى الفاعل، فيكون المعنى: يقرِّبُ حُبُّ الموت لنا آجالنا، ويكون هذا كقول طَرَفَة: [الطويل]

أرَى الموتَ يعتامُ الكِرامَ ويصطفِي   عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المتشدِّدِ(١)

ويكون على هذا قوله: «وتكرهه آجالهم» محمولًا على أنه إذا كرهت آجالهم الموتَ فقد كره الموتُ آجالهم أيضًا. ألا ترى قول دُرَيد: [الطويل]

أبَى القَتْلَ إلا آلَ صِمَّةَ إنهُم   أبَوْا غيرهُ والقَدْرُ يَجرِي إلى القَدْرِ

وقول مُتمِّم: [الطويل]

أَرَى الموت طَلَّاعًا على مَن تَرَفَّعَا(٢)

وإذا كان كذلك فالتقابل في هذا الوجه حاصلٌ أيضًا. وبعضهم روى: «يُقصِّرُ حُبُّ الموت» واختارهُ، ليكون القِصَرُ بإزاء الطول. وهم لا يُراعون مثل هذا إذا تناسبت المعاني وتقابلت، ويكون ذلك منهم كالمتبرىء من التكلّف. ألا تَرى أبا ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيَّ قال: [المتقارب]

وَشِيكُ الفُصُولِ بَعيدُ القُفُول   إلا مُشاحًا به أو مُشِيحَا(٣)

وقد كان يمكنه أن يقول بطيء القفول فلم يُراع ذلك. وقد أحسَنَ عنترة كلَّ الإحسان في سُلوكِ هذه الطريقة، حين قال: [الكامل]

لَيسَ الكريمُ على القَنا بمُحَرَّمِ(٤)

١٠ ـ وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ   ولا طُلَّ منا حيثُ كانَ قَتِيلُ

«حتفَ» انتصب على الحال، ولم يُستعمل منه حُتِف ولا هو محتوف. وليس هذا مثل تبَسَّمَتْ ومِيضَ البَرْقِ، فاعلمه. يقول: لم يَمُتْ رئيسٌ منّا على فراشِهِ، بل

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٣٤، ولسان العرب (شدد) و(فحش) و(عيم)، وتهذيب اللغة ٤: ١٨٨.

(٢) المفضليات ٢: ٧٠. وصدره:
«فلا تفرحن يومًا بنفسك إنني»

(٣) البيت في شرح أشعار الهذليين ص ٢٠٢، ولسان العرب (فصل) و(فضل)، وتاج العروس (فصل)، والتبريزي ١: ٨٩.

(٤) لعنترة في ديوانه ص ٢١٠، ولسان العرب (طهر)، و(شكك)، وجمهرة اللغة ١٣٩. وصدره:
«وشككت بالرمح الأصمِّ ثيابَه»

مات ميتةً كريمةً في الحرب تحتَ ظِلالِ السُّيوف والرِّماح، ولا أُبطِلَ دَمُ قتيلٍ منَّا حيث كان، وعلى يدِ مَن اتَّفق. وهذا غاية ما يَتَحمَّدُ به الفُتَّاك وأبناءُ الحروب، حتَّى إنّ بعضهم اعتذَرَ عمن مات على فراشه فقال: [الوافر]

بِـحَـمْـدِ مـن سِـنـانِـكَ لا بِـذَمّ أَبـا قُـرّانَ مُـتَّ عـلـى مِـثَـالِ(١)

وفي هذه الطريقة قولُه: [الخفيف]

كُـتِـبَ الـقَـتْـلُ والـقِـتَـالُ عَـلَـيْـنَـا وعـلـى الـغـانـيـاتِ جَرُّ الـذُّيـولِ(٢)

وقوله: «مات حتف أنفه» يقال إنّ أوّل مَن تكلم به النبيُّ ﷺ. وتحقيقُه: كان حتفُه بأَنفه، أي بالأنفاس التي خرجت من أنفه عند نُزوع الرُّوح، لا دَفْعةً واحدة. ويقال: خُصَّ الأنفُ بذلك لأنه من جهته ينقضي الرَّمَق. ويقال: طُلَّ دمه يُطَلُّ طَلاً، إذا أُهْدِر.

١١ ـ تسِيلُ على حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا وليست على غَيْرِ السيوف تَسِيلُ

يُروى: «تسيل على حدِّ السُّيوف نفوسُنا». ولم يقل وليست على غيرها تَسِيلُ في الروايتين، لأنهم يكررونَ أسماء الأجناس والأعلام كثيرًا، ولا سيّما إذا قَصَدوا التفخيم بها. كما قال عَدِيٌّ: [الخفيف]

لَا أرَى الموت يسبقُ الموتَ شيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذَا الغِنَى والفقيرا(٣)

وفي الرواية الثانية ـ وهي المشهورة ـ أضافَ الحَدَّ إلى الظُّبَات. وهذا فيه وجهان: أحدُهما أن يكون أراد بالظُّبَاتِ السيوفَ كلَّها ثمّ أضاف الحدَّ إليها، والمعنى: تسيل على حَدِّ السيوف دماؤنا وليست تسيل على غيرها. وهذا كما يُسَمّى السيفُ كما هُوَ نَصْلًا، وكما يُسَمَّى السَّهْمُ نَصْلًا كما هو. والثاني أن إضافة الحدِّ إلى الظُّبات كإضافة البعض إلى الكلّ، ويكون التقدير: تسيل على الحَدِّ من الظُّبَاتِ، وتكون الظُّبَاتُ مَضَارِبَ السيوف. فإن قيل: كيف تبجّح بأن تكون دماؤهم تسيل على حَدِّ السيوف لا على غيره؟ قلتَ: إنَّ الدماء قد تُسال بالعِصِيّ وبغيرها مما لا يكون شَرَفًا،

---

(١) المثال: الفراش.
(٢) لعمر بن أبي ربيعة في الأغاني ٨: ١٣٣، وزهر الآداب ٣: ٧٦، وديوانه ــ.
(٣) البيت لعدي بن زيد في ديوانه ص ٨٥، وخزانة الأدب ١: ٣٧٨، وشرح التبريزي ١: ٩٠، ولسوادة بن عدي في شرح أبيات سيبويه ١: ١٢٥، وشرح شواهد المغني ٢: ١٧٦.

فعَدّ القِتلةَ التي تكون بالسَّيف أكرم. ألا تَرَى أنَّ بني أسَدٍ يُسَمَّون «عبيد العَصَا» لمّا كان حُجْرٌ أبو امرىء القيس حينَ أوقع بهم قتلهم بها، لتكون قِتلتهم ذميمة. وقد قُتل كَثيرٌ منهم بالجلاميد والصُّخور، ولذلك قال بعضهم: [الطويل]

جـلامـيـدُ أمـلاءُ الأكُـفّ كـأنـهـا رؤوسُ رِجالٍ حُلِّقَتْ في المواسم[١]

وقال آخر[٢]: [الكامل]

ولا تُـقَـاتِـلُ بـالـعـصـيّ ولا نـرامـي بـالـحـجـارهْ
إلّا عُـلَالَةَ أو بُـدَا هَـةَ سـابـحٍ نَـهْـدِ الـجُـزَارهْ

وإذا كان الأمْر على هذا فمعنى التبجّح أن تكون منيّتهم بالسيوف ظاهرة. وأما قوله: [المنسرح]

لـو بـأبـانَـيْـنِ جاء يـخـطُـبُـهـا رُمِّـلَ مـا أنـفُ خـاطـبٍ بـدَمِ[٣]

فإنّ الفَحْل الهجِينَ إذا تعرَّض للناقة الكريمة قُرِعَ أنفه بالعصا وضُرِبَ وجْهُهُ بها، فهو من ذاك مأخوذ.

١٢ ـ صَفَوْنا فلم نَكْدَرْ وأَخلَصَ سِرَّنَا إنَـاثٌ أطـابَـتْ حَـمْـلَنَـا وفُـحُـولُ

أشار بهذا الكلام إلى كَرَم المَناصِب والمَناسِب، وطيب المَنبِتِ والمَغرِس. فيقول: صَفَتْ أنسابُنا فلم يَشُبْها كُدورَةٌ. وخَلَّصَ نِكاحَنا أُمَّهاتٌ طَيَّبَتْ حَمْلنا، وآباءٌ كَرَّمَتْ عُرُوقَنا. ويقال: كَدِرَ الماء يَكْدَرُ كَدَرًا وكُدورًا وكُدُورةً، وهو أكدَرُ وكَدِرٌ. وفي ضِدِّه صفا الماءُ يَصْفُو صُفُوًّا؛ والصَّفَاءُ الاسم. ومن أمثالهم: «خُذْ ما صَفَا وَدَعْ ما كَدِرَ». والسِّرُّ: النِّكاحُ. وسِرُّ الشيء: خالصُه. ويجوز أن يكُونَ قولُهم سُرِّيَّةٌ فُعْلِيّة من هذا.

١٣ ـ عَلَوْنَا إلَى خَيـرِ الظُّهُـورِ وحَطَّنَـا لـوقـتٍ إلـى خـيـرِ الـبـطـون نُـزولُ

يصف تردُّدَهم في شَرَف المَصْعَد والمنحدر، وكرم العُنْصر والمتحوّل، كما ذكر طهارة المَنكِح والمولِد، وجلالة المُعتَلَى والمستقَرّ، فيقول: عَلَوْنَا في خير الظهور، أي حصلنا في أعلى المراتب من ظهور أكرم الآباء، وحَدَرَنا منها لوقتٍ معلومٍ ـ يُشير

(١) انظر الكامل ٣٣٣ ليبسك، والبيان ٣:١٥.
(٢) البيتان للأعشى في ديوانه ١١٤، واللسان (بده) والكتاب ١:٩، ٢٩٥.
(٣) الشعر لمهلهل بن ربيعة أخو كليب في معجم البلدان (أبانان).

إلى وقتِ الأطهار ـ نزولٌ إلى خيرِ البطون من أشرف الأمهات. والمعنى أنّا كِرام الأطرافِ. وهذه الأبيات إذا تُؤمِّلت أدّى التأمُّل منها إلى سلامة اللفظ والمعنى من كل مَعَاب، وحُصُولِ الفخامة والجلالةِ لها في كل جانبٍ وبابٍ.

١٤ ـ فنحنُ كماء المُزْنِ ما في نِصَابِنَا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخيلُ

ماء المطر أصفَى المياه عندهم، فشبَّه صفاءَ أنسابهم بصفاء ماء المطر. والمُزْنُ: السحابُ. وقوله: «ما في نصابنا كَهَامٌ»، أي ليس فينا كليل الحدِّ، ولكن كُلٌّ منّا ماضٍ نافذٌ، ولا فينا بخيل فيُعَدّ. وهو نَفْيٌ للبخل رَأسًا، وليس يريد أن فيهم بخيلًا ومع ذلك لا يعدُّ. ومِثْله: [السريع]

ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ[1]

أي ليس بها ضَبٌّ رأسًا فينجحر، ومثل هذا كثير. ويقال: كَهَمَ وكَهُمَ يَكْهَمُ وَيَكْهُمُ كَهامةً، فهو كَهَامٌ وكَهِيمٌ؛ يقال ذلك للرّجُل إذا ضَعُف، وللسَّيف إذا كَلّ.

١٥ ـ ونُنْكِرُ إنْ شِئنَا على الناسِ قَوْلَهُمْ ولا يُنْكِرُون القَولَ حِينَ نَقُولُ

هذا مثل قول الآخر: [الطويل]

وما يستطيعُ الناسُ عَقدًا نَشُدُّه ونَنْقُضُهُ منهمْ وإن كان مُبْرَمَا[2]

يصف رياستَهُم وعلوّ كلامهم ونفاذَ حُكمِهم، ورجوعَ الناس في المهمّات إلى رأيهِم، والاعتمادَ على تدبيرهم ومَشُورتهم. فيقول: نُغَيِّرُ ما نُريدُ تغييرَه من قول غيرِنا، وأحَدٌ لا يَجسُرُ على الاعتراض علينا، والإنكارِ لقولنا، انقيادًا لهوانا، واقتداءً بحزمِنا. وهذا كما قال الأعشى: [البسيط]

كُلٌّ سيَرْضَى بأنْ يُلْقَى له تَبَعا[3]

١٦ ـ إذا سيِّدٌ مِنّا خَلَا قامَ سيِّدٌ قَؤُولٌ لِمَا قال الكِرَامُ فَعُولُ

---

(١) البيت في أساس البلاغة (ج ح ر)، وفي الخزانة ٤: ٢٧٣ لابن أحمر. وصدره:
«ولا تفزع الأرنب أهوالها»

(٢) عند التبريزي «يَشدّه وينقضه».

(٣) ديوانه ص ٨٦، وصدره:
«تلقى له سادة الأقوام تابعة»

يشبهه قول حاتم: [الطويل]

إذا مات منّا سيِّدٌ قامَ بَعْدَهُ نَظيرٌ له يُغْنِي غَنَاهُ ويَخْلُفُ

وقولُ عُرْوَةَ: [الطويل]

إذا ماتَ منهمْ سيِّدٌ قامَ بَعدَه عَلَى مجدِه غَمرُ المروءة سيِّدُ

١٧ ـ وما أُخمِدَتْ نارٌ لنا دُونَ طارقٍ ولا ذَمَّنَا في النازِلينَ نَزِيلُ

أراد بقوله «نارٌ لنا» نار الضيافة. يقول: نُدِيم إيقادَها فلا تُطْفَا دون طارِقِ ليلٍ. والضيفُ إذا فارَقَنا حَمِدَنا ولم يَذْمُمْنا، لحُسْنِ توفُّرِنا عليه، واحتفالِنا عند سَوْقِ الخير إليه. والنَّزِيل، كالرَّفيق والجليس والأكيل. والطُّرُوق يَختَصّ باللَّيل، وسُمِّيَ النجم طارقًا لذلك.

١٨ ـ وأَيَّامُنَا مَشهورَةٌ في عَدُوِّنَا لها غُرَرٌ معلومةٌ وحُجُولُ

يقول: وقَعاتُنا مشهورةٌ في أعدائنا معلومةٌ، فهي بين الأيّام كالأفراس الغُرِّ المُحَجَّلَةِ بين الخَيْل، يُعرَف بلاؤنا فيها، وحُسْنُ آثارِنا عند النُّهوض لها. وهذا كما قال:

ولَمَّا يَكُونْ يومٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ

والتحجيل: أن يبيضَّ من الأوظِفة مواضعُ الحِجْلِ، وهو القيْدُ والخَلخَالُ. فإذا ارتفع التَّحجيل حتى يبلُغ الفخذين فما فَوْقُ فهوَ التجويف. قال[1] طُفَيْلٌ: [الطويل]

شَمِيطُ الذُّنابَى جُوِّفَتْ فهي جَوْنَةٌ

١٩ ـ وأَسيافُنا في كل غَرْبٍ ومَشْرِقٍ بها من قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ

مثله قولُ النابغةِ: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فيهم غيرُ أن سيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ من قِرَاعِ الكتائبِ[2]

---

(١) لطفيل الغنويّ في ديوانه ١٠٤، ولسان العرب (شمط)، و(جوف)، وتاج العروس (شمط) و(جوف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٨٦٦، وعجزه:

«بنُقْبةِ ديباجٍ ورَيطٍ مُقَطَّعِ»

(٢) للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٤٤، والأزهيّة ١٨٠، وخزانة الأدب ٣: ٣٢٧، والكتاب ٢: ٣٢٦.

يقول: قد تَفَلَّلَتْ سيوفُنا بما نضارب بها الأعداء، في مشارق الأرض ومغاربها. وقال: «من قِرَاعِ الدّارعِين»، لأن الغَرَض أن يكون عدوُهم على غاية الاحتراز منهم؛ وفي أكمل الاستعداد لهم. وقوله: «في كل غَرْبٍ ومَشْرِقٍ» ظَرْفٌ لِقراع الدّارِعِين، أي بأسيافنا فُلُولٌ من القِراع في كل غربٍ ومَشْرِق.

٢٠ ـ مُـعَـوَّدَةٌ أَلّا تُـسَـلَّ نِـصَـالُهَـا   فَـتُـغْـمَـدَ حتى يُسْتَبَاحَ قَـبِـيلُ

مثله قَوْل الآخر: [الطويل]

بأيْدي رِجالٍ لَمْ يَشِيمُوا سيوفَهُمْ   ولَمْ تَكْثُر القَتلَى بها حين سُلَّتِ(١)

وانتصبَ «مُعَوَّدَةً» على الحال. ويجوز أن تُرْفَعَ على أن تكون خَبَر ابتداءٍ مُضْمر، والعامل فيه إذا كان حَالًا ما يَدُلُّ عليه قولُه: «بها من قِرَاع الدَّارِعينَ فُلُولُ». فيقول: عُوِّدَتْ سيوفُنَا ألّا تُجَرَّدَ من أغمادها فتُرَدَّ فيها إلا بعد أن يُسْتباحَ بها قبائِلُ. ويقال: عَوَّدْتُه كَذَا فتعوّدَهُ واعتادَهُ. والعادةُ من العَوْدِ وهو الرُّجُوعُ، ولذلك قالوا للمُواظِبِ على الشيء: هو معاوِدٌ له. وقولُهُ «فَتُغمَدَ»، يُقال غَمَدتُ السَّيفَ وأَغْمَدْتُه، وأصْلُه السَّتْر، ومنه تغمَّدَهُ الله برحمته.

٢١ ـ سَلِي إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنّا وعَنْكُمُ   ولَيْـسَ سَـوَاءً عَـالِمٌ وجَـهُـولُ

يُرْوَى: «عَنّا فتُخْبَرِي». كأنّه استدلّ على تصحيح ما ادّعاها من الخصال التي عَدَّدَها بشهادة النّاسِ له وتصديقهم مَقَالَهُ. يقولُ: سَلِي النّاس عَنَّا إن جَهِلتِ ما حَكَيْتُه من أفعالنا حتى تُخبَري فتؤمِني به وتَسْكُنِي إليه، فليس العالمُ بالشيء كالمخمِّنِ أو المُجَوِّز أو الشّاكّ أو الحَادِسِ أو المقدِّر. والعِلْم قد يَحْصُل بإِخْبَارِ المخبرين كما يَحْصُل بالمشاهدة، فلذلك دَعَاهَا إلى ما دَعَا من السُّؤَالِ والكَشْف. وقولُه: «فتُخبَرِي» ينتصب بأنْ مضمَرَةٍ وهو جواب الأمر بالفاء. والسّواءُ يكونُ مَصْدَرًا وَوَصْفًا في مَعْنَى مُسْتوٍ. يقال: هذا دِرْهَمٌ سَوَاءٌ، أي مُسْتَوٍ؛ وهذا دِرْهَمٌ سَوَاء أي استواءً، كما تقولُ هذا دِرْهَمٌ تَمَامًا، أي تَمَّ تَمَامًا. وفي القرآن: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فُصِّلَت: الآية ١٠] أي مستويات، وقرىء ﴿سَوَآءٍ﴾ على المصدر كأنّه قال: استواءً. حَكَى أبو الحسن الأخفَشُ: هُمَا سَوَاءٌ وهما سَوَاءان.

(١) للفرزدق في ديوانه ١٣٩ (طبعة الصاوي)، وشرح شواهد المغني ص ٧٧٨، ولسان العرب (شيم)، وبلا نسبة في اللسان (جزر)، والإنصاف ٦٦٧.

٢٢ ـ فَإنَّ بَنِي الدَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِم تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وتَجُولُ

القُطْبُ: الحديدة في الطَبَقِ الأسْفَلِ من الرحَى يدور عليها الطَّبَقُ الأعْلَى. وسُمِّيَ قُطْبُ السَّمَاء لما يَدُورُ عليه الفَلَكُ، وعلى التشبيه قالوا: فُلَانٌ قُطْبُ بني فُلَانٍ، أي سَيِّدُهُم الذي يَلُوذون به، وهو قُطْبُ الحَرْبِ.

١٦ ـ الشَّمَيذَرُ الحَارِثِيُّ:

قال الدُّرَيْدِيُّ: شميذر: دَابَّةٌ زعموا، ولا أَحْسِبُهَا عَرَبِيَّةً صحيحةً.

قال البَرقيُّ: هذا الشّعر لسُوَيْدِ بن صُمَيْعٍ المَرْثَدِيِّ، من بني الحَارِث، وكان قُتِلَ أخُوهُ غِيلَةً فَقَتَل قاتِلَ أخِيهِ نَهَارًا في بعض الأسْوَاقِ من الْحَضَرِ. [الطويل]

١ ـ بَنِي عَمِّنَا لا تَذكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُم بِصَحْرَاءِ الغُمَيْرِ القَوَافِيَا

الصحراء: اسم للمكان الواسع، وجَمْعُهُ صَحَارٍ وصُحَرٌ. قال: [الوافر]

أَتِيٌّ مَدُّهُ صُحَرٌ ولُوبُ(١)

وأَصْحَرَ القَوْمُ: بَرَزُوا إليها، ومنه قيل لقيته صَحْرَةَ بَحرةَ، أي عِيَانًا وَمُبَارَزَةً. يقول: دَعُوا التَّفَاخُرَ في الشِّعْرِ وبالشِّعر، فإنكم قَصَّرتُم بصحراء الغُمَيْرِ ولم تُبْلوا فيها فتنطلِق ألسنتكم لَدَى المساجَلة، وتستجيب قوافِي الشعر لكم، إذا أردتم نَظْمَها وإنشادَها، عند المنافَرَة والمحاكَمَةِ، لأنكم أمَتُّم قوافيَ الشِّعر ودفنتموها. فكما أنَّ الميِّت لا يجيب إذا دُعِيَ، كذلك لا يُجِيبُكُم الشِّعر إذا أردتموه، مع سُوءِ بلائكم، وقُبْح آثارِكُم. والقافية: آخر البيت المشتملُ على ما بُنِيَ عليه القصيدة، وقد يُسمَّى البيت كما هو قافيةً. قال: [المتقارب]

وقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السِّنَانِ تَبْقَى ويَذْهَبُ من قَالَهَا(٢)

قال الأخفش: وتسمَّى القصيدة بأسْرِهَا قافيةً. قال(٣): [الطويل]

فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ كعب يَحُوكُهَا

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٠٦، ولسان العرب (صحر، سبى، يرع نفى)، وتهذيب اللغة ٤: ٢٣٧. وصدره:

«سَبِيٌّ من أباءته نفاه»

(٢) للخنساء في ديوانها ص ١٠٦، ولسان العرب (قفا)، وتاج العروس (قفو)، وتهذيب اللغة ٩: ٣٢٧.

(٣) البيت لكعب بن زهير في ديوانه ص ٥٩، ولسان العرب (فوز، ثوا)، والتنبيه والإيضاح=

٢ ـ فَلَسْنَا كَمَنْ كُنتُم تصيبُون سَلَّةً فَنَقْبَلَ ضَيمًا أو نُحَكِّمَ قَاضِيَا

في هذا الكلام تعريضٌ بقومٍ أشار إليهم بقوله: «كمن كنتم»، وتصريحٌ للمخاطَبين، ومُجَاهَرَةٌ بالقَوْلِ، فهو يرميهم بالضَّعف وأنّهم إذا نالوا من العَدُوّ شيئًا نالُوهُ سَرِقَةً. فيقولُ: لسنا كالذين كنتم تنالونَهُمْ سَرِقَةً، فنلتَزِمَ لَكم الضيّم، أو نَنْصِبَ حَاكِمًا يقضي بيننا وبينكم. وأشار بالضَيْم إلى التغميض على ما يكون من سَرِقتهم. وكأنَّ القومَ الذين أشار إليهم وانتفى من أنْ يكون حَالُهُ كحالهم، كانوا يقابِلُون سَرِقَتَهُم وتَجاسُرَهُمْ عليهم إمّا بالتغميض، وهو التزامُ الضّيْم عِندَهُ، وإمّا بالمرافَعَةِ إلى الحَاكِم ونَصْبِ المتوسِّط، والعَجْزُ في حُكْمِه. وانتصاب «نقبل» على أنه جوابُ النّفي بالفاء. ويقولون: في بني فُلانٍ سَلَّةٌ، أي سَرِقَةٌ. وانتصابُ سَلَّةً على أنه مَصْدَرٌ ففي موضِعِ الحَال، والتقدير: تصيبونهم سالّينَ وساقين.

٣ ـ وَلَكِنَّ حُكْم السَّيفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ فَنَرْضَى إذا ما أَصْبَحَ السَّيفُ رَاضِيَا

يقولُ: مَتَى عَدَوْتُم طَوْرَكُمْ، أو خَرَجْتُمْ من حَدِّكُمْ، فإنّا نُسَلِّطُ السيفَ عليكم، ولا نَرْضَى إلا بحُكْمه فيكُم. فمتَى رَضِيَ رَضِينَا، وفي طريقته قوله: [الطويل]

ونَشْتِمُ بالأفعَال لا بالتَّكَلُّمِ

٤ ـ وَقَدْ سَاءَنِي مَا جَرَّتِ الحَرْبُ بَيْنَنَا بَنِي عَمِّنَا لو كانَ أَمْرًا مُدانِيَا

دَلَّ بقوله: «لو كان أمْرًا مُدَانِيًا» على أنه لم يسُؤه ما جَنَتِ الحربُ بينهم، لأنّه وقع بالاستحقاقِ. ألا ترى أنّه قال ساءني ذلك لو كان الأمرُ المؤدّي إليه أمرًا مُدَانِيًا، وكنّا نَعرفُ للاحتمالِ فيه موضعًا، وللصَّبْر عليه مَجَالًا ومَذْهَبًا. فأمّا والشّأن مُسْتَفْحِلٌ، وتعدّيكم متفاقمٌ، فإنّه لا يَسُوءني. وقوله: «لو كان أمْرًا مُدَانِيًا»، أراد لو كان الأمرُ أمْرًا أَمَمًا أساءني. وإذا كان كذلك فجواب لو متقدِّم، وتلخيصه: لو كان ما تردَّدْنا فيه قريبًا لساءني ما جنته الحرب بيننا، ولكن الآن لم يَسُؤْ. وهذا تعظيم لما كان منهم إليهم، وكالاعتذار عن الأخذ بالفَضْل عليهم، وتَرْكِ الصَّفح عنهم.

٥ ـ فإنْ قُلتُمُ إنّا ظَلَمْنَا فلَمْ نكُنْ ظَلَمْنَا ولكنّا أَسَأنا التَّقَاضِيَا

= ٢:٢٤٨، وتاج العروس (فوز، حوك، جرل، ثوى). وعجزه:

«إذا ما ثوى كعبٌ وفوّز جرول»

رواه بعضهم: «فإن تَزْعُموا أنّا ظَلَمْنا». والزُّعْمُ في دَفْعِ الدَّعْوَى أبلَغُ، وإنما نبّه بهذا الكلام على أنه لا يَعُدُّ ما عُومِلُوا به ظُلْمًا، مع كوْنِ ابتدائه منهم، وإن كان فيه سَرَفٌ. فيقولُ: إنِ ادّعيتُم علينا أنّا ظلمناكم فإنّا لم نظلمْكم، مع عُدوانكم، وسَبْقِكم إلى الشرّ وتهييجه، ولكنّا أسأنا في تقاضيكم الحقَّ، وإيفائكم الجزاء، حين استخرجْنا بالعُنْفِ والقَهرِ، ومجاوزَةِ الأدنى من الأمرَيْنِ إلى الأقصَى. فكأنه سَمّى ما عَدّه أولئك ظلمًا سُوءَ تَقَاضٍ. والظُّلْمُ قيل فيه: إنه وضْعُ الشيء في غير موضِعِه، ولذلك قيل للأرضِ الصُّلْبَةِ إذا حُفِرَتْ: مظلومةٌ، وللسِّقاءِ إذا تُنُوولَ ما فيه قبل إدراكه: ظَلِيمٌ. وقيل: الظُّلْمُ: انتقاصُ الحق. قوله «فلم نكُنْ ظَلَمْنا» إذا كانَ من حكم الجوابِ أن يكون طِبْقًا للابتداءِ ومبنيًا عليه، فمن الواجب عليه كان أن يقول: فإن قُلتُم إنّا كنّا ظلمْنا. ألا تَرَى أنّا نقُولُ في قولِ الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفَال: الآية ٣٣] إنه كان جوابَ قائلٍ قال كان الله سيعذِّبُهُمْ. فنفَى على حَدِّ الابتداءِ وطريقتِه، لكنَّ الشاعر حَذَفَ مِن الابتداء كُنّا، لأن ما في الجواب يَدُلّ عليه.

١٧ ـ وَدَّاك بن نُمَيْل المازِنِيّ:

قال البَرقيُّ هو وَدَّاك بن سِنَانِ بن نُمَيْلٍ[(١)]: [الطويل]

١ ـ رُوَيْدَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُم تُلَاقُوا غَدًا خَيْلِي على سَفَوَانِ

رويْدًا: تصغيرُ إزوادٍ، وهو مصدر أرْوَدتُ فلانًا، على طريق التَّرخيم، وانتصابه بفعْلٍ مضمرٍ دَلَّ عليه لفظُه. وأكثر ما يجيء تصغير الترخيم يجيء في الأعْلَام، وقد يُجْعَلُ رُوَيْدًا اسْمًا لأرفُقْ، فَيُبْنَى حينئذٍ كما يُبْنَى أخَوَاتُهُ من أسماءِ الأفعالِ. على ذلك ما جاء في المَثَلِ من قَوْلهم: «رُوَيْدَ يَعْلُونَ الجَدَدَ». وقد تُزَادُ كاف الخطاب عليه فيقال: «رُوَيْدَكَ»، على ذلك قولُهُمْ: «رُوَيْدَكَ الشِّعْرَ يَغِبّ». وقوله: «بعضَ وعيدِكم» انتصب بفعلٍ مُضْمَرٍ دَلّ عليه رُوَيْدَ، لأنَّ مع استعمالِ الرِّفْق كَفًّا عن بعض الوعيد، فكأنّه لما قال أرْوِدوا يا بني شيبانَ قال: كُفُّوا بَعْضَ الوعيد. وهذا تهكُّمٌ وسُخْرِيَّةٌ. وقوله: «تلاقوا»، الجَزْم على أنّه جوابٌ للأمر الذي دلّ عليه رُوَيْدًا. وإنّما جُعِلَ للأمْرِ الجوابُ لأنّه ضُمِّنَ معنى الجزاءِ والشَّرْطِ. وسَفَوانُ: اسمُ

(١) ورد الاسم عند التبريزي «ابن ثميل» وقال: «وثُميل: تصغير ثمل ألأنامل على الترخيم». وهو شاعر من الفرسان (ترجمته في سمط اللآلي ٤٢١، ٥٤٤، ومعجم ما استعجم ص ٧٤٠).

ماءٍ قالوا هو من البَصْرَةِ على أميَالٍ، ومعنى البيت مفهوم. وقولُه «غَدًا» لم يُشِرْ به إلى اليوم الذي يَلي يومَهُ، وإنما دَلّ على تقريب الأمر، فكأنه قال: تُلَاقوا خَيْلِي قريبًا على هذا الماءِ.

٢ ـ تُلَاقُوا جِيَادًا لا تَحِيدُ عن الْوَغَى إذا ما غَدَتْ فِي المأْزِقِ المُتَدَانِي

الوَغَى، أصله، الجَلَبَةُ والصَّوتُ، وكذلك الوغَى بالعين غير معجمة. قال[1]: [الوافر]

كأنّ وَغَى الخُمُوشِ بجانِبَيْها

وجِيَاد هٰهنا: جمع جَوَادٍ، يقال فَرَسٌ جوادٌ: عتيقٌ، وخيلٌ جيادٌ: عناقٌ. وفي غير هذا المكان يكون جمع جَيِّدٍ. وتُلَاقُوا بدل من تُلاقوا الأوّل. نَبَّهَ بهذا على أنّ المرادَ بالخيل الفُرْسانُ، على عادتهم في قولِهِم الخَيْلُ والرَّجْلُ. قال الله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسرَاء: الآية ٦٤]، ولهذا قال فيما بعده: «تُلَاقُوهُمْ فتَعرِفُوا كيف صَبْرُهُمْ». ويجوز أن يكون أراد بالخيل الدوابَّ، ووصفها بأنها لا تَجْبُنُ عن الوَغَى، لِدَوَام مُمَارستها له، وتعوّدِها إيّاهُ. ثم خَبَّرَ في قوله: «تُلاقوهم» عن أربابِها، فيقول: أَرْفُقُوا تُلَاقوا فُرْسانًا كِرَامًا لا تَمَلُّ الحروبَ ولا تَعْدِلُ عنها إذا ابتكَرَتْ في مَضيقٍ منها، تتلاحَمُ فيه الفُرسان وتَتَدَانَى فيه الأبطالُ والشُّجعان. وإنّما قال ذلك لأنّه مع التداني لا يكون إلّا التّجالُد، وعندهُ تَثْكَلُ الأُمّهات. والمَأْزِقُ: المَضِيقُ، وكأنّ أصلَهُ من الأَزْقِ في الحَرْبِ، فهو مَفْعِلٌ منه.

٣ ـ تُلَاقُوهُمُ فَتَعْرِفُوا كَيفَ صَبْرُهُمْ عَلَى ما جَنَتْ فِيهِمْ يدُ الحَدَثَانِ

قوله: «على ما جنت» يريد على جنايةٍ، وموضعه نصبٌ على الحال، والعامِلُ فيه تَعْرِفُوا. أو تُلَاقُوا. يقول: تُلاقُوا من بلائِهم ما يُسْتَدَلُّ به على حُسن صبرهم وثَباتهم في جِلَادِهم، هذا مع تحامُل الزّمان عليهم، وسوء تأثير الدّهر فيهم. وأصل الصَّبر: الحَبْسُ، ومنه قُتِل فلانٌ صَبْرًا. وحَدَثُ الدَّهْرِ وأَحْدَاثُهُ وحَدَثَانُهُ وحوادثه: نوازِلُهُ.

---

(١) البيت للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٢٧٢، واللسان (خمش، زيط، لغط، وعى)، والتنبيه والإيضاح ٢:٣١٧، وللهذلي في جمهرة اللغة ص ٦٠٣، والمخصص ٨:١٨٥، والتبريزي ١:٩٦. وعجزه:

«وغى ركبٍ أُميمَ ذوي هياطِ»

٤ ـ مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ في الرَّوْعِ خَطْوَهُمْ بِكُلِّ رقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يَمَانِ

مَقَادِيمُ: جمْع مِقدَامٍ. ويشبه هذا البيت قوله: [الطويل]

إذا قَصُرَت أسيافُنا كان وَصْلُهَا خُطَانا إلى أعدائنا للتضارُبِ

وقد مرَّ مثله، لكنّ في هذا قَلْبًا، وذاك أنه قال: وَصَّالُون خَطْوَهُمْ بكلِّ رقيق الشفرتين، وكان الواجب أن يقول: كُلِّ رقيقِ الشفرتين بخَطْوِهِمْ. ألا تَرى أنه قال: إذا قَصُرَتْ أسيافنا وصلناها بخُطانا؟ وقال[1] الآخر: [الكامل]

نَصِلُ السيوفَ إِذَا قَصُرْنَ بخطْوِنا

ومثل هذا البيت في القَلْبِ بل في تبيين جواز القلب، وقول حُمَيْد بن ثَوْرٍ: [الطويل]

ووصلُ الخُطَى بالسَّيفِ والسيفَ بالخُطَى إِذَا ظَنَّ أن السَّيْفَ ذا الأَثْرِ قاصِرُ[2]

٥ ـ إِذَا استُنْجِدُوا لم يَسْأَلُوا من دَعَاهُمُ لِأَيَّةِ حَرْبٍ أم بأيِّ مَكَانِ

هذا مثل قوله: [البسيط]

لا يَسألون أخاهم حين يَنْدُبُهم في النائبات عَلَى ما قَالَ بُرْهانا[3]

والمعنى: إنّا لا نَطْلُب العِلَلَ على المستنجِد توصُّلًا إلى دفعِهِ أو مَطْلِهِ، ولكنّا نعجّل غَوْثَهُ على كلِّ حالٍ. والاستنجاد: الاستصراخ، ورجل مِنجَادٌ: مِغْوَان، وقد أنجَدَنِي، ويقالُ هُوَ نَجْدٌ من قومٍ أَنْجَاد. ومثله قولُ الآخر: [البسيط]

كُنَّا إذا ما أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخُ له قَرْعَ الظَّنَابِيبِ[4]

١٨ ـ سَوَّار بن المُضَرَّب السَّعْدِي:

من سَعْدِ بني تَميم. وقال البَرْقِيّ: من سعد بني كلابٍ.

١ ـ فَلَوْ سَأَلَتْ سَرَاةَ الحَيِّ سَلْمَى عَلَى أنْ قد تَلَوَّنَ بي زَمَانِي

---

(١) البيت لكعب بن مالك الأنصاري في السيرة ص ٧٠٥، وشرح شواهد المغني ص ١٢٢، والخزانة ٣:٢٢، والتبريزي ١:٩٧، ونسبه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٢٧٩ إلى ربيعة بن مقروم. وعجزه:

«قدمًا ونلحقها إذا لم تلحق»

(٢) البيت في ديوانه ص ٨٨. (٣) هذا البيت الرابع في الحماسية الأولى.

(٤) لسلامة بن جندل في المفضليات ١:١٢٣.

سَراةُ الناسِ: خيارُهُمْ. وشَرَاة الإبل بالشين معجمةً: كرامُهَا. وقد مَرّ ذِكْرُه. وقال الخليل: السَّرْوُ: سَخَاءٌ في مُرُوَّةٍ. وسَرَا يَسْرُو فهو سَرِيٌّ وقومٌ سَرَاةٌ، ولم يجىء على فَعَلَةٍ غيرها؛ يَعني أن فَعَلة يُختصُّ بها الصَّحيح في الجمع دون المعتلّ، وذلك كالفَجَرةِ والفَسَقَةِ. وتلوُّن الزّمان يشير به إلى تصاريفِهِ بالخير والشّر، والنّفع والضّر. فيقول: لو بحثَتْ هذه المرأة بالسُّؤال عن أحوالي على تَبَدُّل الأَبْدال، وتغيُّر النَّفْع والضّر بي فيما مضَى، وتَنَقُّل الأحداث عليّ مرةً بعد أخرى. وجواب «لو» يجيء من بعدِ قولِه: «أَنْ تَلَوَّنَ»، وأَنْ إذا وُصِلَ بالماضي أَفَاد حَدَثًا ماضِيًا، وإذا وُصِلَ بالمستقبل أفاد حَدَثًا مُستَقبلًا.

٢ ـ لَخَبَّرَهـا ذَوُو أحْسـابِ قَـوْمِـي وأعـدائـي فـكـلٌّ قَـدْ بَـلَانِـي

قولُه: «لخبّرها» جوابُ لو. وأحساب: جمع حَسَبٍ، وهو ما يُحْسَبُ ويُعَدُّ عند التفاخُر. يقول: لو سألتْ لأنبأها بخيري أشرافُ قومي، وأماثِلُ أعدائي، فكلٌّ منهم قد خَبَرَني. يشير بهذا الكلام إلى أنّ زعماء قبيلته وذَوِي الشرف من رَهْطِه، يَعترِفون له بالفَضْلِ، ويشهدُونَ له بما يَكْسِبُه جميلَ الذِّكر، وأنّ أعداءه على ما قاسَوْا من وقَعَاته بهم، وكابدوا من بَدَرَاتِهِ فيهم، لا يَجحدون تَبْريزَه، ولا يُنكِرون تقديمَه. ومَن اعترَف له بالفضل مُواليه ومُعاديه، وصَدَّقه في دعواه أقارِبُه وأجانِبُه، فهو النهايةُ في الكمال، والغايةُ عند البحث عن الفَعَالِ. وقولُه: «فكُلٌّ قد بلاني» اعتراضٌ حَصَل بين خَبَّر ومفعولِه، وهو قوله «بذبّي الذم»، والفاء دخلت معلّقةً لجواب الجملةِ بها.

٣ ـ بِـذَبّي الـذَّمَّ عـن حَـسَـبـي بِـمَـالِي وزَبُّـونـاتِ أَشْـوَسَ تَـيَّـحَـانِ

الباء من قوله «بذبّي» تتعلق بقوله لخبّرها، وكأنّ الإخبار بحسن دِفاعِهِ عن حَسَبِهِ بمالِهِ، وكرَمِ مُحَافظته على شرفه وحاله، من تزكية ذوي الأحْسَاب من عشيرته وثنائهم عليه، والإنباء بدفعِهِ مَعَرّة الأشْوَسِ التَّيّحان، من إخبار أعدائه وشهادتهم له. فكما أَجْمَلَ في الأوّل أجمل في الثاني، ثقةً بأن مسامع عند التفصيل يردُّ كُلّا إلى موضعه. وإنما خَصَّ ذوي الأحسابِ من قومِهِ لأنّ شهادتَهم أوجَه، والتحاسُد لهم أشملُ، والقَرينَ بمُقَارِنِه.أعلم. وقوله: «زَبُّوناتِ» فَعُولات من الزَّبْنِ، وهو الدّفع. والتَّيَّحان: العِرِّيض المِقدام، وهو فَيْعَلَان بفتح العين، ولا يجوز أن يُرْوَى بكسرها، لأن فيعِلان لم يجىء في الصحيح فيُبْنَى المعتلّ عليه قياسًا، وفيعِلٌ كسيِّدٍ من الأبنية المختصةَ

بالمعتَلّ. ومثْل تَيَّحان هَيَّبانٌ، وهما صفتان حكاهما سيبويه بالفتح، ومثالهما من الصحيح قَيْقَبانٌ وسَيْسَبانٌ. وتَيَّحانٌ، مَن تاحَ له يَتُوحُ ويَتيحُ لغتان، إذا أشرف وتهيّأ. ورجُلٌ مِتْيَحٌ، ويقال: قَلْبٌ مِتْيَحٌ أيضًا. وأُتيح له كذا. ومثْلُ الزَّبُون البَيُّوت، وهو السَّقِيطُ، والهَمُّ المُبَايِتُ لصاحبه. يقال: زَبَنَتْهم الحربُ، وحَرْبٌ زَبُونٌ وطَحُونٌ. والزَّبْنِيَةُ واحد الزَّبَانِيّ من هذا. وَفِعْلِيَةٌ من الأبنية التي تلزمُها الهاء. والأشْوَسُ: الذي يُعْرَفُ في نظرِه الغَضَبُ والحِقْدُ، ثم استُعمل في المتكبِّر والمَهِيب.

٤ ـ وأنّـــي لا أزالُ أخَـــا حُــــرُوبٍ إذَا لـم أجْـنِ كُـنْـتُ مِـجَـنَّ جَـانِ

في هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

ولَمْ يَجنِـهـا لـكـنْ جَـناهـا وَلِيُّـهُ فـآسـى وآدَاه فـكـان كـمـن جَـنَـى

ويُرْوى: «وأنّي لا أزال أخا حُرُوبٍ» فيعطف على (بذبّي الذَّمَّ)، ويكون موضِعُه جَرًا، ويكون هذا مما شَهِدَ به الأعداءُ له أيضًا. فإن كسرت إنّي فهو على الاستئناف والانقطاع عما قبله. والمعنى: إنِّي أَلْبَسُ الحروبَ وأمارِسُهَا دائمًا، فإذا لم يكن لي من أحوالي وزماني ما يبعثني على مُجاذَبةِ الأعداء ومدافعتهم، طلبت من قد شَقِي بمثل ذلك، فدافَعْتُ دونه وحامَيْتُ عليه، لأني لا أصبِر على حالِ السلامة والسِّلْمِ.
ومثله قول الآخر: [الطويل]

ومـا إنْ تـراهُ الـدَّهْـرَ إلا مُـغَـرِّرًا بنَفْسٍ أَبَتْ إلا صِعَابَ المَرَاكِبِ

١٩ ـ آخـــر[1]: [الكامل]

١ ـ ولَقَـدْ شَـهِـدْتُ الـخَـيْـلَ يَـوْمَ طِـرَادِهَـا فَـطَـعَـنْـتُ تَـحْـتَ كِـنَـانَـةِ الـمُـتَـمَـطِّـرِ

يقال: تَمَطَّرَ الرَّجُل، إذا أسْرَع. ويقال: مَطَرَ بِه، وقَطَر به، إذا بادر. وأراد بالخيل الفُرسان، كأنّه يخاطب بهذا الكلام مَن شَهِد معه المعركة، فخبّره بمعاملته المتمطّرَ[2] الذي عَهِدَهُ، وقوله: «تحت كِنَانَةِ» أشار به إلى المَقتَل. وهذا المتمطّرُ كأنَّه كان بارَزَهُ، أو أراد أن يُبادِرَ إلى أَمْرٍ، فحال بينه وبينه. والكِنانَةُ من الكَنّ: السَّتْر، لأنه يُصَانُ بها النَّبْلُ.

(١) التبريزي: «وقال بعض بني تيم الله بن ثعلبة».
(٢) قال التبريزي: «المتمطّر: اسم رجل من لخم».

٢ ـ ولَقَدْ رأيتُ غَدَاةَ شُلْنَ عَلَيكُمُ شَوْلَ المَخَاضِ أَبَتْ على المُتَغَبِّرِ[١]

يُروى: «ولقد رأيتُ الخيلَ شُلْنَ عليكُمْ»، أي شائلة، والتقدير: وقد شُلْنَ. وأراد بالخيل هٰهنا الدوابّ، وهي تَشُولُ بأذْنَابِها إذا اشتدّ عَدْوُها؛ ويُستدَلُّ بذلك منها على قوة ظَهرِها. فيقول: لقد رأيتكم منهزمين والخيل تَغدو عليكم رافِعةً أذنابَها، رَفْعَ النُّوقِ الحَوَامِلِ لها إذا طُلب حَلَبُ غُبْرِ لبنِها. والغُبْر: البقيّة تبقَى من اللَّبن في الضَّرع. ويُقالُ: تَغَبَّرْتُ الغُبْرَ، كما يُقالُ تَحَلَّبْتُ المحلوب. والمخاضُ لا واحدَ لها من لفظِها، وهي اسم مفردٌ موضوع للنُّوق الحوامل، والواحد من غير لفظها: خَلِفَةٌ. وقوله: «أبَتْ على المتغبِّر» قَدْ معه مضمرة، وهو واقعٌ موقع الحال. أراد: رأيتُ الخيلَ شائلةً أذنابَها عليكم شَوْلَ المخاضِ آبيَةً على المتغبِّر. ومن رُوِيَ: «ولقد رأيت غَدَاة» فقد أضمر مفعول رأيت، وهو الخيل. وساغ ذلك، لأنّ قوله ولقد شهِدتُ الخيلَ ـ وإن أريد به الفُرسان ـ يدلُّ عليه.

٣ ـ ونُطَاعِنُ الأبْطَال عن أَبْنَائِنَا وَعَلَى بَصَائِرنا وإن لم نُبْصِرِ

ذَكَر الأبناء كنايةً عن الحُرَم، كما قال الآخر: [السريع]

نُقَاتِلُ الأبْطَالَ عن بَنِينَا

والبصائر: جمع بَصيرة، وهو ما يستدِلُّ به الرجُل من رأيه وعَقْلِه على ما يَغِيب منه. وعلى ذا سُمِّيَت الطَّريقةُ من الدم بصيرة، لأنّهُ يُسْتدلُّ بها على الجُرْحِ، وفُسر قوله: [الكامل]

رَاحُوا بصائرُهُم على أكتافِهِمْ وبصيرتي يَعْدُو بهَا عَتَدٌ وأَي[٢]

على الوجهين جميعًا، فإذا جعلتها بصائر الرأي يكون المعنى: خَلَّفُوا آراءَهم وطرحُوهَا، كما يقال: تركْتُ الرّأي بموضع كذا وكذا، وجَعَلْتُ غَدًا منّي عَلَى ظَهرٍ. ومعنى «وبصيرتي يعدُو بها عَتَد وأي» أنّ رأيه معه نافِذٌ مستمرٌّ، وإذا جَعَلْتَهَا بصائرَ الدَّمِ يكون المعنى أنّهم مهزومون مَكلُومُون في ظهورهم وأقفائهم، فدماؤهم على أكتافِهِم. ومعنى «وبصيرتي يعدو بها عَتَدٌ وأي» في هذا الوجه أن دَمِي سَالمٌ في نفسي

(١) هذا البيت ترتيبه الثالث عند التبريزي وعنده «ولقد رأيت الخيلَ شُلْن».
(٢) البيت في اللسان (ب ص ر) بدون نسبة، والتبريزي ١ :١٠٠، وللأسعر الجعفي في اللسان (وأي).

وفَرَسي يَغْدُو بي. ومعنى البيت: إنا ندافع عن حُرَمِنَا وحريمنا، وعلى ما يعترض في الوقت، نَفْعَلُ ذلك وإن لم نُبْصِرْ عاقبة الأمر، ولم نَتَتَبَّعْها بالفكر فيها، وتأمُّل نتائجها، فَنَعْلَمَ مَوَادَّها. وهذا شأنُ الفُتَّاك فيما يُمَشُّونه من أحكام الحرب وينفِّذونه، ويفتِلُونه من أسباب الجِذاب والنِّزاع ويُبْرِمونه. وقد قيل في هذا البيت إنّه كما حُكِيَ عن مُسَيْلِمَةَ حين قال لبني حنيفة: «قاتِلوا عن أحسابِكم، فأمّا الدينُ فلا دينَ». وكأنّ المعنى على هذا: وعلى بصائرنا في الحرب عند المحافظة على الشرف وإن لم نُبْصِر أمرَ الدين. وهذا بعيدٌ متعسِّفٌ، وإذا تأمَّلْتَهُ ظَهَرَ لك. وفي الطريقة الأولى قول القُطَامِيّ: [الوافر]

وخَيْرُ الأمْرِ ما اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ بأنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعا[1]

وسمعت بعضَ أصحاب المَعَانِي يقول: المعنى: إنّا نُقاتل الأبطالَ جَرْيًا على عادةِ النَّاسِ عند نَظَرِهم لدُنياهم ودينِهم، في الذَّبِّ عن الحُرَمِ والعشيرةِ والشَّرَفِ، وعلى الأديان والاعتقادات والبصائر، وإنْ لم تُبْصِرْ وجْهًا واحدًا من هذه الوجوه نُقاتِلْ أيضًا، لأنّ هَمَّنَا القتلُ والقتال. قال: فَحُذِف مفعولُ وإن لم تُبْصِرْ لأنَّ المراد مفهوم، وكذلك حُذِف جوابُ إنْ، لأنّ فيما تَقدَّم دليلًا عليه.

٢٠ ـ القَطَرِيُّ بن الفُجَاءَةِ المازِنِي[2]: [الكامل]

١ ـ لا يَرْكَنَنْ أَحَدٌ إلى الإحجامِ ... يومَ الوَغَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ

قَصدُه إلى البعثِ والتحضيض، على التغرير بالنفس والتعريض. ألَا تَرَى أنه يحثُّ بهذا الكلام على ترك الفِكر في العواقب، ورَفْض التحرُّز خوفًا من المعاطِبِ. ويُنبِّه على أن الحذَر لا يُنجِي من القَدَرِ، وأن الأجَلَ إذا جاء لم تُغْنِ معه قُوَّة الأمل، فيقول: لا يَميلَنَّ أحدٌ إلى هَجْرِ الإقدامِ، والسكونِ إلى الإحجام في الحربي مُتَخَشِّعًا من الموت. والإحجامُ: مطاوعةُ حَجَمْتُ أي كَفَفْتُ ودفَعْتُ. فهو كالإكْبابِ في أنه لمطاوَعَةِ كبَبْتُ. ويقال: حَجَمْتُ البعير، إذا خَطَمْتَهُ بما يمنعه من العَضّ، ويُسَمَّى ذلك الشيءُ الحِجَامَ.

---

(١) البيت للقطامي في ديوانه ٣٥، وشرح أبيات سيبويه ٢: ٣٣٢، والشعر والشعراء ٢: ٧٢٨، ولسان العرب (تبع)، وبلا نسبة في أدب الكاتب، وجمهرة الأمثال ١: ٤١٩.

(٢) قطريّ بن الفجاءة: من رؤساء الخوارج وأبطالهم، كان خطيبًا فارسًا شاعرًا. (ت ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م). ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٤٣٠، وابن الأثير ٤: ١٧١.

٢ ـ فَلَقَدْ أُرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً مِنْ عَنْ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي

الدَّريئةُ تُهمَز ولا تُهمَز، فتُجعل من الدّرْءِ وهو الدَّفْعُ، ومن الدَّرْيِ وهو الخَتْل، ولهذا سُمِّيَت الدابّة التي يختل بها الصيدُ ليُمْكِنَ فيُرمَى: دَرِيَّةً، والحَلْقةُ التي يُتعَلَّم عليها الطَّعن دَريئةً، ويُمكن حَمْل البيت عليهما جميعًا. فإذا جَعَلتَ الدَّريئة الحَلْقةَ يقول: لا يفعلنَّ ذلك أحدٌ وليعتبرْ بحالي، فلقد رأيتُ نفسي في غير وقتٍ وحالٍ، وكأني للرّماح بمنزلة الحَلْقةَ التي يُتَعلَّم عليها الطعن، فتأتيني الرِّماحُ من جوانبي كلّها ثم سَلِمْتُ. وإنما اقتصَرَ على ذِكْر اليمين والقُدّام لأنه يَعْلم أن اليسار في ذلك كاليمين. فأما الظَّهر فإن الفارس لا يُمكِّنُ منه أحدًا. وإذا جَعَلتَ الدَّرِيَّةَ الدابّة الموصوفة يكون المعنى: فلقد أراني وقد اتُّقِيَ بي فصِرْتُ سُتْرةً لغيري من الطَّعن، كما تكون تلك الدابّةُ سُتْرةً للصائد والطعنُ يتناولُني. وعلى هذا يكون معنى «للرّماح» من أجل الرِّماح، والأوّلُ أحسنُ. وقوله: «مِنْ عن يميني» مِنْ تَعَلَّقَ بِفِعْلٍ دَلّ عليه قولُه أُراني دَريئةً للرِّماح، وهو تأتيني وما يَجرِي مَجْراهُ. وعَنْ من قولِهِ «عن يميني» اسمٌ هٰهنا، وليس بحَرْفٍ. والمعنى: من جانبِ يميني، ومثله قول الأعشى: [البسيط]

مِنْ عَنْ يمينِ الحُبَيّا نَظْرَةٌ قَبَلُ[1]

وقال الآخر: [السريع]

مِنْ عَنْ يَمِينِ الدَّارِ والحَائِطِ

٣ ـ حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرْجِي أَوْ عِنَانَ لِجَامِي

وقوله «أو عِنان لجامي»، أو: هٰهنا ليست للشّك، وإنما هي التي يُراد بها أحدُ الأمرين على طريق التعاقُب، أي إمّا ذا وإمّا ذا. ولك أن تريد الجمعَ، لأن أصل «أو» الإباحة. وهذا كما يُسأل الرجل فيقال له: ما كان طعامُكَ في بَلَدِك؟ فيقول: الحِنطة، أو الأرز، والمعنى: أحد هذين، على أن يكون كلُّ واحد منهما بدلًا من صاحبه أو الجميع. ومعنى البيت: انتصبتُ للرِّماح حتى خَضَبْتُ بما سال من دمي إمّا عِنانَ

(١) للقطامي في ديوانه ص ٢٨، وأدب الكاتب ٥٠٤، وشرح المفصل ٨: ٤١، واللسان (عنن، وحبا)، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ٥٥، والجنى الداني ٢٤٣، وجواهر الأدب ٣٢٢. وصدره:

«فقلت للركب لمّا أن علا بِهِمُ»

لجامي وإمّا جوانبَ سَرْجي، أي على حَسَب ما اتّفق من الطعن. فالعِنان لما سالَ من أعاليه، وجوانب السَّرج لما سال مِن أسافله.

٤ ـ ثم انصرفْتُ وقد أَصَبْتُ ولم أُصَبْ جَـذَعَ الـبَـصِـيـرَةِ قـارِحَ الإقـدام

الجُذوعةُ قبل الإثناء بسَنَةٍ، والدَّهْرُ لجِدَّتِه يُسمَّى جَذَعًا، وكذلك يقال لمن يُرَى في أمر ما على حالةٍ واحدة: هو جَذَعٌ فيه. وانتصابُ «جَذَعَ البصيرةِ» على أنه حالٌ وهو نَكِرَةٌ. والمعنى: ثم انصرفت مع ما وصفْتُ من حالي واتِّفَقَ مع ضِيق المجال عَلَيّ، وقد نِلْتُ ما أردتُ من الأعداء ولم ينالوا منّي ما أرادوا، وأنا على بصيرتي الأولى لم يَبْدُ لي في الاقتحام، ولا غَلَبَ في اختياري التَّطرُّف والانحراف، بل صار إقدامي في الحرب قارِحًا لطُولِ ممارستي، وتكرُّر مبارزتي، وإن كان بَقِيَ رأيي فيه جَذَعًا. وهذا يريدُ به ما يَترقّى فيه الإنسان من التدرُّب والتمرُّن عند مزاولةِ الأعمال، ومن بقاء وَلُوعِهِ بها، وحِرْصِهِ عليها على حَدِّه في أوّل الشأن. وكما جَعَلَ هذا القُروح والجُذُوعة: البصيرة والإقدام، قال أبو تمّام: [الكامل]

كَهْلُ الأَنَاةِ فَتَى الشَّذَاةِ [إذا عدا للحرب كان القشعم الغطريفا][1]

فنقَلَه كما ترى، واقتدى به البحتريُّ فقال: [الكامل]

إقْـدامُ غِـرٍّ واعْـتِـزامُ مُـجَـرِّبِ[2]

وقد أشار الأعشى إلى كلٍّ ذلك في قوله: [المتقارب]

تَـمَـهَّـلَ فـي الْـحَـرْبِ حَـتَّـى امْـتَـهـنْ[3]

وفي طريقته قَوْلُ أبي الغولِ: [الوافر]

وَلَا تَـبْـلَـى بَـسَـالَـتُـهُـمْ وإنْ هُـمْ صَلُوا لِلْحَرْبِ حِينًا بعد حِينِ[4]

---

(١) ديوانه ص ٢٠٧.
(٢) ديوانه ص ٢٠، وصدره:
«مـلـك لـه فـي كـل يـوم كـريـهـة»
(٣) ديوانه ص ٢١، وصدره:
«عـلـيـه سـلاح امـرىء مـاجـد»
(٤) انظر الحماسية ٣، البيت الرابع.

٢١ ـ الحَرِيشُ، ويُرْوَى للعَبَّاسِ بن مِرْداسٍ[(١)]:

١ ـ شَهِدْنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّماتٍ حُنَيْنًا وَهْيَ دامِيَةُ الحَوامِي

الْحَوَامِي من الحِمَاية، وهي المَنْع. وكما جَعلوا للحوافر حواميَ سَمَّوا ما يُطْوَى به البئرُ من الحجارة وغيرها ليحمي جوانبها من التَّشَعُّثِ والتهدُّم: حَوَامِيَ. يَصِفُ خَيلًا فيقولُ: حضرتْ حُنينًا مع النبي ﷺ وعلى آله، مُعْلَمَاتٍ وقد دَمِيتْ جوانبُ حوافرها لكثرة العَدْوِ، ولِمَا لحِقَها من التَّعَب. وكان رسول الله ﷺ غَزَا هَوَازِنَ بوادي حُنَيْن، ورئيسُ هوازِنَ مَالِك بن عَوْفٍ النَصريُّ، وهو اليوم الذي قتل فيه دُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشَمِيُّ. وإنما قال «مُسَوَّماتٍ» لأنهم أَعلموا أنفسَهم بعلامَاتٍ لِيَبِينَ بها فضلُ كلٍ منهم وبلاؤه. والسِّيمَاءُ: العلامَةُ، وقد فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤] على ذلك. وكذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

٢ ـ وَوَقْعَةَ خالِدٍ شَهِدَتْ وَحَكَّتْ سَنَابِكَها على البلَدِ الحرامِ

أصلُ الحَكِّ صَدْمُ جسم بآخَر وترديده عليه ليؤثِّر فيه، وتَوَسَّعوا فيه فقالوا: حَكَّ هذا الأَمْرُ في صدري، لِمَا يَتَرَدَّد في خاطرِك. وهو يتحكَّك بفلانٍ أي يتَعرَّض له، حتّى إنّهم يقولون للشَّيء الخفيّ: هو حَكِيك نَحِيت، ويَعني خالد بن الوليد بن المُغِيرَة. وأشار بهذا إلى فتح مكّة، وإنّما نسَبها إلى خالدٍ لأنَّ النبي ﷺ استعمل خالدًا يومَ الفتح على الخيل فلقِيَ قريشًا بالخَنْدَمَةِ[(٢)]، فقاتلهم وهَزَمهم. فيقولُ: وحضرَتْ أيضًا وقعةَ خالدٍ يومَ الفتح، وحَكَّت أطراف حوافرها بأرضِ الحَرَم. والمُراد بيانُ طولِ مُمارستها للحروبِ والوَقَعات، وتردُّدِها في تَحَمُّل أعباء الشَّرِّ والمَشَقّات.

٣ ـ نُعَرِّضُ للسُّيوفِ بكلِّ ثَغْرٍ خُدُودًا ما تُعَرَّضُ لِلَّطامِ[(٣)]

---

(١) الحريش بن هلال التميمي القريعي: شاعر إسلامي اختلف في صحبته (انظر الإصابة ترجمة رقم ٢٠٨٧)، والعباس بن مرداس: شاعر فارس من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة، أسلم قبيل فتح مكة (ت نحو ١٨ هـ ـ ٦٣٩ م). (ترجمته في خزانة الأدب ١: ٧٣، والشعر والشعراء ١٠١). وقال التبريزي ١: ١٠٣: «ويروى للجحّاف بن حكيم بن عاصم». وهو شاعر فاتك ثائر، عاصر عبد الملك بن مروان (ت نحو ٩٠ هـ/ ٧٠٩ م). (ترجمته في طبقات فحول الشعراء ٤١١).

(٢) الخندمة: جبل معروف عند مكة، كانت عنده وقعة يوم فتح مكة.

(٣) عند التبريزي: «نعرّض للسيوف إذا التقينا».

مثْلُه: [المتقارب]

نُهِينُ النُّفُوسَ وهُونُ النُّفُو ... سِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ أَوْقَى لَهَا[١]

يقول: نبتذل في الحروب أنفسنا طلبًا لصيانتها، ونَسْتَقْتِلُ فنتعرَّض ولا نَتَقَبَّض عنها، بل نبذُل لها وجوهَنا التي هي حَرَمُ النُّفوسِ، ولو عُرِضَ علينا في السِّلْم والسَّلامةِ بذلُها لِلْطَام، لا نِفْنَا منه وامتنعنا. والمعنى: نتلقى السيوف بخُدودِنا إذا كَسَبْنَا ذِكْرًا، وإنْ صُنَّاهَا عن الأذى اليسير. وأكْشَفُ من هذا وأشْرَفُ قولُ الآخَر: [الطويل]

ويبتذِلُ النَّفسَ المَصُونَةَ نَفْسَهُ ... إذا ما رأى حَقًّا عليه ابتذالَها

٤ ـ ولَسْتُ بخالعٍ عنّي ثيابي ... إذَا هَرَّ الكُمَاةُ ولا أُرَامِي

الثِّيابُ يَعني بها السِّلاح، وهذا كما يُسمّى بَزًّا. ألَا تَرَى قَوْلَ[٢] الآخر: [السريع]

بَزُّ امرىءٍ مُسْتَسْلِمٍ حازِمِ

وقول الهُذَليّ: [الطويل]

فَوُقِّرَ بَزٌّ ما هُنالِكَ ضَائعُ[٣]

يعني السَّيف، وهذا يحتمل وجهين: يجوز أن يكون المعنى لا أَنْزَعُ ثيابي وقتَ هَرِيرِ الأبطال تشمُّرًا وتَخَفُّفًا ثم لا أُبلِي ولا أَجْتَهِد، ولكن إذا وطَّنْتُ نفسي على الشَّرّ تقصَّيْتُ أبلغَ ما يكون منه بأبلغِ ما يكون من بَلائِي. وموضع «ولا أرامي» نَصْبٌ على الحال، أي لا أفعل ذلك غَيْرَ مُرَامٍ. ويَعْنِي بالمُراماةِ مدافعةَ الخَصْمِ ومجاهَدَتَه بكلّ ممكن ومُعْرِض، وليس يريدُ الرَّمْيَ بالنِّبَال. وقد توسَّعُوا في الرَّمْي والمراماةِ حتَّى استُعمِل في الافتخار، واستُعير لتأثير الدَّهر والشَّيب ولِنَظَر المحبوبِ المُفْتَتِن. ويجوز أن يكونَ نَفَى الأمرين جميعًا فقال: لا أخلَعُ ثيابي تخفيفًا عن نفسي في التَّوَلِّي

(١) البيت في الحيوان ٦: ٤٢٧ وقد نسبه للخنساء.

(٢) البيت في المفضليات ٢: ٨٥ وقد نسبه لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري وعجزه:
«للدهر جلد غير مجزاع»

(٣) البيت لقيس بن عيزارة الهذليّ في ديوان الهذليين ٣: ٧٨، والتبريزي ١: ١٠٥. وصدره:
«فويلُ امِّ بزٍّ جَرّ شعلٌ على الحصا»

والانهزام عند هَرِير الشُّجْعَان، ولا أُرامِي أيضًا، يعني الرَّمْيَ بالنِّبالِ، ولكن أتلقَّى الشَّرَّ وأُصْدِمُهُ بوجهي. ويشهد لهذا أوّل البيتِ التالي له، وإنّما قال ذلك لأنَّ المُرَماةَ تكون من بعيد فتُخطىء وتصيب، وعند المكافحة تَثْكَلُ الأمّهات.

٥ ـ ولكِنّي يَجُولُ الْمُهْرُ تَحْتِي إلَى الغاراتِ بالعَضْبِ الْحُسَام

العَضْبُ: القَطْعُ والمَنع، ثم قيل سَيْفٌ عَضبٌ، أي قاطِعٌ، كما قيلَ ضَيْفٌ في الضّائف. وقال الخليل: سُمّيَ السيفُ حُسَامًا لأنه يحسِم العَدُوّ عمّا يُريدُ من بلوغ عَدَاوته. وقوله: «بالعَضْبِ»، أي ومَعِي العَضْبُ، وهو في موضع الحال، ومعنى البيت ظاهر.

٢٢ ـ ابْنُ زَيَّابَة التَّيْمِي:(١) [السريع]

١ ـ نُبِّئْتُ عَمْرًا غارِزًا رَأْسَهُ في سِنَةٍ يُوعِدُ أخْوالَهُ

جَعَل غَرْزَ الرأس كنايةً عن الجَهْلِ والذَّهَابِ عما عليه وله من التحفُّظ. ونُبّي وأُنبِيء مما يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل، فَعَمْرًا انتصب على أنّه مفعول ثانٍ، وغارزًا، انتصب عَلَى أنه مفعولٌ ثالث، ورأسه انتَصَبَ من غارِزًا. وأرادَ بالسِّنَةِ: الغَفْلة، وهي ما يحدثُ من أوائل النَّوْم في العَين ولم يستحكِمْ بَعد. وهذا من أحسن التَّشبيه وأبلغ التعريض. والإبعادُ إذا كان على ما وَصَفَ حقيقٌ بالتَّهجين، يَدُلُّ على ذلك قولُه: [الكامل]

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النعاسُ فرنَّقَتْ في عَيْنِهِ سِنَةٌ وليس بنائِم(٢)

وقد فَصَل الله تعالى بينهما بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٥]. والفِعلُ وَسِنَ يَوْسَنُ وسَنًا. وموضع «يُوعِدُ» نَصْبٌ على الحال. ومعنى «غارزًا رأسَهُ»: مُدْخِلًا؛ ومنه الغَرْزُ بالإبَر. ويقال: غَرَز فُلَانٌ رِجْلَهُ في الغَرْزِ، أي في الرِّكاب. وتوسَّعوا حتّى قالوا: اغترَزَ فلانٌ في ركاب القَوْلِ.

٢ ـ وَتِلْكَ مِنْهُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ أن يَفْعَلَ الشيءَ إذا قالَهُ

---

(١) ابن زيّابة التيمي: هو عمرو بن الحارث بن همام، من بني تيم اللات بن ثعلبة، شاعر جاهلي، ترجمته في المرزباني ص ٢١٤، والأعلام ٥: ٢٥٦.

(٢) لعدي بن الرقاع في اللسان (رذق).

هذا الكلام تَهكُّمٌ وسُخْرِيَّةٌ، وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

وأما أخُو قُرْطٍ فلستُ بساخِرٍ   فقولَا ألا يا أسْلَمْ بمُرَّةَ سالما

قال هذا ومُرَّةُ مُعَرِّضٌ لكلِّ بلاءٍ. «أن يَفعل» موضِعُهُ رَفْعٌ على البدل من قوله وتلك منه. والمعنى: تلك الخَصْلَةُ لا يؤمَنُ وقوعُها من عَمْرٍو، وهو فِعْلُهُ لما يقولُه.

٣ ـ الرُّمْحُ لا أمْلأُ كَفِّي به   واللِّبْدُ لا أتْبَعُ تَزْوَالَهُ

هذا التمدّح منه تعريضٌ بخَصْمه وإزراءٌ بفروسيّته، وإشارةٌ إلى أن أضدادَ هذه الأوصاف مجتمعة فيه. فيجوز أن يكون المعنى: إنّي لا أقتصِرُ مِن تعاطِي أنواعِ السلاح على الرُّمْح فقط، ولكنّي أجمع في الاستعمال بينها. وهذا كما يُقال: مَلأَ كَفَّه من كذا فليس فيه موضِعٌ لغيرِهِ. ويجوز أن يكون المعنى: إنّي أستعمل رمحي بأطراف أصابعي لحذقي واقتداري، ولا آخذه بجميع كفِّي. وهذا كما يقالُ: أقْبِصُهُ ولا أقْبِضُهُ؛ لأن القبصَ: الأخْذُ بأطراف الأصابع، والقَبْضَ بالكَفِّ كُلِّها. ومثلُه قول الآخر: [الطويل]

لَبِيقًا بتصريف القَنَاةِ بَنَانِيَا(١)

وقولُه: «واللِّبْد لا أتْبع تَزْوَالَهُ» أراد: ألزم ظهر دابّتي، وإنْ مالَ اللِّبدُ لم أمِلْ معه. وهذا كما قال أبو النجم: [الرجز]

أدْرَكَ عَقْلًا والرِّهانُ عَمَلُهْ   ثَقْفُ أعالِيهِ وقارٌ أسْفَلُهْ(٢)

أي كأنه يُلْصِقُ الأسفل بظهر الفَرَس فلا يَزُول ولا يَميل.

٤ ـ والدِّرْعُ لا أبغِي بها ثَرْوَةً   كلَّ امرِئٍ مُستَودَعٌ مالَهُ

لولا أنّ قَصْده في التمدُّح إلى التعريض بالمخبَرِ عنه لكان لا معنى لهذا الكلام. ألا تَرَى أنّ قولَه: «والدِّرع لا أبغي بها ثروة» وقد فُسِّر على أنه يجوز أن يكون المراد: لا أقتني الدِّرع لكي أتّجرَ فيها فأتموّل، وترْكُ التِّجارة في الأسلحة ليس فيه

---

(١) البيت لعبد يغوث بن وقاص في شرح اختيارات المفضل ص ٧٧٢، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥: ٢٣١. وصدره:

«وكنتُ إذا ما الخيلُ شمّصها القنا»

(٢) الشطر الأول من الرجز بلا نسبة في اللسان (خمس).

كبير تَمَدُّح. ويجوز أن يكون المعنى: لا أعدُّها سببًا في ارتفاق المَغانم فأُثْرِيَ، ويكون كقول عنترة: [الكامل]

يُخْبِرْكِ من شَهِدَ الوقيعة أنني أَغْشَى الوَغَى وأعِفُّ عند المَغْنَمِ(١)

وقوله: «كلُّ امرىءٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالَهُ». يريدُ به؛ المال ودائعُ عند الناس، ولا بدّ من ارتجاعها والتقاضي بها وإن أُمْهِلُوا مُدَّةً، فلم أتّجِرْ في دِرْعِي أو لم ألبَسْها لتَغَنُّم الأنفالِ بها، والمالُ هذه حاله عند أربابِه. ويكون هذا كما قال الآخر(٢): [الطويل]

ومَا المالُ والأهلُونَ إلّا ودائعٌ ولا بُدَّ يَوْمًا أن تُرَدَّ الودائعُ

ويجوز أن يكون «ما» من قوله «مَالَهُ» بمعنى الذي، فيكون المعنى: كلّ امرىء مُرْتَهَنٌ بأجَلِه، وبالذي كُتِبَ له، ولا يمتنع أن يكون أشار بـ«ما» إلى ما يُقتنى من أغراض الدنيا. ويُروى: «كلُّ امرىءٍ مُسْتَوْدِعٌ مَالَهُ» بكسر الدال، والمعنى أنَّ ما يجمعه المرءُ بِكَسْبِه إذا جاء مَخْتُومُ القضاءِ يتركُه لغيره لا مَحالة، فلِمَ أرغبُ فيه وفي ادّخاره، وأَزهدُ في اكتساب المحامد والمَعَالِي؟ وهذا الكلام نهايةٌ في التنقُّص ممن عَرَّضَ به، وغايةٌ في الطَّعن عليه، والقَدْح في عَادَته. ويُروى: «والدِّرْع لا أبْغِي بها نَثْرةً»، وهي الواسعة. والمعنى: إنّي أكتَفِي من الدِّرْع ببَدنةٍ، فلا أطلُب ما يفيضُ فَيْضًا، ويجب مع هذه الرِّواية والتفسير أن يكون معنى المِصْرَاع الثّاني: كلُّ امرىءٍ مُرْتَهَنٌ بأجله، ومُمَهَّلٌ ليومه.

٥ ـ آلَيْتُ لَا أَدْفِنُ قَتْلَاكُمُ فَدَخِّنُوا المَرْءَ وسِرْبَالَهُ(٣)

هذا البيت لم أَجِدْهُ في نسخٍ كثيرة، فيغلب في ظنّي أنّه ليس من الاختيار، وعلى ما بِهِ فله قِصَّةٌ مشهورةٌ زَعَمُوا. وهي أنه يُرْوَى فيه أنّ واحدًا من المُخَاطَبين كان أَحْدَثَ في حَرْبٍ حَضَرَها خَوْفًا على نَفْسه، فَعَرَّضَ الشاعِرُ بهم وذَكَّرهم سوء بلائهم، وضَعْفَ ثباتِهم. وإنّما يُريدُ أنهم إذا صُرِعُوا في المعركة عُثِر منهم إنْ لم يُطَيِّبُوا على مِثْل ما فَعَلَهُ ذلك الواحد المُعَرَّضُ به، أو استُدِلَّ بالرّائحة عليه فافتضحوا. وهذا تهكُّمٌ

---

(١) ديوانه ص ٢٠٩، وأساس البلاغة (وقع).
(٢) للبيد في ديوانه ١٧٠، واللسان (عمر) وتاج العروس (شيع، ودع).
(٣) قبل هذا البيت عند التبريزي بيت آخر هو:
«إنكَ يا عمرُو وتَرْكَ الندى كالعبدِ إذ قَيَّدَ أجمالَهُ»

أيضًا وتعبيرٌ بالاتِّفاق السيّىء. وآلَيْتُ: معناه حَلَفْتُ ولفظُه لفظ الخبر، والمعنى معنى القَسَم. وربّما قالوا: آليت على نَفْسِي.

٢٣ ـ الحارِثُ بن همَّامٍ الشَّيْبَانِيُّ[(١)]: [السريع]

١ ـ أَيَا ابنَ زَيَّابَةَ إن تَلْقَنِي لا تَلْقَنِي في النَّعَمِ العَازِبِ

النَّعَمُ يُذكَّرُ ويؤنَّث، والتذكير فيه أغلب. وفائدته في الإفراد الإبلُ في الأكْثَر، وإذا جُمِعَ دَلَّت على الأزواج الثمانية[(٢)]. يُعرِّضُ بأنَّهُ راعٍ فيقولُ: يا ابْن زَيَّابَةَ إنَّك لا تجدني راعيًا يبعد في المَرْعَى بإبلِهِ. والمعنى: أنت كذلك، ويُقالُ: مالٌ عازِبٌ وعَزَبٌ، إذا بَعُدَ عن أَهْلِهِ. ورَوْضٌ عَازِبٌ: بعيد المَطْلَب.

٢ ـ وتَلْقَني يَشْتَدُّ بي أَجْرَدٌ مُسْتَقْدِمُ البِرْكَةِ كالرّاكب

قوله: «وتلقني» عَطَفَه على الجواب، لأنه يَصْلح أن يكون جَوَابًا. ألا تَرَى أنه لو قال: إن تَلْقَنِي تلقني كذا، لَصَلَحَ؟ يقول: تلقاني يَعْدُو بي فَرَسٌ قصيرُ الشَّعْرِ، متقدِّمُ الصَّدْرِ، مُشْرِفٌ كالرّاكِب، أي إشرافُه إشرافُ الراكب لا المركوب. ويَشْتَدُّ: يَفْتعلُ من الشَدّ، وهو العَدْو. ويقال: اسْتَقْدَمُ وتَقَدَّمَ، واستأخر وتأخّر، بمعنًى. والبِرْكَةُ، كُسِرَ باؤها عند اتِّصال الهاء بها، لولا ذلك لقيل بَرْكٌ بفتح الباء.

٢٤ ـ فأجابَهُ ابنُ زَيَّابَةَ: [السريع]

١ ـ يا لَهْفَ زَيَّابَةَ للحارِثِ الـ صَّابِحِ فالغانِمِ فالآيِبِ

يجوز أن يكون أورد هذا الكلام ساخِرًا متهانِفًا[(٣)]، ومستهزئًا متهكِّمًا، فوصفه بهذه الصِّفات وكان الأمرُ بخلافه، ويقرِّبُ هذا أنّ ما قَبْل هذه المقطوعةِ في مثل هذه الطريقة. ويجوز أن يكون ذكَر ما كان منه على الحقيقة، فهو يتحسَّرُ لما رأى من فَلَاحِه في غَزَاتِه، وسلامتِه في مآبِه. ويقولُ: يا حَسْرةَ أُمِّي من أجْل هذا الرَّجل فيما ارتفع له من المراد في الغَزْو، وجُمِع له من السلامة والوَفْرِ. والصابحُ، يجوز أن

(١) الحارث بن همام بن مرة، شاعر جاهلي.
(٢) الأزواج الثمانية هي: الضأن والمعز والإبل والبقر، ذكورها وإناثها.
(٣) الإهناف: ضحكٌ فيه فتورٌ كضحك المستهزىء، وكذلك المُهانفة والتهانف.

يكون في معنى مُصْبِحٍ، كما قال: [الخفيف]

حيـن لاحَـتْ لـلصـابـحِ الـجَـوْزاءُ[١]

والغارةُ وقتُها الغَدَاة، فلذلك قال: للحارث المُصْبِح عندنا والغانِم منّا. والترتيب الذي يفيدُه الفاء جارٍ على سَنَنِه، كأنه أرادَ للحارثِ الغازي نَحْوَنا والغانم منّا ـ والغُنْمُ بعد الغَزْو ـ فالآيبِ إلى قومِهِ ـ والأَوْبَةُ بعد الاستغنام. ويجوز أن يكون الصابحُ من صَبَحْتُ القومَ، إذا أتيتَهُمْ صباحًا. وفي المَثَل السائر «صَبَحْناهم فَغَدَوْا شَأْمَةً»[٢]. وهذا الوجْهُ أَوْجَهُ وأجوَدُ. واعلم أن الصِّفة إذا جاءت للتَّبيين وإزالة اللَّبْس عن الموصوف، فالوَجْهُ أن يُعْمَدَ إلى أخصِّها بالموصوف، وأحَقِّها بالبيان والشرح، حتى تُغْنِيَ عن العُدُول عنها إلى غيرِها من الصِّفات، فإن اتُّفِق بعد ذلك لَبْسٌ حينئذٍ يُزال بما يُضَمُّ إليه. وإذا جاءت للتعظيم أو التهجين فإنه قد يُوالَى بين عِدَّةٍ منها بحروف النَّسَقِ ومِنْ دونِها: تقول: جاءني زيدٌ الظريفُ الكاتبُ الفاضلُ العالِمُ: وإن أتيت بالواو العاطفة متخلِّلةً له ساغَ، فإن قيل: إذا كانت الصفةُ هي الموصوفَ، والشيءُ لا يُعطفُ على نَفْسِهِ، فكيف جازَ عطفُ بعضِ الصفاتِ على بعض؟ قلتَ: تَغايُرُ المعاني الحاصلةِ بها وقوّةُ اتِّصالِ بعضِها ببعضٍ في بابَيِ الصِّلَة والصِّفَةِ، سَوَّغَ ذلك في ألفاظِها.

٢ ـ واللهِ لـو لاقَـيْـتُـهُ خـالِيًـا ‏ ‏ ‏ لَآبَ سَـيْـفَـانَـا مَـعَ الـغـالِبِ

أَقسَمَ بالله فيقول: والله لو لقيتُه منفرِدًا عن أشياعه لحصَلَ سيفانا للغالب منّا. وذَكَرَ السَّيفينِ والمرادُ جميعُ ما معهم من بَزِّهما وسِلاحهما، لعلوّ شأنهما. وجعَل الفِعْلَ للسَّيفين على المجاز. والمعنى: لو خَلَوْتُ به لقتلْتُه أو قَتَلني.

٣ ـ أَنَـا أَبـنُ زَيَّـابَـةَ إِنْ تَـدْعُـنِـي ‏ ‏ ‏ آتِـكَ والـظَّـنُّ عَـلَى الـكـاذِبِ

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص ٢٤، ولسان العرب (صبح)، والشعر والشعراء ٣١٠، والأغاني ٥:١٥١، والحماسة البصرية ٢:٣٥٨، والحيوان ٥:٢٣١، وخزانة الأدب ٧:٣٢١. وصدره:

«أيّ ساعٍ سعى ليقطع شربي»

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١:٥٥٧، وقال «أي أوقعنا بهم صبحًا فأخذوا الشق الأشأم، أي صاروا أصحاب شأمة وهي ضد اليمنة».

قوله: «والظنُّ على الكاذب» يجري مَجْرى الأمثال، ويكون مبنيًّا على ما قال لبيد، وهو: [الرمل]

واكـذِبِ الـنَّـفْـسَ إذا حـدَّثـتَـهـا إن صِدْق النفسِ يُزْرِي بالأَمَلْ[1]

والمعنى: كلٌّ منا يحدِّثُ نفسه ويَكذِبها، ثم الظنُّ على من لا يَتحقق أمَلُه. ويجوز أن يريد: أنا المعروف المشهور، إنْ دَعَوْتني لمبارزتك جئتك، فإن كنتَ تظنُّ غير هذا فظنّك عليك، لأنك تَكْذِبُ نفْسَك فيما تتوهّمه من قُعودي عنك، أو نُكُولي عن الإقدام عليك. ويجوز أن يكون المعنى: إن تَدْعُني أجِبْك، فإن ظننت أن تكون الغالب فظنُّك عليك، لأنك تكذِب نفسك.

٢٥ ـ الأَشْتَرُ النَّخَعي[2]: [الكامل]

١ ـ بَقَّيْتُ وَفْرِي وَانْحَرفتُ عن العُلَا ولَقِيتُ أَضْيافِي بوجْهِ عَبُوسِ

الوَفْر: المالُ الكثير. والعُبُوس: الكُلُوح عن غَضَبٍ، وتوسَّعوا فقالوا: يومٌ عَبُوسٌ، أي شديدٌ. وهو جِبْسٌ عِبْسٌ، في اللئيم. وهذا من الأيمان الشريفة، واللفظُ لفظُ الخَبَر، وظاهرُه الدُّعاء، ومحصولُه القَسَم. فيقول: ادّخرتُ مالي ولم أفرّقه فيما يَكسِبُ لي حَمْدًا، فِعْلَ البُخلاء، وزهِدْتُ في اكتساب المعالي والمآثر زُهْدَ الأدنياء، وتلقَّيت الأضياف بوجه رجلٍ كالحٍ إن لم أفْعَل كذا. ومثْلُه في اليمين قولُ النابغة: [البسيط]

إذًا فـلا رَفَـعَـتْ سَـوْطِـي إلـيَّ يَـدِي[3]

٢ ـ إنْ لـم أَشُنَّ عـلى ابـن حَـرْبٍ غَـارَةً لـم تَخْلُ يَوْمًا من نِهَابِ نُفُوسِ[4]

شَنُّ الغَارَةِ مُعْجَمَةً، وسَنُّها معجمةٍ: صَبُّها. وأصل جميعِها في الماء، ثمّ حَصَلَ التوسُّع فيها. يقول: تَصَوَّرتُ بتلك الصورة التي ذكرتُها وأقْسَمْتُ بها، إن لم أَصُبَّ

---

(١) البيت للبيد في ديوانه ص ١٨٠، ولسان العرب (كذب، وخزا)، وجمهرة اللغة ٥٩٦.

(٢) الأشتر النخعي: مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، أمير من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، حضر اليرموك وذهبت عينه بها (ت ٣٧ هـ/ ٦٥٧ م). ترجمته في الإصابة رقم ٨٣٤٣، والولاة والقضاة ص ٢٣، والمرزباني ٣٦٢.

(٣) البيت للنابغة الذبياني ص ٢٥، والأزهيّة ص ٥٢، وخزانة الأدب ٥: ٧٣، ولسان العرب (ندي). وصدره:

«ما إن أتيتُ بشيء أنت تكرهه»

(٤) التبريزي ١: ١١٣؛ «ابن حرب، يعني معاوية بن أبي سفيان».

على هذا الرجل خَيْلًا لا تخلو يَوْمًا من اختلاس نُفُوسٍ، وانتهابِ آجال. وسَمَّى الخَيْل غارَةً لمّا كانت من قِبَلِها تكون. وموضع «لم تَخْلُ يَوْمًا» نَصْبٌ على الصفة للغارة، أي خَيْلًا جَرَتْ عادتُها بذلك. والنِّهابُ يجوز أن يكون مصدرَ ناهَبْتُهُ ويُسْتَعْمَلُ في المُغَاورة والمُماراة، ويجوز أن يكون جَمْع النَّهبِ. وجوابُ «إن لم أشُنّ» فيما تقدم.

٣ ـ خَيلًا كأمثالِ السَّعالي شُزَّبًا تَغدو بِبِيضٍ في الكريهَةِ شُوسِ

الشُّزَّب: الضُّمَّر. والشُّوس: جمع أشْوَس، ويقال شَاسَ يَشُوسُ وشَوِسَ يَشْوَسُ، إذا عُرِفَ في نظرِه الغضب أو الكِبْرِ. وانتَصَب «خَيْلًا» على أنه بدلٌ من غارَةً. وشَبَّهَ الخَيلَ في ضُمْرِهَا وسُرعةِ نَفَاذِها بالجِنّ. وانتَصَب «شُزَّبًا» على أنّه صِفَةٌ للخيل، لأنّ قولَهُ «كأمثالِ»، أيضًا صِفَة، ويجوز أن يكون حَالًا للمُضْمَر في كَأَمْثَالِ السَّعالِي. والمعنى: خيلًا تشابه السَّعالي في حَالِ شُزُوبِها وضُمْرِها. وقولُه: «تَغْدُو ببيضٍ» أيضًا صِفَةٌ، إمّا لقوله شُزَّبًا، وإما للأوّل تَغْدُو برجالٍ كِرَام، متكبِّرين في الحرب، ذوي أَنَفَةٍ. وإذا جُمِعَ بين مفرداتٍ وجُمَلٍ في الوصْفِ، فالترتيب المختار تقديم المفردات على الجُمَل، وقد جاء البيت على ذلك. والعَرَبُ تَجْعَلُ البياضَ كِنَايَةً عن الكَرَمِ، كأنّها تُريد نقَاء العِرْض. على ذلك قولُه[1]: [المنسرح]

أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةَ

وكما فَعَلُوا هذا جَعَلُوا الغُرَّ كنايةً عن الكِرام، وربّما قالوا غُرّانٌ. فأمّا قولُهم: «بيض الوجوه» فالمراد أنّهم لم يفعلوا شيئًا يَشينُهم فيغيِّر لونَهُم عند ذكره. وقد قالوا في ضِدِّهِ: «أوْجُهُهُمْ كالحُمَم»، و«سُودُ الوُجُوه». وأما الشَّوَسُ فكما وُصِف به الرِّجالُ وُصِفَ به الخيلُ أيضًا، والمُراد به عِزّةُ النَّفس. وقوله «في الكريهة» للُحوق الهاء بها أُلحِق بباب الأسماء، ويستعمل في نوازِل الدَّهر وشدائد الأمر. وهو ظَرْفٌ إن شئتَ لما دَلَّ عليه قَوْلُهُ «بيضٌ» من الكرم، وإنْ شئت لقوله شُوسٌ. والكرم في الكرائِهِ: نزاهة النَّفس عن لوازم العار.

٤ ـ حَمِيَ الحديدُ عليهِمُ فكأنَّهُ وَمَضَانُ بَرْقٍ أو شُعَاعُ شُمُوسِ

(١) البيت لزهير في ديوانه ص ٥٢، واللسان (بيض)، وتمامه:

«أمّك بيضاء من قضاعة في الـ بيت الذي يستكن في طنبه»

شُعَاعُ الشَّمس: انتشار ضوئِها. ويقال: أشَعَّتِ الشَّمسُ: انتشر شُعاعُها. يقول: حَمِيت الأسلحةُ يومَ الوَغَى لصبرهم وثباتهم، وطول مُقَامِهِم. ثمّ شَبَّهَ لمعانَها بومَضَان البَرْق أو شعاع الشمس، وجَمَع الشُّموس لاختلاف مطالعها. والوَمَضَان: مَصْدَر وَمَضَ، وكذلك الوَمْض والوَمِيض، ويقال في فِعله أَوْمضَ أيضًا.

٢٦ ـ مَعْدَانُ بن جَوَّاسٍ الكِنديُّ(١):

ودخَلَ هذان البيتان في الباب لما اشتملَا عليه لفظًا ومعنًى من الفظاظة والقسوة. [الطويل]

١ ـ إنْ كان ما بُلِّغْتِ عَنّي فَلَامَنِي صَدِيقِي وشَلَّتْ من يَدَيَّ الأنامِلُ(٢)

قولُه «صديقي» يجب أن يُريدَ به الكثرةَ لا الواحد. ويقال: شَلَّتْ يَدُهُ شَلَلًا. وهذا من الجنس الأوّل في أنَّ لفظَه لفظُ الخبر، والمعنى معنى الدُّعاء، والمراد القسم. وقوله «فلامني» لامني في موضع رفع على أنه خبر ابتداءٍ محذوفٍ، كأنه قال: فأنا لامَنِي، والفاء مع ما بعده جواب إنْ. والمعنى: إن كان ما أُدِّيَ إليكِ عنّي حقًّا ففعلت ما استحققتُ به لَوْمَ الصديق، واستَرْخَتْ أصابعي. فإن قيل: اليمين والشَّرط كيف يصِحّ؟ قلت: هذا كلام مُبْطِلٌ لما ادُّعِي عليه، نافٍ له، فاليمين تناوَلَتْ نَفْيَ ما أُثبِتَ فيه، ودفعَ ما قُرِفَ به. ودَلَّ على ذلك فَحْوى الكلام. ويجوز في «كان» أن يكون التامَّةَ لا الناقِصَةَ، فيكتَفِي بالفاعِل ولا يَحتاجَ أن يُضْمَر بَعْدَهُ «حَقًّا». والمَعْنَى: إنْ وقع ما بُلِّغْتِ عنّي وحَدَث. وتخصيصه للأنامل لأنّ أكثر المنافِع بها. وجازَ إضمارُ خبر كان إذا جعلتها ناقصةً لأنّ في الكلام والحال دليلًا عليه، ولأنّ دخُولَه على المبتدأ والخبر، فكما يُحذَفُ الخبر في ذلك الباب يُحذف هنا.

٢ ـ وكَفَّنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا بِرِدَائِهِ وصَادَفَ حَوْطًا من أعَادِيَّ قاتِلُ(٣)

وَحْدِي انتَصَبَ على المصدر، وهو في موضع التَّوَحُّد. وفي النَّحويين من يجعله وإن كان مَعْرفةً في موضع الحال. يقول: وفُجِعْت بِمُنْذِرٍ وأُحوِجْتُ إلى أن أباشرَ تكفينَه وتجهيزَهُ بنفسي ـ وهذا مما يزيد المُصَابَ كَلْمًا وداءً ـ وصَادَفَ ابني من أعدائي من لا يُبْقِي عليه. وأَعَادِيَّ بَنَاهُ على الفتح لخفّته، ولأنه الأصل في ياءِ

---

(١) معدان بن جوّاس الكنديّ: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان نصرانيًا. (ت ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م). ترجمته في الإصابة ٨٤٤٣، والمرزباني ص ٤٠٧.

(٢) عند التبريزي: (ما بُلّغتَ). (٣) عند التبريزي «في ردائه».

الضمير إذَا حُرِّكَ. وعلى هذا تقولُ: هؤلاء بَنِيَّ ومعطِيَّ، وهذا قاضِيَّ. وأعادِيّ يجوز أن يكون أفَاعِلَ وأضافَهُ، ويجوز أن يكون أفاعيل كأبابيت وخَفَّفَهُ، كما خُفِّفَ أثَافٍ ثم أضافَهُ. ويجوز أن يكون لمّا رَامَ الإضافَةَ اجتمع ثلاث ياءاتٍ فَحَذَفَ مَدَّةَ أفاعيل.

٢٧ ـ عامِرُ بن الطُّفَيلِ الكِلَابِيُّ[١]: [الطويل]

١ ـ طـلِّقْـتِ إنْ لـم تَـسْـألِي أيَّ فـارِسٍ حَـلِيـلُكِ إذْ لاَقَـى صُـدَاءَ وخَـثْـعَـمَـا

جَعَلَ الإقسام عليها بما يضيِّق طريقها في التجوُّز والإهمال، لمَّا وَلَّاها البحثَ والسؤال، هذا إذا جعلْتَ الكلامَ دُعاءً. يقولُ: بِنْتِ من زَوْجِكِ إن لم تُفَتِّشي بالسؤال عن أحوالِه حين لاقَى هاتين القبيلتين، هَلْ أبْلَى في ملاقاتهما، وكيف ثَبَتَ في وجوهِهما. ويجوز أن يكون طُلِّقْتِ وعيدًا توعَّدَها به إن لم تَنْتَهِ إلى مرسومها. والحَلِيلُ: الزَّوج، سُمِّيَ بذلك لأنه يُحَالُّ صاحبتَه. وخَثْعَمُ هو خَثْعَم بن أنْمَارٍ، والخثعمة: التلطُّخ بالدم. ويقال: كانوا تحالفوا فغمسوا أيديَهم في دَمِ بعيرٍ نَحَرُوه واجتمعوا عليه فسُمُّوا خَثْعَمًا. ومفعول تَسْألِي محذوفٌ، المراد تسألي الناس. وقوله: «أيَّ فارس» هو المسألة، وهو في موضع المفعول أيضًا. وجواب الشرط مُقَدَّم، كأنه قال: إنْ لم تسألي الناسَ عن هذه المسألة فأنتِ مطلّقةٌ من بَعْدُ، أو فجعَل الله خاتمةَ أمرِكِ ذلك.

٢ ـ أكُـرُّ عـلـيـهِـمْ دَعْـلَجًـا وَلَبَـانُـهُ إذَا ما اشْتَكَى وَقْعَ الرِّماحِ تحَمْحَمَا

أجْمَلَ في اقتصاص بلائه، ثِقَةً بأنّ بحثَها واستقصاءها يأتي على تفاصيله. يقول: أعْطِفُ فرسي دَعْلَجًا عليهم، حالًا بعدَ حالٍ، وكرًّا بعدَ فَرٍّ وإذا اشتكى من كثرةِ وقوع الطَّعن بصدره حمحم. وجعَل الفعل للصَّدر على المجاز والسَّعةِ لكونِه موْقِعَ الطعن. هذا إذا رَوَيْتَ: «ولَبَانُه» بالرفع، لأن بعض الناس روى «ولبانَه» بالنصب، كأنه فَرَّ من أن يكون الاشتكاءُ والتحمحُم للَّبَان على كثرة نسبة الاشتكاء إلى الأعضاء الآلمة. فوقَعَ فيما هو أقبَح؛ لأن المرادَ أكرُّ عليهم فَرَسي، فلا معنًى لعطف اللَّبَان عليه. وسمعت من يجعله من باب تكرير البعض من الكلّ بالعطف عليه، وإن

(١) عامر بن الطفيل الكلابيّ: من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، وأحد فتّاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كان أعور أُصيبت عينه في إحدى وقائعه، وهو ابن عم لبيد الشاعر. (ت ١١ هـ/ ٦٣٢ م) ترجمته في الإصابة ٦٥٥٠، والشعر والشعراء ص ١١٨.

كان داخِلًا فيما دَخَلَ فيه على وجه الاختصاص وتفخيم الشأن، كقولِهِ عزّ وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨]. قال: ووجه الاختصاص أنّ الذّكَرَ بصدره، كما أنّ الأنثى بعَجُزِه. والدَّغلَجُ: المَرِحُ في السَّيْرِ والتردُّدِ، ويُوصَفُ به الفَرَسُ والبعيرُ والحمارُ، وذكر بعضهم أنه يقال في الضَّبِّ الهائج أيضًا. وقد أحسنَ عنترةُ كلَّ الإحسان حينَ سلكَ هذا السبيل فقال: [الكامل]

فازورَّ مِن وَقْعِ القنا بلَبَانِه وشكا إليَّ بعَبرةٍ وتحمحُمِ[1]

٢٨ ـ زُفَرُ بن الحارثِ الكِلابِيّ[2]: [الطويل]

١ ـ وكُنّا حَسِبْنا كلَّ بيضاءَ شحْمَةً لَيالِيَ قارَعْنا جُذَامَ وحِمْيَرَا

حكى الأصمعيُّ في الأمثال: «ما كلُّ بيضاءَ شَحْمَةً، ولا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً». والمعنى: ليس كلُّ ما أشبه شيئًا ذلك الشيء. ومعنى البيت: ظَنَنّا لما التقينا مع جُذَامَ وحِمْيَرَ أنَّ سبيلَهم سبيلُ سائر الناس، وأنّا سَنَقْهَرُهم قَهْرًا قريبًا ثم وجدناهم بخلاف ذلك، لكون أصلهم من أصلنا، واجتماعِهم فيما تَمَيَّزْنا فيه عن سائر الناسِ مَعَنا، وجُذَامُ أبو هذه القبيلة فسمِّيت به، وأصلُه الجَذْم: القَطْع، وبه سُمِّيَ الداءُ المعروف جُذَامًا، وقيل للمقطوع اليد: أَجْذَم. وحَكى بعضُهم: ما سَمِعْتُ لَهُ جَذْمَةً ولا زَجْمَةً، أي كلمةً، لتقطُّع الصَّوت بها عند النُّطق. والقَرْعُ: ضَرْبُ الشّيء بغيره، ثم توسَّعُوا فقالوا: قَرَعْتُ باطِلَه بحَقِّي، وقَرَعَ الشارِبُ جبهتَهُ بالإناء، إذا استوفَى ما فيه.

٢ ـ فلمّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بالنبعِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ أَبَتْ عيدانُهُ أن تَكَسَّرَا

بعضَه، انتصب على البدل من النَّبع. وجوابُ لمّا قولُه «أَبَتْ». وتكسّرَ أصله تتكسّر. والشاعر اعترف بأنَّ أصل أولئك نَبْعٌ، كما أنّ أصلهم نَبْعٌ، النَّبْعُ خَيْر الأشجار التي يُتَّخذ منها القِسِيّ وأصلبها، كما أن الغَرَبَ شرُّها وأرخَاها، فجعلت العرب تَضْرِبُ المثل بهما في الأصل الكريم واللَّئيم، حتى إنَّ بعض المُحدَثين

---

(١) ذكره الميداني معجمه ٢:٣٠٧.

(٢) زفر بن الحارث الكلابيّ: أبو الهذيل، أمير، من التابعين من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفّين مع معاوية، وشهد وقعة مرج راهط. (ت ٧٥ هـ/ ٦٩٥ م) ترجمته في خزانة الأدب ٣٩٣.

قال: [المنسرح]

هَيْهَاتَ أَبْدَى اليقينُ صَفْحَتَهُ وبَانَ نَبْعُ الفَخَارِ مِنْ غَرَبِهِ

فيقول: لما قَرَعْنَا أصلَهم بأصلنا أبت العيدانُ من التكسّر. والمعنى أنّ كُلّاً مِنّا أبى أن ينهزم عن صاحِبِهِ. فالعيدان مَثَلٌ للرجال، والنّبْع مَثَلٌ للأصْلِ.

٣ ـ وَلَما لَقِينَا عُصْبَةً تَغْلِبِيَّةً يَقُودُونَ جُرداً لِلمنيَّةِ ضُمَّرا

يقال تغلِبِيٌّ وتغْلَبيٌّ، والكسر أكثر، ومن فَتَح فلتوالي الكَسَرات والياءَين. وهذا كما قالوا: نَمَرِيٌّ فَرَدُّوا من فَعِلٍ إلى فَعَلٍ. يقول: لمّا لقينا جماعةً من بني تغلب[1] يقودون للحَرْبِ خَيْلًا ضُمَّرًا قِصَارَ الشعور. وجواب لمّا فيما بعد، وهو سقيناهم. وإنّما احتاج إلى الجواب متَى كان عَلَمًا للظرف، لأنّه يجيءُ لوقوع الشيءِ لوقوع غيره. وجَعَل الخَيْل جُرْدًا لأنّ العِرَابَ منها تكون كذلك. واللام من قوله «للمنيّةِ» يجوز أن يتعلّق بيقودون، ويجوز أن يُتَعَلّق بقوله ضُمّرا، أي ضُمِّرَتْ لَهَا.

٤ ـ سَقَيْنَاهُمْ كأسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِها ولكنَّهُم كانُوا على المَوْتِ أَصْبَرَا

يقول: قابلناهم بمثْلِ ما بدَؤونا به من سَقى كأس الموت، لكن القتل كان فيهم أعمّ، ولهم أشْمَل. وجَعَل ذلك فيهم كالصَّبر منهم عليه. ويقرُب أن يكون قول الله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٥] على هذا الوجه. كأنّ النّارَ حَقّتْ عليهم ووَجَبَتْ، بما كان منهم من المعصية، فجعل ذلك فيهم كالصَّبر منهم عليه، ولذلك قال بعض المفسّرين في معناه: ما أعملَهُم بعمل أهل النار. كأنّ إصرارَهم على ذلك العمل كالصَّبر منهم على النار. وردُّ الآيةِ إلى البيت وإجراءُ القول فيها على هذا الحدّ غريبٌ حَسَنٌ. وقوله: «أَصْبَر» أي أَصْبَرُ منّا، وأفعل الذي يتمّ بِمِنْ يُحذف منه «من» في باب الخبر دون الوَصْف. وساغ ذلك لأنّ الخبر كما يجوز حَذْفُه بأسْرِهِ لقيام الدلالة عليه يجوز حَذْف بعضِهِ أيضًا له.

(١) قال التبريزي ١:١١٨: «يعني تغلب بن حلوان بن عمران لأن الظفر يوم مرج راهط كان لكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان، وليس لتغلب وائل».

٢٩ ـ عَمْرُو بنُ مَعْدِيكرِبَ[١]:

حَكَى ابن الأعرابيّ: قالوا مَعْدِيَكرِبَ لأنه عَدَا الفسادَ. والكَرب: الفَسَاد. [الطويل]

١ ـ وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ زَرْعٍ خُلِّيَتْ فَاسْبَطَرَّتِ[٢]

اسبطرّتْ: امتَدَّتْ، والسِّبَطْر والسَّبطُ بمعنًى واحد. يقول: لمّا رأيت الفُرسان منحرفين للطَّعن، وقد خَلَّوا أعنّةَ دوابِّهم وأرسلوها، وقَرَّطوا آذانَها بها، فكأنها أنهارُ زَرْعٍ أُرسِلَتْ مِيَاهُهَا فامتدَّتْ بها. والتشبيه وَقَعَ على جَرْيِ الماء في الأنهار لا على الأنهار، كأنَّه شبَّه امتدادَ الخَيْلِ في انحرافِها عند الطَّعْنِ بامتداد الماء في الأنهار، وهو يطّرِدُ ملتويًا ومضطربًا. وكما وَصَفَ الخَيْلَ في انحرافِها بزُورٍ وُصِفَتْ أَيْضًا بنُكبٍ، فقال بعضهم: [الطويل]

لِأَعْدَائِنَا نُكْبٌ إِذَا الطَّعْنُ أَفْقَرَا[٣]

فالنُّكبُ: جَمْعُ أنكب، وهو الذي ينحطُّ أحد مَنكِبيه عن الآخَر، كما أنَّ الزُّور جمع أَزْوَر، وهو المُعْوَجّ الزَّوْر. وهذا من التشبيه الحسن الصائب. وقوله: «خُلِّيَتْ فاسبطرّت» جُعِلَا للجداول على المجاز والسَّعةِ، لأنّ المياه هي التي تخلَّى وتمتدّ. وهذا كما يقال نَهْرٌ جَارٍ، وإنْ كان الماء هو الذي يجري.

٢ ـ فَجَاشَتْ إِلَيَّ النفسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ورُدَّتْ على مَكْرُوهِهَا فاستقرّتِ[٤]

فجاشت إليّ النفس أول مرة. اعترض بعضُهم فقال: لولا أنه جَبُن لما جاشت إليه النَّفس. قال: ومثلُه في الرداءة قول عنترة: [الكامل]

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لَمْ أَخُمْ عَنْهَا ولكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي

---

(١) عمرو بن معديكرب الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المعروفة، أسلم ثم ارتدّ بعد وفاة النبي ﷺ ثم رجع إلى الإسلام وشهد القادسية. (ت ٢١ هـ/ ٦٤٢ م). ترجمته في الإصابة ٥٩٧٢، والشعر والشعراء ١٣٨.

(٢) عند التبريزي «أرسلت» بدل «خُلّيت».

(٣) للنابغة الجعدي في ديوانه ص ٥٤، ولسان العرب (صبا)، وتهذيب اللغة ١٢:٢٥٧، وكتاب الجيم ٣:٤٨. وصدره:

«مصابين خِرصانَ الوشيج كأننا»

(٤) عند التبريزي «فردّت».

هَلَّا قال كما قال العباس بن مرداس: [الوافر]

أَشُدُّ على الكتيبة لا أُبالي أَحَتْفِي كان فِيهَا أَمْ سِوَاها[1]

قال الشيخ: وليس الأمر كما توَهَّمَ، لأن ما ذكرَهُ عمرٌو وعنترة بيانُ حالِ النَّفس، ونفسُ الجبانِ والشُّجاع على طريقةٍ واحدةٍ فيما يَدْهَمُهَا عند الوهلة الأولى، ثم يختلفان: فالجَبَانُ يَرْكَبُ نَفرتَهُ، والشُّجَاع يَدفَعُها فيثبُتُ. فأمّا قول العباس بن مرداس فليس مما ذَكَرَاها بسبيلٍ، وإنما هو بيانُ الحالة الثانية وما يعزمُ عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتمسُّك. فاعلمْه إن شاء الله. وقولُه: «أوَّلَ مَرَّةٍ» وذاتَ مَرَّةٍ، لا يكونانِ إلّا ظَرْفَيْن: لأنّ مَرَّةً ليس باسْمٍ للزمان لازمٍ، وإنّما هو مُدْخَلٌ عليه. فإذا قلتَ مرَّةً فإنما حقيقتُها فَعْلَةٌ واحدةٌ، ويجوز أن يكونَ وقتًا واحدًا. ويجوز أن يكون الفاء في «فجاشت» زائدةً، في قول الكوفيين وأبي الحسن الأخفش، ويكون جاشت جَوَابًا لِلَمّا. والمعنى: لمّا رأيتُ الخَيْلَ هكذا خافَتْ نَفسِي وثَارَتْ. وطريقةُ جُلِّ أصحابنا البصريين في مثله أن يكون الجواب محذوفًا، كأنه قال: لما رأيتُ الخَيْلَ هَكَذَا فجاشَتْ نَفسي ورُدَّت على ما كَرِهَتْهُ فقرّتْ، طَعَنْتُ أو أبْلَيْتُ. ويَدُلُّ على ذلك قولُه: «علامَ تقولُ الرمح يثقل ساعدي إذا أنا لم أَطْعُنْ»، فحَذف طَعَنْتُ أو أبْلَيْتُ لأنَّ المراد مَفْهُومٌ. وهذا كما حذفوا جَواب لو رأيتَ زَيْدًا وفي يده السيفُ! وعلى هذا الكلامُ على المذهبين في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٣]، وفي قول امرىء القيس: [الطويل]

فَلَمّا أَجزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ[2]

وحذفُ الجوابِ في مثل هذه المواضع أبْلَغ وأدلّ على المرادِ وأحْسَنُ، بِدلالة أن المولى إذا قال لعبده: «واللهِ لئن قُمْتُ إليك» وسَكَتَ، تزاحَمَتْ عليه من الظُّنون المعترضة للوعيد ما لا يتزاحم لو نَصَّ من مؤاخذته على ضَرْبٍ من العذاب. وكذلك إذا قال المتبجِّحُ: «لو رأيتني شابًا» وسكتَ، جالتِ الأفكار له بما لم تَجُلْ به لو أتى بالجواب.

---

(١) للعباس بن مرداس في خزانة الأدب ٢:٤٣٨، وبلا نسبة في الإنصاف ١: ٢٩٦، وخزانة الأدب ٣: ٤٣٨.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٥، وأدب الكاتب ص ٣٥٣، وخزانة الأدب ١١: ٤٣، ولسان العرب (جوز)، وتاج العروس (عقل).

٣ ـ عَلَامَ تَقولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الخَيلُ كَرَّتِ

«ما» في الاستفهام إذا اتَّصل بحرفِ جرٍّ يُحذف الألفُ من آخره تخفيفًا، على ذلك فِيمَ وبِمَ ولِمَ، إلّا إذا اتَّصَلَ ما بِذَا فقلت: بماذا ولماذا، لأنه يُتْرَكُ على تَمَامِهِ. وقوله: «تَقُولُ الرُّمْحُ» يُرْوى بفتح الحاء وضمّها، فإذا نَصَبْتَ فلأنك جَعَلْتَ تَقُولُ في معنى تَظُنُّ. وهُم ـ عند الخطاب والكلام استفهام ـ يحملون القول على الظَّنِّ. على ذلك قَوْله: [الكامل]

فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا[(١)]

أي متى تظنُّ ذلك فتقول، فجعل القولَ يَدُلُّ على الظَّنِّ لَمَّا كان القَوْلُ تَرْجَمَةَ عن الظَّنِّ. والخِطَابُ والاستفهام يحتملان ما لا يحتمل غيرهما. وإذا رفَعْتَ الرُّمْحَ فَالقَوْلُ مَتْرُوكٌ على بابه، والرُّمْحُ يرتفع بالابتداء، والكلامُ حكايَةٌ، وما بَعْدَ القَوْلِ إذا كان كَلَامًا مُفِيدًا يُحْكى. ومعنى البيت: على أيِّ شيءٍ ولأيّ وجهٍ تقول: أحْمِلُ الرُّمْحَ فيُثْقِلُ ساعِدِي إذا لم أَعْمِلْهُ إذا حَصَلَ الكرُّ من الخَيْلِ بعد الفَرِّ، واشْتَدَّ عليهم الأَمْر. والمعنى: بأي حُجَّةٍ أحْمِلُ السِّلَاحَ إذا لَمْ أُبْلِ في الحَرْبِ ولم أَسْتَعْمِلْهُ في وَقْتِهِ. وهذا الكلامُ إسْقَاطٌ للتبجّح بالبَلَاءِ الذي كان منه أيضًا. وقولُهُ: «إذا أنا لم أَطْعُنْ» أي لم يُثْقِل ساعِدِي الرمْحُ في وقت تَرْكِي الطَّعْن زَمَانَ كَرِّ الخيل، فإذا الأَوَّلُ ظَرْفٌ لقوله يُثْقِلُ، وإذا الثاني ظَرْفٌ لقوله لم أَطْعُن.

٤ ـ لَحَا اللهُ جَرْمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَأَرَّتِ

ازْبَأَرَّ: انتفش حتّى ظهر أصولُ شعره. قال: [الرمل]

فَهْوَ وَرْدُ اللَّون في ازبئرارِه وكميتُ اللَّون ما لم يزبئِرّ[(٢)]

كُلَّمَا: انتصب على الظَّرْف، و«وجُوهَ» انتصَبَ على الشَّتم والذَّمّ، والعامِلُ فيه فِعْلٌ مُضْمَرٌ وهو أَذْكُرُ. كأنه شَبَّهَ وجوههم بوجوه الكِلَابِ في الحالة المذكورة، ويجوز أن يكون انتصابه على البَدَل من قَوْلِه «جَرْمًا». ومعنى لَحا الله: قَشَر الله، أي فَعَل ذلك بهم غَدَاةَ كُلِّ يَوْمٍ، أَذْكُرُ قَوْمًا يُشْبِهُون الكِلَابَ إذا واثَبَت غيرَها وساوَرت،

(١) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٠٢، وخزانة الأدب ٢:٤٣٩، والكتاب ١:١٢٤. وصدره: «أما الرحيل فدون بعد غدٍ»

(٢) للمرار بن منقذ الحنظلي في لسان العرب (زبأر)، وتاج العروس (زبر)، وجمهرة اللغة ١٣٣١، والمخصص ٦:١٥١.

فانتفشت وتجمّعتْ للوثب؛ وتلك الحالةُ من أحوالها أشنَعُ وأنكَر. وهذا تحقيقٌ للشَّبَهِ، وتصويرٌ لقباحة المنظر. والذُّرور في الشمس أصلُه الانتشار والتفريق. قال: [الرجز]

كالشَّمس لم تَعْدُ سِوَى ذرورِها

أي طلوعِهَا وانتشار ضوئِها. قال الخليل: المهارشَةُ من الكلابِ وغيرها كالمُحارشَةِ. ويقال: فلانٌ يُهَارِشُ بين الكَلْبَيْنِ.

٥ ـ فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إذْ تلاقَيا ولَكِنَّ جَرْمًا في اللقاءِ ابْذَعَرَّتِ[1]

جَرْمٌ ونَهْدٌ: قبيلتان من قُضَاعة. ومعنى ابذعرّت: تفرَّقَتْ. وأضَافَ نَهْدًا إلى ضمير جَرْمٍ، لاعتماده كان عليها، واعتقاده الاكتفاء بها. والمعنى لم تَنْصُرْها فكانت تكتفي بها وتَغْنَى، ولكنّ جَرْمًا انهزمت، وهَامَتْ على وجهها فَمَضَتْ، واصطلت نَهْدٌ بنارِ الحرْبِ، فَمَسَّتْ حاجَتُها إلى من يؤازرها، ويناهض الأعداء معها.

٦ ـ ظَلِلْتُ كأنّي للرِّماحِ دَرِيَّةٌ أُقاتِلُ عن أبناءِ جَرْمٍ وفَرَّتِ

يقول: بقيتُ نهاري منتصبًا في وجوه الأعداء، والطعنُ يأتيني من جَوَانبي، وكأني للرِّماح بمنزلة الحَلْقةِ التي يُتَعلَّمُ عليها الطعنُ، أَذُبُّ عن جَرْمٍ وقد هَرَبَت هيَ. ويجوز أن يكون: كأنّي للرِّماحِ صَيْدٌ. فقد حكَى أبو زيد أنه يُقال للصيد خاصةً دَرِيَّةٌ، غيرُ مهموزةٍ، ودَرَايَا؛ كأن هذا من دَرَيْتُ أي خَتَلْتُ. فأمّا الدابة التي يُسْتَرُ بها من الصَّيدِ، فإذا أكْثَبَ رُمِيَ من خَلْفِها، فذكَرَ أبو زيدٍ أنها تسمّى دَرِيئَةَ الصيدِ، بالهمز. قال: ويقال: دَرأْتُها نحوَ الصَّيد وإلى الصيد وللصيد، إذا سُقْتَها. وكأن هذا من الدَّرْءِ، وهو الدفع. وقد تسمّى تلك الدابّة الذَّرِيعة والسَّيِّقةُ والقَيِّدة. وأنشِدْتُ عن أبي العبّاس المُبَرِّدِ، رحمه الله، أنشدنيه حمزة بن الحسن، قال: أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش عنه: [البسيط]

إذا نَصَبْنَا لقَوْمٍ لا نَدِبُّ لهم كما تَدِبُّ إلى الوحشيَّة الذُّرُعُ[2]

الذُّرع: جمع ذريعة، كصحيفة وصُحُف. وإن جعلت «كأني» في موضع الحال فأقاتل في موضع الخير لظَلِلت حينئذٍ.

(١) عند التبريزي: «إذ تلاقتا».
(٢) البيت بلا نسبة في التبريزي ١: ١٢٤.

٧ ـ فلو أنّ قومِي أنطقتني رِماحُهم نَطقْتُ ولكنّ الرِّماحَ أَجَرّتِ

النُّطق استُعمل في الكلام وغيره، ولذلك قيل مَنْطِق الطير، ثم توسَّعوا فقالوا: نَطَق الكتابُ بكذا. يقولُ: لو أنّ قومي أَبْلَوْا في الحرب واجتهدوا لافتخرت بهم، وذكرْت بلاءهم، ولكنّ رماحَهم أجرّت لساني، كما يُجَرُّ لسان الفَصِيل. وجَعَل الفعلين للرِّماح لأن المراد مفهومٌ في أن التقصير كان منهم لا منها. والإجرار: أن يُشَقّ لسانُ الفصيل للرماح فيُجعلَ فيه عُوَيْدٌ لئلّا يرضعَ أمه. وقد استُعمل الإجرار في الرُّمح إذا تكسَّر في المطعون. قال: [الرجز]

أجِرُّهُ الرُّمحَ ولا تُهالَه[1]

وفي طريقة قوله: «أنطقتني رماحُهم» قول الآخر: [الطويل]

أقولُ وقد شَدُّوا لساني بنِسْعَةٍ أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقوا عن لِسَانِيَا[2]

لأنّ المعنى أحسِنوا إليّ ينطلِقُ لساني بشكركم.

٣٠ ـ سَيَّارُ بنُ قَصِير الطائيّ: [الطويل]

١ ـ لو شَهِدَت أُمُّ القُدَيْدِ طِعَانَنا بِمَرْعَشَ خَيلَ الأرمَنِيّ أَرَنَّتِ

جواب لو، «أرنّت». يقال: رَنَّ وأَرَنّ بمعنًى واحد. ومَرْعَش من ثغور أرمينيَة. وأُمُّ القُدَيد، قيل هي امرأته. والخيل ينتصب من قوله «طِعَانَنا». ومعنى البيت: لو حَضَرت هذه المرأةُ مطاعنتَنا بمَرْعَش خَيْل هذا الرّجل الأرمَنِيّ لَوَلْوَلَتْ وضَجَّتْ، إشفاقًا علينا، لكثرتهم وقلّتِنا. والباء من قوله «بمَرْعَشَ» تعلَّقَ بطعاننا، وهو ظَرْفُ مكان له قد عَمِلَ فيه. وإنما قلت هذا لئلا يُتوهَّم أنه تعلّق بشهِدَتْ، وأنه في موضع الحال للخيل أو للمطاعنين، فيكون قد فُصِلَ به بين الصِّلة والموصول، وهما طعاننا وخيل الأرمَنِيّ.

٢ ـ عَشِيّةَ أَرْمِي جَمْعَهُمْ بلَبَانِهِ ونَفْسِي وقد وَطَّنْتُها فاطمَأَنّتِ

---

(١) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (هول) و(ويه)، و(خطا)، وجمهرة اللغة ٨٨، وسرّ صناعة الإعراب ٨١، ونوادر أبي زيد ١٣، وقبله:

«وَيْهًا فداءً لك يا فَضَالَهْ»

(٢) البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي في المفضليات ١:٥٥.

لَبَان الفرس: صدره. ويقال: وطّنت نفسي على كذا فتوطّنت، أي حَمَلتُها عليه فذلّت. وانتصب «عَشيّة» على أنه ظَرْفٌ لطِعَانِنا. ويجوز أن يكون ظرفًا لِشَهِدَت، ولا يجوز أن يكون ظرفًا لأرمي؛ لأن أرمي أضيفت عشيّة إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ومعنى البيت: عشِيَّة أحْمِلُ عَلَى القوْمِ ولا أُبالي إن كانت عَلَيّ أوْ لِي، لأني وطّنت نفسي على الشر فألفْته وسكنت إليه. فمن رَوَى: «ونفسيَ قد وطّنتها» يكون الواو للحال، ونفسي يرتفع بالابتداء، ووطَّنتُها في موضع الخبر. ومن رَوَى: «ونَفْسِي وقد وطَّنتُها» فإنّ نفسي يكون في موضع الجر عطفًا على بلَبَانه، أي أرمي جيشهم بنفسي وفرسي، ويكون قد وطّنتها في موضع الحال. وتحقيق الكلام: وقد وطّنتُها على الشر فسَكَنَت إليه، ورضِيَت به. ومثلُه قول عنترة: [الكامل]

ما زِلْتُ أرْمِيهِمْ بقُرْحة مُهرِي ... ولَبَانِ لا وَكَلٍ ولا هَيَّابِ

وقول الآخر: [الطويل]

ما زِلْتُ أرميهم بثُغْرَةِ نَحْرِه ... وفارِسه حتى ثأَرتُ ابنَ وَاقِد

٣ ـ وَلاحِقَةِ الآطالِ أسْنَدْتُ صَفَّها ... إلى صَفِّ أُخرَى من عِدًى فاقْشَعَرَّتِ

إنما نَكّرَ قولَه «عِدًى» لينبّه به على اختلافهم وكثرتهم، وأنّ ذلك لتوفّر فضائلهم، وتظاهُرِ عزّهم ورياستِهم، إذْ كان الحسَدُ يتبع ذلك، ولأنهم يَتِرُونَ مَن لا يَذِلّ لهم، ولا يَهوَى هواهم. يقول: ورُبَّ خَيْلٍ قد لحقَت بطونُها بظهورها، وارتفعت جنوبُها إلا متونها، أنا أمَلْتُ صَفَّها إلى صَفِّ خَيْلٍ مِثْلِها من الأعداء، فخافت لقلّتنا وكثرتهم. وأصل الاقشعرارِ تَقَبُّض الجِلد وانتصابُ الشَّعر، وقد تكلّم الناسُ في قول امرىء القيس: [المتقارب]

والقَلْبُ من خَشْيَةٍ مُقْشَعِرّ(١)

فقال بعضهم: الاقشعرار لا يصحُّ في القلب، لأنه يُخبَرُ به عما عليه شَعَرٌ، ولا شَعَرَ على القلب. وقال غيرُه: إنما هو كنايَةٌ عن الوَجَل، ولمّا كان الاقشعرارُ يقع عنده كُنِيَ به عنه. وإذا كان كذلك فكأنه قال: والقَلْبُ من خَشْيَةٍ وَجِل.

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ص ١٥٨، ولسان العرب (تمم)، وأساس البلاغة (تمم)، وتمامه:
«فَبِتُّ أُكابِدُ لَيلَ التمام ... والقلبُ من خشيةٍ مقشعرّ»

٣١ ـ بعضُ بني بَوْلانَ من طَيِّىء:

بَوْلان فَعْلَان، من قولهم رجُلٌ بُولَةٌ، إذا كان كثير البَوْل. والبُوَال: داءٌ يصيب الغنم فيبول حتى يمُوتَ: [المنسرح]

١ ـ نحنُ حَبَسْنَا بني جَدِيلَةَ في نَارٍ من الحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ

جَدِيلةُ من الجَذْلِ، وهي فيما زعموا أُمُّهُم. والجَذْلُ: الفَتْلُ. قال الدُّرَيْدِي: جَدِيلةُ من قولِهم امرأةٌ مجدُولةٌ، إذا كانت قضِيفَةً. ويقال ضَرِمَتِ النارُ، إذا التهبت، تضرَمُ ضَرَمًا. ولهذا ما تلتهب به النارُ سريعًا من الحطب قيل له الضِّرَام. فيقول: حبسنا هؤلاء القومَ على نارٍ من الْحَربِ شديدة الالتهاب. والجَحْمَةُ: مَصدَرُ جَحِمَتِ النارُ فهي جاحمةٌ، إذا اضطَرَمَت؛ ومنه الجحيم. قال: وُصِفَت النار بالجحيم لحُمْرَتِها، ولذلك سُمِّيَت عَيْنُ الأسد جَحْمَةً، لأنها تتراءى بالليل كأنها نار. وقال الدُّرَيْدِي: الْجَحْمَةُ العين، لغةٌ يمانيَّةٌ. وعين الأسَد خاصَّة في كلِّ اللغات الجَحْمَة.

٢ ـ نستَوْقِدُ النَّبْلَ بالحضيضِ ونَصْـ ـطاد نُفُوسًا بُنَتْ عَلَى الكَرَمِ

قولُهُ «نَسْتَوْقِدُ النَّبل» من فصيح الكلام، كأنه جَعَل خروج النار من الحَجَر عند صَدْمة النَّبل استيقادًا منهم. والوَقْدُ توسَّعُوا فيه حتَّى قِيلَ قَلْبٌ وقادٌ. فإن قيل: هَلَّا قال نستقدِحُ النَّبل، فكان أَصَحَّ؟ قلتَ: الذي قالَه أفصح؛ وقد قيل زَنْدٌ مِيقادٌ، إذا كان سريعَ الوَرْي. وقال الخليل: كلُّ ما تلألأ فقد وَقَدَ، حتى الحافر. يقول: تنفذ سهامُنا في الرَّميَّة حتى تَصِلَ إلى حَضيض الجبل فتخرجَ منه النار لشدة رَمْيِنَا، وقوة سواعِدنا، ونصيد بها نفوسًا مبنيَّة على كَرَمٍ. أي نقتل الرؤساء ومن تَكْرُمُ نفسه وتَعِزُّ حياتُه. وقوله «بُنَتْ» أصله بُنِيَتْ، فأخرجه على لغة طيِّىءٍ، لأنهم يقولون في بَقِيَ بَقَى، وفي رُضِيَ رُضَى. ولهذا قال بعضهم: [الطويل]

على مِحْمَرٍ ثَوَّبْتُمُوه وما رُضَى[1]

وقالوا في بادِيَة: باداة، كأنهم يفرّون من الكَسْرَة بعدها ياءٌ إلى الفتحة، فتنقلب الياء ألفًا. والحَضِيضُ: قرار الأرض عند سفح جَبَلٍ. والنَّبْلُ لا واحِدَ له من لفظه.

---

(١) لزيد الخيل في ديوانه ص ٦٧، وخزانة الأدب ٩: ٤٩٣، والشعر والشعراء ١: ٢٩٣، والكتاب ١: ١٢٩، ولسان العرب (أتم)، ونوادر أبي زيد ٨٠. وصدره:

«أفي كل عام مأتم تجمعونه»

٣٢ ـ وقال رُوَيْشِدُ بن كَثِيرٍ الطائيُّ: [البسيط]

١ ـ يا أَيُّها الراكِبُ المُزجِي مَطِيَّتَه سَائِلْ بَني أَسَدٍ ما هذه الصَّوْتُ

المَطِيّةُ من المَطَا، وهو الظَّهْرُ. ويقال مَطَاهُ وامتطاه، إذا ركبه. وَلِلِحُوق الهاء به صار اسمًا، وقد مرّ مثلُه. ويُروى: «بَلّغ بني أسَدٍ». وقوله: «ما هذه الصوتُ» الجملة في موضِع المفعول، وارتفع الصوت على أنه عطف البيان يُخاطِبُ الراكبَ السائقَ لمطيّته بإعجالٍ، يسألُه أن يُبلِّغ بني أسَدٍ عنه عن طريقِ الفحص والاستعلام: ما هذه الْجَلَبَةُ. وهذا الكلامُ تهكُّمٌ وسخريّة، لأنه هو الذي أثار عليهم ما اهتاجوا له، وجَلَبَ عليهم ما أشكاهم. وإنما قال ما هذه الصوت، والصوت مُذكّر، لأنه قَصَد به إلى الصيْحَةِ والْجَلَبَةِ، وهذا كما قال حاتمٌ: [الطويل]

أَمَاوِيّ قد طالَ التجنُّبُ والهَجْرُ وقد عَذَرَتْنِي في طِلَابِكُم العُذْرُ(١)

يريد المعذرة. وكما قال الآخر: [الطويل]

وكان مِجَنّي دونَ من كُنتُ أَتَّقِي ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِبَانِ ومُعْصِرُ(٢)

فأنّث الشُّخوصَ لأنه قصد بها إلى النفوس. وحكي عن أبي عمرو بن العَلاءِ أنه سَمِع بعضَهم يقول: «جاءته كتابي فاحتقرها». قال أبو عمرو: فقلت: أتقول جاءته كتابي؟ قال: نعم، أليست هي صحيفة؟ وقد قيل: لمّا كانت الشُّخوصُ شُخوصَ النّساء أنّث العدد. وقوله: «الراكب المُزجِي» الراكب يقع على راكب البعير خاصةً؛ لأن راكب الخيل يقال له فارس. والمُزجِي، يُقال زَجَا الشيءُ يزجو زَجْوًا وزَجَاءً، وأزجَيْتُه أنا وزجَّيْتُه، إذا استحثثته، ومنه زَجَاء الخَرَاجِ. وفي هذا الكلام دَلالةٌ على أنه ليس يُقْنِعُه ما أوقعهم فيه. ألا تَرَى أنه يتوعّد بالاستئصال إن لم يصحّ عُذرُهم. ويجوز أن يكون المراد بقوله «ما هذه الصوت» ما الذي يتأدّى إليَّ عنكم، ويتحدَّث به الناس من شانِكم وقصتِكم. ويقال: ذهَب صوت هذا الأمر في الناس للتحدُّث به، وذهب صِيتُ بني فلانٍ في الناس إذا ذُكِروا بالخيْر. فكأنّه على هذا يوهمهم أنّه لم يصحّ

---

(١) لحاتم الطائي في ديوانه ١٩٨، ولسان العرب (عذر)، وتاج العروس (عذر)، والتنبيه والإيضاح ٢: ١٦٦.

(٢) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ١٠٠، والأشباه والنظائر ٥: ٤٨، والأغاني ١: ٩٠، وأمالي الزجاجي ١١٨، وخزانة الأدب ٥: ٣٢٠، ولسان العرب (شخص)، وعيون الأخبار ٢: ١٧٤.

عندَه ما يُقال، وأنهم إن لم يقيموا المعذِرة والدّلالة على براءة الساحة حينئذٍ عاقَبَهم. وهذا المعنى في نهاية الحُسْن.

٢ ـ وقُلْ لَهُمْ بادِرُوا بالعُذْرِ والتَمِسوا قَوْلًا يُبَرِّئُكم إنّي أنا المَوْتُ

مفعول بادروا محذوف، كأنّه قال: بادِرُوا العِقاب بالعُذر، أي سابِقُوه. يقول: قُلْ لَهُمْ: سارِعوا بالعُذْر فيما ركبتموه واطلبوا قولًا يُبَرّىءُ ساحَتكم، إنّي أنا حَتْفُكم إنْ لم تفعلوا، أي أقْرَب حَيْنَكم، وأسْعَى في هلاككم إن لم تفعلوا. ويقال: لَمَسَ والتمسَ في معنى طلب. على ذلك قولُ الله تعالى حاكيًا عن مستَرِقة السمع: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ [الجنّ: الآية ٨]، أي طلبناها. وقال الشّاعر: [الهزج]

أَلَامُ عَلَى تَبَكّيهِ وَأَلْمُسُهُ فلا أَجِدُهْ

و«يبرئكم» في موضع الصِّفة للقول، أي قولًا مبرِّئًا لكم من الذنب.

٣ ـ إنْ تُذْنِبُوا ثم يأتيني بَقِيتُكُمُ فَمَا عَلَيَّ بذَنْبٍ عِنْدَكم فَوْتُ

قولُه «بذَنْبٍ» أي بسبب ذَنْبٍ، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المضَاف إليه مقامه، كأنّه قال بجزاءِ ذَنْبٍ، ويقال: «لا فوتَ عليك في كذا»، كما يقالُ: لا بأس عليك. والمعنى: لا يفوتك. وفي هذا الكلام إيذانٌ بأنّه مستعمِلٌ الأناةَ والحلم معهم، ثقةً بأنّهم لا يفوتونه. يقول: إن تُجْرِموا ثم يصحَّ عندي تعمُّدُكم في إجرامكم وتيقُّنكم ما يلحقكم من لائِمةٍ وعيْبٍ وأنكم أقدمتم مستهينين، وبمن يأخذُكم نكيرُهُ غير حافلين، فما يفوتني مكافأتُكم، ولا يُغْيِيني مؤاخذتكم ومحاسبتكم. ورُوِيَ: «ثم يأتيني بقيّتُكم»[1] وفُسّر على وجهين: أحدُهما أنَّ المعنى ثمَّ تأتيني خياركم وأماثلكم، يقيمون معذرةَ أنفسِهم، ويبيِّنون أنّهم لم يساعدوكم لا بالرأي ولا بالفعل. وهذا كما يقال: فُلَانٌ من بقية أَهْلِهِ، أي من أفاضلهم. والآخر أن يكون المعنى: ثمَّ تأتيني بقيّتكم الذين لم يذنبوا متنصّلين بأنهم قد فارقوكم وأسلموكم، لعظيم جنايتكم، وخلعوا رِبْقَةَ النُّصْرةِ والمعاوَنَةِ لكم.

(١) كما عند التبريزي.

٣٣ ـ أُنيف بن حَكمِ النَّبْهَانِيِّ[١]:

١ ـ جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفِ بن مَالِكٍ كتائبَ يُرْدِي المُقْرِفِينَ نَكَالُها

الكَتِيبَةُ من الجيش: ما جُمِع فلم ينتشر. وقوله: «يُرْدِي» مع ما بعدَهُ في موضع الصِّفة للكتائب. يقول: جمعنا لهؤلاء القوم جُيُوشًا من خُلَّصِ العرب تُهلك عُقوبَتُها الذين في نَسبهم هُجْنَةٌ أو إقرَافٌ إذا بركوا عليهم. وهذا يجوز أن يكون تعريضًا بمنابِذِيه ووعيدًا لهم. والإقراف يكون من قِبَل الفحل، والهُجْنَةُ من قبل الأُمّ. وذَكَرَ المُقْرِفين ولم يذكر الهُجَنَاء لأنَّهم وإن كانوا يأخذون مأخذَهم في أنّه لا يَخلُصُ نَسَبُهُمْ، ولا يصفُو سببُهم، فنافيهم أشدّ نقدًا، ومزيِّفهم أنكَرَ دفْعًا، وكان عَنْتَرَة العَبْسِي هجينًا فقال: [الكامل]

إنِّي امرؤٌ من خَيرِ عَبْسٍ مَنصِبًا شَطْرِي وأَحمِي سائري بالمُنْصُلِ[٢]

نافيًا للإقراف، فجعل أحد شَطْريه من خير عَبْس، وجعل الباقيَ يحميه من الذّم باستعمال السَّيف يوم الرَّوْع، وحسنِ البلاءِ في الحَرْب، حتَّى يُلْحِقَهُ بالخُلَّصِ، ولا تَقْعُدَ به هُجْنَتُه عن الدُّخولِ في زُمْرَةِ الصُّرَحاء.

٢ ـ لَهُمْ عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى وقد جاوَزَتْ حَيَّيْ جَدِيسَ رِعَالُهَا

الرَّعيل: قطعةٌ من الخيل متقدِّمَةٌ، وتوسَّعوا فقالوا: أراعيلُ الرِّياح. ويقال: استَرْعَلَ فُلَانٌ، أي خَرَجَ في الرَّعيل الأول. يقول: سَوَابِق هذه الكتائب وأوائلُها قد جاوزت بلادَ طَسْمٍ وجَدِيسَ، ولواحِقُها قد شُحِنَتْ بها هذه المواضع. وبين بلاد حَيَّيْ جديسَ والبقاع التي ذكرها مَسَافَةٌ بعيدة. واللِّوى، حيثُ يرِقُّ الرَّملُ فيخرج السائر فيه إلى الحَزْن. وطَسْمٌ وجَدِيسُ: أمَّةٌ من العرب بادوا وانقرضوا. وقيل: أراد بالحيَّيْن جَدْسًا وجَدِيسًا، وذَكَرَهُم والقَصْدُ إلى ديارهم وبلادهم، ورتَّبَ المواضع الذي عدَّدَها بالفاء، وجعل أعجاز الكتائب فيها تكثيرًا لها.

٣ ـ وتَحْتَ نُحُورِ الخَيلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ تُتَاحُ لِغِرَّاتِ القُلُوبِ نِبَالُها

---

(١) عند التبريزي: «ابن زبّان النبهاني من طيّىء».

(٢) لعنترة في ديوانه ص ٢٤٨، ولسان العرب (ضمر)، وتاج العروس (ضمر، ونصل)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥: ٤٣٣.

رَجْلَةٌ موضوعةٌ لأدنَى العدد، بدلالة أنّك تقول: ثَلاثَةُ رَجْلَةٍ. ومن عادتهم أن يُقَدِّمُوا الرَّجَّالة عند تعبئة الجيش، ليستَنِدُوا إلى الفُرسَان. وقوله: «وتحت نُحورِ الخيل حَرْشَفُ رَجْلَةٍ» أراد قطعة من الرَّجَّالة. ومعنى تُتاحُ: تُقَدَّرُ وتُهَيَّأُ. ويقال: تَاحَ له كذا وَأَتَحْتُهُ أنا؛ رَجُلٌ مِتْيَحٌ. وموضِعُهُ جَرٌّ على الصِفة لرَجْلَةٍ. فيقول: تحت صدور الدوابّ قطْعةٌ من الرَّجّالة تُقَدَّرُ نِبالُها للقلوب الغافِلة، أي لا يُشْعَر بهم فإذا نبالُهم تَعمل هذا العمل. والحَرْشَف: الأصل فيها أن تُستعمل في الجراد، ثم استُعير للجماعةِ من الرَّجَّالة على التَّشبيه، وقال امرؤُ القَيْس: [مخلع البسيط]

كــأنّــهــم حَــرْشَــفٌ مَــبْــثُــوثٌ ... بــالــجَــوِّ إذ تَــبْــرُقُ الــنّــعَــالُ[1]

وغِرّاتٌ: جمع غِرّة، وهي صفةٌ، يقال رجُلٌ غِرٌّ وغَرِيرٌ، وجاريةٌ غِرّةٌ وغَرِيرةٌ، ومصدره الغَرَارة.

٤ ـ أَبَـى لَهُـمُ أَن يَـعْـرِفُـوا أَنّـهُـم ... بَـنُـو نَـاتِـقٍ كـانَـتْ كَـثِـيـرًا عِـيَـالُهـا

هذا الكلام من صفة الكتائب. و«أن يعرفوا» في موضع المفعول لِأَبَى، وفاعِلُه قولُه «أنهم بنو ناتقٍ». وقولُه «كانت» من صفة الناتق. يقول: مَنَع لهم معرفةَ الضَّيم كثرتُهم وتَرادُفُهم. والناتق: المرأة الكثيرة الأولاد. وجَعَل العِيال كِنايةً عن الأولادِ، وهو جمعُ عَيِّل، كجيِّد وجِيَاد. يقال: عند فلانٍ كذا عَيِّلًا، وهو مُغِيلٌ ومُعَيَّلٌ: كثير العيال. والفِعل من ناتقٍ نَتَقَتْ تَنْتِقُ نَتْقًا.

٥ ـ فلمَّا أَتَينَا السَّفحَ من بَطْنِه حائلٍ ... بـحـيـثُ تَـلاقَـى طَـلْـحُـهـا وسَـيَـالُهـا

الباء من قول «بحيث» تَعلّق بفِعلٍ دَلَّ عليه أَتينا، كأنه قال: حَصَلْنا بحيث تَلاقَى طلحها وسيالُها وموضعُه من الإعراب نَصْبٌ على الحالِ للمضمرِين في أَتَيْنا. والسَّفْحُ: أسفل الجبَل، ولاشتهاره بما وُضع له أغْنَى عن إضافته إلى الجبل. والطَّلْحُ والسَّيَالُ: شجَرانِ. فيقول: لما بلغنا أسفَلَ الجبل من بطن هذا الوادي بحيث التَقى هذان الجنسان من الشجر؛ وهذا إشارةٌ منه إلى موضِع العِراكِ والقِتال. وجوابُ لمَّا فيما بعده:

٦ ـ دَعَـوْا لِنِـزَارٍ وانْـتَـمَـيْـنَـا لِطَـيِّـىءٍ ... كـأُسْـدِ الـشَّـرَى إقـدامُـهـا ونِـزَالُهـا

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ص ١٩٣، ولسان العرب (حرشف، ونعل)، وجمهرة اللغة ص ٩٥٠، والمخصص ٨: ١٧٤، وتاج العروس (حرشف، ونعل).

انتمينا: انتسبْنا، أي قالوا يا لَنِزَارٍ، وقلنا نحن: يا لَطَيِّىءٍ، مشابهين للأسود. وقوله «كأُسْد الشَّرَى» حذَف المضاف وأقام المضاف إليه مَقامه، كأنه قال: وكإقدام أُسْد الشَّرَى إقدامُها ونِزالُها وجاز الحذفُ لأنه لا يلتبس وجهُ التشبيه بغيره. ومعنى «دَعَوْا لنزار»: انتسبوا إلى نِزار. وهذا الاعتزاء الذي أشار إليه قد يفعله الفارسُ عند الطعن والضرب أيضًا، يقولُ الواحدُ منهم: خُذْها وأنا من بَني فلان، وأنا فلان ابن فلان.

٧ ـ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيفُ بَينَنَا لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا

الإحفاءُ يكون في السُّؤال عن الشَّيء، ويكون في طلب الشَّيء من الغير، وهو المبالغةُ فيهما، والذي بيّنه السّيفُ هو حُسْن بلاءِ أحدِ الفريقين وزيادَتُه فيما يُحْمَدُ من الصَّبرِ والثَّبَاتِ على صاحِبِه. وقد حَذَفَه من اللَّفظ لأنَّ المفاعيل تُحذف كثيرًا إذا دَلَّ الدَّليل عليها. ومعنى قولِه: «لسائلةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُها» أنّ الإحفاء في السُّؤال والاستقصاءَ في البحث، ممّا يزداد معه بيِّنات الأحوال، وجَليّات الأمور. وجَعَل الحَفِيَّ للسُّؤال على المجاز والسَّعَة. وفُسّرَ قولُه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]: كانَّ المعنى كأنك عالمٌ بها، لمّا كان الإحفاء في المسألة حقيقًا بأن يؤدِّيَ إلى العِلم بالمسؤول عنه. والسَّائلَةُ يجوز أن يريد بها قبيلةً، ويجوز أن يريد بها امرأةً. وجَعَل قولَه «السَّيْفُ» كنايَةً عن أنواعِ السِّلاح، بدلالة أنّه أعادَ ذكر استعمال السَّيف فيما بعده، لَمّا فَصّل أحوالَهُم وفَسّر مقاماتِهِم فقال: «ولمَّا عَصينا بالسُّيوف».

٨ ـ وَلَـمَّـا تَـدَانَـوْا بِـالـرِّمَـاحِ تَـضَـلَّـعَـتْ صُدُورُ الْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّت نِهَالُهَا

يقول: ولما تقارَبْنَا باستعمالِ الرِّماح رَوِيَت القَنَا من دمائِهِمْ، وصار النَّاهِلُ منها عَالّا؛ والنَّهلُ: الشُّربُ الأوّلُ، والعَلَلُ: الشُّرب الثاني كأنّهم عاوَدُوا الطَّعنَ وكرُّوا حالًا بعد حال. والتَّضَلُّع، حقيقته أن يُستعمل فيما له ضِلعٌ، وعند الارتواء تنتفخ الأضلاع؛ واستعاره هٰهنا. ويقال: تَضَلَّعَ شِبَعًا، وتَحَبَّبَ رِيًّا. وخَصَّ الصُّدُورَ لأنَّ الطَّعْن بها. ويقال: عَلَّ إبِلَهُ يَعُلُّ ويَعِلُّ، فَعَلَّتْ هِيَ. وإن شئت على هذا رَوَيْتَ: «وعَلَّتْ نِهالُهَا»، وإن شئت رويت: «وعُلَّتْ».

٩ ـ وَلَمَّا عَصِينَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسائِلُ كانت قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا

وَسَلْتُ إليه وَسِيلةً، أي تَقَرَّبْتُ إليه بقُرْبَةٍ. ويقال تَوَسَّلْتُ أيضًا. وفي القرآن: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: الآية ٣٥]. ويقال: عَصِيتُ بالسَّيف، إذا ضَرَبْتَ به، وعَصَوْتُ بالعصا. وجَعَل انبتَاتَ الوسائل وانقطاعَ الأواخيّ عند استعمال السُّيُوف لأنَّ الأمر يَشْتَدُّ عندَهُ، والقِناعَ يكشف مَعَهُ. ولهذا لَمّا استُوصِف عَمْرو بن معديكرب أنواعَ السِّلاح قال في السيف: «عِندَهُ تَثْكَلُ الأمَّهاتُ». وقولُهُ: «كانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُها»، يريد به أنّ حبال تلك الوسائل كانت مفتولَةً على الصُّلح فتقطَّعت باستعمال السيوف، لأنّ كُلًّا منها صار واتِرًا وموتورًا، فسقطَ الملامةُ من بينهم.

١٠ ـ فَـوَلَّوْا وَأَطْـرَافُ الـرِّمَـاحِ عَـلَيْـهِـمُ قَـوَادِرُ مَـرْبُـوعَـاتُـهـا وطِـوَالُهَـا

قَوْله: «وأطراف الرِّماح» في موضع الحال للمضمرِين في ولَّوْا. وذَكَرَ الأطْرافَ لأنَّ الطَّعْنَ بها يقع، وإن كانت الرِّماح بأسْرِها مَقْصُودَةً. يقول: انهزموا وأَسِنَّةُ الرِّمَاحِ متمكّنةٌ منهم، ومُقْتَدِرَةٌ عليهم، طِوَالُهَا وأوساطُها. والمَرْبُوع والمُرْتَبِع: ما كان بين القصير والطويل، ومنه رَجُلٌ رَبْعَةٌ. وإنّما قال ذلك لأنّ المنهزمين إذا مَنَحوا أكتافَهم لمن يَطلُب أثرهم ويقصِد النّكاية فيهم، فتأثير الأسلحة على اختلافها متقارب. وارتَفَع «مربوعاتُها» على البَدَل من الأطراف. وهذا يُبَيِّنُ أنّ القَصدَ بها إلى جميعها، لا إلى بعضها.

٣٤ ـ قال عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِب: [مرفّل الكامل]

١ ـ لَـيْـسَ الـجَـمَـالُ بـمـئْزَرٍ فَـاعْـلَـمْ وإنْ رُدِّيـتَ بُـرِدَا

قوله «فاعلم» اعتراضٌ تأكَّدَ به الكلام، ومثله قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: الآيات ٧٥ - ٧٧]؛ لأن قوله «وإن رُدِّيت» متعلِّقٌ بما قبلَه تعلُّقَ جواب القَسَم بالقَسَم. يقول: ليس جمالُ المرءِ فيما يلبَسُه من الثياب وإن استَسرَى الملابسَ واختار أرضاها وأكملَها. وكانوا يأتزرون ببُرْدٍ ويرتدون بآخر، ويُسَمَّيان حُلَّةً، وباجتماعهما كان يكمُل اللبُوس، حتى كانت خِلْعَة ملوكهم لا تعدُوهما. ولذلك سُمِّيَ من سُمِّيَ ذا البُرْدَيْن. قال: [الطويل]

أَيـا ابـنـةَ عـبـدِ الله وابـنـةَ مـالـكٍ ويا ابنةَ ذي البُرْدَين والفَرَسِ الوَرْدِ[1]

(١) بلا نسبة في لسان العرب (رأي)، ولحاتم الطائي في ديوانه ٤٣.

وقولُه: «وإن رُدِّيتَ بُرْدًا» في موضع الحال، كأنه قال: ليس جمالُكَ بمئزر مُرَدًّى مَعَهُ بُرْدًا. والحال قد يكون فيه معنى الشَّرط، كما أنَّ الشرط يكون فيه معنى الحال. فالأوَّلُ كقولِك: لافعَلَنَّه كائنًا ما كان، أي إن كان هذا وإن كان هذا. والثاني كبيت الكِتاب: [البسيط]

عـاوِدْ هَـرَاةَ وإن مَـعْـمُـورُهـا خَـرِبـا[1]

لأنّ الواوَ منه في موضع الحال، كما هو في بيت عَمْرٍو، وفيه لفظ الشرط ومعناه، وما قبله نائبٌ عن الجواب. والمعنى: إن خَرِبَ معمور هراة فعاوِدْها. وكذلك بيت عمرو، تقديره: إن رُدِّيت بُرْدًا على مئزرٍ فليس الجمالُ ذلك.

٢ ـ إِنَّ الـجَـمَـالَ مَـعَـادِنٌ وَمَـنَـاقِـبٌ أَوْرَثْـنَ مَـجْـدا

أراد أنّ جمال المرء في أصوله الزّكيّة، وأفعالٍ له كريمةٍ تورث المجد والشرف. والمَعْدِنُ، هو من عَدَن بالمكان عَدْنًا وعُدُونًا، إذا أقامَ. وكذلك عَدَنَتِ الإبلُ في الْحَمْضِ، وقيل المَعْدِنُ اشتقاقُه من عَدَنْتُ الْحَجَر، إذا قَلَعْتَه. وإذا جَمع الرجلُ بين الشرف الموروث والمستحدث المكسوب فهو النهايةُ. ومَناقِبُ الإنسان: ما عُرِف فيه من الخِصال الجميلة، والطَّرائق الحميدة، والوحدة مَنْقَبةٌ. والنَّقِبُ كأنه منه. قال الدُّرَيدِيّ: يقال نَقِبٌ بَيِّنُ النَّقَابةِ بالفتح، مثل كفيلٍ بيّن الكَفَالة. فأما التعريف فمصدَرُهُ العِرافةُ بالكسر: والمَجْد: الشرف والرِّفعة، وسُمِّيَت الأرض المرتفعة مَجْدًا ونَجدًا به. ويجوز أن يكون أصله الكَثرة، يقال أَمجَدْتُ الدّابّةَ علَفًا، أي وَسّعتُه لها.

٣ ـ أَعْـدَدْتُ لِلْحَـدَثَـانِ سَـابِـغَـةً وعَـدَّاءً عَـلَـنْـدَى

أعْدَدْتُ وأعتَدْتُ واحد، والاسم العُدّة والعَتاد. يقول: هَيَّأْت لنوائب الدَّهرِ، أي لدفْعِها دِرعًا واسعةً وفَرسًا ضخمًا جَيِّدَ العَدْو كثيره. والعَلَنْدَى أَلِفُهُ للإلحاق، كسفَرْجَل. وأصل الكلمة ثلاثِيٌّ، والنون والألف زائدتان، فهو من العَلْد. قال الخليل: هو الغليظ الشّديد من كلّ شيء. والدلالة على أن الألف للإلحاق أنّك تقول للمؤنث عَلنداةٌ، وأنّك تنوّن فتقول علندًى. وذكر بعضهم أنّ العَلَندَى: الضّخم من الإبل والخيلِ جميعًا، وجمعه عَلانِد وإن شئت عَلادٍ، كما قالوا في حَبَنْطَى حَبَانِطُ وحَبَاطٍ. وفرسٌ عَدّاءٌ وعَدَوَانٌ، إذا كان كثير العَدو.

---

(١) الكتاب ١:٤٥٧.

٤ ـ نَـهـدًا وذَا شُـطَـبٍ يـقُـ ـدُ الـبَـيْـضَ والأبـدانَ قَـدًا

نَهْدًا، أي فرسًا غليظًا. والنُّهود في الثدي: بيانُ حجمه ونُتوُه من هذا وسَيْفًا ذا شُطَبٍ: ذا طرائق، يقطع البَيْض والدُّروع قَطْعًا. والقَدّ: القَطْعُ طُولًا، والقطُّ: القطع عرضًا. والبَدَنُ من الدِرع: قدر ما يَسْتُر البَدَنَ. ويقال سَيْفٌ مُشَطَّبٌ: فيه شُطوبٌ وطرائق.

٥ ـ وعَـلِـمْـتُ أنّـي يَـوْمَ ذَا كَ مُـنَـازِلٌ كَـعْـبًـا ونَـهْـدًا

قوله: «يومَ ذاك» يجوز أن يُشَارَ بذلك إلى أَمْرٍ قد عَلِمَهُ السامعون، وهو الحرب، لأنّ النّزال يكون فيها. ويجوز أن يكون أشار به إلى السِّلاح الذي زَعم أنه أعَدَّه. ويومُ السِّلَاحِ: يوم الحرب. ويجوز أن يكون أشار به إلى الحَدَثان، لأنه قد قال «أعدَدْتُ للحَدَثان». ومعنى البيت: علمْتُ أنّ مُنَازِلٌ هؤلاء فأعددتُ لهم هذه السِّلاح، لعلمي بالحاجة إليه. والحَازِمُ يتهيّأ للأمر قبل وقوعه، فكأنه قال: فعَلْتُ ذلك بحزامتي، وعلمي بموارد الأمور ومصادرها.

٦ ـ قـوْمٌ إذَا لَـبِـسُـوا الـحَـدِيـ ـدَ تَـنَـمَّـرُوا حَـلَـقًـا وَقِـدًّا

انتصب حَلَقًا على أنه بَدَلٌ من الحديد، ويُريدُ به الدُّروع التي نُسِجَتْ حَلْقتين حلقتين. والقِدُّ، أراد به اليَلَب، وهو شبه دِرْعٍ كان يُتَّخذ من القدّ. ويرُوى: «خُلقًا وقَدًّا» ويكون انتصاب خُلُقًا على التمييز، أي تشبّهوا بالنِّمِر في أخلاقهم وخِلَقِهِم. ودَلّ على الخِلَق قوله قَدًّا. ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبِسُوا الحديد الدروع واليَلَب تشبَّهوا بالنِّمِر في أفعالهم في الحرب. ويجوز أن يُريدَ بتنمَّروا تلوّنوا بألوانِ النّمر، لطُول ثَباتِهم وملازمتِهم الحديد وحينئذٍ يصحّ أن يكون انتصاب حلَقًا على التمييز؛ والمعنى الأوّل أجود. فإن قيل: كيف دخل قولُه: «وقِدًّا» بالعطف على حَلَقًا في أن يكون بدَلًا من الحديد وليس منه؟ قيل: لمّا كان يُغْني غَنَاءَ دِرع الحديد، جاز أن يصحبه في أن يكون بدلًا. وقوله «إذا لبِسُوا الحديد» ظَرْفٌ لتنَمَّرُوا.

٧ ـ كـلُّ امـرِىءٍ يَـجْـرِي إلَى يـوْمِ الـهِـيَـاجِ بـمـا استَـعَـدَّا

هذا كما قيل في المَثَل: «قبل الرِّماء تُملأ الكنائن»(١)، فيقول: كلُّ رَجلٍ يَجري إلى يوم الحرْب بما أعَدَّه واستعدَّه. والضمير من صلة «ما» محذوفٌ استطالةً للاسم.

---

(١) الكنائن: جمع كنانة، جعبة السهام.

ويجوز أن يكون استعدَّ فعلًا ليوم الهياج لا لكل امرىء، ويكون معناه بما كلَّفَ يوْمُ الهياج أن يُعَدَّ له. يقال: استعددته كذا، أي سألته أن يُعِدَّ.

٨ ـ لــمّـا رأيــتُ نِــســاءَنَــا يَــفْـحَـصْـنَ بـالـمَـعْـزَاءِ شَـدَّا

الأمعز والمَعْزَاء: الأرض الحَزْنَةُ ذاتُ الحجارة، والجميع المُعْز والأماعز والمَعْزاوات. والأصل في المَعَز الصَّلابة، ويقال رجل ماعِزٌ ومَعِزٌ. ويُروى: «يَفْحَصْن»، ومعناه يؤثّرن لشدّة العَدو في المَعْزاء، حتَّى يصير به لآثارهن كالأفاحيص. ويقال: استَضْحَك فلانٌ حتى فَحَص برجلَيْه. وقيل على التوسُّع: فَحَصْتُ عن الأمر. وينتصب «شَدًّا» على أنْ يكون مفعولًا له، كأنّه قال: يَفْحَصْن بالْمَعْزَاء لشَدِّهنّ. ويجوز أن يكون شَدًّا مصدرًا في موضِع الحال، أي يفعلن ذلك بالمعزاء شَادّاتٍ. ويُروى: «يَمْحَصْن»، والمَحْصُ: العَدْو الشديد، وينتصب شَدًّا على أنّه مصدرٌ من غير لفظه، كأنّه قال: يشدُدْن شَدًّا ويمْحَصْن مَحصًا. وجواب لَمَّا قولُه «نازلت» وسيجيء من بعده، وإنَّما عَمِلت النِّساء ما ذَكَر إشفاقًا من الغارة والسِّبَاء.

٩ ـ وبَــدَتْ لَمِــيــسُ كَــأنَّــهــا بَــدْرُ الــسَّــمَــاءِ إذا تَــبَــدَّى[1]

قولُه: «كأنّها بدرُ السماءِ» في موضع الحال للمرأة، أي بَدَتْ مُشْبِهَةً البَدْر، وقولُه: «إذا تبدّى» ظَرْفٌ لما دَلّ عليه كأنّ من معنى الفِعْل. يقول: وبرزَتْ هذه المرأةُ كاشفةً عن وجهها سافرةً، كأنَّها قد أرسلت نِقابها. ودَلَّ على هذا بقوله: «كأنّها بدرُ السَّماء إذا تَبَدَّى»، وإنما فَعَلَتْ كذلك لأحد وجهين: إمّا للتَّشبُّه بالإماء حتى تأمَنَ السِّبَاء، أو لما تَداخَلَها من الرُّعب. وفي طريقته: [الطويل]

وَنِسْوَتُكُمْ في الرَّوْعِ بادٍ وُجُوهُهَا يُـخَـلْنَ إمَـاءً والإمـاء حَـرَائـرُ[2]

١٠ ـ نَــازَلْتُ كَــبْــشَــهُــمُ ولَمْ أَرَ مــن نِــزَالِ الــكَــبْــشِ بُــدَّا

لا بُدّ يستعمل استعمالَ لا محالة، وتحقيقه لا مَحِيدَ ولا مَعْدِل. ومنه قولُهم: استبدَّ فلانٌ بالأمر، أي انفرَدَ به. والبَدَدُ والتَّبَدُّد: مَصْدَرُ الأبَدّ. وهذا جواب قوله:

---

(١) روى التبريزي بعد هذا البيت:

«وبـدت مـحـاسـنُـهـا الـتـي تَـخْـفـى وكـان الأمـرُ جِـدّا»

(٢) هذا البيت من الحماسية رقم (٦٠) لسبرة بن عمرو الفقعسيّ.

«لما رأيتُ نساءنا يَفْحَصْنَ». وكَبشُ الكتيبة: رئيسها. فيقول: لمَّا رأيت الأمْرَ على ما ذكرْتُ أنِفتُ وقصدْتُ رئيسَ الأعداء وملاقاتَه ولم أجِدْ من ذلك بُدًّا. وإنَّما قال: «نازلتُ كبشَهُم» ليُرِيَ أنَّه ممن تدعوه نفسُه إلى مُجاهدة الرُّؤساء والتعرُّضِ لهم في الحرب، وأنّه ممن لا يرضَى عن المبارَزة بالمنزِل الأدْنَى. والرَّئيسُ متى كان واثقًا بنفسه طلبَ أمثالَه، واستَعْفَى من مبارزة مَن لا يُؤبَه له، وتفادَى منها، إلَّا عند الضَّرورة.

١١ ـ هُـمْ يَـنْـذِرونَ دَمِـي وأَنْـ ـذُرُ إنْ لَقِـيـتُ بـأَنْ أَشُـدَّا

يقول: هم يقولون لله علينا سَفْكُ دَمِ عمرو، وأنا أقول لله عليَّ أن أحملَ عليهم وأبذُلَ نفسي لهم، ثقةً بكِفايتي واستهانةً بنذرِهم. ويقالُ في الحَمْلة: شددنا عليهم شَدَّةً صادقةً، وشدة غير كاذبةٍ، إذا أرادوا المبالغة.

١٢ ـ كَـمْ مِـنْ أَخٍ لِيَ صـالِحٍ بَـوَّأْتُـهُ بـيَـدَيَّ لَحْـدَا

بوَّأْتُه مُبَوّأَ صِدْقٍ: أنزلتُه. والمَباءة: المَنزِل. وإنما فرَغَ من التبجُّح بالشجاعة ثم ذكر صبرَه على البلاء، وتوطِينَ نفسه على اللأواء، فيقول: كم من أخ موثوقٍ به فُجِعْتُ بموته، وأحوِجتُ إلى تولي دفنِهِ، ومباشرةِ تجهيزه. وهذا إذا ابتُلي به المرءُ كان أعظَمَ لجزعِه، وأنكى في قلبه.

١٣ ـ مـا إنْ جَـزِعْـتُ ولا هَـلِعْـ ـتُ ولا يَـرُدُّ بُـكَـايَ زَنْـدَا

الهَلَعُ: أَفْحَشُ الجزعَ، لأنه جَزَعٌ مع قِلَّة صبر. وقد فسَّره التنزيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعَارج: الآيات ١٩ - ٢٢]. لأن المعنى أن الإنسان لا يصبر على ضَيْرٍ، ولا على خَيْرٍ، فكأنّه قال: ما حزِنْت عليه حُزنًا هيِّنًا قريبًا، ولا فظيعًا شديدًا. وهذا نَفْيٌ للحُزْنِ رأسًا، فهو كقولك: ما رأيتُ صغيرَهم ولا كبيرَهم. وقد أَعطَى التّرتيبَ حَقَّه لأنّه ارتقى فيه من الأدْوَن إلى الأعلى، إذ كان قوله «ما إنْ جَزِعْتُ» وإن كان مستصلَحًا لجميع أنواعه مُفيدًا للأدْوَان، وقد جاء بعدَهُ «ولا هَلِعْتُ»، وقوله: «ولا يعرُدُّ بُكايَ زَنْدَا»، وكان بعضُ الناس يرويه: «ولا يرُدُّ بُكاي زَيْدًا»، وزعَمَ أنه أخٌ له. ورأيت مَن زَعَم أنه فتَّش عن نَسَبِ عمرٍو فلم يجد له نَسِيبًا ولا شقيقًا يسمَّى زيدًا. على أنَّ قوْلَه «كم مِن أخٍ لِيَ صالحٍ» لا يلائمه ـ فيما يقتضيه سِياقُ اللفظ ونظام المعنى، ومع إفادته الكثرة ـ أنْ يُقابَل بِوَلَا يَرُدّ بكاي أخي زيْدًا مع تخصُّصِه. فأما من

روى «زَنْدَا» فبعض الشيوخ كان يقول: أراد ولا يَرُدّ بكاي شَرَرَة، فذكرَ الزَّنْد وأراد ما يَخْرُج منه عند القَدْح. وأحسَنُ من هذا أن يكون ذكر الزَّنْدَ تقليلًا لعائدة الحزْنِ لو تكلَّفَه عندما دَهِمَه من الفَجيعة بالأخ المذكور. وهم يستعملون الزَّنْدَ في هذا المعنى، كما يستعملون الفُوفَ والنَّقير والقِطمِير والفَتيل. وحكى أبو زيدٍ أنهم يقولون إذا قَلَّلوا مالَ الرجل: «زَنْدَانِ في مُرَقَّعَةٍ»(١). وهذا المعنى حسنٌ، والشاهِدُ له قويٌّ. ورأيت في بعض النُّسخ: «ولا يردُّ بكاي رَدًّا»، وهذا حسنٌ أيضًا، ويكون المعنى: ولا يُرَدّ بكَائي مردودًا. والمعنى: ولا يُغني بكائي شيئًا. وفي كلام الناس: هذا الأمرُ أرَدُّ عليك، أي أنفعُ وأجْدَى. وإنما عَقَّبَ نَفْيَ الجَزَع بهذا الكلام تنبيهًا على أنّ صبرَه عن تأدُّبٍ وتبصُّر ومعرفةٍ بالعواقب، وحُسْنِ تأمُّل.

١٤ ـ أَلْبَسْتُهُ أثْوَابَهُ   وخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا

يقول: تولَّيت تكفينَه وتجهيزَه بنفسي، وخُلِقْتُ صبورًا حين خُلِقتُ. وهذا يريدُ بِهِ أنه جمع إلى الجَلَادة المكتسَبة جَلادَة الخِلقَةِ والطبيعة.

١٥ ـ أُغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِيـ   ـنَ أُعَدُّ لِلأعداءِ عَدَّا

قول «الذاهبين» يجوز أن يريدَ بهم مَن انقرضَ من عشيرته وذويه، ويكون المعنى أنه المعتمَدُ عليه بعدهم، ويجوز أن يريدَ بهم المتغيِّبين عن المشاهِده والمَعارِكِ. وقولُه «أُعَدُّ للأعداءِ عَدًّا» يجوز أن يكون المعنى: يقال فيَّ للأعداء: خُذُوا فلانًا فإنه يُعَدُّ بكذا وكذا من الفرسان. ويقال إن عمرًا كان يعدّ بألف فارسٍ. ويجوز أن يكون المعنى: أُهَيَّأُ للأعداءِ مَعْدُودًا، فيكون عَدًّا انتصابه على الحال، وموضوعًا موضِعَ المعدود، وأُعَدُّ مستقبل أُعْدِدْتُ، أي هُيِّئت. وفي الأول يكون مَصدَرًا لأُعَدُّ. والواحد لا يصح عَدُّه ولكنْ كأنّه يقال فيه: إنه يقوم مقام كذا وكذا من العَدَد. ويروى «أَعَدُّ للأعداءِ» بفتح الهمزة، ويحتمل وجهين من المعنى: أن يقول أعدُّ لهم وقَعاتي وأيّامِي عند المفاخرة والمنافرة عَدًّا؛ وهذا معنى حَسَنٌ. والآخر أن يكون المعنى: أَعُدُّ لهم كلَّ ما يُحتاج إليه من عَدَدٍ وعُدَّةٍ، وهذا يؤذِنُ بأنه يدبِّرُ أمرَ الحربِ؛ ويُرْجَعُ إليه في أسبابها والجمع لها وهذا يرجع معناهُ إلى معنى مَن يَرِوي «أُعِدُّ للأعداء» بضم

(١) المثل في معجم الأمثال للميداني ١: ٤٥٠، قال: «قال أبو عبيدة: نرى المرقّعة كنانة أو خريطة قد رقعت. يضرب للرجل المحتقر لا يغني شيئًا».

الهمزة وكسر العين. وفي هذه الرواية يجوز أن يكون عَدًّا مفعولًا به، والمعنى: أعِدُّ لها معدوداتها.

١٦ ـ ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدَا

يقول: فُجِعْتُ بأَحِبَّائي وبَقِيت منفرِدًا بالسِّيادة، فأَنا كالسَّيْف لا يُجْمع اثنان منه في غِمدٍ. ويجوز أن يكون: بقيت لنفاذي في الأمور ومضائي كالسيف. وفرْدًا ينتصب على الحال، أي منفرِدًا.

٣٥ ـ وقال عمروٌ أيضًا: [الرمل]

١ ـ ولَقَدْ أَجْمَعُ رِجْلَيَّ بِهَا حَذَرَ المَوْتِ وإنّي لَفَرُورْ

هذا كلام من جَمَع إلى شجاعَتِه وإقدامه حَذَرًا وحَزَامَة، وإلى جرأته وتهوُّره رِفقًا وأَصالَة، ثم يكونُ عارفًا بوقت كلٍّ منها، وبالحالة الموجِبة لاختياره بَعْضَها. وأَجْمَعُ رِجْلَيَّ، أي أستَحِثُّ فَرَسِي. وهو من فصيح الكلام، ومن العبارة التي تصوِّر المعنى. ومن لفظِهِ وبابِهِ قولُهم: جَمَعْتُ يَدِي على كذا، ورفَعْتُ يَدِي عن كذَا. وحَذَرَ الموت، انتصب على أنّه مفعولٌ له، والضميرُ من قولِهِ: «بها» للفرس. والمعنى: أركُضُها وأستدِرُّ جريَها، ذَهابًا في الفِرار، واحترازًا من الموت إذا كانَ الوقتُ وقْتَهُ، وإنّي لكثيرُ الحربِ إذا كان الهربُ أغْنَى، وإلى مراغَمة العدوِّ أدْعَى.

٢ ـ وَلَقَدْ أَعْطِفُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرْ

يقول: كما أهْربُ وقت الهرب فإنّي أعطِفُ وقتَ العطف؛ لأنّ الكرّ والفرّ من شأني، والإقدامَ والإحجام عادتِي ودَأْبِي. وأشار بقوله: «حين للنَّفس من الموت هَرِير» إلى شدة الأمر وتفاقُم الخَطْب. أي أعْطِفُ الفَرَسِ وهي كارهةٌ في الوقت الذي تَهِرُّ النفسُ وتضِجّ من شِدّة البَلْوَى. والهَرِير: قيل هو دون النُّباح.

٣ ـ كُلُّ مَا ذلِكَ مِنِّي خُلُقٌ وبِكُلٍّ أنا فِي الرَّوعِ جَدِيرْ

«ما» زائدةٌ. وأشار بقوله: «ذلك» إلى ما قَدَّمَه من الكرّ والفرّ. أي كلُّ ما وَصَفْتُ عادةٌ منّي وطبيعةٌ، وبفعلٍ كُلّه أنا خليقٌ في الرَّوعِ. ويقال: هو جَدِيرٌ بكذا، وجدير لكذا، وجديرٌ أن ينال كذا، ولقد جَدُرَ جَدَارَةً، وأَجْدِرْ به أن يفعَلَهُ.

قال: [الطويل]

جَدِيرُونَ يَوْمًا أن يَنَالُوا ويَسْتَعْلُوا(١)

٤ ـ وابنُ صُبْحٍ سَادِرًا يُوعِدُني مَا لَهُ في النَاسِ ما عِشْتُ مُجِيرُ

قال الدُريدي: يقال أتى فُلانٌ أمرَه سادرًا، إذا جاءه من غير جهتِه. يقول: وهذا الرّجلُ مع ما ذكرتُ من قِصَّتِي في الحرب يتهدَّدُني ساهيًا لاهِيًا، ومَا لَهُ عاصِمٌ منّي في الناسِ ما عِشْتُ. وموضِعُ «ما عِشْتُ» ظَرْفٌ، بيانُه أنَّ ما مع الفعل في تقدير المصدر، واسم الزمان محذوف معه، كأنه قال: مدَّةَ عيشي.

٣٦ ـ قَيسُ بن الْخَطِيم الأوسِيُّ(٢): [الطويل]

١ ـ طَعَنْتُ ابنَ عبدِ الْقَيسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا

الشَّعُ والشَّعَاعُ: المتفرّق. ومنه شَعَّ الغارَةَ، وتَطايَرَ القومُ شَعَاعًا. يقول: طَعَنْتُ هذا الرَّجُلَ طَعْنَةَ طالبٍ بالدّم فاتِكٍ لا بُقْيًا معها، ولا تقصيرَ في المبالغة فيها، لها نَفَذٌ، أي خَرْقٌ، لولا انتشار الدَّم لأضاءها. وأضاءَها جواب لَوْلَا، والمبتدأ وهو «الشَّعَاع» خبرُه محذوف، كأنّه قال: لولا الشَّعَاع مانِعٌ لأضاءها النَّفَذُ. ومن رَوَى «الشُّعَاعُ» بضمّ الشين، فإنّه يُرِيدُ به نُورَ الشّمس. والأوّل أَجْوَدُ وأشهر. ويقال: أشَعَّتِ الشَّمسُ، إذا امتدّ نُورُها وانتشر.

٢ ـ مَلَكْتُ بها كَفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَهَا يُرَى قائمًا مِنْ دُونِها ما وَرَاءَهَا

يُروى: «يَرَى قائمٌ من دونها مَن وراءها» و«ما وراءها»، ويُروى: «يَرَى قائمًا» أيضًا. ويقال: مَلَكْتُ العَجِين وأمْلَكْتُه، إذا بالغْتَ في عَجْنِهِ وشدّدت. وكان الأصمعيّ يمتنع من أمْلكت، فيكون المعنى: شَدَدت بهذه الطعنةِ كَفِّي ووسَّعتُ خَرْقَها حتى يَرَى القائمُ من دونها الشيءَ الذي وراءها، وهذا التفسير في ملكتُ تفسير القدماء. ويجوز أن يكون معنى «ملكت بها كفّي» أي تمكّنت من فعلها، فأطقْتُ تصريفَ كفّي في إيقاعها على مرادي. وهذا كما يقول: أنا أمْلِكُ هذا الأمر، إذا كان قادِرًا عليه. وكأنه

---

(١) البيت لزهير في ديوانه ١٠٣، ولسان العرب (جدر، عبقر)، وتهذيب اللغة ٢:٢٩٣، وأساس البلاغة (جدر)، وصدره:

«بخيلٍ عليها جِنّةٌ عبقريةٌ»

(٢) قيس بن الخطيم: شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، أدرك الإسلام (ت ٢ ق. هـ/ ٦٢٠ م) ترجمته في الإصابة ٧٣٥٠، والأغاني ٢:١٥٤.

أشار بهذا الكلام إلى أن الطعنةَ لم تكن على دَهَشٍ واختلاس، ولكن عن تمكُّنٍ واقتدار. ويُروى: «يُرَى قائمًا مِن دونها مَنْ وَراءها» و«ما وراءها» ومن روى «من وراءها» فالمعنى يُرَى مَن وراءَها إذا كان قائمًا مِن دونها. ووراء هٰهنا بمعنى خَلْف، وإن كان يقع على الخَلْف والقُدَّام جميعًا. ومِن دُونِها، أي من قُدَّامِها، وبيت الأعشى على هذا، وهو قوله(١): [الطويل]

تُـرِيـكَ الـقَـذَى مـن دُونِـهـا وهـي دُونَـهُ

أي تريك الخَمرةُ في الزجاجة القَذَى من قُدَّامِها، وهي قُدَّام القَذَى؛ أي تريك الزُجاجةُ ما خلفها من قدّامها لصَفاء الخمرة فيها. ومعنى أَنْهَرْتهُ: وسَّعْتُه حتى جعلته كالنَّهر سَعَةً. والنهر نفسه سُمِّيَ بذلك لاتّساعه. ومنه المَنْهَرَةُ، وهي فَضَاءٌ بين بُيُوتِ الحيّ يلقُون فيه كُنَاسَتَهُم. وفي هذا الوَصْف سَرَفٌ مُسْتَنْكر وخروجٌ عن القَصْدِ مُسْتَهْجَن. ويجري مَجْراه في الغُلوّ قول مُهَلْهِل: [الوافر]

فـلوْلَا الـرِّيـحُ أَسـمَـعَ أَهْـلَ حَـجْـرٍ صَـلِـيـلَ الـبَـيْـضِ يُـقْـرَعُ بـالـذُّكُـورِ(٢)

واستعمل عنترةُ لَفظَ الإنهار مع اقتصادٍ فقال: [الكامل]

أَنْـهَـرْتُ لَـبَّـتَـهُ بـأَحْـمَـرَ قـانِـىءٍ ورَشَـاشِ نـافِـذَةٍ عـلى الأثـوابِ

٣ ـ يَـهُـونُ عَـلَـيَّ أنْ تَـرُدَّ جِـرَاحُـهـا عُـيُـونَ لأَوَاسِـي إِذْ حَـمِـدْتُ بَـلَاءَهـا

الأواسِي: النِّساء المداويات للجِراح، والفِعْل منه أَسَوْت. ويقال للرِّجال الآسُونَ والأُساةُ. وإنما ذَكَر النِّساءَ لأنهم يأْنفُونَ من الصناعات، ويعلّمونها العَبِيد والإماءَ وحرائرَ النساء أحيانًا، إذا لم يكُنَّ في غايةٍ بعيدةٍ من الشَّرَفِ. وقوله «أن تَرُدّ» موضعُهُ رَفْعٌ على أنه فاعِل يهُون. و«إذ حَمِدْتُ» ظَرْفٌ ليَهُونَ، وهي حكاية حالٍ ماضية. والمعنى: يخفُّ عَلَيَّ رَدُّ جِراح هذه الطعنة عيونَ النِّساء المداويات لها، إذ حَمِدْتُ أثري فيها. وبلاءها، يجوز أن يكون المراد بلائي فيها، ويجوز أن يريد ببلائها شدّتَها وفظاعتَها. والمصادر تُضاف إلى الفاعِلين والمفعولين جميعًا.

---

(١) للأعشى في ديوانه ٢٦٩، وتهذيب اللغة ١٦:٩، وأساس البلاغة (مطق)، وتاج العروس (مطق)، وبلا نسبة في لسان العرب (مطق، ودون)، وجمهرة اللغة ٩٢٤. وعجزه:

«إذا ذاقـهـا مـن ذاقـهـا يـتـمـطـقُ»

(٢) له في البيان ١٢٤:١، والحيوان ٤١٨:٦، ونقد الشعر ٨٤.

٤ ـ وساعَدَني فيها ابن عمرو بنِ عامرٍ زُهَيـرٌ فـأَدّى نـعـمـةً وأَفـاءَهـا[(١)]

يجوز أن ينتصب نعمةً على الحال ويكون مفعول أدّى محذوفًا كأنه قال: فأدّاها نِعمةً ويَدًا يَستحِق عليها شُكرًا، ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول أدّى، ويكون المعنى: ساعَدَني في هذه الطعنة زُهير بن عمرو، فأدّى صنيعة كانت لي عندهُ بمُساعدته، واتخذها مَغْنَمًا لنفسِهِ أيضًا. ويجوز أن يكون أفاءها من الفيء: الغنيمة، وهذا قول أبي عبيدة. ويجوز أن يكون أفاءها من الفَيءِ: الرجوع، أي أدّاها ورجعها إلى مُصْطَنِعِها، لأن الأيادي قُروضٌ في الصالحين.

٥ ـ وكـنـتُ امـرأً لا أسـمَـعُ الـدَّهـرَ سُبّـةً أُسَـبُّ بـهـا إلّا كَـشَـفْـتُ غِـطَـاءَهـا[(٢)]

يُرْوَى «لا أَسمَعُ» و«لا أُسمَعُ». ومن الغِطاء قيل غَطَا الليلُ، وغطا عليهم الشرُّ وغيره. يقول: كنت رَجُلًا لا أُعَيَّرُ شيئًا طول الدَّهر إلا بيَّنْتُ للناسِ براءةَ ساحَتي منه. وحقيقةُ «كشفْتُ غِطاءَها» أي لم أترُك الشُّبَّةَ ملتبسةً على سامِعِها، فكان يتردّد بين تصديقها وتكذيبها، بل أَبَنْتُ أمرَها وأظهرتُ وجهَها، حتى بان للناس اختلاقُ السابِّ بها، وكِذَابُه فيها. والسُّبَّةُ، كالغُمَّةِ والغُصَّةِ وما أشبهها. وذهب بعضُهم إلى أن المعنى: إذا رُميت بعَيْبٍ كان حَقًّا عَلَيَّ مَحْوُه عن نفسي، بما استأنِفُه من سَعْيي، والأوّل أحسن.

٦ ـ مَتَى يأتِ هذا الموتُ لا تَبْقَ حاجةٌ لِنَفْسِيَ، إلّا قد قَضَيْتُ قَضاءَها

يُرْوَى «لا يُلْفِ حاجةً» على أن يكون الفِعل للموت، و«لا تُلْفَ حاجةٌ»[(٣)] على ما لم يسمّ فاعلهِ، أي لا توجد. يقول: اجتهد في إدراك الآثار[(٤)]، وطلب الأوتار، قبل دنُوِّ الأجل، فمتى جاءَ الموت لا يجدْ حاجةً تَتعلَّق نفسي بها قبلُ إلّا وهي مقضيّةٌ. ومعنى «قَضَيْتُ قضاءها» أي فرَغْتُ منها كقضائي لأمثالها. وقوله «هذا الموت» يجوز أن يكون تصوُّرُه حاضرًا لمعرفته بإدراكه لا محالة، وأشار إليه. ويجوز أن يكون لدوام استقتاله وتحدّثه بمجيئه، وكوْنه من همّه، أشار إليه على جهة التقريب له.

---

(١) عند التبريزي: «خداشٌ فأدّى» وخداش هو خداش بن زهير بن ربيعة.
(٢) روى التبريزي بعد هذا البيت:
«فإنّي في الحرب الضروسِ مُوَكَّلٌ بإقدام نفسٍ ما أريدُ بقاءَها»
(٣) هكذا عند التبريزي.
(٤) الآثارَ: مقلوب الآثار جمع ثأر.

٧ ـ إذا ما شَرِبتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِئْزَرِي   وأَتْبَعْتُ دَلْوِي في السَّماحِ رِشَاءَها[١]

يقول: إذا شربتُ أربعةَ أكوُوسٍ جَررتُ مِئزَرِي، فأثَّرَ في الأرض خُيَلَاءَ وكِبرًا، وتمَّمتُ ما بَقِيَ عليّ من السَّماح في حال الصَّحْوِ، كأنَّ معظَمَهُ فَعَلَهُ صاحِيًا، والباقي منه تمَّمَهُ في حال السُّكْرِ. وهذا الكلام يجري مَجرى المثل للمعنى الذي بَيَّنْت. حَكَى الأصمعيُّ أنّهم يقولون: «أَتْبِعِ الفَرَسَ لجامَها»، و«أَتْبِعِ الدَّلْوَ رشاءَها» أي تَمِّم ما بقيَ عليك من أمرِك، وكأنه يُضربُ لمن جاد بالكثير وتَرَكَ القليل الحقير. وهذا أجود من قول عنترة العبسيّ، وإن كان مفضّلًا عند كثير من الناس على قول عمرو بن كُلْثوم، وقول[٢] عنتَرَة: [الكامل]

وإذا انتَشَيْتُ فإنني مُسْتَهْلِكٌ   مَالِي وعِرْضِي وافِرٌ لم يُكْلَمِ
وإذا صَحَوْت فَمَا أُقَصِّرُ عن نَدًى   وكَمَا علمْتِ شمائلي وتكرُّمِي

وبيت عمرو: [الوافر]

مُشَعْشَعَةً كأنَّ الحُصَّ فيها   إذا ما الماء خَالَطَها سَخِينَا[٣]

لأنّ هذا قال: إنا نتسخّى إذا شربنا الخمر ممزوجة. وما قاله عنترة في بيتين أشار إليه قيسٌ في مِصْرَاعٍ. وكان ابنُ الأعرابي يذهب في قوله «سخينا» إلى أنه يقال ماء مُسَخَّنٌ وسَخِينٌ، وإن كان فعيلٌ في معنى مُفَعَّل قليلًا، وانتصب عنده على أنه حال للماء. ويكون المراد على طريقته: كأنّ الحُصَّ فيها إذا مُزِجَ بماء سخينٍ، وهذا لِهَرَبه ممّا استقبحه الناسُ. وهو حَسَنٌ، لكنّهُ يقتضي أن يكون بلادُهم صُرُودًا[٤].

٣٧ ـ الحَارِث بن هِشَامِ المَخْزُومِيّ[٥]:

وهو أخُو أبي جَهْلٍ لعَنَهُ الله. وكان هرب يوم بدرٍ لمّا أنزَلَ الله تعالى النَّصْرَ على رسوله عليه السلام: [الكامل]

١ ـ اللهُ يَعْلَمُ ما تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ   حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ

---

(١) عند التبريزي: «إذا ما اصطبحتُ».   (٢) ديوانه ص ٢٠٦.
(٣) لعمرو بن كلثوم في ديوانه ص ٦٤، ولسان العرب (طلح، وحصص، سخن، سخا)، والأغاني ١١: ٤٥، وجمهرة أشعار العرب ١: ٣٨٩.
(٤) الصرود: البلاد الباردة.
(٥) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي: صحابي، شهد بدرًا مع المشركين فعيّره حسان وأسلم يوم فتح مكة (ت ١٨ هـ/ ٦٣٩ م) ترجمته في (الإصابة ١: ٢٩٣، والاستيعاب ١: ٣٠٧، وابن عساكر ٤: ٥).

أخذ يستشهد بربّه، ويتنصل من هربه، بأنّه لم يأته إلّا بعد غلبة اليأس من نفسه عليه إن ثَبتَ، وإلّا بعدَ أن ضُرِّج بالدّم الشامِل له ولفَرِسه. ومثلُه قولُ مهلهل: [الخفيف]

لَمْ أَرِمْ حَوْمَةَ الكتيبة حتّى حُذِيَ الوَرْدُ من دُمِيٍّ نِعَالا

وهذا قاصِرٌ عن درجة ما تقدّم، لأنّه يعتذر مما آثَرَه من الهرب في وقته، وذاك أوردَه موردَ المتبجّح، وأنّه خُلُقُه ومذهبُه، لعِلْمِه بمصادر الحروب ومواردها. وقوله: «الله يعلم» لفظُه لفظ الخَبَر، والقصد إلى الحَلِف؛ لأنّه يستشهد بربّه فيقول: علم الله ما تركتُ مقاتَلَتَهم، حتّى جرحوني فسال مِنّي على فرسي دمٌ أشقر كثيرٌ، علاه زَبَد.

٢ ـ وعَلِمتُ أنّي إنْ أُقاتِلْ واحِدًا أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي[(١)]

أراد: وحتى عَلِمْتُ، وإنما أَطلقَ لَفْظَةَ عَلِمْتُ لارتفاع الشُّبَه عن اعتقادِه ذلك. وانتصب واحدًا على الحال، والمعنى منفردًا وواحِدٌ هٰهنا صفةٌ، والمعنى: وحتى تيقَّنْتُ أني إنْ ثَبَتُّ في وجوههم، وأنتصِب منفردًا لمقاتَلتهم قُتِلْت، ولا يَضُرّ حضوري أعدائي. ونبّه بقوله: «ولا يَضْرُرْ عدوِّي مَشهدي» أنه لو كان في ثباته ضَرَرُ عدوٍّ لثبتَ في وجهه، ولم يُبالِ بقَتْله. وقولُه «عَدُوِّي» يفيد الكثرة وإن كان لفظُهُ موحَّدًا.

٣ ـ فَصَدَدْتُ عنهمْ والأَحِبَّةُ فيهِمُ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقابِ يَوْمٍ سَرْمَدِ[(٢)]

يقال: صَدَّ فُلَانٌ عنّي، إذا صَرَفَ وجهَه صدودًا، وصددته أنا عن كذا صَدًّا. وحُكِيَ أصدَدْتُه، وليس بشيء. يقول: أعرَضْتُ عنهم ودماؤهم وأُسَراؤهم فيهم، ولم أَنَلْها ولم أظفَرْ بها، وهذا يدُلُّ على أنه كان موتورًا. وإنما حارَبَهم لطَلَبِ دماءٍ كانت له فيهم. وقوله «الأحبّة» على هذا التفسير يجب أن تكون أحِبَّتَهُم. ويجوز أن يريد بالأحبّةِ أحبّةَ نفسه، ويكون المراد: ودماء أحبّتي وأُسَرَاي فيهم. وقوله «طَمَعًا» انتصب على أنه مفعول له، وهو الذي يسمّى مصدرًا لِعلّة. والمعنى: فعلت ذلك لطمعي في

(١) روى التبريزي قبل هذا البيت بيتًا آخر:

«وشَمِمْتُ ريحَ الموتِ من تلقائِهم في مأزِقٍ والخيلُ لم تتبدَّدِ»

وقال: «التّلقاء: مأخوذ من لقيت، فيجوز أن يستعمل في معنى اللقاء».

(٢) عند التبريزي: «يومِ مُرْصِدِ».

أن يُعْقِبَ الله تعالى لي يومًا يُرْصِدُ الشرّ لهم، ويمكّنني منهم، فأنتهزُ الفرصة وأروِي الغُلّة. ويقال: رَصَدْتُ فلانًا بالمكافأة، ورَصَدْتُ له أيضًا وأرصدته، وأنا مُرْصِدٌ لفُلانٍ بما كان منه حتى أكافئه. ويجوز أن يكون انتصاب «طَمَعًا» على أنه مصدَرٌ في موضِع الحال، والتقدير: صددت عنهم طامِعًا. والعقاب يجوز أن يراد به العاقبة، ويجوز أن يراد به المكافأة. ويقال: أولاهُ خيرًا فعَقبَه بشرٍّ، عُقْبَةً وعِقابًا وعُقْبَى. وإذا كان للفَرس بعد انقطاع جريه جَمَامٌ قيل له عِقابٌ، وهو من ذَاك. ومن روى «يوْمِ سَرْمَدِ» فالسَّرمد قال الخليل: هو دوام الزّمان واتصالُه من ليْل أو نهار، واستدلّ بقَوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القَصَص: الآية ٧١]، فيكون المعنى: بعقابِ يومٍ طويلٍ يَتّصل زمانُه، ويَمتدّ بلاؤه. وأيّام الغمّ والمحنة توصَف بالطُّول، ولهذا قيل: مَضَى لفلانٍ يومٌ كأيّامٍ، وشهرٌ كدهر.

٣٨ ـ قال الفَرّارُ السُّلمِي[(١)]: [الكامل]

١ ـ وكـتـيـبـةٍ لَبَّـسْـتُـهـا بـكـتـيـبـةٍ حتى إذا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لها يَدِي

هذا يتبجّح بأنه مِهيَاجُ شرٍّ وأذًى، وجَمّاعٌ بين كتائبَ شَتَّى تتقاتل من دونه، ثم يَخرج هو من بينهم غير مُبالٍ بما يُجْرُونَ إليه، ولا مفكّرٍ فيما يَنتج من الشرّ فيهم. فيقول: رُبَّ كتيبةٍ خلَطْتُها بكتيبةٍ، فلما اختَلَطَتْ نَفَضْتُ يدي منهم ولهم، وخلَّيتُهم وشأنَهم. وكتيبة، أُلحقَ الهاء بها لأنه جُعِل اسمًا، وهو من كَتَبْتُ أي جَمَعْتُ. وتوسَّعُوا في النَّفْضِ ـ وأصلُه الإلقاء والإماطة ـ فقيل: نفَضْتُ اليَدَ من فُلانٍ ولفُلانٍ أشدَّ النَّفض، إذا وَكَلْتَه إلى نفسه، يائسًا من رَجْعَتَه، وفي ضِدِّه يقال: قَبَضْتُ عليه كَفِّي، وجَمَعْتُ عليه يَدِي. وقد قالوا: نَفَضْتُ الطريقَ أيضًا، وفرّقتُ النَّفَضَةَ في الطُّرُق. وذكر بعضُهم أنَّ قولَه: «حتى إذا التَبَسَتْ نفَضْتُ لها يَدِي» و«بها يدي»، المراد به قَنَّعْتُ فَرسي بسَوْطِي، كأنه لما ضربَ فرسَه إنما نفَضَ يَدَه. يَصِفُ سُرعةَ ضَربِه بالسَّوْط، وأنه لا كُلْفَةَ عليه به. قال: وهذه السرعة مستَحَبَّةٌ في ضرب السَّوط، كما يستحبُّ في العمل بالسِّلاح. ومن رَوَى «بها» يجوز أن يُرِيدَ المِخْصَرة. انتهَتِ الحكاية عنه. والتعجُّبُ من إدراكه لهذا المعنى يَمنَعُ من الكلام عليه. فسبحان من لا يحتاج إلى التفسير.

---

(١) الفرّار السُّلمي: واسمه حيّان بن الحكم، ويقال (حبان)، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان ممن شهد حنينًا ترجمته في الإصابة (١٥٥١).

٢ ـ فَتَركتُهُم تَقِصُ الرِّماحُ ظُهورَهُم مِن بَينِ مُنعَفِرٍ وآخَرَ مُسنَدِ

قوله «تَقِصُ» أي تَكسِرُ في موضِع الحال لهم. وكنت قوله «من بين مُنْعَفِرٍ وآخر مُسْنَدِ» والعاملُ في الأول تركْتُهُم، وفي الثاني تَقِصُ. يقول: فارقتُهُم والرِّماح تختلفُ بالطعنِ بينهم، وتكسر ظهورهم، فهُمْ من بَيْنِ مصروعٍ أُلقِيَ في العَفَرِ، وهو التُّراب، وآخرَ مطعُونٍ أو مجروحٍ، وقد أُسْنِدَ إلى ما يُمسِكُه وبه رَمَق.

٣ ـ ما كانَ يَنفَعُني مَقالُ نِسائِهِم قُتِلتُ خَلفَ رِجالِهِم لا تَبعَدِ(١)

قول «ما كان» يجوز أن يكون ما استفهامًا وكان تجعَلُهُ الناقِصَةَ، ويجوز أن يكون نَفْيًا وتَجعَل كانَ مؤكِّدَةً، ونبَّهَ بهذا الكلام على أنّه لو ثَبَتَ لم ينفَعْهُ الثَّبات. فيقول: أيُّ شيءٍ كان ينفعني قولُ النَّوَادِبِ لي لا تَبْعَد وقد قُتِلْتُ. ومعنى لا تَبْعَد: لا تَهلِك. يقال بَعِدَ، إذا هَلكَ، وبَعُدَ، إذا نأى. وكانوا يَدُلُّون بهذه اللَّفظة عند النُّدْبَةِ بها على مَسَاس الحاجة إلى حياة المندوب، وقِلَّة الاستغناء عنه. وإذا كان كذلك فالوجه أن يُنْدَبَ به من كان مَحْمُودَ الحياة، وعزيز الفِقْدان. وقولُهُ «خَلْفَ رِجالِهِم» نَبَّهَ على أنّه لو ثَبَتَ لكان يَدفعُ وجهَ الكتيبة، ويصير واقِيًا لأصحابه، وحائِلًا بين الأعداء وبينهم، فلا يمكنهم تجاوُزه إلّا وقد فَرَغوا منه. فلهذا قال «وقُتِلْتُ خَلْفَ رجالهم». وموضع «لا تَبْعَد» وهو حكايةٌ، رَفْعٌ أو نَصْبٌ على أنّه بَدَلٌ أو مَفْعُولٌ من مَقَالِ نسائِهِمْ. وقوله وقُتِلْتُ، في مَوْضِع الحال للمضمَرِ في يَنفعُنِي، والعامِلُ فيه مَقَالُ أيْضًا، وخَلْفَ رجالِهِم حالٌ للمُضْمَرِ في قُتِلت.

٣٩ ـ وقال بَعْضُ بني أَسَدٍ(٢): [الوافر]

١ ـ يَدَيتُ على ابنِ حَسْحَاسِ بن وهبٍ بأسفَلِ ذِي الجَذاةِ يَدَ الكَريمِ(٣)

إنما عُدِّيَ يَدَيْتُ بِعَلَى، لأنّه أُجْرِيَ مجرى أنعَمْت. وهم يَحمِلون النَّظير على النَّظير، كما يحملون النقيض على النقيض. وقال الأخفش: يقال يَدَيْتُ عِنْدَه وأَيْدَيْتُ جميعًا، إذا اتّخذْتَ عندَهُ صنيعةً، وإن كانَتْ أيْدَيْتُ في هذا المعنى أشهرَ من يَدَيْتُ،

(١) عند التبريزي: «دون رجالها».
(٢) قال التبريزي في نهاية الأبيات: «وكان سبب ذلك أن معقل بن عامر الأسدي أخا حضرميّ بن عامر، وهو فارس الدهماء، مرّ يوم جبلة على ابن الحسحاس بن وهب الأعيوي وهو صريع فاحتمله إلى رحله وداواه حتى برىء ثم كساه وأدّاه إلى أهله فقال هذه الأبيات».
(٣) عند التبريزي: «الجذاة» بالذال المعجمة.

لأنّ يَدَيْتُ اشتهر في أَصَبْتُ يَدَهُ، كما تقول: رأسْتُه ووَجهْتُه وصدَرْتُهُ، إذا أصَبْتَ هذه الأعضاءَ منه. ومعنى هذا البيت: اتَّخذْتُ عند هذا الرجل بهذا المكان يَدًا غَرَّاءَ، وصنيعةً شريفَةً، مِثْلُها يَفعَلُه الكِرَامُ. وقولُه: «يَدَ الكريم» نَبَّهَ على هذا المعنى الذي ذكرناه، ويجب أن يكون مصدر يَدَيْتُ يَدْيًا، مِثل جَرَيْتُ جَرْيًا، لكنه وضَعَ اليَد مكانه. فإن قيل: ما تُنكِر أن يكون اسمَ الحَدَثِ، وقد حُذِف لامُهُ كما حُذِف من اسم العين؟ قلت: اسمُ الحَدَث لم يَكْثُر كَثرةَ اسم العين، وإذا كان حُذِف اللام من اسم العين حُذِفَ لكثرة الاستعمال، فيجب أن يكون اسمُ الحَدَثِ الذي لم يكثر استعمالُه لا يَجري مجراه. وقولُه: «ابن حَسْحاسٍ» من الْحَسْحَسةِ، وهو إحراق الجِلْد بالنار.

٢ ـ قَصَرْتُ لـه مِنَ الحَمَّاءِ لَمَّا شَهِدتُ وَغابَ عن دارِ الحَمِيم

القَصْرُ: الْحَبْسُ والردُّ، ومنه القَصْرُ والقُصَارَى: الغايةُ. والْحَمَّاءُ: تأنيث الأحمّ، وهو الأسود من كل شيءٍ. والحُمَم: الفَحْمُ. وجارية حُمَمَةٌ، أي سوداء. وهذا تفسير النِّعمة التي اتّخذها عنده. فيقول: لمّا وجدته جريحًا، وفي المعركة طريحًا، قد غابَ عنه ذَوُوه والمشفِقُون عليه، حَبَسْتُ عليه فَرَسي فأرْدَفْتُه. وجوابُ لمّا مقدّم، وهو قَصَرْتُ. كأنه قال: لمّا رأيته كذا حَبَسْتُ عليه فَرَسي. وحذف مفعول شهدتُ لأنه أمِنَ الالتباس. وقوله: «وغابَ عن دارِ الحميم» كان وجْهُه أن يقول: لمّا شهدْتُه وغاب حَمِيمُه، لكنّ المعنى لا يُخِيلُ. والْحَمِيمُ: القريب المُشفِق. والحامَّةُ: خاصَّةُ الرَّجُل من أهلِه وولدِه، ويقالُ هو الأَحَمُّ من ذوي قرابته، أي الأخصُّ.

٣ ـ أُنَبِّئُه بأنَّ الجُرحَ يُشْوِي وَأنَّك فَوقَ عِجْلِزَةٍ جَمُوم

هذا مما تَمَّمَ به الصَّنعة عنده، بعد أن ارتَدَفَهُ، وذلك أنه سلّاهُ بقوله «الجُرْح يُشْوِي»، ومَنّاه بقوله «وأنّك فوق عِجْلزَةٍ جَمُومِ». ويقال: رَمَاهُ فأشْوَاه، إذا أصاب غيرَ المَقتَل. والجَمُوم: الذي لا ينقطع جَرْيُه. والعِجْلِزة: الصُّلْبَةُ. وبِئْرٌ جَمُومٌ من هذا، لأنّ ماءها يَغُورُ أحيانًا ثم يَعُودُ ويَغْزُر. والمُرَادُ: أنَّ تبليغَكَ المأمَنَ به سَهلٌ، وأنّ ما بك من الجُرْحِ هَيِّن.

٤ ـ وَلَو أَنّي أشَاءُ لَكُنتُ مِنهُ مَكانَ الفَرْقَدَينِ من النُّجُوم

يُبَيِّن بهذا أنه تَبَرّع بما فَعَل، وأنه لم يَلزمْهُ لزومَ الواجب الذي لا يَسُوغُ الإخلالُ به، فيقول: لو شئت لبعُدتُ منه بُعْد الفَرقدين من النُّجومِ السَّيَّارَة، وهي التي يحُلُّ

فيها النَّيِّران، والفَرْقَدَان لا حُلُولَ فيه، وهذا يجري مجرى قَوْلِهم: «هو مِنّي مَناطَ الثُّرَيَّا» في أن المراد به التَّبعيد، ويجوز أن يريد بَعُدتُ منه بُعد الفرقدين، ثم بيَّن أنَّ الفَرْقَدَيْنِ من النجوم، فيكون من النجوم تَبيِينًا، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: الآية ٣٠]. ويجوز أن يريد بالنُّجوم نباتَ الأرض، لأنَّ كلَّ ما طَلَع فقد نَجمَ، ويكون المعنى: بُعْدَ الفَرقدين من الأَرْضِ ومنابِتِها، ويكون في هذا المعنى شبه إلْغَازِ فيضعُف.

٥ ـ ذَكَـرْتُ تِـعِـلَّةَ الـفِـتْـيَـانِ يَـوْمًـا ... وإلْحـاقَ الـمَـلامـة بـالـمُـلِـيـمِ

بَيَّنَ بهذا الكلام أنه اتَّقى بما فَعَل تَوَجُّهَ الذَّمِّ إليه من الناس، فيقول: أخطَرْتُ ببالي ما يَتعلَّل به الفتيانُ في محافِلِهم ومجالِسِهم، وتقبيحهم من أخبارِ الناس ما يُستحقُّ بفعله أو بتَرْكِه عندهم ذَمٌّ، فيُلحِقُون بِهِ اللَّوْمَ، ويهجِّنُونَهُ في أحكام الفُتُوَّةِ. ومَصدرُ قوله «ذَكَرْتُ» الذُّكْر بضم الذال لأن هذا كان بالقَلْب، والذِّكْرُ بكسر الذال باللسان. والمُليمُ: الذي يَأتي بما يُلَامُ عليه. قوله «تَعِلَّة» مصدر علَّلْتُهُ، فهي كالتَّقدمة والتكرمة. ويجوز أن يكون تسميتهم المُعَلِّلَ، وهو يَوْمٌ من أيام العَجُوز، من هذا، كأنَّه يعلِّل النّاس بشيء من تخفيف البرد.

٤٠ ـ وقال الشّدّاخُ بنُ يَعمَرَ الكِنَانِيُّ[(١)]: [المنسرح]

١ ـ قـاتِـلِي الـقَـوْمَ يـا خُـزَاعُ وَلَا يَـدْ ... خُـلْـكُـمْ مِـنْ قِـتَـالِهِـمْ فَـشَـلُ

يُروَى «قاتِلُوا» و«قاتلي» على اللفظ مَرّة وعلى المعنى أخرى، وجَعَلَ النَّهْيَ في اللَّفْظ للفَشَل، والمُرادُ لا تفشلوا. وهذا بَعْثٌ وتحضيض، فيقول: حاربي أعداءك يا خُزَاعة، ولا يتداخَلْكم الجُبْنُ والضَّعف منهم. وخُزاعة، قال الخليل: هو من خَزَعَ عن أصحابه إذا تخلف، لأنّهم تَخَلَّفُوا عن قَوْمِهِمْ بمَكة أيّامَ سَيْلِ العَرِمِ.

٢ ـ الـقَـوْمُ أَمْـثَـالُكُـمْ لَهُـمْ شَـعَـرٌ ... فـي الـرَّأسِ لا يُـنْـشَـرُونَ إن قُـتِـلُوا

(١) الشدّاخ بن يعمر الكناني: من كنانة بن خزيمة، قال التبريزي: «وسمّي شَداخًا لأنه شدخ الدماء بين قريش وخزاعة، وخبر هذه الأبيات: أنه كان بين كنانة وخزاعة حلف على التناصر والتعاضد على سائر الناس، فاقتتلت خزاعة وبنو أسد، فاعتلتها بنو أسد، فاستعانت خزاعة ببني كنانة فذكر الشدّاخ قرابة بني أسد، فخذّل كنانة عن نصرة خزاعة فقال: قاتلي القوم، وبهذا السبب انحدرت بنو أسد من تهامة إلى نجد غضبًا على بني كنانة إذ لم تنصرهم».

يبيّن بهذا الكلام أنّهم ناسٌ كما أنّ خُزَاعَةَ ناسٌ، فيقول: لا تَهابُوهُمْ فإنّ خِلْقَتُهم كخِلْقَتِكُم، وإنّهم إذا قُتِلوا لم يَحْيَوْا مِنْ فَوْرِهم، فيرجِعُوا إلى القتال. هذا مبالَغةٌ في الاستحثاث والتَّجسير. وجَعَل قولَهُ: «لَهُمْ شَعْرٌ في الرَّأْسِ» بما بَعدَهُ، تفسيرًا للماثلة وتَبْيِينًا. وجوابُ إن قُتِلُوا فيما تَقَدَّم عليه.

٣ ـ أَكُلَّمَا حَارَبَتْ خُزَاعَةُ تَحْـ ... ـدُونِي كَأنّي لأمِّهِم جَمَلُ

قولُه «كأني لأمّهم» في موضِع الحال، أي تحدوني مُشْبِهًا جملًا لأمِّهِمْ. وكلَّمَا ظَرفٌ لقوله تجدوني. وكأنّه قال: تَحْدوني خُزاعة كلَّما حَارَبَتْ، أي تسوقُنِي لِنَصْرِها والدِّفاعِ عنها، كأَني ناضِحٌ لأمِّهم يُسْتَقَى عليه الماء، فيُقال له أَقْبِلْ بالدَّلْوِ وأَدْبِرْ، وذَكَر الأمَّ تغليظًا للقولِ وتخشينًا. وقولُهُ «أكلّما»، كأنّه أَقْبَلَ على إنسانٍ بَعْد أن كانَ بَعَثَهُمْ وجَرَّأهم على قتالِ أعدائهم، فقال على طريق الإنكار ما قال.

٤١ ـ وقال الْحُصَيْنُ بن الحُمامِ المريُّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

يجوز أن يكون هذا مثل قَوْلِهِم: «الشُّجَاعُ مُوَقًّى». وفي طريقته قولُ الآخر: [المتقارب]

أَكَانَ الجَبَانُ يَرَى أَنَّهُ ... سَيُقْتَلُ قَبْلَ انقضاءِ الأَجَلْ
فَقَدْ تُدْرِكُ الحادِثُ الجَبَانَ ... وَيَسْلَمُ منها الشُّجَاعُ البَطَلْ

ومثلُه قولُ الآخرِ: [المتقارب]

نُهِينُ النُّفُوسَ وهُونُ النُّفو ... سِ يَوْمَ الكريهَةِ أَوْفَى لَهَا[(٢)]

ويجوز أن يقول: أَحْجَمْتُ مُسْتَبْقِيًا لِعَيْشي، فلم أجِدْ لنفسي عَيْشًا كما يكونُ في الإقدام، وذاك لأنَّ الأُحدوثَةَ الجميلة، والنُّجح عند الناس في المَبَاغِي الحميدة، إنما يكون بالتقدُّمِ لا بالتأخُّرِ، وبالافتخار لا بالانحراف، ومن ذكِرَ بالجميل وتُحَدِّث عنه

---

(١) الحصين بن الحمام المريّ: شاعر، فارس جاهلي، كان سيد بني سهم بن مرة وكان يلقب «مانع الصنيم»، في شعره حكمة. أدرك الإسلام (ت ١٠ ق. هـ/ ٦١٢ م). ترجمته في (سمط اللآلي ص ٢٢٦، وخزانة البغدادي ٢: ٩).

(٢) للخنساء في الحيوان ٦: ٤٢٧.

بالبلاءِ الحسَنِ حَيِيَ ذِكْرُه واسمُه، وإنْ ذَهَبَ أثَرُهُ وجِسْمُه. وقولُهُ: «حَياةً مِثْل أن أتقدّم» معناه حياةً تُشْبِهُ الحياة المكتسبة في التقدّم وبالتقدُّم.

٢ ـ فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا ولكن على أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّما

أراد: لَسنا بدامِيَةِ الكُلُومِ على الأعْقَابِ. ولو لم يجعل الإخبار عن أنفُسِهِم لكان الكلام لَيْسَتْ كلُومُنا بداميَةٍ على الأعْقَابِ. فيقول: نتوجّه نحو الأعْدَاءِ في الحَرْب ولا نُعْرِضُ عنهم، فإذا جُرِحنا كانَتِ الجراحاتُ في مُقدَّمِنا لا مُؤَخِّرنا، وسالت الدِّماءُ على أقدامنا لا على أعقابِنَا. وقولُه «تَقطُرُ الدِّما» إذا رُوِيَتْ بالتاء كان المعنى تَقطُرُ الكُلُومُ الدَّمَ، فيكون الدِّما مفعولًا به. ويقال: قطرَ الدَّمُ وقَطرْتُهُ، وهذا وَجهٌ حَسَن، وإن شئتَ جَعَلتَ الدَّمَ منصوبًا على التمييز، كأنّه أراد تَقْطُرُ دَمًا، وأدْخَل الألِفَ واللّامَ ولم يعتدّ بِهمَا، كقول الآخر: [الوافر]

ولا بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا[١]

ويجوز أن يُرْوَى «يَقْطُرُ الدِّمَا» بالياء، ويكون الدِّمَا في موضع الرّفع على أنّهُ فاعِل يَقْطُر، لكنّهُ رَدَّه إلى أصله فأتى به مقصورًا وإن كان الاستعمال يحذف لامِهِ. ومثل هذا البيت قولُ القُطَامِيِّ: [البسيط]

لَيسَتْ تُجرَّحُ فُرّارًا ظُهورُهم وفي النحورِ كُلُومٌ ذات أَبْلَادِ[٢]

٣ ـ نُفَلِّقُ هامًا من أُناسٍ أَعِزَّةٍ علينا وهُمْ كانوا أَعَقَّ وأَظْلَمَا[٣]

يقول: نُشَقِّقُ هاماتٍ من رجال يَكْرُمونَ علينا لأنهم منّا، وهم كانوا أسبَقَ إلى العُقوقِ وأوْفَرَ ظُلْمًا، لأنهم بدؤُونا بالشّرّ، وألجؤونا إلى القتال، ونحن منتقِمون ومُجَازُون.

٤٢ ـ وقال رجلٌ من بني عُقَيلٍ: [الوافر]

وحارَبَهُ بنو عمّهِ فقتل مِنهم:

١ ـ بِكُرْهِ سَرَاتِنَا يا آلَ عَمْرٍو نُغَادِيكُم بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ

---

(١) لحارث بن ظالم المري في الأغاني ١١: ١١٩، والإنصاف ١٣٣، وشرح أبيات سيبويه ١: ٢٥٨، والكتاب ١: ٢٠١. وصدره:

«فما قومي بثعلبة بن سعد»

(٢) للقطامي في ديوانه ص ٨٩، ولسان العرب وتاج العروس (بلد).

(٣) عند التبريزي: «من رجالٍ أعزّةٍ».

الكُرْهُ بالضم: المشقة، والكَرْه بالفتح الإكراه. وسَرَاةُ القومِ: خِيَارُهم. فيقول: بمشقّةِ رؤسائنا وكراهتِهم نباكِركم بسيوفٍ مُحَدَّدة الحدّ مصقولةٍ، وإنما قال «بكُرْهِ سَرَاتِنا» لأنّ الرؤساء يحبون التألُّفَ بين العشيرة وإصلاحَ ذات البين، وتركَ التدابر والاختلاف، إذْ كان عِزُّ الرئيسِ بأصحابِه، وحِشمتُهُ في نفوس مُنابذِيه بقوّةِ ذَويه وأقاربه. ويجوز أن يكون ذَكَرَ السَّراةَ والمراد الجميعُ. والمعنى: على كُرْهٍ منّا نقاتِلُكُمْ ولكنكم ألجأتمونا إليه. وجَمَع صقيلًا وهو فعيل بمعنى مفعول على صقالٍ وذلك على غير بابه، لأن التكسير على فِعَالٍ يكون في الأصل فَعِيلٍ إذا كان بمعنى فاعِلٍ، نحو ظَريفٍ وظِرَافٍ وكَريم وكِرَامٍ، ومثلُه قولُهم فَصِيلٌ وفِصَالٌ، وساغ ذلك لاتّفاقهما في الزِّنة والوصفِيّة. ورُوي: «بمُرْهَفَةِ الصِّقَال»، وتكون إضافةُ المُرْهَفَةِ إلى الصِّقال كإضافَةِ البعض إلى الكلّ، لأن المعنى بالمُرهفة الحَدُّ من الصِّقال، أي من السيوف المصقولة.

٢ ـ نُعَدِّيهِنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ عَنْكُمْ وإنْ كانت مُثَلَّمَةَ النِّصَالِ

قوله «نعدّيهن» أي نصرفهُنّ. ويقال: عَدِّ الهمَّ عنك، أي اصرفه. والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى نَصرِفُ السيوفَ عنكم إبقاءً عليكم، وكراهيةً لاستئصالكم، وإن كانت نِصَالُها قد تَفَلَّلَتْ من كثرة ما نُقارِع بها الأعداءَ. ويجوز أن يكون المعنى: نصرفُها وإن تثلمَت بكُمْ وفيكم، لأن القدرةَ تُذْهِبُ الحفيظة، ولأن ما يَجْمَعُنا يدعو إلى البُقْيا، والأخذ فيكم بالحُسْنَى.

٣ ـ لَهَا لَوْنٌ مِنَ الهاماتِ كَابٍ وإنْ كَانَتْ تُحَادَثُ بالصِّقَالِ

قوله «من الهامات» أي من دماء الهامَاتِ ومن التأثير فيها. يقول: لهذه السيوف لَوْنٌ متغيِّرٌ قبيحٌ، لكَثرةِ ما يُسْفَكُ بها الدِّماءُ، وإن كانت يجدَّدُ صَقْلُها كلَّ يومٍ. والمحادَثةُ: إعادةُ الماءِ إلى السيفِ بالصَّقْل. وقد قال الحسن رحمه الله فيما حُكِيَ عنه من مواعِظِه: «حادِثوا هذه القلوبَ فإنها سريعةُ الدُّثور، واقدعوا هذه الأنفسَ فإنها طُلَعَةٌ». وقولُه «كابٍ» من قولِهم كَبَا وَجْهُه، إذا اربَدَّ واسودّ. وكَبَا نُورُ الصُّبْح والشمس، إذا نَقَص وأظلَم. وجوابُ إن كانَتْ فيما تقدَّم غليه، والجملة في موضِع الصِّفةِ للمُرْهَفة.

٤ ـ وَنَبْكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأنّا لا نُبَالي

وَصَفَ حُسْنَ صَبْرِهم، على ما يتَّفِقُ من نائبةٍ، ويتجدَّدُ من عارِض حادثةٍ، فيقول: نبكي قتلاكم إذا قتلناكم لما يجمَعُنا وإيَّاكم من الرَّحِم الماسَّة، والقرابة الدانية، ونقتلكم إذا أحوجتمونا إلى قتلكم، كأنّا لا نبالي بما يمنع من ذلك، أو يدعو إلى الجَزَع له. وقولُه «نُبالي» نُفاعِلُ من البَلَاءِ. فإذا قال لا أُباليه كأنه أراد: لا أحتفِلُ به فأُعادَهُ بلائي وبلاءَه وأُفاخِره. هذا أصْلُه، وقد مَضَى. وحكى سيبويه: ما أُباليه بالةً، وذكر أن البالَةَ كالحانةِ، وأنا حُذِفَ ياؤه حَذْفَ تخفيف لا حَذْفَ قِياسٍ.

٤٣ ـ وقال القَتَّالُ الكلابي(١): [الطويل]

١ ـ نَشَدْتُ زِيَادًا والمَقامَةُ بَينَنا وذَكَّرتُهُ أرحامَ سِعْرٍ وَهَيثَمِ

يقال: نَشَدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ، وناشَدْتُكَ اللهَ، أي سألتك بالله وبالرَّحِم. يقول: أقسَمْتُ على زيادٍ بالله وأهلُ المجلس بيننا حاضِرُون، ولِمَا يأتيه كُلٌّ منّا مُشاهِدُون، وذكَّرته ما يجمعني وإيَّاهُ من الرّحِمِ من جهة هذين الرجلين، وإنَّما ذَكَّرَهُ بهذا على زُغْمِه طَلَبًا للصُّلح، أو استظهارًا بإقامَةِ الحجج عليه، وإلقاء مغاليق البَغْي إليْه.

٢ ـ فَلَمّا رَأَيتُ أنَّهُ غَيرَ مُنتَهٍ أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَدْنٍ مُقَوَّمِ

يقول: لمّا وجدْتُه لا ينتهي بالقَوْلِ، ولا يَرْعَوِي بالزَّجر، حدرْتُ له كفّي برُمحٍ ليّنٍ مثقَّفٍ فَطَعَنْتُهُ. وقوله «أمَلْتُ لَهُ»، أي من أجْلِهِ «كَفّي بِلَدْنٍ»، من فصيح الكلام، وبليغ الكنايات.

٣ ـ وَلَمّا رأيتُ أنّني قد قَتَلْتُهُ نَدِمتُ عليهِ أيَّ سَاعَةِ مَندَمِ

يقول: لمّا بَانَ لي إتيانُ تلك الطَّعنة عليه نَدِمْتُ في وقْتٍ لم تنفع الندامة فيه، لفوت الأمْرِ في الإبقاء. وهذا في إظهار التحسُّر به كقول الآخر: [الوافر]

ودِدْتُ وأينَ ما مِنّي وِدَادِي(٢)

وانتصب أيَّ ساعَةٍ على الظرف، لأن أيًا لما كان للبعض من الكلّ جُعِلَ حُكْمُهُ حُكْمَ المُضافِ إليه من جميع الأجناس.

---

(١) القتّال الكلابي: عبيد أبو بكر بن كلاب، جدّ جاهلي من بني عامر بن صعصعة من العدنانية (ترجمته في نهاية الأرب ٢٨٣، والشعر والشعراء ٦٨٦).

(٢) البيت لعمرو بن معديكرب في اللآلىء ص ٦٣، وصدره:

«تمناني ليلقاني قيسٌ»

٤٤ ـ قَيس بن زُهَيرٍ العَبسيُّ(١): [الوافر]

١ ـ شَفَيتُ النَّفسَ من حَمَلِ بنِ بَدْرٍ وسَيفِي من حُذَيفَةَ قد شَفَانِي

كان حَمَلُ بن بَدْرٍ قتل مالك بن زُهير أخا قيس، فظفِر به وبأخيه حذيفة فقتلهما. يقول: اشتفيْتُ بقتل حَملِ بن بَدْرٍ. ثم قال: وشفاني سيفي أيضًا من أخيه حذيفة، لأنَّه أتى عليه لَمَّا أعملتُه فيه. وهذا مما جَرَى بين عَبْسٍ وفَزَارَة بسبب دَاحِس والغبراءِ.

٢ ـ فإنْ أَكُ قد بَرَدْت بِهِمْ غَليلي فَلَمْ أقْطَعْ بِهِمْ إلّا بَنَانِي

يقول: إن سَكَّنْت لَوْعَتِي بمجَازاتهم، وبَرّدتُ غُلَّتِي، فإنِّي لم أقطع بهم إلّا أطراف أصابِعي. وذلك أن عِزّي كان بهم، وكانوا كالكفّ، فلما ماتُوا وأعوَزَني التبجُّح بمكانهم، والاستعلاء على العدوّ بهم. صِرْتُ كمن قُطِعَتْ أنامِلُهُ. ومن الأمثال في هذه الطريقة: «بالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الكَفّ».

٤٥ ـ وقال الحَارِثُ بن وَعْلَةَ الذُّهْليُّ: [الكامل]

الوَعْلَةُ: الصخرة المشرفة من أعلى الجبل.

١ ـ قَومِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيمَ أَخِي فإذا رَمَيتُ يُصِيبُنِي سَهمِي

يقول: قَومي، يا أميمةُ، هم الذين فَجَعُوني بأخي ووتَروني فيه، فإذا رُمْتُ الانتصار منهم عاد ذلك بالنِّكاية في نفسي، لأنَّ عزّ الرجل بعشيرته، وهذا الكلامُ تَحزُّنٌ وَتَفَجُّعٌ وليس بإخبار.

٢ ـ فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلًا ولَئِن سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

عَفَا عن المُذْنِبِ والذَّنبِ عَفْوًا، إذا صَفَحَ. وحَذَفَ حرف الجرّ فوصَلَ لأَعْفُوَنْ بنفسِهِ، والكلامُ تَحسُّرٌ وتَوَجُّع. يقول: إنْ تركْتُ مؤاخذَتَهم، واطَّرَحْتُ طَلَبَ الانتقام منهم، صَفَحْتُ عن أمْرٍ عظيم، وإن سَطَوْتُ عليهم أضعَفتُ عَظْمِي، وهدَدت رُكْني. والجَلَلُ يزعم أهل اللُّغَةِ أنَّهُ من الأضداد، يَقَعُ على الصَّغير والكبير، وهٰهنا يُرادُ به

---

(١) قيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ: أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق، لقِّبَ بـ«قيس الرأي» لجودة رأيه. (ت ١٠ هـ/ ٦٣١ م). ترجمته في الكامل لابن الأثير ١: ٢٠٤، وسمط اللآلي ٥٨٢.

الكبير. وكذلك في قوله: [الرمل]

ومِـــــنَ الأرزاءِ رُزْءٌ ذُو جَـــــلَلْ(١)

والسَّطْو: الأخذ بِعُنْف. وفي كلِّ واحدٍ من المِصراعين يمينٌ مُضْمَرَةٌ، جوابها في الأوّل لأَعْفُوَنْ، وفي الثاني لأوهِنَنْ. واللام من لئن في الموضعين موطِّئة للقَسَم.

٣ ـ لَا تَـأْمَـنَـنْ قَـوْمًـا ظَـلَمْـتَـهُـمْ وَبَـدَأْتَـهُـمْ بـالـشَّـتْـمِ والـرَّغْـمِ

حَوَّلَ الكلام عن الإخبار تَوَجُّعًا على عادتهم إلى الخطاب، متوعِّدًا.

يقول: لا تَسْكُن إلى ناحية قوم اهتَضَمْتَهُم وبدأتَهُم بسَبِّهِمْ واطِّراحهم، وإسقاطِهم وتذليلِهم. وظَلمتَهم مع ما بَعدَه من صفة القوم. والرَّغْم مصدر رَغمتُ فلانًا إذا قلت له رَغمًا أو فَعلتَ به ما يَرغَم به أنفُه ويُذِلّه. والرَّغام: التُّراب، وحكى الخليل: أرغمتُه: حملتُه على ما لا يقدِر على الامتناع منه.

٤ ـ أَنْ يَـأْبِـرُوا نَـخْـلًا لِغَـيْـرِهِـمُ والـقـولُ تَـحْـقِـرُهُ وقـد يَـنْـمِـي(٢)

موضع قولِه «أن يأبِرُوا» نصبٌ على البدَل من قومًا في البيت الذي قبلَهُ، كأنّه قال: لا تأمنْ أَبْرَ قوم ظلمتَهم وأوحشتَهم نخلًا لغيرهم. ويقال: أَبَرْتُ النخلَ وأَبَّرْته، إذا أَلْقَحتَهُ. وجعل هذا الكلام وعيدًا في مفارقة القوم الذين وصَفَهم إيَّاهم، وتقويتِهم لأعدائهم بعد الانتقال إليهم، وإصلاحِهم الفاسد من فَخْرِهم وأمْرِهم نُصرَةً لهم، وجعل قَوْلَهُ «أن يأبِروا» كناية عن هذا المعنى، كما قال طَرَفَةُ: [الرمل]

وَلِيَ الأَصْـلُ الـذي فـي مِـثْـلِهِ يُـصْـلِحُ الآبِـرُ زَرْعَ الـمُـؤْتَـبِـرْ(٣)

وقد قيل: أراد: لا تأمَنْ قومًا أسأت في معاملتهم أن يتركوا أرضَهم وديارَهم ويَلحقوا بالأعداء فيَأبروا نَخيلهم ويتصرَّفوا في مَهنهم، ليكونوا معهم عليكم، والأوَّل أحسن وأغرب. وقوله «والقول تَحقِرُه وقد يَنْمي» يجوز أن يكون ضرَبه مثلًا في التَّهاوُن بما لا يجوز التهاوُنُ فيه، ويجوز أن يشيرَ بالقول إلى ما يقوله في شِعره هذا، ويريد أنّه سيزداد بانضمام الفعل إليه.

(١) للبيد في ديوانه ص ١٩٧، وكتاب العين ٧: ٣٨٣. وصدره:
«وأرى أربـد قـد فـارقـنـي»

(٢) عند التبريزي: «والشيء تحقره».

(٣) لطرفة في ديوانه ٥٤، ولسان العرب (أبر)، وتهذيب اللغة ١٥: ٢٦١، وكتاب العين ٨: ٢٩١، وديوان الأدب ٤: ٢٣٣.

٥ ـ وَزَعَمْتُمُ أنْ لا حُلُومَ لنا إنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ

زَعم زُعْمًا وزَعْمًا ومَزْعَمًا، وأكثر ما يستعملُ فيه ما كان باطلًا أو فيه ارتيابٌ. ولذلك يقال: تَزَعَّم، أي تكذّب؛ وزَعَم في غير مَزْعَم، أي طَمِع في غير مَطْمَعٍ. و«أنْ لا حُلوم» أنْ فيه مخفّفة من الثقيلة. أراد: زَعمتم أنه لا حُلوم لنا. والهاء ضميرٌ للأمر والحديث، و«لا حُلومَ» في موضع الخبر. أراد: وزعمتم أنّ الأمر والشأن لا عقول لنا، فإنْ كان الأمر على ما زعمتم فنبِّهونا أنتم، فإنّ عامِرَ بن الظَّرِب حَكَمَ العربِ كان يُقْرَعُ له العصا فينبِّه، لما كان يَزيغُ في الحُكْم لكَبْرَتِه وسِنّهِ. وهذا الكلام تهكُّم وسخريَّة. ومثله قولُك لمن أنكَرَ عليك ما لا يُشَكُّ في صلاحه وصحّته: إنْ كان ذلك فاسدًا فصحِّحه أنت، وهذا ظاهرٌ. وذو الحِلْم الذي قُرِعَ له العصا مختلَفٌ فيه، فتدَّعيه اليمنُ وتقول: هو عَمْرو بن حُمَمَة الدَّوْسيُّ، رَوى ذلك الشَّعبيُّ عن ابن عباس رضي الله عنه. وتدّعيه مُضَرُ، فتقول: هو عامرُ بن الظَّرِب العَدْوَانيُّ، وإياه عَنَى ذو الإصبَعِ في قوله: [الوافر]

ومِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي ولا يُنْقَضُ ما يَقْضِي

وتدّعيه ربيعة فتقول: هو قيس بن خالد الشَّيباني، وهو جِدُّ بِسْطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد.

٦ ـ وَوَطِئْتَنَا وَطْئًا عَلَى حَنَقٍ وَطْءَ المُقَيَّدِ نابِتَ الهَرْمِ

يقول: أثّرتَ فينا تأثير الحنِق الغضبان، كما يؤثّر البعير المقيَّد إذا وطىء هذه الشُّجَيرة. وخصَّ المقيَّدَ لأن وطْأته أثقل، كما خصَّ الحنِقَ لأن إبقاءَهُ أقَلُّ. والهَرْمُ: ضَرْبٌ من الحمض، يُقالُ جَملٌ هارِمٌ، وإبلٌ هَوَارِمِ إذا رَعَت الهَرْم. وانتصب وطْءَ المقيِّدِ على البَدَل، أي وطْئًا يُشْبه هذا الوطْءَ. ومما حُكيَ عن العرب: «أعوذُ بالله من طِئَة الذليل»، أي من أن يطأني، لأن وطأته أشدُّ، لسوء مَلِكتِه، كما قال الآخر[1]: [الطويل]

ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

وَعَلَى هذا قيل: ضَرَبتُه ضَربة الجبان، وضبطته ضبطةَ الأعمَى.

(١) لامرىء القيس في ديوانه ص ١٧٧. وتمامه:
«وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبكَ مثلُ مغلّب»

٧ ـ وَتَرَكْتَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ ... لو كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ

هذا مَثَلٌ يُضربُ في الانقياد والذُّلّ. ولذلك يقولون: «النِّساء لَحْمٌ على وَضَمٍ إلّا ما ذُبَّ عنه». يقول: تركتَنَا لا دِفاعَ بنا، كاللَّحم على خِوَانِ الجزّار يتناوَلُه مَنْ شاء، لو كُنْتَ تتركُ مِنّا بقيّة، وتطلب علينا بقيّة. والمعنى أنّك تَرُومُ استئصالَنا، فلستَ ترضى بالإذلال. وجواب لو فيما تقدّم عليه.

٤٦ ـ وقال أعْرَابِيٌّ(١):

قَتَلَ أخوهُ ابنًا له فقدِّم إليه ليقتاد منه، فألقى السَّيف وهو يقول: [البسيط]

١ ـ أقولُ للنَّفْسِ تأسَاءً وتَعْزِيَةً ... إحْدَى يَدَيَّ أصابَتْنِي ولم تُرِدِ

التّأساء: تَفعال من الإسْوَة. ويقال: إسْوَةٌ وأُسْوَةٌ، فيُضَمُّ أوّله ويُكْسَرُ، وانتصابُه على أنّه مصدرٌ في موضع الحال. أي أقول متأسّيًا بغيري، ومسلّيًا لنفسي: جَنَى عَلَيَّ أخي الذي مَحَلُّه مني محلُّ إحدى يَدَيَّ، سهوًا لا إرادةً لمَسَاءَتِي وخطأً لَا عَمْدًا. وقوله «إحدى يَدَيَّ» في موضع المبتدأ و«أصابتني» خَبرُه، وقوله «ولم تُرِدْ» في مَوْضِع الحال، والجملة في موضع النَّصب على أنه مفعول لقوله أقول.

٢ ـ كِلَاهُمَا خَلَفٌ من فَقْدِ صَاحِبِهِ ... هَـذَا أخِي حِينَ أدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

يقول: كلُّ واحدٍ من الأخ الواتر والابن المفقود يصلُح لأن يُرْضَى به عِوَضًا من فِقدانِ الآخَر، فإن اقتدت من الأخ منتصفًا للابن فقدتُهما جميعًا، فاستبقائي أخي هو على كلّ حالٍ أقرَبُ وأعْوَد.

٤٧ ـ وقال إيَاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِيُّ(٢): [الطويل]

١ ـ مـا وَلَدتـنـي حـاصِـنٌ رَبَـعِـيَّـةٌ ... لَئِنْ أنـا مَـالأْتُ الـهَـوى لاتِّـبَـاعِـهَـا

امرأةٌ حاصِنٌ وحَصَانٌ، أي ممتنعة عن الرَّفَثِ، عفيفةٌ. ومصدره الحَصَانة والحُصْن، وربعِيَّةٌ: منسوبةٌ إلى ربيعة: وهذا الكلام خبرٌ يجري مجرى اليمين، واللام من «لَئن» يُؤذن بأن الكلام قَسَمٌ، فيقول: لست ابنَ امرأةٍ من بني ربيعة كريمةٍ عفيفة إنْ كنت شايَعْتُ الهوى وتابَعْتُهُ في طَلَبِ امرأةٍ. والمعنى: لستُ لِرِشْدَةٍ إن فعلتُ

(١) الشعر في الزهرة ٢: ٥٥٠، وقد نسبه للعريان بن سهلة النبهاني.

(٢) إياس بن قبيصة الطائي: من أشراف طيّىء وفصحائها وشجعانها في الجاهلية (ت ٤ ق. هـ/ ٦١٨ م). ترجمته في ابن خلدون ٢: ٢٦٥، والكامل لابن الأثير ١: ١٧٣.

ذلك. ومالأَتُ، مأخوذٌ من قولهم: هو مَلِيءٌ بكذا، وقد مَلُؤَ يَملُؤُ مَلَاءَة. وجواب الشَّرط فيما تقدم.

٢ ـ ألم تَرَ أنّ الأرضَ رَحْبٌ فسيحةٌ فَهَلْ تُعْجِزَنّي بُقْعَةٌ من بِقَاعِهَا

قال الخليل: البُقعة: قطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها، واستشهد الشاعر لنفسه في إنكار ما انتفى من فعله بقوله: ألم تَرَ أنّ الأرض، لأن ألم تَرَ وإن كان لفظُه لفظَ الاستفهام، كلمةٌ يُوَاقَفُ بها المُخاطَبُ في تحقيق الأمور، وتثبيت الخطوب، وربما صَحِبها معنى التعجُّب. فيقول: إنك تعلم أن الأرض واسعةٌ عريضةٌ، وأنّ بِقاعَها لا تَنْبو بي، ولو نَبَتْ لم تُعجِزني، فكما أنّي في هذا بهذه الصفة، فكذلك أنا في الأوّل. ومذهب هذا الكلام مذهب قول القائل عند تحقيق أمر وتصويره للمخاطَب: إن هذا حَقٌّ كما أني حاضرٌ، وكما أنك تسمع وتُجيب.

٣ ـ ومَبْثُوثةٍ بَثَّ الدَّبا مُسْبَطِرَّةٍ رَدَدتُ عَلَى بِطَائها من سِرَاعِها

يقول: رُبَّ خَيْلٍ متفرّقةٍ ممتدَّةٍ في وجه الأرض امتدادَ فِرَاخ الدَّبا وتفرُّقِها ـ والمعنى أنهم يُموجُون في انتشارهم، كما أن الجراد إذا انبثّتْ ماجَ بعضُها في بعض ـ أنا رددت أوّلها على آخرِها، وحَبَسْتُ متقَدِّمانها على متأخّراتها، حتى لَحِقَت الأعجازُ بالصدور، واختلطت اللّواحق بالسَّوابق. ويقال: هم يتهافَتُون تهافُتَ الفَراش، ويتماوَجون تماوُج الجراد.

٤ ـ وأَقْدَمْتُ والخَطّيُّ يَخْطِرُ بينَنا لِأَعلَمَ مَنْ جَبَانُها مِنْ شُجَاعِها

قولُه «والخطيّ» واوه واو الحال. واللام من «لِأعلم» لام العلّة. يقول: تركتُ الإحجام، وآثرتُ الإقدام، ورماحُ الخطِّ تختلف بالطّعن، وتحكُم للشَّجاعة على الجُبْن، لأتبيَّنَ الضعيفَ من القوِيّ، والمتقدّم من المتخلّف، والمعنى: فعلت ذلك ليَبِينَ فضلي على غيري.

٤٨ ـ وقال رجل من بني تميم[١]:

وطَلَبَ منه ملك من الملوك فَرَسًا يقال له سَكَابِ فمنعه إياها: [الوافر]

١ ـ أَبَيْتَ اَللَّعْنَ إنَّ سَكَابَ عِلْقٌ نَفِيسٌ لا تُعَارُ ولَا تُبَاعُ

(١) هو عبيدة بن ربيعة بن قحطان بن ناشرة المازني كما ورد في كتاب الخيل لابن الأعرابي ٦٢ حيث ذكر الأبيات.

قولُه «عِلْقٌ نفيسٌ» أي مالٌ يُبْخَل به. وهذا كما يقال: هو عِلْقُ مَضِنَّة. ويقال: عالقْتُهُ بِعِلقي وعِلْقِه، إذا خاطَرتَهُ بكرائم المال. يقول: مُنِعْتَ أن تَفعَل ما تَستحِقُّ به اللّعن، إنّ فرسي سَكَابِ مَتَاعٌ نَفِيسٌ، وعِلقٌ كريم، لا يُعْرَضُ للبيع، ولا يُبذَلُ للإعارةِ. و«سَكَابِ» إذا أعربته منعتَه الصَّرْف، لأنّه عَلَمٌ، فلحصول التعريف فيه والتأنيث مع كثرة الحروف يُمنَع الصرف. والشاعر تميميٌّ، وهذا لُغَةُ قومِه. وإذا بَنَيْتَهُ على الكَسْرِ أجريته مجرى حَذَامِ، لأنّه مؤنث معدول معرفةٌ، فلمشابهته بهذه الأوصاف دَرَاكِ ونَزَالِ يُبنَى؛ وهذه اللُّغة حجازيّة. واشتقاق سَكَابِ من سَكَبْتُ إذا صببتَ. ويقال في صفة الفرس: هو بَحرٌ وسَكْب. وقوله: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، تَحِيَّةٌ كان يُسْتَعْطَفُ بِهِ الملوك. وأَصْلُ اللّعن: الطَّرْد. وقول الشاعر[1]: [مجزوء الكامل]

ولَكُلُّ مـا نـالَ الـفَـتَـى قَـدْ نِـلْـتُـه إلا الـتَّـحـيَّـهْ

يعني إلّا أن يقال لي: أبيت اللعن، لأنّه تحيّة الملوك. وكأنّه قال: نِلتُ كلَّ شيءٍ إلا المُلك.

٢ ـ مـفَـدَّاةٌ مُـكَـرَّمَـةٌ عَـلَـيْـنَـا يُـجَـاعُ لـهـا الـعِـيَـالُ ولا تُـجَـاعُ

يقول: لعزّتها على أربابها تُفَدَّى بالآباء والأمّهات، وتُؤْثَر تكريمًا لها على العيال عند الإضافة والإقتار، فيَجَوَّعُ العيال ولا تجوَّع هذه.

٣ ـ سَـلِـيـلَـةُ سَـابِـقَـيْـنِ تَـنَـاجَـلَاهـا إذا نُـسِـبَـا يَـضُـمُّـهُـمَـا الـكُـرَاعُ

يقول: هي وَلَدُ فَرَسَيْن سابقَيْن، إذا نُسِبَا ضَمَّ مَنَاسِبَهُمَا ومناصِبَهُما الكُرَاعُ، وهو فَحلٌ كريم معروف. وسَلِيلَةُ أُلحِقَ الهاءُ بها وإن كان فعيلًا في معنى مفعول، لأنّه جُعِلَ اسْمًا، كما تقول هي قتِيلة بني فُلَان. ومعنى سُلَّ: نُزِعَ. ويقال: نَجَلَا ولَدَهُمَا وتناجلاه، بمعنى واحد، قال: [المنسرح]

إذْ نَـجَـلَاهُ فِـنِـعْـمَ مـا نَـجَـلَا[2]

وأصلُ الكُرَاع في اللُّغة: أَنفٌ يتقدّم من الجَبَل، فسُمِّي هذا الفحلُ به لعِظَمِهِ. وأمّا الكُراع الاسمَ الجامِعُ للخيل، فهو غَيْرُ ذَا.

---

(١) لزهير بن جناب الكلبي في اللسان (حيا)، والمعمرين ٢٦.

(٢) للأعشى في ديوانه ٢٨٥، والدرر ٥:٤٩، ولسان العرب (نجل)، وتاج العروس (نجل)، وصدره:

«أنـجـبَ أيـامَ والـداه بـه»

٤ ـ فلا تَطْمَعْ أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ فِيها وَمَنْعُكَها بِوَجْهٍ يُسْتَطَاعُ

يقول: ارفَعْ طَمَعَك في تحصيل هذه الفرس، أبيْتَ أن تأتي ما تستحِقّ به اللّعن، ودَفْعُكَ عنها يُقْدَرُ عليه بوجْهٍ ما وبحيلة ما. والمعنى: إنّي لا أسْعِفُك بها استَبَعْتَهَا أو استَوْهَبْتَهَا، ما وجدتُ إلى الردّ طريقًا، فلا تطمع فيه ما دامت لي هذه الحالة. وقوله «ومنعُكها» أي منعُك عنها. ويقال: مَنَعْتُكَ كذا، ومنَعْتُكَ عن كذا، وأمّا المَنَعَةُ العِزُّ فهو مصدرٌ كالحركة والجَلَبَةِ من مَنَع مَنَاعَةً ومَنَاعًا، فهو مَنِيع.

٤٩ ـ وقالت امرأةٌ من طَيِّىء: [الطويل]

١ ـ دَعَا دَعْوَةً يَوْمَ الشَّرَى يَا لَمَالِكٍ ومن لا يُجَبْ عند ٱلحفِيظَةِ يُكْلَمِ

يقول: استغاثَ هذا الرّجلُ في يوم اجتماعنا بالشَّرَى ـ وهو مكانٌ معروف اتفقت فيه وقعةٌ فنُسب يومُها إليه ـ استغاثةٌ وقال: يا لَمَالِكٍ؛ ومَن لا يُجَب إذا استَصرَخ، ولم يُغثْ إذا استَنْصَر، يُهتَضَمْ ويُجرح. وقوله «يا لَمالكٍ» اللام فيه للإضافة، وإنما فُتِحَ لأنّه دَخَل على ما هو واقعٌ موقع المضمر، فكما يُفتح لام الإضافة مع المضمَر كذلك فُتح مع المُنادَى لوقوعه موقِعَهُ. فإن قيل: فما المدعوُّ؟ قلتَ: مالِك، كأنّه قال: دُعائي لمالِكٍ. والحَفيظةُ: الخَصْلَةُ التي يُحفَظ الإنسانُ عندها، أي يُغْضَبُ. وكذلك الحِفْظَةُ. قال: [الرجز]

وحِفْظَةٍ أَكَنَّهَا ضَمِيرِي[1]

وقوله «يُكْلَم» كناية عن الغَلَبَة أو القتل.

٢ ـ فيا ضَيْعَةَ ٱلفِتْيَانِ إذْ يَعْتُلُونَهُ بِبَطْنِ الشَّرَى مِثْلَ ٱلفَنِيقِ المُسَدَّمِ

الفنيق: الفَحل المُفَنَّق لا يُركَب لكرامته على أهله. والمُسَدَّم: الفحل الهائج الممنوع. ويقال: عَتَلَه يَعْتِلُه ويَعْتُلُه جميعًا، إذا قادَه بعُنْف. ومعنى «يا ضَيْعةَ الفتيان» وإن كان لفظُه لفظَ النداء، معنى الخبر، كأنّه قال: ضَاعَ الفتيان جدًّا. فيقول على وجه التعجُّب والاختصاص: ما أُضيَعَ الفتيانَ في ذلك الوقت وفي تلك الحالة. كأنّه لَمّا لم يُنْصَر في تلك الحالة ولم يَحْضُرْه فَتًى يُعينُه كان الفتيانُ ضائِعِين، إذ كانوا يعْنُفون في قوْدِهم إيّاه، وهو كأنّه فحل مشدود الفم خَوْفًا من صِيَالِه، فلا يُناكر

---

(١) الرجز للعجاج في ديوانه ١: ٣٣٢، ولسان العرب (حفظ)، وأساس البلاغة (حفظ)، ولرؤبة في مقاييس اللغة ٣: ٢٠٤ وليس في ديوانه.

بنفسه، ولا يدَافع أحد دونَه. وذكر بعضهم أن هذا المقتولَ هو بَهْدَل بن قِرْفَة، أحد بني نبهان، وأُخِذ بسبب دم ابن جَعْدَةَ المخزومي فقُتل بالمدينة صَبْرًا. وما اقْتُصَّ في الأبيات يدلّ على خلافه.

٣ ـ أَمَا في بَنِي حِصْنٍ مِن ابنِ كَرِيهَةٍ   من ٱلقَوْمِ طَلَّابِ ٱلتِّرَاتِ غَشَمْشَمِ

هذا الكلام بَعْثٌ وتحضيض لأبناء حِصْن. والغَشَمْشَم: الذي يركَبُ رأسه ولا يَهَابُ الإقدامَ على شيء. والكلام لفظُهُ استِفهامٌ، والمعنى معنى التَّمنّي، كأنّه يَبْعثُ ويُحضّضُ مَن يَطْلُب دمَه إذْ فاتَ نُصْرتُه حَيًّا. فيقول: أَمَا في هذه القبيلة ابنُ حَرْبٍ مُتَنَاهٍ في طلب الدّم وإدراكِ الثأر، ظَلُومٌ غَشوم، يركب الكرائهَ والأمورَ الصَّعبة، غير مُرْعَوٍ ولا منقبِض.

٤ ـ فَيَقْتُلَ جَبْرًا بامرىءٍ لم يَكُنْ لَهُ   بَوَاءً ولكن لا تَكَايُلَ بالدَّمِ

جَبْرٌ هو القاتل لِوَليّ هذه المرأة. ويقال: باء فلانٌ بفلانٍ يبُوءُ بواءً، إذا ارتُضِيَ لقَتْلِهِ بدلًا منه. وأَبَأْتُ فلانًا بفلانٍ، أي قَتَلتُه. وانتصب «يقتُلَ» على أنه جواب التمنّي بالفاء، والعامل في الفعل أن مضمرة، أي أَمَا فيهم رجُلٌ هكذا فيَقتُلَ هذا الرجلَ برجل لم يكن له نظيرًا، فيكون في دمه وفاءٌ بدمه، ولكنْ سقطت المكايلة في الدماء منذُ جاءَ الإسلام، فَلَا يُقتل بدل الواحد إلّا واحدٌ، شريفًا كان أو وضيعًا.

٥٠ ـ وقال بَعْضُ بني فَقْعَسٍ(١): [الطويل]

١ ـ رَأَيتُ مَوَالِيّ ٱلأُلَى يَخْذُلُونَنِي   عَلَى حَدَثَانِ الدهرِ إذ يَتَقَلَّبُ

الموالي هٰهنا: أبناء العم. والأُلَى في معنى الذين، ويخذلونني من صِلَتِه. يقول: رأيتُ أبناء عمّي هم الذين يقعدون عن نُصرتي على تقلُّب الزّمانِ، وتصرُّف الحَدَثان. وقولُه «على حَدَثان الدّهر» في موضع الحال، أي يخذلونني مُقَاسِيًا لما يحدث في الدّهر أوانَ تقلُّبِه وتغيره.

٢ ـ فَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا   إذا الْخَصْمُ أَبْزَى مائلُ الرأْسِ أَنْكَبُ

قوله: «تفاقدوا» دعاء، وقد اعترض بين أوّل الكلام وآخره، ولكنّه أكّد ما يقتضّه فَصَلَحَ لذلك. يقول: هَلّا جَعلوني عُدَّة لرجلٍ مثلي، فقد بعضُهم بعضًا وقد جاءَهم

(١) عند التبريزي: «وقيل: هو مرّة بن عدّاء الفقعسي».

الْخَصْمُ متأخِّر العَجُز مائل الرأس منحرفًا. وهذا تصويرٌ لحال المُقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده، وهو أبلغُ في الوصف من كلِّ تشبيه، ومثله قول الآخر: [الرجز]

جاؤوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيتَ الذئبَ قَطّ[1]

ألا تَرى أنه صوَّر لون المذْق لَمَّا قال: هل رأيت الذئب قطّ؟ وقوله: «إذِ الخصم» هو حكاية الحال المتوهَّمَة، وهو الرواية المختارة. وقد رُوِي: «إذَا الْخَصْمُ» والْجُمْلَة التي تبيّن بها إذَا هذه يجبُ أن يكون فيها فِعْلٌ، وقد عَرِيَتْ منه هٰهنا، وأظُنُّ أنّ الأخفش جَوّزَ مثله. والمعنى: لِمَ أفاتوني أنفسَهم، وهلا ادَّخروني ليوم الحاجة إذا كان الخصم هكذا. وأراد بالْخَصم الجِنس. وقال الأصمعيّ: البَزَى: تأخُّر العَجُز. وقال غيره: هو إشرافُ وسَط الظَّهر على الإسْت، والبيت يشهد للأصمعيّ. والنَّكَبُ: شِبْه الميل في المَشْي ومنه الأنكب من الإبل، وهو الذي يَمشِي في شِقّ.

٣ ـ وَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وفي الأرض مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ

الكلام في «تفاقدوا» وأنّه دعاءٌ واعتراض، على ما مرّ. وإنَّما وكرّر ما كرّره على وجه التأكيد، وتفْظِيعًا للأمر. والمعنى: هَلّا جعلوني عُدَّةً لرجُلٍ مثلي في البأس، فَقَدَ بعضُهم بعضًا. وقد انتشَرَ في الأرض أعداءٌ كثيرة، وأنواعٌ من الشرّ فظيعة. والشُّجَاع: الْحَيَّة. وَكَنَى بالعَقْرَبِ وبه عَنِ الأعْدَاء والشَّرّ. وارتفاع شُجَاعٌ، يجوز أن يكون على البَدَل، ويجوز أن يكون على الابتداء ومبثُوثٌ خَبَرٌ له قُدِّم عليه، ويجوز أن ينصب مبثوث على الحال، ويُجعل في الأرض الْخَبَرَ. ولم يُثَنَّ مبثوث لأنّ القصد بالشُّجاع والعقرب إلى خيل الأعداء والشرّ، فكأنهما شيءٌ واحد.

٤ ـ فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا من القَوْمِ إنَّنِي أَرَى العَارَ يَبْقَى وَالمَعَاقِلُ تَذْهَبُ

لك أن ترفَعَ المعاقِل على الاستئناف، ولك أن تحمله على ما قَبلهُ فتعطفه على العار. يقول: لا ترغبوا في قبول الدِّية فإنه عَارٌ، والعار يبقى أثَرُه، والأموال تفنى. والمعاقِلُ: جمع المَعْقُلَةِ. والمُعْقُلَةُ والعَقْلُ: الدِّيةُ، وأصله الإبل كانت تُعْقَلُ بفناء وَلِيّ المقتول، وهو مصدرٌ وُصِف به. وحكى الأصمَعيُّ: صار دَمُهُ مَعْقُلَةً على قومه، أي صاروا يَدُونَهُ.

(١) الرجز للعجاج في ملحق ديوانه ٢: ٣٠٤، وخزانة الأدب ٢: ١٠٩، والدرر ٦: ١٠، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٣: ٣٠، وشرح المفصل ٣: ٥٢، واللسان (خضر مذق).

٥ ـ كأنَّكَ لم تُسْبَق من الدَّهرِ لَيلَةً إذا أنت أدركتَ الذي كُنْتَ تَطْلُبُ

يقول: مَن أدرك ما طلبه من الثّأر فكأنه لم يُصَبْ ولم يُوتَرْ. وهذا بَعْثٌ وتحضيض على طلب الدّمِ والزُّهدِ في الدّية. وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

كأنَّ الفَتَى لم يَعْرَ يَوْمًا إذا اكْتَسَى ولم يَكُ صُعْلوكًا إذا ما تَموَّلَا[1]

لكنّ هذا بَعْثٌ على طَلَب المال.

٥١ ـ وقال آخَرُ: [الطويل]

١ ـ فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ المالَ فِدْيَةً لَسُقْنَا لَكُمْ سَيْلًا من المال مُفْعَمَا

انتصب فِدْيَةً على الحال من المال، والمُراد به الإبلُ لا غير، ونَكَّر قولَهُ «حَيًّا» وهو يقصد به قَصْدَ حَيٍّ بعينه، لأنّ المراد كان مفهومًا عند من عَرَف القصّة، فجعله كالتّعريض. وقوله «سَيْلًا مُفْعَمًا» والسَّيْلُ يُفْعَمُ به الشّيء، يجوز أن يكون من باب هَمٌّ ناصِبٌ وما أشبَهَهُ، ويكون المعنى سَيْلًا ذا إفْعَام، ولكنّ أكثَر ما يجيء معنى النِّسبة فيما كان للفاعل، كطالِقٍ ومُرْضِعٍ، ومثله قولهم نَخْلَةٌ مُوقِرٌ. ويجوز وهو الأجْوَدُ أن يكون عَبَّر عن الكثرة بقوله مُفْعَمٌ كما عُبِّرَ في قولهم شِعْرٌ شَاعِرٌ وَمَوْتٌ مَائِتٌ عن التّناهي بلفظ فاعل، وإن كان الموت لا يموت، والشّعر لا يشعُرُ، كما أنّ السَّيْلَ لا يُفْعَمُ. وقد قيل: امرأةٌ فَعْمَة المُخَلْخَلِ، أي غليظةٌ كثيرةُ اللَّحْم عليه. والمعنى: لو كانت معاملتُنا مع حَيٍّ يَرَى قَبول المال فداءً لأرضيناه بالمال الكثير.

٢ ـ ولكِنْ أَبَى قَومٌ أُصِيبَ أَخُوهُمُ رِضَى العَارِ واختاروا على اللَّبَن الدَّما

يقول: ولكن امتنع قومٌ أصبْنَا صاحِبَهُم من الرِضا بالدنيّة، وآثروا طَلَبَ الدم على قَبُول الدِّيَةِ. وجعل اللَّبنَ كنايةً عن الإبل تؤدّى عَقْلًا، لأنّه منها، وكما نَكّر حَيًّا في البيت الأول نكّر أيضًا في الثاني قوله «أَبَى قَوْمٌ»، والغَرَضُ بهما على حَدٍّ واحد، ولا يجوز أن يكون «يَقْبَل المال فِدْيَةً» صِفَةً لقوله حَيًّا، لأنّه يَبقَى أنّ بلا خبر. فأمّا قولُه «أصيبَ أخوهم» فهو صِفَةٌ لقوله قَوْمٌ. وقوله «رِضَى العارِ» العارُ في مَوْضِع المفعول، أي أَبَوْا أن يَرضَوا العار خُطَّةً لأنفسهم.

---

(١) لجابر بن الثعلب في الحماسية ٩٥، ولجابر بن ثعلبة الطائي في الكامل ٢٩٩ (ليبسك).

٥٢ ـ وقالت كَبْشَةُ أُخت عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب(١):

١ ـ أَرْسَلَ عَبْدُ الله إذْ حَانَ يَوْمُهُ إلى قَوْمِهِ لا تَعْقِلوا لَهُم دَمِي

الشعر لكبشة أخت عبد الله، والكلام بَعْثٌ وتهييجٌ. وإنمَا تَكَلَّمتْ به على أنه إخبارٌ عما فعله عبد الله، وأقامَهُ من الوَصَاةِ عند الوفاة، فتقول: راسل عبد الله بن معديكرب لما دنا أجَلُه قومَه وذويه، بأن لا تَعْقِلوا دَمِي. وغَرَض كَبْشَةَ تحضيضُهم على إدراك الثّأر، وتركِ التباطؤ والتّكاسُلِ فيه، وإن كانت آمنةً من مَيْلِهم إلى قَبُول الدِّية، فغلَّظَت القولَ لتهتاج حميّتهم. ويقال: عَقَلْتُ فُلانًا، إذا أعطيتَ ديتَهُ. وجَعَل هذا المفعول الدَّمَ لأنَّ المراد مفهوم، كأنّه قال: لا تأخذوا بَدَلَ دَمِي عَقْلًا. ويقال: عَقَلتُ عن فلانٍ، إذا غَرِمْتَ عنه دِيَةَ جنايَتِه أو أَرْشَها.

٢ ـ ولا تأخذوا مِنْهُم إفالًا وأبْكُرًا وأُتْرَكَ في بيتٍ بِصَعْدَةَ مُظْلِمِ

الإِفَالُ: جَمْعٌ وواحدهُ أَفِيل، وهي صِغارُ الإبِلِ، والأبْكُر: جَمْع البَكْر، وهو الفتيُّ منها. يقول: لا تأخذوا من قَتَلَتِي صِغارَ الإبل وبِكارَتَها، فتتركوني في قَبرٍ مُظلم بصَعْدَةَ؛ وهو مكان باليَمَن. وإنما جعَلَ قبرَهُ هكذا، لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره، فإنْ أُهْدِرَ دَمُه أو قُبِلَتْ دِيَتُهُ بقي قَبْرُهُ مُظْلِمًا. فإن قيل: لِمَ ذَكَر الإفَالَ والأَبْكُرَ وما يؤدّى في الدّيات لا يكون منهما؟ قُلْتَ: أراد تحقير الدّيات، وهذا كما يقول الرَّجُلُ إذا أراد تحقير أمْرِ خِلْعَةٍ فازَ بها إنسانٌ: إنما أُعْطِيَ خِرَقًا وفُلُوسًا! وإنْ كانت الثّياب المُعْطَاة كِسوةً فاخِرةً، والمَالُ الموفَّر جائزةً سنيّةً. وانتَصَبَ «وأُتْرَكَ» بإضمارِ أن وهو جَوابُ النَّهي بالواو.

٣ ـ وَدَعْ عَنْكَ عَمْرًا إنّ عَمْرًا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍو غَيْرُ شِبْرٍ لمَطْعَمِ

عَمْرو هو أخوها، وكان يُعَدُّ بألفِ فارس، ولم يكن ممن يُسالِم ولا سيّما في طلب دمِ أخيه. وإنّما رَمَتْه بهذا الكلام لتهيِّيج منه وتبعَثَهُ على التعجُّل في دَرَكِ الثأر، والتسرُّع في الانتقام. وقولُهُ: «وهل بَطْنُ عمْرٍو غير شبرٍ لمطعم» تزهيدٌ في الدِّيَةِ، وهذا كما رُوِي في الخبر: «وهل بَطْنُ ابنِ آدَمَ إلا شِبْرٌ في شِبْرٍ» لمَّا أُرِيد تَزْهِيدُهُ في الدنيا وحُطَامِهَا. أي ما يَصْنَعُ بالمال وجوفُه يمتلىء باليسير. وعمْرٌو لم يكن ممَّن

---

(١) كبشة بنت معديكرب: شاعرة صحابية، أدركت الإسلام (ت ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م) ترجمتها في الإصابة، كتاب النساء ٩١٩، والشعر والشعراء، طبعة الحلبي ٥: ٢٢٣.

يميل إلى الدِّيَة، كما لم يكن يميل إلى المسالمة، ولكنَّ المرادَ ما ذكرناه من التحضيض والحثّ.

٤ ـ فإن أنتُمُ لم تثأَرُوا واتَّدَيتُمُ فَمَشُّوا بآذانِ النَّعامَ المُصَلَّمِ

الصَّلْمُ: قَطْع الأذن من أصلها، ومنه الصَّيْلَم: الدّاهِية المستأصِلة. واتَّديتم، معناه قَبِلْتُمُ الدِّيَةَ. يقال: ودَيْتُه فاتَّدى، كما يقال: وَهَبْتُهُ فاتَّهَبَ، أي قَبِل الهِبَةَ. وفي الحديث: «هَمَمْتُ ألّا أتَّهِبَ إلّا من قرَشِيٍّ أو أنصاريّ»[١] ومثله قضَيْتُه الدَّيْنَ فاقتضَاه، أي قَبِله وتوفَّرَهُ. وقوله: «فَمَشُّوا» أي امشُوا. وضَعَّفَ الفعل للتكثير. ومن روى «فمُشُّوا» بضم الميم فمعناه امسَحوا؛ ويقالُ لمنديلِ الغَمَرِ: المَشُوشُ. والمعنى: إنْ لم تقتلوا قاتِلِي وقبِلتم دِيَتي فامْشُوا أذلاءَ بآذانٍ مُجَدَّعةٍ كآذان النَّعامِ. ووصَف النَّعام بالمُصَلَّم تصويرًا لها، وإن كانت خِلْقَةُ جمِيعها ذلك. ومن أحاديثهم عن البهائم: «ذهبت النَّعامة تَطْلُب قَرْنَين فجُذِّعَت آذانُها»[٢]. ومن روى «فمُشُّوا» فالمعنى امسحوا بِآذانكم مجدَّعةً مُثْلَةً بكم كآذان النَّعام.

٥ ـ ولا تَرِدُوا إلا فُضُولَ نسائِكُمْ إذا ارْتَمَلَتْ أعْقابُهُنَّ من الدَّمِ

تَرَمَّلَ وارْتَمَلَ إذا تَلطَّخَ بالدم. قال: [الرجز]

إنَّ بَنِيَّ رَمَّلُونِي بالدَّمِ[٣]

ويجوز أن يكون هذا الكلام دعاء عليهم، أي أحلَّكم الله محلّ من ذا صفتُه. وعلى هذا يكون قوله «فمَشّوا» من البيت الأول أيضًا. وإن شئت جَعَلْتَهُ نَهْيًا، وفمشّوا أمرًا. والمعنى: إذا فعلتم ذلك فتأخَّروا في المواطن كلها والمَناجع، وتخلَّفوا عن المشاهد والموارد، وألبَسُوا الذُّلَّ راضِينَ به، فإنّ مآل أمركم مع تضييعكم دمَ صاحبكم إلى مثل ذلك. وكان عادتُهم إذا وَرَدوا المياه أن يتقدَّم الرِّجالُ ثُمّ العضاريط والرُّعاةُ، ثم النِّساء، إذا صَدَرَتْ كلُّ فِرْقةٍ عنه، فكنَّ يَغْسِلْن أنفسهنّ وثيابَهنّ ويتطَّهرن آمِنَاتٍ مما يزعِجُهن غيرَ مستعجلات، فمَنْ تأخَّرَ عن الماء حتى تَصْدُرَ النِّساء فهو الغاية في

(١) الحديث في كنز العمال رقم ١٤٤٨٠.

(٢) في اللسان (نعم): «يقولون للذي يرجع خائبًا: جاء كالنعامة لأن الأعراب يقولون إن النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها فجاءت بلا أذنين».

(٣) الرجز لأبي أخزم الطائي في اللسان (رمل)، ومجمل اللغة ٢:١٨٣، ولعقيل بن علفة في جمهرة اللغة ٥٩٦، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٧:٢١٨، وديوان الأدب ٣:١٠٦.

الذُلّ. وجَعَلَ النِّساءَ مُرْتَمِلَات بِدَمِ الحيض تفظيعًا للشّأن، وتدنيسًا للماء. والأعقاب واحدها عَقِبٌ، وهو مؤخر الرِّجْل. يقال: ولّى على عقبَيه، إذا انصرف راجعًا عن مطلوبه.

٥٣ ـ وقال عَنْتَرَة بن الأخرس المَعْنِيّ من طيِّىء[١]:

[الوافر]

١ ـ أَطِلْ حَمْلَ الشناءةِ لي وبُغْضِي وعِشْ ما شِيتَ فانظرْ من تَضِيرُ[٢]

يقال: شَنِئْتُهُ شَناءة وشنئًا وشَنَانًا ومَشْنَأَةً، إذا كان بُغْضًا مختلطًا بعداوةٍ وسوء خُلُقٍ، كما أنَّ الشَّنَفَ اسمٌ لِشِدَّةِ العداوة. يقول: أَدِمْ احتمال الضَّغائن والبُغْض لي، وعِشْ مدّة مشيئتك فتأملْ من يضُرُّهُ ذلك. ويقال ضَارَهُ يَضِيرُهُ، وضَرَّهُ يَضُرُّهُ بمعنًى واحد. وانتصب موضع ما شيت على أنّه ظَرْفٌ. و«مَنْ» مفعول تضير، لأنّه استفهام فلا يَعْمَل فيه ما قبله. أي انظُر تضير مَنْ.

٢ ـ فَمَا بِيَدَيكَ خَيرٌ أرْتَجِيهِ وَغَيرُ صدودِكَ الخَطْبُ الكَبِيرُ

بَيَّنَ وجه استهَانَتِهِ، به، وقلّةَ مُبالاتِه ببَغضائه وعداوته. فيقول: لا نَفع عِنْدَكَ أعلّق رجائي به، وغيرُ إعْرَاضِكَ هو الخَطْبُ الكبير، فأما إعراضُك فأهْوِنْ به وأحْقِرْ بكوْنه. وأرتجيه، في موضع الصِّفة للنَّفع، أي نَفْعٌ مُرْتَجًى.

٣ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرَكَ سَارَ عَنِّي وشِعْرِي حَوْلَ بَيتِكَ ما يَسِيرُ

هذا تقريرٌ له في بيان فَضْله عليه، وسلامة عِرْضه من قَرْفِهِ إياه. يقول: ألم تَعْلَمْ أن شِعرك الذي قلتَه فيَّ لم يَعْلَقْ بي ذَمُّهُ، لأنّه كان كَذِبًا وزُورا، وشعري الذي قلتُه فيك يطوف حول دارِك وبيتك ولا يفارقُك، لأنّه كان صِدْقًا. ويجوز أن يكون المعنى: ألم تَرَ أن شِعْرِي الذي قلتُه فيك سَارَ عنّي، لأنَّ الرواة احتملوه استجادَةً له واستلذاذًا، وشعرك الذي قلتَه فيَّ مُلَازِمٌ لك لزُهْد الناس فيه لَمّا كان سَفْسَافًا. وساغَ الوجْهَان جميعًا لأنَّ المصدر يُضَاف إلى المفعول كما يُضَاف إلى الفاعل، فعلى ذلك

---

(١) عنترة بن الأخرس، ويعرف أيضًا بعنترة ابن عكبرة نسبة إلى أمه، شاعر محسن وفارس. انظر: المؤتلف ١٥٢.

(٢) قال التبريزي: «ويروى (حبل) بالباء وهو استعارة حسنة أيضًا، جعل للشناءة حبلًا».

جاز أن يقول شعرُكَ ويريدُ شعري المُقول فيك. ورَوَى بعضهم:

ألـم تـر أنّ شِـعـري سـارَ عـنِّـي وشِـعـرَك حـوْل بـيـتِـك مـا يـسـيـرُ

وهذا الراوي صرّح بالتفسير الثاني.

٤ ـ إذَا أَبْـصَـرْتَـنِـي أَعْـرَضْـتَ عَـنِّـي كـأَنَّ الـشَّـمْـسَ مِـنْ قِـبَـلِـي تَـدُورُ

في طريقته قول أوس: [البسيط]

إذ يَشْزِرُونَ إليَّ الطَّرْفَ عن عُرُضٍ كأنّ أعيُنَهُم من بِغْضَتي عُورُ

يقول: إذا رميتَني ببصرك لم يمكنك مَلْؤه منِّي بُغْضًا وعداوة، حتى تُعْرِضَ عني فعلَ الناظرِ إلى الشمس، فكأن الشمس تدور من جهتي. فأما قول الآخَر: [الكامل]

نَـظَـرٌ يُـزِلُّ مَـوَاطِـئَ الأَقْـدَامِ[(١)]

فهو صفةَ نظر المهيب المعظَّم. وفي نَظَر الناظرين على اختلافهم ما يستدلُّ به على أحوالهم، وسنذكر وما يجيء عنه مُبَيَّنًا من بَعْدُ.

٥٤ ـ وقال الأحوص بن محمد[(٢)]: [الكامل]

١ ـ إنِّي عَلَى مـا قَـدْ عَـلِمْـتِ مُـحَـسَّـدٌ أَنْـمِـي عَـلَى الـبَـغْـضَـاءِ والـشَّـنَـآنِ

عَلِمتِ بمعنى عَرَفتِ، ولهذا اكتفى بمفعولٍ واحدٍ. ومعنى البيت. إني مرموقٌ محسودٌ على ما قد عَرَفتِهِ من أحوالي، زائدٌ كلَّ يوم على بغضاءِ الناسِ وشنآنهم لي، ويكون قوله «على ما قد عَلِمتِ»، وقوله «على البَغْضَاءِ» جميعًا في موضع الحال. والعامل في الأوّل قولُه مُحَسَّدٌ، وفي الثاني أنْمِي. ويجوز أن يكون على ما قد عَلِمْتِ من صِلَةِ مُحَسَّدٍ، كما تقول حَسَدْتُه على كذا. وقال بعضُ الناس: الشنآن: بُغْضٌ يختلط به عداوة وسوء خُلُق، فلهذا جاز الجمعُ بينه وبين البَغْضاء. وقال غيره: بل هُمَا بمعنى واحد، واللفظان إذا اختلفا على اتفاقِ معناهما جاز الجمعُ بينهما تأكيدًا.

---

(١) البيت بلا نسبة في اللسان (قرض، وزلق)، وتاج العروس (قرض، زلق)، وتهذيب اللغة ٨:٣٤٢، ومقاييس اللغة ٣:٢١، وصدره:

«يتقارضون إذا التقوا في موطنٍ»

(٢) الأحوص الأنصاري: هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم، من بني ضبيعة، شاعر هجاء، صافي الديباجة، كان مقدّمًا في النسيب في عصره (ت ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م). ترجمته في الأغاني ٤:٤٠، والشعر والشعراء ٢٠٤.

واحتجّ بقوله: [الطويل]

وهِنْدٌ أتى من دُونِها النّأيُ والبُعْدُ[١]

قال: ولا خلاف بين أهل اللغة أنه لا فَصْل بينهما.

٢ ـ ما تعتَرِيني من خُطوبِ مُلِمَّةٍ إلّا تُشَرِّفُني وتُعْظِمُ شانِي

أضاف الخطوب إلى مُلمّة لأنه أراد بها أوائلَ أمر عظيم، وجوانب شَرٍّ فظيع. وأصل الخَطْب الطَّلَب، يقال: خَطَبْتُ كذا فأخْطَبَني، كما تقول: طَلَبْتُه فأطْلَبَني، فكأنه أراد أوائل مُلِمةٍ وأسبابًا لها تَطْلُبُه. ويقال: هذا خَطْبُ أَمْرٍ عظيم، وهذا خطبُ أمرٍ يسير. فيقول: ما يَطْرُقُ ساحتي أسبابُ نازِلةٍ شديدةٍ إلّا عَظَّمَتْ شأني، ورفعَتْ قَدْرِي، لأنه يُعْرَفُ بلائي فيها، وحُسْن مَخْلَصي منها، فازددْتُ في عيون الناس وقلوبِهم.

٣ ـ فإذا تَزُولُ تَزُولُ عن مُتَخَمِّطٍ تُخْشَى بَوادِرُهُ لَدَى الأقْرانِ

المتخمِّطُ: المَتَغَضِّبُ لَهُ سَوْرَةٌ والتهابٌ، واستعير في آذِيّ البحر وأمواجِهِ إذا التجّتْ. قال: [الرمل]

خَمِطِ التَّيّارِ يَرْمِي بالقَلَعْ[٢]

يقول: إذا انكشفت تلك الخُطُوبُ والملمّات انكشفت عن رَجُلٍ متكبِّر يُخَاف فلتاتُهُ وَبَدَرَاتُه عند نُظَرَائِهِ في البأس والشِّدَّة. والمعنى: إنَّ الدَّواهيَ إذا نزَلت بساحتي لا تَلين لها عريكتي، ولا تُحصِّل عَلَيّ تَذَلُّلًا لم يكن من قَبْلُ لِي. وقولُه: «تُخْشَى بوادره» في موضع الصفة للمتخمِّطِ. ولم يَرْضَ حتّى يَجعل البوادِر مَخْشِيَّةً عند أشباهه، فكملت الصِّفة، وتمكّنت القافية.

٤ ـ إنّي إذا خَفِيَ الرِّجالُ وَجَدْتَنِي كالشَّمْسِ لا تَخْفَى بكلِّ مَكانِ

---

(١) البيت للحطيئة في ديوانه ص ٣٩، والدرر ٥: ٢٢١، واللسان (سند، ونأي)، وبلا نسبة في المفصل ١: ١٠، وهمع الهوامع ٢: ٨٨، وصدره:

«ألا حبّذا هند وأرض بها هند»

(٢) لسويد بن أبي كاهل في ديوانه ٣٥، ولسان العرب (خمط)، وشرح اختيارات المفضل ٩١٩، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٧: ٢٦١، وكتاب العين ٤: ٢٢٧. وصدره:

«ذو عُبابٍ زبدٍ آذيُّه»

إنّي إذا خَفِي مواقِعُهم من قلوب الرؤساء، ومواضعُهم من صدور المجالس فأنا بخلافهم. يصف اشتهارَه في الأماكن وجلالَته في النّفوس، فيقول: إذا غَشِيَ الرِّجَالَ خُمُولٌ ألفَيْتنِي في شُهرتي ونباهتي كالشّمس التي يَتّصل شُعاعها بكلّ مكان، ويُعْرَف شأنُها في كلّ نفسٍ وكلّ زمانٍ.

٥٥ ـ قال الفَضْلُ بن العَبَّاسِ بن عُتْبَةَ ابن أبي لَهَبٍ[١]: [البسيط]

١ ـ مَهْلًا بني عَمِّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لا تَنْبُشُوا بيننا ما كان مَدْفُونَا

المَهْلُ والمَهَل والمُهْلَةُ تتقارب في أداءِ معنى الرِّفق والسكون. ويقال: لا مَهْلَ لَكَ، وما لَكَ من مَهْلٍ. قال: [الطويل]

يقولون مَهْلًا يا جَمِيلُ وإنني لأُقْسِمُ مَا بي عَنْ بُثَيْنَةَ من مَهْلِ[٢]

يقول: رِفقًا يا بني عمّنا، رفقًا موالينا. وهذا التّكرار يريد به التأكيد. ويجوز أن يكون هذا الكلام تهكُّمًا، ويجوز أن يكون رآهم ابتدؤوا في أمرٍ لم يأمَنْ مَعَهُ من تفاقُم الشّأن، واستفحال الخطب، ما لا يَقْدِرُ على تلافيه، فاسترفَقَهم لذلك. وقولُه: «لا تَنْبُشوا بيننا» أي لا تُثِيرُوا ما كان مستورًا من الشّجرّ. وذِكر الدَّفن والنَّبش استعارةٌ في الإظهار والكتمان.

٢ ـ لا تَطْمَعُوا أن تُهِينُونَا وَنُكْرِمَكُمْ وأن نَكُفَّ الأذى عنكم وتُؤذُونَا

يقال: طَمِع فلانٌ في كذا طَمَعًا وَطَمَاعِيَةً وَمَطْمَعًا. وأوْصَل الفِعْلَ بنفسه من دون في، لأنَّ أَن الخفيفة والشديدة إذا اتّصل بها حروف الجرّ حَسُنَ حذفُها لطولِ الكلام بها. تقول: أنا راغبٌ في ألقاكَ، وطَامِعٌ في أن يُحْسِنَ زَيْدٌ إلَيْكَ، وحَرِيصٌ على أن أصِلَكَ. ولو قُلْتَ: أنا راغِبٌ أن ألقاكَ، وطامِعٌ في أن يُحسن زيدٌ إليك، وحريصٌ على أن أَصِلَكَ، ولو قلت: أنا راغب أن ألقاك، وطامع أن يحسن زيد إليك، وحريص أن أصلك لجاز. ولو جَعَلْتَ مكان أن المصدر فقلتَ: أنا راغِبٌ في لقائك،

---

(١) الفضل بن العباس بن عتبة: شاعر، من فصحاء بني هاشم، كان معاصرًا للفرزدق والأحوص. (ت ٩٥ هـ/ ٧١٤ م). ترجمته في نسب قريش ص ٩٠، وسمط اللآلي ٧٠١.

(٢) لجميل في ديوانه ١٧٣، والأغاني ١١٨:١، وأمالي القالي ٧٤:٢، وتزيين الأسواق ٦٥، وزهر الآداب ٥٥٦:١.

وطامِعٌ في إحسانِ زَيْدٍ إليك، وحَرِيصٌ على صِلَتِكَ، لم يجُز حذف حرف الجرّ. لا تقول: أنا راغب لقاءَك، وطامع إحسانَهُ إليك، وحريصٌ صلتَك؛ لأن ما كان يطول الكلام به لم يَحصُل. يقول: لا تُقَدِّروا أنكم إذا أهنتمونا قابلناكم، بالإكرام، وأنكم إذا آذيتمونا كففْنا عن أذاكم، لأنَّ عزّتنا تَمْنَعُ من ذلك.

٣ ـ مَهْلًا بَنِي عَمِّنَا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا سِيرُوا رُوَيْدًا كما كُنْتُم تَسِيرونا

هذا الكلام فيه تَهكُّم فيقول رِفْقًا يا بني عَمِّنَا عن ثَلْبِنَا، والوقوع فينا، وسيروا على هِينَةٍ ووقارٍ، وسكينةٍ وانخفاض، على عادتكم المتقدِّمة، وسنَّتِكم المعهودة، ودَعُوا ما استأنفتموه من الأخْلَاق المنكَرة، والسِّيَر الذميمة. والأَثْلَة: شجرةٌ تُجْعَلُ مَثلًا لِلعِرض، فيقال: فُلَانٌ يَنْحَتُ أَثْلة فلانٍ، إذا ذَمَّهُ وتَنَقَّصه. وقوله «سيروا رُوَيْدًا» أراد سِيرُ واسَيْرًا تُرْوِدُون فيه، أي تَرْفُقُونَ فيه وتَسْكُنُونْ. «كما كنتم تَسِيرُونا» أي ارجِعوا إلى مثل سيرتكم الأولى، وإلى طريقتكم المُثْلَى، واتركوا ما ابتدعتموه، فإنَّا لا نحتمله ولا نُصَابِرُكم عليه. وروى بعضهم بَدَلًا من المِصْرَاع الثاني:

مَهْلًا بني عَمِّنَا مَهْلًا موالينا

ويُحمل التكرار فيه على أنه تَوَعُّد وتأكيد.

٤ ـ اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا لا نُحِبُّكُمُ ولا نَلُومُكُمُ أَلَّا تُحِبُّونا

استَشْهَدَ بربّه في انتفاء الحبِّ عن قلوبهم، وذكر أنَّهم لا يلومونهم إذا لم يحبّوهم. كأن المعنى أنّ القلوبَ مَجْبُولَةٌ على حَبِّ المُحْسِنِ وبُغْض المُسيء، فإذا ارتفَعَ التّعامُل بالإحسان مما بينهم، وحَدَثَ التجاذُب بالإساءة فيهم، فالتَّحابُّ لا محالة ساقطٌ، والتباغُض حاصِل.

٥ ـ كُلٌّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللهِ نَقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا

يقول: كلٌ واحدٍ منا ومنكم من قبلُ وإلى الآنَ له نيّةٌ صادقة لصاحبه في العداوة والبغضاء، وعقيدةٌ خالصة في القطيعة والجفاء، فبحمد اللهِ ومَنّه وجزيل مِنَحِه قد استمرّ أمرُنا على أنّا نبغضكم وتبغضوننا. وقوله «بنعمة الله» هو كما جاء في القرآن: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القَلَم: الآية ٢]. وقوله «نقليكم وتقلونا» إشارةٌ إلى الحال. وحَذَفَ المفعول من الثاني لأنَّ في الكلام ما يدُلّ عليه. ويجوز أن يكون أراد

وتقلوننا فَحَذَفَ الثّانيةَ عن الإعراب، وهي لغة حجازية ومثله: [الرجز]

قَـدْ رُفِـعَ الـفَـخُ فَـمـاذا تَـحْـذَرِي[1]

يريد تحذرين، وعلى هذا قولُ الآخر: [الوافر]

إلَى مـن بـالـحَـنِـيـنِ تُـشَـوِّقِـيـنِـي

وهذا يؤيِّد مذهب سيبويه في تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب عند الضرورة.

٥٦ ـ وقال الطِّرِمّاحُ بن حَكِيم الطائيُّ[2]:

١ ـ لَقَـدْ زَادَنِـي حُـبًّـا لِنَـفْـسِـي أَنَّـنِـي بَغِـيـضٌ إلى كلِّ امرىءٍ غيرِ طَائِلِ

قوله «أنني بغيض» في موضع الفاعل، والمعنى: زادني بَغَاضتي إلى كلِّ رجلٍ لا فَضْلَ فيه ولا خَيْر عنده، حُبًّا لنفسي، لأنَّ التمايز بيني وبينه والتباينَ، هو الذي أدّاه إلى بُغضي، ولو كان بيننا تشاكلٌ وتقارب لَمَا نَبَا عَنِّي ولا أبغضَني. وهذا الكلام تعريضٌ بمنابذٍ له. وقوله «غير طائل» هو من طال عليهم يطول طَوْلًا. والطَّوْل: الفَضْل. وقال الخليل: يقال للشَّيء الدُّونِ الخسيس: هذا غير طائل، والمذكَّر والمؤنَّث فيه سواء. ويقال: زهدتُ فضلًا كما يقال: ازددتُ فضلًا وزادنيه كذا.

٢ ـ وأنّـي شَـقِـيٌّ بـالـلِّـئـامِ ولا تَـرَى شَـقِـيًّـا بـهـم إلّا كـريـمَ الـشـمـائِلِ

قولُه «وأني شقيٌّ» أصله أنّني، لكنّه حذَف النون الأولى من أَنّ تخفيفًا لأنّه اجتمع ثلاث نونات. وهو محمول في الإعراب على أنّني في البيت الأول ومعطوف عليه، فيقول: وزادني حُبًّا لنفسي أيضًا شِقْوَتي باللِّئام حتى تَنَقَّصوني واغتابوني، ثم قطع الإخبار وكأنّه أقبل على مُخاطَبٍ ملتفتًا إليه فقال: ولا تَرى أحدًا يشقَى بهم إلّا وهو كريم الطبائع، مجانِب لهم بعِرضه وأصلِه، وخُلُقِه وفعله. ويقال شَقِيتُ شِقْوَةً

---

(١) ينسب البيت لكليب وائل هكذا في اللسان (قبر):

يـا لـكِ مـن قـبَّـرةٍ بـمَـعْـمَـرِ خلا لك الجوّ فبيضي واحذري

ونسب في الحيوان ٣: ٦٦ لطرفة بن العبد وفي ديوانه ٤٦، واللسان (عمر).

(٢) الطرماح بن حكيم: شاعر إسلامي فحل، اعتقد مذهب الأزارقة، كان معاصرًا للكميت وصديقًا له. (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م). ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٧: ٥٢، والذريعة ١: ٣٣٨، والشعر والشعراء ٥٦٦.

وشَقَاوةٌ وشَقَاءٌ. والشمائل: الطَّبائع، واحدها شِمَالٌ. قال: [الطويل]

أَلُومُ وما لَوْمِي أخي من شِمَالِيَا(١)

ثم يقال: هو حسَن الشَّمائل، والمراد به الهَيْئة والشَّكل.

٣ ـ إِذَا ما رآني قَطَّعَ الطَّرْفَ بينه وبيني فِعْلَ العارف المتجاهِلِ

رجع إلى اقتصاص الحال بينه وبين من عَرَّض به فيقول: إذا أبصرني المُبَاغِضُ لي ارتدَّ طَرْفُه عنِّي، وقطَّع نَظَره إليَّ، فِعْلَ مَن يَعْرِف الشَّيءَ ويتكَلَّف جهلَهُ. وقوله «قَطَعَ الطرْفَ بينه»، الطَّرْفُ: مصدر طَرَفْتُه، إذا أبصرتَه. وعلى هذا قوله(٢): [الرمل]

تَحْسِبُ الطَّرْفَ عليها نَجْدَةً

وقد يراد بالطَّرف العين أيضًا فيكون اسمًا للجارحة والحَدَثِ جميعًا. وانتصب «فعلَ العارف» على المصدر مما دَلّ عليه قَطَّع الطَّرفَ بينه وبيني. والمتجاهِل: متكلِّف الجهل. وعلى هذا: تعامَى، وتعارَجَ، وتخازر. وفي طريقته لفظًا ومعنًى قولُ الآخر: [الطويل]

تَشَاوَسْ يزيدُ إنَّني مَن تأمَّلُ(٣)

٤ ـ مَلأْتُ عَلَيه الأرضَ حتَّى كأنها من الضِّيق في عَينيهِ كِفَّةُ حابِلِ(٤)

---

(١) البيت مع اختلاف بسيط وهو «قليلٌ وما لومي» لعبد يغوث بن وقاص الحارثي في الأغاني ١٦/ ٢٥٩، وخزانة الأدب ٢:١٩٧، وسرّ صناعة الإعراب ٢:٦١٢، وشرح اختيارات المفضل ٧٦٧، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ١٠٨، وصدره:
«ألم تعلما أن الملامةَ نفعها»

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ٥١، ولسان العرب (نجد)، وتهذيب اللغة ١٠:٦٦٨، وكتاب العين ٨:٤٦٠. وعجزه:
«يا لقومي للشباب المسبكرْ»

(٣) البيت باختلاف (رويدًا) بدل (يزيد)، لأوس بن حجر في ديوانه ص ٩٨، وبلا نسبة في الإنصاف ٢:٥٨٩، وخزانة الأدب ١٠:٢٢٤، ومجالس ثعلب ١٥٥. وصدره:
«يقلِّبُ عينيه كما لأخافَه»

(٤) يوجد عند التبريزي بعد هذا البيت ثلاثة أبيات أخرى:
«٥ ـ أكلُّ امرئٍ ألفى أباه مُقَصِّرًا مُعَادٍ لأهلِ المَكرماتِ الأوائلِ
٦ ـ إذا ذُكِرَتْ مَسعاةُ والدهِ اضطنى ولا يضطني من شتم أهله الفضائلِ
٧ ـ وما مُنعتْ دارٌ ولا عزَّ أهلُها من الناسِ إلا بالقَنا والقنابلِ
اضطنى: من الضنى، والقنابل: جماعات الخيل».

يقال: ملأتُ عليه الأرضَ، إذا ضيَّقتَها عليه. وملأت منه الأرض، إذا قُمت وقعدتَ بذكره. والحابل: ناصِبُ الحِبَالة. ويقال: حَبَلْت الصَّيْدَ واحتَبَلْتُهُ، إذا أخذته؛ وتوسّعوا فيه فقالوا: احْتَبَلَهُ الموتُ بحبائله. والكِفَّةُ، يجوز أن يريدَ به الحَفيرة التي ينصِبُ الحابِلُ فيها الحِبَالة، ويجوز أن يُريدَ بها قُتْرَتَهُ، ويجوز أن يريد بها عَين الحِبالةِ، لأنَّها تُجعل كالطَّوْق. وهذا أقرب لأنّ الخليل فسَّر الكِفَّةَ على ذلك. وجاز إضافتها إلى الحابل كما يجوز إضافَةُ نَفْسِ الحِبالةِ إليه، والمعنى: ضَيَّقْتُ عليه الأرضَ على اتِّساعِها، لشدّة بغضِه لي، أي حتَّى كأنّها بِرُحْبِها في عينيه كِفَّةُ حابِل إذا اجتمع فيها مَعِي. وهذا يشير به إلى تضادِّ الطبْعَيْن، وتبايُن الخُلُقَيْن، وأنّه لو أمكنَه لانتفى وجودُه في الأرض انتفاء الضدّ للضدّ، قلةَ موافَقةٍ وكثرة مُخَالفَة.

٥٧ ـ وقال بَعْضُ بني فَقْعَسٍ[(١)]: [الكامل]

١ ـ وذَوِي ضِبَـابٍ مُـظْـهِـرِيـنَ عَـدَاوَةً قَـرِحَـى الـقُـلوبِ مـعـاوِدِي الإفْـنَـادِ

يقول: رُبَّ قَومٍ ذَوِي أَحقادٍ وضغائن، مجاهِرين بعداوتي، مراجِعين حالًا بعد حالٍ قولَ الفُحْش فيَّ، مُتَقَرِّحِي الأفئدة لشدّة الحسد والبُغْضِ لي، فَعَلْتُ بهم كذا. وجواب رُبَّ فيما بعد. وذَكَر قَرَحَ القَلْبِ مَثَلًا في العَداوة، كما يُذكر مرضُه مثلًا في النِّفاق. على ذلك قول الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البَقَرة: الآية ١٠]. فأما ذكر الصَّعَر والشَّوَس فهو من هذا الباب، لكنّه تصوير حال المباغِض أو المتكبِّر في نظره، أو إقباله أو التفاته، وكذلك ما يشبُهه. وقوله «معاودي الإفناد» الإفناد بكسر الهمزة: مصدر أفنَدَ الرجل، إذا أتى بالفَنَد. وإذا رُوَي «الأَفناد» بفتح الهمزة فهو جمع الفَنَدِ، وهو الفُحشُ والخطأ في الرّأي. ويقال في اللَّوْم: فَنَّدْتُه، لأنّه يجمع تخطئة الرأي وذكْرَ القبيح. والضِّباب: جمع الضِّبّ، وهو الحِقْد. قال: [الرجز]

يـا رُبَّ ذِي ضِـغْـنٍ وضَـبٍّ فـارِضٍ[(٢)]

ويقال: فلان خَبٌّ ضَبٌّ، إذا كان مُنكرًا في المعاداة.

---

(١) قال التبريزي ١: ١٧٥: «قال أبو محمد الأعرابي: إنما هو لمرداس بن جشيش أخي بني سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة».

(٢) الرجز بلا نسبة في اللسان (بغض، وفرض) وتهذيب اللغة ١٢: ١٥، وأساس البلاغة (فرض) وديوان الأدب ١: ٣٥٣.

٢ ـ نَاسَيْتُهُمْ بَغْضَاءَهُمْ وتركْتُهُمْ وهُمُ إذا ذُكِرَ الصَّدِيقُ أَعَادِي

يقول: رُبَّ قَوْمٍ هكذا أنا نَسِيتُ بُغْضَهم لي حتَّى نَسُوا أيضًا ـ لأنَّ المُنَاساة تكون من اثنين فصاعِدًا ـ وتركتُهم وهم من جملة الأعداء، إذا مُيِّزَتْ بالذِّكر الأصدقاء. وقوله «الصديق» أراد به الجنس.

٣ ـ كَيْمَا أُعِدَّهُمْ لأَبْعَدَ مِنْهُمْ وَلَقَدْ يُجَاءُ إلى ذَوِي الأَحْقَادِ

يقول: لم أكاشِفْهُمْ، ولا أظهرتُ لهم عِلْمي بعداوتهم، بل استمررت في مداجاتهم ومساترتهم، وعركت بجَنْبِي ما بَدَرَ من هَفَوَاتهم، طَلَبًا لأنْ أُعِدَّهُمْ لمن هو أَبْعَدُ شأوًا في العداوة، أو أشدُّ تأَخُّرًا في الالتحام والقَرابة. ثم قال: ولقد يُضطَرُّ الإنسان إلى نُصْرَةِ بني الأعمام وإن كان مُنْطَوِين على ضغائن، فإذا قاتَلَ ببعضِهم بَعْضًا لاءَمَهُ ذلك ووافقه، وحصلت الدَّبْرة[1] على من حَصَلَ، إذْ كان فيه تفانيهم، واشتفاء الصُّدُور منهم. وهذا كما قيل لبعض حكماء العَرَب: ما تقولُ في ابن العم؟ قال: عدوُّك وعدوّ عدوك.

٥٨ ـ وَقالَ يَزِيدُ بن الحَكَمِ[2]: [الطويل]

١ ـ دَفَعْنَاكُمُ بالقَوْلِ حَتَّى بَطِرْتُمُ وبالرَّاحِ حَتَّى كانَ دَفْعُ الأَصَابِعِ

يقول: دَرَّجناكم في استبقائكم ورَتَّبْنا القول والفِعْل في استفاءتِكم وإصلاحكم، فوعَظناكم أوّلًا باللّسان وضرب الأمثال في الجِدال، حتى أبطَرَكم ذلك وزادَكم إغراءً، فارتقينا من القَول إلى الدَّفع بالرّاح، وتقبيحِ ما تأتونه بأحسن المَسّ، فلما لم يُغْنِ شيءٌ من ذلك عَدَلْنا منه إلى الدفع بالأصابع، وما بينَ هذه المنازلِ من التفاوُت في الخشونة واللِّيان معلومٌ عند ذوي الألباب. ومَرّ بي فيما قرأتُه من مجاوبات قُرَيْش، أن بعضهم قال لآخر منهم مستضعِفًا لما أوردَهُ عليه: هذا دَفْعٌ بالرّاح! فقال مجيبًا: كلّا إنّ معها الأصابع! وقوله «حتى كان دَفع الأصابع» انتصب دَفع على أنه خبر كان، واسمه مُضْمَر كأنه قال: حتى كان الدفعُ دفعَ الأصابع. ولك أن ترفعه على أن يكون اسمه، وتضمر الخبر، كأنه قال: حتى كان دفعُ الأصابع دَفْعَنا، أو على أن يكون كان بمعنى حَدَث ، فتكتفي بالفاعل، وهي التي تُسمّى كان التامّة.

---

(١) الدَّبرة: الظفر والنصرة.

(٢) التبريزي: «يزيد بن الحكم الكلابي».

٢ ـ فَلَمّا رَأَيْنَا جهلَكُمْ غَيرَ مُنْتَهٍ وما غَابَ مِنْ أَحْلاَمِكُمْ غير رَاجِعِ

يقول: ولمّا وجدناكم لا تَرعَوُون لمواعظكم ونُذُركم، ولا يعاودكم ما عَزَبَ من بصائركم وعقولكم، ولا يقف الجهلُ بكم على غايةٍ لا متجاوَزَ وراءها، ولا يُغنِي ما استفرغْنا فيه الوُسْع من رَدِّكم وزجرِكم، رَاجَعْنا أنفسَنا مُنْكرِين ومتعجِّبين، وأقبلنا نُباحِثُ عن أُصولِنا وفروعنا مُعتزِين، لنقفَ على ما وَطَّأَ لكم مراكِبَ العُقوق، وحسَّنَ في آرائكم تخطِّيَ موانعِ الحقوق، إلى نَكْث قُوَى العُهود.

٣ ـ مَسِسْنَا من الآباءِ شَيئًا وَكُلُّنَا إلَى حَسَبٍ في قَوْمِهِ غَيرِ واضِعِ

قوله: «مَسِسْنا» يجوز أن يكون بمعنى أَصَبْنا واختَبَرْنا، لأن المَسَّ باليد قد يُقصَدُ به الاختبار، ويجوز أن يكون بمعنى طلبْنا، وقد قال بعضُ الناس في قول الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقِعَة: الآية ٧٩]: إنَّ المعنى لا يطلبُه. قال: واللَّمس كالمسّ في أنه يوضع في معنى الطَّلَب. قال: وعلى هذا يُحمَل قولُ الله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ [الجن: الآية ٨]. فمِن الأوّل قولُهم: مَسَّهُ الكِبَرُ، وأفضى الرّجل إلى امرأته إفضاءَ مَسيسٍ. ومن الثاني مَسَاسُ الحاجة. فأما قولهم: به مَسٌّ من جُنون، فيصحُّ أن يكون من الأوّل ومن الثاني جميعًا. وهذا كما يُقالُ: به لَمَمٌ من جُنُونٍ، وأصلُه من اللَّمِّ وهو الجَمْع أو الإلمام. وقوله «وكلُّنا إلى حَسَبٍ» أي يَنتَمِي وننتمي. فـ«إلى» تعلَّق بهذا وما أشبَهه من المُضمَرات. وهذا كما يقال: أنا منك وإليك. وقولُه «كلُّنا» أي كلُّ واحدٍ منَّا، يعني أهلَ بيتهم. أَلَا تَرَى أنه قال «إلى حَسَبٍ في قومه». ومعنى البيت: لمّا اشتدَّ لَجَاجُهم وطال تمادِيهم، وصاروا لا يَنزلون عن مراكِبِ البَغْي، ولا يَرْجِعونَ عن الذَّهاب في طُرُق الفساد، نَظَرْنا: أيّ عِرْقٍ يقتضي مُنْكَرَ الخلاف معنا، وما الذي يوجِب التدابُرَ من الأنساب والأسباب بيننا، فلمَسْنا أطرافَ أُبوَّتنا، واستشفَفْنا جوانبها، ووجدنا كلًّا منّا ينتمي إلى حَسَبٍ يرفعُهُ ولا يضَعُه. ويقال: وضَعْتُه، إذا حَطَطْتَ منه. وَوضُع الرجُلُ، وهو وضيعٌ بيّن الضِّعة والضَّعَةِ. والتوضيعُ: التأنُّث والانكسار من هذا. ويقال: دابَّةٌ حَسَنَةُ الموضوع، وضِدُّه المرفوع. وبَعيرٌ عارِفُ المُوضَعِ، أي ذَلُولٌ عند الرُّكوب.

٤ ـ فَلَما بَلَغْنَا الأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمُ بَنِي عمِّكُمْ كانوا كِرَامَ المَضَاجِعِ[1]

---

(١) ورد عند التبريزي بعد هذا البيت بيتان هما:

٥ ـ بني عمِّنا لا تشتمونا ودافعوا على حسبٍ ما فاتَ قِيدَ الأكارِعِ =

جَعَل المضاجِعَ كنايةً عن الأزواج. وهذا كما يُكْنى عنهنّ بالمفارش. قال: [الكامل]

سُجَراءُ نَفْسي غير جمعِ أُشَابَةٍ حُشُدٍ ولا هُلُكِ المفارِشِ عُزَّلِ

يعني أنّ أُمهاتِهم عفائف. فيقول: لما تقصَّينا بالبحث والكشف أنسابَ آبائنا، وعلائق وُصَلِها فلم نجد فيها مَغْمَزًا، ولا إلى ما ذَمِمنا من أخلاقِكم منها داعيًا، عَدَلْنا إلى النظر في أنساب أُمهاتنا، والتوصُّل إلى مكنون وشائجها، ومجهول مواصلها، فألقيتم أبناءَ عمِّكم كانوا كرامَ الفُرُش. وهذا من أحسن المعاريض، لأن المراد: كانت أُمهاتُنا أشرفَ من أمهاتكم، فعلمنا أن ما خالفتمونا فيه، وصرتم على حَرْفِ مباينةٍ لنا من أجْلِه، شيءٌ يرجع إليهنّ. وإنما قال «وجدتم» ليكون كالتقرير لهم، ويصيرَ ما ادُّعيَ من الفَضْل عليهم باتّفاقٍ منهم. وذكر بعضُهم أنه كان يجب أن يقول: وجدتمونا، فوضع بني عمكم مكان «نا»، وهو أخصُّ من بني عمكم، بدلالة أن ما يكون للنفس أخصُّ مما يكون للغائب، وإذا كان كذلك فقد وضع الأدْوَنَ موضعَ الأخص. وليس الأمر على ما قال، لأن الرَّجُلَ إنما يريد ببني عمّكم الآباءَ، وقد قدَّمَ ذكرَهم في قوله «مسِسْنا من الآباء» ألا ترى أنه قال: كانوا كِرامَ المضاجع. وإذا كان الأمرُ على هذا، كان الواجب عليه أن يقول: وجدتم آباءنا كانوا، لا وجدتمونا.

٥٩ ـ وقال جَابِرُ بن رَالَان(١) [الطويل]

١ ـ لَعَمْرُكَ مَا أَخْزَى إذا ما نَسَبْتَنِي إذَا لَم تَقُلْ بُطْلًا عَلَيَّ ومَيْنَا

لعَمْرُكَ مبتدأ، وخَبَره محذوف، فكأنه قال لعَمْرُكَ ما أقسِمُ به، ولا يُستعمل في اليمين إلا بفتح العين، وإن كان ضمُّها لغةً فيه. و«أخْزَى» يجوز أن يكون من الخِزْي: الهَوَانِ، ويجوز أن يكون من الخَزَاية: الاستحياء. والبُطْل يُراد به الباطِلُ. والمَيْنُ: الكَذِبُ، وقَدْ مَانَ، وهو مَائِنٌ ومَيُونٌ. والمعنى: وبقائِك ما أستحيي أو ما أهُونُ ولا أذِلُّ متى ما ذَكَرتَ أسلافي وآبائي ولم تقلْ باطلًا، ولم تَدَّعِ عليّ زُورًا. وقوله «إذا ما نسبْتَنِي» ظَرْفٌ لقوله ما أخْزَى. و«إذا لم تَقُل» يجوز أن يكون بدلًا منه. ولولا أنه كرّر «إذا» لكان الكلام ما أخْزَى إذا ما نسبتني ولم تقُلْ بُطْلًا ومَيْنًا. ولا

= ٦ ـ وكنّا بني عَمٍّ نزا الجهل بيننا فكلٌّ يُوَفَّى حقَّه غيرَ وادعِ
والأكارع: جمع الكراع: مستدقّ الساق من الفرس وغيره.

(١) عند التبريزي: «جابر بن رالان السنبسيّ».

يجوز أن يكون العاملُ في إذا «ما نسبتَني» لأن ذا قد أُضيف إليه وبُيِّن به، والمضاف إليه لا يُعمل في المضاف. ويجوز أن يكون إذا الأولى بما اتَّصل به وما عمِلَ فيه الجملةُ في جواب إذا الثانية، كأنّه قال: إذا لم تَقُلْ بُطْلًا فلعَمْرُكَ ما أخْزَى إذا ما نَسَبْتَنِي. وانتصب «بُطْلًا» على أنّه مفعول لم تقل، لأن القول يُحكى بعده الجُمل فيعمل في مواضعها لا في لفظها، ويقع المُفردُ بعده ـ إذا كان معنى الجملة ـ منصوبًا به.

٣ ـ ولكنما يَخزَى امرُؤٌ يَكْلِمُ اُسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إذا الرِّماحُ هَوَيْنا[١]

هذا تعريض بالمخاطَبِ، يقول: أنا لا أُخْزَى إذا ذُكِرَ مَسْعَاةُ آبائي على حَدِّهَا وحَقِّهَا، إنّما يَخْزَى لذلك رَجلٌ هذا صفته ونَعْتُه، وهو أنّه يَجرح اُستَه، لكونه موليًا ومنهزمًا، رماحُ قومه إذا شُرِعَتْ للطَّعْن. وإنما قال «قَنَا قَوْمِهِ» لأنه أشار في تعريضه إلى حالةِ اتَّفقت للمُخاطَب مع أبناء عمِّه، وكلُّ جرحٍ صَغُر أو كَبُر فهو كلْم.

٣ ـ فإن تُبْغِضُونَا بِغْضَةً في صدورِكم فإنّا جَدَعْنَا مِنْكُمُ وَشَرَيْنَا

قوله: «في صدوركم» بما تَعلّق به في موضِع الصفة للبِغْضَةِ. والمعنى: إن انْطَوَتْ صدورُكُم لنا على بِغْضَةٍ راسخةٍ فيها، متمكّنةٍ منها فغيرُ مستنكَرٍ عندنا ولا مُسْتَطْرَفٍ من أحوالنا، لأنَّ ما ارتكبْناه فيكم من جَذْعِ الأنوف وبيع النُّفوس بإذلالنا إيَّاكُم، وبما أخذناه في فدائكم، يوجب البغضاء، ويقتَضِي الشَّنآن.

٤ ـ ونَحنُ غَلَبْنَا بالجبال وعِزِّها ونَحنُ وَرِثْنَا غَيْثًا وبُدَيْنَا

يعني بالجبال أجَأً وسَلْمَى وهضابَهما، ولذلك جمع. وقوله «وعِزّها» أراد وعزّ أربابها وسكّانها. ويجوز أن يريد العزّ الذي يحصل لهم عند التحصُّن بها. وطَيِّئ أبدًا تفتخر بذلك، لأنّهم إذا اعتصموا بها لم تتوصَّل الأعداء إليهم فيها. وغَيْثٌ وبُدَيْنٌ: قبيلتان[٢]. يريد: وَرِثْنَا أحسابَهم ومفاخِرَهم. وغيّث: فيْعِلٌ من الغَوْثِ، وفي بُطون طيّئٍ بطنٌ يقال لهم الغَوْث، ومنهم أبو زُبَيْدٍ الطائيّ.

٥ ـ وأيُّ ثَنَايَا المَجْدِ لَمْ نَطَّلِع لَهَا وأنتُم غِضَابٌ تَحْرُقُونَ عَلَيْنَا

---

(١) عند التبريزي: «تَكْلِمُ».
(٢) عند التبريزي: «وغيّث وبدين: أسماء رجلين من طيّء والغيث».

الاستفهام هنا يجري مَجرَى النَّفي، كأنه قال: ما ثَنِيّةٌ من ثنايا المجد إلّا طَلَعْنا لها. والثنيّة: فعيلة من ثَنَيْتُ، أي عَطَفْتُ وصَرَفْتُ، وكما اسْتُعْمِلَتْ في الجبال استُعْمِلتْ في الأمورِ والخُطّات. قال: [الكامل]

وثَـنِـيَّـةٍ مـن أَمْـرِ قـوْمٍ وَعْـرَةٍ فَرَجَتْ يَداي فكان فيها المَطْلَعُ

فلذلك ذكرها هنا مثلًا، والمعنى: إنَّ مَطَالِعَ الشَّرف على توعُّرِها أو تَسَهُّلِها ارتقَيْنَا إليها، وأنتم تتهدَّدوننا في غضبِكم، والحَرْق: حَرْقُ أحَد النابين بالآخر. وقد حَرَقَ نابه يحرِقُ ويَحْرُقُ، حَرْقًا وحُرُوقًا، من الغَيْظِ. وذكر الخليل: حَرِيق النّاب كصريف الناب. و«فلان يَحْرُقُ عَلَيَّ الأُرَّم» ويُروَى «الأَزَّم». والأَرْم: الأكل، والأَزْم: العضّ، وهما جميعًا بالأسنان، والمعنى يَحْرُق عَلَيّ أسنانَه. والمتوعِّدُ يفعل ذلك يُظهِر به شدّةَ الغيظ. واكتفى بقوله «يحرُقون» عن ذكر المفعول، لأنَّ المراد مفهوم. ويقال: اطّلَع عليه وله، إذا أشْرَفَ. والمعنى: إنَّا رددنا على حَسَدِكم لنا، وتغيُّظكم فينا، قوّة وشرفًا، وعِزةً وكَرمًا، حتّى لم تُبَقّ غايةٌ من المَجْدِ إلّا ارتقينا إليها وعَلَوْناها.

٦٠ ـ وقال سَبْرَةُ بنُ عَمْرٍو الفَقْعِسي: [الطويل]

وعيّره ضَمْرةَ بن ضمرةَ النَّهشليُّ كثرةَ إبله.

١ ـ أَتَنْسى دِفَاعِي عَنْكَ إذْ أَنْتَ مُسْلَمٌ وَقَـدْ سَـالَ مـن ذُلٍّ عَـلَيْـكَ قُـرَاقِـرُ

لفظُه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى الإنكار. أي لِمَ تَنْسَى مُدافَعتي عنك حين كنتَ مخذولًا لا ناصِرَ معك، وقد امتدَّ سيل الذلّ نحوك فسال عليك. فإذْ ظَرْفٌ لِدفاعي. وقُراقِر: اسمُ وادٍ، ويكون ذكره مثلًا. ومن كلامهم: «سال عليه الذُّلُّ، كما يسيل السَّيل». ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقَه من الذلّ من ناحية قراقِر، فلذلك خصَّهُ. وقولُه «إذ أنتَ مُسْلَمٌ» يقال: أسْلَمْتُه وسَلَّمْتُه، إذا خَلَّيْتَ بينَه وبين مَن يريد النِّكاية فيه. وأسلَمْتُ الصبيَّ في حِرْفةٍ، إذا أَرْسَلتَهُ فيها. وقوله «وقد سال» في موضع الحال، أي أُسلمْتَ وحال ذلك.

٢ ـ ونِسْوَتُكُمْ في الرَّوْعِ بادٍ وجُوهُـهَا يُـخَـلْنَ إمَـاءً والإمَـاءُ حَـرَائِرُ

قولُه: «ونسوتكم» مع خبَره جملةٌ انعطفت على قوله «وقد سال من ذُلّ» وهذا وصفُ الحال التي مُنِيَ بها حين نَصَرَه مخاطِبُه. والمراد: ونساؤكم تَشَبَّهن بالإماء،

مخافةَ السِّبَاء، حتى تَبرَّجْنَ وبرزْن مكشوفاتٍ ناسياتٍ للحياء وإن كنّ حرائر. وإنما قال هذا لأنهم كانوا يَقْصِدون بسَبْي من يَسْبُون من النساء إلحاقَ العار، لا اغتنامَ الفداءِ والمال، ولما كان الأمرُ على هذا فالْحُرّة كانت في مثل ذلك الوقتِ تتشبَّه بالأَمَةِ، لكي يُزْهَدُ في سَبْيِها. ومعنى و«الإماء حرائر»: واللائي يُحْسَبْن إماءً حَرائرُ. ولو قال يُخَلْن إماءً وهنّ حرائر لكان مأخذُ الكلام أقربَ، لكنّه عدل إلى «والإماء حرائر»، ليكون الذِّكر به أفخم، والاقتصاص أشنع وأعظم. وقال «بادٍ وجوهها» لتقدُّم الفعل، وأنّ تأنيث الوجوه غير حقيقي، ولو قال باديَةٌ وجوهُها لجاز. وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الكامل]

وَخِمارِ غانيةٍ عَقَدْتُ برأسها ... أُصُلًا وكان مُنَشَّرًا بشمالها

٣ ـ أَعَيَّرْتَنا ألبانَها ولُحومَها ... وذلكَ عارٌ يابنَ رَيْطَةَ ظاهِرُ

يريدُ على وجه الإنكار والتقريع: لِمَ عيَّرتَنا ألبانَ الإبل ولحومَها واقتناءُ الإبلِ مُباحٌ لا محظورٌ في القديم والحديث، والانتفاعُ بلُحمانها وألبانها مُسَوَّغٌ غير مردودٍ في الدِّين والعقل، وتفريقُها في المحتاجين إليها إحسانٌ ومعروف يَجلُبان الحمْدَ والشكر، وذلك عار ظاهرٌ، أي زائلٌ. قال أبو ذؤيب: [الطويل]

وعَيَّرَها الواشُون أنّي أُحِبُّها ... وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها

ومن هذا قولُك: ظَهَر فوق السَّطح، وقولك: جعلتُهُ منّي بظَهْرٍ، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: الآية ٩٢]. ويجوز أن يريد بالظاهر أنّ الحال في ذلك ليس بعارٍ ظاهرةٌ غيرُ مُلبِسَةٍ ولا خافيةٍ. ويقالُ عيَّرْتُه كذا وهو الأفصَحُ، وعيَّرتُه بكذا. قال[1] عديٌّ: [الخفيف]

أيُّها الشَّامِتُ المعيِّرُ بالدَّهـ ... ـرِ [أأنتَ المُبَرَّأُ المَوْفُور]

والواو من قوله «وذلك عارٌ» واو الحال، أي: أتعيِّرُنا والحال ذلك.

٤ ـ نُحَابِي بها أَكْفَاءَنا ونُهِينُها ... ونَشْرَبُ في أَثْمانِها ونُقامِرُ

بيَّن وجوه تصرُّفهم فيما عَيَّرَهم به، فقال: نجعلها حِباءً لنظرائنا فتهادى بها، ونُسهِّلَ تمكن العُفاةِ والزُّوَّار منها، بابتذالها وإهانتها ـ وحذَفَ ذِكْر مَن أُهِينَتْ له لأن

---

(١) البيت في الأغاني ٢: ٣٤ (ساسي).

المراد مفهوم ـ ونبيعها فنصرفُ أثمانَها إلى الخمر والإنفاق، ونَضرِب بالقِداح عليها في المَيسِر عند اشتداد الزَّمان، فنفرِّقُها في الضُّعفاء والمحتاجين إليها. وفي تَعْدادِ هذه الوجوهِ إبطالٌ لكلِّ ما أُوهِمَ أو ادُّعِيَ يَلْحَقُ من العار في اقتنائها وادِّخارها، ورَوَى بعضهم: «نُحَايِي بها أكفاءَنا» على أن يكون نُفاعِلُ من الحياةِ، أي نعايِشُهم بها ونجامل؛ وليس بشيءٍ، فلا تُعَرِّجْ عليه.

٦١ ـ وقال آخر من بني فَقْعَسٍ[١]: [الوافر]

١ ـ أيَبْغِي آلُ شَدَّادٍ عَلَيْنَا ... وما يُرْغِيَ لِشَدَّادٍ فَصِيلُ

مخرجُ هذا الكلامِ مخرجُ الكلام المتقدّم، في أنه إنكار وتقريعٌ، وفيه إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من التَّبخيل، وهو: [الوافر]

فَلَا واللهِ ما لَبَنِي بِرَبٌّ ... ولا لَحْمِي عَلَيَّ ولا سِلَائي[٢]

أي ما لَهُم يَبْغُون علينا وحالُهم في أنفسهم ما هو نهايةُ البخلِ والشُّوم، والدِّقَّةِ واللوم، حتى لا يُحْمَلَ فَصِيلٌ لهم على إرْغاءٍ بأن يُفْصَلَ بينه وبين أُمِّه بنَحْرٍ أو هِبَةٍ، ضَنًّا به، وإشفاقًا عليه. أي إنهم لا يَسُوغ لهم البَغْيُ مع هذه الحال. ويجوز أن يكون قوله «وما يُرْغَى لشدّاد فصِيلٌ» يراد به ما لهم فصيلٌ فيُرْغَى، كما قال الآخر: [السريع]

ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ[٣]

والمعنى: لا ضَبَّ بها فينجحر. يَرميهم بالفَقر والفاقة، وضَعف المُنَّة، وقصور الاستطاعة. ويقال: أَرْغَى فلانٌ فصيلَه، وإذا حَمَلَه على الرُّغاء، وأرْغَى فُلَانٌ فُلانًا وأَثْغَى، إذا أعطاه إبلًا وغنمًا. ورَوَى بعضهم: «وما يُرْغِي» بكسر الغين، أي لا يُعمل بالفصيل ما يَحْمل أُمَّه على الرُّغاءِ له. وليس بشيءٍ.

٢ ـ فإنْ تَغْمِزْ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا ... غِلَاظًا في أنامِلِ مَنْ يَصُولُ

هذا تعريضٌ وإيعادٌ، فيقول: إنْ رُزْتمونا وجدتمونا غُلاظًا على مَن يصولُ علينا،

---

(١) قال التبريزي: «قال أبو هلال: هو لعمرو بن مسعود بن عبد مرارة».
(٢) البيت للنمر بن تولب في ديوانه ص ٣٢٩، وجمهرة اللغة ص ١٠٩٩.
(٣) البيت لابن أحمر في ديوانه ٦٧، وأمالي المرتضى ١:٢٢٩، وخزانة الأدب ١٠:١٩٢، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١١:٣١٣، والخصائص ٣:١٦٥، وصدره:
«لا تُفزِع الأرنبَ أهوالُها»

جُفَاةً عند من يَسُومُنَا مكروهًا. والمعنى: لا نُسْتَلان عند الامتحان. وجَعَل الغَمْز غَمْزَ المفاصل كنايةً عن الاختبار. وحُكِي عن بعضهم: «لا أُغْمَزُ كتَغماز التِّين»[1]، ولذلك صَلَح أن يقولَ اسْتَغْلَظْتَنَا في أنامِلِهِمْ. وخَصَّ الأنامل لأنَّ الانفتال عن الشيء والإقبال عليه بسلامتها من الآفات يَقْوَى.

٦٢ ـ وقال جَزْءُ بن كُلَيْبِ الفَقْعَسِيُّ:[2] [الطويل]

١ ـ تَبَغَّى ابنُ كُوزٍ والسَّفَاهَةُ كاسْمِها ... لِيَسْتَادَ مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لَيَالِيَا

قوله: «والسَّفاهةُ كاسمها» اعتراضٌ دخل بين تَبَغَّى ومفعولِه. والأصل في السَّفَه: الخِفَّة. ويقال: زِمامُ سفيه، لاضطرابه، كما يقال زمام عَيَّارٌ. فيقول: تَطَلَّبَ هذا الرَّجُل ما تطلّبه سفهًا، وفعلُ السفاهةِ قبيحٌ كما أنّ اسمَها قبيح. وإنّما قال هذا لأنّ السّفه كما تُنكِر العقولُ والقلوبُ ذاتَهُ وفعلَه، كذلك تَمُجُّ الآذانُ والصُّدورُ اسمَه. فإن قيل ما اسمُ السَّفاهةِ حتى قال: والسّفاهةُ كاسمها؟ قلتَ: قولُه والسفاهة، أراد ما يُسمَّى سفاهة، أي المسمى بهذا الاسم، كما أنَّ الاسمَ الذي هو السَّفَه قبيح. إلا أنّه لمّا لم يجِدْ إلى العبارة عن الذّات طريقًا إلا باسمه قال: والسفاهة. ويجوز أن يكونَ أراد بتَبَغَّى: أدخَلَ نفسَه في البَغْي، حين عَدَا طَوْرَه، وَسامَنَا مواصلتَه، كما يقال تشجَّع وتمرَّأ. وقوله «ليستاد مِنّا أنْ شَتونا لياليا» أتى بالفعل واللام، لأنَّ تبغَّى مثل أراد. فكما قال الله عز وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصَّف: الآية ٨]، وقال الشاعر: [الطويل]

أرادتْ لِتَنْتَاشَ الرِّواقَ فلم تَقُمْ

والمعنى يريدون إطفاء نور الله، وأرادت انتياشَ الرِّواق ـ كذلك قال هذا: تبغّى ليَسْتَاد، والمعنى تَبَغَّى الاستيادَ منا ومُراد الشاعر تطلُّبَ النِّكاحَ في سادتنا من أجل أنّا دخَلْنا في الشِّتاء. والمعنى: من أجل أنَّا افتقَرْنا واشتدَّ الزمان علينا فأثَّرَ فينا. قوله «أن شَتَوْنا» موضعُه نَصْبٌ، أصلُه لأَنْ شَتَونا، فلمَّا حُذِف الحرف الجارُّ وَصَل الفعلُ فعَمِل. ومعنى شَتَونا: قَحِطْنَا وأَقَمْنَا في القَحْطِ، كما تقول شَتَونا بمكانِ كذا. ويقال: اشْتَيْنَا، إذا أُرِيد دَخلْنا في الشتاء.

---

(١) هذه فقرة من خطبة للحجاج قالها في مسجد الكوفة. انظر البيان ٢:٣٠٩.

(٢) قال التبريزي: «قال أبو محمد الأعرابي: هو جرير بن كليب لا جزء».

٢ ـ فما أكبَرُ الأشياءِ عندي حَزَازَةً بِأَنْ أُبتَ مَزْرِيًا عليك وزَارِيَا

انتصب «حزازةً» على التمييز، فيقول: ليس انصرافُك عنّا عَائبًا علينا حين لم نُسْعِفْك بمُرادِك، ولم نُجِبْك لمّا خَطَبتَ من خَطبتَ إلى ملتَمَسِك، ومَعِيبًا عندنا حين عَدَوْتَ طَورك فتجاوزْتَ مستحَقَّك وقَدْرَك، بشيءٍ يكْبَرُ عندي تقطيعه في الصَّدر، وتأثيره في النّفس، أي إرغامُك وإسخاطك يَهون علينا. والباء الذي في قوله «بأَنْ أُبتَ» هو الباء الذي في قولك ما زيدٌ بمنطلقٍ. ويقال: زَريْتُ عليه فِعْلَهُ، إذا عِبْتَ عليه فِعلَه؛ وأزْرَيْتُ به، إذا وضَعْتَ منه وقَصَّرْتَ به. وقوله «وزاريا» أي وزاريًا علينا، فحذف لأنَّ المراد مفهوم.

٣ ـ وإنّا عَلَى عَضّ الزّمانِ الذي تَرَى نُعَالِجُ من كُرْهِ المَخَازِي الدَّوَاهِيَا

يقول: إنّا نقاسي هَرَبًا من المكروه الشدائد، ونصبر تفاديًا منها على العظائم. هذا ـ ما تَرَى من نكاية الحَدَثان، وسوءِ تأثير الزّمان، وقَصدِه إيّانا بالمكاره والبلاء، والمَفاقر والضَّرّاء. وهذا تنبيهٌ على أنَّ محافظتَهم على الشّرف يمنعُهم من مناكحة مَن ليس بكُفْءٍ لهم، وأنَّ مُسَاعَفَتُهم إيَّاه بما طلبَه مُخزِيةٌ عندهم. وقوله «على عضّ الزمان» موضعه موضع الحال والمعنى: إنّا منكوبين وفقراء نفعل ذلك حَذَرًا من العار.

٤ ـ فَلَا تَطْلُبَنْها يابنَ كُوزٍ فإنّه غَذَا النّاسُ مُذ قَامَ النبيُّ الجَوارِيَا

يقول: لا تُطلبِ التزوُّجَ بالمرأة التي خطبْتَها يابن كوز، فلك في سائر النّساء مندوحةٌ، سِيَّمَا ومنذ بَعَثَ الله عزَّ وجل النبي عليه السلام، وقام بأداء الرسالة عنه، رَبَّى الناسُ البناتِ وتركوا وَأْدَهُنْ فكثُرْن. ويقال: غَذَاهُ يغذوه غَذْوًا، وتغذّى بكذا. والغِذاءُ: الطَّعام والشَّراب.

٥ ـ وإنَّ التي حُدِّثْتَها في أُنُوفِنا وأَعْنَاقِنا من الإباء كما هِيَا

يقول: وإنّ النخوة التي أُبلِغْتَها، والحميَّة التي حُدِّثْتَها، باقيةٌ في أُنوفنا حتى لا نشَمَّ بها مَرْغَمَةً، وفي أعناقنا ورؤوسنا حتى لا نَلْوِيهَا إلى مُخْزِيَةٍ ومَنْقَصَةٍ هي حاصلةٌ فيها كما أُبلِغتَ؛ فالامتناعُ مِن مِثْل ما سُمْتَ معروفٌ منّا، ومأخوذ به في عاداتنا، فلا نستَطرِفُه. وقوله «في أنوفنا» في موضع المفعول الثالث لحدِّثْتَها. وقوله «كما هيا» في موضع خبر إنّ، وما زائدة. أراد كَهِيَ، أي هي باقيةٌ بحالها، مستمرّةٌ على طريقها. ويجوز أن يكون هي مبتدأ، وكما في موضع الخبر. ويقولون: كما أنا كما أنت، أي

تشابَهْنا، ويكون ما نَكِرَةً غير موصوفة. ويجوز أن يكون حذَف صفَتَه كأنه قال: كما حُدِّثْتَه أي كشيءٍ حُدِّثْتَه. وإنما خَصّ «في أنوفِنا وأعناقنا» بالذِّكر لأنه يقال في الكِبْر والصُّعوبة: في أنفِ فلانٍ خُنْزُوَانةٌ، وزَمَّ فُلانٌ بأنْفِه، وأنفُه أنفُ الليث، وهو أَحْمَى أنفًا من أن يَقبَل كذا. ويقولون: في خدِّه صَعَرٌ، وفي عنقِهِ صَوَرٌ وصَيَد، وفي ناظره شَوَسٌ وَصَادٌ. قال يصف سُيوفًا: [الطويل]

يُدَاوَى بها الصادُ الذي في النَّوَاظِرِ(١)

٦٣ ـ وقال زِيادَةُ الحَارِثِيُّ(٢): [الطويل]

١ ـ لَمْ أَرَ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيرَ قَوْمِهِمْ أَقَلَّ بِهِ مِنَّا على قَوْمِنَا فَخْرَا(٣)

ينتصب قولُه «خير قومِهِمْ» على أنه بدلٌ من قوله «قوْمًا». ويجوز أن يكون صفة. و«أقلّ» ينتصب على أنه مفعول ثان، و«فُخْرًا» ينتصب على التمييز. وقوله «به» الضمير منه يرجع إلى ما ذكره ودلَّ عليه من قوله «خير قومِهِم» يريد أقل بكونهم خيرِّين. ومثله قول(٤) القائل: [الوافر]

إذا زُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إليه

أي إلى السَّفه. وتقدير البيت: لم أرَ خيرَ قومٍ مثلَنا أقَلَّ بذاكَ فَخْرًا منَّا على قومنا. والمعنى: إنّا لا نبغي على قومنا، ولا نتكبَّر عليهم، بل نَعُدّهم أمثالَنا ونظراءَنا، فنباسِطُهم ونوازِنُهم قوْلًا بقوْلٍ، وفعْلًا بفِعْلٍ.

٢ ـ وما تَزْدَهِينَا الكِبْرِيَاءُ عَلَيهِمُ إذا كَلَّمُونا أن نُكَلِّمَهُمْ نَزْرا(٥)

---

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٣٢، واللسان (سنن)، وأساس البلاغة (كبر). وصدره:
«وبيضٌ كستهنّ الأسنة هبوة»

(٢) زيادة الحارثي: زيادة بن زيد من سعد هذيم بن ليث، شاعر إسلامي، كان بينه وبين هدبة بن الخشرم مهاجاة ومناقضة. الأغاني (٢١:١٦٩).

(٣) عند التبريزي: «على قومهم».

(٤) البيت بلا نسبة في الخزانة ٣:٣٨٣، وأمالي ابن الشجري ١:٦٨، و٢:٣٠٥. وعجزه:
«وخالف والسفيه إلى خلاف»

(٥) روى التبريزي بعد هذا البيت بيتًا آخر:
«٣ ـ ونحن بنو ماء السماء فلا نرى لأنفسنا من دون مملكة قصرا
القصر: الغاية، وماء السماء: امرأة كانت في حسنها وصفاء بشرتها مثل ماء السماء فسمّيت به، وماء السماء الملك سمّي بذلك لأنه كان للناس بمنزلة المطر في جوده».

ينتصب قولُه «نَزْرًا» على أنه صفةٌ لمصدر محذوف، كأنه قال: نكلِّمهم كلامًا نَزْرًا. والمعنى: لا يستخفُّنا التكبُّر إلى أن نَتَعَلّى عليهم، ونقلِّل الكلامَ معهم تَرَفُّعًا عن مساواتهم، بل نباسِطُهم ونكاثرهم في القوْل والسؤال، إيناسًا لهم وتسكينًا منهم. ويقال: زهاه وازدهاه بمعنًى. والأصل في ازدهى: ازتهى، لأنه افتعل من الزَّهو، لكنه أبدل من التاء دالًا تقريبًا للحرف من الزاي. وقوله «أن نكلِّمهم» أراد لأن نكلِّمهم، فحذف حرفَ الجر. و«أن» يُفعلُ به ذلك كثيرًا.

٦٤ ـ وقال ابنُهُ مِسْوَرٌ:

حين عَرَض عليه سعيد بن العاصِ سبْعَ دِياتٍ بأبيه فأبى. ويقال: هي لَعمِّه: [الطويل]

١ ـ أَبَعْدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِينَةِ رَمْسٍ ذي تُرابٍ وجَنْدَلِ

ألف الاستفهام دخل هٰهنا على معنى الإنكار، وتناول الفعلَ الذي في صدر البيت الثاني، لأنّ ألف الاستفهام يطلُبُ الأفعال. والمعنى: أُذكِّرُ بالإبقاءِ بعد المدفون بنَعْفِ هذا الجبل ـ وهو ما استقبلك منه ـ المَرْهُونِ في قبر ذي تُرابٍ وحجارة. والنَّعْفُ، اشتُقَّ منه انْتَعَفَ له، أي تعرَّض. والمناعَفَةُ: المعارضَةُ من رجلين في طريقين يريد كلُّ واحدٍ سبْق الآخر. وقيل النَّعْفُ: المكان المرتفع في اعتراض. وقوله «رهينة» جعله اسمًا فلهذا أَلْحَقَ الهاء بها. والرمْس: القبر. ويقال رَهَنْتُه رَهْنًا بمعنى رَهَنْتُ عنده، وأصلُه من اللزوم والدوام ويقال هذا لك رَاهِنٌ. والأصل في الرَّمْسِ: التغطية، يقال: رَمَسْتُه بالتراب؛ ومنه الرياح الرّوامِس.

٢ ـ أُذَكَّرُ بالبُقْيا على مَنْ أَصابَنِي وبُقْيايَ أنّي جاهِدٌ غيرُ مُؤْتَلِ

يقول: أَأُسامُ الإبقاءَ على من وتَرَني؟ إبقائي عليه أنّي أجتهد في قَتلِه، ولا أقصِّر. والإبقاء لا يكون الْجَهْدَ، ولكنّ المعنى: يكون هذا منّي عِوَضًا من ذاك. ومثله قول الآخر: [الوافر]

تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[1]

---

(١) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ص ١٤٩، وخزانة الأدب ٩:٢٥٢، ونوادر أبي زيد ١٥٠، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١:٣٤٥. وصدره:

«وخيلٍ دلفت لها بخيلٍ»

والبُقْيَا: اسمٌ على فُعْلَى، مبنيّ من الإبقاء وفي معناه، والواو منه واو الحال، ولو لم يأت به لكان الكلام على الاستئناف والانقطاعِ مما قبله. ويقال: لا آلُوفي كذا ولا آتلِي، أي لا أقصِّر، ولا آلُو كذا، أي لا أستطيعُه.

٣ ـ فإلّا أَنَلْ ثَأْرِي من اليَوْمِ أو غدٍ بني عمِّنا فالدَّهرُ ذو متطوَّلِ(١)

يقول مُخْبِرًا عن صبْرِه وحُسنِ رِفقِه في طلب الأمور، وأنّه لا يتسلَّطُ عليه الملَالُ وإن تراخَى المطلوب، وتدافَع الوقت في الحصولِ، فيقول: إن لم أدرِكْ ثأري قريبًا يا بني عمِّنا ففي الدهر تطاوُلٌ، والزّمان بتبديل الأبدال وتحويل الأحوال كافِلٌ، وله ضامِنٌ، وما يتعسَّر في وقتٍ يتيسَّرُ في آخَر. وذِكْر اليومِ والغَدِ إشارةٌ إلى تقريب الوقت في المستقبل، كما يقال في الماضي: كان بالأمس يفعل كذا. ومُتَطَوَّلٌ: مصدرٌ مثل تَطَوُّلٍ.

٤ ـ فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي ليومِ كريهةٍ لئن لم أُعَجِّلْ ضَرْبةً أو أُعَجَّلِ

جَزَم «يَدْعني» بلا على أنّه دعاءٌ، والمعنى: لا دُعيتُ لكشف مكروه، ولا للدّفْع عن مظلومٍ، إن لم أعجِّل ضَرْبةً لمن وتَرَني، أن يعجِّلْها لِي. والمعنى: إنْ لم أقتلْه أو يقتلْني. وهذا الكلام وإن كان لفظُه لفظَ الدُّعاء فالمعنى معنى القَسَم. وقوله: «أو أعجَّل» أراد: أو لم أعجَّل لمثلِها، فحذَف. وفي هذا بيانٌ للتوعُّد بالإقدام، والتسرُّع إلى القتل أو الاستقتال بعد الإمكان.

٥ ـ أَنَخْتُمْ علينا كَلْكَلَ الحربِ مَرّةً فنَحْنُ مُنِيخُوها عَليكم بكَلْكلِ(٢)

هذا الكلام تهدُّدٌ، وضمانٌ في أنّه سيكافئهم على ما بدأوا. والمعنى: سنؤثّر فيكم كما أثّرتم فينا، ونُنْزِلُ الحربَ بكم كما أنزلتموها بنا. ويقال: أنَخْتُ البعير فاستناخ وبَرَك، ولا يقال فناخ. وتقول في شدة التأثير: بَرَك عليهم الدّهرُ بكلكله، ووطِئهم بمناسمه، وأنْحَى عليهم بجِرانِه. وهذا جَعَل الكلكلَ هو المُناخ في صدر

---

(١) عند التبريزي: «فإن لم أنلْ».

(٢) روى التبريزي بعد هذا البيت ثلاثة أبيات هي:

«٦ ـ يقول رجالٌ ما أُصيبَ لهم أبٌ ولا من أخٍ أقبلْ على المال تُغْقَلِ
٧ ـ كريمٌ أصابته ذئابٌ كثيرةٌ فلم يدرِ حتى جئنَ من كلّ مدخلِ
٨ ـ ذكرتُ أبا أروى فأسبلتُ عبرةً من الدمع ما كادت عن العين تنجلي»

البيت، وفي العَجُز جَعل الحربَ مُنَاخَةً بكلكها. وكلٌ ذلك أمثالٌ، والمعنى مِن جميعِها ظاهر.

٦٥ ـ وقال بعضُ بَني جَرْمٍ من طَيّىء: [الوافر]

١ ـ إخالُكَ مُوعِدِي ببَني جُفَيْفٍ وَهَالَةَ، إنني أنهاكِ هَالَا

في قوله «إخالُ» ضرب من الاستهانة، يقول: أحسَبُك تُهدِّدني ببني جُفَيفٍ وبِهَالَة. ثمّ أقبَلَ على هالَة فقال: إنّي أزجُرُكِ عن التحككِ بنا، ونُصْرَةِ من ينابِذُنا. ومثل هذا الكلام يُسمّى التفاتًا. والعرب قد تَجمع في الخطاب أو الإخبار بين عِدَّةٍ، ثم تُقْبِل أو تلتفت من بينهم إلى واحدٍ لكونِه أكبرَهم، أو أحسنَهم سَماعًا لما يُلقى إليه، أو أخصَّهم بالحال التي تَنطق بالشّكوى بينهم، فتفرِده بكلام. على هذا بيت الهُذَليّ[1]: [البسيط]

أَحْيَا أَبَاكُنّ يَا لَيلَى الأمادِيحُ

فقال أباكُنّ، ثم قال يا ليلى. ويقال: خِلت أَخَالُ، وإخال طَائيةٌ، فكثر استعمالُها في أَلْسنةٍ غيرِها، حتّى صار أَخَالُ كالمرفوض. والهَالَةُ: الدّارة حَوْل القَمر، في اللغة، وإذا أنّث خطابها فإنّه جعلها قبيلةً، وإذا ذَكّرها فعلى إرادة رجُلٍ هو أبو القبيلة، وإذا جُمِع فعلى المعنى. وفي جميع ذلك قد صرّف كلامه.

٢ ـ فإلّا تَنْتَهِي يا هَالَ عَنّي أدَعْكَ لِمَن يُعادِيني نَكَالَا

يقول: إنْ لم تنزجري عنّي ولم ترتدعي بكلامي، أجعلْك لأعدائي عِبْرةً رادعة، وعقوبةً زاجرة. والنّكال: اسم لما يُجعل عبرة للغير، ويقال: نَكَلَ يَنْكُلُ، ونَكِلَ يَنْكَل لغتان، الأولى تميميّة والأخرى حجازية.

٣ ـ إذا أخْصَبْتُمُ كُنتُم عَدُوًّا وإن أَجْدَبْتُمُ كنتم عِيَالَا

يصفهم بالأَشَر والبطَر وسوءِ الحِفاظ، والتعجُّل إلى الشّرّ، فيقول: إذا نلتم بالخير وطاوَعكم الوُجْدُ خرجتُم لنا أعداءً، ثم إن أثّر فيكم الدّهر، أوْ ضَغَطَكم البؤس والضُّرُّ، أوَيْتُم إلينا، ولحقتم بجملتنا، فاحتجنا إلى أن نُموّنكم.

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١ : ١١٣. وصدره:
«لو كان مدحة حيّ أنشرت أحدًا»

٦٦ ـ وقال آخر[(١)]: [البسيط]

١ ـ اللُّؤْمُ أَكْبَرُ مِنْ وَبْرٍ ووالدِهِ والـلؤمُ أكْرَمُ مِن وَبْرٍ وما وَلَدَا

فضَّل اللؤمَ في اللَّفظ عليهم وعلى أسلافهم، والقصدُ به إلى تفضيله على أخلاقهم وأفعالهم وطباعهم، لأنَّ الشَّرط تشبيه الأحداث بالأحداث، والذَّواتِ بالذَّوات. وإذا كان كذلك فقد حُذف المضافُ وأقيم المضافُ إليه مَقامَه، كأنّه قال: اللؤم أكرم من أخلاق وَبْرٍ وأخلاق والدِه، وقوله «ووالدِهِ» دخل فيه كلُّ أبٍ لهم، كما دَخل في قوله «وما وَلَدَا» كلُّ وَلَدٍ لهم. واللُّؤم: خصالٌ مُنْكَرة، إذا اجتمعتْ سمِّيت لؤما، كدناءة النَّفسِ والآباءِ والبُخلِ مردَّدًا فيهم، والنَّظَر في الأمور التافهة المخزية. وَوَبْر في اللغة: دُوَيْبَةٌ أصغر من السُّنَّور طحلاء اللون تَرجُن في البُيوت، وجمعه وِبَارٌ. ويُسمَّى بها، ثم جُعِلت للقبيلة. فإن قيل: لِمَ لَمْ يقل: ومن وَلَدَا؟ قلتَ: أشار إلى الجنس وما يقع للأجناس.

٢ ـ قَوْمٌ إذا ما جَنَى جانِبهِمُ أَمِنوا من لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أن يُقْتَلوا قَوَدَا

يقول: همْ قومٌ إذا جَرَّ واحدٌ منهم جَرِيرةً أَمِن جَمِيعُهم، لدقَّةِ أصولِهم، وَلُؤْم أحسابهم، أن يؤاخَذوا كلُّهم بها، فكيف الواحد منهم. كأنّ القبيلةَ بأسْرِها لا يُعَدُّون بَواءً لِقتيلٍ فيُقتلوا به، فالأَمْنُ الذي شَملهم عند اتِّفاق الجنايات منهم لهذا. والقَوَدُ: أن يُقتَل القاتلُ بالقتيل، فيقال: أَقَدْتُه به. وإذا أتى الرجل صاحبَهُ بمكروهةٍ فانتقم منه بمثلِها، قيل: استقادَها منه، وهذا كما قال الآخَرُ: [الرجز]

مَن ذا يَعَضُّ الكلْبَ إن عَضَّا

ونقله أبو تمّام فقال: [الكامل]

أمَّا الهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمَدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جَليلُ
فاذهَبْ فأنتَ طليقُ عِرْضِكَ إنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْت به وأنتَ ذليلُ

٣ ـ واللُّؤْمُ دَاءٌ لِوَبْرٍ يُقْتَلون بِه لا يُقْتَلون بداءِ غيرِهِ أَبَدَا

---

(١) قال التبريزي: «قال أبو هلال: لم يذكر أبو تمام اسمه، واسمه الحكم ابن زهرة، وزهرة أمه، وهو الحكم بن المقداد بن الحكم بن الصباح، أحد بني زهرة بن قيس، ويعرف بالحكم الأصم الفزاري، وقال أبو رياش: هو لعويف القوافي».

أشار بهذا إلى أنَّ مطامعَهم الخسيسة تُرْديهم، وإسفافَهم لها يعرِّضهم للقتل ويهلكهم، فقال: هذا داؤهم لا يُقتلون إلا به، ولأنَّ حَيْنَ كلِّ حَائنٍ فيما يَغلِب به وعليه. ويجوز أن يريد أنّه لما تَرفَّع القصاص عنهم عند وقوع الجرائر منهم، كانت القِتلةُ الكريمة فيهم أزهد، وعنهم أبعد، ولا يموتون إلا بدائهم الذي هو اللؤم. والموت قد يُسمَّى قَتْلًا. وإنَّما أدخل هذه الأبياتَ في الباب لقوله «قَوْمٌ إذا ما جَنَى جانيهم أمنوا» فلما ذَكَر من يجتهد في إدراك الثَّأر من جهته تيسّر أو تعسّر، ذكَر أيضًا ما يُضادّه ممن يُرغَبُ عنه ويُزهَد في النَّيْل منه، تَرَفُّعًا عن مكافأته. وهذا عادتُه في اتّباع الشَّيء بضدّه، فاعلمْه.

٦٧ ـ وقال آخر: [المتقارب]

١ ـ ألَا أَبْـلِغَـا خُـلَّتِـي رَاشِـدًا وصِـنْوِي قـدِيـمًـا إذا مـا اتَّـصَـلْ

قديمًا، انتصَبَ على الظَّرْف لقوله خُلَّتي. والمراد: أَبْلِغَا خَلِيلي قديمًا راشِدًا، وصِنْوي إذا ما انتَسَبَ. والصِّنْوانِ: الفَرعان يَخرُجان من أصلٍ واحدٍ. ويقال للأَخَوَينِ هما صنوانِ، تشبيهًا بذلك، ولعمّ الرجل صِنْوُ أبيه. ويقال صِنْوٌ، وصِنوانِ في التثنية، وصِنوانٌ في الجميع، ولا يُعرفُ له نظير إلا قِنْوٌ. فيقول: راشِدٌ خليلي القديمُ، ونسيبي القريبُ، فأبلغاه عني رسالةً. وفي جَمْعِه بين خُلَّتِي وصِنْوِي، وتأخيره قديمًا إذا ما اتَّصل، ما ذَكَره أبو العباس المبرِّد رحمه الله، من أن العرب تَلُفّ الخبرَيْنِ لَفًّا، ثم تَرْمِي بتفسيرهما جملة، ثقةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كلٍّ ما لَهُ.

٢ ـ بـأنَّ الـدَّقِـيـق يَـهِـيـجُ الْجَـلـيـلَ وأنَّ الـعَـزِيـزَ إذا شَـاءَ ذَلّ

الباء دخل للتأكيد، وموضع أنّ مفعول ثانٍ من أَبلِغا. فيقول: أَبلِغاهُ أنّ صغيرَ الأمورِ يجني الكبير، وأن العزيزَ من الرجال متى أراد عاد ذليلًا، بأن يَعْدُوَ طَوْرَهُ، ويشتغل بما لا يهمُّه. ومثل هذا قولهم: «الشرُّ يبدَؤه صغارُه»، وقول شاعرهم(١): [الكامل]

الـحَـرْبُ أوّلَ مـا تـكـونُ فُـتَـيَّـةً

(١) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ١٥٤، وأمالي ابن الحاجب ٢:٦٦٦، وشرح أبيات سيبويه ١:٢٩٣، والكتاب ١:٤٠١، واللسان (خدع)، ولامرىء القيس في ملحق ديوانه ٣٥٣، وعجزه:

«تسعى بزينتها لكل جهولِ»

وقول الآخر: [مخلع البسيط]

كم مَطَرٍ بَدْؤُهُ مُطَيْرُ(١)

٣ ـ وأنّ الْحَزَامَةَ أن تَصْرِفُوا لِحَيٍّ سِوَانا صُدُورَ الأَسَلْ

هذا الكلام تحذيرٌ وإنذار. يقول: وأبلغاه أنّ الحَزْمَ في صَرْف أعِنّة خيلكم إلى غيرنا، فإنكم لا تقومون لنا إذا هَيَّجْتُمونا؛ والرّأيَ في أن تعدِلوا بصدور رماحكم إلى طعنِ مَن سوانا، فإنكم لا تكمُلون لدِفاعنا، ولأنّ الكَرْهَ لا يُخرج منّا إلا إباءً وامتناعًا.

٤ ـ فإن كُنْتَ سيِّدَنا سُدْتَنَا وإنْ كُنْتَ للخَالِ فاذْهَبْ فَخَلْ

العرب تقول: «سيِّدُ القومِ أشقاهم». ولذلك قال شاعرُهم؛ [الوافر]

وإنّ سِيَادَةَ ٱلأقوامِ فَٱعْلَمْ لها صُعَدَاءُ مَطْلَعُها طَوِيلُ(٢)

فيقولُ: إن رُمْتَ سيادَتَنا مِن وجهِها، وبالآلات التي يُحتاجُ إليها في تحصيلها، تمَّ لك ذلك؛ وإنْ كنتَ للكِبْر فاذهَبْ فاحسِبْ أنّكَ سَيِّدٌ، فإنك لا تكون. هذا إذا رويتَ «فَخَلْ» بفتح الخاء. وإن رويتَ «خُلْ» بضمِّها فالمعنى: اذهب وتكبَّرْ، فإنّا لن نَنقادَ لك، واستعمالُ البَغْيِ والصَّلَف وَالكَرْه لا يزيدُنا إلّا إباءً عليك، وتماديًا في اللَّجَاج معك. والخَال: الكِبْرُ. واختالَ الرَّجُلُ فهو مُخْتَالٌ وخَالٌ أيضًا. قال الشَّاعر: [البسيط]

إذا تَجَرَّدَ لا خَالٌ وَلا بَخَلُ(٣)

ويقال خَالَ يَخُولُ ويَخَالُ خَوْلًا وَخَالًا، وفي الظنّ يُقَالُ خَالَ يَخَالُ لا غير.

وقوله «فاذهب» أمْرٌ من قولِكَ ذَهَبَ يقول كذا. وعلى هذا قول الشاعر: [البسيط]

فاذْهب فما بِكَ والأيّامِ من عَجَبِ(٤)

---

(١) البيت لأبي تمام في البيان والتبيين ٣:٦٧. وصدره:

«ربّ قليل حتى كثيرًا»

(٢) البيت للأعلم الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٣٢٣، وللهذلي في تهذيب اللغة ٢:١١، وأساس البلاغة (صعد)، وبلا نسبة في اللسان (صعد).

(٣) للمتنخل الهذليّ في خزانة الأدب ٥:١٠، وشرح أشعار الهذليين ٣:١٢٨١، وللهذلي في الإنصاف ٢:٨٠٩، وبلا نسبة في أدب الكاتب ٢٤٢، واللسان (خيل). وصدره:

«ونُلْمِه رجلاً تأبى به غبنًا»

(٤) بلا نسبة في الكتاب ١:٣٩٢، والخزانة ٢:٣٣٨، والإنصاف ٢٧٣. وصدره: =

وكذلك قولُك لِلغريم: قُمْ فاعْطِنِي حَقِّي. فالأمر في الحقيقة بالعطيّة لا بما سِوَاهُ. وأُجْرِي مَجْرَاهُ قَوْلُهُم: أخذ يتمسّك بكذا، وطَفِق يَتحدَّث بكذا، وجعل يشتمني. وخرجوا في التوسُّع إلى أن قالوا: قام يَهْزَأُ بي، وقَعَدَ يظنّ أنه أمير. وليس القصْد إلى فعله القيامَ والقعود، ولكن زيادةً كالتَّصوير للحال والتأكيد للقِصّة.

٦٨ ـ وقال بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ: [الطويل]

١ ـ كِلَا أَخَوَيْنَا إنْ يُرَعْ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِي جَامِلٍ دَثْرٍ وَجَمْعٍ عَرَمْرَمِ

يقوله رجلٌ اقتَتَل فريقان من قومه على بئرٍ، فيقول: كِلَا صاحبَينا إن يُفزَعْ يستغِثْ بقومٍ ذوي عَدَدٍ وعُدَّةٍ. والجامِلُ: الإبلُ، وهو اسم صيغ للجمع. والدَّثْرُ: الكثير. والعَرَمْرم: الجيش العظيم. وعُرَامُ الجيش؛ حَدُّهم وكثرتُهم. وانتصب «ذوي» على الحال. الجزاءُ مع جوابِه خبرُ المبتدأ، وهو كِلَا.

٢ ـ كِلَا أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَأَنَّهم أُسُودُ الشَّرَى مِنْ كُل أَغْلَبَ ضَيْغَمِ

يقول: كلُّ واحدٍ من صاحبينا مؤيَّدٌ برجالٍ كأنّهم أسودُ هذه المأسَدَةِ، من كلّ ليثٍ غليظ العُنق، شديد. وضَيْغَمٌ: فَيْعَلٌ من الضَّغْمِ، وهو العضّ. وكِلا مُوحَّد اللفظ، موضوع للمثنّى؛ لكنّ المرادَ به هنا كلُّ واحِدٍ.

٣ ـ فمَا الرُّشد في أن تَشْتَرُوا بنعيمِكُم بَئِيسًا ولا أن تَشْرَبوا الماءَ بالدّمِ

يدعوهم إلى المصالحة، ويعرِّفهم أنّه لا خَيْرَ في مَاءٍ، يَصِلُون إليه بإراقة دماءٍ؛ ويزهّدهم في خِصْبٍ ونَعيمٍ، يَحصل عن عَيْشٍ بَئِيسٍ، فيقول: ليس الصَّلَاحُ والنَّجاحُ في أن تستبدلوا بنعيمكم بُؤْسًا، وبسلامتكم هُلْكًا، ولا أن تشربوا الماءَ بسَفْك الدّماء. والبئيس، يكون مَصْدَرًا كالبُؤْس، ويوضع في مقابلة النَّعيم كما فعلَهُ هذا، ويكون صفَةً، على هذا قول الهُذليّ: [الكامل]

ومَعِي لَبُوسٌ لِلبئيسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بجبهةِ نِعاجِ مُجْفِلِ[1]

وهو الرّجل الشُّجاع ذُو البأس.

= «فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا»

(١) البيت لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٠٧٨، والمعاني الكبير ص ٥٥٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٨٧.

٦٩ ـ وقال حُرَيْثُ بنُ عَنَّابٍ[1]: [الطويل]

١ ـ تَعَالَوْا أُفاخِرْكُمْ: أَأَعْيَا وفَقْعَسٌ إلى المَجْدِ أدنى أم عَشِيرَةُ حاتِمِ

يقول: هَلُمُّوا أنافِرْكُم: أهؤلاء البطونُ أقربُ إلى المجد أم رَهْطُ حاتم؟ وبنو أعيا: مِن بني سعد بن قيس، وبنو فقعس: حيٌّ من بني أَسَد. وروى بعضهم: «أأعيار فَقْعَسٍ»، يريد رؤساءُ فَقْعَسٍ. ورغم أنَّ أعيا لا يعرفه اسمَ قبيلةٍ، وأنّ هذا تصحيف استدركه. فأما إنكاره لأَعْيَا قبيلةً فلا وجْهَ لَهُ لأنَّ بني أَعْيَا من قبائل سعد بن قيس، وهو مَشْهُورٌ ذكره النَّسَّابُونَ وغيرهم، وَوَهْب بن أَعْيَا بنِ طَرِيفِ الأَسَدي، معروفٌ معدود في الأعلام. وأمّا من طريق النَّظم فَلأَنْ تكون القبيلةُ مقابلةً بمثلها، ومذكورةً في المنافرة مَعَها ـ أحسَنُ من أن يُقابَلَ الأفراد بالقبيلة. و«أَعْيَار» إشارةٌ إلى الأفراد، لأنّه يُراد بها الرّؤساء. يقال: هو عَيْرُ قومِهِ، أي سَيِّدهم. هذا وقد رجعنا إلى نُسَخ مختلفات المصادر، فوجدناها متوافقةً في تحمُّلها «أَعْيَا وفَقْعس». وإذا كان كذلك لا يجوز العُدُول عمَّا قاله الشّاعر إلى ما لم يقله. وقوله «أأعيا وفَقعسٌ» استفهام في الأصل نُقِلَ عن بابه، والمعنى: أُنافركم بالقضية التي تكون نتيجةَ هذا الاستفهام، وقوله «أدنى إلى المَجدِ» لم يُثَنَّه وإن كان خَبَرًا عن اثنين، لأنّه أفعلُ الذي يتم بِمِنْ، وقد دَخل عليه الاستفهام، فيجب أن يستوي فيه الواحد والاثنان، والمذكّر والمؤنّث. وهذا الكلام لو أَتى به على وجهه لكان: أم عَشِيرةُ حاتِم أدنى إلى المَجْدِ منهم، لكنّه حَذَفَ إذْ كان المرادُ مفهومًا. وإنّما جاء على حرف الاستفهام ليُبَصِّرُوا ضَلَالَتَهمَ. وفي طريقته بيت جرير: [الطويل]

هَلُمُّوا نُحَاكمكُمْ فَفِي الحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الغُرّ من آل البِطَاحِ الأَكَارِمِ

والتقدير: أنافِرْكم أيُّهم أَمْجَد وأَعْرَف. وحاتِمٌ المذكور هو حاتم بن عبد الله الطائي. و«تَعَالَ» كان يقولُه من هو في رابِيةٍ للمتسفِّل، لأنه تفاعَلَ من العُلُوّ، فكثُر استعماله حتّى جرى مجرى هَلُمَّ، فصار المتسفِّل يقوله عند الدُّعاء للمُسْتَعْلي.

٢ ـ إلى حَكَمٍ من قَيْسِ عَيلَانَ فَيْصَلٍ وآخَرَ من حَيَّيْ ربيعةَ عَالِم

---

(١) حريث بن غناب النبهاني الطائي: من شعراء العصر الأموي، كان بدويًا، لا يتصدى للناس بمدح أو هجاء (ت ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمته في تهذيب التهذيب ٢: ٢٣٧، وتاريخ بغداد ٨: ٢٦٥.

قيل: أراد بأحد الحَكَمين عامر بن الظَّرِب[1] وبالآخر دَغْفَلًا النَّسَّابَة، والفَيْصل: الذي يفصِلُ الأمور، والياء دَخَلَتْهُ لتلحقه ببناء جعفر، كما أنّ الضَّيْغَم فَيْعَلٌ من الضَّغْم، والبناءانِ بحصول الياء فيهما صارا صِفَتَيْن بعد أن كانا مصدرَيْن، لأنّ فَصْلًا من دون الياء مصدرُ فَصَل، كما أنّ ضَغْمًا من دون الياء مصدر ضَغَمَ، فلمّا حَصَل الياءُ فيهما وُصِفَ بهما وأفادَا مبالغَةً في المعنى. ألا تَرى أنّ فَيْصَلًا يفيد ما لا يفيده فاصِلٌ، وكذلك ضَيْغَمٌ يُفيد ما لا يُفيد ضاغِم، فاعلمْه.

٣ ـ ضَرَبْنـاكُـمُ حتـى إذا قَـامَ مَـيلُكُـمْ ضَرَبنا العِدَى عنكم بِبيضٍ صوارِمِ

قام له بمعنى تَقَوَّمَ وترَكَ الخلاف، وقام عليه بمعنى دَاوم ولازَم. وفي القرآن: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٧٥]. يقول: قَدَعناكم بالمكروه، حتّى إذا بانَ لنا فَيْئتكُمْ واستقامتكم، حينئذٍ ذَبَبْنا الأعداء عنكم بسيوفٍ قواطع. والمعنى: نعاملكُم بمعاملةِ الأعداء، فإذا استقمتم لنا وذهب الخلافُ عنكم، ضممناكم إلى أنفسنا، وحَمَيْنَا عليكم مع الأولياء.

٤ ـ فَحُلُّوا بأَكْنـافِي وأَكْنـافِ مَغْشَرِي أَكُنْ حِرزَكُمْ في المَأْقِطِ المتلاحِمِ

في جمعه للأكناف ظهورُ تَجبُّرٍ فيهم، وأخْذٌ بالتَّعَلّي عليهم. يقول: انزِلُوا بجنَابي وجَناب عشيرتي، وتحَصّنُوا بفِنائي وفِناء قومي أَكُنْ كَهْفَكُمْ في المَضِيق من الحرب المتلاصق. والمتلاحِم، يجوز أن يكون من اللِّحام، لأنّ كلَّ شيء كان متباينًا ثم تلازَمَ يُقالُ فيه: الْتَحَمَ وتَلَاحَم، ويجوز أن يكون من المَلحَمَةِ، لأن أهلها يتلاحمون فيها. يقال: لَحَمْتُه فهو لَحِيمٌ، أي قتلتُه. قال الهُذَلِيُّ: [الطويل]

فَـلَا رَيْـبَ أَنْ قَـدْ كـانَ ثَـمَّ لَحِـيـمُ[2]

---

(١) قال التبريزي ١:١٩٠: «قال أبو محمد الأعرابي: كيف يكون الحكم من قيس عيلان هٰهنا عامر بن الظرب العدواني وهو قبل الإسلام بمائتي عام، ومتى لحقه حريث بن عناب وهو في عصر عمر بن الخطاب، وبعد ذلك إلى زمن معاوية؟ وإنما عنى بالحكم من قيس عيلان هرم بن قطبة بن يسار الفزاري، والحكم من حيّي ربيعة دغفلًا النسّابة، وحيّا ربيعة ذهل بن شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة وهم عمّ ذهل بن شيبان، وعمّ الرجل أبوه».

(٢) البيت لساعدة بن جؤية في شرح أشعار الهذليين ١:٢٣٢، واللسان (عصب، وحصر، وصدق، ولحم)، وتاج العروس (عصب، ولحم)، وللهذلي في جمهرة اللغة ١٢٦٦، واللسان (حصر). وصدره:

«وأنبـئـت أن الـقـوم قـد حَـدّ قـوابـه»

٥ ـ فَقَدْ كان أَوْصاني أَبي أنْ أُضِيفَكُمْ إليَّ وأَنْهَى عَنْكُمْ كلَّ ظالمِ

نَبَّه بهذا الكلام على استعلائه عليهم قديمًا وحديثًا، وأنهم كانوا لهم كالخَوَلِ والتَّبَعِ، وأن الأسلاف كانت تُوصِي الأخلافَ بهم لتطاوُلِ أيامهم في جَنبتهم، واكتناف العنايةِ بهم من ماضيهم وغابِرِهم.

٧٠ ـ وقال إبراهيم بن كُنَيفٍ النَّبْهَانيُّ[١]: [الطويل]

١ ـ تَعَزَّ فإنَّ الصَّبْرَ بالحُرِّ أَجْمَلُ وليسَ على رَيْبِ الزَّمان مُعَوَّلُ[٢]

الخطاب بهذا الكلام للنَّفس على طريق التَّسلية، فيقول: تصبَّرْ فإنَّ الصَّبر بالرجل الكريم أحسَنُ من التخشُّع فيما لا يَحْسُن الخُضوع فيه وله. والأصلُ في الصَّبرِ الحَبْسُ، ومنه قولهم: قُتِلَ فلانٌ صَبْرًا. وقولُه «ولَيْس على رَيْبِ الزمان مُعَوَّلُ»، يريد به أنّ الأحداثَ لا تقف على شيء بحُكم واحد، ولكنها تتنقَّل وتتبدل، فلا مُتَّكَل عليها، ولا مُعتَمد على عَهدها، فهي كما تُحْسِنُ تُسِيءُ، وكما تُدْوِي تُداوِي، وكما تَجْمَعُ تُفَرِّق. وقوله «تَعَزَّ» هو من عَزَا الرَّجُلُ وعَزِيَ الرجل، إذا صَبَر عَزاءً، ورَجلٌ عَزِيٌّ أي صَبورٌ. وفي بناء تَفَعَّل زيادةُ تكلُّف، ودلالة على فرط تعمُّلٍ. والمُعَوَّل: المَحملُ والمتَّكَلُ. والحُرّ أصلُه الأعتَقُ من كلِّ شيء والأكرم، ولذلك قيل لِمَا بدا من الوجه في اللُّقاء: حُرُّ الوَجهِ. قال الشاعر: [الطويل]

لقد شانَ حُرَّ الوجهِ طَعْنةُ مُسْهِرِ[٣]

٢ ـ فإنْ تكنِ الأيامُ فينا تَبَدَّلَتْ بِبُؤسَى ونُعْمَى والحوادِث تَفْعَلُ

قوله: «والحوادث تفعل» يسمى اعتراضًا، ومثل هذا من الاعتراض يَزيد القصة تأكيدًا، وهو هٰهنا حائلٌ بين الجَزاء وجوابِه، لأن جوابَ إنْ تكُنْ قولُه «فما لَيَّنَتْ مِنَّا قَنَاةً صَليبَةً» وحَسُنَ الكلامُ به جِدًّا إذ كان تأكيدًا لما يقتضُه من تحوُّل الأحوال،

---

(١) إبراهيم بن كنيف النبهاني: شاعر إسلامي ترجمته في سمط اللآلي ٤٣٠، والأعلام ١:٥٣.

(٢) بعد هذا البيت عند التبريزي ثلاثة أبيات:

«ـ فلو كان يغني أن يُرى المرء جازعًا لحادثةٍ أو كان يُغني التذلُّلُ
ـ لكان التعزّي عند كلّ مصيبةٍ ونائبةٍ بالحرّ أولى وأجملُ
ـ فكيف وكلٌّ ليس يعدو حِمامَهُ وما لامرىءٍ عمّا قضى الله مَزحلُ»

(٣) لعامر بن الطفيل في ديوانه ١١٩، والشعر والشعراء ٢٩٣ وصدره:

«لعمري وما عمري عليّ بهيّنٍ»

وتحقيقًا لما شكاهُ من رَيبِ الزمان، وبَعْثًا على التَّسَلي، وأَخْذِ النفسِ بالتأَسّي. فيقول: إن كانت الأيام دارت فينا بالنَّعماءِ مَرَّةً وبالبأساء أخرى ـ وهذا عادةُ الدهر وحوادثِه ـ فما غيَّرتْ منّا شيئًا.

٣ ـ فما ليَّنَتْ منّا قَنَاةً صَليبَةً ولا ذَلَّلَتْنَا لِلَّذِي ليسَ يَجْمُلُ[(١)]

ذِكْرُ القَنَاةِ مَثَلٌ، وقد مَضَى الكلام في مِثْلِه. وأبين ما يُسْتَشْهَد به في استعارتها للإباء والتشدُّد قولُه: [الكامل]

كانت قَنَاتِي لا تلينُ لغامزٍ فألانَها الإصباحُ والإمساءُ[(٢)]

وهذا البيت بيانٌ لفائدة الصبر الذي دعاه إليه، وبَعَثَ نفسَه عليه، لأن الصابر على الشدائد حَقيقٌ بألّا يتذلَّلَ لما لا يحسُنُ به، ولا تَجْمُل الأُحدوثة فيه عنه، وألّا يتليَّن لما كان يَتصلَّبُ له من قبلُ. فإن قال قائلٌ: فإذا كان غاية الصبر ومعناه هذا، فإلى أيّ شيءٍ دعا نفسَه بقوله: تَعَزَّ فإن الصبر بالحُرّ أجمَلُ؟ وقد خبَّرَ عن نفسِه بأنه آخِذٌ بما هو حقيقتُه؟ قلتَ: يجوز أن يكون معنى «تَعَزَّ» دُمْ على التعزّي، ويكون بناء الأمر لما هو الحال، ولا يريد استئنافُه، كما أن قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النِّساء: الآية ١٣٦] معناه دُوموا على الإيمان. ويجوز أن يكون أمر نفسَه في المستقبل بما كان عادتهم في المُسْتَقْدَم.

٤ ـ ولَكِن رَحَلْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً تُحَمَّلُ ما لا يُسْتَطاعُ فتَحْمِلُ[(٣)]

يجوز أن يكون معنى رَحَلْنَاها رَحَلْنَا لها نفوسًا، والضمير للحوادث، ويكون هذا كقولهم كِلْتُكَ وَكِلْتُ لك، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لك، ويكون نفوسًا مفعولًا لِرَحَلْنا. ويجوز أن يكون الضمير أعني ضمير المنصوب في «رحلناها» للنفوس، على أن يكون مفعولًا. وأتى بالضمير قبل الذِّكر، ثم جعلَ قولَه نُفُوسًا بدلًا منها، على طريق التبيين. وقولُه «ولكِنْ» حَرْفٌ يُستدرَك بها بَعْدَ النفي، فيكون المعنى ما تذلّلنا للنوائب،

(١) عند التبريزي: «للتي ليس تجملُ».
(٢) للنمر بن تولب في ملحق ديوانه ٤٠٠، وللبيد بن ربيعة في نهاية الأرب ٣: ٧٠، ولعمرو بن قميئة في ملحق ديوانه ٢٠٤، وزهر الآداب ١: ٢٢٣، ولبعض شعراء الجاهلية في الكامل ١: ٢٨٤.
(٣) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت آخر هو:
«وقينا بحسن الصبر منّا نفوسنا فصحّتْ لنا الأعراضُ والناسُ هُزَّلُ»

ولكن هيَّأنا لها نفوسًا تأنف من الرِّضا بالدنيّة، فلا تَنْسى كَرَمَها، وتُكلَّفُ أمورًا لا تنهض بها فتتكلَّفها. وفي وصف النفوسِ بالكرم إشارةٌ إلى الظَّلَف والعفّة، والتَّأبّي من المُخْزِيَةِ، ومجانبة الريبةِ، والنفور من كلِّ قبيحة. ولذلك قال الله عزّ وجلّ في صفة المختارين من عباده المزكّين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: الآية ٧٢]. فأما قولُه «رَحَلْناها» في الاستعارة، فكما يقال استَحْملتُ فلانًا نفسي، وركِبَتْني ظُلاماتٌ وما أشبهَهَا. وحُكِي: هو يَرْحَله بما يَكرهُه، أي يَرْكَبُه؛ ولا رَحَلْتُكَ بالسيف، أي لا عَلَوْتُك.

٧١ ـ وقال آخرُ: [الطويل]

١ ـ وكَمْ دَهَمَتْنِي من خُطُوبٍ مُلِمَّةٍ صَبَرْت عَليها ثم لم أَتَخَشَّعِ

يقول: مرارًا كثيرة فاجأتني خُطوبٌ شديدةٌ، ونزلَتْ بي، فحبَسْتُ نفسي عليها، وتجلدت لها، فلم يَظْهَرْ في مَناظِري خُشوعٌ، ولا بَدَا في جوارِحي خُضوع. ومَوْضِعُ كم على هذا التأويل ظَرْفٌ. «ومِنْ» على طريقة الأخفش تكون زائدة، لأنه يُجوِّز زيادة «مِنْ» في الواجب، ويَستدِلُّ من المسموع بقول بعضهم: «قد كان من مَطَرٍ فَخَلِّ عَنِّي» وبغيره. فكأنه قال: كم مَرّةً دهَمَتْنِي خطوبٌ كثيرة. ويكون قولُه صَبَرْتُ عليها صفةً للخطوبِ. ويجوز أن يكون كم في موضع الابتداء، ومن خُطوبٍ هو بيانٌ له، وقد فَصَل بينهما بخبرِه، وهو دهمَتْني، وتقديره كم من خطوبٍ ذهمتني، أي كثيرٌ من الخطوب. فأمّا فائدة العطف بثُمّ من قوله «ثُمَّ لم أتَخَشّع» فهو إبانة الاستمرار في الصَّبْر، وإن طالت المُهْلة إلى أن انكشفت تلك الملمّات العارضة وانفرجت. ومعنى دَهِمَتني: فاجأتني، ومنه الدُّهْم ودَهْمَاءُ الناس.

٢ ـ فأدركْتُ ثَأْرِي الذي قد فَعلتُمُ قلائِدُ في أعناقِكُم لم تُقَطَّعِ

يقول: أصَبْتُ ما طَلَبْتُهُ، وتقاضَيْتُ به ممن كان لي عنده ثأرٌ أَوْ وِتْرٌ، فاستنزلته عنه، وما فعلتم من القُعودِ عن نُصْرَتي، وخِذلاني فيما نابني لزِمَكُمْ، فكأنّها قَلائد وأطواقٌ لا تَنحلُّ عنكم ولا تنقطع. وهذا تحقيقٌ للزوم العار لهمْ فيما أَتَوْا. ومثله قول بِشر: [الطويل]

وقَلَّدَهَا طَوْقَ الحمامةِ جَعْفَرُ(١)

---

(١) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص ٨٩، ومقاييس اللغة ٥: ٢٠، وصدره:
«حباك بها مولاك عن ظهر بغضةٍ»

يصفُ غَدْرَةً ارتكبوها. ومثلُه في القرآن: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٠].

٧٢ ـ وقال عُوَيْفُ القَوَافِي[١]: [الكامل]

١ ـ ذَهَبَ الرُّقَادُ فما يُحَسُّ رُقَادُ   مِمَّا شَجَاكَ ونَامَتِ العُوادُ[٢]

يقول: طارَ النَّومُ فلا يُعرفُ له أَثَرٌ، مما دهَّاك وحَزبَكَ، ونام الذين كانوا يعودونك ولم يَسْهَرُوا لك. والمعنى: إنِّي اختُصِصْتُ فيك بما عَرِي منه عُوَّادُكَ، وتَحمَّلت من الجَزَعِ ما سَقَطَ عنهم وخفَّ عليهم. والرُّقاد والرُّقود: النَّوم باللَّيل، وعرَّف الأوّلَ تعريفَ الجنس، ونَكّر الثاني لأنَّه أراد نَوْعًا من الجِنس، كأنَّ المرادَ: ذهبَ النومُ على اختلافِه حتَّى ما يُرَى لنَوْعٍ منه مُخْتَصٍّ أثَرٌ.

٢ ـ لَمَّا أتانِي عن عُيَيْنَةَ أنَّه   أَمْسَتْ عليه تَظَاهَرُ الأَقْيَادُ[٣]

قوله: «لمَّا أتاني» ظرْف لقوله «نَخَلَتْ له نَفْسِي» لأنَّ لَمَّا إذا وليَهُ الفِعْل الماضي، كان علمًا للظرف، وفُسِّرَ بحين. والمعنى: حين تَسَاقَطَ إليّ عن هذا الرجل وتأدَّى أنَّهُ أُسِرَ وَقُيِّدَ بِقَيدٍ بَعْد قَيْد، فارَقَنِي ما كنت أخامِرُهُ وأنطوي عليه من التنكُّر له، وأَزَلْتُ عن نفسي ما استجفيته فيه، لأنَّ الكريم يرقُّ لمثله من الكِرام عند النَّوازل. ومعنى التظاهر: أنْ يَصِير الشَّيءُ فوق الشيء فَيَقْوَى. ويقال: ظاهَرَ بين ثَوبين، إذ لبِسَ أحدَهما فوق الآخر. وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التَّحريم: الآية ٤] معناه تَعَاوَنا، ومنه قولهم: هو ظَهْرٌ ظهيرٌ، أي قويٌّ في الاستغاثة.

٣ ـ نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إنَّهُ   عِنْدَ الشَّدائد تَذْهَبُ الأحْقَادُ

يقول: أَصْفَتْ عند ذلك نَفسي له النُّصْحَ، لأنَّ الضغائن تُفارِق عند الشدائد. وهذا الكلام هو بيان عِلَّة مفارقة ضِغْنِهِ ورجُوعه إلى سلامة الصَّدْر له. وقد ذكر فيما

---

(١) عويف بن معاوية: اشتهر في الدولة الأموية بالشام (ت ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمته في (سمط اللآلي ٨١٤، وخزانة البغدادي ٣: ٨٧).

(٢) بعد هذا البيت روى التبريزي ثلاثة أبيات:

«ـ خبرٌ أتاني عن عيينةَ موجعٌ   كادت عليه تصدّعُ الأكبادُ
ـ بلغ النفوسَ بلاؤه فكأننا   موتى وفينا الروح والأجسادُ
ـ يرجون عثرةَ جدّنا ولوائهم   لا يدفعون بنا المكاره بادوا»

(٣) عند التبريزي: «رأس عليه».

بَعْدَهُ ما يَدُلُّ على حسن الإنصاف من النَّفس، والاعتراف بالفضل للغَير. ويجوز أن يُرْوَى «أنه» بفتح الهمزة، والمعنى لأنَّه عند الشَّدائد، وإذا رُوِيَ بالكسر يكون على الاستئناف.

٤ ـ وذَكَـرْتُ أيَّ فَـتًـى يَـسُـدُّ مَـكَـانَـه بـالـرِّفْـدِ حـيـن تَـقَـاصَـرُ الأَرْفَـادُ

مصدر ذكرْتُ في هذا الذُّكْر بضم الذال، لأنَّه بالقلب. وقوله «بالرِّفد»، يريد ببذْل الرِّفد، فحذَف المضاف. يقول: أَجَلْتُ في فِكْري، وقُلْتُ في حديث نفسي: لو خَلَّى مكانَه مَنْ كان يَسُدُّ مَسَدَّه، ومَن يُعْطِي عَطَاءه عند تقاصُر العطايا وتراجُع المعونات. وهذا إشارةٌ إلى زَمان الجَدْب والقَحْط وقتَ تَنَافُس النَّاسِ في المتملَّكات، والدَّفعِ عنها بإعْداد العِلَّات. والمعنى: إنَّ مِثْلَه لا يُوجَدُ ولا يُظْفَرُ به في مثل ذلك الوقت، فإذا كان كذلك فكيف يَسْمَحُ المُنصِفُ به لدَهرِه، أو كيف ينطوي الصدْرُ على السُّلُوِّ عنه والخُلُوِّ منه، مع شدّة الحاجة إليه. ويقال: رَفَدْتُ الرَّجل رِفْدًا إذا أعطيتَه، ثم سُمِّي العطيَّةُ رِفْدًا بكسر الراء، وجَمْعه الأرفاد. وأرفَدْتُه مَحْكِيٌّ لكنه ليس بالمتخيِّر. وتَقاصَرُ، أصلُهُ تتقاصَرُ فحذف إحدى التاءين تخفيفًا، وهو في موضع الجر بإضافة حين إليه.

٥ ـ أَمْ مَـنْ يُـهِـيـنُ لَنـا كَـرائـمَ مَـالِهِ ولَنَـا إذا عُـدْنـا إلـيـه مَـعَـادُ[1]

أَمْ هذه هي المنقطعة، والاستفهام دَخَل في الكلام على طريق التوجُّع والتلهُّف لما جَرَى على عُيَينه المذكور. والمعنى: لو فقدناه مَن كان يبذُل لنا عقائلَ أمْوَاله، ومتى شئنا وجَدْنا عنده معادًا فلا يَمَلُّ السُّؤال، ولا يُغِبُّ النَّوال؛ وهذا الكلام تنبيهٌ على أنّه كان يُديم الإحسان، ولا يحُولُ عطاءُ يومه دون عطاءِ غَدِه. وقوله «كرائمَ مالِهِ»، جَمْع كريمةٍ، وقد أُجرِي مَجرى الأسماء حتَّى جاء في الحديث: «إذا جاءكم كريم قومٍ فأكرموه»[2].

٧٣ ـ وقال بِشْرُ بن المُغِيرَة: [الطويل]

١ ـ جَفاني الأمِيرُ والـمغيـرةُ قد جَفا وأمْـسَىَ يـزيـدُ لـي قـد ازْوَرَّ جانِـبُـهْ

---

(١) يوجد بيت بعد هذا في ديوان الحماسة برواية الجواليقي (دار الكتب العلمية ط ١، ١٩٩٨) وهو:

«ورأيتُ في وجه العدو شكاسةً وتـنـكَّـرتْ لـي أوجـهٌ وبـلادُ»

(٢) الحديث في سنن ابن ماجه ٣٧١٢، والسنن الكبرى للبيهقي ٨:١٦٨، وحلية الأولياء ٦:٢٠٥.

أراد بالأمير المهلَّب بن أبي صُفرَةَ. والمغيرَةُ أخوه، ويزيد ابنُه. وقائل هذا الشعر بِشر بن المغيرة، وهو أحدُ الفُرسان المشتهِرين، فيقول: جفاني عَمّي المُهَلَّبُ، وأبي المغيرة، وصار يزيد ابن عمي لاقتدائه بهم منحرِفًا عنّي، غير مائلٍ إليّ. والازورار: الانحراف، وهو من الزَّوَر: نُتُوّ أحَدِ شِقَّي الصدر واطمئنانِ الآخر: ويقال رَجُلٌ أزْوَرُ، وامرأةٌ زوراء.

٢ ـ وكلُّهُمُ قد نالَ شِبْعًا لبَطْنِهِ وشِبْعُ الفَتَى لُؤْمٌ إذا جَاعَ صاحبُهْ

أراد بالكلّ الاتحاد لا الجميع. يقول: كلُّ واحدٍ منهم قد نال من الدُّنيا وأعراضِها قَدْر ما يشبعه ويمكنه الاكتفاءُ به، ثم قال: وشِبْعُ الإنسان لُؤْمٌ إذا لم يُشْرِكْ صاحِبَهُ فيه فبقي جائِعًا. أي هو كذلك في ذلك الوقت، وعلى تلك الحالة. والشِّبْعُ لا يكون لُؤمًا، لكنَّ التفرُّد به من دون ذَوِيه على حاجةٍ منهم إليه يكونُه، فَرَمَى بالكلام على ما تَرَى لأنَّ المراد منه مفهوم. والفَرْقُ بين الشِّبْع والشِّبَع، أن الشِّبْع بسكون الباء: القَدْر الذي يُشْبِع، والشِّبَع بفتح الباء: الامتلاء من الطعام، وقد استعمل الشِّبَع في غير الطَّعام فيقال: أشْبَعْتُ الثوبَ صِبْغًا، وكذلك في كلّ ما وفّرتَه من القول وغيره، حتّى قيل تَشَبَّع الرَّجُلُ، إذا تكثَّر.

٣ ـ فيا عَمّ مَهلًا واتَّخِذْنِي لنَوْبَةٍ تُلِمُّ فإنَّ الدهرَ جَمٌّ نوائبُهْ[1]

قولُه «مَهلًا» معناه رِفْقًا ودَعِ العجلة. ويحرَّكُ الهاء منه فيقال: ائت كذا على مَهَلٍ ومَهْلٍ جميعًا. ويقال: ما بي عن كذا مَهَلٌ، أي إنّي فيه مستعجِل. وفي هذا بعض التوعُّد والتطنز وإنْ كان ظاهِرُه أنه يُستعطف المُهلَّب ويُعرّفُه أنَّ الدّهرَ ذو غِيَرٍ وذو ألوان فلا يُؤمَن بوائِقُه؛ وأنّه قد يُحتاج إلى المُسْتَغْنَى عنه لحادثةٍ تَحْدُثُ. فيقول: ادَّخِرْني لِنَوْبةٍ تَنْزِل، وهي المصيبة أو النَّكبة، ولا تَطَّرِحْني اغترارًا بالأمْنِ، فإنَّ الدَّهرَ كثير النوائب، وشِيك النحوُّل. وقولُه «يا عَمِّ» حَذَفَ الياء منه لوُقوعه موقعَ ما يُحْذَفُ في هذا الباب، وهو التنوين، ولأنّ باب النّداء بابُ إيجاز، ولأن الكَسرة تَدُلُّ عليه.

٤ ـ أنا السَّيفُ إلّا أنَّ للسَّيفِ نَبوَةً ومِثْلِيَ لا تَنْبُو عَلَيكَ مَضارِبُهْ

يُفَضِّلُ نفسَه في نفاذِه في الأمور ومضائه، على السَّيف؛ فقال أوّلًا: أنا السَّيف، أي أشْبِهُهُ، ثم تَلافَى فقال: إلّا أن السَّيْفَ رُبَّما نَبا عن الضَّرِيبة وكَبَا، ومثلي لا تَكِلُّ

---

(١) عند التبريزي: «عجائبه» بدل «نوائبه».

ولا تَنْبُو حُدُودُه عن شيءٍ تُلاقيه. وفي هذه الطريقة قول جرير: [الطويل]

وليس لسَيفي في العظام بقيّةٌ ... ولَلسَّيفُ أشوَى وقعةً من لِسَانيا

والمَضارِبُ: جمع مَضرِبٍ، وهو الموضع الذي يُضرَبُ به من السيف.

٧٤ ـ وقال بعض بني فَقْعَس: [البسيط]

١ ـ يا أيُّها الرّاكِبانِ السّائِران مَعًا ... قُولَا لِسِنْبِسَ فَلْتَقْطُفْ قَوافيها

الراكب: اسمٌ لمن ركب حيوانًا إلا الفَرَس، فإنه يقال لراكبه فارِسٌ متى أُطلِقَ. ومَعًا، انتصب على الحال، ومعناه مُصْطحبينِ ومجتمعين. فيقول: يأيها السائران المصطحِبان، قولا لهذه القبيلة لتتركْ قولَ الشّعر، أو تتوقَّفْ قليلًا حتى تتباطأَ قوافيها عنّي. وفي هذا الكلام ضَرْبٌ من الاستهزاء بهم، وإشارةٌ إلى التجبُّر والتعَلّي عليهم. والقَطوفُ من الدوَابِّ: الذي في خَطْوِه بُطءٌ مع تقارُب. وجعلَ فعلَ الأمرِ للقوافي على السَّعة والمجاز. وسِنْبِسُ هم المأمورون. وهذا كما يقال في النَّهي: لا أَرَيَنَّكَ هٰهنا، والمخاطَبُ هو المنهِيُّ، لأنّ المعنى: لا تكن هٰهنا فأراك. ثم بيَّن هذا الشاعرُ الوجهَ الذي أَوجَبَ منه اطِّراح الافتخار ورفضَ الهجاء له، فقال:

٢ ـ إنّي امرؤٌ مُكرِمٌ نفسي ومُتَّئِدٌ ... مِن أن أُقاذِعَها حتى أُجازِيَها

يقول: إني رجلٌ أَرْبأ بقَدْري عن مكايلتهم، وأترفَّع عن موازنتهم، وأتوقَّف عن مُلاحاتهم، طلبًا لمجازاتِهم. والتقدير: لا أُقاذِعُها لكي أُجازِيَها، لأنّ حتى الداخلةَ على الفعلِ مرّةً يكون بمعنى كَيْ، ومَرّة يكون بمعنى إلى أن. ويجوز أن يكون المعنى: لا أُقاذِعُها إلى أن أُجازِيَها، أي أوّلًا أُجازيها فعلًا لأرى القُدرة عليها، ثم حينئذٍ أجازيها بالكلام، والأول أحسن. ثم أخذ يقتصُّ ما كان منهم لمّا طلب مكافأتَهم بالفعل. والمُقاذعة: المُفاحَشة. ويقال قَذَعْتُه، إذا رَمَيْتَه بالفُحْش. ومتَّئِدٌ: مُفتعِلٌ من التُّؤَدةِ، وهي الرِّفْق.

٣ ـ لمّا رَأَوْهَا مِنَ الأَجْزَاعِ طالِعَةً ... شُعْثًا فَوارِسُها شُعْثًا نَواصِيها

يقول لمّا رأوا الخيلَ بارزةً لهم ومفاجئةً إياهم من أجزاعِ الوادي ـ وهي جوانبها ـ مُغَبَّرَةَ النَّواصي مغبّرة الفرسان. وجواب لمّا فيما بعده. ويقال شَعِثَ شَعَثًا وشُعوثةً، وهو أَشْعَثُ وشَعِثٌ. وأضمَرَ الخيل في قوله «لما رأوها» وإن لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ، لأن الحالة الحاضرة تدلُّ عليه ويجوز أن يكون تقدَّم ذكرها فيما تُرِكَ من أبياته.

٤ ـ لَاذَتْ هُنَالِكَ بالأَشْعَافِ عالِمَةً أَنْ قد أطاعَتْ بَلَيْلٍ أَمْرَ غاوِيها

يقول: التجأتْ في ذلك الوقتِ إلى قُلل الجبال وأعالي الهضاب، عارفة سوء اختيارها في تحكُّكها بي، وتعرُّضِها بالشِّعر لي، وأنّها قد ائتمرت لغواتها بِلَيْلٍ. وذِكْر الليل هٰهنا إشارةٌ إلى حَيْرَتها فيما أَتَتْه من تَرْكها الرَّشاد، وقَبولها مَشورة الغُواة. والأشعافُ: جمع الشَّعَفَة، وهي أعلى الجبل، وأعلى كلّ شيء، ولذلك قيل شَعَفة القَلْب لرأسِه عند معلَّقِ النِّياط. وهنالك ظرف، ويكون للزّمانِ والمكان جميعًا، وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه، كأنّ البُعدَ فيما يُشار إليه بُهنالِك أبلغُ مما يكون فيما يشار إليه بهناك. وهذا على طريقةِ ما تقوله في ذلك وذاك. وقوله «أنْ قد أطاعت» أن فيه مخفَّفة من الثقيلة، أي عالمة أنها قد أطاعت. ويقولون لما لا يُعمَل بتثبُّتٍ وحُسن تدبُّر: «هذا أمرٌ قد قُدِّرَ بليْل». وعلى هذا قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ [النِّساء: الآية ٨١].

٧٥ ـ وقال آخر في ابنٍ له: [الطويل]

١ ـ لا تَعذُلي في حُنْدُجٍ إن حُنْدُجَا ولَيْثَ عِفِرِّينٍ لَدَيَّ سَوَاءُ

يخاطب لائمةً عَذَلَتْهُ في التوفُّر على ابنه حُنْدُجٍ واختصاصه إيّاهُ واستخلاصه، وذكر الخليل أن حُنْدُجًا في اللُّغة: رَمْلَةٌ طيّبة تُنْبِتُ ألوانًا من النبات. فيقول: لا تلوميني في أمر حُندجٍ، إنّ حُندجًا وليثَ هذه المَأْسَدَةِ متساويان عندي. وقد قيل في ليث عِفِرّين: إنّها هي التي تصيد الذُّبابَ وثبًا، فشبَّهه في كَيْدِهِ ومكرِه به، وقد وُصِف الخبيث المُنْكَر بالعِفْر والعِفْرِيَةِ وعَفَرْنَى، ويقال أيضًا للأسد عِفْرٌ وعَفَرْنَى. وقيل هو أشدُّ عَفَارَة، واستعفَرَ فلانٌ. وحكى الأصمعي أنّ ليث عِفِرِّينَ دابّة كالحِربَاء يتحدّى الراكبَ ويضرب بذنَبِه. وقيل: عِفِرِّينَ، موضع نُسِبَ إليه، وقيل: عفِرِّين، فِعِلِّين من العَفَر، وهو التُّراب، لأنَّ عادة الأسدِ. أنْ لا يصيب من فريسته حتى يُعفِّرَه، يشهد لذلك قولُ الآخَر في صفته: [الطويل]

ولا نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حتى تَعَفَّرا(١)

---

(١) لحسان بن نشبة في لسان العرب (فظظ) وتاج العروس (فظظ)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤: ٤٤١. وصدره:

«فكونوا كأنف الليث لا شمّ مرغمًا»

وذكر بعضُهم أنّ ليثَ عِفرّين كقولهم: لَيْثُ لُيُوثٍ، لأنّه يقال للمُنكَر الداهية عِفِرٌّ، ويوصَف به الأسود والرّجال. ويكون على هذا عِفِرّين جُمِع جَمْعَ السّلامة كالأقْوَرِينَ، ومرَّ بي أنَّ قولهم ليث عفِرّين يستعمَل في المدح والذّمّ وسَوَاءٌ: مصدرٌ في الأصل وُصِفَ به.

٢ ـ حَمَيْتُ على العُهَّارِ أطْهَارَ أُمِّهِ ... وبَعْضُ الرِّجال المُدَّعِين جُفَاءُ[1]

يُبيِّن في هذا الكلام انتفاء الرِّيْبِ عن مشابهته له. وتقبُّلِه إيّاه، وأنّه لا يُشَكُّ في كونه من صُلبه، فيقول: حَفظْتُ أطهارَ أُمِّهِ عن الزُّناة، لأني اخترتُها من بيتِ العفّة، وأَرومة الكرم، ومَغْرِس النّجابة، والعِتْق والشّهامة ودَعوَايَ حقٌّ، وبعض دَعاوَى المُدَّعِين كالذي يَعْلو السَّيلَ ويحتملُه من سَقَطه الأرض. والمراد بقوله: وبعض دَعَاوَى الرجال، فحذف المضاف وأقامَ المضافَ إليه مقامه. والعَهْر والعُهُور: الفجور. ويجوز أن يريد بقوله «حَمَيْتُ على العُهَّارِ» ما أراد امرؤ القيس بقوله: [الطويل]

وأَمْنَعُ عِرْسِي أن يُزَنَّ بها الخَالي[2]

أي بِفَرْط غَيرتي وكمال رُجوليَّتِي وتمام محاسِني. وإنّما خَصَّ الأطهار لِمَا في المَحِيض من الاعتزال، وكما قال الآخر: [البسيط]

دُونَ النّساء ولو باتَتْ بأطْهَارِ[3]

وذكر بعضُهم أنَّ المراد بقوله جُفَاءٌ: وبعضُ الرجال محمولٌ دعِيٌّ، فهو كالجُفَاء لا يُعتدُّ به، والصَّحيح الأوّل.

٣ ـ فَجاءَتْ به سَبْطَ العِظَامِ كأنّما ... عِمامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لِوَاءُ[4]

يقول: جاءت الأمُّ بهذا الولد وهو تامُّ العظام مديدُ القامة، فكأنَّ قامتَه رمح، وكأنَّ عمامتَه إذا توَسَّطَ الرّجالَ لواءٌ محمول عليه. وأحسن صنعةً منه قولُ مسلمٍ، وإن

(١) عند التبريزي: «غُثاءُ».

(٢) لامرىء القيس في ديوانه ٢٨، ولسان العرب (خلا)، وتاج العروس (خلو)، وجمهرة اللغة ١٣١٩، وديوان الأدب ١: ٣٦٠. وصدره:

«ألم ترني أصبي على المرء عِرسَه»

(٣) للأخطل في ديوانه ٨٤، وحماسة البحتري ٣٤، ونوادر أبي زيد ص ١٥٠، وبلا نسبة في الجنى الداني ٢٨٥، ورصف المباني ٢٩١. وصدره:

«قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم»

(٤) عند التبريزي: «سبط البنان».

كان هذا سليمًا من العَيْب: [الطويل]

يَقُومُ مَعَ الرُّمْحِ الرُّدينيِّ قَامَةً ويَقْصُرُ عنه طُولُ كلِّ نِجادِ

وفي طريقته قولُ الآخر: [الطويل]

يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الفَحْلِ غاربُه(١)

٧٦ ـ وقال آخر(٢): [الطويل]

١ ـ إِذا كانَ أولادُ الرِّجالِ حَزَازَةً فأنتَ الحَلَالُ الحُلْوُ والباردُ العَذْبُ(٣)

إذا يتضمَّن معنى الجزاء، ولهذا احتاج إلى الجواب فجُعل بالفاء. فيقول: إذا كان الأولاد تقطيعًا في الصدور وتحزيزًا في القلوب، لعقوقِهم واستعمالهم الجفاءَ في موْضع البِرّ معَ آبائهم، فأنتَ العَسَل مَشُوبًا بالماء العذْب. وقد وصف بعضُهم كلامًا فقال: «هو السِّحْرُ الحلال، والعَذْبُ الزُّلال». ويشير الشّاعر إلى سهولة جانبِه، وحُسن طاعته، ودماثَة خُلقه. وقال الخليل: الحزازة: وَجَعٌ في القلبِ من غَيْظٍ أو أَذًى. والحَزّاز أيضًا كذلك، وأنشد بيت الشَّمّاخ: [الطويل]

وفي الصَّدر حَزّازٌ من اللَّوْمِ حَامِزُ(٤)

٢ ـ لنا جانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وجانِبٌ إِذَا رَامَهُ الأَعداء مُمْتَنِع صَعْبُ

خاطَب في الأوّل ثم عَدَلَ في الثاني إلى الإخبار، وهذا عادتُهم إذا افتنُّوا في كلامهم، نظموا أو نثروا، لِمَا في التحوّل من سهولةِ تجاوبِ الألفاظ، وتلاؤُم طرائق النظام. فيقول: لنا مِن هذا الولد خُلُق سَجيح، ومذهبٌ في البِرّ فسيح، فهو هَيِّنٌ لَيِّنٌ

---

(١) لفرعان التميمي في لسان العرب (جعد)، والمقاصد النحوية ٢:٣٩٨، والحماسية رقم ٦٠٣. وصدره:

«وبالمحضِ حتى آمن جعدًا عنطنطًا»

(٢) عند التبريزي: «قال أبو رياش: هو لأبي الشغب العبسي، وقال أبو عبيدة: للأقرع بن معاذ القشيري».

(٣) مطلع المقطوعة عند التبريزي:

«رأيت رباطًا حين تمّ شبابُه وولّى شبابي ليس في بِرِّهِ عتبُ»

(٤) للشماخ في ديوانه ١٩٠، واللسان (حزر، حمز)، وصدره:

«فلما شراها فاضتِ العينُ عبرةً»

ومقاييس اللغة ٢:٨، ١٠٤، وأساس البلاغة (حزز)، وتاج العروس (حزز وحمز)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢:١٥٩.

معنا، وللأعداء منه إذا طلبوه أو جرّبوه جانبٌ خشِنٌ مِذفَعٌ، وطريق صعب مُتْلِفٌ، وخُلُق وغرٌ شَرِسٌ. ولم يقل وللأعداء جانب ولكنْ عَطَفَ الثانيَ على الأوّل، بمعنى أنّ أحدُهما لاجتذاب الخير، والآخر لدِفاع الشرّ. فكأنّ التقدير: ولنا منه جانب مُعَدٌّ للأعداء ذلك صفتُه، فصار الجانبان لهم في اللفظ، والقِسمةُ ثابتة في المعنى. والدَّماثة: سهولة الخُلُق ولينُ الجانب. ويُروى «ممتنِعٌ صَعْبُ»، و«مَتْلَفَةٌ صَعْبُ»، والمعنى ظاهر.

٣ ـ وتـأخُـذه عـنـد الـمـكـارِمِ هِـزَّةٌ كما اهتَزَّ تحت البارحِ الغُصْنُ الرَّطْبُ

البارحُ: ريحٌ حارةٌ تجيء من قِبَل اليمن: فيقول: تملكُه عند اكتساب المكارم أريحيَّة يهتزّ عندها اهتزازَ الغُصْن الرَّطب، الذي جرى الماء فيه، إذا هبّت عليه البارح. و«كما اهتزّ» أراد كاهتزاز. وقوله «تحت البارح» حسَنٌ جدًّا، لأنّ الريح تعلو الغُصُونَ في مرورها. وقد نسبوا البارحَ إلى النجوم إذا ذكروا الأنواء. قال: [الطويل]

أيا بارحَ الجوزاءِ ما لَكَ لا تَرَى عِيَالَكَ قد أمسوا مَرَامِيلَ جُوَّعا[١]

هذا يقولُه بعض المتلصِّصة. وعِيالُها: السُّرّاقُ، وذلك أنّ البارح تَحمِل الغُبار وتَدْرُس الآثار، فتَجْسُر المتلصِّصة على السَّعي، وتُمكِنُهم السرقة.

٧٧ ـ وقال آخر[٢]: [الطويل]

١ ـ وفارقْتُ حتَّى ما أُبالي مِنَ النَّوَى وإنْ بَـانَ جِـيـرَانٌ عـليّ كـرامُ[٣]

يُروى: «مَنِ انْتَوى» وهو افتَعَل من النَّوى، وهي الوِجهة المنويّة للقوم، أو البُعْد. يقول: أَلِفتُ مفارقة الوَطَنِ والإخوانِ شيئًا بعد شيءٍ، واعتدتُ التّباعُدَ عنهم يَوْمًا بعد يوم، حتَّى لا أبالي مَن انتوى منهم أو نأى، وإنْ كَرُموا عليَّ عند المجاورة. ومن روى: «لا أُبالِي من النَّوَى» فمعناه لا أحتفل به، والأوّل أحسن. فإن قيل: كيف تعلّقَ «حتى» بفارقْتُ؟ وما معناه؟ قلتَ: أراد تكرَّرَت المفارقةُ عليّ وقتًا بعد وقْتٍ، وحالًا بعد حَالٍ، إلى أن صِرْتُ لا أبالي بالفِراق. فمعنى حتَّى: إلى أنْ. وقوله «فَارَقْتُ» مُسْتصلَحٌ للقليل والكثير فانصرَف إلى الكثير، بدَلالة أنّ المتمرِّن بالبلاء قديمًا، والمتحكِّك به كثيرًا، هو الذي يستهين به كثيرًا، دون من مَارَسَهُ يسيرًا، وعالَجه حديثًا.

---

(١) بلا نسبة في اللسان (جنن)، وجمهرة اللغة ٢٧٤، والأزمنة والأمكنة ١: ٢١٦، ومجالس ثعلب ٤٩٠.
(٢) التبريزي: «وذكر أنه لعبد الصمد بن المعذّل، وقيل: للحسين بن مطير».
(٣) التبريزي: «ويروى: وفارقت حتى ما أحنّ من النوى».

٢ ـ فقد جَعَلَتْ نفسِي على النَّأْيِ تَنطوي وعَيني على فَقْدِ الصديقِ تَنامُ(١)

جعلَتْ نفسي، بمعنى طَفِقَتْ وأقبلَتْ، ولذلك لا يتعدّى. فيقول: أخذَتْ نفسي تَصبرُ على النأي، وتنطوي على الفِراق، فلا يظهر منها جزَعٌ، ولا تبوحُ بشَكْوٍ، وعيني تنام على فَقد الصديق منهم فلا تسهر، ولا تبكي فتذرِف وهكذا النفسُ إذا وُطِّنَتْ على الشدائد، وتمرَّنَتْ بالمصائب. وقوله «تَنطوي» أصْلُ الطَّيِّ الثَّني والقَبْضُ، ومنه الطاوي والطَّيَّان.

٧٨ ـ وقال آخر(٢): [البسيط]

١ ـ رُوِّعتُ بالبَينِ حتَّى ما أُرَاعُ له وبالمصائبِ في أهلي وجيراني

يقول: فُزِّعتُ بالفِراق مرَّةً بعد أخرى، وثانيةً بعد أولى، حتى صِرْتُ لا أرتاعُ له، وواظبَتِ المصائبُ عليّ واتَّصَلَتْ في الأهْلِ تارةً، والإخوان أخرى، حتى صارت الرّزايا بالإلْف كأنها مرازِيُّ وعطايا. والكلام في حتَّى واتصالهِ ومعناه على ما تقدّم.

٢ ـ لم يَترُك الدهرُ لي عِلقًا أَضَنُّ به إلا اصطفاهُ بِنَأْيٍ أو بهِجْرانِ

يقول: لم أدّخِرْ لنفسي عِلْقًا نافَسْتُ فيه إلا زاحمني الدهرُ عليه فاستأثر به، إما بإيقاعِ بُعدٍ بيننا، أو إحداثِ هجرانٍ توسَّطَنا. وأصلُ العِلْق: المال الكريم، وجمعه أَعْلَاقٌ وعُلُوقٌ، واستَعَارهُ هٰهنا.

٧٩ ـ وقال طُفيلٌ الغَنَوِيُّ(٣): [الطويل]

١ ـ وما أنا بِالمستَنْكِرِ البَيْنَ إنَّني بِذِي لَطَفِ الجِيرانِ قِدْمًا مُفَجَّعُ

يقال: نَكِرَ وأنكَرَ واستنكرَ بمعنًى واحدٍ. فيقول: أنِسْتُ بفراقِ الأحبّة بعد نَفْرَتِي، وبِبُعْد ذوي اللَّطَفِ عَقبَ قَلَقي، وذلك لأنّي فُجِّعْتُ بالخُلطاءِ والجِيران قديمًا، حتَّى صار كالعادة المألوفة. وقوله «بذي لَطَفِ الجيران» أرَاد بلطيف الجيران، أي باللطيف منهم. وقِدْمًا ظرف للمُفجَّع.

---

(١) عند التبريزي: «على فقدِ الحبيب».

(٢) التبريزي: «قال أبو العلاء: هذا يروى لمؤرّج السدوسي».

(٣) طفيل الغنوي: طفيل بن عوف، أو هو طفيل بن كعب الغنوي، من قيس عيلان، شاعر جاهلي، وهو أوصف العرب للخيل. (ت ١٣ هـ/ ٦١٠ م). ترجمته في الشعر والشعراء ١٧٣، والأغاني ١٤: ٨٥.

٢ ـ جَدِيرٌ بهم من كل حيٍّ صَحِبْتُهمْ إذا أَنَسٌ عَزُّوا عليَّ تَصَدَّعُوا[(١)]

يقول: أنا خَليقٌ بالبَيْنِ من كلّ حيٍّ أجاورُهم إذا استَوْقَفْتُ قُرْبَهُمَ، واستحليت الكَوْنَ معهم، حتّى لا يَعِزُّ عَليَّ أُناسٌ إلّا تَفرّقوا عن كَثَبٍ. والأَنَسُ: الطّائفة من النّاس. يقال: رأيت معه أَنَسًا كثيرًا، أي نَاسًا. تَصَدَّعوا: تفرّقوا. ومنه يقال تصدَّعتِ الأرضُ بفُلانٍ، إذا تَغَيَّبَ هَارِبًا.

٨٠ ـ وقال الرّاعِي[(٢)]: [الطويل]

١ ـ وَقَدْ قَادَنِي الجِيرَانُ حِينًا وقُدتُهُمْ وفَارَقْتُ حَتَّى ما تَحِنُّ جِمَالِيَا

يقول: جَذَبني الخُلَطاءُ زمانًا وجذَبتُهم، حتى كُنتُ في حُكْمِ من لا يَصبِرُ عنهم، ولا ينفكُّ منهم، كالقائد للشّيء، وهو مقودٌ لهُ، لأنّ من كان هذه صِفَتَه مع شيءٍ فهو يلزمُه ولا يفارِقُه. والآن فارقْتُهم فلا أَحِنُّ إليهم، ولا أَنْزِعُ نحوهم. ونَسَبَ الحَنِينَ إلى جِمالِه وإن كان المُرادُ النَّفس، لأنّها في الحنين أقَلُّ صَبْرًا حتّى ربما تَهِيم على وجوهها، وتَنِدُّ عنْ صواحِبِها، طَلَبًا للإلف، وجَرْيًا مع الْهَوى. وعلى هذا قال مَن قال في مخاطَبة راحلتِه وقد رآها: [الوافر]

فإنّي مِثْلُ ما تَجِدِينَ وَجْدِي ولكنْ أصحبَتْ عَنهمْ قَرُونِي[(٣)]

٢ ـ رجاؤكَ أنْسَانِي تَذَكُّرَ إخْوَتِي ومَالُكَ أَنْسَانِي بِوَهْبِينَ مَالِيَا

يقولُ: أَمَلِي فيك أنساني الفكر في إخوتي وأهل بيتي، وطمعي في مالك أنساني مالي بوهْبِينَ. وهذا قاله لأنّه يُرى أنّ رجاءه فيه لتَحَقُّقِه صار مؤثِّرًا على ذكر وطنه وعشيرته، وأنّ ما طَمِع فيه من مالِه لمّا كان أكثرَ مِمّا ملكه بوهبين صار مُنسِيًا له.

وهذه المقطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظة والقَسوة، وذِكر قلّة الفِكر في الأوطان والأحبَّة، وتناسِي العُهود والأذِمَّة، ومفارقة الأماكن المألوفة. والحِلَلِ المورودة، وشَكْوى النَّفس إلى التنائي والغُرْبَةِ، دَخَلَتْ في باب الحماسة. وبمِثْلِ هذه المناسبة دخل فيه كثير من نظائرها، وسَنَدُلّ عليها إذا انتهينا إليها.

---

(١) ذكر التبريزي بعد هذا البيت بيت ثالث وهو:

«وإنّيَ بالمولى الذي ليس نافعي ولا ضائري فقدانه لَمُمَتَّعُ»

(٢) الراعي النميري: عبيد بن حصين، شاعر من فحول المحدثين، عاصر جريرًا والفرزدق (ت ٩٠ هـ/ ٧٠٩ م). ترجمته في الأغاني ٢٠: ١٦٠، والشعر والشعراء ٣٧٧.

(٣) بلا نسبة في اللسان (قرن) وتاج العروس (قرن)، وهو لرجل من كليب في الحماسية رقم ٩٠.

٨١ ـ وقال آخر(١): [المتقارب]

١ ـ وإنَّا لَتُصْبَحُ أَسْيافُنا إذا ما اصْطَبَحْنَ بيَومٍ سَفُوكِ

يرْوَى «تُصْبَحُ» بفتح الباء على ما لم يسمَّ فاعله، فيكون المعنى: إنَّا لَتُسْقَى أسيافَنا الصَّبُوحَ بيوم سَفُوكٍ إذا ما اصْطَبَحْن. ومن روى «لَتُصْبِحُ» بكسر الباء فخَبَرُ تُصْبِحُ في الثاني، وهو «منابرُهُنَّ بُطُون الأكُفّ». والمعنى: إنّا لتصير أسيافنا إذا شَرِبَته الصَّبوح في يوم سَفُوكٍ للدماء بهذه الحالة. ونسْبَةُ السَّفْكِ إلى اليَوْمِ مَجازٌ لمَّا كان يقَعُ فيه، فهو كقولهم: نَهَارُهُ صَائِمٌ.

٢ ـ مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الأَكُفِّ وأغْمَادُهُنَّ رؤوسُ المُلُوكِ

أراد أنها تُنْتَضَى فتَخْطُبُ واعظةً للأعداءِ زاجرةً، ومُنْذِرَةً للكُمَاةِ محذِّرَةً، لكنّ منابرَهُنَّ أكُفُّ الضاربين، وأغمادها إذا أُغمدت رؤوس المُلوكِ المعظَّمين، وهم يتبجَّحون بقتل الملوك وقِتالها، ويقرُبُ من هذا قولُه: [الوافر]

يكُونُ جَفِيرَها البَطَلُ النَّجِيدُ

وقوله: [الكامل]

من عَهْدِ عادٍ كان معروفًا لنا أَسْرُ الملوكِ وقتْلُها وقِتالُها

والمنابرُ: مواضِع النَّبْر، وهو الصوت، لأنها نُصِبت للخطب والمواعظ والتحميدات.

٨٢ ـ وقال آخر(٢): [البسيط]

١ ـ لا يَمنَعَنَّكَ خَفضَ العيشِ في دَعَةٍ نِزَاعُ نَفْسٍ إلى أَهْلٍ وأَوْطانِ

يقول: لا يُزَهِّدَنَّكَ اشتياقُك إلى السَّكْن، وحنينُك إلى الوَطن، في إيثار سَعَةِ العيش ورَغدِهِ مع الرّاحة والسُّكون. ويُرْوَى: «نُزُوعُ نَفْسٍ» والنزوع اشتهارُه في الكَفِّ عن الشيء، والنِّزاعُ في الشوق، وإن كان جائزًا وقوعُ أحدِهما موقعَ الآخر في التشوُّق. ويقال: ناقةٌ منازِعٌ ونَزُوعٌ. وقد أنزَعوا، إذا حَنَّتْ إبِلُهم. والنَّزْعُ: الجَذْب، ويقال: خَرَجَ نازِعَ يَدٍ، إذا خرَج عن الطاعةِ.

---

(١) الأبيات في ديوان المعاني ٢: ٤٠٠ وقد نسبها للحمّاني.

(٢) ذُكر في ديوان الحماسة برواية الجواليقي أنه لإبراهيم بن العباس الصولي، والأبيات في الحماسة البصرية ٢: ٢٢٠.

٢ ـ تَلْقَى بكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بها أَهْلًا بأَهْلٍ وجِيرَانًا بجِيرَانِ

هذا تسليةٌ للنفس عن الأهل. يقول: تجدُ بكلّ بلد تَنزِلُ به أهلًا بدلًا من أهلِك، وجيرانًا بدلًا من جيرانِك. والعربُ تقولُ: هذا بذاكَ، أي هو عِوَضٌ منه. وإنما ضَمَّنَ أبو تمّام هذه الأبياتَ بابَ الحماسة، لما قدّمتُه من أنها صادرةٌ عن قَسْوةٍ شديدةٍ، وقلّةِ فِكرٍ في التحوُّل عن الإلْف والعادة، ولأنّ تَرْكَ الوطن والإخلال بالعشيرة يُضَمُّ إلى القتلِ وتَلف النفس، فالصبر عليه كالصبر على القتل. ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

٨٣ ـ وقال بعض بني أَسَدٍ(١): [الطويل]

١ ـ إِلَّا أَكُنْ مِمَّنْ عَلِمْتِ فإنّني إِلَى نَسَبٍ مِمَّنْ جَهِلْتِ كَرِيمِ

يقول: إن لم أكُن ممن عرَفْتِهم بالشرف، فإني أنتمي إلى شرَفٍ كريم ممن جهِلْتِهم. كأنه يريد: ليس الاعتبارُ بما تَعُدِّينه شرَفًا أو تعرفِينَه نَسَبًا، لكنّ الاعتبار بحصول الكَرَم على أيّ وَجْهٍ حصَل، وحَوْزِ المَجْد وإنْ جَهِلَه من جَهِل. وقولُه «إلى نَسَبٍ» يَتعلقُ بفعل مضمَرٍ، كأنه قال: فإنني أَنْتَمِي إِلَى نسبٍ.

٢ ـ وإلّا أَكُن كلَّ الجَوَادِ فإنّني عَلَى الزّادِ في الظَّلماءِ غيرُ شَتِيمِ

يقولُ: إن لم أكُن النهايةَ في الجودِ فإني لا أُشتَمُ بسبب الزاد في الليلة المظلمة، فلا أُذَمُّ لصَرْفي الضيف عن نفسي بالعِلل الكاذبة في الشَّتْوَةِ القَحِطة. وقد اشتَمَل قولُه «على الزادِ في الظَّلماء» على ما بَيّنّا وأكثرَ منه. وهذا الذي خَبَّرَ به عن نفسه هو الجُودُ، لكنه أراد أن يُرِيَ من نفسه تَرْكَ ادّعاء النِّهايات، والأخذِ بالاقتصاد في الحالات، وإن كان تَناهَى من حيث اقتَصَدَ. ويقال: زَيْدٌ الشُّجاع كلُّ الشجاع، والمعنى أنه الكاملُ في معناه. ومن هذا الباب قولُه عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾ [سَبَأ: الآية ٢٤]. وهذا كلامُ من نظر لنفسه وغَيْرِهِ، وتبيَّن ما عليه وله، فأثبَتَ ما أَثبَتَ في أحسن مِعْرَضٍ، ودفَع ما دَفع بألطفِ تعريضٍ. وتعلّق على من قوله: «على الزاد» بشتيم وإن كان مضافًا إليه، لأنه أُجرِيَ غير مَجْرَى لا،

---

(١) التبريزي: «قيل: هي لعبد العزيز بن زرارة ٢٢. وعبد العزيز بن زرارة الكلابي: قائد من الشجعان المقدمين في زمن معاوية، كان فيمن غزا القسطنطينية وأبلى في قتال الروم بلاءً عجيبًا (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م). ترجمته في الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٤٩.

لأنهما للنَّفْي، فحُمِلَ الكلام على المَعْنَى فكأنه قال: إنّني على الزادِ لا أُشتَمُ. ونزيد هذا شرحًا فيما بَعدَه.

٣ ـ وإلّا أكُنْ كلَّ الشُّجاعِ فإنّني بضَرْبِ الطُّلَى والهامِ حَقُّ عَلِيمِ

هذا كالبيت الذي قبله. يقول: إن لم أكُنِ النّهاية في الشّجاعة، والمعنى إن لم يكن فِعلِي النهاية فيما يفعلُه الشجاع، فإنني عالمٌ حقًّا بضرْب الرؤوس والطُّلَى. والمتناهِي في الشجاعة لا يَتعدَّى فعلُه هذا، لكنّه سَلَكَ طريقته فيما قَبْلَهُ. الطُّلَى: الأعناق وأعراضها، والواحدةُ طُلْيَةٌ. والباء من قوله «بضَرْب الطُّلَى» تعلّق بقوله عليم.

فإن قيل: كيف سَاغَ ذلك والمُضاف إليه لا يعمل فيما قَبْلَ المضاف؟ قُلْتَ: لمّا كان قَولُه «حَقُّ عَلِيم» لا زيادةَ فيه إلا التوكيد لم يُعْتَدَّ بالمضاف، فحُمِلَ الكلام على المعنَى لا على اللّفظ، فكأنّهُ قال: إنّنِي بضَربِ الطُّلَىَ عليمٌ جدًّا. ويجري هذا المَجْرَى إجازتُهم لقول القائل أنتَ زَيْدًا غير ضارِبٍ، مع امتناعهم من إجازة أنت زَيْدًا مثْلُ ضارِبٍ، لما كانت مَعْنَى غَيْرِ معنى لا، فَحُمِلَ الكلام على المعنى لا على اللفظ، حتّى كأنه قيل: أنتَ زَيْدًا لا ضَارِبٌ. فاعلمه، وبالله التوفيق.

٨٤ ـ وقال عَمْرو بن شَأس[1]: [الطويل]

١ ـ أرَادَت عِرَارًا بالهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ عِرَارًا لَعَمْرِي بالْهَوَان فقد ظَلَمْ

المُضْمَرَةُ في أرادت رابّةُ عِرَارٍ، فقال والدُهُ عمروٌ: أرادت امرأتي إهانةَ عِرَارٍ والاستخفافَ به، ومن يطلبْ ذلك في مثلِهِ فقد وضعَ الشيءَ في غير موضِعِه. فإن قيل: هل تَفْصِلُ بين قولِه أرادت عِرَارًا بالهوان وبين قوله لو قال أهانت عرارًا؟ قلتَ: بَلَى، لأنَّ معنى أرادتْهُ بالهوانِ أرادت كونَهُ لها وصحبتَه إياها باستعمال الهوانِ معه، فيجوز أن يكون الهوانُ واقِعًا، ويجوز أن يكون غيرَ واقعٍ. ومعنى أهانَتْه: ابتذلَتْهُ وأذَلّته، فهو إخْبَارٌ لوقوع الفعل به فيما مضى. ويجوز أن يكون معنى ظَلَم: تَحَيَّفَ حَقَّهُ ويَخَسَهُ.

---

(١) عمرو بن شأس: شاعر جاهلي مخضرم أدرك الإسلام وأسلم، شهد القادسية (ت ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م). ترجمته في الإصابة ٨:٥٨٦، والاستيعاب ٢:٥١٩. قال التبريزي: «وكانت له امرأة من قومه وابنٌ من أَمَةٍ سوداء يقال له عرار، فكانت تعيّره إياه وتؤذيه ويؤذيها فأنكر عمرو عليها أذاها فقال هذه الأبيات».

٢ ـ فإنْ كُنتِ منّي أو تُريدينَ صُحْبَتِي فكُوني له كالسَّمْنِ رُبَّتْ لَهُ الأَدَمِ

نَقَلَ الكلَامَ عن الإخْبارِ إلى الخِطاب، على عَادَةِ تَفَنُّنِهم. يقول: إنْ كُنْتِ تَهْوَيْنَ هَوَايَ، أو تُريدينَ الكَوْنَ مَعِي ومصاحبتي، وإن انْطَوَيْتِ في حُبِّه على مُخَالَفَتِي، فكُوني له في تَصَنُّعكِ كأنكِ موافقةُ الظَّاهِرِ للباطنِ، جاريَةٌ معَهُ على الحَدِّ الواحد من حُسْنِ العِشْرَةِ، وإظهارِ المَيل والمَوَدّة. والسَّمْنُ إذا رُبَّ نِحْيُهُ لم يتغير، يريد فلا تتغيّري أنتِ أيضًا. ومعنى رُبَّتْ له أي من أجْلِهِ، والأَدَمُ: جمعٌ، يقالُ أدِيمٌ وأدَمٌ. وله نظائرُ قليلة: إهَابٌ وأهَبٌ، وأفيقٌ وأَفَقٌ، وعَمُودٌ وعَمَدٌ.

٣ ـ وإن كُنتِ تَهْوَيْنَ الفِرَاقَ ظَعِينَتِي فَكُوني له كالذِّئبِ ضاعتْ لهُ الغَنَمْ

يقول: وإن كنتِ تُؤْثرين مفارقتي وتميلين إلى التّباين عنّي فأسِيئي عِشرتَه وكوني له كالذِّئب ضاعتِ الغنم من أجل وُقوعه فيها. والمعنى عاشِرِيه عِشْرَتَهُ لَهَا. ويجوز أن يريد بقوله «ضاعت له الغنم» فاتَتْه الغنم بعد أن أمْكَنَتْه. والسَّبُعُ إذا شارفَ فريسته ثم فَاتَهُ كان ذلك مُهَيِّجًا له، وداعِيًا إلى الفساد فيما يُمكنه.

٤ ـ وإلّا فَسِيري مِثْلَ مَا سَارَ راكِبٌ تَجَشَّمَ خِمْسًا ليس في سَيْرِهِ أَمَمْ

هذا كما يقال على طريق الوعيد أو إظهار الزُّهْد لمن يُؤْمَرُ شيئًا: اعْمَل كذا وكذا وإلّا فَدَعْهُما ولا تَعْمَل أحدَهُما فلا حاجةَ لنا فيه. يقول: وإلّا فلا تُحْسِنِي إليه وفارقيني مِن وقتِك. وهذا إظْهَارٌ لزهده فيها، واطّراح تَكَلُّفِ الاشتراطات مَعَها. ثم قال: ليكن سِيْرُكِ سيْرَ الرّاكِبِ تكلّفَ وُرودَ الماء لخِمِسٍ، وليس في سيْرِهِ قَصْدٌ ولا قُرْبٌ. وقوله «مِثْلَ ما سار راكِبٌ» أي سيْرًا يُشابه سيْرَهُ. وقوله «تَجَشَّم» من صِفَةِ راكب. والأَمَمُ: القربُ، ويقال: أَمْرِي من أمرِكُمْ أَمَمٌ. ويُرْوَى: «ليس في سيره يَتَمْ» أي إبطاء.

٥ ـ فإنّ عِرَارًا إن يَكُنْ ذَا شَكِيمَةٍ تُلَاقينها منه فما أَمْلِكُ الشِّيَمْ[1]

يقول: إنّ عِرَارًا إنْ يكن ذا سوء خُلُقٍ تُمْنَيْنَ به وتَشْقَيْنَ بمقاساته، فإني لا أَمْلِكُ تغيير الطبائع والخلائق. وكأنّه جوابٌ لاعتذارِها مِن قلّة الملاءمة بينهما. والشّكيمةُ: الحَدُّ والشِّدّة. ويقال: إنه لشديدُ الشّكيمة، أي شديد العارضة. ويجوز أن يكون

(١) عند التبريزي: «تقاسينها» بدل «تلاقينها».

شَكيمةُ اللِّجام ـ وهي الحديدة المعترِضة منه في الفم ـ مأخوذًا منه، والجميع الشكائم.

٦ ـ وإنّ عِـرارًا إن يـكُـنْ غـيـر واضـحٍ فإنّي أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا المَنكِبِ العَمَمْ

يقول: وإنّ وَلَدِي عِرارًا إن لم يكن وَضيءَ الوجه ممسوحًا بالجمال، فإنّي أحِبُّه على سوادِه وتمام خَلْقِه. وهذا كأنه إسْقاطٌ لقول من يُزَيِّفُ ٱبنَه ويُعَيِّرُه القُبحَ والدّمامةَ. وكان عرارٌ هذا أحَدَ الفُضَلاء، وتوجّه عن المُهَلّب بن أبي صُفرة إلى الحجّاج رسولًا في بَعض فُتوحه، فلما مَثَل بين يَدَي الحجّاج لم يعرفْه، وازدراه، فلما استَنطقه أبانَ وأعرَبَ ما شاء، وبلغ الغاية والمرادَ في كلّ ما سأَل، فأنشدَ الحجّاجُ: «أرادت عِرارًا بالهَوَان...». الأبياتَ متمثّلًا، فقال عرارٌ: أنا أيَّدَ الله الأميرَ عِرارُ! فأُعجِبَ به وبذلك الاتفاق. وفي هذه الطريقة قول المأمون لإبراهيم بن المَهدِيّ: [الخفيف]

إن يـكـن لـلسَّـوادِ فـيـك نَـصِـيـبٌ فَـبَـيَاضُ الأخـلاقِ مـنـك نَـصِـيـبـي

والعميمُ والعَمَمُ: الطويل التامّ من كلّ شيء. والجون الأسود هٰهنا، ويُجْعل من الأضداد.

٨٥ ـ وقال آخر[١]: [البسيط]

١ ـ لـولَا أُمَـيـمـةُ لـم أجـزَعْ مـن ٱلعَـدَمِ ولم أُقاسِ ٱلدُّجَى في حِندِسِ الظُّلَمِ

يُرْوَى: «ولم أجُبْ في الليالي حِندِسَ الظُّلَم». والمبتدأ بعد لولا يُحذَفُ خَبَرُه أبدًا، ويُستغنَى بجواب لَوْلَا عنه. والتقدير: لولا أُمَيْمةُ مانعةٌ لم أَجْزَع. فيقولُ: لولا ابنتي أميمة لم أَخَفِ الفقر ولم أرْحَلْ في طَلَب المال، ولم أركب الليل، فكنت أجوبُ ظَلْماءَه، وأُكابِدُ أهوالَه. والحِندِس: شدة الظُّلمة، وقد اشتُقّ منه الفعل، فقيل: حَنْدَسَ الليلُ فهو مُحَنْدِسٌ. ومعنى لم أجُبْ: لم أقطع. وقاطِع المواضع المُظْلمة كأنه قاطِعٌ للظُّلْمة. ومن رَوَى «ولم أُقاسِ ٱلدُّجى» يريدُ أهوالَها. وإضافة ٱلحِندِس إلى الظُّلَم كإضافة البعض إلى الكلّ، أي في الشّديد من الظُّلَم. ويقال: تَحَنْدَس الرَّجُل، إذا ضَعُف وسَقَط.

---

(١) عند التبريزي: «وهو إسحٰق بن خلف». وإسحٰق بن خلف المعروف بابن الطبيب، كان في منشأه من أهل الفتوة (ت ٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م). ترجمته في فوات الوفيات ١: ١٠.

٢ ـ وزادنِي رَغْبَةً في ٱلعيشِ مَعرِفَتِي ... ذُلَّ ٱلْيَتِيمةِ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ

يقول: زادني حِرْصًا على الدُّنيا ورَغْبةً في العَيْشِ فيها، عِلْمِي بذلّ اليتيمة وقد جَفاها أقاربُها، وأَطْرَحَها أهلوها. وموضع «يَجفُوها» من الإعراب نَصْبٌ على الحال لليتيمة، والعامِلُ فيه ذُلّ اليتيمة. والتقدير: زادني مَعرفتي بذُلّ اليتيمة إذا جَفاها ذَوُوها رَغْبَةً في العَيْش ومُهْلَةِ العُمْر.

٣ ـ أُحَاذِرُ الفَقْرَ يَوْمًا أن يُلِمَّ بها ... فَيَهتِكَ السِّتْرَ عن لَحمٍ على وَضَمِ

قوله «أن يُلِمّ بها» موضعُهُ نَصْبٌ على البَدَل من الفقر. والمعنى: أُحاذِر إلمامَ الفَقْرِ بها فيَكْشِفَ السِّترَ عمّنٍ لا دِفاعَ به، فتناوَلَهُ من شاء بما شاءَ. والعربُ تَقُولُ: «النِّساء لَحْمٌ على وَضَمٍ إلا ما ذُبَّ عَنْهُ». والوَضَمُ: خِوَانُ الجزّارِ والخبّاز، ومَوضِعُه مِيضَمَةٌ، والجميع المَواضِم.

٤ ـ تَهْوَى حيَاتِي وأَهْوَى مَوْتَها شَفَقًا ... والمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَّالٍ على الحُرَمِ

يقول: تحبّ ابنتي بقائي لها، وأنا أودُّ مَوتَها إشفاقًا عليها، وخوفًا من ابتذالٍ يَلْحَقُها، وابتلاءٍ بمن لا يَعرفُ لها ما يُعرَفُ لمثلها، ثم قال: والموتُ أكرم نَزَّالٍ على الحُرَم، كما قيل: «نِعمَ الخَتَنُ القَبْرُ» و«دَفْنُ البناتِ من المكرُمَات». وانتصب شَفَقًا على أنه مفعولٌ له.

٥ ـ أَخْشَى فَظَاظَةَ عَمٍّ أو جَفَاءَ أخٍ ... وكُنْتُ أُبْقِي عَلَيهَا من أَذَى الكَلِمِ

هذا تفسير قوله «أهْوَى مَوْتَها شَفَقًا» يريد: أُشْفِقُ من مغالَظَةِ عَمٍّ لها، أو جَفْوَةِ أخٍ تَلْحَقُهَا، وأنا كنت أُبقِي عليها من إيذائها بالكَلِمِ فَضْلًا عن غَيْرِها من الأفعال. يقال: رَجُلٌ فَظٌّ، إذا كان قَاسِيَ القَلْب غليظَ القول. والكَلِمُ: جمع كلمةٍ. ومعنى: «أَذَى الكَلِمِ» الأذى الذي يَلحقُ من الكَلِم.

وهذه الأبيات مع ما يشبهها لمّا ضَادّت ما قبلها في تضمُّنِها رِقة القَلْبِ، والتعطُّفَ على الوَلَدِ والأَهْلِ، أَتْبَعَها بها. وكلُّ ذلك كالعارِض ثم يَعُود إلى ما بني عليه الباب، وهذا عادةُ أبي تمام في أبواب هذا الاختيار ويشبهها قول الآخر[١]:

[الوافر]

لَقَدْ زَادَ الحياةَ إليَّ حُبًّا ... بَنَاتِي إنّهُنَّ من الضِّعَافِ

---

(١) لأبي خالد القناني في الكامل ٥٢٩ (ليبسك)، واللسان (كرم).

أُحـاذِر أن يَـرَيْـنَ الـبُـؤسَ بَـعْـدِي　　وأن يَـشْـرَبْـنَ رَنْـقًـا بـعـد صـافِ
وأنْ يَـعْـرَيْـنَ إن كُـسِـيَ الـجَـوَارِي　　فَـتَـنْـبُـو الـعَـيْـنُ عَـنْ كَـرَمٍ عِـجَـافِ

٨٦ ـ وقال خطّابُ بن المعلَّى[1]: [السريع]

١ ـ أنـزَلَـنِـي الـدَّهـرُ عـلى حُـكْـمِـهِ　　مِـن شَـامِـخٍ عَـالٍ إلـى خَـفْـضِ

يقول للدّهرِ حُكْمٌ مَعْرُوفٌ، وطَرِيقٌ مألوفٌ، في رَفْعِ الوضيع، وحطِّ الرفيع، فأجْرَى حُكْمَه عَلَيّ، وأنزَلَنِي عن رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ إلى مَنْزِلَةٍ مُنْخَفِضَةٍ، والخَفْضُ: ضِدُّ الرَّفع، وهو مَصْدَرٌ وُضِع موضِعَ المفعول. يريدُ إلى مكان منخفض.

٢ ـ وغَـالَنِـي الـدَّهـرُ بـوَفْـرِ الـغِـنَـى　　فَـلَـيْـسَ لي مَـالٌ سِـوَى عِـرْضِـي

يرْوَى: «عالَنِي» ومعناه غلبني، ويُروى: «غالنِي» ومعناه أهْلكني بارتجاع عَوَارِيِّه من المال، واستلابِ ما كنتُ وُفِرْتُ به من العَتَادِ، فمالي مَالٌ سِوَى نَفْسِي، وليس النَّفس من المال في شيءٍ. ومَوْضِعُ «سوى» نَصْبٌ على أنه استثناءٌ خارجٌ، وهذا الاستثناءُ يتأكّد به انتفاء الغِنَى. ومثله قوله: [الطويل]

ولا عَيبَ فيهم غَيْرَ أنّ سُيُوفهم　　بِهِنّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ[2]

ويجوز أن يكون المعنى: ليس لي غِنًى سوى غنى نَفْسِي، فحذَف المُضَافَ، والمعنى: إنّ نَفْسِي غَنِيَّةٌ فلا تَطْمَعُ في المكاسِب الوضيعة، ولا تتدنس بالمآكل الخبيثة. وقوله «بوفرِ الغِنَى» أي بِسَلْبِ وَفر الغِنَى، فحذَفَ المُضَافَ. ويتعلّق الباء منه بقوله غَالَنِي. والوفرُ: كثرةُ المال، وأضافَهُ إلى الغنى، لأن المراد المال الذي يَحْصُلُ به الغِنَى. وهم يضيفون الشيءَ إلى الشيء لأدنى مناسبة بينهما، سَوَاءٌ كان له أو عَلَيْه، أو معه أو فيه، أو من أجْلِهِ، أو مما يليه. ويجوز أن يكون مَوْضِع «بوَفْر الغِنى» نَصْبًا على الحال للدَّهرِ، كما تقول: فاتني فُلَانٌ بكذا، والمعنى فاتَنِي مستصْحِبًا لَهُ. ومثله: جاء في أَطْمارٍ، أي لابِسًا لها. ويجوز أن يكون حملَ الكلام على المعنى، فَعَدَّى غَالنِي تَعْدِيَةَ فَجعَنِي، لأنه في معناه، فكأنه قال: فَجَعَنِي بوفر الغِنى وأصابني.

---

(١) التبريزي: «حطّان بن المعلّى» وهو شاعر إسلامي ترجمته في سمط اللآلي ٨٠٣.
(٢) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤٤، والأزهيّة ١٨٠، وخزانة الأدب ٣:٣٢٧، وبلا نسبة في اللسان (قرع، فلل).

٣ ـ أبكانِيَ ٱلدَّهْرُ وَيا رُبَّمَا أضحَكَنِي ٱلدَّهْرُ بما يُرْضِي

قولُه «بما يُرْضِي» يدُلُّ على أنه أضمَرَ مع قولِهِ أبكاني الدهرَ شيئًا يكونُ في مقابَلتِهِ، وحذف لأنّ المراد مفهومٌ. والمعنى: أبكاني الدهرُ بما يُسْخِط. وقوله «يا رُبَّمَا» المُنادَى فيه محذوف، كأنه قال: يا قومِ رُبَّما. وهذا النداءُ على وجْهِ التحسُّر والتوجع من معاملة الدهر وسوء تَنَقُّله. وقولُه «رُبَّما» «ما» هذه دخلتْ كافَّة لِرُبَّ عن العمل، ومخرِجةً لها إلى أن تَصيرَ مشتركةً حتّى جازَ وقوعُ أضحكني بَعدَه. ومثلُه قولُه تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحجر: الآية ٢]. ومعنى البيت: أبكاني الدهر بما أسخَطَني، ويا قَوْمِ ربما أضحكني الدهرُ فيما مضى بما أرضاني. وفي طريقتِهِ قولُ الآخر[١]: [الطويل]

فإنْ تكُنِ الأيّامُ أحْسَنَّ مَرَّةً إليَّ فقد عادتْ لهُنَّ ذُنُوبُ

٤ ـ لولَا بُنَيّاتٌ كَزُغْبِ القَطَا رُدِدْنَ مِن بَعْضٍ إلَى بَعْضِ

بُنَيّاتٌ في موضع المبتدأ، وجاز الابتداء به لكونه محدودًا بما اتصل به من الصفات. وجوابُ لوْلا «لكان لي مُضطرَبٌ واسعٌ» وهو أول البيت الذي يليه، واستغنى به عن خبر المبتدإ، والتقدير: لولا بُنَيّاتٌ صفاتهنّ هذه مانعةٌ لي لفَعَلْت. ومعنى البيت: لولا بُنَيّاتٌ لي صغيراتٌ كفِراخ القَطَا التي عليها الزَّغَب ـ وهو الشَّعرُ اللّيِّن لصغرهنّ ـ اجتمعنَ لي في مُدَّةٍ يسيرةٍ، فمِنْ ثانيَةٍ بعد أُولَى، وواحدةٍ إلى جنب أُخرى فكثُرْنَ ـ لكان كذا. ومثلُه: [الطويل]

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلاثًا وَأَرْبَعًا وواحدةً حتَّى ٱجتمَعْنَ ثمانِيَا

أي جِئْن متواليات. ويُروى: «رَدَدْنَ مِن بعضِي إلى بعضِي»، بفتح الراء من رَدَدْن وإضافة البعض، والمعنى: قَوَّسْنَنِي وحَنَيْنَ ظهري. ويجوز في الرواية الأولى أن يكون المعنى أنّ هذه البنات زُوّجْن فرُدِدْنَ مع بناتٍ لهنّ صغار. ويقال: ابنتك مردودة، أي مطلَّقةٌ. وإلى في موضع مَعَ، يقالُ: هذا إلى ذلك أي معه. ويكون «من بَعضٍ إلى بَعضٍ» في موضِع الحال، أي رُدِدْنَ مع غيرهن. وقد شَبَّهَ الْحُطيْئَةُ وغيرُه

(١) لكعب بن سعد الغنوي في أمالي القالي ٢:١٤٩، وبلا نسبة في شرح الحماسة للتبريزي ١:٢١٢.

الأولادَ بزُغْبِ القَطَا، فقال: [البسيط]

مـاذا تـقـولُ لأفـرَاخٍ بـذِي مَـرَخٍ زُغْبه الحَوَاصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ(١)

يجوز أن يُروَى «رُدِدْن» على ما لم يسمّ فاعله. و«من بعضي إلى بعضي» مُضافَيْن. والمعنى: كُنّ في صُلْبي، فلما ولَدْتُهنّ صِرْنَ في كَبِدِي فهي تحترق عليهنّ لفرط شفقتي.

٥ ـ لـكـانَ لـي مُـضْـطـربٌ واسـعٌ فـي الأرْضِ ذاتِ الـطُّـولِ والـعَـرْضِ

المضطرَبُ يكون الاضطرابَ، ويكون موضع الاضطراب. يقول: لوْلَا خَوْفي من ضَياعِهِنّ وإبقائي عليهنّ، لكان لي مَجَالٌ واسعٌ، ومذهَبٌ فسيحٌ في الأرض الطويلة العريضة. وإنما تلوَّمْتُ ولزِمْتُ مكاني هذا لهنّ وبسببهنّ.

٦ ـ وإنـمـا أولادُنـا بَـيْـنَـنـا أكْـبـادُنـا تـمـشِي عَـلى الأرْضِ(٢)

يقول: محلُّ أولادنا من أنفسنا فيما بيننا وإن كانت ماشيةً على الأرض محلُّ الأكباد من الأجواف. ويقال «الوَلد فِلذَةٌ من الكبد»، أي قِطعةٌ. وقولُه «تمشي على الأرض» في موضع الحال لأولاد، وبيننا ظَرْفٌ لتمشي. والتقدير: أولادُنا وهي ماشيةٌ على الأرض بيننا أكبادُنا. وقوله «إنما» يدخُل لتحقيق الشيء على وجْه مع نفي غيره عنه.

٨٧ ـ وقال حيّان بن ربيعة(٣): [الوافر]

١ ـ لـقـد عَـلِمَ الـقـبـائـلُ أنّ قـومِـي ذوُو جِـدٌ إذا لُبِـسَ الْحَـديـدُ(٤)

يقول: شَهِدَتِ القبائلُ أنّ قومي يَجِدّون في الحرب إذا تَدَجّجَ أهْلُها في الأسلحة، ويُبْلُون فيها ولا يُقَصّرُون. و«إذا لُبِس الحديد» ظَرْفٌ لقوله «ذَوُو جِدٌ» كأنه قال: إنهم يجتهدون في ذلك الوقت. وأنّ قوْمي مع ما بَعدَه سَدّ مَسَدّ مفعولَيْ عَلِمَ.

---

(١) للحطيئة في ديوانه ١٦٤، والأغاني ٢:١٥٦، وخزانة الأدب ٣:٢٩٤، والشعر والشعراء ١:٣٣٤، واللسان (طلح).

(٢) عند التبريزي يوجد بيت بعد هذا:

لـو هَبّتِ الريحُ على بعضهم لامتنعتْ عيني من الغُمْضِ»

(٣) عند التبريزي: «قال أبو هلال: هكذا قال أبو تمام، ونحن نقول: هو حيّان بن عُلَيْق بن ربيعة الطائي أخو بني أخزم ثم أحد بني عديّ بن أخزم».

(٤) التبريزي: «ويروى: ذوو حدٌ، والحدّ السلاح».

٢ ـ وأنّـا نِـعْـمَ أحْـلَاسُ القَـوافِـي إذا اسْـتَـعرَ التَّـنـافُـرُ والـنَّـشِـيدُ

يقول: ويشهدون أيضًا أنّه نِعمْ أصحابُ القوافي وأربابُها نحن، إذا التهبَتْ نارُ التفاخرُ والتناشُد والتحَاكم. والحِلْس، أَصْلُهُ البَرْذَعَةُ وما يَلِي الظَّهْر تحت الرَّحْل، ثم يُستعمل على طريق التَّشبيه على وجهين: يقال في الذَّمّ: فُلانٌ كالحِلْسِ المُلْقَى، فيمن لا غَناء عنده ولا كفايَةَ إذا حَزَبَهُ أمْرٌ. ويقال فيمن لَزِمَ ظهورَ الخَيْل: هم أَحْلَاسُها؛ وهذا إذا مَدَحُوا بالفروسيّة. ثم قالوا: ما هذا من أحْلَاسِ فُلَانٍ، أي ليس من آلاتِه. وقد مَرّ بي أيضًا أنه يقال للكِفْل الذي ليس بفارِسٍ: هو كالحِلْس. وأحْلَاسُ البيت: ما يُلْقَى تحت حُرّ مَتاعه:

٣ ـ وَأنّـا نَـضْـرِبُ الـمَـلْحَـاءَ حَـتَّـى تُـوَلِّيَ والـسُّـيُـوفُ لـنـا شُـهُـودُ

يقول: وشهدوا أيضًا أنا نُضارِبُ الكتيبةَ البيضاءَ لكثرة سلاحِها فَنَغْلِبُهم حتى تُوَلِّيَ منهزِمَةً، وسيوفُنا لها حاضِرةٌ نَكْتَسِحُهُم بها في الهَرَب أيضًا، والمَلْحَاء من المَلَح، وهو البَيَاض. يقال: كَبْشٌ أَمْلَحُ. ويُرْوَى «نَضْرُبُ المَلْحَاءَ» بضمّ الراء ويقال: ضارَبْتُهُ فضَرَبْتُه أَضْرُبُهُ، أي غَلَبْتُه في الضِّراب.

٨٨ ـ وقال الأَعْرَجُ المَعْنِيُّ[١]: [مشطور الرجز]

١ ـ أَنَـا أَبُـو بَـرْزَةَ إذْ جَـدَّ الوَهَـلْ[٢]

٢ ـ خُـلِقْـتُ غَـيْـرَ زُمَّـلٍ ولا وَكَـلْ

يريد أنا الذي لِشهرَته تُغني كُنيتُه عن صفاته وذكر أحْوَالِه، وقتَ اشتداد الخَوْف. فإن قيل: ما العامِلُ في قَوْلِه «إذْ جَدَّ»؟ قُلْتَ: ما دَلّ عليه قولُه أنا أبو بَرْزَةَ من المعنى الذي بَيَّنْتُه هو العامِلُ ـ ومثلُه: [الرجز]

أنـا أبـو الـنَّـجـمِ وشِـعـري شـعـرِي[٣]

(١) التبريزي: «وقيل: الصحيح أنها لعمرو بن يثربي»، والأعرج المعنيّ: هو عديّ بن عمرو بن سويد بن ريان الأعرج الطائي المعني، وقيل اسمه سويد بن عدي، وهو شاعر مخضرم. انظر معجم المرزباني ٢٥١.

(٢) التبريزي: «ويروى: أنا أبو بردة».

(٣) الرجز لأبي النجم في أمالي المرتضى ١:٣٥٠، وخزانة الأدب ١:٤٣٩، والدرر ١:١٨٥، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٨:٣٠٧.

وقولُه «خُلِقْتُ غيْرَ زُمَّلٍ»، أي غير ضعيف ولا جَبَان يتكلُ على غيره فيما يَنُوبُه. والزُّمَّل والزُّمَّال والزُّمَّيْلة: الضعيف. والوَكلُ: الذي يتَّكلُ على غيره.

٣ ـ ذَا قُــوَّةٍ وذا شَــبَــابٍ مُــقْــتَــبَــلْ

٤ ـ لا جَــزَع الْيَــوْمَ عــلى قُــرْبِ الأَجَــلْ

٥ ـ الـمَـوْتُ أَحْلَى عِـنْـدَنـا من الـعَـسَـلْ

يقول: خُلِقْتُ قويًّا مُقْتَبَل الشباب، لم تُبْلِني السِّنونَ، ولم يُضْعفني ما مَسَّنِي من النّوائب والهموم. فإن قيل: ما الزِّيادة في قوله «ذا قُوَّةٍ» على قوله «غير زُمَّل»؟ قلتَ: يجوز أن يكون ذا قوة مصروفًا إلى الرّأي، وغير زُمَّل مصروفًا إلى البِنْيَةِ. ويجوز أن يكون المراد بذا قوةِ الجَلَادَة، لأنّه ليس من كان غير ضعيف كان جَلْدًا. واقتبالُ الشَّباب: ألَّا يُرَى أثَرٌ من الكِبَر معه.

وقوله: «لا جَزَعَ اليوم» يقول: استَقْتَلْنا يومَنا، فلا نجزع على دُنُوِّ الأجل فيه إن دَنَا، لأنَّ الموت إذا غشِيَنَا فيما نطلبه، أحْلَى طَعمًا عندنا من طعم العسل، وقوله «اليوم» ظرف لقرب الأجَل، وعلى قُرْب الأجل، خَبَرٌ لِلَا. ويجوز أن تجعل اليَوْمَ خَبَرًا «على قرب الأجل» تبيينًا له أو حالًا. وإنْ جعلتَه خبرًا بعد خَبَرٍ، كما تقول: هذا حلوٌ حامِضٌ، جاز أيضًا. وذكر بعضُ المتأخِّرين أنه لا يجوز أن يكون معنى «على» هنا معناها في قَوْلِك جَزِعْتُ على كذا، أي أَشفقت عليه، لأنَّه غَيرُ الغَرض المقصود. ألا تَرى أنَّ معناها لا جَزَع اليومَ من الموت على أنَّ الأجل قريبٌ منَّا، فإذا قَرُبَ منا فلم نَجزعْ منه فما ظنُّك بنا إذا بَعُدَ عنا. وأنا أقول: وإنَّ من البيان لِسحرًا، وإنّ مِن الغَوْصِ على المعاني لِمِثْلِهِ دُرًّا.

٦ ـ رُدُّوا عَـلَيـنـا شَـيـخَـنـا ثُـمَّ بَـجَـلْ[١]

٧ ـ نَحْنُ بَني ضَبَّةَ أَصحابُ الجَمل[٢]

٨ ـ نَـنْـعَـى ابـنَ عَـفَّـانَ بـأَطْـرَافِ الأَسَـلْ

---

(١) ترتيب هذا الشطر هو الأخير عند التبريزي ورقمه (٩).

(٢) رقم هذا الشطر عند التبريزي (٦). ويأتي بعده شطر تحت الرقم (٧):
«نحن بنو الموت إذا الموتُ نزلْ»

يعني بالشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه. المعنى: إنّا طالبون بدَمِه، فإذا أدركْنا ثأرَه فحسبُنا ذاك. وهذا معنى قولِه «ثم بَجَل». وموضع بَجَل رَفْعٌ على الابتداء وخبرُه مُضْمَر، كأنه قال: «ثم بَجَلُنا ذلك»، أي حَسْبُنا ذلك. وثُمّ عاطِفةٌ لجملةٍ على جملةٍ. وقال لَبِيدٌ: [الرمل]

بَـجَـلِي الآنَ مِـنَ الـعَـيْـشِ بَـجَـلْ[1]

وحكى الأخفش أنّ بَجَلْ ساكنةٌ أبدًا. يقولون: بَجَلْك، كما يقولون قَطْكَ وقَدْكَ، إلّا أنهم يقولون بَجَلِي ولا يقولون بَجَلْنِي كما يقولون قَطْنِي وقَدْنِي، وهو القياس مع مجيئه على السكون. وانتصاب «بني ضَبَّةَ» بفِعْلٍ مُضْمَر، والقصد فيه المدح والاختصاص. وخبر المبتدأ الذي هو نحنُ «أصحابُ»، والتقدير: نحنُ ـ أَذْكُر بني ضَبَّةَ ـ أصحابُ الجَمَل. وهذا الكلام يُنبِّه به على أنهم مُجِدّون في طلب دم عثمان رضي الله عنه، لأنّ الذين خرجوا مع عائشة رضي الله عنها وقاتلوا يومَ الجَمَلِ كان دعواهم طلَبَ الثأر. ولو قال نحن بنو ضَبَّةَ لكان يسقُط فخامةُ المدح وتعظيمُه، وكان يصير أصحابُ صفةً وبنو خبرًا، وكان يجوز أن يكونا جميعًا خبرين، ويجوز أن يكون أصحاب بدلًا من بَنُو. وقوله «نَنْعَى ابن عفان» كان عادتُهم إذا مات رئيسٌ فيهم عظيمُ الشأن والمَحلّ أن يطوفَ واحدٌ منهم على القبائل، ويَصْعَدَ الرَّوابيَ المطِلّة عليهم، والآكامَ المرتفِعة بمحالِّهم ويقول: نَعَاءِ فُلانًا! يريدون تشهيرَ أمره، وتعظيم الفَجْع به، وربما أرَّخوا بموته. فيقول: نحن نجعلُ بدَلَ هذا الفعل أن نطلُبَ دَمَه بأطرافِ الرِّماح. وهذا معنًى حَسَن.

٨٩ ـ وقال آخر[2]: [الطويل]

١ ـ داوِ ٱبنَ عَمِّ السَّوْءِ بـالـنَّـأْيِ وٱلْغِـنَـى كَفَى بـالـغِـنـى والـنَّـأْيِ عنه مُـدَاوِيـا

يقول: عالِجْ ما بينك وبين ابن عمِّ السَّوْءِ من التضاغُن والتبايُن، والتغايُظ والتحاسُد، بالبُعْدِ منه، والاستغناء عنه. ثم قال: وكفَى بهما من مُداوٍ معه. وهذا يجري مجرَى الالتفات، وهو تنبيهٌ على أنهما الغاية فيم يُحْسَمُ به شرُّه، ويُدْفَعُ به

(١) للبيد في ديوانه ١٩٧، وحماسة البحتري ١٠٠، وخزانة الأدب ٦:٢٤٦، واللسان (بجل، وحفل)، وتاج العروس (بجل). وصدره:

«فمتى أهلك فلا أحفله»

(٢) التبريزي: «وقيل: إنه لرجل من بني أسد».

ضيْرُه. وموضع بالغِنَى رفعٌ بكَفَى. ومداويًا يجوز أن يكون حالًا ويجوز أن يكون تمييزًا، وهو أحسنُ، ومثلُه: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الرّعد: الآية ٤٣]. والكلام يجري أيضًا مجرى التأكيد فيما دَعا إليه، والتحقيق لغَنَاءِ ما أشار به.

٢ ـ جَزَى اللهُ عَنَّا مِخْصَنًا ببلائِهِ وإِن كانَ مولايَ القريبَ وخاليَا

مِخْصَنٌ المذكور، هو ابن عمِّه الذي تأذّى به فدَعا عليه. يقول: جَزَاه الله بفعله فِينا، إنْ خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا، وإن كان متصلَ النَّسَبِ بطَرَفَيْ أَبي وأُمِّي.

٣ ـ يَسُلُّ الغِنَى والنَّأْيُ أدواءَ صَدْرِهِ ويُبْدي التَّداني غِلْظَةً وتَقاليَا

السَّلُّ: النَّزْعُ. والأدواء: جَمْعُ الداء. وهذا مِثْلُ ما رُوِيَ: «أَنْ مُرْ ذَوِي القَرابات أن يتزاوَرُوا ولا يتجاوَرُوا»، وزاد عليه أيضًا بما شَفَع النَّأْيَ به من ذكر الغِنى. ونَبَّه أيضًا على أنّ في التداني تحاسُدًا يبدو معه القِلَى والقَسْوَةُ لأن الكلام كالتعليل للأمْرَيْن اللذين رَغَّبَ في أَحدِهما وزَهَّد في الآخر، وهما التَّداني والتنائي. والمثل السائر: «قَرِّقْ بين مَعَدٍ تَحَابٌ»[1] مِثْلُ البيتِ.

٤ ـ أَعَانَ عَلَيَّ الدَّهْرَ إِذْ حَكَّ بَرْكَهُ كَفَى الدَّهْرُ لَو وَكَّلْتَهُ بيَ كافيا[2]

هذا الكلام شِكَايَةٌ مما عامَلَه به مِخْصَنٌ، وتصريح بأذاه، فيقول: لم يَرْضَ بالقعود عَنّي وإسلامي للدّهْرِ حتّى صار عونًا له عليّ، لَمّا أخذ يؤثّر تأثيره، ويلْقِي كَلْكَلَهُ وجِرَانَهُ. ثم قال مُنْتَقِلًا عن الأخبار عنه إلى مخاطبته، إظْهارًا للجَزَعِ من فعله. لو اتّخذتَ الدَّهْرَ وكيلًا واعتمدت عليه، دون أن تُباشرَ مَسَاءَتِي بِفِعْلِك لَكَفاك. ومِثْلُ هذا القول، أعْنِي كَفَى الدَّهْرُ، يسمّى التفاتًا. وقولُه «كافيًا» يجوز أن يكون تمييزًا، ويجوز أن يكون في موضع المصدر، أراد: كَفَى الدَّهْرُ لو وكَّلْتَهُ بي كفايةً. واسمُ الفاعل يقع موقعَ المصدر كثيرًا كما يَقَعُ المصدر مَوْقِع اسم الفاعل. ومثلُه قول[3]

(١) ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢:٢٤: «قال الأصمعي: يقول إن ذوي القرابة إذا تراخت ديارهم كان أحرى أن يتحابوا، وإذا تدانوا تحاسدوا وتباغضوا. وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أين مر ذوي القربى أن يتزاوروا ولا يتجاوروا».

(٢) التبريزي: «ويروى: إذا حلّ بَرْكُهُ».

(٣) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٤٢، وخزانة الأدب ٤:٤٣٩، ولأبي حيّه النميري في اللسان (قفا)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٣:٤٤٣. وعجزه:

«وليس لحبها ما عشت شافي»

بِشْرٍ: [الوافر]

كَـفَـى بِـالـنَّـأْيِ مِـن أسـمَـاءِ كَـافِ

فقوله كافِ في أحد الوجوه مَصْدَرٌ لكنه لم يَنْصِبْهُ، وجعله كقول[1] الآخر: [الرجز]

كـأنَّ أيْـدِيـهـنَّ بـالـقـاعِ الـقَـرِقْ

في ترك إعراب المعتلّ في موضع النَّصْبِ أيضًا، إذْ كان من العَرَب من يستثقل الفتحة في الياء، والتَّقدير: كفَى النَّأيُ من أَسْمَاء كافيًا، أي كِفَايَةً. وقد جاء في المثل: «أَعْطِ القَوْسَ بارِيها»، بسكون الياء في باريها، ولم يَرْوِ أَحَدٌ بَارِيَهَا بالفتح، فليس يجوز إلّا ما حُكِيَ، لأنَّ الأمثالَ لا تُغَيَّر.

٩٠ ـ وقال رَجُلٌ من بني كُلَيْبٍ[2]: [الوافر]

١ ـ وحَـنَّـتْ نـاقَـتِـي طَـرَبًـا وشَـوْقًـا إلـى مَـن بـالـحنـيـنِ تُـشَـوِّقِـيـنِي

انتصب «طَرَبًا» على أنَّه مَصدَرٌ في موضِع الحال، أو على أنه مفعولٌ له. وأوَّل البيت خبَرٌ عن راحِلته، وآخِرُه خِطَابٌ لها. وقوله «تُشَوِّقِيني» حذف نونه استثقالًا لاجتماع نونين، والأصل تشوّقينني. ومثْلُه في الحَذْف قول الآخر: [الوافر]

يَـسُـوءُ الـفـالِـيَـاتِ إذا فَـلَـيْـنِـي[3]

يريد فَلَيْنَنِي. والمعنى: اشتَكَتْ ناقَتي حانّةً لطَرَبِها وشَوْقِها. ثم أخذ يخاطِبُها مُنْكِرًا عليها ما ظهَر منها فقال: تُشَوِّقينَني بحنينك إلى مَنْ؟ أراد أنّه مع حصولِ اليأس يجبُ ألّا تحِنَّ ولا تُشَوِّقَ. ويجوز أن يكون المعنى تعظيمَ المشتاق إليه، فكأنّه قال: تشوقينني إلى مَن بحنينِكِ؟ أي إلى إنسانٍ وأيّ إنسان؟ ومَنْ من قوله «إلى مَنْ» في هذا الوجه يكون نَكِرَةً غير موصوفةٍ وإن كان الكلامُ خَبَرًا، وفي المعنى الأوّل يكون مَن

(١) لرؤبة في ملحق ديوانه ١٧٩، وخزانة الأدب ٨: ٣٤٧، والدرر ١: ١٦٦، وتاج العروس (زهق، قرق)، وبلا نسبة في اللسان (قرق، ثمن)، وبعده:

«أيـدي جـوارٍ يـتـعـاطـيـن الـورقْ»

(٢) التبريزي: «من بني كلب».

(٣) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ١٨٠، وخزانة الأدب ٥: ٣٧١، والدرر ١: ٢١٣، واللسان (فلا)، وصدره:

«تـراه كـالـثـغـام يُـعَـلُّ مـسـكًـا»

استفهامًا. وتقول: مَرَرْتُ بما صَالحٍ، ومَرَرْتُ بمَنْ كَريمٍ، تريدُ بإنسانٍ كَريم. وقد حُمِلَ قولُه عزّ وجلّ: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦]، على أنّ معناهُ مَثَلًا شيئًا بَعُوضَةً. والطَّرَبُ: خِفَّةٌ تعتري لعارِض سُرُورٍ أو هَمّ:

٣ ـ فإنّي مِثْلُ ما تَجِدِينَ وَجْدِي ولكنْ أصحَبَتْ عنهُمْ قَرُوني

هذا الكلام اعترافٌ بالحُبّ، وتسويغٌ لحنين الناقة وإنْ كَرِهَ التذكير الحاصلَ منه، والشَّجْوَ المُنْتَتِجَ عنه. وقوله «مثل ما تجدين» يجوز أن يكون خبرًا مقدّمًا والمبتدأ وَجْدِي، فيكون التقدير: إنّي وَجْدِي مثلُ ما تجدين، والجملةُ خبرُ إنّ. ويجوز أن يكون مِثلُ خَبَرَ إنّ، وَوَجْدي بدلٌ من ياء الضمير المتصل بإنّي، كأنه قال: إنّ وَجْدي مثلُ ما تجدين. وما بمعنى الذي، وتجدين مِن صلتِهِ، والضمير العائد إليه محذوف، كأنه قال: مِثلُ ما تجدينَهُ، أي مِثلُ الوَجْدِ الذي تجدينَه. ويجوز أن يكون ما مَعَ الفِعْل في تقدير مَصدَرٍ، كأنه قال: إنّي وَجْدِي مِثْلُ وَجْدِكِ. والأصْلُ في إنّي إنّني، لكنّه حُذِفَ نُونُه لاجتماع ثلاث نُونات، ويجوز أن يكون لم يَأْتِ بنون العِماد كما لم يُؤتَ به في لَعَلّي ولَيْتِي، والمعنى إنْ وَجْدِي مِثْلُ وَجْدِكِ، ولكنْ تابَعَتْنِي نفسي باليأسِ منهم، وأنتِ لا تَعرفين اليأسَ. والإصحاب: الانقياد. والقَرُون والقَرُونَةُ: النَّفْسُ. ويقولون: أَخَذْتُ قَرُوني من هذا الأمر، أي رَفَضْتُهُ. واطَّرَحْتُهُ.

٣ ـ رأَوْا عَرْشِي تَثَلَّمَ جانِبَاهُ فلمّا أنْ تَثَلَّمَ أفرَدُوني

يقول: رأوْا عِزّي قد تَهَدَّم جانباهُ، وانهَدَّ رُكْناهُ، فلما صار أَمْري كذلِك تَرَكوني وَحيدًا، وَقَعدوا عن مشايَعَتِي ومُتَابَعَتي، فدَعَتْنِي الحالُ إلى مفارقتِهِم، والتحوُّلِ عنهم. والعَرشُ: سَريرُ المُلكِ، وقِوام أمْرِ الرَّجُل وعِزِّه، فإذا زال قيل: ثُلَّ عَرْشُه وَتَثَلَّمَ. وقد أَلَمَّ في هذا بقولِ[1] أوْسٍ: [الطويل]

وهُمْ لِمُقِلِّ المالِ أولادُ عَلَّةٍ

وبقوله[2]: [الطويل]

بنو أمّ ذِي المالِ الكثير

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٩١، وجمهرة اللغة ١٥٦، ومعاهد التنصيص ١:١٣٥، وبلا نسبة في لسان العرب (علل)، وعجزه:

«وإن كان محضًا في العمومة فحولا»

(٢) لأوس في ديوانه ٩١، واللسان (حجفل)، وجمهرة اللغة ١١٣٥. وتمامه:

«بنو أمّ ذي المالِ الكثير يرونه وإن كان عبدًا سيّد القوم جحفلا»

٤ ـ هَـنِـيـئًا لابـن عَـمِّ الـسَّـوْءِ أَنِّـي ... مُـجَـاوِرَةٌ بَـنِـي ثُـعَـل لَبُـونِـي

أَنِّي في موضِعِ الفاعل لهنيئًا، ومجاوِرَةٌ ارتفع على أن يكون خَبَر أنّ، ولَبُوني في موضِعِ الرَّفْعِ على أنّها فاعِلَةٌ لمجاورَة، وبني ثُعَلٍ مفعولٌ به. والمعنى: لِيَهْنِىء ابْنَ العَمِّ السَّوءِ بُعْدِي عنهم، ومجاوَرَةُ لَبُونِي لغيرِهِمْ. واللُّبُون: الناقَةُ التي بها لَبَنٌ. ويجوز أن يرتَفِعَ مجاوِرَةٌ على أنه خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، والمبتدأ لبوني والجملة كما هي تكون خبر أنّ. ويجوز أن يكون لَبُوني بَدَلًا من الضمير المتّصِل بأَنّي، والخَبَر مُجاوِرَةٌ. والمعنى والتقديرُ أَنَّ لَبُوني مجاورةٌ بني ثُعَلٍ. وهذا الكلام إنباءٌ أنَّ ما حَصَل من بُعْدِه عن العشيرة كانوا يتمنَّوْنَهُ، فقال هَنَأَ الله أبناء عَمِّي ما أرادُوهُ وفازوا به، ويجوز أن يكون وعيدًا وتهكُّمًا.

٩١ ـ وقال رَجُلٌ من بني أَسَدٍ: [الطويل]

١ ـ وَمَـا أنَـا بـالـنِّـكْـسِ الـدَّنِـيِّ ولا الّذي ... إذا صَـدَّعَـنِّـي ذو الـمَـوَدَّةِ أَحْـرَبُ

النِّكْس أَصْلُهُ في السِّهام، ونُقِلَ إلى الضَّعيف من الرِّجال. يُقالُ: نَكَسْتُه نَكْسًا ثم يُسَمَّى المَنكوسُ نِكسًا، كما يقالُ نَقَضْتُه نَقْضًا ثم يُسَمَّى المَنْقُوضُ نِقْضًا بكسر النون. كأنَّ السهم انكسر فَوقُه فنُكِس فسمِّيَ نِكْسًا. فيقولُ: ما أنا بالمُسْتَضْعَفِ اللَّئيم، ولا الذي إذا انحرف عَنْهُ مَنْ يُوَادُّه دَعَا بالوَيْلِ والحَرَب فقال: واحَرَباهُ. وفي طريقته: [البسيط]

ولا أَقُـولُ إذا مـا خُـلَّةٌ صَـرَمَـتْ ... يا وَيْحَ نَفْسِيَ من شَوْقٍ وإشْفَاقِ[1]

ويجوز أن يكون مَعْنَى أَحْرَبُ: أَغْتَاظُ. ومنه قوله[2]: [البسيط]

إِنِّـي إِذَا الـشـاعِـرُ الـمَـغْـرُورُ حَـرَّبَـنِـي

وهذا أَسْلَكُ في طريقة العربية؛ وكان يجب أن يقولَ: ولا الذي إذا صَدَّ عنه ذُو المَوَدّة يَحْرَبُ، حتّى يكونَ في الصلة ما يعودُ إلى الموصولِ، لكِنهُ لَما كان القَصْدُ في الإخبار إلى نَفْسِهِ وكان الآخِرُ هو الأوّل لم يُبَالِ برَدِّ الضمير على الأول وحَمْلِ الكلام على المعنى، لأمْنِه من الالتباس. وهو مع ذلك قبيحٌ عند النحويين، حتى إن أبا

(١) لتأبط شرًا في المفضليات ١:٢٦، وبلا نسبة في شرح الحماسة للتبريزي ١:٢١٨.
(٢) لجرير في التبريزي ١:٢١٨. وعجزه:
«جارٌ لـقـبـرٍ عـلـى مَـرّانَ مـرمـوسُ»

عثمانَ المازنيّ قال: لولا اشتهارُ مَوِدِهِ وكثرتُه لرددتُه. ومثْلُهُ: [الرجز]

أنـا الّذي سَـمَّـتْـنِ أُمِّـي حَـيْـدَرَه(١)

٢ ـ ولـكـنّـنـي إن دَامَ دُمْـتُ وإنْ يَـكـنْ لَهُ مَـذْهَـبٌ عَـنِّي فـلي عنـه مَـذْهَـبُ

يقول: أمْلِكُ نَفْسي ووُدّي في مصادقَةِ الأخِلّاء، فإنْ داموا لي على العَهْد دُمْت لهم، ولَزِمْتُ الوفاءَ معهم، وإن رأوْا ذَهابًا عَنّي ومَيْلًا إلى غيري ذهبْتُ عنهم، ومِلتُ إلى غيرهم. ويُرْوَى: «ولكنّني ما دام دُمْت» ويكون موضعُ ما دام ظَرْفًا، وخَبرُ لكنَّ دُمْتُ. وفي الأولى يكون الجزاء وجوابه خَبَرًا. وفي طريقته قول لَبِيد: [الكامل]

فـاقْـطَـعْ لُبَـانَـةَ مَـن تَـعَـرَّضَ وصْـلُهُ ولـخَـيـرُ واصِـلِ خُـلَّةٍ صَـرَّامُـهـا(٢)

٣ ـ أَلَا إنَّ خَـيـرَ الـوُدِّ وُدٌّ تَـطَـوَّعَـتْ بـه الـنَّـفْـسُ لا وُدٌّ أَتَـى وَهْـوَ مُـتْـعَـبُ

يقول: خير الوُدِّ ما جاء عفوًا من غير جَهْدٍ، ولا إكراه نفس وطَبْع، بل يبعثه الميلُ، ويَحْكُمُهُ الخُلُوص؛ فأما المُتْعَبُ من المَوَدّات، المَشُوبُ بالتعمُّلِ والتكلُّف، فلا طائل فيه. ومثله قول بعضهم: [الطويل]

ولا خَـيْـرَ فـي وُدِّ امـرىءٍ مُـتَـكَـارِهٍ عَلَيْكَ ولا في صَاحِبٍ لا تُوافِقُه(٣)

وقول الآخر: [الطويل]

إذا أنـت لا يَـثْـنِـيـك إلا شَـفـاعـةٌ فـلا خَـيْـرَ فـي وِدٍّ يـكـون بـشَـافِعِ

٩٢ ـ وقال أبو حَنبلٍ الطَّائيّ(٤): [البسيط]

١ ـ لَقَـدْ بَـلَانـي عَـلَى مـا كـان من حَـدَثٍ عِـنْـدَ اخـتِـلَافِ زِجـاجِ الـقَـوم سَـيَّـارُ

---

(١) لعلي بن أبي طالب في اللسان (حدر، سندر).

(٢) للبيد في ديوانه ٣٠٣، واللسان (عرض، صرم)، وتاج العروس (عرض، صرم) وكتاب العين ١: ٢٧٣.

(٣) ذكره التبريزي مع بيتين آخرين ونسبهم لمسلم بن الوليد.

(٤) أبو حنبل الطائي: هو جارية بن مرّ، شاعر جاهلي فارس (المؤتلف ٩٩). وقال التبريزي: «قال أبو هلال: هو الذي نزل به امرؤ القيس فأشارت عليه امرأته بالغدر به فأبى، وكان أعور سناطًا، قصير الساقين، فقالت ابنته: والله ما رأيت كاليوم ساقيْ وافٍ، فقال: هما ساقا غادرٍ شرٌّ، فذهب مثلًا، يضرب للزري الذي له خصال محمودة». وقصة المثل في تمثال الأمثال ص ٥٨٣، والمستقصى ١: ٤٣٤، والدرة الفاخرة ٢: ٤١٧.

ارتفع «سَيَّارٌ» بقوله بَلَانِي. واللام في «لقد» تُؤْذِن بيَمينٍ. يقول: لَقَدْ خَبَرني هذا الرجل على ما اتّفق من حَدَثٍ، واعترَضَ مِن شرٍّ، فَعَرَف حُسنَ بلائي عند اختلاف القنا بالطَّعْن. وذَكَرَ الزِّجاج، والمُرَاد الرِّماحُ بكمالها، ومثله قول الآخر: [الكامل]

الواطِئِين على صُدُور نِعَالِهِمْ(١)

وإنما يُوطَأُ النَّعْل كُلُّها. ويقال: زَجَجْتُهُ بالرمْح، إذا زَرَقْتَهُ.

٢ ـ حَتّى وَفَيتُ بها دُهْمًا مُعَقَّلَةً كالقارِ أَرْدَفَهُ من خَلْفِهِ قَارُ

يقول: صَبَرْتُ لِمَا عَزَّ من أَمْرٍ، وتعَسَّرَ من وفاءٍ وأداءٍ، لأخرُج مما به تكَفَّلْتُ، من العُهْدَةِ التي فيها دَخَلْتُ. وقد كان أبو حَنْبَل تَضَمَّن لسَيَّار إبِلًا لَهُ بأعيانها أو شَرْوَاهَا، أي مِثْلِهَا، فيقول: أخذ سَيَّارٌ يَنتظِر ماذا يكون منّي فيما تضَمَّنْتُ حَتَّى وفَيْتُ بإبِلِه سودًا مشدودةً بعُقُلها، كأنها في سَوَادِها قَارٌ عُولِي بقارٍ. وهذا يرادُ به تأكيدُ السوَادِ. ويقال: رَدَفْتُهُ وأردَفته، إذا جئت بَعْدَهُ. ورَدَفَكُمْ ورَدَفَ لكم، أي تَبِعَكم وجاء بَعْدَكُم. وانتصب «دُهْمًا» على أنَّهُ حَالٌ للإبل. وفائدة قوله «كالقار» تصويرٌ للإبل بألوانها. ومعنى لقد بلاني حَتَّى وفَيْتُ، أي انتظَرَ ما يكون من البلاء في وفائي عندما ضَمِنتُ، وصار يُحَرِّبني إلى أنْ وفَيْتُ. وفائدةُ قَوْلِه مُعَقَّلَةً، أنه سَلَّمَهَا في مَبَارِكِها آمِنَةً. ويجوز أن يكون أراد إبلًا متقدماتُها ومتأخراتها سُودٌ، فلذلك قال كالقار أُرْدِفَ بِقارٍ، ويجوز أن يكون أراد بالقَارِ جمع قَارَةٍ، وهي الجبال، فَشَبَّهها بها في عظَمِها.

٣ ـ قَدْ كان سَيْرٌ فحُلُّوا عن حُمُولَتِكُم إنِّي لكلِّ امرىءٍ مِنْ جارِهِ جَارُ

يقول: وجَبَ السَّيْرُ للخوف والحَذَر قبل هذا الوقت، وأمّا الساعةَ وقد بَلَغْتم المَأمَن في جِوَاري فحُلُّوا عن أجْمالكم، إنّي لكلِّ رجل منكم جارٌ بَدَلًا من جَارِهِ الأول. والعرب تقول: هذا من ذاك، وهذا بذاك أي عِوَضٌ. وفُسّرَ قَوْلُ الشاعر: [الطويل]

فَلَيْتَ لَنا من مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً باتت على الطَّهَيَانِ(٢)

---

(١) للأعشى في ديوانه ١٨١، واللسان (دفن)، وكتاب الجيم ١: ٢٧٦، وتاج العروس (دفن). وعجزه:

«يمشون في الدفنيّ والأبراد»

(٢) للأحول الكندي في معجم البلدان (الطهيان)، وهو اسم جبل باليمن، وباختلاف كلمة القافية=

على أنّ المعنى لَيتَ لَنا بَدَلًا من ماءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً. ويقولون: فلانٌ لك من الجارِ جَارٌ، ومن النديمِ، ومن الأكيل أكِيلٌ. ويحتمل أن يكون معناه: إنّي لِكُلِّ رَجُلٍ مُجِيرٌ ممن يجاوِرُه، أي ممن يدانيه بسوءٍ، والأول أجْود وأصْوب والحُمُولة: جَمْعُ حِمْلٍ، ودخلت الهاء فيه توكيدًا لتأنيث الجَمع. والحَمُولة: الإبل التي يُحمل عليها، وهي فَعُولَةٌ كالقَتُوبةِ، والرَّكوبةِ، ولا يَجْري على الموصوف، لا يقال دَابةٌ حَمُولة.

٩٣ ـ وقال يزيدُ بن حِمَّانَ السَّكُوني[١]: [البسيط]

١ ـ إنّي حَمِدتُ بَنِي شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ نِيرَانُ قَوْمِي وفيهم شُبَّتِ النارُ

الحمد: الثّناء على الرجُل بما فيه من الخِصال المرتَضَاةِ. وبهذا المعنى فارَقَ الشُّكر، لأنَّ الشكر لا يكون إلا على صَنِيعةٍ. فيقول: لمّا رأيت بني شَيْبان عند إمْحَالِ الأرض وإجْدابِهَا، وإقْتَار الناس وإضاقتهم، يوقدون نار ضيافتهم ويقيمونها، وإن كانت نيران غيرهم خامِدَةً مترُوكًا إشعالُها، أثنَيْتُ عليهم، ونشرتُ فضيلتهم. وقال «نيران قومِيَ» وإن أراد غيرَهم معهم، تفضيلًا لهم على قومه، وإيذانًا بالصِّدق في مَخْبرِه، فبدأ بذكر قومِه وذوِيه. ويُروى: «نيران قوْمٍ» والأوّل أجْوَد.

٢ ـ ومِن تَكَرُّمِهم في المَحْلِ أنَّهُمُ لا يَعْلَمُ الجار فيهِمْ أنه الجارُ

٣ ـ حتى يكونَ عزيزًا مِن نفوسِهِمُ أو أن يَبِينَ جميعًا وهو مُخْتارُ

يقول: مِن تكلُّفِهم الكَرَم كأنهم لا يَرضَوْن في مثل ذلك الوقت بما طُبِعوا عليه وجُبِلُوا، حتى تكلّفُوا أكثر منه، أنّهم يُحِلُّون جارَهم من العناية به والاتحاف والإحسان إليه والاصطناع، مَحَلًّا يتشكّكُ مِن بَعْدُ في نفسه: هل هو جارُهم أم من صَمِيمهم. وعلى هذا يتعلّق حتى من قولِه «حتى يكون عزيزًا» بالمعنى الذي دلَّ عليه قولُه لا يَعلمُ الجارُ فيهم أنه الجارُ، أي يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزًا فيما بين ظهرانَيْهم، أو يَختار مفارَقتَهم. والمعنى: ذلك له فيهم، ما اعتزَّ بجوارِهم، أو مالَ إلى فِراقهم. ويجوز أن يكون قوله «من نفوسهم» في موضع الحال، وعزيزًا خبر

= (الهميان) له في تاج العروس (همي).

(١) التبريزي: «يزيد بن حمار» ويزيد بن حمار: من فرسان الجاهلية شهد حرب ذي قار وكان حليفًا لبني شيبان، ترجمته في معجم المرزباني ٤٩٣، والأعلام ٩: ٢٣٣.

كان. وإنْ جَعلْتَ «عزيزًا» في موضع الحال ومن نفوسهم خبرًا جاز. والمعنى: حتى يكون كأنه من أَصْلِهم، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨]، والمعنى من جِنْسِكم ومن بِطانتكم. ويجوز أن يكون البيت مُضمَّنًا، ويكون معنى لا يَعلَمُ الجارُ فيهم أنه جار، أنَّ الجارَ لا يكون قد أَحَسَّ بمجاورتِه لهم حتى يتفقَّدُوه هذا التفقُّد، ويُحِلُّوه هذا المَحَلّ. وقوله «أو أنْ يَبينَ جميعًا» انتصب جميعًا على الحال، والمعنى أو أن يُفارِق وهو مجتمع الحال غيرُ مُنتشِرِها، ومُختارٌ لذلك غيرُ مُضطَرٍّ إليه. ومِثلُ هذا بيتُ زهير: [الوافر]

ضَمِنَّا مالَهُ وغَدَا جميعًا ··· علينا نَقْصُه وله النَّمَاءُ[١]

وقيل بيتِ زهيرٍ هذا قوله:

وجارٍ سار معتمِدًا إلينا ··· أجاءَتهُ المخافةُ والرجاءُ
فجاوَر مُكْرَمًا حتى إذا ما ··· دعاهُ الضيفُ وانقطع الشّتاءُ
ضَمِنَّا ما له وغدا جميعًا ··· ....

فقد علِمتَ اشتمالها على ما ذكره هذا الشاعر وتَفرُّدَها بما زاد عليه من المعنى. ويجوز أن يكون «حتّى» بمعنى كَيْ، فيكون المراد لا يَعْلَمُ الجار لحُسْنِ توفُّرِهم عليه، وتوحُّدِهم إيّاه باتخاذ الصنائع لديه أنّه جارٌ، لكيْ يكونَ عزيزًا مُدَّةَ مُقامِه، أو يُفارقَهم مُخْتارًا، موفورَ المال، مَصُونَ الحالِ.

٤ ـ كأنَّهُ صَدَعٌ في رأسِ شاهِقَةٍ ··· من دَونِه لعِتَاقِ الطيرُ أَوْكَارُ

يقول: كأنّ الجارَ لتمنُّعِه بهم، وتعزُّزه حين استَظهر على الزمان بمكانه فيهم، وعِلٌ احترز عن طُلّابه في رأس قُلّةٍ شامخةٍ أوكارُ عِتاقِ الطير دونَه، وهو أرفع منها وأحصن. فالتشبيه تناوَلَ ما ذكَرْتُ من التمنُّعِ والتحصُّن. ويَعْني بعِتاق الطير: العِقْبانَ وما أشبهَهَا من أحرار الطير، وما يَتّخذ الوكُورَ في الجبال. وإلى هذا أشار الهُذَليّ[٢] في قوله: [الكامل]

حتى انتَهيْتُ إلى فِراشِ عَزيزَةٍ ··· سَوْداءَ رَوْثَةُ أنْفِها كالمِخْصَفِ

---

(١) لزهير مع الأبيات التالية في ديوانه ص ٧٧، وفي تاج العروس (جيأ).
(٢) لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٠٨٩، واللسان (روث، عزز، فرش، خصف)، وتاج العروس (روث، عزز، فرش، خصف)، وللهذلي في مقاييس اللغة ٢: ١٨٦.

يعني وكْرَ عُقاب. والصَّدَع والصَّدِيعُ: الفتيُّ من الأوعال، وقيل: هو المربوع وقد استُعمِل في الرَّبْعةِ من الرِّجال.

٩٤ ـ وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ نـزَلْتُ عـلى آلِ الـمُـهَـلَّبِ شـاتِـيًـا غـرِيبًا عـن الأوطـانِ في زَمَـنٍ مَـحْـلِ

يقول: أَوَيْتُ لمّا تَغرَّبتُ عن أوطاني داخلًا في الشِّتاء، مُمْتَحَنًا بالجَدْب والقَحط، مُلْجَأً إلى الاستعانة على الزمان بغَيري، إلى آلِ المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرةَ ونزلْتُ فيهم، ثم أخذ يقتَصُّ ما رأى فيهم. ويقالُ: زَمَنٌ مَحْلٌ، وُصِف بالمَصْدَر، وزمن ماحِلٌ وزمن مُمْحِلٌ. والأصلُ في المحل: انقطاعُ المطر ويُبْسُ الكلإ. ويقال أرضٌ مَحْلٌ وأرضٌ مُحُولٌ، وُصِفَ بالجمع، كأنه أُجْرِي على أَقطاعِ الأرضِ، كما يقال: ثوبٌ مِزَقٌ.

٢ ـ فـمَـا زَالَ بي إكْـرَامُـهُـمْ واقـتـفـاؤهـم وإلْطـافُـهُـمْ حـتـى حَـسِـبْـتُـهُـمُ أَهْـلِي

يقول: لم يزالوا يؤثرونني بالإحسان والحُسْنَى، ويختصُّونني بإسداء الجميل والنُّعْمَى، ويلتزمون لي من الإكرام والتَّقريب، والإدناء والتَّرحيب، حتَّى ظننتهم عشيرتي، وتَشَكَّكت في اغترابي منهم، وبُعد نَسَبي عنهم. ومن الاقتفاء القَفِيُّ، وهو المكرَّمُ من الضيوف والسَّكْنِ، والقَفَاوةُ. قال: [البسيط]

يُـعْـطَـى دَوَاءَ قَـفِـيِّ الـسَّـكْـنِ مَـرْبُـوبِ[٢]

٩٥ ـ وقال جابر بن ثَعْلَب الطائيُّ[٣]: [الطويل]

١ ـ وقَـامَ إلَيَّ الـعـاذِلَاتُ يَـلُـمْـنَـنـي يَـقُـلْـنَ أَلَا تَـنـفَـكُّ تَـرْحَـلُ مَـرْحَـلا[٤]

يقول: انتصبَ اللوائم عاتباتٍ عليّ، سائقاتِ العُنْف إليَّ قائلاتٍ: ألا تزالُ تَرْحَل ارتحالًا فلا تَسْتَقِرُّ بك دار، ولا يُقَرِّبُ لَكَ مَزَارٌ، ولا يُحَطُّ عن راحِلةٍ رَحل.

---

(١) في شرح الحماسة برواية الجواليقي: «قال الأخنس الطائي يمدح المهلب». وفي البيان والتبيين ٣:٢٣٣ لبكير بن الأخنس: وهو من شعراء العصر الأموي.

(٢) لسلامة بن جندل في ديوانه ص ٩٨، واللسان (ربب، سغل، سكن، دوا، سفا)، وكتاب العين ٥:٣١٣، وأساس البلاغة (سفو). وصدره:

«ليس بأقنى ولا أسفى ولا سَغِلٍ»

(٣) التبريزي: «جابر بن الثعلب».

(٤) التبريزي: «ويروى: ألا يا ارحل لأهلكَ مرحلا».

ومَرْحَلًا انتصب على المَصْدَرِ، كما تقولُ: أما تَنْفَكُّ تَخْرُجُ مَخْرَجًا وتَبْعُدُ مَبْعَدًا، ومعنى تَرْحَلُ تشدُّ الرَّحْل. وموضع «يَلُمْنَني» موضِع الحال، «وَيَقُلْنَ» في موضع البَدَل من يَلُمْنَني.

٢ ـ فإنَّ الفَتَى ذا الحَزْمِ رامٍ بنَفْسِهِ جَوَاشِنَ هَذَا اللَّيلِ كيْ يتَمَوَّلا

في الكلام اختصار، كأنَّه قال: فأَجبتهنَّ فقلت: إنَّ الفتى الحازمَ يُحَمِّلُ نفسَهُ المشقَّات، ويَرْمِي بنَفسِهِ المَتَالِفَ الصَّعبات، ويَمتطي الأهْوَال، كيْ ينالَ الأمْوَال، غَيْرَ مُفكِّرٍ في ظلمة ليْلٍ، ولا مُستَصْعِبٍ لِرُكُوبِ خَطْبٍ. وقوله: «جواشِنَ هذا الليل» يَعْني صُدُورَها وأوائِلَها. واللَّيْلُ بإزاء النهار في الاستعمال، والليلةُ بإزاءِ اليَوْم. والإشارة بـ«هذا» على طريق التَّقريب. وهم يستعيرون الجَوَاشِنَ والهَوادِيَ والصدورَ والنُّحورَ والأَعْنَاقَ والرُّؤوسَ لأوائِلِ الأمور، كما يَسْتَعِيرُونَ الأعجازَ والأدبارَ والأعقابَ والأذناب لآواخرها.

٣ ـ وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ يَحْمَده الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ العَمِّ مُخْوَلا

افْتَقَرَ فِعْلُ مُفْتَقِرٍ وفَقِيرٍ جَمِيعًا، استُغْنِيَ بِهِ عن فَقِر. يقولُ: مَنْ نَالَهُ الفَقْرُ بين عشيرته وأهْلِيهِ حَمِدَ الغِنَى، وصار عِندهُ المطلوبَ والمتمَنَّى، وإن كان مَعْطُوفًا عليه مُكْرَمًا، ومُعَمًّا فيهم مُخْوَلًا. وقولُه: «واسِطَ العَمِّ» سِطَةُ الحَسَب: كرَمُهُ، والفِعْلُ منه وَسَطَ قال: [الرجز]

وَقَدْ وَسَطْتُ مَالِكًا وحَنْظَلَا(١)

ويقال: فلانٌ وسِيطٌ في قَوْمِه: جَليلٌ، وفُلانٌ واسِطُ القَوْمِ، وهو أَوْسَطُهُمْ أي أشرَفُهم.

٤ ـ كأنَّ الفَتَى لم يَعْرَ يَوْمًا إذا اكْتَسَى وَلَمْ يَكُ صُعْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا(٢)

هذا الكلام بَعْثٌ على التَّجْوَال، وتَحْضِيضٌ في اكتساب المال، فيقول: إذا اقْتَنَيْتَ بَعْدَ فَقْرِكَ، واكْتَسَيْتَ عن عُرْيِك، فكأنَّك ما كنت قَطّ فَقِيرًا ولا عُرْيَانًا.

---

(١) الرجز لغيلان بن حريث في مجالس ثعلب ٣٠٦، وبلا نسبة في اللسان (صيب)، وتاج العروس (صيب)، وأساس البلاغة (وسط)، وديوان الأدب ٣:٢٥٢.

(٢) قبل هذا البيت عند التبريزي بيت آخر:

«ويزري بعقلِ المرءِ قلّةُ مالِه وإن كان أسرى من رجالٍ وأحولا»

والمعنى: إنّ من استبدَلَ بعُسْرِهِ يُسْرًا، ونال عَقْب ضِيقِه رخاءً، فكأنه ما سُبِقَ إليهما، ولا زوحِمَ فيهما. وفي طريقته ما بَعْدَهُ، وهو: «ولم يَكُ في بُوسٍ». والصُّعْلُوك: الفقير.

٥ ـ ولَمْ يَـكُ فـي بُـوس إذا بـاتَ لَيلَةً ... يُنَاغِي غَزَالًا سَاجِيَ الطَّرْف أكْحَلَا[1]

يقول: وإذا استمتع لَيْلَةً بمناجاةِ إنْسَانٍ كأنه غزالٌ في طَرْفِهِ فَتَرٌ، وفي عَيْنِه كَحَلٌ، فكأنه ما كان ذا بُوسٍ قَطُّ. أي تُعَفِّي النِّعْمَةُ على آثاره الضُّرَّ، وتَمْحُوها حتى تُنسَى. وقولُهُ «ولم يَكُ في بُوسٍ» قد مرَّ الكلام في حذف النون مِنْها تخفيفًا. والمناغاة: المغازلة، وأصلُهُ من النَّغْيَةِ، وهي الصوت اللطيف، والنَّغْمة الحسنة الخفيَّةُ، ولذلك يُفَسَّرُ المُنَاغاةُ على المُسَارَّةِ. والساجِي: الساكن، يقال لَيْلٌ سَاجٍ. قال: [الرجز]

يـا حَبَّذَا الـقَـمْـرَاءُ وَالـلَّيْـلُ الـسَّـاجْ[2]

٩٦ ـ وقال بعض بني طيِّىء: [السريع]

١ ـ إنْ أَدَعِ الـشِّـعْـرَ فَـلَمْ أُكْـدِهِ ... إذْ أزَمَ الـحَـقُّ عَـلَى الـبَـاطِـلِ

قوله «إذْ أزَمَ» ظرفٌ لقوله أَدَع. وتقدير الكلام: إنْ أَدَعِ الشِّعْر إذْ أزم الحقُّ على الباطل فلم أُكْدِهِ. ويريد بالحقّ كَبْرَتَهُ وشيخوخته، وما أَخَذَ به النَّفْسَ عِنْدَهُ من مراعاة الحقِّ، والرجُوع عن الهزلِ إلى الجِدّ. وأراد بالباطل الصِّبا واللَّهْوَ وما يَتْبَعُهُمَا مما يُعَدّ سَفهًا وقوله «فَلَمْ أُكْدِه» أصله منْ حَفَرَ فأكْدى، إذا بَلَغَ الكُدْيَة، فَتَعَذَّرَ عليه الحَفْرُ وَإنْباطُ الماء. والكُدْيَةُ: مَكانٌ صُلْبٌ يُعْيِي الحَافِرَ. ويقال أيضًا: حَفَرَ فأَجْبَلَ، إذا بَلَغَ جَبَلًا. وتوسَّعُوا فيه فقالوا: أكْدَى في الشِّعْرِ والعَطَاء. وفي القرآن: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ٣٤﴾ [النجم: الآية ٣٤]. وقالوا أيضًا: فلانٌ بَلغ الناسُ كُدْيَتَهُ، أي كان يُعْطِي ثم أَمْسَكَ. ومعنى البيت: إن تركْتُ الشِّعْرَ حين تَحَلَّمتُ وارْعَوَيْتُ، وصار الحق عاضًا على بَطَالَتي، والحِلمُ مانعًا من جَهَالَتي، فلم أَتْرُكْهُ عن عَجْزٍ لاحِقٍ، وإفحامٍ حاصِلٍ. والأزْمُ: العَضُّ، وتُوُسِّعَ فيه، فقيل: «نعم الدواءُ الأزْمُ»، يريدون الحِمْيَةَ.

---

(١) في التبريزي: «فاتر الطرف». وروى بعد هذا البيت بيتًا آخر هو:
«إذا جانبٌ أعياكَ فاعمدْ لجانبٍ ... فـإنـك لاقٍ فـي بـلادٍ مـعـوّلا»

(٢) للحارثي في اللسان (سجا)، وبلا نسبة في المخصص ٩:٢٦، وتهذيب اللغة ١١:١٤٠، وتاج العروس (سجا، قمر).

٢ ـ قَدْ كُنْتُ أُجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ وَأُكْثِرُ ٱلصَّدَّ عَنِ ٱلجَاهِلِ

يقول: كنتُ أُجْرِي الشِّعرَ على حَقِّه وكُنْهِه، وأقْرِضُه مستمرًا فيه على حَدِّه أيّامَ شَبابي، وقَبْلَ ارتِدَاعي، ومع ذلك كنتُ أُكثِرُ الإعراضَ عن الجُهّال، وأتَصَوَّنُ عن مكايَلَتِهم وموازَنتِهم. وهذا يجري مَجْرَى قول الآخَر: [البسيط]

إنّي ٱمرُؤٌ مُكْرِمٌ نَفْسِي ومُتَّئِدٌ مِن أنْ أُقاذِعَها حتى أُجازِيها[١]

والمعنى أرْبَأُ بقَدْرِي عن مقارضة الشعراء، ومجاذبة السُّفهاء، ولكن إنْ دَعَتِ الحالُ معهم، والضَّجَرُ بهم، إلى المجازاة مع مراجعة الحِلْم، فبالفِعْل لا بالقوْل، وعلى هذا كنتُ قبلَ هذا الأوَانِ مع الجُهّال.

٩٧ ـ وقال آخر[٢]: [الكامل]

١ ـ زَعَمَ ٱلعَوَاذِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجُنُوبِ خَبْتٍ عُرِّيَتْ وأُجِمَّتِ

يقول: قال اللوائم عاتِبَةً على جُنْدَبٍ، ومُنْكِرَةً لتودُّعِه ومَيْلِه إلى الراحة والخَفْض وتَرْكِ السَّفَر: إنّ ناقتَهُ حُطَّ عنها رَحْلُها، وأُزيلَ كَلالُها، فهي جامَّةٌ بجُنُوبِ خَبْتٍ: والخَبْت، أصله ما اطمأنّ من الأرض. ويقال: أَخْبَتَ الرجلُ، إذا صار في الخَبْتِ؛ وتُوُسِّعَ فيه فقيل للمتألّه الخاشع: هو مُخْبِتٌ.

٢ ـ كَذَبَ ٱلعَوَاذِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَنَا بِٱلقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وَذَلَّتِ

أبْطَلَ قوْلَهُنَّ فذكر أنّهُنَّ لَوْ رَأَيْنَ مَنزِلَنا ومَبْرَكنا بهذا البلد، لقُلْنَ لَجَّ جُنْدَبٌ في السَّيْرِ وذَلَّتِ النّاقةُ. ويجوز أن يكونَ قولُه «مُنَاخَنا» لم يُشِرْ به إلى إناخةٍ وإلى موضعٍ لها، وإنما يكون كقولِه: [الطويل]

فإنّ المُنَدّى رِحْلَةٌ ورُكُوبُ[٣]

فيكون المعنى: لو رَأَيْنَ ما جُعِلَ بَدَلًا لناقتنا في موضعِ الإناخَةِ لقُلْن ذلك. ومثله: [الرجز]

تَغْلِيقُها الإسراجُ والإلجامُ

---

(١) هذا البيت من الحماسة رقم (٧٤).

(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال آخر من طيّىء وهو جندب بن عمار».

(٣) لعلقمة الفحل في ديوانه ص ٤٢، وسمط اللآلي ٢٥٤، وشرح اختيارات المفضل ١٥٨٩، واللسان (ركب، ودمن، ندى). وصدره:

«تراد على دمن الحياض فإن تعف»

أي جُعِلَ الإسراجُ بدلًا مما كان يُعلّق عليه. ويَقرُبُ منه قوله: [البسيط]

لـمّـا تـذكّـرْتُ بـالـدَّيْـرَيْـنِ أَرَّقَـنِـي صوْتُ الدَّجاج وقَرْعٌ بالنواقِيسِ[1]

وإنما شاهَدَ وقتَهُما فذكرَهُما به، ولم يكن ثَمَّ دَجاجٌ ولا نَواقيس.

٩٨ ـ وقال الرّاعِي: [الطويل]

١ ـ كَـفَـانِـي عِـرِفْـانُ الـكَـرَى وكـفَـيْـتُـه كُـلُوءَ الـنُّـجُـومِ والـنُّـعـاسُ مُـعـانِـقُـهْ

عِرِفّان: اسم صاحِبه. فيقول: نام هذا الرجلُ وكفاني الاشتغالَ بالنوم، وكلأْتُ النجومَ وارتقبْتُها، وكفَيته السهر، وقد لازَمَ النُّعاسَ وعانَقَهُ. فإن قيل: كيف كَفَاهُ الكَرَى؟ قلتَ: هذا على مطابقةِ الكلامِ، فلما قال كفَيْتُه مُراعاةَ النجوم ونُبْتُ عنه فيها، قال: كفَاني الكَرَى، وإن كانت نيابةُ ذلك عنه في الكرَى لا يَصِحُّ. ويُرْوَى: «كفانيَ عِرْفَانَ الكَرَى وكفَيْتُه»، أي مَعرِفة الكَرَى، وليس بمُرْتَضَى.

٢ ـ فَـبَـاتَ يُـرِيـهِ عِـرْسَـهُ وَبَـنَـاتِـهِ وَبِـتُّ أُرِيـهِ الـنَّـجْـمَ أَيـنَ مَـخـافِـقُـهْ

هذا تظنُّنٌ من القولِ، لأن الساهرَ لا يَعْلَمُ من حال النائمِ أنه يَحلُمُ أو لا يَحلُمُ. وإنما نَبَّهَ بهذا الكلامِ على استحكامِ نوْمِهِ وتَلذُّذِه به، إذ كانت الأحلام لا تحصُلُ للنائم إلا عند ذلك. ولمّا قال بات يُرِيه النومُ امرأَتَهُ وأولادَه، قال في مقابَلَتِهِ على الطريقة التي في البيت الأوّل: وبِتُّ أُرِيه النَّجْمَ. وهذا الجنس يَكثُر في كلام البُلَغاء، ومثله قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٤]. و﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤] ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥]. وقول الشاعر[2]: [الهزج]

دِنّـاهُـمْ كـمـا دانُـوا

وقد مَرَّ جميعُه مُستَقْصًى.

(١) لجرير في ديوانه ٣٢١، والحيوان ٢: ٣٤٢.

(٢) البيت الرابع من الحماسية رقم (٢)، وتمامه:

«ولـم يـبـقَ سـوى الـعـدوا ن دِنّـاهـم كـمـا دانـوا»

٩٩ ـ وقال آخرُ[١]: [الوافر]

١ ـ فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إلّا أَلَمَّتْ ... بِرَحْلي أو خَيَالَتُها الكَذُوبُ

حَذَفَ مفعولَ نازلٍ لأنّ المرادَ مفهومٌ، كأنّه قال: لا أنزلُ مَنْزِلًا. ومِثلُه قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [السَّجدَة: الآية ١٤]، أي العذاب. والإلمامُ: زيارةٌ لا لَبْثَ معها. يقول: لا أنزلُ مَحَلًّا إلا رأيتُ هذه المرأة مُلِمَّةً برَحْلي، أي متصوِّرةً لي بهذه الصورة، تشوُّقًا مِنّي وتَحَفِّيًا. هذا في حالِ اليقظة وعند فراغ البال والاشتغال بحال النفس. أو رأيتُ خيالتَها الكَذُوبَ القليلةَ الوَفاء إذا نِمْتُ. ويقال: خَيَالٌ وخَيَالَةٌ، كما يقال مَكانٌ ومَكانَةٌ. وجَعَلَها كذوبًا لمّا لم يَتحقّق فِعْلُها وقوْلُها. والمعنى: إنّي لا يُخْليني منها لا النّوم ولا اليقظة، ولا يَلفِتُني عنها لا الرَّخاءُ ولا الشِّدة، وفي هذه الطريقة قول امرىء القيس: [الطويل]

تَنَوَّرْتُها من أذرِعاتٍ وأَهْلُها ... بيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِها نَظَرٌ عالِ[٢]

وقال الأصمعيّ في قول الآخر: [الطويل]

أَلَيْسَ بصيرًا مَن رأى وهو قاعِدٌ ... بمكة أهلَ الشام يختَبِزُونا

هو على التَّشوُّف والتَّحَفّي.

٢ ـ فَقَدْ جَعَلَتْ قَلُوصُ ٱبْنَيْ سُهَيْلٍ ... مِنَ ٱلأَكْوَارِ مَرْتَعُهَا قَرِيبُ

جَعَلَتْ هٰهنا بمعنى طَفِقَتْ وأقبَلَتْ، ولذلك لا يتعدّى. والقَلوص: الفَتِيَّةُ من الإبِل، ومَرْتَعُها قريب في موضع الحال. يقولُ: أقبَلَتْ قَلُوصُ هٰذين الرجلين قريبةَ المَرْتَع من رِحَالِهم، قصيرةَ المَسْرَح في رواحِهم، لأنه لِمَا لحقَها من الكَلَالِ والإعياء، لم تَقْدِر على التباعُد في المَرْعى والارتياد.

٣ ـ كأنّ لَهَا بِرَحْلِ القَوْمِ بَوًّا ... وَمَا إنْ طِبُّهَا إلّا اللُّغُوبُ

يقول: كأنّ لهذه الناقةِ ولَدًا برَحْلِ القوْمِ، تَتَعَطَّف عليه، ولا تتباعد عنه، وما داؤها إلا الإعياءُ. ومثلُ هذا قولُ الآخَرِ: [الرجز]

مِنَ الكَلَالِ لا يَذُقْنَ عُودَا ... لا عُقُلًا تَبْغِي ولا قُيُودَا

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «الرجل من بحتر بن عتود».

(٢) لامرىء القيس في ديوانه ٣١، وخزانة الأدب ١:٥٦، والدرر ١:٨٢، ورصف المباني ٣٤٥.

والطِّبُّ أصلُه العِلْم، والمراد به هٰهنا الداء الذي يُعْلَم ويُعْرَف. والبَوُّ، أصلُه: جِلْدُ فَصِيلٍ يُحْشَى تِبْنًا لِتدُرَّ الأمُّ عليه.

١٠٠ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ إنْ كنتُ لا أُرمَى وتُرمَى كِنَانَتِي تُصِبْ جانِحَاتُ النَّبْلِ كَشْحِي ومَنْكِبي

هذا مَثَلٌ. والمعنى: إذا لم أُقصَد في خاصّ أمري، ثم قُصِدَتْ فيمن يَشْمَله عِنايتي، عاد ذلك القَصْدُ بالشرّ والمَساءةِ عليَّ، وصرتُ كأني أنا المقصودُ. و«الجانِحاتُ»: المائلاتُ، ورَوَى بعضهم «جائحاتُ النَّبْلِ» وهي المستأصِلات المُهْلِكات. ويقالُ: جاحَهُ واجتاحَهُ بمعنًى: وليست هذه الرواية بجيِّدة، لأن الغرضَ ما ذكرْتُه من أنّ من يَمَسُّه أمرُه إذا قُصِد كان كنَفْسِه. فإن قيل: فلِمَ خَصَّ الجانحاتِ؟ قلتَ: المرادُ فيما ضربَ المَثلَ له: إنِّي رُمِيتُ إذا رُمِيتِ الجَعْبَةُ المعلَّقة عليَّ، لأن بعضَ السِّهامِ يصيبه وبعضها يصيبني. وإذا كان كذلك فلا بد من ذكر الجانحات. و«النَّبْلُ»: اسمٌ صِيغَ للجمع. والكِنانَةُ: ما يُغَطَّى به الشيءُ في الأصل، واختُصَّ بها الجَعْبة وهو من الكَنِّ، كالسِّتارةِ من السِّتْر. وفي القرآن: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٥]. وقد فُصِل بين كَنَنْتُ واكتَنَنْتُ، فجُعل اكتننْتُ لما يُضمَرُ في القَلْبِ من الحديث والسرّ، وكَنَنتُ لما يُستَرُ بشيءٍ. وذكر الدُّريديُّ أن الكِنانَةَ لا يكون إلا للنَّبل، ويكون من أَدَمٍ، فإذا كانت من خَشَبٍ فهو جَفِيرٌ، وإن كانت من قطعتين مقرونتين فهي قَرَنٌ، والجَعْبَةُ تكون للنَّبْل والنشّاب جميعًا.

٢ ـ أَفِيقُوا بَني حَزْنٍ وأَهواؤنا مَعًا وأرحامُنا موصولةٌ لم تُقَضَّبِ(٢)

يقول: اصحوا بَني حَزْنٍ من سَكْرةِ جَهْلِكم، وانتبهوا من رَقدةِ غفلتِكم، الأهواءُ بعدُ متفقةٌ، وأسبابُ الرَّحِم موصولةٌ، لم يتسلّط عليها العُقوق، ولم يقطَعْها الجَفاءُ والنُّبُوُّ. والمعنى: كُفُّوا عما أنتم عليه من سيِّئات التقاطع والتدابُر، قبل تفاقُمِ الخَطْبِ، واستفحال الشأن. والقَضْبُ: القَطْعُ، ومنه قيل للسيفِ المِقْضَبُ والقَضِيب. وقولُه «معًا» في موضِع الخَبَر، أي مجتمعةٌ.

---

(١) التبريزي: «وقال آخر، وضرب بنو عمّ له مولى اسمه حوشب».

(٢) جاء قبل هذا البيت عند التبريزي بيت آخر هو:

«فقل لبني عمّي فقد وأبيهم مُنُوا بهريت الشدقِ أشوسَ أغلبِ»

٣ ـ فإنْ تَبعثُوها تَبعثُوها ذَميمَةً قَبِيحَةَ ذِكْرِ الغِبِّ للمُتَغَبِّبِ(١)

يقول: إن هَيَّجْتُمُ الحَرْبَ هيّجْتُمُوها مذمومةً قبيحة ذِكْرِ العاقبةِ لمن يتتبَّع العواقِبَ فيتدبَّرُها، ويتعهدُ المصاير فيتأمَّلها. ويقال: تغبَّبْتُ الأمرَ كما يقال تعقَّبْتُه، أي تفقَّدْتُ عاقبته وغِبَّهُ. والغِبُّ أصلُه في ورود الماء والزِّيارة، وهو يَنُوبُ في أسماءِ الأظماءِ وغيرِها عن الثُّلْثِ. فأما قولهم: «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا» فالمُهلةُ فيه أوسَعُ.

٤ ـ سآخُذُ منكم آلَ حَزْنٍ لحوْشَبٍ وإن كان مَوْلًى لي وكنتم بَني أَبِي

إنما قال هذا لأن بني عمِّهِ ضربوا مولًى له، فيقول: سأنتقمُ منكم يا آل حَزْنٍ وإن كنتم بني أعمامٍ، وكان حَوْشَبٌ مولًى محالفةٍ وجِوارٍ. وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

فإن غَضِبَت فيها حَبيبُ بنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطَّةً تَرضاكَ فيها الأباعِدُ

وروى بعضُهم: «وإن كان مَوْلائي وكُنْتُمْ»، والبصريُّون لا يجوِّزون مدَّ المقصور، لأنه إدخالُ زيادةٍ على كلامِهم، ويجوِّزون قَصْرَ الممدود، لأنه حذْفٌ للتخفيف، ورَدٌّ إلى الأصل. وحوْشَبٌ عند النحوِّيين أنه ممّا لم يجىء إلا بزيادة الواو، وأنه مثلُ كوكب. وحَكَى الخارَزَنجيُّ أن حَشَبًا اسمُ رجُلٍ، وأنه يقالُ أحْشَبَني كذا، أي حشَمَني.

١٠١ ـ وقال جَميلٌ(٢): [الوافر]

١ ـ أَبُوكَ أَبُوكَ أَرْبَدُ غَيرَ شَكٍّ أَحَلَّكَ في المَخازِي حَيثُ حَلَّا

ارتفع أبوكَ بالابتداءِ، وكرَّره تأكيدًا، وأَرْبَدُ بدَلٌ منه، وخَبَرُ المبتدأ أحَلَّكَ. وانتَصَبَ «غيرَ» على المَصدرِ، وهو مما يؤكِّدُ به ما قبله. ومِثلُه حَقًّا وما أشبَهَهُ. والمعنى أنّ لُؤْمَ أبيه موروث، وأنه اقتداءً بَسلَفِه قد أنزَل ابنَه مَنزِلَه في المخازي والقبائح، حَقًّا لا مِزْيةَ فيه.

---

(١) ورد عند التبريزي قبل هذا البيت بيت آخر وهو:
«ولا تبعثوها بعد شدّ عقالها ذميمةَ ذكر الغبّ في المتعقّب»

(٢) جميل بن عبد الله بن معمر العذريّ: شاعر، من عشّاق العرب، افتتن ببثينة فتناقل الناس أخبارهما. أكثر شعره في النسيب والغزل والفخر (ت ٨٢ هـ/ ٧٠١ م). ترجمته في وفيات الأعيان ١: ١١٥، وابن عساكر ٣: ٣٩٥، والأغاني طبعة دار الكتب ٨: ٩٠. وعند التبريزي: «قال آخر».

٢ ـ فَمَا أنفيكَ كَيْ تَزْدادَ لُؤمًا ... لِأَلأَمَ مِن أبيكَ ولا أذَلَّا

يقول: لا أبرِّئُكَ من أبيك طَلَبًا لأنْ أنسُبَكَ إلى من هو أَلأَمُ منه وأذَلُّ لتزدادَ ذُلًّا ولؤمًا؟ لأنَّ أباكَ النهايةُ في هذين. وانْتَصَبَ «لُؤمًا» على التمييز، واللام من «لألأم» تَعَلَّق بفعْل مُضمرٍ، كأنه قال: ما أَنفيك من أبيك وأدعُوكَ لألأمَ منه، لأنهُ إذا نَفاه من أبيه فقد جعله لغيرِهِ. ويجوز أن يُحمَلَ الكلام فيه على المعنى، فيُتَصَوَّرَ أَنْفِيكَ بأدْعُوك، ويُعَدَّى تعدِيَتَهُ. ومِثْلُهُ قولُ الله عزَّ وجلّ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النّازعَات: الآية ١٨]. وعلى هذا يُحمل قول الفرزدق: [الرجز]

قَـدْ قَـتَـلَ اللهُ زيـادًا عَـنِّـي[١]

لمَّا كان مَعْنَاهُ صَرَفَهُ الله عَنِّي. ومن أبيات الكتاب: [البسيط]

إذا تَغَنَّى الحَمامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِي ... ولـو تَـعَـزَّيْـتُ عَـنْـهـا أمَّ عَـمَّـارِ[٢]

لأنه تُصَوِّرَ هَيَّجَنِي أنه ذكَّرَني، فعُدِّي تعديته.

١٠٢ ـ وقال آخر[٣]: [الطويل]

١ ـ أبوكَ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدَهُ ... وَجَدِّي يـا حَجَّاجُ فـارِسُ شَـمَّـرَا

يقول: أبوكَ الذي سَرَق بُرْدَ ضَيْفِهِ وغَدَرَ بِه وخانه، وجدّي فارس هذا الفَرس المعروف. وسارِق الضيف بُرْدَهُ، أصله سارِقُ بُرْد الضَّيْف، لكنه أضافَهُ إلى الضَّيف بناء على قولهم سَرَقتُ الضَّيْفَ بُرْدَهُ، والمراد سَرَقتُ من الضَّيف، لكنه لما حَذف الجارّ تخفيفًا وصَل الفِعْل فعمل فيه، ثم أضاف اسم الفاعل إليه. وعلى هذا يقال اخترتُ الرِّجالَ زَيدًا: وشَمَّرُ فِعَلٌ في الأصل سُمِّي به الفَرَسُ، لأنه ليس في الأسماء شَيْءٌ على فَعَّلٍ. ومثله خَضَّمُ، وهو لَقَبٌ للعَنْبَرِ بن مازِن. وحُبَابٌ يجوز أن يكون بَدَلًا وسارق الضيف خَبَرًا، ويجوز أن يكون حُبَابٌ خَبَرًا وسارِقُ الضيف صفَةً، وهذا أجود حتى يكون في مقابلة فارِس شَمَّر. كأنَّ المرادَ: أبوك المعروف بذا الاسمِ،

---

(١) للفرزدق في ديوانه ١٨١، واللسان (ظهر، قتل، جنن)، وشرح الأشموني ١:٢٠٠. وصدره: «كيف تراني قالبًا مِجَنِّي»

(٢) للنابغة الذبياني في معلقته في ديوانه ٢٠٣، وبلا نسبة في الخصائص ٢:٤٢٥، والكتاب ١:٢٨٦، واللسان (هيج).

(٣) عند التبريزي: «وقال جميل».

وجَدِّي المعروف بِذَا. ورواه بعضهم «فارِس شِمَّر» بكسر الشين، وقال: هو عَلَمٌ مؤنث مثل امرأة تُسَمِّيها قِنَب وذِنَب.

٢ ـ بَنُو الصَّالحين الصَّالِحُونَ ومن يَكُنْ   لآباءِ صِدْقٍ يَلْقَهمْ حَيثُ سَيَّرَا

كما فضَّل جَدَّه على أبيه في البيت الأوّل فضَّل نفسه عليه في البيت الثاني. والمعنى أنَّ المرء يتقيَّل أباه، فإذا كان جَدِّي صالحًا فأنا صالح، وإذا كان أبوك صالحًا فأنت صَالحٌ. وقوله «ومن يَكُنْ لآباء صِدْقٍ» يُريدُ من كان وَلَدَ آباءٍ كِرامٍ عُرِف بهم حيث ذهب، ولقيهم أنّي سارَ وظَعَن. واللام دَخَلَ في قولِهِ لآباء صِدْقٍ لهذا المعنى. ومِثَالُه: [الطويل]

لئِنْ كانَ لِلقَبْرَينِ قَبْرٍ بِجِلَّقٍ   وقَبْرٍ بِصَيدَاءَ التي عِنْدَ حَارِبِ(١)

أي إن كان وَلَدَهما. وصِدْقٍ يُضَاف إليه الواحد والجمع، والمؤنث والمذكَّرُ، ويُرَادُ به المَدْح. فإذا قُلْت ثَوْبُ صِدْقٍ ورجال صِدْقٍ، فالمعنى نِعْمَ الشيء ذاك، أي هو صادِقٌ فيما يُحْمَدُ فيه لا كاذبٌ. وإذا أَرَدْتَ أن تَجعلَهُ نعتًا فتحتَ الصَّادَ منه فقلتَ: هو الرَّجُل الصَّدْق، ويُثَنّى ويُجْمَع ويُؤَنّث. قال: [الرجز]

مَقْذُوذَةُ الآذانِ صَدْقاتُ الحَدَقْ(٢)

٣ ـ فإنْ تَغْضَبُوا من قِسْمَةِ الله حَظَّكُمْ   فَلِلّهُ إذْ لم يُرْضِكُمْ كان أبْصَرَا

يقول: إن تسخَّطتم ما قَسَمَهُ الله، تَعَالَى جَدُّه، لَكُم، وجعلَه نصيبَكم، فَلَلَّهُ كانَ أعْلَمَ بكم وبقدر استحقاقكم، لمَّا لم يَرَكم أهلًا لأكثر منه. والمعنى: إنّ ما حَصَلْتُم عليه من البَخْس في القِسْمَةِ، والنَّقْصِ من المَقْدُرَةِ. والتأخُّر في المنزلة، حِكمةٌ من الله عزّ وجَلّ ونَصَفَةٌ، ولو زاد مستحقُّكُمْ عليه لأعطاكم، فإنّه العالِمُ الحَكِيمُ في أفْعَالِه وأقضيته. والبصير في صفة الله، تحقيقُه العَالِمُ.

١٠٣ ـ وقال أبو النَّشْنَاش(٣): [الطويل]

١ ـ إذَا المَرْءُ لم يَسْرَحْ سَوَامًا ولم يُرِحْ   سَوَامًا ولم تَعْطِفْ عليهِ أقَارِبُهْ

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤١، واللسان (جلق)، وديوان الأدب ٢: ٣٩٥، وتاج العروس (حلق).

(٢) لرؤبة في ديوانه ١٠٤، وأساس البلاغة (قذذ)، وبلا نسبة في اللسان (صدق).

(٣) أبو النشناش: من لصوص بني تميم، كان يعترض القوافل بين طريق الحجاز والشام (الأغاني ١١: ٤٢).

يُقَالُ سَرَحْتُ الماشِيَةَ، إذا أخرجْتَها بالغَدَاةِ إلى المرعَى؛ وأرَحْتُها، إذا رددْتَها بالعشِيّ. فإن قال قائل: لِمَ قال «ولم يُرِحْ سَوَامًا» والنَّكِرَةُ إذا أُعِيدَ ذِكْرُهَا يَجِبُ تعريفُها، بدَلالة أنّك تقول رأيت رجُلًا بمكان كذا، فقال لي الرجل كذا؟ قلتَ: يجوز أن يكون نَكَّرَهُمَا لأنَّهُ تَصوَّرَ المُرَاح بما دَخَلَهُ من التناقُص والتزايد، بالأخذِ منه والرَدِّ إليه غيرَ المَسْرُوح، وإذا كان كذلك فالثَّاني غير الأول. ويجوز أن يكون السَّوَامُ الثاني غير الأول، وذاك أنَّ المُكْثِرين منهم كانوا يأمرون رِعاءَهم بأن يقتَضِبوا قِطعةً من المال كيفَ اتفقت، ليحبِسُوهَا على الحقُوق العَارِضة، سِوَى المُؤَن اللازمة، فكانت الغادية لما يقيمونها من النُّوَبِ في ذلك غير الرائحة، والرائحةُ غير الغاديةِ. وإذا كان كذلك فالسؤال ساقِط. والمَعْنَى: إذا الرَّجُل لم يَكُنْ ذا مَالٍ يُسْرَحُ بَعْضُه ويُرَاحُ عليه بَعْضُهُ، على حَسَبِ ما يتّفق، ولم يَكُنْ لَهُ أقارِبُ يتعطّفُون عليه ويَرَون من الفُروض الواجبةِ الإحسانَ إليه، فالمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ. وجَوَاب إذا في البيت الثاني. ويجوز أن يكون المُرَاد بقوله ولم تَعْطِفْ عليه أقارِبُه تَعَطُّفَ النُّصْرَة والإعزاز، فيكون المعنى إذا لم يكن غنِيًّا ولم يكن مؤيَّدًا بذوِيه فيعتزُّ بهم، فالموتُ أَصْلَحُ لَهُ من الحياةِ، وهذا المعنى أحسَنُ.

٢ ـ فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلفَتَى من قُعُودِهِ ... عَدِيمًا ومِنْ مَوْلًى تَدِبُّ عَقَارِبُهْ

فلَلموت جواب إذا، لتضمُّنِهِ معنى الجزاء. يقول: إذا الرجل لم يَكُنْ على ما وصفْتُ فورُودُ المَوت عَلَيْهِ خَيرٌ له من قُعُوده راضيًا بفقْرِه، وبإفضال مَوْلًى يؤذيه بالمَنِّ، ولا يُخَلِّصُ النعمةَ عِنْدَهُ من الشَّوائب. ودبيبُ العقاربِ كِنَايَةٌ عن فِعْلِ الأذى والتَّحمُّدِ بالكلمات المُكدِّرةِ. وانْتَصَبَ «عديمًا» على الحَالِ. ويجوز أن يكون المعنى في قولِه «ومِنْ مَوْلًى تَدِبُّ عقارِبُه» أن يَحْصُل الفسادُ بين العشيرة، والتَّدابُر والاختلاف، فكُلٌّ يَقْصِدُ صاحبَه بالمَسَاءة، ويَبْغِي له الغوائل. وهذا المَعْنَى يَتَلَفَّقُ مع المعنى الثاني في البيت الذي قَبْلَه.

٣ ـ ونَائِيَةِ الأرجاءِ طَامِسَةِ الصُّوَى ... خَدَتْ بأبي النَّشْنَاشِ فيها رَكائِبُهْ[1]

---

(١) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت آخر:

«ليكسب مجدًا أو ليدرك مغنمًا ... جزيلاً وهذا الدهرُ جمٌّ عجائبه»

انجرّت «نائية» بإضمار رُبَّ، والواو داخلةٌ للعطْف، ولم يَصِرْ بدلًا من رُبَّ بِدَلَالة وُقوع الفاء العاطفة موقِعَه وبلْ في نَحْوِ[١]: [الطويل]

فَـمِـثْـلِكِ حُـبْـلَى قـد طـرَقْـتُ

و: [الرجز]

بَـلْ بـلَـدٍ ذِي عُـقَـدٍ وإِخْـبَـابْ[٢]

يقول: ورُبَّ مَفازةٍ بعيدة الأطراف، دراسةِ الأعلام، سارت بأبي النشناش فيها رواحِلُه يَطْلُبُ المالَ، ويَكْتسبُ المَجْدَ. وهذا الكلامُ تَبَجُّحٌ منه بأنَّهُ لم يَتَّخِذ الفقرَ ضجيعًا، ولا الدَّعَةَ حَليفًا، بل رَمَى بنفسه نحو المرامي المُتلِفَةِ، وطَوَّحَها في المَوَامِي المُعْطِبَةِ. والأَرْجَاءُ واحِدُها رَجًا. والطَّامِسُ: الدَّارِس. ويقالُ: طَمَسَ وطَسَمَ. والصُّوَى: الأعلام، والواحدة صُوَّةٌ، ومِثْلُه قُوَّةٌ وقُوًى. ومعنى خَدَتْ: أَسْرَعَتْ، ومَصْدَرُه الخَدَيان. والركائبُ: جَمْع الرَّكُوبة، وهي المركوبة، ولا يَتْبَعُ الموصوف، بل يُسْتَعْمَل على انفرادِها، ومِثْلُها الحَلُوبَةُ.

٤ ـ وسـائـلَةٍ بـالـغَـيْـبِ عـنّـي وسـائـلٍ ... ومَـن يَـسـأَلُ الـصُّـعـلُوكَ أيـن مـذاهِـبُـهْ

يقول: رُبَّ رجُلٍ وامرأة سأَلَا عنّي بظَهْرِ الغَيْبِ، لما تداخَل القلوبَ من هَيبتي، والإشفاقِ من وَقعَتي. ثم قال مستفهِمًا على طريق الإنكار: ومَن يسأل الصعلوكَ، أي يجب ألَا يُسألَ الصعاليكُ عن مذاهِبهم وطُرُقهم، لأنها لا تُعْلَم، إذ لم يكُن يستقرّ بهم موضعٌ، ولم يكن يَحْويهم بَلَدٌ ومَذهَبٌ يلزَمونَه أو يختصُّون به. وكان وَجْهُ الكلامِ أن يقولَ: ومن يَسألُ عِن الصُّعلوك ليكون وَفْقَ قوله «وسائلةٍ بالغَيْبِ عَنّي»، لكنه عَدَلَ عنه إلى ما قالَهُ تأكيدًا للمراد، وذلك أنه إذا كان سؤالُ نفسِه عن مَذهَبِهِ مُنْكَرًا لاستبهامه عليه، فسؤال غيره عنه أبعدُ من الصواب.

٥ ـ فـلم أَرَ مِـثْـلَ الـفَـقْـرِ ضـاجَـعَـهُ ٱلْـفَـتَـى ... ولا كَـسَـوادِ الـلـيـلِ أَخْـفَـق طـالِـبُـهْ[٣]

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١٢، والأزهية ٢٤٤، وجواهر الأدب ٦٣، وخزانة الأدب ١: ٣٣٤، واللسان (رضع، غيل)، وتمامه:

«فمثلك حبلى قد طرقتُ ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائمَ محولِ»

(٢) عند التبريزي: «بل بلد» فقط.

(٣) عند التبريزي بعد هذا البيت بيتان آخران:

«فعش معدمًا أو مت كريمًا فإنني ... أرى الموتَ لا ينجو من الموت هاربُهْ

ولو كان حيٌّ ناجيًا من منيّةٍ ... لكان أثيرًا حين جَدَّتْ ركائبه»

يُروَى «مِثلَ الهَمّ»، هو مَصدَرُ هَمَمْتُ بالشيء، أي إذا هَمّ يجب عليه أن يُنفذَه ولا يؤخِّرَه. ويقول: لم أرَ كالفقر يتخذه الفتى ضَجِيعًا، أي يَرْضَى به ويلزومه له ولم أرَ كسوادِ الليل أكدى رَاكِبُه والطالبُ فيه. والمعنى: يجب ألا يحصُلَ واحدٌ منهما، لا الرِّضا بالفقر، ولا الإخفاق مع رُكوب الليل. ويقال ضَجُع ضَجْعًا وضُجُوعًا واضطجع بمعنًى واحد، ومنه قيل للعاجز الضُّجْعِيُّ والضجْعَةُ. وتُسمَّى الكواكبُ التي لا تسير: الضَّواجع. والإخفاقُ: أن يَغْزُوَ فلا يغنم، أو يرجوَ فيَخيب. قال عنترة: [الوافر]

فيُخفِقُ مَرَّةً ويُصِيبُ أُخرَى وَيَفجَعُ ذا الضغائن بالأريب(١)

وقولُه «أَخفَق طالبُه»، أي الطالب فيه. وهذا من إضافة الشيء إلى الشيءِ لكونه فيه.

١٠٤ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ألَا قالَتِ الخَنساءُ يومَ سُوَيقَةٍ عَهِدْتُكَ دَهرًا طاوِيَ الكَشْحِ أَهْضَمَا

يقول: قالت هذه المرأة يومَ اجتماعنا في سُوَيْقَةٍ: عهدتُك زمانًا ممتدًّا صغيرَ البطنِ، مطويَّ الكَشح والجَنْبِ. وإنما أنكَرتْ سِمنَهُ وكثرةَ لحمه، فأجابها بالبيت الثاني. والهَضَمُ: انضمامُ الضلوع، وتقارُب الجَنْبَيْن.

٢ ـ فإمّا تَرَيْنِي اليَوْمَ أصبَحتُ بادِنًا لَدَيكِ فَقَدْ أُلْفَى على البُزلِ مِرجَما

يقول: إن كنتِ ترينَني اليَوْمَ ـ وهو إشارةٌ إلى يومِهِ وما يَقرُبُ منه ـ أصْبَحْتُ مُثْقَلَ النفس، مُبَدَّنَ الخلْقِ لديك، أي في مَنْظَرِكِ ومعتَقَدِكِ، فإني إذا رَكِبتُ البُزْلَ وُجِدتُ عليها مِرجمًا. والمِرجَمُ: الذي كأنه آلةٌ في رَجْم الأرض بأخفاف الإبل ووطء الأقدام. وينتصب «مِرجَما» على الحال. وقيل المِرْجَمُ في السَّفَرِ: البعيد في الغاية. وكما قيل: رَجُلٌ مِرجَمٌ، قيل: يَدٌ مِرجَمٌ، ورِجلٌ مِرجَمٌ، ولسانٌ مِرجَمٌ، قال الشاعر: [الطويل]

شَدِيدُ الرِّجَامِ باللسان وباليَدِ

و«إمّا»، في أكثر الأحوال يلزَمُ الفعلَ الواقع بعده إحدى النونَيْن الثقيلة والخفيفة، لأنّه كما أُكِّدَ حرفُ الشرط بـ«ما» أُكِّدَ الفعل المشتَرَطُ به بالنُّون أيضًا، وهٰهنا جاء خاليًا من النون.

---

(١) ولعنترة في ديوانه ٣٢١، واللسان (خفق) وأساس البلاغة (خفق).

١٠٥ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ أَلَا قَالَتِ العَصْمَاءُ يَوْمَ لَقِيتُها ... أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ البَالِ أَفْرَعَا

هذا في طريقة ما قبْلَهُ. فيقول: قالت هذه المرأة لما التقيت معها؛ أَعْلَمُكَ عن قريبٍ ناعِمَ الحال، تامَّ شَعَر الرأس، لم يتسلَّطْ عليك صَلَعٌ، ولا حدثَ انحسارُ شَعَرٍ، ولا شُحُوبُ لَوْن، فكيف تغيّرتَ مع قُرْب الأَمَدِ. وانتصب «حَدِيثًا» على الظرفِ. وناعمَ البال، مفعولٌ ثانٍ من أرَاكَ. والأفرعُ: التّام شعر الرأس، وجَمْعُه فُرْعَانٌ. والأَصْلَعُ خِلافُه.

٢ ـ فَقُلْتُ لَهَا لا تُنْكِرِينِي فَقَلَّ مَا ... يَسُودُ الفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا

يقول: أجَبْتُهَا وقُلت: لا تستنكِري ما رأيتِ من شُحُوبِ لوني، وانحسار الشعَرِ عن رأسي، فما ينالُ الفتى السّيادة حتى يستبدِلَ بَشَبِيبَتِهِ شَيْبًا، وَوُفور شعره صَلَعًا، وإلا بعد استحكامِ الرأيِ، واستنفاذ العُمْر في اكتسابِ المَجْدِ. وقَوْلُه «قَلّ ما» يفيد النّفي هنا، وما تكون كافة لقلّ عن طلب الفاعل، وناقلةً له عن الاسم إلى الفعل، فإذا قلت: قلّ ما يقوم زيدٌ فكأنك قُلْتَ ما يقوم زيدٌ. يَدُلّ على ذلك أنّهم قالوا: قَلّ رَجلٌ يقول ذاك إلا زَيْدٌ، وأُجرِيَ مجرى ما يقول ذاك إلا زيد، وقالوا أيضًا: أقلُّ رجلٍ يقول ذاك إلّا زيد. وأنهم أجرَوْا خِلَافَهُ مجراه، فيقول: كَثُرَ ما يقول زيد. وعلى ذلك بيت الكِتَاب: [الطويل]

. . . . وقَلّ ما ... وِصَالٌ على طول الصُّدُودِ يدومُ(٢)

ويجوز أن يكون «ما» من قَلّ ما يسود الفتى، مع الفعل في تقدير المَصدَر، كأنه قال: قَلّ سِيَادَةُ الفتى، أي يَنْزُرُ استكمالُها إلّا مَعَ هذه الحالة. ومِثْلُه قولُ لَبيدٍ: [الرمل]

قَلّ ما عَرّسَ حَتّى هِجْتُهُ ... بالتَّباشِيرِ من الصُّبْحِ الأُوَلْ(٣)

(١) روى هذه الحماسية صاحب الخزانة ١:٤٨٢، وذكر أن أحدًا لم يعرف نسبتها، والبيت الأول ورد في ديوان متمم بن نويرة ص ١١٣ وفيه: «ألا قالت الخنساء».

(٢) للمرّار الفقعسي في ديوانه ٤٨٠، وخزانة الأدب ١٠:٢٢٦، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١:١٤٥، والكتاب ١:٣١، واللسان (طول، قلل) وتمامه:

«صددتِ فأطولتِ الصدودَ وقلّ ما ... وِصالٌ على طول الصدود يدومُ»

(٣) للبيد في ديوانه ١٨٢، وخزانة الأدب ٣:٣٦٣، واللسان (بشر، عرس).

لأنه ليس يريد نَفْيَ التَّعْرِيسِ رأسًا؛ إذْ كان يعتادُه قُطّاعُ الفَلَاةِ، ورُكّابُ الظلام، بل يريدُ عَرَّس تَعريسًا قليلًا فَهِجْتُهُ. ويقال: ضَلِعَ ضَلَعًا وضُلْعَةً، وهو أَضْلَعُ وَضَلِيعٌ.

٣ ـ ولَلْقَارِحُ اليَعْبُوبُ خَيرٌ عُلَالَةً   من الجَذَعِ المُرْخِي وأبْعَدُ مَنْزَعَا

هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ في تفضيل نفسه على شيخوخَتِهِ وقد أَدَّبَهُ الْكِبَرُ، ونازَعَ الدَّهْرَ وأبناءَهُ أطرافَ الخُطُوبِ، ومرائر السِّيادة والعُلُوّ على الأحداث الذين لم يجربوا الأمور، والأغمار الذين لم يُجَاذِبُوا الشدائد، فيقول: للفَرَسُ المُتَنَاهي في القوّةِ والسّن، الذي يجري جِريَةَ الماءِ سُهُولَةً ونَفَاذًا، خَيْرٌ إبقاءً وأبْعَدُه غاية من ابن سنتين وهو مُهْمَل لم يُسْتَغْنَ به في رُكوبٍ ونزُول، ولم يُرَضْ بإسراجٍ وإلجام. واليعبوب: الفرس الكثير الجَري، والجَدْوَلُ الكثير الماء. والعُلَالة: البقيّة من الجَرْي وغيرِه، وهٰهنا يريد الجَرْي. قال الشاعر: [م. الكامل]

إلّا عُلالَةَ أو بُدَا   هَةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزَارَهْ[1]

فالبداهةُ: أوّل الجَرْيِ، والعُلالةُ: آخِرُه. وقولُه «من الجَذَع المُرْخي» يُرْوَى المُرخي بكسر الخاء، والإرخاء: لِين في العَدْو. قال: [الطويل]

وإرْخاءُ سِرْحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ[2]

وإذا رُوِيَ بفتح الخاء فهو المُرْسَلُ المُهْمَل النّزوع إلى الغاية. وانتصاب «عُلالة» و«مَنْزَعًا» على التمييز.

١٠٦ ـ وقال شبيب بن عَوانة[3]: [الطويل]

١ ـ قضَى بيننا مَرْوانُ أَمْسِ قضيّةً   فما زادَنا مَرْوانُ إلا تنائِيَا

يقولُ: قَضَى بيننا هذا الرجل بحكومةٍ تَسخَّطْناها، ولم نَرْضَ بها، إذ لم يُقْصَد بها صَلاحُ ذاتِ البَين، ولا تلافي جَمْع الشَّمْل، فازددنا بها تَبايُنًا عن الإصلاح

---

(١) للأعشى في ديوانه ٢٠٩، وخزانة الأدب ١: ١٧٢، والشعر والشعراء ١: ١٦٣، والكتاب ١: ١٧٩، واللسان (جزر، بده).

(٢) لامرىء القيس في ديوانه ٢١، واللسان (غور، تفل، رخا)، وشرح الأشموني ٣: ٧٨٣. وصدره:

«له أيطلا ظبي وساقا نعامة»

(٣) التبريزي: «قال أبو هلال: ورواه بعض علماء البصرة للكروّس الطائي» وهو شاعر إسلامي من أهل الكوفة (ت ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م).

والمراجعة واختلافًا وتنائيًا عن الالتئام والموافقة وتَباعُدًا، وقوله «أمْسِ» تقريبٌ لزمانِ فِعْلِه، ولم يُرِدِ اليومَ الذي وَلِيَ يوْمَه. وهذا كما تقول: فلانٌ بالأمْسِ يَفعل كذا وأمْسِ مَعرِفةٌ، وإنما بُنِيَ لتضمُّنِه معنى الألف واللام.

٢ ـ فلو كنتُ في الأرْضِ الفضاءِ لَعِفتُها   ولـكـن أَتَـتْ أبـوابُـه مـن وَرائـيـا[1]

يقول: لو كنت بالبَدْوِ لرددْتُ حكومتَه وأبديْتُ كراهتي لها، ولكني كنت أسيرًا إذ كنتُ في الحَضَرِ حاصلًا في داره، وداخلًا تحت مَلَكَتِه. ومعنى «أتَتْ أبوابُه من ورائيا» أي حالت مَسالِحُه ومراصِدُه بيني وبين مرادي. ووراء بمعنى قُدَّامَ هنا، ومِثْلُه في القرآن: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: الآية ٧٩].

١٠٧ ـ وقال جميل: [الطويل]

١ ـ فَلَيْتَ رِجالًا فيكِ قد نَذَرُوا دَمِي   وهَمُّوا بِقَتْلِي يا بُثَيْنَ لَقُونِي

فيك أي في معناكِ وبسببِك.. وقولُه «قد نَذَرُوا» من صِفة رِجالًا، ولقُوني خَبَر لَيتَ. والمعنى: تَمَنَّيتُ أنّ رجالًا فعلوا في معناكِ ما فعلوا من الهَمِّ بقتلي، وعَقْدِ النَّذْر في سَفْك دمي، التقوا معي، ماذا كانوا يفعلون. وفي هذا الكلام إبهامٌ أنهم لا يَجسُرون على التعرُّض له، وفيه استهانةٌ بأقوالِهم ومكايدهم، وإن كانوا قد بَذَلوا من القَولِ ما بَذَلوا، وأضمرُوا فيه ما أضمروا. وقد فسَّرَ تَهَيُّبَهُم له، ونُكُوصَهم عن الإقدام عليه في البيت الثاني.

٢ ـ إذا ما رَأَوْني طالِعًا من ثَنِيّةٍ   يقولون مَنْ هذا وقد عَرَفُوني

يقولُ: إذا ما أبصروني مُقْبِلًا عن عَقَبَةٍ، طالعًا عليهم من طريقٍ إليهم مُفْضِيَةٍ، يتساءلون فيما بينهم بقولهم: مَنْ هذا، وإن كانوا عارفين بي، أي يتجاهلونني جُبْنًا وإحجامًا.

٣ ـ يقولون لي أهلًا وسهلًا ومَرْحَبًا   ولو ظَفِرُوا بي ساعةً قَتَلوني

نَبَّهَ بهذا الكلام على تملُّقِهم وإظهارِهم بالنِّفاق ما لا يوافِق باطِنَهُم، عَجْزًا وضَعْفَ كيدٍ. والمعنى: يستقبلونني بالتأهيل ويتلقَّوْنني بالترحيب عند الالتقاء، ولو أُعْطُوا الظَّفَر لأتَوْا عليّ وما أَبقَوْا.

(١) التبريزي: «بالأرض الفضاء».

٤ ـ فكيفَ ولا تُوفي دِماؤُهُمُ دَمِي ولا مالُهُم ذو كَثرَةٍ فَيَدُوني[١]

يقال: أوْفَيْتُهُ وَوَفَيْتُ له بكذا وأوْفَيْتُ، وفي هذا بيانُ عُذْرِهم في تَرْكِ الوَفاء بالنَّذْرِ، وتعجُّبٌ من أفعالهم عند اختلاف أحوالِهم. فيقول: كيف يُقدِمون عليّ وليس في دمائهِم كلِّهم وفاءٌ بدمي، ولا في مالِهم اتّساع، فإذا عَجَزَت دماؤهم عن دمي فكيف يُعطُونَ دِيَتي.

ويقال: وَديْتُهُ أدِيه دِيَةً ووَدْيا.

١٠٨ ـ وقال يحيىٰ بن منصور[٢]: [الطويل]

١ ـ وَجَدْنا أبانَا كانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ سِوًى بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ

سِوًى في موضع جَرٍّ على أنه صفةٌ لبَلْدَةٍ. والمعنى: وجَدْنا أبانا حَلَّ ببلْدَةٍ متوسِّطة لديار قيس بن عَيْلان وسَعْدِ بن زَيْدِ مَنَاةَ. والمعنى: حَلَّ بين مُضَرَ ونأى عن ربيعة، لأنّ قَيْسًا والفِزْر من مُضَر. والفِزْر: لَقَبٌ لسَعْد بن زيدِ مَنَاةَ. وقال الأخفَشُ: سِوًى وسَوَاءٌ في معنى العَدْل. وفي القرآن: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤]. وفي موضع آخر: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طٰه: الآية ٥٨]، أي مكانًا عَدْلًا.

٢ ـ فلمّا نَأتْ عَنّا العشيرةُ كُلُّها أَنَخْنَا فحالَفْنا السُّيوفَ على الدَّهر

٣ ـ فَمَا أسْلَمَتْنا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ولا نَحْنُ أغْضَينَا الْجُفُونَ على وَتْرِ

يقول: لما خَذَلَتْنا عَشِيرَتُنا ـ وهم رَبِيعة ـ فيما نابَتْنا، وتباعَدتْ بِنُصرتِها ومَعُونتِها عنّا، وتَرَخَّصَتْ في القُعودِ عن مُساعدتنا، اكتفينا بأنْفُسِنا فأقَمْنا بدار الحِفاظ والصبْر، واتَّخَذْنَا سيوفَنا حُلَفاء على الدَّهرِ، فَمَا خَذَلَتْنا فِي يومِ حَرْبٍ وعند مُدافَعَةٍ وجَهْدٍ، ولا نحن غَمَّضْنَا جفوننا على وِتْرٍ وحِقْدٍ. والمعنى: إنّا وسيوفَنا توافَينَا فيما عليه تعاقَدْنا، وتوازرنا فيما له تحالَفنا، فَبَلَغْنَا نحن أقْصَى المبالغ في طَلَب الأوتار، وانتهت هي إلى

(١) التبريزي: «ذو ندهة».

(٢) التبريزي: «وقال يحيىٰ بن منصور الحنفي، قال أبو رياش: هذا غلط من أبي تمام، يحيىٰ بن منصور ذهلي، وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفيّ». وموسى بن جابر الحنفي: شاعر مكثر من مخضرمي الجاهلية والإسلام ترجمته في المرزباني ٣٧٦.

أَبْعَدِ النهايات في المعاونة والإخلاب. وهذا مثلٌ ضربه لاستقلالهم فيما نَهضُوا فيه بعدَدِهم وعُدَّتِهم، وبلائهم وصَبرهم واستغنائهم عن القاعِدِين عن التَّحَمُّل معهم والذَّبّ عنهم من عشيرتهم. وقولُه: «أَنَخْنَا» كِنايةٌ عن الإقامة والثَّباتِ في وجوهِ الأعداء، إلى أن وصلوا إلى المراد.

١٠٩ ـ وقال أبو صَخْرِ الهُذَليّ[1]: [الوافر]

١ ـ رَأَيْتُ فَضِيلَةَ القُرَشِيِّ لَمَّا رَأَيْتُ الخَيلَ تُشْجَر بالرِّماحِ[2]

جعل القُرَشِيَّ جِنسًا لا عَينًا. والمعنى: رأيْتُ فَضيلةَ القرشيِّين حين قِسْتُهم إلى غيرهم عند اشتجار الخيل بالرماحِ، وانتظامها بها للطَّعْنِ المختلِفِ بينهم، المتردِّدِ فيهم وجوابُ لَمَّا مُقَدَّمٌ، وهو «رَأَيْتُ» في صدرِ البيتِ. يريد: عند هذا الأمر بَانَ فَضلهم على النَّاس، وقولُه «تُشجَرُ» كُلُّ شيءٍ دَخَل بَعضُه في بعض فقد تَشَاجَرَ، ومنه سُمِّيَ المِشْجَبُ مِشْجَرًا، وتشاجَرَ القومُ بالرِّماحِ: تطاعَنُوا.

٢ ـ وَرَنَّقَتِ المَنِيَّةُ فَهي ظِلٌّ عَلَى الأَبْطَالِ دانِيَةُ الجَناحِ[3]

انعطَفَ «رَنَّقَتْ» على الفِعْلِ الذي تَنَاوَلَهُ لَمَّا. فَيقول: ولمّا استدارت. المَنِيَّةُ وحَلَّقَتْ على رؤوس الأبطال، فهي ظِلٌّ دانيَةُ الجَناحِ من قِمَمِ رؤوسهم. وهذا مثلٌ. والمعنى: لَمَّا أشرفَتِ المنِيَّةُ عليهم إشرافَ الطَّائِرِ على ما يريد انكدارَه عليه، بانَتْ فضيلتُهُمْ. ويقالُ: رَنَّقَ الطائرُ في الهواءِ، إِذَا حَلَّقَ واستدار، وجَعَل للمَنِيَّة ظِلًّا تحقيقًا للاستعارَة من الطائِرِ، لأنه يُوقِعُ ظِلَّهُ في تلك الحالة. وجعل الجَناح دانيًا تأكيدًا لَطَمَعِ المَوْت في الفوزِ بالأرواح الاختلاس. وكذا الطَّائر في التَّحليق عند الانقضاض. وارتَفَع «دانيَةُ الجَناحِ» و«ظِلٌّ» جميعًا على أن يكونان خَبرين لقوله هي، كما تقول: هذا حُلوٌ حامِضٌ. ويجوز أن يكون دانيةٌ صفَةً للظِّلّ، وأنَّثَها على المعنى، ويجوز أن يُرْوَى «دانِيَةً» بالنَّصْبِ على أن يكونَ حالًا.

---

(١) أبو صخر الهذليّ: هو عبد الله بن سلمة من بني هذيل، شاعر من الفصحاء، كان في العصر الأموي (ت ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). في الأغاني ٢١: ٩٤، والخزانة ١: ٥٥٥.

(٢) التبريزي: «رأيت فُضيلة، أي ضربت رئته، ويجوز أن يكون من رؤية العين، أي رأيته في مشتجر الرماح».

(٣) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت ثالث وهو:

«فكان أشدّهم قلبًا وبأسًا وأصبرَ في الحروب على الجراحِ»

١١٠ ـ وقال بَعْضُ بَنِي عَبْسٍ: [الطويل]

١ ـ أرِقُّ لأرْحَامٍ أرَاهَا قَرِيبَةً لَحارِ بن كَعْبٍ لا لِجَرْمٍ وراسِبِ

يقولُ: يَرِقُّ قَلبي بما تَمَلَّكَهُ من الرحمة، فانعَطَف من أجْلِ أواصِرَ أراها قريبَةً مشتبكةً بيننا، من جهةِ الحارث بن كَعْبٍ، لا من جهة جَرْمٍ وراسِبٍ. والحارث بن كَعْبٍ في نِزَارٍ، وجَرْمٌ وراسِبٌ من قضاعَةَ، وهُمْ من اليمن، وكان الحارث بن كعب انتقلَتْ إلى اليمن، ولم تكن منهم، فلهذا قال ما قال. وقيلَ: عَبْسٌ وَضَبَّةُ والحارثُ بن كَعْبٍ إخوةٌ لأمّ ورخّم الحارث في غير النداء وذاك في الشعر جائز.

٢ ـ وأنّا نَرَى أقدَامَنَا في نِعَالِهِمْ وآنُفَنَا بينَ اللِّحَى والحَوَاجِبِ

ذَكَرَ المشابِهَ الحاصِلَةَ بينهم تأكيدًا لِلقُرْبَى والقَرابةِ، المُوجِبَةِ لما ذَكَرَ من الرِّقَّة والشَّفَقة، على ما حَدَثَ فيهم من وقوع الفُرْقَةِ، وسُقُوطِ التَّجَاوُرِ والخُلْطَةِ. فيقولُ: أرِقّ للرَّحِمِ القريبة، ولأنّا نَرَى أقدامَهُم في النِّعال كأقْدَامنا، وآنُفَهُم بين لحاهم وحواجبهم كآنُفِنا. وقال بين اللِّحَى ولم يَقُلْ لحاهُمْ، لأنه بإضافةِ الأقدامِ والنِّعال اكتفى. وذَكَر الأطرَافَ لأنها تَظْهَرُ للعُيُونِ، والمَشَابِهُ تَعَلَّقُ بها أكْثَرَ.

٣ ـ وأَخْلاقَنَا إعطاءَنا وإباءَنا إذا ما أَبَيْنَا لا نَدِرُّ لِعاصِبِ

جَعَل الشبَه في البيت الأوّل في الخِلَق وهٰهنا في الخُلُقِ، تأكيدًا للأمر. وكان يجب أن يقولَ وأخْلاقُنا أخلاقهم، فاعْتَمَد على أنّ العطف على قوله أقْدامَنا يَدُلُّ ويُغْنِي ـ لما يُفِيدُه من الاشتِراكِ ـ ما يُغْنِي في قَوْلِهِم قام زيدٌ وعَمْرٌو، وإنَّ زَيْدًا مُنطلِقٌ وعَمْرٌو، فكأنَّهُ قال: وأنّا نرى أَخْلاقَنا كأخلاقِهِم، إذا أعْطَينا أو أبَيْنا. ثم ذَكَرَ ما دَلَّ على تَشَدُّدِهم بعد الامتناع فقال: وإذا أبَيْنا لا نَتَسَهَّلُ لمن يُرِيدُ قَهرَنَا. وأَصْلُ العَصْبِ الشَّدّ، ومنه العِصابَةُ. وضَرْعُ الحَلُوبَةِ إذا اشتدَّ الزمانُ بها، وساء خُلُقُها فرفَعَتِ اللَّبَن، يُشَدُّ ويُحْتَلَبُ وإن ضَجِرَتْ، لِمَسَاسِ الحاجة، واستيلاء الفاقة. وهذا الكلامُ مَثَلٌ هٰهنا ومثلُ البيت قول الآخر[1]: [البسيط]

لا يُخْرِجُ الكَرْهُ مِنّي غَيْرَ مَأْبِيَةٍ ولا ألِينُ لِمَنْ لا يَبتَغِي لِينِي

(١) للإصبع العدواني في المفضليات ١:١٦١.

يُريدُ: إنْ الإكراه لا يزيدنا إلا امتناعًا، والاقْتِسارَ لا يُحَصِّل منّا إلّا إباءً. ويُشبِهُ من حيث النَّظْمُ قوله: «إذا ما أَبَيْنَا لا نَدُرُّ لِعَاصِبِ» الالتفاتَ. ألا تَرَى أنَّهُ تَرَكَ ما كان يَطْرُدُهُ من القَوْلِ وصار كأنَّهُ التَفَت فقال ذلك.

١١١ ـ وقال بَعْضُ شُعَرَاء حِمْيَر[١]: [المنسرح]

١ ـ مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي التَّيْـ مِ إذا الْتَفَّ صِيقُهُ بِدَمِهْ

ذُكِرَ أنها قيلت في وقْعَةٍ كانت بين حِمْيَر وعَبدِ مَنَاةَ وكلْب، وكانت على حمْيَرَ، وقُتل فيها عَلْقمة بن ذي يَزَن. وقولُه «من رأى» لفظه استفهامٌ، ومعناه التفظيع والتعظيم. وأراد باليوم الوقْعة، لولا ذلك لما صَلَحَ أن يكونَ إذا ظَرْفًا له. ومثله قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدَّثِّر: الآيتان ٨، ٩]. ألا تَرَى أنَّ في قوله ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ معنَى فِعْلٍ، فصار يومئذٍ ظَرْفًا له، كأنّه قال: فذلك النَّقر يومئذٍ نَقْرُ يوم عسير. فيقول: مَن شاهَدَ يومَنا مع بنِي التَّيْم حين التفَّ غُبارُ الجَوِّ بالدَّم، وتَنَدَّى به وابتلّ، حتَّى قَلَّ. والصِّيقُ: الغُبار الجائل في الجَوّ. وأضافَهُ إلى اليَوْم لكَوْنِهِ فِيه، والتفافِهِ كان بِرَشاش الدَّم القاطِر من الجراح. ويُقال صِيقَةٌ أَيْضًا: قال رؤبة[٢]: [الرجز]

يَتْرُكْنَ تُرْبَ الأرْضِ مَجْنُونَ الصِّيَقْ

وصِيَقٌ: جمع صِيقَةٍ.

٢ ـ لَمَّا رَأَوْا أنّ يَوْمَهُمْ أَشِبٌ شَدُّوا حَيَازِيمَهُمْ على أَلَمِهْ

قوله: «أشِبٌ» أي كثيرُ الجَلَبَةِ، ضَيِّقُ الاختلاط، والمكانُ الأشِبُ فيه شَجرٌ مُلتفٌّ. وجوابُ لَمَّا «شَدُّوا». يقول: لَمَّا أَحَسَّ بَنُو التَّيم بفظاعة الأمر واختلاط الشأن، وتضايُق المجال والمَكَرّ، وظَنُّوا أنْفُسَهم على الألَم، وشدّوا حيزومَهم للجَهْدِ، وتَهَيَّؤُوا للصَّبر على ما ابتُلُوا به وشَقُوا له. والحَيْزوم: الصدر، لأنّه موضِعُ الحَزْمِ والعَزْمِ، لاشتماله على القلب الذي هو موضعُهما. ويُسمَّى حَزِيمًا أيضًا، كأنّه الموضع الذي يُشَدُّ بالحِزَام. والحِزَامِ من الحِزْمِ أَيْضًا. وشَدُّ الحيازيم مَثَلٌ للصَّبْرِ على ما

(١) التبريزي: «وقال رجل من حمير في وقعة كانت لبني عبد مناة وكلب على حمير».
(٢) لرؤبة في ديوانه ١٠٦، واللسان (صنج، دهق، صيق)، وأساس البلاغة (جنن).

لَحِقَهم. ورُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام: [الهزج]

حَيَازِيمَكَ لِلمَوْتِ فإنّ المَوْتَ لاقِيكَ[١]

يُريدُ؛ اُشْدُدْ حيازيمك.

٣ ـ كأنّما الأُسْدُ في عَرِينِهِمُ ونحنُ كاللَّيلِ جَاشَ في قَتِمِهْ

يقول: إنّ هؤلاء القَوْم يتمنّعون على الأعداء، ويبْطِشون بهم، تَمَنُّعَ الأُسْد في أَجَمَتِها وبطْشِها منها، ونحنُ كاللَّيل، يريدُ نَحْنُ في كَثْرتنا وهَوْلِنا وإحاطتنا بهم، وإدراكِنا إيّاهم كاللّيل إذا جَاشَ ظُلْمَتُه، وتراكمَ سَوادُه. والقتامُ والقَتَمُ والقُتْمَةُ، يجيء في الظُّلْمَةِ والغُبار والرِّيح، وجاء الفعل منه فقيل قَتِمَ يَقتَمُ قَتَمًا وقَتَامًا. وذَكَرَ بعضُهم أنّه أراد بالقَتَم القَتَامَ فحذَفَ الألِفَ، كما قال غَيْرُه ورواه قُطْرُبٌ: [الوافر]

أَلَا لا بَارَكَ اللّهُ في سُهَيْلٍ إذا ما الله بارَكَ في الرِّجالِ[٢]

ومَصْدر ما كان على فَعِلَ الفَعَلُ في الأَكْثرِ، فلا أدرِي لِمَ أَنكَره حتّى اعتذر بما ذكره. والعرينُ: الأجَمَةُ، أَجَمَةُ الأسد، ثم يُسَمّى مُقْتَتَل القَوْمِ عَرِينًا. ويُقال للرّجُل: هو عِرْنَةٌ لا يُطاق، إذا كان خبيثًا وقولُه «عرينهم» موضِعُهُ موضع الحال، والأُسْد خَبَرُ مبتدإٍ محذوفٍ، كأنه قال كأنّما هم الأُسْدُ في مُقتَتَلهم، ونحن كاللّيل في هَوْلِنا وإدراكِنا، ويكُونُ قولُه جَاشَ في قَتِمِهْ، في موضِع الحال أيضًا، والأجْوَدُ أن يكون قَدْ مَعهُ مُضْمَرةً، أي كالليل وقد جَاشَ.

٤ ـ لا يُسْلِمُون الغَدَاةَ جارَهُمُ حتى يَزِلَّ الشِّرَاكُ عن قَدَمِهْ

مَدَحَهُم بحُسْنِ المُحَاماةِ على الجار، وتَرْك الإسلام له مدَّةَ بقائه فيهم. وقولُه «الغَدَاةَ» أشار بها إلى غَداة اللِّقاء، أو صَبَاح الغِوَار. وقولُه «حتى يَزِلَّ الشِّرَاكُ عَن قَدَمِهْ» فيه قَلْبٌ، والأصل زَلّتِ القَدَمُ عن الشِّراك. وهذا مَثَلٌ لموته، لأنه لا يَلْبَسُها بَعدهُ. واحتَمَلَ الكلامُ القَلْبَ لأن المعنى لا يُخِيل كما لا يُخِيل في قولهم: أدخلتُ الخُفَّ في رِجْلِي، والقَلَنْسُوَةَ في رأسي. وهذا كما يُقال: هُرِيق جِفانُهُ، وصَفِرَ وِطابُهُ، وطُوِيَ حَصِيرُه، وخَلَّى مكانَهُ. والمعنى: لا يُسْلِمُون الجارَ إلى أن يمُوتَ فيهم، ويجوز أن يكون الهاء من قَدَمِهْ راجعًا إلى الشِّرَاك ويكونُ الكلامُ مَثَلًا لتفظيع الأمْرِ،

(١) انظر الأغاني ١٤:٣٣، والعمدة ١:٩٢.

(٢) بلا نسبة في خزانة الأدب ١٠:٣٤١، والخصائص ٣:١٣٥، واللسان (أله).

وهذا كما يقالُ: «زال السَّرْجُ عن المَعَدّ»[١] و«بَلَغَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْن»[٢] وما أشْبَهَهُما. والمعنى إلى أن يَزْلَقَ الرَّجُلُ عن مَقَرِّه فلا يثبتُ في النَّعل، والمعنى إلى أن يَبْلُغ الأمر كلّ مَبلغٍ فَظِيعٍ.

٥ ـ ولا يَخِيمُ اللِّقَاءَ فَارِسُهُمْ حتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ من كَرَمِهْ

يقول: ولا يَجْبُنُ عن اللقاء فَارِسُهُمْ فيُحْجِمَ، ولا يَضعُف دونَهُ فَيَحَارَ، بل يُقْدِمُ إقْدَامًا تُخْرَق الصُّفوفُ به عِزَّةَ نَفْسٍ، وكَرَم عِرقٍ. واللقاء ينتصبُ على المفعول، الأصل عن اللقاء، فلمّا حَذَفَ حرفَ الجَرّ تَخفيفًا وَصَلَ الفِعْلُ فَعَمِلَ. ويجوز أن يكون ظرْفًا كَمطلع الشمس، أراد وقت اللقاء. وقولُه «حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوف» يريد إلى أن يَشُقَّهَا كَرَمًا منه، كأنّه لا يرضى بأدْوَنِ المنزلَتَيْن في اللِّقاء لنفسه، بل يَأبَى إلّا النِّهاية والغُلوّ. ويُقالُ: خامَ الرَّجلُ يَخِيم، إذا كادَ كَيْدًا فلم يُفْلِحْ فيه، أو تقدَّم في الحرب فَنَكَص ولم يَظْفَرْ. قال الشاعر، وأنشدَهُ الخليل: [الوافر]

رَمَوْنِي عن قِسِيّ الزُّورِ حَتَّى أخامَهُمُ الإلهُ بها فَخَامُوا[٣]

ويجوز أن يكون قولُهم خَيَّم بالمكان، إذا أقام، والخَيْمَةُ واحِدةُ الخيام، منه أُخِذَا.

٦ ـ وما بَرِحَ التَّيْمُ يَعْتَزُونَ وَرُزْ قُ الخَطُّ تَشْفِي السَّقِيمَ مِن سَقَمِهْ

ما بَرِحَ وما زالَ بمعنًى، وليس هذا من البَرَاحِ من المكان. ألا تَرَى أن الله قال: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: الآية ٦٠]، ومُحَالٌ أن يبْلُغَ هذا الموضِع، وهُوَ لم يَبْرَحْ من مكانه. وكأنّ الكلِمَةَ في اللغة تدُلُّ على معنى المجاوَزة، ولذلك قيل: [المتقارب]

أبْـرَحْـتَ رَبًّـا وأبْـرَحْـتَ جـارا[٤]

---

(١) ورد في مجمع الأمثال ١: ٤٥٥: «زال سرجهم عن المَعَدّ، أي تغيرت أحوالهم، والمعدّ: ما تحت رجل الفارس من جنب الفرس.
(٢) ورد في مجمع الأمثال ١: ٢٢٩: «جاوز الحزام الطبيين، والطبي لذوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها. يضرب هنا عند بلوغ الشدة منتهاها».
(٣) بلا نسبة في اللسان (خيم)، وتهذيب اللغة ٧: ٦٠٦.
(٤) للأعشى في ديوانه ٣٧ وتمامه:
«تقول ابنتي حين جدّ الر حيلُ أبرحتَ ربًّا وأبرحتَ جارا»

أي جاوزتَ ما يكون عليه أمثالُك من الخِلالِ المَرْضِيَّةِ. والمَعنى: ما زال بنو التَّيم ينتسبون ويَدْعُونَ بيالفُلانِ مُعْتَزِّين، أو بِخُذِ الطَّعنةَ وأنا فلانٌ مُدّعين، والرِّماح المحمولة من الخطِّ الزُّرْق في ألوانِها تَشْفِي المتكبِّر من كِبْره، والعَدُوّ المُخاتل من دَائِه. وقوله «السقيم» يجوز أن يكون كنايةً عن المُنافِق المُدَاجي، كما قال الله تعالى لمّا وصَفَهم: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠]. ويجوز أن يكونَ يُرَادُ به الصَّلِفُ التَّيَّاه، كما يُقال عند صفته: في طَرْفِهِ شَوَسٌ، وكما جاء في صفة السُّيوف: [الطويل]

يُدَاوَى بها الصَّادُ الذي في النَّوَاظِرِ(١)

ويجوز أن يكون المعنى: والرِّمَاحُ في اختلافها تَشْفِي الموتورينَ من أوتارِهم وذُحُولهم، وجَعَل الفِعلَ للرِّماح على المجازِ والسَّعَةِ. وقولُه «وزُرْقُ الخَطِّ» الواوُ واو الحال، ويَعْتَزُون خَبَرُ ما بَرَحَ.

٧ ـ حَتَّى تَوَلَّتْ جُمُوعُ حِمْيَرَ فَالْـ ـفَلُّ سَرِيعٌ يَهْوِي إلى أَمَمِهْ(٢)

يريدُ: ما زالوا بهذه الحالة إلى أن انهزمت جيوش حِمْيَر، فصارَ المَفعُولُ المُنْهزِمُ مُبادِرًا في السُّرْعَةِ إلى مَقْصِدِه. وقولُه الفَلُّ مَصْدَرٌ في الأصل وَصِفَ في وهو مَوْضُوعٌ موضِعَ المفعول، ولذلك جازَ أن تَقُولَ: رَجُلٌ فَلٌّ وقَوْمٌ فَلٌّ ونِسْوَةٌ فَلٌّ. ومِثْلُه: رَجُلٌ فَرٌّ، إلا أنه موضعٌ موضع فارٍّ، ويقع للواحد والجميع.

٨ ـ وَكَمْ تَرَكْنَا هُنَاكَ مِن بَطَلٍ تَسْفِي عليه الرِّياحُ في لِمَمِهْ

مَوْضِعُ (كَمْ) نَصْبٌ على المفعول من تَرَكْنَا. يَقولُ: وكثيرًا تركْنا في تلك المعركة من الأبطال وهم مُصَرَّعون مُعَفَّرُون في تلك المَعْركة، بادُون للضياء والظُّلْمَةِ، تأتي الرِياحُ بسَفاهَا وتَجعلُهُ في لِمَمِهِمْ وَلِحَاهُمُ. وأشار بقوله هناك إلى مُعتَرَكِ القَومِ ومُزدَحَمِ الطَّعنِ والضَّرب.

---

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٣٢. وصدره:

«وبِيضٌ كستهنّ الأسنة هبوة»

(٢) التبريزي: «والفلُّ سريعًا».

١١٢ ـ وقال حَسَّانُ بْنُ نُشْبَةَ[١]: [الطويل]

١ ـ ونَحْنُ أَجَرْنا الحَيَّ كَلْبًا وقد أَتَتْ لَهَا حِمْيَرٌ تُزجِي الوشِيجَ المُقَوَّما[٢]

يقول: أدخَلْنا في جِوارِنا هذه القبِيلة، وضَمِنَا لها الذَّبَّ عنها وسلامتها على ما يعرِضُ لها، وقد قَصَدَتْ لَهَا حِمْيَرُ بعَدَدِها وعُدَّتِها، تَسُوقُ نَحْوَها الخَيلَ المُطَهَّمةَ، والرِّماحَ المُثَقفةَ. والوَشِيجُ أَصلُهُ عُرُوقٌ، ثمَّ جُعِلَ للرِّماح أَنفُسِها. وجَعَلَها مثقَّفةً، لِيُرِي عنايتهم بإِعْدَاد الآلة لزمان المُقاتَلَةِ.

٢ ـ تَرَكْنا لهم شِقَّ الشِّمالِ فأَصبَحوا جَمِيعًا يُزَجُّونَ المَطِيَّ المُخَزَّمَا

لَهُمْ يعني لحِمْيَر، والعرَبُ تجعلُ الشمال كنايةً عن الشؤم. فمن أمثالِهم:

صَبَحْنَاهُم فَغَدَوْا شَأْمَةَ

ويقولون: خَلَّيناهمْ والجانبَ الأَشْأَمَ، وخَلَّيناهم والناحية الشُّؤمَى. فكأَنهم يقولون ذلك للمنهزم وإن كان مأخَذُهُ في الشِّقِّ الأيمَنِ، لأن الشوم معه والإدبارَ، أيَّ طريقٍ أَخَذَ، ومَسْلَكٍ توجَّه. وهذا كما يقال: فُلانٌ مِنّي باليمين، وفلانٌ بالشِّمال، وفلانٌ بعَلياءَ عندي، وفلانٌ في المهابط؛ إذا جَعَلْتَ مَنْزِلتَهُ عَلِيَّةً أو مُتسفِّلةً. ومعنى البيت: خَلَّينا لهم في الانهزام شِقَّ الشُّوم وجانِبَه، فأَصبَحوا يُزَجُّون مَطاياهم مُخَزَّمَةً حَسْرَى كالَّةً لا يُبقَى على وَجَاها، ولا يُتَّقَى حَفاها والخَزْمُ: الشَّدُّ والقَطْعُ. ويقال: شِرَاك مخزوم، أي مقطوعٌ.

٣ ـ فلمَّا دَنَوْا صُلْنا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ صَحابَتُنا تَنْدَى أَسِرَّتُهُمْ دَمَا[٣]

يقولُ، لمّا قَرُبوا في الالتقاء، صُلْنا عليهم وبطَشْنا بهم، فبَدَّدَ شَمْلَهُم جيشنا الذي كأنه سَحَابةٌ تَنْدَى طرائقُها دَمًا. جعَلَ السحَّابةَ تَرشحُ بالدَّم لمّا كَثُرَ سَفكُهم له. وتَنْدَى في موضِعِ الحال. وانتصَبَ دَمًا على التمييز. ويقال: نَدِيَ يَنْدَى نَدًى. والأَسِرَّةُ: الأوساط والطرائقُ، واحدها سِرَرٌ، ويستعمل في بطون الأَوْدِيةِ أيضًا.

٤ ـ فغَادَرْنَ قَيْلًا من مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ كأنَّ بخَدَّيْهِ من الدَّمِ عَنْدَمَا

---

(١) التبريزي: «أخو بني عدي بن عبد مناة بن أدّ، قال أبو محمد الأعرابي: هذا الاسم مصحّف والصواب: جسّاس بن نُشبة، مثل عِساس».

(٢) التبريزي: «نحن أجرنا».

(٣) التبريزي: «أسرّتها».

يقولُ: تَرَكَتِ الخيلُ في تَجْوَالِها منهم رئيسًا مَصْرُوعًا، قد سالَ الدَّمُ على خَدَّيهِ فكأَنهما خُضِبا بالعَنْدمِ، وهو دَمُ الأَخَوَين. والمِقْوَلُ بلغة أهل اليَمن: القَيْل، والمَقاوِلُ والمقاوِلَةُ جَمْعُه، وهُمُ الأقوال والأقيالُ. وقَيْلٌ مُخَفَّفٌ من قَيِّلٍ، فهو من الواو أيضًا، ومعناه هو الذي يَنْفُذُ قولُه، ويُعْتَمَدُ أمرُه ونَهيُه. ووُصِفَ به الملك كما وُصِفَ بالهُمَام، لمّا كان إذا هَمّ بالشيء فَعَل، لا يُرَدُّ ولا يُدْفَع. وقيل للسان مِقْوَلٌ لمَّا كان آلةً في القَوْل.

٥ ـ أَمَرَّ على أفواهِ من ذَاقَ طَعْمَها   مَطَاعِمُنَا يَمْجُجْنَ صَابًا وَعَلْقَما

يقولُ: صارت مَطاعِمُنا مُرَّةً على أفواهِ من ذَاقَها، حتى إنها تَمُجُّ بعدَ ذَواقها صَابًا وعَلقمًا، والصَّاب: شَجَرةٌ لها لَبَنٌ إذا أصابَ العَينَ حَلَبَهَا. والعَلْقَمُ: شَجَرٌ مُرٌّ، وقيل هو الحنظَلُ، حُكِي أن العَلقمة المَرارة. ويقال: عَلْقَمَ الحنظَلُ، إذا أدرَك مَرَارَتُه. وقولُه: «يَمْجُجْن» حَالٌ للأفواه، والتقدير: أَمَرَّ مُطَاعِمُنَا على أفواه الذائقين طَعْمَها، ماجَّةً صَابًا وعَلْقَمًا، أي إذا ذاقت رَمَتْ بما هو كهذين. والمعنى: إذا خُبِرْنا حُصِلَ منا على ما هو كذلك. وجاز في «طَعْمَها» الإضمَارُ قبل الذكْرِ؛ لأن الكلامَ يحتَمِلُ نِيَّةَ التقديم والتأخير، لمَا كان رُتْبَةُ الفاعِلِ وهو مَطَاعِمُنَا التقديم، ورتْبةُ المفعول وما يَجْرِي مَجْراه التأخير، وهو على أفواهِ من ذَاق طَعْمَها. وفي طريقة هذا البيتِ قول الآخر(١): [الوافر]

فإنْ تَغْمِزْ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا   غِلَاظًا في أنامِلِ من يَصُولُ

والطَّعْمُ: الذوْق، والمَطَاعم: جَمْعُ المَطْعَمِ. ويقال هو حَسَنُ المَطْعَمِ، أي طَيِّبُ الطعَامِ.

١١٣ ـ وقال في ذلك أيضًا: [الطويل]

١ ـ وإنّي وإنْ لَمْ أَفْدِ حَيًّا سواهُمُ   فِدَاءٌ لِتَيْمٍ يَوْم كَلْبٍ وحِمْيَرَا

يقول: أنا وإن كُنتُ أَرْبَأ بقدري، وَأَرْفَعُ نفسي أن أجْعلَها فِدَاءً لغيري، أفْدِي تَيْمًا بها؛ لِمَا كان منهم من حُسن البلاءِ يومَ اجتماعِ كَلْبٍ وحِمْيَرَ للقتال. وجَوَابُ الشرط، وهو قوله «إن لَمْ أَفْدِ» قد اشتمل عليه الكَلام، لأن المعنى: إن لم أَفْدِ غيرهم ترفعًا، فإني أَفْدِيهم تَشَكرًا.

(١) البيت الثاني من الحماسية رقم (٦١).

٢ ـ أَبَوْا أَنْ يُبِيحُوا جَارَهُم لعدوِّهم وقد ثارَ نَقْعُ المَوْتِ حتى تكَوْثَرا

أَبَوْا، الفِعْلُ لبني التَّيْم. يقول: امتنعوا من أن يُخَلُّوا بين جيرانِهم قبيلة كَلْبٍ وبين أعدائهم حِمْيَرَ. وقد ارتفع غُبارُ الموتِ حَتَّى التَفَّ في الجَوّ. وأراد بالجار والعَدُوّ الكثرة، إذْ كان المُراد بِهِمَا القبيلتين، وإنما أضافَ النَّقع إلى المَوْتِ تَهْوِيلًا، ويجوز أن يُريدَ بالموت الحَرْبَ. وتَكَوْثَرَ: تَفَوْعَلَ من الكَثْرَةِ، يريد تراكُمَ الغُبارِ والتفافَهُ. وهذا الذي أشار إليه بقَوْلِهِ تكوثر من التَّرَاكم، جعلَه بعضهم كالسحاب، وجَعَلَهُ بعضهم يَسُدُّ عينَ الشمس حتى ظهرت له الكواكب، وحتَّى صار النَّهار بسببه كالليل. وتجاوز المتنبّيءُ جميع ذلك، حتى بلغ حَدًّا من الإفراط مُسْتَشْنَعًا فقال: [الكامل]

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْها عَثْيَرًا لو تَبْتَغِي عَنَقًا عليه أمْكَنَا(١)

وإذا أردتَ بالموتِ المنيَّةَ يكون المُراد: كأنَّ المَوْت أثارَ الرَّهَجَ في سَلْبِ النُّفوسِ حتى كَثُفَ في الهواء، وهذا مَثَلٌ.

٣ ـ سَمَوْا نَحْوَ قَيْلِ القَوْمِ يبتدِرُونَهُ بأسيافِهِمْ حَتَّى هَوَى فَتَقَطَّرا

يعني بَني تَيْم. يقول: ارتفعوا نحوَ رئيس القَوم مُسْتَبِقينَ إليْه بأسيافِهم فتناولُوه حتى سَقَطَ. ومعنى تَقَطَّر: وقَعَ على أَحَد قُطْرَيْهِ. والقُطْرانِ: الجانبان. وفي الكلام اختصارٌ، كأنّه قال: ابتدروه بالأسياف وضَرَبُوه حتَّى سقط، فحذَفَ ضربوه. وموضع يبتدرونه نَصْبٌ على الحَالِ، وتَعَلَّقَ حَتَّى بالمحذوف الذي بَيَّنْتُهُ.

٤ ـ وكانوا كأنْفِ اللَّيْث لا شَمَّ مَرْغَمًا ولا نَالَ قَطُّ الصَّيدَ حتَّى تَعَفَّرَا

الأسَد أحْمَى الحيوان أنفًا، ويبلغ من عُجْبه بنفسه أنّه لا يتواضع لأكل صَيْدِ غيره. ونُسِبَ الأنفَةُ إلى الأنف كما يُنْسَبُ الحَمِيَّةُ إليه. يقالُ: هو أَحْمَى أنفًا من فُلانٍ، وأنَفُ أنْفًا مِنْهُ، وحَمَى فلانٌ أنَفَهُ من كذا، أي أَنِفَ منه ولم يَرْضَ بِهِ. وحَسُنَ في الكِنايَةِ عن الإباء والتصوُّنِ عن الدَّناءة والمَذَلَّة قوله: «لا شَمَّ مَرْغَمًا» بَعْد ذِكْر الأنف. فيقول: وكان بَنو التَّيْم في التَّمَنُّع كاللَّيث الذي لا يُغْمِضُ على قَذًى، ولا يَشَمُّ مَرْغَمًا ومَذَلًا؛ ولا يَصْبِرُ لَشيءٍ على هَوَانٍ، ولا يَعْطِفُ على مَكْرِهِ وصَغَارٍ، ولا يَنَالُ الصَّيْدَ قَطُّ حتى يَكُونَ هو المُعَفَّر. والعَفَرُ: التُّراب. هذا إذا رَوَيْتَ «قَطُّ الصَّيْدَ

---

(١) ديوانه ٤: ٢٠٤: «عليها أمكنا».

حتى تَعفَّرَا» وقال ذلك لأنه فيما يتصيَّده لا يَرضى بالاختلاس، ولا يعتمد على صَيْدِ غيرِه والإصابَةِ مِنهُ. ويُرْوَى: «ولا نَالَ فَظَّ الصَّيْدِ حتى تَعفَّرَا». والفَظُّ: ماء الكَرِش. ويُقال افْتَظَظْتُ الكرِشَ، إذا استخرجت ذلك الماءَ منه. والمعنى: ولا نَالَ الفَظَّ من بَطْنِ الصَّيْدِ حتَّى يتعفر أي يسقط في العَفَر ويتمكَّن منه. والأسَدُ يبدأ من الصَّيْدِ بحَشْوه بَطْنِه، فلذلك خَصَّ الفَظَّ. والثَّميلةُ خِلافُ الفَظِّ، لأنه اسمٌ لما يبقى في البطن من العَلَف والرُّطْبِ. وقَطُّ في الماضي كأبَدًا في المستقبل، وهو مَعْرِفَةٌ مَبْنِيٌّ كأمس، وأبدًا نكِرَةٌ كغَدًا. ولا نَالَ ولا شَمَّ في مَعْنَى لم يَشَمّ ولم يَنَلْ. ومثلُه قولُه تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ [القِيامَة: الآية ٣١].

١١٤ ـ وقال هِلَالُ بن رَزِينٍ[1]: [الوافر]

١ ـ وَبِالبَيْدَاءِ لَمَّا أنْ تَلاقَتْ ... بِهَا كَلْبٌ وحَلَّ بِهَا النُّذُورُ

يقولُ: لَمّا تلاقت كَلْبٌ وحِمْيَرُ بالبَيْداء وأدركوا الأوتار، فَحَلَّ بها النُّذور وسقطت الأقْسَامُ عن الحالفين بها لإدراكِهِم الآثار[2]. وجوابُ لما يجوز أن يكون ما دَلّ عليه قولُهُ «فحَانت حِمْيَرُ» أو قولُه: «وحَلَّ بها النُّذُور». ويجوز أن يكون قولَه «أجَادَتْ وَبْلَ مُدْجِنَةٍ»، وهو أول البيت الرابع، وعند من يُجَوِّز زِيادَةَ الْحُروف في مثل هذا المكان يكون «حَلَّ بها النُّذور» أو «فحانَتْ» الجوابَ، فيكون الفاء والواو مُقْحَمَةً، وهكذا يقولون في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٣] عندَهم الواو زائدة، والمُراد فُتِحَتْ، وقول[3] امرىء القيس: [الطويل]

فَلَمّا أَجَزْنا سَاحَةَ الْحَيِّ وانْتَحَى

يقولون: المراد انتحى، والواو زائدة.

٢ ـ فَحَانَتْ حِمْيَرٌ لما التَقَيْنَا ... وكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرُ

---

(١) التبريزي: «أحد بني ثور بن عبد مناة بن أدّ». وهلال بن رزين، شاعر جاهلي، ترجمته في المرزباني ٤٨٢، والأعلام ٩: ٩٢.

(٢) الآثار: الآثار، مقلوب.

(٣) لامرىء القيس في ديوانه ١٥، وأدب الكاتب ٣٥٣، وخزانة الأدب ١١: ٤٣، واللسان (جوز، عقل) وعجزه:

«بنا بطن حقف ذي قفاف عقنقل»

يقول: هَلَكَتْ حِمْيَرُ عند الالتقاء، لأنّ الدَّبْرة كانت عليهم لا لَهُم، وكان لَهُم بالبيداءِ يَوْمٌ صَعْبٌ. ويقال: يَوْمٌ وَأَمْرٌ عَسِرٌ وعَسِيرٌ، والفِعْلُ مِنه عَسُر بالضم وعَسِر بالكسر، ويقال: هو العُسْرُ واليُسْر، والعُسْرَى واليُسْرَى.

٣ ـ وأيـقَـنَـتِ الـقـبـائِلُ مـن جَـنَـابٍ وعـامِـرَ أن سَـيَـمْـنَـعُـهـا نَـصِـيـرُ

يقول: وتيقَّنَتْ جنابٌ وعامِرٌ بطونُ بني كَلبٍ أنّه سَيَذُبُّ عنها نَصِيرٌ ظَهِيرٌ، ومُعِينٌ قَوِيٌّ، ويعني بالنَّصير بني التَّيْم. وجَعَلَ اللَّفْظَ نَكِرَةً ليكونَ أبلغَ في تعظيم النُّصْرَةِ، لأنّه أرادَ نصِيرٌ من النُّصّار، أي كامِلٌ في معناه. وجَعَلَهُم كُلهم نَصِيرًا لا نُصّارًا. لاتّفاق كلمتهم وأهوائِهم. وقوله «أنْ سَيَمْنَعُها» أن مُخَفَّفَةٌ من الثقيلة، واسمه محذوف، يريدُ: أنّه سيَمْنَعُها والسّين في الفعل لئلّا تلتبس المُخَفَّفة بالنّاصبة للفِعْل. والهاء الذي أظهرتَهُ ضَمير الأمر والشأن.

٤ ـ أَجَـادَتْ وَبْـلَ مُـدْجِـنَـةٍ فـدَرَّتْ عـلـيـهـم صَـوْبَ سَـارِيـةٍ دَرُورُ[1]

يُقالُ: هذا يَوْمُ دَجْنٍ، أي يَوْمُ إلباس غَيم. والدُّجْنَة: الظُّلمة، وليلةٌ مِدْجَانٌ. فيقول: أتت سحابَةُ الجيش بمَطرٍ جَوْدٍ، فوبَلَتْ وَبْلَ مُدْجِنَةٍ ـ أي سَحابَةٍ لها ظَلامٌ، لكثافتها وقُرْبها من الأرض ـ فَصَبَّتْ عليهم المَنَايَا دَرَّ سَارِيَةٍ، أي سَحابَةٍ تَسْرِي لَيْلًا. والدَّرُور، هي الكثيرة الدَّرّ. ويرتفع على أنّه فاعل دَرَّتْ. وصَوْبَ مَصْدَرٌ من غير لَفْظِه، كأنّه قال: صَابَتْ دَرُورٌ صَوْبَ سَارِيَةٍ. وجَعَلَ ما في العَجُز من هذا في مقابلة ما في الصدر، من قولِه «أجَادَتْ وَبْلَ مُدْجِنَةٍ» كأنه قال: أجادت الخيلُ وَبْلَ مُدْجِنَةٍ فدَرّت درور الموت دَرَّ سارية، فالسَّارية بإزاء المدْجنة لا غير. وكلُّ ذلك مَثَلٌ لتكثير الشّر، وتفْظيع البلاءِ والقتل. وفي هذه الطَّريقة قول النابغة: [الكامل]

ومُعَلِّقِينَ على الجِيَاد حُلِيَّها حَتَّى تَصُوبَ سَمَاؤهم بقِطَارِ

وذكَر بعضُهم أنّ أجادَتْ ودرّت فِعْلَان جُمِعَا للدّرُور، فهو كما يُقال: قَامَ وقَعَدَ زَيْدٌ. قال: والدَّرُور: حَرْبٌ تَدُرُّ بالدِّماءِ. ويُقالُ: جادَتْ وأجادت بمعنًى واحِدٍ؛ والمُرَادُ جَادَتْ دَرُورٌ فَدَرّت عليهم كوَبْلِ مُدْجِنَةٍ، وكَصَوْبِ سَارِيَةٍ. والأوّلُ أقْرَبُ وأكشف وأصَحّ.

(١) التبريزي: «ويروى: صوبُ ساريةٍ، قال أبو رياش: أنّث الصوبَ لأنه أراد الدفعة».

٥ ـ فَوَلَّوْا تَحتَ قِطْقِطِها سِرَاعًا تَكُبُّهُمُ المُهَنَّدَةُ الذُّكُورُ

يقول: انهزمَت حِمْيَرُ مُسْرِعين تحت صِغَار البَرَدِ، ولم يصبِروا إلى كِبَاره، والسُّيُوفُ الهِنْدِيّة تُسْقِطُهُمْ لوجوههم. ويُقالُ: هَنَدتُ السيفَ، إذا نسبْتَهُ إلى الهِنْدِ. وقال أبو عمرو: وهَنَّدتُ السَّيف، إذا أحْدَدْتَهُ. وذَكَر الدُّرَيْدِي في القِطْقِطِ أنّه ضَرْبٌ من المَطَرِ، ولم يَحُدَّهُ. وموضِعُ «تَكُبُّ» نَصْبٌ على الحال، وما قَدَّمناه في القِطْقِطِ قول الخليل.

١١٥ ـ وقال جَزْءُ بن ضِرَارٍ[١]: [الطويل]

١ ـ أَتَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بأعْلَى القُنَّتَيْنِ عجيبُ

تقديره: أتاني حديثٌ عجيب بأعلى القُنّتَين[٢]، فلم أُسْرَرْ به حين جاءني. وإنما استَعْجَبَ من الحديث لتَضَمُّنِه ما كَرِهَهُ، فكان يَرُدّه بما يَقْوى في أَمَلِهِ من ضِدّه. وقد اجتمع فِعْلَانِ أتاني وجاءني، فأعمل الأول. ومثله قول الآخَر[٣]: [الوافر]

ولَمْ أَمْدَحْ لأرْضِيَهُ بِشعري لَئِيمًا ....

٢ ـ تَصَامَمْتُهُ حَتَّى أتانِي يَقِينُه وأفْزَعَ منه مُخْطِئٌ ومُصِيبُ[٤]

تصاممتُه، أراد تصاممت عنه، حتّى أتاني يقينه، أي الجَلِيُّ الواضِحُ منه. وأفْزَعَ يجوز أن يكون معناه صَادَفَ الفَزَعَ فلا يقتضي مفعولًا، ويجوز أن يكون أفْزَعَ الغَيْرَ فيكون مفعوله محذوفًا. ومعنى البيت: تكلّفتُ الصمم عن ذلك الخَبَر حتّى جاء ما لم يمكن رَدُّهُ، لكونِ الشُّبَهِ منتفيةً عنه، واتفق المخطىء والمصيب على تصحيحه، وصادَفَا الفَزَع فيه، أو أفْزَعا الغير منه. ومثل قوله «تصاممته» في انحذاف حرف الجرّ منه قول الآخَر: [الطويل]

وأُخفي الذي لولا الأسى لقَضَانِي[٥]

---

(١) التبريزي: «جزء بن ضرار أخو الشمّاخ». وهو شاعر مخضرم ذكره ابن حجر في الإصابة ١٢٨١.

(٢) التبريزي: «القنتان: جبل أسود مشرف بعض الإشراف وليس فيه شواهق ولا صخور، ينبت الكلأ».

(٣) لذي الرمة في التنبيه لابن جني، وبلا نسبة في التبريزي ١: ٢٤٨، وتمامه:
«ولم أمدح لأرضيه بشعري لئيمًا أن يقال أصاب مالا»

(٤) التبريزي: «لما أتاني»، و«أفرع» بالراء المهملة وقال: «وأفرع معناه: صادف الفرع».

(٥) لعروة بن حزام في خزانة الأدب ٨: ١٣٠، والدرر ٤: ١٣٦، ولرجل من بني حلاف في تخليص=

يريد: لَقَضَى عليّ. وفي القرآن: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ [المطففين: الآية ٣]، يريد كالُوا عليهم أو وزنوا عليهم. وأضاف اليقين إلى ضمير الخبر لأنه يريد المُتَيَقَّنَ منه.

٣ ـ وحُدِّثْتُ قَوْمِي أَحْدَثَ الدهرُ فيهمُ وَعَهْدُهُمُ بالحادثاتِ قَرِيبُ

٤ ـ فإنْ يَكُ حَقًّا ما أتاني فإنَّهُمْ كِرَامٌ إذا ما النائباتُ تَنُوبُ

قوله «حُدِّثت» يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، فالأول قام مَقامَ الفاعل وضميره التاء، والثاني قومي، والثالث أَحْدَثَ الدهر فيهم أَحْدَاثًا. وكما قال الآخر: [الطويل]

وإن تُكَلِّمْكِ تَبْلَتِ(١)

يريد تَبْلتْ كَلَامَها. ويجوز أن يكون أَجْرَى قولَهُ «أَحْدَثَ الدَّهْرُ فيهم» مَجْرَى نَكَى الدَّهْرُ فيهم، فاستغنى عن المفعول. وقوله: «وعَهْدُهُم بالحادثات قريب» يجوز أن يكون من جملة ما بُلِّغ وأُنبِيءَ به، ويجوز أن يكون الواو للحال، كأنه نَكَى الدهْرُ فيهم وحالُهم قُربُ العهدِ بحوادِثِه، ويجوز أن يكون جاريًا مجرى الاعتراض بين ما قبله وما بعده، وحقيقة معناه تصديقه لما خُبِّر به، وأنّ قومَه من الكِرام الذين لا يَسْلَمُون على الدّهر، بل يُولَعُ بالتأثير فيهم كما قال: [الطّويل]

أَرَى الدَّهرَ يَعْتَامُ الكِرام ويَصطفِي عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ(٢)

وإذا عُزِلَ هذا الاعتراض يكون الكلام: وحُدِّثْتُ قومي أَحْدَثَ الدَّهر فيهم، فإنْ يك حَقًّا ما أتاني. ومعنى البيتين: أنبِئْتُ أنّ قومي نَكَى الدهر فيهم، وحَمل أثقالَهُ عليهم، فإن كان ما بُلغتُ حَقًّا من إخناء الدهر عليهم، وسوء تأثيره فيهم، فإنَّ أخبارَهم كريمةٌ في النّوائب إذا نابتهم، ونفوسَهم عزيزة تَأْبَى الانقياد لما لا يَحْسُنُ، والمُطَاوَعَةَ فيما يَشِين ولا يَزين. وجواب «فإن يَكُ حَقًّا» ما دَلَّ عليه قولُه فإنَّهم كِرَامٌ،

= الشواهد، وللكلابي في لسان العرب (غرض، وقضى)، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ٤٧٤، وخزانة الأدب ٩: ١٢٠. وصدره:

«تحنّ فتبدي ما بها من صبابةٍ»

(١) للشنفرى في ديوانه ص ٣٣، واللسان (بلت، ونسا)، وأدب الكاتب ٤٩٣، والأغاني ٢١: ٢١٠. وتمامه:

«كأن لها في الأرض نسيًا تقصّه على أمها وإن تكلمك تبلتِ»

(٢) لطرفة في معلقته في ديوانه ص ٣٤، واللسان (شدد، فحش، عيم).

لأنَّ معناهُ فإنهم يَصْبِرُونَ صَبْرَ الكِرَام. ومِثْلُه قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المَائدة: الآية ١١٨]؛ لأنَّ المعنى: فإنَّك تملكُهُم وتَقْدِر عليهم.

٥ ـ فقيرُهُم مُبْدِي الغِنَى وغَنِيُّهم لَهُ وَرَقٌ لِلسائلين رَطِيبُ

يقول: محتاجُهم متجمِّلٌ، وبما لا تَنَالُه مَقْدُرته ولا يَنْهَضُ وُسْعُه متكثِّرٌ، وظاهِرُه الغِنَى اكتفاءً بما يملِكُهُ، وتَصَنُّعًا لمن يَرْمُقُه؛ وغنيُّهم له إفْضَال على العُفاةِ، ومعروفٌ عند السُّؤال، يَحْيَوْنَ في جَنَابِه، ويعيشون في كَنَفِهِ وظلاله. وقولُه «له وَرَقٌ» مَثَلٌ ضَرَبه للنَّدَى، وأصله هٰهنا ورق الشَّجَر، وبه عَيْشُ المال: الإبلِ والغنم. وإذا لم يَمنَعوا من الوَرَق عاشَ الناسُ في فِنائهم. هذا الأصل، ثمَّ يتمثَّلُ به بَعْدُ لِغَيْرِهِ من ضروبِ المنافع، ووجوه المرازىء. وسَلكَ في هذه الاستعارة والتمثيل مَسْلك زهير حيث يقول: [البسيط]

وليس مانعَ ذي قُرْبَى ولا رَحِمٍ يَوْمًا، ولا مُعْدِمًا من خابِطٍ وَرَقَا[(١)]

ويقال: وَرَّقَتِ الشَّجرةُ وأَوْرَقَت، وشجرة وَرِيقَةٌ، إذا كَثُر ورقُها والوِراقُ: زَمنُ خروجِ الوَرَق، كالصِّرام والجِدَاد.

٦ ـ ذَلُولُهُمُ صَعْبُ القِيَادِ وصَعْبُهُمْ ذَلُولٌ بِحَقِّ الرَّاغِبِينَ رَكُوبُ

يقولُ: مَن كان سَهْلَ الجانب منهم تراه متعسِّرًا إذا سِيمَ الضَيْمَ، مُتَصَعِّبًا في التزام الظُّلْم والجوْرِ؛ والأبيّ الخَشِنُ الخُلُق منهم مُعْتَرِفٌ بحقّ الراغبين، يُرْكَبُ به ولا يَمنَعُ، ويُقَادُ له ولا يَأبَى. وقولُه رَكُوبٌ، هو في معنى مفعول هٰهنا. والذَّلُولُ: الوطِيءُ الظَّهر، والذُّلُّ والذِّل يَرْجِعان إلى السُّهولة والوَطاءة، وإنْ كان كلٌّ تفرَّد بمعنًى يتميَّزُ عن صاحبه بما يُضادّه. ألا تَرَى أنّ ضِدَّ الذُّلّ بالضم العِزّ، وضدّ الذِّل بالكسر الصُّعُوبة.

٧ ـ إذا رَنَّقَتْ أَخلاقَ قَوْمٍ مُصِيبَةٌ تُصَفَّى بها أَخلاقُهم وتَطِيبُ[(٢)]

يقول: إذا كَدَّرَتِ المصائب أخلاق الناس فتغيّرتْ، حتى لا يصير عليها مَحْمِل، ولا إليها من النوائب مَلْجَأٌ، فإن أخلاقَ هؤلاء تُصفَّى بها ولها، وتطِيب عند تَحامُلها؛ كأنهم كلما ازدادوا امتحانًا بالدهر ازدادوا طَلاقَةً وهَشَاشةً، ولِينَ مَعْطِفٍ ولُدُونةً،

(١) لزهير في ديوانه ٥٣، واللسان (خبط)، وتهذيب اللغة ٢:٢٥١، وأساس البلاغة (خبط).

(٢) التبريزي: «تصفى لها».

ونُهُوضًا بالأعباءِ، وصَبْرًا لَدَى الَّلأواءِ. ويقال: ماءٌ رَنْقٌ وَرَنَقٌ، وما في عيْشِه رَنَقٌ أي كَدَر.

٨ ـ ومن يَغْمُرُوا منهمْ بفَضْلٍ فإنَّهُ ... إذا ما انْتَمَى في آخرينَ نَجِيبُ

أَصْلُ الغَمْر التَّغطية، ومنه قولهم: دخَل في غُمَار الناس. والنَّجيبُ: الكريم من الناسِ والخيلِ والإبل، ولذلك قيل للمختار من كلِّ شيءٍ المُنْتَجَب، وقد نَجُبَ الرجُلُ نَجابَةً، وأَنْجَبَ: أتى بأولادٍ نُجَباء. يقول: والمَغْمُورُ الخامِلُ منهم، لظُهور الفضل عليه، إذا انتَسَبَ في قومٍ آخرين عُدَّ نَجيبًا. ومثله قولُ الآخر(١): [الطويل]

يَسُودُ ثِنَانَا مَنْ سِوَانا وبَدْؤُنَا ... يَسُودُ مُعَدًّا كُلَّها ما تدافِعُهْ

وإن كان هذا زائدًا على ذلك. وحذَف مفعول «يَغْمُروا» لأنه لا يَلتَبِسُ. أراد ومن يَغْمُرُوه، أي المفضول فيهم إذا انتَمى في غيرِهم كان فاضِلًا.

١١٦ ـ وقال القُطاميّ(٢): [الوافر]

١ ـ من يكُنِ الحِضارَةُ أعْجَبَتْه ... فأيَّ أُناسِ بادِيَةٍ تَرانَا

الحِضَارةُ تُكسَر منه الحاء وتُفتح، وكذلك البداوة تُكسر منه الباء وتُفتح. والمُراد بالحِضارة أهل الحِضارة، فحُذِف المُضاف، يدُلُّ على ذلك قوله «فأيَّ أُناس باديةٍ»، لأن التفضيل إنما يصحُّ بين الحضريِّين والبدويِّين. وأيّ هذه تضافُ إلى النَّكِرة، ولا تُضاف إلى أكثر من الذي جَعَلْتَه خَبَرًا، لأنك تريد صِفَتَه. ألا تَرَى أنك تقول مَرَرْتُ برجُلٍ أيِّ رجل، وأيُّ رجلٍ أخوكَ إذا جعلته خبرًا يكون مَخْرَجَ الكلام المَدْح والتعجُّب، كأنك قلت: نهايةٌ في الرجوليَّةِ أَخوك. فعلى هذا قوله فأيّ رجالٍ باديَةٍ. فيقول: مَن أعجبهُ رجال الحضَرِ؛ فأيُّ رجالِ بَدْوٍ نحن، إذا حُصِّلَتِ الرِّجال. والمعنى: أيُّ أُناسٍ نحن وإن كنّا من أهل البَدْو. والمراد التمدُّح والتعجُّب.

٢ ـ ومَنْ ربَطَ الجِحَاشَ فإنَّ فينَا ... قَنًا سُلُبًا وأفْراسًا حِسَانَا

---

(١) البيت لحجر بن خالد في الحماسية رقم ١٧٠.

(٢) القطامي: عمير بن شييم، كان من نصارى تغلب في العراق ثم أسلم. (ت ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م). ترجمته في الشعر والشعراء ٢٧٧، والأغاني ٢٠ :١١٨.

يقول: ومن ارتَبَط الحُمُر واقتناها، وكان عيْشُه منها، فإنّا أربابُ الغَزو، وآلاتُنا رِمَاحٌ طِوالٌ، وخَيْلٌ رائقة عِناقٌ. والجحشُ من أولاد الحُمُر كالمُهْرِ في الخيل، والجمع الجحاش والجِحَشَةُ. والسُّلُبُ: الطوال، والواحد سَلوبٌ.

٣ ـ وكُنَّ إذا أَغَرْنَ على جَنابٍ وأَعْوَزَهُنَّ نَهبٌ حَيثُ كانَا

يقالُ: عَوِزَ الرَّجُل كذا عَوَزًا، مثل عَدِمَ، وأعْوَزَهُ الدهر: أفْقَرَهُ. وأعْوَزَ الرجلُ: ساءت حاله، وهذا لا يَتعدَّى. يقول: كانت هذه الخيل إذا أغارت على ما حوْلَها من القبائل فبدَّدَتْ شَمْلَها، وخَوَّفَتْ آمِنَها، وصارت تأخذ حِذْرَها، وتتقيها بالبُعْدِ عنها؛ حتى أعْوَزَها النَّهْبُ حيث كان النهبُ، لمعاوَدَتِهم الغارة وقتًا بعد وقتٍ، وإدامتهم إيّاها، وإلحاحهم بها. وقوله «إذا أَغَرْنَ» ظَرْفٌ لقولهِ أغرْنَ من البيت الذي يليه، وهو جوابٌ له، والجملة خَبَرُ كُنَّ.

٤ ـ أغَرْنَ من الضِّبابِ عَلَى حُلُولٍ وضَبَّةَ إنّه مَنْ حانَ حانَا

٥ ـ وأَحْيانًا على بَكْرٍ أخِينَا إذا ما لم نَجِدْ إلّا أخَانَا

الضِّبابُ يشتمل على ضَبَّةَ وضُبَيْبٍ، وحِسْلٍ وحُسَيْل، فلذلك سُمُّوا الضِّبَاب. يقولُ: أغارت على أقاربهم وعلى الحِلَّات النازِلَة حَولَهم وفيهم، لأنّ من قُدِّر له الحَيْنُ فقد أدركَهُ. والمعنى: إنهم لاعتيادهم الغارة لا يَصْبِرُون عنها، حَتَّى إذا أعوزَهُمْ الأباعِدُ عَطَفُوا على الأقارب. ألا تَرَى أنه تَمَّمَ ذلك بقولِهِ:

وأحيانًا على بَكْرٍ أخِينَا إذا ما لم نَجِدْ إلا أخانا

وقوله: «إنَّه من حان حانَا» يُسَمَّى الالتفات، كأنّه التفَتَ إلى إنسانٍ فقال: إنَّهُ من هَلَكَ بغَزْوِنَا فقد هَلَكَ. وقولُه «على بَكْرٍ» تَعَلَّقَ بفعلٍ مضمَرٍ دَلَّ عليه ما تقدَّم فيما قبله، كأنّه قال: وأحيانًا أغَرْنَ على بَكْرٍ.

١١٧ ـ وقال الأعْرَجُ المَعْنِيُّ: [الطويل]

١ ـ أَرَى أمَّ سَهْلٍ ما تَزَالُ تَفَجَّعُ تَلُومُ وما أَدْرِي عَلَامَ تَوَجَّعُ

يقول: أرى هذه المرأة تتفجّع تارةً وتتوجّع أخرى، تَعْتِبُ عليَّ وتلُومُ، وما أدْرِي من أي شيءٍ شَكْواها، وفي أمْرِ توجَّهَ عليَّ عَتْبُها، لأنّي لا أتعاطى مُنْكَرًا فاستحقَّ به ذلك: وقد مَرَّ الكلامُ في عَلَامَ وأشباهِهِ. وقولُه: «ما زال» يريدُ به اتِّصال تلك الحالة منها، لأنّ ما زال لدوام الماضي، وما يزال هو مُسْتَقْبَلُ ما زال، فيصير

لامتداد الحال. فإن قيل: أليس زال ضِدُّ دام فكيف يُفِيدُ وهو للنَّفي معنى الدوام؟ قُلْتَ: لمّا دَخَل ما النافيةُ عليه تَغَيَّرَ معناهُ إلى الإيجاب، لأنّ نَفيَ النَّفْيِ إيجاب، فعاد إلى معنى الدّوام. وقوله: «تَلُومُ» في موضع الحال، أي تَفَجَّعُ لائمةً، وقولُه: «وما أَدرِي عَلَامَ»، يريدُ وما أدري ما يقتضي هذا السُّؤال.

٢ ـ تَـلُومُ عَـلَى أَنْ أُعْـطِـيَ الْوَرْدَ لِقْـحَـةً   وما تَـسْـتَـوِي والـوَرْدَ سَـاعَـةَ تَـفْـزَعُ

يقول: تعيبُ عليَّ في إيثاري فَرَسي الوردَ بلبن لِقْحَتِي ـ وهي النّاقة التي بها لَبَنٌ ـ وما تَسْتَوِي هِيَ مع الورد ساعة الفَزَع ووقت الغارة. وقوله «والوَرْدَ» منصوب على أنّه مفعولٌ مَعَهُ. يريد: لا تَسْتَوِي هي مع الورد. ولو أراد ما تستوي هي وما يستوي الورد لم يكن يجوز إلّا الرفع، والعامِلُ في هذا المعمول لا يعمل بتوسُّط الواو بينهما. وإذا أردت تجريد الفعل على ما يدلُّ عليه قوله تستوي، يكون تقديره إذا أظهرتَهُ عامِلًا فيه: وما تُساوي الوردَ. وعلى هذا قولُهم: استوى الماءُ والْخَشَبةَ لأن المعنى سَاوَى الماء الْخَشَبَةَ. فإن قيل: كيف قال ولا أدري عَلَامَ توجُّعُ، ثم أتْبَعَهُ بقوله تَلُومُ على أن أُعْطِيَ الورد لِقحةً، وهل كذَّبَ نفسه؟ فالجواب أنّ قولَه ما أدري إنكارٌ وتفظيعٌ للشّأن، والمتضجِّرُ بالشَّيء يقول ذلك وإن كان عالمًا. وروى بعضهم «والوَرْدُ» بالرفع وكان الأجود أن يقول: وما تستوي هي والورد، لأنَّ عطفَ الظّاهرِ على المُضمَر المرفوع ضعيفٌ حتَّى يُؤكَّدَ. ويكون المعنى: وما تستوي أمُّ سَهْلٍ وفَرَسي في ذلك الوقت، لاختلاف غَنائهما، ولأنَّ قُصارى تلك الهرَبُ والدَّهَش، وغَناءُ فرسي كونُه عُدَّةً للدِّفاع والذّبّ، والأوّلُ أجودُ وأفصح وأسلم.

٣ ـ إذا هِـيَ قـامَـتْ حَـاسِـرًا مُـشْـمَـعِـلَّةً   نَـخِـيـبَ الـفـؤادِ رأسَـهـا مـا تُـقَـنَّـعُ[(١)]

هذا بيانُ الحالِ ساعةَ الفزع، وموضع إذا نَصْبٌ على أنه بَدَلٌ من ساعَةَ تَفْزَعُ، ويكون على ذلك قوله «هنالك يجزيني الذي كنت أصْنَعُ» من البيت الذي يليه مُنْقَطِعًا، وإن كان بيانَ عِلَّة إيثاره باللّبن وانتفاء المساواة بينه وبين المرأة. والمعنى: ما تُساوِي هذه المرأةُ الفرسَ إذا هي قامت بلا قِناعٍ، جَادّةً في العَدْوِ، مَنْخُوبَةَ القَلْبِ، طائرة اللُّبّ، لا خِمار عليها ولا قِناع، لدَهَشِها في اختمارها، وذَهابها عن عادتها وإلْفِها. وقوله «مشمعلّة» أي جَادَّةً في العَدْوِ. وانتصبَ «رأسَها» لأنه مفعولٌ مقدَّمٌ. ويجوز أن

(١) التبريزي: «ما يُقَنَّعُ».

يكون «إذا هي قامت» استئناف كلامٍ، وحينئذٍ يكون جوابُ إذا قوله هنالِكَ يجزيني الذي كنت أصْنَعُ.

٤ ـ وقُمْتُ إليه باللِّجَام مُيَسَّرًا هُنالِكَ يَجزيني الذي كنت أصْنَعُ

يقول: وقُمْتُ إلى فرسي في تلك الحال، مُهَيَّئًا له باللِّجام، للدِّفاع والقتال. ثم قال: في ذلك الوقت يجزيني ما أعامِلُه به السَّاعةَ من إيثارٍ بَلَبَنٍ، وتضميرٍ وصَنْعة. وقوله «مُيَسَّرًا» أي مهيَّئًا. وفي القرآن: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: الآية ١٠]. هنالك إشارةٌ إلى الوقت، ويستعمل في المكان، ويقال هناك أيضًا فيهما. والعامِلُ فيه هٰهنا يجزيني.

١١٨ ـ وقال حُجْرُ بن خالدٍ[1]: [الكامل]

١ ـ كَلْبِيَّةٌ عَلِقَ الفُؤادُ بذِكْرِها ما إنْ تَزَالُ تَرَى لها أهْوَالَا

يقول: عَلِقَ الفؤادُ بذكرِ امرأةٍ كلبيَّةٍ، لا تزال تُقاسي من أجْلِها أهوالًا، وتتحمَّل مَشَقَّاتٍ. قولُه «عَلِقَ الفؤاد بذكرها» يجوز أن يكون أراد عَلِق ذكرُها بالفؤاد فَقَلَبَ، لأن المراد مفهومٌ، ويكون كقول الآخر: [الرمل]

عَلِقَ الأحشاءَ من هِنْدٍ عَلَقْ

وكما يقال عَلِق بقلبِه عَلَاقَتُه. ويجوز أن يكون جَعَل الفؤادَ تابعًا للذِّكْر فكأنه تعلَّق به. وكلُّ شيءٍ وقَعَ موقِعَهُ قبل عَلِق معالِقَهُ. وجعل صدر البيت على الإخبار عنها، ثمّ نَقَل الكلامَ إلى مخاطبةِ نفسه. ويجوز أن يكون استمرَّ في الإخبار عنها ويكون المعنى: عَلِقَها الفؤادُ فلا تزالُ هي تُقاسي أنت بسبَبِها أهوالًا. و«إنْ» من قوله «ما إنْ» زِيدتْ لتأكيد النفي.

٢ ـ فاَقْنَيْ حَيَاءَكِ لا أبا لكِ إنني في أرضِ فارِسَ مُوثَقٌ أحْوَالَا

أقبل يخاطب المرأة فقال: اْلزمي حياءَكِ، أي لا تفعلي ما يُقالُ نُسِيَ الحياءُ معه واْطُّرِحَ، إنني محبوسٌ في أرض فارسَ سِنِينَ لا أبا لَكِ. وقولُه «لا أَبا لَكِ» بَعْثٌ وتحضيض، وليس بنفيٍ للأُبُوَّةِ، وخَبَرُ لا محذوف، لأنّ المعنى لا أَبَاكِ، ودخلت

(١) التبريزي: «وقال حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة». وحجر: شاعر جاهلي كان معاصرًا لعمرو بن كلثوم.

اللام مؤكِّدةٌ للإضافة، لأنّ هذه إضافةٌ لا تُخَصِّصُ، فساغَ تأكيدها باللام، ولو كانت الإضافةُ مخصِّصةً لكان لا يَعملُ في أَبا لَكِ. وتقدير الخبر: لا أبا لك موجود. ويقال: قَنِيَ يَقْنَى، واقْنَيْ: أَمْرٌ منه. وقنا يَقْنُو. قال المتلمِّسُ: [الطويل]

كـذلـك أقْـنُـو كُـلَّ قِـطٍّ مُـضَـلَّلِ(١)

وإنَّما قال: إنني مُوثَقٌ ولم يكن قد أُسِرَ وأوثق، لِعلمِهِ بما يُؤَول إليه في مَقْصَدِهِ أَمْرُهُ، كأنه لما وطَّنَ نفسه على ترك التَّحَامِي والاتّقاء علم أنّ أحْسَنَ العاقبتين فيه الأسر، فذكره. ويكون هذا كقول الآخر: [الرجز]

قـد يَـتَـمِـتْ بِـنْـتِـي وآمَـتْ كَـنَّـتِـي

فهذا وجهٌ، ويجوز أن يكون قال هذه الأبياتَ بعد الأَسْرِ.

٣ ـ وإِذَا هَـلَكْـتُ فـلا تُـرِيـدي عـاجِـزًا غُـسًّـا ولا بَـرَمًـا ولا مِـغْـزَالَا

ليس قَصْدُهُ في هذه الوَصَاةِ إلى أن يَبْعَثَها على تَخَيُّرِ الرِّجال، أو يرشدَها لوجوه الانتخاب، وإنما المراد: اطلبي مثلي. وهو يعلم أنّها لا تظفر بمن يُماثله أو يقاربه. والغُسُّ: الضَّعيف. قال: [الطويل]

فَـطَـعْـنَـةُ لا غُـسٍّ ولا بِـمُـغَـمَّـرِ(٢)

والبَرَم: الذي لا يَدْخُل مع القوم في الميْسرِ، لضيق صدرهِ وتبرمه بما يلتَزَمُ في مثله. والمِغْزال: الذي لا يحمل السِّلاح، ويتناهَى اعتزالُه ورَفْضُه إياه. والأعزلُ مثله. ومثل هذا قول ابن أحمرَ: [الوافر]

فـإِمَّـا زَالَ سَـرْجٌ مِـنْ مَـعَـدٍّ وأَجْـدِرْ بـالـحـوادث أن تـكـونـا
فَـلَا تَـصِـلِـي بِـمَـطْـرُوقٍ إِذَا مـا سَرَى في القومِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينا
إذا شَـرِبَ الـمُـرِضَّـةَ قـال أَوْكِـي عـلى ما في سِقـائِك قـد رَوِينـا

٤ ـ واسْـتَـبْـدِلِي خَـتَـنًـا لأَهْـلِكِ مِـثْـلَه يُـعْـطِي الـجَـزِيـلَ وَيَـقْـتُـلُ الأَبْـطَـالَا

---

(١) البيت في تاج العروس (قنو)، واللسان (قنو) وصدره:
«ألـفيـتـه بـالـشـني مـن جـذب كـافـر»
(٢) لزهير بن مسعود في اللسان (غسس) ونوادر أبي زيد ٧٠، وصدره:
«فلم أرقه إن ينجُ منها وإن يمت»

يقال: اعتاضِي منّي لأهْلِكِ خَتَنًا مثلَ ذلك الختن، يُعطِي عطاءً جَزْلًا، ويقتُلُ الأبْطالَ بَطَلًا فبطلًا. ومثله يرتفع بالابتداء، وما بعدَهُ في مَوضع الْخَبرِ لَهُ، والجملة في موضع الصِّفة للخَتَن، ولا يجوز نصب «مِثْلِه».

٥ ـ غَيرَ الجَدِيرِ بأن تَكُونَ لَقُوحُهُ رَبًا عليه ولا الفَصِيلُ عِيَالَا

هذا أيضًا من صِفَةِ الْخَتَنِ. يقول: لا يكون خليقًا بأن يكون مَملوكًا لمالِهِ لا مالكًا، ويَحُلُّ الفصِيلُ منه مَحَلَّ العِيال لا مَحلّ المال. وهذا كما قال الآخَرُ: [الوافر]

فَلَا واللهِ ما لَبَنِي بِرَبٍّ ولا لَحْمِي عَلَيَّ ولا سِلائِي[(١)]

واللَّقُوحُ صِفةٌ، يقال ناقةٌ لَقوحٌ إذا كان بها لَبَنٌ، وجمعُه لُقُحٌ قال الخليل: فإذا أرادوا استعمالها على حدِّ الأسماء قالوا لِقْحَةٌ، يقال: هذه لِقْحَةُ فُلان، للنَّاقة الحَلوب ـ ولا يقال ناقَةٌ لِقْحةٌ ـ والجميعُ لِقَاحٌ.

١١٩ ـ وقال ابن رُمَيضٍ العَنْبَريُّ[(٢)]: [مشطور الرجز]

١ ـ باتوا نِيامًا وابنُ هِنْدٍ لم يَنَمْ

٢ ـ بَاتَ يُقَاسِيها غُلَامٌ كالزَّلَمْ

يقول: مَكَثَ الناسُ نائمينَ في ليلهم، وهذا الرّجل لم ينَمْ، لأنّه كان بَيَّتَ للغارة، ثم قال «بات يقاسيها»، أي يُعاني الغارة كيف يُوقِعُها ويُدَبِّرها متى يأخذ فيها، غُلامٌ مُدْمَجُ الخَلقِ خفيفٌ ثَقِفٌ مُشمِّرٌ، كأنه قِدْحٌ. يعني ابن هِنْدٍ. والزَّلَمُ بفتح الزّاء وضمِّها: القِدْحُ كان يُسْتَقْسَمُ به. قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المَائدة: الآية ٣]. ويجوز أن يكون المُضمرين في باتُوا المغارُ عليهم.

٣ ـ خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ القَدَمْ

٤ ـ قَدْ لَفَّها اللَّيلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ[(٣)]

يصفه بأنّه غليظ السّاقَين، ولوطْئِه الأرضَ صَوْتٌ، ولقَدمه خَفْقٌ، وهو سُرْعَة الْخَطْوِ مع ضَرْب الأرض بها، كأنّه يشير بهذا إلى ثباته وقُوّته في العمل والسّير،

(١) البيت للنمر بن تولب في ديوانه ٣٢٩.
(٢) التبريزي: «وقال رشيد بن رميض العنبري، العنزيّ».
(٣) التبريزي: «لِسوّاقٍ حُطَمْ».

وشدّة بلائه وصبْرِه على الكدِّ. وقوله «قد لَفَّها» يريد الإبل. وجَعَل الفِعْل لِلَّيل على المجاز. والمعنى: جَمَعَها برَجُلٍ مُتناهي القُوَّةِ، عنيف السَّوْقِ، يَكْسِرُ الطرائد بَعْضًا على بعضٍ، لقلّة رِفْقِهِ وكثرة عَسْفِه، ولأنّه قليل الفِكْرِ فيها إذْ كانت حُصِّلَتْ بالغارة، فإن سَلِمَتْ فهي غُنْمٌ، وإن تَلِفَتْ فليستْ بغُرْمٍ، فالْعِوَضُ منها بالقُرْبِ. وقولُه «حُطَمْ» بناءٌ للمبالغة، وهو من الحَطمِ الكَسر.

٥ ـ لَيْسَ بِراعِي إبِلٍ ولَا غَنَمْ

٦ ـ ولا بِجَزَّارٍ على ظَهْرِ الوَضَمْ[1]

يقول: لا يَرْفُق هذا الرجل بوَسائقه رِفْقَ الرُّعاةِ، ولا رِفْقَ الجَزّارِ، وذلك أن الراعي مُكْتَرِى لاستصلاح مَرْعِيِّه، وحفْظ ما ضُمَّ إليه بجَهْدِه، والجَزّارُ لا يستَهْلِكُ مَالَهُ ولا يَعْنُفُ عُنْفَ مَن لا يُبالِي به. وهذا صِفَةُ المِغْوَار القليل الفِكْر في فَسَاد ما يَحْوِيهِ منها، الذَّاهب عن استبقائها، لا يبالي كيف استوسقت، وعلى أيِّ حالةٍ تَحصَّلَتْ.

١٢٠ ـ وقال جَعْفَرُ بن عُلبَةَ الحارِثيُّ[2]: [الطويل]

١ ـ ألا لا أُبالي بَعْدَ يَوْمِي بِسَحْبَلٍ ... إذا لم أُعَذَّبْ أن يَجيءَ حِمَامِيَا

يقول: اشْتَفَيْتُ من أعدائي يومَ سَحْبَلٍ ـ وهو اسم وادٍ ـ وأدركتُ آثاري عندهم فلا أُبالي بدُنُوِّ موتي بَعْدَهُ إذا لم يُعَذِّبْني الله تعالى تبارك اسمهُ، إذ كنت نِلْتُ أُمْنِيَّتي، وقَضيتُ مَأْرُبَتي. والذي تناوَلَه قولُه «لا أُبالي» هو أن يجيءِ حِمَامِيَا، ويقال: لا أُبالي كذا ولا أُبالي بكذا. وإذا لم أُعَذَّبْ ظَرْفٌ للاأُبالي، أي لا أُبالي بالموت إذا سَلِمْتُ من عذاب الله عزّ وجلّ. وإنما أَتَى بإذا رجاءَ أن يكون الأمر كذلك. وقد مَضَى القوْلُ في أُبالي وأصله وما استَقَرَّ عليه في الاستعمال، وأنّ قَوْلَهم لا أُبالِيه بالَةً أصله عند سيبويه باليةً فخُفف. وقد ذهب غيرُه إلى أنها مقلوبة، ويقول في بالةٍ إنها فَعْلَةٌ، وإن ألفها منقلبة عن واو، وأن أُبالي كان أُباوِل أي لا أُكاثر، ثم وُضع موضع لا أَحْمِلُ ولا أكثرت. وللترجيح والنَّظر في المسألة موضعٌ غير هذا.

(١) بعد هذا الشطر شطر آخر عند التبريزي:

«مَنْ يلقني يُودِ كما أودتْ إِرَمْ»

(٢) التبريزي: «وقال جعفر بن علبة الحارثي حين لقي بني عقيل».

٢ ـ تَرَكْتُ بِجَنْبَيْ سَخْبَلٍ وتِلَاعِهِ مُرَاقَ دمٍ لا يَبرحُ الدَّهرَ ثاويا

أخذ يقتصّ ما هوَّن عليه الموتَ من فِعْلِه، فيقول: تركت بجانِبَيْ هذا الوادي ومسايل مياهه مَصْوبَ دَمٍ، يلزم ذلك المكان على مرور الأيام فلا يبرح. وقوله «ثَاوِيًا» مِن ثَوَى بالمكان، إذا أقام. يقال ثَوَى وأَثْوَى جميعًا. وقوله «مُراقَ دَمٍ» يجوز أن يريد موضعا أُريقَ به دَمٌ، كما يجوز أن يريد به دَمًا مُرَاقًا، ولكنه إذا أُريد به الموضع يكون لا يبرحُ من صفة الدّم، ويجوز أن يريد به رجلًا أُريق دمه ويكون كقولك هو حَسَنُ وجْهٍ. وذكر بعضُهم أن المراد مُراق دَمٍ لا يزال ذكرُه باقيًا على الدَّهر فحذَف المضاف. والتِّلاع: جَمع تَلعةٍ، وهي أرضٌ مرتفعة يتردَّد فيها السَّيل إلى بطن الوادي. ومن الاستعارة الحسنة: فلانٌ لا يُوثَقُ بسَيلِ تَلْعَتِه، إذا كان غير صَدوقٍ في أخبارِه.

٣ ـ إذا ما أَتَيتَ الحارثيَّاتِ فانْعَنِي لَهُنَّ وخَبِّرهُنَّ أَنْ لا تَلَاقِيَا

هذا كلامُ رجلٍ يونسُ أَحِبَّتَهُ من نفسه لاستقتاله، أو لأنه مُنِيَ بما لم يَرْجُ الخلاصَ منه. فقال: إذا زُرتَ نساءَ بني حارثة فأَذْكُرْ موتي لَهُنَّ، وأعلمهنَّ أنه لا التقاء بيني وبينهن. فقولُه «أن لا تلاقِيا» أن مخفَّفَةٌ من أنّ الثقيلة، واسمه مُضْمَرٌ، وتلاقِيَا نَصْبٌ بلا وخَبَرُهُ محذوف، المرادُ لا تلاقِيَ لنا، والهاء في أنه ضمير الشأن والأمر، والجملة خَبَر أنْ. وهذا البيت مع ما بَعْدَهُ لمالك بن الرَّيْبِ فيما أظن، وانضمَّا إلى أبيات جَعفر بن عُلبَةَ على سبيل الغلط.

٤ ـ وقَوِّدْ قَلوصِي في الرِّكابِ فإنَّها سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وتُبْكِي بواكِيَا

يقول: وأَكثِرْ قَوْدَ ناقتي حالًا بعد حالٍ، فإنّ الأعداءَ يَشْمَتُون إذا استدلُّوا بها ويضحكون سرورًا، والأصدقاء ذواتُ الشَّفقة يغتمُّونَ فيبكون توجُّعًا، وهذا الكلام تحزُّنٌ وتحسُّرٌ. وقوله «ستُضحِكُ مسرورًا وتُبكي بواكيا» من باب وصْف الشيء بما يؤول إليه، ومثلُه قولهم: خرجَت جوارِجُه، وقول الفرزدق: [الطويل]

قَتَلْتَ قَتيلًا لم يَرَ الناسُ مِثْلَهُ

والقَلُوص، قال الخليل: هي الناقة الباقية على السَّير، لا تزال قلوصًا حتى تبزُلَ، وإنما سمِّيت قَلُوصًا لطُول قوائمها ولم تَجسُمْ بَعْدُ.

١٢١ ـ وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرِي لَرَهْطُ المَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّةً عليهِ وإنْ عالَوْا به كل مَرْكَبِ

خَبَرُ «لَعَمري» مُضْمَرٌ ولا يجوز إظهارُه، وهو قَسَمٌ، ولا يجوز أيضًا فيه إلّا فتح العين، ولَرَهْطُ جوابُه. والرَّهْطُ يقع على ما دون العشَرة، ولهذا دَخَل عليه من الأسماء أسماء الآحاد فقيل ثلاثةُ رَهْطٍ. ومثله نَفَرٌ، ولو كان يقع على الكثير لما جاز لك فيه ألا ترى أنك لا تقول ثلاثُ إبلٍ. وانتصابُ «بقيَّةً» على التمييز، وموضع «وإن عالَوْا به» نَصْبٌ على الحال للرهط، وجوابُ الشَّرط فيما دلَّ عليه قولُه «خيرٌ بقيّةً». وقوله «كلَّ مَرْكَبٍ» يريدُ به كلَّ مَرْكَبٍ مذمومٍ. وَعالَيْتُ بفلان بمعنى أعلَيْتُه. ومعنى البيت: وبَقائي، لَعِتْرَةُ الرَّجلِ أحسنُ إبقاءً عليه، وأكثرُ حشمةً له، وإن أَرْكبُوه مراكب صعْبَةً مكروهة، وأنزلوه منازِلَ حَزْنَةً مذمومةً.

٢ ـ مِنَ الجانبِ الأقصَى وإن كان ذا غنًى جَزِيلٍ ولم يَخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ

تعلّق «من» بقوله خَيْرٌ بقيَّةً، لأنَّ معناه أَفْعَلُ الذي يَتِمُّ بمِنْ. يقول: هُمْ أَحْسَنُ إبقاءً عليه من الغريبِ الأبعَدِ، وإن كان الرجل محتشمًا في نفسِهِ غنيًّا، ومُعَظَّمًا مَهِيبًا. وقوله «وإن كان ذا غنًى» في موضع الحال أيضًا. والجانب يرادُ به الجنْس لا واحِدٌ بعينِه. وقوله «ولم يُخبِرْكَ مثلُ مُجَرِّبٍ» يجري مجرى الالتفات، وهو توكيد للخبر الذي أوردهُ، وتحقيقٌ لما أنبأ به وشَرَحَهُ، وأنَّ ما قالَهُ عن تجربةٍ وخبرةٍ، لا عن سماعٍ وخَبر.

٣ ـ إذا كنتَ في قومٍ ولم تكُ منهُمُ فكلْ ما عُلِفتَ من خبيثٍ وطيِّبِ

هذا الكلام تحذير من الاغترار بالأجانب، والاستنامة إلى ناحيتهم، وبَعْثٌ على طلَبِ موافقتهم وترْك الخلاف عليهم، بعد الحصول فيهم، وأنّ استعمال الإدلال معهم، والأخذ بالمضايقَةِ في إيفائهم والاستيفاء منهم غيرُ واجبٍ. ويُروَى: «في قَوْمٍ عِدًى لَسْتَ منهم» ويكون معنى لست منهم: وأنت لا تهوَى هواهُم. والعِدَى يقع على الواحِدِ والجميع، يقال: رجلٌ عِدًى، وقومٌ عِدًى، أي بُعُدٌ غرباء. وقوله «كُلْ ما عُلِفتَ» مَثَلٌ. ومثله:

ولا تَطْعَمَنْ ما يَعْلِفُونَكَ

---

(١) الأبيات في الحيوان ٣: ١٠٣، والبيان ٣: ٢٥٠ لخالد بن نضلة، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي قال: «رويت لنهشل بن حري».

وكأنَّ العَلْفَ مختصٌّ بهذا المعنى؛ فإنّي لم أجده في غيره.

١٢٢ ـ وقال البُرْجُ بن مُسهِرٍ[١]: [الوافر]

١ ـ فَنِعْمَ الحَيُّ كَلْبٌ غيرَ أنّا رأينا في جِوارِهِم هَنَاتِ

هذا الكلام تهكُّمٌ وسخريَّةٌ، وجاز أن يأتي به بلفظ المدْح لأنه بما بَعْدَهُ تبيَّنَ الغَرَضُ؛ فيكون أبْلَغَ في الهزء. والهنَات: الأمور المنكرة، ولا تُستعمل إلا في الشَّرّ، وهي جَمْعُ هَنَةٍ، وإنما يُكْنَى بها عن المَحقَّرَات، كأنه يُرى الإبقاءَ والمجامَلة، ويُجري الأمر على المَدَاجاة وترْك المجاهرَةِ. وقد يُجْمَعُ هَنَةٌ على هَنَوَاتٍ، فمن ردَّ اللام في الجمع رَدَّهُ في النِّسْبَة أيضًا، ومن لم يَرُدَّهُ فهو في النِّسبة بالخيار، إن شاءَ قال هَنِيٌّ وإن شاء قال هَنَوِيٌّ. فيقول: قبيلة كلبٍ محمودةٌ في الأحْيَاءِ، غير أنّا مُنِينَا في جوارِهِمْ بدواهٍ وبُلِينَا بمُنْكَرَاتٍ، والاستثناء في هذا المكان يكون منقطعًا. وكان فارَقَ قومَهُ طَيِّئًا مُرَاغِمًا وجاوَر كلْبًا فلم يَحْمَدْ جِوَارَهُم ففَارقهم ذامًّا لهم.

٢ ـ ونِعْمَ الحيُّ كَلْبٌ غَيرَ أنّا رُزِينَا من بَنِينَ ومن بَنَاتِ

يريد مثلَ ما أرادَ في البيت الأول من السخريَّةِ. ومعنى رُزِينَا: أُصِبْنَا بِبنين وبَنَاتٍ. ويقال: فلانٌ مُرَزَّأٌ في مالهِ فيكون مَدْحًا، وفلانٌ مرزَّأٌ في أهْلِهِ فيكون تَرَحُّمًا وتوجُّعًا. ومثل هذا التهكم قول الآخر[٢]: [المنسرح]

فِدًى لِسَلْمَى ثَوْبايَ إذْ دَنِسَ الْـ قَوْمُ وَإذْ يَدْسُمُونَ مَا دَسِمُوا

فالتَّفْدِيَةُ هٰهنا كالمدح بنِعْمَ ثَمَّ. وقوله «من بنينَ» مِنْ دَخَل للتَّفْضِيل، كأنّه قال: رُزِينَا أناسًا من بنينَ ومن بنَاتٍ، ومفعولُ رُزِينا محذوف، ويجوز أن يكون ذاد مِنْ في الواجب على ما أجازه الأخفش وحكاه عنهم من قولهم: «قد كان من مطرٍ فخلِّ عَنِّي»، فيكون المرادُ رُزِينا ببنين وبَنَاتٍ.

٣ ـ فإنَّ الغَدْرَ قد أمسَى وأضحَى مُقِيمًا بَيْنَ خَبْتَ إلى المَسَاتِ[٣]

---

(١) البرج بن مسهر بن جلاس الطائي: شاعر، من معمريّ الجاهلية. (ت ٣٠ق.هـ/ ٥٩٥ م). ترجمته في الأعلام ٤:١٧.

(٢) للجميح الأسدي في المفضليات ١:٤٠، وبلا نسبة في التبريزي ١:٢٥٧.

(٣) المسات: ضبطها ياقوت بالضم وكذلك التبريزي.

يقول زاريًا عليهم ومبيِّنًا: إنهُ نالَهُم ما نالَهُم لأن الغَدْرَ مُقيمٌ فيما بين ديارهم، ومما انطَوَى عليه أحشاؤهم: وفائدة قوله أَمْسَى وأَضحَى بيانُ اتصالِ الوَقْت. وقوله «فإنّ الغَدْر» الفاء رَبَطَ الجُملةَ التي بعدَها بما تقدَّم ورتَّبَها عليه، كأنه قال: قاسَوْا ما قاسَوْهُ في جِوارِهم فإنَّهم غادرونَ. وخَبْتٌ والمَسَاتُ: ماءانِ لكَلْبٍ. يقولُ: الغَدْرُ مُقيمٌ في كَلْبٍ بين هٰذين، أي في أوّل ديارِهم وآخِرِها.

٤ ـ تَـرَكْـنَـا قَـوْمَـنَـا مـن حَـرْبِ عَـامٍ   أَلَا يَـا قَـوْمِ لِـلأَمْـرِ الـشَّـتَـاتِ

هذا الكلام اقتصاصٌ لحالِهِ وإظهارٌ للتأسُّفِ على مجاوَرَةِ كلبٍ، والتندُّم على ما اتَّفق من مفارقة العشيرة: وقوله «يا قومِ للأمرِ الشَّتَاتِ» تعَجُّبٌ. والشَّتاتُ: مَصْدَرٌ وُصِفَ به. واللام في الأمرِ لام الإضافة، لكن فائدته ما ذكرناهُ من التعجُّب، وأُتِيَ به مع المَدْعُوّ. وقد يقالُ يا لَزَيْدٍ فيكون المُنادَى محذوفًا. وهذه اللام تدخل مفتوحةً في المُنادَى ويُراد به الاعتزاء، كقولِك يا لَبَكْرٍ ويا لَتَمِيم. فيقول: انتقلنا عن قوْمِنا وفارقناهُم مُنذ زمن الحربِ التي اتّفقت بيننا عامًا أوّلَ. ثمّ أخذ يستعطفهم، ويتذمَّمُ من مراغمتهم، ويُظهر الحاجةَ إليهم فقال: يا قوْمه أَقبِلُوا لما تشتّت من أَمرِنا، واختلَّ من حالِنا. وقولُه «من حَرْبِ عامٍ» جعَلَ مِن بَدَلَ مُنْذُ، لأنه في المكان مثلُه في الزمان، كما قال زُهَيْرٌ: [الكامل]

أَقْـوَيْـنَ مِـن حِـجَـجٍ ومِـن دَهْـرِ[1]

٥ ـ وأَخْـرَجْـنَـا الأَيَـامَـى مـن حُـصُـونٍ   بِـهَـا دارُ الإقَـامَـةِ والـثَّـبَـاتِ

يقول: أَخْرَجْنا النِّساءَ اللاتي صِرْنَ أَيَامَى من مقرّ عزِّهِنّ، ودار أَمْنِهِنَّ، إلى جِوَارِ كَلْب، حتى اتّفق عليهنّ من الأعداء ما اتّفَق، ومن حُلولِ الرّزايا ومقاساةِ الهَنَاتِ بهنَّ ما أَقْلَق. وَوَصَفَ النّساء بما آلَ إليه أَمرُهُنَّ من الإيمَةِ، وإنْ كُنّ وقت الإخراج ذَوَاتِ بُعولٍ. ومثْلُه قولُ الآخَر: [الطويل]

ستُضْحِكُ مسْرُورًا وتُبْكِي بَوَاكِيا[2]

---

(١) لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ٨٦، وأسرار العربية ٢٧٣، وخزانة الأدب ٩: ٤٣٩، والشعر والشعراء ١: ١٤٥. وصدره:

«لِـمَـنِ الـديـارُ بِـقُـنَّـةِ الـحـجْـرِ»

(٢) لمالك بن الريب في ديوانه ٤٧، واللسان (برد)، والأمالي ٣: ١٣٨، والخزانة ١: ٣١٩. وصدره:

«وعطّلْ قَلوصي في الركاب فإنها»

وفي القرآن: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: الآية ٣٦]. وأَيَامَى: جمع أَيِّم، ويقع على الرجُل والمرأة. والفِعل منه آم، أي بَقِيَ بلا زَوْج. وهو من الفِعلَ فَيْعِلٌ، وجَمعُهُ أيايم على فياعل. وأيَامَى مقلوبٌ كأنه قُدِّمَ اللَّامُ على العين فصار أيَامِي على فيالِع، ثم فرُّوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، فانقلبت ألِفًا.

٦ ـ فإن تَرْجِعْ إلى الجَبَلَيْنِ يَوْمًا نُصَالِحْ قَوْمَنَا حتى المَمَاتِ

هذا إظهارُ رَغْبَةٍ في الرُّجوع إلى العشيرة، ومعاودة الوَطنِ والمحَلَّة. يقول: إن اتَّفَق لنا عَوْدَةٌ إلى بلادنا تركْنا الخِلاف على ذَوِينا، وأقمنا بها إلى انقضاء الأجل، واستنفاد المَهَل. ويعني بالجَبَلَيْن أجأ وسَلْمَى: جَبَلَيْ طيِّىء. وقوله «حتّى الممات» أراد به إلى حين الممات، فحذَفَ المضافَ. والمماتُ يكونُ مصدرًا، وإن جعلْتَه اسْمًا للحِين فلا حذْف.

١٢٣ ـ وقال موسى بن جَابِرٍ: [الكامل]

١ ـ لا أَشْتَهِي يا قَوْمِ إلّا كَارِهًا بَابَ الأميرِ ولا دِفَاعَ الحاجِبِ

يصفُ بهذا الكلام مَيْلَهُ إلى البَدْوِ، وتفضيلَهُ رِجَالَهُ على رِجَالِ الحَضَر، فيقول: لا أتمنَّى ورودَ بابِ الأمراء، ومُدافعةَ الحُجّاب، ولا أعلِّقُ شَهوتِي بهما إلا على كَرْهٍ وعن داعيةٍ عارِضَةٍ؛ إذ كُنتُ أَلِفتُ الصَّحَارِي والبَرارِي، وصاحَبْت بها مَن لا تملِكني معه حِشْمَةٌ، ولا يَصُدُّني دونَهُ عِزَّة. وانتصَب «كارِهًا» على الحال.

٢ ـ ومِنَ الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ ومُزَنَّدُون شُهُودُهُمْ كالغائِبِ

يقولُ: مِن الرجالِ رجالٌ كالأسِنَّةِ المطْرورة، أي يمضون في الأمور ويفصِلونها نفاذَ الأسِنةِ؛ ومنهم مزنَّدون. والمُزَنَّد: المُبَخَّل المُقَلَّل. وقيل: الزَّنْد ضُربَ به المثل في القِلّة. يقال: «زَنْدانِ في مُرَقَّعَةٍ»، ثم قيل هو مُزَنَّدٌ مشتقًّا منه. وقولُهُ «شهودُهم كالغائب» أي لا غناء عندهم، ولا دِفاعَ بهم، فحضورهم كغيبتهم، وأراد بالغائب الكثرةَ لا التَّوحيد. وكان من حقِّ التقسيم أن يقولَ: ومنهم مزنَّدون، لكنه اكتفى بِمِن الأوَّل. ومثلُه قول الله تعالى: ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ [هود: الآية ١٠٠]. وسمعتُ أبا عليٍّ الفارسيَّ رحمه الله يقول: كلُّ صِفَتَيْن تتنافَيَان وتتدافعان فلا يصحُّ اجتماعهما لموصوفٍ لا بُدّ لإضمار مِنْ مَعَهُما إذا فُصِّل جُملةٌ بهما، متى لم يجىءْ ظاهرًا، ثم

أنشَدَ: [الطويل]

وما زَوَّدوني غَيْرَ سَحْقِ عَبَاءَةٍ وخَمْسِ مِيءٍ منها قَسِيٌّ وزائفُ(١)

وقال: يريد ومنها زائف. وهذا كما تقولُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وعَمْرٌو، والمعنى وعمْرو منطلق، فحذف اكتفاءً بالخبر عن الأول، وعلْمًا بأنّ المنعَطِف ذلك حَاله. قال: فإن أمْكن اجتماعُ الصِّفتين لموصوفٍ واحد استُغْنِي عن إضمار مِن، ذلك كقولِك صاحباك منهما ظريفٌ وكريمٌ.

٣ ـ مِنْهُمْ لُيُوثٌ لا تُرَامُ وبَعْضُهم مِمَّا قَمَشْتَ وضَمَّ حَبْلُ الحاطِبِ

يقول: من الرجال رجالٌ كالأُسود عِزَّة وأَنَفَةً، لا يُطلب اقتسارهم واهتضامُهم، ومنهم متقارِبون كالقُماش واللفائف، جُمِعُوا على ما اتُّفق من شيءٍ إلى شيء. كأنّه لم يُقْنِعه ذلك التشبيه وتلك القسمة، فاستأنفهما على وجهٍ آخر. وقولُه «وبعضهم مما قَمَشْتَ» ينوب فيه ذكر البعض عن قوله «ومنهم»، لأنّ مِن للتبعيض فاستغنى به. وقوله «وضمَّ حبلُ الحَاطبِ» كقول الآخر: [الرجز]

وكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الأَدَمْ(٢)

قال الأصمَعيّ: لأنّ بيتَ الأدَم يجمع الجيِّد والرديء، على تقارب بينهما، ففيه من كل جِلْدٍ رُقْعَةٌ. وكذلك الحاطب يجمَعُ في حبله الجيّد والرديء، والرَّطب واليابس، على تَدَانٍ بينهما. فإنْ قِيل: وما الفائدة في إعادة التَّقسيم والتشبيه؟ فالجواب أن يقال: كأنهُ صَنّفهم في الأولى من حيث اختلفوا عنده في الأعمال والأخلاق، وعلى توهُّمِ تباعدٍ بينهم، بدلالة قوله من الرِّجال أَسِنَّةٌ ومنهم مزنّدُون لا يُعْتَدُّ بحضورهم، وبين الصفتين تفاوتٌ عظيم، وتبايُن شديدٌ. وصَنَّفَهُم في الأخرى من حيث اختلفوا فيها على توهُّم تقارُبٍ بينهم؛ لأنّ فيمن يُقْمَشُ من لا يُبايِنُ المبايِنَةَ الفاحشة، ولا يُخالِفُ المخالفةَ المنكرة.

١٢٤ ـ وقال آخر(٣): [الطويل]

١ ـ أقولُ لنفسي حين خَوَّدَ رَأْلُها مكانَكِ لمّا تُشْفِقِي حين مُشْفَقِ

---

(١) لمزرد بن ضرار في ديوانه ٥٣، واللسان (زيف، سحق، قسا) وبلا نسبة في التبريزي ١: ٢٦١.

(٢) قبله: «الناس أضيافٌ وشتى في الشيم» وهو بلا نسبة في اللسان (حلب، أدم، سوا)، والتنبيه والإيضاح ١: ٦٨، وتاج العروس (خيف، أدم).

(٣) التبريزي «وقال آخر من بني أسد، قالها في يوم اليمامة».

يقال: خَوَّدَ رَأْلُه، للمذعور المرتاع، والرَّأْل: فَرخ النَّعام. وهذا مَثَلٌ. والتخويد: ضَرْبٌ من السَّيْر سريع. والتَّخويد والوَخْد والخَذْيُ متقاربةُ المعنى، في أنها تفيد ضربيًا من المَشي، ويُوصَفُ بجميعها النعام. ويقال في هذا المعنى «زَفَّ رَأْلُه»، لأن الزَّفيف ضربٌ من العَدْوِ سريعٌ أيضًا. وفي هذه الطريقةِ قولُهُم «طار طائره». ويقولون: «هو أنفرُ من نَعام»، و«أشْرَدُ من ظَلِيم». ومعنى البيت: إني أُثَبِّتُ نفسي عندما يَبدَهُ من ذُعْرِ الحرب، ويَفجأ من روعة القتال، فأخاطب نفسي إذا هَمَّت بالإحجام، أو وُسْوِسَ إليها وجوبُ الانهزام: ٱلزَمِي مكانَكِ لم تُذْعري وقت ذُعْرٍ. وقوله «مكانَكِ» أمرٌ، وهو موضوعٌ موضعَ الفعل الذي عَمِل فيه، ومكتفًى به عنه، فهذا إيجابٌ. وقوله «لما تُشْفِقِي حين مُشْفَقِ» تأنيسٌ، أي لم تخافي وقتَ مخافةٍ. فهما كلامان. والإشفاق: الذُّعْرُ، وقد يختلط بالنُّصْح ويتجرّد عنه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: الآية ٢٦].

٢ ـ مكانَكِ حتى تَنظُري عَمَّ تَنجَلي ... عَمَايَةُ هذا العارِضِ المتألِّقِ[١]

يقول: أستَأني وأتَرفَّقُ، وأقول في تلك الحالة، تماسَكِي يا نَفسُ واحفظي مكانَكِ إلى أن يتبين لكِ عن أيِّ شيءٍ تنكشف لك ظلمةُ هذا العارض المتشقق بالبَرْق. والعارِضُ، أصلُه في السَّحاب، وهٰهنا أراد به الجيش. وجعل التألُّق مثلًا لِلَمَعان الأسلحة. ويقال ائتلق البَرْق أي تلألأ، وتَألَّق. والعَمَايةُ: الظلْمَة والهَبْوَة. ويروَى: «غَيَاية هذا العارض» وهي في طريق العَمَاية لأنهما من الغَيِّ والعَمَى، وقد تُوسِّع فيهما. وإنما طلبَ من النَّفس الصَّبرَ إلى ذلك الوقت، لأنَّ مَن ثَبَتَ في الحرب إلى انكشاف الحال فيهِ فقد أعطاها حَقها.

١٢٥ ـ وقال موسى بن جابرٍ: [الطويل]

١ ـ وقلت لزيدٍ لا تُتَرتِرْ فإنَّهم ... يَرَوْنَ المَنَايَا دُون قَتْلِكَ أو قَتْلِي[٢]

التَّرتَرة: العَجَلة. وحكى الدُّرَيدِيُّ أنها كثرة الحركة، فهي كالتَّلْتَلة. ورُوِيَ الحديث: «تَلْتِلُوهُ ومَزْمِرُوهُ» بالراءِ واللام جميعًا. ويُرْوَى «لا تُبَرْبِرْ»، والبَرْبَرَةُ؛ كثرة

---

(١) ذكر التبريزي بعد هذين البيتين بيتين آخرين:
«وكوني مع التالي سبيلَ محمدٍ ... وإن كذبتْ نفسُ المقصّر فاصدقي
إذا قال سيفُ الله كرّوا عليهم ... كررنا ولم نحفل بقول المعوّق»

(٢) التبريزي: «قلت لزيد».

الكلام، وكذلك الثَّرثرة بالثاء، ورَجُلٌ ثرثارٌ. ويقال: ما أكثَرَ بَرْبرَتهم، إذا ماجُوا في الكلام. ومنه سُمِّيَ البَرْبَر: جِنسٌ من المغاربَةِ، وكذلك البَزْبَزَة بالزاي: كثرة الحركة. وقد رُوِيَ: «لا تُبَزْبِزْ». ويقال: ما أكثر بزبزتهم، ورجل بَزْباز وبزَابِزٌ، إذا كان يكثرُ حركاتُه ويخِفُّ فيقول: لا تَعْجَلْ يا زَيْدُ، أو لا تُكْثِر كلامَكَ ولا تَضْطَرِبْ، فإنَّ القومَ يَرَون الصبر على المنايا ويخفُّ عليهم ويقلّ عندهم إذا ثبت فيه قَتْلُكَ أو قَتْلِي لهم. وانتَهَزُوا في تحصيل أحدهما فُرَصهم. ويكونُ «يَرَوْنَ» في هذا الوجه من الرَّأي، كما يقال فلانٌ يرَى في دينِهِ أو في مروِّتِهِ كذا، أي يتَّخِذه مَذْهَبًا ويدومُ عليه. ويجوز أن يريد بيرَوْنَ المنايا: يُقاسُون الشَّدائد، ويذوقون المنايا، ولم يَصِلُوا بَعْدُ إلى قتْلِي أو قَتلِكَ. ويكون معنى «دون قَتْلِك» كما يقال «دُونَ هذا الأمر خَرْطُ القَتَاد»[1]، وكما قال بِشْرٌ: [الطويل]

ومِـنْ دُونِ لَيْـلَى ذو بَـحَـارَ ومَـنْـوَرُ[2]

ومعنى يَرَى كما يُقال: لو عَلِمْتَ ماذا رأيتُ من فلانٍ، يراد أيَّ شيءٍ مارَسْتُ وكايَدت. والكلام في المعنى الأول تصويرٌ لَحال القوم في عداوتهم، ونَهْيٌ عن المعالجة معَهُم، وبَعْثٌ على مصابرتهم ومحاذرتهم. وعلى المعنى الثاني يكون تثبيتًا لصاحبه وتشجيعًا، وتسكينًا منه وتصبيرًا، فيكون مثل قَوْله:

أقـولُ لـنـفـسـي حـيـن خَـوَّدَ رَأْلُهَـا[3]

وكأن أبا تمامٍ تَصَوَّر هذا المعنى، فلذلك ألحَق الأبيات بما يليها.

٢ ـ فإنْ وَضَعُوا حَرْبًا فَضَعْها وإن أبَوْا فَعُرْضَةُ عَضّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أو مِثْلِي

يقول: إن حَطُّوا الحرب أو اطَّرَحُوها، وراموا المسالمة والمتاركَةَ فيها، فاتَّبِعْهُمْ في ذلك واقْتَدِ بِهِمْ، وإن أبَوْا إلا الشَّرَّ فالقَوِيُّ على عِضَاضِ الحَرْبِ والصَّبُور على

(١) ورد في مجمع الأمثال ١:٣٧٥ بلفظ: «دون غُلَيَّان خرط القتاد، وغليّان اسم فحل، يضرب للمتمنع».

(٢) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ٨٠ واللسان (نور)، وتاج العروس (بحر، نور)، ومعجم البلدان (بحار، منور). وصدره:

«أليلى على بعد المزار تذكر»

(٣) البيت الأول من الحماسية رقم (١٢٤)، وعجزه:

«مكانك لمّا تشفقي حين مشفق»

لزامِهَا مِثْلُكَ أو مثلِي، والمعنى: أنا وأنت. وهذا كما يقال: مثلُه لا يغتَاض منه، والمَعْنى هو لا يُغْتَاضُ منه. ويقول: فلانٌ عُرْضَةُ الشَّرِّ، إذا كان قويًا عليه.

٣ ـ وإن رَفَعُوا الْحَرْبَ العَوَانَ التي تَرَى فَشُبَّ وقُودَ الحَرْبِ بالحَطَبِ الجَزْلِ

جَعَل الرَّفْع في مقابلة الوَضْعِ من البيت الأول، والمعنى: إنْ هَيَّجُوها. والعَوَانُ: التي قُتِلَ فيها مَرَّة بعد أخرى، فتقادَمَ وتطاول لَبْثُها، واتَّصل هيجانُها، واتَّسَعَ نَفَيانُها، وهذا على التَّشبيه بالعَوَان من النِّساء. فهو كما وصفها غيرُه ـ لَمَّا أراد ابتداءها وجِدَّتها ـ بأنّها فَتَاةٌ وبِكْرٌ، فقال: [الكامل]

الحَرْبُ أوَّلَ ما تكونُ فُتَيَّةٌ تَسْعَى بِزِيَّتِها لِكُلِّ جَهُولِ[1]

وقد استعملوا البِكْرَ والعَوانَ في الحاجات أيضًا، فقال: هي بِكْرُ حَاجَاتِي، وحاجتي بِكْرٌ، وحاجَتُكَ عَوَانٌ. يقول: وإن أجَّجُوا نار الحَرْبِ العَوَان التي تشاهِدُ واستجاشُوا لها، وأثاروا كوامِنَهَا، فاسْتَجِشْ أنْتَ أيضًا وأَوْقِدْ نَارَهَا بالحطبِ الغليظ الجزْل.

١٢٦ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ إذا ذُكِرَ ابنا العَنْبَرِيَّةِ لم تَضِقْ ذِراعي وأَلْقَى باسْتِهِ مَنْ أفاخِرُ

قولُه: «لم تَضِقْ ذراعي» مَثَلٌ، ويقال: ذَرْعِي. قال الخليل: الذِّراعُ اسمٌ جَامعٌ لكلِّ ما يُسَمَّى يَدًا من الرُّوحانيين. يقول: إذا ذُكِرَ هذان الرّجلان من آبائي اتَّسَعَ نِطاق افتخاري، ورَحُبَ مَجَالي وبَاعِي، ولم تُعْيِنِي غَلَبَةٌ من أساجِله، ولم يَقْعُدْ بي ذكرهما عن الارتقاء في الفخر إلى ما لا يَطْلُعُ له مَن أُوازِنُهُ وأكابِلُه، حتى ألقاه باستِهِ دون وَجْهِهِ لتولِّيه وإعراضِه. وذِكْرُ الإست تقبيحٌ لفعله عند النُّكوصِ والانهزام، وتشنيعٌ عليه في التولِّي والإدْبَار.

٢ ـ هِلَالَانِ حَمَّالَانِ في كُلِّ شَتْوَةٍ من الثِّقْلِ ما لا تستطيعُ الأباعِرُ

يقول: هما في الاشتهار واعتلاء الشَّأن، واستضاءة الناس بنورهما، والانتفاع بمكانهما، بمنزلة هلالَيْن؛ ويتكلَّفانِ عند كُلِّ جَدْبٍ ومَحْلٍ، من الأثقال والأعباء، ما

---

(١) لعمرو بن معديكربٌ في ديوانه ١٥٤، وأمالي ابن الحاجب ٢:٦٦٦، والكتاب ١:٤٠١، واللسان (خدع)، ولامرىء القيس في ملحق ديوانه ٣٥٣.

لو صارت أجْرَامًا لَعَجزَ عن النهوض بها وتحمُّلِها البُعْرانُ. فإن قيل: إذا كان قَصْدُه في تَحَمُّل الأثقال إلى قِرَى الضَّيف، ونَحْر الجزور وقِسْمَتَها في المَيْسِرِ، والصَّبر على المُؤَنِ، والنُّهوض بالكُلَفِ، فكيف قال حَمَّالَانِ من الثِّقْل ما لا يستطيع الأباعِرُ؟ وكيف مَثَّلَ ما يَثقل على القُلوب من الغَراماتِ والحقوق، بالأوقار التي تثقُل على الظُّهور؟ قلتَ: إنّما يريدُ أنَّ تلك المُؤَن والتكاليفَ التي يلتزمها، ويَسْعَى بها وفيها، لو جُسِّمَتْ ثم حُمِلَتْ، لكانت الجمالُ لا تستقلُ بها، ولا تَقْوَى عليها، فهذا وَجْهٌ. ويجوز أن يكون لمّا قال حَمَّالَانِ في كل شَنْوَةٍ من الثقْل، جَعَلَ لِفِقَهُ ما لا تستطيع الأباعر، إذْ كانت الْجِمَالُ وأشباهُها هي التي لحمل الأثقال خلِقَتْ، وبها اشتهرتْ، وليكون في اللفظ توافُقٌ، مع الأمن من عارضِ الالتباس. ويكون هذا كما قال(١) غيره: [الوافر]

ألا هَـلَكَ امـرؤٌ ظَـلَّتْ عـليـه ... بِـجَـنْـبِ عُـنَـيْـزَةٍ بَـقَـرٌ هُـجُـودُ
سَـمِـعْـنَ بـمَـوْتِـهِ فَـظَـلِلْنَ نَـوْحًـا ... قِـيَـامًـا مـا يَـحِـلُّ لـهـنَّ عُـودُ

ألا ترى أنّه لمّا كان قد كَنَى عن النساء بقوله «بقرٌ هجود» عَبَّرَ عن إمساكهنّ عن الطعام تحزُّنًا بقوله «ما يَحِلُّ لهن عود» إذْ كانَت البَقَرُ وما يجانسها من البهائم تعتلف العُود وما يكون كالعُودِ. وليس ذلك إلّا لِطَلَبِ الموافقة في اللفظ، مع الأمْنِ من اللَّبس. فأمّا قولُ لَبِيدٍ: [الرمل]

فـإذا جُـوزِيـتَ قَـرْضًـا فـاجْـزِهِ ... إنما يَجزِي الفَتى ليس الْجَمَلْ(٢)

فمعناه إنّما يَعْرِفُ النِّعَمَ وما يَجب لها من شُكْرِ المُنْعِمِ أربابُ العقول وذوو التَّمييز، لا البهائم. فمتى أزِلَت إليْكَ نِعْمَةٌ فكُنْ من المجازاة عليها بمَرصَدٍ، فإنّ معرفةَ ذلك والأخذَ به من تمام العقل، ويوجِبهُ المميِّزون وأولو الْحِجَى، لا غيرهُم ممّا لا تَمييز له، ولا معرفة بذلك عنده. وذكَرَ الْجَمَل مُكتفِيًا وإن كان القَصْدُ جِنْسَه أو أجناسَ مِثْله. وفي طريقةِ ما نحن فيه قول أبي تَمّام إلّا أنّه فَصَلَ بين المنزلتين،

(١) الأول لمرة بن شيبان في اللسان (هجد)، وبلا نسبة في اللسان (نوح، خلل). والثاني لامرأة من بني حنيفة في شرح اختيارات المفضل ص ١٢٠٢، وبلا نسبة في اللسان (نوح، خلل)، وجمهرة اللغة ١٠٧، ومجالس ثعلب ٢٤٨.

(٢) للبيد في ديوانه ١٧٩، واللسان (قرض)، وتهذيب اللغة ٨: ٣٤، وأساس البلاغة (جزي)، وجمهرة الأمثال ١: ٥٧، وخزانة الأدب ٩: ٢٩٦.

وهو: [الكامل]

والصَّبْرُ بالأرْوَاحِ يُعْرَف فَضْلُهُ   صَبْرُ الملوك وليس بالأجسامِ

١٢٧ ـ وقال: [الطويل]

١ ـ ألَمْ تَرَيَا أنّي حَمَيْتُ حَقِيقَتِي   وبَاشَرْتُ حَدَّ المَوْتِ والمَوْتُ دُونَهَا

الحقيقة: الخَصلة التي يحِقُّ على الإنسان حمايَتُهَا. وقال الخليل: الحقيقة: ما يصير إليه حَقُّ الأمر ووجوبُه. وقوله «ألَمْ تَرَيَا» تقريرٌ للغير على ما كان من بلائه. يقول: ألم تَعْلَمَا أنّي ذَبَبْتُ عَمَّا يَجِبُ عليَّ الذَّبُّ عنه، وباشرت الموت بنفسي، والموتُ دونَ حماية الحقيقة. يريد أنَّ المحافظةَ على الشرَفِ أشقُّ من اقتحامِ الموتِ والاستقتال، لأنه يَحتاج أن يُصْبَر فيه من المكارِه على ما لا يُحَدُّ ولا يُحْصَرُ، ويُتَكلَّفُ له من المشاقّ ما لا يُعَدُّ ولا يُضبط. فهذا وجْه. والضَّمير من قوله «دُونَها» يرجع إلى ما دَلَّ عليه حَمَيْتُ من الحِماية والحِفْظِ. ويجوز أن يكون قولُه «والموت دونها» أي قريبٌ من الحقيقة التي دفَعْتُ عنها أو من الحماية التي التزمْتُها، وحائِلٌ بيني وبينَها، ويكون هذا بيانًا لكيفية مباشَرَته لحدِّ الموت ومشافَهَته إيّاه على سَمْتِ القُرْب، والواو من قولِهِ «والموتُ» واوُ الحال. وإذا جَعَلتَ المعنى الأول فيكون الكلامُ بيانًا لتفضيل حماية الحقائق على مباشرةِ المَنَايَا.

٢ ـ وجُدْتُ بِنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا   وقُلْتُ اطمئنّي حين ساءَت ظُنُونُهَا

يصف ابتذالَهُ نفسَه فيما تعنّاه على حاجَةٍ من العشيرة إلى بقائها، وحُلولها من القلوب محلّ ما يُضَنُّ بها، فيوجِبُ صيانتَها. يقول: تسخَّيْتُ بنفس لا يُتَسَخَّى بمثلِها كرمًا وعِزَّةً، وشَرَفًا وأبَّهَةً، وقلْتُ تثبيتًا لها: اسكُنِي واصبِري عند استيلاء الرُّعب عليها، واختلاف الظُّنون بها. وهذه إشارةٌ إلى ما يلحق النّفسَ في الأوّل من الالتقاء، للوهلة العارضة، والفجعة المروّعة. ومِثْلُه: [الطويل]

أقولُ لنفسي حين خَوَّدَ رَألُهَا   مكانَكِ لَمَّا تُشْفَقي حين مُشْفَقِ[1]

٣ ـ وما خَيْرُ مَالٍ لا يَقِي الذَّمَّ رَبَّهُ   ونَفْسِ امرِىءٍ في حَقِّهَا لا يُهِينها[2]

(١) البيت الأول من الحماسية رقم (١٢٤).   (٢) التبريزي: «بنفس امرىء».

لفظُه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى الإنكار الذي يَجري مَجرَى النَّفْي. يقول: أيُّ خَيْرٍ في مالٍ لا يصون صاحبَهُ من ذمٍّ وعارٍ، ولا يحميه من لُحُوقِ تَهجِينٍ وشَنَارٍ؟ وأي شيءٍ غَنَاءُ نَفْسٍ لا يبتذلها صاحبُها في استيفاء حقوقها، ولا يُتعِبُها في الدِّفاع دون حقائقها؟ وهذا الكلامُ تبرُّؤٌ من التحمُّد بما كان منه من إنفاق المالِ، وابتذال النَّفْسِ. ومثلُه قول الآخر: [الطويل]

ويَبتَذِلُ النَّفسَ المصونَةَ طائعًا إذا ما رَأى حَقًّا عليه ابتذالَها[١]

١٢٨ ـ وقال: [الطويل]

١ ـ ذَهَبْتُم فَلُذْتُم بالأميرِ وقُلْتُمُ تَرَكْنَا أَحَادِيثًا ولَحْمًا مُوَضَّعَا[٢]

يخاطِبُ قومَه ويلومُهم على ما كان منهم من القعود عن نُصْرَته، والنُّكوص عن مشايعتِه، واعتلالهم عند اعتذارِهم من ذلك بالمعاذير المَشُوبَةِ بالكذِب، التجأْتُم إلى الأمير وقُلْتُم تَرَكْنا قوْمَنا يقولون ولا يَفعلون، وعند تَسَلُّط الأعداء عليهم لا يمتنعون منهم ولا يدافعون، فهم كاللحم المُبَضَّع على خِوان الجزّار، تمتدّ الأيدي على توضُّعِه إليه، وتتعلّق الأطماع بتناوله وأخذه. ويكون هذا كقول الآخَر: [الوافر]

رَضُوا بصفاتِ ما عَدِمُوه جَهْلًا وحُسْنِ القَوْلِ من حُسْنِ الفِعَالِ

هذا إذا رَوَيْتَ «تَرَكْنَا» بفتح التاء، وإنْ رَوَيْتَ بضم التاء كان المعنى: ادّعيتم علينا فيما نابنَا، وعندما هَمَمْتُم به من مفارقتنا وخِذْلاننا، أنّا تُرِكْنا أُحدوثةً للناسِ قبيحةً، يقومون ويقعدون بذِكْرِنا، وأذلّاءَ مهتضمين لا دِفاعَ بنا، ولا امتناع من مَذَمَّةٍ في طباعِنَا. والموضَّع: المُقَطَّع المُفرّق في مواضع.

٢ ـ فَمَا زَادَنِي إلّا سَنَاءً وَرِفْعَةً وما زادَكُم في الناسِ إلا تَخَضُّعَا

يقول: لم يَزِدني فِعلكم وقوْلُكم عند اعتلالكم في مفارقتكم إلّا ارتفاعَ مَحَلٍّ، وسُمُوَّ حالٍ، وجَلالةَ قَدْرٍ، ولم يَزِدْكم في الناس إلا تراجُعًا وتذلُّلًا، وتصوُّرًا بالقبيح وتسقُّطًا، لأنّ مَن لا يَصْلُح لعشيرته وأقْرَبِيهِ، وفصيلته وذَوِيه، لم يَسْكُن إليه البعيد الذي يُؤْوِيه، والمُستَعان به لما يرتجيه.

٣ ـ فَمَا نَفَرَتْ جِنِّي ولا فُلَّ مِبْرَدِي ولا أَصْبَحَتْ طَيْرِي من الخَوْفِ وُقَّعَا

---

(١) البيت عند التبريزي ١: ٢٦٥ بلا نسبة. (٢) التبريزي: «ولذتم».

وهذا يحتمل وجوهًا: يجوز أن يريد لم يَنخزل ـ لما أتيتم وأخبرتم ـ أصحابي الذين هم كالجن، ولا فُلّ لساني الذي هو كالْمِبْرَدِ، ولا ذُعِرَ جاشي فصار طَيْري واقعةً. ويكون الأوّل كقول الآخَر: [الطويل]

عَـلَيْـهِـنّ فِـتْـيَـانٌ كـجِـنَّـةِ عَـبْـقَـر

وتشبيه اللّسان بالْمِبْرَد وحَدّ السيف أكثرُ من أن يُحتاجَ له إلى شاهد. وقد قيل في «نفرَتْ جِنّي» إنه مثَلٌ لفَلَتَاتِه وبَدَراتِه، ويكون هذا كما وصف امرؤ القيس فرسَه بالمرح وحِدَّةِ القلب فقال: [الطويل]

بـه طـائـفٌ مـن جِـنَّـةٍ غَـيْـرِ مُـغْـقِـبِ[١]

وإنّ ذِكْرَهُ الْمِبْرَدَ مَثَلٌ لصلاحِه، وإنّ ذِكرَهُ الطير مثلٌ لصيته وذِكرِه الذاهبِ في الناس. ويجوز في هذا الوجه أن يريد به ذكاءه ونشاطه وشهامتَه، فقد قيل في ضِدّه: هو ساكِنُ الطائر، وكأنّ على رؤوسهم الطّير. ويجوز أن يشير بالْجِنّ إلى ما يدّعيه الشُّعراء من أنّ لكلّ واحدٍ منهم تابعًا من الجنّ يستعين به فيما يَحزُبُه، ويُجعلُ المُرادَ بالْمِبْرَد في هذا الوجه اللسان لا غير. ويجوز أن يريد بالطّير سَرَاياه وطوائفَ خيْلِهِ التي يطيّرُها للغارات والارتِباء، وتجسُّس الأخبار وغيرِها.

١٢٩ ـ وقال حُرَيْث بن جَابِرٍ[٢]: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرُكَ ما أنْصَفْتَنِي حين سُمْتَنِي   هَوَاكَ مع الـمَوْلَى وأن لا هَـوَى لِيَـا

العَمْرُ والعُمْر لغتان، ولا يُستعمل في القَسَمِ إلّا بفتح العين. وأنْصَفْتَنِي: أعطَيْتَنِي النَّصَفَةَ والنِّصْفَ. ويقال: انْتَصَفْتُ من فُلَانٍ، أي استوفَيْتُ حَقّي منه كاملًا حتّى صرت أنا وهو على النِّصف سواءً. ومعنى سُمْتَنِي: جَشَّمْتَنِي خُطّةً من الشّرّ. ويقال أيضًا: سَام فُلَانٌ فُلَانًا، إذا داوَمَ عليه وألحّ في شيءٍ. يقول: وبقائك ما أعطيتَني النَّصَفةَ حين عَرَضْتَ عليّ الرِّضا بأن يكون لَكَ هَوًى مع مَوْلَاك، حتّى تنتقم لَهُ وتَذُبّ دونه، وألّا يكون لِي هَوًى مع مَوْلَاي وأُخَلِّيَ بينه وبين أعدائه. قولُهُ «وأن لا هَوى لِيَا» أراد: وأنّهُ لا هَوًى لِيَا.

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ٤٩، واللسان (عقب، خضد، عرر)، وديوان الأدب ٢: ١٥٢، وأساس البلاغة (خضد).

(٢) التبريزي: «وقال حريث بن جابر بن سَرِيّ بن عبد بن ثعلبة بن يربوع بن الدئل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل».

٢ ـ إذا ظُلِمَ المَوْلَى فَزِعْتُ لِظُلْمِهِ فَحَرَّكَ أحشائي وهَرَّت كلابيا

يُبَيِّنُ كيفَ يتعَصَّبُ لمَوَاليه، وكيف يأنَفُ من اهتضام يَلْحَقُهُمْ، يقول: إذا اهتُضِم حليفٌ لي أو ابنُ عَمٍّ، ذُعِرْتُ لامتهانه واهتضامه، فاضطربَ أحشائي ونبحَتْ كلابي. والمعنى: لم أعْتَدِ الهضيمة فيمن يتَّصِلُ بي، ويتسبَّبُ إليّ، فإذا اتَّفق وقُوعُها صارت كلابي تَنبحُ، وأخذَتْ نَفسي تَقْلَق. فيجوز أن يكون تحركتْ أحشاؤه لوَجيبِ قلبِه وخفقانه، ونبحَتْ كلابُه لتهيُّئِهِ للانتقام، وتدجُّجه في السِّلاح له، وتجمُّع أصحابه وإعدادِهِم الخَيْل والرَّجْل لإغاثته. والكلبُ يُنكِرُ أصحابَه إذا رآهم بهذه الأحوال فينبحُ. أنشدَ الأصمعي في مثلِهِ: [الطويل]

أُناسٌ إذا ما أنكَرَ الكلبُ أهْلَهُ حَمَوْا جارَهُمْ من كل شنعاءَ مُظْلِمِ[(١)]

ووجهٌ آخر، وهو أن يكون تحرَّكت أحشاؤه لاضطرابه في جَمْع من يَجْمَع، وإعدادِ ما يُعِدُّ، والمتسرِّع في الشيء يلحقُه ذلك، ومثله: [الطويل]

أشارَتْ له الحربُ العَوَانُ فجاءَها يُقعْقِعُ بالأقراب أوّلَ من أتَى

فقعقعة الأقرابِ كتحرُّك الأحشاءِ وأكثرُ. ويكون معنى فَزِعْتُ أغَثْتُ على هذا. ومثلُه قوله: [الطويل]

حَلَلْنا الكَثِيبَ من زَرُودَ لِنَفْزَعا[(٢)]

أي لنُغيث. ويجوز أن يكون أرَاد بالكلام الأصحابَ، ويكون مثل قول الهُذليّ[(٣)]: [الطويل]

ولا هَرَّها كَلْبي ليَبْعُد نَفْرُها ولو نَبَحَتْنِي بالشَّكَاةِ كِلَابُهَا

فقد فُسِّرَ في بعض الوجوه على هذا. وكذلك قول تأبّط شرًا: [البسيط]

لَيْلَةَ صَاحُوا وأغرَوْا بي كلابَهُم[(٤)]

---

(١) لطفيل الغنوي في الحيوان ٢:٧، وبلا نسبة في الأمالي ١:٥٥، والتبريزي: ١:٢٦٧.

(٢) للكلحبة اليربوعي، هبيرة بن عبد مناف في اللسان (زرد، فزع)، وتهذيب اللغة ٢:١٤٦، وتاج العروس (زرد، كأس)، والكامل ١٣١٣. وصدره:

«وقلت لكأس ألجميها فإنما»

(٣) لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١:٨٠.

(٤) لتأبط شرًا في ديوانه ١٣٢، واللسان عيك، ومجمل اللغة ٢:٤٣٠، وتاج العروس (برق، عيك)، وشرح اختيارات المفضل ص ١٠٨، وعجزه:

«بالعيكتين لدى معدى ابن براق»

فُسِّرَ على ذلك أيضًا.

١٣٠ ـ وقال البَعيثُ بن حُرَيْثٍ[١]: [الطويل]

١ ـ خَيالٌ لأمِّ السَّلْسَبِيلِ ودُونَها مَسِيرَةُ شَهرٍ للبَرِيدِ المُذَبْذَبِ

خبر الابتداء محذوف، كأنّه قال: خَيَالٌ لهذه المرأة أتاني أو زارني، وبيني وبينها مسيرة شهرٍ للبَريد المُسْرِع المتعجِّل. كأنّه استَطْرَفَ من الخيال ما كان يستطرفُهُ من المرأة لو زارتْ. وقوله «البريد المُذَبْذَب» كما يُقَالُ للسائق الحاثّ طَارِدٌ. ألا تَرَى قولَه يصِفُ فَرَسًا: [الطويل]

وَيَسْبِقُ مطرودًا ويَلْحَقُ طارِدا

لأنَّ المذبذَبَ والمُذبَّبَ الأصل فيهما واحدٌ، يَرْجِعُ إلى الطَّرْدِ والاستعجال. والمُسْرِع المُسْتَعْجِل يتذبذَبُ، أي يضطرب. فأمّا قولُه تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النِّساء: الآية ١٤٣] فهو من صفة المنافقين، ومعناه مطرودين بين المؤمنين والكافرين، فليسوا بمقبولين عند واحدة من الفرقتين. ومثلُ ذَبَّ وذَبْذَبَ، كَبَّ وكَبْكَبَ. فإن قيل: لم نَكَّر فقال خيالٌ لأمِّ السلسبيل؟ قلتَ: يجوز أن يكونَ كان يرى خَيَالَها على هيئاتٍ مختلفة، فاعتقَدَ لاختلاف هيئته أنّه عِدَّةُ خَيَال، فلذلك نكَّرَهُ، كأنه قَصَدَ إلى واحدٍ منها، ومثله: [المتقارب]

خَيَالٌ لزَينبَ قَدْ هَاجَ لي نُكَاسًا من الحبِّ بعد اندِمَالِ[٢]

٢ ـ فَقُلْتُ لَها أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَرَدَّتْ بتأهيلٍ وسَهلٍ وَمَرْحَبِ

حكى ما دارَ بينه وبين الخيالِ، والخيالُ يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ. ونبَّه بكلامِهِ على أنّهُ أظهر لها قبولًا حَسَنًا، وبِشْرًا وطَلَاقَةً، فِعْلَ المتشوِّفِ لها، المتشوِّقِ إلى لقائها، وأنه تلقاها بالترحيب والتأهيل ساعة طلوعها، فأجابته بمثل ذلك. وانْتَصَبَ أَهْلًا بفِعْلٍ مُضْمِرٍ كأنّه قال أتَيْتَ أهْلًا لا غُرَباءَ، وَسَهلًا مِنَ المنازِلِ لا حَزْنًا، ورَحْبًا من الأماكن لا ضَيِّقًا: والتأهيل: مصدر أَهَّلْتُهُ أي قلتُ له أهْلًا. وكان يجب أن يقول فردَّت بتأهيل وتسهيل وترحيبٍ، لو أتى بالكلام على حِدٍّ واحِدٍ، لكنّه أتى في بعضه بحكاية اللّفظ،

---

(١) التبريزي: «هو ابن حريث بن جابر الذي مضى ذكره».

(٢) لأمية بن أبي عائذ في شرح أشعار الهذليين ٤٩٥، واللسان (نكس، دمل)، وتاج العروس (نكس).

وفي بعضه ببناء الأخبار. وقال سيبويه: إذا قال الرَّادُ وبك أهلًا، فإنَّما يقول: أنت عندي بمنزلة من يقال له هذا لو جِئتني. وإنما قال هذا لأنَّ الحال لا تقتضي منَ الزَّائر أن يُصَادِفَ الْمَزُورَ عندَهُ ذلك، فحمل الكلامَ ـ وقد اعتيد فيه ما ذَكَرَهُ ـ على أنه يُرَادُ لو جئتني لكنتَ بهذه المنزلةِ.

٥ ـ مَعَاذَ الإلٰهِ أن تَكُونَ كَظَبْيَةٍ ولا دُمْيَةٍ ولا عَقِيلَةِ رَبْرَبِ

معاذَ انتَصَبَ على المصدر، والمعنى: أستعيذُ بالله أو أعوذ به معاذًا، كأنّه أنِفَ وصار يَرْبأ بصديقته أن تكون في الحُسْنِ بحيث تشبَّهُ بالظَّبْيِ أو الظبْيَةِ أو بالصورة المنقوشةِ، أو بكريمةٍ من بَقَرِ الوَحْشِ، إذ كانت هذه الأشياءُ عنده دونَهَا، وقاصِرَةً عن رُتْبَتِها. وقد سَلَكَ من المتقدمين امرؤ القيس هذه الطريقة فقال[1]: [الطويل]

كأنَّ دُمًى سَقْفٍ على ظَهْرِ مَرْمَرٍ كسا مُزْبِدَ السَّاجوم وَشْيًا مُصَوَّرَا
غرائرُ في كِنٍّ وصَوْنٍ ونَعْمَةٍ يُحَلَّيْنَ ياقوتًا ودُرًّا مُفَقَّرا

فشبَّهَ الدُّمَى بالنِّساء لا النِّساء بالدُّمى. ومما يستحسن من هذه الطريقة قول أبي تمام: [البسيط]

كأنما جَادَ مَغْنَاهُ فَغَيَّرَهُ دُمُوعُنَا يَوْمَ بانوا وهي تَنْهَمِلُ

لأنه شَبَّهَ الأمطارَ المغيِّرَةَ لرُسُوم الدِّيار بدموع العُشَّاقِ في إِثْرِ الأحْبَابِ يومَ الفِراق. والعقيلة: الكريمة من النِّساء والدُّرِّ وكلِّ شيء. والرَّبْرَبُ: القطيع من البقر.

٤ ـ ولكنَّها زادَتْ على الْحُسْنِ كُلِّهِ كمالًا ومِن طِيبٍ على كلِّ طَيِّبِ

يقال: زدتُه فزاد وازداد جميعًا. وكمالًا ينتصب على التمييز، والمعنى أنها يزيد حُسْنُها على كلِّ حُسْنٍ كمالًا، لأنَّه لا حُسْنَ إلا وتدخُلُه نَقِيصَةٌ، سِوَى حسنِها. وكذلك كلُّ الطيِّب يتخلّله حَطيطة إلّا طِيبَها. و«من طِيبٍ» أي وزادَتْ من طيبها على كلِّ طيِّبٍ طيبًا. والغَرَض أن يبيِّنَ لم أنكر لها تشبيهها بغيرها، فقال: هي تترفَّع عن ذلك: إذْ كانت جامعةً للمحاسِن، مستحِقَّةً للوَصْفِ بالكمال، وإذْ كان كل واحدٍ من تلك الأشياء استبَدَّ بصفَةٍ دون صِفَةٍ، ويَتفرَّدُ بنوعٍ دون نوع.

٥ ـ وإنَّ مَسِيرِي في البِلادِ ومَنْزِلي لَبِالمنزلِ الأقْصى إذا لم أقَرَّبِ

(١) لامرىء القيس في ديوانه ٥٨، والبيت الأول في اللسان (سجم).

يقول: مكاني الذي أسير فيه من البلاد، وموضعي الذي أنزل فيه، لَأَبْعَدُ المنازل، وأوضع المساير، إذا لم يلحقْني فيها تقريبٌ وتعظيم. وقولُه «أقرَّب» بمعنى أكرَّم وأُدنى، على طريق الإعظام. وليس يريد تقريب المسافة به. ويجوز أن يكون المعنى إذا لم أُقرّب كنت بمنزلة المطرودِ المنفِيّ، وإن كنت مقيمًا دانيًا. وكان الواجب أن يقول لبالمَنْزِلِ والمسير؛ فاكتفَى بأحدهما، وآثَرَ المنزلَ بالذِّكر لأنّ النُّزول لا يكون إلا بعد السير. ودَلَّ بهذا الكلام على أنّه لا يَرْضَى في متَصرَّفاته إلّا بما يَقْضِي بتبجيله، ويُفضي إلى اصطفائه والرفع منه؛ وأنّه لا يصبر على الهوان والجفاء حيثُ سار ونَزَلَ، بل يَطْلُبُ إكرامَهُ وإلّا انتقل وتحوّل.

٦ ـ ولَسْتُ وإن قُرِّبْتُ يَوْمًا ببائعٍ خَلَاقِي ولا قومي ابتغاءَ التَّحبُّبِ

يقول: لستُ وإن أُدنِيت وبُجِّلتُ ببائع نصيبي من شَرَفِي، وموضعي من عشيرتي، طلبًا للتحبُّب إلى من أجاوِرُهُ وأعاشِرُهُ، أو تهالكًا في تعليق الطَّمَع بمن أرجوه وآمُلُه. والخَلَاقُ: الحظُّ والنَّسيب من الصّلاح. ويقال: ما لفُلَانٍ خَلاقٌ، إذا لم يكن له رغْبةٌ في الاستصلاح واكتساب الخير. وانتصب «ابتغاء التَّحَبُّبِ» على أنه مفعولٌ له.

٧ ـ ويَعْتَدُّهُ قومٌ كثيرٌ تجارَةً ويَمنعني من ذَاكَ دِينِي ومَنْصِبي

يقول: وَيَعُدُّ ما تبرّأتُ منه وأنِفتُ من فعله كثيرٌ من الناس تجارةً رابحة، وصفقةً مفيدة نافِعَةً، وأنا يدفعني عنه ويزهِّدني فيه شرفي وديانتي. وهذا القول يجوز أن يكون تنزيهًا لنفسه، وتزكية لفَعَالِهِ وخُلُقِه فَقَط، وأن يكون القصد منه التعريض بغيره. وهذه الأبيات وإن كان في جملتها ما ليس من الباب فإنّه كرِهَ تبديدها لسلامتها من العَابِ، ووفورِ حظِّها من الانتخاب.

٨ ـ دَعَانِي يزيدٌ بعد ما ساء ظَنُّهُ وعَبْسٌ وقد كانَا على حَدِّ مَنْكَبِ

ما قَدَّمَهُ تَوَصُّلٌ إلى بيان مراعاته أمْرَ العشيرة، والتعطُّفَ على القريب وقتَ الحاجة، والتمسُّكَ بما يوجبه الكَرَمُ والحرّيّة. يقول: دعاني هذا الرجلُ وصاحبُه مستغيثَين، بعد سوء ظنّه بعشيرته وبي لما أَسْلَفَ من الشرّ، وقَدَّمَ من العُقوق والإيذاء، وقد كانا أشرَفَا على حَدِّ الهلاك. هذا إذا روَيتَ بفتح الكاف مَنْكَب، والمعنى: شافَهَا حَدُّ الشرّ وحَرْفُهُ، ولا يأمنان اقتحامَهُ وتوسُّطَه. ويقال: أصابَهُ نَكْبٌ من الدّهرِ ومَنْكَبٌ ونَكْبَةٌ ونُكُوبٌ كثيرةٌ، ومنه قيل حافرٌ نَكِيبٌ ومنكوبٌ، إذا أثَّرَ فيه

حجرٌ أو غيره. ويروَى «على حَدّ مَنْكِب» بكسر الكاف، والمعنى: كانا مُهاجرَينِ لي. يقال: فلانٌ معي على حَدّ مَنْكِبٍ، أي كلما رآني ٱلْتَوَى ولم يتلقّني بوجهه، وتنكّبَ عنّي؛ أي اجْتَنَبَني. والمَنْكِبُ من كلّ شيء: جانِبُه وناحيَتُه. ومثله قولُهم: فلانٌ يلقاني على حَرْفٍ؛ وهو منحرفٌ عني ومتحرّفٌ. ويجوز أن يريد بقوله «بعد ما ساء ظنُّه» بعد تَسَلُّط اليأس والقنوط من الحياة عليه.

٩ ـ وقد عَلِمَا أنّ العشيرَةَ كلَّها   سِوَى مَحْضَرِي من خاذِلِينَ وغُيَّبِ

دَلَّ بهذا الكلام على الضرورة الداعية إلى الاستعانة به، والاستظهار بدعوته وإجابته. يقول: استغاثا بي متيقّنَينِ أنّ كلّ عشيرتهما إذا لم أحْضُرْ من بين شاهدٍ لا يَنْصُر، وغائبٍ لا يَحضُر وأنّ الكِفاية لا توجد إلّا عندي، والنُّصرَة لها لا تَحْصُل إلّا بسَعْيي. وقولُه «من خاذلين وغُيَّبِ» أراد ومِنْ بين غُيَّبٍ، فاكتفى بمِن الأوّل عن الثاني، وقد مرّ القول في مثله مشروحًا. ومعنى سِوَى هٰهنا معنى بَدَلٍ ومكانٍ. وذكر المحضَر والمراد النَّفس؛ كأنه قال: وقد علما أنّ العشيرة كلَّها بدلًا منّي ومكاني، من خاذِلٍ وغائبٍ.

١٠ ـ فكُنتُ أنا الحامِي حَقِيقَةَ وائِلٍ   كما كانَ يَحْمي عن حَقائِقِها أبِي

يقول: أعَنْتُهُما على ضعف رجائهما، وتسلّط الظنون السيّئة عليهما، جاريًا على الغاية الموروثة عن أسلافي، ومقتديًا في الذّبّ عن العشيرة، والمواظبة على حماية الحقيقة، بآبائي. ويقال: حَميت الحقيقة وحَمَيْتُ عن الحقيقة، وهو يَحْمِي عليه ويُحامِي عليه.

١٣١ ـ وقال المُثلَّم بن رِيَاحٍ(١): [الطويل]

١ ـ مَنْ مُبلِغٌ عَنّي سِنانًا رِسالَةً   وَشِجْنَةَ أنْ قُومَا خُذَا الحقَّ أو دَعَا

يقول: مَن يؤدّي عني رسالةً إلى هذين الرجلين، بأن أرضَيا الحقَّ وقوما واستوفياه، أو اتركاه فما لَكُما غيرُه وإن تسخَّطْتُماهُ، وهذا تَوَعُّدٌ واستهانَةٌ. وقولُه «أنْ قُوما» أن مخفّفَة من أن الثقيلة والمراد: أنّهُ قُومَا. ومثله قولُهُمْ في: أمَا أنْ جزاك الله خيرًا، ويجوز أن يكون أن المفسّرة، كأنه فَسّرَ الرّسالة بقُومَا خُذَا الحَقّ. ومثلُه قولُهُمْ: أتفْخَرُ عَلَيّ أنْ أصحابُكَ أكثر من أصحابي. وأن هذه تجري مَجْرى أيْ في أنّه

---

(١) التبريزي: «المثلم بن رياح بن ظالم المري».

يُفَسِّرُ به. ولو قال قوما وخذا الحَقّ، فأتى بحرْفِ العطف كما قال الله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾ [المدّثّر: الآيتانْ ٢، ٣] كان أفصح. وقد جاء مثلُه بغير العاطف كثيرًا. وقوله «قوما» ليس المراد به فِعْلَ القيام، لكنه وُصْلَةٌ في الكلام، وقد بُيِّنَ فيما مضى أمثالُه. ويجوز أن يكون قوله خُذَا الحق على طريق التهكُّم والسخرية. أي إنْ قَدَرْتُما على أخذ الحقِّ المُدَّعى فَخُذَا. ويجوز أن يكون المعنى: تَرْكُكما ما سميتماهُ حقًّا، وطلبكما له عندي سواء على الحقيقة.

٢ ـ سَأَكْفِيكَ جَنْبِي وَضْعَهُ ووسَادَهُ وأَغْضَبُ إن لَمْ تُعْطِ بالحق أَشْجَعَا[1]

يقول: أكفيك ما يَمُسُّني ويخصُّني، ولا أضايقك فيما يرجِع نفعُه وضَرُّه إليّ. وذِكر وضع الجنْب والوسادِ مأخوذٌ من المَثلِ السائر في المعتَنِي بالشّيء المتعهِّد له، وهو قولهم: «أمٌ فَرَشَتْ فأَنَامَتْ»: والمعنى: لا أكلِّفُك عنايَةً بأمري، ولا أؤاخذك بمصالح أسبابي: ومتى لم تناوِل مَولاي أشجَعَ الحَقَّ، ولم تُعَامله فيما بينكما بالحقّ والعَدْلِ، غَضِبْتُ له وانْتقمتُ؛ لأن في تضييع حقِّ المولى والأخْذ بالتغميض فيه لازِمَ العارِ، وفي استعمال التَّغابي فيما يتعلّق بين واطِّراحي المُناقشة والمشَاحَّةَ فيه باقِيَ الصِّيت والجمال. قوله «إن لم تُعْطِ بالحقّ» قيل فيه مفعولُ تُعْطِ الثاني محذوفٌ، ومعنى بالحق: بالعَدْلِ والإنصاف. كأنه قال: تُعْطِ أَشْجَعَ ما يَجِبُ له بالحق. وقيل: أراد بِتُعْطِ تُعامِلْ فعدَّاه تَعْدِيَته. وقيل بالحقِّ هو المفعول الثاني، لكنه زاد الباء فيه تأكيدًا، كما قال الآخر: [البسيط]

سُودُ المحاجِرِ لا يَقرأْنَ بالسُّوَرِ[2]

ويغلب في نفسي أنّ الشاعِرَ قال: وأغضبُ إن لم تعطِيا الحقّ أشجعا، لأنه بَنَى الرسالة على أن تكون متوجهةً نحو اثنين: سِنَانٍ وشِجْنَة. ومخاطَبَتُهُ من بَعْدُ أحدَهُما في قوله سأكفيك، على عادتهم في الافتنان والتصرُّف، لا يمنع من الرجوع إلى ما بَنَى كلامَهُ عليه من ذكر الاثنين، وهذا ظاهرٌ لمن تأمّلَهُ.

---

(١) التبريزي: «هو أشجع بن سنان بن غطفان، وشجنة: اسم رجل».

(٢) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وأدب الكاتب ٥٢١، واللسان (سور)، وللقتال الكلابي في ديوانه ٥٣، وللقتال أو للراعي في خزانة الأدب ٩: ١٠٧. وصدره:

«هنّ الحرائر لا ربّاتُ أحمرةٍ»

٣ ـ تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّات فينا وفيهِمُ صِيَاحَ بَنَاتِ الماءِ أَصْبَحْنَ جُوَّعَا

يريد: تختلف الرّماح المنسوبة إلى هذه المرأة بيْنَنا وبينهم بالطَّعْنِ، فصياحها كصِيَاح بنات الماء إذا جاعت. وهذا كما حكى الآخَرُ وَقْعَ ٱلْقَنَا والسَّيْفِ عند الطَّعن والضَّرْبِ، فقال[1]: [البسيط]

والطَّعْنُ شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ

ويَعْنِي ببنات الماء طيورَ الماء. وهذا كما يقال في الوحش: بناتُ الفَلَا، وللنوائب: بنات الدَّهر.

٤ ـ لَفَفْنَا البيوتَ بالبيوت فأصْبَحُوا بَنِي عَمِّنَا من يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعَا[2]

يقول: استأنفنا حالةً جامعةً لنا ولعشيرتِنا، فاستبدلْنَا بالتبايُن اجتماعًا، وبالتَّزايُل اختلاطًا، وبالتنافر تأنُّسًا، وبالتَّشارد تألُّفًا، حتى صِرْنَا يَدًا واحدةً على المنابذين، ولسانًا واحدًا على المخالفِين، فمن رَمَى واحِدًا مِنّا فقد رَمَى جميعَنا. هذا إذا رويت: «من يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعَا». ومن روى: «من يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعا» يكون المعنى في اجتماع الكلمة أبين. وفي هذه الطَّريقة قولُ الآخر: [الوافر]

فأمْسَى كَعْبُهَا كَعْبًا وكَانَتْ من الشَّنَآن قد دُعِيَتْ كِعَابَا[3]

١٣٢ ـ وقال آخر[4]: [الكامل]

١ ـ يا زِمْلُ إنِّي إن تَكُنْ لِيَ حَادِيًا أَعْكِزْ عليكَ وإن تَرُغْ لا تَسْبِقِ

يقولُ: إنْ تَخَلَّفْتَ عنِّي حتى يكون مكانك مكان الحادي من البعير أعْطِفْ عَلَيْكَ. وإن تَقَدَّمْتَني هاربًا حتَّى تصير كالهادي ليس مستعملًا الخداع والرَّوَاغ معي لم تَفُتْنِي. والمعنى: إنّي أُدْرِكُكَ على كل حالٍ. وقد أحسَنَ النَّابغةُ في

(١) لعبد مناف بن ربع الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٦٧٤، واللسان (عضد، هقع، شغغ، عول)، وجمهرة اللغة ٩٤٥، وديوان الأدب ٣:٤٣٤، وعجزه:
«ضربَ المعوّل تحت الديمة العضدا»

(٢) التبريزي: «من يرمهم يرمنا معًا».

(٣) لمعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب في المفضليات ٢:١٥٨.

(٤) التبريزي: «وقال ابن دارة»، وابن دارة: هو سالم بن مسافع: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان هجّاء (ت ٣ هـ/ ٦٥٠ م). ترجمته في الإصابة ٢:١٠٨، وخزانة البغدادي ١:٢٩١.

قوله: [الطويل]

فإنّكَ كالليلِ الذي هو مُدرِكِي وإن خِلْتُ أنّ المنتأى عنك واسِعُ(١)

ويقال: عَسكَر واعتَكَر بمعنى عَطَفَ، وإنّه لعَكّارٌ في الفِتَن، إذا كان ثابت القَدَم.

٢ ـ إنّي امرُؤٌ تَجِدُ الرجالُ عَداوتي وَجْدَ الرّكابِ من الذبابِ الأزرَقِ

يقول: إنّي رَجُلٌ ينال أعدائي من عداوتهم لي ما ينال الإبلَ من الذُّباب الأزرق، وهذا الجنس من الذُّباب يتأذى به الإبلُ تأذِّيَ الحُمُر بالنُّعَر أو أشدّ. وعداوتي ينتصب على المفعول. كأنّه قال: يجد الرّجال من عداوتي، فحذف حَرْفَ الجرّ ووصل الفِعْل فعَمِلَ. يَدُلّ على ذلك قولُه. «وَجْد الرّكَابِ من الذُّباب». ومثله(٢): [البسيط]

أستَغْفِرُ الله ذَنْبًا لست مُحْصِيَهُ

وقوله «عداوتي» يجوز أن يكون مُضَافًا إلى الفاعل، أي عداوتي لَهُم، ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول، أي عداوتهم لي ومعنى تَجِدُ تَحْزَنُ، ولذلك كان الوَجْدُ مَصْدَرَهُ. ويجوز أن يكون تجد بمعنى تَعْلَم، ويكون عداوتي المفعولَ الأول ووَجْدَ الرّكاب المفعول الثاني. والمعنى: إنّ عداوتهم لي تُقْلِقُهم وتُنَزّيهِم، فيعلمُها الرِّجَالُ مثْلَ وَجْدِ الرّكابِ من هذا الجِنس من الذُّباب؛ أي ينالون منها ما ينال تلك منهم، ويحصل في البيت تجنيسٌ حينئذٍ.

١٣٣ ـ وقال الْحُصَيْن بن الحُمَام: [الطويل]

١ ـ فَقُلْتُ لهم يَا آلَ ذُبْيَانَ ما لَكُم تَفَاقَدتُمُ لا تُقْدِمُون مُقَدَّمَا

يقول: قلتُ لهؤلاء القوم: ما لكم تُحجِمُون ولا تُقدِمون، فَقَدَ بعضكم بَعْضًا ولا اهتَدَى أحدُكم إلى الآخَر. وهذا الكلام تَضَجُّرٌ منه بهم لمّا تخاذَلوا ولم يكونوا عند الظّنّ فيهم. وَوَضَعَ مُقَدَّمًا موضع الإقدام، وساغَ ذلك لأنّ مصادِرَ الكلمات

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٣٨، واللسان (طور، نأى)، وكتاب العين ٨: ٣٩٣، وتاج العروس (نأى).

(٢) بلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥٢٤، وخزانة الأدب ٣: ١١١، والدرر ٥: ١٨٦، وأوضح المسالك ٢: ٢٨٣. وعجزه:

«ربّ العباد إليه الوجه والعمل»

الصَّادرة عن أصْلٍ واحدٍ يوضَعُ بَعْضها مَوْضِعَ البعض لدَاعٍ يَدْعُو إذا لم يَكُنْ ثَمَّ مانِعٌ. وإنما قُلْتُ هذا لأنَّ قَدَّم يكون مرّةً متعدِّيًا، ومرة يكونَ بمعنى تقدَّم ولا يتَعدّى، ومُقدِّمًا هٰهنا ما لا يتعدَّى، فهو مِثْلُ تَقَدَّم له قَاله، ومنه مُقَدِّمةُ الجيش، يُرَادُ متقدِّمَته. وقوله «تفاقَدْتُم» اعتِراضٌ بين ما لَكُم وبين لا تُقْدِمون، وهو دعاءٌ عليهم. ومثله في الأمريْن جميعًا قولُ الآخر: [المنسرح]

إن الـثـمـانِـيـنَ وبُـلِّـغْـتَـهـا قد أحوجَتْ سَمْعِي إلى تَرْجُمَانْ(١)

وإن كان هذا دُعاءَ خَيْرٍ.

٢ ـ مَـوالـيـكُـمْ مَـوْلَى الـوِلادَةِ مِـنْـهُـمُ وَمَوْلَى الـيَـمـيـنِ حابِسًا مُـتَـقَـسِّـمَـا

إنَّما قَسَم المَوْلىَ هذه القسْمَة لأنَّ المولَى له مواضع في استعمالهم، منها المَوْلى في الدِّين: وهو الوَلِيُّ. على ذلك قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمَّد: الآية ١١]، وقول النبيّ عليه السلام: «من كُنْتُ مَوْلَاه فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ»(٢)، وقوله عليه السلام: «مُزَيْنَةُ وأسْلَم وغِفَارٌ مَوَالِي الله ورسوله»(٣). ومنها العَصَبَةُ وبنو العَمّ، وهو الذي سماه الشَّاعر مَوْلَى الوِلادة. ومنها الحليف، وهو من انضمَّ إليك واعتزَّ بعزِّكَ وامتنع بمنعِك، وهو الذي سَمَّاهُ مَوْلَى اليمين؛ لأنَّه يُقْسِمُ له عند الانضمام بذلك، وهو المُعْتَقُ لكَ ينتسب بنسَبِك، وأنت مَوْلَاهُ وذاكَ مَوْلاكَ. وهم يقولون: إنَّ المَوْلَى لا يَكَادُ يَفْضُلُ الصميم، قال: [الوافر]

ولـيـس أُبَـيْـرُكُـمْ كـأُبَـيْـرِ سَـوْءٍ وما جُـعِـلَ الـمَـوالِي كـالـصَّـمـيـم

يقول: تَدَارَكُوا الذين ينتسبون بالوَلاء، ولاءِ النَّسبِ، وولاءِ الحِلْفِ والنُّصْرَةِ، فَكُلٌّ منهم ذو حَبْسٍ على الشَّرّ متقسِّم الحال، متوزِّع المال مُغَارٌ عليه، فما لَكُمْ لا تَمْتَعِضُون ولا تُنْكِرُون.

وقولُه: «حابِسًا» في معنى مَحْبُوسٍ؛ لكنَّه أخرجه مَخْرَجَ النَّسَب؛ أي ذو حَبْسٍ، وانتصابه على الحال. وقوله «مواليكم» على هذا انتصب بفعْلٍ مُضْمَرٍ، كأنه قال: أغيثوا مواليكم وتداركوا. ويُرْوَى «حابِسٌ قد تُقُسِّمَا». وقيل هو اسمٌ عَلَمٌ، وارتفاعه

---

(١) لعوف بن محلم في الدرر ٤: ٣١، وشرح شواهد المغني ٢: ٨٢١، وطبقات الشعراء ١٨٧.
(٢) رواه أحمد في مسنده ٥: ٨٤، والهيثمي في موارد الظمآن ٢٢٠٢.
(٣) رواه القرطبي في تفسيره ١: ٢٦٧.

على أنّه بدلٌ من مولى اليمين، وقد تُقْسِمَا في موضِعِ الخَبَر. واكتفى بالإخبار عن المَوْلَيَيْنِ لأنَّ الموالي انقسموا إليهما.

٣ ـ وقُلْتُ تَبَيَّنْ هَلْ تَرَى بَيْنَ وَاسِطٍ وَنَهِي أَكُفٌ صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمَا[١]

يُرْوَى «فارِسًا غَيْرَ أَخْرَمَا»، كأنَّه أقبل على واحد منهم فقال: تأمَّلْ هل تَرَى بين هٰذين الموضعين فارسًا غيرَ مُنْقَطع. المعنى: أنهم يتواترون أرْسَالًا في الصُّرَاخ غير متجمِّعين له، بل يَتْبَعُ بَعْضُهم بعضًا في أرضِكم ودياركم يستنصرون فلا يُنصَرون، فما لَكم لا تأْنَفُون. ومن رَوَى: «صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمَا» فمعناه مستغيثًا لا يُجابُ، فكأنه أعجم لا يُفهمُ قولُه. يريد: تَبَيَّنْ فإنك لا تَرَى إلا فارسًا أَخْرَمَ، أو صارخًا أَعْجَمَ. والأعجم: الذي لا يُفْصِح. والصارخ والصَّريخ واحد، ويقال صرخ فَأَصْرَخْتُهُ، أي استغاث فأغثْته. وفي القرآن: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٢] والصَّرْخَةُ تُستعمل في الفَزَع والمصيبة. وفي المَثَل «لَهُ صَرْخَةُ الحُبْلى». والخَرْمُ: القَطْع، ومنه أَخْرَمُ الكتِف، وهو مَحَزٌ في طرف عَيرِها.

٤ ـ من الصُّبحِ حَتّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ لا تَرَى مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوَّمَا

أي ابتدأ الأعداء يغيرون ويَنْهَبُون، وهؤلاء يصرخون ويستغيثون، من وقت الغَدَاةِ إلى أن غابَتِ الشَّمس، فلا تَرَى من الخَيل إلا ما خَرَجَ بنفسه لا أَوَلِيَّةَ له كَمِثْلِه، وقد أُعْلِمَ بعلامة ليعرفَ بلاءُ صاحِبِه. وقوله: «من الصُّبحِ»، وُضِعَ مِنْ فيه موضع مُنذُ، لأنَّ مُنذُ في الأزمنَةِ بمنزلة من في الأمكنة. ومثله قول زهير: [الكامل]

أَقْـوَيْـنَ مـن حِـجَـجٍ ومـن دَهْـرِ[٢]

وقال الأصمَعِيُّ: الخَارِجِيُّ: كلُّ مُتناهٍ في جِنْسه، فائِقٍ نُظَرَاءه في معناهُ. والمُسَوَّمُ من السِّيما، وهي العلامة، وفي القرآن: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ [الفَتح: الآية ٢٩].

٥ ـ عَلَيهِنَّ فِتْيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرِّقٌ وكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وأَكْرَمَا

---

(١) التبريزي: «بين ضارج».
(٢) لزهير في ديوانه ٨٦، وأسرار العربية ٢٧٣، والأغاني ٦: ٨٦. وصدره:
«لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ»

يقول: على هذه الخيل رِجَالٌ كَسَاهُمْ مُحَرِّقٌ، أي دروعهم وسائر أسلحتهم مما كان يكسوهم، ويَجْعلُهُ خِلْعَةً: وكان مُحَرِّقٌ إذا كسا الأسْلِحَة أتى بها جيِّدةً كريمة. ومُحَرِّقٌ: لقَبٌ لعمرو بن هِنْدٍ، وكان أَحْرَقَ قَوْمًا من تَميم حين أجَّج النارَ بأُوَارة، فلُقِّبَ به، وقال بعضُهم: لُقِّبَ بذلك لأنّه كان إذا عاقب عاقبَ بالنار. وقوله «إذا يَكْسُو» اعتراضٌ بين الفعل وهو يَكْسُو وبين المفعول به وهو «صفائحَ بُصْرَى» من البيت الثاني. ويقال: أجَادَ الشيء بمعنى جاء به جَيِّدًا، وبمعنى جَوَّدَهُ. وكذلك أَكْرَمَهُ يكون بمعنى أتى به كريمًا، وبمعنى كَرَّمَهُ. وقد توسّعوا في كَسَا وإن كان أصل الكُسوة اللِّباس، فقيل: اكتسَى الأرضُ بالنَّبات، على التشبيه، فقال رُؤْبَةُ يصِفُ الثورَ والكلاب: [الرجز]

وقَدْ كَسَا فيهنَّ صِبْغًا بَرْزَغَا

أي كَسَا الكلابَ دَمًا طريًّا. وقال بعضهم في وصف نبالٍ: [الطويل]

وزُرْقٍ كَسَتْها رِيشَها مَضْرَحِيَّةٌ

أي قُذَذُها من ريش مَضْرَحِيٍّ. فعلى هذا قوله «كساهم مُحرِّق».

٦ ـ صَفَائِحَ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قُيُونُها ... ومُطَّرِدًا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مُبْهَمَا

صفائح انتَصَب على أنه مفعولٌ ثانٍ من كَسَاهم مُحَرِّقٌ. وبُصْرَى: قَرْيَةٌ بالشام تُطْبَعُ بها السُّيوف. فيقول: كساهُم مُحَرِّقٌ سُيوفًا بُصْرِيَّةً، اتَّخَذَها طَبّاعُوها من خالصِ الحديد، ودُرُوعًا لَيِّنةً سهلة سَلِسَةً، متتابعة السَّرْدِ، تَطَّرِدُ ولا تختلف، داوديَّة. والصفائح: جمع صفيحة، وهي كلُّ سيفٍ عريضٍ أو خشَبةٍ عريضة. ويقال: سيف مُصْفَحٌ أيضًا، أي عريض، كأنه زِيدَ في صَفْحَتَيْه، أي جانِبَيْه. ويقال أصفَحَ بسيفه، أي ضَرَب بصَفْحِه. ومعنى أخلَصَتْها: أَتَتْ بها خالصةَ الحديد. واستعمِل الكِسْوَةُ في السيفِ كما يستعمَلُ فيه البَزُّ. قال: [الطويل]

فَــوُفِّــرَ بَــزٌّ مــا هُــنَــالِكَ ضَــائــعُ[1]

---

(١) لقيس بن عيزارة الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٥٩١، وجمهرة اللغة ٦٨، وللهذلي في اللسان (بزز، ويل). وصدره:

«فويلُ أمّ برٍّ جرّ شعلٌ على الحصى»

يريدُ السيفَ. ووصَفَ الدِّرْع بالاطِّراد لتتابع سَرْدِها على حَدٍّ واحد، لا اختلاف في حَلقِها، ولا تفاوُتَ في نَظْمِها. وجَعَلَها مُبْهَمًا لإحكامِها.

٧ ـ فلما رَأَيتُ الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كواكِبَ مُظْلِما[1]

يقول: لما رأيتُ الأمرَ مُستفحِلًا، والخَطْبَ عظيمًا مُستفظَعًا، والصبرَ عامًّا لنا كُلِّنا، مغلوبًا عليه ممنوعًا، صَبَرْنا نحن من بين أصحابنا على عادتِنا المعهودة مِنَّا، ووطَّنَّا أنفُسَنا على الشرّ. ويجوز أن يريد بقوله «لمّا رأيتُ الصبرَ قد حِيلَ دونه» لمّا رأيتُ الوقتَ وقتًا يُعالُ فيه الصبرُ، ويُحالُ بين طالِبيه وبينَه. وقولُه «وإن كان يومًا ذا كواكب مُظْلِمًا» اعتراضٌ بين لمّا وجوابِهِ، وهو شَرْطٌ في وقوع الصبرِ منهم يُترجِم عن الحال. أي صَبَرْنا وإن كان اليوْمُ يَوْمًا مُظلِمًا تُرَى فيه الكواكب ظُهرًا، لانسداد عين الشَّمس بغُبار الموت. وجوابُ الجزاء استُغْنِيَ عنه بجواب لمّا. ورَوَى بعضُهم: «وأَنْ كان يومًا» بفتح الهمزة على أن يكون أنْ مخفَّفة من الثَّقيلة، والمرادُ وأنه كان اليومُ يومًا ذا كواكب. وهذا الرّاوي لعلّه لم يعرف الاعتراضاتِ والفصاحةَ فيها، والتَبَس المعنى عليه أيضًا.

٨ ـ صَبَرْنَا وكانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً بأسْيَافِنا يَقْطَعْنَ كَفًّا ومِعْصَمَا

يقول: حملْنا أنفُسَنا على المكروه، وحبَسْناها في مجالِ الموت والشرّ، وكان ذلك مِنَّا عادةً وطبيعةً. وقوله «أسيافنا» يجوز أن يتعلَّق الباء منه بصَبَرْنا، واعترَض بينهما قولُه «وكان الصبرُ منا سجيّةً»، إذ كان أرادَ أن يُبيِّنَ أنّ ذلك الفِعْل ليس بمُسْتبدَعٍ ولا مُسْتنكَرٍ من أخلاقِهم. ويجوز أن يتعلق بما دَلّ عليه «وكان الصبر منا سجيّةً». ويَقطَعْنَ في موضِعِ الحال للأسياف على الوجهين جميعًا. وفي طريقته قول نَهْشَل بن حَرِّيّ: [الطويل]

وَيَوْمٍ كَأَنَّ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وإن لم يكن نارٌ قُعُودٌ على جَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حتى يَبُوخ وإنما تُفَرَّج أيّامُ الكريهة بالصَّبْرِ

٩ ـ نُفَلِّقُ هَامًا من أُنَاسٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنا وهم كانوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

يقول: نُشَقِّقُ هامَاتٍ من رجالٍ يَكرُمون علينا ويَعِزُّون، لما يجمَعُنا وإيّاهُم من الأحوال الوكيدة، والحُرَم القويّة بالأنساب والأسباب، وهم كانوا أشدَّ عقوقًا وأتمَّ

(١) التبريزي: «ولما رأينا».

ظلمًا، بما اطَّرحوه من مراعاة الحقوق، وبدؤوا به من تَناسِي العُهود، واستعجَلُوه من البَغْي، وسَلَكُوه من سَنَن الغَيّ. ويُرْوَى أن يزيد بن معاوية لا رحمه الله تمثَّلَ بهذا البيت لمّا وُضِع بين يديه رأسُ الحسين بن عليّ رضي الله عنهما.

١٠ ـ ولـمّـا رَأَيـتُ الـوُدَّ لـيـس بـنـافِـعِـي عَـمَـدْتُ إلى الأمْر الذي كان أحْزَمَا

١١ ـ فَـلَـسْـتُ بِـمُـبْـتَـاعِ الـحـيـاةِ بِـذِلَّةٍ ولا مُرْتَقٍ من خَشْيةِ المَوْتِ سُلَّمَا

قوله «إلى الأمرِ الذي كان أَحْزَمَا» جُعِلَ الحزمُ للأمرِ كما جُعِل له العَزْمُ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمَّد: الآية ٢١]، فكلُّ ذلك مجازٌ واتساعٌ. وصَلَح أن يريد بقوله أَحْزَمَ، أَحْزَمَ من غيره، لوُقوعِه خَبَرًا، لأنه كما يجوز حذف الخبَر بأسرِه إذا دَلَّ دليلٌ عليه، كذلك يجوز حذف ما يتمُّ به منه إذا لم يلتبس بغيره، ولم يختلّ الكلامُ بسببه. وقوله «لمّا رأيتُ الوُدَّ» حَذَفَ المُضاف فيه وأقام المضافَ إليه مَقامَه، كأنه قال: لما رأيت مُراعاة الوُدّ ومحافَظَتَه، أو إظهار الود وإبقاءه. ومعنى البيت: لما رأيتُهم لا يَرْتَدِعُون عن ركوب الرّأس، والمجاذبة إلى أقْصَى ما في الطَّوْق من اللَّجاج والشرّ، قصدْتُ إلى ما كان أجمَعَ للحَزْمِ معهم من مكاشفتهم، وتَرْكِ الإبقاء عليهم؛ لأن ظهور التّعادِي والتكاشُف خيرٌ من رُكوبِ الغُرُورِ مع التشابُك. ويُلاحظ هذا البيتَ قولُ الآخَر: [الطويل]

إذا حـاجـةٌ عَـزَّتْـكَ لا تَـسْـتَـطِـيـعُـهـا فَـدَعْـهـا لأُخْـرَى لَـيِّـنٍ لـك بـابُـهـا

وقوله «فلستُ بمبتاع الحياةِ بسُبَّةٍ[١]»، يقال: ابتاعَ الشيءَ بمعنى اشترى، وإن كان بعْتُه بمعنى اشترَيْتُه وبعْتُه جميعًا. والسُّبَّةُ: الخَصْلَةُ التي يُسَبُّ بها، فهي كالهُجْنَة والعُرَّة. يقول: فَعَلْتُ ذلك، فإنني لست ممن يَطْلب العَيْش مع الذُّلّ، ولا مِمَّن يَرْتقي في الأسباب خوفًا من الموت، بل المِيتَةُ الحَسَنةُ على ما يتعقَّبُها من الأُحدوثة الجميلة آثَرُ عندنا، وأَوْقَعُ من هَوَانا، من العيشة الذَّميمة على ما يُخالِطُها من الرِّضا بالدَّنِيَّة.

١٣٤ ـ وَقَالَ بَشَامَةُ بن الغَدِير[٢]: [الكامل]

١ ـ وَلَـقَـدْ غَـضِـبْـتُ لِـخِـنْـدِفٍ ولِـقَـيْـسِـهَـا لَـمَّـا وَنَـى عَـن نَـصْـرِهَـا خُـذَّالُـهـا

(١) هذه رواية أشار إليها التبريزي.

(٢) التبريزي: «وقال بشامة بن حزن، قال أبو هلال: في الشعراء رجلان يقال لهما بشامة أحدهما بشامة بن الغدير وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة، والآخر بشامة بن حزن النهشلي وهذا الشعر له».

خِندفٌ: لَقَبٌ لليلى امرأةِ الياسِ بن مُضَرَ، لقولها لزوجها يومًا: ما زِلْتُ أُخَنْدِفُ في أثَرِكُمْ ـ والْخَنْدَفَةُ: مشية كالهَرْوَلَةُ ـ فقال لها: وأنتِ خِنْدِفٌ. فلزِمَهَا، فصارت مُضَرُ نسلين: أحدهما ولد قَيس بن عِيلان، والآخر خِنْدِفٌ. ويُرْوَى أنَّ رجلًا على عَهْد الزبير بن العَوَّام ظُلِم. فَنَادَى: يا لَخِنْدِفَ. فخرج الزُّبير وبيده السَّيف، وهو يقول: خَنذِفْ أيُّها المخنذِف، والله لئن كنتَ مظلومًا لأنصُرَنَّكَ. يقول: غَضِبْتُ لِنَسْلَيْ مُضَرَ خِنْدِفٍ وقَيْسٍ، لما ونى عن معاونتها والنُّهُوض لها نُصَّارُها. ويقال: وَنَى يَنِي وَنْيًا، وهو وانٍ. وإنَّما قال: «خُذَّالُها» ولم يَقُلْ نُصَّارُهَا، لأنَّه وصفهم بما آل إليه أَمرُهُم. وهذا كما يُقال قَتَلْتُ قَتِيلَ بني فلان؛ وقد مَضَى له أشباهٌ وأمثال. فكأنَّ الشاعر تبرع بما كان منه من المدافعة دُونهم والمقاتلة عنهم، فلذلك تحمَّد به. وقال: غَضِبْتُ لهم لما رَأَيتُ من وَجَب نُصْرَتهم عليه خَذَلَهم. وجواب لمَّا وَنَى، ما هو صدر البيت.

٢ ـ دَافَعْتُ عن أَعْرَاضِها فَمَنَعْتُها وَلَدَيَّ في أمثالِها أَمْثَالُهَا

هذا تفسير للغضب الذي ذَكَرَهُ وبيان نتيجته. والعِرْض: النَّفْس، ويُسْتَعْمَل في الحسب. يقول: ذَبَبْتُ عَنْهَا ومنعت الأعداء منها، وَلَدَيَّ في أمثالِها من القبائل أمثال هذه النُّصْرة. هذا وَجه، ويجوز أن يريد ولَدَيَّ في أمثال هذه النصْرة أمثال هذه القصيدة. والقرائن التي تسوِّغ رَدَّ الضميرين إلى جميع ما ذكرناه حاضرةٌ في الكلام قوية.

٣ ـ إنّي امرؤٌ أَسِمُ القصائِدَ للعِدَى إنّ القصائد شَرُّهَا أَغْفالُهَا

هذا يمكن الاستدلال به على صحَّة المعنى الثاني، ومعنى «أسِمُ القصائد»: أعْلِمُها بما يصير كالسِّمَةِ عليها، حتى لا تُنْسَبَ إلى غَيري، وحَتَّى يُعْرَفَ منها السبب الذي خَرَجتْ عليه، فَمَنْ سَمِعَها عرف قصتها؛ ولهذا قال إنَّ القصائد شَرُّها أغفالها، أي شَرُّ الشعر ما لا مِيسَمَ لقائله والمَقُول فيه عليه. ويقال دَيَّةٌ غُفْلٌ، إذا عَرِيَ من الأعلام. وسمعتُ من يقول في البيت إنه مقلوبٌ، والمرادُ أَسِمُ العِدَى بقصائدي، كما قال الآخر: [الطويل]

جعَلتُ لهُم فَوْقَ العَرَانِينِ مِيسَمًا[1]

---

(١) للمتلمس في ديوانه ص ٢٩، والأصمعيات ص ٢٤٥، وخزانة الأدب ١٠: ٥٩، واللامات ١٢٨. وصدره:

=

والأوّل أكشَفُ وأَصحّ، بدِلالةِ أن الغُفْل جعَلَه من القصائد، فكذلك المؤسومُ يجب أن يكون منها.

٤ ـ قوْمِي بَنُو الْحَرب العَوَانِ بِجَمْعِهِمْ وَالْمَشْرَفِيَّةُ والْقَنَا إشْعَالُهَا

يُرْوَى «والمَشْرَفِيَّةِ بالجرّ» ويكون معنى البيت قَوْمِي إخوان الشَّرّ الفظيع، وأبناء الحرب التي قوتل فيها مرَّةً بعد أُخْرَى، فصارَتْ عوانًا بعد أن كانت بِكْرًا، أي رُفِعَتْ من حَالٍ إلى حَالٍ أشدَّ منها، ويكون هذا مثلَ قولِ الآخَر: [الوافر]

فلسنا من بني جَدَّاءَ بِكْرٍ ولكِنّا بَنُو جَدٍّ النِّقَالِ

وعلى ما ذكرنا يتمُّ الكلام بقوله العَوانِ؛ ثم قال «بجمعهم» أي باجتماع قومي واجتماعِ آلات الحرب اشتعلت نارها. والباء من بجمعهم يتعلّق بقوله إشعالها. ويروَى «والمشرَفيَّةُ» بالرّفع، ويكون على هذه الرّواية تمام الكلام عند قوله بجمعهم؛ لأن الباء منه حينئذٍ يتعلّق بقوله العَوَانِ. والمعنى: قومي بنو الحرب التي عُوِّنت، أي صارت عوانًا بهم، وباجتماع جيشهم؛ ثم استأنف الكلام؛ فقال: «والمشرفيَّةُ والقنا»، والمُراد واشتعال نارها بالرِّماح والسُّيوف المَشْرَفيّة. وهذا الكلام ـ أعني والمشرفية ـ وإن استُؤنِفَ به فمن صفة الحرب. وقيل في المشرفية إنّها نسبت إلى المشارف، وهي قرًى معروفة تُجْلَب منها وتُطْبع بها. ويقالُ: أشعلتُ النّار في الحَطَبِ، وأشعلتُ الخيلَ في الغارة، وأشعلته غَضَبًا.

٥ ـ ما زَالَ معروفًا لمُرَّةَ في الوَغَى عَلُّ القَنا وعَليهمُ إنْهَالُهَا

ما زال لدوام الماضي، وارتفع عَلُّ القنا على أنّه اسمه، وخبرُه معروفًا. والمعنى: سَقْيُ الرِّماح عَلَلًا بعد نَهَلٍ عادَةٌ معروفةٌ لهم، فيما تقادم من الأيّام إلى الآنَ إذا حضروا الحرب. والعَلُّ والعَلَلُ: الشَّرْبَةُ الثّانية، ويقال: عَلَّ إبلَهُ يَعُلُّهَا فَعَلَّت هي. وأَنْهَلْتُ الإبلَ، إذا سقيتَها أوّلًا، فَنَهِلَتْ، إذا شرِبَت في أوّل الورود حتّى رَوِيَت. ومثل هذا البيت قول الآخر: [الوافر]

نَهِلْنا مِنْ دِماءِ بَنِي لُؤَيٍّ وأَنْهَلْنا الْقَنا حَتّى رَوِينا[1]

= «ولو غير أخوالي أرادوا نقيمتي»

(١) بلا نسبة في اللسان (سند)، وكتاب العين ٤:٥٢، وأساس البلاغة (نهل).

وتوسَّعُوا في الاستعمال حتى سَمَّوا منازل السَّفْرَ على المياه مَنَاهِلَ. وإنما قال: «وعليهم إنهالُها» لأنّه كأنه جعل ذلك واجبًا عليهم.

٦ ـ مـن عَـهْـد عَـادٍ كـان مَـعْـرُوفًـا لـنـا أَسْـرُ الـمُـلُوكِ وقَـتْـلُهـا وقِـتَـالُهَـا

وَضَعَ مِنْ في قولِهِ «من عَهْدِ عَادٍ» موضع مُنْذ لقوّتها وكثرةِ تصرُّفها وتمكُّنِها في باب الجَرّ، وأداء معنى الابتداء، ومِثْلُه قول الله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ﴾ [التوبَة: الآية ١٠٨]، وقولُ الرّاجز: [الرجز]

مـن غُـدْوةٍ حَـتَّـى كـأنَّ الـشَّـمْـسَـا بـالأُفُـق الـغـربـيّ تُـطـلَـى وَرْسـا(١)

ومعنى البيت أنّه نبَّه على مجاذبتهم للملوك والعِلْيَة، لا للأذناب والسِّفِلَةِ. والقِتال في ترتيب الفِعْل مُسَابِقٌ للأسر والقتل، لكنَّه لم يُبالِ بتأخيره في ترتيب اللفظ، لأنَّ الواو لا يُوجِبُ في العَطْفِ ترتيبًا، إنما هو مَوْضُوعَةٌ للجَمْع فقطْ، وتَبَجّح أيضًا بأن ذلك قديمٌ فيهم منذ زمن عادٍ لا حَدِيثٌ.

١٣٥ ـ وقال أَرْطَاةُ بنُ سُهَيَّةَ: [الطويل]

١ ـ ونَـحْـنُ بَـنُـو عَـمٍّ عـلى ذَاكَ بـيـنـنـا زَرَابِـيُّ فـيـهـا بِـغْـضَـةٌ وَتَـنَـافُـسُ

يقول: نحن أبناءُ عَمٍّ، وعلى ما بيننا من القُرْبَى وَالقرابةِ فُرِشَتْ بيننا بُسُطُ شَرٍّ تشتمل على تباغُضٍ وتحاسُدٍ. وذِكْر الزرابيّ مَثَلٌ هٰهنا، وهي البُسُطُ، واحِدُها زرْبِيَّةٌ وزرْبِيٌّ، وقال أبو عبيدة: وهي في لغةٍ أخرى الشَّوَاذكين(٢): وأنشد لذي الرُّمَّةِ: [الطويل]

تَـرَدَّيْـتَ مِـن أفـوافِ نَـوْرٍ كـأنَّـهَـا زَرَابِيُّ وَأَرْتَجَتْ عليكَ الرَّوَاعِدُ(٣)

وفي القرآن: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآيتان ١٥، ١٦]: أي مفرّقة في المجالس. ويقال: اطْوِ بِساط الشرّ بيني وبينك. ويقولون أيضًا: أعطاني فلانٌ في بِسَاط كلامه كذا، أي فيما بَسَطَ منه. وقال الخليل في الزرابيّ: إنَّها القُطُوعُ الحِيريّة الرَّقيقة. وفي كلام بعض الفصحاء: «فُرِشَت بيننا قُطُوعُ النَّمائم». فعَلَى هذا استعمل هذا الشاعر الزّرابيّ. فأما قوله «على ذاك بيننا»، فإنما أشار بذلك إلى ما

(١) بلا نسبة في المخصص ٧:١٢٧.
(٢) الشواذكين: لعل له صلة بكلمة شادكونه الفارسية، بمعنى الحشية التي ينام عليها الإنسان.
(٣) لذي الرمّة في ديوانه ص ١٠٨٩، واللسان (فوه)، والمخصص ١١: ١٩٣.

جَمَعَهم من سببِ العمومة ونَسَبِها. ويُرْوَى: «على ذات بيننا، زرابيُّ» كأنه أراد بذاتِ بينِهم خالِصَةَ النَّسب والقَرابة، ثم جعل فوقها ما قد غَمَرَها وسترها من زرابيِّ الفساد. ويُروى:

. . . . على ذاك بيننا تَـنَـاءٍ وفـيـنـا بِـغْـضَـةٌ وتـنـافـسُ

والمعنى: وعلى ما يجمَعنا من الرَّحِم ينأى بعضُنا عن البعض، ومع ذلك بيننا تدابُرٌ وتباغُضٌ، وتهاجُر وتقاطُع. كأنهم جعلوا التنائيَ مداواةً في إزالة ما بينهم فلم ينفع.

٢ ـ ونَحنُ كَصدعِ العُسِّ إن يُعطَ شَاعِبًا يَـدَعْـهُ وفـيـه عَـيْـبُـهُ مُـتَـشَـاخِـسُ

العُسُّ: القَدَحُ الضخْمُ: والشَّعْبُ، يستعمل في الجمع والتفريق. ويقال أيضًا: تفرَّق شعبُهم. والشاعِبُ هٰهنا: مُصْلِح القِدَاح. يقول: استَحْكم الفسادُ بيننا حتى لا يَقْبَل صُلْحًا ولا صَلَاحًا، وتفاقَمَ الانصداع حتى لا يلتحم تبايُنًا وتدافُعًا، فلن تعودَ الحالُ إلى ما كانت وإن أَمسَكْنا عن إثارة الشرّ والزيادة فيه زمانًا، وتصنَّعْنا في الاحتمال والمُقاربة إبقاءً على الحظّ من المراجعة وإِذناءً، بل يكونُ ما بيننا كالشَّقّ في القَدَح، إن أُعْطِيَ شاعِبًا تَرَكَهُ والعَيْبُ ظاهر فيه، غير مُنْكَتِم ولا خافٍ. والمتشاخِس: المتفاوِتُ المُتَبايِنُ. ومنه قولُهم: تشاخَسَت أسنانُه من الكِبَر، إذا احتلفَتْ. قال الخليل: هو أن يسقط بعضُها ويميل بعضُها. وقيل: الشَّخْسُ في الأصل فتْح الفم للتثاؤب. ويجوز أن يريد بقوله «وفيه عَيْبُه»: ومَعِيبُه هكذا. وفي طريقته قول الآخَر: [الكامل]

ومِـنَ الـمَـوَالِي ضَـبُّ جَـنْـدَلَةٍ نَـخِـرُ الـمَـوَدَّةِ ظـاهِـرُ الـغـمْـرِ

وقد أَحسَنَ اللَّاحِقِيُّ في مُزْدَوِجَتِه حينَ قال: [الرجز]

وإِنَّـمـا مـودَّةُ الأشـرار فـي وَهْـيِـهـا كـمَـثَـله الـفَـخَّـارْ
يـصـيـبُـه أَدْنَـى يَـدٍ فـيَـنْـكَـسِـرْ ولـيـس يُـرْجَـى شَـعْـبُـه إذا جُـبِـرْ

٣ ـ كَـفَـى بَـيـنَـنَـا أَلَّا تُـرَدُّ تَـحِـيَّـةٌ عـلى جَـانِـبٍ ولا يُـشَـمَّـتُ عَـاطِـسُ

يُروَى «يشمَّت» بالشين والسِّين، وهما بمعنًى واحد، وسمعْتُ أبا عليٍّ الفارسيّ يقول في اشتقاق التَّسميت بالسين غير معجمة ـ وهو قولُك للعاطِس: يَرْحمك الله ـ فقال: كأنّه إذا عَطَسَ لحقَتْه نَفْضَةٌ في جسمه، فإذا دعا الداعي له فكأنه رَدَّه إلى سَمْتِهِ

وهَذيه. وقال في التسميت بالشين معجمة: كأنّه التثبيت من الشَّوامِت وهي القوائم. يقول: يكفيك من الشّرّ الرّاتب بيننا أنّه لا تُرَدُّ تحيَّة الواحِدِ مِنَّا ـ يريد جَوَابَ تسليمه ـ وإن كان الالتقاء معه عن عُفْرٍ كالالتقاء مع الأجانب والغُرباء، وأنّه إذا عَطَسَ واحِدٌ لا يُتلقّى بالدُّعاء له على ما استمرّ وعُرِف من عَادَةِ الناس في تَنادِيهم وتجاورهم. وقوله «كَفَى بيننا» هو بينَ الذي كان ظَرْفًا، فنقله إلى باب الأسماء. ومثله قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] وقال الشاعر: [الوافر]

كـأَنَّ رِمَـاحَـهُـمْ أَشْـطَـانُ بـئـرٍ ... بَـعـيـدٍ بـيـن جَـالَـيْـهَـا جَـرُورِ[١]

ويجوز أن يُرْوَى «أن لا تُرَدُّ» بالرفع، وكذلك «ولا يُشَمَّتُ» على أن تَجْعَلَ أن مُخَفَّفَةً من الثقيلة. ويكون المراد أنه لا تُرَدُّ تحيةٌ. ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: الآية ٨٩]، بالنصب والرفع.

١٣٦ ـ وقال عَقِيلُ بنُ عُلَّفَةَ[٢]: [الوافر]

١ ـ تَـنَـاهَـوْا واسـألـوا ابـنَ أَبِـي لَبِـيـدٍ ... أَأَعْـتَـبَـهُ الـضُّـبَـارِمَـةُ الـنَّـجِـيـدُ

يقول: كُفُّوا عما أنتم عليه من تهييج الشّر، وأَمسكوا عن الشّر في تأريث نار الحرب، واسألوا هذا الرجل: هَلْ أرضاه الأسدي القويُّ الغليظ الشديد لمّا تحكّك به، وهل وفّاه ما استحقَّهُ عليه. كأنّه جَعَل إنزاله السُّوء به والزّيادةَ عند تكرُّههِ له إعْتَابًا، على التهكم والسُّخريَّة. ومثله في ذلك قول بِشْرٍ: [الكامل]

غَـضِـبَـتْ تَـمِـيـمٌ أَنْ تُـقَـتَّـلَ عَـامِـرٌ ... يـوْمَ الـنِّـسَـارِ فَـأُعْـتِـبُـوا بـالـصَّـيْـلَمِ[٣]

والضُّبارِمَةُ، قال الخليل: هو الجريء على الأعداء، وسمّي الأسَدُ ضُبارِمًا. قال: ويُقال هو الأسَدُ الوثيقُ الخَلْقِ، المكتنز اللحم. ويجوز عندي أن يكون من معنى المُضَبَّر لا من لفظه، فيكون من باب دَمِثٍ ودِمَثْرٍ، ودُلامِصٍ ودِلاصٍ وسَبِطٍ وسِبَطْرٍ. والنَّجِيد: ذو النَّجْدةِ، وهي البأسُ والشِّدَّة.

٢ ـ ولَـسْـتُـم فـاعِـلِـيـنَ إِخَـالُ حَـتَّـى ... يَـنَـالَ أَقَـاصِـيَ الـحَـطَـبِ الـوَقُـودُ

---

(١) البيت لمهلهل في الكامل ٢١٢، ٣٥٢ (ليبسك).

(٢) عقيل بن عُلَّفَة، أبو العميس، شاعر مجيد مقلّ من شعراء الدولة الأموية (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمته في الأغاني ١١/ ٨١، وجمهرة الأنساب ص ٢٤١.

(٣) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص ٨٠، واللسان (عتب، صلم)، والعقد الفريد ٥: ٢٤٨.

حَذَفَ مفعولَ قولِه فاعلين، وهو ما دَلَّ عليه قوله في البيت قبله «تَنَاهَوْا» كأنّه قال: ولَسْتُمْ فاعلين التَّناهِيَ. يقولُ: ما أَرَى أنّكم تنتهون إلى ما رَسَمْتُ، أو تَقْبَلُون كلامِي الذي إليه أشَرْتُ، حَتَّى يَعْظُم الخَطْب، ويَبْلُغ البلاءُ أَقْصَى مبالِغ الْجَهدِ، فيَتعدَّى الأقاربَ إلى الأباعد، ويَتأدَّى من السَّقيم إلى البريء. وذِكْر الحَطَب والوَقود هٰهنا مَثَلٌ لتفاقم الشّأن واستفحاله، واتِّساع المكروه واشتماله. وقد مَضَى القولُ في «إخَالُ» وكَسْرِ الهمزة منه.

٣ ـ وأبْغَضُ مَن وَضَعْتُ إليّ فيه لِسَانِي مَعْشَرٌ عنهم أذودُ

يقول: إنّي متعطِّفٌ على عشيرتي وإن كانوا مُسِيئِين إليّ، متكرِّمٌ معهم وإنْ كانوا متحاملين عَلَيّ، فأَبْغَضُ إنسانٍ أذْكُرُه وأتناوَلُه بلساني مُتَنَقِّصًا له، قومٌ أَذفَعُ عنهم في وَقْتِي، وأحامِي عليهم في ظاهِرِ أمْرِي. وفي البيت تقديمٌ وتأخيرٌ، وأَصْلُ ترتيبه: أبْغَضُ مَن وَضَعْتُ لِسَانِي فيه إليّ قَوْمٌ هكذا شأني معهم. وهذا تنبيهٌ على أنَّ الرشاد في المحافظة على حُرَمِ ذوي الرَّحِم وإن كانوا مُنابِذين. فمَنْ مِنْ قوله «أبْغَضُ مَنْ» نَكِرةٌ موصوفةٌ، وصِفَتُهُ وضَعْتُ لساني فيه الجملة. وقد فَصَلَ بين بَعْضِها والبعض الآخر بقولِه «إليّ» وهو أجنبيٌّ منها. وهذا في الصفة أقْرَبُ منه في الصِّلة، فاحتمالُه فيه أَقْرَبُ. ومِثْلُ هذا قولُ جرير: [الطويل]

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كان حِلْمِيَ فيهِمُ وكان على جُهَّالِ أعدائِهِم جَهْلِي

ومعنى أذود: أَدْفَعُ، ومنه سُمِّيَ اللسانُ المِذْوَدَ، وهذا كما سُمِّيَ المِفْصَلَ.

٤ ـ ولَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي أَغُيَّابٌ رِجَالُكِ أمْ شُهُودُ

يحتمل وجهين: أحدُهُما أن يتبجَّح بتعفُّفه في جَارَاته، وأنّه لا يتطلَّبُ مفارقة القَيِّمِينَ بهنّ، مرَصِّدًا للتمكّن منهنّ، فيكون ذلك باعِثًا للسُّؤال عن رجالهنّ، ليغتنم الخَلْوَةَ بِهِنّ. والثاني أن يريدَ رَفْعَ الطَّمَعِ عن جِيرَتِه، وقلّةَ الفِكْرِ في تتبُّعِ أحْوَالِهِم، عند حضورِهم وغيبتِهم، إذْ لم يكن هَمُّه في النَّيْلِ منهم، ومشاركتِهم فيما يتجدّد لهم من خَيْر، فِعْلَ المُسِفِّ للمطامعِ الدنِيَّة. ويكون هذا كما قال الآخر: [الكامل]

وإذا أتى من وجْهِهِ بِطَرِيقِهِ لم أطَّلِعْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ

وهذا أوْجَه، لأنَّ ذِكر العِفّة قد جاء من بَعْدُ.

٥ ـ ولَسْتُ بِصادِرٍ عن بيتِ جَارِي صُدُورَ العَيْرِ غَمَّرَهُ الوُرُودُ

هذا يَشْهَدُ لما اخْتَرْنَاهُ في تفسير ما قَبْلَهُ، فيقول: وإذا دَعَانِي الجار إلى بَيْتِهِ يُكْرِمُنِي ببِرّه، ويُشْرِكُنِي في خَيْرِهِ، لا أَنْصَرِفُ عنه والطَّمَعُ فيه بحالهِ، والاستغنام للحقير من مَالِهِ وطَعَامه على حَدِّه، انصرافَ العَيْرِ عن المَاءِ وقد غَمَّرَهُ الورود. والتَّغمِير كالتَّصريد، وهو شُرْبٌ دون الرِّيّ ومنه الغُمَرُ: القَدَحُ الصَّغِير، وقال الخليل: يُتَكَايَلُ به الماء في المَهَامِه. وأنشد: [البسيط]

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذٍ إنْ أَلَمَّ بِهَا ... من الشِّوَاءِ ويُرْوِي شُرْبَهُ الغُمَرُ[(١)]

وقيل في غَمَّرَهُ معناه أرواهُ من الغَمْر: الماء الكثير، فيكون المعنى: إنّي لا أتَهَالَكُ على طامه فِعْلَ المَنْهُوم الخسيس الهِمَّة فاتَضَلَّعُ، لكنِي آكُلُ أكلًا كريمًا، وهذا المعنى أَقْرَبُ عِنْدِي.

٦ ـ ولا مُلْقٍ لِذِي الوَدَعَاتِ سَوْطِي ... أُلاعِبُهُ وَرِيبَتَهُ أُرِيدُ[(٢)]

هذا مثلُ قولِ الآخر: [الكامل]

لا آخُذُ الصِّبْيَانَ أَلْثِمُهُم ... والأَمْرُ قد يُغْرِي به الأَمْرُ[(٣)]

وفي طريقته أيضًا قول الآخَر: [الطويل]

أُحِبُّ صَبِيَّ السَّوْءِ من أَجْلِ أُمِّهِ ... وأبغضُه مِنْ بُغْضِها، وهو حادِرُ[(٤)]

أي حَسَنُ الخَلْق: يَصِفُ عِفَّتَه فيقول: لا أُلْقِي سَوْطي بين يَدَي الصبيّ الذي في عُنُقِه عُوَذٌ وتمائم لصِغَره، أُلاعِبُه في الظاهرِ، وأُضمِرُ التودُّدَ إلى أُمِّهِ وأطلُب الخلْوَة بها لاشتغالِه. وهذا إذا رَوَيْتَ: «وريبَتَه أُرِيدُ»، وقولُه أُلاعِبه في موضع الحال. ويُرْوَى: «وريبَتَه» وهو أَكْشَفُ. ورأيتُ من يَقْصُرُ الأبياتَ الثلاثة على صفة العفّة عن الجارات، وأن يكون كلّ بيتٍ منها لمعنًى أَحسنُ وأَوْلَى.

١٣٧ ـ وقال محمَّد بن عبد الله الأزدِيّ: [الطويل]

١ ـ لا أَدْفَعُ ابْنَ العَمِّ يَمْشِي على شَفًا ... وإنْ بَلَغَتْنِي من أَذاهُ الجَنَادِعُ

---

(١) لأعشى باهلة في اللسان (غمر، حزز)، وجمهرة اللغة ٥٦، وديوان الأدب ١٨٠.

(٢) التبريزي: «قال أبو رياش: البيتان الأخيران لابن أبي نمير القتالي من بني مرة جاء بهما أبو تمام ضلّة في هذه الأبيات وليسا منها».

(٣) لمسكين الدارمي في أمالي القالي ١:٤٥.

(٤) بلا نسبة في اللسان (حدر)، وتاج العروس (حدر)، وتهذيب اللغة ٤:٤٠٨.

الشَّفَا: حَرْفُ الشيء. ويمشي في موضِع الحال. والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى إذا أَشْفَى ابنُ عمّي على بلاءٍ وشَرٍّ يُخاف عليه منه، ويُخْشَى عَطَبُه فيه، فإني لا أَدفَعُ في صدرِهِ تحامُلًا عليه ليقتحمه، ولا أَزُجُّ به فيه لأغرِقه. ويجوز أن يريدَ: إذا انحرَفَ عنّي مهاجِرًا لي ومشَى على جانبٍ من المؤانسة معي لا أنفِّره، ولا أتمِّم استيحاشَه بما أُثيرُ من كوامن غيظه، وإن بلغَتْني الدواهي عنه، وقاسيتُ الشدائد من التأذّي به. أي لا أنتهزُ الفرصةَ في مكاشفته وإن اتصل بالسُّوء تعرُّضه، ودام فيما يَعِنُّ اعتراضُه. والجَنَادِعُ في الأصل تُستعمل في هوامِّ الأرض، تُستعمل كنايةً عن ضروب المَكاره وأنواع الأذى. ومن قولهم: «بَدَت جَنادِعُه والله جادِعُه». وهذا كما استعاروا العقاربَ فقالوا: دَبَّتْ عقاربُه. وقال الخليل: الجَنَادع: جَنادب في جِحَرة الحشرات يخرُجْن إذا كان الحافِرُ يبلغ أقصاها. ومنه قيل في المثل: «جاءت جَنادعُ الشرّ»[1]، أي أوائله. واستعمل في الكلام أيضًا فقيل جنادعُ القوْلِ لِمَا يَسُوءُ منه. ويجوز في قوله «يمشي على شَفًا» وَجْهٌ آخر حَسَنٌ، وهو أن يكونَ يمشِي في معنى يَنِمُّ ويَحطبُ. وفي المَثَلِ: «هو أضْرَبُ من مشَى بشفَةٍ». وكأنه مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القَلَم: الآية ١١]، ويكون على هذا قولُه «على شَفًا» متعلِّقًا بمضمَر، كأنه قال: يَفعَل ذلك كائنًا على شَفًا أو حاصلًا؛ والمعنى مُنْحَرِفًا: أي لا أدفعُهُ عن التَّحريش والنَّميمةِ قَهْرًا وعُنفًا، ولكن أعْطِفُه بالحُسْنَى.

٢ ـ ولكنْ أُواسِيهِ وأنسَى ذُنُوبَهُ لِتَرجِعَهُ يومًا إليَّ الرواجِعُ

قولُه «أواسيه» أي أجعلُه إسْوَةَ نفسي، فأقاسمه مالي ومِلْكي: يقول: لكنّي أتناسَى ذُنُوبَه وهَفَواتِه، وأتغابَى جرائمَه وزَلاتِه، وأُحسِنُ التأتِّيَ في أثناء ذلك لمواساته، عندما أنتظر من فَيْئَتِهِ وعَطْفَتِه، حتَّى يرُدَّه إلى ما كان عليه من قَبْلُ دَوَاعي الأحوالِ، وتَشَابُكُ الأرْحام، ورواجِعُ العَقِبِ، ولواحِقُ السَّبَب. وهذا الذي وَصَفَهُ هو الغاية في الإبقاء والاستبقاء.

٣ ـ وَحَسْبُكَ من ذُلٍّ وسُوءِ صَنِيعَةٍ مُنَاوَاةُ ذِي القُرْبَى وإن قِيلَ قاطِعُ

يقول: كافيك مِن سُوء الفِعْل واكتساء الذُلّ، أن تُنَاوِىءَ أقاربَكَ وإن كانوا قاطِعِينَ عاقِّينَ، مُهَاجِرينَ مُصَارمين. وإنّما قال «من ذُلّ» لأنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بعشيرتِهِ، ومن

(١) اللسان (جدع).

أَفَاتَ نفسَه الحَظَّ منهم فقد ذَلَّ. والمُنَاواةُ أَصْلُها الهَمْز، واشتقاقها من النَّوْءِ: النُّهُوض. كأنَّ المتَعَادِيَيْنِ يُنَاهِضُ كلٌّ صَاحِبَهُ إما بنَفْسِه، وإما بعقيدته ونيَّتِه. وقوله «سُوءِ صنيعةٍ» جَعَلَ الصَّنيعة اسمًا فهي كالكريهة. وقوله «وإن قيل قاطِعُ» ارتَفَعَ قاطعُ على أنَّهُ خَبَرُ ابتداءٍ مُضمَر، كأنَّهُ أراد وإن قيل هُوَ قاطع. وفي طريقته قول الحطيئة: [الوافر]

فـأَبْـقُـوا لا أَبَـالَـكُـمُ عـلـيـهِـمْ ... فـإنَّ مَـلَامَـةَ الـمَـوْلَى شَـقَـاءُ[1]

ورَوَى بعضهم: «وأَنْ قيل» بفتح الهمزة، كأنَّهُ يَعْطِفُهُ على قولِهِ مُناواةُ، والمعنى: حَسْبُكَ من الأَمْرَيْنِ المذكورين مُناواةُ الأقارب، وقول الناس هو قاطِعٌ عاقٌّ. والأوّل أجْوَدُ وأشْبَهُ بما اقتصَّهُ وتَصَرَّفَ فيه.

١٣٨ ـ وقال آخَرُ: [البسيط]

١ ـ إن يَحْسِدُوني فإنّي غَيرُ لائِمِهِمْ ... قَبْلِي من النَّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ قد حُسِدُوا

الضمير في «يحسدوني» لطائفةٍ من الناس خَصَّهم بالإخبار عنهم، وقَصَدَهم بالكلام. فيقول: إنْ نافَسُوني وحَسَدوني، ورَمَقُوا النِّعْمَةَ عَلَيَّ بِعيْنِ التَّسَخُّطِ. فإنّي لا ألومهم ولا أعْتِب عليهم، إذْ كان التَّنَافُسُ والحَسَدُ يَتْبَعَان الفَضْلَ، وإذْ كانَ من قَبْلَنَا اعتادَ بعضهم من بَعْضٍ مِثْلَ ما نراه بسبب الفضل. وقد أَحْسَنَ كلَّ الإحْسَانِ من قَالَ: [الكامل]

وإذا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبابِه ... لـم تَـلْقَ إلا نِـعْـمَـةً وحَـسُـودا[2]

فأمّا قولُه «قَبْلِي من الناسِ أَهْلُ الفَضل قد حُسِدوا». فمِثْلُهُ قول عُمَر بن أبي ربيعة: [الرمل]

وقَـديـمًـا كـانَ فـي الـنَّـاسِ الـحَـسَـدْ[3]

وقَبْلِي جَعَله لغوًا، ومن الناس تَبْيِينٌ، وقد حُسِدوا خبر المبتدأ.

٢ ـ فَدَامَ لي ولَهُـمْ مـا بـي ومـا بـهِـمُ ... ومـاتَ أكـثَرُنـا غَـيـظًـا بـمـا يَـجِـدُ

---

(١) ديوانه ص ٢٧.

(٢) بلا نسبة عند التبريزي ١: ٢٩٠.

(٣) ديوانه ص ٧٦، وصدره:

«حـسـد حـمـلـتـه مـن شـأنـهـا»

هذا الكلامُ دُعَاءٌ لنفسِه وعليهم، على طريق التَّسَلِّي وقلَّة الاحتفال، ولأنَّ الحاسِدَ يَرْفَعُ الخاملَ من الفَضْل ويُنَوِّهَ به. فيقول: أَدَامَ الله لي ما أنا عليه من الفَضْلِ، ولَهُمْ ما هم عليه من الحَسَد، وماتَ أكثَرُنا لغَيْظِه بما يَجِدُ. وقولُه «ومات أكثرُنا» الأكثَرُ هم الحَسَدَةُ، لأنّه ـ وإن أدْخَلَ نَفْسَهُ فيمن أضَاف الأكثر إليه ـ واحِدٌ. وقوله «بما يَجِدُ» حَذَفَ المَفْعُولَ، والمعنى بما يجدُهُ في نفْسه من الحَسَد، أو بما يَجِدُهُ من النِّعمة والفَضْلِ عند المَحْسُود. وحَدَّثني أبو عبد الله حَمْزَةُ بن الحسن قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن مهديّ الكِسرويَّ يقول: أنا قد تتبَّعْتُ من دواوين الشُّعراء قديمِهم ومُحْدَثِهم فوجدتُ أبا تَمّامِ الطائيَّ متفرِّدًا بمعنى قوله: [الكامل]

وإذا أرادَ الله نَـشْـرَ فَـضِـيـلَةٍ ... طُوِيَتْ أتاحَ لـهَـا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا التخوُّف للعواقب لـم يَزَلْ ... للحاسِدِ النُّعْمَى على المَحْسُودِ

غير مَسْبُوقٍ إليه، وعندي أنَّه أخذه من فَحْوَى هٰذين البيتين وإن كان زاد عليه.

٣ ـ أنا الذي يَجِدُوني في صُدُورِهِم ... لا أرْتَقِي صَدَرًا مِنْهَا ولا أَرِدُ

قَوْلُهُ «يجِدُوني» كان يجب أن يقولَ يجدونني؛ لأنَّ الفِعْل في موضِع رَفْعٍ، لكنّه حَذَفَ النون تخفيفًا. وكان يجب أن يَقُولَ لَوْ جَرَى على حُكْمِ الصِّلَةِ: يجدونَهُ، حتَّى يكُونَ في الصِّلة ضمير يَعُود إلى الّذي. وإنَّما جازَ أن يَجيءَ وليس فيه ما يَعُودُ إلى الذي وإن كان صِلَةً لَهُ، لأنَّ الذي خَبَرُ أنا، وهو والمبتدأ شيءٌ واحِدٌ، فلما كان الأول والثاني شيئًا واحِدًا لم يُبَالِ أن يَرُدَّ الضمير الذي يجب رجُوعُه إلى الثاني إلى الأوّل. ومثْلُ هذا ما نُسِبَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام: [الرجز]

أنـا الـذي سَـمَّـتْـنِ أُمِّـي حَـيْـدَرَهْ

فقال: سَمَّتْنِ ولم يقل سَمَّتْهُ. وقد مَضَى القولُ في مثلِهِ فيما تقدَّم مُسْتَقْصًى، ومعنى البيت: أنا الذي صِرْت غُصَّة في صُدورِهم قد نَشِبَتْ فَلَا تَصْدُرُ ولا تَرِدُ، أي صارت لازِمَةً لا تَسُوغُ ولا تؤوبُ. وقولُه «صَدَرًا» مَصْدَرٌ في مَوْضِع الحال. و«لا أَرْتَقِي» إن جعلْتَ في صدورهم لَغْوًا يكون في موضع المفعول الثاني، وإن جعلْتَ في صدورهم مفعولًا ثانيًا كان لا أَرْتَقِي حَالًا.

١٣٩ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ الشَّيءُ يَبدؤُهُ في الأصلِ أصغَرُهُ   وَلَيسَ يَصلَى بِكُلِّ الحربِ جانيها[١]

يَبْدَؤُهُ أي يبدأ منه، فحذف حرف الجر وَوَصل الفِعْلَ فَنَصَب. يقول: أوائلُ الأمور ضعيفةٌ، ومبادئُها صغيرةٌ حقيرة، ثم تَسْتَحْكِم على مَرّ الأيام وتَصَرُّف الأحْوَالِ فتعظُم. وهذا كما قال الآخَرُ: [الكامل]

الحربُ أوّلَ ما تكونُ فُتَيَّةً   تَسْعَى ببِزَّتها لِكُلّ جهُولِ[٢]

وفي طريقته قولُ الآخَرِ: [مخلع البسيط]

كم مَطَرٍ بَدْؤُهُ مُطَيْرُ[٣]

وقولُه «وليس يَصْلى بنار الحرب جانيها» يروَى: «بِجُلّ الحرب». والمعنى: لا يَصْطَلِي بنار الحَرْبِ ومُعْظَمِهَا مَن يكتسبُها ويوقِدُها فقط، بل يحصُل بالمشاركة فيها ويُمْنَى بِبَلْوَاهَا، مَن لم يَنْقُل خَطْوَته في بَعْثِها، ولم يَسْعَ في تهييجها.

٢ ـ والحَرْبُ يَلحَقُ فيها الكارِهونَ كما   تَدْنُو الصِّحَاحُ إلى الجَرْبَى فتُعْدِيها

يقولُ: شَرُّ الحَرْبِ يُعْدِي إعداءَ الجَرَبِ، فتَرى الكارِه لها يَلتَحِقُ بها وإن كان غيرَ حازِمٍ لها، وتَلْقَى البعيدَ منها يصطلِي بحرِّها وإنْ لم يُذْكِها ولم يُشَيِّعْ مَوقِدَها. وفي هذا التشبيه خروجُ المُشَبَّه من الكُمُونِ إلى الظُّهُورِ، ومن الخَفَاءِ إلى البرُوز، حتى يَتَجلَّى لِمُتأمِّله والمُفكِّرِ فيه على بُعْدِه في التصوُّرِ تَجلِيَ القريبِ في العُرْفِ والاعتياد، وهذا هو غاية المراد من التَّشبيهات.

٣ ـ إنِّي رأيتُكَ تَقْضِي الدَّيْنَ طَالِبَهُ   وقَطْرَةُ الدَّمِ مَكْروهٌ تَقَاضِيها[٤]

هذا البيتُ يصلُحُ أن يكون مدْحًا، فيكون المعنى: إني رأيتُكَ تخرُجُ إلى المُدِينِين سَرِيعًا من دَيْنِهم عليك، غيرَ مُدافِع بما في ذِمَّتِكَ لهم ولا مُماطِلٍ، فإذا

---

(١) التبريزي: الشرُّ بدل الشيء، ويصلى بنار بدل بكلّ.

(٢) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ١٥٤، وأمالي ابن الحاجب ٢: ٦٦٦، ولسان العرب (خدع)، ولامرىء القيس في ملحق ديوانه ٣٥٣.

(٣) لأبي تمام في البيان والتبيين ٣: ٦٧. وصدره:

«ربَّ قليلٍ جنى كثيرًا»

(٤) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت رابع هو:

«ترى الرجال قعودًا يأنحون لها   دأبَ المعضّل إذ ضاقت ملاقيها»

طُولِبْتَ بِدَمٍ أو نُوزِعْتَ في ذَحْلٍ، شَقَّ تقاضيك به وتعذَّرَ، وتَصَعَّب نيلُه من جِهَتِك وتعسَّرَ. فعَلَى هذا قولُه «مكْرُوهٌ تقاضيها»، معناهُ مرُوهٌ تقاضيك بها. ويصْلُحُ أن يكون ذمًّا، فيكون المعنى: إني رأيتُك بأهْوَنِ سَعْيٍ وأقرَبِ طلَبٍ تخرُجُ من الأوتار والدماء إلى طُلَّابها، فلا كُلْفَةَ في نَيْلِها وإدراكِها من جِهَتِك، والتَّقاضِي بالدَّم عَسِرٌ صعبٌ إلا إذا كان عندَكَ وَقِبَلَك، فما ذلك إلَّا لضَعْفِ كيدِكَ ومَهانةِ نفْسِك، وقُصورِ آبائك. والدَّين في هذا الوَجه يُرَادُ به الوِتْرُ والدَّمُ. وقولُه «مكروهٌ تقاضيها» يعني تقاضي غيرِكَ بها. ومثْلُ قولهِ مكروهٌ تقاضيها فيما أُضيفَ إليه قولُ[1] لَبيدٍ: [الكامل]

بـاكَـرْتُ حـاجَـتَـهـا الـدَّجـاجَ بِـسَـحْـرَةٍ

لأنّ المعنى باكَرْتُ حاجَتِي إليها.

١٤٠ ـ وقال شُرَيْح بن قِرْوَاشٍ[2]: [الطويل]

١ ـ لَمَّا رأيتُ النَّفسَ جَاشَتْ عَكَرْتُهَا عـلى مِـسْـحَـلٍ وأيُّ سَـاعَـةِ مَـعْـكَـرِ

يقولُ: لما تحرَّكَتْ حَمِيَّتِي وغَلَبَ نَفْسِي، حتى كادَتْ تثورُ من مَقرِّها فتجري أَنَفَةً وامتعاضًا، عَطَفْتُها على صاحبي مِسْحَلٍ وفي أيِّ وقتٍ مَعْطَفٍ فَعَلْتُ ذلك. وهذا تفظيعٌ للشأن، وتفخيمٌ للأمر. فإذا رَوَيْتَ «وأيُّ ساعة مَعْكرٍ» بالرفع يكون مبتدأ وخبره محذوف، كأنه قال: وأيّ ساعة مَعْكَر ومَكَرٌ تلك الساعةُ. وإذا رويتَه بالنصب يكون ظَرْفًا. ويكون العامل فيه مضمرًا، كأنه قال: وعَكَرتُ أيَّ وقتِ مَعْكَرٍ. ومعنى عَكَرَ: عطف. ويقال: هو عَكَّارٌ في الفِتَن. وجواب لَمَّا «عَكرتُها».

٢ ـ عَـشِـيَّـةَ نَـازَلْتُ الـفَـوَارِس عِـنْـدَهُ وزَلَّ سِنَانِي عن شُـرَيْـحِ بن مُـسْـهِرِ

عشيّة انتصبَ على أن يكون بدلًا من قوله وأيَّ ساعة مَعْكَرٍ إذا نصبْتَ أيًا، وإن رَفَعْتَه فانتصابُ عَشِيَّةَ على أن يكون ظَرْفًا والعامل فيه فِعْلٌ مضمرٌ دَلَّ عليه ما قَبْلَهُ، كأنه قال عَكرتُ عشيَّةَ. ولا يكون العامِل نازَلْتُ، لأنه مضافٌ إليه وبَيَانٌ للوقتِ، والمضافُ إليه لا يَعمل في المضافِ. فيقول: عَطَفْتُ عليه ذابًا عنه ومدافعًا دونه، عشِيَّةَ منازَلَتي الفُرسان بحضْرته، وحين زَلَّ سِنَانُ رمحي عن ابن مُسْهِرٍ، وإنما زَلَّ

---

(١) للبيد في ديوانه ٣١٥ من المعلقة، وخزانة الأدب ٣: ١٠٤. وعجزه:
«لأُعَـلَّ مـنـهـا حـيـن هـبَّ نـيـامُـهـا»

(٢) التبريزي: «العبسيّ».

السِّنان عنه وسَلِمَ من طَعْنَتِهِ لأنه كان لِبِس دِرْعًا تحت ثيابه وهو لا يشعُر، فكأنه يعتذر ويتلهَّفُ.

٣ ـ وأُقْسِمُ لَوْلَا دِرْعُهُ لَتَرَكْتُهُ   عليه عَوَافٍ من ضِبَاعٍ وأَنْسُرِ

قولُه أُقْسِمُ يَمينٌ، والمحلوف به محذوف، وهو لفظةُ الله. ولكثرة مجيئها مع أُقْسِمُ صار وهو محذوف كالمنطوقِ به، وجوابُ القَسَم استُغْنِيَ عنه بحديث لولا، لأنه فيه. والمعنى أنَّه بَيَّنَ العُذْرَ فيما اتَّفَقَ عليه، فقال لولا دِرْعُه التي استظهر بها، وظاهَرَ بثوبه فوقها، لتركتُه بطَعْنتي مقتولًا، وعوافي السِّباع والطير تأتيهِ وتنالُ منه. ويقال: عَفَاهُ واعتفاه بمعنًى واحد.

٤ ـ وهَلْ غَمَراتُ المَوْتِ إلا نزالُكَ الْـ   ـكَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الكَمِيِّ المُقَطَّرِ[١]

هذا الكلام بيانُ ما تكلَّفه عند التعطُّف على مِسْحَلٍ، وتصويرٌ لَهَوْلِ ما رَكِبَهُ وعاناه من عظيمِ البلاء في نُصْرته. ولهذا جعل النَّفْي بلفظ الاستفهام، فقال: وما شدائدُ الموت إلا منازلتُكَ الكميَّ فوق لحم الكمِيّ، أي فوق جِيَفِ القتلى. ولولا أنَّ هَلْ في طريق النفي هٰهنا لما جاء بعده إلَّا. والمُقَطَّرُ: المُلْقى على أحد قُطْرَيْهِ، وهما الجانبان. ولقَطَّر اختصاصٌ بالعبارة عن الإسقاط والصَّرْع. على ذلك قول عمْرو بن مَعَدِيكَرِبَ: [السريع]

ما قَطَّرَ الفَارِسَ إلَّا أَنَا[٢]

ومن المَحْكِيِّ عنهم في المعنى الذي قَصَدَهُ هذا الشَّاعر، أنه سُئِل بعضُهم: ما أشدُّ ما رأيتَه فيما زاولْتَه من الحروب؟ فقال: «الزَّالِقُ على العَلَق». وفي طريقتِه قولُ الآخر: [الطويل]

يَطَأْنَ مِنَ القَتْلَى ومنْ قِصَدِ القَنَا   شَرِيجًا فما يَجْرِينَ إلَّا تَوَهُّما

١٤١ ـ وقال طَرَفَةُ الجَذِيمِيُّ[٣]: [الطويل]

١ ـ يا رَاكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ   بَنِي فَقْعَسٍ قولَ امرىءٍ ناخِلِ الصَّدْرِ

---

(١) التبريزي: «وما غمراتُ الموتِ».

(٢) لعمر بن معديكرب في ديوانه ١٦٧، والأغاني ١٥: ١٦٩، والكتاب ٢: ٣٥٣، وله أو للفرزدق في شرح شواهد المغني ٢: ٧١٩، وصدره:

«قد علمت سلمى وجاراتها»

(٣) أحد بني جذيمة بن رواحة بن قطيعة، شاعر فارس. انظر المؤتلف والمختلف للآمدي ١٤٦.

يخَاطِبُ واحدًا من الركبان غيرَ مُعَيَّنٍ، ويكلِّفُهُ إن عَرَضَ لبني فَقْعسٍ أن يُبَلِّغَهم عنه قولَ رجُلٍ ناخِلِ الصَّدرِ ناصح الجَيْبِ، صادِقِ الوُدِّ. وإنما نَكَّرَ المدعُوَّ لأمْرين: أحدهما شدّة اهتمامه بالرسالة وتحميلها رسولًا كائنًا من كانَ. والثاني أنّه أراد أنْ يضع رسالةً ظاهرها أنّها أودِعَتْ متحمِّلًا، علمًا بأنّ الرسالة بنفسها إذا ضُمِّنَت الشِّعْر وعُقِدَتْ به ستبلُغ على أفواه الرُّوَاة. وقولُه «نَاخِلِ الصدر» يريدُ مُصَفًّى ما في الصَّدر، فحذف المُضَاف. أو يريد ناخل الصَّدْرِ لما يَعِيه فجعل الفعل للصَّدر توسُّعًا، والمعنى أنّه موافق الظّاهر للباطن. ويقال: نَخَلْتُ الوُدَّ والنُّصْحَ لفلانٍ، إذا أخلصتهما.

٢ ـ فوالله ما فارقْتُكم عن كَشَاحَةٍ ولا طِيبِ نفسٍ عنكمُ آخِرَ الدَّهرِ

يقول: أحْلِفُ أنّي لم أوثِرْ فراقَكم لعداوةٍ لازمةٍ لِكَشْحِي، وبغضاء متمكّنةٍ من طوِيَّتِي، ولا لِسُلُوّ نفسٍ عنكم وسخاءِ قلب بكم آخر الدَّهر. وهذا الكلامُ إظهارُ مَيْلٍ إلى إصلاح ذات البين لو تساعَدَت الأحوال، ومَعْذِرَةٌ أقامها فيما قَصَدَهُ من مُرَاغمتهم، وآثَرَهُ في مهاجرتهم ومفارقتهم، وإبانَةٌ عن الأمرِ في أنّ الباعث على ما اتّفق لم يكن من سُوء خَلّةٍ، وانطواءٍ على حَسَدٍ وقطيعةٍ. وإنما قَرَنَ السُّلُوّ بقوله آخر الدهر ليُرِيَ أن ذلك التقدير ليس بحاصِلٍ ولا واقعٍ أبدًا، وهذا كما يقال لا أفعل كذا ما دامت السمٰوات والأرض.

٣ ـ ولكنّني كُنْتُ امرأً من قبيلةٍ بَغَتْ وأتتْنِي بالمظالم والفَخْرِ

هذا كَشْف العِذْرة وذِكْر السَّببِ الموجب للمجانبة والفُرْقة، فيقول: ولكنني كنت رَجُلًا من قبيلةٍ خرجت عن طريق التَّوَاصُل إلى طريق التَّقاطع بما استعملتْه من البَغْي والشِّقاق، وتعاطَتْهُ معي من الظُّلم والعِناد، حتّى تَدَاعَتْ مبانِي التّواشُج والتَّحابّ، وانفصمتْ عُرَى العلائق بيننا والتَّوادّ، وعِيلَ الصَّبْرُ، بما لحق من الهَضْم، وحَرِجَ الصَّدرُ، لِمَا تلاحَقَ حالًا بعد حالٍ من الاستخفاف والذُّلّ.

٤ ـ فإنّي لَشَرُّ النّاسِ إنْ لم أبِتْهُمُ على حَالةٍ حَدْبَاءَ نابِيَةِ الظَّهرِ[1]

انتقل عن الخِطاب إلى الإخبار حين توعَّدهم، وإنْ كان الكلُّ من جملة الرِّسالة، ويروَى: «لِشَرِّ الناس» بكسر اللام، والمعنى: أنا ابنُ شرِّ الناس، كما

(١) التبريزي: «على آلةٍ حدباء» والآلة: الحالة.

قال النابغة: [الطويل]

لئن كان للقبرين قبرٍ بجِلّقٍ[١]

والكلام لفظه لفظ الخبر والمعنى معنى القسم. وهذا من الأيمان الشريفة. ويُروَى: «لَشَرُّ الناس». والمعنى: أنا شَرُّ الناسِ إنْ أحْمِلْ هؤلاء القَوْم بياتًا على حَالَةٍ مُنكرةٍ، وخُطَّةٍ صعبة، لا يُستقرُّ عليها، ولا يُثْبَتُ على ظَهْرِها.

وفي هذه الطريقة قولُ الآخَر[٢]: [الطويل]

لَقَدْ حَملتْ قيسُ بنُ عيلانَ حربَنا ... على يابِسِ السِّيساءِ مُحدَودِبِ الظَّهرِ

فقوله نابية الظهر مثل قول هذا مُحْدَوْدِب الظهر، أي ظَهْرُها يَجفُو لِنُتُوِّه ونُبُوِّه فيقلق راكبها ولا يَقَرُّ، وجوابُ الجزاءِ الفاء في قوله وإني لشَرُّ النَّاسِ.

٥ ـ وحتى يَفِرَّ النَّاسُ من شَرِّ بَيْنِنَا ... ونَقْعُدَ لا نَدْرِي أَنَنْزِعُ أم نَجْرِي

تَعَلّق حَتَّى بفعلٍ مضمرٍ، كأنّه قال: وأُديمُ ذلك لهم حتَّى يَفِرَّ الناسُ، أي إلى أن يفِرَّ الناسُ. والمعنى: إنّي لا أزالُ أتَمادَى في اللَّجاج والشَّرّ، وأترقّى في دَرجاتِ النِّزاع والحَرب، حتَّى يَستقِيلَ النَّاسُ من مشاركتِنا وملابستنا فيما نُزاوله، ويستَعْفُوا من التوسُّط بيننا وردّنا عَمّا نقتحمه، ويَنفُضُوا أيديَهم من استطلاحنا ونتحيَّر نحن أيضًا ونرتبك إذا توسَّطْنا أمُورَنا، فلا نَدْرِي أنَقْصِرُ ونَكُفُّ، أم نجْرِي فَنَنْفُذُ. وهذا إلمامٌ بما سارَ به المثَلُ في قصة السائلة للسَّمْن، وبِقول الشاعر: [الطويل]

وكُنتُ كذاتِ القِدْرِ لم تَدْرِ إذْ غَلَتْ ... أتُنْزِلُهَا مذْمُومَةً أم تُذِيبُهَا[٣]

وفي المثل السائر: «اختَلَطَ الخاثِرُ بالزُّبّاد[٤]». وقولُه «لا نَدْرِي» في موضع الحَالِ.

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤١، واللسان (حلق)، وديوان الأدب ٢: ٣٩٥، وعجزه:

«وقبر بصيداء التي عند حارب»

(٢) للأخطل في ديوانه ٧١، واللسان (سيس)، والتنبيه والإيضاح ٢: ٢٨٢.

(٣) لبشر بن أبي خازم في المفضليات ٢: ١٣١، وعند التبريزي (تذيبها).

(٤) الزّبّاد: الزبد، وجماء في لسان العرب (زبد): «وقالوا في موضع الشدة: اختلط الخاثر بالزبّاد: أي اختلط الخير بالشرّ والجيد بالرديء والصالح بالطالح، ويُضرب مثلًا لاختلاط الحق بالباطل».

١٤٢ ـ وَقَال أُبَيُّ بن حُمَام المُرّيُّ(١): [الطويل]

١ ـ تَمَنَّى لِيَ المَوْتَ المُعجَّلَ خَالِدٌ ولا خَيْرَ فيمَنْ لَيسَ يُعْرَفُ حاسِدُهْ

٢ ـ فَخلِّ مَكَانًا لم تَكُنْ لِتَسُدَّهُ عَزِيزًا على عَبْسٍ وذُبْيَانَ ذَائِدُهْ(٢)

يقول: وَدَّ لِيَ الموتَ الوَحِيَّ السريعَ الإتيانِ خالِدٌ، حَسَدًا منه وبُغْضًا، ومَنافَسَةً في الرِّياسة وحِقْدًا. ثم قال مُتَسَلِّيًا: ولا خَيْرَ فيمن لا حاسِدَ له، لأنَّ الحسَد من توابع الفضل ومسبِّباته. ومثل هذا قولُ الآخر: [البسيط]

إن يَحْسُدُوني فإني غير لائمِهِم قَبْلِي من الناسِ أهلُ الفَضْل قد حُسِدُوا(٣)

وقد شرح القول فيه. وقوله «فخَلِّ مَقامًا» أقبَلَ على خالِدٍ مُبَكِّتًا له ومُقصِّرًا به، يعرِّفُه أنه يَحسُدُه فيما لا يَصْلُحُ له ولا يُسْتَكْفَى مِثلُه فيه، فقال: اتْرُكْ مقامًا تَزِلُّ قَدَمُك عنه، وتسقُطُ رُتْبَتُك دُونه، وآنَسَ مكانًا لا تسدُّه بكفايتك، ولا تقوم فيه بغَنائك، ويعزّ المدافعُ دونه على طوائف عبس وذبيان ـ وإنما يريد رياسة العشيرة ـ وخَلِّ القيام بأمر عَبْسٍ وذُبْيان إذْ لَسْتَ من رجالِ ذلك. وقوله «لِتَسُدَّه» اللام فيه لام الجحود، وهي لام الإضافة، والفعل بعده ينتصب بأن مُضْمَرَةً ولا يُظْهَرُ البَتَّةَ.

١٤٣ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ لَسْتُ بِمَوْلَى سَوْءَةٍ أُدَّعَى لَهَا فإنَّ لِسَوْءاتِ الأُمورِ مَوَالِيَا

مَوْلَى سَوْءَةٍ: مُتَوَلِّيها وصاحبها. ويجوزُ أن يكونَ مِنَ الوَلْيِ: القُرْب أي لا أُقارِبُها ولا أُدانيها: وقوله «أُدَّعَى» من الدِّعاوةِ والدِّعْوَةِ، وهي النِّسْبة. يقول: لا أتَعاطى قبيحًا، ولا أتولَّى مُخْزِيَةً فأُنْسَبَ إليها، وأُعْرَفَ بها، فإنّ لمقابح الأمور أرْبابًا غيْرِي. وهذا انتفاءٌ من الأدْناس، وتبرُّؤٌ من المقابح، وتعريضٌ بأن ما يتنزّه عنه حاصلٌ في مُجاذِبِه وملازِمٌ له.

٢ ـ ولَنْ يَجِدَ الناسُ الصديقَ ولا العِدَى أَدِيمِي إذا عَدُّوا أَدِيمِيَ وَاهِيَا

يقولُ: إني صحيحُ الأصل، تقيُّ العرض، فلو تعاوَنَ في الكَشْفِ عَمَّا أدَّعيه والبحثِ دونَه أصدقائي وأعدائي، ومن يَرَى التغميضَ على ما يُنْكِرُه. أو التشهيرَ

---

(١) التبريزي: «وقال أبيّ بن حُمام العبسيّ، وحُمام: هو ابن جابر بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس».

(٢) التبريزي: «فخلِّ مقامًا».

(٣) البيت الأول من الحماسية رقم (١٣٨).

والتنديد بما يثيرُه، لما وجدوا غميزةً، ولا ظَفِروا بنَقيصة. وذِكْرُ الأديم مَثَلٌ للعَرض والأصل. والعَدُّ والإحصاءُ كنايةٌ عن الفَحْص والتنقيرِ.

٣ ـ وإنّ نِجَارِي يابْنَ غَنْمٍ مُخَالِفٌ نِجَارَ اللِّئامِ فابغِني مِنْ وَرَائيا

النِّجَارُ: الأصل. وهذا تعريضٌ بالمخاطَب، يقول: أصلي مخالِفٌ لأصول الأدنياء، فاطلبْني للمُفاخرة إذا غبتُ عنك أو فُتُّكَ. فأما إذا حَضَرْتُ فإنك لا تقاوِمُني ولا يستقيم لك مساجَلتي. هذا إذا جعَلْتَ وراء بمعنى خَلْف، فإن جعلتَهُ بمعنى قُدّام يكونُ بمعنى ابغِني إذا تقدّمْتَني. ومَن طَلَبَ من تخلّفَ عنه مِن قُدّامٍ لا يُدْرِكُه، والكلام على هذا يكون تهكُّمًا وسُخْريّةً. فالمعنى في الأوّل والثاني: إنك لا تَلْحَقُ شَأْوِي فاطلُبْنِي طَلَبَ المعَذِّر واليائس. ويجوز أن يكون يُريدُ: إني كريمُ الأصل، رفيع المَحَلّ، عليُّ الرُّتبةِ، ومن كان كذلك لا يظفَرُ به، ولا يُصْطادُ مِثْلُه إلّا بالخضوع له والانقياد بالتذلُّل بين يديه، فأبغِني وأنت تابعٌ لي، وواطىءٌ عَقِبِي، حتى تنالَني، وإلا لم تَبْلُغْ مُرادَكَ منّي. ويقالُ: فلانٌ من وراءِ فلانٍ، إذا كان ناصرًا له، وتابِعًا. وأنشد ابن السِّكّيت: [الطويل]

لعَمْرُكَ ما كان ٱلْقَرَنْبَى ورَهْطُهُ بِعَمّي ولا خالي ولا مِنْ ورائيا

وقال: المَعْنَى: ولا ناصري. فأما قولُهم الله من ورائك، فالمعنى: طالبُكَ ومُترصِّدٌ لمكافأتك. فعَلَى القولِ الأخير يكون من ورائي في موضع الحال لضمير الفاعل في أبْغ.

٤ ـ وسِيَّانِ عِنْدِي أن أَموتَ وأن أُرَى كبَعْضِ رِجالٍ يوطِنُونَ المخَازِيَا

ارتفع سِيَّانِ على أنه خبر مُقَدَّم لقوله «أن أَموتَ وأنْ أُرَى»، والمعنى: مِثْلَانِ عندي موتي وأن أُرَى كمن يَألفُ المخازيَ ويَرْضاها وطَنًا ومأوًى، ولا يأنَسُ إلّا بها، ولا يَرْجِعُ إلّا إليها، وهذا تَعْرِيضٌ بالمُخاطَبِ أيضًا. والسِّيُّ: المِثْلُ. قال: [الوافر]

فـإيّـاكُـمْ وحَـيَّـةَ بَـطْـنِ وَادٍ هَمُوزِ النَّابِ ليس لكُمْ بِسِيٍّ[1]

٥ ـ ولَسْتُ بِهَيَّابٍ لمن لا يَهابُني ولَسْتُ أرَى للمَرْءِ ما لَا يَرَى لِيَا

(١) للحطيئة في ديوانه ١٣٩، وجمهرة اللغة ١٣١٠، وخزانة الأدب ٥:٨٦، واللسان (سوا).

يقول: لا أحتشِمُ مَن لا يحتشمني، ولا أتهيَّبُه إذا لم يتهيَّبْني، ولا أرى من إعظام المرء وإجْلَالِهِ ما لا يَراهُ لي، لكنِّي أُوازِنُ الناسَ في أفعالِهم، وأجازيهم على قدر استحقاقهم. وقوله «ما لا يرى ليا» حَذَفَ مفعول يَرَى تخفيفًا، وهذا الحذفُ سائغٌ إنْ جَعَلْتَ ما مَعرِفةً فكان ما بعدهُ صِلةً، أو جعلته نكرة فكان صِفة.

٦ ـ إذا المَرْءُ لم يُحْبِبْكَ إلا تَكَرُّهَا عِرَاضَ العَلُوق لم يكنْ ذاك باقيا

انتصب قوله «تكرُّهًا» على أنه مَصْدَرٌ في موضِع الحال، والتقدير: إلا متكرِّهًا. وانْتَصَبَ «عِرَاضَ العَلُوقِ» على أنه مصدرٌ مما دَلّ عليه قولُه «لم يُحْبِبْكَ إلا تَكَرُّهًا»، لأنّ المعنى إذا الرّجلُ عارَضَك في الحُبِّ عِراضَ العَلُوقِ لم يكن ذلك الحُبُّ باقيًا ولا ثابتًا. والعَلُوق، هي المرأة التي تَرأَم ولدَها وتَلسُنُهُ حتَّى يأنسَ بها، فإذا أرادَ ارتضاع اللَّبنِ منها ضَرَبَتْهُ وطردَتْهُ. قال: [المتقارب]

ومـانَـحْـنِـي كَـمِـنَـاحِ الـعَـلو قِ مـا تَـرَ مـن غِـرَّةٍ تَـضْـرِبِ[1]

ويشْبِهُ البيتَ الذي نحن في تفسيره قولُ الآخَر: [البسيط]

أَمْ كيف ينفَعُ ما تُعطِي العَلُوقُ به رِئمانُ أَنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبَنِ[2]

١٤٤ ـ وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّادٍ: [المتقارب]

١ ـ يُـذَبِّـبُ وَرْدٌ عـلـى إثْـرِهِ وأَمْـكَـنَـهُ وَقْـعُ مِـرْدًى خَـشِـبْ

هذا وَرْدُ بن حابِسٍ طَلَبَ نَضْلَةَ الأسَدِي بِوِتْرٍ كان له عِندَهُ. فيقولُ: تَسَرَّعَ هذا الرجل في إثْرِ الهارب منه، واستحثَّ فَرَسَهُ في لَحَاقِه، فمكَّنَهُ منه عَدْوُ فَرَسٍ صُلْبٍ كأنّه مِرداةٌ. والمِرْدَى: صَخرة يُكسر بها النَّوَى وغيرُه. ومعنى خَشِبٍ خَشِنٌ. ويقال: خَشَبْتُ الشيءَ خَشْبًا فَخَشِبَ. والخَشِبُ من السَّيف: الذي بُدِيء طَبْعُه فلم يَلِنْ بَعْدُ. وقوله «وَقْعُ مِرْدًى» هو من وقَعْتُ الحديدَة، إذا ضربْتَهَا بالمِيقَعَةِ، كأنّ الفَرَسَ كان يَضربُ الأرضَ بحوافِره ضَرْبَ الحديد بالميقعَةِ. ومن

(١) للنابغة الجعدي في ديوانه ٢٦، ولسان العرب (علق)، وكتاب الجيم ٢:٣٠١، وتاج العروس (علق).

(٢) لأفنون التغلبي في خزانة الأدب ١١:١٣٩، والدرر ٦:١١١، وشرح اختيارات المفضل ص ١١٦٤، واللسان (علق).

هذا قول الهُذَليّ ساعِدَة: [الكامل]

وحَوَافِرٌ تَقَعُ البَرَاحَ كأنَّما ... أَلِفَ الزِّمَاعَ بها سِلَامٌ صُلَّبُ[١]

فمعنى تقع البراح، أي تقرعه. وروى الجمحي هذا البيت:

.... كأنما ... ألف الزِّماع ردى سِلام صُلَّب

وقال: رَدَى صخرَةٍ، شَبَّهَ الأنف بها، فعلى هذه الرواية يَحْصُل التوافُق بين بَيْتَيْ عَنترة وساعِدَة الهُذَليّ في اللفظ أيضًا.

٢ ـ يتَابِعُ لا يَبْتَغِي غَيْرَهُ ... بأبْيَضَ كالقَبَس المُلْتَهِبْ[٢]

التتابُع والمتابعةُ يستعملان في اطِّراد الشَّيء واستمراره على حَدٍّ واحِدٍ. على هذا قولهُ:

وَعُرَاضَةُ السِّيَتَيْنِ تُوبِعَ بَرْيُها

ومفعول يُتابع محذوفٌ، ويجوز أن يكون الفعل للرّجُل ويجوز أن يكون للفَرس. كأنّ المرادَ: يتابع الرّكضَ أو العَدْوَ. وموضع لا يبتغي نَصْبٌ على الحال. والباء من قَوْلِهِ «بأبيض» يجوز أن يُريدَ به سَيْفًا. والقَبَسُ: النار. شَبَّهَهُ بها في بَريقها ولمعانها ويجوز أن يريد به رجُلًا كريمًا، ويكون على هذا «يتابع» للفرس. وشبَّهَهُ بالنار لذكائه ونفاذه. واستعمالُ البياض في الكَرَم ونقاءِ العِرْضِ كثيرٌ معروف، على ذلك قولُ الآخَرِ[٣]:

أُمُّكَ بَيْضَاءُ من قُضَاعَة

فأما مَعْنَى قوله «يبتغي غَيْرَه» فيجوزُ أن يكون هِمَّتَهُ كانت موكولةً به لا بشيءٍ من الغنائم والأمْوَالِ. وكأنّه ألَمَّ بقوله: [الكامل]

أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عند المَغْنَمِ[٤]

ويجوز أن يُرِيدَ أنَّ قَصْدَه في الطَّلَبِ كان إليه لا إلى غيره من النّاس.

---

(١) البيت في ديوان الهذليين ١:١٨٦. (٢) التبريزي: «تَتَابعَ».

(٣) لابن قيس الرقيات في ديوانه ٨٣، وتمامه:

«أمك بيضاء من قضاعه في الـ ... بيت الذي يستكن في طنبه»

(٤) لعنترة في معلقته وصدره:

«يخبرك من شهد الوقيعة أنني»

٣ ـ فَمَنْ يَكُ في قَتْلِهِ يَمْتَرِي فإنَّ أبا نَوفَلٍ قد شَجِبْ

أضافَ المَصْدَرَ في قَتْلِهِ إلى المفعول. يقول: مَنْ شَكَّ في قتل وَرْدٍ لِنَضْلَةَ فَلْيُزِلِ الشَّكَّ عن نفسه، وليَدَعِ الارتياب إلى غيرهِ فإنه هَلَكَ لا مَحالة. وأبو نَوْفَلٍ: كنية نَضْلَةَ. وفي الكلامِ تَهَكُّمٌ وإظهار شَمَاتة. ويقال: شَجَبَ بفتح الجيم، إذا هَلَكَ، فهو شَاجِبٌ، وشَجِبَ بكسر الجيم فهو شَجِبٌ، لغتان.

٤ ـ وَغادَرْنَ نَضْلَةَ في مَعْرَكٍ يَجُرُّ الأسِنَّةَ كالمُحْتَطِبْ

النون ضمير الخيل. يقول: تَرَكَتِ الخَيْلُ هذا الرجل لمَّا انكشفت عنه وهو في مُزْدَحَم الحَرْب جارًا للأسنَّة المكسورة فيه عند الطعْن، كأنّه جامع حَطَبٍ. ويقال أَجْرَرْتُ فُلانًا الرُّمحَ فجرّهُ، أي كسرْتُه فيه لمَّا طعَنْتُه فصار بجرّه. وأنشد أبو زَيْدٍ: [الرجز]

أَجِرَّهُ الرُّمْحَ ولا تُهَالَهْ(١)

وحكى بعضهم أن المحتَطِبَ: دُوَيْبَةٌ تمرُّ على الأرْضِ فيَعْلَقُ بها العِيدانُ. ويكون المعنى يجُرُّ الأسنّةَ كما تجُرُّ هذه الدُّوَيْبَّةُ العِيدانَ. وهذا تصويرٌ للخفيِّ بالجَلِيّ.

١٤٥ ـ وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ(٢): [الطويل]

١ـ لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إذا جَنَّ لَيْلُه مُصَافِي المُشَاشِ آلِفًا كلَّ مَجْزِرِ

لَحَى الله: كلمةٌ تُستعملُ في السَّبِّ، وأصله اللَّوْم والقَشْرُ أيضًا. والصُّعلوك: الفقير. يقول: زاد الله كلَّ فقيرٍ يرضى من عَيشهِ بأن يطُوفَ في المَجَازر إذا أظلَمَ عليه الليلُ، ويلتقط المُشاشَ منها كأنه يصافيها ويلازمها حُبًّا لها ـ فَقْرًا. وإنما قال هذا على وجْه الإنكار. أي لِمَ يقنعُ بذلك، ومالَهُ يُسِفُّ لمثْلِ هذا المَطْمعِ الخسِيس ولا يطلُبُ مَعاليَ الأمور. والمُشاش: كلُّ عَظْم هَشٍّ دَسِم، والواحدُ مُشاشَةٌ. وقولُه «مَصافِي المُشاش» نكِرَةٌ، وانتصبَ على أنه صفَةٌ لقوله صُعْلوكًا. وإضافته ضعيفةٌ، لأن المشاشَ أُشيرَ به إلى الجنس، ولا يَحصُل التخصيص بالإضافة إليه. وعلى هذا قولهم: قَيْدٌ

---

(١) الرجز بلا نسبة في اللسان (هول، ويه، وخطا).

(٢) عروة بن الورد بن زيد العبسي: من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها، وكان يلقّب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم (ت نحو ٣٠ ق.هـ/ ٥٩٤ م). ترجمته في الأغاني ٣:٧٣، والشعر والشعراء ٢٦٠.

الأوَابِد، وَدَرَكُ الطَّريدةِ وما أشبهُ. وكان يجب أن يحرّك الياء من مُصافي بالفتح، فسكَّنَه لأن منهم من يُجْرِي الفتحةَ في مِثله من المعتلّ مجرى سائر الحركات فلا يُثْبِتُها.

٢ ـ يَعُدُّ الغِنَى من نفسِه كلَّ ليلَةٍ أصابَ قِراهَا من صَديقٍ مُيَسِّرِ

يقول: لِفَرَحِه بما يَنالُه من كَسْبِه الدّنِيّ، ورضاهُ عن أيّامِه بعَيْشِه اللئيم يَعُدُّ ـ إذا أصابَ القِرَى لَدَى صديقٍ وُلِدَت له شِياهٌ فاتَّسَع اللَّبنُ عنده وفي رَحْلِه ـ الغِنَى مَحُوزًا لَهُ، ومحصَّلًا عنده، فلا غَضاضةَ تلحقه، ولا أَنَفَةَ تقبِضُه. والمُيَسِّرُ ضدُّ المجنِّب، يقال يَسَّرَ الرَّجُل ويَسَّرَتْ غنمُه. وجَنَّبَ الرجُل، إذا قَلَّتِ الحَلُوبة في إبلِهِ وغنمه. قال: [البسيط]

وكلُّ عامٍ عليها عامُ تجنيبِ[1]

وقولُه «أَصابَ قِرَاهَا» أضافَ القِرَى إلى الليلة على المجازِ، والمرادُ قِرَاهُ فيها.

٣ ـ يَنَامُ عِشاءً ثم يُصْبِحُ ناعِسًا يَحُتُّ الحَصَى عَن جَنْبِهِ المتَعَفِّرِ[2]

يقول: ينامُ هذا الصُّعلوكُ لدناءة هِمَّته، وقماءة معيشته، واستيلاء الكسَل على نفسه ومكسَبِه قُبُلَ اللَّيل، لأن هِمَّتَه في راحَتِه ونومِه، وحِرْصِه على ما يَسُدُّ جَوْعَتَه به. ثم يأتي الصَّباحُ عليه وهو ناعسٌ بَعْدُ، غير قاضٍ حاجَتَه من الرُّقاد، ولا ضَجِرٍ في مَضجَعِه بالتساقط والانجدال، يَنفِي عن جَنْبِه ما لَصِق به من الحَصَى والتُّراب، ونَشِبَ فيه من دُقاقِ الحصى. وذلك لأنه نامَ بلا وِطاءٍ. وقوله «يَحُتُّ الحصى» أي يُسْقِطُه، فهو قريب مِن يحُطُّ. والعَفَرُ: التراب، ويقال: عَفَّرْتُه فتعَفَّرَ.

٤ ـ ولكنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِهِ كَضَوْءِ شِهابِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ

صَفْحةُ الرَّجُل وصَفِيحته: عُرْضُ وجهِه. يقول: ولكنَّ فقيرًا مُشْرِقَ الوَجه صافيَ اللوْنِ، لا يتخشّع لفقرِهِ، ولا يتذلّلُ إذا أثَّرَ الدهرُ فيه، فكأنَّ ضوْءَ، وجهِه ضَوءُ نار القابس المتنوِّر. والقابس هٰهنا ذو القَبَس معناه. والقَبَسُ: النار، ويكون القابسُ

(١) البيت للجميح الأسدي في المفضليات ١: ٣٣، وصدره:
«لما رأت إبلي قلّت حمولتها»

(٢) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت آخر:
«يُعينُ نساءَ الحيِّ ما يستعِنّهُ ويُمسي طليحًا كالبعيرِ المحسَّرِ»

الطالبَ. ويقال: أقْبِسْنِي نارَكَ. والمتنوِّر: المتفعِّل من النار. ويقال تنوَّرْتُ النار، أي نظرْتُ إليها واستضأْتُ بنورها. ومنه قول امرىء القيس: [الطويل]

تَـنـوَّرْتُـهـا مـن أذرِعـاتٍ وأهـلُـهـا بـيَـثْـرِبَ أَدْنَـى دارِهـا نَـظَـرٌ عـالِ

وموضع «صفيحةُ وجهه» مع خَبَرِه نَصْبٌ على أن يكون صفةً لصُعْلُوكًا وخَبَرُ لكنّ يجيءُ فيما يجيءُ من بَعْدُ. وقوله «صفيحة وجهه» حَذَفَ المُضافَ منه لأنّ المرادَ ضوءُ صفيحة وجهه كضَوْءِ شِهابٍ، فأقام المضاف إليه مَقامَه.

٥ ـ مُـطِـلًّا عـلى أعـدائـه يـزجُـرُونَـهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

يقالُ: أطَلّ على كذا، إذا أوفَى عليه. والمَنِيحُ، قال الخليل: هو الثّامنُ من القِداح. وقال أبو عَمْرٍو: المَنِيحُ والسَّفِيحُ والوَغْدُ قِدَاحٌ لا أنْصِباءَ لها، وإنّما يُكَثَّرُ بها القِدَاح فهي تُجَالُ أبَدًا، وقال الأصمعيُّ: المنيح الذي لا يُعْتَدُّ به. فيقولُ: ولكنّ الفقير الوضيءَ الوجْهِ، الذي يبذُل جُهْدَه ويبتذِلُ نفسَه في طلب غِناه، ويُقْصِرُ سَعْيَه على ما يبلغ به عُذرَه فيُشرِفُ على أعْدَائِهِ غازِيًا ومُغِيرًا، وهم يزجرونهُ حالًا بعد حَالٍ، ويكُرُّ هو عليهم وقتًا بعدَ وقتٍ يُزجَرُ هذا القِدْحُ في خروجه ومع ذلك يُرَدّ. وخَبَرُ لكنّ بَعْدُ لم يَجِىء.

٦ ـ إذَا بَـعُـدُوا لا يَـأْمَـنُـونَ اقـتـرابَـهُ تَشَـوُّفَ أهـلِ الـغـائِبِ الـمُـتَـنَـظَّـرِ

يقول: هذا الفقيرُ لا يَقْعُدُ به عن طَلَبِ الأعداء والإغارَةِ عليهم والنَّيْلِ منهم بُعْد الغَزَاةِ وتنائي الدّار، فهم لا يأمنونَهُ وإن شَحَطُوا، بَلْ يتشوَّفونَهُ تَشَوُّفَ الغائب المُتَنَظَّر، أي كما يُتَشَوَّفُ غائِبٌ دَنَا قُفُولُه ويُنتظَرُ. وانتصب «تشوُّفَ» على المَصْدَر فيما دَلّ عليه لا يَأمَنون اقترابَه، ومفعول تَشوُّفَ محذوفٌ، كأنّه قال تَشَوُّف أهل الغائب رُجوعَهُ.

٧ ـ فـذلـك إن يَـلْـقَ الـمَـنِـيَّـةَ يَـلْـقَـهَـا حَـمِـيدًا وإنْ يَـسْـتَـغْـنِ يَـومًـا فـأجْـدِرِ

يقولُ: ذلك الصُّعْلُوكُ إنْ أدرَكَهُ الأجَلُ، قَبْل نيلِ الأمَلِ، لَقِيَهُ محمودًا، إذ كانَ قَدْ فَعَلَ ما وَجَبَ عليه، وأقامَ عُذْرَه في مطلُوبِهِ باستفراغ الوُسْعِ في السَّعْي لَهُ، وإذْ كانَ التَبِعَةُ فيما فَاتَ على من يَملكُ العَوَاقبَ دُونَهُ. وإن نَالَ الغِنَى يَوْمًا فما أخْلَقَهُ بذلك. وقولُه «إن يَلْقَ المنِيَّةَ» خَبَرُ قولِه ولكنّ صُعْلُوكًا لو انْفَرَدَ عَنْ قوله فذلك، لكنّه لما تراخَى الخبرَ عن المخبَر عنه وتباعَدَ المقتضِي عن المقتضَى له أتى بقولِه فذلك،

مُشِيرًا به إلى الصُّعلوك. فصار إن يَلْق خبرًا عنه. وساغ ذلك لأنّ المراد بالأول والثاني شيءٌ واحد، ومما أُجري هذا المجرى لحصول مثل هذا التراخي فيه قولُ الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: الآية ٦٣]، فأعاد أنّ في قولِه «فأنّ» كما ترى.

١٤٦ ـ وقال عَنترةُ بن شَدَّادٍ العَبْسِي: [الوافر]

١ ـ تَركْتُ بَنِي الهُجَيمِ لَهُمْ دَوَارٌ إذا تَمْضِي جماعَتُهم تَعُودُ

البيت يُروَى على وجهين: أحدُهما:

تركتُ بني الهُجيم لَهُ دَوَارًا إذا يَمضِي جماعَتَهمْ يعودُ

ويكون الضمير في قوله له للفرس، ويمضِي فِعْلٌ لَهُ، وجماعتهم ينتصب على المفعول، لأنّ يمضي هذا يتعدّى، ومعناهُ يُجاوِزُهم. ويكون المعنى: تَركْتُ هؤلاء القومَ لفَرَسي مَطَافًا بمنزلة الدَّوَار ـ وهو صَنَمٌ كانوا يحجُّونه ـ يطُوفُ حَوْلَ ذلك الصَّنَم، إذا نَفَذَهم وخرقَ صفوفَهم ودار عليهم عادَ إلى مثل فعلِهِ الأوّل، وإلى مكانِه الأوّل. ويُشْبه هذا البيتَ بيتُ الأعشَى في المعنى واللّفظ، وهو: [المتقارب]

تَطُوفُ عليهم وتَمْضِيهِمُ كما طَافَ بالرُّجْمَةِ المُرْتَجِمْ(١)

وجاء في الحديث حُجَّةٌ لتَعدِّي يمضي، في صِفَة المَحْشَر: «يَمْضِيهِمِ الدَّاعي ويَنْفُذُهم البَصَرُ».

والثاني أن يُروَى:

تَرَكْتُ بني الهُجَيم لهم دَوَارٌ إذا تَمضي جَمَاعَتُهم تَعُودُ

والمعنى: تركتهم يطوفون حَولَ قتلاهم كما يُطاف على ذلك الصّنَم، أو ذلك النسُك، فإذا انقضَتْ جماعَةٌ منهم عادت الأخرى للنّظارة. وقوله «جماعتُهم» يريد جَماعةٌ منهم، فأضافَ البعضَ إلى الكُلّ، وليس يريد جُمْلتَهم، فهو في حكمِ النّكِرات، وموضِعُ «لهم دَوَارٌ» نَصْبٌ على الحال، وقوله «تَعُودُ» فاعِله مضمر، وهو جماعةٌ أخرى، فاكتفى بذكر الأولى عَنها.

---

(١) للأعشى في ديوانه ٨٩، وبلا نسبة في اللسان (رجم)، وتاج العروس (رجم)، وتهذيب اللغة ١١: ٧٠.

٢ ـ تَـرَكْـتُ جُـرَيَّـةَ الـعَـمْـرِيَّ فـيـه شَـدِيـدُ الـعَـيْـرِ مُـعْـتَـدِلٌ سَـدِيـدُ[1]

يفتخر بأنه أَصَابَ المذكور، لمَّا رماه بسَهْمٍ مُحكَم النصل، مُقوَّم القِدْح، صُلْبِ العَيْرِ، سديد الوَقْعِ. وموضع قوله «فيه شديدُ العَيْرِ» نَصْبٌ على الحال. والعَيْرُ: النَّاتِيء من وسط النصل. وقد أقيم الصِفَةُ مَقَامَ الموصوف، لأنَّ المُرَادَ به سَهْمٌ شديد العَيْرِ، ولولا ما حَصَلَ من الاختصاص بإضافة الشديد إلى العَيْرِ لَمَا جاز ذلك فيه، لأنَّ الصفة لا يقوم مَقام الموصوفِ حتى يَدُلّ عليه دَلالةً قويةً. فأمّا إذا كانت عامَّةً في أجناس، فلا يجوز ذلك فيه. لو قُلتَ مَرَرْتُ بطَوِيلٍ، وأنت تريدُ رَجُلًا، لم يَحْسُنْ، لأنَّ الطويل يكونُ في غير الرجال كما يكون في الرجال ولو قُلْتَ مررتُ بكاتِبٍ، يَحْسُنُ إِذْ كانت الكتابة مُخْتَصَّة.

٣ ـ فـإنْ يَـبْـرَأْ فَـلَـمْ أَنْـفِـثْ عَـلَـيْـهِ وإنْ يُـفْـقَـدْ فَـحُـقٌ لـه الـفُـقُـودُ

كان من رموزهم أنّ الواحد إذا رمى بسهْمٍ وأراد سلامة الرَّمِيَّةِ منه رَقَى سَهمَهُ بعُوذة ونَفَثَ فيه، ثمّ رَمَى به، وإذا أراد هلاكَهُ لم يفعل ذلك. ومثل هذا قول الآخر: [الطويل]

فلم أَرْقِهُ إن يَنْجُ منها وإنْ يَمُتْ فَـرَمْـيَـةُ لا غُـسٍّ ولا بِـمُـغَـمَّـرِ[2]

وقولُه: «فحُقَّ له الفقُود» المبتدأ محذوف، كأنّه قال فَهْوَ حَقٌّ له الفُقود، لأنَّ الفاء يُجْلَبُ في الجَزاء إذا كان الجواب بالابتداء والخبر، ولو قُصِد إلى أن يكون الفعل جوابًا لا يُسْتَغْنَى عن الفاء. وبعض من يدْفَع هذه الطريقة يقول لا رُقْيةَ ولا نَفْثَ، إنّما كَنَوا عن الإبقاء بمثل هذا الكلام. وقولُه: «وإن يُفْقَد» فهو مِثل قَوْلِهِ «فَطَعْنَةُ لا غُسٍّ». والمعنى: إن يَبْرَأْ فليس ذلك من بُقْيَايَ، وإن يهلِكْ فواجِبٌ لأنّ المصابَ بمثله يَهلِكُ لا مَحَالة.

٤ ـ ومـا يَـدْرِي جُـرَيَّـةُ أَنَّ نَـبْـلِـي يَـكونُ جَـفِـيرَهـا البَـطَـلُ الـنَّـجِـيـدُ

يُرْوَى: «وهل يَدْرِي جُرَيَّةُ». والمعنى لا يعلم أنّه كما أني أَصَبْتُهُ فدأبي وعادتي أن تكون الأبطال النُّجَداءُ لِنَبْلِي بمنزلة الجَعْبَةِ، أصيبُهُمْ أبدًا بها. وفي ذكره البَطَلَ

(١) التبريزي: «معتدل شديد». وذكر «إنما قال العمري لأن الهجيم ابن عمرو».

(٢) لزهير بن مسعود في اللسان (غسس) ونوادر أبي زيد ص ٧٠، وبلا نسبة في الإنصاف ٢:٦٢٦.

النَّجيد إلمامٌ بقول الآخر: [المنسرح]

.... ونَـصْــ ـطَادُ نُفُوسًا بُنَتْ عَلَى كَرَمِ[١]

ويقول الآخر: [الكامل]

مِن عَهْدِ عَادٍ كان مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ المُلُوكِ وقَتْلُهَا وقِتالُها[٢]

وأخذ أبو تَمّام هذا المعنى فقال: [الطويل]

فَلا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ في جُفُونِها فَقَدْ أُسْكِنَتْ بَيْنَ الطُّلَى والجَماجِمِ[٣]

ويجوز أن يُرِيد بالبَطَل النَّجيد جُرَيَّةَ بعينه، ثم يجوز أن يكون مُتَهَكِّمًا فيما وَصَفَهُ به، ويجوز أن يكون مادِحًا له، لأن مدحَ خَصمه وقتَ غَلَبِه رَاجِعٌ إليه.

١٤٧ ـ وقال قَيْسُ بن زُهَيْرٍ العَبْسِيُّ سَيِّدُ بَنِي عبس[٤]: [الوافر]

١ ـ تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا عَلى جَفْرِ الهَبَاءَةِ لا يَرِيمُ[٥]

يُرْوَى «أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا»، والمعنى هو حَيٌّ، وقولُه «على جَفرِ الهَبَاءَةِ» خَبَر أنَّ. ويُرْوَى: «مَيْتًا» وإعرابه على ما ذكرناهُ في حَيًّا. ويُرْوَى «مَيْتٌ» وارتفاعُهُ على أَنَّهُ خبر أنّ، و«على جَفر الهَبَاءَةِ» في مَوْضِعِ الصفة له. ومعنى تَعَلَّمْ: اعْلَمْ. ولا يقال في جوابِهِ تَعَلَّمتُ، استُغْنِي عنه بعَلِمتُ. ويَعْنِي بخير الناس حَملَ بنَ بَدْرٍ. وجَفْرُ الهباءة: بِئْرٌ قريبَةُ القَعْر، وماؤها كثيرٌ مَعِينٌ. وكان حملٌ انهزم في وَقْعَةٍ بين عَبْسٍ وذُبْيان، فلما انتهَى إلى الهباءَة أَمِنَ لبُعْدها عن الطَّلَب، فَرَمَى بنفسه إلى الماء ليبتَرِد، فاتفق لَحَاقُ قَيْس به مع عِدَّةٍ من ذَوِيه، فقُتِلوا عن آخرِهم.

٢ ـ ولَوْلَا ظُلْمُهُ ما زِلتُ أَبْكِي عليه الدهرَ ما طَلَعَ النُّجُومُ

---

(١) البيت الثاني من الحماسية (٣١) وهو لبعض بني بولان من طيّء، وتمامه:

«نستوقد النبل بالحضيض ونصـ ـطادُ نفوسًا بُنَتْ على كرم»

(٢) البيت السادس من الحماسية ١٣٤ وهو لبشامة بن الغدير.

(٣) ديوانه ٣٨٧.

(٤) قيس بن زهير العبسي: أمير عبس وداهيتها، وأحد السادة القادة في عرب العراق. كان يلقّب بقيس الرأي لجودة رأيه (ت ١٠ هـ/ ٦٣١ م). ترجمته في الكامل لابن الأثير ١:٢٠٤، والمرزباني ٣٢٢ والأغاني ٧:١٤٣.

(٥) التبريزي: «أن خير الناس ميتٌ».

أشار بالظُّلْم إلى ما جرَى بينهم في أمرِ داحسٍ والغبراء، وإنكارِهِ السَّبْقَ، وركوبِهِ البَغْيَ. وقولُه «ما طَلَعَ النُّجُومُ» ينتصب على أنه بدَلٌ من الدهر. والمعنى: لولا ما أسلَفَه من الظُّلْم لاقتضى ما يجمعني وإيَّاه من الأحوال والذِّمم، والتَّشاجُرِ والرَّحِم ـ البكاءَ عليه مدَّةَ الدهر. وقولُه «ما طَلَع» بمنْزِلة المَصْدر، وقد حَذَف اسم الزّمان معه. والمراد بذكر الدّهر الكثير والمبالغة والتأبيد. وقد بيَّنَه بقوله «ما طلَعَ النجومُ»، لأنه على ذلك يصحُّ أن يكون بدَلًا منه. فمعْنَى «عليه الدهرَ» عليه طَوالَ الدَّهرِ، وامتدادَ الدَّهرِ.

٣ ـ ولكنَّ الفتى حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ بَغَى والبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

يقول: استعمَلَ البَغْيَ واستَوْبَلَ العافية، واستذمَّ المَرْتَع، ومَن بُغِيَ عليه فإنه يُنْصَرُ. ويقال: بَغَى الرَّجُل على فُلانٍ، أي جارَ. وبَغَى الفَرَسُ في عَدْوِه، وهو فرَسٌ باغٍ، وذلك إذا اختالَ ومَرِحَ. وإذا استُعْمِلَ في الفخار والاستطالة فهْوَ من هذا. والوَخامةُ: الثِّقَلُ يَعرِضُ من الطَّعام. يقال: وَخُمَ وخامَةً فهو وَخيمٌ وَوَخِمٌ، أي لا يُسْتَمْرَأ.

٤ ـ أظُنُّ الحِلمَ دَلَّ عَلَيَّ قَومِي وقد يُستَجْهَلُ الرَّجُلُ الحَليمُ[1]

يقولُ: احتمالي من عَشِيرتي، واستعمالُ الحلم معهم، هو الذي جسَّرهُم عليَّ فيما أظنّ، ودَلَّهُم على قَصْدي واهتضامي على ما يتبيَّن. ثم قال «وقد يُستَجهَلُ الرجلُ الحليم» أي إذا أُحْوِجَ الحليمُ وأُحرِجَ فقد يَتكلَّفُ ما لا يكون معهودًا في طَبْعِه، ولا موجودًا من خُلقِه. وإنما نَبَّهَ بهذا الكلام على أنه يتحلَّمُ عن الأدْنَيْنِ، ويَصْبِرُ على أذاهم، وأنه لمَّا عِيلَ صَبْرُه وحُمِّلَ فوقَ ما في وُسْعِه، خرجَ عن المعتادِ منه إلى غيره.

١٤٨ ـ وقال مُساوِرُ بن هِندٍ[2]: [الكامل]

١ ـ سائلْ تَميمًا هَلْ وَفَيتُ فإنَّني أعددتُ مُكْرُمَتِي لِيَومِ سِبَابِ

---

(١) أنشد التبريزي بعده:

«ومارستُ الرجالَ ومارسوني فمعوَجٌّ عليّ ومستقيمُ»

(٢) مساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي: شاعر معمّر، ولد في حرب داحس والغبراء (ت نحو ٧٥ هـ/ ٦٩٥ م). ترجمته في الإصابة (٨٤٠٥)، والشعر والشعراء ١٢٥، والأغاني ٩: ١٥١.

يقول: سائل تميمًا هل كان مني وفاءٌ بما تَضمّنته لجاري، فإني رجلٌ نَظّارٌ في أعقابِ الأحاديث، مُهتمٌّ بإعداد المكارِم ليوْمِ النِّفار، شديدُ النِّزاع في مجالس الفَخار. كأنه يقرِّرُ خصَماءَهُ على ما كان من وفائه، ليُسْقِطَ التَّبِعة عنه فيه، ويُنبِّهَ على أنه يُراعِي أفعالَه فيُخْلِصُها مما يُعَدُّ سَيِّئَةً وسُبّةً وَوَصْمةً في حَسَبِه.

٢ ـ وأَخَـذْتُ جـارَ بَـنـي سَـلامـةَ عَـنْـوَةً فَـدَفَـعْـتُ رِبْـقَـتَـهُ إلـى عَـتَّـابِ

عَتَّابٌ هذا كان معتصِمًا بحبله، ومستظهِرًا بذِمَّتِه، فلحِقَه من بني سلامة اهتضامٌ في أمرٍ، فجاء مُساوِرٌ ومكَّنَه من جارِهم، وأعطاه رِبْقَتَه ليتحكَّم فيه، ويشتفِيَ لما لحقَهُ منهم. وهذا الكلامُ بيانٌ لكيفية وفائه والخروج إلى جارِه مما كان تضمّن لَه. وقولُه «عَنْوَةً» أي قَهرًا، وهو مَصدَرٌ في موضع الحال. ويقال: أخَذَ بَلَدَ كذا عَنوةً، أي قَهْرًا بالسيف. والرِّبْقةُ: الْحَبْلُ يُشَدُّ في عُنُقِ البَهْم، وقد توسَّعُوا فيه فقالوا: خَلَع فلانٌ رِبقةَ الإسلام. وقولُه «فدفعْتُ رِبقَتَه»، هو كما يُقال دفَعْتُ مَقادَتَه.

٣ ـ وجَـلَـبْـتُـه مـن أهْـلِ أُبـضَـةَ طـائـعًـا حَـتَّـى تـحـكَّـمَ فـيـه أهْـلُ إرَابِ

الهاء من «جَلَبْتُه» ترجع إلى دار بني سَلامة. وأُبضَةُ: اسم ماءٍ. وقولُه «جَلَبْتُه طائعًا» تنبيهٌ على أنه وإن لزِمَه لجارِه الانتقام له من خصمه ومهتَضِميه فقد تبرَّع له بما لم يكُنْ عليه، وتكلّف فيه ما لم يَلزَمْه. وإرابُ: موضع، وقيل إرابُ: ماءٌ لبني العَنْبَر. وأُبْضَةُ: ماءٌ لطيِّيءٍ. والأَبْضُ كالعَقْل، ومنه المَأْبِضُ في الرِّجْلِ. وقيل للغرابِ مُؤْتَبِضُ النَّسا، لأنه يَحْجِل فكأنه مأبوض.

٤ ـ قـتـلوا ابْـنَ أُخْـتِـهِـم وجـارَ بُـيُـوتِـهِـمْ مـن خَـيْـنِـهِـمْ وسَـفَـاهَـةِ الأَلْـبـابِ

يشهِّر بفَعْلتهم الذميمة ويُندِّدُ، فيقول: قطَعُوا الرَّحِم ونقَضُوا العَهد، وارتكَبوا ما كان محظورًا في الدِّين والمرُوَّةِ، والعهد والذِّمَّة، فقتلوا جارَهم وابنَ أخيهم، بخِفَّةِ عقولهم، واقتراب هلاكهم. والسَّفَهُ: الْخِفَّةُ في الأصْل، ومنه قيل زِمامٌ سَفِيهٌ، إذا كان كثير الاضطراب، ومنه قيل: تسفَّهَتِ الرِّيح الغصْنَ، وتسفَّهْتُه عن مالِه. واللُّبُّ: العَقْل، والفِعْلُ منه لَبَّ يَلَبُّ. وقالت صَفِيّةُ بنت عبد المُطَّلِب: «أَضربُه لكَيْ يَلَبّ، ويَقُودَ الْجَيْشَ ذا الْجلَب».

٥ ـ غـدَرَت جَـذِيـمَـةُ غَـيـرَ أنّي لـم أكُـنْ أَبَــدًا لِأُولِــفَ غَــدْرَةً أثْــوَابِــي

عَيَّرَهم باستعمال الغَدرِ وتَرْكِ الوفاء للجار، ثم بَرَّأَ ساحتَهُ من تعاطِي مثل فعلهم، ونَزَّه نَفْسَه عن ارتكاب نظيرِ ما ارتكبوه. فأما قولُه «لم أكُنْ لأولِفَ» فاللامُ فيه

لام الجُحود، وانتصابُ الفِعْل بأَنْ مضمرة بينه وبين اللام. وموضع «لأولِف» نَصْبٌ على أنّه خبر كان، وانتصاب غَيْرَ على أنه استثناءٌ مُنْقَطِعٌ. وَذَكَرَ الثَّوْب على عادَتِهِم في الكِنَايَةِ عن النَّفس. وعلى هذا قوله: [الكامل]

نُـبِّـيـتُ أنَّ دَمًـا حَـرَامًـا نِـلْـتَـهُ فَـهُرِيقَ في ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرِ[1]

وقد قيل معنى قولِهِ تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ [المدَّثِّر: الآية ٤]، أي نَفْسَك. ويقولون على هذه الطريقة: فُلانٌ غَمْرُ الرِّدَاء، وعَفيف الحُجْزة، والمراد النفسُ. وعلى هذا قول النابغة: [الطويل]

رِقَـاقُ الـنِّـعَـالِ طَـيِّـبٌ حُـجُـزَاتُـهُـمْ[2]

وقَوْل الهُذَلِيّ: [الطويل]

تَـبَـرَّأُ مِـنْ دَمِّ الـقَـتِـيـلِ وبَـزِّهِ وقَدْ عَلِقَتْ دَمَّ القَتِيلِ إزارُهَا[3]

٦ ـ وإذَا فَـعَـلْـتُـمْ ذلـكـم لـم تَـتْـرُكـوا أَحَـدًا يَـذُبُّ لَكُـمْ عـن الأحْـسَـابِ

الخِطَابُ يُوَجَّهُ إلى جَذِيمة وهو منهم، ولذلك جَعَلَ لهم أَحْسَابًا يُحْتَاجُ إلى الذَّبِّ عَنْها، ويَنْصَحُ لهم بالإبقاء عليها، وتَرْكِ الأَفْعَالِ التي تَدْعو إلى البَرَاءَةِ منهم ومنها، لكنَّه أَخرجَ نَفْسَهُ مما عَصَبَ من الذَّمِّ بهم، وألزمهم من ذَمِيم القَوْلِ في شِيَمِهِم وطُرُقِهم، فقال: إذا رَكِبتم من شَنيع الغَدْر مثلَ ما أَنْكَرْتُهُ اشتهرَ أمرُكُم، وانتفى النَّسيب والغريب من مُلَابستكم، وخُلِّيَ بين القَادِح في أَحْسَابِكم وأعراضكم وبينَكُم، فلا يَذُبُّ عنكم ذَابٌّ، ولا يُدافع دونكم مُدافِع، وتفرَّدْتم بالعار اللاحق، والتَّهجين العائد.

١٤٩ ـ وقال العباس بن مِرْدَاسٍ[4]: [الطويل]

١ ـ أَبْـلِغْ أَبَـا سَـلْـمَـى رَسُـولًا يَـروعُـهُ وَلَوْ حَلَّ ذا سِدْرٍ وأَهْلِي بِعَسْجَلِ

---

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٤٧، واللسان (هرق)، وتاج العروس (هرق).

(٢) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤٧، واللسان (سبسب، طيب، حجز)، وأساس البلاغة (حجز)، وكتاب العين ٣: ٧١، وعجزه:

«يُحَيَّونَ بالريحانِ يوم السباسِبِ»

(٣) لأبي ذؤيب الهذليّ في شرح أشعار الهذليين ص ٧٧، واللسان (أزر) وتاج العروس (أزر)، والمعاني الكبير ص ٤٨٣.

(٤) العباس بن مرداس السليم: صحابي، أسلم قبل فتح مكة، وأمه الخنساء الشاعرة، وهو شاعر فارس من سادات قومه (توفي نحو ١٨ هـ/ ٦٣٩ م). ترجمته في تهذيب التهذيب ٥: ١٣٠، والإصابة (٤٥٠٢)، وابن سعد ٤: ١٥.

٢ ـ رَسُولَ امرىءٍ يُهْدِي إليْكَ نَصِيحَةً فَإنْ مَعْشَرٌ جَادُوا بِعِرْضِكَ فَابْخَلِ

يخاطب بقَوْلِه «أبْلِغْ» صاحبًا له، يقولُ أدِّ إلى أبي سَلْمَى رسالةً تُفَزِّعُهُ على ما بيننا من البُعْد، وعلى استيطانه ذا سِدْرٍ ونزولِ أهلي بعَسْجَلٍ. وذو سِدْرٍ: موضع فيه السِّدْر، وهو شَجَرُ النَّبْقِ. وعَسْجَلٌ: موضعٌ من حَرَّةِ بني سُلَيْم، وبينهما مسافَةٌ بعيدةٌ. والرَّسُولُ يقع على المُرسَلِ والرِّسالة جميعًا، ويَجري مَجْرَى المصادر، فيقع على الواحد فما فَوْقُه، ومجازُ «لو حَلّ» مَجَازُ الشَّرْطِ، فهو يفيدُ معنى إنْ، كأنَّه قال: أبْلِغْهُ ذلك فإنّي لا أَدَّخِرُهُ نُصْحِي، وإن بَعُدَ عَنّي وعَنْ عَشِيرَتِي. وانتصب «رسول» من البيت الثاني على أنّه بدلٌ من رَسُولًا يَرُعُهُ. ونَقَل الكلامِ في البيت الثاني عن الإخْبَار إلى الخِطاب، لتكون الوَصَاةُ أنجع، والرِّسالة أبْلغَ. وإنَّما قال «رَسُولًا يَرُعُهُ» لما فيه من التَّحذير. فيقول: أدِّ إليه رسالةَ رَجُلٍ مُتَنَصِّحٍ متقرِّبٍ، وعلى ما يكون فيه صلاحهُ وخلاصُه مُنَبِّهٍ. وقوله «فإنْ مَعْشَرٌ جادوا بعِرْضِك» تَعْرِيضٌ بمن كان يَغُشُّه ويخونُه، ويداجيه فيما استشاره فيه فلا يَصْدُقه. وارتفع «مَعْشَرٌ» بِفِعْلٍ مُضمَرٍ «جادُوا» تفسيره؛ لأنَّ إنْ بالفِعْلِ أوْلَى، والمَعْنَى: إنْ عَرَّضَك مَن لا يُهِمُّه سَلامَةُ عِرْضِكَ لما فيه ذَهَابُ النفس وتَلَفُ المُهْجَةِ، وتَسَخَّى بك وبما يجمعك وإيّاه من أسباب المودّة واللُّحْمَة، فابْخَلْ أنت به وتَمَاسَكْ، قبْلَ فَوْتِ الْوَقْتِ، وانْظُرْ ليومِكَ وغَدِكَ قُدَّامَ تَوَلّي الأَمْرِ.

٣ ـ وإن بَوَّؤوكَ مَبْرَكًا غَيْرَ طَائِلٍ غَلِيظًا فلا تَنْزِلْ بِهِ وتَحَوَّلِ

يقال: بَوَّأْتُه مُبَوّأً صِدْقٍ، أي أحْلَلْتُه. والمَبَاءةُ: المنزل. يقولُ: وإنْ حَمَلُوكَ على مَرْكَبٍ غيرِ وطِيءٍ يَسُومونَك فيه خسفًا، وأنْزَلُوكَ منزلًا خَشِنًا حَزْنًا يؤثّر في ثَفِنَاتِ الإبل فَيُدْمِيها، ويَسْتَوْعِرُه الرَّكْبُ فلا يَرَونهُ منزِلًا لها، فلا تَرْضَ به، وانتقِلْ عنه. وهذا مَثَلٌ لِمَا عَرَّضُوهُ لَهُ، وَيَبْعَثُه بِضَرْبِهِ إيّاه على مُحاذرتِه، وتَصوُّرِ الأمر معهم بصورته. وقولُه «غيرَ طائل» يجب أن يَكُونَ من الطَّوْلِ: الفَضْلِ؛ يقال: طالَ عليهم طَوْلًا فهو طائلٌ. والمعنى: لا خَيْرَ فيه فَيطُولَ على غَيْرِه. ومِثْلُ هذا البيت قولُ امرىء القيس: [الطويل]

هُوَ المُنْزِلُ الآلَافِ من جَوِّ ناعِطٍ بنِي أَسَدٍ حَزْنًا من الأرضِ أَوْعَرَا

وقوله «فلا تنزل به» الفاء مع ما بعده جَوَابُ الشَّرْطِ في قوله وإن بَوَّؤوك. وموضع فلا تَنْزِلْ رَفْعٌ على أنَّهُ خبر مبتدإ محذوف، كأنه قال: فأنت لا تنزل به.

٤ ـ ولا تَطْعَمَنْ ما يَعْلِفُونك إنَّهُمْ أَتَوْكَ على قُرْباهُمُ بالمُثَمَّلِ

أَخْرَج ما قَدَّمَه من التمثيل لكيدهم وسُوءِ دِخْلَتِهم، وما يجب عليه من الأخذ بالتحرُّز معَهم، وتَرْك الاستناخة في المَبْرَك الذي اختاروه، والمُبَوّأ الذي أعدُّوه، في مِعْرَضٍ آخَر. والمعنى: وما يُعَدُّ قِرًى لك فتجنَّبْه ولا تتناولْه، فإنهم هيَّؤوا لك به سَمًّا قاتِلًا فلا تَطْعَمْهُ والمُثَمَّل، هو السَّمُّ الذي قد خُلِطَ به ما يقوّيه ويُهَيِّجه، ليكون أنفذ. ويقال للصُّوفة التي توضع في الهِناء عند طَلْي البعير به. الثُّمَلةُ، وهو مما ذَكَرْتُ. قال الرَّاجز:

كما يُلاثُ في الهِناءِ الثُّمَلَهْ[1]

وقوله «أَتَوْكَ على قُرْباهُم» يجوز أن يريد به على تقرُّبهم وتنصُّحِهم، ويجوز أن يريد به على قَرابتهم وتشابُك الأحوال بينك وبينهم. وإنما تنقَّلَ في المَثَلِ بَعدَ المَثَل تأكيدًا للقوْل عليه في محاذرتهم، وإنذارًا في الرُّكونِ إليهم، والاستنامة إلى ناحيتهم.

٥ ـ أَبَعْدَ الإزارِ مُجْسَدًا لكَ شاهِدًا أُتِيتَ به في الدَّارِ لم يَتَزَيَّلِ

هذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فهو تقريعٌ وإنكارٌ، وتنبيهٌ وإنذارٌ، فيما يُضرِبُ المخاطَبُ عنه، ويَغْفُلُ دونَه، مع كوْنِه أعدلَ شاهِدٍ على سوءِ نيَّتِهم، وخُبْثِ طويَّتِهم، ومع خروجه عن حيِّز الاستدلال عليه إلى المشاهدةِ، ومن خَلَلِ الخَفاءِ والتشكُّك إلى ظاهرِ الضرورة. فيقول: أتَغْتَرُّ بهم، أو تَستريبُ بما أُحذِّرُك منهم، بعد ظهور أمرهم وانكشاف قصْدِهم، وبعدما أُتِيتَ به في الدارِ من الإزارِ المتلطِّخ بدم ابنِ عمِّك، وقد يَبِس عليه ولم يتزيَّلْ عنه. فقولُه «بعدَ الإزار» يتعلَّق بفِعْلٍ مُضْمَرٍ قد دَلَّ عليه خبيثات القِصَّة المحكيّةُ. والمُجْسَدُ: الثَّوْبُ المُشْبَعُ صِبغًا. والجِسَادُ: الزَّعفران. ومعنى لم يتزيَّل: لم يفارق الدَّم، ولم يَنْفَكَّ مما خالطهُ منه.

٦ ـ أراكَ إذًا قد صِرْتَ للقومِ ناضِحًا يُقالُ له بالغَرْبِ أَدْبِرْ وأَقْبِلِ

الناضح: البعير الذي يُسْتَقَى عليه الماء. والنَّضَحُ من الحِياض: ما قَرُبَ من البئر فيُفرَغُ الماء من الدَّلْوِ فيه، وهذا الكلامُ صدر عمَّن نَصَحَ جُهْدَهُ وبَيَّنَ لموعِظِهِ

(١) لصخر بن عمير في اللسان (ثمل)، والتنبيه والإيضاح ١ :١٨٨، وبلا نسبة في ديوان الأدب ١ :٢٤١.

رُشدَه، فلمّا لم يُتَلَقَّ بالقَبول قولُه جعله قضيَّةً منه على المُخاطبِ، بسوء الاختيار، وركوب الاغترار، وأظهر أنه قد صار من التضجُّرِ به ورَفْع الطمع عنه وعن صَلاحِه، في حكم اليائس من فلَاحِه، والمُمْسِك عن وعظِه وإبلاغه، لكونه في حكم المُسخَّرِ لهم حتى لا رَأْيَ له ولا اعتبار، ولا تدبُّر ولا اختيار. فقال: أراك قد صِرْتَ معهم بمنزلة البعير الذي يُستَقَى عليه، طاعةً وانقيادًا، فيقال له أَدْبِرْ وأَقْبِل بالغَرْب. والمعنى تُسامُ ما تُسامُ فتلتَزِمُه وتنقادُ، فِعْلَ ذلك البعير. ومعنى «يُقالُ له» أي يُحمَلُ على ذلك. والتصرّف في القوْلِ على وجوهٍ كثيرة من المجاز.

٧ ـ فَخُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلعَزِيزِ بِخُطَّةٍ وفِيها مَقالٌ لامرِىءٍ متذَلِّلِ

هذا الكلامُ خُروجٌ عن عُهدةِ ما يفعله المخاطَبُ، وبَراءَةٌ إليه مع الإنكار عليه والتنبيه على موضِع الخطأ فيه، فيقول: وكَلتُك إلى نفسِك، ونَفضتُ يدي من مُراجعتِك، فارْضَ بما عليه تُدارُ، وابْذُلْ ما تُراوَدُ عنه وتُسامُ، عالمًا أنّ مثلَه لا يَرضى به عزيزٌ، ولا يلتزِمُه آنِفٌ؛ وفيه مع ذلك نَظَرٌ وجدالٌ لمن يتذلّلُ: هل هو خُطَّته أيضًا. والمعنى: إنك تركَبُ ظَهْرًا لا يقتعده المتكلِّف للذُّلّ فكيف العزيز. ويجوز أن يكون المعنى: فيها للناس، إذا تذاكَرُوا الأحوالَ والخُطَطَ، نَظَرٌ وكلامٌ مبسوطٌ: هل يَرْضَى بمثْله المتذلِّلُ أوْ لا. ويجوز أن يريد: إنّ الذَّليلَ يتكلّم فيمن يرضاها خُطّةً ويُعَيِّره إيّاها، فكيف يكون خُطّةً للعزيز، وهذا الوجه أبلغُ الوجوه الثلاثةِ وأدقُّها.

١٥٠ ـ وقال العباس بن مِرْداس: [الطويل]

١ ـ أَتَشْحَذُ أَرْماحًا بأيْدِي عَدُوِّنَا وتَتْرُكُ أرْماحًا بِهِنَّ نُكايِدُ[1]

هذا مَثَلٌ. والمعنى: أتعِينُ أعداءَنا علينا، لأنَّ مَنْ أحَدَّ سلاحَ العدوِّ الذي يقاتل به، وترَكَ سِلاحَ صاحبِهِ الذي يكايدُه فقد أعانَه عليه. وإنّما خَصَّ من بين العُدَدِ الرِّماح لأنها كأنّها أَخَصُّ بهم. وقولُه «وتتركُ أرماحًا» أراد وتتركُ شَحْذَ أرماحٍ، فحذَفَ المُضَافَ. ويجوز أن يكون كَنَى بالأرماح عن الرِّجال. والمعنى: أتهيِّجُ أصحابَ عدوِّي عَلَيّ، وتسدِّدهم نحوي، وتتركُ أصحابي الذين بهم أكايِدُ، فلا تُقوِّي في القتال والصَّبر رأيَهم ولا تُمِرُّ في الثَّبات عزائمَهم، ومن المعروف قولُهم: فلانٌ سَيْفِي

(١) التبريزي: «تكايد».

ورُمحي، في الذي يستظهر به عند مُلاقاةِ الأعداءِ وفلانٌ تُرْسِي وجُنَّتي، فيمن يُتَّقى به من الأسواءِ. وإنما قال في هذا الوجه أَرْماحًا بأيدي عدوّنا لأنّه إذا كَنَى عنهم بما يكُونُ آلةً جعلها باليد. ويقال: شحَذْت السِّكِّين، إذا أحددْتَه. والباء من قوله «بأيدي» يتعلّق بمضمر، كأنّه قال أرماحًا مستقرّة وحاصلةً بالأيدي. والعدوُّ يقع على الواحد وعلى الجمع. وفي القرآن: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٧٧]. [الطويل]

٢ ـ عَلَيْكَ بجار القَوْمِ عَبْدِ بن حَبْترٍ فَـلَا تَـرْشَـدَنْ إلّا وجَـارُكَ رَاشِـدُ

هذا الكلامُ بَعْثٌ وتحضيضٌ على مراعاة العهود والذِّمم، وصيانة الجار من الاهتضام، وإن لام فيها اللّوائم. فيقول: انْتَصِفْ لجارِك وانتقم له بأن تؤثّر في جار القوم، فإنك لا تكون راشدًا إلّا وقد رَشَدَ جارُك معك. ويقالُ رَشِدَ يَرْشَدُ، ورَشَدَ يَرْشُدُ، لغتان. والباء من قوله: «بجار» يتعلّق بعليك، لأنّ معنى عليك خُذْ، ويقال: خُذْ كذا وخُذْ بكذا. يقال أيضًا: عليك كذا وبكذا. ودخول النون الخفيفة في قوله «تَرْشَدَنْ» لأنه ليس بواجبٍ فهو يجري مَجْرى الأمرِ والنَّهْي والاستفهام.

٣ ـ فإنْ غَضِبَتْ فيها حَبِيبُ بنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطّةً يَرْضاكَ فيها الأباعِدُ

الضمير في «فيها» للفَعْلةِ والخُطّة. ألا ترى قولهُ «فخذ خطةً يرضاك فيها الأباعد». والمعنى: إن تَسخَّطَ ما تتكلّفُه لجارِك من الذَّبِّ عنه والانتقام له هؤلاء القومُ فلا تُبال بهم، وخُذْ في أمره ما يَحمَدك الأباعدُ دون الأقارب، فإنّ الأخبار إذا انتشرت عنك بالوفاء استَرْجَحَك الأجانب. وخَذْلُ الجار وتسليمُه إيثارًا لهوى الأقارب، ومُجانَبةً لكراهتهم، يجلب الذمّ ويُلحِق العار.

٤ ـ إذا طالَتِ النَّجْوَى بِغَيْرِ أُولِي القُوَى أَضَاعَتْ وأَصْغَتْ خَدَّ مَنْ هو فارِدُ

هذا بيان الرَّأي في قَبول ما أشار به، وترك التَّعريج على غيره. والعامل في «إذا طالت» أضاعَتْ، وهو جوابه أيضًا. فيقول: إذا طالت المناجاةُ وامتدّت الاستشارة مع غير أرباب الآراء القويّة ضَيّعتِ المستشيرَ وأمالت خَدَّه، وصار في الانفراد بما يعانيه بمنزلة مَنْ لا ناصرَ له ولا مُشِيرَ، لوقوع التشاور على غير حَدِّه، وتقصير المُشيرِ في القيام بواجبه، وقد جمع بين فعلين في قوله «أضاعت» و«أصْغَتْ» فأعْمَل الثاني، وهو المختار عند أصحابنا البصريِّين. ويجوز أن يكون مفعول أضاعت غير «خدّ مَنْ» فحذَفَهُ، كأنّه قال أضاعت رَبَّها. وكان الحكمُ في هذا الوجه أن يقول لو أظهر المفعول: وأصغَتْ خدّه لكونه فاردًا وحيدًا، لكنّه لما كان الآخِر هو الأول وقد

حذفَه، لم يُبال بإظهاره، لأن الذي هو فارِدٌ ربُّ النجوى لا غير. ومعنى إصغاء الخدّ الإذلالُ والانحرافُ للفُتُور والخجل. والقُوَى: جمع قوة، وأصلها طاقات الحَبْلِ، ثم استُعملت في الآراءِ والعزائم. وأصل النَّجوى المُسارَّة، فاستُعيرت للمشُورة لأنَّها في أكثر المواضع تَقَعُ بها. ويقال: فلانٌ نَجِيُّ فلانٍ، وتناجَوْا فيما بينهم وانْتَجَوْا، وهم نَجْوَى، وصْفٌ بالمصدر. وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

ومَنْ لا يكُنْ ذا ناصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغَلَّب عليه ذو النَّصير ويُضْهَدِ

٥ ـ فحارِبْ فإنْ مَوْلاكَ حَارَدَ نَصْرُهُ فَفِي السيف مَوَلًى نَصْرُهُ لا يُحَارِدُ

يقول: حارِبْ من قَصَدَ جَارَكَ وأعان عليه، ولا تَقْعُدْ عن نُصْرَتِهِ والانتصار له، فإنْ لم يعاوِنْك فيما تَرُومُهُ مواليك، وتأخّروا عن النُّهُوض مَعَك، فاستعِنْ بالسَّيف، فإنَّ فيه مَوْلًى لك لا يَخْذُلُك، ولا يتباطَأ عنك. وهذا كما قال غيره: [الطويل]

أنَخْنَا فَحَالَفْنَا السيوفَ على الدَّهْرِ[1]

والمُحاردة أصلها في قِلَّةِ اللَّبَن، واستعير في قِلَّة الموازرة والمظاهرة. وقوله «فَإنْ مَوْلاكَ» ارتفع مولاك بفعل مُضْمَرٍ ما بَعْدَهُ. تفسيره، لأن إن بالفعل أولَى.

١٥١ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

وهذه الأبيات تُعَدّ من المُنصِفَات[2]:

١ ـ فَلَمْ أرَ مِثْلَ الحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا ولا مِثْلَنَا يوم التَقَيْنَا فَوَارِسا

أشار بالحيّ إلى قوم معهودين. يقول: لم أر مُغَارًا عليه كالذين صبَّحناهم، ولا مُغِيرًا مثلنا يوم لَقِيناهم. فقَسَم الشهادة قَسْمَ السَّواءِ بين أصحابه وأصحابهم، وتناوَلَ بالمَدْحِ كلَّ فِرْقةٍ منهم. وانْتَصَبَ قولُه «حَيًّا مُصَبَّحًا» على التمييز، وفيه دَلَالَةٌ على جواز قول القائل: عندي عشرون درهمًا وَضَحًا[3]. وكذلك قولُه فوارِسًا تمييز وتبيين.

---

(١) ليحيىٰ بن منصور في الحماسية رقم (١٠٨) وصدره:
«فلما نأت عنا العشيرة كلها»

(٢) المنصفات: القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حرّ اللقاء، وفيما وصفوه من أحوالهم من إمحاض الإخاء. ويروى أن أول من أنصف في شعره هو مهلهل بن ربيعة.

(٣) الوضح: النقيّ الأبيض.

ويجوز أن يكون الأول والثاني في موضع الحال، والمُصَبِّحُ الذي يُؤْتَى صُبْحًا للغارة، ويستعمل في الخير أيضًا، يقال: صَبَّحَكَ اللهُ بخَيْرٍ. فإن قيل. لِمَ قال فوارس والتمييز يُؤتى به مُوَحَّدَ اللفظ. قلت: إذا لم يَتَبَيَّنْ كثرةُ العدد واختلافُ الجنس من المميِّز يُؤتى بالتمييز مجموعَ اللفظ متى أُريدَ التنبيهُ على ذلك. وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٣]، كأنّه لما كانت أعمالهم مختلفةً كثيرةً، نَبَّهَ على ذلك بقوله: أعْمَالًا ولو قال عَمَلًا كان السّامع لا يَبْعُدُ في وهمه أن خُسْرَهم كان لجنسٍ واحد من أجناس المعصية، أو لعملٍ واحدٍ من الأعمال الذَّميمة. فكذلك قوله «فوارِسَ» جَمَعَهُ حتَّى يكون فيه إيذانٌ بالكثير.

٢ ـ أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلحقِيقَةِ مِنْهُمُ وأَضْرَبَ مِنَّا بالسُّيوف القَوانِسَا

المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو أسد، والمصراع الثاني إلى عِتْرَتِهِ وأصحابه. والمراد: لم أر أحسَنَ كرًّا، وأبلغ حمايةً للحقائق منهم، ولا أضْرَبَ للقوانس بالسُّيوف منا: وانتصب القوانِسُ من فِعْلٍ دَلَّ عليه قوله «وأَضْرَبَ منا». ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أَضْرَبَ لأنَّ أَفْعَلَ الذي يَتِمّ بِمِنْ لا يَعْمَلُ إلَّا في النَّكِرَات، كقولك: هو أحسن منك وَجْهًا. وأفعلَ هذا يجري مجرى فعل التعجُّب، ولذلك تَعَدَّى إلى المفعول الثاني باللام، فقلتُ ما أَضْرَبَ زَيْدًا لعمْرٍو. وقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]، موضع حيث نَصْبٌ مما دَلَّ عليه أَعْلَمُ. والقَوْنَسُ، قال الدريدي: هو أعلى البَيْضَةِ وقال غيره: قَوْنَسُ الفَرَس: ما بين أُذُنيه إلى الرَّأس. ومثله قَوْنَسُ البيضة من السِّلاح.

٣ ـ إذا ما حَمَلْنَا حَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ المَذَاكِي والرِّماحَ الدَّوَاعِسَا

يُرْوَى: «إذا ما شَدَدْنَا شَدَّةً»[1]. يقول: إذا حَمَلْنَا عليهم ثَبَتُوا في وجوهنا، ونَصَبُوا صدور الخيلِ القُرّحِ، والرماحَ المُعَدَّةَ لذلك.

والدَّعْس: الدَّفْع في الأصل، ثم يُستعمل في الطَّعن وشدَّة الوطْءِ والْجِماع. والذَّكاء: ضِدُّ الفَتَاءِ. ويقال: فَرَسٌ مُذْكٍ، إذا تَمّ سنُّه وكملَ قوّته. وفي المثل: «جَرْيُ المُذَكِّياتِ غِلَابٌ». ويقال «غِلاءٌ». ويقال: فَتَاء فلان كذكاء فلان وكتذكية فلان، أي حَزَامَتُه على نقصان سنه كحزامة ذاك مع استكماله لِسِنّه. وقال زهير بن

(١) هذه رواية التبريزي.

أبي سلْمَى: [الوافر]

يُـفَـضِّـلُهُ إذا اجْـتَـهَـدَا عَـلَيْـهِ تَـمَـامُ الـسِّـنِّ مـنـه والـذَّكـاءُ(١)

٤ ـ إذا الخَيلُ جَالَتْ عن صَرِيعٍ نَكُرُّهَا عَلَيهم فَمَا يَرجِعْنَ إلّا عَوابِسَا

يقول: إذا الخَيْلُ دَارَتْ عن مَصْرُوعٍ مِنَّا كَرَرْنَا عليهم لنصرع منهم مثلَ ما صرعوا منا. ويجوز أن يريدَ: إذا جالَتِ الخَيْلُ عن صَرِيعٍ منهم لا يُقْنِعُنَا ذلك فيهم، بل نَكُرُّها عليهم لمثله، وإن كَرِهَتِ الكَرَّ لشدة البأس فلم تَرْجِعْ إلا كوالح. والعامل في قوله «إذا الخيل» نَكُرُّها، وهو جوابُه أيضًا. وإلّا عَوَابسًا في موضع الحال، وقولُه «الخيلُ» ارتفع بفعل مُضْمَر ما بَعْدَهُ تفسيره.

١٥٢ ـ وقال عبد الشَّارِقِ بن عبد العُزَّى الجُهَنِيّ(٢): [الوافر]

١ ـ أَلَا حُـيِّـيـتِ عَـنَّـا يـا رُدَيْـنَـا نُـحَـيِّـيـهـا وإنْ كَـرُمَـتْ عَـلَـيْـنـا

هذا على كلامين. و«أَلَا» افتتاحٌ. والتحيَّة، قال بعضهم: هي الوَدَاعُ هٰهنا، يقول: ألا أُبْلِغْتِ وَدَاعَنا يا رُدَينةُ. ثم قال: نحيِّيها، أي نُوَدِّعُها وإن عَزَّت علينا مفارقتُها. ويجوز أن يكون دعا لرُدَينةَ مبتدئًا فقال: جَزَاكِ الله عَنَّا، أي تَوَلَّى الله ذلك من دُونِنا، ثم راجَع نفْسَه فقال: نَفْعل ذلك على فَخامةِ موقِعِها منّا، وجلالَةِ مَحَلِّها من قُلوبِنا، إذ كُنَّا لا نَقدِرُ لها على غير ذلك. وقوله «نُحَيِّيها وإن كَرُمَتْ» يسمّى التفاتًا، كأنه التفتَ إلى من معه فقال ذلك.

٢ ـ رُدَيْـنَـةُ لَـوْ رَأَيْـتِ غَـدَاةَ جِـئْـنـا عـلى أَضَـمَـاتِـنـا وقـد اَحْـتَـوَيْـنـا

توصَّلَ بمخاطبتها إلى اقتصاص الحال التي يريدُ شَرْحَها، فأخذ يُبَاثُّها فيقول: لو رأَيْتِنا غَداةَ جِئْنا على حَزَازَاتٍ في النَّفس، واحتراقاتٍ في الجَوْف والصَّدْرِ، من الغَيْظ والحِقْد، وقد حَوَيْنا أموالَ أعدائنا، واستَبَحْنا حَريمهم، ومَلَأْنا أيدينا من غنائمهم. هذا إذا رَوَيْتَه بالحاء غير مُعْجَمَةٍ. وروى بعضهم: «اَخْتَوَيْنا» بالخاء المعجمة، ويكون افْتَعَل من الخَوَى، والمعنى: خَوَتْ أفئدتنا من الوُدِّ، كقول الآخَر: [الوافر]

وإذْ صَفِرَتْ عِيَابُ الوُدِّ مِنْكُمْ ولَمْ يَكُ بَيْنَنا فيها ذِمَامُ(٣)

(١) لزهير في ديوانه ٦٩، واللسان (ذكا)، ومقاييس اللغة ٢:٣٥٨، وأساس البلاغة (ذكى).

(٢) التبريزي: «وهي من المنصفات». (٣) لبشر بن أبي خازم في المفضليات ٢:١٣٥.

وأَجْوَد منها «وقد أجْتَوَيْنَا» بالجيم، وهو أفتَعَل من الجَوَى، كأنه يريدُ ما اشتملَ الجوانحُ عليه من العَداوة حتى صار جَوًى. والأَضَمُ: الغَضَب. ومع ذكر الأَضَم أجتَوَى بالجيم أَشْبَهُ، وهو أقْرَبُ. وجوابُ لو محذوفٌ، لأنَّ الأفعال التابعةَ لهذا البيت جميعُها مقصورٌ على بيان القِصَّةِ، وشَرْح أحوال الوَقْعَةِ. وقد بيَّنْتُ فيما تقدَّم أنَّ حَذْف الجواب من مِثْل قولِ القائل: لو رَأَيْتَ زيدًا وفي يده السَّيْفُ، أدَلُّ على التهويل والتفخيم من إثباته.

٣ ـ فـأرسَـلْنـا أبـا عَـمْـرٍو رَبِـيـئًا فـقـالَ ألَا أنـعَـمُـوا بـالـقَـوْمِ عَـيْـنَـا

يقول: توجَّهنا نحوَهم وأنفذْنا مِن قِبَلنا من ارْتَبَأَ لنا، فعادَ مبشِّرًا وقال: قَرُّوا عَيْنًا واستَبْشِرُوا، فقد أقبَلُوا. وهذا ممَّا يُترجِمُ عن محبّتهم لملاقاة الأعداء، وحِرصِهم على القتال، وتشوُّفهم للمجاذبة والنِّزاع، حتى عَدُّوا قُرْبَهم بِشَارَةً، والالتقاءَ معهم غنيمة. وهذا عندي أبلَغُ من قول الآخر: [البسيط]

يَـسـتـعـذِبُـونَ مَـنـايـاهـم كـأنَّـهُـمُ لا يَـيْـأَسُـونَ مـن الـدنـيـا إذا قُـتِـلوا

ومن قوله: [الطويل]

لِقـــاءُ أَعَـــادٍ أَم لِقـــاءُ حـــبَـــائـــبِ

وقولُه «عَيْنًا» انتصبَ على التميز، وهو من باب ما نُقل الفِعْل عنه وَوُضِع النَّكِرةُ فيه موضع المَعْرِفةِ، لأنَّ الأصل في قَرِزت به عَيْنًا: قَرَّت عيني. ومِثْلُه قولهم: يتَصَبَّبُ عَرَقًا، ويتفَقَّأُ شَحْمًا. وفي القرآن: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريَم: الآية ٤].

٤ ـ ودَسُّـوا فـارِسًـا مِـنْـهُـمْ عِـشَـاءً فـلَـمْ نَـغْـدِرْ بـفـارِسِـهِـمْ لَدَيْـنَـا

يقول: وجَّهوا فارسًا ليَنْدَسَّ في أثناء خيلِنا، ويَعْرِف سرَّنا وعَلَنَنا، ويقفَ على عَدَدِنا وعُدَّتِنا، فيرجعَ إليهم بواضح الأحوال والأخبار، فخلَّيناه والانصرافَ إليهم، ولم نُستعمِل غَدرًا في احتباسه عندنا، وطيِّ أخبارنا عنهم. وأصل الدَّسِّ: إخفاءُ الشيءِ تحت غيرِه. وفي القرآن: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: الآية ٥٩] ويقال: اندسّ إلى فلانٍ، أي أتاه بالنَّمائم. فإن قيل: ما فائدة ذِكر الغَدْر هٰهنا والفارس الذي أنفذوه جاسوسًا لم يكن اتخَذَ منهم أمانًا، ولا اشترَط عليهم شرطًا يوجِبُ سلامَتَهُ به مع مخالطته لهم. قلتَ: كأنَّ المرادَ لم نَستعمِل مَكْرًا باحتباس الرَّسول، إذ كان في منعه من الانصراف إليهم انطواءُ أخبارنا عنهم، فيكون كالغَدْرِ بهم وبه. ويجوز أن

يكون ذلك الفارس الذي ظَهَر لهم ثِقَةً بالمعرفة بينه وبينهم، فعَدَّ ظهورَه أخْذًا للأمان عليهم. ويجوز أن يكون سَمَّى تركَ أقربِ الأمْرَين إلى الكرم والوفاء معه غَدْرًا، ثمّ برّأ ساحَتَه منه.

٥ ـ فجاؤوا عارضًا بَرِدًا وجئنا كمِثْلِ السَّيفِ نَرْكَبُ وازِعَينا

يقول: تَسَارَعُوا مُقبِلين نحونا، وكأنهم في كثرتهم وتعجُّلهم قطعة من السَّحاب فيها بَرَدٌ ـ وَوَجْهُ التشبيه أنّ لهم خَفِيفًا وَوَقْعًا شديدًا متهافِتًا، كما يكون لذلك السَّحاب ـ ونحن لكثرتنا وإتياننا على ما يَعترض في طريقِنا كالسَّيل الذي لا يُبْقى ولا يَذَر. ومعنى «نَرْكَبُ وازِعَيْنا» أي لا نَنْقادُ لمن يريد ضَبْطَنا، ولا نُطاوِع من يَطْلُبُ كَفَّنا من الجيشَينِ جميعًا. ولم يُثَنِّ «وازِعَيْنا» لأنه يشير إلى رجلين، لكنه أراد الكثرةَ والجِنْس بالوزاع، ثم ثَنّى مبيِّنًا اختلافَ الطائفتين من الْخَيْلَيْن. ولا يجوز أن يُرْوَى «وازِعِينا» بكسر العين لما يَحْصُل من العيب بالسِّنَادِ مع ارتفاع الضرورة.

٦ ـ فَنَادَوْا يَا لَبُهْثَةَ إذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنَا

يقول: لمّا شارفْناهُم استغاثوا ببني بُهثَةَ مُعْتَزِين إليهم، ومستَمِدِّين منهم، فاسْتَثَرْنَا نحن أيضًا في مقابلةِ ما فعلوا بني جُهَيْنَةَ، وهَزَزْناهم للضَّرْبِ فيهم، والإيقاع بهم. وإنّما يستعملون الاعتزاز في مثل هذه الحالة تهويلًا للأمر، وتكثيرًا للعشيرةِ، ليستشعرَ كلٌّ من الفريقين الرُّعْبَ من صاحبه، والتهيُّب له. واللام من «يَا لَبُهْثَةَ» لام الجرّ، وتعلقت بيا: حَرْفِ النِّداء. ولا يجوز أن يقالَ تعلَّقَتْ بالفعل الذي دَلّ عليه يا، لأنَّ ذلك الفعل لما لم يَخرجْ إلى الوجود سقط حكمه. وفتِحَتْ لوقوع المُنادَى موقع المضمَر. وبُهْثَةَ مَدْعُوَّةٌ، والجارّ مع المجرور في موضع نصبٍ لأنه منادًى. وقوله «أحْسِنِي ضَرْبًا» يجوز أن يكون ضَرْبًا مفعولًا به من أحْسِنِي، ويجوز أن يكون في موضع الحال أي ضاربَةً. ويُرْوى: «أحْسِنِي مَلأً»، ومعناه خُلُقًا. والمرادُ مخالَقَةُ أهل الحرب والمستنصرين؛ وهذه رواية أبي زيد. وقال ابن السِّكِّيت: معناه أحْسِنِي تمالُؤًا أي تعاوُنًا. ويقال: مالأت على فُلان، وكأنه من قولهم رَجُلٌ مَلِيءٌ، وقد مَلُؤَ يَمْلُؤُ مُلاءةً ومَلَاءً.

٧ ـ سَمِعْنَا دَعْوَةً عن ظَهْرِ غَيْبٍ فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا

يقولُ: قَرَعَ أسماعَنا في أثناء التهيُّؤ والتطالُع دَعْوَةٌ تأدَّتْ من مكانٍ غائبٍ عن عيوننا، فَدُرْنَا دَوْرَةً ثم رجَعْنا إلى أماكننا. وهذا يجوز أن يكونوا خافوا الكَمِينَ

فجاوُوا ليتأمّلوا، فلما أَمِنوا رَجَعُوا. ويقال: ارعَوَى عن الجَهْلِ ارعِوَاءً ورَعْوَى حسنة ورُعْوَى، أي رَجَعَ. ويقال: فَعَل فُلَانٌ كذا بظَهرِ الغَيبِ، وأتاني خَبَرٌ عن ظهرِ الغَيبِ.

٨ ـ فَـلَـمـا أنْ تـوافَـقْـنـا قَـلِيـلًا   أنَـخْـنَـا لـلـكَـلَاكِـلِ فَـارْتَـمَـيْـنَـا

هذه المواقَفَةُ التي أشار إليها، يجوز أن تكون للتَّعْبِيَة والتهيِئَةِ، ويجوز أن تكون لتَدَاعِي الأبطال والمبارزة، واعتراضِهم بين الصَّفَّين للمطاعَنَةِ. وقوله «قليلًا» يجوز أن يُرِيدَ به زَمَانًا قليلًا، فيكونُ ظَرْفًا، ويجوز أن يريد بِهِ: توافُقًا قليلًا، فيكون صفةً لمصدرٍ محذوف. والصفات تَنُوبُ عن المصادِرِ والظروفِ كثيرًا. وجوابُ لمَّا «أنَخنا»، ومفعولُه محذوف. والمعنى: إنَّا بَعْدَ المطارَدَةِ نزلْنا، وأنَخْنا للصُّدور فتَنَاضَلْنا.

٩ ـ فَـلَـمـا لـم نَـدَعْ قَـوْسًـا وسَـهْـمًـا   مَـشَـيْـنَـا نَـحْـوَهُـمْ وَمَـشَـوْا إلـيـنـا

١٠ ـ تَـلَأْلُؤَ مُـزْنَـةٍ بَـرَقَـتْ لأُخْـرَى   إذَا حَـجَـلُوا بِـأَسْـيَـافٍ رَدَيْـنَـا

يقول: لمَّا مَلِلْنَا الطِّرَاد والرِّماء، بإفْناءِ النَّبال وتَعْطِيلِ القِسِيّ لانقطاع الأوتار، مَشَى بَعْضُنا إلى بَعْضٍ للكفاح والجِلَادِ، طلبًا للاشتفاء، كأنَّهم تَنَقلوا في دَرج القتال ومراتِبِه، حتَّى بَلَغُوا أعلاها وأَصْعَبَها، وأولاها بدَرَكِ الثَّأر وأحقها. ولهذا لمّا سأل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عمْرو بن مَعْدِيكَرِبَ عن أنواع السِّلاح، وانتهَى إلى ذكر السيف، قال «عِنْدَهُ تَثْكَلُ الأمّهات». وانتصَبَ «تلألُؤَ مُزْنَةٍ» على أنه مَصْدَرٌ مما دَلّ عليه «مَشَيْنَا نحوهم ومَشَوْا إلينا»، لأنَّ في ذلك تلألُؤَ السِّلاح من الجانبَين جميعًا، ووميضَ كلِّ واحدةٍ من الطَّائفتين جميعًا للأخرى. وقولُه «إذا حَجَلُوا بأَسْيَافٍ رَدَيْنَا»، أي إذا كان مشيُهم إلينا حَجْلًا كان مَشْيُنَا إليهم رَدَيانًا والرَّدَيان فَوْقَ الحَجَلان، لأنَّه مَشْيُ الحمار بينَ آرِيِّهِ ومُتَمَعَّكِه، فهو أَسْرَعُ من الحَجَلان، إذْ كان في الحجلان تقارُب الخَطْو كمشْي المقيَّد ووَثْبَتِهِ. فيقول: تلألأنا لوفورِ أسلحتِنا، وبَريقِ دُروعِنا وبَيْضِنا، وإيماض أعيننا، تلألُؤَ سحابَةٍ بَرَقَتْ لسَحَابَةٍ أُخْرَى قابَلَتْهَا. وقال أبو زَيدٍ: هذا من رَدَيَان الجَواري إذا لَعِبْن تَرْفع إحداهُنَّ رِجلًا وتَخْطُو بأخرى خُطوتَين، ثم تضعُها وتَرفع الأخرى، تفعل ذلك مِرَارًا. قال: والغُرَاب يَردِي ويَحْجِل.

١١ ـ شَـدَدْنَـا شَـدَّةً فَـقَـتَـلْـتُ مـنـهـم   ثَـلَاثَـةَ فِـتْـيَـةٍ وَقَـتَـلْـتُ قَـيْـنَـا

١٢ ـ وشَـدُّوا شَـدَّةً أخـرى فَـجَـرُّوا   بِـأَرْجُـلِ مِـثْـلِهِـم ورَمَـوْا جُـوَيْـنَـا

يَقولُ: حَمَلْنا عليهم حَمْلَةً مُنكرة، فأصَبْنا منهم ثلاثةً من الفتيان، وقَتلتُ قَيْنًا. وقَيْن: اسمُ رجُلٍ كان مشهورًا فيهم بالبأس والنَّجْدَةِ، فلذلك عَيَّنَ عليه. وقولُه «ثلاثةَ فِتْيَةٍ» فِتْيَةٌ من أبنية القليل، كغِلْمةٍ وصِبْيَةٍ، ولذلك أضافَ الثَّلاثةَ إليها. وبناء الكثير الفِتْيان. و«شَدُّوا شَدَّةً أخرى»، يقول: وحملوا حَمَلَةً فأصابوا منَّا مِثْلَ ما أصبْنَا منهم، وارْتُثَّ من قَتْلَانا مثلُ ما ارتُثَّ من قتلاهُمْ، ورمَوْا جُوَيْنَا أَخِي. قوله «بأرْجُلٍ مثلهم» لو قال أمثالِهم لجاز، وفي القرآن: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمَّد: الآية ٣٨]، وفي موضعٍ آخر: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: الآية ١٣]، وفي موضع آخر: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٠]. وهذه الأبيات تُسمَّى المُنصِفةَ، لِمَا تقابَلَ فيها من صِفات الجيشَيْن على وَجْه التعادُل، وسَنَن التصادُق. إن قيل ما فائدة قوله «شَدَّةً أُخرَى»، ولم يكن قد تقدّم لهم أُولَى؟ قلت: يجوز أن يكون أرادَ تَوَالَى بيننا حَمْلَتَانِ: الأولى مِنَّا، والأخرى منهم، لأنَّ قَصْدَهُ اقتصاصُ الحال الدائرة بينهم. ويجوز أن يكون أراد أن يبين أنهم كانوا السابقين والمبتدئين، فوصَف شَدَّتهم بالأخرى لِيُعْلَمَ أنَّ المتقدم في الذِّكر كانت الأولى.

١٣ ـ وكَانَ أَخِي جُوَيْنٌ ذَا حِفَاظٍ وكَانَ القَتْلُ لِلفِتْيَانِ زَيْنَا

١٤ ـ فَآبُوا بِالرِّمَاحِ مُكَسَّرَاتٍ وأُبْنَا بِالسُّيوفِ قَدِ انْحَنَيْنَا

نَبَّهَ على أنه بحُسْنِ محافظتِه على الشَّرَف، وجميل مدافَعته دون العشيرة ثَبتَ حتَّى قُتِل، وأنَّ قِتْلَتَهُ كانت قِتْلَةً محمودةً تَزينُ ولا تَشِين. وقولُه: فآبوا بالرِّماح مكسَّراتٍ، وأُبْنَا بالسيوفِ مُنحَنِيَاتٍ، جعَل فيه أعلى الصفتين لنَفْسه وذَويه، وإن كان الظاهر من قَصْدِه في الوَصْف الجَرْيَ على سَنَن النَّصْف، يَشْهد لذلك ما رَتَّبَهُ زهيرٌ في قوله: [البسيط]

يطعَنُهم ما ٱرْتَمَوا حتى إذا ٱطَّعَنُوا ضاربَ حتى إذا ما ضاربُوا ٱعتَنَقا[1]

ألا تَرى أنه جعَل الطَّعنَ فوقَ النَّضل، والضِّرابَ فوقَ الطِّعان، والعِناقَ فوق الكِفاح. وكذلك فعَل في الرَّديانِ والحجَلانِ، وفي وَصْفِ أخيه بحُسْن الحِفَاظ عند قوله «ورمَوْا جُوَيْنَا» في مقابلةِ «وقَتَلْتُ قَيْنًا». وأمّا قول الآخر[2]: [الطويل]

نُطَارِدُهُم نَسْتَنقِذُ الجُرْدَ كالقَنَا وَيَسْتَنقِذُونَ السَّمهرِيَّ المُقَوَّمَا

(١) لزهير في ديوانه ٥٤، واللسان (وصل)، وكتاب العين ١٦٨:١.

(٢) للحصين بن الحمام المرّيّ في المفضليات.

فليس من التناصُفِ في شيءٍ؛ إذ كان المعنى: إنَّا عِند الطِّعانِ نُذْويهِم عن ظُهور الدَّوَابّ، فنَغْنَمُ دوابَّهم ونفوز بها، وهم يستنقذون رِماحَنا لأننا نكسِرُها فيهم إذا طَعَنَّاهم، ونُجرُها إياهم فيفوزون بها. فيقول: انصرَفوا وقد تكسَّرَتْ رماحُهم بالإجْرارِ، ورَجَعْنا وقد تَثَنَّتْ سُيُوفُنا بإعمالنا إيّاها في البَيْضِ والدُّروع وقتَ الجِلاد.

١٥ ـ فباتُوا بالصَّعيدِ لَهُمْ أُحَاحٌ ولو خَفَّت لنا الكَلْمَى سَرَيْنَا

يقول: بقُوا ليلَهم يئِنُّون على الصعيدِ، وهو وجه الأرض، ولو ساعَدَتْنا الطائفة المجروحةُ مِنّا، وقَدَرَت على السُّرَى لسَرَيْنا، لكنَّ كُلّاً منّا اضطُرَّ إلى الإقامةِ والتلَوُّم رَيْثَما يَثُوبُ إليه القُوَى بَعْدَ لُحُوقِ الجَهْدِ، ومشارفَةِ الرَّدَى. وقد قيل إن الأحاح العطش، والمشرف من الجراح على الهلاك يَعْطش. وقد قيل إنّ الأحَاحَ شِدَّة الوَجْدِ من الغيْظ حتى يُسْمَعَ له من الصَّدْرِ صوتٌ، وهو على مثال الأدْواءِ والأصوات جميعًا؛ لأنَّ فُعَالا يَكْثُر فيهما. والكَلْمَى: جمعُ كَليمٍ، وفَعْلَى يكونُ جَمْعًا لما كان من الزَّمانة والضَّرَرِ وأنواع البَلايا. وأبنيةُ واحدِهِ تختلف.

١٥٣ ـ وقال بِشرُ بنُ أُبَيّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ إنّ الرِّباطَ النُّكْدَ من آلِ داحِسٍ كَبَوْنَ فَمَا يُفْلِحْنَ يَوْمَ رِهَانِ[(٢)]

يُروَى «أبَيْنَ فَلَا يُفْلِحنَ»، ويُرْوَى «كَبَوْنَ» أي سَقَطْنَ لوجوهِها. قال[(٣)]: [الكامل]

فكَبَا كما يَكْبُو فنيقٌ تارِزٌ

وهذا الكلام تَضَجُّرٌ بما أُنْتِجَ بين ابْنَيْ بَغيضٍ عَبْسٍ وذُبْيانَ من الشرّ، في الرِّهانِ على داحسٍ والغَبْراءِ، ودُعاءٌ على داحسٍ ونسلِهِ بألّا تُفْلِحَ في خِطارٍ، وأن تَأبَى النَّجاحَ في سِباقٍ، فقال: إنَّ الخيلَ المربوطة المشائيم من آل داحسٍ وداحِسًا، أبَت السَّبْقَ في حَلْبَةٍ وميدانٍ، والفَلَاحَ يومَ خِطارٍ ورِهان. والمعنى: لا جعَل الله لها ذلك، فقد تَرَدَّدْنا

---

(١) التبريزي: «وقال بشر بن أُبيّ بن حُمام العبسيّ لبني زهير بن جذيمة، ويروى بشير».

(٢) التبريزي: «أبينَ فما يفلحن».

(٣) لأبي ذؤيب الهذليّ في شرح أشعار الهذليين ص ٣٢، واللسان (ترز، كبا)، وكتاب العين ٣٥٨:٧. وعجزه:

«بالخَبْت إلا أنه هو أبرعُ»

من البَلاءِ في عَمَاياتٍ لا انكشافَ لها. وخبَرُ إنّ «جَلَبْنَ بإذْن الله» وقولُه «كبَوْنَ فما يُفلِحْنَ» أو «أبَيْنَ فلا يُفلِحْنَ» اعتراضٌ بين إنّ وخبَرِه. والمعنى مَعْنى الدُّعاء، فهو كما يقال إنّ زَيْدًا خَذَلَهُ الله فعَل كذا. ومثله في الاعتراض بالدُّعاءِ قولُ الآخر: [الطويل]

.... ما لَكُمْ   تفاقَدْتُمْ لا تُقْدِمُون مُقَدَّما[1]

ويجوز أن يكون الكلام كله إخبارًا متجرِّدًا عن الدُّعاء، فيكون معنى كبَوْنَ وأبَيْنَ، أنه حصَل لهنّ ذلك. والنُّكْدُ: جمعُ أنْكَد. والرِّباط: مصدر رابَطْتُ، ولذلك وقَع على الواحدِ والجَمْع. والآلُ، ذَكَر البَصريُّون أنه في معنى الأهل، لا فَرْقَ بينهما، وأنّ تصغيره أُهَيْلٌ، وهذا يُؤْذِن بأنّ أصل أَلِفِه هاءٌ. وحكى ثَعلبٌ عن شيوخِه أنّ الأهل، القرابةُ، مُتْبِعًا كان أو غيرَ مُتْبِع، وأنّ الآلَ المُتَّبِعُ وإنْ لم يكُنْ ذا قَرابةٍ، فهما لمعْنَيَيْن. قال: وحكى الكسائي في تصغير الآلِ أُوَيْلٌ، وفي تصغير الأَهْلِ أُهَيْل.

٢ ـ جَلَبْنَ بإذنِ الله مَقْتَلَ مالِكٍ   وَطَرَّحْنَ قَيْسًا من وَرَاءِ عُمَانِ

أخذ يعتدُّ الخصالَ المكروهةَ الحاصلة بها، فيقول: جَلبَ سَبْقُ دَاحِسٍ بعِلْم الله تعالَى قَتْلَ مالِك بن زُهَيْرٍ، وتطريحَ قَيْسِ بن زُهَيْرٍ من أرض العَرَب إلى عُمَان. وكان قَيْسٌ نَذَرَ ألّا يَنْظُرَ في وَجْهِ غَطَفَانِيٍّ أبدًا، فَدَعاه ذلك إلى مراغمة العشيرة، والتباعُد في الغُرْبَةِ. وقولُه «بإذن الله» من قَوْلِكَ أذِنْتَ بالقَوْمِ. وفي الحديث: «ما أذِنَ الله لشيءٍ»[2]. وقَصْدُ الشّاعِرِ أن يَذْكُرَ ما أعْقَبَ سَبْقَ دَاحِسٍ من الشَرّ، وأُلْحِق من الشؤم. وقوله «جَلَبْنَ» جَعَلَ اللَّفظ للآل، والمُراد دَاحِسٌ، لكنّه لما جعَلَ الدُّعاءَ لآله استمرّ في الإخبار على حاله ولم يغيِّر. ويشبهه قول الآخر: [البسيط]

إنّ ابنَ ضِرارٍ حِينَ أنْدُبُهُ   زَيْدًا سَعَى لي سَعْيًا غَيْرَ مَكْفُورِ

أراد: إنّ ابن ضِرَارٍ زيدًا، فذكر الآل والمراد غيره. وهم في كثير من المواضع أقاموا الوَالِدَ مَقَامَ الوَلد والولَد مقام الوالد، والعشيرةَ مقام الواحِدِ منها، والواحد مقام

---

(١) البيت الأول من الحماسية رقم (١٣٣) للحصين بن الحمام. وتمامه:
«فقلت لهم يا آل ذبيان ما لكم   تفاقدتمُ لا تُقدمون مُقَدَّما»

(٢) تمامه: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيّ يتغنى بالقرآن»، أخرجه أحمد في مسنده ٢٥: ٢٧١، ومسلم في صحيحه في صلاة المسافرين حديث ٢٣٢، والبخاري في ٦: ٢٣٦.

العَشيرة، لأغراض مختلفة، حين أمِنوا الالتباس. وممّا يُجانِسُ هذا زيادتهم «ذو» و«حيّ». أنشد أبو زيد: [الكامل]

يـا قُـرّ إنّ أبـاكَ حَـيّ خُـوَيْـلِدٍ   قد كُنْتَ خائفَه على الإحْمَاقِ(١)

وقال الشّمّاخ: [الوافر]

فـأُدْمِـجَ دَمْـجَ ذي شَـطَـنٍ بـديـعِ(٢)

والقَصْدُ إلى خُوَيْلِدٍ وإلى شَطنٍ.

٣ ـ لُطِمْنَ على ذَاتِ الإصَادِ وجَمْعُكُمْ   يَـرَوْنَ الأذى مـن ذِلَّةٍ وَهَـوَانِ

الملطومُ داحِسٌ، فجرى على ما بَنَى عليه الكلامَ من الإخبَارِ عن نَسْلِهِ وآله. وكان حُذَيفَةُ بن بَدْرٍ أرْصَدَ فِتيَنًا لَهُ من بني فَزَارَةَ لمّا تغَالَقَ هو وقَيْسٌ على الفَرَسَيْنِ في موْضِعٍ من ذات الإصَادِ لُقِّبَ بشِعْبِ الحَيْس ـ لحَيْسٍ أكلوه فيه ـ وقال لهم: إن جاء دَاحِسٌ متقدِّمًا سابقًا فالطِموه ونَهْنِهُوهُ عن الغاية حتّى تتقدَّمَهُ الغَبْرَاءُ، فمرَّ بهم دَاحِسٌ مُبَرّزًا وفعلوا به ما رَسَمَ لهم حتّى تَخَلّفَ عن الغبراء، فاجتَهَدَ داحس وتكلّفَ من العَدْوِ ما لَحِقَ بها، وتقدّم عليها ثانيًا فجاء سابقًا. وقولُه «وجَمْعُكُم يَرَوْنَ الأذَى»، يخاطِبُ به بني عَبْسٍ، وإنّما يصِفُ ما نيلَ منهم وركبهم من الهَضِيمة في فَرَسهم لمّا لُطِمَ، وفي أنفسهم حين مُنِعُوا ما استُحِقّ له. واللّطْمُ: الضّرْبُ في الخدّ، ثم قيل فَرَسٌ لَطِيم تشبيهًا بذلك. وهذا كما يقال هو مَمْسُوحٌ بالجمال مسْحًا. وذات الإصَادِ يُرِيد البُقْعَةَ التي فيها الإصاد، ويقال: هي رَدْهَةٌ بين أَجْبُلٍ. والردهة كالحُفَيْرَةِ يجتمع فيها الماء، والجميع الرِّدَاهُ.

٤ ـ سَيُمْنَعُ مِنكَ السَّبْقُ إنْ كُنتَ سَابِقًا   وتُـقْـتَـلُ إن زَلّتْ بـك الـقَـدَمَـانِ

هذا يحتمل وجهين: أحدهما أنّه جعل الخطاب لصاحب الفَرَس على المجاز والسّعة، والمقصود الفرس، فيقول: تُمْنَعُ من السّبْقِ إن سَبَقْتَ ـ وهذا إشارة إلى ما كان منهم من لَطْمِ داحِسٍ. وقد قُدّمَ ذِكْرُه ـ فإن خَفّتْ قَدَمَاك بِكَ وبَرَزْتَ ثانيًا أُتِيَ

---

(١) لجبار بن سلمى في خزانة الأدب ٤: ٣٣٤، ونوادر أبي زيد ١٦١، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١: ٤٤٣.

(٢) للشماخ في ديوانه ٢٣٣، واللسان (بدع، عقق)، وتهذيب اللغة ١: ٥٦، وصدره:
«أطـار عـقـيـقـة عـنـه نـسـالا»

عليك. ويكون قَوْلُهُ «زَلَّتْ بك القَدَمان» على ما فَسَّرْنَاهُ من قولهم قِدْحٌ زَلول، إذا كان خفيفًا. فهذا وَجْهٌ. والثاني أن يُترَكَ الخطاب على ظاهره وحَدِّهِ، فيكون المَعْنَى: سَيُمْنَعُ منك المُتَّفَقُ عليه من الخَطَرِ بسَبْقِ فَرَسك، فإن لم يَثْبُتْ قَدَماك عند التَّقاضي به، وفي الدفاع عن نفسك فيما يُرَادُ من ظُلْمِكَ ويرام من هَضْمِكَ قُتِلْتَ أيضًا. وهذا أَقْرَبُ وأشبه بالقِصَّة.

١٥٤ ـ وقال غَلَّاقُ بن مَرْوَانَ(١): [الطويل]

١ ـ هُمُ قَطعُوا الأرحَامَ بيني وبَينَهُمْ وأَجْرَوْا إليها واستَحَلُّوا المَحَارِمَا

قَطَعُوا بالتخفيف يَصْلُح لقليل الفِعْل وكثيره، فإذا ثَقَّلْتَ لم يَكنْ إلَّا للتَّكثير أو التكرير. والشَّاعرُ يَصِفُ ما أَجرَى إليه القَومَ في سَبْقِ داحِسٍ من قطيعة الرَّحِم، وانتهاك المَحْرَم، واستِحْلَالِ المَحْظُور المحرَّم؛ ويَقتَصُّ ما تَنَقَّلُوا فيه وتدرّجوا إليه حَالًا بعد حَالٍ، وشيئًا بَعْدَ شيءٍ. وقوله «أَجْرَوْا إليها» الإجراء يُسْتَعْمَلُ في المُنْكَر المذموم، ومفعولُهُ محذوف، كأنَّهُ أجرَوا فِعلهُم إليها، والضمير في «إليها» للقطيعة، لأنّ الفِعْلَ يَدُلُّ على مَصْدَرِه. وهذا كما يُقال: مَن كَذَبَ كان شَرًّا له، أي كان الكَذِبُ شَرًّا له.

٢ ـ فيا ليتَهُمْ كانوا لِأُخرَى مَكانَها ولَمْ تَلِدِي شيئًا من القَومِ فاطِما

البيتُ على كلامَيْن: صَدْرُهُ إخبارٌ، وعجُزُه خطابٌ لفاطمة، وهي أختٌ لهم. ومِثْلُه في أنّه كلامَيْن قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٩]. والشاعِرُ قَصْدُهُ إلى إظهار التوجُّع من الحال، فيقولُ متمنِّيًا: بِوَدِّي أنْ يكونوا لوُصْلَةٍ وقَرَابَةٍ غير وُصلتهم وقَرابتهم، حتَّى لا يَبلغ الجَفاءُ من جهتهم مَبالِغَهُ في نُفُوسِنا، لأنَّ ظُلْمَ ذَوِي القُربى أشَدُّ تأثيرًا. والشَّرُّ إذَا وَردَ على الإنسان من مَظَنَّةِ الخيرِ كان أَنْفَذَ تحزيرًا. فقولُه «كانوا لأخرى مكانَهَا» أي لِقَرَابَةٍ أخرى مكان هذه القرابة؛ أو لِأَرْحَامٍ أخرى مَكانَ هذه الأرحام. وقوله «لم تَلِدِي شيئًا» تمنَّى ارتفاع الوُصْلَةِ كما تَمنَّى في الأوّل انقطاعَ القرابة؛ كأنّه وَدَّ بعد استبدالهم بالتناصُرِ تَدَابُرًا، وبالتَّواصُلِ تَقَاطُعًا، أنّهم كانوا منهم غُرَباءَ. وقوله «فيا لَيْتَهُمْ» المُنَادَى محذوف، أراد يا قَوْمِ لَيْتَهُم.

(١) التبريزي: «وقال غلّاق بن مروان بن الحكم بن زنباع».

٣ ـ فَمَا تَدَّعِي من خيرِ عَذوَةِ دَاحِسٍ فَلَمْ تَنجُ منها يا ابنَ وَبْرة سالِما

يَذُمُّ ما أَحْمَدُوه من سَبْقِ داحِسٍ وتبريزه، ويُسَوِّي رأيَهم في تبجُّجِهم، ويعَرِّفُهم قُبْحَ عاقبةِ ما اختاروه، وسوءَ مَغَبَّةِ ما شَرعُوا فيه. وإنّما قال «ما تَدَّعِي» لأنَّ أصحاب الغَبراء كانوا يعلّلون سَبْقَ دَاحِس وينكرونه، فلهذا عَلَّقَ ما حكاهُ عَنه بالدَّعْوَى. وقولُه «من خير عَذْوَةٍ» أي من نَفْعِه وسَنَاءِ ذِكْرِه. وقوله «فلم تَنْجُ منها» رَدَّ الضمير على المضافِ إليه وهو العَذْوَة. يريدُ: لم يَرْجِعْ إليك منْها جَدْوَى، ولا ارتفع الأمر فيه كَفًا. ولَمّا فاتت الغنيمة فيه لم تَحْصُل لك السَّلامةُ أيضًا.

٤ ـ شَأَمْتُمْ بها حَيَّيْ بَغِيضٍ وغَرَّبَتْ أَبَاكَ فَأَوْدَى حَيثُ وَالَى الأَعَاجِمَا

قال أبو زيد: يقال: شَأَمَ فلانٌ أصحابَهُ، إذا أصابهم الشُّؤم من قِبَلِه. و«بها» يُرِيدُ بالعَذْوَةِ، وهذا تفسير قولِه: فَلَمْ تَنجُ مِنْهَا يا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمَا. يَقُولُ: أوْقَعْتُمْ بعَدوَتِها والخِطاره عليها الشُّؤمَ في حَيَّيْ بَغِيضٍ: عَبْسٍ وذُبيَانَ، وأُخْرِجَ أَبُوكَ ـ يعني قيس بن زُهَيْرٍ ـ إلى تَرْكِ أرْضِ العَرَبِ ومهاجرتِها. يعني حين أُخْرِجَ وأُزْعِجَ إلى بلادِ العجم، حتى صار يُواليهم بها، إلى أن مات غريبًا بين ظهرانيهم. وأشار بقوله «حَيْثُ» إلى عُمان وما وَرَاءَه.

٥ ـ وكَانَتْ بَنُو ذُبيَانَ عِزًّا وإِخْوَةً فَطِرْتُمْ وطاروا يَضرِبُونَ الجَمَاجِمَا

يقول: كان بنو ذبيانَ لكم يا بني عَبْسٍ مَلاذًا وعِزًّا، وعَتَادًا وظَهرًا، لما يجمَعُكم وإيَّاهُمْ من الأُخُوّةِ، فاطَّرَحتُم مَوَاتَّ التمازُجِ والتَّشَابُكِ، وتجاوزتُمُوها إلى التَّجاذبِ والتقاتُل. وهذا تحسِيرٌ للمُخاطَبِ فيما انتقل عنه من موالاة العشيرة، والإبقاءِ على الأحوال الجامعة، وتلهيفٌ فيما انتقلوا إليه من تهييج الحرب، وبَسْط الأذَى والشرّ، وتنبيهٌ على ما يتَعَقَّب أحوالَهم إن استمرُّوا عليها من التفاني والتَّهالُك. وكان الواجب أن يقول: فطِرْتُم. تَضرِبُونَ وطاروا يَضرِبون، فاكتفى بالإخبار عن إحْدَى الفرقتين؛ إذْ قد عَلَمَ أنَّ حال الأخرى كَحَالِها. ومعنَى طِرْتُم: تَسَرَّعْتُم، كما قال: [البسيط]

طَاروا إِلَيْهِ زَرافاتٍ ووُحْدَانا[1]

(١) البيت الثالث في الحماسية الأولى. وصدره:

«قوم إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم»

٦ ـ فأضْحَتْ زُهَيْرٌ في السِّنِينَ التي مَضَتْ وما بَعْدُ لا يُدْعَوْنَ إلّا الأشائما

أنّثَ الفِعْلَ لأن المُراد بذكر زهَيْر القبيلةُ بأسْرِهَا، ومعنى يُدْعَوْن يُسَمَّوْن، كما قال ابن أحْمَر: [البسيط]

وكنتُ أدْعو قَذَاهَا الإثْمِدَ القَرِدَا(١)

يريد أُسَمِّي، ولذلك تعدَّى إلى مفعولين، فيقول: صار أسلاف بني زُهَيْر بن حُذَيْفة وأخلافُهم لا يُسمَّوْن قديمًا ولا حديثًا إلّا المشائم. والأشائم: جمع أشأم. ويقال: جَرَتْ لَهم طَيْرٌ أشائِمُ، أي جَرتْ لهم بالشُّؤْمِ. وقال زهير: [الطويل]

فتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أشْأَمَ(٢)

أي غلمان أَمرٍ أشأم. وقوله «في السنين» يجوز أن يكون ظرْفًا لأضحت، ويجوز أن يكون ظرفًا لقوله «لا يُدْعَوْنَ». وقولُه «وما بَعْدُ» يراد به وفيما بعد فيكون ما معطوفًا على السِّنين. ويجوز أن يكون موضع «ما» نَصْبًا على أن يكون معطوفًا على موضِع في السِّنينَ لا على لفظِه، لأنَّ موضِعَهُ نَصْبٌ لكونه ظَرفًا. ويجوز أن يُجْعَلَ مَا صِلَةً، كأنَّه في السِّنينَ الماضيةِ وبعدها. ويجوز أن يُرْوَى: «ومن بَعْدُ لا يُدعَونَ»، وهو حَسَنٌ. وذكر بعضُهم أنَّ ما من قوله «وما بَعْدُ» لا يجوز أن يكون إلّا صلةً وزائدةً لأنَّ بَعْدُ لَمَّا جُعِلَ غايةً ودخَلَهُ النُّقْصَان بِحذْفِ ما كان مُضَافًا إليه امتنع من أن يكون مبنيًّا على شيءٍ وخَبَرًا عنه، وإذا امتنع من ذلك امتنع أن يكون صلةً لموصول، لأنَّ الذي يكونُ صِلةً من الظروف والجُمَلِ هو ما جاز أنْ يكون خَبَر المبتدأ. وليس الأمر على ما قاله، ألا ترى أنَّ قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ٨٠]. معناه: ومن قبل الذي فرّطتم في يوسف، أي قدَّمْتُم. ويجوز أن يُرادَ: ومن قبلِ تفريطكم، فيكون ما مع الفِعْل في تقدير مَصْدَرٍ. وعلى الوجهين جميعًا ما في مَوْضِع رَفْع ومن قَبْلُ خَبَرُه. وذكر أبو إسحٰق الزَّجّاجُ في ما من الآية ثلاثة أوجهٍ، ما ذكَرْنَا أحَدُهَا. وإذا

---

(١) لابن أحمر في ديوانه ٤٩، واللسان (دعا، هوا)، وجمهرة اللغة ص ١٦٤، والمخصص ٩:٩٨، وصدره:

«أهدى لها مشقصا جشرًا فشبرقها»

(٢) لزهير في ديوانه ٢٠، واللسان (سكف وشأم) وجمهرة اللغة ١٣٢٨، وتمامه:

«فتُنْتج لكم غلمانَ أشأمَ كلهم كأحمر عاد ثم تُرضعْ فتفطمِ»

كان الأمْرُ على هذا فما ذَكَرَهُ هذا القائل غير صحيح، لأني قد أرَيْتُكَهُ بَعْد وهو غايَةٌ خَبَرًا، وكَوْنُه صِلَةً تابعٌ لكونه خَبَرًا، فاعْلَمْهُ.

١٥٥ ـ وقال المُسَاوِرُ بن هِنْدٍ: [الكامل]

١ ـ أوْدَى الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّرُ وفَقدتُ أتْرابي فأيْنَ المَغْبَرُ

يقول: أَدْبَرَ الشبابُ وولّى، فهو فائتٌ لا يتَتَبَّعُ، ومطلوبٌ لا يُلْحَقُ، وعَدِمْتُ نُظرائي وأقرانِي، فأيْنَ بقائي بَعْدهم، وكيف خَلَاصِي ممّا اخترَمَهم وأفناهم. وهذا الكلام توجُّعٌ وتحَسُّرٌ لما تَقَضّى من شبابِه، وعُنفوان عُمْرِه وتَقَدُّم من أقْرَانِه ولِدَاته. أي إذا خَلَوْتُ منهم، وصِرْتُ عائشًا في غَيْرِهم فكَمْ عَسَى أن أبْقَى بَعْدَهُمْ. ويقال غَبَرَ إذا مَضَى، وغَبَر إذا بَقِي. ويريد بالمَغْبَر هنا البقاء، ويقال: اقتفرتُ الشَّيء وتقفّرته، إذا تتبّعْته.

٢ ـ وأرَى الغَوَانِيَ بَعْدَمَا أوْجَهْنَنِي أعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أعْوَرُ

الغواني: جمع غانِيَةٍ، وهي التي تَسْتَغْنِي بزوجها عن الرِّجال، وقيل: هي التي تَستغنِي بمحاسنها عن التزيُّن بالحليّ. وقال أبو عبيدةَ: هي المتزوّجة، وأنشد لجميل بن مَعْمَرٍ: [الطويل]

حببتُ الأيامَى إذْ بُثَيْنَةُ أيِّمٌ فلما تَغَنَّتْ أغلَقَتْنِي الغَوَانِيَا[1]

وأنشد[2] ابنُ الأعرابيّ: [البسيط]

أزْمَانَ لَيْلَى كَعَابٌ غَيْرُ غَانِيَةٍ

والشاعر يقول متشكِّيًا من الشَّيْبِ المُعْتَاض من الشّباب، ومن الضعف التابع لصحّة الجسم، ومن السقوط والانحطاط بعد الجاهِ عند الغانيات: أرى النِّساء بعدما كُنّ يجعلنَ لي عِنْدَهُنَّ جاهًا أعْرَضْنَ عني واطّرَحْنَنِي، وأبدلْنَنِي بالحمد ذَمًّا، وبالتسيمة تَلْقِيبًا ونَبْزًا، فمتى ذُكِرْتُ عِنْدَهُنَّ قلن هو شَيْخٌ أعْوَرُ. وقوله «أوْجَهْنَنِي» من الوجاهة: المَنزِلة. يُقَالُ وَجُهَ وَجَاهةً، ووجَّهَني السلطان وأوْجَهَنِي: جعل لي جاهًا ومنزلة،

(١) لجميل في ديوانه ٢٢٦، واللسان (غنا)، وتاج العروس (غنى).

(٢) لنصيب في ديوانه ١١٦، واللسان (وحم، غنا، لها)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٨:٢٠٢، وعجزه:

«وأنتَ أمردُ معروفٌ لكَ الغزلُ»

ورَجلٌ مُوَجَّهٌ وَوَجِيهٌ. وقوله «شيخٌ» ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وقد مَضَى القولُ في التاء من ثُمَّتَ ورُبَّتَ، وأنه علامة التأنيث للقصَّة. وجُعِلَتْ تاءً مفتوحة فرقًا بينها وبين التي تَلحَقُ الفعل والاسم.

٣ ـ ورأَيْـنَ رَأْسِـي صَـارَ وَجْـهًـا كُـلُّهُ إلّا قَـفَـايَ وَلِحْـيَـةٌ مـا تُـضْـفَـرُ

يقول مستمرًا في تكلُّفِ الجَزَع إثْرَ ما تولَّى من الشَّبَاب، وباسِطًا مَعْذِرَةَ النِّسَاء فيما استَحْدَثْنَ له: رأينني قد صَلِعْتُ وانحسر الشَّعْرُ عن رأسي حتَّى صَار كلُّهُ كوجهي، إلا قفَايَ فإنَّ به نَبْذًا مِن الشَّعَرِ، وإلا لحية لا تُقام مَقام الذُّوَابة في الضَّفْرِ والتَّجمُّلِ. فقوله «لِحْيَةٌ مَا تُضْفَرُ» تَحَسُّرٌ على ما عَدِمَ في رأسه من الضَّفَائر وإن كانت اللِّحية لم يُعْتَدْ ضَفْرُها. وقولُه «كلُّه» ارتَفَع على أنَّه توكيدٌ للْمُضْمَرِ في صار، أو على أنه اسم صارَ، أو على أنه يرتفع بفعله وفِعلُه ما دَلَّ عليه قوله «وَجْهًا» كأنَّ المراد توجَّه كُلُّهُ، ويكون كقولك رأيتُ زَيْدًا قَيْسِيًّا أبوه، أي تَقَيَّسَ أبوه، ومررت بِسَرْجٍ خَزٍّ صُفَّتُهُ.

٤ ـ وَرَأَيْـنَ شَـيْـخًـا قـد تَـحَـنَّـى صُـلْبُـهُ يَـمْـشِـي فَـيَـقْـعَـسُ أو يُـكِـبُّ فَـيَـعْـثُـرُ

يقول: ورأيْنَ شيخًا منحنِيَ الصُّلْبِ، مُحْدَودِبَ الظَّهْرِ، يمشي مِشْيَةَ القُعْسَان إذا استَمَرَّ في المشي، أو يتعثَّر فيسقط لوجهه. وكان الواجب أن يقول: أو يَعْثُر فيُكِبُّ، لأنَّ العِثَار قَبْلَ السُّقُوط للوجه، لكنَّه لم يُبَالِ بتغيير الترتيب، لأمْنِهِ من الالتباس، وهذا دون ما يجيءُ في كلامهم من القَلْبِ، مثل قوله: [المديد]

كـمـا أَسْـلَـمَـتْ وَحْـشِـيَّـةٌ وَهَـقَـا(١)

وكقول امرىء القيس: [الطويل]

كـمـا زَلَّتِ الـصَّـفْـوَاءُ بـالْـمُـتَـنَـزِّلِ(٢)

ويقال: قُعِسَ يَقْعَسُ، إذا صار أقْعَسَ خِلْقَةً فيه، وقَعَسَ يَقْعُسُ قَعَسَانا إذا مَشَى مِشْيَةَ الأَقْعَسِ تكلُّفًا، ومثله عَرَجَ يَعْرَجُ وَعَرَجَ. ويقالُ: أَكَبَّ زَيْدٌ فلا يتعدَّى؛ وكَبَّهُ الله لوجهه، وهذا على العكس مما عليه أكثرُ الأفعال. ومثلُهُ أَقْلَعَ الغَيْمُ وقَلَعَهُ الله.

---

(١) البيت بلا نسبة في المحتسب ٢:١١٨. وصدره:

«أسـلـمـوهـا فـي دمـشـق كـمـا»

(٢) لامرىء القيس في ديوانه ٢٠، واللسان (حول، صفا)، ومقاييس اللغة ٣:٢٩٢، وصدره:

«كميتٌ يَزِلُّ اللِّبدُ عن حال متنه»

٥ ـ لَمَّا رأيتُ الناسَ هَرُّوا فِتْنَةً عَمْياءَ تُوقَدُ نارُها وَتُسَعَّرُ

إنما قَدَّمَ ما اقتصَّهُ من ضَعْفِه وكَبْرَتِه، ليُرِيَ العُذْرَ فيما يَعْجِزُ عنه من النهوضِ في الفتنة التي ذكرها، فيقول: لَمَّا وجدتُ الناسَ قد كَرِهُوا ما تَرَدَّدُوا فيه من فِتْنَةٍ لا يُهْتَدَى لوجْهِها، ولا يُقْتَدَرُ على كشفِها، تَسْتَعِرُ نارها وتتلهَّبُ، ويُبْتَعَثُ شرُّها فَتَشْمِلُ. ويَعنِي بهذا فتنةَ ابن الزُّبير وعبد الملك. وجوابُ لَمَّا منتظَرٌ، وهو هنا محذوف يدُلُّ عليه الكلام، كأنه قال: انقَبَضنا عن النهوضِ فيها والحَرَاك، لنَنظُرَ ماذا تكون. والفِتنةُ العمياءُ: التي لا يُهْتَدَى فيها لوجهِ أَمرٍ، وفَصْلِ شأن. والتَّعْميةُ: التلبيس. ويقال: هو في عُمْيانِه، أي عَمَاهُ، مَصْدَرٌ كالطُّغْيان.

٦ ـ وتَشَعَّبُوا شُعَبًا فكلُّ جزيرةٍ فيها أَميرُ المؤمنين ومِنبَرُ

شَعَبْتُ يكون بمعنى جَمَعْتُ وبمعنى فَرَّقْتُ. ويقال: التَأَمَ شَعْبُهم، إذا اجتَمعوا بعد تَفَرُّقٍ؛ وتفرّق شَعْبهم، إذا تَبَدَّدُوا بعد تجمُّع. والشُّعْبَةُ: الطائفة، وجمعها شُعَبٌ. يقولُ: تفرَّق الناس فِرَقًا، فصار الاختلاف لازِمًا لأهوائهم، والتبايُن مُقْترِنًا بآرائهم، في كلِّ جزيرة أميرُ المؤمنين ومِنبَرٌ، يدْعو إلى نَفْسِه ويَخْطُبُ على مِنْبَرِه لِجَذْبِ الأمرِ إليه. وقولُه «أميرُ المؤمنين» لفظه مَعرفةٌ للإضافة المعتادة في هذه اللَّفظة المألوفة على الحدِّ الذي تعرى، لكنّ التنوين مَنوِيٌّ، وإذا كان كذلك كان في حُكْمِ النكِرات. وإنما ساغ ذلك لأنّ قوله «أمير المؤمنين» يُشارُ به إلى الحال، أي فيها أمير على المؤمنين، واسمُ الفاعل إذا أُريدَ في الحال أو الاستقبال كانت إضافَتُه على وجه التخفيف لا على وَجهِ التعريف، ويصير التَّنوين الذي هو الأصل مَنوِيًا فيه، وعلى هذا قولُه: ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤] لأنّ التقدير مُمْطِرٌ لنا. وكذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: الآية ٩٥]. وعَنَى بذلك ابنَ الزُّبير ونظراءَه ممَّنْ كان يَطْلُب الخلافةَ في أيام عبد الملك بن مَرْوَان. وهذا البيت منعطِفٌ بما فيه على قوْلِهِ «هَرُّوا فِتْنَةً».

٧ ـ ولَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إنْ هِيَ أعرضَتْ أَنَّا لَنَا الشَّيْخُ الأغَرُّ الأكْبَرُ

يقول على وجهِ التَّوَعُّد: لَتَعْلَمَنَّ هذه القبيلةُ إن تَوَجَّهَتْ نَحْوَنَا أَنَّا لنا هذا الرَّئيس المشهور الشَّأن، العظم الأمرِ. ويُقالُ: عَنَى به زُهَيْرَ بن جذيمَةَ العَبْسِيّ، وقيل: هو قيس بن زُهَيْر. ويُرْوَى « إنْ هِيَ أدْبَرَتْ». والمعنى: إن وَلَّتْ وأعْرَضَتْ، فإنّها سَتَعْلَمُ أنّا نكتَفِي من دونهم. ويجوز أن يكون المُرَادُ بأدْبَرَتْ: تركت الحقّ. وجواب إنْ في قوله: «لَتَعْلَمَنْ ذُبيَانُ»، وقد مَضَى مِثْلُه.

٨ ـ ولنا قَناةٌ من رُدَينةَ صَدْقَةٌ زَوْراءُ حامِلُها كذلك أَزْوَرُ

قوله: «من رُدَيْنَةَ» أي من رِمَاح ردينة، وهي امرأةٌ كانت تبيع الرِّماح، فحذف المضاف. والصَّدْقَةُ: الصُّلْبة، والعربُ تَذْكُر القناةَ وصلابتَها واعوجاجَها، وأنَّها لا تلين ولا تقبل التَّقويم والتَّثقيف، ضاربةً بها المثلَ في الخِلاف والإباء، والامتناع والتَّعَسُّرِ على من يُريدُ إكْرَاهَهم، والتَّصَعُّبِ على من يُريدُ تلْيِينَهم أو الغَضَّ منهم. والمعنى: قَنَاتُنا لا تَستقيمُ لمُقَوِّمٍ، وحامِلُها لا ينقاد لمجتذِبٍ. وعلى هذا قول عمرو بن كلثوم: [الوافر]

عَشَوْزَنَةٌ إذا غُمِزَتْ أَرَنَّتْ تَشُجُّ قَفَا المُقَوِّم والجَبينا[1]

وقولُ الآخر: [الكامل]

كانَتْ قناتي لا تَلينُ لغامِزٍ فألَانَها الإصباحُ والإمْسَاءُ[2]

وهذا الشَّاعر لم يَرْضَ بذكرِ القَنَاةِ وما جَرَت به العادة من وصْف اعوجاجِها، حتَّى عَقَّبَهُ بقولِه «حامِلُها كذلك أَزْوَرُ»، فزاد على مَن تَقَدَّمَ كما تَرى، وإنما أراد التأكيد والمبالَغة وتبيين قوّة الامتناع على مَن يطلب اقتسارَهُم. وهذا كما يَصفون المتكبِّر بالشَّوَسِ والصَّعَر والصَّيَد. وقولُه: «حاملُها كذلك» من صِفَة القناة، وارتفع حاملها بالابتداء، وقد أَخبَرَ عنه بخَبَرين: كذلك، وأزوَرُ. وقولُهُ «كذلك» إذا وَقَعَ هذا الموقع لا يُغَيَّر، بل يكون للمذكَّر والمؤنَّث على حال واحدة. وأنشد أبو زيد: [البسيط]

أَمَا أقاتِلُ عن دِينِي على فَرَسٍ ولا كَذَا رَجُلًا إلَّا بأصحابي[3]

والمَعْنَى ولا كما أنا الساعةَ راجِلًا.

١٥٦ ـ وقال عُرْوَة بن الوَرْد: [الطويل]

١ ـ قلتُ لِقَوْمٍ في الكَنِيفِ تروَّحوا عَشِيَّةَ بِتْنا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحِ

تقدير البيت: قلتُ لقوم رُزَّحٍ عشيَّةَ بِتْنَا عند مَاوَانَ في الكنيف: تروَّحوا. والمعنى بَعَثْتُهم على السَّير في الرَّواح، وإن كانوا مُتَسَاقِطي القُوَى كالِّين، لا حَرَكَ

(١) لعمرو بن كلثوم في ديوانه ٧٩، واللسان (عشزن)، وشرح القصائد السبع ٤٠٤.
(٢) لشاعر جاهلي في الكامل ١٢٥ (ليبسك). (٣) نوادر أبي زيد ص ٥.

بهم، ولا نُهُوضَ يُقِيمُهم، هَزَلَى لتأثيرِ السَّفَرِ فيهم، وظهورِ أَثَرِ الشُّقَّةِ عليهم. وواحد الرَّزْحِ رَازِحٌ، ويقال: رَزَحَ البعيرُ رُزُوحًا، إذا أَعْيَا، وإبِلٌ رَزْحَى، وقَوْمٌ رِزَاحٌ أي مَهَازِيلُ ساقِطُون. والكنيف: الحَظِيرة من الشَّجَر.

٢ ـ تَنَالُوا الغِنَى أو تَبْلُغُوا بنفوسِكُم إلى مُسْتَراحٍ من حِمَامٍ مُبَرِّحِ

قولُه «تنالوا» جواب الأمر من البيت الأول، وهو تَرَوَّحوا. والمعنى: سيروا واجتهدوا تنالوا الغنى، وتَبْلُغوا حَدًّا من الطَّلَب يُفْضِي بكم إلى الموت المُرِيح الباسط لعُذْرِكم. والمُبَرِّح: المُلِحّ الشديد، ومن هذا وصف الرِّيح بالبارِح. ويقال: بَرَّح بيَ الحُبُّ، أي اشتدَّ؛ وبَرَّحَ بي فلان، إذا آذى؛ وأَبْرَحَ الرَّجلُ، إذا أتى بالبَرْح، والبَرْح يكون الشدةَ ويكونُ العَجَبَ، ومنه قول الأعشى: [المتقارب]

أَبْــرَحْــتَ رَبًّــا وأَبــرَحْــتَ جَــارَا[(١)]

٣ ـ لِيَبْلُغَ عُذْرًا أو يُصِيبَ رَغِيبَةً وَمُبْلِغُ نفسٍ عذرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

قولُه «لِيَبْلُغَ» تفسير ما قَدَّمهُ. ويشير بقوله «عُذْرًا» إلى قاطِع المَوْت لأنَّ المجتهد في طَلب الشيء إذا حَال أجلُه دون أَمَلِهِ فقد أَعْذَرَ، إذْ كان قد فعل ما عليه. وقولُه «أو يصيبَ رَغِيبَةً» إشارةٌ إلى نيلِ الغِنَى. والرُّغب: اتِّساع الشَّيء، ومنه بَطْنٌ رغيبٌ. وقولُه «ومُبلغ نفسٍ عُذْرَها مِثْلُ مُنْجِحِ» أي من أَعْذَر فيما يَطْلُبه، أصابَهُ أو فَاتَهُ، فقد أَنْجح. وهذا الكَلَامُ وإن كان ظاهِرُه وظاهِرُ صَدْر البيت الأوَّل أنَّه يتكرر به المعنى الذي قدمه فيه، فليس الأمر كذلك، لأنَّه ذَكَرَ في الأوَّلِ إبلاغَ النَّفس من المَوْتِ حَدًّا يُريحهُ، ولم يُبيِّن من فَعَل ذلك: هل أَنْجَحَ أولًا. وفي الثاني بَيَّنَ أنَّ المُعْذِر في طَلبِ الشيءِ كالمُنْجِح، وأنَّه إذا استَغرَقَ وُسعَه في طَلَب ما يَهُمّ به ثم حالَ دونَهُ حائلٌ فَقَدْ أعْذَر. وفي طريقته قَوْل أبي تمام: [الطويل]

لِأَمْــرٍ عــليــهــمْ أن تَــتِــمَّ صُــدُورُهُ وَلــيــسَ عــليــهــم أن تَــتِــمَّ عَــوَاقِــبُه

(١) للأعشى في ديوانه ٩٩، وخزانة الأدب ٣: ٣٠٢، واللسان (برح)، ونوادر أبي زيد ص ٥٥، وصدره:

«تـقـولُ ابـنـتـي حـيـن جـدّ الـرحـيـلُ»

١٥٧ ـ وقال أبو الأبيَض العَبْسِيُّ(١): [الطويل]

١ ـ ألا لَيتَ شِعْرِي هَلْ يَقُولَنْ فَوَارِسٌ وقَدْ حَانَ مِنهم يومَ ذاكَ قُفُولُ

قولُه «شِعري» اسم لَيت، وخَبرُه مُضمرٌ استُغنِيَ عنه بمفعولِ شِعْرِي. وليت شِعْرِي لا يجيءُ إلّا هكذا، كما أنَّ لولا يجيءُ أبَدًا مَحْذُوفَ خبر المبتدأ الذي بَعْدَهُ، وقد استُغْنِيَ عنه بجوابه، وذلك كقولك لولا عبد الله لَفَعَلْتُ. وقوله «هَلْ يَقُولَنْ فَوَارِسٌ» سَدَّ مَسَدَّ مفعول ليتَ شِعْرِي. ومعنى الكلام ليتَ عِلْمِي وَاقِعٌ: هل يَقَع هذا القَوْلُ من الفُرْسَانِ في تلك الحال؟ ومفعول «يَقُولَنْ» أول البيت الثاني، وهو قولُه «تَرَكْنَا»، واعتَرَضَ بينهما قَوْلُه «وقد حَانَ منهم يَوْم ذاكَ قُفُولُ» وموضِعُهُ نَصْبٌ على الحال، والذي تمنَّى عِلْمَهُ أنَّهُ هَلْ يُقْتَلُ، فإذا انْصَرَفَ الأبْطَالُ عنه قالوا هذا القَوْلَ أولًا. وتحقيق الكلام: ليتني عَلِمتُ ما يقتضي هذا السُّؤالُ من الجواب، لأنَّ ذاك يُهِمُّه لا نَفْس السُّؤال. وقولُه: وقد حَانَ منهم قُفُولٌ، أي رُجُوعٌ عن المَعْركة إلى ديارِهم وحَيِّهم، كأنَّهُ كان هَمَّ بالاستقبال، وَوَطَّنَ نَفْسَهُ من مُصادمةِ العَدُوِّ، ومصادَمَةِ القِتَال على ما غَلَبَ اليأسَ من الانصرافِ عنهم، لتَعَرُّضه لِمَا لا يَسْلَمُ مَعَهُ من يُلَابِسُهُ، فَتَكلَّم بذلك. وقولُه «يَوْم ذاك» إشارةٌ إلى يوم ملاقاةِ الأعدَاء. فإن قيل: هل تُقَدِّر في الكلام بعد الاستفهام شيئًا لأنَّكَ إذا استَفْهَمْتَ عن شيءٍ كان ما تَسْتَفْهِم عنه وخِلافُه سَوَاءً عندك، وإلّا لم تكن مُسْتَفْهِمًا؟ قُلتَ: مَعْنَى الاستِفهام هَلْ يَقُولَنْ فوارِسٌ كذا، وهل زَيْدٌ عِنْدَكَ، عَلَى «أَوْ» أو «أَمْ» وَلَوْلا ذلك لامتنع الاستفهام. وسَنَشرح الكلام فيما يقتضيه هذا الموضع في البيت الذي بعده.

٢ ـ تَرَكْنَا ولم يُجْنَنْ من الطَّيرِ لَحْمُهُ أَبَا الأَبيَضِ العَبسِيَّ وهو قَتيلُ(٢)

يقول: ليتني عَلِمْتُ هل يقولون في مُنْصَرِفِهم تَرَكْنا أبا الأبيض مصرُوعًا متروكًا بالعَرَاء، تَعفُوهُ سِباعُ الطير وتأكلُ من لحمِه، غير مستُورٍ عنها ولا ممنوعٍ منها. وقد اعتَرَضَ بَيْنَ تَرَكْنَا ومفعولِهِ وهو أبو الأبيض بقوله «ولم يُجْنَنْ من الطيرِ لحمُهُ»، وموضعُه نَصْبٌ على الحال. فإن قيل: فما المُقدَّر بعد الاستفهام هنا من

---

(١) التبريزي: «قال أبو هلال: وكان في أيام هشام بن عبد الملك، وخرج مجاهدًا في بعض الوجوه، فرأى في المنام كأنه أكل تمرًا وزبدًا ودخل الجنة، فلما كان من الغد أكل تمرًا وزبدًا وتقدم فقاتل حتى قتل».

(٢) التبريزي: «ولم نُجنن».

حرفَي العطف: أم، وأوْ، وكيف يكون معنى الكلام مع ذلك المقدَّر؟ قُلْتَ: المعنى على أَوْ، بدلالة أنه يُجابُ مثل هذا الكلام بنَعَمْ أَوْ لا، إذ كان المبنَى على ليتني عَلِمتُ هل يَقَعُ ذلك منهم. فأمّا تقدير أَمْ وهي عاطفةٌ فلا يصحُّ في مثل هذا الموضع، كما لا يجوز اللَّفظ بها على جهة المعادلة. وقد قال أبو العبَّاس: لا يكونُ أَمْ بَعْدَ شيءٍ من حروف الاستفهام سِوَى الألف إلّا على كلامين. وأما تقدير أَم المنقطعة فبعيدٌ، لأنه لو قُصِدَ لم يكن بُدٌّ من ذِكْرِه وذِكر المُستَفْهَمِ به عنه بعده. فاعلَمْهُ.

٣ ـ وَذِي أَمَـلٍ يَـرْجُـو تُـرَاثِـي وإنَّ مَـا ... يَـصِـيـرُ لـه مِـنِّـي غَـدًا لَـقَـلِـيـلُ

يقول: رُبَّ إنسانٍ يُعَلِّقُ طَمَعَه بميراثي، ويرجو تحصيله بَعْدِي، والذي يَنالُه منه غَدًا ـ يُشِيرُ إلى يَوْمِ مَوْتِه ـ قليلٌ غير كثير. والمَعْنَى: إنِي لا أَدَّخِرُ مالي بل أُتلفه في اكتساب المحامد، فلا يكون لي تُرَاثٌ إلا سلاحي وما لا بُدَّ للفارس منه.

٤ ـ ومـا لِيَ مـالٌ غـيـرُ دِرْعٍ حَـصِـيـنَـةٍ ... وأبيَضُ من ماءِ الحَديدِ صَقِيلُ[(١)]

٥ ـ وَأَسْـمَـرُ خَـطِّـيُّ الْقَـنَـاةِ مُـثَـقَّـفٌ ... وأَجْرَدُ عُـرْيَـانُ الـسَّـرَاةِ طَـويـلُ

نَفَى أن يكون له مالٌ يَدَّخِره طولَ حياتِه، ويَرِثُه الوارث بعدَ مماتِه إلّا دِرْعَهُ وَبَيْضَتَهُ، وسَيْفًا مَصْقولًا طُبِعَ من خالِص الحديد، ورُمْحًا حُمِلَتْ قَنَاتُه من الخَطِّ ـ وهو جزيرةٌ بالبَحْرَين ـ وفَرَسًا قصيرَ الشَّعْرِ مُنْجَرِدَ الظَّهرِ من اللَّحمِ، مُشْرِفَ الهامَةِ، طويل القامَةِ. المغْفَر: حَلَقٌ يَتَقَنَّعُ بها المتسلِّحُ، وكذلك الغِفَارَةُ. وقال الخليل: المِغْفَرُ: رَفْرَفُ البيضةِ. وأصلُ الغَفْرِ التغطية والسَّتر. وقوله «غير دِرْعٍ» يجوز رفعُهُ، وهو الوَجْه، على أن يكون بدلًا، ويجوز النَّصْب على الاستثناء.

٦ ـ أَقِـيـهِ بـنَـفْـسِـي في الْحُـرُوبِ وأَتَّـقِـي ... بِـهـادِيـهِ إِنِّـي لِلخَـلِـيـلِ وَصُـولُ

هذا معنًى شريفٌ حَسَن. يقول: أَحْفَظُ مَقاتِل فَرَسِي بفخذي ورِجْلِي، وأَتَّقِي فيما يأتيني بعُنُقِه. والمعنى: من أراد أن يصيب مَقتَلي جَعَلْتُ بيني وبيْنَهُ عُنُقَ دابّتي، كما أنّ من أراد مَقتَلَ فَرَسِي أجعلُ بينه وبيْنَهُ فَخِذَيَّ ورِجْلَيَّ. ثم قال: «إنِّي للخليل وَصُولُ» أي لا أَخْذُلُهُ في الشدائد ولا أَنتَفِعُ به إلّا وأَنفَعُه. وهذا مَثَلٌ. والعربيُّ يُسَمِّي

---

(١) التبريزي: «غير درع ومغفرٍ».

سلاحَهُ ومَرْكُوبَه خَليلًا، على ذلك ما أَنْشَدَه الأصمعيُّ، وهو: [الطويل]

وإنِّي كما قالَتْ نَوَارُ إنِ اَجتَلَتْ   عَلَى رَجُلٍ ما شَدَّ كَفِّي خَليلُها(١)

١٥٨ ـ وقال قَيس بن زُهَير العَبْسِيُّ(٢): [الوافر]

١ ـ لَعَمْرُكَ ما أَضاعَ بَنُو زِيادٍ   ذِمَارَ أَبيهِمُ فيمن يُضِيعُ

اللامُ من «لَعَمْرُكَ» لام الابتداء، وخبر المبتدأ محذوفٌ، كأنهُ قال: لعمرُك قَسَمِي. يقول: وبقائك ما ضَيَّعَ لهؤلاء العصابةُ من حقِّ أبيهم وشَرَفِ أسلافهم، ما يوجب التذمُّرَ عند المحافظة عليه في جُملة من يُضِيعُ حُقوقَ آبائهم، وما أَثَّلُوهُ من مَفاخِرِهم ومحاسِنِهم؛ بل حافظوا عليه بما ضَمُّوا مما استحدثوه واطَّرَفوه إليه. وحَذَف مفعول يُضِيع كأنه قال: فيمن يُضِيع الذِّمَارَ. ويُقالُ: فلانٌ حامي الذِّمار، أي إذا ذَمَرَ وغَضِبَ حَمِيَ. وهذا كما يُقالُ، هو ثَبْتُ الخَبَارِ، أي إذا حَصَلَ في الخَبَار ثبت. وقولُه «ما أضاعَ» تَهَكُّمٌ أو تعريضٌ؛ لأنَّ الذين أخبر عنهم أَشْهَرُ أَمرًا وأعظمُ شأنًا مِن أن يُقالَ فيهم ذلك.

٢ ـ بَنُو جِنِّيَّةٍ وَلَدَتْ سُيُوفًا   صَوَارِمَ كُلُّها ذَكَرٌ صَنِيعُ

يَعْنِي ولَدَ زياد بن عبد الله بن ناشِبِ العَبْسِي، يقول: هم بنو امرأةٍ كأنَّها في فَضْلِها ودَهَائها من الجِنّ. وهذه المرأة هي فاطمة بنت الخُرْشُبِ الأنماريَّةُ، وهي إحْدَى المُنْجِبات من العرب، وكانت قد رأت في مَنَامِها كأنَّ قائلًا قال لها: «أَعَشَرَةً هِدَرَةً، أَحَبُّ إليك أم ثلاثة كعشَرَةٍ» فلما انتبهت اقتصَّتْ رؤياها على زوجها فقال لها: إن عاوَدَكِ فَقُولي: بل ثلاثةٌ كعشرةٍ. فرجعت إلى المنام ورأت مثل ما رأتْ من قبل، فجعلت تَقُولُ في الجواب: بل ثلاثة كعشرة. فولدت بنين ثلاثة صَارَ كلٌّ منهم أبًا لقبيلة، ومُعَظَّمًا في قومه وعشيرته، وهم ربيع الحِفَاظ، وعُمَارة الوَهَّاب، وأَنَس الفَوَارس. وكما جعل الأم جِنِّيَّة لخروجها فيما أَتَتْ به عن المعتاد من الإنس جعل الأولاد سيوفًا. ومعنى البيت: هم أولاد امرأة ولدَتْ رجالًا كأنهم في النَّفاذ سُيُوفٌ قواطع، كلُّ واحدٍ منها ذَكَرُ الحَدِّ، مَصْنُوع صقيلٌ. و«صَنِيعٌ» كما استُعْمِل في السَّيْف استُعْمِل في الخيل. يقال: صَنَعْتُ الفَرَس، إذا ضَمَّرْتَه.

---

(١) للفرزدق في ديوانه ٢: ٦١، واللسان (شكك) وتاج العروس (شكك).

(٢) التبريزي: «وقال قيس بن زهير في بني زياد الربيع وعمارة وأنس، وكان يقال لهم الكملة».

٣ ـ شَرَى وُدِّي وشُكري من بَعيدٍ لآخِرِ غالِبٍ أبدًا رَبيع

يقال: شَرَيْتُ الشَّيءَ بمعنى اشتريت وبِعْتُ جميعًا، وكذلك بِعْتُ يَصْلُح للأمرين، ومن شَرَيْتُ الضَّرْوَى، وهو المِثْلُ، لكن لامُهُ وهو ياءٌ قُلِبَتْ واوًا، لأنَّ فَعْلَى إذا كان اسمًا ولامُه ياءٌ يُفْعَلُ به ذلك، فَرْقًا بين الاسم والصفة، وعلى هذا قولهم الفَتْوى فيقول: اشترى ربيعُ الحِفَاظِ على بُعْدِه مِنِّي، وُدِّي له، وثَنَائي عليه وعلى آخِرِ رُجُلٍ يبقى من بني غالب أبدًا. وقوله «من بَعيدٍ» في موضع الحال. وإنَّما قال هذا لأنَّه ناله إحسانه ووجَبَ عليه شُكْرُهُ وبينهما مَسَافَةٌ وبُعْدٌ.

١٥٩ ـ وقال هُدْبَةُ(١): [الوافر]

١ ـ إنِّي من قُضَاعَةَ مَنْ يَكِدْهَا أَكِدْهُ وَهْيَ مِنِّي في أَمَانِ

ليس يريد بهذا الكلام نسبة نَفْسِهِ إلى قُضَاعَةَ فقط، بل يريدُ اختصاصَه بهم، وتعصُّبَه لهم. وهذا كما يقال: أنَا من فُلَانٍ وإلى فُلانٍ، أي ابتدائي منه وانتهائي إليه، فيقول: إنِّي مُنْتَمٍ إلى قُضاعة أهْوَى هَوَاها، وضَلْعِي معها، فمَنْ عَادَاهَا أو نابَذَهَا عادَيْتُهُ ونَابَذْتُه، وهي آمنةٌ من مَكْرُوهي وأذاي، إذ كُنْتُ أنعَطِفُ عليها فيما يَنُوبُهَا، وأغْتَفِرُ زَلَّاتِهَا فيما يتفق مِنها. وهذا الكلام في التنبيه في الاختصاص، والإبانَةِ عن الطاعة والإخْلاص، من أَبْلَغِ كلام وأَكْرَمِ إيناس. ألا تَرَى أنه فَصَّلَ ما أَجْمَلَ، وفَسَّرَ ما أبْهَمَ بقوله «من يَكِدْها أَكِدْهُ وهي مِنِّي في أَمَان»؟ وهذا صفة جوارح الإنسان مع جملته وأبعاضِه مع كُلِّهِ، بدَلالةِ أنّه يدافع من يريد إصابة أحدها ثم هي آمِنَةٌ من جنايته عليها، أو على شيء منها.

٢ ـ ولَسْتُ بشاعِره السَّفْسَافِ فيهم ولَكِنْ مِدْرَهُ الحَرْبِ العَوَانِ

يقول: ليس مَحَلِّي منهم وفيهم محلّ شاعِرٍ يُسَفْسِفُ القَرِيضَ، ثم يقف دُونَ غايته باليدِ واللِّسان. والسَّفْسَاف: ما لا خَيْرَ فيه من الأفعال والأقوال: وفي الحديث: «إنَّ الله تعالى يحب معاليَ الأمور ويُبْغِضُ سَفْسَافَهَا»(٢). والعَوَانُ من الحرب: التي قُوتِلَ فيها مرَّةً بعد أخرى. فإن قيل: أين عَجُز البيتِ مِنْ صَدْرِه في النظام، وهلَّا قال بعد ما نَفَى عن نفسه من الشِّعر الرَّكيك: ولكنِّي شاعِرُ المتخيِّرِ الرصين؟ قلتَ: إنَّما

---

(١) التبريزي: «هدبة بن خشرم».

(٢) أخرجه السيوطي في جمع الجوامع (٥١٩٢)، والقاضي عياض في الشفاء ٢: ٢٩٨.

المُراد التنبيهُ على فَضْلِهِ فيهم وطَوْلِهِ، وعلى كفاية بيانه، وعلى غَناء سِنانِه. والحرب كما تقع بالضِّرَابِ والطِّعان تقع بمجاذبة الحِجَاج عند النِّفار والفَخَار. وآثر أن يقول: «ولكن مِذْرَه الحَرْبِ» ليدخل تحته الأمْرَان جميعًا. وقيل: المِدْرَه هو السَّيِّد الذي يُدْفَعُ به الشَّرُّ فينتظم به أمورُ الحَرْبِ، ويقوم بأسباب الصِّحاب. وذكَرَ بعضُهم أنه من دَرَه عَلَيْنَا، أي طلع. وقيل إنه من دَرَأَ أي دَفَعَ، وأنَّ الهاء فيه بَدَلٌ من الهمزة. ويجوز أن يكون الكلام تعريضًا بإنسان نَفَى عن نفسه حَالَهُ وَأَنْبأَ أَنَّ الأمر بخلافه.

٣ ـ سَأَهْجُو من هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ وأُعْرِضُ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي

قولُه «من سواهم» يتعلَّق مِنْ بِهِجَاهم، وموضعه نَصْبٌ على الحال. ويحتمل معانِيَ: يجوز أن يريد به مخالطًا لغيرهم؛ لأنَّ مِن هذه تكون للملابسة؛ على ذلك قولهم: أنت مِنِّي فرسخين، أي أنت مُخَالِطِي. يقوله الدَّليل والخفير. ويكون للولاء والنُّصْرَة، على ذلك قول النابغة: [الوافر]

إذا حَاوَلْتَ فـي أَسَـدٍ فُـجُـورًا فإني لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنيِّ

فيكون معنى «مِن سوَاهم» ناصرًا لغيرهم. وتكون للنَّسْل والولادة. يقول هُمْ مِنْ أَبٍ واحِدٍ وبعضهم من بعض، فيكون المعنى منتسِبًا إلى غير أصْلِهِم. وعلى هذا قوله «وأُعْرِضُ منهم» يتعلق مِن بهجاني، ويكون الكلام في موضعه ومعناه على الحدّ الذي بيّناه. من تعرض لهم بمكروهٍ أو ذَكَرهم بسوءٍ فإنِّي أدافِعُهُ عنهم، وأعارضُه دونهم، وأقاتله عن تناوله منهم، ومن تَعَرَّض لي منهم فإنِّي أُعْرِض عنه، وأصْفَحُ عن غَيِّه فلا أؤاخِذُه بِهِ، صِيَانَةً لهم، ومحافظة على ما يجمعني وإياهم.

١٦٠ ـ وقال عَمْرو بن كُلثوم[1]: [الطويل]

١ ـ مَـعَـاذَ الإِلَـٰـهِ أنْ تَـنُـوحَ نِـسَـاؤُنَـا على هَالِكٍ أو أن نَضِجَّ من القَتْلِ

مَعَاذ الله، من المصادر التي لا تكون إلا منصوبةً، وُضِعَتْ موضِعًا واحدًا من الإضافة على ما تَرَى، ولا يتصرف. والعياذ في معناه ومن أصله، وهو يتصرَّف مرفوعًا ومنصوبًا ومجرورًا، وبالألف واللام. وانتصب معاذ الإله على إضمار فِعْلٍ

(١) عمرو بن كلثوم التغلبي: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، وكان من أعزّ الناس نفسًا ومن الشجعان، وقد عمّر طويلًا. (ت نحو ٤٠ هـ/ ٥٨٤ م). ترجمته في الأغاني ١١: ٥٢، والشعر والشعراء ص ٦٦.

تُرِكَ إظهاره. ويقولون: عائذًا بالله من شرِّها، فيجري مَجْرَى عِياذًا بالله، كأنه قال: أعوذ بالله عائذًا وعِيَاذًا. ومن أبيات الكِتاب: [البسيط]

أَلْحِقْ عَذابَك بالقَوْمِ الذين طَغَوْا ... وعائذًا بك أن يَغلُوا فيُطْغُوني(١)

ويُقال: عُذْتُ بالله عَوْذًا ومَعَاذًا وعِياذًا. ويقال: أَفْلَتَ منه عَوَذًا بفتحتين، أي عائذًا، وأَتَيْتُهُ عَوَذًا. وهذا الكلامُ تَبَرُّؤٌ من إظهار الجَزَع على قَتْلاهُم، واستعمالِ البكاء والضَّجَاج في بَلْواهم، وتَصَبُّرٌ على نوائب الدَّهر، وانتفاءٌ من تكرُّهِ القَتْل. يقولُ: نعوذُ بالله من نَوْحِ نسائنا على مُتَوَفًّى منا مفقُودٍ، ومن ضجيجنا من القَتْلِ والقِتال، وكيف يكون أحدُ هٰذين مِنّا وقد تعوَّدَتْ نساؤنا الثُّكْل، ونشأْنا في ممارسة الحَرْب ومزاولتها. وفي طريقته قولُ الآخر: [الطويل]

إذا ما أَتَتْنِي مِيتَتي لَمْ أُبالِها ... ولم تُذْرِ خالاتي الدُّموعَ وعَمَّتي(٢)

٢ ـ قِرَاعُ السُّيوفِ بالسُّيوف أَحَلَّنَا ... بأَرْضٍ بَرَاحٍ ذي أَرَاكٍ وذي أَثْلِ

الأصلُ في البَرَاحِ الأرْضُ التي لا بناء فيها ولا عُمْرَانَ. والمُقَارَعةُ: مُضارَبةُ القومِ في الحَرب. وكلُّ شيءٍ ضربْتَهُ بشيءٍ فقد قَرَعْتَه. وهذا على حَذْفِ المضاف، كأنه قال قِرَاعُ أصحابِ السُّيوفِ بالسُّيوفِ. أخبَر عن نفسه وذويه بأنَّ صَبْرَهم في دارِ الحِفاظ هو الذي أنزَلهم بأرْضٍ واسعةٍ ذاتِ أَثْلٍ وأَرَاكٍ، وصَرَفَهم عن الانتجاع وتَطَلُّب الخِصْبِ في المَظَانّ. وهذا صريحُ ما قاله غيرُه، وهو: [الطويل]

أَنَخْنَا فحالَفْنَا السُّيوفَ على ٱلدَّهْرِ(٣)

والأراك: شجرٌ تُتَّخذ منه المَسَاويك. ويقال: إبلٌ أَوَارِك، إذا اعتادَتْ أَكْلَها. والأَثْلُ أيضًا: شجرٌ. وهذا كما قال الآخر: [الكامل]

وتَحُلُّ في دارِ ٱلحِفَاظ بُيُوتُنا ... زَمَنًا ويَظْعَنُ غيرُنا بالأَمْرَعِ(٤)

---

(١) لعبد بن الحارث السهميّ في الكتاب ١: ٣٤٢، واللسان (عوذ)، وبلا نسبة في شرح أبيات سيبويه ١: ٣٨١، وشرح المفصل ١: ١٢٣.

(٢) للشنفرى في المفضليات ١: ١١٠.

(٣) البيت الثاني في الحماسية رقم (١٠٨). وهو ليحيىٰ بن منصور. وصدره:
«ولـمّا نأت عنا العشيرة كلها»

(٤) للحادرة الذبياني في المفضليات ١: ٨.

ونَبَّهَ بذِكْر الأرض البَرَاح على أنَّهم غير محتجِزين بحُصُونٍ ولا قِلَاعٍ، ولا ممتنعين بهِضابٍ ولا جِبالٍ. والأَثْل والأَرَاك يَنْبُتانِ في السَّهْلِ أكثر، فوَكَّدَ بذكرهما المُرَاد، وجَعَل البَرَاح بلًا من قوله «بأرْضٍ» ولذلك قال «ذي أَرَاكٍ» ولم يَقُلْ ذاتِ.

٣ ـ فما أَبقَتِ الأيامُ مِلْمَالِ عِنْدَنا سِوَى جِذمِ أَذْوَادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ

أراد بالأيَّام الوَقَعَات. وقولُه «مِلْمَالِ» أرادَ من المال، فجعَلَ الحَذْفَ بدلًا من الإدغامِ لمَّا التَقَى بالنون واللام حَرْفان متقابلان، الأوّل مُتَحَرِّكٌ والثاني ساكنٌ سكونًا لازمًا. والمعنَى: ما بَقِي تأثيرُ الحوادِث ونَكَبَاتُ الأيّامِ عندنا من أُصولِ المال ومقتنياتِها، إلّا بَقَايا أَذْوَادٍ قطَع الضُرُّ نَسْلَها، وتمكَّنَ الهُزَالُ وسوءُ الحال منها، فهي على شَرَفِ فَنَاءٍ وذَهابٍ. والجِذْمُ: الأصلُ. والأذْوَادُ: جمع الذَّوْد، والذَّوْدُ يقع على ما دون العَشَرَة. وقال أكثر أهلِ اللُّغة: إنها تَقَعُ على الإناث دون الذُّكورِ. وبعضهم يجوِّز وُقوعَها على الذكور أيضًا، وما في البيت يَشْهَدُ للأوّل.

٤ ـ ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ فأَثْمانُ خَيْلِنَا وأقواتُنَا وما نَسُوقُ إلى العَقْلِ

أراد: أموالُنا ثلاثة أثلاث، فيرتفع الثلاثة على أنه خَبَرُ مبتدأ محذوف، وما بعدَها تفسيرٌ لها وتفصيل. ونَبَّهَ بما أَوْرَدَ وقَسَم على الوجوه التي انصرَفَتْ إليها أموالُهُم فأفنَتْها، والطُّرُقِ التي توزَّعَتْها فقلَّلتها، فقال: افتَرَقَتْ أموالُنا فِرَقًا ثلاثًا ففِرقةٌ منها صرَفْناها إلى أثمانِ خَيْلِنا لأنَّا غزّاوُون، ومُعَالجو حُرُوبٍ، فلا نستغني عنها؛ إذ كان جدُّنا وهَزْلُنا منها وبها. وفِرقةٌ منها حَبَسْناها على أقواتِنا ومعايشنا؛ لأنّ العُفَاةَ والزُّوّار كانت تنتابُنا وتتناوَبُ عليها حتى تستَغْرِقَها، لأنَّ إقامَتَنا بدارِ الحِفاظ شَغَلَتْنا عن الغَزْوِ واجتذاب الزّيادة إليها. وفرقةٌ منها وجَّهناها إلى الدِّيات، وأرُوش الجِنايات التي كَسَبَتْها أيدينا، واجترحَتْها رِماحُنا، إذ كنا لعِزِّنا ومَنَعَتِنا لا يُطْمَعُ في الاقتصاص منّا. ومثْل هذا قولُ الآخر: [البسيط]

نأسو بأموالنا آثار أيدينا[1]

(١) البيت السابع من الحماسية رقم (١٤) لبشامة النهشلي. وصدره:
«بيضٌ مفارقنا تغلي مراجلنا»

١٦١ ـ وقال المثَلَّم بن عَمْرٍو[١]: [المنسرح]

١ ـ إنِّـــي أَبَـــى الله أَنْ أَمُــوتَ وَفِـــي صَـــدْرِيَ هَـــمٌّ كَـــأنَّـــهُ جَـبَـــلُ

يقول: يأبَى الله عزّ وجلّ لِيَ الاخترام وفي نفسي هَمٌّ عَظِيمٌ لا أَسْعَى في إمضائه وتنفيذه. ويَعْنِي بذلك دَمًا يَطْلُبُهُ، أو حِقْدًا يَنْقُضُهُ، أو مُنًى من عَدُوِّه يُدْرِكُهُ. وهذا الكلامُ وعِيدٌ وإيذانٌ بأنه مجتهِدٌ في الطَّلَب، ورَاجٍ أَلَّا يَحُولَ الأجَلُ بينَهُ وبين الأمَلِ، بمَا عَوَّدَهُ الله من الصُّنْع والظَّفَر بالمَطْلوبِ. والواوُ من قوله «وفي صَدْرِي» واوُ الحال. وموضِع «كأنّه جَبَل» صِفَةٌ للهَمّ. والهَمُّ يجوزُ أن يَكُون مَصْدَر هَمَمْتُ بالشيء، ويجوز أن يكون واحِدَ الهُمُوم.

٢ ـ يَـمْـنَـعُـنِـي لَذَّةَ الـشَّــرَابِ وإنْ كـــانَ قِـطَـابًـا كـــأَنَّـــهُ الـعَـسَـــلُ

هذا من صِفَةِ الهمّ. يقول: يَصُدّني ذلك الهمُّ عن التَلَذذ بالشّراب، وإن طاب وصار مِزَاجًا كالعَسَل يُستحلَى ولا يُتَكَرَّه. ومثله لأبي ذُؤَيْبٍ: [الطويل]

فَـجَـاءَ بِـمَـزْجٍ لـم يَـرَ الـنَّـاسُ مِـثْـلَهُ[٢]

جَعَلَ ما يُمزَج به مَزْجًا. ورواية الأصمَعي «مِزْجًا» بكسر الميم. فالمِزْج كالمزاج والقِطَاب، سَمَّاه بما يُستصلح له من ذلك أو يُفعلُ به من بَعْدُ. وإنّما قال هذا لأنّ الواحد منهم إذا أُصيب بمن يَمَسُّه أو وُتِرَ فيمن يَقرُب منه ويختصُّه، كان يَعْقِد على نَفْسِه نَذْرًا في مجانبةِ بعض اللَّذّات أو أكثرِها، من معاقَرة الشَّراب أو مجامَعَة النِّساء أو ما يجري مجراهما، إلى أن ينالَ المراد، ويحصِّل المُرتاد. ويقال قَطَبْتُ الشرابَ، أي مَزَجْتُهُ. ويُروى: «وإن كان رُضَابًا». ويجوز أن يريد به ماءَ فَمِ محبوب. ويجوز أن يريد ماءَ مَحَلِّه في جنسه ذلك المحلُّ من الشَّرَابِ.

٣ ـ حتـى أَرَى فـارِسَ الـصَّـمُـوتِ عَـلَى أَكْـسَــاءِ خَـيْــلٍ كَــأَنَّــهـا الإِبِـلُ

حَتَّى تعلَّقَ إن شئت بقوله أَبَى الله، وإن شئت تعلَّقَ بيمنعُني، والتقدير في الوجهين: يأبَى الله موتي حتى أرى هذا الأمرَ، أو يمنعني الهمُّ الالتذاذَ بالشَّرَاب حتى

---

(١) التبريزي: «المثلم بن عمرو التنوخي».

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٩٦، واللسان (مزج، فطظ، ضحك، سحل)، وتهذيب اللغة ٤: ٩٠. وعجزه:

«هو الضحك إلا أنه عمل النحل»

أراه وأُشاهِدَه. والصَّموت: اسمُ فَرسِه. ويعني بفارسه نفْسَه. وأكساء الخيْل: أدبارها. ويقال هو يكْسَؤه ويَدْبُرُه ويَذْنُبُه، أي يكونُ في أثَرِه. وحكى الخليل أكسأْتُهُ الخيلَ. والمعنى: لا يكون ذلك حتى أرى نفسي تَرْكُضُ في أدبار خَيْلٍ منهزمةٍ وتَسُوقُها، كما تُساق الإِبلُ. وقيل شبَّهَها بالإبل في عِظَم خَلْقِها وإشرافها. والكلام على هذا يُرادُ به خيل مخصوصةٌ يتوعّدها ويعيّن عليها.

٤ ـ لا تحسبَنّي مُحَجَّلًا سَبِطَ الـ سّاقَيْنِ أَبْكِي أن يَظْلَعَ الجمَلُ

هذا توعُّدٌ وتعريض بالمخَاطَب. المحَجَّل، يجوز أن يكون مأخُوذًا من الْحِجْل الذي هو القَيْد، ومن الْحِجْل الذي هو الْخَلْخَالُ، ويجوز أن يكون من الحَجَلة. والمعنى: لا تظنَّني إنسانًا مُتَرَفًا مُنَعَّمًا لا غَنَاءَ عِنْدَه، ولا كفاية لَدَيه، ولا رأيَ يُسْتَنَد إليه، ويعَوَّل في المهمّات عليه، فهو في العجز كالممنوع المُقَيَّد، وكالمرأة المخلخَلة، وكالمخدَّر الملازم للحجال والفُرُشِ يجزع ـ لضعف نُهُوضِه، وسقوط قُوَاهُ، وسوء بصيرته ـ من ظَلْع جَمَلِه فَضْلًا من غيره. وقولُه «أبْكِي أن يَظْلَعَ الجَمَل» صَرَف الكلامَ إلى الإخبار عن نفسه، ولو قال «يبكي أن يَظْلَعَ» لَتَرَكَ الاستمرار في صفة المحجَّل جاريًا على حَدِّهِ، غير متحوّل عنه، وكان الكلام أحسَنَ في قِرَانِ النَّظْم.

٥ ـ إنّي امرُؤٌ من تَنُوخَ ناصِرُه مُحْتَمِلٌ في الحُروب ما احتَمَلوا

قوله «من تَنُوخ» أي أنْتَسِب إليها، وأهْوَى هَوَاهَا. و«ناصِرُهُ» نَكِرَة لأن إضافته إضافة تخفيف لا إضافة تعريف، والتَّنوين منويٌّ فيه، أراد: ناصرٌ له. وقوله: «ما احتملوا» أراد: ما احتملوه، فحذَف المفعولَ لطول الصِّلَة. والمعنى: إنّي مخالطُهم وناصرٌ لهم، وصابرٌ على ما يَصْبِرون عليه، وناهضٌ تحت العِبءِ الذي ينهضون فيه.

١٦٢ ـ وقال عبد الله بن سَبْرَةَ[1]: [الطويل]

١ ـ إذَا شَالَتِ الجَوْزاءُ والنَّجْمُ طَالِعٌ فكُلُّ مَخَاضَاتِ الفُرَاتِ مَعَابِرُ

---

(١) التبريزي: «قال أبو رياش: كان عبد الله بن سبرة أحد فتاك العرب في الإسلام، وكان رجل من الروم يقال له سعد الطلائع يأتي صاحب الصوائف، فيقول سعد لصاحب الصوائف: ابعث معي جندًا أدلهم على عورات الروم، فيتوغّل بهم. فانتدب عبد الله بن سبرة ومضى معه حتى انتهى إلى غيضة، فقال لعبد الله: ادخل، فقال عبد الله: أنا الدليل أم أنت؟ فأبى وعرف عبد الله ما أراد فقتله».

٢ ـ وإنّي إذا ضَنَّ الأميرُ بإذْنِه ... عَلَى الإذْنِ من نَفْسِي إذا شِيتُ قادرِ

أراد بالنَّجم الثُرَيَّا، وأكثر ما يعترض هذه اللفظةُ في استعمالِهم مُعَرَّفًا يُرَادُ به الثُرَيَّا لا غير، ألا تَرَى قول الهُذَلِيّ: [الكامل]

فَوَرَدْن والعَيُوقُ مَقْعَدَ رابِىءِ الـ ... ـضرَبَاءِ خَلْفَ النَّجْمِ لَا يتَتلَّعُ[1]

والجوزاءُ سُمِّيت بذلك لأنَّ وَسَطَها أبيض. وجَوز كلِّ شيءٍ: وسَطُه. والوَقْتُ الذي يشير إليه يشتدّ فيه الحرّ. لذلك قال ساجِعُهُم: «إذا طلع النَّجْمُ، فالصَّيْفُ في حَذم، والعُشْبُ في حَطْم». فكأَنَّ قائلَ هذا الشعرِ استأذَنَ صاحبَهُ في الانتقال إلى البَدْو فلم يأذَنْ له، فأخَذَ يتشكَّى عن مُرَادِه بهذا الكلام ويتوجَّدُ. ويقول: إذا تَنَاهَى الحَرُّ وارتفعت الجوزاء في أوّل الليل إلى كَبِد السماء، وطَلَع الثُرَيَّا عند السَّحَر، فكلُّ مَخَاضَةٍ من جوانب الفُرَات مَعْبَرٌ لي أهرُبُ فيه؛ لأنَّ نُضُوبَ الماء ونقصانَه يكون في ذلك الوَقتِ. وقوله «والنَّجْم طالعٌ» لو وَلِيَهُ «إذا» فقيل إذا النجم طالعٌ، لم يَصْلُحْ؛ لأنَّ الجملةَ التي يُبَيَّن بها إذًا لا بُدّ فيها من فِعلٍ، لما يتضمَّن من معنى الشَّرْط والجزاء. تقول آتيك إذا زيْدٌ يَأمُرُ. ولو قلتَ: آتيكَ إذا زيْدٌ أميرٌ لم يَصْلُح؛ لكنَّه لما انعطَفَ على قوله «شالَتِ الجَوْزاءُ» حَسُنَ حَمْلًا على المعنَى، كأنّه قيل: وطَلع النجمُ. وهذا إذا كان الواو فيه للعطف، ويجوز أن يُجْعَلَ الواوُ واو الحال، يُرِيدُ إذا شالَتِ الجوزاءُ في حال طُلُوع النجم. والعاملُ في «إذا» ما دَلَّ عليه قولُه: «فكلُّ مخاضات الفُرات معابر». وقولُه: «وإني إذا ضَنَّ الأميرُ»، يقول: إذا تمنَّع الأميرُ من الإذْنِ لي، وصدَّني الوقتُ عن مُرادي، ولم أَقْدِر على جَوازِ المَسَالح والمَرَاصِد، لكونها مشحونةً بالمُرْتَبِين فيها، انتظرتُ غَيْضَ الماء وجَزْرَه في الفُراتِ، وإمكانَ المخاضاتِ من العُبُور والذَّهابِ، فحينئذٍ آذَنُ لنَفْسي وأهرُبُ. وإنما قال ذلك لأنَّ المَشارعَ لا تُضْبَطُ كما تُضْبَطُ الجُسُورُ ومَضايقُ الطُرُق.

١٦٣ ـ وقال الربيع بن زيادٍ العبسيُّ: [المتقارب]

١ ـ حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَيَّ البلا ... دَ حَتَّى إذا اضْطَرَمَتْ أجْذَمَا

---

(١) لأبي ذؤيب في خزانة الأدب ١: ٤١٨، وشرح أشعار الهذليين ١: ١٩، وشرح اختيارات المفضل ١٧٠٢، واللسان (تلع، ضرب، رقب).

يقول: ألْهَبَ قيس بن زهير البلادَ عليَّ نارًا تتوهَّجُ، فلمَّا استَعَرَتْ وتأجَّجَتْ هرَب وتركَني أصْطلِي بها وإنما قال هذا لأنّ قَيْسًا ترك أرض العَرَب وانتقل إلى عُمَان بعد إثارة الفِتَن واهتياجِ الشر، في سَبْق داحس. والإجذام: الإسراعُ في السَّيْر، وجعلَه مَثلًا لانزوائه ونَفْضِه اليَدَ مما كانَ لابَسَه وتولَّاهُ من إيقاد نار الحرْب بين الفريقين.

٢ ـ جَنِيَّةُ حَرْبٍ جَنَاهَا فما تُفَرَّجَ عنه وما أَسْلمَا

جَنِيٌّ: فَعِيلٌ في معنَى مفعول، لكنَّه ألْحَقَ الهاء به لأنَّه جعلَهُ اسمًا، كما أُلحق بالبَنِيَّة وهي الكعبة، وبالذَّبيحة والنطيحة. وهذا اعتدادٌ على قَيْسٍ بما جَنَاهُ، وتحمُّدٌ بما أتاهُ، وامتنانٌ بأنه لَمْ يقعُد عن نُصْرَتِه، ولم يخْذُلْهُ وقت حاجته، ولم يُخَلِّهِ للأعداءِ وقت إقامَتِه، ولا تَرَكَ النِّيَابةَ عنه واعتناقَ الأمرِ بعد غيبته، بل نَهَضَ في الشرّ والقتال ما اتَّصَلَ نهوضُه، وتفرَّدَ بالدِّفاع عنه عند فُتُورِهِ ونُفورِهِ. وقوله «فما تُفَرَّجَ عنه»، أي ما تُفُرِّقَ عنه ولا تُكُشِّفَ.

٣ ـ غَدَاةَ مَرَرْتَ بآلِ الرِّبَا بِ تُعْجَلُ بالرَّكْضِ أنْ تُلْجِمَا

أقْبَلَ يخاطِبُ بعد ما كان يُخْبِرُ، على عادتهم في تصاريف كلامهم، وقولُه «غَدَاةَ مَرَرْتَ» ظَرْفٌ لما دَلَّ عليه أجْذَمَا. أي هَربتَ في ذلك الوقت والأوان. و«تُعْجَلُ» في موضِع الحال. والمعنى: اجتَزت بآل هذه المرأةِ مُسْتَعْجَلًا بركْضِ الأعْداءِ في أثَرِكَ، حتَّى لم تَتَسِع لإلجام دابَّتِكَ، ولم تَأْمَنْ رَيْثَ إصْلَاحِ أَمرِكَ، والتهيُّؤ لنجاتك. وقولُه «أن تُلْجِم» في موضع النَّصب مِن تُعْجَلُ، وكان الواجب أن يَقُولَ تُعْجَلُ بالرَّكْضِ عن أن تُلْجِمَ، فحذَفَ الجارّ ووصَل الفِعل فعَمِل. وفي القرآن: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه: الآية ٨٣].

٤ ـ وكُنَّا فوارِسَ يَوْمِ الهَرِيـ ـرِ إذْ مالَ سَرْجُكَ فاستَقْدَما[1]

يومُ الهَرِيرِ[2] معروف. وإنما قال كنا فُرسانَ هذا اليوم، لِمَا كان عُرِفَ من جميل بلائهم، وحُسْن ثباتهم فيه ووفائهم، وليذْكُرَ بتبريزهم حين نَكَصُوا على أعقابِهم، وقَصَّرُوا عن شأوِهم. وذِكْرُ مَيْلِ السَّرْجِ مَثَلٌ، وقولُ جرير يَشْهَدُ لذلِك

(١) التبريزي: «فكنّا».

(٢) التبريزي: «وليلة الهرير في الإسلام ليلة من ليالي صفّين».

ويَكْشِفُه، حين قال: [الكامل]

قُلْ لِلجَبَانِ إذا تأخَّرَ سَرْجُهُ ... هَلْ أنْتَ من شَرَكِ المنيَّةِ نَاج

والمراد اضطرابُ الأمر وفَشَلُ الرأي وتمكُّنُ الخوف والدَّهَشِ من المنهزم، ونزولُه عما يَهُمُّ بركوبه. وفي طريقته قول الآخر: [البسيط]

لَا تَجْعَلُونَا إلَى مَوْلَى يَحُلُّ بِنَا ... نَقْدَ الْحِزَامِ إذَا مَا لِبْدُهُ مَالَا

وكما جَعَلَ الحزامَ مَثَلًا لتدارُك الأمر وتلافِي فاسِدِه على الوجه الذي تَرَاهُ، جَعَلَ تَركَ شَدِّ الحزام عندما يَطْرُق أو يَنُوبُ مَثَلًا للتَّحَزُّم والتجمُّع قبل نُزول الخَطْبِ، حتَّى إذا بَدَتْ أَعْنَاقُهُ لا يَحتاج إلى استئنافِ شيءٍ لتَمَام أُهْبَتِه. وعلى ذلك قولُ امْرِىء القَيْس: [الكامل]

أَقْصِرْ إلَيْكَ من الوَعِيدِ فإنَّني ... مِمَّا أُلَاقي لا أَشُدُّ حِزَامِي[1]

فَتَأمَّلْ ما فَتَحْنَا مُبْهَمَهُ تَنَلْ كلّ فائدةٍ، وتَظْفَرْ بكلّ غنيمة. ويقال: استَقْدَمُ بمعنى تَقَدَّم، وفي ضِدّه استأخر بمعنى تأخَّرَ. والمعنى: كنا فُرْسَانَ هذه الوقعةِ في هذا اليوم المشهور، حين كُنتَ للشَّرِّ مُعْوِرًا، وعلى شَفَا البَلَاءِ مُوفِيًا.

٥ ـ عَطَفْنَا وَرَاءَكَ أَفْرَاسَنَا ... وَقَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ الفَمَا

يقول: تَعَطَّفْنا عليك في ذلك الوقت، ودافَعْنا دونك، وقد كَسَرَت الأسنانُ وأسلمْتها الشفاه، تَقَلُّصًا عَنْهَا ويُبوسةً حَادِثَةً فيها. وذِكْرُ الفَم كنايَةٌ عن الأسنان؛ كما يُقالُ: فَضَّ الله فَاهُ. ويقال في هذا المعنى: ذَبَّتْ الشِّفَاهُ[2]. ومِثْلُهُ قولُ عَنْتَرَةَ: [الكامل]

إذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ[3]

والواو من قَوْلِه قد أَسْلَمَ الشفتان واو الحال. والاستعارة بإسلام الشفتين في نهاية الْحُسْن.

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١١٧، وأساس البلاغة (حزم).

(٢) ذبّت الشفاه: ذبلت وجفت من العطش.

(٣) وصدره:

«وقد حفظت وصاة عمي في الضحى»

٦ ـ إِذَا نَفَرَتْ مِن بَيَاضِ السُّيُو ف قُلْنَا لَهَا أَقْدِمِي مُقْدَمَا

يقولُ: إذا جَبُنَتْ خَيْلُنَا وحادَتْ عن تلألُؤ السيوف وبريق الشَّمس وشُعَاعِها في السِّلاح، وهَرير الأبطال وتداعيها، أكْرهْنَاهَا على الإقدام. وذِكْرُ القَوْلِ هٰهنا كنايَةٌ عن الفعل، وهذا كما يقال: قال برأسِه كذا، إذا حَرَّكه، وقال بسَوْطِه، إذا أشار به. والمُقْدَم والإقدامُ بمعنًى. وحقيقة الكلام إذا نَفَرَتْ قَدَّمْناها تقديمًا.

١٦٤ ـ وقال الشَّنْفَرَى(١): [الطويل]

١ ـ لَا تَقْبُرُونِي إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ عليكُم ولكن أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ

يقال: قَبَرْتُ الإنسانَ، إذا دفَنْتَه؛ وأقْبَرْتُه إذا جَعَلْتَ له مَوْضِع قَبْرٍ، وفي القرآن: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عَبَسَ: الآية ٢١]. والشَّاعر كأنَّهُ نَبَّهَ بهذا الكلام على أنَّه مِمَّنْ يُقْتَل ويُتْرك بالعَرَاء لا يَرْثِي له شَقيق، ولا يرثيه نسيبٌ ولا رفيقٌ، فيأتيه عَوَافِي السباع والطَّير. فخاطَبَ أصْحَابَهُ وقال: لا تدفنوني إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عليكم، يريهم استغناءَه عنهم حيًّا وميِّتًا، ورِفْعَةَ نفسِه عن الاستنامَةِ إليهم والاعتماد عليهم، وذهابَه عنهم فِعلَ المجانِبِ لهم، البعيد منهم. ثم قال «ولكن أبْشِري أمّ عامر»، أي ولكِنِ الضَّبُع تأكُلُ لحمي فأبْشِري أمَّ عامِرٍ، جَعَلَهُ كما هُوَ لَقَب الضَّبُع. وموضِعُه من الإعراب مبتدأ والخبر محذوفٌ، وهو يأكلني وتَتَولَّى أمْرِي ونحوُهُ. وهذا في أنَّه جُملةٌ جُعِلَتْ لَقَبًا وفي أنَّ شَرْطهَا أن تُحْكى، كتأبّط شَرًّا وما أشبهه. وإنما جُعلت لَقَبًا لها لأنَّ العادَةَ في اصطياد الضَبُع أن يُقْصَدَ وِجارُها ويُخفَرَ وهي تتأخّر شيئًا شيئًا. والصائدُ يقول: أم عمْرٍ ليست هٰهنا؟ أَبْشِرِي أُمَّ عامِرٍ بشَاءٍ هَزْلَى، وجَرَادٍ عَظْلَى؛ خامِرِي أمّ عامر ليست هٰهنا؟ فلا يزالُ يَحْفِرُ الوِجَارَ، ويكرِّر هذا الكلامَ؛ والضَّبُع تتأخَّر حتى تبلُغ أقْصَى وجارِها فتخرجَ حينئذٍ بأغْلَظِ عُنُفٍ. ولمّا كان الأمْرُ على هذا في اصطيادها لقبَها ببعض ما تُخاطَبُ به في تلكَ الحال، فكأنَّهُ قال: لا تَقْربوني إذا مِتُّ فقد حَرَّمْتُ دَفْني عليكم، ولكِنَّ الذي يُقَالُ لَهُ أبْشِري أمَّ عامِرٍ وليُّ أمْرِي دونَكم. فهذا وَجْهٌ حَسَنٌ إليه يَذْهَبُ الحُذّاق من أصحاب المعاني. وحكى سيبويه عن الخليل في

---

(١) الشنفرى الأزدي: عمرو بن مالك، من قحطان، شاعر جاهلي من فحول الطبقة الثانية، وكان من فتّاك العرب وعدّائيهم (ت نحو ٧٠ ق.هـ/ ٥٢٥ م) ترجمته في الأغاني ٢١: ١٣٤، وخزانة الأدب ٢: ١٦.

قول الأخطل: [الكامل]

ولقد أبيت من الفتاةِ بمعزلٍ ... فأبيتُ لا حَرَجٌ ولا محرومُ(١)

أنه قال: أبيت الذي يقال له لا حَرَجٌ، فحَكَى. ثم قال: يقوّيه في ذلك قول الأخْطلِ: [الطويل]

على حينِ أنْ كانَتْ عُقَيْلٌ وشائظًا ... وكانَتْ كِلَابٌ خَامِرِي أمَّ عامِرِ(٢)

لأنه أراد كانت كِلَابٌ التي يقال لها خامِرِي أمَّ عامِر، فحكى ذلك الكلام وكَنَى به عن الضَّبُع. ويحتمل أن يكون البيت على كلامَين، كأنّه قال: لا تدفنوني، مخاطِبًا أصحابه ورفقاءهُ، وليس يُرِيدُ نَهْبَهُم عن ذلك؛ ولكن يريد كَشْفَ حَالِهِ لَهم، وبيانَ عاقِبَةِ أمْرِه فيهم. ثم أقبَلَ على الضَّبُع فقال: أبْشِرِي يا أمّ عامِرٍ، فإنَّكِ تأكُلِينَ مِنّي. ويكونُ هذا في تحويل الكلام عن شيءٍ إلى آخر، كقول الله عزّ وجلّ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسُف: الآية ٢٩]، فاعْلَم ذلك تنتفعْ به إن شاء الله. ويقال: بَشَّرْتُه فأبْشَرَ، كما يُقال: فَطَّرْتُه فأفْطَر. ويقال: بَشَرْتُه بالتخفيف بمعنى بَشَّرْتُهُ، فاستَبْشَر. وحُكِيَ أبْشَرْتُه أيْضًا.

٢ ـ إذا احْتَمَلُوا رَأْسِي وفي الرأس أكْثَرِي ... وغُودِرَ عندَ المُلْتَقَى ثَمَّ سائِرِي

إذا ظَرْفٌ لقَوْلِهِ تَقْبُرُوني، أو لِمَا دَلّ عليه اللَّفْظُ والحال، وقد جُعِل خَبَرًا للمبتدأ الذي بَعْدَ لَكِن، وهو قوْلُهُ أبشِرِي أمّ عامرٍ مَن ياكُلُنِي أو يَتَوَلّى أمْرِي. ويجوز أن يكون ظَرْفًا لقَوْلِهِ أبْشِرِي في القَوْلِ الثّانِي. وإنما قَالَ «وفي الرَّأسِ أكْثَرِي» لأنَّ الحواسَّ خَمْسٌ، وأرْبَعٌ منها في الرأسِ: البَصَرُ للمرئيّات، والأذن للمسموعات، والأنف للمشمومات، والفَمُ للمَذُوقات. وقد اعتَرَض به بين المعطوفِ والمعطوف عليه، وساغَ ذلك لأنّه يُسَدِّدُ المعنى المطلوب ويؤكّدُه. وقولُه «وغُودِرَ عند المُلتقى ثَمّ سائري»، يروى بفتح الثاء ويكون ظرفًا وإشارة إلى المعركة ومزدَحَم الناس. والتقدير: وغُودِرَ ثَمّ سائرِي حيث التَقَى القَوْمُ بعد أن حُمِلَ رأسُه لشُهْرَته، أو ليُعْلَمَ به إتيانُ القَتْلِ عليه. ويُروى «ثُمَّ» بضم الثاء ويكون حرفَ العطف عُطِفَ به سائري على المُضمَر في غُودِرَ، والمعنى: غودِرَ رأسُهُ ثُمَّ سائرُهُ حَيْثُ التَقَى القَوْمُ للنِّظارة،

---

(١) للأخطل في ديوانه ٦١٦، وخزانة الأدب ٣: ٢٥٤، واللسان (ضمر).

(٢) للربيع الأسدي في الكتاب ٢: ٨٥، وبلا نسبة في اللسان (وشظ).

والأولى أجود. وإنَّما ضَعُفَت هذه لأنَّ عَطفَ الظاهر على المضمر المرفوع ضَعِيفٌ حَتَّى يُؤَكَّدَ. وتأكِيدُه: وغودِرَ هو عند الملتَقَى ثُمَّ سائرُهُ. ويجوز أن يكونَ سائري في موضِع النَّصب معطوفًا على رأسي، كأنّه احتملوا رأسَه ثم سائرَهُ، فيكون أقْرَبَ. وكان الشَّنْفَرَى أحَدَ الخُلَعاء الذين تَبَرَّأ عشائرهُم منهم وأسْلِمُوا بجرائرهم، ولهذا قال في نَفْسِه: [الطويل]

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لأَيِّهَا بِمَا حَنَّ أَوَّلُ[1]

ومن أجْلِ ذلك كَشَفَ القِناع مَع قومه، وأخذ يتفادى منهم ويقول: لا تَقْبُرُوني إن قبري مُحَرَّمٌ عليكم. فإن قيل: أين جوابُ إذا؟ قلتَ: إنْ جعلتَه ظَرْفًا لقوْلِه لا تقبروني فذاك جوابُه، وكذلك إن جعلتَه ظَرْفًا للخبر المقدّر. والسائر: الباقي من الشيء، وهو من السُّؤر، وأسْأَرْتُ في الإناءِ.

٣ ـ هُنَالِكَ لا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالجرائِرِ

أشار بقوله «هنالك» إلى الوقت الذي يتناهى فيه الأَمَد، ويدنُو فيه الأجَل، لا إلى الوَقْتِ الآني بَعْدَ القتل، وهو ظَرْفٌ لِلَا أرْجُو. والمعنى: في ذلك الوقت لا أطمع في حياةٍ سارَّةٍ لي، وأنا مخذولٌ مُسْلَمٌ بحرائري في القبائل، لا يُرَى إلا شامِتٌ بي، أو طالبٌ للانتقام منّي. وقولُه «سَجِيسَ الليالي» يُرادُ به امتدادُه وسلاسَتُه في الاتصال وهو اسم الفاعِل من سَجُسَ. وقد أَحْكَمْنا القولَ فيه في كتابنا الأزمنة[2]، وهو ظَرْفٌ لقولِه مُبْسَلًا بالجرائر. وانتصب مُبْسَلًا على الحال. والجرائر: جَمْع الجريرة. وأُبْسِلوا: أُسْلِمُوا. وفي القرآن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ [الأنعام: الآية ٧٠].

١٦٥ ـ وقال تَأَبَّطَ شَرًّا: [الطويل]

١ ـ وَقَالُوا لَهَا لا تَنْكِحِيهِ فَإنَّهُ لأَوَّلِ نَصْلٍ أَنْ يُلَاقِيَ مَجْمَعَا

كان تأَبَّطَ شرًّا خطَبَ امرأة عبسية، فأرادت إجابته وَوَعَدَتْ مُناكحتَهُ، فلما جاءها أَظهَرَتِ الزُّهْدَ، وأَخْلَفَتِ الوَعْدَ، واعتلّت بأنَّ الرغْبَةَ في شَرَفِه وفَضْلِه كما كانت لكنَّهُ قيل لها ما تَصْنَعِين برجُلٍ يُقْتَل عَنكِ قريبًا، لأنَّ له في كل حَيٍّ جنايةً، وعنده لكلّ إنسانٍ طائلة، فتبقَيْنَ أَيِّمًا! فانصرف تأبّط شرًا وقال هذه الأبيات.

---

(١) البيت من لاميته التي يقال لها لامية العرب. (٢) انظر الأزمنة والأمكنة ١: ٢٩٣.

وقولُه «أن تُلَاقِيَ» يجوز أنْ يكون موضِعُهُ رَفعًا بالابتداء، وخَبَرُهُ لأوّلِ نَصْلٍ، والجملة في موضِعِ خبر إنَّ. والتقديرُ: إنْ تأبَّطَ شَرًّا مُلاقاتُهُ مَجْمَعًا لأوّلِ نَصْلٍ يُجرَّدُ. ويجوز أن يكون «يُلاقي» في موضِعِ النصبِ على أن يكون بَدَلًا من الهاء في «إنَّه»، كأنّه قال إنّ ملاقاتَهُ مَجْمَعًا لأوّلِ نَصْل. والهاء في فإنَّهُ يجوز أن يكون لتأبَّطَ شرًّا، وهو الأجود في الوجهين. ويجوز أن يكون للأمر والشأن في الوجه الأوّل، ويكون تفسيرُه الجملة. ويجوز أن يكون في موضع الظَّرْف، أيْ زَمَنَ أن يُلاقِي مَجْمَعًا. والمعنى هو: لأوّلِ نَصْلٍ إذا لاقى مَجْمَعًا، أي يُقْتَلُ بأوّلِ نَصْلٍ يُعمَل في ذلك الوقت. ويُرْوى «أن يُلاقِيَ مَصْرَعًا»، والمَصْرَع يجوز أن يكون مَصْدَرًا، ومكانًا، وزمانًا. وانتصابه يجوز أن يكون على أنه مفعول يُلاقِيَ ويجوز أن يكون مفعولُ يُلاقي محذوفًا ويكون مَصْرَعًا في موضع الحال؛ كأنه قال إن تلاقِيَه ذا مَصْرَعٍ، أي مصروعًا، فَحَذف المُضافَ.

٢ ـ فَلَمْ تَرَ مِنْ رأيٍ فَتِيلًا وحاذَرَتْ تَأيُّمَها من لَابِسِ اللَّيْلِ أرْوَعا

يقول: لم تَرَ هذه المرأة من الرأي لمّا قَبِلَتْ مَشُورة الناسِ وتَمنَّعَتْ من مناكحتي ما يوازي فَتيلًا، أي ما يغني غناءَ فتيل. وقد حَذِرَت بَقاءَها أيِّمًا من رَجُلٍ رَكّابِ اللَّيل لا يفارقه فِيمَا يَهُمُّه، فكأنّه لبأسِهِ ذَكِيُّ القَلْبِ شَهْمٌ. والقتيل والنَّقير والقِطْمير يُضْرَبُ المَثَلُ بها في حَقَارَةِ الشيءِ. والأرْوَعُ يكون الحديدَ القَلْب المَرَوَّعَ الفؤاد، ويكون الجميلَ. وقولُه «وحاذَرَتْ» في موضِعِ الحال والأجْوَد أن يُضْمَرَ معها «قَدْ» أيْ لم تَرَ فَتيلًا من الرأي مُحَاذِرة.

٣ ـ قَليلُ غِرَارِ النَّوْمِ أكْبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَّأرِ أوْ يَلْقِيَ كَمِيًّا مُسَفَّعَا

هذا من صفة لابِس الليل. فإن قيل: ما معنى قليل غِرَارِ النَّوْم؟ وإذا كان الغِرارُ القليلَ من النوم، بدِلالة قولهم ما نَوْمُهُ إلا غِرَارًا، فكيف جاز أن تقول قليل غرار النوم، وأنت لا تقولُ هو قليلُ قليلِ النوم؟ قلتَ: يجوز أن يُرادَ بالقليل النَّفْي لا إثْباتُ شيءٍ منه، والمعنى: لا يَنامُ الغِرَارَ فكيف ما فَوْقَهُ؟ ويجوز أن يكون المعنَى نومُه قَليلُ ما يقِلُّ من النَّوْم، أي نَوْمُه قليلُ القليل، يريدُ به أنَّهُ مُسَهَّدٌ، وأن أكبَرَ ما يَهتمّ له طلبُ دَمِ الثار، أو ملاقاةُ كَمِيٍّ مُسَفَّعِ الوَجْهِ، لدَوَامِ تَبَذُّلِه للسَّمائم، وتَسيَارِه في الهَوَاجِر. والكَمِيُّ: الذي يَكْمِي شَجَاعتَهُ لوقتِ الحاجة إليه، وقيل: هو الذي يُتَكَمَّى في سِلاحِه، وقوله «أوْ يَلْقَى» أنْ مُضمَرَةٌ بين أوْ والفِعْل، ولولا ذلك لم يَجُزْ عَطْفُ الفِعل

على الاسم، لاختلافهما. وإذا أُضْمِرَ «أنْ» يَصيرُ حرفُ العطفِ ناسقًا اسمًا على اسم، والتقدير: أكبَرُ هَمِّه دَمُ الثَّار أو لقاءُ كمِيٍّ. ومثل هذا قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: الآية ٥١] والتقدير: أو أن يرسل رسولًا، حتى يكون أنْ مع الفِعْل في تقدير مَصْدَر مَنسُوق على قَوْله وَحْيًا، إذ قد امْتَنَعَ أن يُحْمَلَ على أن يُكَلِّم.

٤ ـ يُمَاصِعُهُ كُلٌّ يُشَجِّعُ قَوْمَهُ　　وما ضَرْبُهُ هَامَ العِدَى ليُشَجَّعَا

يجوز أن يكون قولُه «يماصِعُه» صفة لكمِيًّا مُسَفَّعا؛ لأنَّ مِثْلَهُ من الأفعَالِ يكون صِفَةً للنَّكِرَةِ وحَالًا للمعرفة، ويكون الثناءُ على خَصْمِهِ الذي هَمُّه ملاقَاتُهُ، كالثَّناء عليه. ويجوز أن يكون راجعًا إلى الأوَّل، وداخِلًا في صفاتِهِ فيتْبَعَ قوله قليلُ غِرَارِ النوم. ومعنى يماصِعُهُ: يقاتلُه. وأصله الضَّرْبُ بالسَّيف والرَّمْيُ. ويقال مَصَع بذنَبِهِ، إذا حَرَّكَهُ. ومَصَعَ الطائر بذَرْقِهِ، إذا رَمَى به. وقولُهُ «كلٌّ» أي كلُّ واحِدٍ من الناس، فَأَفْرَدَ وهو في النِّيَّة مضافٌ. ومعنى البيت: إنَّ كلّ مَن قاتَلَ هذا الرَّجُل قاتلَهُ طَمَعًا في أن يَنْسُبَه قَوْمُه إلى الشَّجاعة، وليتبجَّح به عند أقرانِه، ويذهب به صِيتُه في الناس. وليس قَتْلُهُ للشُّجعان وضربُهُ هامَ الأعْدَاءِ لمثل ذلك، لكنه طَبْعٌ منه، وجَرْيٌ على عادته وقوله «يُشَجِّع قومُه» أي لأن يشجعه قومه، والمفعول محذوف بدلالة قوله: [الطويل]

أَلَا أيُّهذا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى

يُرِيدُ أن أحْضُر، يدلُّ على هذا ما بَعْدَه، وهو:

وأن أشْهَدَ اللَّذّاتِ هل أنْت مُخْلِدِي(١)

٥ ـ قَلِيلُ ادّخارِ الزَّادِ إلّا تَعِلَّةً　　فقد نَشَزَ الشُّرْسُوفُ والْتَصَقَ المِعَا

قولُه «إلا تَعِلَّةً» من عَلَّلْتُهُ بكذا، فهو كالتَّقدمة من قَدَّمْتُ. والشَّراسيف: مَقَاطُ الأضْلاع، ولا يَنْشُز إلّا للهُزَالِ. وذِكْرُ القِلَّةِ هٰهنا مقصودٌ به إلى النَّفْي لا غير، بدلالة مجيءِ الاستثناء بعده، وإذا كان كذلك لم يثبت القَليلُ به. والمعنى: ما يَدّخَرُ من الزَّادِ إلا قدرًا يَتعلَّل به، فقد أثَّرَ الطَّوَى فيه حتى هُزِل، فتَرَى رؤوس أضلاعه شاخصةً، وأمعاءه بجنبِهِ ملتصقة، لقِلّة طُعْمِه، واتِّصال ممارسته للشَّدائد. وعلى هذا

---

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٣٢ في المعلقة، وخزانة الأدب ١: ١١٩، والدرر ١: ٧٤.

قول الله عزّ وجل: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: الآية ٤١] و﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٣].

٦ ـ يَبِيتُ بِمَغْنَى الوَحْشِ حَتَّى أَلِفْنَهُ ... ويُصْبِحُ لا يَحْمِي لَهَا الدَّهرَ مَرْتَعَا

قوله «يبيت بمغنى الوحش»، أي استمرّت هذه الحالة به، واتصلت منه ودامت، لأن الأماكن سِواه ضاقَتْ عنه، ومجامِع الإنْس تكرّهَتْهُ فَلَفَظَتْهُ، فألِفَ القِفار ولزِمَ مرابع الوحش ومساكنَهَا، حتى أَنِسَتْ به وسكَنَتْ إليه، وعَدَّتْهُ واحدًا منها، وصار هو أيضًا على تعاقب الزمان وتَصَرُّفِ الأحوال لا يَحْمِي من أَجْلِهَا مَرْعى، ولا يُراعِي من مَرَادِها مَأْوَى، لأن هِمَّتَه مصروفَةٌ إلى غَيْرِهَا، ونفْسِه مَشْغُولَةٌ بسواها، فلا نَفْرَتُها مِنْهُ تَقْبِضُها عنه، ولا صَيْدُهُ لَهَا يَجْعَلُهَا من همه. ومِثْلُ هذا قول الآخر[1]: [الطويل]

عَلَامَ تَرَى لَيْلَى تُعَذِّبُ بالمُنَى ... أخا قَفْرَةٍ قد كان بالغُول يأنسُ
وأَضْحَى صَدِيقَ الذِّئب بَعْدَ عَدَاوَةٍ ... وبغْضٍ وربَّتْهُ القِفَارُ الأمالسُ

٧ ـ على غِرَّةٍ أَوْ جَهْرَةٍ من مُكانِسٍ ... أَطَالَ نِزَالَ القَوْمِ حتَّى تَسَعْسَعَا[2]

تَعَلَّقَ قولُه «عَلَى» بقولِه «لا يَحْمِي». والمعنَى: لا يحافِظُ لها ولا يترقبُها، لا على غَفْلةٍ منها واغترارٍ منه إياها، ولا بمجاهَرةٍ لها ولا مكاشفة دونَها، بل أطالَ مزاولةَ الغارات ومُنازلةَ الكُماة مُنْذُ تَرَعْرَعَ، إلى أن وَلى شبابُه وتَسَعْسَع. وهذه إشارةٌ إلى ما تنقَّل فيه على تغيُّر الأحوال ومُضِيّ الأوقات، من اكتساب العداوات وإيقاع الوقَعات، وتهييج الغارات. وقوله «تَسَعْسَعَ» من قوْلِكَ تَسَعْسَعَ الليلُ أو النهار، إذا أدْبَر. وفي الحديث: «تَسَعْسَعَ الشَّهْرُ»[3]. والمُكانِس: المُلَازِم للكِناس. ويُقال: كَنَسَ الظَّبْيُ فهو كانسٌ، إذا أَوَى إلى كِناسِه. قال لبيد: [الرمل]

تسلُب الكانسَ لم يُؤْرَ بها ... شُعْبَةُ السَّاقِ إذا الظِّلُّ عَقَلْ[4]

---

(١) لعبيد بن أيوب العنبري أو عبيد بن ربيعة التميمي في الحيوان ٦: ١٦٨، وحماسة البحتري ٤١١.

(٢) التبريزي: «أو نهزةٍ من مكانسٍ».

(٣) رواه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٦٨، بلفظ: «إن الشهر قد تسعسع فلو صمنا بقيته تسعسع أي أدبر وفني إلا أقلّه» ويروى بالشين.

(٤) للبيد في ديوانه ١٧٥، واللسان (ورأ، أور، وأر، أرى، ورى)، وكتاب الجيم ٢: ٣٣٨، وكتاب العين ٨: ٣٠٢.

ويُقالُ للكِناس المَكْنَسُ. تقال: ظَبْيٌ كَنِسٌ، إذا لَزِمَ كناسَهُ.

٨ ـ ومَــنْ يُــغْــرَ بــالأعْــدَاءِ لا بُــدَّ أنَّــهُ سَيَلْقَى بهم من مَصْرَعِ الموت مَصْرَعَا

قوله «لا بُدَّ» يجري مَجْرى لا مَحالَة، وهو من البَدَد مصدر للأَبَدّ، وهو سَعَةُ ما بين اليَدِ والجَنْبِ، كأنَّ المراد لا سَعَةَ في ذلك ولا تَجَوُّز. وكان الواجب أن يقول: لا بُدّ من أنَّهُ سَيَلْقَى، فَحَذَفَ مِنْ. فإذا قُلْتَ: لا بُدّ من كذا، فانتصاب بُدّ بِلَا، وخبَرُه من كذا. ولم يتعلّق مِنْ بُدّ كما تَعَلَّق بخَيْر من قولك لا خَيْرَ منه لك، لأنه لو كان كذلك لَنُوِّنَ بُدٌّ ولم يَجُزْ غَيْرُهُ: يقولُ: من أُولِعَ بمنابذة الأعداء، وغَرِي بمضارّتهم لا بُدّ أن يَلْقَى بهم يَوْمًا من الأيّام مَصْرَعًا من مَصارع الموت، لأنّه كما يَرَى فيهم يَرَى بهِم. ويقال: غَرِيَ بكذا وأُغْرِي به، وقد رُوي «يَغْرَ» بفتح الياء، و«يُغْرَ» بضَمِّها. والمَصْرَعُ هٰهنا مَصْدَرٌ، وقد يكون في غير هذا اسمًا للمكان والزَّمان وعلى طريقة هذا البيت المَثَلُ السائر: «من يَرَ يوْمًا يُرَ به». وجواب الجزاء في ضمن قولِهِ لا بُدَّ أنه سيَلْقَى، والتقدير: من يَغْرَ بالأعداء فهو سيَلْقَى بهم مَصْرَع الموْت، لا بُدَّ من ذلك.

٩ ـ رَأَيْـنَ فـتًـى لا صَـيْـدُ وَحْـشٍ يُـهِـمُّـهُ فلَوْ صافَحْتَ إنْسًا لِصافَحْتَهُ مَعًا

رَجَع إلى ذِكر الوحش بعد أن اعترض بين الكلام فيها بقوله: «أَطالَ نِزال القوم»، وبقولِهِ «ومن يُغْر بالأعداء». وهو يريدُ أن يبيّنَ سَبَبَ أُنسِها به، وزوالَ نِفارها منه بأَشْفَى مما قدَّمَه. فيقول: رَأَتِ الوَحْشُ به فتًى صَيْدَ الوَحْشِ مما ليس يَخطُر ببال، ولا يَعُدُّه من جملة الأشغال. فلو مَكَّنَتْ من نفسِها إنْسًا لمكَّنَتْ هذا. فقولُه «لا صيْدُ وَحْشٍ يهُمُّه» من صفةِ الفتى، ونَفَى بقوله لا الفِعْلَ، فلذلك لم يكرّر لا مرّتين كما تقولُ لا عَبْدٌ لك ولا جارية. وإذا كان كذلك فقد أَضْمَرَ بَعدَ لا فِعْلًا، وجَعَل الصيد يرتفع به، ويكون الفِعل الظاهر بَعدَهُ تفسيرًا، كأنّه قال لا يُهِمُّه صيدُ وَحشٍ يُهِمُّه. والمصافحةُ أصلُها في مماسّة صَفحة إحدى اليدينِ للأُخرى عند السلام، فاستعارها للتمكين والاستسلام. وقولُه «مَعًا» في موضِع الحال، أي مجتمِعةً ومصطحِبةً. والفائدة في ذكر الإتيان بلفظةٍ تُفيد العموم، فكأَنَّ المراد الوحشُ على اختلاف أجناسِها.

١٠ ـ ولـكـنَّ أربابَ الـمَـخَـاضِ يَـشُـقُّـهُـمْ إذا اقـتَـفَـروهُ واحـدًا أوْ مُـشَـيَّـعَـا

١١ ـ وإنِّـي وإنْ عُـمِّـرْتُ أَعْـلَـمُ أنَّـنِـي سَأَلْقَى سِنَانَ الـموْتِ يَبرُق أَصْلَعَا

قولُه «المَخَاض» هي النُّوق الحوامِلُ، وهو اسمٌ صِيغ للجماعة منها، ولا واحِدَ لها من لَفظِها، وإنما خَصَّها لأنّ التنافُسَ فيها أكثر، وأَربابَها بها أَشَحّ. والشاعرُ تَرَكَ قِصّةً إلى قِصّةٍ، فكأنّه قال: لا يُهِمُّه طَلَبَ الوَحْشِ، ولكن يُهِمُّه قصْد أرباب الإبِل في أموالِهم، فهو يؤذيهم ويفزّعهم، ويُضْنيهم إذا تتبَّعُوا أثرَهُ. وقد أغار عليهم واستاق إبلَهم مُنفرِدًا عن أصحابه، أو محتفلًا بهم مُعانًا بتشييعهم. وهذا بيانُ ما قَدَّمَه في قولِهِ «أطالَ نِزال القوْم حتى تَسَغْسَعا». وانتَصَب واحدًا على الحال، والعاملُ فيهِ اقتفروه، أي منفردًا. ويقال: اقتفرتُ للوحش إذا تتبعتَ أثرَهُ. ومعنى يَشُفُّهُمْ، يهزلهم ويكدّ عيشهم. ومشيّعًا: معه شيعةٌ، يريد أنه لا يبالي كيف سقط عليهم وأنه يُشفُّهم على كل حالٍ. وقولُه «وإني وإنْ عُمِّرت» بيانُ قولِه «ومن يُغْرَ بالأعداء»، كما أنّ قوله «رَأَيْنَ فتًى» بيان قولِه «يبيتُ بمغْنَى الوَحْش حتى أَلِفْنَهُ»، لأنه فسَّرَ كلّ بيْتٍ من الأبيات الثلاثة ببيتٍ. فيقول: أنا وإن أُطيلَ عُمْرِي، ومُدَّ من نفْسِي بما يَلْحَقُني من واقِيَةِ الله تعالى على ما أجترِحُه وأختاضُه، أتيَقَّنُ أني سألقَى أَجَلي، وأُوَافِي مَصْرَعي إذا دَنا الحِينُ المعلوم، بالحَيْنِ المحتوم، وتَرَاءَى سِنَانُ الموتِ لي بارِزًا بارِقًا، أي السِّنان الذي يكون به الموتُ، فلا أختارُ لنفسي إلّا ما لا يكسبني عارًا. وفي الكلام مع هذا الذي ذكرناهُ التَّسَلِّي التامّ، والرِّضا بالمقدور. وجواب الشرط في قوله أعلَمُ أنني، وهو على إرادة الفاء، ويجوز على نِيّةِ التقديم والتأخير.

١٦٦ ـ وقال بَعْضُ بني فَقْعَسٍ(١): [الطويل]

١ ـ دَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ إلَيّ فَشَمَّرَتْ ... خَنَاذِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ

يقول: استغثت بهؤلاء القَوْمِ وندبْتُهم إلى نُصْرَتي والدِّفاع دوني، فخفَّتْ لي رجالٌ كأنّهم فحولٌ ممتدّةُ القاماتِ، مبسوطة الأيدي بالضَّرب والطَّعن. ويجوز أن يريد بالطُّول الاقتدار والغَلَبة، كما يُقالُ في السَّلاطةِ: هو طويل اللِّسان والخناذيذ: الكِرام من الخيل، فاستَعَارَها للكِرام من الرِّجَال كما يُستعار القُرُوم المَصَاعِبُ لهم. ومن زَعَمَ أنّ الخناذيذ: الخِصْيَان أو الفحولة، فقولُه بعيدٌ عن الصواب؛ يَشْهَدُ لما ذكرناهُ من أنّهُ الكِرامُ قولُ الشاعِر: [الخفيف]

وَخَنَاذِيذَ خِصْيَةً وَفُحُولَا(٢)

(١) التبريزي: «قال بعض بني قيس بن ثعلبة».

(٢) للنابغة الذبياني في ديوانه ١٧٠، وكتاب العين ٤: ٢٤٤، وله أو لخفاف بن عبد القيس في=

والطِّوال، يكون جَمْعَ طويل وطُوَالٍ جميعًا. ومفعول شَمَّرَتْ محذوف، والمُراد، رفَعَتْ ذُيُولَها، وتهيَّأت مجتمعة ومتخفّفة للقِتال. وكما قيل هم طِوَال الأيْدِي والسواعِد في الجرِيء المُقْدِم، المُسْتَعْلِي المُقْتَدِر، قيل في السخاء: هم بُسُطُ الأيْدِي والأكُفّ، وقيل: هو شديد السّاعدِ للقوِيِّ الجَلْد.

٢ ـ إذَا مَا قُلُوبُ القَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً من المَوْتِ أرْسَوْا بالنُّفُوسِ المَوَاجِدِ

انتصب مخافَةً على أنه مفعولٌ له. وجواب إذا «أرسوْا». والمعنى: إذا تمكّن الرُّعْبُ من القُلوبِ والصُّدور حتّى طاشتْ له الألباب، وطارَتْ له الأفئدة، ثَبت هؤلاء القَوْمِ في مواقفِ التّدافُع والتحارُب بنفوس كريمةٍ لا تُغْضِي على قَذى، ولا تصبِرُ على أذًى، فهي آبِيَةٌ للدَّنِيّات، صابِرةٌ عند النّائبات. وقوله «أرْسَوْا» مفعولُه محذوف، كأنّه قَالَ أرْسَوْا قُلُوبَهُمْ بالنُّفوس الكريمة. ويجوز أن يكون الباء من بالنفوس زائدةً للتأكيد، كما قال: [البسيط]

سُودُ المَحَاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ(١)

والمعنى: أرْسَوُا النُّفوس، أي أثبتوها إثْبَاتًا لا تَحَلحُلَ معه ولا تَمَوُّج. على هذا قولهم: الجبال الرّاسيات، وهو راسِي الدَّعائم. والمَوَاجِدُ: جَمْعُ مَاجِدَةٍ، وأصْلُه الكَثْرَةُ، يقال: أمجدتُ الدَّابَّةَ العَلَفَ، إذ أكثَرْتَهُ لها.

١٦٧ ـ وقال سَعْدُ بن مَالِكٍ(٢): [مرفّل الكامل]

١ ـ يَا بُوسَ لِلحَرْبِ الَّتِي وَضَعَتْ أرَاهِطُ فاسْتَرَاحُوا

اللام من قوله «يا بُوسَ للحرب» دَخَلَتْ لتأكيد الإضافة في هذا الموضِع، وهي إضافةٌ لا تخصِّص ولا تُعَرِّف. وهذه اللام لا تجيء على هذا الحَدِّ إلا في بابَيْنِ: أحدهما بَابُ النَّفْيِ بلَا، وذلِكَ مِنْهُ في قولِكَ لا غُلَامَيْ لك ولا أبَالَكَ وما أشبَهَهما، والثاني بابُ النداء في قولِك يا بُوس للحرب، وإنّما المعنى يا بوس الحرب. ألا تَرَى

= اللسان (خنذ) ولخفاف في تاج العروس (ضنذ). وصدره:

«وبراذين كابيات وأتنا»

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وأدب الكاتب ٥٢١، واللسان (سور)، وللقتال الكلابي في ديوانه ٥٣، وللراعي أو للقتال في خزانة الأدب ٩: ١٠٧. وصدره:

«هنّ الحرائر لاربات أحمرة»

(٢) التبريزي: «وقال سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جدّ طرفة بن العبد».

أنّه لو لم يُرِدِ الإضافَةَ لنوَّنَ يا بوسَ في النّصب، لكونه نكرةً، أو كان يجعله مَعْرِفَةً مبنيَّةً على الضَمِّ. وقد أتى الشاعر في بابِ النَّفْيِ على أصْلِهِ في الإضافَةِ فقال: [الوافر]

أبِـالـمـوتِ الـذي لا بُـدَّ أنّـي مُـلَاقٍ لا أبَـاكِ تـخـوِّفـيـنـي[1]

والذي يَدُلُّ على أنّ هذه الإضافة لا تخصّص أنَّ لا قد عَمِلَ معها، وهو لا يَعْمَلُ إلّا في النَّكِرات. ومَعْنى البيتِ أنَّهُ على وَجْه التعجُّب دَعَا بُوسَ الحَرْب التي حَطَّتْ أراهِط وأذَلَّتْهُم حتى استسلموا للأعداء، وألِفوا وضْعَ الحَرْب، وحالفوا الراحة، وآثَرُوا السلامَةَ. وهذا الكلامُ فيه مع القَصْد إلى التعجُّب تَهَكُّمٌ وتعبيرٌ؛ كأنّه أراد: ما أبْأسَ الحَرْبَ التي فَعَلَتْ ذلك. وقوله «فاستراحوا» فيه تهكُّمٌ وبيانٌ لاستغنامِهم ذلك، ومَيْلِهِم إليه؛ كأنّهم عَدُّوا نَفْضَ اليَدِ من مجاذبةِ الأعْدَاءِ ومراقبتِهم والاحترازِ من مكايدِهم، لظهور عجزهم، وتصوُّرِهم بصورَةِ من لا يُحتَفَلُ لَهُ، ولا يُستظهر عليه، ولا يُتَّقى مِنْه ـ سَلَامَةً ورَاحَةً، وإن كان سُقُوطًا ومهانَةً. وكل ذلك لخروجهم عن مَلَكَةِ العِزَةِ، واطّراحِهِم قِناع الحَمِيَّةِ. وأراهِطُ جَمْعٌ، يقال رَهْطٌ وأَرْهُطٌ وأراهِطُ. والرَّهْطُ يَقَعُ على ما دون العشرة ـ ولذلك جاز أن يُضَافَ ما دون العَشَرَةِ من أسماء الآحاد إليه ـ وفارَقَ الخَيْلَ والغَنم والإبِل.

٢ ـ والـحَـرْبُ لا يَـبْـقَـى لِجَـا حِـمِـهَـا الـتَّـخَـيُّـلُ والـمِـرَاحُ

يقال: جَحَمَتِ النارُ فهي جاحِمَةٌ، إذا اضطرمَتْ؛ ومنه الجحيم. وهذا الكلام جارٍ مَجْرى ما قَبْلَهُ، وفيه إزْراءٌ بالذين ذَكَرَهُمْ، وإبهامٌ بأنّهم كانوا أصحابَ خُيَلاءَ وبَطَرٍ، ومَرَاحٍ ونَزَقٍ، فلم تَثْبُتْ أقْدَامُهُمْ عند اللّقاء، ولا صَبَرَتْ أنْفُسُهُمْ أوَانَ الكِفَاح، فقالَ مُعَرِّضًا: لا يبقى لنار الحرب كبرياءُ المتكبِّرين، ولا نشاط المَرِحين، بل يستبدلون بهما اللِّين والكسل، والانخزال والفشَل، والصبر على الامتهان، والاستسلام عند الامتحان. وقوله «لا يبقى لجاحمها التخيُّل» يجوز أن يريدَ به صاحبَ التخيّل، فحذَفَ المضاف وأقام المُضَاف إليه مقامه، وحينئذٍ يكون البَدَلُ في إلّا الفتَى ـ وهو أوّل البيت الذي يليه منه، وَجْهَ الكلام ومختارَهُ؛ لأنَّ الثانيَ يكونُ

---

(١) لأبي حية النميري في ديوانه ١٧٧، وخزانة الأدب ٤ : ١٠٠، والدرر ٢ : ٢١٩، واللسان (أبى)، والتبريزي ١ : ٣٥٦.

من الجنس الأوّل، وفي الوجه الأوّل لا يكون من جنسه، والاختيار في المستثنى بعده النَّصْبُ.

٣ ـ إلّا الفَتَى الصَّبّارُ في الـ ـنَّجَدَاتِ والفَرَسُ الوَقَاحُ

قوله «إلّا الفتى» ارتفع على أنه بَدَلٌ من التخيُّلُ، وهذا لُغَةُ تميم، ولُغة سائر العَرَب النَّصْبُ فيما كان استثناءً خارِجًا وإن كان جائيًا بعد النَّفي، لأن كونَهُ ليس من الأوّل يُبَعِّدُ البَدَلَ فيه. والنَّصْبُ كان جائزًا على كُلِّ وَجْهٍ. والنَّجَدَاتُ: الشَّدائد. والصَّبْرُ أَصْلُه الحَبْسُ، وفَعَّالٌ بناءُ المبالغة، ولا يجوز أن يكون اسمَ الفاعل من صَبَّرَ، لأن اسم الفاعِل من صَبَّرَ مُصَبِّرٌ. يقول: لكن لا يَبْقَى لمُلابَسة الحربِ والصَّبرِ على شدائدها إلّا الفتى الحَسَنُ الثَّباتِ في الكرائِه، والفَرَسُ الصُّلْبَةُ على الجِرَاءِ. ويقالُ: فَرَسٌ وَقَاحٌ، وحافِرٌ وقاحٌ، وهو وَقِحُ الوَجْهِ؛ ومصدره القِحَةُ.

٤ ـ والنَّثْرَةُ الحَصْدَاءُ والْـ ـبَيْضُ المُكَلَّلُ والرِّماحُ

عَدَّدَ الآلاتِ التي يحتاج إليها الفَتَى الصَّبّارُ في النَّجَدَاتِ عند مِرَاسِ الحرب، ودِفاعِ الشَّرّ. فالنَّثْرَةُ: الدِّرْعُ الواسِعَةُ المُحْكَمة السَّرْدِ، ويُقال فيها النَّثْلَةُ باللام أيضًا. والحَصْدَاءُ: الجَدْلاءُ، ومَصْدَرُهُ الحَصْدُ. يقال: حَصِد يحْصَدُ حَصَدًا، وأَحْصَدتُه وهو مُحْصَدٌ. يقال ذلك في الأوتاد والحِبال والدُّروع إذا أُحْكِمَتْ وفُتِلَتْ. ويُقالُ: هو حَصِيدٌ ومُسْتَحْصِدٌ أيضًا. وقَوْلُه «البَيْضُ المُكَلَّلُ» يَعْني بالمسامير، كأنّها غُشِّيَتْ وسُمِّرت. والمعنى: إنما يَبْقَى على صِلَاءِ الحَرْبِ ومزاولتِها مَنْ كانَ في نَفْسِه يَرْجِعُ إلى قُوَّةٍ وجلَدٍ، ومن صَبْرِه يَعْتَمِدُ على أَبْلَغِ أَمَدٍ، ومن سِلَاحِه يَثِقُ بأتَمِّ عُدَدٍ. ولم يَصِفِ الرِّماحَ، ويَعْني أقومَهَا لا محالة.

٥ ـ والكَرُّ بَعْدَ الفَرِّ إذْ كَرِهَ التَّقَدُّمُ والنِّطَاحُ

بَيَّنَ ما يَحتاج إليه الصَّبّارُ من الأفْعَالِ في الحَرْب، كما بَيَّنَ الآلاتِ التي من شَرْطِهِ استصحابُها فكأنّه قال: ويَبْقَى لجاحِمِها الكَرُّ بَعْدَ الفَرّ في وَقْتٍ يُكْرَهُ فيه الإقْدَامُ والتقدُّم، والنِّطَاحُ والتَّجَرُّدُ. وبعضهم يروي هذا البيت في غير هذا الموضِع، والصواب هذا الترتيب. وجَعَل النِّطاح بين الكِباش مَثَلًا للمبالَطَة بين الفرسان.

٦ ـ وتَسَاقَطَ التَّنْوَاطُ والْـ ـذَّنَبَاتُ إذْ جُهِدَ الفِضَاحُ[1]

(١) التبريزي: «وتساقط الأوشاظ» والأوشاظ: جمع الوشيظ: التابع والحلف.

هذا ينعطف على قوله وضَعَتْ أراهط فاستراحوا. يقول: وتَساقَطَ الدُّخلاء والهُجَناءُ الذين نِيطُوا بصميم العَرَب فلم يكونوا منهم. والتَّنواطُ مَصْدَرٌ في الأصل، كالتَّرداد والتَّكرار؛ وكأنَّ المُرَاد ذَوُو التَّنواط؛ فحُذِف المُضَافُ وأُقِيم المضاف إليه مَقَامَهُ، ويجوز أن يكون وُصِفَ به كما يوصَفُ بالمصادِر. وذَكَر بعضُهم أنَّ التَّنواطَ ما يُعَلَّقُ على الفَرَس من إدَاوَةٍ وغيرها؛ لأنَّ كلّ ذلك قد نِيطَ به، ثم أُطْلِق تشبيهًا على الدُّخَلاءِ. وقد استُعْمِلَ هذه اللفظةُ في الدَّعِيّ، فقيل: هو مَنُوطٌ. وقال الشَّاعر: [الطويل]

وأنْـتَ دَعِـيٌّ نِـيـطَ فـي آلِ هـاشِـمٍ   كما نِيطَ خَلْفَ الراكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ(١)

فعلى هذا يجوز أن يريد بذوي التَّنواط الأدْعِياء. وقوله الذِّنَبَاتُ، يريدُ التُّبَّاع والعُسَفَاء. ويقال الذَّنائب والأذناب أيضًا. وكما قيل هذا تشبيهًا بِذُنابة الوادي، قيل في الرؤساء الذَّوائب، لأنَّهم الأعْلَوْن. وذكر بعضُهم أنَّ الذِّنَبَاتِ لا يُقال في النَّاس، وإنَّما يُقال لهم أذناب، ثم أَنشد: [البسيط]

قَوْمٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غَيْرُهمُ   ومن يُسَوِّي بأنفِ الناقةِ الذَّنَبا(٢)

ومن حيث جاز الأذنابُ واستعارتُها جاز استعارةُ الذِّنَبَةِ والذُّنَابَةِ والذَّنائب والذِّنَبات، ولا فَصْل. وقولُه «إذ جُهِد الفِضاح» معناهُ بُلِغ بالفضيحة جَهْدُهَا ولم يُرْضَ بالعَفْوِ منها. وفي الوقت الذي أشار إليه، لا يَثْبُتُ إلّا من يَرْجِعُ إلى كَرَمٍ مُتَنَاهٍ، وحِرْصٍ على المحافظة على الشَّرفِ بالغٍ.

٧ ـ كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا   وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

أَخَذ يقتصُّ ما جَرَى عليهم. وقولُهُ «كَشَفت لهم عن ساقِها» مَثَلٌ يُضرَبُ لشدَّة الحرب، وإنَّما أهلُها في ذلك الوقت يكشفون عن الساق، فجعل الفِعل لها، والمُراد انكشفت الحرب لهم عن تَشَمُّرِ أهلِها واشتدادها. وقد قليل: الساق اسمٌ للشدّة، وفُسِّر عليه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القَلَم: الآية ٤٢] فقيل: المعنى يوم يكشَفُ عن شِدَّة. وكذلك كشفت الحربُ عن ساقِها، معناهُ أَبْرَزَت عن شِدَّتِها. وقولُه «وبدا من الشَّرّ الصُّرَاح» أي الخالص الذي لا يمتزج به خَيْرٌ ولا يُرْجَى بَعدهُ صَلَاحٌ.

---

(١) لحسان بن ثابت في ديوانه ١١٨، واللسان (قدح، نوط، زنم)، وتاج العروس (قدح، نوط، زنم)، والأغاني ٤: ١٤٨.

(٢) للحطيئة في ديوانه ص ٦.

ويقال: صَرِحيّ وصُرَاحٌ، كما يقال طَوِيلٌ وطُوَالٌ، وعريضٌ وعُراضٌ. ويقال: صَرَّحَتِ الخَمرةُ، إذا انكشفت عنها زُبدتُها.

٨ ـ فالهَمُّ بيضاتُ الخدو ... رِ هُنَاكَ لا النَّعَمُ المُرَاحُ

أَقْبَلَ يَصفُ ما امتُحِنوا به في الحُرَم إذا تُرِك حَدِيثُ المَالِ والبَلَاءِ في النُّفُوس. وقولُه «فالهَمُّ بيضاتُ الخُدُورِ» يجوز أن يُرَادَ به ما يُهْتَمُّ له في ذلك الوَقْتِ: الحُرَمُ والنِّساء المُخَدَّرَاتُ اللاتي كأنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكنونٌ صيانَةً وجَمَالًا، لا الإبلُ المُرَاحةُ من مَرَاعِيها، كأنه سَمَّى ما يُهتَمُّ له هَمًّا. ويجوز أن يكون المعنى ما يُهَمُّ به: النِّساء لا الإبل. والمراد أنّهم كانوا يغتنمون سِبَاءَ النِّساء وإلحاقَ العارِ بسببهِنّ، لا اغتنام الأَمْوَال. وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبيض لتلمْلِمَها وزَوال الحُجوم عنها. وقال الخليل: بَيْضَةُ الخِدْرِ هي المجارية المُخَدَّرة الجميلة. وإنما قال المُرَاحُ لأنَّ النَّعَم مُذَكَّرٌ. ويقال: سَرَّحتُ الماشيةَ بالغَدَاةِ، وأَرَحتُها بالعَشِيَّة.

٩ ـ بِئسَ الخَلَائفُ بَعْدَنَا ... أَوْلادُ يَشْكُرَ واللِّقَاحُ

أولاد يَشْكُر، هم من جملة من وضَعَتْهُ الحَربُ. فيقول: إذا خَلَّفْنا من لا دِفاع به من الرِّجال والأموال، فَبِئس الخلائف بعدنا. جعلَ أولاد يشكرَ كاللِّقاح ـ وهي الإبل بها لَبَنٌ ـ في حاجتِها إلى من يَذُبُّ عنها، ويُحامِي عليها. ورواه بعضُهم: «واللَقاح» بفتح اللام، وهم بنو حنيفة، وكانوا لا يَدِينُون للمُلُوكِ. ويكونُ الكلامُ على هذا تَهَكُّمًا.

١٠ ـ مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرانِها ... فأَنا ابنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ[1]

يقول: مَن أَحْجَمَ عن الْحَرْبِ وكَرِهَ الاصطلاءَ بنارها والصَّبر على بلواها، وعَجَزَ عن الثبات في وجُوهِ أبنائِها، فأنا ابن قَيْسٍ لا بَرَاحَ لي فيها ولا انحراف. ومعنى «فأنا ابن قَيْسٍ» فأنا المشهور بأبيه، المستَغْنِي عن تطويل نَسَبِه. فقولُه لا بَرَاح، الوَجْهُ فيه

(١) بعده عند التبريزي:

«صبرًا بني قيسٍ لها ... حتى تريحوا أو تراحوا
إن المُوائلَ خوفَها ... يعتاقُه الأجلُ المتاحُ
هيهاتَ حال الموتُ دو ... ن الفوتِ وانتُفيَ السلاحُ
كيف الحياةُ إذا خلت ... منا الظواهرُ والبطاحُ
أين الأعزَّةُ والأسنـ ... ـةُ عند ذلك والسماحُ»

النَّصبُ، ولكنَّ الضرورة دَعَتْهُ إلى رَفْعِها. وقال سيبويه: جَعَلَ لا كَلَيْسَ هٰهنا فَرفَعَ به النَّكِرة، وجعل الخبر مُضمَرًا. ومِثله: [الرجز]

بِيَ الْجَحِيمَ حِينَ لا مُسْتَصْرَخُ[1]

كأنهما قالا: حين ليس عندي مُستصرَخٌ ولا بَرَاحٌ عندي في الحَرْب. وهذا يقِلُّ في الشِّعر ولا يَكْثُرُ. وجعل غيرُهُ بَرَاحٌ مبتدأً والخبرَ مُضمَرًا؛ وإنما يَحْسُنُ ذلك إذا تكرَّر، كقول القائل: لا دِرْهَمٌ لي ولا دينارٌ، ولا عَبْدٌ لي ولا أَمَةٌ. إلّا أنهُ جُوِّزَ للشاعر الرَّفْعُ في النكِرَة بعد لا وإن لم يكرِّرْ، لأنَّ أَصْلع ما يُنْفَى بلا الرفع، فكأنه من باب ردِّ الشيء إلى أصله. ويقال: ما بَرِحْتُ من مكان كذا، أي ما زُلْتُ بَرَاحًا وبرُوحًا. وما بَرِحْتُ أفعَلُ كذا بَرَاحًا، أي أقمت على فِعلِهِ، مثل ما زِلتُ أفعَله. والبَرَاحُ الأوّلُ في المكان، والبَرَاحُ الثاني في الزَّمان، ولا بُدَّ له من خَبَر.

١٦٨ ـ قال جَحْدَرٌ، وهو رَبيعةُ بنُ ضُبَيعةَ[2]: [مشطور الرجز]

١ ـ قد يَتِمَتْ بِنْتِي وَآمَتْ كَنَّتِي
٢ ـ وشَعِثَت بَعْدَ ادِّهانٍ جُمَّتِي[3]
٣ ـ رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ إنْ أَلَمَّتِ
٤ ـ إنْ لم أُناجِزْها فَجُزُّوا لِمَّتِي[4]
٥ ـ قد عَلِمَتْ والِدَةٌ ما ضَمَّتِ
٦ ـ ما لَفَّفَتْ في خِرَقٍ وَشَمَّتِ
٧ ـ إذا الكُماةُ بالكُماةِ الْتَفَّتِ[5]

هذا توجُّعٌ وتحسُّرٌ. والمرادُ إني قد استَقْتَلْتُ، وكانت هذه الأمور من اليُتْم والأَيْمَةِ والتشعُّث قد اتفقتْ وَوَقعت. وإنما قال هذا لأنه كان قد سِيمَ في يَوْمِ تَحْلَاقِ

---

(١) للعجاج في ديوانه ٢: ١٧٣، واللسان (صمخ، فنخ)، ولرؤبة في اللسان (صدى)، وتاج العروس (صدى).

(٢) التبريزي: «وقال جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن ضبيعة، وجحدر: اسمه ربيعة، وجحدر هو الجعد القصير من الناس».

(٣) التبريزي: «بعد الرهان». (٤) التبريزي: «يناجزها».

(٥) بعده عن التبريزي:

«أَمُخْدَخٌ في الحرب أم أتَمَّتِ»

اللِّمَمِ أن يَحْلِقَ الشَّعَر، إذ كانوا جعَلوا ذلك شِعارًا لهم وهذا اليومَ من أيام بَكْرِ وتَغْلِب. وكان جَحْدَرٌ هذا حَسَنَ اللِّمَّةِ غَزِلًا، متبَجِّحًا بجماله وَوَفْرَتِه عند النِّساء، فسأل ـ لكراهته ما سامُوهُ ـ الإعفاءَ منه، متنظرين ما يكون من بلائه، وتشهير نفْسِه بين الصَّفَّيْن بعلامةٍ تُمَيِّزُه وآثار تُشرِّفُه، وحَمَلَاتٍ على الأعداء تدُلُّ على غَنَائه، ومقاماتٍ تَشهَدُ بوفائه؛ فإنْ لم يَفِ بذلك حينئذٍ تُجَزُّ لِمَّتُهُ عُقوبةً وتَنكيلًا، ففي جَزِّ اللِّمَّةِ إذلالٌ؛ ولذلك كان يُفعَل بالأسير عند المَنِّ عليه. ثمّ ذكَر ما نشأ عليه وتُفُرِّسَ فيه من وَقْتِ الوِلَادَةِ إلى الإيفَاعِ، من الغَنَاءِ والكِفاية، والذَّكاء والشَّهامة، فقال: قد عَلِمَتْ والدتي أيَّ ولَدٍ تَضُمُّه إلى نَفسها بي، وأيّ إنسانٍ تلفُّفُ في القُمْطِ حين لَفَّتْنَي، وأيَّ فارسٍ تَشَمُّهُ بشمِّي، إذا تراكَمَتِ الأهوالُ، وتداعت الأبطال، وضاقَ المَكَرُّ والمَجَالُ، وتلاحَقَتِ الرِّجالُ بالرِّجال، فهذا سبب توطينِهِ النفس على القَتْل. ووجْه الشَّرْط في مناجزة الخيل. وقوله «يَتِمَتْ» مصدرُهُ اليُتْمُ. قال الدُّرَيْدِيُّ: اليَتيم الفَرْدُ، لذلك سُمِّيَ الذي يموتُ أحدُ والديه يتيمًا، كأنه أُفرِدَ، وقيل اليَتيم في الناسِ من الأبِ والأمِّ، ومن البهائم من الأمّ. وقولُه «آمَتْ» مَصْدَرُه الأَيْمَةُ والأُيُومُ. والأَيِّمُ: التي لا زَوْجَ لها. والكَنَّةُ، قال الخليل: هي امرأةُ الأخِ أو الابن. ويَشْهَدُ لما قالَهُ قول الشاعر: [م. الخفيف]

هِيَ مَا كَنَّتِي وتَزْ ... عُمُ أنّي لها حَمُو[(١)]

ويَعْنِي جَحْدَرٌ بالكَنَّةِ امرأةَ نفسه، كأنَّه من حيث كانت كَنَّةَ قَوْمِهِ أضافَها إلى نَفْسِه.

والشَّعَثُ والشُّعُوثة: اغبرارُ الشَّعَرِ وتلبُّدُه.

وقولُه «رُدُّوا عليَّ الخيْلَ» يريدُ اصرفوا وُجُوهَا إليّ.

والمناجَزَةُ: المعالجةُ بالقِتال، ومنه إنجازُ الوَعْدِ، ونَجَزَ الشيءُ.

وقوله «ما لَفَفَتْ في خِرَقٍ» بَدَلٌ من قولهِ ما ضَمَّتْ، والتكرار على هذا الوجه تفخيمٌ للقِصَّة.

---

(١) الشعر والقصة في التبريزي ١: ٣٦٢، وذم الهوى ٢٢٠، ومصارع العشاق ٢: ٢٠٨، وتزيين الأسواق ص ٢٧٨، واعتلال القلوب خ ١٥٦، وعيون الأخبار ٤: ١٣١.

١٦٩ ـ وقال شَمّاسُ بن أَسْوَدَ[١]: [الطويل]

١ ـ أَغَـرَّكَ يـومًـا أن يُـقـالَ ابـن دَارِمٍ وتُقْصَى كما يُقْصَى من البَرْكِ أَجْرَبُ

لفظُهُ لفظ الاستفهام، والمعنى معنى التوبيخ والتقريع. ويقالُ: غَرَّهُ، إذا غَشَّهُ وخَتَرَهُ بما يَجِبُ السكونُ إليه والإيمان به. ويقال: ما غَرَّكَ مِنِّي، أيْ لِمَ وَثِقْتَ بي؟ وما غرّكَ بي، أي لـم اجترَأْتَ عليّ؟ وما غرّكَ عنّي، أي لم غَفَلْتَ عني؟ فيقول: اغتَرَرْتَ بقوْلِ الناسِ فيكَ هو ابنُ دارِمٍ وإن أُخِّرَ مَنزِلَتُكَ، وأُقْصِيتَ في نفْسِك كما يُقْصَى البَعير الجَرِبُ من البَرْكِ مَخافةَ الإِعداءِ، وكان حُكْمُ مِثْلِكَ ألّا يُقْنِعَه فخامةُ الذِّكْر مع سقوط القَدْر، ولا يَسْكُن من الناس إلى تسميتهم إياهُ بأَحَبِّ أسمائه إليه وهذا فِعْلُهم به. قولُه «ابنُ دارِمٍ» يجوز أن يكون مبتدأ وخَبَرُهُ محذوفٌ، وأن يكون خبرًا والمبتدأ محذوف، والمُضْمَر في الوجهين أنتَ أو هو. ويقال: بَعِيرٌ جَرِبٌ وأَجْرَبُ، والبَرْكُ: جمع بارِكٍ، كتاجِرٍ وتَجْرٍ.

٢ ـ قَضَى فيكُم نَوْسٌ بما الحَقُّ غيرُهُ كذلكَ يَخْزُوكَ العزيزَ المُدَرَّبُ[٢]

نَوْسُ هذا المذكور كان له جارٌ، واهتَضَمَهُ ابن دارِمٍ واستاقَ مالَهُ، فلما جاء الصريخُ نَوْسًا ذَهَبَ في أَثَر ابن دارِمٍ وارتَجَع مالَ جارِهِ منه. وسَلَبُهُ ما صَحِبَه من مالِ نفسِهِ، وأبانَ يَدَهُ منه بضَرْبةٍ تَناوَلَهُ بها، فلهذا قال: حَكَمَ فيكم نَوْسٌ عند الانتقام لجارِهِ منكم بحكومةٍ جائرة خارجةٍ عن الاقتصاد إلى الاشتطاط. ثم قال «كذلك يَخْزُوك» أي يَسُوسُكَ الرجلُ الجَلْدُ العزيز المجَرَّبُ. وهذا الكلام، أعنِي كذلك يَخْزُوك، يَجْرِي مَجْرَى الالتفات، كأنّهُ التفتَ إلى غيرِهم فخاطَبَهُم مُبَكِّتًا لهم ومُقَرِّعًا بذلك. ولا يمتنع أن يكون صَرَفَه الكلام عن خِطاب الجماعة وأقبَلَ يخاطِبُ الواحد. ويقال: خَزَاهُ يَخْزُوهُ، إذا كَفَّهُ عن المكروه وحَبَسهُ على مُرِّ المُرَادِ. قال لبيد: [الرمل]

وٱخْـزُهـا بـالـبِـرِّ للهِ الأجَـلّ[٣]

---

(١) التبريزي: «وقال شماس بن أسود الطهويّ لحريّ بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل».

(٢) التبريزي: «قيس بما الحقّ».

(٣) للبيد في ديوانه ١٨٠، واللسان (كذب، جلل، خزا)، وأساس البلاغة (خزي)، وكتاب العين ٤ : ٢٩١. وصدره:

«غير أن لا تكذبنها في التقى»

٣ ـ فَأَدِّ إلى قيسِ بن حسَّانَ ذَوْدَهُ ... وما نِيلَ مِنكَ التَّمْرُ أو هُوَ أَطْيَبُ

يُخاطِبُ ابن دَارِمٍ متوعِّدًا ومُعَيِّرًا، ويقول: اخْرُجْ مما في ذِمَّتِك من ذَوْدِ قيس بن حَسَّان إليه، وحَالُك إذا رُمْتَ ظُلْمَ غيرِك أنَّ ما يُنَالُ مِنْكَ كالتَّمْرِ في الحَلَاوَةِ أو أَطْيَبُ. والمعنى: إنَّ تَعَرُّضَك لأخذِ مالِ قريبٍ منك أو بعيدٍ عنكَ، معَ ضَعْفِ المُنَّةِ في سُقُوط العِزَّة، لا يُجْدِي عليك نَفْعًا، ولا يَسُوقُ إليك غُنْمًا، فازْهَدْ فيما عِنْدك له، وَرُدَّهُ قَبْلَ أنْ تَسْتَوْبِلَ عاقِبَتَهُ، وتَسْتَوخِم مَغَبَّتَهُ. والوَاوُ من قَوْلِه «وما نِيلَ»، واو الحَالِ، كأنَّه قال أدِّه وأنتَ إذا أُكِلْتَ مستَطَابٌ. وقَوْلُه «أو هو أطيب» أي أَطْيَبُ من التَّمْر. والحَذْفُ من الْخَبَر جائِزٌ، وقد مَضَى مِثْلُهُ. وأَوْ هي أَوِ الإباحَة، وقد نُقِل إلى الخَبَر.

٤ ـ فإلَّا تَصِلْ رِحْمَ ابن عَمرو بن مَرْثَدٍ ... يُعَلِّمْكَ وَصْلَ الرِّحْم عَضْبٌ مُجَرَّبُ

يقول: إنْ لم تَصِلْ رَحِمكَ مُخْتَارًا لَهُ، ومُعَفِّيًا أثرَ العُقوق به، ومُزِيلًا عن نفسك سِمَةَ الجاهل الذي يَدْخُل فيما لا يُمْكِنُهُ الخُروج مِنه، والآكلِ ما لا يَقدِرُ على استمرائِه، عَلَّمَكَ صِلةَ الرَّحمِ والخروجَ من الحُقُوق، سَيْفٌ قاطِعٌ لا يُبْقِي عليك ولا يَألُو تأديبك. وفي طريقته السَّائرة قَوْلُهُم: «الطَّعْنُ يَظْأَرُ[1]»، ومن الشِّعرِ قَوْلُ زُهَيرٍ: [الطويل]

ومن يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فإنَّه ... مُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ[2]

١٧٠ ـ وقال حُجْر بْنُ خالد[3]: [الطويل]

١ ـ وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ في المَجْدِ بَيْتُهُ ... وأَعْيَا رِجالًا آخَرِينَ مَطَالِعُهْ

قَوْلُه «حَلَّ في المَجْدِ بَيْتُه» في موضِع المفعول الثاني لوجَدَ، لأنَّه بمعنى عَلِمَ. والبيت لا يَحُلُّ ولكن يُحَلُّ فيه، لكنَّهُ رَمَى بالكلام على السَّعَةِ والمجاز، لأنَّ المعنى لا يَخْتَلُّ. ويقولون: فُلانٌ عَالِي المكان، لأنَّه إذا عَلَا مكانُه فقد عَلَا هو. وقال الآخر: [الطويل]

وحَلَّتْ بُيُوتِي في يَفَاعٍ مُمَنَّعٍ

---

(١) يظأر: يعطف على الصلح.

(٢) لزهير في ديوانه ٣١، واللسان (زجج)، وتاج العروس (زجج).

(٣) التبريزي: «وقال حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة».

فيقول: عَلِمْنا بالاختبار في طِلَابِ العُلُوّ، والاجتهاد في مَنَالِ أقْصَى السُّموّ، تَمَكَّنَ بَيْتُ أبينا من ذِرْوَةِ المجد والشَّرَفِ، فَمَحَلُّه فائتٌ لا يُلْحَقُ، ومَطْلَعُهُ مُعْجِزٌ لا يُمكِن، إذْ كان مَدَاهُ الغايَةَ التي ليس وراءَها مُسْتَشْرَفٌ لناظِرٍ، ولا مَنَالٌ للاحِقٍ.

٢ ـ فَمَنْ يَسْعَ مِنَّا لا يَنَلْ مِثْلَ سَعْيِهِ ولكن مَتَى ما يَرْتَحِلْ فهو تابِعُهْ

يَقُولُ: من طَلَبَ نَيْلَ مَكَانِهِ، أو الارتقاء إلى درجتهِ، بسَعْيٍ يَتَكَلَّفُهُ ويَجْهَدُ فِيه نَفْسَهُ وقَفَ دُونَهُ وقَعَدَ به طَوْقُه، وكان أقْصَى غايَتِهِ بعد استفراغ مجهودِه، أن يكون تابِعًا له، وواطِئًا عَقِبَه؛ فأمَّا مُسَامَاتُه في مَدَارِجِه، أو مُسامَتَتُه في مَطَالِعِه، فلا سبيل إليه، ولا مَطْمَع فيه.

وقد سَلَكَ الأعْشَى هذا المَسْلَك فقال: [البسيط]

كُلٌّ سَيَرْضَى بأنْ يُلْقَى له تَبَعَا[١]

وذِكر الارتحالِ حَسَنٌ في الاستعلاء مع ذكر السَّعْي. وقد قيل: «لولا السَّعْيُ لم تكن المَسَاعِي».

٣ ـ يَسُودُ ثِنَانا مَنْ سِوَانا وبَدْؤُنَا يَسُودُ مَعَدًّا كُلَّهَا ما تُدَافِعُه

الثِّنَى: مَنْ دون الرئيس، لكنه يَلِيهِ في الرُّتْبَة. والبَدْءُ: السَّيِّدُ غَيْرُ مُدَافَع عن أوَّلِيَّة سيادتِهِ، فكأن المراد بهما الأوّل في الرِّياسة والثاني. وأصْلُه من ثَنَيْتُ الشَّيْءَ، وفي حديث النبيّ ﷺ: «لا ثِنَي في الصَّدَقَةِ»[٢]. والمَعْنَى أنَّها لا تؤخَذُ في السَّنة مرَّتَيْنِ. ويُقَالُ: ثَنَيْتُ الشَّيء ثَنْيًا، ثم يُسَمَّى المَثْنِيُّ ثِنْيًا وما ثُنِيَ به هو أيْضًا ثِنْيًا. وعلى هذا الضِّعْفُ، يُقَالُ: ضَعَفْتُ الشيءَ مُخَفَّفًا في معنى ضاعَفْتُ ضَعْفًا، ثم يُسَمَّى المَضْعُوف ضِعْفًا بالكسر، والمَضْعُوف بِهِ ضِعْفًا أيْضًا. قال[٣] لبيد: [الطويل]

وَعَالَيْنَ مَضْعُوفًا وفَرْدًا سُمُوطُهُ

(١) ديوانه ص ٨٦، وصدره:

«تلقى له سادة الأقوام تابعة»

(٢) رواه ابن الأثير ١: ٢٢٤، وفسّره: أي لا تؤخذ الزكاة مرتين في السنة.

(٣) للبيد في ديوانه ٢٤٣، واللسان (ضعف، شكك)، وأسرار البلاغة (ضعف). وعجزه:

«جمانًا ومرجانًا يَشُكّ المفاصل»

والبَدْء: العَظْم المنفصل مما عليه من اللَّحْمِ، كأنّه من هذا. قال: [الرمل]

أَغْـلَـتِ الـشَّـتْـوَةُ أَبْـدَاءَ الـجُـزُرْ[١]

ومعنى البيت: المغمور فينا إذا حَصَلَ في غيرنا سادَهُم وعَلَاهُم، والرئيس مِنَّا تُسَلَّمُ له الرِّياسة على قبائلِ مَعَدٍّ كُلِّها، غيرَ مُعارَضٍ فيها، ولا مُدافَعٍ عنها.

٤ ـ ونَـحْـنُ الـذيـن لا يُـرَوَّعُ جـارُنَـا وبَـعْـضُـهُـمُ لـلغَـدْرِ صُـمٌّ مَـسَـامِـعُـهْ

يَصِف عزَّهم ومنعتَهم، وعَهْدَهم ووفاءَهم، وأنّ المُجَاوِرَ لهم، والمعتَصِم بحَبْلِهم، يَبْقَى آمنًا معهُم غيرَ مذعورٍ، وموفورًا غيرَ مسلوبٍ. ثم قال مُعَرِّضًا بغيره: وبَعضُ الناس لما يَستَعْمِلُه من الغَدرِ، ويشتَهِرُ به من تضييع الذِّمار، ولكونه مُنطويًا فيما يأتيه على الإصرارِ، يُصِمُّ مَسامِعَهُ عن ذِكر العار، فلا يُبالي بذَمِّ الناسِ له، ولا يَأنَفُ من تهجينهم أفعالَهُ. وفي طريقته قول الآخر[٢]: [الكامل]

إنْ يَـجْـبُـنُـوا أوْ يَـغْـدِرُوا أوْ يَـبْـخَـلوا لا يَـحْـفِـلوا
يَـغْـدُوا عـلـيـك مُـرَجَّـلِـيـنَ كـأنَّـهُـمْ لـم يَـفْـعَـلوا[٣]

وكان وجه الكلام أن يقولَ لا يُرَوَّعُ جارُهم، حتى يرجعَ من الصِّلَةِ إلى الموصول الذِّكْرُ؛ لكنهُ لما كان المقصودُ بقوله نحنُ والذين شيئًا واحدًا لم يُبالِ برُجوع الضمير إلى كلِّ واحدٍ منهما، وقد مَضَى مِثلُه.

٥ ـ نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْباعِ والنَّدَى وبَـعْـضُـهُـم تَـغْـلي بـذَمٍّ مَـنَـاقِـعُـه

الدَّهْدَقَةُ: الصَّوْتُ. والبَضْعُ: القَطْعُ. أي نتولَّى ذلك كَرَمًا مِنَّا على اعتِسافِ وسوء نَأْتٍ: ويجوز أن يكون البَضْعُ جمعَ بَضْعَةٍ فيكون المعنى: إنَّا نُقَلِّبُها في القُدُور، فلِعِظَمِها يُسْمَعُ لها في التقلُّبِ صوتٌ. والمَناقِع: جمع المِنْقَعِ والمِنْقَعَةِ، وهيَ القُدُور الصِّغَار، وقيل: هي الأتوار[٤] الصغيرة. وقيل: المَناقِعُ واحِدُها، وأصلُه ما يُنْقَعُ فيه

---

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٥٩، واللسان (بدأ، يسر) وكتاب العين ٨: ٨٤، وتاج العروس (بدأ، يسر).

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٢: ٢٩، وديوان المعاني ١: ١٨٢، وأمالي القالي ٣: ٨٣، ومحاضرات الراغب ١: ١٥٠، والبيان والتبيين ٣: ٣٣٣، وقال الجاحظ عن أبي عبيدة إن هذه الأبيات من الشوارد التي لا أربابَ لها.

(٣) وبعده عند الجاحظ:

«كـأبـي بـراقـش كـل يـو م لـونـه يـتـخـيّـل»

(٤) الأتوار: جمع التَّور: إناء من حفر أو حجارة كالإجانة.

الشيءِ، فاستعارَه للقُدُورِ. فأمّا قولُهم مُنْقَعُ البُرَمُ فقد قيل فيه ما ذَكَرْنا وغيرُهُ. وقد رُوِيَ مِنقَعُ البُرَمِ، بكسر الميم، وفُسِّرَ على وعاء القِدْر وذِكْرُ الباعِ مَثَلٌ، والمراد الكرَمُ. فعلى الطريقة الأولى يكون معنى البيت: يُسْمَعُ لِقَطْعِ اللَّحام بأيدينا دَهْدَقَةٌ، لِقلَّة رِفقنا فيه وسوء حِذْقِنا به، كما قال الآخر: [الطويل]

جُفاةُ المَحَزِّ لا يُصِيبون مَفصِلًا ... ولا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إلَّا تَخَذُّمَا[1]

على الطريقة الثانية يكون المعنى: تَغْلِي قُدُورُنا بِقدَرِ اللّحم، فإذا قلَّبناها فيها إقامَةً لخدمة الضَّيْفِ، واكتِسَابًا للحَمْد، ورَغْبَةً في ابتناء المَجْدِ، تَقَلَّبَتْ ولها صَوْتٌ، لِعِظَمِها واتِّساع قدورها. وبعضُ الناس ـ وهذا تعريضٌ بالغَيْرِ ـ تَغْلِي قدورُه التي كأنَّها مناقِعُ في الصِّغَرِ بذمِّ الناس له. فقولُه «بذمٍّ» في موضِع الحالِ، تقديره: تَغْلِي مذمومةً.

٦ ـ ويَحلُبُ ضِرْسَ الضَّيفِ فينا إذا شَتَا ... سَدِيفُ السَّنَامِ تَسْتَرِيهِ أصابِعُهْ

يُرْوَى «ضِرْسُ الضَّيْفِ» بالرفع على أن يكون فاعلًا، وسديفَ بالنَّصْبِ على أن يكون مفعولًا، وهو الجَيِّدُ. وبعضهم يَنْصِبُ الضِّرْسَ ويرفعُ سَديفَ السَّنام، والمعنى لا يَلْتَبِس في الوجْهَيْن. يقول: وإذا اشتدَّ الزّمان، وأسْنَتَ الناسُ، فإنَّ الضيفَ فينا يأكلُ سَدِيفَ السَّنَام، من الإبلِ السِّمان، على ما تختاره أصابِعُهُ في الجِفَانِ. والسَّدِيفُ: قِطَعُ السَّنَام. وقيل: هو شَحْم السَّنَامِ. ومعنى إذا شَتَا، إذا أَمْحَل. وذِكْرُ الحَلَبِ كنايةٌ عن الأَكْلِ. والمعنى: إنّا لا نَرْضَى بنَحْرِ الكسيرات المهزولات، بل نَعْتبِط خِيارَ الإبلِ وكرائمها عند حُلول الضِّيفان. وتَسْتَرِيهِ: تختارُه، يقالُ استَسْريت الشيءَ أيضًا. والسَّرِيُّ: الخِيَارُ من كلِّ شيءٍ. وموضِعُ تَسْتَرِيه نَصْبٌ على الحال للسَّديفِ، والعاملُ فيه يَحْلُبُ، كأنه قال تَحْلُبُهُ الضِّرْسُ مختارًا بالأصابع.

٧ ـ مَنَعْنا حِمَانا واستباحَتْ رِمَاحُنَا ... حِمَى كلِّ قومٍ مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعُهْ[2]

يقول: إذا أَحْمَيْنَا مكانًا ذَبَبْنَا أعداءنا عنه، ولا يَجْسُرُ أحدٌ منهم على دخولِه، ومتى شئنا استبحنا أحْمِيَةَ الناس لعزِّنا وفَضْلِ قُوَّتِنا، ولاستسلام القبائل لنا، وإن كانت الأحميةُ مستجيرةَ المراتعِ. وقولُه «مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعُهْ» الهاء يرجع إلى حِمَى كل قومٍ،

---

(١) هذا البيت من الحماسية رقم (٦٩٨) وهو لشقران مولى سلامان من قضاعة. والتخذّم: قطع اللحم بالسكين.

(٢) التبريزي: «ويروى (مستحير) وكأنه التفاف العشب من الكثرة وفرط الحماية له».

والمعنى: الحِمَى الذي قد استجار مراتعُه بالممتنِع القويّ، وتعزَّزَ بالظَّهْرِ الظَّهير. وهذا إشارةٌ إلى إيلاف الجِوَار، كأنها تَجْمَعُ بين جِوَارَيْن في حَيِّها وحَيِّ غيرها، تَستظهِرُ بأحَدِهما على الآخَر. وجَعَل الفِعْلَ للمراتع مجازًا، أي تَسْتَبيحُ الحِمَى الذي هذا صِفَتُه. ويجوز أن يكون أراد الحِمَى الذي قد أدخَلَ على قوْمِه الضعفاء من الأجانب في الجِوَار. ويقالُ: استجار، إذا تَضمَّنَ الإجارَةَ وطَلَبَ من غيره المجاورة، واستجار أيضًا إذا طَلَبَ أن يُدْخَل في الجِوَار ويُحامَى عليه. ويقالُ: استَجَرْتُ فُلانًا وبفلانٍ، والمفعول محذوف.

١٧١ ـ وقال أيضًا: [الوافر]

١ ـ لَعَمْرُكَ ما أَلِيَّاءُ بنُ عَمْرو بذي لَوْنَيْنِ مُخْتَلِفِ الفَعَالِ[1]

وصَفَهُ بأنه ثابتُ القَدَم بحسْنِ الوفاء، محافِظٌ على الذّمار، باقٍ على طريقةٍ واحدةٍ في الشِّدَّة واللِّيان. فيقول: وبقائك ما هُوَ بذي لَوْنَيْن يخالفُ باطِنُه ظاهِرَه، ولا يوافِقُ مَقالُهُ فَعَالَهُ، يتنقَّل في الأهواء ويَتلوَّن تلوُّن الأوفاقات، فهو على أن يجيبَ كلَّ ناعِقٍ، ويَتْبَعَ كلَّ قائدٍ وسائقٍ، إنْ ضَمِنَ لم يَفِ، وإن وَعَدَ لم يُنْجِز.

٢ ـ غَداةَ أتاهُ جَبَّارٌ بإدٍّ مُعَضِّلَةٍ وحَادَ عن القِتَالِ[2]

جَبَّارٌ: رجل. والإِدّ: المُنكَر من الأمر الشديدُ. وفي القرآن: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩﴾ [مريَم: الآية ٨٩]. وقد أُفرِدَ هٰهنا عن موصوفِهِ فأُجرِيَ مَجرَى أسماء الدَّواهِي. والمُعَضِّلَةُ: الداهيةُ العَسِرَةُ الضَّيِّقَةُ. ومنه قولُهُمْ: هو عُضْلَةٌ من العُضَل، وداءٌ عُضَالٌ: الذي غَلَبَ وأَعْيَا. وقوله «غداةَ أتاهُ» ظَرْفٌ للفِعْلِ الذي دَلَّ عليه قوله «بذي لونين مختلِف الفَعَال»، كأنه جَلَبَ عليه هذا الرَّجُلُ أمرًا مُنكَرًا، ضيِّقًا عَسِرًا، ثم خَلَّاه يَصْلَى بنارِه ويقاسي مَكْرُوهه، ويماصِعُ خُصَمَاءَهُ فيه ويجاذبهم، وهَرَبَ هو.

٣ ـ فَفَضَّ مَجَامِعَ الكَتِفَيْنِ مِنْهُ بأبْيَضَ ما يُغَبُّ عن الصِّقَالِ

الفَضُّ: الكَسْرُ والتَّفريق، ويقال: انفضّ القَوْمُ، إذا تَفَرَّقوا. يقول: فَصَلَ مَجْمَعَ كتِفَيه بضربةٍ من سَيْفٍ يُحَادَثُ بالصَّقْلِ، ولا يتغافَلُ عَنْهُ. والإغبابُ: أن تَرِدَ الإبلُ

---

(١) التبريزي: «ابن عبدٍ».

(٢) التبريزي: «ويرى: (غداة أتاه جبارٍ بعبدٍ مغفَلهُ) ومعناه أن جبّارًا جاءه بعبد مغفله كأنه يستغفله وحاد هو عن القتال فقتله أليّاء».

الماءَ غِبًّا. ويقالُ: أغَبَّ القَوْم، إذا صارت إبلهم كذلك. وليس يريدُ بِنَفْي الإغْبَاب أن يَدُلّ على صَقْلِ السَّيْفِ كلّ يَوْم؛ ولكنّ المُرَاد أنه لا يُهملُ صقلَهُ زَمانًا ممتدًا؛ إذ كان صاحِبُهُ يستعمِلُه كل يوم. وعلى هذا ذِكْرُ الغِبّ في المَثَل السائر: «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا»[1].

٤ ـ فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نَصَرْنَا بِذي لَجَبٍ أَزَبَّ مِنَ العَوَالِي

يقول: لو حَضَرْناكم لنَصَرْناكم وجاهَدْنا معكم بجَيْشٍ لَهُ جَلَبَةٌ وصوتٌ، أزبّ لكثرة الرِّماحِ فيه. أي تُشبه كثرةُ الرماح فيه والتفافُها كثْرَةَ شعر الأَزَبِّ. وهذا على طريق الاستعارة، لأنّ أصلَ الزَّبَب في الشَّعْرِ. وفي المَثَل: «كلُّ أَزَبَّ نَفُورٌ»، يعني البعير الكثير الشعر على الوجه والعُثْنُون، لأن ما حَوَالَيْ عَيْنَيْهِ من الشعر يُخَيِّلُ إليه المَناظِرَ على خلاف ما تكون عليه فينفِر. والعوالي: جمع عالية، ويُرَاد بها جِنْسٌ من الرماحِ.

٥ ـ وَلَكِنَّا نَأَيْنَا واكْتَفَيْتُمْ ولا يَنْأى الحَفِيُّ عن السُّؤَال

يُرْوَى «واكْتَفَيْنَا». يقول: بَعُدْنا عنكم فاستقللتُم بأنفسكم واستغنيتم عَمَّنْ يعاضِدُكم في كلّ ما يدهَمُكم، فلم تدعُكم حاجَة إلى مجاورتنا، ولا ألجأتكم الضَّرورة إلى التَكَثُّرِ بنا. والرَّجُل اللطيف البارُّ بصاحِبِهِ لا يَبْعُدُ عن تَنَسُّم الأخبار واستنشائها لمن يُهِمُّهُ أَمْرُهُ، وإن بَعُدَ بِنَفْسِهِ ومكانه. ومن رَوَى «واكْتَفَيْنَا» كان المعنى اكْتَفَيْنَا في البُعْدِ عَنْكُم فلم نَحْتَجْ إليكم. والقَصْدُ في الرِّوايتين أنه لم يَكُنْ بإحدى الجنبتين افتقارٌ إلى الأخرى، فصار ذلك سَبَبًا في التنائي، وعُذْرًا بيِّنًا في التَّأَخُّرِ عن المعاوَنَةِ والمكانَفَة. ودَلّ بقوله: «ولا يَنأى الحَفِيُّ» على أنّ القُلُوبَ في التَّعَطُّفِ والخُلوص، على ما يُوجِبه الوِدَادُ ولم يغَيِّرْهَا البعاد. ويقال: فلانٌ حَفِيٌّ بفلان ظاهِرُ الحِفْوَةُ، أي البِرّ.

١٧٢ ـ وَقال حَسَّان بن عُلبَةَ[2]: [الطويل]

١ ـ إذَا كُنْتَ مِنْ سَعْدٍ وأُمُّكَ مِنْهُمُ غَرِيبًا فلا يَغْرُرْكَ خَالُكَ من سَعْدِ

---

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٣٦ وفسّره: «الغِبّ من أوراد الإبل: أن ترد الماء يومًا وتدعه يومًا ثم تعود، فنقله إلى الزيادة وإن جاء بعد أيام».

(٢) التبريزي: «وقال حسان بن وعلة».

يقول: إذا كنتَ بعيدًا عن وطَنِك وذَويك من قبَل أبيكَ، وحاصِلًا في بني خالِك، ضَاربًا فيهم بسهمه الخُؤولةِ، لكَوْنِ أمِّك منهم، فلا تَغْتَرَّ بهم، ولا تَعتمد على قرابتك فيهم، فإنَّ التشابُكَ الموثوقَ به المُسْتَصْلَحَ لإعْدَادِه، إذا كان الالتحام بالأُبُوَّةِ لا بالأُمُومَةِ. فأما الخؤولة فمُشَابِهَةٌ للغُرْبَةِ، بعيدةٌ من القُرْبَى والقُرْبةِ، والمكانَفةِ والنُّصْرَةِ. وهذا المعنى قد كَشَفهُ غيرُهُ فقال: [الطويل]

بَنُونَا بَنُو أبنائِنَا وبَنَاتُنَا ... بَنُوهُنَّ أبناءُ الرِّجالِ الأباعِدِ(١)

قَوْلُهُ «في سَعْدٍ» يجوز أن يكونَ خَبَرًا، ويُجْعَلَ غريبًا مُنْتَصِبًا على الحَالِ، ويكونُ العامِلُ فيه كُنْتُ، أو العامِلَ في الظَّرف. ويجوز أن يُجعل في سَعْدٍ لَغْوًا، ويُجْعَلَ غَريبًا خَبَر كان. وقولُه «فلا يَغْرُرْكَ» جَعَل النَّهْيَ في اللفظ للخال، والمعنى: لا تَغترَّ بخالك من سَعْدٍ، لأنَّ المَنهِيَّ هو المُخاطَب. ومِثْل هذا قولهم: لا أرَيَنَّك هٰهنا. وقول الآخَر: [البسيط]

إنَّ الرِّياضَةَ لا تُنْصِبْكَ للشَّيبِ(٢)

٢ ـ فإنَّ ابْنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إناؤُهُ ... إذَا لم يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأبٍ جَلْدِ

يقول: ابن أخت القوم منحوس الحظّ، منقوص الشِّرْب، مُمَال الإناء والحَوْضِ مَتَى لم تنجدْه أبُوَّةٌ يَشْتَدُّ بها أمومته، وعُمومَةٌ يَتَأيَّدُ بها خؤولَتُه. وهذه الأمثال مضروبةٌ للهضيمة تَلْحَقُ فلا يتحرَّكُ لدَفعِهَا الأخوال وإن كان بين ظهرانَيْهم، ولأنَّ الحميَّةَ إنما يَبعثها تراقُدُ بني الأعمام، أو المنتسبين إلى الآباء، وَجَواب إذا لم يُزاحِم مُقَدَّمٌ، وهو ظَرْفٌ لإصغَاءِ الإناء، واستعارة الإناء هٰهنا كما قال زهير: [الطويل]

ومَنْ لا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بسِلاحِه ... يُهَدَّمْ ومَن لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ

ومن هذه الطريقة قولُه: [البسيط]

يا جَفْنَةً كنَضِيحِ الحَوضِ قد كُفِئَتْ ... بِثِنْي صِفِّينَ يعلو فوقَها القَتَرُ(٣)

(١) للفرزدق في خزانة الأدب ١: ٤٤٤، وبلا نسبة في الحيوان ١: ٣٤٦، والدرر ٢: ٢٤، وشرح الأشموني ١: ٩٩.

(٢) للجميح الأسدي في خزانة الأدب ١٠: ٢٤٦ وشرح اختيارات المفضّل ١: ١٥٣، وبلا نسبة في جواهر الأدب ٢٣٩. وصدره:

«ولو أرادت لقالت وهي صادقة»

(٣) لأبي زبيد الطائي في ديوانه ٦٩، والمعاني الكبير ٨٨٦، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٣٩٣.

وإنْ كان في الكَفْءِ ما لَيسَ في الإضْغَاءِ، فاعلمْهُ.

١٧٣ ـ وقال بَعْضُ بني جُهَينَةَ(١): [الطويل]

١ ـ أَلَا هَلْ أَتَى الأَنْصَارَ أَنَّ ابْنَ بَحْدَلٍ حُمَيْدًا شَفَى كَلْبًا فَقَرَّتْ عُيونُهَا(٢)

هذا الاستفهامُ طريقُهُ طريق التَمنّي وإظهارِ المَيْلِ إلى أن يَكونَ الأنصارُ شَرِكُوهُ في العِلْم بالحالة التي يقتصُّها. ويجوز أن يكونَ أَخْرَجَ الكلام على هذا لِيُبْلَغُوا. فيقول: هل تَأَدّى خَبَرُ حُمَيْد بن بَحْدَلٍ فيما كان من نَصرِهِ كَلْبًا على قَيْسٍ، وإقرارِه عُيُونَهُم منهم، وشفائه قُلوبَهم مما كان تَدَاخَلَها من عَدَاوَتِهِم، واهتاج فيها من نار حُقُودِهم.

٢ ـ وأَنْزَلَ قَيْسًا بالهوان ولم تَكُنْ لِتُقْلِعَ إلّا عِنْدَ أمْرٍ يُهِينُهَا

يقول: وأحَلّ حُمَيْدٌ قبيلةَ قَيْسٍ بمَحَلّ الذُلِّ والامتهان، والهَضْم والهَوَان، حتّى كَفُّوا عن مجاذَبةِ كَلْبٍ والتعرُّض لهم بالسّوء. ثم قال: ولم تكُنْ قَيسٌ تَنزَجِر وترتدِع إلّا عندما يُسقِطُها، ويُنْزِلها بدار الرَّغْمِ ويُسْخِطُها، لفَرْطِ لجاجِها، وتأبِّيها وجِماحِها. واللامُ من «لِتُقْلِعَ» لام الجحُود.

٣ ـ فَقَدْ تُرِكَتْ قَتْلَى حُمَيْدِ بن بَحْدَلٍ كثيرًا ضَوَاحِيها قليلًا دَفِينُها

هذا بيانٌ لِمَا حَلّ بقَيْسٍ. يَقُولُ: تُرِكت القَتْلَى الذين أبادهُم حُميد بن بَحْدَل بالعَرَاء، فقد كَثُر بوارِزُهم للشّمس، وقلّ دفائنهم في الأرض. وإنما يُفَظِّعُ بما يَصِفُ ما دُفِعَ إليه قَيْسٌ وابْتُلِيَ به. والضَّوَاحِي: جمع ضاحِيةٍ، وهي الظَّواهِرُ، والفِعل منه ضحِيَ يَضْحَى عند الكوفيين، ولُغَةٌ أخرى ضَحَى يَضحَى، وهذا أفصَحُ. وفي القُرآن: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه: الآية ١١٩]. وأضافَ قَتْلَى إلى حُميد لأنّه المُوقِعُ بهم، القاتِل لهم.

٤ ـ فإنّا وكَلْبًا كاليَدَيْنِ مَتَى تَقَعْ شِمالُكَ في الهيجا تُعِنْكَ يمينُها

هذا الكلامُ تحمُّد وتنبيه على أنّ ما يجمعهم وكَلْبًا في نهاية القوّةِ والاستحكام، فلا يَعْرِضُ فيه فُتُورٌ، ولا يتسلّطُ عليه كَلّةٌ ولا قُصُورٌ، فهم كاليدين إذا دُفِعت إحداهما إلى شِدّةٍ أعانتها الأخرَى. وجَعَل الفُضْلى من اليدين ـ وهي اليمين ـ مَثَلًا لأنفسهم.

---

(١) التبريزي: «وقال بعض بني جهينة في وقعة كلب وفزارة».
(٢) التبريزي: «ويروى: الأشراف، والأمصار».

١٧٤ ـ وقال المُنَخَّلُ اليَشْكُريُّ(١): [مرفّل الكامل]

١ ـ إن كـنـتِ عـاذِلَتِـي فَـسِـيـري نـحـوَ الـعِـرَاقِ ولا تَـحُـورِي

يَسْتَعْفِي من لَوْمِها وتفريعِها في تبذير المال وإتلافه، وترْك الادّخار منه ليوْمِه وغدِه؛ فيقولُ: إن كان دَأْبُكِ إدمانَ عَذْلِي، والاستمرارَ في توبيخي، ففارقيني وخُذِي طريقَ العراق لارَدَّكِ الله. قولُه «لا تَحُورِي» دُعاءٌ عليها، من قوْلِك حَارَ أي رَجَع. ومنه قولُ الناس: «نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْرِ»، لأنَّ النقصان تَراجُع. ويجوز أن يكون «سِيري» دُعاء أيضًا، كأنه قال فَسَيَّرَكِ الله ولا رَدَّكِ!

٢ ـ لا تَـسْـأَلِي عَـن جُـلِّ مَـا لِي وانـظُـرِي كَـرَمِـي وخِـيـرِي

قال الخليلُ: الخِيرُ: الهيْئَةُ. يقولُ: اترُكِي البحْثَ والفَحْص عن ذخائري ومَعاظِم مالي، ولكن اعلمي شَرَفي وكَرَمِي وحُسْنَ هَيْئتي وخُلُقِي. وقولُه «وانظُري» معناه واعلمي. وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٦]، أي يَعْلَمون ذلك ويتيقّنونه. والعَربُ تَضع عِبارات طُرُق العِلْم في موْضِع العِلْم. يقولون: سَمِعْتُ كذا، بمعنى عَلِمْتُه. وعلى هذا قولُنا: سَمِع الله لمن حَمِده. ويقولون: ذُقْتُ الشيءَ بمعنى عَلِمْتُه وخَبَرْتُه. ويقال: شَمِمْتُ رائحة الفَضْل من فُلانٍ، أي عَلِمْتُه.

٣ ـ وفَـوَارِسٍ كـأُوَارِ حَـرِّ الـنـارِ أَحْـلاسِ الـذُّكُـورِ

يقولُ: ورُبَّ فُرسانٍ يشتعِلون ليْلًا ونَهارًا، ذكاءً وَحَمِيَّةً، وبأسًا ونَجْدَةً، اشتعالَ النار، ويلزمون ظهور الذُّكُور من الدوابِّ اللزومَ الشديد، إذ كان ذلك شأنَهم ودأبهم. وجَواب رُبَّ منتظَر. وقولُه «كأُوَارِ حَرِّ النار»، الأُوَار: التوهُّج والالتهاب، ولهذا أضافَه إلى الحَرِّ. ويقال: وأَرَتِ النارُ، إذا توهَّجتْ، ومنه الإرةُ. وإذا كان كذلك فالأصْلُ في أُوَارٍ وُوَارٌ، فإما أن يكون قد قُلب، فقدم الهمزة، وإما أن يكون لُيِّنَ الهمزة ثم أُبْدِلَ من الواو المضمومة التي هي فاء الفِعْل هَمْزةً، كما فُعِل في وُقِّتَ إذا قيل أُقِّتَ، فصار أوارًا. وقولُه «أحْلاسِ الذكور»،

(١) التبريزي: «وقال المنخّل بن الحارث اليشكري: قال أبو هلال: المنخل بن مسعود بن عمرو اليشكري جاهليّ كان ينادم النعمان بن المنذر، وهو الذي سعى بالنابغة الذبياني إلى النعمان في أمر المتجرّدة فلحق النابغة بآل جفنة الغسانيين».

الجِلْس: كل شيءٍ وَلِيَ الظَّهْرَ تحت الرَّحْل. وحَكى ثَعْلَبُ عن ابن الأعرابيّ أنّ الأحلاسَ البُسُطُ، واحِدُها حِلْسٌ، قال: ومنه الخبر: «إذا ظَهَرَت الفِتَنُ فكُنْ حِلْسَ بيْتِك». وأَنْشَدَ: [الرجز]

نَـوَّمْـتُ عَـنْـهُـنَّ غُـلامًـا جِـبْـسَـا وقـد تـغَـطّـى فَـرْوَةً وحِـلْـسَـا

ومنه استَحْلَسَ الأرضُ بالنياتِ، والأرضُ بالظلام. ولما أدّى الحِلْسُ معنى اللزوم صَحَّ الوَصْفُ به. وعلى هذا أسماء الأجناس إذا ضُمِّنَتْ مَعَانيَ الأفعال.

٤ ـ شَـدُّوا دَوَابِـرَ بَـيْـضِـهِـمْ فـي كـلّ مُـحْـكَـمَـةِ الـقَـتِـيـرِ

٥ ـ واسْـتَـلأَمُـوا وتَـلَـبَّـبُـوا إنَّ الـتَّـلَـبُّـبَ لـلـمُـغِـيـرِ

قولُه «شَدُّوا دوابِرَ»، هو جَوَابُ رُبّ. والمعنى: رُبَّ فرسانٍ هذا صفتهم استَعَدُّوا. والمعنى: استَعَدّوا مَعِي أوْلِي مغيرينَ أو مُدَافِعِينَ، بأن شَدُّوا مآخير المَغَافِرِ في جيوب دُرُوعٍ مُحْكَمَةٍ رؤوسِ المسامير، ضَيِّقَةِ السَّرْدِ. والدوابر، واحِدَتُها دابِرَةٌ وهي المآخير، وتُستعمل أيْضًا في الحوافر والمخالب. ومنه قَطَع الله دابرتَهم، لأنّ سِبَاعَ الطُّيُور إذا قُطِعَتْ دوابِرُها تَعَطَّلت عن الكَسْب. و«اسْتَلأَموا»، أي لَبِسُوا اللُّؤَم، وهي جَمْعُ لأمَةٍ. وفَعْلَةٌ وفُعَلٌ قليل، ومثْلُهُ نَوْبَةٌ ونُوَب. وهي من الملاءمة المطلوبة في نَظْم الحَلَق وسَرْدِها. ولمّا كان الواو العاطفة لا تُوجِبُ شيئًا من الترتيب لم يبال بتأخير واستَلأَمُوا، وإن كان لُبس الدُّروع مُقَدَّمًا على لُبْسِ البَيْض، وشدُّوا دوابِرَهَا فيها. وقولُه «إنّ التَلَبُّبَ للمُغِير» يَجْرِي مَجْرَى الالتفات. والتَلَبُّب: التَحَزُّم، وقيل هو الانتطاق والتَّجَرُّد. ويمكن الاستشهاد بهذا على أنّ الفَوارِسَ المَوْصوفين كانوا مُغيرين.

٦ ـ وعَـلـى الـجِـيَـادِ الـمُـضْـمَـرَا تِ فَـوَارِسٌ مِـثْـلُ الـصُّـقُـورِ(١)

الواو من قوله «وعلى الجياد المُضْمَرَات فوَارِسٌ» واوُ الحال، كأنّه قال شَدُّوا دوابِر بَيْضِهِم والحال ذا. يُرِيدُ: رُبَّ فُرْسَانٍ تَشَمَّرُوا واستَعَدُّوا مَعِي للغَارَةِ أو الدِّفاع للمغيرين، وبإزائِنا خَيْلٌ هكذا. يقول: وعلى الجيادِ العِتاقِ المُسَوَّمَةِ المصنوعة، فُرْسَانٌ

(١) بعده عند التبريزي:

«يـخـرجـن مـن خـلـلِ الـغـبـا رِ يَـجِـفْـنَ بـالـنَّـعَـم الـكـثـيـرِ

أقـررتُ عـيـنـي مـن أولـ ـئـك والـفـوائـح بـالـعـبـيـرِ»

كأنّهم في حِدّةِ نَظَرهم وارتفاع ناظِرهم وطموحهم، صُقورٌ في حَالٍ ما تُخلّى للصَّيْدِ. وسَمِعْتُ من يَقُولُ: إنّ جَوَاب ربَّ لم يَجِيءْ بَعْد، وإنما أعَادَ ذِكْرَ الجياد لتباعُد رُبّ عنه بما حَالَ بينها، وجوابُه أقْرَرْتُ عَيْنِي من أولئك. وهذا البيت لم يَدخُل في الاختيار، أعْنِي أقْرَرْتُ عَيْنِي.

٧ ـ وإذا الـرِّيَـاحُ تَـنَـاوَحَـتْ بجوانبِ البيتِ الكَسِيرِ

٨ ـ ألْفَـيْـتَـنِـي هَـشَّ الْيَـدَيـ ـنِ بِمَرْيِ قِدْحِي أوْ شَجِيرِي

أخذ يتبجّحُ بالسَّخَاءِ والتكرُّم، كما يتبجّحُ بالثَّبات والتشجُّع. وهذه الفصولُ تفسيرُ قولِه «وانْظُرِي كَرَمِي وخِيرِي». فيقول. وإذا تقابَلَتِ الرِّياحُ أوانَ الشِّتاء، ووقْتَ الْجَدْبِ والإمْحَال، حَتّى زَعْزَعَتْ جَوَانبَ البيت العظيم الكُسور والأركان، ألفيتني هكذا. ويُقالُ: بَيْتٌ كَسِيرٌ إذا كان عَظيم الكَسْر، كما يُقال: رَجُلٌ جَسِيمٌ بدينٌ، إذا كان عظيم الجسم والبَدَن. وكَسْرُ البَيْتِ وكِسْرُهُ بالفَتْحِ والكَسْرِ: جانِبُه. وتفسير الكَسْر على هذا أبْلغ وأحْسَنُ من أن يُجْعَل في مَعنى المُهَدَّم والمكسور. وعلى ما بِهِ فَقَدْ يُفَسَّرُ عليه. وقوله «ألْفَيْتَنِي» جوابُ إذا. يَقُولُ: تَجِدُني في ذلك الوقت خفيفَ اليد بمَسْحِ القِدَاح، وعند حُضُور الأيْسَار، نَشِيطًا في إجالتِها، حريصًا على فَوْزِها وتحمُّلِ الكُلَف في إدارَتِهَا. وقوله «أو شَجِيري» الشجير: الغريب. ويقال: نَزَلَ بينهم شجيرًا، أي غريبًا. وإنما يَعْنِي قِدْحًا يَتَبَرَّكُ به، فيستعار من الغَيْر، فإذا أجَالَهُ الياسِرُ مع قِدَاحِه كان كالشَّجير فيما بينها والدَّخِيل. والهَشّ الخفيف. ويُقال استَهَشَّنِي الشيء، أي استَخَفَّنِي. ومنه هُوَ يَهَشُّ إلى إخوانه.

٩ ـ ولـقـد دَخَـلْتُ عـلى الـفَـتَـا ةِ الخِدْرَ في اليـومِ المَطِيرِ

١٠ ـ الـكـاعِـبِ الـحَـسْـنـاءِ تَـرْ فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحَرير

ذكر أنّ أوقاتَهُ مُنقسمةٌ بين الجِدّ والهَزْل، وأموالَهُ متوزّعةٌ بين لوازم الحقوق، ولواحِق الفُضول، فيقول: ولقد أعطيتُ الصِّبَي حَقَّهُ، وأقمتُ للهوَى رَسْمَه، وسَعيتُ في البَطَالةِ أوقاتَها وأعطيتُ الخسارَة مَقاودَها، فدخلتُ على الفتاةِ المخدَّرةِ في أطيب أوقاته اللّذّة، وهو ما أشار إليه بقولِهِ «في اليوم المطير». ثمّ وَصَفَ الفتاة فقال: كانت ناهِدَة الثّديين، حَسَنَةَ الخِلْقة، موفَّرَةَ الحظّ من النَّعْمَةِ والنِّعْمَة، فهي تتبختر في مَلابس الحرير المتلوّنة على أجناسها المختلفة، والدِّمَقْس: الحرير الأبيض، ولهذا

قال امرؤ القَيْس: [الطويل]

وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ(١)

وإذا كان كذلك فقولُه «وفي الحرير» يَنصرف إلى سائر الألوان، ويشتمل على جميع الأجناس، فكأنَّهُ قال: تَرْفُل في أجناس الحرير، الأبيضِ منها وغيرِ الأبيض يُريدُ أنّ مَعارِضَها من تلك الأجناس.

١١ ـ فَدَفَعْتُها فَتَدافَعَتْ مَشْيَ القَطَاةِ إلى الغَدِيرِ

١٢ ـ ولَثِمْتُها فتنفَّسَتْ كتَنَفُّسِ الظَّبْيِ العَقِيرِ(٢)

قوله «فتدافعت» هو مطاوَعةُ دافَعت، ومُطاوَعةُ دفَعت اندفَعَتْ، إلّا أنه يوضَعُ كلٌّ موضِعَ صاحبه. فيقول: هززتُها لمُسَاعَدَتِي، وبَعَثْتُها لتَسعَى مَعِي فانبعثت وأسمَحَتْ وهي تمشي مَشْيَ القَطَاةِ إذا وَقَعَتْ على الغدير، ومَشَت نحو الماء. وهذه المِشْيَةُ فيما يقال أحْسَن المَشْي، لأَمْنِها وسرورِها بالورود، وعُجْبها بالخَلاء، وانتَصَب «مَشْيَ» على أنه مَصْدَرٌ من غير لَفْظِه لأن معنى تدافَعَتْ مَشَت، والقَصْدُ إلى التشبيه لأنَّ المعنى مَشَتْ مِشيَةً تُشْبِه تلك المِشْيَةَ. وسيبويه يُضْمِر في مثل هذا الموضِع فِعْلًا من لَفْظِ المَصْدر إنْ وَجَدَهُ، وإلّا قَدَّرَه، ويَجعَلُ الظاهر دليلًا عليه. وقولُه «ولثمتها» يُريدُ. وقبَّلْتُها فتنفَّست. ومنه اللثام، لأنّه في الفم كاللِّثام في الأنفِ. والمعنى أنّي لِثِمْتُها فلَحِقَها من ذلك تَعب، فتنفّست له تنفُّسًا كتنفُّس الظَّبْي إذا عُقِر. ويقال إنه في تلك الحالة يتنفَّسُ تنفُّسًا ممتدًا طويلًا؛ فَشَبَّهَ تَنَهُّدَها به. ويُروى. «كتنفُّسِ الظَّبْيِ البَهِير»، والمعنى قريبٌ، لأنَّ البُهْر: النَّفَس العالي. وفي طريقة قوله «ولثمتها فتنفَّسَت» قولُ طَرَفَةَ العَبْدِي: [الرمل]

تَحْسِبُ الطَّرْفَ عليها نَجْدَةً يا لَقَوْم للشَّباب المُسبَكِرّ(٣)

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١١، واللسان (دمقس) وكتاب العين ٥: ٢٥١، وصدره:
«يظلّ العذارى يرتمين بلحمها»

(٢) لطرفة في ديوانه ٥١، واللسان (نجد) وكتاب العين ٨: ٤٦٠، وتاج العروس ٩: ٢٠٨.

(٣) بعد هذا البيت عند التريزي:

«ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
وشربت بالخيل الإنا ث والمطهّمةِ الذكور
فإذا انتشيتُ فإنني ربُّ الخورنق والسديرِ
وإذا صحوت فإنني ربّ الشويهةِ والبعيرِ =

لأنّ المعنى في الموضعين التنبيهُ على تناهي الموصوف في النّعمة والرِّقّة.

١٣ ـ فَدَنَتْ وقالتْ يا مُنَـ ـخَّلُ ما بجسمِكَ مِن حَرُورِ

١٤ ـ ما شَفَّ جسمي غيرُ حُـ ـبِّكِ فاهْدَئي عَنّي وسِيرِي

١٥ ـ وأحِبُّها وتُحِبُّني ويُحبُّ ناقَتَها بَعِيرِي

قولُه «فَدَنَتْ» أراد به دُنُوَّ الشفقة، والتَقربَ بحسْنِ العَطْفَةِ، لا قُرْبَ المَسَافةِ. والمعنى: تأمَّلَتْ تَغيُّرَ لوني ونُحُولي، فاعتقدتْ أنّهُ من مُلازمَة تَبذُّل، ومُقَاسَاةِ تَعمُّلٍ، فأعارتْنِي شفقتها وقالَتْ: ما الذي بجسمك من حَرُورٍ، أي من أثَر الحَرُور. وقد اختُلِف في السَّمُوم والحَرُور، فمنهم من جَعَل السَّمُوم بالنَّهار والحَرُور بالليل، ومنهم من يقول على العَكْسِ مما ذكرتُ. وقال الخليل: السَّمُوم الرِّيح الحارّة، لَيْلًا هَبَّتْ أو نهارًا. والحَرُور: حَرُّ الشمس. وقوله «ما شَفَّ جِسْمي» يقول: أجَبْتُها مُبْطِلًا اعتقادَها، ومُكَذِّبًا ظَنَّها، وراجِعًا بالعَتْبِ عليها، وقُلتُ: ما أنْحَلَ جِسْمِي ولا أثَّرَ في لَوْنِي إلا حبُّك، فاسْكُنِي عنِّي وسيري. ومعنى سيري هَوِّني عليك الأمْرَ. وعلى نَحْوِ من هذا يُحْمَلُ قول الله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [صَ: الآية ٦] إذْ لم يَكُن ثَمّ مَشْيٌ ولا انطِلاقٌ. ويجوز أن يكون سِيرِي أمْرًا بالسَّيْر، فقد قال فيما تقدم:

فَدَفَعْتُها فتدافَعَتْ مَشْيَ القَطَاةِ إلى الغَدِيرِ

وقوله: وأحبُّها وتُحِبُّني، هو بيان تَطَاوُل الألفة بينهما، وتَواصُل الصُّحبة في أيامهما، حتى صارَت لامتداد الملازمةِ كما حَصَلَ التحابُّ بينهما حَصَل التألُّف بين بعيريهما، فإذا اتَّفَقَ التباعُدُ والافتراق، وتَسَلَّطَ على كلّ واحدٍ منهما الاشتياق، أقْبلَ البعيران يتحابّانِ، ويتجاذبان الوَجْدَ والنزاع كما يفعل المتحابان.

١٧٥ ـ وقال بَاعِثُ بن صُرَيْم(١): [الكامل]

١ ـ سَائِلْ أُسَيِّدَ هَلْ ثَأَرْتُ بِوائِلٍ أمْ هَلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ من بَلْبَالِها

٢ ـ إذْ أرْسَلُوني مائحًا بِدِلائهمْ فَمَلأْتُها عَلَقًا إلى إسْبَالِها

= يا هند من لمتيّم يا هند للعاني الأسير»

(١) التبريزي: «وقال باعث بن صريم بن أسد بن تيم بن ثعلبة بن غبر بن حبيب بن كعب بن يشكر».

أُسَيِّدُ أراد به قبيلةً، ولذ مَنَعَهُ الصَّرْف. وهذا الاستشهاد هو تصويرٌ للحال وتَطَرُّقٌ إلى الإخبار. وإنّما يفتخر بأنّه قَتَلَ قاتِلَ وائل، وأدرك ثأره، لمّا اعتَمَد في طَلَب دَمِهِ، واعتَقد أنّ إدراك شفاءِ النفوس من جهتِه وبِه. والبَلْبَالُ: الْحُزن. وقوله «أمْ هل» الاستفهام بأمْ دون هَلْ، لأنّ أمْ هذه هي المنقطعة، ولا يجوز أن يكون العاطفةَ. لأن تِلك تَجيءُ عَدِيلَةَ الألف. وقوله «شَفَيْتُ النَّفسَ» يجوز أن يريدَ به نَفْسَهُ، ويجوز أن يُريدَ به الكثرةَ والجِنس، كأنّهُ يريد أنه شَفَى الموتورِين فيه، وأزَالَ ما خَامَرَهم من لَذْع المصيبة، وألَم الفجيعة. وقولُه «إذْ أرسلوني» إذْ ظَرْفٌ لقوله ثَأرْت، أو لقَولِه شَفَيْتُ. والمائح: الذي يدخُل البئرَ فيملأ الدَّلْوَ عند قلّة الماء فيها، والحاجةِ إلى الغَرْف من قَعرها. وإنّما جَعَلَ نَفْسَهُ مائحًا لينبِّه على أنّ طلبَ دم الواترين كان متعسِّرًا متعذِّرًا، كما أنّ الاستقاء على الوجه الذي ذَكَرَهُ يكونُ شاقًّا مُتْعِبًا. فهذا وَجْه عُدوله عن المَتْحِ إلى المَيْح. وقوله «فملأتها عَلَقًا إلى أشبالِها»، انتصبَ عَلَقًا على التمييز. وأسبالُها: أعاليها، ومثلُه الأَصْبار، وسَبَلَةُ الرَّجُل منه. واختار بعضُهم أن يرويه «إلى إسبالِها» بكسر الهمزة، مصدر أَسْبَل، وليس بشيء. والمعنى: ملأتُ دِلاءَهم من دمِ واترِيهم. وجعَلَ لهم دلاءً لاشتراكهم في الدم وطلبِه، ولنيابَتِه عن كُلّ أوليائه. ولما استعارَ الدِّلاء والمَلْيح لما ذكرته كَنَى عن فِعْلِهِ وتصرُّفه بالمَلْء.

وذكر بعضُهم أنّ وائلًا المقتول هو وائل بن صُرَيم الغُبَرِي أخو باعِثٍ الشاعِر، وله قِصّةٌ. وهي أنّ عمرو بن هِندٍ بَعَثَهُ ساعِيًا على بني تميم، فكان جالِسًا على شَفِيرِ بئْرٍ يَجْمَع الصَّدَقات، فدفعوا في صَدْرِه وأَسْقَطُوهُ في البئر، ثم رَجَمُوه بالحجارةِ حتّى قَتَلُوه، وأخذوا يرتجزون على طريق التَّهكُّمِ والاستهزاء: [الرجز]

يـا أيُّـهـا الـمـائـحُ دَلْوِي دُونَـكَـا[1]

فاتَّصَلَ خَبَرُهُ بأخيه باعِثٍ، فَسَارَ في بني غُبَرَ وآلَى أنّه لا يُمْسِكُ عن مقاتلتهم حتّى يملأ دَلْوًا من دماء بني تميم! فَفَعل، حتّى كانت المرأة تقولُ: «تَعِسْتِ غُبَر، ولا سُقِّيتِ المَطَر، ولا لُقِّيتِ الظَّفَر». قال: فهذا معنى «إذْ أَرْسَلُونِي مائحًا بدلائهم»، وهذا حَسَنٌ، والأوّل محمولٌ على طُرُقِهم وعاداتهم. ومثله قول الآخَر: [الوافر]

مَـخَـضْـتُ بِـدَلْوِهِ حَـتَّـى تَـحَـسَّـى ذَنُـوبَ الـشَّـرِّ مَـلأَى أو قُـرَابَـا

(١) الرجز لجارية من بني مازن في الدرر ٥: ٣٠١، وشرح التصريح ٢: ٢٢٠، وبلا نسبة في اللسان (ميح)، وأسرار العربية ١٦٥، وخزانة الأدب ٦: ٢٠٠.

٣ ـ إنّي وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ مَكانَها وَالبَدْرَ لَيلَةَ نِصْفِهَا وهِلَالِهَا
٤ ـ آلَيتُ أثقَفُ منهم ذا لِحْيَةٍ أبدًا فتنظُرُ عَينُه في مَالِهَا

أقسَمَ بمن سمك السماء، وهو الله عزّ وجلّ. ومعنى سَمَكَ رَفَع، ومنه سُمِّيَ عَمُودُ البيت المِسْمَاكَ. وجوابُ القَسَم في آلَيْتُ أثقَفُ، وهو خَبَرُ إنّ أيضًا. وقوله «ليلةَ نِصْفِها» أضاف النِّصف إلى السماء لمّا كان استكمال البَدْرِ عند انتصاف الشهر في السَّماء، فلاجتماعهما في ظهور البَدْرِ كامِلًا في السماء سَاغَتِ الإضافَةُ بينهما، على عادتهم في إضافة الشيء إلى الشَّيء لأدنى مناسَبَةٍ تَحْصُل بينهما. وعلى هذا قول الآخر: [م. الخفيف]

ضَوْءُ بَرْقٍ ووابِلُهْ

إذْ كان أضافَ الوابِل إلى البَرْق لاصطحابهما. وأَبْعَدُ منه قول الآخر: [الرجز]

نَحْنُ صَبَحْنا عامِرًا في دارِهَا عَشِيَّةَ الهِلَال أو سِرَارِها[1]

وأضافَ السِّرَار إلى العشِيَّة لاعتقاده أنّ استسرار القَمَر في العشِيّات، كما أنّ طُلُوعَهُ فيها. وعلى هذا الكلام في إضافَةِ قولِه «وهِلالِها» وإن كان إضافة الهِلَال إلى السماء أبْيَنَ أمْرًا، وأقْرَبَ مُتَصَوَّرًا. فالتقدير: ليلةَ كمالِه في نِصفِ الشَّهْرِ، وليلة إهْلَالِهِ. و«مكانَها» انْتَصَبَ على الظَّرْف، والمَعْنَى: حَلَفْتُ بالله الذي رفَعَ السماء في مكانِها بلا عَمَدٍ ـ وجَعَل البَدْرَ فيها كامِلًا عند انتصاف الشَّهْرِ، وهِلَالًا عند أوّلِه في لَيلَتَيْهما ـ إنّي لا أثْقَفُ من هؤلاءِ القَوْمِ مُلْتَحِيًا أبَدًا ناظِرًا عينُه في مَالِه، وراجِعًا من مَقْصِدِه إلى أهْلِهِ ودَارِه. أي إذا ثَقِفتُهُ قَتَلْتُهُ حتّى لم تَنظر عَيْنُهُ في ماله، ولم يستقرّ بعده في دارِه وقَرَارِه. وقوْلُه «أثْقَفُ» هو الجواب، وحُذِف مَعَهُ لا لأنّه أمِنَ التباسه بالواجِب، إذْ لَوْ أراد الواجِب لَقَالَ لأثقفَنَّ، فلما كانت صيغةَ الواجِب بما يَلْزَمُها من اللام وإحْدَى النونين الثقيلة أو الخفيفة لم يُبَالِ بحذْف حَرْف النَّفي. ومِثْلُه قول[2] الآخر: [الطويل]

فقلت يَمِينَ الله أبْرَحُ قاعِدًا وإن ضَرَبوا ....

---

(١) بلا نسبة في اللسان (صبح، وسرر)، وتاج العروس (صبح)، ومقاييس اللغة ٣: ٦٧.
(٢) لامرىء القيس في ديوانه ٣٢، وخزانة الأدب ٩: ٢٣٨، واللسان (يمن). (وقطعوا بدل ضربوا) وتمامه:
«فقلت يمين الله أبرح قاعدًا وإن ضربوا لديك رأسي وأوصالي»

لأن المُرَاد لا أبْرَحُ. فإن قيل: إذا كان القَسَم يتناول ما ذَكَرتَ من قوله لا أَثْقَفُ فما معنى قوله آلَيْتُ؟ وهل يَصِحُ أن يُقالَ إنّي حَلَفْتُ واللهِ لا أفعل كذا؟ قُلْتَ إنَّ قولَهُ آلَيْتُ دَخَلَ مؤكِّدًا للقَسَمِ على أَحَدِ وجهين: (أحدُهُما) أنّه لمّا تطاول الكلام باليمين وبَعُدَ ما بَيْنَ إنَّ وخبرِه ذَكر آلَيْتُ، ثم أتى بما هُوَ الجواب، ليكون كالمُعِيدِ لليمين، والمُجَدِّدِ لما خافَ من دروس رَسْمِها. و(الثاني) أنّه لما كان آلَيتُ لو اكْتَفى به مُغْنِيًا عن ذِكْرِ المُقْسَمِ بِهِ صار كتكرار اليمين، فَجَرَى مَجْرَى قولِه لو قال واللهِ واللهِ، وما أشْبَهَهُ. فأما قَوْلُه «فتنظر عينُه في مالِها» فلفظُه لَفظُ الجواب، والمعنى معنى الحَال، والصِّفةِ للنَّكِرةِ التي قَبْلَه، كأنه قال: لا أظْفَرُ أبَدًا بذي لحيةٍ إلّا لم تَنْظُر عينُه في مَالِه. ومِثْلُهُ من أبياتِ الكتابِ قولُ الفرزدق: [الطويل]

وما قامَ مِنّا قائمٌ في نَدِيِّنَا ... فينطبقُ إلا بالذي هو أعْرَفُ[1]

لأنّ المعنى ناطِقًا. فإن قيل: هَلْ يجوز أن يكونَ جَوَابًا؟ قُلتَ لا، وذاك أنّ المَعْنَى يَفْسُدُ ويَنْعَكِسُ، لأنّ التقدير حينئذٍ يكون لا أَثْقَفُه، فكيف يَنْظُرُ؟ أي لَوْ ثقِفْتُهُ لَنَظَرَ، لأنّ في وَجْهِ الجواب يَتَعَلّقُ وقوعُ الثاني بوُقُوعِ الأول، ويمتنع بامتِناعه، وفي هذا خروجٌ عَمّا يَقْصِدُهُ المتَكَلِّمُ. ومِثْلُه في باب الواو: [البسيط]

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ[2]

لأنّ المعنى آتِيًا مِثْلَهُ.

٥ ـ وخِمَارِ غَانِيَةٍ عَقَدتُ بِرأسِها ... أُصُلًا وكانَ مُنَشَّرًا بِشِمالِهَا

تَبَجَّحَ في هذا البيت بأنه يغيث المذعورين فيُؤْمِنُهم. والغانيةُ: التي تَسْتَغْنِي بجمالِها عن الحَلْي، وقد مَضَى القَوْلُ مُسْتَقْصًى فيه. ومعنى البيت: رُبّ امرأةٍ تَبَرَّجَت متبرِّزَةً من خِدْرِها حَاسِرَةَ الرأس، مُطَارَةَ القِناع، منشورةَ الخِمار، لِمَا استَوْلَى عليها من الخَوفِ، وامتَلَكَها من الرَّوْع والغارَةِ الطالِعَة، والخيل العَادِيَةِ، حتّى كأنَّ خِمارَها طُولَ نهارِها منشورٌ على شِمالِها، وهي لا تَشْعُرُ أنّي أنا آمَنْتُها وحَفِظْتُ عليها صِيَانَةَ نَفْسِها، رددْتُ إليها عازِبَ عقلِهَا حتّى اختَمَرت وأَمِنَتْ ما

---

(١) للفرزدق في ديوانه ٢: ٢٩، وجمهرة أشعار العرب ٨٨٧، وخزانة الأدب ٨: ٥٤٠، والكتاب ٣: ٣٢.

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي في شرح شواهد المغني ١٩٤.

كانت تَقْلَقُ لها، وسَتَرَتْ وَجْهَهَا. وإنَّما قال أُصُلًا، لأنَّ الغارة كأنَّها وَقَعَتْ أوّل النهار، ولُحُوقُه للإغاثة والتَدَارُك بعَقِبِها، فَحَصَل الأمْنَ عَشِيَّةً. وفي طريقته لعنترة: [الوافر]

ومُرْقِصَةٍ دَفَعْتُ الخَيْلَ عَنهَا وقد هَمَّتْ بإلقاء الزمَامِ[١]

٦ ـ وعَقِيلَةٍ يَسْعَى عَلَيهَا قَيِّمٌ مُتَغَطْرِسٌ أبدَيتُ عن خَلْخَالِهَا

لما قَدَّم في البيت الأوّل قَدَّم أتى في الثاني بما يُضادُه، ليُرِيَ أنَّه كما يَدْفَعُ الشَّرَّ والبَلَاء يوقِعُه أيضًا، حتَّى يَكُونَ جامعًا للضُّرّ والنفع، كافيًا في الدِّفاع والوِقَاع، فيقولُ: ورُبَّ كريمة حَيٍّ، بَعْلُها أو ذو مَحْرَمِها القائمُ بأمْرِهَا متكَبِّرٌ أنِفٌ، يَرَى صيانَتَها عن التَكَشُّفِ دِينًا، وحِفْظَها عن التبذُّل كَرمًا، أنا أخْرَجْتُها من خِدْرِها، وأحْوَجْتُها إلى العَدْوِ وطَلَب التَّمَلُّسِ مُشَمِّرَةً عن ساقِهَا، مُبْدِيَةً خَلْخَالَها، مُذِيلَةً مَصُونَها. أي كما آمَنْتُ خَوَّفْتُ، وكَمَا سَكَّنْتُ أقْلَقْتُ.

٧ ـ وكَتِيبَةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَوَاسِلٍ كالأُسْدِ حِينَ تعذُبُ عَنْ أشْبَالِهَا

٨ ـ قَدْ قُدْتُ أوّلَ عُنْفُوانِ رَعِيلِها فلَفَفْتُها بكَتِيبَةٍ أمْثَالِهَا

يَذْكر أنه يَجْمَع بين الجيشين العظيمين مدبِّرًا لَهُمَا، ومُرْسِلًا أحدَهما على الآخر، وأنه على ذاك يكون المتقدِّمَ والمشاهِدَ، والمُرَتِّبَ والمُصَادِمِ. فيقولُ: رُبَّ كتيبةٍ قد تَعَوَّدَتِ الغاراتِ والصَّبْرَ على الإبْعَادِ فيها، فاسْوَدَّتْ ألوانُها بما تقاسيه من التَّعَب، وتَدِيمُ لُبْسَهُ من الأسلحة، وكأنها في يأسها ونَجْدَتِها، وما تَأْوِي إليه من قُوَّتِها وشِدّتها، الأُسْدُ إذا ذَبَّتْ عن جِرائِها، ودفَعَتْ عن خِيسِها[٢]، أنا قُدْت أوائلها فَخَلَطْتُها بأمْثَالِها، وقابَلْتُها بنظائرها من أولى العَدَدِ والعُدَّة، والجَلَد والشِّدّة. فإن قيل: لِمَ قَالَ «أوّلَ عُنْفُوان رعيلِها» والعُنْفُوان هو الأوّل، على ذلك قولهم فَعَلْتُ كذَا في عُنْفُوَانِ الشَّباب؟ قلتَ: كأنَّهُ أراد قُدتُ سوابِقَ أوائِلِها؛ فأضافَ الأوَّلَ إلى العُنْفُوان لذلك. وكما قاد الأوائل والسَّوابق فقد قاد الأواخِرَ واللَّوَاحِق، ولكن جَعَلَ القَوْدَ لِمَنْ وَلِيَه، وجَعَل ما بَعدهم كالتَّابع. يُرِيدُ أنَّهُ تَقَدَّمَ وَوَطِىءَ عَقبهُ الأعيانُ والأفراد، ثم احتَفَّ بهم غيرهم. وحقيقة العنفوان اعتَنَفْتُ الشيءَ، أي استأنَفْتُهُ. والرَّعيلُ من الخَيل والرِّماحِ:

---

(١) لعنترة في ديوانه ٢٤٣، وتاج العروس (رقص)، وبلا نسبة في اللسان (جزز).

(٢) الخِيس: أجمة الأسد.

أوائِلُها. وقَوْلُه «بكتيبةٍ أمثالِها»، لَوْ قال مِثْلِها لجاز، ولكنَّه جَمَع على معنَى طوائف الكتيبة، لاختلافها.

١٧٦ ـ وقال الفِنْدُ الزِّمانيّ: [الهزج]

١ ـ يـا طَـعْـنَـةَ مـا شَـيْـخٍ كـبـيـرٍ يـفَـنٍ بـالِ

٢ ـ تُـقِـيـم الـمـأْتَـمَ الأعْـلَى عـلى جُـهْـدٍ وإعْـوَالِ

ما مِنْ قولِه «ما شَيْخٍ» زائدةٌ، أراد طَعْنَةَ شَيْخٍ، وهذا اللفظ لفظ النداء، والمعنَى معنى التعجُّب والتفخيم، كأنه أراد: ما أَهْوَلها من طعنَةٍ، ويا لها من طَعْنةٍ بَدَرَت من شيخ كبيرِ السِّنِّ، فاني القُوَى، بالِي الجسم. واليَفَنُ: الشيخُ الخَرِم. قال الأعشى: [المتقارب]

وما إنْ أرَى الموت فيما خَلَا يُـغـادِرُ مِـن شـارِخٍ أو يَـفَـنْ[(١)]

ويجوز في قولِهِ يا طَعْنَةَ ما شيخٍ، أن يكونَ المُنَادَى محذوفًا، فيكون التنبيه بـ«يا» متناولًا غير الطعنة، وينتصب على هذا طَعْنَةَ بفِعْلٍ مُضْمَرٍ، كأنه أراد: يا قَوْمِ أذكرُ طَعْنَةَ شيخٍ. كما قال: [الطويل]

فيا شاعِرًا لا شاعِرَ اليوْمَ مِثْلُهُ جريرٌ ولكنْ في كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ[(٢)]

وقولُه «تُقِيمُ المأْتَمَ الأعْلَى» من وَصْفِ الطعنَةِ، فكأنَّه كان تناوَلَ بها رئيسًا، فلذلك وَصَفَ المأتَمَ بالأعْلَى. والمأتمُ أَصْلُهُ أن يَقَعَ على النساء يجتمعْن في الخير والشرّ، واشتقاقُه من الأَتْم، وهو الضَّمُّ والجَمْع، ومنه الأَتُومُ وهي المرأة التي صارَ مَسْلَكاها مَسْلَكًا واحدًا، وأراد بالمأْتَمِ هُنا الاجتماع للرَّزيئة، وهو ببِنْيَتِهِ مَصْدَرٌ وُصِفَ به. ويجوز أن يُرادَ به أَهْلُ المأتَمِ، فَحُذِفَ المُضَاف كما يقال جاءَ المَجْلِسُ، والمُرادُ أهل المجلس. وقوله «الأعْلَى» يرادُ به الأفظع شأنًا. وَوَصَفَ الطعنة بأنها تقيمُ الجَمْع على مُجَاهَدَةٍ وَبَلَاءٍ، وإسرافٍ في الصِّياح والعُوَاءِ، أي تُدِيمُ ذلك لهُ. والعَوِيل والعَوْلَةُ: صوتُ الصَّدْر.

---

(١) للأعشى في ديوانه ١٧٨، والمزهر ١: ٥٨٤، وبلا نسبة في اللسان (حرم).

(٢) للصلتان العبدي في خزانة الأدب ٢: ١٧٤، وشرح أبيات سيبويه ١: ٥٦٥، والشعر والشعراء ١: ٥٠٨، واللسان (كرب).

٣ ـ ولـولا نَـبـلُ عَـوْضٍ فـي خُـضُـمّـاتِـي وَأَوْصـالِي(١)

٤ ـ لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الخَيْلِ طَعْنًا لَيْسَ بالآلي

يعتذِرُ من رِضا نفسِه بتلك الطعنة الواحدة. وعَوْضُ اسمٌ للدهرِ معرفةٌ مبنيٌّ، وكما يُبْنَى على الفتحِ فقد يُبنى على الضمّ، والضمُّ فيه حكاه الكوفيُّون. ويقال لا أفعلُه عَوْضَ العائضين. وإنما بُنِيَ لتضمُّنِه معنى الألِفِ واللام والخُضُمَّةُ: ما غَلُظَ من الساعد والذِّرَاع، ويُبْدَلُ من ميمه الباء، فيقالُ خُضُبَّةٌ. وقد رُوِيَ هذا البيت، وهو: [الرجز]

يُذْرِي بأرْعاشِ يَمينَ المُؤْتَلي خُضُمَّةَ الذِّراعِ هَذَّ المُخْتَلِي(٢)

بالميم من «خُضُمَّةَ» والباءِ جميعًا. ويعني بنَبْل الدهر تأثيره في مفاصل الشيوخ. وعلى هذا قول الآخر: [الطويل]

رَمَتْني بَنَاتُ الدهرِ من حيثُ لا أرَى فكيفَ بمَنْ يُرْمَى وليس برَام(٣)

ومعنى البيت الأوّل: لولا رَمَيَاتُ الدهر في مَفاصِلي ومجامِعِ أعضائي، ومُسْتَغْلَظِ عَضُدِيَ وذِراعي، لكان تأثيري وبلائي في الحرْبِ أكثر مما كان، ولشَفَعْتُ تلك الطعنةَ ولم أترُكْها وِتْرًا. وقولُه «لطاعَنْتُ صُدُورَ الخيْلِ» أراد بالخيل الفُرسان أي لولا ما قَدَّمْتُ من العُذْرِ لدافَعْتُ بالطَّعْنِ أوائلَ الخيْل، طعنًا لا تقصيرَ فيه ولا قُصُورَ. وخَصَّ الأوائل منهم لتقدُّمِه. ويجوز أن يُريدَ بالصدور الرؤساءَ والأكابر، وهم يتبجَّحُون بمجاذَبة العِلْيَةِ. ألا تَرَى قول الآخر: [الكامل]

من عَهْدِ عادٍ كان معروفًا لنا أَسْرُ الملوك وقَتْلُها وقِتَالُها(٤)

وكما استعملوا الصُّدُورَ في الأماثل والجِلَّةِ استَعملوا في الأراذِل والسَّفِلَةِ الأعجازَ. وهذا كما قالوا: الرُّؤوس والأذناب، وكما قال: [البسيط]

ومن يُسَوِّي بأنْفِ الناقةِ الذَّنَبا(٥)

---

(١) التبريزي: «خُطُبَّايَ: أي جسمي».

(٢) للعجاج في ديوانه ١: ٣١٠، واللسان رعس ورواه: «بإرعاس»، وتاج العروس (رعس، خضم).

(٣) لعمرو بن قميئة في معجم المرزباني ٢٠٠، والخزانة ١: ٣٣٨.

(٤) البيت لبشامة بن حزن في الحماسية رقم (١٣٤).

(٥) للحطيئة في ديوانه ١٧، واللسان (ذنب، أنف)، وتاج العروس (ذنب، وأنف، كرب). =

يقال: أَلَوْتُ في الأمرِ آلو، أي قَصَّرتُ. وجَعَل التقصير للطَّعْنِ على المَجاز.

٥ ـ تَـرَى الـخَـيْـلَ عـلى آثـا رِ مُهْرِي في السَّنَا العالي[1]

٦ ـ ولا تُـبْـقِـي صُـرُوفُ الـدَّهْـ ـرِ إنـسـانًـا عـلى حـالِ

قوله «على آثار مُهْرِي» موضِعُهُ نصبٌ على الحال، والمعنى تابعين لي. و«في السَّنَا» في موضِع المفعول الثاني لِتَرَى، ومَعنى في السَّنا قال بعضهم: النُّورُ العالي: يُريد به بريقَ السِّلاح، كأنهم يقدِّمونه ويتَّقُون به. وهذا مَعْنًى، وأجْوَدُ منه وأعلى أن يكون المعنى: تَرَى الفُرسانَ إذا تَبِعَتْ أَثَري ووطئت عَقِبي، في مَجْدٍ عالٍ قاهرٍ، له نورٌ يستضاءُ به. ويكون هذا في طريقة بيت الأعشى: [البسيط]

كـلٌ سَيَـرْضَـى بـأن يُـلْقَـى لـه تَـبَـعَـا[2]

وشَرْحُهُ بأنهم يَرْضَوْن برياستي عليهم، ويَعُدُّون اتِّباعهم لمراسِمِي، واحتذاءَهم لآثاري مما يَعْلو به سَنَاهُم، ويَسْمو به عُلاهُم. وقوله «ولا تُبْقِي صُرُوفُ الدَّهْرِ» تَسْلِيَةٌ لنفسِه فيما صار إليه من ضَعْفٍ بعد قُوَّةٍ، وهَرَمٍ بعد شَبِيبَةٍ، حتى رَضِيَ بأدْنَى المنزلتَيْن في مُمارَسةِ الحرْب، ووقفَ عند أقْصَرِ السَّعْيَيْنِ في مُلابَسَةِ الضَّرْبِ والطَّعْنِ. وقولُه «على حال» في موضع الصِّفَةِ لإنسانًا، وتَعَلَّق عَلَى بمُضْمَر، كأنَّه قال: لا تُبْقِي حوادِثُ الدَّهْرِ إنسانًا قائمًا، أو ثابتًا على حالٍ، بل تُبَدِّلُ وتُحَوِّلُ، وكما تُعْطِي تَرْتَجِعُ.

٧ ـ تَـفَـتَّـيْـتُ بِـهـا إذْ كَـ ـرِهَ الـشَّـكَّـةَ أَمْـثَـالِي

٨ ـ كَـجَـيْـبِ الـدِّفْـنِسِ الـوَرْهَـا ءِ رِيـعَـتْ بَـعْـدَ إجْـفَـالِ

الشِّكَّةُ: ما يُلْبَسُ من السِّلاح، وقد شَكَّ الرَّجُلُ في السِّلاح، إذا لَبِسَهُ يَشُكُّ شَكًّا، وهو شَاكٌّ. يقول: تَكَلَّفْتُ بهذه الطَّعْنَةِ وإحداثِها فِعْلَ الفِتْيَانِ وأبلَيْتُ بها بلاءَ الشُّبَّان، في وَقْتٍ يَكرَهُ فيه حَمْلَ السِّلاح أمثَالِي من الرِّجال الشُّيُوخ، فكيف

= وصدره:

«قوم هم الأنف والأذناب غيرهم»

(١) التبريزي: «ويروى: (في الثبا العالي)، والأصل العالية، ولكن ذكره على على اللفظ لأن ثبا مثل زلم، وهي جمع ثُبة، وهي الجماعة. وقال بعضهم: الثبا هنا مجالس الأشراف».

(٢) للأعشى في ديوانه ٨٦. وصدره:

«تـلـقـى لـه سـادة الأقـوام تـابـعـة»

استعمالُهَا. ومِثْلُ تَفَتَّيْتُ: تَشَجَّعْتُ وتَكَيَّسْتُ. وقوله «كجيبِ الدِّفنِس» شبَّهِ اتِّساعَ الطَّعْنَةِ وسُرْعةَ خروج الدّم منها باتِّساع جيبِ المرأة الحمقاء، ونَزْوِها في رَوْعِهَا، واضطرابِها في متخرّق قميصها. والدِّفْنِسُ: الحَمْقَاءُ. والوَرْهَاءُ: المتساقِطَةُ العَقْل، الضعيفة التَّماسُك، ومعنى ريعَتْ أُفْزِعَتْ بَعْدَ استعجالٍ في العَدْوِ، وإسراعٍ في السَّعْي. وخَصَّ جَيْبَ الوَرْهَاءِ لأنَّ عَادَةَ مِثْلِهَا أن تُخْرِجَ اليَدَ مِنه، فيتَّسِعَ خَرقُه وجَعَلَها مُرَوَّعةً لتَنْدَفِعَ في الإجفال وتَنْزُوَ. والإجفَالُ والجَفْلُ واحِدٌ، وكلُّ هارِبٍ من شيءٍ مُسْرِعٍ مُجْفِلٌ وجَافِلٌ. ومنه جَاءَ جُفَالَةٌ من النَّاس، أي جماعةٌ كثيرةٌ مُسْرِعَةٌ. ويُشْبه هذا قولُ الآخر: [الكامل]

مُسْتَنَّةٍ سَنَنَ الفَلُوِّ مُرِشَّةٍ ... تَنْفِي التُّرَاب بقاحِزٍ مُعْرَورِفِ[١]

لأنَّ نَزْو الدَّمِ من الطَّعنةِ شَبَّهَهُ هذا بنَزْوِ المهْرِ واستِنانِه، كما شَبَّهَهُ ذلك بِعَدْوِ المجنونةِ عَنْ ذُعْرٍ. وقد سَلَكَ آخَرُ هذا المَسْلَكَ فقال في معنى هذا ولفظه: [الهزج]

كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَاءِ ... رِيعَتْ وهي تَسْتَفْلِي[٢]

ومَعْنَى تَسْتَفْلِي تَطْلُبُ فَلْيَ شَعَرِهَا، وقد أَخْرَجَتْ يَدَها من جيبها فذُعِرَتْ في تلك الحالة، فلم تَصْبِرْ لتَرُدَّ اليَدَ إلى جَوْفِها، ولم تَرْفُق بجَيْبِها فمزَّقَتْهُ ووسَّعَتْهُ. وهذا كأنَّهُ لَما قَصَدَ بَيَانَ سَعَةِ الطَّعنَةِ جعل التَّشبِيهَ بالجَيْبِ في حَالةِ إخْراج الحمقاءِ يَدَهَا منه مُسْتَفْلِيَةً، فزادَ على الأوّل هذه الزِّيادة الغامضة المَأْخَذِ اللَّطيفةَ الموقِع، وإن كان قَوْلُه «بَعْدَ إجْفَالٍ» قد اختَصَّ بما اختَصَّ. ويُشْبِهُ هذا في الزِّيادة على المعنى وقد استقرَّ قولَ امرىءِ القيس: [مخلع البسيط]

أَوْ تَيْسِ أَظْبٍ بِبَطْنِ وَادٍ ... يَغْدُو وقد أَفْرِدَ الغَزَالُ

لأنَّه زاد فيه إفرادَ الغَزال، فَدَلَّ على شِدَّة الخوف وخِفَّة العَدْوِ. فأما قولُ أوْسٍ: [المتقارب]

وفي صَدْرِهِ مِثْلُ جَيْبِ الفَتَا ... ةِ تَفْهَقُ حِينًا وحينًا تهِرّ

---

(١) لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٠٨٨، واللسان (قحز، رشش، عرف، سنن)، وللهذلي في اللسان (عرف).

(٢) لامرىء القيس بن عابس الكندي في اللسان (عرقب، قفا)، وله أو للفند الزماني في اللسان (فنس).

فَهُوَ وإنْ زادَ التقسيمُ قاصِرٌ عَنْهُمَا.

١٧٧ ـ وقال رَبيعَة بنُ مَقْرُومٍ: [الوافر]

١ ـ أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنو وتَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَإِنْ دُعِيَ اسْتَجَابَا

قولُه أخُوكَ مبتدأ، وكرّرَهُ على وجْهِ التأكيد، ومن يَدْنو في موضِعِ الخَبَرِ. ومعنى البيت: مُخَالِصُكَ في الأخُوَّةِ والوُدِّ من يُقَرِّبُ مَكَانَهُ مِنْكَ، ويَحْسُنُ شَفَقَتُهُ عَلَيْكَ، وتَطْمَعُ في إثْمَار ودِّه لكَ، وإن استغثت به لمُلمَّةٍ تنزل، أو نائِبَةٍ تَطْرُقُ، أغاثَكَ باذِلًا مَقْدُورَهُ في نُصْرَتِه لكَ. ويجوز أن يكونَ قوله، «من يَدْنو» أراد بِهِ قُرْبَ النُّصْحِ والشُّفقة، لا تَقارُبَ الدَّارِ والمسافةِ، كما يُقال فلانٌ أدْنى إليك من فُلانٍ.

٢ ـ إذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي وزَادَ سِلَاحُه مِنْكَ اقْتِرَابَا

يجوز أن يكونَ هذا الكلام مُتَّصِلًا بما قَبْلَهُ، والضمير في حارَبَ لأخُوكَ ومن تُعَادِي في مَوْضِعِ المفعول من حَارَبْتَ، ويكونُ المعنَى: إذا حاربْتَ من تُعَادِي حَارَبَ هذا المُوَاخِي لَكَ معكَ، وزادَ نُصْرتَهُ وعُدَّتَه منك قُرْبًا ما دُمْتَ مُحاربًا. ويجوز أن يكون مُنْقَطِعًا مما قَبْلَهُ، ويكونَ مَثَلًا مَضْرُوبًا، فيقول: إذا كاشَفْتَ عَدُوَّكَ وأبْدَيْتَ صَفحةَ ما تُضمِرهُ من السُّوءِ لَهُ بَعثَهُ ذلك على مكاشَفَتِكَ، وازدادَ عُدَّتُهُ من الكَيْدِ وغَيْرِهِ مِنْكَ دُنُوًّا. وإذا جَامَلْتَهُ وداجَيْتَه بَقِيَ على ما ينطوي عليه مساتِرًا لا مُجاهِرًا.

٣ ـ وكُنْتُ إذا قَرِينِي جاذَبَتْهُ حِبَالِي مات أو تَبِعَ الجِذَابَا

هذا مِثْلُ قَوْلُ عمرو بن كُلْثُوم: [الوافر]

مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنا بحَبْلٍ نَجُذُّ الحَبْلَ أو نَقِصُ القَرِينا(١)

وجعل الجِذاب للحِبال على المجاز. وقوله «أو تَبع الجِذابَ» يريدُ أو انجذَب وَتَرِكَ الطِّمَاح والإباء. ومعنى البيت: إذا جاذَبَنِي قرينٌ لِي حَبْلًا بيني وبينَهُ، فإمّا أنْ ينقطع دون شَأْوِي في الجِذَاب فيَهْلِكَ، وإما أن يَتَّبِعَ صاغرًا فينقادَ. وخبرُ كان في إذا أو جَوَابِه.

(١) لعمرو بن كلثوم في ديوانه ٨١، واللسان (قرن)، وكتاب العين ٥: ١٤٣، وكتاب الجيم ١: ٢٠٥، وجمهرة أشعار العرب ١: ٤٠٦، وشرح ديوان امرىء القيس ٣٢٩.

٤ ـ فــإنْ أهْــلِكْ فَــذِي حَــنَــقٍ لَظَــاهُ عَــلَيَّ يَــكَــادُ يَــلْتَــهِــب الْتِــهَــابَــا

هذا الكلامُ تَسَلٍّ عن العَيْش بَعْدَ قضاءِ حاجَتِهِ، وإدراك ثأره، وإرغام عَدُوِّهِ، ولولا ما تَيَسَّرَ له من ذلك وتَسَهَّلَ لكان لا يَسهُلُ عليه انقطاعُ العُمْرِ، ولو مَاتَ مَاتَ بغُصَّةٍ. فيقول: إن أَمُتْ فَرُبَّ رجلٍ ذي غيظٍ وغضبٍ تكادُ نار عداوتِهِ تتوقَّدُ توقُّدًا، أنا فَعَلْتُ به كذا. وقولُه «لَظَاهُ» في موضع المبتدأ، و«يكاد يلتَهِبُ» في مَوْضِع الخَبَر، والجملة في موضِع الصفة لذي حَنَقٍ، وانجرَّ ذي حَنَقٍ بإضمار رُبَّ، والمجرور بِرُبَّ يَقَع موصوفًا في الأكثر وجواب رُبَّ فيما بعده، والفاء من قَوْلِهِ «فَذِي حَنَقٍ» مع ما بَعْدَهُ جوابُ الجزاء. فإن قيلَ: إنَّ الفاءَ في جَوَابِ الجزاء إنَّمَا يجيء إذا خَالَفَ الجُملةُ التي تكونُ جزاءَ الجملةَ التي تكون شَرْطًا بأن تكون مبتدأً وخَبَرًا، فكيف يكون تقديرُهما بعد الفاء هٰهنا؟ قُلْتَ: يكون التقدير: إنْ أهْلِكْ فالأمْرُ والشَّأنُ رُبَّ ذِي حَنَقٍ بهذه الصِّفَةِ فَعَلْتُ به كَذا فقوله «رُبَّ ذِي حَنَق» خَبَرٌ للمبتدأ الذي أظهرناه.

٥ ـ مَـخَـضْـتُ بِـدَلْوِهِ حـتَّـى تَـحَـسَّـى ذَنُـوبَ الـشَّـرِّ مَـلأَى أَو قُـرَابَـا[١]

هذا جوابُ رُبَّ. فيقولُ: رُبَّ إنسانٍ هكذا، أنا حَرَّكْتُ بِدلوِه التي أدْلاها في الأمْرِ الذي خُضْنا فيه، حَتَّى ملأْتُها. وجَعَل الدَّلْوَ كنايةً عن السَّبب الذي جاذَبَهُ فيه، والطَّمَع الذي جَرَّأه عليه، قال: فَتَحَسَّى دَلْوَ الشَّرِّ مملوءةً أو قريبةً من الامتلاء. وقُرَابُ المَلْءِ: أن يُقارِبَ الامتلاء، ويقال: قِرَابٌ بكسر القاف وقُرَابٌ بضمّها. والمعنى: جَعَلْتُ شِرْبَهُ من الشَّرِّ شِرْبًا مُرْوِيًا.

وقد استعمل أبو تَمّام الدَّلْوَ على الطَّريقة التي اسْتَعْمَلَها ربيعةُ فقال: [الكامل]

أَلْقَوْا دِلَاءً فـي بُحُـورِكَ أَسْلَمَـتْ تَـرِعَـاتِـهـا الأَكْـرَابُ والأوذامُ[٢]

واسْتَعْمَلَ غيره دَلَوْتُ في معنى الاستخراج فقال: [البسيط]

فقد جَعَلْتُ إذا ما حاجتي نَزَلَتْ بـبـابِ دارِك أَدْلُوهـا بـأَقْـوَامِ[٣]

(١) روى التبريزي بعده:

«بِمثلي فاشهدِ النجوى وعالن بـي الأعداء والـقـومَ الـغـضـابـا
فـإنّ الـمُـوعِـديّ يـرون دونـي أسـودَ خـفـيّـةَ الـغـلـب الـرقـابـا
كـأنّ عـلـى سـواعـدهـن ورسًـا عـلا لـون الأشـاجـع أو خـطـابـا»

(٢) ديوانه (٢٨١).

(٣) لهمام في الرقاشي في البيان ٢: ٣١٦، وبلا نسبة في أساس البلاغة (دلي).

فكأنَّ المُراد أنَّ هذا المُعَادِيَ الممتلىء غَيظًا لَمَّا أَلقَى دَلوَه يَسْتَقِي بها الماءَ من بِئرِيَ مَلأتْهَا شَرًّا وجعلتْه سُقْيَاه.

١٧٨ ـ وقال سَلْمَى بن رَبِيعَة[١]: [الكامل]

١ ـ حَلَّتْ تُمَاضِرُ غَرْبَةً فاحتَلَّتِ فَلْجًا وأَهلُكَ باللِّوَى فالحِلَّتِ

تُمَاضِرُ: امرأتُه وكانت قد فارقَتْهُ عاتِبَةً عليه في استِهْلَاكِهِ المال، وتَعرِيضِه النَّفسَ للمَعَاطِب فلحِقَتْ بقومِها، وأَخَذَ هو يَتَلَهَّفُ عليها ويتحَسَّرُ في أَثَرِها وأثَرِ أولاده منها، فيقول: نَزَلَتْ هذه المرأةُ بعيدةً منكَ، فاحْتَلَّتْ فَلْجًا وأَهْلُكَ نازِلونَ بين هذين الموضعين، وهذا الكلام تَوَجُّعٌ. وفَلْجٌ على طريقِ البَصْرَةِ، والحِلَّة: مَوْضِعٌ من الحَزْنه ببلاد ضَبَّةَ، واللوَى: رَمْلٌ متَّصِلٌ به رَقيقٌ. وبين المواضع الذي ذَكَرها تَبَاعُدٌ. إن قيل لِمَ قالَ حَلَّتْ، ثم قال احتَلَّتْ، وهلَّا اكتفى بأحدِهِمَا؟ قُلْتَ: نَبَّهَ بالأوّل أنَّها اختارَته البُعْدَ مِنْهُ والتغرُّب عنه، وبالثاني الاستقرار، فكأنَّهُ قالَ: نَزَلَتْ في هذه الغَرْبَةِ فاستوطَنَتْ فَلْجًا. وفَلَجٌ بفتح اللام: مَوْضعٌ. وفَلْج بسكون اللام: مَاءٌ.

٢ ـ وكأنَّ في العينينِ حَبَّ قَرَنْفُلٍ أَوْ سُنْبُلًا كُحِلَتْ به فانْهَلَّتِ

يقول: أَلِفْتُ البكاءَ لتباعُدِها، فساعدتِ العَيْنان وجادتا بِإسالَةِ دَمْعِهِما غزيرًا متحلِّبًا، واكِفًا مُنْهَمِلًا، فكأنَّ في عَيْنَيَّ أَحَدَ هذين المهيِّجَيْن الحاليين للعيونِ. وقَوله «كُحِلَتْ» إِخْبَارٌ عن إحدى العَيْنَيْنِ، وسَاغَ ذلك لما في العِلْم من أنّ حالتَيْهِما لا تفترقان. وعلى العَكْسِ من هذا قول امرىء القَيْس: [المتقارب]

وعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ شُقَّتْ مآقيهما من أُخرْ[٢]

لأن امرأَ القيس وَحَّدَ في الابتداء ثم ثَنَّى عند رَدّ الضَّمِير، على أنَّهُ متى اجتمع شيئان في أَمْرٍ لا يتفرقان فيه اجتُزِي بذِكْرِ أَحَدِهما عن الآخَر. وفي طريقة هذا البيت قَول ابن هَرْمة: [الكامل]

وكأنّما اشْتَمَلَتْ مَوَافِي عَيْنِهِ يَوْمَ الفِراقِ على يَبِيسِ الخِمْخِمِ[٣]

---

(١) التبريزي: «وقال سُلْمِيُّ بن ربيعة من بني السيد بن ضبّة وكأنه منسوب إلى سلمى».
(٢) ديوانه ١٦، والتبريزي ١: ٣٩٣ (فشقّت).
(٣) لابن هرمة في ديوانه ١٩٩، واللسان (خمم)، وتاج العروس (خمم).

٣ ـ زَعَمَتْ تُمَاضِرُ أنَّني إمَّا أَمُتْ يَسْدُدْ أُبَيْنُوهَا الأَصَاغِرُ خَلَّتِي

زَعَمَ يتردَّدُ بين الشَّكِّ واليقين، وههنا يريدُ به الظَّنّ. وأنّني مع الجَزاءِ والجواب نائبٌ عن مفعولَيْه. يَقول: ظَنَّتْ هذه المرأةُ أنَّهُ إن نَزَل بي حادِث قضاءِ الله عَزَّ وجلّ، سَدَّ مكاني ورَمَّ ما يتشعَّثُ من حَالِهَا بِزَوالِي أبناؤها الأصاغِرُ. ويريد بهذا الكلام التَوَصُّلَ إلى الإبانة عن مَحَلِّه، وأنه لا يُغْنِي غَناءَهُ من النَّاسِ إلّا القليل. وقَوْلُه «أُبَيْنُوها» تصغير أبناء مقصورًا عند أصحابنا البصريِّين، وهو اسمٌ صيغ للجَمْعِ كأَزْوَى، وأثْأَبٍ، وأَضْحَى فهو على أَفْعَل بفتح العين. وعند الكوفيين هو تصغير أَبْنٍ، مِثْلُ أَدْلٍ على أَفْعُلٍ بضم العين. ويقال: سَدَّ فُلانٌ مَسدَّ فلانٍ، وسَدَّ خَلَّتَه، وناب مَنَابَهُ، وشَغَل مكانَه بمَعْنًى. فإن قيل: كيف سَاغَ أن يقول يَسْدُدْ خَلَّتِي، وإذا مات لم تَكُنْ له خَلَّةٌ. قُلتَ: أضافَها إلى نَفسه لمّا كان يَسُدُّها أيَّامَ حياته، فكأنّه قال: الخَلّة التي كنت أَسُدُّها. وهذا من إضافة الشَّيء إلى الشيء على المعتاد فيهما. ومثلُه قولهم: شِهاب القَذْفِ، فأضيفَ الشِّهاب إلى القَذْفِ لَمّا كان من رَمْي الرامي. ووجوهُ الإضافاتِ واسعةٌ كثيرة، وكذلك متعلّقاتُهَا.

٤ ـ تَرِبَتْ يَدَاكِ وهَلْ رأيتِ لِقَوْمِهِ مِثْلِي عَلَى يُسْرِي وحِينَ تَعِلَّتِي

أقبلَ عليها يوبِّخُها ويخطِّىء رأيَها، ويكذِّب ظَنَّها، ويقبِّح اختيارها، في إفاتة نفسها الحَظَّ منه، ويدعو عليها بالفَقْر والبَأساء، والخيبة في الرَّجاء، فيقول: صار في يَدِكِ التُّراب، وهل رأيت لقومِه مَن يُماثلني في حالَتَي السَّرّاء والضَّرّاء واليُسْر والعُسْر، والغِنَى والفَقْر، حتَّى تُعَلِّقي منكِ رجاءَكِ فِيَّ بغيري إذا أخلَيْتُ مكاني. وتَرِب يُستعمل في الفَقر والخيبة لا غير، وأتْرَب يُستعمل في الغِنَى والفَقْر جميعًا، فإذا أُريدَ به الغِنَى فالمعنى صار له من المال بِعَدَدِ التُّراب، وإذا أريد به الفَقر فالمعنى صار في التُّراب، كما يُقال أَسْهَلَ إذا صَارَ في السَّهْلِ. وقد يجوز أن يكون مثل أقلّ، والمعنَى: صار مالُكِ قليلًا من المالِ. وأضاقَ: صارَ في حالِ ضِيقٍ. وقوله «حِين تَعِلَّتِي» المعنَى وحين اعتَمدتُ على إقامة العلّة بحصول الفقر. وعلى هذا قوله: [الطويل]

قَليلُ ادِّخارِ المالِه إلّا تَعِلَّةً

أي قَدْرَ ما يُقامُ به العِلّةُ. وقولُه «لِقَوْمِهِ» أَضمر قبل الذِّكْر، لأنَّ الكلام يحتمل نِيَّة التقديم ونيّة التأخير.

٥ ـ رَجُلًا إذا ما النائباتُ غَشِينَهُ أَكْفَى لِمُعْضِلَةٍ وإنْ هِيَ جَلَّتِ

انتَصبَ «رَجُلًا» على أنّه بدلٌ من مِثْلِي، كأنه قال: هل رَأَيتِ لقومِهِ رَجُلًا أَكْفَى للشدائد وإن عَظُمَتْ عند طُروق النَّوائب وغِشْيان الحوادِث مِنّي. فحذفَ مِنّي لأنَّ المُراد مفهومٌ. ويُرْوَى «أَكْفَى لِمُعْضِلَةٍ» وهي الدَّاهيةُ الشديدة، يقال أَعْضَلَ الأَمْرُ إذا اشتدَّ. يُرْوَى «لِمُضْلِعَةٍ» وهي التي تَضُمُّ الأَضلاعَ بالزَّفَرَاتِ وتَنَفُّسِ الصُّعَداء حتى تكادُ تَحْطِمُها.

٦ ـ ومُنَاخِ نَازِلَةٍ كَفَيْتُ وفارِسٍ نَهِلَتْ قَنَاتِي من مَطَاهُ وعَلَّتِ

أخذ يُعدِّدُ ما كانت كِفايَتُهُ مقسومةً فيه، ومصروفةً إليه. وقوله «ومُناخِ» مَصْدر أَنَخْتُ. وكَفَيْتُ يتعدَّى إلى مفعولين وقد حذَفَهُمَا. كأنَّه قال: كَفيتُه العشيرةَ. يقولُ: ورُبَّ نازِلَةٍ أناخَتْ، أنا دَفَعْتُ الشرَّ فيها، وكفَيْتُ قَوْمِي الاهتمامَ بها؛ وربَّ فارسٍ سقيتُ رمحي من دم ظهره العَلَلَ بعد النَّهل. وخَصَّ الظَّهر ليُعْلَم أنه قد وَلَّى وأدْبَرَ.

٧ ـ وإذَا العَذَارَى بالدُّخَانِ تَقَنَّعَتْ واسْتَعْجَلَتْ نَصْبَ القُدُورِ فَمَلَّتِ

أَقْبَلَ يَعُدُّ خِصالَ الخَيْرِ المجموعَةَ فيه، بعد أن نَبَّهَ على أنه لا يَقُومُ مَقَامَهُ أَحَدٌ، فكيف من طَمِعَ في نيابَتِهِ عنه بعدهُ. والعذَارى: جمع عَذْرَاءَ، وأصلُه العَذَارِيُّ بتشديد الياء، فالياء الأولى مُبْدَلَةٌ من المَدَّةِ قَبْلَ الهمزة، كما تُبْدَلُ في سِرْبَالٍ إذا قُلْتَ سرابِيلَ، فلما انقلبت المَدَّة ياءً لانكسار ما قبلها وكان الأصلُ في همزة التأنيث ألفًا عادَ إلى أَصْلِهَا لزوال الألف قَبْلها، فأبْدِلَ مِنْهُ ياءٌ ثم أُدْغِمَ الأولى في الثانية فقيل عذارِيٌّ، وكذلك في صحراء صحارِيٌّ، ثم حُذِفتْ إحدى الياءين تخفيفًا فقيل عَذَارِي وصَحَارِي، ثم فَرُّوا من الكسرة وبعدها ياءٌ إلى الفتحة فانقَلَبَت أَلِفًا فقيل عذارَى وصحارَى. ويقال: عَذَرَ المرأة وأَعْذَرَهَا، إذا ذَهب بعُذْرَتها، وهو أبو عُذْرِهَا وأبو عُذْرَتِها. فيقول الشاعِرُ: وإذا أبكار النِّساء صَبِرَتْ على دُخانِ النَّار حتَّى صار كالقِناع لوجهها، لتأثير البَرْد فيها، ولم تَصبِرْ على إدراك القُدُور بعد تهيئتها ونَصْبها، فَشَوَت في المَلَّةِ قَدْرَ ما تُعَلِّلُ به نَفْسَها من اللحم، لتمكُّن الحاجةِ والضُّرِّ منها، ولإجداب الزَّمان واشتداد السَّنةِ على أهلها أحسَنْتُ. وجوابُ إذا في البيت بَعْدَه. وخَصَّ العَذَارَى بالذِّكرِ لفَرْط حياتِهِنَّ وشِدَّة انقباضهن، ولتصوُّنِهِنَّ عن كثيرٍ مما يَتَبَذَّل فيه غيرُهُنَّ. وجعل نَصْبَ القُدُورِ مفعول استَعْجَلَتْ على المجازِ والسَّعَةِ. ويجوز أن يكون المرادُ استعجلَتْ غيرَها بنصب القُدُورِ وفي نَصْبِها، فَحَذف.

٨ ـ دَارَتْ بأرزاقِ العُفَاةِ مَغَالِقٌ بِيَدَيَّ من قَمَعِ العِشَارِ الْجِلَّةِ

قولُه «أرزاق العُفَاة» كلامٌ شريفٌ، وتقدير البيت: دارَتْ بيديَّ مغالِقُ بأرزاق العُفاة من قَمَعِ العشار الجِلَّةِ، فَفَصَلَ بالفاعِلِ بين الأرزاق وبَيْنَ من قَمَعِ العِشار. والعُفَاة: جمع العافِي، والجمعُ على فُعَلَةٍ يَخْتَصُّ بالمُعْتَلّ دون الصحيح. يقول: وإذا صَارَ الزَّمَانُ كذا دَارَتِ القِداحُ في المَيْسِرِ بيَدَيَّ لإقامة أرزاق الطُّلَّابِ من أسنِمَةِ النوقِ المَسَانّ الكبار الحوامل، التي قَرُبَ عهدها بوضْع الحمل، وكلُّ ذلك يُضَنُّ بها، ويُتَنافَسُ فيها، وإنما سُمِّيت القِداح مَغَالِقَ لأن الجُزُر تَغْلَقُ عندها وتَهلِك بها. والقَمع: قِطَعُ السَّنام، الواحدةُ قَمَعَةٌ: والقَمِيعُ: ما فوق السَّنَاسِنِ من السَّنَام. وبعيرٌ قَمِعٌ: عظيم القَمَع. ويقال: سَنَامٌ قَمِعٌ، أي عَظيمٌ قد تَمكَّنَ فيه الشَّحْمُ. والعِشارُ: جَمْع عُشَراء، وهي التي قد أتى عليها من حَمْلِها عَشْرَةُ أَشْهُرٍ، وتستصحِب هذا الاسم فتُسَمَّى به بعدَ وضعها الحملَ بأشهُرٍ. كأنَّهُ نبَّهَ على أنّه يَعتَبِطُ صحاحَ الإبل وخِيَارَها، لا كسيرَها وهَزلاها.

٩ ـ ولقد رَأَيتُ ثَأْيَ العَشِيرَةِ بينَها وكَفَيتُ جانِيَهَا اللُّتَيَّا والَّتي

الثَّأْي: الفَاسدُ. يقالُ: ثَأَي الجُرْحُ يَثْأَى ثَأًى. والرَّأْبُ: الشَّعبُ والإصلاح. يقول: وكما ظَهَرَ غَنَائي في تلك الأبواب فلقد سَعَيْتُ في إصلاح ذات البَيْنِ من العَشِيرةِ، وردِّ التعطُّف الذاهب عنها إليها، ولَمِّ شَعَثِها، وضَمِّ نَشْرِها، وكَفَيْتُ مَنْ جَنَي منها الجنايةَ الصَّغيرةَ والكبيرة، بالمال والنَّفْس، والجاهِ والعِزِّ. وقولُه «جانِيها» إن فتحْتَ الياء كان واحدًا وإن أدَّى معنى الجمع، وإن سَكَّنْت الياء جاز أن يكون جَمعًا سالمًا وأن يكونَ واحدًا قد حُذِفَ فتحتُها. وقولُه «اللُّتَيَّا» تصغير التي، فجعلهما اسمين للكبيرة من الدَّواهي والصغيرة، ولهذا استغنَيَا عن الصِّلةِ وانتقلا عن كونهما وُصْلَتَيْن. ويذهبُ بعضُهم إلى أنّ صلتيهما محذوفتان لدلالة الحال عليهما.

١٠ ـ وصَفَحْتُ عن ذي جَهْلِها ورَفَدْتُها نُصْحي ولَمْ تُصِبِ العَشِيرةَ زَلَّتِي

١١ ـ وكَفَيتُ مَوْلايَ الأَحَمَّ جَرِيرَتي وحَبَسْتُ سائمتي على ذي الخَلَّةِ

قوله «وصَفَحتُ عن ذي جَهْلِها»، يصِفُ نفسَه بالْحِلم معهم، وكَظْم الغيظ فيهم، ومَنْع سُفهائهم. يقول: وعَفَوْتُ عن جاهِلِها فلم أُؤَاخِذْهُ بما بَدَرَ منه من هَفوةٍ أو زَلَّةٍ، ثم بَذَلْتُ نُصْحي لعشيرتي، وحَسَّنْتُ لهم عِشرَتي مِقدَارَ جُهدِي، ولم أَجُرَّ

عليهم جَريرتي، ولم أوسِعْهم زَلّاتي. وقد ألَمّ في هذا بقول الآخَر[١]: [الطويل]

إذا ٱلمَرْءُ لم يحمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها

وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

ولو شاءَ قوْمي كان حِلْمِيَ فيهِمُ وكانَ على جُهّالِ أعدائهم جَهْلِي

وقوله «وكَفَيْتُ موْلايَ الأحَمَّ جريرتي»، أي لم يؤاخَذُوا بجرائري، بل كنْتُ المُدَاوِي لها والخارجَ منها. ويروَى: «الأحَمَّ إضافَتي» فيكون مِثْلَ قوْلِ الآخر: [المتقارب]

أَبُو مالِكٍ قاصِرٌ فَقْرَهُ على نفْسِهِ ومُشِيعٌ غِنَاهُ[٢]

والشاعرُ يقول: وكما لم يَشْمَل أباعِدَ ذَوِيَّ رَهْطِي زَلّاتي، كذلك لم يَنَلْ الأدانِيَ جِنَاياتي؛ ثم إذا نِلْتُ خيرًا أشْرَكْتُ ذوِي الحاجةِ منهم فيه وحَبَسْتُ مالي الرّاعِيَةَ عليهم، حتى لا يَتَمَيّزُوا عنّي في التصرُّف والتناول. وقوْلُه «الأحَمّ»، يريد الأخَصّ والأمَسّ، وهو أفعَلُ من الحميم، ولهذا قال الشاعر وإن كان في ضِدّ هذا المعْنَى: [الوافر]

ومَوْلاكَ الأحَمُّ لَهُ سُعَارُ[٣]

أي لَهَبُ الجُوع، ومنه قولهم: كيفَ السّامّةُ والحامّةُ.

١٧٩ - وقال أُبَيُّ بن رَبِيعَة[٤]: [المتقارب]

١ - وخَيْلٍ تلافَيْتُ رَيْعَانَهَا بِعِجْلِزَةٍ جَمَزَى المُدَّخَرْ

رَيْعان كُلّ شَيْءٍ: أوّلُهُ، وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ في الشَّباب والخَيْل. والرَّيْعُ فَضْلُ كلّ شيءٍ، ومِنه رَيعُ الحِنْطة إذا زَكَتْ، ورَيْعُ الدُّروع: فُضُولُ أكمامِها على الأنامِل. والعِجْلِزَةُ: الفرس الشديدة الخَلْقِ، ورُبّما وُصِفَتْ به النّاقةُ وبعضُهم يَحْكِي فيها:

(١) للسموأل بن عادياء في الحماسية رقم (١٥) وعجزه:
«فليس إلى حسن الثناء سبيلُ»
(٢) للمتنخل الهذليّ في شرح ديوان الهذليين ٢ : ٣٠.
(٣) بلا نسبة في اللسان (سعر) وتاج العروس (سعر)، وتهذيب اللغة ٢ : ٨٧، وصدره:
تُسَمِّنُها بأخثر حلبتيها»
(٤) التبريزي: «وقال أبيّ بن سلميّ بن ربيعة بن زبّان الضبيّ».

عَجْلَزَةٌ، بفتح العين واللام. يقُول: رُبَّ خيلٍ مُغِيرَةٍ تَدَارَكْتُ أوائِلَها طارِدًا للوَسَائق، وأنا على فَرَسٍ صُلْبَةٍ تَجْمِزُ فيما تَدَّخِرُ من جَرْيِها. ومن عادَةِ عِتاق الخَيْل أن تُبْقِيَ من عَدْوِها بقيَّةً لوقت الحاجة إليها، فمتى استُحِثَّتْ بعد الكَدِّ والعمَل أعْطَتْهَا. ولذلك قال كَلْحَبَةُ العُرَنِيُّ: [الطويل]

فَـأَدْرَكَ إبْـقَـاءَ الـعَـرَادَةِ ظَـلْـعُـهـا وقَدْ جَعَلَتْنِي من حَزِيمةَ إصْبَعَا[1]

فقولُه إبقاء العَرادة كقوله هٰهنا «المُدَّخَر». وجَمَزَى مِثْلُهُ وكَرَى وهو صِفَةٌ. وجَعَل الْجَمْزَ لِمَذخور الجَرْي على المجاز، لأنّ الجمْزَ ومَذْخُورَ الجَرْي جميعًا للفَرس. والحقيقة أنها تَجْمِزُ في مُدَّخَر الجَرْي. وليس هذا كقولهم هو حَسَنُ الوجه، وكريمُ الأب، إذا كانَ الحُسْنُ والكَرَمُ في الحقيقة للأَبِ والوَجْهِ، ولكن هو كما يُقالُ فُلَانٌ ثَبْتُ الغَدَر، نَزِقُ المَجالِ، قَمُوصُ الخَبَارِ، وما أشْبَهَهُ.

٢ ـ جَـمُـومِ الـجِـراءِ إذَا عُـوقِـبَـتْ وإنْ نُـوزِقَـتْ بَـرَّزَتْ بـالـحُـضُـرْ

يقال: بِئْرٌ جَمُومٌ، إذا كان ماؤها ينقطع ويَعود سريعًا. ومعنى قوله «جَمُوم الجِرَاء إذا عُوقِبَتْ» أي جَرْيُهُ يمتدُّ ولا ينقطع إن طُلِبَ عَقْبُها لمسابقتها فيه، فكأنّه لا آخِرَ لجَرْيِهَا، كالبئر الجَمُوم. و«إن نُوزِقَتْ» أي إنْ غُولِبَتْ فيما يُسْتَنْزَقُ من سيرِها سَبَقَتْ بِعَدْوِها. وكما سُمِّيَ آخرُ الجَرْي العَقْبَ سُمِّيَ آخرُ الشهر به، فقيل جِئْتُ في عَقْبِ الشَّهر، إذا جئْتَ بعد ما مَضَى، وجئتَ في عَقْبِه وعَقِبِه، إذا جئْتَ وقد بقِيَتْ منه بقيَّةٌ. ويُقالُ: عاقَبْتُ الفَرَسَ ونازَقْتُهُ، كما يُقالُ طَاوَلْتُ زَيْدًا وفاضَلْتُهُ، وذلك إذا غالَبْتَهُ في الطُّوْلِ والفَضْل. ومعنى بَرَّزَتْ: تَقَدَّمَتْ. والحُضْرُ: العَدوُ. ويُروى «عُوفِيَتْ» أي إنْ طُلِبَ عَفْوُها، وليس بجيِّدٍ. ألا تَرَى أنّه قيل: «أوّلُ الجَرْيِ نَزْقَةٌ، وآخِرُهُ عَقْبَةٌ».

٣ ـ سَـبُـوحٍ إذا اعـتَـزَمَـتْ فـي الـعِـنَـانِ مَـرُوحٍ مُـلَـمْـلَـمَـةٍ كـالـحَـجَـرْ[2]

أراد بها أنها تَسْبَحُ في جريها إذا اعتزمَتْ في العِنانِ، أي انْتَحَتْ في العَدْوِ وهي مُلَجَمَةٌ كثيرة النَّشاط، مجتمعةُ الخَلْقِ صُلْبَةٌ كأنها حَجَرٌ. والاعتزام: لُزُوم القَصْدِ في الحُضْرِ وغيرِه وتَرْكُ الانثناء، وقد اعتَزَمْتُ الطريق. ويقال: اعْتَزَمَ الفَرَسُ على الجَرْيِ

---

(١) للكلحبة اليربوعي في خزانة الأدب ٤: ٤٠١، وشرح اختيارات المفضل ١٤٦، واللسان (حرم، بقي)، وللأسود بن يعفر في ملحق ديوانه ٦٨.

(٢) التبريزي: «إذا اعترضت».

إذا مَرَّ جامحًا. وقولُهُ «في العِنان» في موضع الحال، كما يُقال: جَاءَ فُلانٌ في جُبَّةٍ، أي وعليه جُبَّةٌ. واللَّمْلَمَةُ: جَمْعُكَ الشيء، وهو مِثْل اللَّمِّ في المعنى وإن لم يَكُنْ من لفظِهِ عندنا. ورواه بَعْضُهُم «إذا اعتَرَمَتْ» بالراء غير مُعْجَمةٍ، وجَعَلَهُ من العُرَام؛ وليس بشيء.

٤ ـ دُفِعْنَ على نَعَمٍ بالبِرَا قِ مِنْ حَيثُ أَفْضى به ذُو شَمِرْ

هذا جَوابُ رُبَّ إذا جَعَلْتَ قوله «تلافَيْتُ رَيْعَانَها» من صِفَةِ «وخَيْلٍ» حَمْلًا على ما يجيء عليه المجرور برُبَّ في الأكثر، من لُزوم الوَصْفِ له؛ وقد جاء غير موصوفٍ وإن قَلَّ. وعلى هذا يكون تلافَيْتُ الجوابَ ودُفِعْنَ من صِفَةِ الخَيْلِ. والمعنى دُفِعَتْ هذه الخيلُ وأُرسِلَتْ على إبِلٍ واقفةٍ بالبِرَاق من حيث أدّاهُ إلى الفضاءِ ذُو شَمِر، وهو مكانٌ. قوله «أفضَى به» الضميرُ للنَّعَم، وهو يُذَكَّرُ، يُقال هذا نَعَمٌ واردٌ. والبِرَاق: جمع بُرْقةٍ، وهو موضع فيه حجارةٌ بيضٌ وسُودٌ؛ ومثلُه جَبَلٌ أبْرَق. أي لَمَّا حَصَل بالفضاءِ تُلُقِّيَتْ بالخَيْل وشُنَّتِ الغَارة عليه.

٥ ـ فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ ولكِنَّهُ لم يَطِرْ

رَجَعَ إلى صِفَةِ الفَرَس لمَّا رَكَضَها في إثْرِ الخيل المُغِيرَةِ على النَّعَم الذي وصَفَه، يقول: لو أنَّ ذوات الحوافر جُعِل في قدرتِها الطَّيرانُ بآلَةٍ تَخُصُّها لطارَتْ هذه الفَرَس، وكانت الأَوْلَى بذلك، لما فيها من النَّجابة والعِتْق، ولكنّ الطَّيَران خُصَّ به ذو الجَناح.

٦ ـ فَمَا سَوْذَنِيقٌ على مَرْبَإٍ خَفيفُ الفُؤادِ حَديدُ النَّظَرْ

٧ ـ رأى أَرْنَبًا سَنَحَتْ بالفضاءِ فبادَرَها وَلَجاتِ الخَمَرْ

يقولُ: ما شَاهِينٌ واقعٌ على مَحْرَسَةٍ ذَكِيٌّ شَهْمُ النَّفْس، بَعيدُ النَّظَر حَدِيدُ العَيْن، سريعُ الإدْراك، رأى أرنبًا سَنَحَتْ. ومعنى سَنَحَتْ عَرَضَتْ، يُقالُ منه سَنَحَت الحاجةُ. والأرْنَبُ: الأُنْثَى من الأرانِب. والذَّكَرُ خُزَزٌ. والكلام بعدُ مشغولٌ بصفة السَّوْذَنِيق. أي رأى أرنبًا اتَّفَقَتْ بالعَرَاءِ واعترضَتْ فسابقها إلى مَداخِل الخَمَر، ثم رَجَع عليها في طريقِها لئلا تفوتَهُ ـ بأسْرَعَ من فَرَسِي. والوَلَجَاتُ: جَمْعُ وَلَجَةٍ، وهي موضِع الوُلُوج، وموضِع ولَجاتِ نَصْبٌ على أن يكونَ مفعولَ بادَرَها. والخَمَر: ما وَارَاكَ من الشَّجَر. ويقال: بادرْتُ مَكانَ كَذَا، وإلى مَكانِ كذا.

٨ ـ بـأَسْـرَعَ مِـنْـهَـا ولا مِـنْـزَعٌ يُـقَـمِّـصُـهُ رَكْـضُـهُ بـالـوَتَـرْ

قولُه «بأسْرَعَ» خَبَرُ «ما». يقولُ: ما سَوْذَنِيقٌ هذا وصفُه بأسرعَ من فَرَسي، ولا سَهْمٌ ينَزِّيه رَكْضُ الوَتَرِ به. والمِنْزَعُ: السَّهْمُ. ويقالُ: نَزَعْتُ في القَوسِ نَزْعًا، وانتَزَعْتُ له بمِنْزَعٍ، ونَزَعْتُ، أيْ بسَهْمٍ. وفي المَثَلِ: «عَادَ السَّهْمُ إلى النَّزَعَةِ»[1] في معنى رَجَعَ الحَقُّ إلى أَهْلِهِ. ويُقَمِّصُ، أي يُحرِّك. ويُقالُ قَمَّصَ البَحْرُ بالسفينة، إذا حَرَّكَها بالمَوْجِ، حتَّى كأنَّهَا بَعِيرٌ يَقْمِصُ. قال: [الطويل]

يُـقَـمِّـصُ بـالـبُـوصِـيِّ مُـعْـرَوْرِفٌ وَرْدُ[2]

وإنما جَعَل الرَّكْضَ للوَتَرِ لأنه هو الذي يَزُجُّ بالسَّهم ويَدْفَعُه فكأنَّهُ يركُضُه، وهذا يُشْبِهُ القَلْبَ لأنّ الرَّكْضَ للوَتَر وقد جَعَلَهُ للسَّهم، فهو كقولِ الآخَر: [الطويل]

مـا أَمْـسَـكَ الـحَـبْـلَ حَـافِـرُهْ

وما أَشْبَهَهُ. ويُمْكِنُ أن يُتْرَكَ على ظاهِرِه، فيجعل السَّهْمَ راكِضًا من حيثُ كان راكِبًا للوَتَر. والرَّكْض: تحريك الفارِس رِجلَيه على الفَرَس عند الاستحْثَاثِ، وإذا كان كذلك فكأنَّ السهمَ هو الذي يَرْكُضُ الوَتَرَ وإن كان الحَفْزُ للوَتَر.

تمّ الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني
وأوّله: وقال زيد الفوارس

---

(١) ذكره في اللسان (نزع)، والنزعة: الرماة واحدهم نازع.

(٢) للحطيئة في ديوانه ٣٩، وأساس البلاغة (عرف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٧٦٦، وصدره:
«وهـذا أتـى مـن دونـهـا ذو غـوارب»

شرح
ديوان الحماسة
لأبي تمّام

تأليف

أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

علّق عليه وكتب حواشيه

غريد الشيخ

وضع فهارسه العامّة

إبراهيم شمس الدّين

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنّة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١٨٠ ـ وقال زَيْد الفَوَارِس[1]: [الطويل]

١ ـ تَـأَلَّى ابـنُ أَوْسٍ حَـلْفَـةً لِيَـرُدَّنِـي ... عَـلَى نِـسْـوَةٍ كَـأَنَّـهُـنَّ مَـفَـائِدُ

آلَى الرَّجُل وائتَلَى وتَأَلَّى بمعْنًى واحد. وهذه الأبنية من الأَلِيَّةِ، وهي اليمين. و«حَلْفَةً» انتَصَبَ على أنَّه مَصْدَرٌ من غير لَفْظِهِ. وقَوْلُهُ «لَيَرُدُّنِي» يُروَى بفتح اللام وضَمِّ الدَّالِ، على أن يَكُونَ اللامُ لامَ اليمين. وذكرَ سيبَوَيْهِ أنَّ لامَ القَسَم يَلْزَمُهَا إحْدَى النونين الثقيلة أو الخفيفة، وقال أيْضًا: وقد يُحذَفُ النُّونُ في الشِّعْرِ. وهذا المَوْضِعُ بالروايَةِ الثانية جَاءَ على ما سَوَّغَهُ. وقد جاء أَعْجَبُ من هذا وأبْعَدُ في الاستعمال، وهي حَذْف اللام وإثبات النون. قال: [الكامل]

وقَـتِـيـلَ مُـرَّةَ أَثْـأَرَنْ فـإنَّــهُ ... فِـرْغٌ وإنَّ أخـاهُـمُ لـم يُـقْـصَـدِ[2]

والمفائد: جمع المِفْأَد، وهي المَساعير والسَّفافيدُ. والفَأْدُ في اللغةِ: التحريك، وقيل إنَّ الفؤادَ منه اشتُقَّ، لأنه يَنبِضُ. ومعنى البيت: حَلَفَ الرجُلُ حَلْفَةً ليأْسِرَنَّني ثم يُمَنُّ عليَّ فيَرُدُّني على نِسْوَةٍ كأنَّهُنَّ مساعير، لاحتراقهن وَجْدًا بي وغَمًّا عليّ، فَفَعَلْتُ أنا به مِثْلَ ما هَمَّ به فِيّ. وقد قيل: إنَّ ابن أَوْسٍ كان مأسورًا فحلَفَ أنه يُنَجِّيه زَيْدُ الفَوَارِسِ ويَفُكُّ أَسْرَه، ويَرُدُّه على نِساءٍ هُنَّ من الوَجْدِ به بهذا المَحَلِّ، فاقتَصَّ ابنُ أَوْسٍ قِصَّتَه فيما كان يرجوه من جِهَتِه. ثم ذكَر أنه كان عند الظَّنِّ به، وأنَّه حَقَّق أَمَلَهُ. ويمكن الاستشهادُ للخبرَيْنِ والمعنَيَيْن على اختلافهما ممَّا يَشْتَمِلُ

(١) التبريزي: «وقال زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبيّ». وهو شاعر جاهلي فارس. ترجمته في خزانة الأدب ١: ٥١٧، وبلوغ الأرب ٢: ١٣٧.

(٢) لعامر بن الطفيل في ديوانه ١٤٥، وهو من شواهد الخزانة ٤: ٢١٦.

عليه الأبياتُ التي بعدَهُ. وقد قيل في الوَجْهِ الأوّل أنه أرادَ بالنّسوةِ حُرَمَ ابنِ أوسٍ، وأنه شَبَّهَهُنّ بالسفافيد لسوء أحوالِهِنّ، وتأثير الضُرّ والجَهْدِ فيهن، وعلى هذا يكون هَجْوًا وتعبيرًا لابن أوْسٍ، وأنّ أَهْلَهُ وأولادَهُ من الفقْرِ بهذا المَحَلّ. فأمّا من رَوَى «لِيَرُدَّنِي» فالمعنى حَلَفَ لهذا الأمر، وجوابُ القَسَم يكون محذوفًا مقدَّرًا، ويُستدَلُّ عليه بما ذَكَرَهُ. وقال بعض المتقدِّمين: تقولُ حَلَفَ ليَفْعَلَنّ، فإذا حَذَفْتَ النون كسَرْتَ اللّام وأعمَلْتَها إعمالَ لام كَيْ، والموْضِعُ موْضِعُ القَسَم والمعنى مَعْناه. وأنشدَ: [الطويل]

إذا قُلْتُ قَدْنِي قال باللهِ حَلْفَةً لِتُغْنِيَ عَنّي ذا إنائِكَ أجْمَعَا[1]

وقيل مِثل تألّى ليرُدّني: أرادَ ليفعَلَ كذا وفي القرآن: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصّف: الآية ٨]، كأنّ الفِعْلَ دَلّ على المَصْدَر، واللام مع الاسم المجرور به في موضِعِ الخبر لذلك المصدَر المبتدإ، كأنه إرادتِي كذا.

٢ ـ قَصَرْتُ له مِنْ صَدْرِ شَوْلَةَ إنّمَا يُنَجّي من الموْتِ الكريمُ المُناجِدُ

أخذ يَذْكُرُ أنه كَذَبَ نفسَه فيما حَدّثَها به، وأنه استعمَلَ البَغْيَ فنُصِرَ عليه، فقال: قَصَرْتُ عليه فَرَسِي شَوْلَةَ وأَسَرْتُه، لأنّ الكريمَ يُنَجّي نفسَه، ويُنْهِضُ حِيلَتَهُ إذا جَدّ جِدُّهُ وكاد عَدوُّه يَغلِبُه وتعلو عليه يدُهُ. هذا إذا جعلت ابن أَوْسٍ هو الذي حَدّثَ نَفْسَه وأكّد طَمَعَه ويمينَهُ بأنه سَيَأْسِرُ الشاعرُ. فأمّا إذا جعلْتَ ابن أَوْسٍ أسيرًا وراجيًا أنه سيفُكُّ زَيْدُ الفوارسِ إسارَهُ، ويحُلُّ عِقاله، فالمعنى في «قَصَرْتُ له من صَدْرِ شَوْلَةَ» أنه بيَّنَ كيف حقّقَ رجاءَه، ومن أن يوصَلُ إلى تخليصه. وفي قوله «إنما يُنَجّي من الموْتِ الكريمُ» أنه خَلّصَ نفسَه لمّا عَلّقَ الرّجاءَ به، وجعَل يَحلِفُ أنّ خَلاصَهُ بسَعْيِه وتعطُّفِه، لأنه بعَثَه ذلك على أن يكون عند ظنّه به.

٣ ـ دَعَانِي ابْنُ مَرْهُوبٍ عَلَى شَنْءٍ بَيْنِنَا فَقُلْتُ له إنّ الرِّماحَ مَصَايِدُ

حَوّل كلامَهُ إلى قِصّةٍ أُخرَى فقال: استغاثَ بي هذا الرّجُلُ على ما بيننا من عَدَاوَةٍ وبَغْضَاء، فأجَبْتُهُ بعد أن هَوّنْتُ عليه ما خافهُ أوّلًا، وصَغّرْتُ في هاجِسِه ما أكبَرَهُ ثانِيًا، وبَيّنْتُ أن الرّماحَ حبائلُ الرّجال الكِرام في الحَرْبِ ومصايِدُهُم، فلا تُبَالِ

---

(١) لحريث بن عناب في خزانة الأدب ١١: ٤٣٤، والدرر ٤: ٢١٧، ومجالس ثعلب ٦٠٦، والمقاصد النحوية ١: ٣٥٤.

بالمَوْتِ إذا كانَ على وجْهِهِ لا يتعَقَّبُهُ عارٌ، ولا يصحَبُهُ هوان. وكما جَعَلَ هذا الشّاعر الرُّمحَ آلةً في صَيْدِ الأبطالِ، جَعَلَ غيرُهُ الصَّيْدَ له لا به، فقال: [الطويل]

وإنّي لَمِنْ قَوْمٍ تَصِيدُ رِماحُهُمْ غَداةَ الصَّباحِ ذا الحُدُورةِ والحَرْدِ(١)

وقوله «على شَنْءٍ بَيْنِنَا» في موضِعِ الحال، يقال: شنِئتُهُ أشْنَؤُهُ شَنْئًا ومَشْنَأَةً وشَنَآنًا.

٤ ـ وقُلتُ لَهُ كُنْ شِمَالي فإنَّني سَأكْفِيكَ إنْ ذَادَ المَنِيَّةَ ذَائِدُ

يقول: تَعَطَّفْتُ عليه وأَخَذْتُ بالفضل مَعَهُ بعد استنصاره، وإظْهَارِ حاجَتِهِ وإذْعَانِهِ، ورسمْتُ له الكَوْنَ في الجانب الأيسرِ مِنّي، واثِقًا بِحسنِ مُحافظتِي، وجميل مُدَافعتِي، ومُعْتَمِدًا من جِهَتي على أني سأكفيه المحذورَ إن دَفَعَ الموت دافعٌ. والمُرَادُ: إنْ فَعَلَ أَحَدٌ من الناسِ ما لا يُطَاقُ من دفعِ المحتُومِ فَعَلْتُهُ أنا مَعَكَ، اعتناءً بأمرِكَ، وإيثارًا لصيانتك، وتحرِّيًا للمحاماةِ عليكَ. وإنّما قال «كُنْ عن شِمالي» لأنّه موضعُ المُعَانِ المَنْصُورِ، واليمينُ مَوْضِعُ النّاصِرِ. يقالُ: أنا على يمينك وعن يمينك، أيْ ناصِرُك.

١٨١ ـ وقال الوَقَّادُ بْنُ المُنْذِرِ(٢): [الطويل]

١ ـ لَقَدْ عَلِمَتْ عَوذٌ وبُهْثَةُ أنّني بِوَادِي حُمَامٍ لا أُحَاوِلُ مَغْنَمَا

بُهْثَةُ من سُلَيم، بَطْنٌ مِنهم، والبُهْثَةُ في اللغةِ: وَلَدُ البَغِيِّ. والبَهْثُ البِشْرُ وحُسْنُ اللِّقاءِ. والحُمامُ، بِضَمِّ الحاء: حُمّى الإبلِ والدَّوابِّ. وفي طريقةِ هذا البيت قولُ عنترة: [الكامل]

يُخبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أنّني أَغْشَى الوَغى وأعِفُّ عِند المَغْنَمِ(٣)

المعنى: واللهِ قد عَلِمَ هاتانِ القبيلتان أني في هذه الوَقْعَةِ الوَاقِعَةِ بهذا الوادِي لم أشْتَغِلْ باجترار المَنافع، واحتواءِ المغانِم، وإنما قَصَرتُ سعيِي على طَلَب الثّار، وإدراك الأوتار.

---

(١) بلا نسبة في مقاييس اللغة ٢: ٣٢.
(٢) التبريزي: «وقال الرّقاد بن المنذر بن ضرار الضبيّ».
(٣) لعنترة في ديوانه ٢٠٩، وأساس البلاغة (وقع).

٢ ـ ولكنَّ أَصحابِي الَّذِينَ لَقِيتُهُمْ تَعَادَوْا سِرَاعًا واتَّقَوْا بابنِ أَزْنَمَا

أرادَ بالأصحاب من لاقَاهُ من الأعْدَاءِ. ومعنى تَعَادَوْا سِرَاعًا: تبادَرُوا مُسْرِعين وتسابَقُوا، وهذا من العَدْوِ. ويجوز أن يَكُونَ من عَادَى بَيْنَهُما، أي وَالَى، فيكون المعنى تَوَالَوْا. ومن هذا قولُهم: تَعَادَى القومُ، أي مات بعضُهم في إثْرِ البَعضِ. وقوله «واتَّقَوا بابن أَزْنَمَا»، يريدُ جَعَلُوهُ بيْنِي وبَيْنَهم، وهذا الرجل الذي استَجَنُّوا به كأنّه كانَ مِدْرَةَ الكتيبة. وإنّما ثَبَتَ في وجهِ القوم يَشْغَلُهم ليَسْلَمَ أصحابه، ويأْخُذُوا المُهْلَةَ في الفِرار. وفي الحديث: «كُنَّا إذا احمَرَّ البَأْسُ اتَّقَيْنَا برَسُولِ الله ﷺ»[1].

٣ ـ فَرَكَّبْتُ فِيهِ إذْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ بِمُنْقَطَعِ الطَّرْفاءِ لَدْنًا مُقَوَّمَا

يقول: طعنتُهُ لمَّا عرفْتُ محَلَّهُ من أَصحابِه، وموضِعَهُ من البَلَاءِ والمُحَامَاةِ فيهم، برمحٍ لَيِّنٍ مُثَقَّفٍ، عند مُنقطَعِ الطَّرْفاءِ. والطَّرْفاءُ: شجرٌ. ومُنْقَطَعُه: المكان الذي يَخْلُو منه على اتِّصالِه بمنابته. وقال الأصمَعِيُّ: واحِدُ الطَّرفاءِ طَرَفَةٌ كَقَصَبَةٍ وقَصْبَاءَ. والباء من قولِه «بمنقَطَعِ» يَتَعَلَّقُ بقولِهِ «رَكَّبْتُ» على ما فَسَّرْنَاهُ. وكان لا يَمتنع أن يكون معنَى قولِهِ عَرَفْتُ مكانَهُ، عَرَفْتُ مَوضِعَهُ ومَقَامَهُ، لأنَّ الرئيس يَخْفِي مكانَهُ ويُخْمِلُ نفسَه كثيرًا، وحينئذٍ يتعَلَّقُ الباء من قولِهِ بمنقَطَعِ الطَّرْفاءِ بقولِهِ مكانَهُ، ولكِنَّ قولَهُ «واتَّقَوْا بابن أَزْنَمَا» يَأْبَى إلَّا القَوْلَ الأَوَّلَ.

٤ ـ وَلَوْ أَنَّ رُمْحِي لم يَخُنِّي انْكِسَارُهُ جَعَلْتُ لَهُ صَالِحِي القَوْمِ تَوْءَمَا[2]

نِسْبَةُ الخيانة إلى الرُّمْحِ لمَّا انكَسَر كَنِسْبَةِ العَجْزِ إلى الحبلِ إذا لم يَصِلْ، من قَوْلِهِمْ حَبْلٌ عاجِزٌ. والتَّوْءَمُ، زِنَتُهُ فَوْعَلٌ، واشتقاقه من الوَأْمِ، والتاءُ فيه مبدلَةٌ من الواو، وكأنَّ الوَلَد واءَمَ في الإتيان غيرَه، أي وافق. وكما تَوَسَّعوا فيه هٰهنا فأُخرِج إلى باب غير باب الولد والوِلادة، تُوُسِّعَ فيه في قوله: [الرجز]

قالت لنا ودَمْعُها تُؤَامُ كالدُّرِّ إذْ أَسْلَمَهُ النِّظامُ[3]

---

(١) رواه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١: ٨٩ من حديث علي رضي الله عنه وفسّره: «يريد الخوف، ولا يكون إلا مع الشدة».

(٢) التبريزي: «من صالح القوم».

(٣) الرجز لحدير عبد بني قميئة في اللسان (تأم)، وتاج العروس (تأم)، ولكدير في تاج العروس (وأم).

وقد أَحكمتُ القولَ فيه وفي تصريفه وجَمْعِهِ في شَرْحِ كتاب الفَصِيحِ . فيقول: لولا أنَّ رُمْحِي خانَنِي حين أَعْمَلْتُه في هذا الرَّجُل فانْكَسر، لجعلتُ له نَظِيرًا من أَشرافِ القَومِ وزُعمائهم حتَّى يصير معه كتَوْءَمَيْنِ. وخَصَّ الصَّالحينَ منهم لأنَّهم يتبجَّحُون بقتلِ الملوك والرُّؤساء. فإن قيل: لِمَ ذَمَّ الإجْرَارَ في الطَّعْنِ وهم يحمدونَهُ حتّى عَدَّ انكسارَ الرُّمْحِ خيانةً منه؟ قلتَ: الإجرار فِعْل الطاعن، وهو محمودٌ، وإنما ذَمَّ من الرُّمْحِ ضَعْفَهُ وقِلَّةَ ثباتِه في العمل؛ وليس ذلك من الإجْرارِ في شيء.

٥ ـ ولَوْ أَن في يُمْنَى الكَتِيبَةِ شَدَّتي إِذَا قَامَت العَوْجَاءُ تَبْعَثُ مَأْتَمَا

كأنَّه خَفي عليه مكانُ واتِره فلم يَعلَم أهو في المَيْمَنَةِ أم في المَيْسَرَة، فأَخَذَ يتلهَّفُ على ما فاتَهُ منه. والشَّدَّةُ: الحَمْلَة، فيقول: لو اتَّفقَتْ حَمْلَتِي في يُمْنَاهَا بَدَلًا من يُسْرَاهَا، لقَامَتْ أُمُّهُ وقد ثَكِلَتْهُ تَهِيجُ المَأْتَم، وتَبْعَثُ على النَّوْحِ عليه النَّوائح، ولكنْ ذَهابُ مَقامِه عن عِلْمِي هو الذي نَجَّاهُ منِّي. وجَعَلَها عَوْجَاءَ إمَّا على طريق السَّبِّ، كما قال: [الكامل]

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يا جَرِيرُ وخَالَةٌ فَدْعَاءُ قد حَلَبَتْ عليّ عِشَارِي(١)

فيكون العَوَجُ في تِلك لتفاوُت خِلْقَتِها، وزوالها عن سَنَنِ الاستقامة، كالفَدَعِ في هَذِه. وإما أن يكونَ أراد أنَّها مَضْرُورةٌ مَجْهُودَةٌ مُعْوَجَّةُ الوَجْهِ، مهزولَةٌ. وإمَّا أن يكونَ العَوْجاءُ لَقَبًا لَهَا، والمَأْتَم؛ أَصْلُهُ في الضَّمّ والجَمْع.

١٨٢ ـ وقال أَيْضًا: [الطويل]

١ ـ إِذَا المُهْرَةُ الشَّقْرَاءُ أَرْكَبُ ظَهْرُهَا فَشَبَّ الإِلٰهُ الحَرْبَ بين القَبَائِلِ

رُوِيَ «أَرْكَبَ ظَهْرُها». ويقال: أَرْكَبَ المُهْرُ، إذا حان أن يُرْكَب واسْتُصْلِحَ للإسراجِ والإلجام. وجَعَلَ الفِعلَ للظَّهرِ على التَّوَسُّع إذْ كانَ موضعَ الرّكوبِ، ويكونُ أَرْكَب كما يُقَالُ أَجَزَّ الخَضْرُ، وأَحْصَدَ الزَّرْعُ. ويُرْوَى: «أَدْرَكَ ظَهْرُها» المَعْنَى بَلَغَ حَدَّ الرُّكوبِ والانتفاع به، وهذا كما يُقالُ: أَدْرَكَ الثَّمَرُ، إذا أَمْكَنَ الانتفاعُ به. فيقولُ: إذا بَلَغَ فَرَسِي هذا الحَدّ فَهَيَّجَ اللهُ نارَ الحرب، وأَقامَ سُوقَ التَّغاوُر بين القبائلِ، حتَّى أَتوصَّلَ بها إلى ما كنتُ أُرِيدُه وأَنتَظِرُه. وارتفاعُ المُهْرَةِ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ بعد إذا، يكونُ الظاهرُ تفسِيرَهُ.

---

(١) للفرزدق في ديوانه ١: ٣٦١، وخزانة الأدب ٦: ٤٥٨، والدرر ٤: ٤٥، واللسان (عشر).

٢ ـ وَأَوْقَدَ نَارًا بينهم بِضِرَامِهَا لَهَا وَهَجٌ لِلْمُصْطَلِي غَيْرُ طَائِلِ

هذا من جملة الدُّعاءِ. والكَلامُ يَدُلُّ على استعجالِه بحصول الحالة المُتَمَنَّاةِ فيقول: وأَجِّج بينهم نار الشَّرّ بما يلهِبُها حتَّى يصيرَ لها وَهَجٌ لا خَيْرَ فيه لمن يدنو منه ويَصْطَلِي به، وخَصَّ الضِّرام لأنَّهُ يُسْرِعُ ذَهابُ النَّار فيه فيعلو لَهَبُها. إن قِيلَ: لِمَ كَرَّر طلبَ اتِّقاد النَّار في البيت الأوّل والثاني؟ قلتَ: الأوّلُ أراد به نارَ الحربِ، والثاني أراد به نار الخِلافِ والشَّرّ المُنْتَتِج عن النَّمائم والوِشايات، حتَّى أنَّ من دَخَلَ فيهم طَالِبًا لإيقاعِ صُلْحٍ وصَلاحٍ بينهم لم يَقْدِرْ على إزالَتِه، وكان خَليقًا بأن يَشْقَى شَقَاوَتَهُمْ، ويدخُلَ مَداخلَهُم. وقد مَرَّ القَولُ في طائلٍ، وأنّه من الطَّولِ. ويقال: ما حَليتُ من هذا الأمرِ بطائِلٍ.

٣ ـ إِذَا حَمَلَتْنِي والسِّلاحَ مُشِيحَةٌ إِلى الرَّوْعِ لَم أُصْبِحْ على سِلمِ وائِلِ

المُشِيحُ والشائحُ والشِّيحُ واحِدٌ. قال[1]: [م. الوافر]

مُشِيحٌ فَوْقَ شَيْحَانِ

يعني رَجُلًا على فَرَسٍ. وقال: [الطويل]

وشَايَحْتَ قَبْلَ القَوْمِ إِنَّكَ شِيحُ[2]

فيقُولُ: إذا جَالَ تَحْتِي وعليَّ سِلاحِي قاصدًا إلى الحربِ فَرَسٌ جَادَّةٌ، لم أُصَالِحْ وائِلًا، ولم أرْضَ منها إلَّا بالشُّفاء والاشتفاء. والمُشَايَحةُ: المُحاذَرَة. والمُشِيحُ: الحازِمُ.

٤ ـ فِدًى لِفَتًى أَلْقَى إِلَيَّ بِرَأْسِهَا تِلَادِي وأَهْلِي من صَدِيقٍ وجَامِلِ

قولُه «أَلْقَى إليَّ برأسها» أي وَهَبَها لِي ومكَّنني من قيادِها بنَفْسِي. وذِكْرُ الرأس كما يُقالُ: هو يَرْتَبِط كذا رَأْسًا وكَذَا ظهرًا. وذِكْرُ الإلْقاءِ كما يُقالُ: أَلْقَى إليه مقاليد الأمور. والمعنى: أَفْدِي بِمالِي القَديم وأَهْلِي المُصادِقين فَتًى مكَّنَنِي من هذه المُهْرَةِ

(١) لأبي العيال الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٤٢٨، وبلا نسبة في اللسان (شيح)، وتاج العروس (شيح)، وعجزه:
«يدور كأنه كلبُ»

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح ديوان الهذليين ١ : ١١٦، واللسان (شيح). وصدره:
«بدرتَ إلى أولاهم فسبقتهم»

وملَّكَنِيها. وقوله «من صَدِيقٍ وجامِلٍ» دخلَ مِن علَى طريق التبيين، فالصَّدِيقُ تفسيرُ الأهْلِ، والجامِلُ تفسيرُ التِّلاد. وكأنَّ هذا الرجُلَ ينتظر إمكانَ الفُرصَةِ من أعدائِهِ لينتهزها في وقته، ويَتَمَنَّى اهتياجَ الشَّرِّ في النَّاسِ وتداعِي القبائِل بالأوتارِ، وتناهُضَهُم للقِتال عند تكامُلِ عُدَّتِه ليجدَ طريقًا إلى مكاشَفَةِ مَن يُرِيدُ مُكاشَفَته، وتسبُّبًا إلى إدراك ما يُرِيدُ إدراكَهُ، فلهذا عَلَّقَ الدُّعاء بإركاب المُهْرِ، وأجَّلَ الزَّمَانَ في ابتغاء المطلوبِ. وخَصَّ الصَّدِيقَ من أقارِبه وذَوِيه لأنَّ النَّفْسَ أَضَنُّ بهم، كما خَصَّ الجامِلَ وهو ذكورُ الإبلِ وإناثها لأنَّها هي المالُ المُخْتَارُ من الأزواج الثَّمانية. ويُروَى: «من صَدِيق وحَامِلٍ» بالحاء، فيكون من تفسير الأهْلِ خاصَّةً، كأنَّهُ يُرِيدُ وأَهْلِي من مُصَادِقٍ لي وبَارٌ بي. ويقال: حَمَلَهُ على كذا مَرْكَبًا، إذا أعطاهُ. كأنَّه قال: كُلُّ من حَمَلَنِي على فرسٍ من أهلي فهو فداءٌ لمن حَمَلَنِي على هذا المُهْرِ؛ لأنَّهُ يَقَعُ دونَهُ في القَدْرِ والمكانةِ.

١٨٣ ـ وقال شَمْعَلَةُ بنُ الأَخْضَرِ[١]: [الوافر]

١ ـ ويَوْمَ شَقِيقَةِ الْحَسَنَيْنِ لاقَتْ   بَنُو شَيْبانَ آجالًا قِصَارا

الشقيقةُ: رملةٌ تُشَقُّ من مَعاظِم الرَّمْل، وهي في الأصل صفةٌ فجُعِلَتْ اسمًا وأُلحِقَ به الهاءُ. وقد قيل فيها إنها رَمْلَةٌ بين رَملَتَيْن، والْحَسَنانِ قيل هُما رَمْلَتانِ ببلاد بنِي تَمِيمٍ، وقيل حَسَنٌ كَثِيبٌ ضُمَّ إليه قِطْعَةُ أَرْضٍ تقربُ منه فقيل حَسَنانِ، كقولهم الكوفَتَانِ والحيرَتان. وهذه الأبيات في مقتل بِسْطامِ بن قَيْسٍ، قِيلَتْ عَلَى طريق التَّشَفِّي وإظهار الشَّماتة. يُرِيدُ: لاقَى بنو شَيْبانَ يومَ اجتماعِنا بهذا المكان آجالًا غير مُمتَدَّةٍ، متقاصِرَةً عن الغايةِ التي كانت آمالُهم تَنزِعُ إليها، ويَعِدُهُم اغترارُهم بها.

٢ ـ شَكَكْنا بالرِّماحِ وهُنَّ زُورٌ   صِماخَيْ كَبْشِهِم حتى استدارَا

الشَّكُّ: النَّظْم. يقول: انتَظَمْنا بالرِّمَاحِ والخَيْلُ مُنحرِفَةٌ للطعنِ صماخَيْ رئيسِهِم ـ يَعْنِي بِسطامًا ـ حتى دِيرَ به فسَقَط. وكان بِسطامٌ أغارَ في بني شَيبان على بني ضَبَّةَ، واستاقَ إبِلَها، وكان رجالُ الحيِّ غائبين، فلمَّا أَحَسُّوا بذلك رَكِبُوا إثرَهُ، فلما لَحِقُوه أَخذَ بِسطامٌ يُعرقِبُ الإبِلَ، فقالوا: يا بسطام ما هذا السَّفَهُ، إمَّا أن تكونَ لنا أو لك! ثم أُصِيبَ صِمَاخه ـ والصِّماخُ هو الْخَرْقُ الباطِنُ الذي يُفْضِي إلى الرَّأْسِ ـ وقاتِلُ

(١) التبريزي: «وقال شمعلة بن الأخضر بن هبيرة بن المنذر بن ضرار الضبيّ».

بِسطامِ هو عاصم بن خليفة الضَّبِّيُّ، ويقال إنه كان مضعوفًا، وفي ذلك اليوم رَأتْهُ أُمُّهُ يَسُنُّ سِنَانَ رُمحِهِ فقالت: ما تُريدُ بهذا؟ قال: أُريدُ أن أَقتلَ به بِسطامًا! فقالت الأمُّ متعجِّبَةً ومُستنكِرةً: «آسْتُ أُمِّكَ أضيَقُ من ذاك!». وحُكِيَ أنه أدرَكَ الإسلام وأسْلَم، فكان إذا وَرَدَ باب عمر رضيَ الله عنه يقول: عاصِمُ بن خليفة، قاتِلُ بسطامِ بن قيْسٍ بالباب! مُفتخِرًا. ومعنى «استَدَارَ»، أخذهُ دُوارُ الموْتِ. وقوله «شَكَكْنَا بالرِّماح» والشكُّ كان من واحِدٍ منهم وبرُمْحٍ، على عادتِهم في نسبة الفِعل إلى القبيل وإن كان من أحدِهم، لاشتراكهِم في الرِّضا به، وتجمُّعِهِم لإيقاعِه. على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: الآية ٧٧] وما أشبهه.

٣ ـ فَخَرَّ على الألاءةِ لَمْ يُوَسَّدْ وقَدْ كانَ الدِّماءُ لَهُ خِمارا

الألاءة: شجرةٌ حسنة المَرْأى، قبيحةُ المُخْتَبَر، ولهذا شُبِّه به كلُّ مَن قصُرَ مَخْبَرُه عن مَنْظَرِهِ. قال: [الوافر]

فإنَّكُمُ ومَدْحَكُمُ بُجَيْرًا أَبا لَجَإٍ كما امتُدِحَ الألاءُ[1]
يَرَاهُ الناسُ أَخْضَرَ من بَعيدٍ وتَمْنَعُهُ المَرَارَةُ والإباءُ

ومعنى خَرَّ على الألاءةِ، أي مالَ عليها لمَّا أُصِيبَ. والمرادُ بالبيتِ: سَقَطَ بِسطامٌ لمَّا طُعِنَ على الألاءةِ، وهو غيرُ مُوَسَّدٍ، قد غُشِّيَ رَأسُه ووجْهُه بالدم. قوله «لم يُوَسَّد» في موْضِع الحال، وهو بَيَانٌ لكوْنِه مقتولًا، وأنَّ خُرُورَهُ كان لذلك. وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: الآية ١٠٠] وما أشبهه. والخَمَرُ والخِمَارُ: كلُّ ما غطَّاكَ.

١٨٤ ـ وقال حُسَيْلُ بن سَجِيح[2]: [الطويل]

١ ـ لَقَدْ عَلِمَ الحيُّ المُصَبَّحُ أنَّنِي غَدَاةَ لَقِينا بالشُّرَيْفِ الأحَامِسَا

يقول: صَبَّحْتُهُ مُشَدَّدًا ومُخَفَّفًا، إذا قصدتَه للغارة صباحًا. وفي المَثَل: «صَبَحْنَاهُمْ فغَدَوْا شَأْمَةً».

والأحَامِسُ لقَبٌ لبني عامر، وجُمِعَ جمعَ الأسماء وإن كان صفةً في الأصل فهو كالأبْطح والأجْدَلِ وأشباههما؛ وقد تَقَدَّمَ القولُ فيه. والشاعر يقول: تيَقَّنَ الحَيُّ المُغَارُ عليهم صَبَاحًا أنني غداةَ لَقِينا بَني عامرٍ بالشُّرَيْف ـ وهو مَوْضِعٌ بِنَجْدٍ، وكذلك الشَّرَفُ ـ

(١) لبشر بن أبي خازم في اللسان (ألا).
(٢) التبريزي: «حسيل بن سجيح الضبيّ».

أَيْلَيْتُ. وهذا الكلامُ منه استشهادٌ بمن دَافَعَ عنهم. وخَبَرُ أنّ فيما بَعْدَهُ، وهو قوله «جَعَلْتُ لَبَانَ الجَوْنِ». وغداة لَقِينَا ظَرْفٌ له. فإن قيل: هَلَّا جعلته ظَرْفًا لعَلِمَ أو لِلَقِينَا؛ قلتَ: لا يجوز أن يَكُونَ ظَرْفًا لعَلِمَ، لأنّه إذا جُعِلَ كذلك صَارَ أجنبيًا مما دَخَلَ في صِلةِ أنّ، وحائلًا بينه وبين خَبَرِه، والفَصْلُ بين الموصول وما في صلته بالأجنبي منه غير جائزٍ. ولا يجوز أن يكون ظَرْفًا لِلَقِينَا، لأنه مضافٌ إليه، والمُضاف لا يجوز أن يكون عامِلًا في المُضَاف.

٢ ـ جَعَلْتُ لَبَانَ الجَوْنِ لِلْقَوْمِ غَايَةً | من الطَّعْنِ حتى آضَ أحْمَرَ وَارِسَا

جَعلتُ هٰهنا تعدّى إلى مفعولين لأنه بمعنى صَيَّرْتُ. واللَّبانُ: الصَّدر من الفَرَس. والوَرْسُ: صِبْغٌ أحمر معروف. وثَوْبٌ وَرِسٌ ووارِسٌ. وأَوْرَسَ الرِّمْثُ، إذا اصفرّ ثَمَرُه، فهو وارِسٌ، وهو أحد الحروف التي جاءت على أفعل فهو فاعِلٌ؛ ولا يقال مُورِسٌ. ورُبّما فُسّرَ الوَرْسُ على الزَّعفران. يقول: ثَبَتُّ في وجوه القوم فصيَّرْتُ صَدْرَ فَرَسي للطَّعْنِ ومَوقِعًا، حتى صار لسَيَلان الدّمِ عليه أحمرَ كالْوَرْس.

٣ ـ وَأَرْهَبْتُ أُولَى القَوْمِ حَتّى تَنَهْنَهُوا | كَمَا ذُدتَ يَوْمَ الوِرْدِ هِيمًا خَوَامِسَا

يقول: خَوّفتُ أوائِلَهُم حتّى كَفُّوا وتَنَكّسُوا، كما تَكُفُّ إبلًا عِطاشًا وردَتْ لخَمْسٍ، فازْدَحَمَتْ على الماء يَوْمَ الوُرُودِ. والهِيم: التي بها الهُيَام، وهو داءٌ يصحبه العطش الشديدُ. جعلَ أوائلهم تتبادَر وتزدَحم حرصًا على القِتال، مبادرة الهيم وازدحامها على الماءِ وَرَدَتْ لخَمْسٍ. وهذا التّشبيه من باب التصوير، وقد تَقَدَّمَ القَوْلُ في شَرْحِهِ. وقوله: «تَنَهْنَهُوا كما ذُدتَ» يجوز أن يكون أراد حتّى ذُدْتُهُمْ كما ذَدت، فوضَع تَنَهنهوا بدله ودالًّا عليه. ويجوز أن يكون أراد: كما نَهْنَهْتَ يَوْمَ الوِرْد إذا ذُدتَ هِيما، فوضع ذُدتَ موضعَهُ. ويجوز أن يكون المراد: أرْهَبْتُهُم كما أرهبتَ، فوضع ذُدت مَوْضِع أَرْهَبْتَ، وهذا أقرب.

٤ ـ بِمُطَّرِدٍ لَدْنٍ صِحَاحٍ كُعُوبُهُ | وذِي رَوْنَقٍ عَضْبٍ يَقُدُّ القَوَانِسَا

٥ ـ وَبَيْضَاءَ من نَسْجِ ابْنِ دَاوُدَ نَثْرَةٍ | تَخَيَّرْتُها يَوْمَ اللِّقَاءِ المَلَابِسَا

الباءُ من قوله «بِمُطّرِدٍ» تَعلّقَ بقوله أَرْهَبْتُ. فيقول: خَوّفْتُهُم بالبُرُوزِ لهم، ومعالَنَةِ ذوي الحِشمةِ بالتّنَكُّرِ معهم، والشّدُّ عليهم برُمحٍ مُسَوّى لَيِّنٍ صحيح الكُعُوبِ والأنابيب، وسيفٍ ذي ماءٍ، قاطِعٍ نافِذٍ في القَوَانِس، لا يَنْبُو ولا يَرْتَدِع. ومعنى الاطّراد في الرُّمحِ تَقَوُّمُه وتَوافُقُ أنابيبِه عند الهَزّ. والقَوَانِس: أَعْلَى البَيْضِ؛ وقَوْنَس

الفَرَسِ منه، وهو العَظْمُ الذي تَحتَهُ العُصفورانِ. هكذا قال أبو عبيدة. وقال الأصمَعيُّ: هو والعُصْفُورَانِ سَوَاء، والقَدُّ: القَطْعُ طُولًا، فإنْ كان عَرْضًا فهو القَط. وقولُه «وبيضاءَ من نسجِ ابن داوُدَ» فإنَّهُ عَنَى به دِرْعًا، والمُرادُ تَعْدَادُ عُدَّتِه واحِدًا واحِدًا. أي أرهبتُهُمْ بدِرْعٍ نقيّةِ اللّونِ من الصَّدَأ داوُدِيَّةٍ واسِعَةٍ، اختَرْتُها من الملابِس يومَ اللّقاء. وإنّما قال «من نَسْجِ ابن دَاوُد» كما قال الآخرُ: [الطويل]

ونَسْـجُ سُـلَيْـمٍ كـلَّ قَـضَّـاءَ ذائِلِ[1]

وللعَرَبِ عَادةٌ معروفَةٌ في إقامَةِ الأبِ مَقامَ الابنِ، والابنِ مَقَامَ الأَبِ، وتسميةِ الشَّيءِ باسم غيره إذا كان من سَبَبِه. والأعلامُ لا يدخُلها المجازُ، ولكن تُستَعارُ إذا حَصل بها القصدُ وأُمِنَ معها اللبْسُ عند الذِّكر. وانتَصبَ الملابِس على المفعول، لأنَّ الفِعلَ بعد انحذافِ حرفِ الجرّ منه وَصلَ إليه فنصبه. وأصْلُهَا تَخيّرتُها يومَ اللّقاء من الملابِس. ومثله قولُه تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥]. والمُرادُ: اختار موسى من قومه، ومثلُ هذا من الحذف لا ينقاس.

٦ ـ وحِـرْمِـيَّـةٍ مَـنْـسُـوبَـةٍ وسَـلَاجِـمٍ خِفَافٍ تَرَى عَنْ حَدِّهَا السَّمّ قَالِسا

يريدُ: وبقَوْسٍ مُتَّخذَة من شَجَر الحِرْم، لها نَسَبٌ لجَوْدَتِها وعِتْقِ نجارِها، حتَّى يُقالُ فيها: مَلَكَها فلَانٌ، وورثَهَا فلانٌ، واتخذَها فلان، وهي القَوْس التي من شأنِها كَيْتَ وكيْتَ، وبِنِصالٍ طِوَالٍ خِفافٍ تَقْلِسُ حُدُودُها السّمَّ وتَرْشَحُهُ، لأنّها أُمْهِيَتْ به وشُرِّبَتْهُ. والقَلْسُ: القَيْءُ، يقالُ قَلَس قَلْسا، ثم يقال للدَّسْعَةِ تخرجُ إلى الفم القَلَسُ، بتحريك اللام. والسَّلَاجِمُ: الطِّوال، وأرادَ بها النَّبْلَ كما هِيَ، ويقال: حِرْمٌ وحَرَمٌ. وانتصَبَ قالِسًا على الحال للسّمّ، كأنّه قال: تَرَى السَّمَّ ذَا قَلْسٍ، أي مَمْجُوجًا بِهِ مُلْقًى من جوانِبِ حُدودِها.

٧ ـ فَمَا زِلْتُ حَتّى جَنَّنِي اللَّيلُ عَنهُمُ أُطَـرِّفُ عَـنِّـي فَـارِسًـا ثـم فَـارِسًـا

يُروَى «أطرِّف فُرسانًا وأُلحِقُ فارِسًا». يقول: لم أزَلْ بياض ذلك اليوم أدفعُ في جوانِبِ مَجَالِي وأطْرَافِ أرْضِي، الفارسَ بعد الفارِسِ، إلى أن تَغَشَّاني الظَّلامُ فَحالَ بيني وبينهم، وسترَ كلّا مِنّا عَنْ صَاحِبه. ومَعْنَى أطرِّفُ أجْعَلُهُ منّي في طَرَف، وموضِعُهُ من الإعْرَاب نَصْبٌ على أن يكون خَبَر ما زال. وأراد بقوله «فَارِسًا ثم فارِسًا»

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٦٤، واللسان (قضض، وذيل). وصدره:
«وكـلُّ صـمـوتٍ نـثـلـة تـبـعـيـة»

المداومةَ والاتِّصال. أي لم أَفْتُرْ عَنْ دِفاعِهِمْ وقْتًا واحِدًا بعد وَاحِدٍ. وهذا كما يُقال: جاءني بنو تميم واحدًا فواحدًا، أي تَوَالَوْا أَفْرَادًا. ومن رَوَى «أُطَرِّفُ فُرْسَانًا وأُلْحِقُ فَارِسًا» فالمعنى أَسُوقُ فُرسانًا وأَذُودهُمُ عَنّي، وقد أُلْحِقَ في الطَّرْدِ الواحد بَعدَ الواحد فأصيبُه.

٨ ـ ولا يَحْمَدُ القَوْمُ الكِرَامُ أخاهُمُ الْـ ـعَتِيدَ السِّلاحِ عَنهُمُ أَنْ يُمَارِسَا

هذا الكلَامُ تَبرُّؤٌ من التَحَمُّد بما فَعَلَ إلى الناس، وتَرْكٌ للتَّبَجُّح بالدِّفاع حينَ دافع، وإظهارٌ لأنَّ مَذْهَبَ الكرام ذلك وأنَّ الواجِب في اعتقادِهم أَلَّا يُحْمَدَ الواحدُ منهم إذا قاتلَ دُونَهم، أو مارسَ الشِّدَّةَ فيهم ولَهُمْ، مَتَى كان تامَّ السِّلاحِ، مُزَاحَ العِلَلِ، إذْ كان ذلك دَأْبَهُم ودينَهُمْ، وإذْ كان سبيلُه فيما يأتيه كمن يُؤَدِّي الفَرضَ الذي لا يحتمل التَّضجيع، والحَتْمَ الذي لا يَسُوغُ التجوُّز فيه والتأويلُ. وقَوله «عَنْهُم» يَتَعَلَّق بالعتِيدِ السِّلَاح، ولا يجوز أن يَتَعَلَّق بيمارِس، لأنَّه لو كان كذلك لكانَ في صِلَةِ أَنْ، فلم يجُزْ تَقَدُّمُهُ عليه. ويكونُ المعنى: أَخاهُمُ المُعِدَّ السِّلَاح عنهم، النائِبَ مَنابَهُمْ. ومعنى أَخاهُمْ الواحِد منهم، كما يقالُ: يا أخا بَكْرٍ أو تَميمٍ.

١٨٥ ـ وقال مُحْرِزُ بن المُكَعْبَرِ[١]: [البسيط]

١ ـ نَجَّى ابنَ نُعْمَانَ عَوْفًا من أَسِنَّتِنَا إِيغَالُهُ الرَّكْضَ لَمَّا شَالَتِ الْجِذَمُ

قال الخليلُ: الإيغالُ: الإمعانُ في السَّيْرِ مع دُخُولٍ فيما بين جِبالٍ أو في أرضِ العَدُوِّ. وقال غيره: هو الإسراعُ في إبْعَادٍ. يقولُ: أَنقَذَ هذا الرَّجُلَ من رماحِنا استعجالُهُ فرسَهُ، واستحثاله بالرَّكْضِ إيَّاهُ، لَمَّا رُفِعَتْ بَقَايَا السَّوْط تُخَوِّفُ بها الخَيْلُ، ويُسْتَدَرُّ منها العَدْوُ. وهذه إشارةٌ إلى وقت الانهزام وجِدِّ الطَّالِبين في اللَّحاقِ. والرَّكْضُ ينتصبُ على أنَّه مفعولٌ من الإيغال، كَمَا يُقَالُ: أَبْعَدَ السَّيرَ، وأَسْرَعَ السَّيرَ. ويجوز أن يكون مصدرًا موضِعِ الحال، كأنَّه قال إيغَالُه راكِضًا. وأُدْخِلَ الألف واللام على حَدِّ دخولِهما في قوله[٢]: [الوافر]

فَأَرْسَلَهَا العِرَاكَ

---

(١) التبريزي: «محرز بن المكعبر الضبي». شاعر جاهلي من بني ربيعة بن كعب من ضبة. (المرزباني ٤٠٥، والأعلام ٦: ١٧١).

(٢) للبيد في ديوانه ٨٦، واللسان (عرك). وأساس البلاغة (نغص)، وخزانة الأدب ٣: ١٩٢، وتمامه: =

و: [الطويل]

أَوْرَدَهَا التَّقْرِيبَ والشَّدَّ مَنْهَلا

وما أشبهه. وجِذْمُ كلِّ شيءٍ: أصْلُه؛ يقالُ: جذَمْتُ الشَّيء، إذا قطعتَهُ. والجِذْمةُ: القِطْعةُ من الحَبْل وغيرِه.

٢ ـ حَتَّى أَتَى عَلَمَ الدَّهْنا يُوَاعِسُهُ وَاللهُ يَعْلَمُ بِالصَّمَّانِ ما جَشِمُوا

الدَّهْنَا ببلاد تَمِيم. وقال الخليلُ: الدَّهْنا موضعٌ رَمْلٌ كُلُّه، والنَّسَبُ إليه دَهناوِيٌّ. ومعنى يُواعِسُه يَسيرُ في وعْسَائِه، وهي الرَّملةُ اللَّيِّنَةُ، والسَّير فيها يَصْعُب. ويقالُ: وَعَسْتُ المكانَ وَعسًا، إذا وَطِئْتَهُ وطْأً شديدًا، ويُسَمّى الأثَر الوَعْسَ. وسُمّيَ ضربٌ مِن سَيْرِ الإبل المُوَاعَسَةَ من هذا. وحقيقةُ قَوْله «يُوَاعِسُهُ» يُوَاعِسُ إليه أو فيه، أي يَمُدُّ سَيْرَهُ إليه وفيه. والصَّمَّانُ: الأرضُ الصُّلْبَةُ، واحِدَتُهُ صَمَّانَةٌ، وموضِعُ ما من قَوْلِهِ ما جَشِمُوا نَصْبٌ على المفعول مِن جَشِموا، فيقول: أوغَلَ الرَّكْضَ حتَّى بَلَغَ جِبالَ الدَّهْنا، مُوَاعِسًا في رَمْلِهِ، واللهُ يَعْلَمُ أيّ شيءٍ تَكَلَّفَهُ هو وأصحابُه من السّير في الصَّمَّان. وموضِعُ يواعِسُهُ نَصْبٌ على الحال، ويجوز أن يكون مَوْضِعُ ما مِنْ قَوْلِهِ ما جَشِمُوا نصْبًا على المفعول من فِعْل دَلَّ عليه، والله أعْلَمُ. ومِثْلُهُ في القرآن: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]. وقد تَقَدَّم القول فيه.

٣ ـ حتَّى انتَهَوْا لِمِياهِ الْجَوْفِ ظاهِرَةً مَا لَمْ تَسِرْ قَبْلَهُمْ عَادٌ ولا إرَمُ

الجوْفُ وادٍ. وظاهِرَةً انْتَصَبَ على أنّه ظَرْفٌ، ويقال: وَرَدَ الماءَ ظاهِرَة، إذ وَرَدَ نِصفَ النَّهار؛ واشتقاقُه من الظَّهيرة. وأظْهَرْنَا: صِرنا في الظَّهيرة: وقد جُعِل اسْمًا لهذا الظِّمْء. وقوله «ما لَمْ يَسِرْ» أراد سيرًا لم يَسِرْهُ قَبْلَهُمْ أحدٌ، أو انتهاءً لم يقدر عليه إنسانٌ. وعلى هذا يكونُ ما في موضع النَّصْب على أنّه مصدرٌ مما دَلّ عليه حتَّى انْتَهَوْا، وتلخيص الكلام: حتَّى ساروا إلى مياهِ هذا الوادِي نِصفَ النَّهارِ سَيْرًا لم يَسِرْ مِثْلَهُ واحِدَةٌ من هاتين الأمّتَين، والمعنى أنَّهم حَمَلَهم الرُّعْبُ الذي تَداخلَهم، والاجتهادُ في الخَلاص من الهزيمة المستولية عليهم، على أن يقطعوا ما بين المكانَيْن المذكورين في يَوْم وليلةٍ، لأنّهم كانوا في اليوم الأوّل بالصَّمان، وفي اليَوْم الثاني بالدَّهْنا، وذلك شاقٌّ مُسْتَبْعَدٌ وُقُوعُه.

= «فأرسلها العراكَ ولم يذدها ولم يشفق على نغص الرخال»

١٨٦ ـ وقال عامرُ بن شَقِيقٍ[١]: [الوافر]

١ ـ فإنَّكِ لو رَأيتِ ولَنْ تَرَيْه أكفَّ القَوْمِ تخرقُ بالقُنِينَا[٢]

يخاطِبُ امرأةً مُفَظِّعًا للشأن الذي مُنوا به، ومُهوِّلًا للأمرِ الذي دُفِعُوا إليه، فيقول: لو رأيتِ ولا أراكِ الله مِثْلَه مَشهَدَ القوم وأكُفُّهم تُخْرَقُ بالرِّماحِ لرأيتِ أمرًا هائلًا. وجوابُ لو محذوفٌ، كما يقال: لو رأيتَ زيدًا وفي يده السَّيف. وقد مرَّ القولُ في أن تَبقِيَةَ الإبهام في مثل هذا المكان بترك الجواب أبلغ في الإفهام. وقوله «ولَنْ تَرَيْهِ» دعاءٌ، وأكثرُ ما يقعُ الدُّعاءُ يقع بلا، وبِلَنْ يجيء قليلًا، تقولُ: لن يُبارِكَ اللهُ في كذا وتريدُ الدعاءَ، كما تقولُ لا بارَكَ الله. وفَسَّرَ قُطرُبٌ قولَ الله تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القَصَص: الآية ١٧] على أنَّهُ دعاءٌ. ويجوز أن يكون قولُه «ولَنْ تَرَيْهِ» إخبارًا بأنها وقد فاتَها رُؤية ذلك فيما مضى لا ترى مثله في المستأنَفِ فظاعةً وشَناعةً، وأنّ الخَطْبَ بلَغَ حَدًّا خَرَجَ به عن المعتاد المستجاز وقولُه «تُخْرَقُ بالقُنينا» أي تُثْقَب، ومنه خَرَقْتُ الأرضَ واخترقتُها، وريحٌ خَرِيقٌ. ويُرْوَى: «تَخْرُقُ» بفتح التاء وضمّ الراء، وله وجْهان: أحدُهما أن يكون من الخُرْقِ: ضدِّ الرِّفق، كأنّ الأكُفَّ كانت تَخْرُقُ في الطَّعْن ولا تَرْفُقُ، لشدَّة الأمر؛ وهذا حَسَنٌ. والثاني: أن يكون من الخَرْقِ، كأنها تُشقِّقُ بالطعنِ مُلتئم الأحوالِ ومتواصِلَها وتُمزِّقُها، كما قال: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سَبأ: الآية ١٩]. وهذا الوجه أغرَبُ ويكون المفعولُ محذوفًا، لأنّ الكلام يدلُّ عليه. ومن روى «تُخْرَقُ» فالمعنى تُنْظَمُ. وإن جعلْتَ الفِعْل للفاعل فرويتَ «تَخْرُقُ» جاز أيضًا على أن يكون المفعولُ محذوفًا، والمرادُ كأنها تَنْظِمُ مطعونينَ في شَدَّةٍ وَحَمْلَةٍ. والقُنِين: جمعٌ سالمٌ، وهو نادِرٌ، وأكثر ما يجيء مِثْلُه في المنقوص كَظُبَةٍ وظُبِين، وثُبَةٍ وثُبِين، كأنَّه يجعل هذا البناء في جَمْعِه جَبْرًا له مما نُقِصَ منه. ويجيء أيضًا كثيرًا في أسماء الدَّواهي، كالذُّرَبين، والأَقْوَرِين، والفُتَكْرِينَ؛ كأنه بلَغَ بها رتبةَ الناطقين تهويلًا. وقد حُكِيَ كَسْر القاف من القِنين وحينئذٍ يكونُ كَعَصًا وعِصِيٍّ، ويكونُ وَزْنُه فُعُولًا والنونُ بدلٌ من لامِ الفِعْل. ويُحْمَلُ على هذا الوجه سِنِينَ في جَمْع سَنَةٍ.

---

(١) التبريزي: «وقال عامر بن شقيق من بني كوز بن كعب بن بجالة بن زهر بن مالك».

(٢) روى التبريزي قبل هذا البيت:

«ألا حلَّتْ هنيدةُ بطنَ قَوٍّ بأقواعِ المصامة فالعيونا

قوّ: موضع، وأقواع: جمع قاع، والمصامة موضع».

٢ ـ بِذِي فِرْقَيْنِ يومَ بَنُو حُبَيْبٍ نُيُوبَهُمُ علينا يَحرِقُونا

قوله «بذي فرقين» يجوز أن يتعلّق بقوله لو رأيْتِ، ويجوز أن يتعلق بقوله تُخْرَقُ بالقُنِين، كذلك قولُه «يومَ بنو حُبَيْبٍ» يجوز أن يكون ظَرْفًا لكلّ واحدٍ من الفِعلين لأنهما ظَرْفان: أحدهما للمكان والآخر للزمان. وأضاف اليومَ إلى الكلمة التي بعدَهُ لأنّ الأزمنة تضافُ إلى الجُمَل من الابتداء والخبر، والفِعل والفاعل، تبيينًا لها. ويقال: هو يَحرِقُ أنيابَه، إذا حَكَّ بعضَها ببعضٍ تهديدًا. ويقالُ أيضًا: هو يَحرِقُ عليه الأُرَّم، ويَعلُكُ عليّ الأرَّم، أي يصرِفُ بأنيابه تغيُّظًا. وحَكَى فيه الأزَّم بالزاء أيضًا. والأزْمُ: العضُّ. ويقالُ حرَقَه بالمِبرَدِ، إذا بَرَدَه. وحَكَى أبو حاتم؛ فُلانٌ يَحرِقُ نابُه عليَّ، برفع الناب. قال: لأنه هو الذي يَحرِقُ. وبيتُ زهير يَشْهَدُ لذلك. وأنشد: [الطويل]

أَبَى الضَّيْمَ والنُّعمانُ يَحرِقُ نابُهُ عليه فأَفضَى والسُّيوفُ مَعاقِلُه[1]

٣ ـ كَفَاكِ النَّأْيُ مِمَّنْ لَمْ تَرَيْهِ ورَجَّيْتِ العَوَاقِبَ لِلبَنِينا

كأنه وَكَلَها إلى الاعتبار بعد ما فاتَها من مشاهدة الحال، ودَعاها إلى الاستدلال، والاكتفاء فيه بما آل إليه أمرُها في أعِزَّتِه مع غَيبَتِهم عنها. فيقول: أغناكِ بُعْدُكِ إذا نَظَرْتِ واعتَبرتِ عن الاستكشاف والسؤال، وإنْ تَلهَّفْتِ لما تُدْركيه من مساقِطِهم، ولم تُشارِفيه من مصارِعهم، وحالُكِ أنّكِ عَلّقْتِ رَجاءَكِ بالأولادِ، وبأن يُحسِنَ الله العُقْبَى لهم إذا بلغوا طَلَبَ الأوتار، ورأَوا السعيَ في دَرَكِ الثار، وقَطَعتِ طمعَكِ في الآباء ومَلَكَكِ اليَأسُ منهم. وقولُه «ورَجَّيْتِ» قد مَعَهُ مُضمرةٌ، لأنَّ الماضي بتقدير قد معه يقع موقع الحال. وضَعَّفَ عيْنَه للتكثير، كأنها كانت تكرِّر الرَّجاءَ وتُجَدِّدُه مع كلّ حادثةٍ، وعند كل مُهِمَّة.

١٨٧ ـ وقال أبو ثُمَامَةَ بن عارِمٍ[2]: [المتقارب]

١ ـ رَدَدْتُ لِضَبَّةَ أَمْوَاهَهَا وكَادَتْ بِلادُهُمُ تُسْتَلَبْ

يقول: اعتنَيتُ بضَبَّةَ، فأعَنتُها على مُجاذِبِها ومُنازِعِها، وحَفِظْتُ لها وعليها مياهَها وبِلادَها، ومراعيَها ومَرادَها، بعد أن شارَفوا التسليم والاستسلام، والمُلايَنَةَ

(١) لزهير في ديوانه ١٤٣.
(٢) التبريزي: «أبو ثمامة بن عازب الضبي، وقيل: ابن عارم، وقيل: ابن عازب».

والانقياد، حتى كادوا يُغلَبون عليها، ويُمنَعُون من حقوقِهم فيها، لما يَظهرُ على صفحات أحوالهم من التخاذُلِ، ويَبنُون أمورَهم عليه في التهاوُنِ والتَّواكُل.

٢ ـ بِبَكْرِ المَطِيِّ وإتْعَابِهِ وبالكُورِ أرْكَبُه والقَتَبْ(١)

الباء من قوله «بكرٍ» تَعلَّقَ بردَدتُ. ويُرْوَى: «بكَرْيِ المَطِيِّ»؛ وساغ الوجهان لأنَّ المصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل. ومُرَادُه أن يُبَيِّن كَيْفَ كانت نيابَتُهُ عنهم، ومُدافعته دُونهم، وكيفَ جاذَبَ أعداءَهُم وجادَلَ عنهم، حتى تَوَصَّلَ إلى قمعهم، ونزعِ أيديهم عَمَّا أَنْشَبُوهَا فيه من أملاكهم، وردُّهم دونَ ما سَوَّغُوهُ من اهتضامهم. والقَتَبُ أخفُّ من الكُور. وإنَّما ذَكَر هذه المراكب ليُبَيِّنَ تَطاوُلَ الأَمَدِ بينه وبينهم، وتَحَمُّلَ أنواعِ المشاقِّ اللاحقة في نزاعهم، وليدُلَّ على كثرة مناقلاتهم، واختلافِ التَّردُّدِ في مجالسهم وأماكنِهِمْ.

٣ ـ أُخَاصِمُهُمْ مرَّةً قائِمًا وأَجْثُو إذا ما جَثَوْا للرُّكَبْ

انتصبَ قائمًا على الحال؛ ونَبَّهَ بما أَوْرَدَهُ على امتداد المجاذبَةِ، وتكَرُّرِ المُحَاجَّةِ، وعلى اختلاف الهيئات وتَغَيُّرِ الأوقات، وكلُّ ذلك بحسب اشتداد سَوْرَة الخصام ولِينها؛ وأنَّهُ تَكفَّلَ بالأمر معهم تَكَفُّلَ من تَعَيَّنَ عليه الفَرضُ في مُرَادَّتِهِمْ، فابْتَذَلَ نَفْسَهُ معهم، ووطَّنها على مُصابَرَتهم، فإن قاموا قامَ معهم، وإن بركوا باراهُمْ في بُرُوكِهِمْ، لئلَّا يكونَ مُخِلًّا بِمِعْرَضٍ يخرجون فيه، أو تاركًا لشيءٍ من نَصَبهم. ويقال: جَثَا لرُكْبَتِهِ، إذا سَقطَ.

٤ ـ وإنْ مَنطِقٌ زَلَّ عن صَاحِبِي تَعَقَّبْتُ آخَرَ ذا مُعْتَقبْ

فَصلَ بَيْنَ إنْ والفِعْل بقوله «مَنْطِقٌ»، ولو ظَهَرَ تأثيرهُ بالجزم لم يَجُزْ ذلك فيه. وارتَفَعَ بِفِعْلٍ هذا الظاهر تفسيرُهُ. فإن قيل: فإنْ في أيِّ الفِعْلَيْنِ عَمِلَ؟ وهل تَقُولُ إنَّهُ عَمِلَ فيهما جميعًا؟ قُلْتَ: أمَّا عمله فيهما فغير سائغ، لأنَّ أداةً واحِدَةً لا تَجْزِمُ شرطين في حالةٍ واحدةٍ، لكنَّ الفِعْل المُضْمَرَ لما لم يَظهر صار في حُكم ما لم يُعتدَّ به، وإن كان الاسمُ يرتفع به، حتى صار التقدير: وإن زَلَّ مَنطِقٌ زَلَّ عن صاحبي. وقد رُوِي «تَعقَّبْتُ» و«تَعرَقَبْتُ»، ومعنى تعقَّبْتُ تتبَّعْتُ وطلَبْتُ عَقْبَه؛ ومثله اعتقَبْتُ. وقيل: المُعتقَبُ أَخْذُ عُقبَةِ الشيءِ، وهي آخِرُهُ. ومعنى تَعرقَبْتُ: عَدَلْتُ عنه وأخَذْتُ في

(١) التبريزي: «وإتباعه».

غيرِهِ. ويقال: تعرقبتُ الفَرَسَ، إذا رَكِبْتَها من خَلْفِها. وعراقيبُ الأمور: التباساتُها وطَلَبُ الحِيَلِ والْحُجَجِ فيها، وأُنشِدْتُ: [الوافر]

فلا يَغْدَمْكَ عُرْقوبٌ لِلأْيٍ إذا لم يُعْطِكَ النِّصْفَ الْخَصِيمُ(١)

والمعنى: لا يَعْدَمْكَ حِيلَةٌ لالتواءِ خَصْمٍ عليك. وقال آخرُ: [الرجز]

إذا حَبَا قُفٌّ لَهُ تَعَرْقَبَا

أي عَدَلَ عنه فالتَوَى. ومِثْلُ تعقَّبتُ في إفادَتِه طلَبْتُ عَقْبَهُ وعُقباهُ: تفقدْتُ الشيءَ وتَعَهَّدْتُه؛ لأن المعنى طلبْتُ فَقْدَهُ وعَهْدَه، أي نَظَرْتُ هل فقدتُه وهل بَقِيَ على عَهدِهِ. ومعنى البيت: إن بَدَرَتْ من واحِدٍ منهم كلمةٌ لم يوفَّقْ فيها للصواب، أو خِفْتُ عَوْدَها بغيرِ صَلاحٍ عَدَلْتُ عنها وطلَبْتُ مكانَها أُخرى ذاتَ مُتتبَّعٍ، فأَعقَبْتُها بها.

٥ ـ أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ في رِخْوَةٍ فكيفَ الفِرارُ إذا ما اقتَرَبْ

قولُه في «رِخْوَةٍ» أي تَراخِيه. وهو رِخْوٌ، أي مُستَرْخٍ. كأنه أرادَ: أهرُبُ منه ما لم يتشدَّدْ. ونَبَّه بهذا الكلام على أنه يَتفادَى من الشَّرِ ما أمكن، وأنَّه لا يَستعمِلُ البَغْيَ ولا يبتدىء الخَصْمَ، فإن جاء منه ما لا مَعدِلَ عن اقتحامِه ورُكوب البلوَى فيه، ولا مُعَوَّلَ إلا على الصَّبرِ على شدائدِهِ وتَوَسُّط الأذَى العارض له خاضَهُ مُتلقِّيًا لمكارِهِهِ بعُدَّته، مُجَاذِبًا للمنازِعين بأقصَى ما في طوقِه وقوَّتِه، إلى أن يتحصَّلَ له الفَلَجُ والظَّفَرُ، أو يَتحصَّنَ عن لَوْمِ اللائمين بما يُقيمُه من العُذْرِ في المُجاهدةِ والتثبُّت. ومثلُه قول هُدْبَةَ بن خَشْرَم: [الطويل]

ولا أَتَمَنَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تارِكِي ولكنْ متى أُحْمَل على الشَّرِّ أَرْكَبِ(٢)

١٨٨ ـ وقَالَ أَبو ثُمامَةَ أَيْضًا: [الوافر]

١ ـ قُلْتُ لِمُحْرِزٍ لَمَّا الْتَقَيْنَا تَنَكَّبْ لا يُقَطِّرْكَ الزِّحَامُ

نَكَّبَ وتنَكَّبَ بمعنًى واحدٍ. ويقول هو أنكَبُ عن الحَقِّ، ومنه الرِّيح النَّكْباءُ، لعُدُولها عن مهابِّ الرِّياح الأربع. وهذا الكلام تهكُّمٌ واستهزاء، كأنَّه يرميه بأنَّه لم

(١) بلا نسبة في اللسان (عرقب، ودلل)، وتهذيب اللغة ٣: ٢٩١.
(٢) البيت عند التبريزي ١: ٤١٠.

يُباشِر الشَّدائد، ولم يُدفَع إلى مضايِق المجامع. فيقول: انحرِفْ مُتماسِكًا لا يُسقِطْك تزاحُم الناس. والتَّقطير: الإلقاء على أحد القُطْرين، وهما الجانبان، وكأنَّه يَخاف عليه أن يُداس بالقوائم، كما يُخاف على الصِّبيان والنِّساء، لقلَّة غَنائِه، وضَعْف ثباتِه. وهذا في بابه أبْلَغ ما مَرَّ بي. وفي طريقته قول حَجْلِ بن نَضْلَةَ: [السريع]

جَـاءَ شَـقِـيـقٌ عـارِضًـا رُمْـحَـهُ ... إنّ بـنـي عَـمِّـك فـيـهِـمْ رِمَـاحْ

وقول سَبْرَةَ بن عَمْرٍو الفَقْعَسِيّ: [الكامل]

لَا شيءَ يَعْدِلُهَا ولكنْ دُونَها ... خَرْطُ القَتَادِ تَهَاب شوكَتَها اليَدُ

وفي هذا تعريضٌ أَيْضًا. ومن التَّعريض ما أُنشِدتُه عن اليَزِيدي قال: أنشدني الأصمَعِيُّ: [الوافر]

فَـدَعْ شَـوْكَ الـسَّـيَـال فـلا تَـطَـأْهُ ... وخُضْ إنْ خُضْتَ ماءً غير غَمْرِ

وقول الآخر: [المتقارب]

فـأَرْضَـكَ أَرْضَـكَ إنْ تَـأْتِـنَـا ... تَـنَـمْ نَـوْمـةً لـيس فـيـهـا حُـلُـمْ

٢ ـ أَتَـسْـأَلُنِـي الـسَّـوِيَّـةَ وَسْـطَ زَيْـدٍ ... أَلَا إنَّ الـسَّـوِيَّـةَ أن تُـضَـامُـوا

يُخاطِبُهُ مُقَرِّرًا ومتوعِّدًا. والتقرير بألف الاستفهام ولا حرفَ نَفْيٍ مَعَهُ يكون فيما لا يُثْبَتُ ولا يُسْتَجَازُ كَوْنُهُ. والسَّوِيَّةُ: الإنْصَافُ؛ وهي من الاستِوَاءِ كالجَرِيمةِ والدَّنِيَّةِ والخطيئة. وزَيْدٌ: قَبِيلة المُخاطَب. فيقول على وجه الإنكار والهُزء: أَتَسْأَلُ إنصافَكَ وأَنت وسطَ رَهطِك وفيما بين عشيرتك ومحلِّ عِزِّكَ. ثم قال: إنَّ من السَّوِيَّةِ اهتضامَكُمْ وضَيْمَكُم، وهذا من باب إبدالِ الشيءِ من الشَّيء. كقول الآخر: [الوافر]

تَـحِـيَّـةُ بَـيْـنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ(١)

والضَّرْبُ لا يكون تحيَّةً. والمعنى: أنَّهم يُعْطَون بَدَلَ الإنصافِ الظُّلْم، لأنَّهم لا يَستحقُّون غَيرَهُ، ولأنَّ النَّصَفَةَ لا تُصْلِحُهُم ولا توافِقُهُم.

---

(١) لعمرو بن معدي كرب في الخزانة ٤: ٥٣. وصدره:
«وخَـيْـلٍ دلـفـت لـهـا بـخـيـلٍ»

٣ ـ فَجَارُكَ عند بَيْتِكَ لَحْمُ ظَبْيٍ   وجَارِي عِنْدَ بَيْتِي لا يُرَامُ

يَصِفُهُم بسُوءِ الوفاء، وقلّة المحافظة على عَقْدِ الجِوار، فيقول: جارُكَ كالصَّيْدِ لمن يَطْلُبُهُ، وبِعَرَضِ الأكل والاستباحة لمن يريدُهُ، وهذا وهو في فنائِكَ، وغيرُ مُفَارِقٍ لدارِكَ، لضَعْفِ حِشمتك وسقوطِ هِمَّتِكَ، واستسخاف النَّاس لِقَدْرِكَ ووزنِكَ؛ وجَارِي لا يُطْلَبُ ولا يُطْمَعُ فيه لتَحصُّن مكانِهِ في فِنائي، وتعزُّزِهِ بي، ما دَامَ مُتَمَسِّكًا بحَبْلِي، أو مُعْتَصِمًا بحِلْفِي. وإنما قال ذلك لأنَّ النِّزاع بينهما كان بسبب جارٍ. وإضافَةَ اللَّحْم إلى الظَّبْي في نهاية الموافقة للمعنى الذي يَقْصِدُهُ، والغَرَضِ الذي كان يَرْمِيه. وقد جاء اللَّحْمُ غَيْرَ مُضَافٍ إلى اسم الصَّيد في الكناية عن الذُّلِّ والاهتضام. على هذا قَوْلُهُم: هُوَ لَحْمٌ مُوَضَّعٌ، وهو لَحْمٌ على وَضَمٍ. وقد استُعْمِل الشَّحْمُ في مثل ذلك، على هذا قولُه: [الطويل]

لِمَنْ كُنْتُ فِيهِ شَحْمُهُ وأطايبُهْ

وقولُ الآخر: [الطويل]

فَلَا تَحْسَبَنِّي يا ابْنَ أُزْنَمَ شَحْمَةً   تَزَرَّدَهَا طَاهِي شِوَاءٍ مُلَهْوَجِ

وقد قال آخر سالكًا هذه الطريقة في الكناية: [المتقارب]

ولَسْتُ خَلَاةً لِمَنْ أَوْعَدَنْ[1]

وقالوا في الذَّليلِ: هو فَقْعٌ، وهو فَقْعٌ بِقَرْقَرٍ، وهو بَيْضَةُ البَلَد.

١٨٩ ـ وقال عبدُ الله بن عَنَمَة[2]: [البسيط]

١ ـ أَبلِغْ بَنِي الحارثِ المَرْجُوِّ نَصْرُهُمْ   والدَّهْرُ يُحْدِثُ بَعْدَ المِرَّةِ الحَالَا

قَوْلُهُ «والدَّهْرُ يُحْدِثُ» اعتِرَاضٌ حَصَلَ بينَ أَبْلِغْ بني الحَرثِ وبين مفعولِه الثاني: وهو قَوْلُه، «إِنَّا تَرَكْنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلًا».

(١) للأعشى في ديوانه ٧٥، واللسان (خلا)، وكتاب العين ٤: ٣٠٧. وصدره:
«وحولي بكر وأشياعها»

(٢) التبريزي: «عبد الله بن عنمة الضبي، وهو من بني غيظ بن السيد». شاعر إسلامي شهد القادسية، ترجمته في الإصابة ٦٣٣٨، وخزانة البغدادي ٣: ٥٨٠.

ومِثْلُهُ مِمَّا قد دَخَلَ الاعتِراضُ بينَهُ وبين المفعول قول أبي النَّجْمِ: [الرجز]

وبُــدِّلَتْ والــدَّهــرُ ذو تَــبَــدُّلِ هَيْفًا دَبُورًا بالصَّبَا والشَّمْأَلِ(١)

وفي القرآن قوله عَزَّ وجَلّ: ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ٧٣]، لأنَّ قَولَهُ يا ليتني مفعولُ لِيَقُولَنَّ، وكأنْ لم يَكُن اعْتِرَاضٌ. وكذلك الدَّهْرُ ذو تَبدُّلِ اعتِراضٌ. وقولُه «المَرْجُوَّ نَصْرُهُمْ» فيه تَعْبِيرٌ وتَقْرِيعٌ كما أنَّه في قولِهِ «والدهرُ يُحْدِثُ بعد المِرَّةِ الحَالَا» هُزْؤٌ وسُخْرِيٌّ. وهؤلاء القوم كانوا تَركوا عشيرتَهم وانتقلوا عنهم لِلَوْثَةٍ حَصَلَتْ بينهم إلى بني الحارث طَمَعًا في نَيْلِ مَا يَفُوتُهُمْ مِنْهُمْ من جِهَتِهم، فَلَمَّا لم يجدوهم عند الظَّنِّ بِهِمْ تَنَدَّمُوا، فأخذَ هذا الشاعرُ منهم يَرْمِي بهذا الكلام مُعَيِّرًا ومُتَلَهِّفًا، فيقولُ: أَبلِغْ هؤلاءِ القَومَ الذين رُجِيَ مَعُونتُهم وطُمِع في نُصْرَتِهم وذَبِّهم ـ والدَّهْرُ ذو غِيَرٍ وتَلَوُّنٍ، فيتعقَّبُ فيه الشِدَّةَ لِينٌ، والقُوَّةَ ضَعْفٌ، والعِزَّةَ ذلٌّ ـ رِسالتِي إليهم. وإنما تُبَيِّن من قولِه الحالَ، وإن كان واحِدَ الأحْوال، الضَّعْفُ، والمعنى الذي ذَكَرْتُهُ لقَولِهِ يُحْدِثُ بَعْدَ المِرَّةِ. وحَكَى بَعْضُهم أنَّ هذا كما يُقال تَرَكْتُهُ بحالٍ، للمُشْرِف على الشَّرِّ أو الهلاكِ، والمراد بِحالِ سَوْءٍ، فكذلك هنا يُريدُ والدَّهْرُ يُحْدِثُ الحَالَةَ المُنْكَرَةَ بعد المِرَّة. وقيل أيضًا الحال: التُّرَابُ اللَّيِّنُ والحَمْأَة، فاسْتَعَارَهُ للضَّعْفِ واللِّينِ.

٢ ـ أَنَّا تَرَكْنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلَا عِزًّا عَزِيزًا وَأَعْمَامًا وَأَخْوَالَا

يَقُولُ: أَدِّ إليهم أَنَّا بِمُفَارَقَةِ قَوْمِنَا تَرَكْنَا أقارِبَ من جهة الآباء والأمّهات، متناصِرَةً على دِفاعِ حوادِثِ الدَّهْرِ متعاوِنَةً، وظَهْرًا ظَهِيرًا، وعِزًّا مُتَنَاهِيًا قَوِيًا، ولم نَعْتَضْ مِنْهُمْ ما فيه طائِلٌ. قولُه «وأعْمَامًا وأخْوَالًا» أي تَرَكْنَاهُم وهم من البِرِّ والشفَقَة على ما يكونُ عليه الأعْمَامُ والأخْوَال، وفيما يُرْجَى من الوُفُورِ بهم والتَّأْيِيدِ بمكانِهِمْ. وقولُه «عِزًّا عزيزًا»، من شأنِهِم أن يَشْتَقُّوا من لَفْظ الشيءِ الذي يُرِيدُون المُبالغةَ في وصفِهِ بِنَاءً يُتْبِعُونَهُ به تأكيدًا وتَنْبِيهًا على تَنَاهِيهِ في مَعْنَاهُ. على ذلك قولُهُمْ: ظِلٌّ ظَلِيلٌ، وداهِيَةٌ دَهْيَاءُ، وشِعْرٌ شَاعِرٌ.

---

(١) لأبي النجم في خزانة الأدب ٢: ٣٩١، والطرائف الأدبية ٥٨، وبلا نسبة في اللسان (بدل).

٣ ـ قد كُنتُ آخُذُ حَقِّي غَيرَ مُهتَضَمٍ وَسْطَ الرِّبَابِ إذَا الوادِي بِهِم سَالَا

هذا الكلامُ توجُّعٌ وتَلَهُّفٌ في إثرِ ما فَاتَهُ من قومِهِ، بما حَصَلَ من فسادِ ذاتِ بينهِم، حتَّى صاروا إلى التَّبايُن، والتمايُز بالأبدَانِ والتَهاجُر. فيقول: كُنتُ أتقاضَى بحُقُوقي بين ظَهرَانَيهم فأقتضيها وأستوفيها غير مهضُوم ولا مَهِينٍ إذا جاؤوا مُختَفِلِينَ تمتلىء منهم الطُّرُق والفِجَاجُ، وتَسِيلُ بِهِم المَذَانِبُ والتِّلَاعُ. ومِثْلُ قولِهِ «إذا الوادي بِهِم سَالَا» قولُ الآخَرِ: [الطويل]

وسَالَتْ بأعنَاقِ المَطِيِّ الأبَاطِحُ(١)

٤ ـ لا تَجعَلُونَا إلى مَولًى يَحُلُّ بِنَا عَقْدَ الحِزَامِ إذا ما لِبْدُهُ مَالَا

المَولَى في البيتِ: النَّاصِرُ أو الوَلِيُّ لا غَيْرُ. وكأنّه أقبَلَ على قومِهِ يستعطِفُهُم، ويشكُو إليهم ما لَاقَوهُ من غَيرِهِم. فيقولُ: تَلَافَوْا أمْرَنَا ولا تَكلوهُ إلى ناصِرٍ يُؤثِرُ صلاحَ حالِهِ وإنْ فَسَدَ حَالُنَا، ويَرُومُ انتعاشَهُ وإن سَقَطْنَا، ويُسَوِّي لِبْدَهُ إذا اعْوَجّ وزَالَ عن مَقَرِّه بِنا. وهذا تَعْرِيضٌ لمن كانوا انتقلوا إليهم. كأنهم كانوا يُهِمُّهم ما يختصُّ بأنْفُسِهِمْ، ثم لا يَحفِلُونَ بما يَختَلُّ من شَأنِ هؤلاءِ أو يَنحَلُّ من عَقْدِهم.

وفي هذه الطريقة قول الآخر: [المتقارب]

وكُنَّا فَوَارِسَ يَومَ الهَرِيرِ إذا مَالَ سَرْجُكَ فاستَقْدَمَا(٢)

وأفْصَحُ من هذا قول ابنِ أحمر: [الوافر]

فَإمَّا زَالَ سَرْجٌ عَنْ مَعَدٍّ وأجْدِرْ بالحوادِثِ أنْ تَكُونَا(٣)

١٩٠ ـ وقال ابن عَنَمَةَ أيضًا: [البسيط]

١ ـ مَا إنْ تَرَى السَّيدُ زَيدًا في نُفُوسِهِمُ كَمَا يَرَاهُ بَنُو كُوزٍ ومَرْهُوبُ

السِّيدُ: قَبِيلَة، وكذلك كُوزٌ ومَرْهُوبٌ. وقولُه «ما إنْ» إنْ زِيدَتْ لتأكيد النَّفي. وذَكَرَ سِيبَوَيْهِ أنَّ ما الحجازيَّةَ إذا قُرِنَ بإنْ هذه يَبطل عملُه، يقولُ: بنو السِّيدِ لا

(١) لكُثَيِّر عَزَّة في ملحق ديوانه ٥٢٥، وزهر الآداب ٣٤٩، وبلا نسبة في اللسان (طرف). وصدره: «أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا»
(٢) للربيع بن زياد العبسي في الحماسية (١٦٣).
(٣) لابن أحمر في ديوانه ١٦١، واللسان (معد)، وجمهرة اللغة ٦٦٥.

يَقْسِمُونَ لِزَيدٍ من التعظيم، ولا يُوجِبُونَ له في نُفُوسِهم من الحُرْمَةِ والتَّبْجِيل، ما يُوجبُهُ ويقْسِمُهُ بَنُو كُوز ومَرْهُوبٌ. والضَّمِيرُ على هذا من قوله «في نُفُوسِهِم» يكونُ للسِّيدِ. ولا يمتنِعُ أن يكونَ الضَّميرُ لِزَيدٍ لأنه قَبيلةٌ أيْضًا. وهذا كَمَا يُقَالُ: لَكَ في نَفْسِكَ حَقٌّ ومَنزِلَةٌ. كأنّ زَيْدًا كان له إذا راجع نَفْسَهُ من التَّوجيهِ والإذلال، والتَّخَصُّص والاعتزاز في بني كوزٍ ومَرْهُوبٍ، ما لا يكادُ يَجِدُهُ في بني السِّيد.

٢ ـ إنْ تَسألُوا الحَقَّ نُعْطِ الحَقَّ سائِلَهُ والدِّرْعُ مُحْقَبَةٌ والسَّيفُ مَقْرُوب

يقول: إنْ وقَفْتُم عندما يَثْبت من حَقِّكم، ورضيتم بما لا نَجْحَدُهُ من واجِبِكُم، ولم يُخَيَّلْ إليكم أنَّ طَلَبَ ما فَوْقَه أعْوَدُ عليكم، خَرجْنا منه إليكم من غيرِ إباءٍ ولا امتناعٍ، ولا اهتِيَاجِ حَرْبٍ أو إعْمَالِ سِلَاحٍ. وقولُه «والدِّرْعُ مُحْقَبَةٌ» أي مشدودةٌ في الحقائبِ، لأنَّه أرادَ بالدِّرْعِ الجِنس. والاحتقاب والاستحقاب: شَدُّ الحقيبة من خَلْفٍ. وكذلك قولُهُ «والسَّيْفُ مَقْرُوبُ» أي متروكةٌ في قُرُبِها؛ لأنَّه أرادَ السُّيُوف. ويقال: قَرَبْتُ السَّيْفَ وأقربْتُهُ، وغَمَدتُه وأَغْمَدتُه. وقال أبو زيدٍ: القِرَابُ: غِشاءٌ يكون السَّيفُ مُغْمَدًا فيه. واحتَجَّ بقوله: [البسيط]

يَا رَبَّةَ البَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّي إليكِ رِحَالَ القومِ والقُرُبا[1]

٣ ـ وإنْ أبَيْتُمْ فإنَّا مَعْشَرٌ أُنُفٌ لا نَطْعَمُ الخَسْفَ إنَّ السَّمَّ مَشْرُوبُ

يقول: إنْ عدوتُم طَوْرَكُمْ، وتجاوزتُم في الطَّلب حَقَّكُم إلى ما ليس لكُم، فإنَّ أَنَفَتَنا تمنعُ من احتمالِكُم، والتزام شهوتِكُمْ، وحَمِيَّتَنا تأبى الرِّضا بالتَّحكم، والصَّبَر على الاقتسار والتَهَضُّم، فلا نَطْعَمُ الخَسْفَ وإن شَرِبنا السَّمَّ. والخَسْفُ: أن يحمِّلكَ إنسانٌ ما تكْرَهُهُ. ومن الصَّنعة الحسنةِ مقابَلَته الطَّعْمَ بالشُّرْبِ، واستعارتُه إيَّاهما في تَجرُّعِ الغُصَّةِ، وتوطين النَّفسِ على المَشَقَّةِ، عند إزالة المَذَلَّةِ، وردّ الكريهة. وأُنُفٌ: جمع أَنُوفٍ. والمَعْشَرُ: الجماعة أمرُهُم واحِدٌ، ويقال: جاء القَوْمُ مَعْشَرَ مَعْشَرَ، أي عَشَرةً عَشَرةً.

٤ ـ فَازْجُرْ حِمَارَكَ لا يَرْتَعْ بِرَوْضَتِنَا إذًا يُرَدُّ وقَيْدُ العَيْرِ مَكْرُوبُ[2]

(١) لمرة بن محكان في الحماسية (٦٧٥).
(٢) التبريزي: «وجعل الحمار كناية عن الأذى، والعرب تُكني بالحمار والعير في أنحاء الكلام».

هذا مَثَلٌ. والمعنى: انقَبِضْ عَنِ التَعَرُّض لنا، والدُّخول في حُرمتِنا، ورَعْيِ سَوَامِك روضتنا؛ فإنَّكَ إن لم تَفْعَلْ ذلكَ ذَمَمْتَ عاقبةَ أمرِك، وعُدْتَ خاسِرَ الصَّفقةِ وخيمَ الرِّتْعَةِ. جَعَلَ إرسالَ الحِمارِ في حِماهُمْ كِنايَةً عن التَّحكُّكِ بهم، والتَّعَرُّضِ لمساءَتِهم. ولا حِمَارَ ثَمَّ ولا رَوْضَ. وقال ابن الأعرابيّ: أراد اكْفُفْ لِسانكَ. قولُه «إذًا» قال سيبويه: هو جوابٌ وجزاءٌ، فالابتداء الذي هو جَزَاؤُه محذوفٌ مُستَدَلٌّ عليه مما في كلامِهِ، كأنَّهُ قال فإنَّهُ إن رَتَعَ رَجَعَ إليك وقد ضُيِّقَ قَيْدُهُ، أي مُلِئَ قَيْدُهُ فَتْلًا حَتى لا يَمْشِيَ إلَّا بِتَعَبٍ، كأنَّهُ يضرَبُ أو يُسْتَعْمَلُ حتى يَرِمَ جِسْمُه ويؤدّي الوَجَع منه إلى موضِعِ حَافِرِهِ فيضيق عليه القَيْدُ.

٥ ـ إنْ تَدْعُ زَيْدٌ بَني ذُهْلٍ لِمَغْضَبَةٍ نَغْضَبْ لِزُرْعَةَ إنّ الفَضْلَ مَحْسُوبُ

يقول: إن غَضِبَ بنو ذُهْلٍ لِزَيْدٍ وامْتَعَضُوا من ضَيْمٍ يَرْكَبُها، وأغاثُوها إذا استجارَتْ بهم، غَضِبْنَا لِزُرْعَةَ، وانْتَقَمْنا له ممَّن يهتضِمُهُ، إنَّ الفَضْلَ معدود. فالمعنى: إنَّه لا فَضْلَ لكم عَلينا فقد عددنا مالَكم، فلم نَجِدْ زيادَةً لكم، ولا استظهارًا يوجِبُ لكم التَعَلّيَ والتَّغلُّب. وإذا كان الأمر بيننا على التساوي فلا استبداد ولا احتكام. ويُروَى: «إنَّ القِبْصَ مَحْسُوبٌ»، وهو العَدَدُ الكثير، ويكون الكلام مَثَلًا. ويقال إنَّهم لفي قِبْص العَدَدِ وفي قِبْصِ الحَصَى، أي في أكثر ما يُستطاع عَدَدُهُ من كَثْرَتِهِ، والمرَادُ: إنّ الأعداد الكثيرة تُضبَطُ وتُحصَرُ، فكيْفَ ما بيننا من تَفاوُتٍ وتَفَاضُلٍ، أو تَسَاوٍ وتعادُلٍ.

٦ ـ ولا يَكُونَنْ كَمُجْرَى دَاحِسٍ لَكُمُ في غَطَفَانَ غَدَاةَ الشِّعْبِ عُرقُوبُ

كان التَّنازُعُ بينهم في رِهانٍ وقَعَ على عُرْقُوبٍ، وهو فَرَسٌ لهم. فيقول: لا يكُونَنْ جَرْيُ عُرْقوبٍ عليكم في الشُّؤم كجَرْيِ داحسٍ في غَطَفان غَدَاةَ شِعْب الحَيْسِ. فقوله «عُرْقوب» ارتفع على أنَّهُ اسمٌ لا يكونَن، وقد حَذَفَ المُضافَ وأقامَ المضافَ إليه مَقَامَه، لأنَّ المراد: ولا يكونَنْ مَجرَى عُرْقوبٍ كمَجْرَى داحسٍ. وقولُه «غَدَاةَ الشِّعب» ظَرْفٌ لقوله كمُجْرَى. وجعَل النَّهْيَ في اللّفظ لعُرْقوبٍ وهو في المعنى لهم. حَذرَهُم استعمالَ اللَّجَاج لئلا يتأدَّى الأمرُ إلى مثل ما تأدّى في رِهانِ داحسٍ والغبْراء. ومثْلُ هذا من النَّهْيِ قولهم: لا أَرَيَنَّكَ هٰهنا.

١٩١ ـ وقال الأخضر بن هُبَيرةَ[1]: [الطويل]

١ ـ أَلَا أيُّهـذَا النابحُ السِّيدَ إنَّني ... على نَأْيِها مُستَبْسِلٌ من ورائها

وَصْفُ أيٍّ بذا غيرُ جارٍ على سَنَن ما يُجلَبُ له الصِّفاتُ، لأنَّ الصِّفةَ شرحُ الكلامِ وتبيينُه، ومُزيلُ اللَّبْسِ عنهُ، وإذا كانَ أيٌّ وذا مُبهميْنِ فالانشراح غير حاصلٍ بهما، لكنَّهُ لمّا كان المُعوَّل على ما يَتْبَعهُ من المُعرَّفِ بالألف واللام صار ذا كأنّه لا اعتدادَ به في الشَّرحِ. فيقول: أيها المتعرِّض لبني السِّيدِ والمُتنقِّصُ لهم، والناحِتُ أَثْلَتَهُم، إنني على بُعْدِها منِّي مُدافعٌ عنها وذابٌّ، مع تغيُّبهم دُونها قضاءً لحقِّ الشَّرَفِ، وذَهابًا مع النَّصَفةِ. ويقال: بَسَلَ واستَبْسَلَ وتَبَسَّلَ بمعنًى. وقال الخليل: استَبْسَلَ الرَّجُل، إذا وطَّنَ نفسَه على الموت واستَيْقَنَ به. وقد استعار أبو ذُؤَيبٍ النُّبَاحَ للتعرُّضِ والإيذاء، كما فعَل هذا، فقال: [الطويل]

ولا هَرَّها كَلْبِي لِيُبْعِدَ نَفْرَها ... ولو نَبَحَتْنِي بالشَّكَاةِ كِلابُها

وقولُه «على نَأْيِها» موضِعُه نَصْبٌ على الحال، لأنّ المعنى أَستبسِلُ من ورائها بعيدةً.

٢ ـ دَعِ السِّيدَ إنَّ السِّيدَ كانَتْ قَبِيلَةً ... تُقَاتِلُ يَوْمَ الرَّوْعِ دون نِسَائِهَا

يقول: اتْرُكْ ذكر هؤلاء القَوْم ولا تَطْلُبْ عَيْبهم، فإنَّها قبيلةٌ ذاتُ أَنَفٍ وإباءٍ، فما لَحِقَهم منذ كانوا عارٌ في حُرْمَةٍ، ولا أصابَهُم سِبَاءٌ عند غارة، بل كانت تَحْفَظُ على عِلّاتِها نِسَاءَها، وتَبْتَذِلُ عند الفزع مَصُوناتِ نُفُوسها، وهذا تَعْرِيضٌ بالمُخاطَبين وأنَّهم بخلاف ذلك.

٣ ـ عَلَى ذَاكَ وَدُّوا أَنَّني في رَكِيَّةٍ ... تُجَذُّ قُوَى أَسْبَابِها دُونَ مَائِهَا

ذَاكَ من مِثْل هذا الموضع لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ ولا يُؤَنَّثُ، ويُشار به إلى المُقْتَصِّ من الحال. يقول: وعلى ما ذَكرتُه فيهم، ومَعَ مُحافَظتِي على ما يَجِبُ عَلَيَّ لهم، ليسوا إليَّ بأوِدّاءَ، بل يتمنَّون أني في بِئْرٍ تُقْطَع طاقاتُ حِبالها دونَ الوصول إلى مائِها لبُعْدِ قَعْرِهَا. وهذا الكلام إعلامٌ بأن تَعَصُّبه لهم، ليس عن مُصادقةٍ بينهم توجب إعارةَ الشَّهادة فيهم، أو مواخاةٌ تؤلِّفُهُم وتَعْطِفُ أواصرَهُم عليهم، لكنَّه رأى حَقًّا فقاله،

---

(١) التبريزي: «وقال الفضل بن الأخضر بن هبيرة الضبي، قال أبو هلال: هو للأخضر بن هبيرة بن المنذر بن ضرار».

وتَحمَّل صِدقًا فأدّاهُ. وقوله «دون مائها في موضع الحالِ لأنّ دونَ للقاصر عن الشَّيء. والتقدير: تُجذُ القُوَى قاصِرَةً عن الماء.

١٩٢ ـ وقال سِنانُ بن الفَحِلِ[١]: [الوافر]

١ ـ وَقـالُوا قَـدْ جُـنِـنْـتَ فَـقُـلْتُ كَـلّا وَرَبِّـي مـا جُـنِـنْـتُ ولا انْـتَشَـيْـتُ

كانَ الواجِبُ أن يَقُول قالُوا جُنِنْتَ أو سَكِرْتَ، فاكتفَى بذكر أحدِهِمَا لأنَّ النفي الذي يَتَعَقَّبُ في الجوابِ يَنْظِمهما. ومِثْلُ هذا قول الآخر: [الوافر]

فَـمَـا أَدْرِي إذا يَـمَّـمْـتُ وَجْـهًـا أُرِيـدُ الـخَـيْـرَ أَيُّـهُـمـا يَـلِـيـنـي[٢]

لأنَّ المُرادَ أريدُ الخَيرَ وأتجنَّبُ الشَّرَّ أيُّهُمَا يليني، فاكتفَى بذكر أحَدِهِما لأنّ ما بعده يُبَيِّنُهُمَا: ولِكَلّا موضعان: أحدُهما أن يكون للرَّدْعِ والزَّجرِ، وحينئذٍ يصحُّ الاكتفاء به والوَقْفُ عليه. والثاني أن يكون للتنبيه كألَا، وحينئذٍ يحتاج ما بَعْدَهُ إلى ما يتم به. وسيبويه قَصَرَ تفسيره على أنّه للرَّدْع والزَّجر. والشَّاعرُ أراد قال النَّاس فِيَّ لمَّا أظهرْتُ إنكاري، وتشدّدت في إبائي، وتَحفظْتُ عندما عُرِضَ وجُشِّمَ، واستنكَفتُ مِمَّا سِيمَ وكُنِّفَ: إنَّه قد جُنَّ أو سَكِر. فزجَرْتُهم وردعتهم، وحَلفتُ بالله نافيًا لما نُسِبْتُ إليه ووُسِمتُ به من الجنون والسُّكر جميعًا. ثم أخَذَ يبَيِّنُ كيف استَنْكَرَ ما دُفِع إليه، واشمأزَّ مِمَّا عُرِض عليه حتى قيل فيه ما قيل. والانتشاءُ والنَّشْوَةُ: السُّكر.

٢ ـ ولـكـنِّـي ظُـلِـمْـتُ فـكـدتُ أبْـكِـي مـن الـظُّـلْـمِ الـمُـبَـيَّـنِ أو بَـكَـيْـت

لكن استِدراكٌ بَعْدَ نَفْيٍ. وهذا الكلامُ بيانُ ما أنْكَرَ منهُ حتَّى قيل إنّه جُنَّ. وذَكَر البكاءَ لِيُرِيَ أنفتَهُ وامتعاضَهُ، وإنكارَهُ لِمَا أُريدَ ظُلْمُهُ فيه واغتياظَه. فأمّا العَرَبُ فإنّها تَنْسُبُ أنفُسَها إلى القَسَاوَةِ، وتُعَيِّرُ من يبكي لذلك. قال مهلهِل: [البسيط]

يُبْكَى علينا ولا نَبْكي على أحَدِ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أكبادًا من الإبِلِ[٣]

(١) التبريزي: «وقال سنان بن الفحل أخو بني أم الكهف من طيّيء». وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة المروانية (خزانة البغدادي ٢: ٥١٣).

(٢) للمثقب العبدي في المفضليات ٢: ٩٢، وبلا نسبة عند التبريزي ١: ٤١٥.

(٣) التبريزي ١: ٤١٦.

يقول: لكنْ عُرِضَ عَلَيَّ ضَيْمٌ لم آلَفه، واستنزلتُ عن حَقٍّ لي طَالَ مُلَازَمَتِي له، فشارَفْتُ البكاءَ أو بَكَيْتُ. كل ذلك لاستِنكافي ممّا نَدَبُونِي إليه وتعجُّبي مِمَّا راوَدُوني عليه.

٣ ـ فـإنَّ الـمـاءَ مـاءَ أبـي وجَـدِّي وبِـئْرِي ذو حَـفَـرْت وذُو طَـوَيْـت

صَرَّح بما أُريدَ غَصْبُه عليه فقال: هو ماءٌ موروثٌ عن الأسلافِ وحِمًى معروفٌ بي وبهم، سَلَّمَهُ النَّاسُ لنا على مَرِّ الأيَّام، وبِئْرٌ تَوَلَّيْتُ استِحْدَاثَها وحَفْرَها وطَيَّها. وقوله «ذو حَفَرْتُ» ذو لُغةٌ طائِيَّةٌ في معنى الذي. يقولون: هذا ذُو قال ذلك، ورأيْتُ ذُو قال ذَلِكَ، ومررْتُ بِذُو قال ذلك، فيَحتاجُ من الصِّلَةِ إلى مِثْلِ ما يحتاجُ إليه الذي، لكِنّها تَقَعُ في لُغَتِهِم للمُذَكَّرِ والمؤنَّث ولهذا صَلُحَ أن يقولَ «وبِئْرِي ذو حَفَرْتُ»، والبِئْرُ مؤنَّثَةٌ.

٤ ـ وقـبْـلَكَ رُبَّ خَـصْـمٍ قـد تَـمَـالَوْا عَـلَـيَّ فـمـا هَـلِـعْـتُ وَلَا دَعَـوْتُ

نَبَّهَ على حُسْنِ ثَباتِه في وجْه الخصوم، وتَمَرُّنِه بمجاذبتهم قديمًا وحديثًا، وتحكُّكِه بهم على احتفالِ منهم في مناوأتِه سالفًا وآنفًا، فيقول: وقد بُليتُ قبلكَ بقوم لُدٍّ تألَّبُوا عليَّ وتعاونوا، فلم أَجزَعْ لِمَا مُنيتُ بهِمْ جَزَعًا فاحشًا، ولا استَنصرتُ عليهم غيري عند دِفاعهم استنصارًا مكروهًا. والهَلَعُ: أفحشُ الجَزَعِ. وتَمَالَوْا، هو تَفَاعَلُوا من قولِهم هو مَلِيءٌ بكذا. فإن قيل: كيف قال هَلِعْتُ، وقد قال فيما قبلَهُ: «فكِدْتُ أبكي من الظُّلْمِ المُبَيِّن أو بَكَيْتُ» وهل الهَلَعُ إلا البكاءُ والجَزَع؟ قلتَ: إنّ الهَلَع هو الجَزَع الفاحش الذي يظهر فيه الخضوعُ والانقياد، فهذا هو الذي انتضَح منه، وزَعَمَ أنه لا يَظْهر عليه. والبكاء الذي ذَكر أنه شارَفَه أو كاد يشارِفُه قد بَيَّنَّا أنه كان منه على طريق الاستنكاف والامتِعاض؛ فإذا كان كذلك فإنّه لم يكُنْ عن تخشُّعٍ وتذلُّلٍ، ولا انقيادٍ واستسلامٍ، وسَلِمَ الكلامُ من التناقُض والفَساد.

٥ ـ ولـكِـنّـي نَـصَـبْـتُ لَهُـمْ جَـبِـيـنـي وَألَّةَ فـارِسٍ حـتـى قَـرَيْـتُ

يقول: ولكنّي صَبَرْتُ لهم، وانتَصَبْتُ في وجوههم، وهَيَّأتُ عُدَّتي وسِلاحي لدفْعِهم، دارِئًا في نُحُورِهم، مُحَلِّئًا لهم عن وُرُودِهم، فِعْلَ الفارِسِ الذابِّ المانع يوم الحِفاظ، حتّى خَلَصْتُ من غَصْبِهِم حَقِّي، وقَرِيْتُ الماءَ من دُونِهم في حوضِي. والألَّةُ: الحربة. وجمعها إلَالٌ، وأصْلُه البَرِيقُ واللَّمَعَانُ. والقَرْيُ: الجَمْعُ.

١٩٣ ـ وقال جابر بن حَرِيشٍ: [الكامل]

١ ـ ولقد أَرَانا يا سُمَيُّ بحائلٍ نَرْعَى القَرِيَّ فكامِسًا فالأضفَرَا
٢ ـ فالْجِزْعَ بَيْنَ ضُبَاعَةٍ فرُصَافَةٍ فَعُوَارِضٍ جَوَّ البَسَابِسِ مُقْفِرا
٣ ـ لا أَرْضَ أَكْثَرُ مِنْكَ بَيْضَ نعامَةٍ ومَذَانِبًا تَنْدَى ورَوْضًا أَخْضَرَا
٤ ـ ومُغَيَّنًا يَحْمِي الصِّوَر كأنَّهُ مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ إذا ما بَرْبَرَا
٥ ـ إذْ لا يَخافُ حُدُوجَنَا قَذْفُ النَّوَى قَبْلَ الفَسَادِ إقامَةً وتَدَيُّرَا[(١)]

قولُه «أرَانَا» حكايَةُ الحال، وما يستَمِرُّ ويَتَّصل من الأفعال إذا أُرِيدَ فيه الإخبارُ عن الماضِي قد يُؤتى بلفظِ المُسْتَقْبَل فيُوضَع مَوْضِعَ بناء الماضِي. على ذلك قَوْلُه: [الكامل]

ولَقَدْ أَمُرُّ على اللئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينِي[(٢)]

أَلَا تَرى أنَّه قال أَمُرُّ، ثم قال فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ. كذلك هذا قال ولقد أَرَانَا، ثم جاء في آخِرِ الأبيات فقال: إذ لا يَخَافُ حُدُوجَنَا قَذْفَ النَّوَى. فإنْ قيل: كيف جازَ أن يقول أراني وأرانا، وأنت لا تَقُولُ أَضرِبُنا ولا أضرِبُني؟ قلتَ: أفعالُ الشَّكِّ واليقين يجوز ذلك فيها وإن امتَنَع في غَيْرِها، لأنَّ تأثيراتِها في المفعول الثاني من المفعولَيْن، إذْ كان الشَّكُّ واليقين يتعَلَّقَان به لا بالأوّل، فصار لذلك المفعول الأوّل كأنَّه غير الثاني، وكاللغو الذي لا تأثِيرَ لَهُ في حُصُولِ الفائدة، فجَرَى الثَّاني من الأوّل لذلك مَجْرَى الأجنبِيّ. وإذا قُلْتَ أضْرِبُنِي أو أَضْرِبُنا لم يَصِرْ أَحَدُ الضَّميرين كالأجنبيّ من الأوّل لا لَفظًا ولا مَعْنًى، والمُعتادُ في الفاعِل والمَفعول مغايَرةُ الثَّاني للأوّل، فلما كانَ الأَمْرُ على ذلك لم يَجُزْ فيه ما جاز في الأوّل. يُبَيِّنُ هذا أنّك لو قُلْتَ ضَرَبْتُ نَفْسِي أو أَضرِبُ نَفْسِي لَصَلُحَ، للتَّغايُر الحاصِل في اللّفظ، فاعْلَمْهُ.

وقولُه حائل: اسم وادٍ. والقَرِيُّ: مجرى الماءِ إلى الرَّوضةِ، وكَامِسٌ والأضْفَرُ: مكانانِ. وضُبَاعَةُ ورُصَافَةُ: جَبَلان، وكذلك عُوَارِضُ. وجَوُّ البَسابِسِ أي داخِل البَسابِس، وهي المفاوز الواسعة الخالية. والجَوُّ: الهَواءُ بين السَّماء والأرْضِ أيضًا.

---

(١) التبريزي: «إذ لا تخاف».
(٢) لرجل من سلول في الدرر ١: ٧٨، ولشمر بن عمرو الحنفيّ في الأصمعيات ١٢٦، ولعميرة بن جابر الحنفي في حماسة البحتري ١٧١.

والمُقْفِرُ: الصائرُ في القَفْرِ، وهو المكان الخَالي. وانْتَصَبَ جَوٌّ على الظَّرْفِ، ومُقْفِرًا على الحال.

ومعنى الأبيات: كُنَّا نَرَى أنفسَنا يا سُمَيَّةَ بهذا الوادي، ونحن ننتقل في هذه المراتع التي ذكرتُها، ونَتَحَوَّلُ بين هذه المناجع التي عدَدتها الحاصلةِ في جَوّ الأرضِين المستوية، وفي أثناء الأرضين المُقْفِرة، ولا أرضَ أكْثَر خِصْبًا من أرضِكِ وخَيْرًا، وأندى مذانِبَ وتِلَاعًا، وأحْوَى لبيضِ النَّعام، وأجمَعُ لخُضر الرياض التي يستوطِنها الوحوش من البقر وغيرِها؛ وثَوْرُها يحفظ قطيعَهُ وكأنه لنشاطه إذا جَأَرَ فحلٌ متغضّبٌ أيَّامَ أمِنَّا عاديَةَ النَّوَى. وبائقة الدَّهر والأَذَى، ولم تَخَفْ نِساؤُنَا من تَرَامِي الغُرْبَةِ، وتقاذُفِ الشُّقَّةِ، ولم يَقَع بين العشائر حَرْبُ الفَسَاد، وضرر التَّهاجُر والبِعاد، ونحن مُتَدَيِّرُون ومقيمون، وفي أنواع النِّعْمَةِ والنَّعْمَةِ متردّدون، ولدار السّلامة والخَفْض مستوطنون.

وهذا الكلام تَحَسُّرٌ في إثْرِ أيَّام السَّلَامَةِ، وتَشَكٍّ من أيام الفِتْنة.

وقولُه «إذْ لا يَخَافُ» ظرفٌ لقولِهِ ولقد أرانا. وقولُه «قَبْلَ الفَسَادِ» بَدَلٌ منه، والمَذَانِبُ: مسايِلُ المياه. ومَعنَى «أكثَرُ منك بَيْضَ نَعَامَةٍ» أكثَرُ من أرضِك، فحذَف المُضاف، وانتَصَبَ «بَيْضَ» على التمييز. وقولُه «ومذانِبًا» انتَصَبَ على أنَّه معطوفٌ على بيض نَعامَةٍ، وتَنْدَى في موضع الصفة للمذانب، أي نَدِيَةً، وكذلك «وَرَوْضًا» و«معيَّنًا». المُعَيَّنُ: الثَّور الكبير العين، والصِّوَار: القطيع، واشتقاقه من صُرْتُه أي قطعتُه. والحُدُوج: المراكب، ونَسَبَ الخوفَ إليها مجازًا، لأنَّ المرادَ بها النِّساء، وقولُه «متخمِّطٌ» شَبَّهَ الثَّور بِفحلٍ له سَوْرَةٌ وجَلَبَةٌ، لاهتياجِه وغَضَبِه، ومنه قيل للبحر إذا التَطَمَتْ أمواجُه: هو خَمِطُ التَّيَّار. والقَطِمُ: الهائج. وبَرْبَرَ: صَوَّت. وقَذْفُ النَّوَى: رَمْيُه. وقوله «قَبْلَ الفَسَادِ» يريدُ قبلَ حربِ الفَسَادِ، وإنَّما سمِّيت بهذا الاسم لأنَّ بَعْضَهُم كان يَشربُ في قِحْف رأسِ صاحِبِه إذا قَتَلَه، ويخصِفُ نَعلَهُ بأذُنه، إظهارًا للتَّشفِّي. وانتَصَبَ «إقامةً على أنَّه مصدر لِعلَّةٍ، ويجوز أن يكون في موضع الحال، فتقدير الأوّل: لا تَخَافُ قَذْفَ النَّوَى لإقامَتِنَا وتديُّرنا، وتقدير الثاني: لا تخافُه مقيمين ومتديِّرين. ويقال ما بالدار دَيَّارٌ، ودارِيٌّ، ومنه قوله: [الرجز]

لَبْثٌ قليلًا يَلْحَقِ الدارِيُّونْ[1]

(١) بلا نسبة في اللسان (دور)، ومقاييس اللغة ٢: ٣١١، وأساس البلاغة (دور).

والأصل في تَدَيَّرَ الواو ولكنّه بَنَوْهُ على دَيَّارٍ، لإلْفِهِمْ له بكثرة تَرَدُّدِه في كلامهم.

١٩٤ ـ وقال إياس بن مَالكٍ[1]: [الطويل]

١ ـ سَمَوْنا إلى جَيْشه الحَرُورِيّ بَعْدَمَا ... تَنَاذَرَهُ أعْرَابُهُم والمُهَاجِرُ

يقولُ: سَمَتْ أبصارُنا ونفوسُنا، وارتفعَتْ هِمَّاتُنا إلى محارَبةِ الحَرُورِيَّةِ ـ وهم فِرقَةٌ من الخوارج ـ بعد اشتداد شَوْكتِهم وتكاثُفِ عُدَّتِهِم، وحين تَحَامَى جَيشَهم بادِي الناس وحاضِرُهمْ، حَذِرَ ناحِيَتَهم وقَصْدَهم عربِيُّهم ومُهاجِرُهُم. وأراد بالمهاجِرِ من تَرَكَ البَدْوَ وانْتَقَلَ إلى الأمْصارِ.

٢ ـ بِجَمْعٍ تَظَلُّ الأُكْمُ ساجِدَةً لهم ... وأعْلَامُ سَلْمَى والهِضَاب النَّوَادِرُ[2]

الباءُ من قوله «بِجمعٍ» تَعَلَّقَ بِسَمَوْنا، يُرِيد قَصَدناهم بِجيشٍ كَثِيفٍ يلحِقُ الحَزْنَ بالسَّهل، ويُسَوِّي الهِضَابَ بالأرض إذا سَارَ عليها لِكَثْرَته. وهذا كما قالَ الآخر: [الطويل]

تَرَى الأُكْمَ مِنهُ سُجَّدًا للحوافر[3]

وأصل السُّجود الخُضوع، كأنها تَصِيرُ لها تُرَابًا. والأُكْمُ: جَمْعٌ، يقالُ أَكَمَةٌ وأَكَمٌ، وإِكَامٌ وأُكم. وسَلْمَى: أحدُ جبلَيْ طيِّىءٍ. والهِضابُ جمعُ هَضْبَةٍ، وهي ما انبسَط على الأرضِ من الجبال. والنَّوادِرُ: المرتَفِعةُ، وكلُّ شيءٍ زالَ عن مكانِهِ فقد نَدَرَ؛ ومنه نَوَادِرُ الكلام. وجَعلَ لسَلْمَى أعلامًا لامتدادِه واتِّصال جبالٍ به.

٣ ـ فَلَمَّا ادَّرَكْنَاهمْ وقد قَلَّصَتْ بِهِمْ ... إلى الحَيّ خُوصٌ كالحَنِيِّ ضَوَامِرُ

ادَّرَكَ: افْتَعلَ من الإدراك، وهو في معنى أدْرَك. وقَلَّصَتْ: ارتفعَتْ. وقد كُنِيَ عن طول القوائم بالتَّقليص فقيل في وصفِ الفَرَس مُقَلَّصٌ، والمُرادُ ذلك. ويقال للمُشَمِّر: هو مُقَلَّصُ أسفَلِ السِّربالِ، كما قيل هو مَشقوقُ ذيل القميصِ. والحَنِيُّ: القِسِيُّ، سُمِّيتْ بذلك لانحنائها؛ فهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول، فيقولُ: حين لَحِقْناهُمْ كانت خَفَّتْ بهم وشَمَّرَتْ إلى الحَيِّ خَيْلٌ غائرةُ العيونِ، لاحِقةُ البطونِ، كأنّها في

---

(١) التبريزي: «إياس بن مالك بن عبد الله بن خيبري الطائي».
(٢) التبريزي: «ساجدة له». (٣) اللسان (سجد).

ارتِفاع جنوبها قِسِيٌّ مَأْطُورَةٌ. ولمّا يقتضي جَوَابًا، وهو فيما يجيء من بَعْدُ. والواو من قَوْلِهِ «وقَدْ قَلَّصَتْ بهم» واو الحال.

٤ ـ أَنَخْنَا إليهِمْ مِثْلَهُنَّ وزَادُنَا جِيَادُ السُّيُوفِ والرِّماحُ الخَوَاطِرُ

يجوز أن يكون معنى إليهم عندهم، فقد حُكِيَ: لا تَذْكُرْ فُلَانًا إِلَيّ بسوءٍ، أي عندي. ويجوز أن يكون معناه الانتهاء، ويكون المراد: أَنَخْنَا إلى فِنائهم وبإزائِهم. وأنَخْنَا هو جوابُ لَمَّا. يقول: لمّا أدركناهم ثُمَّ سامَيْنا جَيشَهم بمثلِهِ عَدَدًا وعُدَّةً، وجازَيناهم بأشباههم فُرسانًا ورَجَّالةً، وزادُنا سُيُوفٌ مُنْتَخَلَة ورِمَاحٌ لَدْنَةٌ مُثَقَّفةٌ. وإنّما قال «أنَخْنا» لِمَا استمرّت به عادتُهم من ركوبِ الإبِلِ وقَوْدِ الخَيْلِ إلى المُغَارِ، إبقاءً عليها، وإعدادًا لوقت الحاجة إليها. والخواطِر من الخَطْر، وأصلُه التحرُّك.

٥ ـ كِلَا ثَقَلَيْنَا طامِعٌ بغنيمةٍ وقد قَدَّرَ الرحمٰن مَا هُوَ قَادِرُ

«كِلَا ثَقَلَيْنَا» أي كلُّ واحدٍ من جماعَتَينا. والثَّقَلُ: الجماعة. والثَّقَلان: الجنُّ والإنس. وقال الخليلُ: ثَقَلُ الرَّجُل: حَشَمُه ومتاعه. وقوله «بغنيمةٍ»، أي بسبب غنيمةٍ. والمعنى: كلُّ واحدٍ من الغَارَيْنِ طَمِعَ في اغتنام صاحِبه، أي يَعدُّه غنيمةً، لِثِقَتِه ببأسه ونَجْدَتِه. والله عَزَّ وجلّ قد قَدَّرَ مِن الإظفار وإعطاء الفَلَج والغَلَبَةِ ما قَدَّرَه، لا رادَّ لحُكْمه، ولا مُعقِّب لأمرِهِ. ويقال قَدَرتُ من التَّقدير، قَدْرًا وقَدَرًا. و«ما هو قادِرُ» إن شئتَ جعلتَ ما موصولًا بمعنى الذي، وإن شئتَ جعلتَه موصوفًا بمعنى شيئًا. وعلى الوجهين وجَبَ أن يَقُولَ ما هو قَادِرُهُ، فحذَفَ الضَّمير تخفيفًا.

٦ ـ فَلَم أَرَ يَوْمًا كانَ أَكْثَرَ سَالِبًا ومُسْتَلَبًا سِرْبَالَه لا يُنَاكِرُ

قوله «كان أَكْثَرَ سَالِبًا» من صِفَةِ اليومِ، والمُفَضَّل محذوفُ الذِّكر، كأنه قال مِن ذلك اليَوْم. وانتَصبَ «سرباله» على أنّه مفعول ثَانٍ من مُسْتَلَبًا. و«لا يُناكِرُ» في موضع الصِّفة له، كأنّه قال: وأكثرَ مستلَبًا ذا صفتُه. ومعنى لا يناكِر: لا يَقْدَر على الامتناع. يُقالُ: نَاكَرَنِي، أي دافَعَنِي ومانَعَنِي. يقول: ما رأيْتُ يومًا حَصلَ فيه من السَّالِبينَ والمسلوبِينَ مثلُ ما اجتَمع في ذلك اليوم ولا وقْعَةً أظْهَرَ حَالًا وأكْشَفَ أمرًا في قُوَّةِ غالِبِها وضَعْفِ مغلوبِها، واستسلام المقهور المسلوب واستعلاء القاهر السالب، من تلك الوقْعَةِ.

٧ ـ وأَكْثَرَ مِنَّا يافِعًا يَبْتَغِي العُلَى ... يُضَارِبُ قِرْنًا دارِعًا وهو حَاسِرُ

في هذا أيضًا حَذْفٌ وإيجازٌ كما كان في البيت الأوّل، كأنه قال: ولم أرَ قَوْمًا كان أكثرَ شابًا يطْلُبُ الصِّيتَ والذِّكْر، ويعِفُّ عن الغنيمة في الرَّوْع، فيضارِبُ نَظِيرًا له في البأس مستلئِمًا، وهو ينازِلُهُ حاسِرًا متجرِّدًا ـ من قَومِنا. وقولُه «وهو حاسِرٌ» حالٌ للمُضمَرِ في يُضارب، ويُضارِب ويبتغي جميعًا صفتان لقولِه يافِعًا، وعلى هذا قد حَذَف حَرْف العطف من قولِه يُضارِبُ، لأنّ الجُمَلَ حَقُّها إذا وُصِفَ بها النَّكِراتُ أن يُنْسَقَ بعضُها على بعض بحرف العطف. ويجوز أن يكون يُضارِبُ في موضِع الحال مما في يبتغي. واليافع: الشابُ المُتَنَاهِي الشَّبَابِ، والفِعْل منه أيْفَع الغُلَامُ وتَيَفَّع. وبابُ يَفَع مقصورٌ على الارتفاع والإشراف في الجَبَل والأرضِ وغيرهما. ويقالُ: غُلَامٌ يَفَاعٌ ويَفَعَةٌ ويافِعٌ، ولا يُقالُ مُوفِعٌ. وجَعَلَ القِرْنَ دارِعًا وصاحِبَه حاسِرًا، تفضيلًا له عليه. وقد يوصَفُ الممدوح بلبس الدِّرْع ويُرادُ به حَزَامَتُه وتحرُّزُه، كما يُوصَفُ بضِدِّه ويُرَادُ وجُرأته.

٨ ـ فَمَا كَلَّتِ الأيدي ولا انْأَطَرَ القَنَا ... ولا عَثَرَتْ مِنَّا الجُدودُ العَوَاثِرُ

نَبَّهَ بهذا الكلام على تَسَاعُد أحوالِهم فيما تردَّدوا فيه، وتَنَاصُرِ أسبابهم عندما لابَسوه ونَهَضُوا له. وإمكانُ الفُرصِ فيما يُقَرِّب التمكُّنَ من العَدُوّ، وارتفاعُ العِلل من مُوجِبات القَهْرِ والعُلُوّ. فيقول: قَوِيَتْ أيدي المقاتلين منّا فلم يَمَسَّها لُغُوبٌ، ووَفَتِ الأسلحة بمواعيدها من البقاء فلم يَخُنْ رُمْحٌ منها بانكسارٍ وفُتورٍ، ولا سَيْفٌ بنُبُوٍّ وكُلُول، ولا خَذَلَتْنا جدودُنا فَمَالَتْ إلى تَعَثُّرٍ أو سُقوطٍ. وإذا توازرت هذه الأسبابُ وتعاوَنَتْ، فحصَلَ الجِدّ والجَدّ، وانزاحت العِلَلُ في الدَّواعي والآلات، كان الكَمالُ في نَيْلِ المُرَادِ. وقوله «انأطر» في معنى انعطف وتَثَنَّى. يُقال: أَطَرْتُه فانْأَطَرَ، ومنه إطار الباب والمُنْخُل. وقولُه «ولا عَثَرَتْ منا الجُدُود العوائر»، مثل قول الآخرِ: [الرجز]

ولا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرْ[1]

لأنه لم يُثْبِتْ لأنفُسِهم جدودًا من شأنها أن تَزِلَّ وتَعْثُرَ ثمّ نَفَى ذلك عنها في ذلك اليوم، بل أراد أنّهم لا جدودَ لهم بهذه الصفة، كما أنَّ الشاعر الآخَرَ أراد لا ضَبَّ فينجحر. ومعنَى الكلام: كان الغَلَبُ لنا وتعثَّرت جدودُ غَيْرِنَا.

(١) لابن أحمر في الخزانة ٤: ٢٧٣، وبلا نسبة في أساس البلاغة (حجر).

١٩٥ ـ وقال الأَخْرَمُ السُّنْبِسِيّ(١): [المتقارب]

١ ـ أَلَا إِنَّ قُرْطًا على آلَةٍ أَلَا إِنَّنِي كَيْدَهُ ما أَكِيدُ(٢)

يقال: فلانٌ لي على حالةٍ وعلى آلَةٍ، إذا تَنَكَّرَ وتَغَيَّرَ عما كان يُعْهَدُ عليه من قَبْلُ. وهذا يَجْرِي مَجْرَى الكِنايات. ويُقال أيضًا: حَصَلَ فُلَانٌ لنا على لَوْنٍ، يُرَادُ على لونٍ مذموم. فيقول: إنّ هذا الرجل تحوّلَ عما كان يجري عليه مَعِي، إلى أَمْرٍ أُنْكِرُهُ ولا أَعْرِفُهُ، أَلَا إنَّني أكيدُ كَيْدَهُ، أي أقابِلُ كَيْدَهُ لي بِكَيدٍ مثله. وما زائدةٌ، وتلخيصُه: أكيدُه كَيْدًا يُماثل كَيْدَه لي. وهذا كما يُقال ضربَهُ ضَرْبَ غريبةِ الإبل. والمعنى: أَقتَدِي به فيما تنطوي لي عليه ويعامِلُنِي به، لا أبتدئه بمَسَاءَةٍ، ولا أعاجِلُهُ بمَكْرٍ وخِيَانَةٍ، بل أَقَلِّدُه البَغْيَ، وأنتظر من جِهَتِهِ الحؤول والنَّكْثَ، ثم أجازيه كَيْلَ الصَّاع بالصَّاع.

٢ ـ بَعِيدُ الوَلاءِ بَعِيدُ المَحَـ ـلِّ مَنْ يَنْأَ عَنْكَ فَذَاكَ السَّعِيدُ

يَذُمُّ قُرْطًا فيقول: هو بعيدُ النُّصْرَةِ والمُوَالاة، أي بطيئُها، بعيد الدار والمَسْكَن؛ يعني تنائيها. ثم قال: مَن بَعُد عنك فقد سَعِدَ جَدُّهُ. نَقَل الكلامَ عن الإخبارِ إلى الخِطَابِ على عادَتِهِم فِي افتنانهم، وكأنّه التفت إليه يُريه الزَّهادة في مجاوَرَتِه، والاستغناءَ عن معونَتِه، واكتفاءَهم بأنفسهم دونه، فقال ذلك بعدما أَخَذَ في وصفِه.

٣ ـ وعِزُّ المَحَلِّ لَنَا بائِنٌ بَنَاهُ الإلٰهُ ومَجْدٌ تَلِيدُ

الهاء من قولِهِ «بَنَاهُ الإلٰهُ» يجوز أن يكون للعزّ، ويجوز أن يكون للمحلّ. فإذا جعلته للعِزّ فالأَجْوَد أن ينعطف مَجْدٌ على الإلٰه، كأنَّ العِزّ حَصَل للمَحَلّ بالله تعالى وبمجْدِ الآباء. وإذا جَعَلْتَهُ للمحلّ يجوز أن يَرْتَفِع ومَجْدٌ بالابتداء، ويكونُ الكلام مُنْعَطِفًا والخَبَرُ محذوفًا، كأنّه قالَ: ولنا مَجْدٌ تَليدٌ. وبناهُ الإلٰهُ في موضع الحال للمحلّ، والأجود أن يُضمر مَعَهُ قَدْ. وإنما يفتخر بأنَّ بلادهم حصينَةٌ، وديارهم عزيزةٌ. وذلك أن بِلاد طيىء يكتَنِفها جبلاهُمْ أجأ وسَلْمَى، فلا تَسْتَطْرِفُهم الغَارَات، ولا تهجُم عليهم سوابق الفَلَتات والنَّزَوات. فيقول: عِزُّنا في دارِنا ظاهِرٌ للناس غيرُ خافٍ، آثَرَنَا الله تَعَالَى به، ولَنَا مَجْدٌ مُتَوَارَثٌ، وأصْلُ المَجْدِ الكَثْرةُ. والتَّالِدُ والتَّليد: القديم.

(١) جاء في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «واسمه قيس بن سعد بن جابر، أحد بني ربيع».
(٢) التبريزي: «قرط: رجل من سنبس».

٤ ـ ومَـأْثُـرَةِ الـمَـجْـدِ كـانَـتْ لَنَـا وأَوْرَثَـنَـاهَـا أَبُـونـا لَبِـيـدُ[١]

مَأْثُرَةٌ: مَفْعُلَةٌ من أَثَرْتُ الحديثَ، إذا رَفَعْتَه ونَسَبْتَهُ. يريد: أنّ العِزّ اجتمع لهم مُكْتَسَبًا وموروثًا، وتالدًا وطرِيفًا، ومُخَوّلًا من عند الله تَعَالى تَخْوِيلًا، فلهم بذلك صِيتٌ في النّاس يُؤثر، وذِكْرٌ على مَرِّ الأيّام يُخَلد، وثناءٌ يَتَّصِل ولا ينقطِع، وسَنَاءٌ يستمرّ ولا يَقِفُ، كما كان لأبيهم لَبيد.

٥ ـ لَنَـا بَـاحَـةٌ ضَـبِـسٌ نَـابُـهَـا يَـهُـونُ عـلى حَـامِـيَـيْـهـا الـوَعِـيـدُ

البَاحَةُ: السّاحةُ. والضَّبِسُ: الشديد. ويقال: هو ضَبِسٌ شَرِسٌ، في الحرِيص الشديد. والنّابُ: سيّد القوم. وأراد بالحاميَيْن جَبَلَيْ طَيِّئٍ، والضميرُ منها يعودُ إلى السّاحةِ. ويجوز أن يريدَ بالناب واحد الأنياب، وجَعَلَهُ مَثَلًا للشدّة. وذكَر البَاحةَ والمُرَادُ أهلَها، كما قال الآخر: [الطويل]

وإنْ مُـقْـرَمٌ مِـنَّـا ذَرَا حَـدُّ نَـابِـهِ تَـخَـمَّطَ فِينَا نَابُ آخَرَ مُقْرَمِ[٢]

يقول: لنا ساحةُ دارٍ رئيسُها والمُدافِعُ عَنها شَكِسُ الخُلُق، شديد الإباء على الأعداء، يَهُونُ وعيدُ المتوعِّدين على النّازلين في جوانب جَبَلَيْها، المانِعَين مِنْهَا. وقَوْلُه «على حامِيَيْها» حذَف المُضاف وأقام المضاف إليه مقامَهُ.

٦ ـ بِـهَـا قُـضُـبٌ هُـنْـدُوانِـيَّـةٌ وعِـيـصٌ تَـزَاءَرُ فـيـه الأُسُـودُ

٧ ـ ثَـمـانُـونَ أَلْفًـا ولَـم أُحْـصِـهِـمْ وقَـد بَـلَـغَـتْ رَجْـمَـهـا أو تَـزِيـدُ

نَبَّهَ بهذا الكلام على أنّ ديارَهُم تَحْوِي العَدَدَ والعُدَّة، فرجالُهم أسُودٌ في مَأْسَدَتِها تَزْئِرُ فيها، وسلاحهم الهُنْدُوانيّةُ يستعملونها. والعِيصُ: الأصل الكريم، ومَنَابِتُ كرائم الأشجار الملتفّة، ومنه قولُهم «أغياصُ قُرَيشٍ» لكِرامِهم وقوله «ثَمَانُونَ أَلْفًا» هو تبيين كَمّيّة ما أشار إليه، وتفصيلُ ثَروتِهم بعد الإجمال، فقال: هو ثمانون ألفًا، ولستُ أقول هذا عن إحصَاءٍ وعَدٍّ، أو ضَبطٍ بعد حَصْرٍ، لكنّهُ رَجْمٌ مِنّي وحَدْسٌ، فهم يَبْلُغونه أو يزيدون عليه. وتحقيق قولِه «لم أحصِها»، لم أضبِط كَثْرَتَها. والحَصَاةُ

---

(١) لبيد: هو لبيد بن سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيّىء. (انظر نهاية الأرب ٢: ٣٠٠، والأغاني ١٤: ٩٠).

(٢) لأوس بن حجر في ديوانه ١٢٢، واللسان (قرم، ذرا)، وأساس البلاغة (قرم، خمط، ذرا).

تُستعمل في الكَثْرة والعَقْلِ. وقَوْلُه «وقد بَلَغَتْ رَجْمَهَا» أي رَجْمِي لها، أُضِيفَ المَصْدر إلى المفعول.

١٩٦ ـ وقال عبد الرحمٰن المَعْنِيُّ[١]: [م. الرجز]

١ ـ قد قَارَعَتْ مَعْنٌ قِرَاعًا صُلْبَا
٢ ـ قِرَاعَ قَوْمٍ يُحسِنُونَ الضَّرْبَا
٣ ـ تَرَى مع الرَّوْعِ الغُلَامَ الشَّطْبَا
٤ ـ إذا أَحَسَّ وَجَعًا أو كَرْبَا
٥ ـ دَنَا فما يَزْدَادُ إلا قُرْبَا
٦ ـ تَمَرُّسَ الجَرْبَاءِ لاقَتْ جُرْبَا

أَصلُ القَرْع الضَّربُ على الشَّيء الصُّلب. ومَعْنٌ: قَبِيلة. يريدُ أنَّها ضَارَبَتْ أعداءَها ضِرَابًا شَدِيدًا، ودافعَتْهُمْ دِفاعًا مَرْضِيًّا، ضِرَابَ قَوْمٍ لهم نِيقةٌ حسنةٌ في القتال، وأَخْذَةٌ عجيبةٌ في اللِّقاء، يهتدُون للغِلَاب والاعتلاء أحسنَ اهتداء، ويتَأَتَّوْن للقِراع من أقْرَب غايةٍ وإلى أبعدِ انتهاء؛ تَرَى عند اهتياج الفَزَع الغلامَ التامَّ القامةِ منهم، القليلَ اللَّحم، المطاوِلَ عند مبارزة الخَصم متى أدْرَكَ وَجَعًا، أو أَحَسَّ شِدَّةً وضيقًا، يُقْدِمِ ولا يُحْجِمْ، بل يَزدَاد على حَدِّ الجِذاب مُصَادَمَة، وعلى طول المِرَاس مكافَحةً ومكافَّةً، فيَحتكّ بالأبطالِ في المواقِف احتكاكَ الإبِل الجَرْبَى في المعاطِن.

قوله «تَرَى مع الرَّوْع» أي عند حصول الرَّوع لا يتأخر عنه، فهو معه يَقُومُ بقيامه، ويهتاج باهتياجه.

وقوله «إذا أَحَسَّ» ظَرْفٌ لقولِه دَنَا. وانتَصَبَ «تحكّك» على أنّه مَصْدَرٌ من فِعْلٍ دَلَّ عليه قولُه «فما يزدادُ إلَّا قُرْبا».

وقوله «لاقَتْ جَرْبَى» يجوز أن يكون جمعَ أجْرب وجَرِبٍ كأحْمَقَ وحَمِقٍ وحمقَى. ويجوز أن يكون مقصورًا من جَرْباء، والشاعِر أن يَقْصُرَ الممدود. أي تَحَكُّكَ الجَرْباء لاقَتْ جَرباء مِثْلَها. ويجوز أن يُرْوَى «جُرْبَا» بضمّ الجيم، فيكون كأسْوَدَ وسُودٍ، وأَقْلَفَ وقُلْف.

(١) التبريزي: «وقال عبد الرحمٰن المعنيّ ولقبه مَرْقَس في لقاء بني معن الحرورية».

١٩٧ ـ وقال عبيدُ بن مَاوِيَّة[(١)]: [المتقارب]

١ ـ ألا حــــيِّ لَيْــلَى وأَطْــلالَهَــا ورَمْــلَةَ رَيَّــا وأَجْــبَــالَهَــا

يخاطبُ نَفسَهُ مُظهِرًا للتَّجَلُّد، ومتبجِّحًا بأنَّ الشدائد لا تُنسِيه الأحِبَّةَ ولا تعْتَاقُه عن التَّسليم عليها، والوقوف على منازِلها ومساءلتها، وأنَّهُ مَتَى مُنِيَ بها أهَمَّهُ أمرُها أشدَّ مما كان قبلُ، ولم يَلْهَ عَنْها؛ فيقول: سَلِّم عَلى هذه المرأة وعلى ديارها، وعلى رِمَالِ رَيَّا والجبال المحيطة بها، وإن طَرَقَكَ من الحوادِثِ ما يَشغَلُ عن مِثْله.

٢ ـ وأنْــعِــمْ بــمــا أرْسَــلَتْ بَــالَهَــا ونَــالَ الــتَّــحــيَّــةَ مَــنْ نَــالَهَــا

قوله «بما أرْسَلَتْ» أي بَدَلًا مما أرْسَلَتْ. وما مع الفِعْل في تقدير مصدر، يعني بإرْسَالِها. وتَقول العَرَبُ: هذا بذاك، أي عِوَضٌ منه، وهذا لك من ذاك في معناه. وعلى هذا قول الشَّاعر: [الطويل]

فَلَيْتَ لَنَا من مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلى الطَّهَيَانِ[(٢)]

أي عِوَضًا من ماء زَمْزَم. والبَالُ والخَلَدُ يُستعملان على طريقة واحدة، يقولون: وَقَعَ في خَلَدِي كذا، وسَقَطَ على بالي وخَطَر بِبَالِي. والمعنى: قل أنْعَمَ الله بالَهَا، جَوَابًا لتحيَّتِها، وجَزَاءً على مُرَاسلتِها. وقولُه «ونَالَ التحيَّة مَنْ نالها» يحتمل وجهين. يجوز أن يكون المعنى: وأصاب المُلكَ من أصابَ هذه المرأة. وهذا الكلام تفخيمٌ لشأن المرأة وتعظيم لخَطْبِها. ويقال: نِلْتُ كذا أنَالُ نَيْلًا. والتَّحِيَّةُ: المُلْكُ، ومنه التحيات لله. وقيل في قول الشاعر: [م. الكامل]

ولَكُــلُّ مَــا نَــالَ الــفَــتَــى قَــدْ نِــلْتُــهُ إلا الــتَّــحــيَّــهْ[(٣)]

إنَّه أراد به تحيّة المَلِك، وهو قولهم في مخاطبته: أبيتَ اللَّعْن، والمَعنى معنًى واحدٌ. ويجوز أن يكون نال بمَعْنى أنَالَ. قال أبو زيد: يقال: نُلْتُهُ أنُولُه نَوْلًا ونَوَالًا، أي أعْطَيْتُهُ. وعلى هذا يكون الكلامُ دعاءً. والمعنى: أنالَ الله التَّحيَّةَ من أنَالَ هذه

---

(١) التبريزي: «عُبيد بن ماوية الطائي».

(٢) للأحول الأزدي أو الكندي في خزانة الأدب ٥: ٢٧٦، واللسان (حمن، طها) ومعجم البلدان (طهيان).

(٣) لزهير بن جناب في الأغاني ١٨: ٣٠٧، والشعر والشعراء ١: ٣٨٦، واللسان (بجل، حيا).

المرأةَ تحيّتي. كأنّه يدعو نَفْسها إلى إهداء التحيّة إليها على بُعدِها. وفي الوجه الأوّل يجوز أن تكون المرأة قريبةً.

٣ ـ فـإنّـي لَذُو مِـرّةٍ مُـرّةٍ إذَا رَكِـبَـتْ حَـالَةٌ حَـالَهَـا

المِرّة: القُوّة والقَتْل، ومنه قولُهُم: استمرَّت مَرِيرَتُه، واستمرّ عِذَارُه، في الإباءِ والتّمنُّع. ولم يَرْضَ بأن جعَل لِنَفسِهِ مِرّةً حتّى وصفَها بأنها مُرّةٌ، يعني في فم ذائقها، وعند تجربة مُزَاوِلها، وهذا التّجنيس حَسَنُ المَوْرِدِ. والضميرُ من قولِه «حالَها» يعودُ إلى الحالة، كأنّهُ أضافَهُ إليها لما كانت تَليها، وجعَلَها مَركوبَها. فيقول: افْعَلْ ذلك واصرِفْ همّك إليها، وإلى الدُّعاء لها، وطَلَب السُّقْيا لديارها، ولا تُبالِ بما يَعِنُّ ويَعْرِض من مزاحمة عَدُوٍّ، أو مراغَمَة حَسودٍ، فإنّي لَذُو قُوّة لا تَسْتَحْلِيها الفِرقُ المنابِذَةُ، إذا تراكمت الأمورُ، وتراكبت الأحوالُ والوجوهُ، فخَفِيتْ مواردُها ومَصَادِرُها، والْتَبَسَتْ فُصُولُها ووُصولُها.

٤ ـ أُقَـدِّمُ بـالـزَّجْـرِ قَـبْـلَ الـوَعِـيـدِ لِتَـنْـهَـى الـقـبـائـلُ جُـهّـالَهَـا

يجوز أن يكون أَقَدِّم بمعنى أتقدَّم، ويكون الباء من «بالزّجْرِ» في موضِعِه. ومثْله نَبَّهَ بمعنى تَنَبَّهَ، ووَجَّهَ بمعنى توجَّه، ونَكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ. ويجوز أنْ يكون قَدَّم ضِدَّ أَخَّرَ، ووجَبَ أن يَقُولَ: أُقَدِّم الزَّجْرَ، فَجَعَلَ الباء زائِدةً للتأكيد، كما جاء في قولِهِ: ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٠] لذلك. ومثلُه قول الشاعر: [البسيط]

سُودُ المحاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ(١)

ومعنى البيت: أزْجُرُ المُتَعَرِّض لي قَبلَ أن أتوعَّده، وأعظُه بالنَّهْيِ والتحذير قبل تخشين الجانب له، لكي يَنْهى حُكماءُ القبائل سُفهاءَها، وليكون مِنّي تَدرُّجٌ في مؤاخذَتِهم؛ فأبْتَدِىءُ بالزَّجرِ، ثم أرْتَقِي إلى الوعيدِ، ثم إلى الإيقاع.

٥ ـ وقـافِـيَـةٍ مِـثْـلِ حَـدِّ الـسِّـنـانِ تَـبْـقَـى ويَـذْهَـبُ مـن قـالَهَـا

٦ ـ تـجـوّدْتُ فـي مَـجْـلِسٍ واحـدٍ قِـرَاهـا وتِـسْـعِـيـنَ أمْـثـالَهَـا

---

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وأدب الكاتب ٥٢١، وللقتال الكلابي في ديوانه ٥٣، وللراعي أو للقتال في خزانة الأدب ٩: ١٠٧، وصدره:

«هنّ الحرائر لا ربّات أحمرة»

القافية: آخر البيت المشتمل على ما يجب على الشَّاعر مراعاته وإعادتُه في كل بيتٍ، سُمّي بذلك لأنَّه يَقفُو ما قَبْلَهُ. وهم يُسَمُّون البيت بأسْرِه قافِيَةً، لاشتماله على القافية، والقصيدةَ بأبياتها قافية، لاشتمالها على الأبيات المقفّاة. وهذا توسُّعٌ منهم، كما يسمُّون القصيدة كلمةً؛ والحقيقةُ ما قَدَّمْتُه. والأَوْلَى بهذا الشاعر عِندي أن يريد بالقافية البيت، لأنَّ نَظْم تسعين بيتًا غيرُ مستنكَر في العُرف والعادةِ من المقتدِرين، المجيدين المُفْلِقين، ذوي البَداءة العجيبة، والخواطر السَّريعة، ولو أرادَ القصيدة لبَعُدَ عن المعتاد. فيقول: رُبَّ قافِيَةٍ تَنْفُذُ نَفاذَ السِّنان، وتَرْويه لجودَتِها الرّواةُ فلا تَخْلُق على مَرّ الأيّام، ولا تُبْليه السِّنُونَ والأعوام، بل تَبْقَى مع اللَّيل والنَّهار بقاء الظُّلَم والأنوار، وإنْ دَرَج قارِضُها، ومَضَى مُنْشِئُها، أنا تَجَوَّدْتُها في مَجْلِسٍ واحدٍ مع تسعينَ من نظائرها. يريدُ أنَّه لسانُ قومِه، ومِدْرَه عشيرَتِهِ. ومعنَى تجوّدتُ: اختَرتُ عند الجمع جَيِّدَها. وهذا كما يقال: تَنَقَّيْتُ الشيء وتخيَّرْتُه. وقوله «وتسعين» أراد مع تسعين، فيكونُ انتصابُه على أنّه مفعول معه كقولِه تَعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يُونس: الآية ٧١]، لأنَّ المرادَ مع شركائكم. ويجوز أن تكون الواو عاطِفَةً منه، كأنه قال: قِرَاها وقِرَى تسعين تُمَاثِلُها. وقِرَى يجوز أن يكونَ من قَرَيْتُ الماء في الحوضِ، ويجوز أن يكون من قَرَوْتُ الأرْضَ إذا تَتَبَّعْتَه. ويجوز أن يَكُون القِرَى ما يُطْعَمُ الضَّيْف، فاستعاره كما قال: [الوافر]

قَــرَى الــهَــمَّ إذا ضَــافَ الــزَّمَــاعَ

كأنَّ القوافيَ لمَّا توارَدَتْ أحسَنَ القيام بها، وجَوَّدَ القِرَى لها.

١٩٨ ـ وقال ابن رَالانَ السِّنْبِسِيّ(١): [البسيط]

١ ـ لمّا رَأتْ مَعْشَرًا قَلَّتْ حَمُولتُهُمْ قالت سُعَادُ أهذا مالُكُمْ بَجَلَا

الحمولة: الإبل التي يُحْمَلُ عليها. والحُمُولة بالضَّم: الأحمال. يقول: حين رأتْ هذه المرأةُ فَقْرَنا وقِلَّة إبلنا قالت مُنْكِرةً ومُتَعَجِّبةً: أهذا مالُكم فحَسْب. و «بَجَلَا» في موضِع الحال، والمعنى أهذا مالُكم مَكْتَفًى به. والأصلُ في بَجَلْ البناء على السكون، ودَعَتِ الضرورةُ إلى تحريكه فحرَّكَهُ بالفتح، وكان الواجب إذا حُرِّك الكَسْرَ

(١) التبريزي: «قال جابر بن رالان السنبسي».

فيه. ومثلُه قول الآخر: [البسيط]

ونَــعَــمْ إن قُـلْتُـمْ نَـعَـمَـا[١]

لأنَّ نَعَمْ أيضًا مبنيٌّ على السُّكون فحُرِّكَ آخره للضرورة بالفتح كما تَرَى. وقد يُضافُ بَجَلْ لكونِه اسمًا كما يضافُ قد إذا كان بمعنى حَسْب. قال: [الرمل]

بَـجَـلِي الآنَ مِـنَ الـعَـيْشِ بَـجَـلْ[٢]

وفي قَدْ جاءَ: [الرجز]

قَـدْنِيَ مِـن نَـصْـرِ الـخُـبَـيْـبَيْـنِ قَـدِي[٣]

والمال عندهُم الإبل، ولهذا يطلِقُون فيقولون: المالُ في الرِّعى، لاشتهار لفظة المال عندهم بها.

٢ ـ إمَّا تَـرَيْ مـا لَنَـا أضـحَـى بـه خَـلَلٌ فـقـد يـكـونُ قـديـمًـا يَـرْتُـقُ الـخَـلَلا

الخَلَلُ الأوّل النَّقصُ، والخَلَلُ الثاني الفُرْجَةُ بين الشيئين حتى يصحَّ الرَّتْق معه. وفي الكلام اختصارٌ، لأنَّ المعنى أجْبَنَاها بأنْ قُلنا: إن كُنْتِ تَرَيْنَ اختلالَ حالنا وانتقاصَ مالنا، وظهورَ الفاقة والفَقْرِ على صفحات ظواهِرِنا، فقديمًا كان يُسَدُّ الخَلَلُ بمالِنا، وتُرْتَقُ الفُتُوقُ بها، وتُرَدُّ عاديةُ الشَّرّ بتفريقها. وقوله «فقد يكون» جَعَلَ اللَّفظ مستقبلًا وإن أراد المُضِيّ، لاستمرار الحال على طريقةٍ واحدة؛ وقد مَضَى مِثلُهُ. ويجوز أن يكون حَكَى الحالَ، كقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: الآية ١٨].

٣ ـ قـد يَـعْـلَـمُ الـقَـومُ أنّـا يَـوْمَ نَـجْـدَتِـهِـم لا نَـتَّـقِـي بـالـكَـمِـيّ الـحـارِدِ الأسَـلَا

قولُه «قد يعلمُ القومُ» الكلامُ في استعمال لفظ المستقبل هو على ما قدمناه في قوله «فقد يكون قديمًا» من البيت الذي قبله. فيقول: قد اشتَهَر من شأنِنا يومَ البأسِ والشِّدَّة، ووقتَ احتماء الوطيس والتهاب النَّائرةِ، أنّا لا نُحْجم فنَتَّقِي رِماحَ الأعداء

(١) للطائي في لسان العرب (نعم)، وتمامه:

«تقول إن قلتُم: لا، لا مُسَلِّمَةً لأمركم، ونعم إن قلتم نعما»

(٢) للبيد في اللسان والمقاييس (بجل)، وصدره:

«فمتى أهلك فلا أحفله»

(٣) لحميد بن مالك الأرقط في خزانة الأدب ٥: ٣٨٢، والدرر ١: ٢٠٧، واللسان (خبب).

بالشُّجعان، ولكن غيرُنا يتَّقي بنا فَنتقدَّم إذا تأخَّر، ونستبسلُ إذا تحرَّز. والحارد: المجتَمِعُ الخَلْقِ الشَّدِيدُ المَهِيبُ، الذي يُحْسَبُ من عِزِّه غَضبانَ.

٤ ـ لكِنْ تَرَى رَجُلًا في إثرِهِ رجُلٌ   قد غادَرَا رَجُلًا بالقَاعِ مُنْجَدِلًا

هذا تصويرٌ لما أَثْبَتَ من أَفعالِهم في الإقْدام، لَمَّا نَفَى عن أنفسِهم الإحجامَ، فيقُولُ مُخَاطِبًا واحدًا من النَّاسِ: لكنَّا نتهافت ونتتابع حِرْصًا على القتالِ، حتَّى تَرانا من بين طاردٍ وقاتِلٍ، وكارٌّ وفارٌّ، وطالبٍ ومطلوبٍ. وقد تَرَكا صريعًا ساقطًا على الأرض، كأنَّ أحدهما صَرَع قَتيلًا والآخر يَتْبعه لينالَ منه. ويجوز أن يكون معنى «قد غادَرَا» قد غادر كلُّ واحدٍ منهما رَجُلًا مصروعًا، كما يقال: كَسَانَا الأمير حُلَّةً، والمعنى كسا كلَّ واحدٍ منَّا. وكقول الله تعالى: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: الآية ٤]. وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

وهَلْ غَمَرَاتُ الموتِ إلَّا نزالُكَ الْـ   ـكَمِيَّ على لحم الكَمِيِّ المُقَطَّرِ(١)

والقاعُ: المستوِي من الأرض. والمُنْجَدِلُ: المصروع. والجَدَالَةُ: الأرضُ، كأنَّ معنَى جَدَلْتُهُ: أَصَبْتُ الجَدَالَةَ به.

١٩٩ ـ وقال قَبِيصَةُ بن النَّصْرَانِيِّ الجَرْمِي(٢): [الطويل]

١ ـ لَمْ أَرَ خَيلًا مِثْلَها يَومَ أدرَكَتْ   بَنِي شَمَجَى خَلفَ اللُّهَيمِ على ظَهْرِ

أراد بالخَيْلِ الفُرسان لا الأفراس، كما رُوِي: «يا خيلَ اللهِ اركَبِي». وقَوْلُهُ «على ظَهْر» في موضع الصِّفةِ لقوله «خَيْلًا»، كأنَّه قال: لم أَرَ فُرْسَانًا تُماثِلُها على ظَهْرٍ يومَ أدرَكَتْ هذه القبيلة خَلْفَ هذا الجَبَل. وقوله «على ظَهْر» يحتمل وجهين: أَحَدُهما أن يكون المعنَى لم أر خَيْلًا على ظَهْرِ الأرض، كما جاء في التَّنزيل: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطِر: الآية ٤٥]. والثاني أن يكون المعنَى: لم أَرَ خَيْلًا على ظهور الدَّوابّ، لكنَّه قَصَد الجِنس فَوَحَّدَ كما يُقال هو يَرْتبط كذا رأسًا من الدوابّ، وكذا ظَهْرًا منها. وذكرَ بعضُهم أنَّ ظَهْرًا اسم ماءٍ، كأنّه قال خَلْفَ هذا الجبل على هذا الماء. وهذا إذا ثَبت يُسَلَّمُ للسَّماع. وذكرَ بعضُ أصحابِ المعاني أنَّ قوْله «على ظَهْرٍ» يجوز أن يكون في موضع الحال للمُضمَر في أدركَت، أي يومَ أدركَتْهُمْ قاهِرَةً لَهُمْ،

(١) لشريح بن قرواش العبسي في الحماسية رقم (١٤٠).
(٢) التبريزي: «من طيىء».

وعلى قَهْرٍ وغَلبةٍ فيهم؛ من قولك ظَهرتُ على فلانٍ ظُهورًا وظَهْرًا. وفي القرآن: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٣٣].

٢ ـ أَبَرَّ بأيمانٍ وأجرأَ مُقدَمًا وأنقضَ مِنَّا لِلَّذِي كانَ من وِتْرِ

ولمّا أراد بالخيلِ أصحابَهُ وفُرْسانَ جَيْشِه ساغَ أن يقولَ «وأَنْقَضَ مِنَّا». ويشبه هذا ما يجيء من صلة الذي في مثل قولِه: [الرجز]

أنا الذي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَهْ

فقال: سَمَّتْنِ والوَجْهُ سَمَّتْهُ. وبابُ الصِّلاتِ والصِّفات تتداخل وتتشابه. فيقولُ: لم أَرَ أَوْفَى بالنذور والأقسامِ إذا عَقَدْناها والتزمناها، وأجرأَ إقدامًا وثباتًا في وجوه الأعداء إذا ناصَبْناها وكاشَفْناها، وأَسْعَى في نَقْضِ الأوتار وإدراكِ الذحولِ بعد إبْرَامِها وتَعَقُّدِها مِنَّا. ونَقْضُ الوِتْرِ هو حَلُّ عَقْدِهِ باشتفاء النَّفْسِ من الواتر الذي يُبْرِمُه. وكان الشَّريفُ الأَنِفُ منهم إذا أُصِيبَ وَوُتِر يَنْذُرُ أنَّهُ لا يَشْرَبُ خَمْرًا ولا يَقْرَب امرأةً، أو لا يَغْسل رأسًا، وما يَجْري هذا المَجْرَى مما يَكْرُثُ النَّفْسَ إذا أَخَلَّتْ به، حَتَّى يَنال الوِتْرَ. لهذا قال[1] امرؤ القيس بعد تأثيرِهِ في بني أَسَدٍ ونَيْلِهِ مُنَى النَّفْسِ فيهم: [السريع]

حَلَّتْ لِيَ الخَمْرُ وكُنْتُ امرأً عَنْ شُرْبِهَا في شُغُلٍ شَاغِلِ
فالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إثْمًا مِنَ الله ولا وَاغِلِ

فأمّا قَوْلُ الأعشى: [المتقارب]

فَأَظْعَنْتَ وِتْرَكَ في دَارِهِم وَوِتْرُكَ من قَبلِهِم لم يُقِمْ[2]

فهو في طريقةِ قوله نَقَضْتُ الوِتْرَ منه.

٣ ـ عَشِيَّةَ قَطَّعْنَا قرائنَ بَيْنِنَا بأسْيافِنَا والشاهِدُونَ بَنُو بَدْرِ

أضافَ القرائنَ إلى بيننا لأنَّه جعَلهُ اسمًا ونقله من باب الظُّروف. وعلى هذا قراءةُ من قرأ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] بالرَّفع، والمعنى وَصْلُكم. ولَكَ أن تروِي «قرائنَ بَيْنَنَا» فلا تُضِيفَ وتَتركَ بيننا في بابه ظَرْفًا، كما قد قُرِىء: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] بالنَّصب، ويَعْنِي بالقَرائن الأرْحامَ والأواصِر.

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١٧٧ (الأعلمي). (٢) ديوانه ص ٢٠.

وانْتَصبَ «عَشِيَّةَ» على أَنَّهُ بَدَلٌ من قَوْلِهِ «يَوْمَ أدركَتْ بني شَمَجَى» فيقول: لم أرَ خيلًا تماثِلُها عَشِيّة أرسلْنا دوابَّنا على أعدائِنا، وأَوْقَعْنَا أَنْفُسَنَا عليهم، فقطعنا باستعمال السّيوف الوُصَلَ الجامعةَ لنا، والأسبابَ النّاظمة لشَتاتِنا، وبنو بَدْر حاضِرُونَ لَنَا، ومتوسِّطُون لما نُثِيرُهُ بَيْنَنَا، والمشاهدون لبَلائنا، والمصدِّقُون لِمَا نَدَّعِيه من فِعلِنا.

٤ ـ فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَّتْ يَمِيني وأدْرَكَتْ بَنُو ثُعَلٍ تَبْلِي وراجَعَنِي شِعْرِي

يقولُ: أتى عَلَيَّ الصَّبَاحُ ثَانِيَ ذلك اليوم، وقد حَلَّ نَذْرِي، وأدْرَكَ قَوْمِي ذَحْلِي، وانْطَلَق بالفخرِ لِسانِي، فصِرْت خَفِيفَ الظَّهْرِ بعد أن كُنتُ مُثْقَلًا بِعِبْءِ الوِتْرِ، وكانَ الشِّعرُ هَاجَرَنِي وفارقَنِي مُدَّةَ السَّعْي في نَيْلِ المطلوب من إمكان فُرْصَةٍ أنتَهِزُها، ثم رَاجَعَنِي، وهذا ضِدُّ قولِ الآخر[(١)]: [الطويل]

فَلَوْ أنَّ قَوْمِي أنطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلكِنَّ الرِّماحَ أجَرَّتِ

٢٠٠ ـ وقال أَدْهَمُ بن أبي الزَّعْرَاءِ[(٢)]: [مشطور الرجز]

١ ـ قد صَبَّحَتْ مَعْنٌ بِجَمْعٍ ذِي لَجَبْ
٢ ـ قَيْسًا وعُبْدَانَهُمْ بالمُنْتَهَبْ
٣ ـ وأَسَدًا بِغَارَةٍ ذَاتِ حَدَبْ
٤ ـ رَجْرَاجَةٍ لم تَكُ مِمَّا يُؤْتَشَبْ
٥ ـ إلَّا صَمِيمًا عَرَبًا إلَى عَرَبْ
٦ ـ تَبْكِي عَوَالِيهِمْ إذَا لم تَخْتَضِبْ
٧ ـ من ثُغَرِ اللَّبَّاتِ يَوْمًا والحُجُبْ

يُرْوَى: «الألبابِ».

قوله «قد صَبَّحَتْ مَعْنٌ بجَمْعٍ»، الجَمْعُ: المُجتَمعون: والجُمَّاعُ: المُتَفرِّقُونَ. ومَعْنَى صَبَّحَتْ، أي أَتَتْ قَيْسًا صَبَاحًا بكَتِيبَةٍ لَهَا جَلَبَةٌ وصَوْتٌ، لكَثْرَتِها. والعُبْدَانُ يُكْسَرُ أولُه ويُضَمُّ، وهو جمعُ عَبْدٍ يُقَالُ: عَبْدٌ وأَعْبُدٌ وعَبِيدٌ وعِبَادٌ وعِبِدَّى ومَعْبُودَاءُ

(١) لعمرو بن معديكرب في الحماسية رقم (٢٩).
(٢) أدهم بن أبي الزعراء: سويد بن مسعود بن جعفر الطائي، من شعر العصر الأموي وأدرك العصر العباسي، شعره قليل متفرق (ت نحو ١٣٣ هـ/ ٧٥٠ م). ترجمته في الآمدي ٣٠، والمحبر ٢٣٦.

وعُبُدٌ، فَعِبْدَانٌ جمع عَبِيدٍ. والمُنْتَهَبُ، قيل هو اسْمُ مكانٍ، ويجوز أن يكونَ المرادُ به الانتهاب أو مَوْضِع الانتهاب. ومعنى البيت أَغَارَتْ هذه القبيلةُ وقصدتْ بجَيْشٍ عظيمٍ، بني قَيْسٍ وعَبِيدَهُمْ بهذا المَوْضِع. ويَعْنِي بالعَبِيدِ الرُّعَاةَ والعُسَفَاءَ الذين يكونونَ مع الإِبِلِ. كأنَّهُم في أَخْوِيَتِهِمْ، وفي مَوْضِعٍ كانَتْ أَمْوَالُهُمْ حاضِرَةً، غير عَازِبَة ولا غائبَةٍ.

وقوله «وأسَدًا بغارَةٍ»، يقُولُ: وصَبَّحَتْ أَسَدًا بخَيْلٍ ذاتِ اعتلاءٍ ومَوَجَانٍ، تَتدافَعُ في سَيْرِها ولا تستقيم، لكَثْرتِها، ولم يكونوا أُشَابَاتٍ وفِرقًا جُمِعتْ من شيءٍ إلى شَيْءٍ. وقوله «ذاتِ حَدَبْ» يجوز أن يكونَ مصدر الأحْدَبِ، ويكون وَصَفَ الغارة بالحَدَبِ كما قيلَ آلَةٌ حَدْبَاءُ، وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ، كأنَّهُ يَنْبُو ظَهْرُهَا عمَّنْ يُرِيد رُكُوبَهَا واقتسارها. ويجوز أن يراد به الارتفاع والكَثْرة. وقال الخليلُ: الحَدَبُ حَدُورٌ في صَبَبٍ، يعني العَقَبَةَ. قال: ومعه حَدَبُ الرِّيح وحَدَبُ الرَّمْلِ. وفي القُرآن: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٦]. فأمّا قوله «بغارَةٍ» فالعَرَبُ تُسَمِّي الخَيْلَ غَارَةً لأنَّها مِنْ قِبَلِها تَكُون، وهذا من باب تسميَةِ الشيء بما يكونُ من سببه. والغَارُ بلا هاءٍ يستعملُ في الجمع الكثير، وفي الحديث: «ما ظَنكَ بِرَجُلٍ جَمَعَ بَيْنَ هٰذَين الغَارَيْن»[١].

وقولهُ: «رَجْرَاجَةٍ» يقال كَتِيبَةٌ رَجراجةٌ، أي تَضْطرِبُ وتَمُوجُ من كثرتِها. وامرأةٌ رَجْرَاجَةٌ، أي تَتَرَجْرَجُ من بُدْنِها ونَعْمَتِهَا. وقولُه «مما يؤتَشَبْ» يقال أَشَبْتُهُ وائتشبْتُهُ، أي جَمَعْتُهُ من وجُوهٍ مختلفة لا خَيْرَ فيها. وأصل الأَشَبِ الالتِفافُ، ويقال: غَيْضَةٌ أَشِبَةٌ. وتَوَسَّعُوا فيه فقالوا: عِنْد فُلَانٍ أُشَابَةٌ من المال، أي مِمَّا كَسَبَهُ من الحَرَام وما لا خَيْرَ فيه.

وقولُه «إلّا صميمًا» يقال: هو من صميم قوْمِهِ، إذا كان من خالصتهم ومَحْضِ أصلِهِم؛ ومنه قَوْلُهُم: صميمُ الرَّأس والسّاق، للعظْم الذي به قِوَامُ العُضو، وتوسَّعُوا فقالوا: جَاءَ في صميم الصَّيف أو الشّتاء. وانتَصَب صميمًا على أنّه استثناءٌ خَارِجٌ. وجَعَلَ قَوْلَه «عَرَبًا إلى عَرَبْ» بَدَلًا منه. ومعنى إلى عَرَبْ: مع عَرَبْ، كما يقولون: هذا إلى ذاك.

---

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٩٤ من حديث علي: «قال يوم الجمل: ما ظنك بامرىء جمع بين هذين الغارين؟» أي الجيشين، والغار: الجماعة.

وقولُه «تَبْكِي عَوَالِيهِمْ إذا لم تَخْتَضِبْ» فعالِيَةُ الرُّمْحِ وغيره أعلَاهُ، وقيل العالِيَةُ القَنَاةُ المستقيمة. وقَوْلُهُ «إذا لم تَخْتَضِبْ» يقال خَضَبَ الرَّجُلُ شَعْرَهُ، واخْتَضَبَ. ولا يُذكَرُ الشَّعْرُ معه، وقد يكون اخْتَضَبَ في مطاوعة خَضَبَ. ومعنى البيت: لكنّهم كانُوا خُلَّصًا عَرَبًا مع عَرَبٍ، عَوَّدُوا رِمَاحَهُم أن تُسْقَى دِمَاءَ الصُّدُور والقُلوب، فإذا انْقَطَعَ شِرْبُها عنها تَبْكِي تَحَسُّرًا عليه، وَوَجْدًا به. وهذا مَثَل.

ويَعْنِي بثُغَرِ اللَّبَّاتِ: هَزَمَاتِ التَّرَاقِي وحُجُبَ الأفئدة. ويقالُ لَبَبٌ ولَبَّةٌ، ولذلك رُوِيَ: «مِنْ ثُغَرِ الألباب» و«اللبات». والمعنى أنهم بُصَرَاءُ بالطَّعْنِ فلا يصيبون إلّا المَقْتَل.

٢٠١ ـ وقالَ بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ الطائِيُّ: [الطويل]

١ ـ إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ أَوَدُّهُ ثَلَاثَ خِلَالٍ كُلُّهَا لِيَ غَائِضُ

جَعَلَ شَكْوَاهُ إلى الله عزّ وجلّ، ليأسه من معونة المخلوقين فيما يتألَّمُ منه ويتضَجَّرُ به. يقولُ: أشْكُو ثَلَاثَ خِلَالٍ من صدِيقٍ لي أَمِيلُ إليهِ، وأُخْلِصُ الوُدَّ له، وكُلُّ واحِدة من تلكَ الخِلَال يَهْزِلُنِي ويَنْقُصُ من لحمي، ويَكسِرُ من نشاطِي. ويُقَالُ: غَاضَ المَاءُ وغِضْتُه أنا، وفي القرآن: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هُود: الآية ٤٤] فهي من باب فَعَلْتُ الشَّيء فَفَعَل. قال الشَّاعر: [الطويل]

فلا رَاكِدٌ يَجْرِي ولا هو غَائِضُ

٢ ـ فمنهنّ ألّا تَجْمَعُ الدَّهرَ تَلْعَةٌ بُيوتًا لَنا يا تَلْعَ سَيْلُكِ غامِضُ

يجوز أن يُرْوَى «تَجْمَع» بالنَّصْبِ والرّفع، فإذا نصبْتَ فلأنّ أنْ قَبْلَهُ هي الناصبةُ للفِعْل، وإذا رُفع فأَنْ تكونُ مُخَفَّفَةً من الثقيلة، أرادَ أنّه لا تَجْمَعُ، والهاءُ ضميرُ الأمرِ والشأنِ. ومِثْلُه في القرآن: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: الآية ٨٩]، قُرِئَ يرجع بالرّفع والنَّصب، حَمْلًا على الوجهين المذكورين. والتَّلْعَةُ: أرضٌ مرتفعةٌ يتردَّدُ فيها السَّيْلُ إلى بطن الوادي. ويقال: فُلانٌ لا يوثَقُ بِسَيْلِ تَلْعَتِه، إذا كانَ غيرَ صَدُوقٍ في أخبارِه. وبابُ التّلع كله يدُورُ على الإشرافِ والارتفاع. وقولُه «يا تَلْعَ سيْلُكِ غامِضٌ» يسمّي نُقّادُ الكلام مثلَهُ التفاتًا، فهو مثلُ قول جرير فيما حُكِي عن الأصْمَعِيّ: [الوافر]

مَتَى كانَ الخِيامُ بذي طُلُوحٍ سُقِيتِ الغَيْثَ أَيَّتُهَا الخِيَامُ[1]

(١) لجرير في ديوانه ٢٧٨، وخزانة الأدب ٩: ١٢١.

وصَلَح ترخيمُ تَلْعَةٍ وإن كانَ نَكِرة، لأنه قَصَدَ بها في النِّداء إلى واحدةٍ بعينِها. ومعنى البيت: من تلك الْخِلالِ التي أتألَّمُ منها أنّي وإيّاهُ لا نَجْمعُ طول الدَّهرِ في مكانٍ، ولا يَحوى بيُوتَنا تَلْعَةٌ من التلاع. ثم التَفَتَ مُظْهِرًا التَّضَجُّر، ومُبْدِيًا التوجُّع إلى التَّلْعَةِ، فقال: لا جرى فيكِ سيْلٌ، ولا ظَهَرَ بِكِ خِصْبٌ، ولا سُقِيَ لَكِ عَهْدٌ. وهذا كأنّه للموضِع الذي لا يتَّفق له مع صديقهِ المذكورِ فيه الْتقاءٌ على قُرْبه وجَوازِ كون ذلك فيه ـ ذَنْبًا، فأقبَلَ يذعو عليه تَضَجُّرًا به. ومن عادة الناس النَّظَر في الدِّيار وما يَسْنَحُ فيها من اجتماع الأحِبَّةِ أو افتراقِهم، وانتظام شَمْلِهِم فيها أو انبتاته. وقد وَرَدَ الخبرُ بمثل ذلك أيضًا.

٣ ـ ومِـنْـهـنَّ ألّا أَسْـتَـطِـيـعَ كَـلامَـهُ ولا وُدَّهُ حَـتَّـى يَـزُولَ عُـوَارِضُ

يجوز أن يُروَى «أستطيعُ» بالرّفع والنَّصب على ما تقدّم في البيت قبله. وقولُه «ولا وُدَّهُ» إنْ قيل كيف قال لا أستطيعُ وُدَّهُ، وقد قال في البيت الأول من خَليلٍ أوَدُّهُ، فأثبتُ الوُدَّ؟ قلتَ: إنما يعني لا أستطيعُ مُقْتَضَى وُدِّهِ ومُوجبَهُ، فَحَذَفَ المضاف. وقوله «حتى يَزولَ عُوارِضُ»، معناهُ حتى كان ما لا يكونُ. والمرادُ بالبيت: ومن تلك الْخِلال ما عَرَضَ بيني وبينه من إعراضٍ مُتَّصِلٍ وهَجْرٍ دائم، فلا أَقْدِرُ على مفاوَضتِهِ فيما يَعِنُّ من خيْرٍ وشَرّ، ولا أُطِيقُ مُباثَّتَهُ ما يَنتقِل فيه من محبوبٍ أو مكروهٍ، ولا أستطيعُ مُوادَّتَهُ ومخالَصَتَه بحسب الأحوال المتشابكة بيننا، ما ثَبَتَ عُوارِضٌ ـ وهو جَبَلٌ ـ ودامَ للدَّهرِ مُتَّصَلٌ.

٤ ـ ومِـنْـهـنَّ ألا يَـجْـمَـعُ الـغَـزْوُ بَـيْـنَـنَـا وفي الغَزْوِ ما يُلْقَى العَدُوُّ المُبَاغِضُ

وَجْهُ جَوَازِ الرَّفْعِ في يَجْمَعُ والنَّصب على ما تَقَدَّم. وقد رَتَّبَ الشَّاعرُ في هذه الأبيات مسبِّبات المَودّة ونتائجها، وما يوجِبُه غِراسُ المِقَةِ وآثارُها، أحسنَ تَرتيبٍ، فابتدأ عند ذكر انتفائها وامتِناعها بتعذُّر الاجتماع بالأبدان في المجَالِس والمَحَالّ، لأنَّهُ الأوّل والأصلُ في انعقادِ الوِداد، ثم أَتْبَعَهُ بما يَصْحَبُ الاجتماعَ للتألُّفِ، حتَّى لا يَنفكَّ منه من التَّوانُسِ والتَّساؤل، والمُخالَقَةِ والإلْطَافِ، لأنّه تِلْوُ الأوّل وثانيه. ثم أردفَ المقدّمتين بنتيجتهما من التَّعاوُن والتَّساعُد، والاهتمام والشَّفقة عندما يَحْدُثُ ويتجدّد من صغيرٍ وكبيرٍ، ومَرْدودٍ ومقبولٍ، فيقولُ: ومن تلك الأحوال أنَّ التَّشارُكَ في جَوالب الدَّهر بيننا رُفِضَ، والتألُّبَ على الأعداء من مقاصِدِنا سَقطَ، فلا يُؤلِّفُ بيننا مراعاةُ عَزٍّ، ولا عمارةُ وُدٍّ، ولا يَنْظِم نوانا اجتذابُ مَحْمِدَةٍ، ولا دِفاعُ مَظْلِمَةٍ. ثم

قال: «وفي الغَزْوِ ما يُلْقَى العَدُوُّ» ما صِلَةٌ، والمعنى: وفي العِزِّ يُحتاج إلى الصَّديقِ المُخالِص، إذْ كان إنَّمَا يُلقَى فيه العَدُوُّ المُبَاغِض. فهذا وَجْهٌ. ويجوز أن يكون المعنى: وفي الغَزْوِ قد يُلقَى العَدُوُّ المُبَاغِضُ فكيف الصديقُ المُوَادّ. والأوّل أشْبَهُ وأجوَدُ.

٥ - ويَتْـرُكُ ذا البَـأْوِ الـشَّـديـدِ كـأنَّـهُ   من الذُّلِّ والبَغضاءِ شَهْبَاءُ مَاخِضُ

أخَذَ يُبيِّنُ مَسَاسَ الحاجة في الغزْوِ إلى ائتلاف الأوِدّاء، وتعاوُن الأشِدّاء، فيقول: وإذ كان الغزوُ يَتْرُكُ المتكبِّر الذاهبَ بنفسه مذاهِبَ ذَوِي الجَبْرِيَّةِ والعِزِّ، وكأنَّهُ مما لَزِمَهُ من الذُّلّ والبُغْضِ للخلاف والحَرْب، وتَنَاسِي الاعتلاء والقَهْر، ناقَةٌ شَهْبَاءُ أثَّرَ وجعُ الوِلادة فيها فَضَعُفَتْ وسَقَطَتْ. وإنَّما خَصَّ الشَّهباء بالذِّكر لأنَّها أنعَمُ الإبِل وأرقّها، وأقلّها صبرًا وأضعفُها.

والمَخَاضُ: وجع الوِلادة، ويستعمل في أنواع الحيوان. والطَّلْقُ لا يكونُ إلَّا في النِّساء.

٦ - فَسَـائِلْ هَـدَاكَ اللهُ أيَّ بَـنِـي أبٍ   من النَّاسِ يَسْعَى سَعْيَنا ويُقَارِضُ

أخذ يستعطِفُ الصَّديق الذي شكاهُ، ويستميلُ بِقَلبِه، فقال: سَلْ أرشَدَكَ الله للخَيْرِ وصِلَة الرَّحِم، وعَدَلَ بك عن سبيل الضلال والقطيعة: أيُّ قَوْمٍ من النَّاسِ يسعَى في مَنْع قُوَى التَّشَابُك من الانبتات، وصَونِ عُرَى التَّواصُلِ عن الانفصام، سَعْيَنا؛ أو يُقارِضُ ذوي القرابات، وإخوانَ الوداد والمصافاةِ، في حَالَتَي السَّرّاء والضَّرّاء، مُقَارَضَتَنا؛ ثم توقَّفْ علينا بمثل ما يقتضيه الخِبرةُ والمَعْرِفَةُ، وعلى ما يَبْعَثُ عليه البَحْث والمُسَاءَلة.

٧ - نُـقَـارِضُـكَ الأمْـوَالَ والـوُدَّ بَـيـنَـنَـا   كـأنَّ الـقُـلُوبَ رَاضَـهَـا لَكَ رَائِـضُ

في الكلام إلْمامٌ بالعَتْبِ، وإظهارٌ للاستجفاء؛ لأنَّه أخذ يُبيِّنُ تمامَ ميلهم إليه، وحُسْنَ احتمالهم منه، وأنَّهم على جفَائِهِ لا يمنعونهُ مَالًا، ولا يَمْذُقُونَ لَهُ وُدًّا، وكأنَّ قلوبَهُم جُبِلَتْ على حُبِّه، وأشرِبَتْ مودَّتَهُ، فمَتى رَامتْ سَلْوَةً أو نُبُوًّا أُدِيرت إلى عادته الأُولَى، وعُطِفَتْ على مَحبَّتِهِ القُدْمَى.

٨ - كَفَى بـالقُبُـورِ صـارِمًا لـو رَعَـيْـتَـهُ   ولـكِـنَّ مـا أعْـلَـنْـتَ بـادٍ وخـافِـضُ

قوله «بالقبور» في موضع الرفع على أن يكون فاعِلَ كَفَى، وانتَصَب «صارِمًا» على الحال أو التمييز. ولما كان القَصْدُ بذكْر القُبُور إلى ما يُؤَدِّي إليها، وهو الأجَلُ

المضروب، صَلَحَ أن يقولَ «صارِمًا لو رَعيْتَهُ». ويقالُ رَعيْتُ النُّجُومَ وراعيْتُها، إذا راقَبْتها. وقولُه «وخافضٌ» أراد به مُنْخَفِضٌ لكنه أخرَجَهُ مَخْرَج النسبة كأنه قال: وذو خَفْضٍ. يقول: لو انتظرتَ الموتَ، وصَبَرْتَ على المُجاملة مُدَّةَ العَيْشِ، لكان يكفيك عند حُصُولِهِ ما تَعَجَّلْتَه من الصُرْمِ، ولكنّ ما أظهَرتَهُ من البُغْضِ تمكَّنَ من نَفْسِك وقلبِكَ، واستولَى على فِعْلِك وقولِك فلمْ تَمْلِكْ معهُ صَبْرًا، ولم تُطِقْ بما يجمعنا رِفْقًا، فهو باطنٌ ظاهرٌ، مُسَرٌّ مُعلَنٌ. وإنما قال هذا لأنَّ الإنسان قد يُظْهِرُ خِلافَ ما يَنطوي عليه أو دُونه، ما دامَ يَملِكُ زمامَ تَجَمُّلِهِ وتَسَترِه، وصارَ الغَلَبَةُ لِعَقْلِهِ وإرادته. فإذا كان ما يَنْبَعُ منه عن مَعِينٍ في القَلْبِ كَنِينٍ، وعريقٍ مَكين، قد امتَلَكَ النَّفسَ وغَلَبَ المُسْكَةَ والصَّبْرَ، فذلك النِّهايةُ لا يُقْدَرُ على سَتْرِه، ولا يُهْتَدَى إلى دفعِه. وفي القرآن ما فيه هذا المعنى قولُه تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٨].

٢٠٢ ـ وقال قَبيصة بن النَّصرانيّ[١]: [الطويل]

١ ـ ألم تَرَ أنَّ الوَرْدَ عَرَّدَ صَدْرُهُ *** وحادَ عن الدَّعْوَى وضَوْءِ البَوارِقِ[٢]

التَّعريدُ: تَرْك القَصدِ وسُرعةُ الانهزام. والمُرَادُ بالدَّعْوَى قولُ الكُماةِ مَن يُبارِزُ! وخُذْها وأنا فلَانٌ! وأنا الذي من شأنِهِ كذا! وأشباهَه. والبَوَارِقُ، جمع بارِقَةٍ: السُّيوف وسائر الأسلحة.

وقائل هذه الأبيات يعتذر من إِحْجَامٍ اتَّفَق، وتأخُّرٍ عن الزَّحْفِ ظَهَرَ للناسِ من فِعْلِهِ، فأخَذَ يُوَرِّكُ بالذَّنْبِ على فَرَسِه، وإِنَّ نَفْرَتَهُ كانت السَّببَ في نُكُوصه، فقال على طريق التَّلَهُّف والتَّوجُّع: أما تَعلم أن فَرَسِي الوَرْدَ انحرَف عن القَصْده صَدْرُه، وتَوَلَّى إلى غير الوجهة التي أُرِيدَها وجهُهُ، لنُفُورِهِ عن تداعي الأبطال، ونُكُولِهِ عن لمعانِ السُّيوف والرِّماح.

٢ ـ وأخرَجَنِي من فِتْيَةٍ لم أُرِدْ لَهُمْ *** فِراقًا وهُمْ في مَأْزِقٍ مُتَضايِقِ

قوله «وأخْرَجَني» معطوفٌ على ما اعتلَّ بهِ من نُفُور الفَرَس، ومَعْدُودٌ فيما أَمَّلَهُ من جِنايتِه عليه. والواو من قوله «وهم في مَأزِق» واوُ الحال، والأزْقُ: الضِّيقُ في

---

(١) التبريزي: «قبيصة بن النصراني الجرميّ».

(٢) التبريزي: وروي: (عزّ بصدره): وهو أجود الروايتين».

الحربِ، ومأزِقٌ مَفعِلٌ منه. وقال «مُتَضايِق» لأنَّ ضِيقَ المَكَرِّ في المعارِك يحصلُ شَيئًا بعد شيءٍ. فيقولُ: فَرَّقَ بيني وبين فِتْيان أَحْبَبْتُ الكونَ معهم، وأَوْجَبْتُ على نفسي مُمَالأَتَهم ومساعدتَهم، في وقتٍ كُنتُ خَليقًا بالثَّباتِ معَهُم، وإظهار البلاء في نُصْرَتِهِم، وكانوا مدفوعين منه إلى ضَنْكِ مَجَالٍ مِثْلِي يُسْتَدْعَى له، ويُسْتَنهضُ للإعانةِ فيه.

٣ ـ وعَضَّ على فَأْس اللِّجَامِ وعَزَّنِي عَلَى أَمْرِهِ إذْ رَدّ أَهْلُ الحَقَائِقِ

هذا بيانُ جِماحِ فرسِهِ وتأبِّيه عليه، فيقولُ: رَكِبَ رأسَهُ وغَلبنِي على أمْرِه، فلمَّا كرَّ أهلُ الحقائق لم أَقْدِرْ على الكَرِّ معهم، ولا مَلَكْتُ رَدَّ فَرَسِي مع رَدِّهم. وأَهْلُ الحقائق هم الذين يَبْلُغُونَ فيما يَلُونَهُ ما يَحِقُّ ويَجِبُ. ويُقالُ: حَقَّقْتُ العقدةَ، إذا شَدَدْتَها.

٤ ـ فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا بَلَوْتُ بَلاءَهُ وأَنّي بِمَتْعٍ من خليلٍ مُفارِقِ

يُروى: «وأُبْنَا تَمَتَّعْ». وله، الضمير للفرَس. كأنَّه كان يخاطبه متحسِّرًا ويُبَاثُّه مُتَلَهِّفًا، ويقول بعد أن مُنِيَ منه بما مُنِيَ، وابْتُلِيَ من نَفْرَتِهِ وركوب رأسِهِ بما ابْتُلِيَ: من أينَ لي الاستمتاع من خليل فَارَقْتُه، وكيفَ أساعِدُهُ وأتحمَّلُ عنه ثِقْلًا وقد باعدتْ بيني وبينَه. فقولُهُ «وأَنّي بِمَتْعٍ» في موضع المفعول لِقُلْتُ. ويقالُ: مَتَعَ بكذا واستَمتَع، ومَتَّعَهُ الله به وأَمْتَعَهُ. ومن رَوَى: «وأُبْنَا تَمَتَّعْ» يدخل وأُبْنَا في جملة ما اتَّصَلَ بلمَّا، ويكون المعنى: ولمَّا بَلَوْتُ بلاءَهُ وأَكْرَهَنِي على مرادِه، فانْصَرفْنَا من مَقْصَدِنَا، قُلْتُ له مُقَرِّعًا ومُتوجِّعًا: الآنَ تَمَتَّعْ من أَجلِ خليل بَعَّدتَ بيني وبينه. كأنَّ تَفَجُّعَهُ امتدَّ أوّلًا وآخِرًا، وقبل الأوبةِ وبَعْدَها وجوابُ لمَّا في الوجهين قوله فقلتُ بما اتصَلَ به.

٥ ـ أُحَدِّثُ مَنْ لاقَيْتُ يَوْمًا بَلاءَهُ وهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّنِي غَيرُ صَادِقِ

يقال: حَدَّثْتُهُ كذا وبكذا، فَيُحْمَلُ على خَبَّرْتُهُ كذا وبكذا، ونبَّأْتُهُ كذا وبكذا. قال الهُذَلِيُّ: [الوافر]

ولكن خَبَّرُوا قَومِي بَلائي

وقال الآخر: [الطويل]

وأُنْبِئْتُهُ أَنّ الفِرارَ خَزَايَةٌ

يقولُ: أَبُث في النَّاسِ قِصَّتِي وقصة فَرَسِي، وأُخْبِرُ كُلّ من لاقَيْتُهُ بجنايَتِهِ عَلَيَّ وبَلائِهِ مَعِي، وهم بحَسَدِهِم وسوء رأيِهِم يُوَجِّهُونَ الظِّنَّةَ إليَّ، ويُسَلِّطُونَ التُّهمَةَ عليّ، فأنا بَيْن تكذيبٍ وتعييرٍ معهم وفيهم.

٢٠٣ ـ وقال أيضًا: [السريع]

١ ـ هَـاجِـرَتِـي يـا ابْـنَـةَ آلِ سَـعْـدِ

٢ ـ أَأَنْ حَـلَبْـتُ لِقْـحَـةً لِلْوَرْدِ

يُروَى «هَاجَرْتِنِي» على الخِطَابِ، والكلامُ به ظاهر الاستقامَةِ، ويُرْوَى «هَاجِرَتِي»، والمعنى: أنتِ هاجِرَتِي. وقال «يا ابنةَ آلِ سَعْد» يجوز أن يريد يا ابنة سعد فزاد الآلَ كما يُزَادُ لَفظَةُ حَيّ وذُو. ومثْلُه قول الآخر، أنْشَدَهُ ابن الأعرابيّ: [البسيط]

إنَّ ابْـنَ آلِ ضِـرَار حِيـنَ أَنْـدُبُـهُ زَيْدًا سَعَى لِيَ سَعْيًا غيرَ مَكْفُورِ

أراد إنّ ابن ضِرار. وهذا بابٌ واسِعٌ مُخْتَلِفٌ. ويجوز أن يكون جَعَلَهَا ابنةَ الآلِ إعظامًا لها، كما يقال يا ابنة القوم، وقد تقدم القول في الآل وحَقِيقَتِهِ. واللِّقْحةُ: النَّاقةُ الحَلُوب؛ ويُوصَف به، لا يُقالُ ناقَةٌ لِقحةٌ، بل يَجرِي مجرى الأسماء. يقولُ: صَارَمْتِنِي أيّتها المرأةُ حين آثَرْتُ فَرَسِي الوَرْدَ بِلَبنِ لَقُوحِي، فَأَخرجَ قولَه «أأنْ حَلَبْتُ» مَخْرَجَ التّقريع والتَّوبيخ، وإن كان لَفظُهُ لَفظَ الاستفهام، لأنّ المُرَادَ به: أَلِأَنْ حَلَبْتُ، أي أَلِهذَا الشَّأنِ كان مِنْكَ الهِجْرانُ لِي.

٣ ـ جَـهِـلْـتِ مـن عِـنَـانِـه الـمُـمْـتَـدِّ

٤ ـ ونَـظَـرِي فـي عِـطْـفِـهِ الألَدِّ

٥ ـ إذَا جِـيَـادُ الـخَـيْـلِ جَـاءَتْ تَـرْدِي

٦ ـ مَـمْـلُوءَةً مِـن غَـضَـبٍ وحَـرْدِ

قولُه «جَهِلْتِ من عِنَانِهِ» يجوز على مذهب أبي الحسن الأخفش أن يكون زاد «مِنْ» في الواجِبِ، أراد جَهِلْتِ عِنَانَهُ، ويكونُ قولُه، «ونَظَرِي» في موضِعِ النَّصْبِ عَطْفًا عليه إن شِئْتَ. ومِمَّا حَكَاهُ من الحُجَّةِ لَهُ القولُ بعضِهِم: «قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ»، «قد كان من شَيْءٍ فَخَلِّ عَنِّي». وعلى مذهب سيبويه يكون فيه وَجْهَان: أحدُهُما أن يكونَ الكلامُ مَحْمُولًا على المعنَى، لأنّ الجَهلَ نَفْيُ العِلْمِ، كأنّه قال بَدَلَ جَهِلْتِ: ما

عَلِمْتِ وما عَرَفْتِ. والثاني أن يكون حَذَف مفعول جَهِلْتِ كأنَّهُ قال جهلْتِ من عِنَانِه الطَّويلِ مَدْلُولَه من العِتْقِ والنَّجابة، لأنَّ الذي جهلْتهُ ذلك، إذْ كان امتدادُ عُنُقِه يُدْرَكُ مُشَاهَدَةً. والشَّاعِرُ أقبلَ يُبَيِّنُ عُذْرَهَا فيما أنكرتْه وعذْرَ نفسِهِ تَفَقُّدِه فرسَهُ فقال: جهِلْتِ ما أَعْرِفُه من كرمِهِ ونَجابَتِهِ، وما أتبيَّنُه وأستدِلُّ عليه من امتداد عنُقه ولجاج جانبِه، واعتراضِه في مَشْيِهِ، فلذلك استَعْظَمَتْ إيثارِي إيَّاه. وذكرَ العِنانَ والقَصْدُ العُنُق لأنَّ طولَه بطولها، واللَّدَدُ أصلُهُ في الخصومَةِ، يقال خَصْمٌ أَلَدُّ. وقوله «إذا جِيادُ الخَيْلِ» إذا ظرفٌ لما دَلَّ عليه قولُه «في عِطْفِهِ الأَلَدِّ». وقوله «تَرْدِي» في موضع الحال، والعامل فيه جاءت. والرَّدَيان: ضَرْبٌ من المشي. قولُه «مملوءةً» في موضع الحال، والعامل فيه تَرْدِي. والحَرْدُ: القَصْد، وفي القرآن: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القَلَم: الآية ٢٥]، أي على جِدٍّ من أمْرِهم، والمعنى: إذا جاءت الخيلُ العِتاقُ قد حَمِيَتْ ونَشِطَتْ فامتلأَتْ غَضَبًا، وصار مَشْيُها رَدَيانًا، كان في عِطْفِ هذا لَدَدٌ واعتراضٌ، وفي مَشْيِه اقتسار والتواءٌ. والعِطْفُ من كل شيءٍ: جانِبُهُ من لَدُن رأسِه إلى وَرِكه. ويقال: ثَنَى عِطْفَهُ، إذا أَعْرَضَ وجفَا.

٢٠٤ ـ وقال آخرُ(١): [الوافر]

١ ـ لَعَمْرُ أَخِيكَ لا يَنْفَكُّ مِنَّا ... أَخُو ثِقَةٍ يُعَاشُ به مَتِينُ(٢)

قوله «لَعَمْر أخيك» يجوز أن يُريدَ بأخيك نَفْسَهُ، كأنَّه قال لَعَمْرِي. وجَعَلَ نَفْسَه أخاهُ على طريق الاستعطاف وتلطيف الحالِ. ويجوز أن يَكُونَ المُخاطَبُ كانَ لَهُ أخٌ يَعِزُّ عليه ويُقْسِمُ بحياتِه، فاقْتدى به في ذلِك إعظامًا لهُ وللمُقْسَم بِهِ. ولَعَمْرُ مُبْتَدَأٌ وخَبَرُهُ محذوفٌ، كأنَّهُ قال لَعَمْرُ أخِيكَ قَسَمِي أو ما أُقْسِمُ به. ومعنى لا يَنْفَكُّ: لا يَزَالُ. والمَتِينُ: كلُّ صُلْبٍ شديدٍ، والمصدرُ المتانةُ، وماتَنْتُ الرَّجُلَ مُمَاتَنَةً، إذا حاكيْتَهُ فَفَعَلْتَ مثل ما يفعله من الشِّدَّة. يقولُ: وبقاءِ أخيكَ لا يزال منَّا أخٌ يوثَقُ بوُدِّهِ، ويُحْسَنُ الظَّنّ بنيابَتِه، ويُعاشُ به وفي ظِلِّهِ، جَلْدٌ قويٌّ عَزيز.

٢ ـ مُفِيدٌ مُهْلِكٌ ولِزَازُ خَصْمٍ ... على المِيزانِ ذُو زِنَةٍ رَزِينُ

---

(١) التبريزي: «وقال أيضًا أبي قبيصة بن النصراني».
(٢) التبريزي: «لعمر أبيك».

قوله «مُفِيدٌ مُهْلِكٌ» مثل قول الآخر: [الطويل]

مُــفِــيــدٌ مُــفِــيــتٌ(١)

ويكون أفادَ متعدّيًا إلى مفعولين، وقد حَذَفَهُما، وكذلك مُفِيتٌ. ويجوز أن يكون أفاد بمعنى استفاد، فيكون معنى مُفِيدٌ مُهْلِكٌ: كَسُوبٌ بالغَزْوِ مِتْلافٌ. والأوّل أَصْلَحُ في هذا. وقوله «لِزَازُ خَصْمٍ» لِزَازٌ كالسِّنادِ والعِمَاد وما أشبههما. واللَّزُّ أصله اللُّزوم والثَّباتُ. على ذلك قولُهم لِزَازُ الباب. ثمّ توسّعوا فقيل هو مِلَزٌّ في الخصومة ولِزَازٌ؛ وهو مُلَزَّزُ الخَلْقِ، أي مُجْتَمِعُه. يقول: يفيدُ أولياءَهُ الخيرَ والغُنْم ويُهلِكُ أعداءَهُ، ثم يَلزَمُ خَصْمَهُ فلا يفارقُه أو يَغْلِبه. وإذا وُزِنَ بغيرِه رَجَحَ عليه في السَّبرِ والاختبار، فإذا استُخِفَّ ذلك كان هو وقورًا رزينًا. ويقال: رزينٌ بَيِّنُ الرَّزانة، وامرأةٌ رَزَانٌ.

٣ ـ يَــزِيــدُ نَــبَــالَةً عــن كــلّ شــيءٍ ونــافِــلَةً وبــعــضُ الــقَــوْمِ دُونُ

نَبالةٌ مصدر نَبُل. والنَّافِلةُ: الفَضْل. ودونَ، حقيقتُه القاصِرُ عن الشيء. ويقال هو دُونَكَ في الحَسَب على التوسُّع، هذا إذا كان ظَرْفًا. ويقال: هو دونٌ في الرِّجال، وما هو بدونٍ، فيُجْعَلُ اسمًا، والذي في البيت هو على هذا. يقولُ: ومع اجتماع هذه الخِصال فيه سَرْوٌ ونُبْلٌ، وحَمِيّةٌ وعِزٌّ، فيَفْضُلُ على كلّ نَبيلٍ، ويَعلُو على كلّ ذي شأن نَبيهٍ، وبَعْضُ القَوْم ساقِطٌ قاصِرٌ، متأخّرٌ ناقِصٌ.

٢٠٥ ـ وقال خُفَافُ بن نُدْبَةَ(٢): [المتقارب]

١ ـ أَعَــبَّــاسُ إنّ الــذي بــيــنَــنَــا أَبَــى أن يــجــاوِزَهُ أَرْبَــعُ

المخاطَبُ عَبَّاس بن مِرْدَاس، ومراد الشاعر أن يقول: يا عَبَّاسُ، إنَّ الحُرُمات الأربع التي تجمعني وإياكَ، مَنَعَت أن يتخطّاها ما بيننا من الشرّ، فهو يَقِفُ دونها، ويَقْصُرُ عن تجاوُزِها. وظاهِرُ الكلام فيه قَلْبٌ، لأنه جعَلَ الفعلَ الذي هو المجاوزة للأربع، والأربع هي الآبِيَةُ من أن يجاوِزَها ما حَدَثَ بينهما. وصَلَحَ ذلك لأنّ المراد

(١) لكعب بن سعد الغنوي في أمالي القالي ٢: ١٤٨، وتمامه:

«مفيد مفيت العائدات معود لفعل الندى والمكرمات كسوب»

(٢) خفاف بن ندبة: بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، من مضر أو خراشة، شاعر فارس من أغربة العرب، أخذ السواد من أمه ندبة (ت ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م) ترجمته في: الإصابة ١: ٤٥٢، والشعر والشعراء ١٢٢.

لا يَلتبسُ من الكلام. وعلى هذا قول الآخر: [المديد]

كـمـا أسْـلَمَـتْ وحْـشِـيَّـةٌ وَهَـقَـا(١)

لأنّ الوَهَقَ يُسْلِمُ الوَحْشِيَّةَ. ويمكن أن يقال: إذا تعَدَّى أحدُ الشيئين صاحِبَهُ فقد صار الآخَر كأنَّهُ تعدّاهُ، وإذا كان كذلك ساغَ أن يُجعَل لكلٍّ واحد منهما المجاوزةُ.

٢ ـ عَـلائـقِ مِـنْ حَـسَـبٍ داخِـلٍ مـع الإلِّ والـنَّـسَـبُ الأرْفَـعُ

٣ ـ وأنْ ثَـنِـيَّـةَ رَأسِ الـهِـجَـا ءِ بَـيـنـي وبَـيـنَـكَ لا تُـطْـلَعُ

هذا تفسير الخِصَالِ الأربع التي أجْمَلَها. والعلائق، جمع عِلاقة، وهو ما يُتَعلّق به من الشَّيء أو يُعَلَّقُ به الشيء. وقوله «من حَسَبٍ داخِلٍ مع الإلّ»، فالحَسَبُ: الشَّرَف. والإلُّ: العَهْدُ. ومعنى داخلٍ مَعَهُ، أي مختلطٌ به. والنَّسَبُ الأرفَع يجوز أن يكون يَعْنِي به النَّسَبَ من قِبَل الأب، لأنّه أرفع النسبين، ويجوز أن يَعنيَ النسبَ الرفع العَلِيّ. وقد حَصَل إلى هذه الغاية من العلائق ثَلاثٌ: حَسَبٌ، ونَسَبٌ، وعَهْدٌ بينهما، والعلاقة الباقية هي مذكورةٌ في البيت الذي يليه، وهو قوله:

وأنْ ثَـنِـيَّـةَ رَأسِ الـهِـجـا ءِ بـيـنـي وبـيـنَـكَ لا تُـطْـلَعُ

كأنّهما كانا تعاقَدَا أن لا يهجو أحدُهما صاحِبَهُ، لا يذكُرَهُ في الشِّعْرِ ناحتًا أثْلَتَهُ. وجعَل لرأس الهجاء عَقَبَةً تَثْنِي بشُقَّتها من يريدُ قَطْعَها. ويقال: طَلَعَ الثَّنِيَّةَ واطَّلَعَها، إذا أشْرَفَ عليها. فإن قيل: وما الفَصل بين الحَسَب والنَّسَب؟ قلت: إنّ الحَسب ما يُعَدّ من الخِصَال الكريمة، وتَرَى الحسِيبَ يوجِبُ للحسيب ويَعْرِف له بحَسَبِه مَحَلًا وقَدْرًا، وإنْ لم يكُن بينهما قُرْبَى ولا قرابةٌ. والنَّسَبُ يريد به الرَّحم والقرابة. فإنْ قيل: فما معنى الإلّ، وما الفَرْقُ بينه وبين الخَصْلَةِ الرابعة، وهي التعاقُدُ على تركِ الهجاء واطِّراحه؟ قلتَ: الإلُّ: العَهدُ، بذلك فَسَّرَهُ أبو عُبيدةَ في قولِهِ تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبَة: الآية ١٠]. كأنهما كانا تواثَقَا على أن لا يُدَبِّرَ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه، ولا يَسْعَى في نَصْب المكايد له ـ فهذا ميثاقٌ بينهما ـ ثم اتَّفَقا أيضًا على أن لا يتهاجَيَا. وإذا كان كذلك فالفصل بين الأمرين ظاهر، كما ظهر بين الحَسب والنَّسَب.

(١) بلا نسبة في المحتسب ٢: ١١٨ وتمامه:

«أسـلـمـوهـا فـي دمـشـق كـمـا أسـلـمـت وحـشـيـةٌ وهـقـا»

٤ ـ وأَبغِضْ إليَّ بإتيانِها إذا أنا لم أنسَها أُدفَعُ[١]

قولُه «وأَبغِضْ إليَّ بإتْيانِها» استُعِيرَ فيه بناء الأمر للخَبَر، لأنّ معناه التعجُّب والتعجّب خَبَرٌ، وهم يستعيرون المباني للمعاني، كما يستعيرون الجُمَل والمفردات. وهذا كما يُستَعارُ بناءُ الخَبرِ للأمر كقوله: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ﴾ [البَقَرة: الآية ٢٢٨]. وموضع بإتيانها رَفْعٌ على أنّه فاعلٌ، كأنه قال بَغُضَ إتيانُها إليَّ جِدًّا. يقول: ما أَبغَضَ إتيان عَقَبةِ الهجاء واطّلاعَها إليَّ، لأنّي أربأ بنفسي عنه وقَدْري، وأصونُ منه ديني وعِرْضي، وأتناسَى فعْلَ ذلك فلا يكون من هَمّي. ولو لم أَترُكْها تأثُّمًا وتكرُّمًا ثم أردتُ مناقضتك ومقاذَعَتَك، لكان ما تعاقَدْنا عليه من تَرْكِهِ يدفعُني عنه، ويمنَعُني منه. فإذا ظَرْفٌ لقولِه أُدفَعُ[٢].

٢٠٦ ـ وقال بَعْضُ اللُّصوصِ من طَيِّءٍ[٣]: [الوافر]

١ ـ ولمّا أنْ رَأيتُ ابنَي شُمَيطٍ بسِكّةِ طَيِّءٍ والبابُ دُوني

٢ ـ تَجَلَّلتُ العَصَا وعلمتُ أنّي رَهِينُ مُخَيَّسٍ إنْ أدرَكوني

الشّعرُ لبعض المتلصِّصة، وكان أُنهِيَ حالُه إلى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وهو بالكوفة، فوجّه في طَلَبِه ابنَيْ شُمَيْطَ، فأحَسَّ بذلك وركِبَّ فَرَسَه العَصَا فنَجَا به، وذكر قِصَّتَهُ في هذه الأبيات. وقولُه «والبابُ دوني» يعني بابَ البَلَد والمَسالِح. وقولُه «تَجَلَّلْتُ العَصَا» جوابُ لمّا، أي رَكِبْتُهُ على جُلِّهِ ولم أتلوّمْ لإسراجِهِ، خوفًا على نَفسِي، وعِلْمًا أنّي إن توقّفت أُودِعْتُ السجن مُرْتَهَنًا بما كسَبَتْ يَدِي. و«مُخَيّسٌ»: اسمُ سجْنٍ بناهُ أمير المؤمنين عليه السلام. والتَّخْيِيسُ: التذليل، وأصْلُهُ في الكدّ.

---

(١) التبريزي: «لم آتها أدفع».

(٢) روى التبريزي بعد هذه الحماسية مقطوعة أخرى لمعبد بن علقمة:

«١ ـ غُيّبتُ عن قتل الحُتاتِ وليتني شهدتُ حُتاتًا حين ضُرِّج بالدمِ
٢ ـ وفي الكفّ مني صارمٌ ذو حقيقةٍ متى ما يُقَدِّمْ في الضريبةِ يُقدِمِ
٣ ـ فيعلمَ حيًّا مالكٍ ولفيفُها بأن لست عن قتلِ الحتاتِ بمحرمِ
٤ ـ فقل لزهير إن شتمت سراتنا فلسنا بشتّامينَ للمتشتّمِ
٥ ـ ولكننا نأبى الظلامَ ونعتصي بكل رقيقِ الشفرتينِ مصمّمِ
٦ ـ وتجهلُ أيدينا ويحلُمُ رأيُنا ونشتمُ بالأفعال لا بالتكلّمِ
٧ ـ وإن التمادي في الذي كان بيننا بكفّيكَ فاستأخرْ له أو تقدّمِ»

(٣) التبريزي: «قال أبو هلال: هو شبيب بن عمرو بن كريب، وكان يصيب الطريق في أيام علي».

على هذا قال النابغة: [البسيط]

وخَيِّسِ الجِنَّ إني قد أذِنْتُ لهم يَبْنُون تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والعَمَدِ[١]

ويقال في الشتم: خُيِّسَ أنفُه فيما يكره، كما يقالُ: أُرْغِم أنفُهُ.

٣ ـ ولَوْ أنِّي لَبِثْتُ لهم قليلًا لَجَرُّوني إلى شَيْخٍ بَطِينِ

٤ ـ شَدِيدِ مَجَامِعِ الكَتِفَينِ باقٍ على الحَدَثانِ مُخْتَلِفِ الشُّؤُونِ

قوله «قليلًا» يجوز أن يكون ظَرْفًا، يريد زمانًا قليلًا، ويجوز أن يكون صفَةً لمَصْدَرٍ محذوفٍ، يريدُ لَبْثًا قليلًا. فيقول: لم أتمكّث للطالبِين لمّا عَرَفْتُ الحال، ولم أتباطأ معرِّجًا على إعداد شيء، ولو ظَفِروا بي لجرُّوني إلى حضرةِ رجلٍ عظيم البطنِ شيْخٍ، وذلك صفةُ أمير المؤمنين عليه السلام. ولقد رُوِي عن النبيّ صلوات الله عليه في عِظَم بَطْنه أنه قال: «هو لكثرة عِلْمِه». وقولُه «شديدِ مجامعِ الكتفيْن» من صفتِه إلى آخر البيت. يريد أنه شديد الظَّهر، قويّ المَتْن، مجتمع الخَلْقِ، وذلك خِلْقَةُ الأسَد. وقوله «باقٍ على الحَدَثان» يعني صَبْرَهُ في حوادث الدَّهر، وانتصابه في وجوه بُغاة الجَوْر، لا يأخُذُه في طلب الحقِّ وإمضائه لومةُ لائم، واعتراضُ مُمانعٍ، ولا يَلفِتُه عن هَدْيه وسَنَنِه كراهةُ كارهٍ، وقَعْدَةُ خاذلٍ. وقوله «مختلفِ الشؤون» يعني طرائقه في زُهدِه وعِلْمِه وورَعِه، وبأسِه وإقدامِه في ذات الله، وجُبْنِه عن محارمِ الله، وتعفُّفِه عن احتجاز المطامع، وابتناء المصانع، مع قلّة الاحتفال باكتساب رِضا خَلْقِه، إذا أدّاهُ إلى سَخَط ربِّه، إلى ما لا يكاد يجتمع إلا في مِثْلِه، ويطولُ الكلامُ بعدِّه وضَبْطه. وفي هذه الطريقة وإن اختَلَف الوَصْفان والموصوفان قول الآخر: [الطويل]

قليلُ التَّشَكِّي للمُهِمِّ يُصِيبُهُ كثير الْهَوَى شَتَّى النَّوَى والمَسالِكِ[٢]

٢٠٧ ـ وقال حُرَيْثُ بن عَتَّاب[٣]: [الطويل]

١ ـ لَمَّا رأيتُ العبْدَ نَبْهانَ تَارِكي بِلَمَّاعةٍ فيها الحوادثُ تَخطِرُ

٢ ـ نُصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وبابْنَيْ مُعَرِّضٍ وسَعْدٍ وجَبَّارٍ بلِ اللهُ يَنْصُرُ

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٢١، واللسان (عمد، دمر)، وكتاب العين ٤: ٢٨٨.
(٢) لتأبط شرًا في الحماسية رقم (١٣).
(٣) التبريزي: «قال حريث بن عتاب بن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف».

٣ ـ ولله أعطاني المَوَدَّةَ مِنهُمُ وثَبَّتَ ساقي بعد ما كِدتُ أَعْثُرُ

لمّا عَلَمٌ للظَّرْفِ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره، وجوابُهُ نُصِرْتُ. وأراد بني نَبْهانَ فذَكَرَ الجَدَّ والمرادُ القومُ، وسَمَّى نَبْهانَ العَبْدَ تَهجِينًا له، ورَمْيًا إياهُ باللؤْم. واللَّمّاعة: المَفازَةُ يلمَعُ فيها السَّرابُ. وجعَلَها مَخُوفةً لا تؤمن فيها نوائب الدَّهرِ، وحوادث الموتِ. ومعنى تَخْطِرُ تَحدُثُ وتعترض. ويقال: رُمْحٌ خَطَّارٌ، أي شديد الاهتزاز، ومنه خَطَرانُ الفَحْلِ بذَنبِهِ عند الصِّيال. فيقول: لمَّا وجدتُهم متخلِّفين عنِّي وتاركين لي بمَفَازةٍ هذه صفتُها، استَنْصَرْتُ غيرَهم فنصرني الله بالأقوام الذين ذكرْتُهم. ولا يمتنع أن يكون اللَّمّاعة كناية عن الأمر الشديدِ والداهية المُنكَرة. ويكون قولُه «تارِكي بِلَمّاعةٍ» كما يقالُ تركتُه بحالة سَوْءٍ، وبآخِرِ رَمَقٍ، وما يجري مَجْراهُ. وقولُه «فيها الحوادثُ تَخْطِرُ» جَعَلهُ مَثلًا لما لم يكُن يأمَنُهُ من فنون الحوادث، وصُروف المَتالف. ثم أخذ يشكر الله على ما عَطَفَ عليه من مَيْلِ الأقوام الذين أغاثوه، وثَنى إليه من نَصْرِهم، وعلى تثبيت قدمه بعد ما كادت تَزِلُّ به، وتَلَافيهِ بِحُسْنِ الاستمساك، عندما ظَنَّ من إشراف الهَلَاك.

٤ ـ إذَا رَكِبَ النَّاس الطريقَ رأيتَهُمْ لَهُمْ قائِدٌ أعْمَى آخَرُ مُبْصِرُ

الضميرِ من قوله «لهم قائد» يجوز أن يكون لناصِريه، وهم الذين سَمَّاهم، ويكون الكلام مَدْحًا وما بعد هذا البيت يتلوه في ذلك ويَتْبَع. ويجوز أن يكون لخاذِلِيه بني نَبْهان، ويكون الكلام ذَمًّا، وما بعده يطَّرِدُ معه ويذهب. ووجه المدح أن يكون المراد بقولِه «إذا ركِبَ النَّاسُ الطريقَ» إذا انْتَوَى النَّاس نِيَّاتهم، فسَلكُوا في مَناجِعهم ومزالِفِهم، ومتصَرَّفاتهم ومَناقِلِهم، طرائقَهم الآمنة، رأيتَ هؤلاء القومَ لعزِّهم ومَنَعَتِهِمْ يسيِّرُهم اللَّيْلُ والنَّهار، ويقودُهم الظُّلَم والأنوارُ، لا يَحْذرون مَنِيعًا، ولا يخافون مُغِيرًا، ولا ينأى عنهم اسْتِباحةُ حِمًى، ولا يَعرِض لهم حيثُما توجَّهُوا أذًى. فالقائد الأعمى هو اللَّيل، والآخَر المبصِر هو النَّهار. ووجه الذمّ أنَّهم لجهلهم وسوء تأتِّيهم، إذا أبصرَ النَّاسُ مراشِدَهُم واستَبْصَروا فيما يُقْدِمُون عليه أو يُحْجِمون عنه وجدتَ هؤلاء القومَ يستَضيئون برأيِ كلِّ أحدٍ، ويستشيرون كلَّ ذي نِحْلَةٍ ومَذْهَب، فيُرْشِدُهم جماعة ويَغْوِيهم آخرون، على حسب اختلاف الآراءِ والمقاصِد، لا بصيرةَ تُمْسِكُهُم، ولا عزيمةَ تَغْلِبهم وتَجْذِبهم، فهم تَبَعٌ لكلِّ ناعِقٍ، وجوابٌ لكل نادِبٍ.

٥ ـ لهم مَنْطِقَانِ يَفرَقُ الناسُ مِنهُمَا ولَحْنانِ مَعْرُوفٌ وآخَر مُنكَرُ

إذا جُعِل الكلامُ مَدْحًا على ما قَدَّمْتُهُ ورتّبتُه يكون معنى «لهم مَنْطِقان» أنّهم خطباء شعراء، فالنّاسُ يرْهَبُون نَظْمَهم ونَثْرَهُم، ويهابونَ ألسنَتَهم وأقوالَهُمْ في مجالِسِ المُلُوكِ، وأنديةِ الاحتفال. ومعنى «ولَحْنَان معروفٌ وآخَرُ مُنْكَرُ» أنَّ لهم اصطناعًا لمُوَالِيهم فَلَحْنُهم فيه لحن معروفٌ حَسَنٌ مَرْجُوٌّ، واستئصالًا لمُعَادِيهم فلَحْنُهم فيه لحن مُنْكَرٌ مَخُوفٌ. وفي طريقة هذا الوجه قول نُصَيْب: [الطويل]

يُحَيُّونَ بَسَّامِينَ طَورًا وتارةً يُحَيُّونَ عَبَّاسِينَ شُوسَ الحواجِبِ

واللَّحْنُ: المَعَارِيض، وفي القرآن: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمّد: الآية ٣٠]. وأصله العُدول والميلُ عن الظاهر. وإذا جُعِلَ ذَمًّا لأولئك القَوْم يكون المعنى أنّهم ذوو وجوهٍ في لقاء النّاس مختلفةٍ، وأقوالٍ غيرِ صادقَةٍ، فلكل منهم مَنطِقان: أحدُهما في التقوُّل والتنفُّق، والآخر في البُهْتِ والتخرُّص، عَرَفهما النّاسُ فهم يَفْرَقون منهما. ولهم تعريضان بَعْدَهما: أحدهُما يَعْتَادُونَهُ عند نكْثِ العهود ونقض العُقود، وقد عَرَفه الناس فهو مشهور من أفعالِهم؛ والآخر يتعاطَوْنَه عند إعمال حيلةٍ، وإمضاء غِيلَةٍ، فهو خافٍ بَعْدُ مَنْكُور.

٦ ـ لكلِّ بني عَمرو بن عَوْفٍ رِبَاعَةٌ وخَيرُهُمُ في الخير والشَّرِّ بُحتُرُ

قوله «لكل بني عمرو بن عَوْف رِبَاعَةٌ»، أي لكلِّ واحد منهم أمْرٌ مستقيمٌ، وتدبيرٌ مرضيّ، وأفْضَلُهُمْ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاء بُحْتُرُ بن عَتُود. ويُقال: ما في بني فلانٍ أحدٌ يَضْبِطُ رِباعَتَهُم غيرُ فُلانٍ، أي أمْرَهم وشأنَهم. والناس على رَبَعَاتِهم ورِبَاعَتِهم، أي على استقامتهم وحُكِيَ: تركْنَاهم على سَكِنَاتِهِم ورَبِعاتِهم، أي على حالتِهم الحسنة. ولا يُقال ذلك في غير الحَسَن. وحُكِيَ أيضًا: هو على رِبَاعةِ قَوْمِه، وهو ذُو رِبَاعةِ قومه، أي سيِّدهم ومُدَبِّرُهم. فعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لكلِّهم ذو رِبَاعةٍ، فحذَفَ المُضافَ. ويؤيِّد هذا قَوْلُه «وخيْرهمُ في الخير والشَّرِّ بُحتُرُ». وقد حُكي في هذه الأبيات معان غريبةٌ فتفَهَّمْها.

٢٠٨ ـ وقال أَبَانُ بن عَبْدَة بن العَيَّار: [الطويل]

١ ـ إذا الدِّينُ أوْدَى بالفَسَادِ فَقُلْ له يَدَعْنا وَرَأسًا من مَعَدٍّ نُصَادِمُهْ

الدِّين يجوز أن يرادَ به الطاعة والائتلاف هٰهنا. ومعنى أَوْدَى بالفساد: هَلَكَ بفسادِ ذات البَيْنِ. ويجوز أن يرادَ به دينُ الإسلام، ومعنى أَوْدَى بالفَسادِ أوقعَ بما ظَهر

من وُلاةِ الأمر، جعلوا الخلافة مُلْكًا، وفَيْءَ المسلمين مِلْكًا. وقيل أراد بالفَسَادِ الحربَ المعروفةَ بحرب الفَسَاد، وسمّيت بذلك لتناهِي الشّرّ والحِقدِ بين أهْلِها، ويقالُ إنّ الواحد منهم كان يَخْصِفُ نَعْلَهُ بأُذُنِ مقتولهِ ويشرب الماء في قِحْفِ رأْسِهِ. ويكونُ المرادُ بالدِّين في هذا الوجه ائتلافَ العشيرة، لأنّ هذه الحرْبَ كانت في أحياءِ طَيِّىءٍ. والرَّأْسُ: الجماعة الكثيرة. قال: [الرجز]

وَرَأْسِ أعْـداءٍ شَـدِيـدٍ أَصَـمُّـهْ سِرْنَـا إلـيه إذْ غَـزَانَـا أعْـظَـمُـهْ(١)

وقولُه «نُصَادِمُه» أي نُدَافعُه ونُصَاكُه. فيقول: إذا ارتفعت دعوةُ الاتّفاق والائتلاف من بين العشائر، وبَطَلت طاعةُ بعضهم للبَعْضِ، وسَقَط التعاوُنُ والتجمُّع منهم بما يعُمُّهُم من المُبَاينة، ويَظْهَرُ فيهم من أثر العُقُوق والمُشَاقَّةِ، فقُلْ له ليتركْنا وجَيْشًا عظيمًا من قبائلِ مَعَدٍّ نُدَافِعُه ونحارِبُه. وإذا كان بيننا التّوازُر والتآلُف لم نُبالِ بقبائل مَعَدٍّ كلِّها. قولُه «نُصَادِمُه» في موضِع الحال، أي مُصادِمِين له. وقولُه «يَدَعْنَا» إن شئتَ قلتَ انجزَم بلامِ الأمر وقد حُذِف، كأنّه قال: قلْ له ليدَعْنَا. وإن شئتَ قلت انجزَمَ على أن يكونَ جوابَ أمرٍ محذوفٍ، كأنّه قال: قُلْ له دَعْهُمْ يَدَعْنا. وعلى هذا قولُه عزّ وجلّ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣١]، كأنّه قال قل لهم افعَلُوا يَفعَلوا.

٢ ـ بِبِيضٍ خِفَافٍ مُرْهَفَاتٍ قَواطِعٍ لِداوُدَ فِيهَا أَثْرُهُ وخَواتِمُهْ

الباءُ من قوله «بِبِيضٍ» تعلّقَ بنُصَادِمُه من البيت الأوّل. ويعني بها السُّيوف. وجعلها خِفَافًا لسُرْعةِ الضاربِين بها في إعمالِها. والمُرْهَفَاتُ: المُرَقَّقاتُ الحَدِّ، المَوَاضِي في الضَّرائبِ. وقال: لداوُدَ فيها خواتِمُ، يريدُ عِتْقَها. وداوُد عليه السلام إنَّمَا سَرَدَ الدُّروعَ لمَّا ليَّنَ اللهُ الحديدَ له مُعجِزَةً لا السُّيوف، لكن القَصْد إلى العِتْق والقِدَم، لا إلى الطَّبْع والعَمَل. وقيل فيه إنَّهُ قَدَّرَ أنّ الأمْرَ في نسبة السُّيوف والدُّروع إلى داود على سَوَاءٍ، لجَهْلِهِ. والأثْرُ: فِرِنْدُ السَّيْف. وذِكْرُ الخواتِم مَثَلٌ، أي هي مما اتُّخِذَ في أيّامِه، واستُعمل تحت خواتِمِه.

٣ ـ وَزَرْقٍ كَسَتْهَا رِيشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ أَثِيثٌ خَوَافِي رِيشِهَا وقَوَادِمُهْ

٤ ـ بِجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَرَاتِهِ بِيَثْرِبَ أُخرَاه وبالشَّأمِ قَادِمُهْ

---

(١) للعجاج في ديوانه ٢: ٢٣٦، واللسان (أضم).

يَغنِي بالزُّرْقِ نِصالًا مجلُوَّةً قُذِّذَتْ بريش صَقْرٍ. والمَضْرَحِيُّ: الكريمُ من الصُّقور، وقيل هو ما طال جَناحاهُ منها؛ وتُوُسِّع فيه فقيل للسَّيِّد السَّرِيِّ هو مَضْرَحيٌّ. وقال: «كَسَتْهَا رِيشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ» على المجازِ، لمَّا كان القُذَذُ من جناحِها. وجَعَل في القَوَادِمِ ـ وهي كبار الرِّيش ـ وفي الخوافي ـ وهي صغاره ـ أثاثةً وجُثُولةً، نَفْيًا للحَرَقِ والفَسَادِ عنها. وذكَرَ أثِيثًا لأنَّه أجرِيَ مَجْرَى الفعل، وتأنيثُ الخَوَافي ليس بحقيقيّ. وقولُه «بجيشٍ تضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِه» يصفه بالكَثْرة ـ ألا تَرَى أنَّهُ جعَلَ له حَجَراتٍ، وهي النَّواحي، واحدَتُها حَجْرةٌ. وفي المَثَل «يَرْبِضُ حَجْرةً ويَرْتَعِي وسَطًا»[1] ـ وأنَّ البُلْقَ من الخَيْلِ على شُهرتِها إذا ضَلَّتْ عن أربابها فذهَبَتْ في جوانِبه لم يُهْتَدَ إليها. وقولُه «بيَثْرِبَ أخراهُ» يعني مدينةَ الرسولِ عليه السلام. يريدُ أنَّ جَيْشَهُ يأخُذُ من الأرضِ، لكثرتِه، ما بين المدينةِ إلى الشأمِ.

٥ ـ إذا نحن سِرْنا بين شَرْقٍ ومَغْرِبٍ تَحَرَّكَ يَقْظانُ التُّرابِ ونائِمُهْ

لم يَرْضَ بما انتَهَى إليه من الوصفِ في كَثْرَتِه، فزاد وقال: إذا سِرنا بين مشارقِ الأرض ومغاربِها طَبَّقْنا الأرضَ بكَثْرتِنا، فتَزلزلَ لنا الطريقُ المسلوكةُ وغير المسلوكة. واليَقْظانُ: ما وُطِىءَ بالأرجل وسُلِك، فكأنَّ تُرابَهُ مُنْتَبِهٌ. والنائم: الذي لم يُوطَأْ ولم يُسْلَك، فكأنَّ تُرَابَهُ نائمٌ. وقد أحسن ما شاء في الاستعارة، والطِّباقِ بالنَّوم واليقظة، فأمَّا قول زهير: [الطويل]

يُهَدُّ لَهُ ما دُونَ رملَةِ عالِجٍ ومَنْ أَهْلُهُ بالغَوْرِ زَالَتْ زَلَازِلُهْ[2]

فقد حَسَّنَه التقسيم وإن كان شَأْوُه مقصورًا عن شَأْوِ هذا.

٢٠٩ ـ وقال أُنَيفُ بنُ حَكِيمِ النَّبهانيُّ[3]: [الطويل]

١ ـ جَمَعْنا لهم من حَيِّ عَوْفٍ ومالِكٍ كتائبَ يُرْدِي المُقْرِفِينَ نَكالُهَا

٢ ـ لهم عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى وقد جاوَزَتْ حَيَّيْ جَدِيسٍ رِعالُهَا

قولُه «من حيّ عَوْفٍ ومالِكٍ» أراد من حَيَّيْ عوْفٍ ومالكٍ فاكتفَى بالتوحيد عن التثنية ومثل هذا الاكتفاء قوله في البيت الثاني «وقد جاوَزَت حَيَّيْ جَدِيسٍ رِعالُها» لأنَّ

---

(١) المثل في اللسان (حجر)، قال ابن بري: «وهو أن يكون الرجل وسط القوم إذا كانوا في خير، وإذا صاروا إلى شرّ تركهم وربض ناحيةً».
(٢) ديوانه ١٤٤.
(٣) هذه الحماسية تكرار للحماسية رقم (٣٣) مع اختلاف بسيط في الرواية.

المراد حيَّيْ طَسْم وجَديسٍ فاكتَفَى بذكر أحَدِهما عن الآخر، لتجاورهما في الذِّكر، واشتهارهما في العُرْف. وقوله «يُرْدِي المُقْرِفِين نَكَالُها» فالإقراف: هُجْنَةٌ تَلْحَقُ من قِبَل الفَحْل. وخَصَّهُم بالذِّكْر لأنهم عنده لا يأنَفُون من التقصير في الحرب والنُّكول، ولا يمتعضون من الانهزام والنُّكوصِ، فالبلاءُ إليهم أسبقُ، والنَّكالُ فيهم أبْسَط. وقوله «لهم عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى» رَتَّبَ النَّسَق بالفاء لما يُفيدُه من التعقيب بلا مُهْلَةٍ. وفي الأمرِ العامّ يُقْطَعُ الحَزْن ـ وهو ما غَلُظَ من الأرض ـ إلى ما سَهُلَ من الرَّمْل، ويُقْطَعُ الرَّمْلُ إلى اللِّوَى، وهو مُسْتَرَقُّه. وقوله «وقد جاوَزَت حيَّيْ جديس» فإنه يعني بلاد حيَّيْ طَسْمٍ وجديسَ، فحَذفَ المُضافَ. والرِّعال: جمع الرَّعْلَةِ والرَّعيل، وهما الجماعة المتقدِّمة من الجيش. والمراد أنهم لكثرتهم شَغَلوا ما بين هذه المواضع. ومثلُه ما تَقَدَّم من قولِه: [الطويل]

بيَثْرِبَ أُخْراهُ وبالشَّأمِ قادِمُهْ[1]

٣ ـ وتَحْتَ نُحورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ تُتَاحُ لِغُرَّاتِ القُلُوب نِبالُهَا

الحَرْشَفُ: الجماعة من الرَّجَّالَة. ويقال: راجِلٌ ورَجْلٌ ورَجْلَةٌ ورَجَّالَةٌ للمُشاةِ على أرجُلِهم. وصَفَهم بأنَّ فيهم رُماةً وأنهم عند التَّعْبِيَةِ تَتقدَّم الرَّجَّالة الرُّماة، وخَلْفَهم الفُرسان كالسَّنَدِ لهم والإيادِ، يمنعونهم مما يُشَرِّدُهُمْ أو يُغَيِّر نَظْمَهم؛ ثم وَصَفَهُم بأنَّ نِبالَهم تُقَدَّر للقلوب الغارَّة، لأنَّهم حُذَّاقٌ يصيبون المَقاتل. ومَعْنَى «تُتاحُ» تُهَيَّأُ. ويُقالُ: تَاحَ يَتوحُ ويَتيحُ، لغتان. وأتاحَ الله له كذا. والغِرَّاتُ: جمع غِرَّة، يقال جارية غِرَّةٌ: غَرِيرةٌ. ويُرْوَى «لِحَبَّاتِ القُلُوبِ»، والمعنى ظاهر.

٤ ـ أَبَى لَهُمُ أنْ يَعْرِفوا الضَّيْمَ أنَّهُمْ بَنُو ناتِقٍ كانت كثيرًا عِيَالُهَا

يقول: مَنَعَ لَهُمُ التزام الضَّيْم والرِّضا بالدَّنِيَّة وفُورُ عَدَدِهم، وذلك أنَّ العِزَّةَ في الكثرة. ويقال: نَتَقَتِ المرأة والنَّاقَةُ فهي تَنْتُقُ نُتوقًا، وهي كثرة الوَلَد سُرْعَةُ الحَمْلِ. وذَكَر العِيالَ استعارةً في الأولاد، واحِدُها عَيِّلٌ، يقال: عنده كذا عَيِّلًا. ويقال: عَيِّلٌ وعَيَايِلُ، وهو مُعِيلٌ مُعَيِّلٌ، أي كثير العيال. وفاعِلُ أَبَى قولُه «أنَّهُمْ بَنُو ناتِقٍ»، وأنْ يَعْرِفوا في مَوْضِع وباقي الأبيات قد تَقَدَّم بتفسيره.

---

(١) البيت الرابع من الحماسية (٢٠٨).

٢١٠ ـ وقال الكَروَّسُ بن زَيْدٍ[1]: [الطويل]

١ ـ رَأَتنِي ومِنْ لُبْسِي المَشِيبُ فأَمَّلَتْ غَـنَـائِي فـكـونـي آمِـلًا خَـيْـرَ آمِـلِ

يقول: رأتني هذه القبيلة، وقد قنّعني المشيب بخِمَارِه، وَنَجّذَني الدَّهرُ بأحداثه ومصائبه، فَعَلَّقَتْ رَجَاءَهَا بغَنَائِي وكفايتي، وشَدَّتْ أَزْرَها لمَّا تَفرَّسَت في نَظَري وشهامتي، فَقَوَّيْتُ أمَلَها، وأكَّدتُ طمعَها، وقُلْتُ: كُوني آمِلًا خَيْرَ آمِلٍ. وهذا الكلام يجوز أن يكون معناهُ دُومي على أَمَلِكِ وكُوني خَيْرَ آمِلٍ، فأصَدِّقُ ظَنَّكِ وأُحقِّقُ طمعَكِ. ويجوز أن يكون دعاءً لها، كأنّه قال: جعَلَكِ الله خَيرَ آمِلٍ. وخير الآمِلينِ مَن يُبلِّغُهُ الله مَأمُولَهُ، ويُنِيلهُ طَلِبَتَه وسُولَه. وإنّما قال «كوني آمِلًا» ولم يَقُلْ آملةً، لأنَّ المُرَادَ كُونِي حَيًّا آمِلًا، فلم يقصدْ قَصْدَها.

٢ ـ لَئِنْ فَرِحَتْ بي مَعْقِلٌ عِندَ شَيْبَتِي لَقَدْ فَرِحَتْ بي بين أيدِي القَوَابِلِ

٣ ـ أَهَلَّ بـه لـمَّـا اسْتَـهَـلَّ بِـصَـوْتِـهِ حِسَـانُ الـوُجُـوهِ لـيِّـنَـاتُ الأَنَـامِـلِ

يقول: إن كانت هذه القبيلة سُرَّتْ بي عند كَبْرَتِي، واستِكْمَالِ رَأيي وتَجْرِبَتِي، فَحُقَّ لَهَا ذلك، فقد استبْشَرَتْ بي عند وِلادتِي، وحِينَ هُنِّئَتْ بِقَدْمَتِي. والقوابِلُ: جمعُ القابِلَةِ، وهي التي تَقْبَلُ الوَلَدَ عند الوِلادة. واللام من قوله «لَئِنْ» دَخَلَتْ مُوَطِّئَةً للقَسَمِ، وجَوَابُ القَسَمِ المَنْوِيّ «لَقَدْ فَرِحَتْ». وهذا خِلافُ قول الآخَر: [الطويل]

وهُنِّىءَ بي قَوْمِي وَمَا إنْ هَنَأْتُهُمْ وأَصْبَحْتُ في قَوْمِي ولَيْسُوا بمَنْبِتِي[2]

وقولُه «أَهَلَّ به لمَّا اسْتَهَلَّ بصَوْتِهِ» نَقَلَ اللَّفظَ إلى الغَيْبَةِ بعد أن كان في حديث نَفْسِهِ، على عَادَتِهِم في تصاريفِهِم. يقول: تَبَاشَرَتْ نساءُ الحيِّ عند ميلادِي، فرَفَعْنَ أصواتَهنَّ بالشكر لله والثَّناء عليه، كما يُهِلُّ المُلَبِّي في الحج، والنَّاظِرُ إلى الهِلالِ، حين وقعْتُ عن أمّي، واستَهْلَلْتُ ببُكائي. وإنّما وصَفَ النِّساء بحُسْن الوُجوه ولِين الأبدان، ليدلَّ على أنّهن ربائبُ نِعْمَةٍ وذواتُ نَعْمةٍ، لم يُقاسِينَ شَقاءَ عَيْشٍ، ولم يَكْتَسِينَ جلابِيبَ فَقْر.

(١) التبريزي: «وقال الكروّس بن زيد بن حصن بن مصاد بن معقل» وهو شاعر إسلامي من أهل الكوفة، حبسه مروان بن الحكم (ت نحو ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م) ترجمته في المرزباني ٣٥٦، والآمدي ١٧١.

(٢) للشنفرى الأزدي في المفضليات رقم (٢٠).

٢١١ ـ وقال قَوّالٌ[1]: [الطويل]

١ ـ قُولَا لِهَذَا المَرْءِ ذو جَاءَ سَاعِيًا هَلُمَّ فإنَّ المَشْرَفِيَّ الفَرَائِضُ

قوله «ذو جاء ساعِيًا» ذو بمعنى الذي، وهي لفظةٌ طائيَّةٌ تَجِيءُ بهذه الصُّورة في كل حالٍ ولا تُغَيَّرُ. وقوله «هَلُمَّ» لهم فيه طريقان: منهم من يجعلُه اسمًا للفِعْل فلا يغَيِّرُهُ عن حالِه في المؤنّث والتثنية والجمع، وهم أهل الحجاز. وفي القرآن: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨]. ومنهم من يجعله هاء التنبيه وقد رُكِّبَ مع لُمّ وهو فِعْلٌ، فيثنّيه ويجمَعُه ويؤنّثه. وعلى الطريقتين جميعًا يكون ميمه مفتوحة ولا يُجْريه مَجرَى رُدَّ وزُرَّ، فيُكسَرُ آخرُه ويُضَمُّ وإن كان فِعْلًا، وذلك لأنّ التركيب قد غَيَّرَهُ فسُلِب بعضَ أحكامه. ومعنى البيت: أبْلِغا المرءَ الذي جاء واليًا للصَّدَقات ومُستوفيًا لها: أَقبِلْ وتَعَالَ، فإنّ الذي تُعْطَى بَدَلًا من الفرائضِ السَّيْفُ. وهذا في جَعْلِه المَشْرَفِيَّ هو الفرائضَ مجازًا، كما قال الآخر[2]: [الوافر]

تَحِيَّةُ بينِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ

والفرائضُ: الأسنان التي تَصْلُحُ لأن تؤخَذَ في الصَّدَقاتِ. والمَشْرَفِيّ: السَّيْفُ نُسِب إلى المشارف: قُرًى لهم كانت تُطْبَعُ السُّيوفَ فيها. وقد حُكِيَ في المَرْءِ «الامرُؤ» وقد بقي أَلفُ الوَصْل مع دخول الألف واللام، إلّا أنّه قليل.

٢ ـ وإنّ لنا حَمْضًا من الموتِ مُنقَعًا وإنَّكَ مُخْتَلٌ فهل أنت حامِضُ

العربُ تقولُ: «الخُلَّةُ خُبْزُ الإبل والْحَمْضُ فاكِهَتُها». ومعنى مُنقَعًا ثابتًا، يقالُ «أَنْقِعْ له الشَّرَّ حتى يَسْأَمَ» أي أدِمْهُ. والمُخْتَلُ: راعِي الخُلَّةِ، وكانت الإبلُ إذا بَشِمَت الخُلةَ وسئمته حتى اتَّخَمَتْ منه، نَقَلوها إلى الْحَمْضِ لتَشْتَهِيَ الخُلَّةَ ثانيًا. وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لهذا الساعي. يقول: إنّكَ مَلِلْتَ العافية والسلامة، فهلُمَّ إلى البَلاء والشَّرّ من الوِلاية.

٣ ـ أظُنُّكَ دونَ المالِ ذُو جِئْتَ تَبْتَغِي سَتَلْقاكَ بِيضٌ للنُّفوسِ قوابِضُ

---

(١) التبريزي: «قوّال الطائي. وقد قيلت القصيدة في مصدّق تقدّم ذكره في قصة معدان بن عبيد مع مروان».

(٢) لعمرو بن معدي كرب في ديوانه ١٤٩، وخزانة الأدب ٩: ٢٥٢ وصدره:

«وخيلٍ دلفت لها بخيلِ»

قوله «دُونَ المال» تعلّق بأظنُّك، ولا يجوز أن يتعلق بقوله جئتَ، ولا تبتغي، لأن «ذو» يطلب من الصّلة ما يطلبه «الذي» وإذا كان كذلك فما في صِلَتِه لا يعمل فيما قَبْلَهُ. وقال «ذو جئتَ» وكان الأجوَدُ أن يقول: ذو جاء يبتغي، لأنه أُجرِي مَجْرى الذي، فكما جُوِّزَ أن يقال أنت الذي فعَلْتَ كذا، و: [الرجز]

أنــا الــذي سَــمَّــتْــن أُمِّــي حَــيْــدَرَهْ

جُوِّز في ذو أيضًا، لأنَّ المُرَادَ به المُخَاطَب. والمالُ في الأكثر يطلقونه على الإبل، على هذا قَوْلُهُم: المال في الرّعْي. والشّاعِرُ قَصْدُه في الكلام إلى التهكم والسُّخريّة، وقد خَلَطَ به التوعُّد والاستهانة، لذلك قال أظُنُّكَ. وقوله «ذو جئتَ» في موضع المفعول الثاني. وتبتغي في موضع الحال، ومفعولُهُ حُذِفَ. والمعنى أحْسِبُكَ الذي جاء دون المال تبتغي صَدَقاتِهِ، ستَرَى ما أُعِدَّ لك من سُيُوفٍ تنتزع الأرواحَ والمُهَج. فإن قيل: كيف استجاز تكرير معنًى واحدٍ في بيتين على تقارُب بينهما، وهَلَّا اكتفَى بقوله «هَلُمَّ فإنّ المشرِفيّ الفرائضُ»؟ قلتَ: إنّ قولَهُ أظُنُّكَ دون المال ذو جِئْتَ تبتغي، بما دَخَلَهُ من التهكُّم والوعيد، وتكشَّفَ فيه من الغَرَض المقصود، صار كأنَّهُ أدّى غير ما أداهُ قولُهُ «هَلُمَّ فإنَّ المَشْرِفيَّ الفرائضُ». ومثله قول علقمة بن عَبَدَةَ: [الطويل]

فإنْ تَسْألوني بالنساءِ فإنني   بَصِيرٌ بأدواءِ النِّساء طَبِيبُ
إذا شابَ رَأسُ المرء أو قَلَّ مَالُه   فَلَيْسَ له في وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المالِ حيثُ علِمْنَهُ   وشَرْخُ الشَّبابِ عِندهُنَّ عجيبُ

ألا تَرَى أنَّه لم يَرَ المَعْنَى متكرِّرًا في البيتين، لما كان أحدُهما يشتمل من الاستيفاء والبيان على ما لم يشتمل عليه الآخَرُ.

٢١٢ ـ وقال وَضَّاحُ بن إسماعيل[(١)]: [الوافر]

١ ـ صَبَا قَلْبي ومَالَ إليكِ مَيْلَا   وأرَّقَنِي خَيَالُكِ يا أُثَيْلَا
٢ ـ يَمَانِيَةٌ تُلِمُّ بنا فَتُبْدِي   دَقِيقَ مَحَاسِنٍ وتُكِنُّ غَيْلَا

(١) التبريزي: «وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي حمد، وهو المعروف بوضاح اليمن». وهو عبد الرحمٰن بن إسماعيل من شعراء الدولة الأموية. ترجمته في الأغاني ٦: ٣٠.

يقالُ: صَبَا قَلْبي يَصبو صَبْوًا وصُبُوًّا. والصَّبْوَةُ: جَهْلُ الفُتُوَّة. يقولُ: أسْهَرَني خَيَالُكِ، وانعَدلَ قَلبي عن وَجهِه وطِيَّتِه، ذَهابًا فيكِ، ومَيْلًا إليك. ثمَّ أخذ يصف الخيال فقال: هي تأتيني من ناحية اليمن، فتزورُ زيارةً خفيفةً لا لَبْثَ مَعَها ولا تَمَكُّثَ فأتَمَتَّعَ بها، وتُبْدِي لي في إلمامها ما دَقَّ من محاسنِها كالعين والأنْفِ والأسنان والفَم، وتَسْتُرُ ما جَلَّ منها كالمِعصَم والساعد والساق والفَخِذ، فأسْهَرَ. كأنَّه رآها في المنام على ما كان يراها في اليقظة خَرَادَةً وحَيَاءً. ويقال: مِعْصَمٌ غَيْلٌ، وساعِدٌ غَيْلٌ، أي ممتلئٌ من اللَّحم غليظ. والمحاسِنُ قيل لا واحد لها، ومثْلُه في ذلك المَسَاوى والمذاكير. وقال الخليل: واحدُها مَحْسِنٌ، وهي المواضِعُ الحَسَنَةُ. يقال: امرأةٌ كثيرة المحاسن.

٣ ـ ذَرِيـنـي مـا أَمِـنَّ بَـنَـاتِ نَـعْـشٍ مـن الـطَّـيْـفِ الـذي يَـنْـتَـابُ لَيْـلَا

يستعفِي من خيالِها لاشتِغال قلْبِهِ بالغزو. والاستعفاءُ في الحقيقة من الْحُبِّ الذي يصوِّرُها في فكْرِه حتى يَحلُمَ بها. وقوله «ما أَمِنَّ» الضميرُ للخيل ولم يَجْرِ لها ذِكْر، ولكنّ المرادَ مفهومٌ. وموضِعُ «ما أَمِنَّ» نَصْبٌ على الظَّرْف، أي مُدَّةَ أَمْنِها، لأنَّ ما مع الفِعْلِ في تقدير مصدرٍ حُذِف اسم الزَّمانِ معه. وبنات نَعْشٍ من الكواكب الشاميَّة، وكان غَزْوُه نحوَ الروم. والمعنى: أَعْفيني من الصِّبا واللهو، وشُغْلِ القَلْب بالحُبِّ والعِشق، ما دمتُ في هذا الوجه، وقاصدًا نحو الغَزْو. ولَيْلًا، انتَصَبَ على الظَّرف، كأنّه كان يسير النهار، فإذا نزَلَ ليلًا ونامَ أَرَّقَهُ الخيال. ورَوَى بعضُهم: «يَأْنابُ ليلًا» وهو يفتَعِلُ من الأوبِ؛ ويَنْتابُ أوْجَه في النَّقْدِ وأحْسَن.

٤ ـ ولـكـنْ إنْ أَرَدْتِ فـهـيِّـجِـيـنَـا إذا رَمَـقَـتْ بـأعـيُـنِـهـا سُـهَـيْـلَا

يقولُ: إن أردتِ تشويقَنا إليكِ، وتذكيرَنا بك، فليكن عند مُنصَرَفِنا من الغَزْو، وقُفُولِنا من هذا الصُّقْع، وحين تَنظُرُ خَيلُنا إلى سُهَيْل. وإنما قال ذلك لأنَّ سُهيْلًا من الكواكب اليمانِيَة. لذلك قال عمر بن أبي ربيعة: [الخفيف]

أيُّـهـا الـمُـنْـكِـحُ الـثُّـرَيَّـا سُـهَـيْـلَا عَـمْـرَكَ الـلَّـهُ كَـيْـفَ يَـلْـتَـقِـيَـانِ[1]
هـي شَـامِـيَّـةٌ إذا مـا اسـتَـقَـلَّـتْ وسُـهَـيْـلٌ إذا اسـتَـقَـلَّ يَـمَـانِ

(١) لعمر في ملحق ديوانه ٥٠٣، والأغاني ١: ٢١٩، وآمالي المرتضى ١: ٣٤٨، وخزانة الأدب ٢: ٢٨.

ومثل قولِ وَضّاحٍ ما قاله المتلمّس، وهو: [الكامل]

فَلَتَتْرُكَنْهُمْ بليلٍ ناقتي تَدَعُ السِّماكَ وتَقتَدِي بالفَرقَدِ[١]

والسِّماكُ من قِبَل المَشرِق، والفَرقَدُ من قِبَل الشام.

٥ ـ فإنّكِ لو رأيتِ الخَيلَ تَغدُو عَوَابِسَ يتَّخِذْنَ النَّقعَ ذَيلَا

٦ ـ رَأيتِ على مُتُونِ الخَيلِ جِنًّا تُفِيدُ مَغَانِمًا وتُفِيتُ نَيلَا

يَصِفُ الغَزوَ وملاقاةَ العدوّ، وأنّه لا يحتمل التَّصَابي والتبطُّل، ولا يَصلُح للمُشتَغِلِ به التشوُّقُ والتغزُّل، فيقول: لو رأيتِ الدَّوَابَّ عادِيةً بفُرسانِها وقد تكلّحَتْ لاشتداد الحال عليها، وسحَبت ذَيْلًا من الغُبار لتَناهِي شَدِّها، لرَأَيتِها كأَنْ عليها جِنًّا لا رِجالًا، تستفيدُ المغانم من أعدائها. وتُفِيتُهم نَيلَ شيءٍ منها. وهذا كما قيل «يَسْبِقُ إن طُلِبَ، ويَلْحَقُ إن طَلَبَ»، ويَشهَدُ لأفادَ وأنّه يكون بمعنى استفاد قولُ الآخر[٢]: [الطويل]

فلا أنا منه ما أفاد ذوُو الغِنَى أفدتُ وأعْداني فأتلفتُ ما عِندِي

٢١٣ ـ وقال آخر[٣]: [البسيط]

١ ـ لا قُوَّتي قُوَّةُ الرَّاعِي قَلَائصَهُ يَأْوِي فيأوِي الكَلْبُ والرُّبَعُ

٢ ـ ولا العَسِيفَ الذي يَشتَدُّ عُقبَتَهُ حتى يَبِيتَ وباقِي نَعلِهِ قِطَعُ

أخَذَ أبو تَمّام هذا المأخَذَ في قولِه: [الكامل]

والصَّبْرُ بالأرواحِ يُعرَفُ فَضلُهُ صَبْرُ المُلُوكِ وليسَ بالأجْسَادِ

يقولُ: ليس غَنَائِي في الأمور وكِفايتي غَناءَ الرُّعاة الذين سَعْيُهم وكَدُّهم مقصوران على ضمِّ القِلَاصِ وحِفظِهَا في مَراعيها عند سَرْحِها وإراحَتِها، فإذا أوَى إلى مَوْضِعٍ أوَى إليهِ كَلْبُهُ الذي يَحْرُسُ به ورُبَعهُ. والرُّبَعُ: ما نُتجَ في الربيع. وقولُه «ولا العَسِيفِ» انعطف على الرَّاعي. يُريدُ: ولا قوّتي قُوّة العسيفِ. فالعسيف: الأجِيرُ

(١) في ديوان المتلمس ٦ مخطوطة الشنقيطي.
(٢) لبشار أو لابن الخياط أو لأبي العريان في سمط اللآلي ٣١٠.
(٣) هو وضاح اليمن صاحب الحماسية السابقة، وقد وردت الأبيات له في الحيوان ١: ٢٦٥، وشروح سقط الزند ٢٠٦.

والعبد المستَهانُ به، المُمْتَهن في العمل. يقال: كم أعسِفُ عليك، أي كم أعْمَلُ لك. وقولُه «يشتَدُّ عُقْبَتَهُ» انتصب عقبتَهُ على الظَّرف، أي وقت عقبته، كأنه يعاقب الرَّكوبَ غيرَه. يقال: هما يتعاقبان للرُّكوب بينهما، أو الأمْرُ يَرْكب هذا عُقْبَةً وهذا عُقْبَةً. والعُقْبَةُ قيل فَرْسخان. ويَشْتَدُّ: يَفْتَعِلُ من الشَّدّ: العَدْوِ. وبعضُهم يرويه «تَشْتَدُّ عُقْبَتُه» بالرَّفع، ويجعل تَشْتَدُّ من الشِّدّةِ، أي تشتَدُّ عُقْبَتُهُ عليه، والصوابُ ما قَدَّمْتُه. والمعنى: ولا غَنَائي أيضًا غَنَاءُ الأجير الذي يَغدو عُقْبَتَه ووقتَ عُقْبَتِهِ، وليس يريدُ أنَّ له عُقْبَةً فَيترُكها ويَغْدو، لكن المعنى إذا كان لغيره نوْبَةٌ في الرُّكوب لمعاقبتِهِ صاحبَه، فَنوْبَتُه الشَّدُّ والخِدْمَةُ حتى يأتيَ عليه المساءُ وقد تَقَطَّعَ ما بَقِيَ عليه من حذائه. وقولُه «وباقي نَعْلِهِ قِطَعُ» في مَوْضِع خَبَر يَبِيتُ، تقديرُه: حتَّى يبيتَ مُنْقَطِعَ باقي النعل.

٣ ـ لا يَحْمِلُ العَبْدُ فينا فَوْقَ طاقَتِهِ ونَحْنُ نَحْمِلُ ما لا تَحْمِلُ القَلَعُ

يقول: العَبْدُ المُسْتَخْدَمُ فينا لا نُكَلِّفُه إلّا دون ما يُطِيقُه، إبقاءً عليه، وتَرْكًا لاستنفاد وُسْعِه، ونحن نحتمل من مَشاقّ الأمور، ومُثْقِلات الأعباءِ ما لا تُطيقه الجبال. والقَلَعُ: جمع قَلَعةٍ، وهي الهضابُ العِظام، وبها سُمِّي الحِصْن المبْنيّ على الجبل قَلْعةً. ويقال: أقْلَعَ فلانٌ قِلَاعًا، إذا بناها؛ وبها سُمِّيَت السَّحابُ العِظام قَلَعًا أيضًا.

٤ ـ مِنَّا الأَناةُ وبَعْضُ القَوْمِ يَحْسَبُنَا أنَّا بِطاءٌ، وفي إبْطائِنا سَرَعُ

الأناةُ: الرِّفْقُ. يقول: نَستأني في الأمور فِعْل الحازِم ذي الرأي السَّديد، والتأمُّل اللطيف، الذي يَنْظُر فيما له وعليه، فيَدري كيف يُورِدُ ويُصْدِرُ، ويُبْرِمُ وينقُض، ولا نَتَهَجَّمُ فيما نزاولُه فِعلَ العَجُولِ الأخرق الذي لا يتتبَّع العواقب، ولا يتجنَّب المقابح، فلا يُبالي أيًا يأخُذُ ويَدَع. وكثيرٌ من الناس يظنُّ بنا تباطؤًا في المهمّات وتثاقُلًا، والذي يَعُدُّونَهُ بُطْئًا فهو سرعةٌ، لأنّا نَترُكُ كلَّ ما نَتولّاه مفروغًا منه مُحكَمًا، لا تَفَاوُت فيه فيحْتَاجُ إلى استئناف تَدبُّر، واستحداثِ نَظَر وتتبُّع.

٢١٤ ـ وقال عَمْرو بنُ مِخْلاةَ الكلبي(١): [الطويل]

١ ـ ويَومٍ تَرَى الرَّاياتِ فيه كأنَّها حَوائِمُ طَيْرٍ مُسْتَديرٌ وواقِعُ

(١) التبريزي: «عمرو بن مخلاة الكلابي، وكان يقال لأبيه مخلاة الحمار» وهو شاعر إسلامي من بني تيم اللات بن رفيدة بن كلب، وكان مدّاحًا لبني مروان ترجمته في الأغاني ١٧: ١١٢.

٢ ـ أَصَابَتْ رِمَاحُ القَوْمِ بِشْرًا وثابِتًا وحَزْنًا وكلٌّ للعشيرةِ فاجِعُ

٣ ـ طَعنًا زيادًا في أَسْتِهِ وهو مُدْبِرٌ وثَوْرٌ أصابَتْهُ السيوفُ القواطِعُ(١)

٤ ـ وأدرَكَ هَمَّامًا بأبيَضَ صَارِمٍ فَتَى من بني عَمْرٍو طُوَالٌ مُشَايِعُ(٢)

٥ ـ وقد شَهَد الصَّفَّينِ عَمرو بن مُحْرِزٍ فَضَاقَ عليه المَرْج والمَرْجُ وَاسِعُ

الرايات: الأعلام. والحَوائم: جمع حائمةٍ، وهي العِطَاشُ من الطُّيور تَحُومُ حَولَ الماء. وحَوَمَاتها: دورانُها؛ فكثُر استعمالُه حتَّى صار كلُّ عطشانَ حائمًا. ويُرْوَى: «عَوَاطفُ طَيْرٍ». وقوله «مستديرٌ وواقعٌ» بدلٌ من حوائم، وجَعَلَ الرَّاياتِ بعضُها جائلٌ في الجَوِّ دائرٌ، وبعضُها ساقطٌ، لأنَّ المنهزمين تَسقط أعلامهم فتنخفض، والظَّافِرين تَثْبُتُ أَعْلَامُهم فَتَخْفُقُ. وقولُه «وكلٌّ للعشيرة فاجِعُ»، أي كل واحدٍ من المذكورين رئيسُ عشيرةٍ قد فُجِعوا به. والشَّاعر يَذْكُرُ وقْعَةَ المَرْجِ مَرْجِ رَاهِطٍ ـ وراهِطٌ رَجُلٌ من قُضَاعَةَ في الجاهليَّة الأولى ـ واجتَمَع به المَرْوانِيَّةُ، وهم الذين دَعَوْا إلى مَروانَ بنِ الحَكَم، وهم كلبٌ وعَبْسٌ وغيرهُم من قبائل اليمن. والزبيريّة، وهم الذين دَعَوْا إلى ابن الزُّبَير، وهم قَيْسٌ ومن تَبِعَهُم، فاقتتلوا قِتالًا شديدًا، فكانت الدَّبْرة على القَيْسِيّة ورئيسُهم زُفَر بن الحارِث، ومعهُم الضَّحَّاكُ بن قَيْسٍ. ولهذا قال الشَّاعر:

فَمَنْ يَكُ قد لاقى من المَرْجِ غِبْطَةً فكان لقَيْسٍ فيه خاصٍ وجادِعُ(٣)

وقولُه «طعنّا زيادًا في استِه»، فهو زياد بن عمرو العُقَيْلي. وقوله «وهو مدبر» أي مُوَلٍّ منهزِمٌ. ويجوز أن يكون من الإدبار، لتَرْكِهِ الرَّأيَ حتَّى بُلِيَ بما بُلِيَ. وعمْرو بن مُحْرِزٍ من أشْجَعَ. وقال: ضَاقَ عليه المَرْجُ على سَعَتِه، لأنَّه كان مَغْلُوبًا مَطْلوبًا. ويقالُ: ضَاقَ بفُلَانٍ الفَضَاءُ. والمُشَايِع: المُقَوِّي لأصحابه المُتابع لهم. وجَعَلَه طُوَالًا لأنَّهم يستحبُّون تمام الخَلْق، وامتدادَ القامة. وقولُه «وثَوْرٌ أصابَتْهُ السُّيُوفُ القواطِعُ» رفَعَ ثورًا لأنَّ الفِعْلَ بَعْدَهُ شُغِلَ عنه، وإن نَصَبَهُ طَلَبًا للمطابقة إذ كان في الجملة التي قَبْلَه منصوبٌ كان أحْسَنَ.

---

(١) التبريزي: «وثورًا» وزياد هو زياد بن عمرو العقيلي، وثور هو ثور بن يزيد السلمي.

(٢) عمرو بن محرز من أشجع.

(٣) جعل التبريزي هذا البيت من أبيات الحماسية.

٢١٥ ـ وقال زُفَرُ بن الحارِث: [الطويل]

١ ـ أفِي اللَّهِ أمَّا بَحْدَلٌ وابنُ بَحْدَلٍ فَيَحْيَا وأمَّا ابن الزُّبيرِ فَيُقْتَلُ

كان معاويةُ بن أبي سفيان لمّا جعل ابنَه يزيدَ وليَّ عَهْدِهِ بايَعَهُ الناسُ إلّا الحيَّ من قَيْسٍ، فإنّهم قالوا: والله، مَا نُبَايِعُ ابنَ الكلبِيَّةِ ـ وذاك أنَّ أمّ يزيدَ مَيْسُونُ بنتُ مالكِ بن بَحْدَلٍ الكلبيّ ـ فصار في نفس يزيدَ لقيسٍ ذلك ضِغْنًا وحِقدًا وابتدأ الشرُّ بينهم وبينَ بني أميّة، فلما هلك يزيدُ استُخلِفَ ابنُهُ معاويةُ بن يزيد، وأمُّه كلبِيَّةٌ أيضًا، وصار حَسَّان بن مالِك بن بَحْدَلٍ أخو مَيْسُونَ وخالُ يزيد بن معاويةَ كالمالكِ للأمرِ، فكانت خلافته أيامًا قليلةً، وتَحرَّكت فِتْنةُ ابن الزُّبير، فاضطرب حسَّانُ بن مالكٍ في الأمر اضطرابًا شديدًا، وصار يدعو النَّاسَ إلى نفسه تارَةً وإلى من يختارونه من بني أميَّةَ أخرَى، حتَّى قال الشَّاعر: [الطويل]

وما النَّاسُ إلّا بِحْدَلِيٌّ على الهوَى وإلّا زُبَيـرِيٌّ عَـصَـى فَـتَـزَبَّـرَا

إلى أن وقع الاختيارُ على مروانَ بنِ الحكم، فلمَّا قام بالدّعوة صارت البَحدَلِيَّةُ معه، فسُمُّوا مَرْوانيَّة، وصار السَّبب في حرب قيسٍ وتَغلِب أنْ صارت قَيْسٌ زُبَيْرِيَّة وتَغلِبُ مروانيَّة، فيقول زُفَرُ بن الحارث وهو رئيس قَيْس «أفِي الله» يريدُ: أفي ذاتِ الله ومَرضِيِّ حكمِه أن يُطْلَبَ حياةُ ابن بَحْدَل والمتعصّبَةِ لبني أُميَّة ومَروانَ وعبد الملك ابنِه، ويُطْلَبَ قتلَ عبد الله بن الزُّبير مع فَضْلِهِ وشرفِهِ وسابِقَتِه. وهذا الكلامُ تَقريعٌ للنَّاس وإكبارٌ للأمْرِ. وقولُه «أمَّا بَحْدَلٌ» حُكْمُ أمَّا أن يَنقطع عما قَبله، ولهذا عُدَّ من حروف الابتداء، ولأنه يَتَضمَّن معنَى الجزاء والجزاءُ له صَدْرُ الكلام، إذا كان كذلك فكأنّه قال: أفي الله هذه القصّةُ وهذا الأمْرُ والشَّأن. وقوله «فيَحْيَا» فأخبر عن أحد الاسمين لمَّا عُلِمَ أنّ صاحِبَهُ في مِثلِ حالِه. وفي القرآن: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبَة: الآية ٦٢].

٢ ـ كَذَبْتُم وَبَيتِ الله لا تَقتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَومٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ

إنّما قال «كَذبتم» لأنّ الذي أنكره منهم وقَرَّعهم عليه كان خَبَرًا. ويجوز أن يكون المعنى: كذَبْتُمْ أنفُسَكم حين حدَّثتموها بما لا يَتِمُّ لكم. وقولُه «لا تَقْتُلُونَهُ ولمّا يَكُنْ يَوْمٌ»، يقول: لا تَقْدِرون قبل أن يكون لنا عليكم يَوْمٌ مشهورٌ على قَتْله، وإذا عَجَزْتُم قَبْلَهُ فَفِي مستقبلِ الزّمانِ بَعْدَهُ أنْتم أعْجز، وعن أُمْنِيَّتِكم وتَرْجِيم ظَنّكم أبْعَد.

٣ ـ ولَمّا يَكُن لِلمَشرَفِيّةِ فَوقَكُم شُعَاعٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجَّلُ

قَرْنُ الشَّمس: أوّل ما ظَهَرَ منها. والترجُّل، قالوا: إذا ارتفعت الضُّحَى وانبسطت الشّمس ولم يشتدَّ حَرُّها فذاك الترجُّل. وقال ابن الأعرابيّ: التَرَجُّل قَبْلَ المُتُوع، والمُتُوع قبل انتصاف النَّهار، وأنشد لمُزرِّدٍ: [الطويل]

فأصْبَحَ كالدِّهقانِ لَمّا بَدَا لهُ من الشَّمسِ إشراقٌ ولَمّا تَرجَّلِ

بيّنَ بالشَّرط الثاني غَرَضَهُ في تعجيزهم، وأنَّ الذي يريدونَهُ من قَتْلِهِ لا يتمُّ أبدًا لهم، ولا يَدْخلُ تحت مَقدورهم.

٢١٦ ـ وقال حَسَّانُ بن الجَعْدِ(١): [البسيط]

١ ـ أَبلِغْ بَنِي خَازِمٍ أنّي مفارِقُهُم وقائِلٌ لِجِمالي غُدْوَةً بِينِي

٢ ـ إنّي امْرُؤٌ غَرِضٌ من كل مَنزِلَةٍ لا شِدّتِي تُبْتَغَى فِيهَا ولا لِينِي

هذا الشّاعر خرجَ إلى عبد الله بن خازم راغبًا في جوارِه والكَوْنِ في جملتِه فلم يُحمِدْهُ وانْصَرَفَ عنه، وقال: لِيُبْلَغْ هذا الرّجلُ وذَوُوه أنّي مرتَحِلٌ ونافِضٌ يَدِي منه، وحامِلٌ إبلي على مُفارَقة أرضِهِ، ومُظْهِرٌ الزُّهْدَ في صُحبتِه، لأنّي أجتوي كُلَّ مَنْزِلَةٍ لا تَمَسُّ حاجتُها إلى كَوْنِي بها، وأنتوِي البُعْدَ عن كل جنْبَةٍ لا تشتد رغبتُها في إقامَتي فيها، كما أنّي أضجرُ بِجِوارِ كُلِّ من اعتَقَدَ الغِنَى عن رأيي وغَنائي، وخشونتي وليني. ويقال: غَرِضْتُ من كذا، إذا مَلِلْتَه؛ وغَرِضْتُ إلى كذا، إذا اشتقتَهُ. فهو كما يقال: رَغِبْتُ فيه ورغبْتُ عنه.

٢١٧ ـ وقال القَتَّالُ الكِلَابِيُّ: [الطويل]

١ ـ إذا هَمَّ هَمًّا لم يَرَ اللَيلَ غُمَّةً عَلَيْهِ ولم تَصْعُبْ عليه المراكِبُ

يصفه بالإقدام والتّشمير، وحُسن النَّفاذِ في الأمور، وأنه متى ما وَقعَ في نَفسِهِ أمرٌ فهَمَّ به اقْتَعَدَ الليلَ ولم يَعُدَّه حائلًا دون مُراده ولا مانِعًا عن قَصْده ومرَادِه، حتى يَصِيرَ رُكُوبُهُ غُمّةً، وما يُتَصوَّرُ من هَوْلِه شِدَّةً تَدْفَعُ في الصَّدْرِ، وتُحلِّىء عن الوِرْد، ولم يَشُقَّ عليه المراكب، ولا يُسْتَكْرهُ فيه المصاعب. ويقال: هو في غُمَّةٍ من أمْرِهِ، أي حَيْرةٍ وظُلْمَةٍ. وأصل الغَمِّ التّغطية.

---

(١) حسان بن الجعد: شاعر إسلامي، كان قد خرج إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان أيام بني أمية.

٢ ـ قَرَى الهَمَّ إذْ ضَافَ الزَّماعَ فأصبَحَتْ مـنـازِلُهُ تَـغـتَـسُ فـيـهـا الـثّـعـالِبُ

يقول: يَجْعلُ قِرَى همّهِ إذا اعتراه، النَّفاذَ والعزيمة، والإجماعَ فيه والصَّريمة، فترى مَنَازِلَه تَستبدلُ بسُكّانِها وَحْشًا تَعْتَسُّ فيها، ويَعْتَاضُ هو من الدَّعَةِ والخفضِ تعبًا يمتطيه، ودُؤوبًا يستمرُّ فيه. والاعتساسُ: الاختلاف باللَّيل. ويقال: عَسَّ واعتَسَّ، ومنه أُخِذَ العَسَسُ. وفي المَثَل الجارِي «كَلْبٌ عَسَّ خَيْرٌ من أَسَدٍ رَبضَ»[١].

٣ ـ جَـلِـيـدٌ كـريـمٌ خِـيـمُـهُ وطِـبَـاعُـهُ عَلَى خَيْرِ ما تُبْنَى عليه الضَّرائِبُ

يُقالُ: هُوَ جَلْدٌ وجليدٌ بمعنًى. والخِيمُ: الطبيعةُ؛ وقال أبو عُبيدة: أصلُه فارسيٌّ مُعَرّب. والطِّباعُ: ما طُبِع عليه الإنسان في مَأْكلِه ومَشْرَبِهِ وسائر أحوالِه. والضَّرائبُ: جَمعُ الضَّريبة، وهي الخليقةُ. ويُقالُ: ليس لفلانٍ ضَرِيبٌ، أي شبيه، وهو كريمُ الضَّرِيبةِ. فيقول: قويُّ الجأشِ، مَرضِيُّ الطَّبيعة، وقد جُبِلَ في كلِّ ما يُسْتَكْشَفُ من أمُورِه على أحسنِ ما تُجْبَلُ عليه النُّفُوس والأخلاق.

٤ ـ إذا جَـاعَ لـم يَـفْـرَحْ بـأَكْـلَةِ سَـاعَـةٍ ولم يَبْتَئِسْ من فَقْدِها وهو سَاغِبُ

أحْسَنَ حاتمُ طيِّءٍ في هذه الطَّريقة حين قال: [الطويل]

غَنِينَا زَمانًا بالتَّصَعْلُكِ والغِنَى فكلتاهُما يَسقِي بكأسَيْهِما الدَّهرُ[٢]

فَـما زَادَنَـا بَغْـيًـا علـى ذِي قَـرابَـةٍ غِنَانا ولا أَزْرَى بأحْسَابِنا الفَقْرُ

والشّاعرُ يَصِفُ كَرَمَ نفسه وحُسْنَ صَبرِهِ على تَقَلُّب الأحوال، فالشِّبْعةُ لا تُطْغيه، والجَوْعةُ لا تُؤيِسهُ فتُرْدِيه. والسَّغَب: الجوع. وأضافَ الأكلةَ إلى سَاعَةٍ تَقْصِيرًا بها وإزراءً، وإن كانَ ذلك وَقْتًا لَهَا. وقولُه «من فَقْدِها» يريدُ من فَقْدٍ لها، والمَصْدرُ يضافُ إلى الفاعل والمفعول جميعًا. على هذا قَوْلُه تعالى: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٤٩].

٥ ـ يَرَى أنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا ولا يَرَى إذا كـان يُـسْـرٌ أنَّـهُ الـدَّهـرَ لازِبُ

---

(١) في اللسان (عسس) أن هذا المثل يضرب في الحثّ على الكسب. والمعاسّ: الطالب، يعني أن من تصرّف خير ممن عجز.

(٢) روي البيت في بيتين من ديوان حاتم ١١٩ وهما:

«غنينا زمانًا بالتصعلك والغنى كما الدهر في أيامه العسر واليسر

لبسنا صروف الدهر لينًا وغلظة وكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر»

يُستحسَنُ لبشّار في هذه الطريقة قوله، بل قد صار مَثَلًا: [الطويل]

خَليلَيَّ إنّ العُسْرَ سوفَ يُفِيقُ وإنّ يَسَارًا في غَدٍ لَخَلِيقُ
وما أنا إلّا كالزَّمانِ، إذا صَحَا صَحَوْتُ، وإنْ ماقَ الزَّمانُ أَمُوقُ

يقولُ: يَعْلَمُ أنّ أسبابَ الدُّنيا، وتصاريفَها مبنيّةٌ على التَّغيُّر والتبدُّل، فالعُسْر واليُسْر يتعاقبان ولا يَلزَمان، فمتى استَغْنَى كَرُمَ ولم يَبْطَرْ، عِلْمًا بأنّه يَفْنَى فلا يبقى، وإذا افتقر عَفَّ ولم ييأس، ثِقةً بأنّه يزولُ ولا يدوم. وقولُه «يَرَى» من البيت يجري مَجرَاه من قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦﴾ [المعَارج: الآية ٦]، لأنّه بمعنى يظنونه، وليس كذلك في قوله ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعَارج: الآية ٧] لأنه بمعنى نعْلَمُهُ. وقد يُستعمَلُ العِلمُ في موضعِ الظَّنّ أيضًا، لذلك قال: [الطويل]

وأَعْلَمُ عِلْمًا ليسَ بالظَّنِّ أنّهُ إذا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهوَ ذليلُ[(١)]

٢١٨ ـ وقال أوْسُ بن حَبْنَاءَ: [الطويل]

١ ـ إذا المَرْءُ أوْلاكَ الهَوَانَ فأَوْلِهِ هَوَانًا وإن كانت قريبًا أَوَاصِرُهْ

حقيقة أَوْلَاكَ كذا: جعَلَهُ مما يَلِيكَ، لكنه اشتَهَرَ في الإحسانِ، وقد يُستعمَلُ في الإساءة، كما فعَلَهُ هذا الشاعر. ومثله بَشَّرْتُه في معنى تَناوُلِه الشَّرَّ، وإن كان اشتهارُه في الخير. ألا تَرَى قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢١]. يقول: قابِلْ مُعامِلَكَ بمثل ما يَرْصُدُه لكَ، فإنّ الأفعالَ بين الناس قُرُوضٌ، وشَرْطُ القُرُوض الوفاءُ بها، والخروج من ذِمَمِها، فمنْ أهانَكَ فأَهِنْهُ وإن قَرُبَتْ عَوَاطِفُ أرْحامِهِ، وشوابِكُ أسبابه، ولا تُوجِبْ له إلّا مِثْلَ ما يوجِبُهُ لك. ويقال: بيني وبينَه آصِرَةٌ، أي عاطفةٌ، والأَصْرُ: العَطْفُ. وقولُه «قريبًا» خبر كان، وقَدَّمَه على اسمه ولم يؤنّثه لأنّه أراد النسبةَ فلم يَبْنِهِ على الفِعْل. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية ٥٦].

٢ ـ فإنْ أنتَ لم تَقْدِرْ عَلَى أن تُهِينَهُ فَذَرْهُ إلى اليَوْمِ الذي أنت قادِرُهْ

يقول: إنْ أعجزَكَ مكافأتُهُ على إساءته إليك، وأعْوَزَكَ إنالَتُه مثلَ ما يُنيلُك في الحال، فأَنْظِرْه إلى الوقت المساعد لك من مستقبَل أيّامِك، وانتظرْ نوبتَك من الدّهر،

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٥٢، والشعر والشعراء ١٤٧، ولكعب بن سعد الغنوي في اللسان (حصى).

فإذا أمكنَتْك الفُرصةُ فانتهزْها. وقوله «إلى اليوم الذي أنت قادِرُهْ» أراد أنت قادرٌ فيه، فقدَّر الظَّرفَ تقديرَ المفعول الصحيح لأنّ الظَّرفَ إذا أُضيف إليه يخرج من أن يكون ظَرْفًا كما يخرج منه إذا دَخَل عليه حرف الجرّ. على هذا قولُهم: [الرجز]

يـا سـارِقَ الـلَّيـلةِ أهـلَ الـدارْ(١)

وقولُه: [الرجز]

طَبَّاخِ ساعاتِ الكَرَى زادَ الكَسِلْ(٢)

٣ ـ وقارِبْ إذا ما لم تكُنْ لكَ حِيلةٌ ... وصَمِّمْ إذا أيقَنْتَ أنَّكَ عاقِرُهْ

يقول: اجْرِ مع الدَّهر في تصرُّفِه وتلوُّنه، ودارِ عدوَّك وجامِلْه إن أعياكَ مكايَلَتُه ومحاسبَتُه، فإذا انقضَتْ أيَّامُه وتيسَّرَ لك بعد مُداجاتِك له عَقْرُه وإهلاكُه فاثبُتْ في الأَزْم عليه، والانتقام منه، ثباتَ السَّيف القاطع في ضريبتِه، وإيَّاكَ والغَفْلةَ عند بعد إيقاظِك إيَّاه، واللِّينَ معه وقد خَشَّنْتَه.

٢١٩ ـ وقال آخر(٣): [مشطور الرجز]

١ ـ إنـي إذا ما القَـوْمُ كانوا أنْجِيَهْ
٢ ـ واضطَرَبَ القومُ اضطرابَ الأرْشِيَهْ
٣ ـ وشُدَّ فَوْقَ بعضِهِمْ بالأَرْوِيَهْ
٤ ـ هُنَاكِ أَوْصِيني ولا تُوصِي بِيَهْ

قوله «إني إذا ما القوم» خبر إنّ في قوله «أوْصيني ولا تُوصِي بِيَهْ». والمعنى: إني أهْلٌ لأنْ يوصَى إليّ حينئذٍ في غيري، ولا يُوصَى غيري بي. فتُبَيِّنَ هذا من الكلام وإن كان على لفظ الأمر والنَّهي. وعلى هذا قول القائل زَيْدٌ قمْ إليه، أي هو أهلٌ لأن تقُومَ إليه. فبهذا التقدير وأمثالِه جاز أن يقع الأمر موضع الخبَر. وأنشد أبو زَيْدٍ: [الوافر]

وكُوني بالمكارِمِ ذكِّريني ... ودَلِّي دَلَّ ماجِدَةٍ صَنَاعِ(٤)

---

(١) بلا نسبة في الخزانة ١: ٤٨٥، والكتاب: ١: ٨٩.
(٢) للشماخ في ديوانه ٣٨٩، والكتاب ١: ١٧٧، ولجبار بن جزء في خزانة الأدب ٤: ٢٣٣، وبلا نسبة في اللسان (عسل).
(٣) لسحيم بن وثيل اليربوعي في اللسان (نجا)، وأساس البلاغة (نجو)، وخزانة الأدب ١٠: ٢٤٧.
(٤) لبعض بني نهشل في خزانة الأدب ٩: ٢٦٦، ونوادر أبي زيد ٣٠، وبلا نسبة في الدرر ٢: ٥٤.

وقال: أراد كوني تُذَكِّرينني، فوضع ذكِّريني موضع تذكِّرينني. ومرجعُ هذا الذي قالَه إلى مثل ما بَيَّنَّاه. وكما أنَّ خبر إنّ فيما بَيّناه فكذلك جواب إذا، فافْهَمْه. وما من قوله «ما القومُ» زائدةٌ. وأَنْجِيَةٌ: جَمْع نَجِيّ والنَّجِيُّ يقع للواحد والجمع. وفي القرآن: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يُوسُف: الآية ٨٠]. ومعنى كانوا أنجيهْ، أي صاروا فِرَقًا لِمَا حَزَبَهم من الشَّرّ، ودَهِمَهم من الخوف، يتناجَوْن ويتشاوَرُون.

وقوله «واضطربَ القَوْمُ» أي أَخَذَهُم القيامُ والقعود، وفارقَهم القَرَارُ والهُدُوّ، فأقبَلَ بعضُهم يمشي إلى بعضٍ، متعاونينَ في التهيُّؤ والارتحال، ومتساعِدِين على التيسُّر للانتقال. فَشبَّهَ مَيلانَهم وتَرَجُّحَهم في اختلافهم، بترجُّح الأرشِيَة عند الاستقتاء عليها من الآبار البعيدة القَعْر، ومَيَلانِها.

وقولُه «وشُدَّ فوق بعضهم بالأروية»، يعني أنَّهم ركِبُوا الليل وداوَموا السَّير، فَغَلَبَ النُّعاس على طائفةٍ منهم حتَّى خِيفَ عليهم السُّقُوط، لضعف استمساكهم، فشُدَّت الحِبالُ فوقَهُم. والأَرْوِيَة: جمع الرِّواء وهو الحبل الذي يُرْوَى به، أي يُسْتَقَى. ومنه قيل الرَّاوية، ويجوز أن يكون الاضطراب الذي ذكره لاتِّصال التَّسيار وغلبةِ النوم، للإخْلال بالنُّزول والقرارِ أيضًا. وصَرْفُه إلى الأول أحسن.

وقولُه «هُنَاكِ أَوْصِينِي» هُنَاكِ يُشَارُ به إلى الزَّمان والمكان معًا، وموضِعُه نصْبٌ على الظَّرف، والكاف منه كاف الخطاب، والعامِل فيه أوصيني. والمعنى: في ذلك الوقت يوجَد الغَنَاءُ والكِفايةُ عندي، ويحصُل الصَّبرُ والمداومةُ منِّي، فاجعلي وَصَاتَكِ إليَّ لا بي، واعتمدي عليَّ لا على غيري. وقال بعضُ القدماء: معنى كانوا أَنْجِيَهْ، يريد قومًا نامُوا على رواحِلِهم فرأوا في منامهِم كأنَّهم يتناجَوْن؛ والصواب عندي ما قدَّمته.

٢٢٠ ـ وقال المُتَلَمِّسُ(١): [الطويل]

١ ـ أَلَمْ تَـرَ أنَّ الـمـرْءَ رَهْـنُ مَـنِـيَّـةٍ ... صَرِيعٌ لِعَافِي الطَّير أو سَوفَ يُرْمَسِ

٢ ـ فَلَا تَقْبَلَنْ ضَيْمًا مخافَةَ مِيتَةٍ ... ومُوتَنْ بها حُرًّا وجِلْدُكَ أمْلَسُ

(١) التبريزي: «واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد، وقيل عبد العزّى». والمتلمّس: من بني ضبيعة، شاعر جاهلي، وهو خال طرفة بن العبد. (ت نحو ٥٠ ق.هـ/ نحو ٥٦٩ م). ترجمته في الشعر والشعراء ٥٢، والأغاني ٢١: ١٢٥.

قال هذا فيما كان بين ضُبَيْعةَ وبكْرِ بن وائل، ومعنى أَلَمْ تَرَ اعْلَمْ. يقولُ: الإنسانُ مُرْتَهَنٌ بأجَلِهِ، فإمّا أن يموت حَتْفَ أنْفِه فيُدفَن، وإما أن يُقتَل في معركةٍ فيُترك لعَوافِي السِّباع والطَّير. وجَعَلَ «رَهْنُ مَنِيَّةٍ» و«صَرِيعٌ لِعَافِي الطَّيْر» جميعًا خَبَرَيْن لأنَّ، ثمَّ أتى بأوِ الإباحةِ. ويجوز أن ينتصبَ صريعٌ على الحال، وفي رفْعِهِ وجْهٌ آخر، وهو أن يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه هو صَرِيعٌ. وإن جَعَلتَ أو التي تكون للشَّكّ يكون الكلامُ مبنيًا على اليقين ثم يَعترض فيه الشَّكّ. والأصلح في مثل هذا أن يُجْعَل بإمَّا، ليكونَ بِنيَةُ الكلامِ على الشكّ، إذْ كانَ واحِدٌ من الأمرين لا يُتَيَقن.

وقولُه «فلا تَقْبَلَنْ ضَيْمًا» يقول: ادْفَعْ عن نفسِكَ خُطَّةَ الضَّيْمِ والهَضِيمة، ولا تلتزم العَارَ والدَّنيَّةَ، إشفاقًا من المنِيَّة. وانْتَصَبَ «مخافةَ» على أنّه مفعولٌ له. وقولُه «ومُوتَنْ بها»، الضمير من بها يرجع إلى المخافة، أي مُتْ بتلك المخافة حُرًّا لم يَستعبذْك الخَصْم، ولم يَستوطِئك الظُّلم، وجلْدُكَ نقِيٌّ من العيبِ، سليمٌ من العار والشَّيْنِ. ويُرْوَى «واحْيَنْ بها حُرًّا وجلْدُكَ أمْلَسُ» والرواية الأولى أحْسَنُ، ويكون «واحينْ» أمرًا بالحياةِ وقد أدخل عليه النُّونَ الخفيفة. ومعنى يُرْمَسُ: يُدْفن. والرَّمْس: الدَّفْن. والرِّياح الروامس منه، وتوسَّعُوا في الدَّفن فقيل ارْمُسْ هذا الحديث، كما يقال ادْفِن. وعافي الطَّيْر: ما يَعترِي منه. ويقال: فلانٌ كثير العافية والعفاةِ، ويُرادُ الزُّوّار والمُجْتَدُونَ.

٣ ـ فَمَنْ طَلَبِ الأوْتارِ ما حَزّ أنْفَهُ قَصِيرٌ وخاضَ المَوْتَ بالسَّيفِ بَيْهَسُ

٤ ـ نَعامَةُ لَمّا صَرَّعَ القَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيّنَ في أثْوابِهِ كيفَ يَلْبَسُ

قصيرٌ: صاحب جَذِيمة الأبرَش. وقصّة جذيمة وزبّاءَ الرُّوميةِ مشهورة. وإنَّ قصيرًا تَوَصَّلَ بأنْ جَدَعَ أنفَ نفسِه، إلى أن استَخْدَمَتْه زَبّاءُ ثمّ استخلصته حتى تمكّن فأدركَ ثأرَهُ منها. وَبَيْهَسٌ هو الذي يلقبُ نَعَامَة، وهو رَجلٌ من بني غُراب بن فَزارة، وكان يُحَمَّق، فقُتل له سبعةُ إخوة فَجعل يَلبَسُ القميصَ مكان السَّراويل، والسَّراويلَ مكان القميص، فإذا سُئِل عن ذلك قال: [الرجز]

الْبَسْ لكلّ عيشةٍ لَبُوسَها إمّا نعيمَها وإمّا بُوسَها[1]

---

(١) لبيهس الفزاري في تاج العروس (بهنس، لبس، نعم)، وبلا نسبة في اللسان (لبس)، وهو من أمثال العرب، انظر أمثال العرب ١١١، وجمهرة الأمثال ١: ١٩٧، والمستقصى ١: ٣٠٤.

فتوَصَّل بما صَوَّرَه من حاله عند الناس إلى أن طَلَب بدماء إخوتِه. وحديثُه مشهور أيضًا. وكلام المتلمّس بَعْثٌ وتحضيضٌ على دفع الضَّيْم، وركوبِ الإباء من التزام العار، فلذلك أخذ يذكُرُ بحال من استُضْعِف. فلم يَزَلْ يحتالُ حتّى أدرَكَ مَباغِيَهُ من أعدائه.

وقوله: «ما حَزَّ أنْفَهُ» ما زائدة. وارتفع «نَعَامَةُ» على أنه بَدَلٌ من قوله بَيْهَسُ. وموضِع «كيفَ» نَصْبٌ على أنّه مفعول تَبَيَّنَ، والعامِلُ في كيفَ يَلْبَسُ تَبَيَّنَ. كأنّه قال: تبيَّن في أثوابه يَلْبَسُ أيَّ لِبْسَةٍ.

٥ ـ وما النّاسُ إلا ما رأَوْا وتحدّثوا وما العجْزُ إلا أن يُضَاموا فيَجْلِسُوا

قولُه «ما رأَوْا» ما مع الفعل في تقدير مصدرٍ، كأنّه قال: وما النَّاس إلا رُؤْيَةٌ وتَحدُّث، أي اعتبار بالمشاهدة أو بما يُروَى من أخبار الأمم البائدة؛ فهو كقولك: ما زيدٌ إلا أكْلٌ وشُرْب، فيكون إمّا على حَذْف المضاف، كأنَّه قال: ما زيدٌ إلا ذُو أكْلٍ وشُرْبٍ؛ وإما أن يكون لكثرتهما منه، ووَلوعه بهما، كأنّه نَفْسُ الأكل والشُّرب. فيقول: ما الناس إلا ذَوُو الاعتبار بما يشاهدونَهُ أو يسمعونَه من أخبار أسلافِهم، فيتيقَّنونَ بأنه لا بُدَّ من الفناء، فلا ينبغي لأحد أن يحتمل ضَيْمًا أو يصْبِر على مكروه، وما العجزُ إلا أن يُظْلَمُوا ويُسَامُوا الخسفَ فيرضَوْا به، وينطَوُوا عليه كاظمين وساكنين. ويجوز أن يريد بقوله «وما الناس» وما حَزْمُ الناس، فحذف المضاف، ويكون حينئذٍ ما رأوا في موضع الظَّرف، كأنه أراد: ما حَزْمُهم إلّا مدَّةَ رؤيتهم وتحدُّثهم، أي إذا اعتبَروا بالأمرين، ويكون هذا في باب الإخبار كقولهم: الهلالُ اللَّيلَة، على تقدير حدوثُ الهلال أو طُلُوعُه اللَّيلةَ. ويكون الدَّلالة على هذا الوجه أنه طابَقَهُ بقوله «وما العجز».

٦ ـ ألَمْ تَرَ أنَّ الجَوْنَ أصْبَحَ راسِيًا تُطِيفُ به الأيّامُ ما يتأيَّس

الجَوْنُ: حِصْنُ اليمامةِ، ويُقال إنه من مصانِع طَسْمٍ وجَدِيسَ. فيقول: لا توعِدُونا فإنَّ حصنَنا حصينٌ لا يُوصَلُ إليه، ولا يُستباح حِماه. ومعنَى «تُطِيف به الأيَّامُ» تُلِمُّ به الأحداث وتَنُوبه النَّوائب فلا يُطيعُ. وقولُه «لا يتأيَّس» أي لا يلِين. وأنشد الأصْمَعِيّ: [البسيط]

إنْ تَكُ جُلْمُودَ صَخْرٍ لا أُوَيِّسُهُ أُوقِدْ عليه فأحْمِيه فينصدِعُ[1]

(١) للعباس بن مرداس في ديوانه ٨٦، واللسان (بصر، أبس، خرش) وتاج العروس (أبس)، وبلا=

ومَوْضِع «تُطيفُ به الأيّام» نصبٌ إن شئتَ على الصفة، وإن شئتَ على أنّهُ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ. وموضع «ما يتأيّس» نصبٌ على الحال، والعامل فيه تطِيفُ.

٧ ـ عَصَى تُبَّعًا أزمانَ أُهلِكَتِ القُرَى يُطَانُ عليه بالصفيحِ ويُكلَسُ

يُرْوَى:

... أيّامَ أُهلِكَتِ القُرَى يُطَانُ على صُمّ الصفيح ويُكلَسُ

يقول: إنّ تُبّعًا لما غَزا القرى والمدنَ لم يصل اليمامة للحصن. وذِكْرُه العصيانَ كما قال غيرُه. «تمَرد مارِد وعَزَّ الأبْلَقُ[1]». وقوله «يُطَان عليه بالصَّفيح» أي يُجعَل بدل طِينِه في الإصلاح والعمارة الكِلْس بالحجارة. ويجوز أن يكون «بالصفيح» في موضِع الحال، أي يُطانُ ويُكلَسُ بصفائحهِ، أي وهو مبنيٌّ الحجارة.

٨ ـ هَلُمَّ إليها قد أُثِيرَتْ زُرُوعُها وعادَتْ عليها المَنْجَنُونَ تَكَدَّسُ

يُخاطِبُ النُّعمان. و«إليها» أي إلى اليمامة، وهذا الكلام تهكُّمٌ وسخرية. يقول: إنْ قَدَرْتَ عليها فاقْصِدْها فإنها أخصَبُ ما يكون، مُزدَرَعُها مُثارٌ دَوَالِيبها تدور. ومعنى «تكدَّسُ» يركَبُ بعضُها بعضًا في الدَّوَران. ويُستعملُ في سَير الدَّوابِّ وغيرها. وقال ابن الأعرابيّ: التكَدُّس أن يُحرِّكَ مَنكِبَيه إذا مَشَى. وقال الأصمَعيّ. هي من مَشْي القِصار الغِلاظ. ويقال: كَدَسَ به الأرضَ إذا ضَرَبَها به. وأُنشِدت: [المتقارب]

وخَيْلٍ تكَدَّسُ بالدارِعِيـ ـنَ نازَلْتَ بالسَّيفِ أَبطالَها[2]

وروى بعضهم: «قد أُبيثَتْ زُروعها». والإبانة: الإثارة. وقوله «هَلُمَّ إليها» كما يقال: أقبِلْ إليها. وقد مضى القولُ في هَلُمّ.

٩ ـ وذاكَ أوَانُ العِرْضِ حَيَّ ذُبَابُهُ زَنَابِيرُهُ والأزْرَقُ المُتَلَمِّسُ

ويُروى «جُنَّ ذُبَابُهُ» أي كثُر ونَشِط. والعِرضُ: وادٍ من أوديةِ اليمامة، فلَكَ أن تَجُرّهُ بإضافة الأوانِ إليه وهو مرفوعٌ، ولك أن تَنْصِب الأوانَ فترفَعَ العِرْض بالابتداء،

= نسبة في ديوان الأدب ١: ١٨٠.

(١) المثل في مجمع الأمثال ١: ١١٣، وقالته الزباء وقصدت بما رد حصن دومة الجندل، والأبلق هو حصن السموأل بن عادياء ولم تقدر عليه.

(٢) للخنساء في ديوانها ٨٦، وأساس البلاغة (كدس)، وبلا نسبة في كتاب العين ٥: ٣٠٤.

واسم الزمان يضاف إلى الجمل من الابتداء والخبر، والفِعْل والفاعِل، وكأنّه قال: وهذا الذي ذكرتُ هو في هذا الأوانِ. وقوله «حَيّ ذُبابُه» أي عاشَ بالخِصْب فيه. و«زنابيرُه» يرتفع على أنه بَدلٌ من الذُّباب. وذُبابُ الرَّوضِ قد تُسمَّى الزَّنابير. وقوله «والأزرق المتلمِّس» إشارة إلى جنسٍ آخرَ غيرِ الأوّل، وهو ما كان أخضَرَ ضَخمًا. والمتلمِّس: الطالب، ويقال إنّه سُمّيَ المتلمِّسَ بهذا البيت، واسمه جرير بن عبد العُزّى.

١٠ ـ يكونُ نَذيرٌ مِن ورائيَ جُنَّةً ويَنْصُرُني منهم جُلَيٌّ وأحْمَسُ

١١ ـ وجَمْعَ بني قُرّانَ فاعرِضْ عَلَيهِمُ فإنْ يَقبَلوا هاتَا التي نحنُ نُوبَسُ[1]

قوله «يكونُ نذيرٌ» قيل فيه هو نذير بن بُهْثَةَ بن وَهْب بن حَرْب. وقيل أراد بالنَّذير المُنذِر. والمعنى: إني أرْصُد لهم من يُنْذِرُني بهم فيخبرُني بمجيئهم إذا هَمُّوا به، فأتّقِي وأَستَجِنُّ وأتحرَّزُ. وجُلَيٌّ وأحْمَسُ من ضُبَيْعة بن ربيعة بن نِزار يقول: وإذا جاء وقت التَّجاذُب والتدافُع قام بنَصري هذان البَطْنانِ. وقوله «وجَمْعَ بني قُرّانَ» النَّصب فيه على إضمار فعل، كأنّه قال: سُمْ جَمْعَ بني قُرّان، ويكون الفعل الظاهر تفسير المضمر؛ والرَّفع على الابتداء. ومعنَى البيت: أجْرُونا مجرى نُظرائنا فإنّا نَرْضَى بهم قُدْوَةً، واعرِضوا ما تَسُوموننا على بني قُرّان، فإنْ وجدتموهم يتلقَّونه بالقَبول، ويوطِّنون أنفسَهم عليه، فلنا بهم أُسوةٌ، وإلّا فالامتناع منه واجبٌ. وقوله «هاتَا التي نحنُ نُوبَسُ» أي هذه الخُطّة التي نُكْرَه عليها والأَبْس: القَهر. وقال ابنُ الأعرابيّ: أبَسْتُ الرَّجلَ، إذ لقيتَه بما يَكره؛ وأبَسْتُ منه، إذا وضَعْتَ منه باستخفافٍ به وإهانةٍ له. وجواب الجزاء لم يجئ بَعْدُ.

١٢ ـ فإنْ يُقبِلُوا بالوُدِّ نُقْبِلْ بِمِثْلِهِ وإلّا فإنّا نحنُ آبَى وَأَشْمَسُ

١٣ ـ وإن يَكُ عَنّا في حُبَيْبٍ تَثاقُلٌ فَقَدْ كانَ مِنّا مِقْنَبٌ ما يُعَرِّسُ

قوله «فإن يُقبِلُوا بالوُدّ» أعاد به الشَّرْط، وذاكَ أنّه قال في البيت الذي قبله «فإن يَقبَلُوا هاتَا التي نحن نُوبَسُ»، ولم يأتِ للشَّرط بجوابٍ، ثم قال «فإن يُقبِلُوا بالوُدّ نُقْبِلْ بمِثْلِهِ»، فاكتفَى بجوابٍ واحد لاشتماله على ما يكون جوابًا لهما، فكأنه قال: إن قَبِلُوا ما نُوبَسُ نَقْبَل مِثْلَه، وإن أقْبَلُوا بعد ذلك وادِّينَ وامِقِين أقبلنا بمِثْلِه، وإلّا فنحن أشدُّ

---

(١) التبريزي: «نُؤْبَسُ».

إباءً، وأبلغُ شِماسًا، وأحمَى أنفًا وأعزُّ جانبًا، والشِّماس: الامتناع، ومنه شِماسُ الدّابّة، وهو أن لا يُمْكِنُ من الإسراج والإلجام. وكانت بنو ضُبَيْعَةَ حلفاءَ لبني ذُهْل بن ثَعلبةَ بن عُكَابةَ، فوقَعَ بينهم نزاعٌ، فعاتَبهُم المُتلمِّسُ. وقولُه «وإنْ يك منّا في حُبَيْبِ تثاقُلٌ» فإنّه أراد حُبَيِّب فخَفَّف، وهو حُبَيِّبُ بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل. يقول: إنْ تكاسَلَ بنو حُبَيِّب عن طلب دمائنا، وتثاقَلوا عن إدراك ثأرنا، فقد كان منا من يدأب ويَسهرُ، فَلا يَرَى تَعرِيسًا وتَلَوُّمًا وتعريجًا في ذلك. والمِقْنَبُ: زُهاءُ ثلاثمائةٍ من الْخَيل. والتعريس: نزولٌ في آخر الليل.

٢٢١ ـ وقال سَعْدُ بنُ ناشِبٍ: [الطويل]

١ ـ تُفَنِّدُني فيمَا تَرَى مِنْ شَرَاسَتِي ... وشِدَّةِ نَفْسِي أمُّ سَعْدٍ وما تَدْرِي

٢ ـ فَقُلْتُ لها إنّ الحَلِيمَ وإن حَلَا ... لَيُلْفَى عَلَى حَالٍ أَمَرَّ من الصَّبْرِ(١)

تُفَنِّدُني أي تُجهِّلني. والفَنَد: إنكارُ العَقْل من هَرَم. يقال: شَيخٌ مُفَنَّدٌ. وفي القرآن: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسُف: الآية ٩٤]، أي تُجهِّلوني، وفُسِّر على تُكذِّبوني أيضًا. والشَّراسةُ: صُعوبةُ الخُلُقِ وخُشونة الجانب. فيقول: تُعَيِّبُنِي هذه المرأةُ على ما تَرَى من عُسرِ الخُلُق وإباءِ النَّفْسِ وفَظَاظَة القَلْب، جاهلةً بأحوال الرِّجال، والفَصْل بين أوقاتِ الجِدّ والهزل، والشِّدَّة واللِّيان، فأَجَبتُها وقلتُ: إنّ الرَّجُل الحليم وإن لانَ عِطفُه وسَهُل خُلُقُه فقد يُوجَدُ في وقتِ الغِلظة وعند حالةِ القسوةِ أَمَرَّ مَرارةً من الصَّبرِ، وأشدَّ صلابةً من الحَجَر. وقولُه «وما تَدْرِي» في موضع الحال. وفي هذه الطريقة قولُ الآخر: [الطويل]

وإنّي لَحُلْوٌ إنْ أُرِيدَتْ حَلاوَتِي ... ومُرٌّ إذا نَفْسُ العَزُوفِ اقشعرّتِ

٣ ـ وفي اللِّينِ ضَعفٌ والشَّراسةُ هَيْبَةٌ ... وَمَنْ لا يُهَبْ يُحمَلْ على مَرْكَبٍ وَعْرِ

الواو من قولِه «والشَّرَاسَةُ» عاطِفَةٌ لجمْلةٍ على جمْلةٍ، ولا يجوز أن يُجَر الشَراسةُ على أن يكون معطوفًا على في اللِّين، لما فِيهِ من العطف على عامِلَين بحرْفٍ واحدٍ. ومعنى البيت أَنَّ من استُلِين جانِبُه في كلِّ حالٍ استُضْعِفَ واهتُضِم، ومَن استُخْشِنَ خُلُقُه هِيبَ وتُحومِي.

(١) التبريزي: «إن الكريم».

٤ ـ وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي من فَظَاظَةٍ ... ولٰكِنَّنِي فَظٌّ أَبِيٌّ على القَسْرِ

في هذه الطَّريقة قول الآخر[(١)]: [الطويل]

أبِيٌّ لما آبَى سريعٌ مَبَاءَتِي ... إلى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي في مَسَرَّتِي

يقولُ: أَضعُ كلَّ واحدٍ من الفظاظة والسُّهولة، والشَّراسة والسَّلاسةِ، في موضِعه، وأَستعملُه مع من يستحقُّه، فمن جَرَى معي وانقاد لي لِنْتُ له، وقابَلْتُه بمثل فِعْلِه، ومَن تأبَّى عليَّ وطَلَبَ منِّي متابَعتَه والْجَرْيَ مع هَواه أَبَيْتُ عليه، وخالَفْتُه فيما يبتغيه. والقَسْر: القَهر على الكُرْه، ويقال: قَسَرْتُه واقْتَسَرْتُه، ومنه قيل للأسد قَسْوَرَةٌ.

٥ ـ أُقِيمُ صَغَا ذِي المَيْلِ حَتَّى أرُدَّهُ ... وأَخْطِمُهُ حتَّى يَعُودَ إلى القَدْرِ

٦ ـ فإنْ تَغْذُلِينِي تَغْذُلِي بي مُرَزَّأً ... كَرِيمَ نَثَا الإعْسَارِ مُشْتَرَكَ الْيُسْرِ

قولُه «أقيمُ صَغَا ذِي المَيْل»، تبجَّحَ فيه بأنه عارفٌ بأسرار الرِّجال، لطيفُ التَوَصُّل إلى إنزالهم مَنازلَهم، بصيرٌ بمداواة أدوائهم، لا يَترُكُهم سُدًى، ولا يُخَلِّيهم إهمالًا. والصَّغَا: المَيْل والاعوجاج، يقال صَغَا فؤاده يَصْغَى ويَصْغو، أي مالَ. وصِغْوُكَ مع فلانٍ، أي مَيْلُك. يقول: مَن مالَ عَنَّا فإني أقوِّم اعوجاجَه بما يُحوِج إليه من قولٍ وفِعلٍ، حتَّى أَرُدَّه إلى ما أريدُه، فإن تبيَّنْتُ فيه تعدِّيًا لِطَورِه، وذهابًا عن حَقِّه وحَدِّه، زَمَمْتُه بزمام مثلِه حتَّى يَرْجعَ إلى مَرْتبتِه وقَدْرِه. وقولُه «فإن تَغذُلِيني» يصِفُ نَفسَهُ بأنَّه سَمْحٌ معطاءٌ، لا يُكَفُّ عن البَذْل، ولا يُرَدُّ عن الإعطاء والجُود، على تلوُّنِ الزَّمان به، وتَغَيُّر الأحْوَالِ عليه. والمُرَزَّأُ: المُصابُ في مَالِهِ كثيرًا. وقولُه «تَغذُلِي بي مُرَزَّأً»، أي رجلًا مرزَّأً، وذلك الرَّجلُ هُوَ هو كما يقال: لقيتُ بزيدٍ الأَسدَ. والنَّثَا: الخَبَر، ويُستعمل في الخير والشَّرّ، والثناء لا يستعمل إلَّا في الخير، يقول: إن لُمْتِني على ما هو دَأْبي من الإفضال، لُمْتِ بي رجلًا لا يفكِّرُ في عُقَبِ الدَّهْرِ، وكُرورِهِ بالغِنَى والفقْر، فإن نَابَهُ العُسرُ حَسُنَ بلاؤه وكَرُمتْ أخبارُه فيه، وإن نالَه اليُسْر أشرَكَ الأقاربَ والأجانبَ في نَفْعه، فعَمَّتْ فواضلُهُ لديهم.

وقد أكثر الشُّعراء في هذا المعنى. فمن ذلك قَوْلُ الشَّمَرْدَل: [الطويل]

وَصُولٌ إذا اسْتَغْنَى وإن كان مُقْتِرًا ... من المالِ لم تُحْفِ الصَّديقَ مسائِلُهْ

---

(١) للشنفرى الأزدي في المفضليات ١: ١١٠.

وقولُ المَرّار: [الطويل]

إذا افتقَرَ المَرّارُ لم يُرَ فقرُهُ وإن أيسَرَ المَرّارُ أيسر صاحِبُهْ

وأحسَنُ من الجميع قول الآخَر: [الطويل]

إذا افْتَقَرُوا عَضُّوا على الفَقْرِ حِسْبَةً وإنْ أيْسَرُوا عادُوا سِرَاعًا إلى الفَقْرِ

٧ ـ إذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وصَمَّمَ تَصْمِيمَ السُّرَيْجِيِّ ذي الأثْر

يذْكُر من نفسِه الصَّرامةَ والنَّفاذ، وفَصْلَ الأمور، والصَّبر على ممارَسَة الخُطوب. يقول: إذا عَزَمَ على الأمر كان جميعَ الرّأي، يَجعلُ المهمومَ به نَصْبَ عَيْنَيه، حتّى يَخرُجَ منه، ونَفَذَ نَفَاذ السَّيف الخَذِمِ لا يَتوقَّف في الضَّريبة، ولا يَكْهَم. والسُّرَيْجِيُّ: منسوبٌ، ويجوز أن يكونَ وُصِف بذلك لكثرةِ مائه ورونقه، حتَّى كأنَّ فيه سراجًا؛ ومنه قيل: سَرَّجَ الله أمْرَك، أي حَسَّنَه ونوَّرَه. والتَّصميم: المُضِيُّ في الأمر، ويقال: صَمَّمَ في عَضَّته، إذا نَيَّبَ. قال: [الطويل]

فأطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجاعِ ولو يَرَى مَسَاغًا لنابَيْهِ الشُّجَاعُ لصَمَّما(1)

والأثْر: الفِرِنْدُ والماء، ويقال أُثْرٌ بالضَّمّ.

٢٢٢ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ لا تُوعِدَنّا يا بِلَالُ، فإنّنا وإنْ نَحنُ لم نَشقُقْ عَصَا الدِّينِ أحْرَارُ

يُخاطب بهذا الكلام بِلَالًا الخارجيّ، ويعيِّره خروجَه من طاعة السُّلطان وشَقَّه عَصَا الإسلام، فيقول: اتْرُكْ توعُّدَنا فإنّا وإن لم نُفَرِّقِ الجماعةَ تفريقَك، ولم نُخالِف المسلمين مخالَفتَك فإنّ فينا كَرَمًا وإباءً يحمينا من الانهضام، ويحرِّم علينا الصَّبرَ على المَذَلَّة والعار، فلا طريق لك إلى تَمَلُّكِنا والتحكُّم فينا. وقال الخليلُ: قولُهم شَقَّ عَصَا المسلمين، العَصَا: الاجتماع والائتلاف. والأجْوَدُ عِندي أن يكونَ مَثَلًا كما يُقَالُ للرَّفيق الحَسَنِ السِّياسة: هو لَيِّن العَصَا، وفي ضِدِّه: هو صُلْبُ العَصا، وكقولِهم: قَشَرْتُ له العصا، إذا أبَنتَ له ما في نفسِك، وكما قيل: «عصا الجبان أطْوَل». وقال بعضهم يصف الخوارج: [الطويل]

رَجَوْا بالشِّقاق الأكلَ خَضْمًا فَقَدْ رَضُوا أخيرًا من أكل الخَضْمِ أن يأكلوا قَضْما(2)

---

(١) للمتلمس في ديوانه ٣٤، والحيوان ٤: ٢٦٣، وخزانة الأدب ٧: ٤٨٧.

(٢) لأيمن بن خريم الأسدي في ديوانه ١٤٥، واللسان (خضم، قضم)، وبلا نسبة في كتاب العين=

فأتى بالشِّقاق وأصلُه من شقِّ العصا.

٢ ـ وإنّ لنا إمّا خشيناكَ مَذْهَبًا إلى حَيثُ لا نَخْشاكَ والدَّهرُ أطْوارُ

يَتَوَعَّدُه بأنّه إن أعياهُ مُقارَتُهُ ولم يَفِ بمدافعتِهِ، فارَقَ أرضَهُ وتَرَبَّصَ به ما لا يُؤمَن من تغير الزمان، وتحوُّل الأحوال، لأنَّ في سَعةِ الأرض مَذهبًا له، وفي التباعُد عنه راحةً تُؤْمِنه. وقد أومأ بقولِه «والدَّهرُ أطوارٌ» إلى تصاريف الزمان، وتلوُّنِه بالخير تارةً وبالشرِّ أُخرَى. ويقال: الناسُ أطوارٌ، أي أخيافٌ على حالاتٍ شتَّى. وفي القرآن: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [نُوح: الآية ١٤]. وقوله «إلى حيث لا نخشاك» أجرى حيث مجرَى الأسماء، وجعَل لا نخشاك من تمامه، وحذف الضمير منه تخفيفًا، كأنّه قال إلى حيث لا نخشاك فيه، أي إلى مكانِ الأَمْنِ منك. ويروى «فإنّ لنا عنكم مَزَاحًا ومَذهَبًا». والمَزَاحُ: المَبْعَدُ، يقال: زاحَ عَنّي.

٣ ـ فلا تَحمِلَنّا بَعدَ سَمعٍ وطاعةٍ على غايةٍ فيها الشّقاقُ أوِ العَارُ

يقول: لا تُلْجِئنا بعد انقيادِنا لك في كثير من الأمور، ودخولِنا تحت هَوَاكَ، وتَلقِّينا بالسَّمْع والطاعةِ أمْرَك، إلى غايةٍ تُضَيِّقُ نِطاقَ صَبْرِنا، وتُعَجِّزُ طاقتَنا وجُهْدَنا، فتُفْضِي بنا الحالُ إلى أحد شيئين، إمّا مُشاقَّتِك ومجاهَدَتِك، وركوبِ كلِّ صعبٍ وذَلُولٍ في الخروج عنك وعليك. وإمّا الرِّضا بالدَّنيّة والدُّخولِ تحت العار والهضيمة، فلا حظَّ لنا ولك في واحدةٍ منهما. وقد مَضَى القولُ في الشِّقاقِ وأصْلِه، ويقالُ: هو يُشاقُّهم خِلافًا وعِنادًا.

٤ ـ فإنّا إذا ما الحَرْبُ ألْقَت قِناعَها بها حِينَ يجفُوها بَنُوها لأَبرَارُ

قوله «إذا» ظرفٌ لخبر إنَّ، وهو أبرارُ. وكذلك قوله «حين يجفُوها»، والتقدير: إنَّا لأبرارٌ بالحربِ إذا ألْقَت قِناعَها وجفَاها أبناؤها. وقوله «ألْقَت قِناعَها» مَثَلٌ. يريد: إذا اشتدَّت فتكشَّفَت، وزالت المساتَرَة بين أولادِها فتبرَّجت، في أقبح زِيِّها وأفظع صورتها. وتشبيه الحربِ في ابتدائها بالفَتِيَّةِ المُخَدَّرَةِ وتَسَتُّرِها، وعند تفاقُمِها بالعجوز واطِّراحها لقناعِها، مشهور في عاداتِهم وطرائقِهم. وبِرُّ أبنائها بها: صبْرُهم على حَرِّها، وتهييجهم لنارِها. وجفاؤهم بها أن يكونوا على الضِّدِّ من ذلك.

= ٥ : ٧.

٥ ـ ولَسْنَا بِمُخْتَلِّينَ دَارَ هَضِيمَةٍ مَخَافَةَ مَوْتٍ إنْ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ

هذا خِلافُ قول الآخَر: [الطويل]

إذا ارتحلوا عن دَارِ ضَيْم تَعَاذَلُوا عَلَيْهَا وردُّوا وَفْدَهم يَسْتَقِيلُها[1]

وانتصب «مَخَافة» على أنَّه مفعولٌ له، والهَضِيمة والمَضِيمةُ واحد.

٢٢٣ ـ وقالَ قُرَادُ بن عَبَّادٍ[2]: [الطويل]

١ ـ إذَا الْمَرْءُ لم يَغْضَبْ لهُ حِينَ يَغْضَبُ فَوَارِسُ إن قيلَ اركَبُوا المَوْتَ يَرْكَبُوا[3]

٢ ـ ولم يَحْبُهُ بالنَّصْرِ قَوْمٌ أعِزَّةٌ مَقَاحِيمُ في الأمر الذي يُتَهيَّبُ

٣ ـ تَهَضَّمَهُ أدْنَى العَدُوّ ولم يَزَلْ وإن كان عِضًّا بالظُّلامَةِ يُضْرَبُ

يُخْبِر بأنَّ عِزّ الرجلِ بعشيرته، واعتلاءَهُ بذويه وأقاربه، فإذا لم يتغضَّبْ له فُرسانٌ يَسخَطُون لسُخطِهِ ويمتَعِضُون من دُخول الضَّيْم عليه، فيركبُونَ حَدَّ المَوْت في هواه، ويقتحمون الشَّدائد في نُصرتِه، تَجاسَرَ عليه أضعفُ أعدائه، وأدْنَى مُخالفيه، وإن كان في نَفْسه منكرًا دَاهِيَةً لا يُطاقُ، ولم يَزلْ مَضروبًا بالظُّلْم والهضيمة، مقهورًا بالإزراء والمَضِيمةِ، وإن كان لا يُؤتى من حَدٍّ ومضاء. والعِضُّ: السيِّىءُ الخُلُق، والمُنْكَرُ الشَّديد اللِّسان. ويقالُ: هو عِضُّ مالٍ وعِضُّ سَفَرٍ وقِتَال، إذا كان حَسَنَ الغَناء في جميعها. وجوابُ «إذا المرءُ» قولُه «تَهَضّمَهُ»، وهو العامِلُ فيه. والمقاحِيم: جمع المِقحام، وهو الذي يَخُوضُ قُحْمَةَ الشيءِ، أي معْظمَه. ومعنى تَهَضّمه كَسَرَهُ وأَذَلَّه. والحِباءُ: عطاءٌ بِلا مَنٍّ ولا جزاءٍ. ويقالُ: حبَاهُ الله بكذا، وحباهُ كذا أيضًا. وخبرُ لم يَزَلْ «يُضرَبُ»، وفي الجملة جوابُ «وإن كان عِضًّا».

٤ ـ فَآخِ لحالِ السِّلْمِ مَنْ شئتَ واعلَمَنْ بأنَّ سِوَى مَوْلَاكَ في الحَرْب أجْنَبُ

٥ ـ ومَوْلَاكَ مَوْلَاكَ الذي إنْ دَعَوْتَهُ أجَابَكَ طَوْعًا والدِّماءُ تَصَبَّبُ

---

(١) لعميرة بن جعل، المفضلية رقم (٦٣)، والبيان والتبيين ٢: ٣٤٧.

(٢) التبريزي: «قال أبو هلال: هكذا في الأصل، وهو خطأ، وإنما هو قراد بن العيار بن محرز بن خالد.. وأبوه العيار أحد شياطين العرب» وقراد بن العيّار: شاعر شرير بذيء اللسان عمّر طويلًا. (ت نحو ١٦٠ هـ/٧٧٧ م) ترجمته في المؤتلف والمختلف ١٥٩، ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٢٨.

(٣) التبريزي: «لم تغضب».

٦ ـ فلا تَخْذُلِ المَوْلَى وإن كان ظَالِمًا فإنّ بِهِ تُثْأَى الأمُورُ وتُرْأَبُ

يحثُّه على استصلاح بني الأعمام، وينبه على أنّهم المعتَمَدون في الشَّدائد، فيقول: وَالِ لِأيّام السلامة وأحوال المُوادَعةِ والمُسالَمَة من شِئت، وإن لم يَجْمَعْك وإيّاه نَسبٌ ولا سَبَبٌ، عالِمًا بأنّه لا يَصلُح للحرب ومجاذَبة الأعداء إلّا قريبٌ، وأنّ من سِوَاهُ فيها غَرِيب. وقولُه «ومولاك مولاك» تَلافَى به تحقيقَ ما قَدّمهُ، وتأكيدَ ما أطلقه، ونَفَى عنه تَسلُّطَ المجاز والاتّساع. فيقول: مولاكَ في الحقيقة هو ابن عَمّك الذي إن استغَثْتَ به أبْعَدَ ما كان منك أغاثَكَ عن حُنُوّ وشفقة، وإن دَعوتَهُ والكَلْمُ يَقْطُر وحبلُ الألفةِ يَنقطع، أجابَكَ لا بتصَنُّع وتعمُّلٍ، فأمّا من وَلاؤه بالاسم دون المعنى، أو يكون مداجيًا لك يُجامِلُك بالغِشّ وينطوي لك على الضِّغْنِ، يخذلُك أحوجَ ما كنتَ إليه، ويَبْعُدُ عنك أقربَ ما كنْتَ فيه، فلا معتَمَدَ عليه، ولا استنامةَ إليه. وانتصب «طَوْعًا» لأنّه مصدرٌ في موضع الحال. ومثل هذا قولُ الآخر: [الطويل]

أَخُوكَ الذي إن تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ يُجِبْكَ وإنْ تَغضَبْ إلى السَّيْفِ يَغْضَبِ

وقوله «ولا تَخذُلِ المَوْلى وإن كان ظالمًا» يجوز أن يكون المعنى: لا تَخذُلْه وإن كان ظالِمًا لك، ويجوز أن يكونَ على منهاجِ ما جاء في الخبر: «انْصرْ أَخاكَ ظَالمًا أو مَظْلُومًا». يقول: طالِبْ نفسَكَ لمولاكَ بمِثْلِ ما تُطالِبُ به مولاكَ لنفسك، وَانصُرْهُ على كل حال.

وفي مثل طريقة البيتين الأوَّلَين من هذه المقطوعة قولُ الآخر[١]: [الطويل]

ومَنْ لا يَكُنْ ذا ناصِرٍ يَوْمَ حقّهِ يُغَلَّبْ عليه ذو النَّصِيرِ ويُضْهَدِ
وفي كثرة الأيدي لِذِي الظُّلْمِ زاجِرٌ إذا خَطَرَتْ أَيْدي الرِّجال بمشهدِ

ومعنى «به تُثْأَى الأمور وتُرْأَبُ» يريد بالمولَى تُصْلَحُ الأمور وتُفسَدُ. ويقال: رأيتُ الثّأي، كما يقال: رَفَعْتُ الخَرْق.

٢٢٤ ـ وقال زاهرٌ أبو كِرامٍ التَّيْمِيُّ[٢]: [الكامل]

١ ـ للهِ تَيْمٌ أيُّ رُمْحِ طِرَادِ لاقَى الحِمَامُ به ونَصْلِ جِلَادِ

(١) لعدي بن زيد العبادي في حماسة البحتري ١٥٤.
(٢) التبريزي: «التميمي، ويروى كدام».

قوله «لله تَيْمٌ»، تيمٌ: رجلٌ من بني يَشْكر، بارزَ أبا كِرَام فقتَلَه، وكان أحدَ الفُرسان، فأخذ أبو كِرَام يُقيم أمرَه ويعظِّم شأنه، لأنَّ ثناءه عليه وإكبارَه لمكانه راجعٌ إليه، إذ صار قَتِيلَه. واللام من «للهِ تَيْمٌ» دخلَت للتخصيص، والتعجُّبُ دخَلَ في الكلام أيضًا بقوله «أيُّ رُمْحِ طِراد». وعلى هذا قولُهم: للهِ دَرُّه. وهذا التخصيص باللام يجري مجرى الإضافة في قولِهم: بَيْتُ الله، وكعبةُ الله، وإن كانت الأشياء كلُّها لله. وقوله «أيُّ رُمْحِ طِرادِ لاقَى الْحِمامَ به» الضميرُ في به لتَيْم، والمعنى: لاقَى الموتَ بتيْمٍ أيُّ رُمْحِ مُطارَدَةٍ، وأيّ نَصْلِ مُجالدةٍ، كأنَّه كان رُمحًا ونَصلًا، ومِحَشَّ حربٍ. ويجوز أن يكون المراد: لاقى الموتَ به أيُّ سلاحٍ وعُدّة، وأيُّ مقاتلٍ وبطل. ولك أن ترفع «الْحِمام»، والمعنى: لاقى الموتُ بتيم أيَّ رمح وأيَّ رامح، وأيَّ سيفٍ وأيَّ سائف. ودلَّ على صاحب السيف والرُّمح قوله «ومِحَشّ حربِ» في البيت الثاني.

٢ ـ ومِحَشَّ حَرْبٍ مُقْدِمٍ مُتعرِّضٍ لِلْمَوْتِ غيرِ مُعَرِّدٍ حَيَّادِ

يقالُ: حَشَشْتُ النارَ، إذا جمعتَ الحَطَبَ إليها وهيَّجْتها. كأنّه جعله آلةً في حَشِّ نار الحرب، لأنَّ المِفْعَل والمِفْعال للآلات. والتَّعرِيدُ: تَرْكُ القَصدِ وسرعةُ الانهزام. والحَيّادُ: الذي يَحيدُ عن موضع القتال كثيرًا. يريدُ أنَّه يُقدِم ولا يُحجِم. وانعطف «ومِحَشّ حربِ» على «ونَصْلِ جِلَادِ».

٣ ـ كاللَّيثِ لا يَثْنِيهِ عن إقْدامِهِ خوفُ الرَّدَى وقَعاقِعُ الإيعادِ

٤ ـ مَذِلٌ بمُهْجَتِهِ إذا ما كذَّبَتْ خوفَ المَنِيَّةِ نَجدَةُ الأنْجادِ

يقول: هو في بأسِهِ وإقدامِهِ، مِثلُ اللَّيث لا يَصرفه عن الوجهِ الذي يَؤُمُّهُ، والأمرِ الذي يُهِمُّه، ما يستشعِرُه الجَبانُ من خوفِ الموت، وقعقعة الوعيد. والقعقعةُ: صوتُ الجِلْدِ اليابس والبَكْرَةِ؛ وتوسَّعُوا فيه فقالوا: هالَ فلانًا قعقعةُ الوعيدِ. وقالوا: تقعقعَتْ مَفاصِلُه أيضًا.

وقولُه: «مَذِلٌ بمهجته» كأنَّه يَطُولُ تعرُّضُه للشَّدائد، ويدومُ ابتذالُه لما يَجِبُ صَونُه من كرائم النَّفس، فِعْلَ مَن ضَجِرَ بمهجتِهِ فاستقتل، واستطابَ الموتَ فَتَعَجَّلَ. ويقال: مَذِلَ بسرِّه، إذا باح به. والمُهْجَةُ: خالِصَةُ النَّفس، ومنه الأُمْهُجَانُ في اللَّبَن[1].

(١) يقال: لبن أمهجان: إذا سكنت رغوته وخلص ولم يخثر.

وانتصَبَ «خَوْفَ المَنِيَّةِ» على أنّه مفعول له، وإذا ما كَذَّبَتْ نَجْدَةُ الأنْجَادِ، ظرفٌ لقوله مَذِل، والمعنى: إذا خَانت شِدَّةُ الأشِدَّاء، ولم تَفِ بما تَعِدُ شجاعَةُ الشُّجْعَان، لاستفحال الشّأن، فإنّ هذا الرّجلَ كان يمذُلُ بمهجتِه، فكأنّه يميلُ إلى انقطاع العُمر. والأنجادُ: جمع النَّجِدُ. والنَّجدةُ: البأسُ. ويقال: هو صادِقُ البأس، كما قيل كاذب البأس.

٥ ـ سَاقَيْتُهُ كأسَ الرَّدَى بأسِنَّةٍ ذُلُقٍ مُؤَلَّلَةِ الشِّفَارِ حِدَادِ
٦ ـ فَطَعَنْتُهُ والخيلُ في رَهَجِ الوَغَى نَجْلَاءَ تَنْضَحُ مثلَ لَوْنِ الجادِي

أخذ يقتصُّ كيف قَتَل تَيْمًا. والمُسَاقاة تكون من اثنين، ولذلك قال: «بأسِنَّةٍ ذُلُقٍ» فجمعَ، وإنّما كان سِنانانِ من رُمْحَيْن. ويجوز أن يَكونَ جَمَعَ لأنّه أراد الزُّجَّ والسِّنانَ من كلِّ واحدٍ منهما. والذُّلُق: المُحَدَّدَةُ. وذَلْقُ كل شيء: حَدُّهُ، ومنه قيل ذَلِيقُ اللِّسانِ. والمُؤَلَّلَةُ أيضًا: المحَدّدةُ: والشِّفارُ، أَصلُه أن يستعمل في السِّكِّين العريض. وكما جَعَلَ هذا الشَّفرةَ لِلرُّمْح جعلهُ غيرُه للسَّيف فقال: [الطويل]

ويَرْكَبُ حَدّ السَّيفِ من أن تَضِيمَهُ إِذَا لم يَكُنْ عن شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ[١]

وقوله «فَطَعَنتهُ والخَيْلُ» الواو واو الحال، والرَّهَجُ: الغبارُ. وقوله: «نجلاءَ» أراد طَعَنْتُهُ طعنةً نَجْلاء أي واسعة، تَنْضَحُ أي تَرُشُّ. والنَّضْحُ بالحاء غير معجمة يستعمل فيما رَقَّ، وبالخاء معجمَةً فيما غَلُظَ. وقولُه «مثْلَ لونِ الجادِي» يَعنِي به دمًا، أي لَوْنُهُ مثلُ لونِ الزَّعفران.

٧ ـ فكأنَّما كَانَتْ يَدِي مِنْ حَتْفِهِ لَمَّا انْثَنَيْتُ لَهُ على مِيعَادِ
٨ ـ فَهَوَى وجَائِشُهَا يَفُورُ بِمُزْبِدٍ مِنْ جَوْفِهِ مُتَدَارِكِ الإزْبَادِ[٢]

قوله «فكأنما كانت يدي من حَتْفِهِ» يريدُ أنّه سقط لأوّلِ طعنةٍ، فكانت نفسُه فيها، لأنها كانت جائفةً نافذةً إلى المقتل، فكأنَّ بين حَيْنِهِ وبين يدِي لَمَّا أَمَلْتُها للطَّعن مَوْعِدَةً أُنجِزَت، وخطْفَةً اخْتُطِفَت. وقولُه «فَهَوَى وجائشُها يَفُور» يريدُ: سَقَطَ وما يَجِيشُ من نَجِيعِهِ يَسِيلُ وقد عَلاه الزَّبَدُ لكثرته وقُوَّته، فهو يمورُ ولا يَرْقَأُ ولا يهدأ. ومعنَى «متدارِك الإزْباد»، أي متتابِعه، أي إِزْبَادُه لا ينقطِعُ.

(١) لمعن بن أوس في ديوانه ٣٧، وأمالي القالي ٣: ٢١٩.
(٢) التبريزي: «متتابع».

٢٢٥ ـ وقال عَمرُو القَنَا[(١)]: [البسيط]

١ ـ القائِلِينَ إذا هُمْ بالقَنَا خَرَجُوا مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ في حَوْماتِها عُودُوا

الحَوْماتُ: جمع حومَةٍ، وهي في الأصْل أكثر موضِعٍ في البَحر ماءً، وكذلك في الحَوضِ، فاستعارها لشدّة الحرب. وإنّما يَصِفُ حِرصِهمْ على القِتال، وأنّه لَا يلحقُهُم السآمَةُ فيه والمَلال، فمتى خرجُوا من غَمْرةِ مَنِيّةٍ، وحَومةٍ كريهة، مطاردينَ الأعداءِ، دَعَتْهُم أنفسُهم إلى أن يتنادَوْا: عُودُوا، فلا شِفاءَ نِلْنَا، ولا بَوَاءَ من الأعداءِ أصَبْنَا. وقولُه «بالقَنَا خَرَجُوا» أي خَرَجوا ومعهم القَنا. وعُودُوا في مَوْضِع المفعول من القائلين، وهو حكايةُ ما قالوا.

٢ ـ عَادُوا فَعَادُوا كِرَامًا لا تَنَابِلَةٌ عندَ اللِّقاءِ ولا رُعْشٌ رَعَادِيدُ

قوله «لا تنابِلَةٌ عند اللِّقاء» مثلُه قول الهُذَلي[(٢)]: [البسيط]

قد ظِلْتُ فيها مَعِي شُعْثٌ كأنهمُ إذا يُشَبُّ سَعِيرُ الحَرب أرمَاحُ

يَقُولُ: عادوا لاتّفاق آرائِهم واجتماع كلماتِهم، وهم كِرامُ الموافقةِ، شِدادُ المُنَاصبةِ، لا يتضاءلون عند اللِّقاء، ولا يتقاصرُون في جَهدِ البلاء، ولا يرتَعِشُونَ في الدِّفاع، ولا يتخاضعون أوانَ الامتناع. والتنابلةُ: جمع التِّنبالِ، وهو القصيرُ. والرِّعاديد: جمع رِعدِيدٍ، وهو الذي لا يتماسكُ جُبْنًا وضَعفَ قلب.

٣ ـ لا قَوْمَ أكْرَمُ منهم يَوْمَ قالَ لَهُمْ مُحَرِّضُ المَوْتِ عن أحْسَابِكُمْ ذُودُوا

دخل تحتَ قوله «أكْرَمُ مِنْهُمْ» كلُّ خصلةٍ محمودةٍ، لأنّه إذا تَناهَى كَرمُهم إذا دَعا الدَّاعِي وقتَ التحريض: أنِ ادفعُوا عن أحسابِكُم، فقد حصَّلُوا كُلّ مَنقَبةٍ شريفة، وطَلَعُوا على كلّ ثَنِيَّةٍ من ثَنايا المجدِ مُنيفة، واكتَسَبُوا من الأُحدوثَةِ الجميلة بما يَظهرُ من بَلائِهم ما يَقْصُرُ عنهُ كلُّ أُكرومةٍ نبيهةٍ.

---

(١) عمرو القنا: عمرو بن عميرة العنبري: من بني سعد بن زيد مناة، من تميم، شاعر فحل كان من رؤساء الخوارج وفرسانهم الشجعان الأشداء. (ت نحو ٧٧ هـ/ ٦٩٦ م) ترجمته في معجم الشعراء ٢٢٨، وتاريخ الطبري حوادث سنة ٦٥.

(٢) لأبي ذؤيب في شرح ديوان الهذليين ١: ٥٠.

٢٢٦ ـ وقال الفَرَزْدَق(١): [الطويل]

١ ـ إنْ تُنصِفُونَا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ إِلَيكُمْ وإلَّا فأْذَنُوا بِبِعَادِ

يقولُ: إنْ حملتُمونا في مجاورتِنا لَكُم على السَّوَاء، وتركتُم البَغْيَ عَلَيْنا والعَلاءَ، اخْتلطنا بكم، وطلبنا موافقتَكُمْ، وإلا فاعلمُوا أنَّ البِعادَ منكم هَمُّنا وهِمَّتُنا؛ لأنَّه إذا لم يكن لنا صَبْرٌ على الاهتضام، ولا طريقٌ إلى الانتقام، فلا ثالثَ لهما إلَّا الانتقال. ويقال: أذِنْتُ بكذا، إذا عَلِمتَ به فاستعددتَ له؛ وآذَنَنِي فُلانٌ؛ ومنه الأَذان بالصلاة، والفِعل منه أَذَّنَ.

٢ ـ فإنَّ لَنا عنكُمْ مَزاحًا ومَذْهَبًا بِعِيسٍ إلى رِيحِ الفَلَاةِ صَوَادِ

قولُه «مَزَاحًا» هو من زَاحَ يَزيحُ، إذا ذَهبَ؛ ومنه أَزَحْت العِلّةَ. والكلامُ خارجٌ على أنَّه تفسير البِعادِ الذي ذَكره وبَيَانُهُ. يقولُ: إن سُمْتُمونا خَسْفًا، وأذقتُمونا في وِلايتِكُمْ عَسْفًا، فإنَّ لنا عنكم في الأرضِ مَبْعَدًا ومُنتأى، بإبِلٍ بيضٍ كِرامٍ، أَلِفَت المفاوِزَ، فهي للتَّلكُّؤِ عنها نوازِعُ دونها، عَوَاطِشُ إلى ريحها. والصَّوادِي: جمع صادِيَةٍ؛ والصَّدَى: العَطَش.

٣ ـ مُخَيَّسَةٍ بُزْلٍ تَخَايَلُ في البُرَى سَوَارٍ على طُولِ الفَلَاةِ غَوَادِ

التَّخْيِيس: حَبْس الإبل على الكدِّ والعَمَل؛ ومنه قول النابغة: [البسيط]

وخَيِّسِ الجِنَّ إنِّي قد أذِنْتُ لَهُمْ(٢)

أي احبِسْهُم واستعمِلْهُم، وإنَّما وَصَف العِيسَ ليُرِيَ أنَّهُ متمكِّنٌ من مُرادِه في التَّباعُدِ، مستظْهِرٌ في العُدَّةِ للسَّفَر إنْ اضطُرَّ إليه. وجَعَلَها بُزْلًا لتكونَ متناهيةً في القُوَّةِ. وقوله «تَخَايَلُ في البُرَى» أي تحتال في سَيرِها وهي مُبْرَاةٌ تُطِيقُ وَصْلَ السَّيْر بالسُّرَى، على امتداد الشُّقَّةِ وطول الوِجهةِ. وقولُه «في البُرَى» في موضع النَّصب على الحال.

(١) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، شاعر عظيم الأثر في اللغة، وكان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م). ترجمته في الأغاني ٩: ٣٢٥، وابن سلام ٧٥، والمرزباني ٤٨٦.

(٢) للنابغة في معلقته وعجزه:

«يبنون تدمرَ بالصّفّاحِ والعُمُدِ»

٤ ـ وفي الأرضِ عن ذي الجَوْرِ مَنأًى ومَذهبٌ وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كبِلادي

أظهر في الكلام طِيبَ نَفْسه على السَّفر، وسُلوَّه عن بلدِه وموطنِه، فقال: في الأرض الواسعة مُنتَزَحٌ ومتوجَّه عن الجائرين، وكلُّ مكانٍ اتخذته وطنًا كان كمَسْقَطِ رأسي، ومقرِّ نَشْئي، إذ لا قَرابةَ بين الدِّيار وسكّانها ولا مُشاكَلَة، وإنما يُختارُ منها ما كان إلى السلامةِ أقرب، وللعِزِّ أجلَب، ومن المهانةِ والذُّلِّ أبعد.

٥ ـ وماذا عسَى الحَجّاجُ يَبلُغُ جَهدَهُ إذا نحنُ خَلّفنا حَفيرَ زِيادِ[1]

كان شَكْوُه من الحجّاج بن يوسف، وتأذِّيه بسوء معاملتِه، فأخذ يَسْتَهينُ به. يقولُ: إذا خرجْتُ من مَلَكَتِه، وفارقْتُ أرَضِي مملكتِه، وتباعدتُ عن حَومةِ سُلطانِه، ودارِ أمرِهِ ونَهْيه، وخَلَّفتُ ورائي حَفيرَ زياد بن أبيه، الذي هو حَدُّ عَمَلِهِ، فماذا تَراهُ يَقْدِر عليه منّي، أو يستطيعُ اختيارَه من إيذائي وقَصْدي. وعسى من أفعال المقاربة، والفِعْلُ بعده يَصْحبه أنْ في الكلام. وفي القرآن: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٦]. إلا أنه في الشِّعر قد يشبِه تكادُ، وهو نظيرُه في أنه من أفعال المقاربةِ، فيُنزَعُ منه أنْ، لأنّ الفِعْلَ بعد كاد يكون بغيرِ أنْ. ومثله في ذلك قول الآخر: [الطويل]

عَسَى اللهُ يُغْنِي عن بِلَادِ ابنِ قادِرِ

ويَعْني بحفِيرِ زيادٍ نَهَرًا كان احتَفَرَهُ زياد.

٦ ـ فبِأسْتِ أبي الحجّاج وأستِ عَجُوزِهِ عُتَيِّدَ بَهْمٍ تَرْتَعِي بِوِهادِ

قوله «بِأسْتِ أبي الحجّاج» قال أبو زيد: القَصْدُ بمثل هذا القول أن يبيِّنَ أنه يتجاسَرُ على ذِكر السَّوْءَةِ منه. والباء من قوله «بِأسْتِ» متعلقةٌ بمُضمَرٍ، كأنه لَحِقَ بِاسْتِ والِدَيه كلُّ خِزْيةٍ وعارٍ، ومَنقَصَةٍ وشَنار. وقوله «عُتَيِّدَ بَهْمٍ» انتصبَ على الشَّتْمِ والاختصاص، والعامِلُ فيه فعل مضمرٌ، كأنه قال: أعْنِي وأَذْكُرُ. وجَعْلُه بهذا الاسم أشهَرُ وأعرَف منه بالعَلَم له، والاسم الذي سُمِّيَ به. وهذا هو الغَرَض في كلِّ ما يُنصَبُ على المدح أو الذّمّ، ولذلك كان أبلَغَ من الصفات التابعةِ لموصوفِها في المعنى، إذ كانت الصِّفة تجيءُ لشرح الاسم وإزالة اللَّبْسِ عنه، وبابُ المَدْح والذَّمّ

---

(١) التبريزي: «جَهْدُه» بالرفع.

يجيء للتنويه والرّفع أو التّهجين والحَطّ. والعُتَيِّد: تصغير عَتُود، وهو ما رَعَى وقَوِيَ من أولادِ الغَنَم. والبَهْم: صغارُ أولادِ الغنم. وقولُه «تَرْتَعِي» موضِعُه جَرٌّ على أنه صفةٌ لقولِه بَهْم. والوِهاد: ضِدُّ النّجَاد. والمعنى: أنّه في القِلةِ والخِسّة رئيسُ أشباهٍ له هذا صِفَتُهُم فيما يَنالونه من دُنياهُم، فهو فيهم كعَتُودٍ من بَهْمٍ ذلك صفتُها.

٧ ـ فلولا بنو مَرْوَانَ كانَ ابنُ يوسُفٍ كما كانَ عَبْدًا من عَبِيدِ إيَادِ[1]

يقولُ: لولا تقدُّم الحجّاج ببني مروان، واستعمالُهم إيّاه، وجَذْبُهُم بِضَبْعِه ورَفْعُهم خَسِيسَتَه، وإبطاؤهم الناسَ عَقِبَهُ لكان حديثًا كما كان قديمًا ذليلًا مَهينًا حقيرًا، قَمِيًّا بين أمثالٍ له من إيَادٍ.

٢٢٧ ـ وقال آخر: [مشطور الرجز]

١ ـ قد عَلِمَ المسْتَأْخِرُونَ في الوَهَلْ
٢ ـ إذا السُّيُوف عُرِّيَتْ من الخِلَلْ
٣ ـ أنَّ الفِرارَ لا يَزِيدُ في الأَجَلْ

يقال: استأخَرَ بمعنى تأخّر، كما يقال: استقدَمَ بمعنى تقدَّم. والوَهَل: الفَزَع. والخِلَلُ: بَطائن جُفونِ السّيف، والواحدة خِلّةٌ، والمراد بها هٰهنا الجُفون. وقولُه «أنّ الفِرار» سَدَّ مسدَّ مفعولَيْ عَلِمَ. يقولُ: بانَ وظهر للّذين يتأخّرون عن الدّفاع، ويتحامَوْنَ المِصَاع، مستشعرين أنّ الإحجام يَقِيهِم ويُبْقِيهم، وظانّينَ أنَّ الفِرارَ من الزُّحُوف إذا انتُضِيَتِ السيوفُ يزيد في أعمارهم ـ أنّ الحَذَر لا يُغْني من القَدَر، وأنّ الهرَب لا يزيدُ في الأَجَل. وهذا كلامُ مَن ابتَذَلَ نَفْسَه فَسَلِمَ وصار يُعَيِّرُ من كان بخلافِه.

٢٢٨ ـ وقال شِبْلٌ الفَزارِيُّ[2]: [الوافر]

وحارَبَهُ بنو أخيه فَقَتَلَهُم

١ ـ أيَا لَهْفَى عَلَى مَنْ كُنْتُ أدْعُو فَيَكْفِيني وساعِدُهُ الشَّدِيدُ

يَتَنَدّم على ما أُجْرِي إليه وجرَّهُ القدرُ فيهم وفيه، ويتذمَّمُ من نكايَتِه في ذوِيه ويتحزَّنُ على ما فاتهُ من تَلافيه، ويتلهَّفُ من فِقدانهِ إيَّاهم على فاقَتِه إليهم، فقال: يا

---

(١) روى التبريزي بعده:
«زمانَ هو العبدُ المُقِرُّ بذلّةٍ يراوحُ صبيانَ القرى ويغادي»

(٢) التبريزي: «شبيل الفزاري».

حَسْرَتاهُ على مَن كانَ مَفْزَعِي في النَّوائب، ومُعْتَمَدِي في الشَّدائد، أستنصِرُهم فينصرونَنِي، وأستكفيهم فتَحْصُلُ منهم كفايتي، والقُوَّةُ لهم وبهم، والنُّصْرَةُ مجتلَبَةٌ من جهتهم وقولُه «وساعِدُهُ» الواو واو الحال، أي يَكْفِينِي بقُوَّةٍ وشِدَّةِ بأس.

٢ ـ وما عَنْ ذِلَّةٍ غُلِبُوا، ولكنْ كَذاكَ الأُسْدُ تَفْرِسُها الأُسُودُ[1]

بَيَّنَ أنَّهم لم يُؤْتَوْا مِن ضَعفٍ، ولم يُنكَبُوا عن وَهْن، ولكنَّ الأشدّاء إذا تلاقَوْا متدافِعِينَ ومتجاذبين، فلا بُدَّ من حُصُولِ الغَلَبِ في أحَدِ جانبَيهم، واحتجانِ القَهرِ لأقربِ طائفتيهم. على ذلك الأسودُ تَكْسِرُها الأسُود. وقوله: «كذاك الأُسْدُ» الأُسْدُ مرتفع بالابتداء، ونَفْرِسُها الأسود في موضع الخبر، وكذاك في موضع الحال، والتقدير: ولكنّ الأُسْدَ تفرِسُهَا الأُسدُ كذلك، أي أمثالًا لمَنْ قَتَلَتْ، ويجوز أن يكون أشار بذلك إلى الغَلَبِ، لأنَّ غُلِبُوا يَدُلّ عليه، ويجوز أن يكون ذلك خبرًا مقدَّمًا للأُسد، وتَفرِسُها في موضعِ الحال والتقدير: ولكن كأمثالهم الأُسدُ إذا فرسَتْها الأُسد، ومثل هذا قول الآخر: [الخفيف]

قَوْمُنَا بَعْضُهُمْ يُقَتِّلُ بَعْضًا لا يَفُلُّ الحديدَ إلَّا الحَدِيدُ

ومن الأمثال: «النَّبع يَقْرَعُ بعضُه بعضًا».

٣ ـ فَلَوْلَا أنَّهمْ سَبَقَتْ إليهِمْ سوابِقُ نَبْلِنَا وهُمُ بَعِيدُ

٤ ـ لَحَاسَوْنا حِيَاضَ المَوْتِ حَتَّى تطايَرَ من جوانِبِنا شَرِيدُ

هذا الكلام اعترافٌ منه بقُوَّتِهم وغَنَائِهم في الحرب واستقلالِهم، فيقول: لولا أنَّا رَشَقناهم بالنَّبْلِ على بُعدِهم عنا، وقَبلَ تمكنهم منّا، لكان الإتْيَانُ عليهم متعذِّرًا، والفَرَاغُ من مُنَاوشتهم متصعِّبًا، لما فيهم من الثَّباتِ في الدِّفاعِ والصَّبرِ على الوِقَاع، ولأنَّهم كانوا يُساقُوننا المَوتَ من حِياضِه إلى أن يتفرَّقَ عنا، ويذهبَ مِن جوانبنا كلُّ مختلِطٍ بِنَا، يَأسًا منَّا، ونفورًا من حالِنا، لما يستشنِعُه من جهْدِ بلائنا، ويُبْشِمُهُ من عَسَرِ لِزامِنا، لكنّهم شُغِلوا بما دَهِمَهُم من ذلك. وقولُه «وهُمُ بعيد» بعيدٌ مِثْلُ الصَّدِيقِ والرَّسول، في أنَّه يَقَعُ للواحدِ والجمع. وقولُه «شرِيدُ» يُرادُ به الكَثْرة، وإنْ كان لفظُهُ واحدًا. وقوله: «لحَاسَوْنَا حِياضَ الموتِ» فيه توسُّعٌ، لأنّ المَعْنَى ما في الحِيَاض.

---

(١) التبريزي: «وما من ذلّةٍ».

٢٢٩ ـ وقال قَطَرِيُّ بن الفُجَاءةِ: [الطويل]

١ ـ ألا أيُّها البَاغِي البِرَازَ تَقَرَّبَنْ أُسَاقِكَ بالمَوْتِ الذُّعَافَ المُقَشَّبَا

يخاطِبُ من طَلَبَ مبارزتَهُ. ومعنى «تَقَرَّبَنْ» أقبِلْ وهَلُمَّ. وقوله «أساقِكَ بالموت الذُّعافَ» يجوز أن يكون معناه أسَاقِكَ بسبب الموتِ، ويجوز أن يكون على القَلْب أراد أساقكَ الموتَ بالذُّعَافِ، والمعنَى بأن أفْعَلَ بك ما يَقوم مَقامَ سَقْيِ الذُّعاف. ويَدُلُّ على هذا الوَجْه قوله فيما بَعْد: «فَمَا في تساقِي المَوْتِ في الحَرْبِ سُبَّةٌ». والذُّعَاف: سَمٌّ ساعةٍ، ويقال طعامٌ مَذْعُوفٌ. ومَوْتٌ ذُعافٌ أي وَحِيٌّ. والمُقَشَّبُ: الذي قد خُلِطَ به أدويَةٌ تُقَوِّيه وتهيِّجه. وأصل القَشْب: الخَلْط، حتَّى قيل رَجُلٌ مُقَشَّبٌ، أي مخلوط الحَسَب باللُّؤْم.

٢ ـ فما في تَسَاقِي المَوْتِ في الحَرْبِ سُبَّةٌ على شَارِبِيهِ فاسْقِنِي منه واشْرَبَا

التَّساقي: أن يَسقِيَ بعضُهم بعضًا، ولا يصحّ الأمرُ منه لواحِدٍ، ولا يَتعدّى إليه. ومن هذا الوجه خالَفَ تَفَاعَلَ، وإن لم يَكُنْ فعلُهما إلَّا من اثنين فصاعِدًا. ألا تَرَى أنَّكَ تقولُ يا زَيْدُ ضارِبْ عَمْرًا، ولا تقول تَضَارَبْهُ. والمرادُ بالكلام إظهار طِيب النَّفْس بالموت، والتَّسَلِّي عن الحياةِ، وأنَّه لا يَدخلُ العارُ على من شَرِبَ كأسَ الرَّدَى، ولا مَنْقَصَةَ على مُتَنَازِعِيها، فهاتِها وخُذْها.

٢٣٠ ـ وقال دَرَّاجٌ حين طُعِنَ: [السريع]

١ ـ شُدِّي عَلَيَّ العَصْبَ أُمَّ كَهْمَسْ
٢ ـ ولا تَهُـــــلْكِ أَذْرُعٌ وأَرْؤُسْ
٣ ـ مُقَطَّعَاتٌ ورِقَابٌ خُنَّسْ
٤ ـ فإنَّما نحن غَدَاةَ الأنْحُسْ
٥ ـ هِيمٌ بِهِيمٍ طُلِيَتْ تَمَرَّسْ

يقوِّي قلبَها على أَسْوِ جراحِه، وإحكام شدِّ عصائِبِه، ويقولُ: لا يَهُولَنَّكِ ما تَرَيْنَ من أذرُعٍ مُفصَّلةٍ، وأرؤُسٍ مقطَّعةٍ، ورقابٍ مُقَصَّرَةٍ، فإن المَوْتَ يأتي لِحِينِهِ وأوانِهِ، وقَدْرِهِ وميقاتِه، ولا يقرِّبُهُ شِدَّةُ الجِلادِ، ولا فَظَاعَةُ الجِراحِ، واعْلَمي أنَّ الذي أدَّانا إلى ما تشاهدينَهُ تَناهِي العداواتِ والضَّغائن، وانطواءُ الصدور على الحَزَازَاتِ والسَّخائم، وأنَّ كُلًّا منَّا كان يَكظِمُ غيظَهُ، ويكتُمُ حِقدَهُ، انتظارًا لِعُقَبِ الأيَّام، وفُرَصِ الإمهال،

فلمّا جَمَعَنا القَدَرُ لغداةِ الأنحُس، كُنّا كإبِلٍ جَرْبى طُلِيَتْ بالهِنَاءِ لاقتْ مِثْلَها فتحاكّتْ متلذّذةً، وتدافعت متشفّية. الهِيمُ: الإبلُ العِطاش، وإذا كانت جَرْبَى قد عَطِشَتْ وطُلِيَتْ كان حُمّاهَا أَزْيَدَ، وكَربُها أفظعَ، وتحكُّكُها أشدّ. والخُنَّس: جمع خانس، كشاهدٍ وشُهَّدٍ. والخُنُوس: الانقباض والانخفاض. والباء من قوله «بِهِيمٍ» يَتَعَلَّقُ بتَمَرَّس، وتَمَرَّس صِفَةُ الهِيم الأوّل، وطُليت صفةٌ للثّاني.

٢٣١ ـ وقال الأرْقَطُ بن دِعْبِلٍ(١) بن كلبٍ العنبريُّ: [الطويل]

١ ـ إنّـي ونَـجْـمًـا يَـوْمَ أَبْـرَقِ مَـازِنٍ عَـلَى كَـثْـرَةِ الأَيْـدِي لَـمُـؤتَـسِـيـانِ

لَقِيَ هذا الرَّجلُ وابنُه قومًا لُصوصًا فقاتَلاهم وظفِرا بهم، فأخذ يقتصُّ الحال. ونَجْمٌ: اسمُ ابنِه. يقول: إنّي وابني نَجْمًا في يوم الالتقاء مع المتلصّصة بأبْرَقِ مازِنٍ ـ والأبْرَق مكانٌ فيه حجارةٌ سُودٌ وبيضٌ، ومنه جَبَلٌ أبْرَقُ، إذا كان طاقاتُه ذاتَ لونَيْنِ سَوادٍ وبَياضٍ ـ على كثرتِهم وقِلّتِنا، لمؤتَسِيَان، أي يُوَاسِي كلٌّ منا صاحبَهُ على أمرِه، ويساعِدُه على مِراسِهِ. وقوله «على كثرة الأيدي» في موضع الحال.

٢ ـ يَـلُوذُ أَمَـامِـي لَوْذَةً بِـلَـبَـانِـهِ وتُـزْهِـبُ عَـنّـا نَـبْـعَـةٌ ويَـمَـانِ

الضمير في قوله يَلُوذُ لنَجْمِ ابْنِهِ، والباء في بلبانِهِ يتعَلّق بيلوذُ، ولا يجوز أن يتعلّق بقولِه لَوْذَةً، لأن الفعلَ والمصدر إذا اجتمعا فالفِعل بالعَمَل أولَى. والهاء ضمير الفَرَس، ولم يَجْرِ ذِكْرُه، ولكن المرادَ مفهومٌ، وكان الأرقَطُ فارسًا على ما يدُلُّ الكلامُ عليه، والابنُ راجِلًا. وكان لياذُه من حَرِّ الوِقاع في الوقت بَعدَ الوقتِ بِأبِيه، على عادة مُزاوِلِي الحروب في تَسانُد الرَّجّالة إلى الفُرسان، ثم قال «وتُزْهِبُ عَنّا نَبْعَةٌ ويَمَانِ» تنبيهًا على عُدَّتِهما واستظهارهما بسلاحهما، ويَعنِي بالنَّبْعةِ قَوسًا.

٣ ـ ونَغْشَى فَنُغْشَى ثُمَّ نُرْمَى فَنَرْتَمِي وَنَـضْـرِبُ ضَـرْبًـا لـيـس فـيـه تَـوَانِ

يقول: نَحْمِلُ عليهم فيحملون علينا، ثم يَرْمُوننا من بَعْدُ فنرميهم. كأنّهم طارَدُوا أوّلًا ثم ناضَلوا وأخّرُوا الجِلَاد. فقال: ونَضرِبُ ضَرْبًا لا فُتورَ فيه ولا تقصير، وهذا

---

(١) التبريزي: «الأرقط بن رعبل بن كليب العنبري».

كما قال الآخر: [البسيط]

عَنَّا طِعَانٌ وضَرْبٌ غَيْرُ تَذْبِيبِ(١)

فالتَّذبِيبُ المنفِيُّ كالتَّوَانِي.

٢٣٢ ـ وقال وَدَّاك بن نُمَيلٍ المازِنيُّ(٢): [السريع]

١ ـ نَفْسِي فِدَاءٌ لِبَنِي مَازِنٍ ... مِن شُمُسٍ فِي الحَرْبِ أَبطَالِ

يقول: أَفْدِي من كلّ سُوءٍ بنفسي بني مازِنٍ، من فُرسانٍ يَنفِرون من الضَّيْم، ويَشْمُسون إذا التَقَوْا مع الأعداء في الحرب، شِمَاسًا لا يُحْصِلُهُم على طَمَعٍ مُتِيح، ولا يؤدِّيهم إلى يَأسٍ مُرِيح، بل يتردّدون في الجِذاب، فلا يزالون معهم على مِرَاسِ إتعابٍ لا يَنقطع، ولِزامِ شَرٍّ لا يُقْلِع، وهكذا يكونُ شُمُوس الخيْل في الإباء والانقياد. وقال لقيطٌ فبيَّنَ المعنى وأوْضحَه: [البسيط]

جَرَّتْ لِمَا بَيْنَنا حَبْلَ الشُّمُوسِ فلا ... بأسًا مُبِينًا نَرَى منها ولا طَمَعًا(٣)

وفي طريقة بيت وَدّاك قولُ عبد الرحمن بن حَسَّان: [الطويل]

وإنِّيَ مِن قَوْمٍ كِرَامٍ يَزِيدُهم ... شِمَاسًا وصَبْرًا شِدَّةُ الحَدَثَانِ

٢ ـ هِيمٌ إلى المَوْتِ إذا خُيِّروا ... بَيْنَ تِبَاعَاتٍ وتَقْتَالِ

الهِيمُ: العِطاش، والتِّباعةُ والتَّبِعَةُ بمعنًى. يقول: إذا خُيِّرَ بنو مازنٍ فيما يزاوِلُونه بين الصبر على القِتال وبين الرِّضا فيما يَلحَقُهم معه تَبِعَاتُ العارِ، وُجِدُوا يُؤْثِرُونَ فوْتَ الرُّوح على التِزَام الهَضْم، إيثارَ العطشانِ للماء.

٣ ـ حَمَوْا حِمَاهُمْ وسَمَا بَيْتُهُمْ ... فِي بَاذِخَاتِ الشَّرَفِ العَالِي

يقول: مَنَعوا حِمَاهُم ممن يُرِيدُ دُخولَه، ويرومُ إباحَتَهُ، فَسَلِمَ على مَرّ الأيّام، وصار بينَهم من يَفَاعِ الشرف العالي في أعلى مَنزِلةٍ، فلا يَرْتَقِي إليه هِمَّةُ حاسد، ولا ينالُه أُمْنِيَّةُ مُنازعٍ. والبَاذِخ: الجَبَل الطويل؛ ومنه البَذْخ الكِبْر.

(١) لسلامة بن جندل في المفضليات ١: ١٢٠ وصدره:
«همّت معد بنا همّا فنهنها»

(٢) التبريزي: «وداك بن ثميل».

(٣) للقيط بن يعمر الإيادي في ديوانه ٣٧، ومقاييس اللغة ١: ٤١٠.

٢٣٣ ـ وقال سَوّارٌ[١]: [الكامل]

١ ـ أَجَنُوبُ إنَّكِ لو رأيتِ فَوارِسي بالسَّيفِ حِينَ تبادَرَ الأشرارُ

٢ ـ سَعَةَ الطَّرِيقِ مَخافةَ أن يُؤسَرُوا والخَيلُ يَتْبَعُهُمْ وهُمْ فُرّارُ

هذا الكلام تلهُّف وتحسُّر، وإخبار بحُسْنِ بَلائهِ وبلاء فرسانِه فيما مُنُوا به وتحمُّدٌ. فيقول: لو شاهَدْتِ فُرساني يا جَنُوبُ بالسَّيف ـ وهو شاطىء البَحْر ـ حين تَسابق شِرَارُ الرّجال وجُبناؤهم إلى مُتَّسَع الطريق، خارجينَ من مَنافِذِ المَضِيقِ، خوفًا من الإسارِ، هائمين على وجوهِهِم، والخَيْلُ في طَلَبِهم وهم يستغيثون بي عند احمِرارِ البَاسِ، واشتدادِ المِرَاس، على عادتهِم مَعِي في الكرائِه، لرأيْتِ أمرًا مُنْكَرًا. حَذَفَ جواب الأمر، وإبهامُ الحال في مثل هذا الكلام أبلَغُ من بَيانِها، وقد مضَى القولُ في مِثله، فيما تقدَّمَ. وسَعَةَ الطريق: مفعولُ تَبادَرَ، ومَخَافةَ انتَصَبَ على أنه مفعولٌ له، وأنْ يُؤسَرُوا مفعولٌ من المَخَافةِ.

٣ ـ يَدْعُونَ سَوَّارًا إذا احْمَرَّ القَنَا ولِكُلِّ يَوْمِ كَرِيهةٍ سَوَّارُ

احمرارُ القَنا إنَّما يكونُ من الدَّم السَّائل عليه، لِكثرةِ الطَّعْنِ. وقد قيلَ: موتٌ أحْمَرُ، ومَنِيَّةٌ حمراءُ، يُرَادُ الشِّدَّةُ، حَتَّى قِيلَ سَنَةٌ حمراءُ، وقالوا: «الحُسْنُ أحْمَرُ» أي يُتَجَشَّمُ في طَلَب الجمال الشَّدائدُ. وقوله «ولكلِّ يَوْمِ كريهةٍ سَوَّارُ» أراد أن يُبَيِّنَ أنَّ ذلك دَأْبُهم عند الكريهةِ في دُعائِي ودأْبي في الإجابةِ، وأنَّه لم يَكُنْ بِدْعًا منهمْ ومِنِّي ولا نُكرا.

٢٣٤ ـ وقالَ أبو حَزَابَةَ التميميُّ[٢]:

١ ـ مَنْ كَانَ أحْجَمَ أو خَامَتْ حقيقتُه عِنْدَ الحِفَاظِ فلم يُقْدِمْ على القُحَمِ[٣]

٢ ـ فَعُقْبَةُ بنُ زُهَيرٍ يومَ نَازَلَهُ جَمْعٌ مِنَ التُّرْكِ لم يُحْجِمْ ولم يَخِمِ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨).

(٢) التبريزي: «وقال أبو حُزَابة، أو ابن حُزَابة». وهو الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك، شاعر من شعراء الدولة الأموية، خرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك. انظر الأغاني ١٩: ١٥٢.

(٣) التبريزي: «من كان أقحم».

هذا الكلام يجري مجرى التعريض لما يَشتمل عليه من التعيير. وقولُه «فعُقْبَةُ» مبتدأ وخَبَرُهُ لم يُحْجِمْ. فيقول: من كان كَفَّ في اللِّقاء عن الإقدام وقْتَ الحاجة، وأَعْفَى نفسَهُ من الاقتحام أوانَ المحافظة، راضِيًا بالقُصُورِ والتقصير، والانخزال والفتور، أوْ سقطتْ هِمَّتُه، وتَخَتَّرَت حقيقَتُه، فلم تَبْعَثْهُ أَنَفَةٌ، ولم يهيِّجْه امتعاضٌ وأَبِيَّةٌ، فعُقبَةُ بن زهيرٍ يومَ مُنَازَلَتِهِ للأتراك لم يَتوقَّف في المُدافَعة، ولم يَتَلَبَّثْ فيها دون أبْعَدِ الغايَةِ. والإحجَامُ: ضِدُّ الإقدامِ، وقد مَضَى القَوْلُ في موضوعِه. وحقيقةُ الرَّجُل: ما يَحِقُّ عليه الدَّفعُ عنه من ذَوِيهِ وحَسبِه، كما أنَّ حقيقةَ الأمر ما يُتَيَقَّنُ من وُجُوبِهِ. واستعارةُ النَّومِ فيها حَسَنٌ، فهو كما يُقال نامَ الثَوْبُ إذا أَخْلَق. وقُحَمُ الأمور والطُّرُق: ما صَعُبَ منها. وقوله «لم يَخِمْ» يقال: خام عن قِرْنِه، إذا نَكَلَ ونَكَصَ على عَقِبه. ويقالُ أيضًا: خَامَ في مكيدَتِهِ يَخِيمُ، إذا لم يَظفرْ فيها بخَيرِ. وقولُه «فعُقْبَةُ» جَوابُ من كان أَحْجَمَ.

٣ ـ مُشَمِّرٌ لِلمَنَايَا عَنْ شَوَاهُ إذا ... ما الْوَغْدُ أسْبَلَ ثَوْبَيهِ على القَدَمِ

يقول: كَشَفَ في المُجاهَدةِ عن ساقِه، وتَشَمَّرَ للبَلاءِ عند سِياقِه، إذا الدَّنِيُّ من الرِّجال أَرخَى ذَيلَه، فلا يَتَشَمَّرُ لِتَلَقِّي المُهِمَّة، وتَغَشَّى غِطاءَ عَجْزِهِ، فلا ينبعثُ لِدفع المُلِمَّة، ولا يتحرَّكُ لِمَنْع المَظْلِمَة. والشَّوَى؛ الأطراف. والوَغْد من قولك: وَغَدْتُ القومَ، إذا خدمتَهم. وقوله «إذا ما الوَغْد» ما زائدة، وإذا ظَرْفٌ لما دَلّ عليه قوله «مُشَمِّرٌ» وهو جوابه. وفي خِلاف قوله قولُ الآخَر: [الطويل]

وكُنتُ إذا جَارِي دعَا لِمَضُوفَةٍ ... أُشَمِّرُ حتى يَنْصُفَ السَّاقَ مِئزَرِي(١)

٤ ـ خَاضَ الرَّدَى في العِدَى قِدْمًا بِمُنْصُلِهِ ... والْخَيلُ تَعْلُكُ ثِنْيَ المَوْتِ باللُّجُمِ(٢)

يقول: دَخَل قديمًا في مكاشَفَةِ أعدائِهِ الهلاكَ بسيفه، لا يَنْقَبِضُ ولا يُحجِم، والخَيْلُ عَوَاضٌ على لُجُمِها، تَعَلُكُها في أثناءِ الموت والعَلْكُ: المَضغ، ويقال: في لِسانه عَوْلَكٌ، أي يَمْضَغُه. فعَلَى هذا يكون «ثِنيَ المَوْتِ» ظرفًا، كما يقال جعلتُهُ ثِنْيَ كذا. ويجوز أن يكونَ مفعولًا من تَعْلُكُ. ويقال: ثَنَيْتُ الشَّيءَ ثَنْيًا، ثم يُسمَّى المَثْنِيُّ ثِنْيًا. ويكونُ «باللُّجُم» في موضع الحال، كأنّه قال: والخيل تَمْضَغُ مُثَنَّى الموتِ، أي

---

(١) لأبي جندب في شرح أشعار الهذليين ص ١: ٣٥٨، واللسان (جور، ضيف، نصف، كون).
(٢) التبريزي: «والعدى».

مضاعَفَه، مُلْجَمة. وهذا حَسَنٌ وبعضُهم رَوَى «والخَيْلَ تَعْلُكُ ثِنَّ الموت»، والثِّنُّ: حُطامُ اليَبَسِ، والمختار ما قَدَّمْتُه. وفي هذه الطَّريقة قول الآخر: [الكامل]

خُضْنَا إليهِ الموتَ في أيْمَانِنا حُمْرُ الشِّفَارِ جُفُونُهُنَّ الأرؤسُ

٥ ـ وهُمْ مِئُونَ أُلُوفًا وَهْوَ في نَفَرٍ شُمِّ العَرَانِينِ ضَرَّابِينَ لِلْبُهَمِ

يقولُ: وَاقَعَ الأعداءَ ونَاجزَهم، على كثرة عددهم، وهو في رِجالٍ كِرامٍ يَسْتَنْكِفُونَ من تَقَبُّل العار، فَتَّالِينَ لبُهَمِ الرِّجال. وقوله «مِئُون» جمع مائة وهي من الأسماء المنقوصة إذْ كانت لامُها محذوفةً، بدلالة قولهم: أَمْأَيْتُ، ولذلك جُمِعَ على السَّلامة. وإنّما أشار إلى جِنْس التُّرْك كُلِّهِ فعَدَّهُم أعداءه، لا أنّه حارَبَ مِئِينَ أُلُوفًا منهم. والبُهَمُ: جمع بُهْمَةٍ، وهم الشُّجعان الذين لا يُدْرَى كيف يُؤْتَونَ، لاستِبهامِ أحوالِهم.

٢٣٥ ـ وقال أَوْسُ بن ثَعْلَبَة(١): [البسيط]

١ ـ جَذَّامُ حَبْلِ الْهَوَى مَاضٍ إذا جَعَلَتْ هَوَاجِسُ الهَمِّ بَعْدَ النَّوْمِ تَعْتَكِرُ

يَصِفُه بالنَّفاذ في الأمور، واجتماع الرّأي في الخُطوب، والمُضيّ فيما يَعرِضُ، وتَرْكِ التَّباطؤ عَمّا يَعِنُّ ويحدُث، وأنّهُ لا يَمنعه من ركوبِ الأسفار وتجشُّم المشاقِّ ما يَدفَعُ في صَدرِ العَزمِ، ويَثْنِي من حَدّ القَصْدِ، بل يقطَع علائق الهوَى، ويُبْعِدُ عن نفسِه عوائقَ المُنَى، فيَمضِي قُدُمًا إذا أقبلَتْ عوارِضُ الهموم باللَّيل، تتردَّدُ بين القَلبِ والخاطر، وتجولُ بين الفِعْل والفاعل. والجَذْمُ: القَطعُ. وحَبْلُ الهوَى: الوُصلَةُ التي بينهُ وبينَ النفس. وعَكَرَ واعتَكَرَ: عَطَفَ. والهاجس: ما وَقَعَ في خَلَدك. وأنشد: [الوافر]

فطأطأتُ النَّعامةَ من قريبٍ وقد وقَّرتُ هاجسَها بهجسي(٢)

النَّعامة: اسم فرسه.

٢ ـ وَمَا تَجَهَّمَنِي لَيلٌ ولا بَلَدٌ ولا تَكَاءَدَنِي عن حَاجَتِي سَفَرُ

---

(١) أوس بن ثعلبة: كان سيد قومه وأحد فرسان بكر بن وائل بخراسان، ولي خراسان أيام الدولة الأموية. (الأغاني ٣: ٢١).

(٢) بلا نسبة في اللسان (هجس)، وأساس البلاغة (هجس)، وكتاب العين ٣: ٣٨٤.

قوله «وما تجَهَّمَنِي لَيْلٌ» فيه قَلْبٌ؛ لأنّ المعنى: ما تجَهَّمْتُ ليلًا ولا بلدًا. ويقال: تجَهَّمْتُ فُلَانًا ولِفُلَانٍ، إذا استقبلته بوَجهٍ كريهٍ. وأسَدٌ جَهْمُ الوَجهِ. فيقول: لا أتكَرَّهُ زمنًا، ولا أستصعِبُ مَركَبًا، ولا أستبعِدُ بَلدًا إذا سَنَحَ أمرٌ أوجَبَ نُهوضًا، أو سفرٌ اقتضى لِبُعدِه صبرًا جميلًا. ويقالُ تكاءَدَنِي كذا، وتَصَعَّدنِي كذا، إذا شَقَّ عليك.

٢٣٦ ـ وقال آخر(١):

١ ـ أقولُ وسَيفِي في مَفَارِقِ أغلَبِ ... وقَدْ خرَّ كالجِذْعِ السَّحُوقِ المُشَذَّبِ

مفعول «أقولُ» أول البيت الذي بعدَه، وهو قولُه «بكَ الوَجْبَةُ». وقال «في مَفَارِقِ» لأنّهُ جمعَهُ على ما حَوْلَه، كما يقال: بَعِيرٌ ضَخْمُ العَثَانِين، كأنَّهُ جَعَلَ كُلَّ قِطعةٍ مِمَّا يَلِي المَفْرِقَ مفرِقًا فجمَعه. ومعنى خَرَّ سَقَطَ، ومصدرُه الخُرور. والسَّحُوق من النَّخل والحُمُر: الطويل. يقال: أتانٌ سَحُوقٌ، نَخلةٌ سَحوق. يقول: لمّا تَمَكَّنْتُ من أغلَبَ قَنَّعتُه بسَيْفِي فسَقَط، فقُلتُ متشفِّيًا ومُسْتَهيئًا: أناختِ الوَجْبَةُ بِكَ لا بمن كنتَ تطلُبه لها، وهذا كما يقال: لليدين وللفَمِ. وقوله «كالجِذْعِ» في موضِع الحال، والعامل فيه خَرَّ، وتشبيهُهُ إيّاهُ بالجِذْع من قديم التَّشبيه، وفي القرآن: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقَّة: الآية ٧]. وَجعَلهُ مُشَذَّبًا ليكون طُولُه أظهَرَ.

٢ ـ بِكَ الوَجْبَةُ العُظْمَى أناخَتْ ولم تُنِخْ ... بِشُعْبَة فابْعَدْ من صَرِيعٍ مُلَحَّبِ

أراد بالوَجبةِ العُظمَى المنِيَّةَ. وفي القرآن: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: الآية ٣٦]. أي نَزَل بك المكروه الأعظم، والبلاء الأفظع، لا بِشُعْبة. كأنَّ هذا المصروعَ كان يَتَوَعَّدُ شُعْبَةَ بالقتلِ، أو يريدُه له ويتمنّاه، فما ائتَمرَهُ به أصابه وحَقَّ عليه وقوله «فابعد» دُعاءٌ عليه على طريق الاستهانَة بما حَلَّ به. والمُلَحَّبُ: المذلَّلُ، ومنه طريقٌ لاحِبٌ أي واضحٌ. ويجوز أن يكون معنى مُلَحَّبٌ مجروحٌ مُقطَّع يقالُ: لحَبْتُ اللَّحم إذا قَطَعتَهُ طولًا.

٣ ـ سَقَاهُ الرَّدَى سَيفٌ إذا سُلَّ أو مضَتْ ... إليه ثَنَايَا المَوْتِ من كُلِّ مَرْقَبِ

---

(١) التبريزي: «وقال آخر، وقد أوقعت مازن بقوم من عجل فقتلوا منهم، فعدت بنو عجل على جارٍ لبني مازن فقتلوه».

هذا مثل قول تأبّط شرًّا: [الطويل]

إِذَا هَـزَّهُ فـي عَـظْـم قِـرْنٍ تَـهَـلَّلَتْ نواجِذُ أَفْوَاهِ المَنَايا الضَّوَاحِكِ[١]

وإن كان هذا أبلغ؛ جَعَل ضَحِكَ الموتِ تألُّقَ السَّيْفِ إِذَا جُرِّدَ من الغِمدِ سُرُورًا به، وذلك جَعَلَهُ إلى المضروب به ثِقَةً بكونِه له. ويقالُ: أَوْمَضَ وَوَمَضَ، إذا لَمَعَ. ورواه بعضهم: «أَوْمَضَتْ إليه مَنَايَا المَوْتِ»، وهو تصحيف.

٤ ـ ويَا عِجْلُ عِجْلَ القاتِلِينَ بِذَحْلِهِمْ غَرِيبًا لَدَيْنَا من قبائلِ يَحْصُبِ[٢]

٥ ـ جَنَيْتُمْ وجُرْتُمْ إِذْ أَخَذْتُمْ بحقِّكُمْ زَعَمْتُمْ غريبًا مُرْمِلًا غيرَ مُذْنِبِ[٣]

قولُه «عِجْلَ القاتلين» هو إضافةُ البعضِ إلى الكلّ، وكرّره توكيدًا. ولَكَ أن تَضُمَّ عِجْلَ الأوّل وتَنصِبَ الثاني على البدلِ، أو على عَطْفِ البَيَان. وبَنُو عِجْلٍ كانوا مَوْتُورِينَ بما ارتكب منهم قبيلةُ الشّاعر، وهم بَنُو مازِنٍ، فَلَمْ يطلُبُوا ذَحلَهُمْ من وجهِهِ، ولا أدرَكوا الثّأر من كاسبِه، لكنهم أخذوا غريبًا كان جاوَرَ بني مازن فقتلوه، فقال هذا الشّاعر في مخاطبتهم معيِّرًا، وهازئًا متهكِّمًا: يا عِجْلَ القاتلين بوترهم غريبًا كان عندنا من بني يَحْصُبَ، لم يَسْعَ في اكتساب الثّأر الذي تَدَّعونَه، ولا أَعْمَلَ فيه يدَهُ وسِنانَه حتَّى جَنَيْتُم وعَدَلْتُم عن طريق الرَّشاد، إذ أَخذتم بحقكم ـ على زُعمِكُم ـ غير واتِرِكم. فقوله «إِذْ أخذتُم بحقكم زَعَمْتُم» يجوز أن يُضَعِّف بالزُّعْم دعواهُم الحقَّ المشارَ إليه، ويجوز أن يضعِّفَ ما تَوهَّموه من دَركِ الثَّأر بما فعلوه. ويجوز أن يضعِّفَ الأمرينِ جميعًا، وهو الأشبه. فإن قيل: أين مفعولا زعمتم، وكيف ساغ حذفهما؟ قلت: الحذفُ هنا كالحذفِ في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القَصَص: الآية ٦٢]. وكالحذفِ في قول الكُمَيت: [الطويل]

بِـأَيِّ كِـتَـابٍ أَمْ بِـأَيَّـةِ سُـنَّـةٍ ترى حُبَّهُمْ عارًا عليك وتَحْسِبُ[٤]

فكما حُذِفَ مفعولا تَحْسِبُ في بيت الكُمَيْت، ومفعولا تزعمون في الآية، كذلك حذف مفعولا زعمتم من هذا البيت، ويكون التقدير: إِذْ أخذتم بحقِّكم ـ زَعَمْتُمُوه مأخوذًا ـ رجُلًا هذا صِفَتُه، وبحقِّكم زعمتموه ثانيًا، فحذَف ذِكرَ الحقِّ لِمَا

(١) البيت الثامن من الحماسية رقم (١٣). (٢) التبريزي: «فيا عجلُ».
(٣) التبريزي: «غريبًا زعمتم».
(٤) للكميت في خزانة الأدب ٩: ١٣٧، والدرر ١: ٢٧٢، وشرح التصريح ١: ٢٥٩.

تقدَّمَ من ذِكرِه، ولمَّا حذف المفعول الأوّل جاز حذفُ الثاني، وهذا كما يُحذَف المبتدأ والخبر من مسألة الكِتاب[١]، وهي متى ظننت أو قُلْتَ زيْدًا مُنْطَلِقًا. إذا أعملتَ الفِعلَ الأوّلَ ساغ ذلك، لأنَّ الفعل الثاني نقيضُهما، وقد حصلَ في الكلام ذِكرُهُما. فاعلَمْه. والمُرْمِل: الفقير.

٦ ـ وما قَتْلُ جارٍ غائبٍ عن نَصيرِه لطالِبِ أوتارٍ بمَسْلَكِ مَطْلَبِ

٧ ـ فلَمْ تُدْرِكوا ذَحْلا ولم تَذْهَبوا بما فعَلتُمْ بني عِجْلٍ إلى وجهِ مَذْهَبِ

يقول: الوِتْرُ مقيمٌ في موضعِه ثابتٌ على حاله، لم تُزيلُوه ولم تُظْعِنوه عن مَحَلِّه، لأنّ قَتْلَ جارٍ للواتر غائبٍ عن نُصّارِه، بعيدٍ عن أرضه ودياره، لطالبِ الثأر ليس بطريقٍ يؤدّيه إلى نيلِ مُرادٍ، ولا بسببٍ يوصِلُه إلى اشتفاءٍ من داءٍ، فأنتم لم تُصِيبوا نُجحًا في فعلكم، ولا سَلِمتم فيما أتيتم من عار يَلحقكم.

٨ ـ ولكِنَّكم خِفْتُم أَسِنَّةَ مازِنٍ فنَكَّبْتُم عنها إلى غيرِ مَنْكِبِ

٩ ـ وقد ذُقْتُمونا مَرَّةً بعد مَرّةٍ وعِلْمُ بَيانِ المَرْءِ عِنْدَ المُجَرِّبِ

يقال: نَكَّبَ بمعنى تنكّب، ومثله قَدَّم بمعنى تَقدَّم؛ ومعناه انحرَفَ. ويقال: هو أنكَبُ عن الحق ومِنْكَابٌ عنه، إذا جانَبَه فيصيرُ منه في شِقّ. يقول: هِبتُم أعداءَكم عندما هَمَمتم به من طَلَب وِتْركم، واستشعرتم منهم جُبنًا، فحذِرْتُموهم، ثم عَدَلتم عنهم إلى غيرِ مَعدِلٍ فقَبُحَتْ صورتُكم، واخترتمْ ذلك لأنكمْ خَبَرتمونا حالةً بعد أُخرى، والمَرْءُ يَتبيَّنُ الشيءَ، ويَعرِف الخَصْمَ عند تجربته.

٢٣٧ ـ وقال بغثر بن لَقيطِ الأسديّ[٢]: [الكامل]

١ ـ أمّا حكيمٌ فالتَمَسْتُ دِماغَهُ ومَقِيلَ هامَتِهِ بحَدِّ المُنْصُلِ

٢ ـ وإذا حُمِلْتُ على الكَريهةِ لَمْ أَقلْ بَعْدَ العزيمةِ ليتَني لَمْ أفْعَلِ

قولُه «أمّا» يتضمّن معنى الجزاء، وأكثرُ ما يجيءُ مكرّرًا، وقد جاء هنا غير مكرّر. فيقول: مهما كان من شيءٍ فقد طَلَبْتُ دِماغَ هذا الرجُلِ بسيفي، فأصَبْتُه غير مُتندِّم على ما فعَلْتُ، ولا متذمِّم منه، لأني إذا حُمِلْتُ على خُطّةٍ صعبةٍ فوطَّنْتُ نفسي عليها، وقرّرْتُ عزمي في تجشُّمِها لم أقُلْ بعد الدخول فيها والخروج منها يؤدّي ألّا

---

(١) الكتاب ١: ٤١.

(٢) اللسان (بغثر): «بغثر، شاعر جاهلي».

أكونَ لابَسْتُها. وأراد بالمَقِيلِ المَقَرّ. والهامَةُ: رأس كلّ حيوان، والجميع الهام. والمُنْصُلُ، من أسماء السيف. ويقال: ما لَهُ عزيمةٌ أي لا يَثْبُتُ على ما يَعزِم عليه. ورأيُهُ ذو عَزيمٍ. والعَزْمُ: توطين النّفس على المراد.

٢٣٨ ـ وقال رجلٌ من بني نمير: [الوافر]

١ ـ أنا ابنُ الرّابعينَ مِنَ آلِ عَمْرو وفُرسانِ المَنابرِ من جَنابِ

٢ ـ نُعَرّض للسُّيوفِ إذا التَقَينا وجُوهًا لا تُعَرَّضُ للسِّبابِ[١]

٣ ـ فآبائي سَراةُ بني نُمَيرٍ وأَخْوالي سَراةُ بني كِلَابِ

يفتخرُ بأنّ آباءه رؤساءُ خطباءُ. والرابعُ: الرئيس الذي كان يأخُذُ رُبع الغنيمة في الغَزْو. ويقالُ رَبَعَ فُلانٌ في الجاهليّة وخَمَسَ في الإسلام. وذكر عَمْرًا وجَنابًا ليُرِيَ أنه كريم الطَّرَفين، يدلّ على هذا قولُه فيما بَعْدَه: [الوافر]

فآبائي سَرَاةُ بني نُمَيرٍ وأخوالي سراةُ بني كِلاب

وقولُه «نُعَرّض للطّعان إذا التَقَينا» يَصِفُ تكرُّمَهم وتصوُّنَهم في السّلم، وتبذُّلَهم في الحرب. ويُشْبِهُ هذا قولُ الراعي: [الطويل]

ويَبتذِلُ النَّفسَ المصُونَةَ نفْسَهُ إذا ما رأى حَقًّا عليه ابتذالَها

وقول الآخر: [الوافر]

نُعرِّضُ للسُّيوفِ إذا التَقَينا وُجُوهًا لا تُعرَّضُ لِلَّطامِ[٢]

وسَرَاةُ القومِ: خِيارُهم. وقال الخليلُ: السَّرْوُ: سخاءٌ في مُرُوَّةٍ. وفَعَلَةٌ في جمع المعتلّ نادرٌ، لأنه يختصّ بالصحيح، نحو الفَجَرَة والكَفَرة، وبإزائه من المعتلّ فُعَلَةٌ نحو قُضَاةٍ وغُزَاة.

٢٣٩ ـ وقال الهُذْلُول بن كَعْبِ العَنبرِيُّ:

حين رأته امرأتُه يَطْحَن للأضياف،، فقالت: أهذا بعلي[٣]؟!

(١) التبريزي: «نعرّض للطعان».

(٢) للحريش بن هلال القريعي في الحماسية رقم (٢١).

(٣) التبريزي: «ذكر المبرد هذه الأبيات لأعرابي سعديّ، وكان مملكًا، فنزل به ضيف فقام إلى الرحا يطحن فمرّت به زوجته في نسوة فقالت: أهذا بعلي؟ إعظامًا لذلك فأُخبر بما تقول فقال=

١ ـ تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَها بيمينها أبعْليَ هذا بالرَّحا المتقاعِسُ(١)

حَكى ما قالته امرأتُه وهي تدقُّ صَدْرَها بيمينها، مستنكرةً لما رأتْهُ من طَحنِهِ لضيفِهِ، ومستفظِعَةً لما شاهَدَتْ من تَخَفُّفِهِ وتبذُّلِهِ، وهو قوله: أبَعْلِي هذا المتقاعِسُ بالرَّحَا. فإنها استشنَعت هيئتَه وامتهانَه نفسَه فيما يُمتَهَن فيه الخدم، ويأنَفُ من تولِّيه ذَوُو الرَّزانة والعِزَّة. وإنَّما ابتدأ كلامَه بتقول لأنّ القولَ يُحْكَى به ما كان كلامًا، ويُعْمَلُ فيما كان قولًا. والمُتقاعِسُ: بناءٌ لما يُفعل تكلُّفًا. على هذا قولُهم تَخَازَرَ وتَعَامَى. والقَعَسُ: دخول الظَّهر وخروج الصَّدر. وقوله «أبَعْلِي» موضعُه رفعٌ بالابتداء، والألف لفظُه لفظ الاستفهام، ومعناه الإنكار والتقريع. وقولُه «هذا» يكون في موضع الخبر، والمتقاعِسُ يتبعه على أنَّه عَطْف البيان له. وإن شئتَ جعلْتَ هذا صفةً لبَعْلِي والمتقاعِسُ خَبرًا. وقولُه «بالرَّحا» لا يجوز أن يتعلّق بالمتقاعس، لأنَّه في تعلُّقِه به يصير من صِلَة الألف واللام، وما في الصِّلَةِ لا يتقدَّم على الموصول، ولكن تجعلُه تبيينًا وتتصوَّرُ «المتقاعِسُ» اسمًا تامًّا، ويصيرُ موقعُ بالرَّحَا بعده موقعَ بِكَ بَعْدَ مَرْحَبًا، ولَكَ بعد سَقْيًا وحَمْدًا. وإذا كان كذلك جاز تقديمُه عليه، كما جاز أن تقول: بِكَ مَرْحَبًا، ولَكَ سَقْيًا. وللمازِنيّ في مثل هذا طريقةٌ أخرى: وهو أن يجعل الألف واللام من المتقاعِس للتعريف فَقَطْ، ولا يؤدّي معنى الذي، كما تَقُولُ: نِعْمَ القائمُ زَيْدٌ، وبئْسَ الرَّجُلُ عَمْرو، وإذا كان كذلك لم يحتجْ إلى الصلة، فجاز وقوع بالرَّحا مُقَدَّمًا عليه ومؤخَّرًا بعده. وموقعُ الجملة التي حكاها من كلام المرأة نَصْبٌ على أنه مفعول لتقول. فأمَّا ما يَعمل في لفظِهِ «قالَ» ومتصرفاتُه فهو ما يكونُ قولًا ووصفًا للجُمَل، كقولِك: قلتَ حقًّا أو باطِلًا، أو قُلتَ صدقًا أو كذِبًا وما أشْبَهَهُ. والبعلُ يقالُ للرَّجُل والمرأة، وقيل بَعْلَةٌ أيضًا، والفعلُ منه بَعُلَ بَعَالَةً وبُعُولَةً. والبِعالُ: ملاعبَةُ الرجلِ أَهْلَهُ. ويقال: بنو فلانٍ لا يُبَاعِلُون، أي لا يُتَزَوَّج إليهم ولا يُزَوِّجونَ.

٢ ـ فَقُلْتُ لَهَا لا تَعْجَلي وتَبَيَّني بَلَائي إذا التَفَّتْ عَلَيَّ الفوارِسُ(٢)

حَكَى ما جَعَلَهُ جَوابًا للمرأة: كما حَكَى كلامَها، وهو قولُه «لا تَعْجَلِي» مع ما يَتْبَعُه. ومعنى البيت: لا تُسرِعِي إنكارَكِ، بل تثبَّتِي في حكمِك، وتبيَّنِي بَرَاعَتِي في

= الأبيات».

(١) التبريزي: «تقول وصكّت نحرها». (٢) التبريزي: «فَعَالي إذا».

فَعَالِي، وغَنَائي عند الشدائد وبلائي، إذا اجتمع عَلَيَّ في حَوْمةِ الحربِ الفُرسانُ، وأحاط في مَضايقِها بيَ الأقرانُ، فإنَّ نَجْدةَ الأبطالِ تظهر في مثل تلك الحال. واعْلَمِي أنَّ ما يُستنكَفُ منه هو التَّخلُّف عن الكِفاح، والرِّضا عن النَّفس بما لا يَجْعلُه الكريمُ منه بِبالٍ، فأمَّا خِدمةُ الضَّيفِ وامتهانُ النَّفْسِ في الاحتفال له، فمقبولٌ من أَخلاقِ الكِرام، محمودٌ عند تجاربِ الرِّجال.

وقُدِّمَ القَوْلُ في شذوذ فوارِسَ وحُكْمِه.

٣ ـ أَلَسْتُ أَرُدُّ القِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وفيه سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يابِسُ[١]

أقبلَ يُقَرِّر المرأةَ على زَكِيِّ أفعالِه، ورضيِّ أَخلاقِه. وألف الاستفهام إذا اتَّصَلَ بحرف النفي تَقَرَّر به فيما كان واجبًا واقعًا، وإذا انفرَدَ عن حرفِ النَّفي تَقرَّر به فيما كان منفِيًا مدفوعًا. يقول القائل مقرِّرًا: أَفَعَلْتُ هذا؟ إذا لم يكن فَعَلَهُ فأَنْكَرَهُ. وألم أَفعلْ كذا؟ إذا كان قد أتاه واكتسبَهُ. والقِرْنُ: النَّظير في البأس. وموضِع «يركَبُ رَدْعَه» نصب على الحال، أي راكبًا رَدْعَه. والرَّدْع: الدَّفع والكَفُّ. وتحقيق الكلام: أَدفعُ القِرن وقد ركِبَ رَدْعِي إيَّاه فَسَقطَ. وقال الخليلُ: رَكِبَ رَدْعَهُ وَرَدِيعَهُ، أي خَرَّ صريعًا لوَجْهِهِ. وذِكْرُ الرُّكوبِ مَثَلٌ. ويجوز أن يكونَ المُرادُ بالرَّدْع ما تلطَّخ به من الدَّم؛ ويقال ثَوْبٌ مَردوع، إذا كان قد لُطِخَ بالزعفران أو غيرِه. وذكر بعضُ أصحاب المعاني أنَّ معنى «ركبَ رَدْعَهُ» أي إذا كُفَّ لم يَرْتدِعْ ومَضَى لوجهِه، كأنَّهُ يتلَقَّى الرَّدْعَ بالرُّكوب. وقال أبو العباس المُبَرِّد: «هو مَن ارتَدَعَ السَّهْمُ، إذا رَجعَ النَّصْلُ في سِنْخِهِ متجاوزًا». قال: «ويقال رَكِبَ البَعيرُ رَدْعَهُ، إذا سَقَط فدخل عنُقُهُ في جَوْفِه. ومنه ارتَدَعَ فلانٌ عن دينِهِ». والذي قاله تحصيلُه ما أوردتُه وكشفتُهُ. وقولُه «وفيه سِنَانٌ» يريدُ أنه مطعونٌ بسِنانٍ ذي حَدَّينِ صُلبٍ. وموضع «وفيه» موضع الحال، والعامِلُ فيه يركَبُ، كما أن يركَبُ في موضع الحالِ والعامِلُ فيه أرُدّ.

٤ ـ وَأَحْتَمِلُ الأَوْقَ الثَّقِيلَ وأَمْتَرِي خُلُوفَ المَنَايَا حِينَ فَرَّ المُغَامِسُ

قولُه «وأحتَمِلُ» ينعطف على خَبر ليس، وهو أَرُدُّ، ويكون من جُملةِ ما قَرَّرها به. والأَوْقُ: الثِّقلُ. ومعنى «أَمْتَرِي» أي أَمْسَحُ. والخُلُوفُ: جمع الخِلْف، وهو ما يَقْبِضُ عليه الحالبُ. وقولُه «حينَ فَرَّ المُعَامِسُ» يُروَى «المُغَامِسُ» بالغين معجمةً.

(١) التبريزي: «نائس».

فمعنى «المُعَامِس» بالعين الذي يدخُل في الشّدائد ويُدْخِلُ غيرَهُ فيها. ويقالُ: يَوْمٌ عَمَاسٌ، أي شديدٌ. ويكون المُعَامِسُ كقولهم المُغَامِر، وهو الذي يَدْخُل في الغَمَرَاتِ ويُدْخِلُ غيره فيها. وقال بعضهم: العَمَاسُ: الحربُ الشّديدة وكلُّ ما لا يُقامُ لَهُ. ويجوز أن يكون المُعَامِسُ من قولِهِم عَمَسْتُ الأمْر، أي أخفَيْتُه. ورجلٌ عموسٌ: يتعَسَّفُ الأشياءَ بجَهْلِهِ. فيكون المعنى: الذي يَرْكَبُ رَأْسَهُ ولا يُبالي أُصِيبَ أو أَصابَ. ومعنى «المُغَامِس» بالغين معجمةً: الذي ينغمس في الشّرّ والبلاء، ويَغمِسُ غيرَهُ فيهما. ومعنى البيتِ: أَلَستُ المُتحمِّلَ للأعباء الثقيلة، والمُستخرِجَ من ضُروع المنايا وأخْلَافِها الشّرَّ، في الوقت الذي يَزِلُّ فيه المُعامِسُ أو المُغَامِس، فلا يَثْبُت. وجَعلَ مَرْيَ الخُلوفِ مثَلًا لتهييج الشّرّ، واستدرار الموت، كأنّه يستزيدُ من البلاء ولا يَمَلُّهُ، إذا لم يَثْبُتْ له من ذلك صفَتُه.

٥ ـ وأَقْرِي الهُمُومَ الطّارقاتِ حَزَامَةً   إذا كَثُرَتْ للطّارِقاتِ الوَساوِس

يقالُ: قَرَيتُ الضّيفَ، إذا أحسنتَ إليه وأعددتَ له قِراهُ. يقول: ألستُ أَقري طوارقَ الهَمّ، وعوائقَ البَثّ، حَزمًا ورأيًا، وجلَدًا ونفاذًا، إذا ازدحَمتِ الوساوِسُ على القُلوب، واعتلجت بناتُ الصُّدور، فارتبكت الآراءُ، وذَهبَ من الرّجال الغَناءُ.

٦ ـ إذا خامَ أقوامٌ تقَحّمتُ غَمْرَةً   يَهابُ حُمَيّاها الألَدُّ المُداعِسُ

خامَ عن قِرْنِه يَخِمُ: هابَ الإقدامَ عليه. ويقال خامَ الرَّجلُ، إذا رَجَعَ عليه كيدُه، فَضَرَّهُ؛ فيجرى مجرى خابَ وإن كان يختصّ بالكيد. فيقولُ: إذا ضَعُفَ الأقوامُ عن التدبير، وعَيُوا بالأمور فلم يعرِفوا مصادِرَها ومواردَها، توسَّطْتُ قُحْمَةَ كلّ شَرٍّ يَهابُ سَوْرَتَها الرَّجُلُ الخصيمُ اللَّجُوج، المُدَافِعُ للأقران. قوله «حُمَيّاها» مُصَغَّر لا مُكَبَّرَ له. والدَّعس: الطعن والدَّفع وشدّة الوَطْء. ويقال: طريقٌ مِدْعاس، أي مُذَلَّلٌ.

٧ ـ لَعَمْرُ أبيكِ الخيرِ إنّي لخادِمٌ   لضَيفي وإنّي إن رَكِبْتُ لَفَارِسُ

قوله «لعَمْرُ أبيكِ» استعطافٌ لها، إذ أَقسَمَ بحياةِ أبيها لِمَا جرَى في العادة من إعظام المُقْسَم به؛ وإكبارِ موقِعِه. والعَمْر والعُمْر لغتان، ولا يُستعمل في القَسَم إلّا بفتح العين. وإضافَةُ الأب إلى الخيرِ، كما يقالُ هو فَتَى صِدْقٍ، وهو رجلُ كَرَم. وقولُه «إنّي لخادِمٌ لضَيفي» اعترافٌ بما عَدَّتْهُ ذنبًا، وبيانٌ أنّ التَّبجُّح فيما أنكرته، وأنّ التوفُّر على الضَّيفِ وإكرامَه في قِرَانِ الفروسيّة، ومن الخصال المحمودة.

٨ ـ وإنّي لأشْرِي الحَمدَ أبغِي رَبَاحَهُ وأتْرُكُ قِرْني وهوَ خزيانُ ناعِسُ

هذا من جملة ما أقسمَ عليه، فيقول: إني لأشتري الحمدَ طالبًا رِبْحَه، ومُجتَنِيًا ثمَرَهُ. وثمَرَةُ الإحسانِ الشُّكرُ، ويَجلبُ الشُّكرُ الثَّناء الجميل والأحدوثَةَ الحَسَنَةَ من كلّ من يسمعُ بالصَّنيع. ولمّا استعملَ الشِّرَى في اكتساب الحمدِ مجلّيًا للمعنى، استَعْمل الرِّبْح فيما يَتَسَبَّبُ منه ويَنتَتِجُ. على ما يُتَعَوَدُ في المتاجِر، ويُتَطلَّبُ من البياعات. وقوله «وأتركُ قِرْني وهوَ خَزيانُ» أي أهينُه وأكسِرُه، حتّى يَبقَى مُطرِقًا خَجِلًا مغضوضَ الطَّرْفِ مُتَنَدِّمًا، كَمَنْ غَلَبَه النُّعاسُ. وقِيل «نَاعِسُ» المرادُ به أنّه مُشرِفٌ على الموتِ. قال: ويقال طَعَنْتُ صاحبي فأنَمْتُه، أي قَتَلْتُه. وطعنْتُ صاحِبي فأنعَسْتُهُ، أي رَنَّحتُه. والرَّباحُ: مصدرٌ كالرِّبْح. ويقال للفائز بالخيرِ: هو رَابحُ الصَّفْقة.

٢٤٠ ـ وقالت كَنْزَةُ أمُّ شَمْلَةَ بن بُرْدِ المِنْقرِيّ[1]: [الطويل]

١ ـ إنْ يَكُ ظَنّي صَادِقًا وهوَ صَادِقي بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهمْ بها مَحْبِسًا أزْلا

قد مضى الكلام في حذف النُّون من «يَكُ» في غير موضع. ومرادُ كَنْزَةَ من الكلام أن تَجعَلَ التَّقَصِّيَ في مجاهَدَةِ القَوْمِ، وبُلوغَ أبعدِ الغاياتِ في طَلَب الثّأر من ابنها بِبالٍ، فأقبلَتْ تقولُ: ظَنّي بابني كيْتَ وكيتَ، مذكِّرة ومُوصِيَةً. والذي زعَمَتْ أنّه في ظنها، ومن أحاديثِ نَفْسها، هو ما تقترحُه على ابنِهَا، وتتَمَنّى أن يحتفظ به من وَصَاتِها. وقولُها «وهو» يجوز أن يكون للظّنّ، والمعنى: إن كنتُ ألمعِيًا، فظنّي بشَمْلَةَ يَصْدُقُني لا محالةَ، فإنه يفْعَلُ كذا. والباءُ من قولها «بِشَمْلَةَ» يجوز أن يكون متعلّقًا بصادِقي، أي وهو يَصْدُقُني بسبب شَمْلَةَ، وإن شئتَ يَتعلّقُ بظَنّي. ويجوز أن يكونَ «هو» ضمير ابنِه شَمْلَةَ، والمعنى: وهو فيما أتفرّسُ فيه وأعتَقِدُهُ من غَنَائِه، يَصْدُقني ـ ويكون «بِشَمْلةَ» تبيينًا لا صِلَةً، كما يكونُ بكَ بَعْدَ مَرْحَبًا تبيينًا ـ بِحَبْسِ القَوْم بتلك المعركة مَحْبِسًا ضيِّقًا. ويقال أزَلُوا مالَهُم يأزِلُونَها أزْلًا، إذا حَبَسُوها في المرعَى، مخافةَ الأعداءِ عليها. فالأزْلُ مَصدرٌ وُصف به.

٢ ـ فَيَا شَمْلَ شَمرْ واطْلُبِ القَوْمَ بالّذي أُصِبْتَ ولا تَقْبَلْ قِصَاصًا ولا عَقْلا

(١) التبريزي: «من ولد قيس، وكانت أمَة لبني منقر اشتراها برد». وكنزة المنقرية: شاعرة (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمتها في الجمحي ٤٧٥، والأعلام ٦: ٩٥.

هذا يدلّ على ما قدّمناه في البيت قَبْلَه، فإنّها رجَعَتْ إلى مخاطبَةِ ابنها بعد ما ذَكَرت هواجِسَ ظُنونِها، وجَرَّدَتِ القوْلَ له بمُرادِها منه، وأَمَرَتْهُ بالتَّشمير في طلب القوم كلِّهم بمن أصيبَ به، واطِّراحِ التقصيرِ فيما جُعِلَ له من سلطانه في حقه، وبأن لا يَقْبَلَ الدِّيةَ وإن غَالَوْا بها، ولا يَرْضَى بالقِصاص منهم وإن مُكِّنُوا من الجاني عليه أيضًا، بل يَعُمُّ القومَ كلَّهم بالقتل، فإنه حينئذٍ يكون مدرِكًا تَبْلَه، وناقِضًا وِتْرَهُ، وقاضيًا حقَّ صاحبِه. والقِصَاصُ: أخذ الشيء بالشيء، وأصلُه من القَصّ: القَطْع.

٢٤١ ـ وقالت أيضًا: [الطويل]

١ ـ لَهفِي عَلَى القَوْمِ الذين تَجَمَّعُوا ... بِذِي السِّيدِ لم يَلقَوْا عليًا ولا عَمْرَا

٢ ـ فإن يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وهو صَادِقِي ... بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهُمْ بها مَحْبِسًا وَعْرَا

قد تَقَدَّمَ القولُ في لَهفِي، وما يجوز فيه من نِيَّة الإفراد والإضافة. وإنّما تَحَسَّرتِ الشَّاعرةُ على ما فات عَليًا وعَمْرًا من مُلاقاة القومِ المجتمعين بذي السِّيد المتخلِّفين للقِتال. وإنما تلهّفَتْ لِمَا كانت تؤمِّل من تأثيرِهما فيهم. وموضع «لم يَلْقَوْا» نَصْبٌ على الحال، والعامل فيه تجمّعوا. ثم قالت كالمستدرك برَجائِه: إن كنتُ صَادِقَةَ الظَّنِّ بابني شَمْلَةَ ـ وهو يَصدُقُني لا محالة ـ فإنَّه يحبِسُ القومَ بتلك المعركة مَحْبِسًا صَعْبًا. تُرِيدُ أنَّ ما فات المذكورَيْنِ سيتلافاه، فيما يَعِدُها به ظَنُّها وأَمَلُها فيه. والقولُ في «إن يَكُ ظني صادقًا» على ما تَقَدَّم. والصِّدْقُ والكذِب أصلهما في الكلام، وتُوسِّعَ فيهما فقيلَ بَرْدٌ صادِقٌ، والفَجْر الصادق والكاذب، وهو فَتَى صِدْقٍ، وصَدَقُوهم القِتالَ. ويقالُ: طريقٌ وعْرٌ: بيِّن الوُعورة والوَعارة، أي غليظٌ. وقد تَوَعَّرَ وَوَعَرَ.

٢٤٢ ـ وقال شُبْرُمَةُ بن الطُّفَيْل: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرِي لَرِيمٌ عند باب ابنِ مُحْرِزٍ ... أَغَنُّ عليه اليَارَقَانِ مَشُوفُ[(١)]

٢ ـ أَحَبُّ إلَيْنَا من بُيُوتٍ عِمَادُها ... سُيُوفٌ وأَرْمَاحٌ لَهُنَّ حَفِيفُ[(٢)]

الأصل في الرِّئم: الظَّبْيُ الخالص البياض. وهذا الكلام يَخُصّ به الشاعرُ واحدًا مُعَيَّنًا كان يُقَصِّرُ في طلبِ الوِتْر، ويشتغل عنه بالصِّبَا واللَّهْوِ، ويؤثِرُ المُقامَ بأطيَبِ

(١) ابن محرز: من أشهر المغنيين في الدولة العباسية وهو مسلم بن محرز (الأغاني ١: ١٤٥).
(٢) التبريزي: «أحبّ إليكم».

المنزِلينِ من البَدْو والحَضَر، لا يُهِمُّهُ إلا الرَّقاعةُ والخَلَاعةُ، خاليتَيْن من التَّعَب والنَّصَب، فأخذ يُعَرِّضُ به ويقول على وجه التهكم والسُّخريّةِ منه؛ وبقائي، لَلِقاءُ امرأةٍ كأنّها ظَبْيَةٌ مسكَنُها في جوارِ هذا الرَّجُل في صَوْتِها غُنَّةٌ، مُحَلّاةٍ بيارَقَيْنِ، مَجْلوّةِ الوَجْه، أحَبُّ إلينا من الأُوِيِّ إلى بيوتٍ مستحدَثةٍ بُنِيَتْ على عَمَدٍ مُتَّخذةٍ من رِماحٍ وسُيوفٍ. وهذه البيوت للغُزاة والمتصيِّدة أكثرَ ما تكونُ. ألا ترى قول(١) امرىء القيس بعد فراغِه من الصيد: [الطويل]

ورُحْنا إلى بَيْتٍ بعَلْيَاءَ عَرْدَحٍ سَمَاوَتُهُ من أَتْحمِيٍّ مُشَرْعَبِ
وأوْتادُهُ مـاذِيَّـةٌ وَعِـمـادُهُ رُدَيْنِيَـةٌ فيها أسِنّةُ قَعضَبِ

وفي هذه الطريقة قول الآخَر: [الرجز]

واللهِ لَلنَّوْمُ على الديباجِ على الحشايا وسرير العَاجِ
مع الفَتاةِ الطَّفْلَةِ المِغْناجِ أهْوَنُ يا عَمْرُو من الإدلاجِ
وزَفَراتِ البازِلِ العَجْعاجِ(٢)

وقوله «مَشوفُ» من الشَّوْفِ، وهو التَّجْلية، يقال: تَشَوَّفَتِ المرأة، إذا تزيَّنَتْ وطَرَّت، وُشفْتُها وهي مَشُوفةٌ. وقوله «لهُنَّ حَفِيف» فالحفيفُ: صوتُ طَيَران الطائر وصوت الرَّمْيَةِ.

٣ ـ أقولُ لِفِتيانٍ ضِرَارٌ أبُوهُمُ ونحن بصَحْرَاء الطِّعانِ وقُوفُ
٤ ـ أقيمُوا صُدورَ الخيلِ إنّ نُفوسَكم لِمِيقاتِ يومٍ ما لهُنّ خُلُوفُ

قوله «أقيموا صدور الخيْلِ» في موضع المفعول لأقولُ، والواو من قوله «ونحن بصحراء الطِّعان» واو الحال. ويقال: أقَمْتُه فقام بمعنى قوَّمْتُه فتقَوَّم، فيَتَعَدّى. وأقمت بالمكان إذا ثبَتَّ فيه إقامةً، وأقَمْتُ من المكان إذا ارتحلْتَ عنه. قال امرؤ القيس: [المتقارب]

وفيمن أقامَ من الحيِّ هِرّ(٣)

(١) البيتان في ديوانه ٤٦ (الأعلمي)، مع اختلاف في البيت الأول.
(٢) الرجز في مبادىء اللغة للإسكافي ص ٤٨.
(٣) لامرىء القيس في ديوانه ٧٩ (الأعلمي)، وعجزه:
«أم الظاعنون بها في الشُّطُرْ»

فأما قول الشاعر: [الوافر]

أقولُ لأمّ زِنْباعٍ أقيمي صُدورَ الخَيْلِ شَطْرَ بني تَمِيمِ[١]

فمعناه اقْصِدي وتوجَّهي بِعِيسِكِ نحوَهُم. والشاعر أخذ يُبيِّن ما يأخُذ به نفْسَه من حَثِّ القومِ على القتال، وتشجيعهم على اقتحامِ الأهوال، ويُرِي أنّه مع تقصير مَن قدَّم التعريض به، وعَلَّقَ التقريعَ بإهمالِهِ وتعذيره، وعَيَّرَه اشتغالَه بما لا يشتغلُ الموتورُ به، لا يدَع أن يقولَ مُحَضِّضًا لهؤلاء الفِتيان وقد وَقَعوا في مَيدانِ الطِّعانِ وعَرْصَةِ الطِّراد: اثْبُتوا في وجوهِ أعدائكم، وانْصِبوا صدورَ خليلكم لهم، واستَبْدِلوا بالانحراف تقحُّمًا، وبالازوِرارِ تهجُّمًا، ودَعُوا الذَّهابَ إلى ما يأمُرُكم به الفشل، ويدعوكم إليه التهاوُن والكَسَل، مستشعِرين الخوفَ من الموتِ، فإنّ لكلّ نفْسٍ أَجَلا لا يؤخِّره الإحجامُ والنُّكوصُ، ولا يقدِّمه الإقدام والنُّهوضُ. وقوله «ما لَهُنّ خُلوف»، أي ليس للنُّفوس تخلُّف عن الأمد المسمَّى، ولا تراجُعٌ عن الحَيْنِ المُوَحَّى. والميقاتُ يُستعمل في الزّمانِ والمكانِ، لأنّ الوقتَ الحَدُّ. ألا تَرى أنهم يقولون ميقاتُ أهلِ المشرِق، يريدون الموضِع الذي يُقبَلُ له الحجّ إذا ابتُدىء بالمسير إليه منه.

٢٤٣ ـ وقال قَبيصةُ بن جابرٍ[٢]: [الوافر]

١ ـ بِثِنْيَيْ هِضْيَمٍ جَدٌّ نَمَاني بَطِيًا بالمحاولةِ احتِيَالي[٣]

رواه بعضهم «بُنَيَّيْ هَيْصَم هو جَد تُماني» و«أوجدتماني»، وليس بشيءٍ، لأنّه يصير المعنى: يا بُنَيَّيْ هَيْصَم أوجدتُماني بطيءَ الحيلة بالمحلولة؟ يريد: إني سريعُ الحيلة. وهذا كلامٌ مُثَبَّجٌ مُخْتَلٌ[٤]. وعلى روايتنا يقول: سَمَا بيَ جَدٌّ عالٍ بِثِنْيَيْ هذا المكان. والثِّنْيُ: ما انثَنى من الوادي، أي انعَطَف. ويقالُ: ثَنَيْتُه ثَنْيًا، ثم يُسمَّى

---

(١) لأبي زنباع الجذامي في الدرر ٣: ٩٠، واللسان (شطر)، ولأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١: ٣٦٣.

(٢) قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي الكوفي، تابعي من رجال الحديث، ويعدّ في الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة (ت ٦٩ هـ/٦٨٨ م). ترجمته في تهذيب التهذيب ٨: ٣٤٤، والإصابة (٧٢٧٠).

(٣) التبريزي:

«بُنَيَّيْ هَيْصَمٍ هَوَ جد تُماني»

(٤) التثبيج: التخليط.

المثنيُّ ثِنْيًا، وما ثُنِيَ به أيضًا ثِنْيًا. على هذا قولُ طَرَفَةَ: [الطويل]

لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياهُ باليَدِ[1]

وقوله «بَطِيًا بالمحاولة احتيالي» انتَصَب بَطِيًا على الحال، فالعامل فيه نَمَانِي. و«احتيالي» في موضع الرَّفع على أنه فاعِل بَطِيءٍ، وقد أضافَ المصدرَ إلى المفعول، لأنَّ المعنى: يبطؤُ احتيالُ الناس عليَّ إذا حاوَلوهُ والمعنى يتعذّر وقوعُ ذلك منهم، لفَرْطِ حَزامتي، واستحكام تجربتي. ومثل هذه الإضافة قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ [الشّورى: الآية ٤١]، لأنّ المعنى بعد ظُلم الظالم له. هِضَيَمّ: فِعْيَلٌ من الهَضْمِ، مِثْل حِذْيَمٍ، وهو اسمٌ لمكانٍ ضَيّقٍ. وقيل فَرَسٌ أهْضَمُ، إذا كان ضَيِّقَ الجَوْف.

٢ ـ وعاجَمْتُ الأُمورَ وعاجَمَتْني كأنّي كنتُ في الأُمَمِ الخَوالي

العَجْمُ: العَضّ في الأصل، ويستعمل في الامتحان، لأن الناظر في الشيء هل هو صُلْبٌ أو لا يَعْجُمُه ويَعَضُّ عليه. ويقال عَجَمتْني الخطوب، أي ابتليتُ بها. وفيما حُكيَ عن الحجّاج: «إنّ أمير المؤمنين نَثَرَ كِنَانَتَهُ فعَجَمَ عِيدَانَها عُودًا عُودًا»[2]. وإنما استُعمِل في معاناة الشدائد ومزاولتِها كما استُعمِل المحَاكَّةَ والاحتكاكِ فيها. فيقول: إني مُجرَّبٌ مُدرَّبٌ، زاوَلتُ النَّوائب، وعارَكتُ الأهوال والعجائب، فلَزِمتُها ولزِمَتْني، وأزَمْتُ بها وأزَمَت بي، وصِرتُ لطول تَجَارِبي وامتداد أيّامِ مُحَاكّتي نِقَابًا مُحدَّثًا، أبلُغُ بظَنّي ما يَبلُغُ غيري بمشاهدتِه. هذا على قُرب مِيلادي، وحَداثةِ سِنّي، حتى كأني كنتُ في الأمم الماضين، وأحدَ الرّجال المعمَّرين، فأدرِكُ الشيءَ قبل حصولِه، وأتصوَّرُه ولم يَجِىءْ بصورةِ ما فُرِغ منه وقُضِيَ، فظَنّي عِيَانٌ، ويومي دهرٌ.

٣ ـ فلَسْنَا من بَني جَدّاءَ بِكْرٍ ولكِنّا بَنُو جِدٍّ النِّقالِ

الجَدّاء: المقطوعة الثّدي. والبِكْر: الباقية على حالتها الأولى. ويقال: رَحِمٌ جَدّاءُ، إذا كانت غير موصولة. والشاعر جعَلَ الجَدّاء البِكْر كِنَايةً عن الضَّعيفة الشَّرّ، القليلة الأهْلِ، على عادتهم في جَعْلِ النِّتاجِ لها، والوِلادِ والرَّضَاع والفِطام إذا قَطَّعوا حالها. فيقول: لسنا أبناءَ الحرب القليلة الدَّرّ، اليسيرة الأذى والشّرّ، التي لم يتكثر

(١) لطرفة في ديوانه ٣٤، واللسان (طول)، وكتاب العين ٧: ٤٥١. وصدره:
«لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى»

(٢) انظر الكامل ٢١٥، والعقد الفريد ٤: ١١٩.

موقِدُوها، ولم يتشمَّر لها خُطَّابُها ومُوَلِّدُوها ولكِنَّا بنو المُنَاقَلاتِ الشديدة الهِياج، والوَقَعاتِ الصَّعبة المِراس، التي كثُر ذَرْؤُها، وتكرَّر القِتال حالًا بعدَ حالٍ من أهليها. وقولُه «بَنُو جِدِّ النِّقال» يريد: بنو النِّقال البليغ المتناهي، الذي لا مساهَلَة فيه ولا مُياسَرة. ويجوز أن يكون المعنى: لسنا أصحابَ حربِ بِكْرٍ، ولكنَّا بنو حربِ عَوَانٍ. كأنه جَعَلَ النِّقال في الوِلاد.

وقد اضطرب بعضُ المفسِّرين في هذا البيت، فأتى بما يَحْجُبُه السَّمْع، ولا يَعيِه القلب، فقال: المعنى لسنا بعُقم لم يكثُر أولادُنا، بل فينا الكثرةُ والعِزّ. وقولُه «بَنُو جِدِّ النِّقال» يعني به المُناقَلة في الكَلام، يريدُ أنهم خُطباء. قال: فالمِصراع الثاني ليس من الأول في شيءٍ، وإذا كان كذلك فكأنّ أبا تمّامٍ ذَكَر البيت على رداءته ليُتَجَنَّب قولُ مِثلِه، ولينبِّه على المُتَرذِّلِ منه، كما نبَّهَ على المختار المستحسَن بغيره.

وهذا القائلُ لم يَرْضَ بذَهابِهِ عن الصواب، حتّى ظَنَّ بأبي تَمّامٍ ما لم يخطُرْ له ببالٍ.

٤ ـ تَفَرَّى بَيْضُهَا عَنَّا فَكُنَّا بَنِي الأَجْلَادِ مِنْهَا والرِّمَالِ

تبجَّح فيما مضى بما أعطاه الله من الظَّفَر بالأعداء، وتوحُّدَه به من الفطنة والذَّكاء، والنَّكارة والدَّهاء، وبحسن الصَّبر على مدارسة العَوْصاء، ومداوَسة الغَمَّاء، وبمجانبة الهيِّن من الحروب، واقتحام أصعب الخطوب. وأقبلَ الآن يفتخر بالكثرة، إذ كان العزّ فيها، فقال: «تفرّى بَيضُها عنا». والضمير في بيضها للأرض، كما يقال: مِن الأرض خُلِقْنا وإليها عَوْدُنا. وفي القرآن: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ [المُرسَلات: الآية ٢٥] ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المُرسَلات: الآية ٢٦]. وساغ ذلك وإن لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ لَمّا لم يَلْتَبِس، لدلالة الكلام عليه. والمعنى: تشَقَّقَ بيضُ الأرض عنّا، فنحن بنو حُزُونِها وسهولِها. وإنما يعني كثرتَهُم واتّساعَ ديارِهم، إذ كانت الأرضُ لا تنقسم إلّا إليها. والأجْلاد: جمع الجَلَد، وهو الصُّلْب من الأرض، وذِكْر البَيْض مَثَلٌ، وقد تقدّم القولُ في بيضةِ البَلَد.

٥ ـ لَنَا الحِصْنَانِ مِنْ أَجَإٍ وسَلْمَى وشَرْقِيَّاهُمَا غَيْرَ انْتِحَالِ

٦ ـ وتَيْمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمَيْنَاهَا بأَطْرَافِ العَوَالِي

هذا كالبيان لما تقدَّم، والكشفِ عما أجْمَل، لأنّه أَتْبَعَ ما وَصف من أخلاقهم وعزّهم، بتحصُّن بلادهم وتمنُّع جبالِهم، فقال: لنا جبلا طَيِّءٍ أجأٌ وسَلْمَى، ونواحي

الشَّرقِ منهما، دعْوَى صحيحةً لا يضعّفُها انتحالٌ، ولا يُوهِّنها كِذَابٌ. ويقال: انتحلتُ الشَّيءَ، إذا ادَّعيتَه ولم يكن من شانِكَ. على هذا قال الأعشى: [المتقارب]

فكيف أنا وانتحالي القَوَا ... في بَعدَ المَشِيبِ كَفَى ذاكَ عارا[١]

ونُحِلَ الشَّاعرُ قصيدةً، إذا رُويت عنه ولم تكن من قِبلِهِ. وانتصب «غير» على أنَّه مصدر أكّدَ به ما قبله، وعلى قولهم: هذا زيد حَقًّا، وغيرَ شَكٍّ. وقولُه «وتيماءُ» أراد ولنا تيماءُ التي هذا صفتُها وحَظُّها من عِنايَتِنا بها. وهي بلدةٌ بناحية يَثرِب. وقولُه «من عَهْدِ عادٍ» جَعل مِنْ بدل مُنذُ، لأنَّ مُنذ في الأزمنة بمنزلة مِنْ في الأمكنة، فهو في موضع الظّرف، والعامل فيه حميناها. وقد ذكر امرؤ القَيْس تيماءَ فقال: [الطويل]

وتَيْماءَ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نَخْلَةٍ ... ولا أُجُمًا إلا مَشِيدًا بجَنْدَلِ[٢]

٢٤٤ ـ وقال سالم بن وابِصَةَ[٣]: [البسيط]

١ ـ عليك بالقَصْدِ فيما أنتَ فاعِلُه ... إنّ التَّخَلُّقَ يأتي دونَهُ الخُلُقُ

قوله «عليكَ» مما أُغرِيَ به وحُضِّضَ، وصار بذلك من أسماء الأفعال. ويقال: عليك كذا وعليك بكذا. والمعنى الْزَمْه وخُذْ نَفْسَكَ به. والقَصدُ: واسطة الأمور، فما تعدّاه سَرَفٌ وما انحطّ عنه قصورٌ. ولذلك قيل لمن ليس بجَسيم ولا ضئيلٍ، وليس بقصيرٍ ولا طويلٍ: هو قَصْدٌ ومقتصِدٌ. ومعنى البيت: عليكَ باستقامة الطريقة وملازَمة الأعدَلِ في القضيَّة مما تُلابِسهُ وتفعلُه، واترُكْ تكلفَ ما ليس من شيمتك وسجيَّتك، فإنك إن تجشمتَهُ صابرًا على البَلوَى فيه نَزَعَتْ نفسُكَ قريبًا عنه، وعُدْتَ إلى مذهبِك الأوّل فلحقك الذّمُّ له.

٢ ـ ومَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيفِ قمتُ به ... أَحْمِي الذِّمارَ وتَرْمِيني بِه الحَدَقُ

يقال للمكان النَّابي بصاحِبه ولا يمكنه الاستقرارُ به تشبيهًا: هو مثل حَدِّ السيف، وكقَرْنِ الأعْفَرِ، وحدّ السّنان. وذِمارُ الرَّجل: ما يجب عليه حفظُه. ورجلٌ

(١) للأعشى في ديوانه ١٠٣، وتخليص الشواهد ١٠٣، واللسان (نحل).

(٢) لامرىء القيس في ديوانه ٢٥، واللسان (أجم)، ومقاييس اللغة ١: ٦٥.

(٣) سالم بن وابصة بن معبد الأسدي: أمير وشاعر، من أهل الحديث، دمشقي سكن الكوفة وتولّى إمرة الحرقة لمحمد بن مروان (ت نحو ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م) ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٦: ٥٦، والإصابة ٣٠٤٤.

ذِمِرٌ وذَمِيرٌ، إذا كان مُنكَرًا داهيةً. ويقال: ذَمَّرْتُ الرجُلَ إذا حَضَضْتَه وتذامَرَ القومُ في كذا إذا تَحاضُّوا. والمعنى؛ رُبَّ مكانٍ ضيّقٍ دقيق، لا تَثْبُتُ عليه الأقدامُ، أنا قمتُ به حاميًا لما يَحِقُّ عليَّ حِمَايَتُه، والعيونُ ترمُقُني والنُّفوسُ تتطلّع إلَى ما يكونُ منّي، وتَتَنسّم أخباري فيه وبَلائي. وقولُه «وترميني به الحَدَقُ» جعل الفعلَ على التوسُّع للحَدَق، وإنما هو للناظرين بها. ألا تَرى أنه يقالُ رماني القومُ بأبصارِهم. وموضع «أَحْمِي الذِّمارَ» موضعُ الحال.

٣ ـ فما زَلِقتُ ولا أَبْلَيتُ فاحشةً إذا الرِّجالُ على أمثالِها زَلِقُوا

يقول: استقَمتُ في فعلي، وتثبّتُّ في موقِفي، ولم أتعثر فيما صرَّفتُ القولَ فيه، ولم أتزلّقْ عندما حاضَرتُ به ودافعتُ عنه، ولم أقدِم على ما يُعَدُّ سَقْطَةً منّي أو يَشينُني، إذا تُحدِّثَ به عنّي في وقتٍ تكثُر زَلّاتُ الرِّجالِ في مطالعة أمثالِهِ من المواقف، وتَبْطُل دعاوِيهم المتقدِّمة لما يَظهرُ من عجزهم، وسُوء استمساكهم. وجوابُ إذا فيما تقدَّم. والمعنى: إذا زَلِقَ الرِّجالُ في أمثالِه من المقامات ثَبَتُّ أنا.

٢٤٥ ـ وقال آخر[(١)]:

١ ـ إنْ أَكُ قَصْدًا في الرِّجال فإنّني إذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاحَتِي لجَسِيمُ

قد تَقدّم القول في حذف النون من أكُ. ومعنى البيت إن كان في خِلقَتِي اقتصادٌ فلم أَبْلغ غايات الجِسام، فإن غَنائي في النوائِب إذا نابت، واهتدائي لوجوه الخُروج منها إذا حَزَبَتْ، يَحْكُمان لي بجزالة الرأي وجَسَامةِ النفس؛ لأنّ الرجُل بقلبِه ولسانِه، لا بجسْمِه وجثمانِه. وفي هذه الطريقة قولُه: [الطويل]

إذا كنتُ في القومِ الطِّوال أَصَبْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حتى يُقَال طَويلُ[(٢)]

والسَّاحَةُ: فضاءٌ بين دور الحيّ، وكما قيل على التوسُّع نَزَلَ بسَاحَتِهِ أمْرٌ، قيل أيضًا نَزَلَتْ بعَقْوَتِهِ خُطُوبٌ.

٢٤٦ ـ وقال عامِرُ بن الطفَيْلِ: [الطويل]

١ ـ قَضَى اللهُ في بعضِ المكارِهِ لِلْفَتَى بِرُشْدٍ وفي بَعْضِ الهَوَى ما يُحاذِرُ

---

(١) لم يروِ التبريزي هذه الحماسية ذات البيت الواحد.
(٢) سيأتي البيت في حماسية منسوبة إلى أحد الفزاريين في (باب الأدب).

٢ ـ أَلَمْ تَعْلَمي أَنّي إذا الإلْفُ قادَني إلى الجَوْرِ لا أَنْقادُ والإلْفُ جائرُ

معنى هذا يماثل قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢١٦]. وفي مثله قال غيره: [مجزوء الرجز]

كم فَرْحةٍ مَطْويَّةٍ لَكَ تحتَ أثْناءِ النَّوائبْ
ومَساءَةٍ قد أقْبَلَتْ من حَيْثُ تُنْتَظَرُ المَواهِبْ

ويقال: قَضاهُ وقَضَى به. وقولُه «وفي بعض الهوى» أراد به: وقَضَى له في بعض المَحَابِّ ما يُحَاذِر؛ فوضع الهوى موضع المَحَابِّ لأنَّ كلَّ محبوبٍ يصحَبُه الهوى، كما أنّ قولَه «ما يحاذِرُ» موضوعٌ موضِع الغَوَاية لكونِهِ في مقابلة الرُّشْدِ، إذْ كان الغَيُّ مِن حقّه أن يُحَاذَرَ. وقوله «ألم تَعْلَمي» تنبيهٌ على مكانِه من الرَّأْي، وأنَّ ظنَّه يقومُ مقامَ عِيانِ غيرِه. وألف الاستفهام إذا اقتَرن بحرف النَّفي يقرِّرُ به فيما يَجِبُ ويَحِقُّ، فيقولُ: أمَا عرفْتِ من دأْبِي وطبيعتي، أنّي لا أتْبع الغَير، ولا أنقادُ لما يُجانِبُ العدلَ، فمتى سامَنِي أَلِيفِي مطاوعتَهُ فيما لا أستوفِقُه أبَيتُ عليه، وتركتُه وما يختارُ من الاعتساف وركوب الجَورِ والضَّلالِ. وكان يجب أن يقول: لا أَنْقادُ وهو جائرٌ، فوضَع الظاهر موضع المضمَر.

٢٤٧ ـ غزا مُجَمِّعُ بن هِلَالٍ

ابن خالدِ بن مالكِ بن هلال بن الحارث بن تَيم الله، يريدُ بني سَعْدِ بن زَيْدِ مَنَاةَ، فلم يَغْنَم ورجَعَ من غَزاتِه تلك، فمرَّ بماءٍ لبني تميمٍ عليه ناسٌ من مُجاشِعٍ، فقَتل فيهم وأَسر، فقال في ذلك: [الطويل]

١ ـ إنْ أُمسِ ما شَيخًا كبيرًا فطالَ ما عَمِرْتُ ولكن لا أَرَى العُمْرَ يَنْفَعُ[1]

قوله «ما شيخًا»، ما زائدة للتأكيد. يقول: إن صرتُ شيخًا طاعنًا في السِّنّ، ضارِعًا لنائبة الدهر، مُهدِفًا لِسهامِه، مُقرَّعًا بلياليه وأيّامِه، فحقُّ ذلك واجبٌ، لأنّ من يَعِشْ يَكْبَر ومن يكبر يَهْرَم، وطولُ العمر لا يُجْدِي إذا كان مؤدّاهُ إلى الضَّعف، وقُصاراه الموت. وقوله «طال ما عَمِرْتُ» يجوز أن يكون ما مع الفعل في تقدير المصدر، ويكون حينئذٍ حرفًا عند سيبويه، والتقدير: فقد طال عمري. وعلى هذا

(١) التبريزي: «إن أكُ».

يُكتَبُ طال مُنفصِلًا من ما. ويجوز أن يكون ما كافّةً للفِعل عن العمل، ومُخرِجًا له من بابِه، ولذلك جاز وقوع الفِعل بعدَهُ، وإن كان الفِعْلُ لا يدخُل على الفِعْل، وعلى ذلك يُكتب طالَ متصلًا بما لأنّه منه ومن تمامه. ومعنى عَمِرْت: بَقِيتُ وحَيِيتُ. والعُمْر، قال الخليل: هو الحياةُ والبقاءُ، ومنه: لَعَمْرُ الله. وقولُ الشاعر: [الكامل]

وعَمِرْتُ حَرْسًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ ... لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ(١)

يشهد لذلك. وقولُه «لا أرى العُمْرَ» أراد اتّصال العمر وطولَهُ، فحذف المضاف وأقامَ المضاف إليه مقامَه. وذكر بعضهم أنَّ أبا تَمّام أخطأ في قولِه: [البسيط]

ما لِأمرىءٍ خاضَ في بَحْرِ الهَوَى عُمُرٌ ... إلّا ولِلبَيْنِ منه السَّهْلُ والجَبَلُ

لأنّ العُمْرَ اسمُ مُدَّةِ الحياة بأسرِها لا يتبَعَّض، فكما لا يُقال ما لزيْدٍ رأسٌ إلّا وفيه شَجَّةٌ، كذلك لا يقالُ ما له عُمْرٌ إلّا وهو قصير. قال: وليس قولهم: ما لَهُ عَيْشٌ إلّا مُنغَّصٌ، ولا حياةٌ إلّا مكدَّرةٌ، مثلَ قولك: ما لَهُ عُمْرٌ إلّا قصير. لو قُلتَه، لأنّ عيشَ الإنسان ليس هو مُدَّة حياتِه بأسرِها. ألا تَرَى أنك تقولُ: كان عَيْشِي بالعِراق طيّبًا، وكانت حياتي بمصرَ لذيذةً، ولا تقول كان عُمْري. والذي قالَهُ هذا المعترض على أبي تَمّام يبطِله ما حكيتُه عن الخليل في تفسير العُمْر، والبيتُ الذي أنشدتُه. ألا تَرَى أنَّ قوله «عَمِرْتُ حَرْسًا قبلَ مَجْرَى دَاحِسٍ» يقتضي تبعيضَ عمره، إذْ كان ما بعدَه من عُمْرِه قد أَفْرَدَه عما قَبْلَه، وإذا كان الأمر على هذا جاز أن يقال: كان عُمْرِي قبلَ مَجْرَى داحِسٍ أطيَبَ من عُمْرِي بعدَه. وفي القرآن: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ [يونس: الآية ١٦] أي بعض عُمْرِي، فحذف المضاف.

٢ ـ مَضَتْ مِائَةٌ من مَوْلِدِي فَنَضَوْتُها ... وخَمْسٌ تِبَاعٌ بَعْدَ ذاكَ وأَرْبَعُ

هذا تفصيلٌ لما أجملَه من كِبْرتِه. يقول: أتت عَلَيَّ مائة سنةٍ من ميلادي فألغيتُها ورائي، كأنّي لبِسْتُها ثم خَلَعْتُها واستتبعتُ بَعدَها تِسعًا توالتْ، فَلي عُذر في ضَعفِ يَظهر، أو كَسَلٍ يَلْحق، إذ كنتُ غابِرَ لِدَاتٍ فَنُوا، ومتعرِّقَ أعوام بادَ أهلُها فنُسوا. قوله «فنضيْتُها» يُروَى «فنضوتُها». ويقال: نَضَا ثَوْبَه يَنْضُو وَيَنْضِي إذا نَزَعَه، لغتان. على

(١) للبيد في ديوانه ٣٥، واللسان (سبت، عمر، جرا)، وديوان الأدب ١: ٩٧.

هذا قول امرىء القيس: [الطويل]

فجئتُ وقد نَضَتْ لنَوْمٍ ثيابَها(١)

ويقال: نَضَى سيْفَهُ وانتَضَى بمعنًى. وقوله «بعد ذاكَ» إن قيل لِمَ لَمْ يَقُلْ بعد تلك، والإشارةُ إلى قوله مائةٌ؟ قلت: لم يُراعِ تأنيثَ المذكورِ وتذكيرَه، بل أراد ما ذكَرتُ. على ذلك قول ذي الرُّمَّة: [الوافر]

ومَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًّا   وسالِفَةً وأَحْسَنُهُ قَذَالَا(٢)

ألا تَرَى أنه لم يَقُلْ وأحسنُهما. وقولُه «وخَمْسٌ تِبَاعٌ» يقال: تَبِعَ تِباعًا، فهو مصدرٌ وُصِفَ به. ويقال أيضًا: رميتُه بسهمين تِباعًا، أي زِلاءً، وتابَعَ بينهما فلانٌ تِباعًا.

٣ ـ وخَيلٍ كأسْرَابِ القَطَا قَدْ وَزَعْتُها   لَهَا سَبَلٌ فيه المنِيَّةُ تَلْمَعُ

تذكَّر بما كان منه عند تَعَالِي سِنِّه وتَناهِي عُمرِه، ما كان منه في رَيْعَان شبابه، وعند استكمال قوَّتِهِ وتَرامِي الأحداثِ به، فيقولُ: رُبَّ خيلٍ تمتد وتتوالَى مبادِرةً إلى المُلتقَى، وتسترسل استرسالَ فِرَق القَطا عند اندفاعِها للوِرْد، أنا بعثْتُها وهَيَّجتُها، ولها عَارِضٌ يمطر بالموتِ ويَلْمعُ. والسَّبَل: المَطَر. ورواه بعضهم: «لها أَسَلٌ» وهي الرِّماح. وقولُه «قد وَزَعْتُها» يجوز أن يكون معناهُ كَفَفْتُها عن التعجُّل، ويجوز أن يكون قسَّمتُها للتعبئة أو الغارة، لأنه يُقال وزَعْتُ الشيء ووزَّعتُه جميعًا؛ وعنده أوزاعٌ من الناس، أي فِرَقٌ، وعلى الوجهين فتدبيرُها كان إليه. وقولُه «قد وَزَعْتها» من صفة الخيل، لأنَّ جواب رُبَّ فيما بعدَهُ، ولها سَبَلٌ في مَوْضع الحال. وقولُه «فيه المنيَّة» من صفة السَّبَل، ويَلْمَعُ في موضع الحال للمنيّة، والعامل ما يدلُّ عليه الظرف.

٤ ـ شَهِدتُ وغُنْمٍ قد حَوَيتُ ولذَّةٍ   أَتيتُ وماذا العَيشُ إلّا التَمَتُّعُ

قوله «شهدتُ» جواب ربّ، فيقول: رُبَّ خيلٍ على هذه الصِّفة حَضَرتها مُدَبِّرًا لها، وربَّ غنيمةٍ تَغَنَّمْتُها وتولَّيتُ قسمتها، ورُبَّ لذَّةٍ أتيتها ونِلتُ مَنالِي منها. ثم أقبلَ كالمتلفِّت إلى غيرِه، فقال: وما العَيْشُ إلا التمتّع بهذه الأشياء. ارتفع «العَيْشُ» على

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١٤، والدرر ٣: ٧٨، وشرح شذور الذهب ٢٩٧، وعجزه:
«لدى السِّترِ إلا لِبسةَ المتفضِّلِ»

(٢) لذي الرمة في ديوانه ١٥٢١، وخزانة الأدب ٩: ٣٩٣، والدرر ١: ١٨٣، واللسان (ثقل).

أنّه عطفُ البيان لِذَا، لأنه جَعل العيش كالحاضر، فأشار به إليه وإن كان القصدُ إلى الجنس. والتمتع: الانتفاع بالشيء زمانًا طويلًا. ومنه مَتَع النَّهارُ: ارتفع، واستمتعتُ وامْتَتَعتُ وتمتَّعت بمعنًى.

٥ ـ وعـائِـرَةٍ يَـوْم الـهُـيَـيْـمَـا رَأيـتُـهـا وقَدْ ضَمَّها من دَاخل الخِلْبِ مَجْزَعُ[1]

يقول: وربّ امرأةٍ في هذا اليوم لتمكُّن الخوفِ منها، وتملُّكِ الجزَعِ قلبها، رأيتُها تَعْثُرُ لوجهها ولا تستقيم في مشيها، مخافَةَ السِّباء لها، وقد ضَمَّها مَجْزَعٌ، أي استولَى عليها الحزنُ والقلَقُ، حتى صار يضمُّها إليه ولا يدعُها لغيرِه. وقولُه «من داخِلِ الخِلْبِ» بيَّنَ به منشأَ الجزَعِ ومقرَّه، والخِلْبُ: حجاب القَلْبِ، ومنه قولهم: خَلَبَتِ المرأةُ فلانًا، أي أصابت خِلْبَه بلطفِها وخَدَعَتْهُ، خَلْبًا. ثم يقال: هو خِلْبُ نساءٍ، كما يقال هو زِيرُ نساء. وهذا على طريقتهم في النَّقْضِ والنَّقض وما أشبهه.

٦ ـ لَهَـا غَـلَلٌ فـي الـصَّـدْرِ لَيْـسَ بـبَـارِحٍ شَجًى نَشِبٌ والـعَيْنُ بـالـمـاءِ تَدْمَعُ

يجوز أن يكون قولُه «لها غَلَلٌ» في موضع الجرّ على أن يكون صفةً لعائِرَةٍ، ويجوز أن يكون في موضع المفعول الثاني لقولِهِ رأيتُها: وأصل الغَلَلِ هو الماء يَجرِي بين الشجر، فاستعاره لما تداخَلها من الشَّجى. وقال الخليل: الغَلَلُ: تغَلغُل الماء بين الشجر. والغَلْغَلةُ: سُرْعة السير؛ ومنه رسالَةٌ مُغَلغَلَةٌ أي محمولة من بلَد إلى بلَدٍ. ورواه بعضهم «لها غُلَلٌ» بضمّ الغين، جمع غُلَّةٍ. ولو كان كذا لقال ليست ببارِحَةٍ. ومعنى «ليس ببارحٍ» أي ليس بزائلٍ، وموضع قوله «شجًى نَشِبٌ» رفعٌ على البدل من غَلَل. ويريدُ فلانٌ أنّه عَلِقَ به كما ينشَبُ الصَّيدُ في الحِبالة. وفي الكلام المرويّ: نَشِبَ فلانٌ مَنْشَبَ سَوءٍ، أي وَقَعَ فيما لا يتخلّص منه. وقولُه «والعين بالماء تَدْمَعُ» في موضع الحال، ولا بُدَّ من الواو فيه ليتعلّق بذي الحال. والعامل فيه قولُه شَجًى نَشِبٌ. ولو كان في الجُمْلَةِ ضمير لكُنتَ في دخول الواو وسقوطه بالخيار، إذْ كان الضمير يُعَلِّقُ من الحال ما يُعَلِّقُه الواو.

٧ ـ تـقـولُ وقـد أفْـرَدْتُـهـا مـن حَـلِـيـلـهـا تَـعَـسْـتَ كـمـا أتْـعَـسْـتَـنِي يـا مُـجَـمِّـعُ

قوله «تقول» جواب رُبَّ. والمُرَادُ: رُبَّ عائِرة هذه صفَتُها في يوم الهُيَيْمَا قالت لي بعد أن سَبيْتُها وفرّقتُ بينها وبين زَوجها بالقَتل سقَطْتَ لوجهكَ، ولا انتعَشْتَ من

---

(١) التبريزي: «من داخل القلب».

عَثرتِكَ يا مُجَمِّع، ولحقكَ الانكسار والنَّكس كما ألحقتهُما بي. وسُمِّي الزَوجُ حليلًا والمرأة حليلةٍ لأنّ كلٌّ واحدٍ منهما يَحُلُّ مع صاحبِه.

٨ ـ فَقُلْتُ لَها بَلْ تَعْسَ أُخْتِ مُجَاشِعٍ وقَوْمِكِ حَتَّى خَدُّكِ اليَوْمَ أَضْرَعُ(١)

يقول: أجَبْتها بأن قلت بل التَّعْسُ لك ولقومِكِ حين ضَيَّعُوكِ، وفَعلُوا ما أدّى وبَالُه إلى أن صار خَدُّك اليومَ ضارعًا، وجدُّك سافِلًا. وقوله «بل تَعْسَ أختِ مجاشعٍ» تَدَارَكَ بِبَلْ دعاءَها عليه فنقَلَهُ إليها، لأنْ بلْ للإضراب عن الأوّل والإثباتِ للثاني. وأجْرَى تَعْسًا في الإضافةِ مَجرى وَيْلَكَ، وذاك أنَّ المصادر التي قد اشتُقَّ الأفعال منها إذا دُعِيَ بها تُستعملُ باللام لا غير، تقول: تَبٌّ لزيْدٍ وخُسْرٌ لعَمرٍو. وما لم يُشتَقَّ الفعلُ منه وهو وَيْلٌ وَوَيْحٌ وَوَيْسٌ إذا كان معها اللام رُفِعتْ وصارت باللام جُمَلًا، وإذا أفرِدَت عن اللام أضِيفَتْ ونُصبت. تقولُ: وَيْلٌ لزيْدٍ وَوَيْحٌ لعمْرٍو فترفعُ، وويلَ زَيْدٍ وويْحَ عَمْرٍو فتَنصِبُ. وهذا الشاعر قال: «بل تُعْسَ أخْت مجاشع» فأجراه مَجرى وَيْلَ الفِعْلُ يُشتقّ منه. ومُجَاشع: قبيلة. فقال أُخْتَ مجاشع كما يقالُ يا أخا بَكْرٍ ويا أخا تميمٍ، و«أضرَعُ» بمعنى ضَارِعٍ. ويُقال خَدُّهُ ضَارِعٌ، وجَنْبُهُ ضَارِعٌ. والضَّراعة: الاستِفالُ في خضوعٍ. قال الهذليّ: [الوافر]

لِـشَـانِـئِكَ الـضَّـرَاعَـةُ والـكُـلُولُ(٢)

٩ ـ عَـبَـأْتُ لـه رُمْـحًـا طـويـلًا وأَلَّةً كـأنْ قَـبَسٌ يُـغْـلَى بـهـا حـيـن تُـشْـرَعُ

أخذ يبيّن كيف تمكّن من قَتْل زوجها، وماذا أعدَّ من السلاح له. ويقال: عَبَأْتُ الخيلَ وعَبَّأْتَها، إذا هيَّأتَها للحرب، وعَبَّيْتُها أيضًا. وعَبَأْتُ الطِّيبَ والمَتاعَ لا غير. والمراد: هَيَّأْتُ له رُمْحًا طويلًا، وسِنَانًا لَمّاعًا بَرّاقًا، كأنّما يُغْلَى به نار إذا أُشْرِعَ للطَّعن. والألَّةُ: تُستعمل في الحربة وتشتهر بها. وأصل الأليل البريق، والمراد بها هٰهنا السّنانُ كما ذكرت. وقولُه «كأنْ قَبَس» يجوز فيه الرَّفع والنصب والجرّ، فإذا رفَعْتَ فَعَلَى الضمير، يريدُ كأنها قَبَس يُغْلَى بها حين أُشْرِعَتْ. والقَبَسُ: النار. ومن نَصَبَ فلأنّه أعملَ كأنْ مُخفَّفةً عملَها مثقّلة. يريدُ: كأنْ قبَسًا يُغْلَى بها، ويكون الخَبَرُ يُغْلَى بها. ومن

---

(١) التبريزي: «بل تعس أمّ مجاشع».

(٢) لساعدة بن جؤية في شرح أشعار الهذليين ص ١١٤٢، واللسان (كلل). وصدره:

«ألا قـالـت أمـامـة إذ رأتـنـي»

جَرٌّ فقال كأنْ قبسٍ، جعل أنْ زائدة وأعملَ الكافَ كما زيدَ في قولِه: لمّا أن جاء زَيْدٌ أعطيتُه، وفي قولِه: والله أَنْ لو جِئتَني لأَكْرَمْتُكَ، يريد والله لو جئتَني.

١٠ ـ وكائنْ تَركْتُ مِن كَرِيمة مَعْشَرٍ   عليها الخُمُوشُ ذاتَ حُزْنٍ تفَجَّعُ

نَبَّه بهذا الكلام على أنَّ ما حكاهُ من حديث العائِرَةِ يوم الهُيَيْمَا، واقتصَّه من شأن بَعْلِها، لم يكنْ بِدْعًا منه ولا عَجَبًا، بل ذلك دَأْبُه مع أمثالِها قَبلها وبَعدَها. وقولُه «وكائنْ» لغةٌ في كأيِّنْ، وهما جميعًا بمعنى كَمْ، وهو للتكثير. فيقول: وكم امرأةٍ كانت كريمةَ عشيرتِها تركتُها وهي تَخْمِشُ وجهَها، وتتفجَّعُ جَزَعًا على قَيِّمِها من بَعْلٍ أو أخٍ أو ابن. والمعنى: كان ذلك منِّي كثيرًا. وقولُه «عليها الخُمُوش» الخَمْشُ في الوجه وفي سائر البَدَن مثل الخَدْش. ومعنى عليها رَكِبَها وعلاها كما يقال: على فُلانٍ دَيْنٌ أي رَكِبَهُ وعَلَا.

٢٤٨ ـ وقال الأَخْنَسُ بن شهاب[(١)]: [الطويل]

١ ـ فَمَنْ يَكُ أَمْسَى في بِلَادٍ مُقَامُهُ   يُسَائِلُ أَطْلَالًا لَهَا لا تُجَاوِبُ

يُروَى «في بلادٍ مُقَامُه» والمُراد: من أَمْسَى مُقَامُه في بلادٍ مسائِلًا أطلالًا لتلك البلاد. فمُقامه اسمُ أَمسَى، وخبره في بلادٍ. ويُروَى «بلادِ مُقَامَةٍ» على الإضافة، ويكون اسم أَمْسَى ضميرَ «مَنْ» المُستكِنَّ فيه. والمُقَامَةُ: الإقَامَةُ، والمرادُ: مَن أَمسى في بلادِ إقامةٍ، أي بلاد مُستصلَحةٍ للإقامة مستوطَنَةٍ. و«يُسائلُ» على الرِّوايتين في موضع الحال. وكما يُقال: هو بَلَدُ مُقامةٍ، يقالُ في ضِدِّه: هو بَلَدُ قُلْعَةٍ. والبِلادُ: جمع بَلَدٍ، وهو القِطْعة من الأرض اختُطَّ فيها أو لم يختطّ. يشهد لهذا قول الراجز:

قد تَرَكَ البَرْنِيُّ فاهُ بَلَدَا

أي لا أسنانَ فيه. وقولُ الآخر: [الكامل]

عَرَفَ الدِّيارَ توهُّمًا فاعتادَها   من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلَى أَبْلَادَها[(٢)]

(١) الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة ... بن تغلب، شاعر جاهلي من أشراف تغلب وشجعانها حضر وقائع حرب البسوس (ت نحو ٧٠ ق.هـ/ ٥٥٥ م). ترجمته في شعراء النصرانية ١٨٤، وخزانة البغدادي ٣: ١٦٩.

(٢) لعدي بن الرقاع في ديوانه ٣٣، واللسان (بلد)، ومقاييس اللغة ١: ٢٩٩، والطرائف الأدبية ص ٨٧.

ومعنى البيت: مَن كان الوقوفُ على ديار الأحبّة من همِّه، فأَمْسَى مُقامُه في بلادٍ مُسائلًا أطلَالًا فيها لا تجاوِبُه، فأمرِي كَيْتَ وكَيْتَ. وجواب الجزاء فيما بعده. وقد مرَّ القول في حذف النون من يَكُ.

٢ ـ فَلابْنَةِ حِطَّانَ بنِ قَيسٍ مَنَازِلٌ كَمَا نَمَّقَ العُنْوَانَ في الرَّقِّ كاتِبُ

الفاء مع ما بعدَهُ إلى صدر البيت الذي يليه جواب الجزاء، كأنّه قال: فلهذه المرأة منازِلُ أنا وقَفْتُ بها، وقضَيْتُ حَقَّ الهَوَى فيها. والمعنى: مَن كان الوقوف على الدِّيار من دينهِ في الهوى ومذهبِه، حتَّى صار يُسَائل ما لا يُجيب، فَلِي في الوقوف على ديار ابنةِ حِطَّانَ ما يزيدُ على كل مذهبٍ، ويعَفّي على كل عادةٍ. وقولُه «كما نَمَّقَ العُنوانَ» من صفةِ المنازل، ويروى «العُنيانَ» و«العُلْوان». فأما العُلْوان فهو فُعْوال من عَلَنَ الأمرُ، أي ظهر. وأمّا عُنوانٌ فهو فُعْوالٌ أيضًا من عَنَّ له كذا، أي عَرَضَ. وأمّا عُنْيان فهو فُعْلانٌ من عَنَاهُ كذا يَعْنِيه. وفي هذا القدر من الكلام في هذا الموضِع كفايةٌ إذ كُنَّا قد بَسَطْنا القولَ في شرح كتاب الفصيح. وكان الواجب أن يقول كعُنْوانٍ نمَّقَه كاتبٌ، وتشبيه آثار الديار بالكتابة مألوفٌ في طرائقهم، لكنه طَوَّلَ الكلامَ تحقيقًا للتشبيه، فصار ظاهِرُه كأنه شَبَّه الآثارَ بتنميقِ الكاتب خَطَّه إذا عَنْوَنَ كتابًا. ومثله قول الهُذَليّ: [البسيط]

هَبَطْنَ بَطْنَ رُهَاطٍ واعْتَصَبْنَ كما يَسْقِي الْجُذوعَ خِلالَ الدُّورِ نَضَّاحُ[(1)]

ألا تَرى أنَّ المرادَ تشبيه الإبل وقد دخلَتْ في السَّراب بجُذوع نَخْلٍ مسقيَّةٍ في أصولها الماء، فجاء ظاهِرهُ كأنَّه شبَّه الإبل بسَقْي النَّضَّاح للجذوع؛ لأنَّ معنى كما يَسْقِي كَسَقْي كما أنّ معنَى كما نَمَّقَ كتنميق.

٣ ـ وَقَفْتُ بها أَبكِي وأُشْعَرُ سُخنَةً كما اعتادَ مَحمومًا بخَيبَرَ صالِبُ[(2)]

يقول: وقفْتُ بهذه الأطلال مقيمًا بها رَسْمَ من ثبَتَ عَهْدُه في الهوَى، ولم يغيّره تقاذُفُ الأحبّة والنّوى، ومظهِرًا التلهُّف والتحسُّر في إثْر ما تقادَمَ من أيَّام الوصال بالبُكا، وقد أُبطِنتُ جَوًى اعتادني منه حُمّى سَخُنَت منها بَشَرَتي، وحُمّت لها روحي

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٦٥، واللسان (عصب، نضح، ورهَط).

(٢) قبله عند التبريزي:

«تُمشّي بها حول النعامِ كأنها إماءٌ تُزَجّى بالعَشِيّ حواطبُ»

ومُهجتي، كما يعتاد الصالبُ ـ وهي الحمّى التي معها صُداع ـ محمومًا بخَيبر. وإنما قال ذلك لأنّ خيبر مُحَمّة، وحُمّاها موصوفة بالشدّة. ويقال في المثل: «صالبِي أشَدُّ من نافِضِك». وحَكى الأصمَعيّ أنّ أعرابيًا ثَقُلَت عليه مُؤَنُ عيالِه لكثرتِهم، فحدَّثته نفسُه بأنه لو نَقَلَهم إلى خَيبر لنَقَصَهم وباؤه، وأثّر فيهم بالتقليل صالِبُه، وأوْرَدهم خَيبر، وأنشأ يقول[1]: [الرجز]

وَيْحَكِ حُمّى خَيبرَ استَعِدّي هاكِ عِيالي فاذْهَبي وجِدّي
وباكِري بصالبٍ ووِرْدِ أعانَكِ اللهُ على ذا الْجُندِ

فَحُمُّوا بأجمعِهم وسَلِموا، ثمّ تَلِف هو من بينهم.

وقوله «وأُشْعَرُ سُخْنَةً» يُروى بضم السين وكسرها. فالسُّخْنةُ كالْحُمرة، والسِّخنةُ كالْجلسةِ. ومعنى أُشْعَرُ جُعِل شِعاري. والشِّعار: ما يَلِي الجسدَ من الثياب، وتُوَسِّعَ فيه فقيل أُشعِرَ قلبي هَمًّا. ويقال: شَعَرْتُ المرأةَ، أي نِمْتُ معها في شِعارها.

٤ ـ خَليلَايَ هَوْجاءُ النَّجاءِ شِمِلَّةٌ وذُو شُطَبٍ لا يَجْتَويهِ المُصاحِبُ[2]

مَوْضِع قولِه «خليلايَ» مع خَبَرِه نَصْبٌ على الحال من قولِه «وقَفْتُ بها»، واستُغْنِيَ بالضمير فيه عن إدخال الواو العاطفة لأنه يُعلِّقُ من الحال بالأوّل ما يعلّقه الواو. ومعنى قوله «هَوْجاءُ النَّجاءِ» ناقةٌ في نَجائها وسرعة مَرّها هَوَجٌ واضطراب. ويقال: نجاءٌ أهْوَجُ، كما يقالُ: عَدْوٌ والِهٌ. وقد تجاوزوا هذا الحدّ حتى قالوا غبارٌ مجنونٌ، وزِمامٌ سَفِيه. والشِّمِلَّةُ: الخفيفة. وقوله «وذو شُطَبٍ» أراد به سيفًا ذا طرائق. «لا يجتويه» أي لا يكرَهُه متحمِّلُه لجودتِه. وهذا الكلام إشارةٌ إلى أنّ أصحابَه خَذَلوه ولم يروا مساعَدتَه في الوقوف على الدار.

٥ ـ وقد عِشْتُ دَهْرًا والغُواةُ صَحابتي أُولئكَ خُلْصاني الذين أُصاحِبُ
٦ ـ قَرِينَةَ مَن أَسْفَى وقُلِّدَ حَبْلَهُ وحاذَرَ جَرّاهُ الصَّديقُ الأقارِبُ

يذكر ما تعاطاه من البَطالةِ أيّامَ صِباه، فيقول: بقيت زمانًا فيما مَضَى من عُمري طويلًا مُتباعِدَ الأطرافِ، والذين أُصاحبُهم وأوثِرُ معاشرتَهم أهلُ الغَوايةِ، وأربابُ

---

(١) بلا نسبة في اللسان (سمه)، والمخصص ١٢ : ١٢٨.
(٢) قبله عند التبريزي:
«خليليّ عوجا من نجاء شملّةٍ عليها فتًى كالسيف أروعُ شاحبُ»

البَطالةِ والخَسارة، لا أُواخي غيرَهُم، ولا أُصالِحُ سِواهم. والصَّحابةُ مصدرٌ في الأصل وَصفَ به الخُلْصان أيضًا مصدرٌ كالكُفران والشُكْرانِ في الأصلِ، ولذلك صَلَحَ أن يَقع للواحد والجميع. يقالُ: فلانٌ خالِصَتي وخُلْصاني، إذا خَلَصَت مَودَّتُه. قال[1]: [البسيط]

وعـاش صـافـيـةً للهِ وخُـلْـصـانـا

ويقال: هؤلاء خُلصاني، أي أَخِلّائي. وقوله «الذين أُصاحِبُ» أراد أُصاحِبُهم، وحذفَ الضميرَ استِصالةً للاسم بصلَتِه. وقوله «قرينةَ من أَسْفَى» فالقرينة أُلحِقَتِ الهاء به لأنه جُعِل اسمًا، فهو كالبَنِيَّةِ والذَّبيحةِ. ومعنى أَسْفَى: دخلَ في السَّفَاء. والسَّفَاءُ ممدود: السَّفَهُ، والرَّجُل سَفِيٌّ. ومعنى «قُلِّدَ حَبْلَهُ» خُلِّيَ واختيارَه، وأصلُه في البعيرِ إذا أُرسِلَ في المرعَى وجُعِل زِمامُه على عُنقِه لِتتصرّف كما يشاء، ثم نُقِل إلى من وُعِظ كثيرًا حتى أُهمِل أمرُه تبرُّمًا به. ويقال أيضًا: أُلقِيَ حبلُه على غارِبه، في هذا المعنى: ومعنى «وحاذَرَ جَرّاه الصديقُ الأقاربُ»، أي تبرَّؤُوا منه خوفًا من جرائِره التي يَجنيها عليهم. وكانوا يُسمُّون مِثلَه الخَليع. وعلى هذا قولُ الشَّنفرَى في صفة نفسه: [الطويل]

طَريدُ جِناياتٍ تَياسَرْنَ لَحْمَه   عَقِيرتُه لأَيِّا بِما حَنَّ أَوَّلُ

ومعنى تَياسَرْن لحمه اقتَسَمْنَ «لحمَهُ» من الميسِر. وهذا من فصيح الكلام. والصديق يوصَفُ به الواحدُ والجمع. والبيت الثاني شَرْحٌ لقولهِ «والغُواةُ صحابتي»، ويُفيدُ من نهايات الغَيِّ ما لا يُستفاد من ظاهرِه ومُطْلَقِه.

٧ ـ فأَدَّيْتُ عَنّي ما استعَرتُ من الصِّبَا   فلِلمالِ عِندي اليومَ راعٍ وكاسِبُ

٨ ـ تَرَى رائداتِ الْخَيلِ حَولَ بُيوتِنا   كَمِعْزَى الْحِجَازِ أَعْوَزَتْها الزَّرائبُ

يقول: رفَضْتُ الآنَ ما كنت أَقْصُرُ وقتي عليه، وأصرِف همي إليه، من سُلوك طرائق الجهل، والجري في ميادين اللَّهو، واستَبْصَرتُ حتّى عَرَفتُ من الرَّشاد ما حَمَلني على رَدِّ مستعار الغيّ، واطِّراحِ مستعادِ البُطْل، فصِرْتُ أحفظ من المال ما كنتُ أضيّعه، وأَصْحبُ من الحَزم ما صِرْتُ أخلِّفُه، وأَجمع من العُدّة للحوادث ما

(١) بلا نسبة في كتاب العين ٤: ١٨٦.
«منّا النبيّ الذي قد عاش مُؤتمنًا   ومـات صـافـيـةً لله خُـلْـصـانـا»

بَقِيتُ أُهمِله وأفرّقه. وقوله «أدّيتُ عَنّي» حَقّق بدخول عن أن المُؤدّى وجبَ عليه. ألا ترى أنّه لو قال أدّيتُ كذا من دون عن لجاز أن يكون لنفسِه أدّى ما أدّى، ولجاز أن يكون لغيره. ولأنّ معنَى أدّيت عنّي نَحَّيْتُ عن نفسي. وقوله «فلِلمال عندي اليومَ راعٍ وكاسب» نَبَّهَ به على أنّه جامعٌ لَهُ وحافظٌ. ولم يُشِرْ بقوله «اليَومَ» إلى وقتٍ مُعيَّنٍ، لأنّه أراد حاضِرَ الأزمان ومؤتَنَفَها. فأما قولُه «تَرَى رائدات الْخَيْل» فالرَّائدات المختلفات، ومنه المَثَل: «الرَّائد لا يَكْذِبُ أهْلَهُ». والمُراد أنّ الذي يرتبطونه من المال ويقتنونَهُ الخيلُ، لا الإبل والغنم، وأنّها تختلف فيما بين بيوتهم لكثرتها، لأنّهم غزّاؤون وأربابُ غاراتٍ، فخُيولهم مربوطةٌ بالأفنية لئلا تَبعُدَ عنهم أوانَ الحاجة لِقَصْدٍ أو مَتْعٍ؛ وهي في اختلافها وكثرتها وتردُّدِها بين البيوت كمِعْزَى الحجازِ وقد ضاق عنها مَحابِسُها ومرابِضُها. وقوله «كمِعْزَى الحجاز» في موضع الحال من تَرَى، وأعْوَزَتَها في موضع الحالِ مما دَلَّ عليه الكاف من قوله كمِعْزَى. والأجود أن يُضمَرَ معها قد ليقْرُبَ بناءُ الماضي من الحال. والتقدير تراها مشابِهَةً لمعزى الحجاز وقد عَدِمَتْ محابسَها، فهي تَرُودُ. وفي هذه الطريقة قول سَلَمة بن الخُرْشُب: [الطويل]

يَسُدُّون أبوابَ القِبَاب بضُمَّرٍ إلى عُنَنٍ مستوثِقات الأواصرِ[1]

والزَّرْب والزَّرِيبةُ واحد، ويقال أعْوَزَهُ الدَّهرُ: أفْقَرَهُ. وأعوَزَ الرَّجُل: ساءت حالُه.

٩ ـ فَيُغْبَقْنَ أَحْلَابًا ويُصْبَحْنَ مِثْلَهَا فَهُنَّ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبٌّ شَوَازِبُ[2]

يُقَالُ: غَبَقْتُهُ إذا سَقيتَهُ غَبُوقًا، وصَبَحْتُه إذا سقَيْتَهُ صَبُوحًا. والصَّبُوح والغَبُوق: يُشرَب بالغداةِ والعشيّ، لأنّهما كالفَطُور والذَّرُور والسَّحُور. فيجوز أن يريدَ أنها تُعدَى في القَرَّتَيْن[3]، ويكون «أحلابًا» بمعنى أَشْوَاطٍ وأَطْلَاقٍ. يقال: احلُبْ فرسك قَرْنًا أو قرنَيْن، واحلُبْها أَحْلَابًا وحَلَباتٍ. ويشهدُ لهذا قولُه «فهُنَّ من التَّغْدَاءِ قُبٌّ شوازِبُ». وتحقيق الكلام أنه جُعِل صَبُوحُهُنَّ وغَبُوقُهُنَّ أن أُعدِيَتْ في أوّل النَّهار وآخرِه لتَضْمُرَ،

---

(١) لسلمة بن الخرشب في اللسان (أصر)، وتاج العروس (أصر).

(٢) قبله عند التبريزي:

«لكلّ أناسٍ من مَعَدٍّ عمارةٌ عَروضٌ إليها يلجؤون وجانبُ
ونحن أناسٌ لا حجازَ بأرضنا مع الغيث ما نُلفى ومن هو غالبُ»

(٣) القرّتان: الغداة والعشي، وذلك لما فيهما من البرد.

كما قال أبو تمّام: [الكامل]

تـعـليـقـهـا الإسـراجُ والإلْجَـامُ(١)

وكما قال غيْرُهُ: [الطويل]

فـإنّ الـمُـنَـدَّى رِحْـلَةٌ فـرُكـوبُ(٢)

والتَّنديةُ: أن تُرْعى في الوِرْد بعد السَّقْي شيئًا ليُعْرَض عليها الماء ثانِيةً. ويجوز أن يريد أنّها تُسْقى اللَّبنَ غُدُوًّا وعِشِيًّا، كما قالَ: [الرجز]

نُـطْـعِـمـهـا الـلَّـحْـمَ إذا عَـزَّ الـشَّـجَـرْ(٣)

يريدُ باللَّحْمِ اللبن، وكما قال الآخر: [البسيط]

يُـعْـطَـى دَوَاءَ قَـفِـيِّ الـسَّـكْـنِ مَـربُـوبِ(٤)

ويكونُ الأحلابُ جمعَ حَلَب، مصدر حَلَبْتُ، والمراد به المَحلوبُ فجمعه لاختلافها. ويكون قولُه «فَهُنَّ من التَّعداء» كلامًا مستأنَفًا، والمعنى أنَّها تُصْنَعُ وتُضَمَّرُ، فتُتَفقدُ بكلّ ما يُصلِحُها ويُقوِّيها ويعوِّدُها الجِرَاءَ. والقُبُّ: جمع أقَبَّ وقَبَّاءَ. والشَّوازب: الضَّوامر.

١٠ ـ فـوارِسُـهَـا مـن تَـغْـلِبَ ابْـنَـةِ وائـلٍ حُـمَـاةٌ كُـمَـاةٌ لَيْـسَ فـيـهـم أشـائِبُ

قوله «من تَغْلِبَ ابْنَةِ وائلٍ» أَخْبرَ به أنّهم لم يتكثَّرُوا بغيرهم، فليس فيهم خُلطاء من سواهم ولا غُرَباءُ، وإنما هُم من أصلٍ واحد. وهذا كما قال سَلَمَة بن الخُرْشُبِ: [الطويل]

وأَمْسَوْا حِلَالًا ما يُفَرِّقُ بينَهُمْ على كلّ ماءٍ بَيْنَ فَيْدَ وساجِرِ

---

(١) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح بها المأمون وصدره:
«بِـسـواهـم لُـحُـقِ الأيـاطـل شُـزَّب»

(٢) هذا عجز بيت لعلقمة بن عبدة في المفضليات، رقم (١١٩)، وصدره:
«تُراد على دمن الحياض فإن تقف»

(٣) للنمر بن تولب في ديوانه ٣٥٥، واللسان (هشش)، وللطرماح في أساس البلاغة (لحم) وليس في ديوانه.

(٤) هذا عجز بيت لسلامة بن جندل في المفضليات المفضلية (٢٢)، وصدره:
«ليس بأسفى ولا أقنى ولا سغل»

وهو خلاف قول الآخر وهو يهجو: [الوافر]

ولـمّـا أن رأيـتُ بـنـي جُـوَيْـنٍ جُلُوسًا لـيس بيـنـهـم جَـليـسُ
إذا مـا قُـلْتُ أيُّـهُـمُ لِأَيٍّ تشابَهتِ المناكِبُ والرُّؤوسُ[١]

لأنّ هذا يصف أهل بَيْتٍ بأنّهم لا يُرَى فيهم نديم ولا مُعَاشِرٌ، ولا يَغْشَى فِناءَهُم جليسٌ ولا مُخالِطٌ، ولا يَقصِدُهُم عافٍ ولا مُجْتَدٍ، ولا يَؤُمُّهُمْ راحٍ ولا مُعْتَفٍ، إنّما اكتفى كُلٌّ منهم بصاحبِه، وانفردَ كلُّ ذي بَيْتٍ بِنَسِيبِه. وعلى هذا الذي فسّرنا يكون «من تغلِب ابنَةِ وائلٍ» خَبَرًا، وحُمَاةٌ خَبرًا ثانيًا. والتقدير: فوارِسُها تغلبيُّون حُمَاةٌ. ويجوز أن يكون من تَغلِبَ ابنةِ وائِلٍ في موضع الحال، وحُمَاةٌ الخبر، والتقدير: فوارِسُها وهم من بني تَغْلِبَ حُماة. وحُمَاةٌ: جمع حامٍ. وكُماةٌ: جمع كَمِيٍّ. وهذا البناءُ من الجموع لا يكون إلّا في المعتلّ. والأشائبُ: جَمْعُ أُشَابَةٍ، وهم الذين جُمِعُوا من شيءٍ إلى شيءٍ، على رداءةٍ فيهم وهُجنةٍ تَشُوبُهم.

١١ ـ فَهُمْ يَضرِبُونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيضُهُ عـلى وجْـهِـهِ مـن الـدِّمـاء سبـائـبُ
١٢ ـ وإن قَصُرَتْ أسيافُنا كان وَصْلُهَا خُـطَـانـا إلـى أَعْـدَائِـنـا فـنُـضَـارِبُ

وصَفَهم بأنّهم يطلبون الرُّؤساءَ في الحربِ بالقتل والنِّكاية، دونَ الأوساط والعَجَزَة والسُّقّاطِ، فهو كقولِ الآخَر: [الكامل]

من عَـهْـدِ عَـادٍ كـانَ مـعروفًـا لـنـا أَسْرُ الـمُـلُوكِ وقَـتْـلُهَـا وقِـتـالُهـا[٢]

وقوله «يَبْرُقُ بَيْضُه» في موضع الحال من يَضربون، و«على وجهه من الدّماء سبائبُ» في موضع الحال أيضًا من قولِه يَبْرُق بيضه. والسَّبائبُ: الطُّرَق، الواحدة سَبِيبَةٌ، وقولُه «وإن قَصُرَتْ أسيافُنا» مثل قول الآخر: [الكامل]

نَـصِـلُ الـسُّـيُـوفَ إذا قَـصُـرْنَ بـخَـطْـوِنـا[٣]

وفي طريقته قول الآخر: [البسيط]

إذا الـكُـمَـاةُ تَـنَـحَّـوْا أنْ يَـنَـالَـهُـمُ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْناها بأيدينا[٤]

---

(١) وردت الأبيات عند التبريزي ١: ٤٨٧. (٢) لبشامة بن الغدير في الحماسية (١٣٤).
(٣) لكعب بن مالك في ديوانه ٢٤٥، واللسان (بله).
(٤) لبشامة بن حزن النهشلي في الحماسية (١٤).

١٣ ـ فـلِلَّهِ قَـوْمٌ مِـثْـلُ قَـوْمِـي عِـصَـابَـةً إذا حَفَلَتْ عند المُلُوكِ العَصَائِبُ

قوله «فلِلَّهِ قَوْمٌ» تعجُّبٌ وتحضيضٌ. والكلام في مثله قد تقدَّم مشروحًا. وانتصب «عصَابَةً» على أنَّه تمييز. ويجوز أن يكون حالًا أيضًا. وقولُه «إذا حَفَلَتْ» أي اجتمعت. وإذا ظَرْفٌ لما دَلّ عليه قولُه «للهِ قَوْمٌ مثْلُ قَوْمِي»، أي ناهِيكَ بهم من قَوْم في ذلك الوقت. والمعنى أنَّه يَظْهَر من عِزِّهم وفَخْرهم في مجالس المُلوك ما يُسْتَحَقُّ به التعجُّبُ منهم.

١٤ ـ أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِم ونَـحْـنُ خَـلَعْـنَـا قَـيْـدَهُ فـهـو سَـارِبُ

يصف عِزَّهم وكرمَهم وعِظَم حِشْمتهم في قلوب مَن سواهم، وأنَّ أحدًا لا يتجاسَرُ على التعرُّض لأسبابهم، والتبسُّط في أحمِيتهِم، فما لَهُم وإن عَزَبَتْ في مراعيها محمِيَّةٌ، وسُروبُهم آمنةٌ، وإذا كانت الأقوامُ غيرهم يُقَيِّدُ فُحولُها تقييدًا مُقارَبًا، وتُحْفَظُ مَرَاعيها حِفظًا مُلاحَظًا، مخافَةَ أن تَسْرُبَ في المَرْتَع، وتَبعدَ عن المَجْمَع، وتتبعَها الإناثُ فتَقْرُبَ من المُغيرِ عليها، وتمكُّن الطامع فيها، رأيتنا لا نبالي بشيءٍ من ذلك، فَنُخلِّيها وذَهابَها حيثُ شاءت، وأنَّى اختلفَتْ وتصرَّفَتْ، لأَمْننا عليها، وعِلمنا بأنَّ عِزَّنا يحميها ويذُبُّ عنها، ويقصُرُ الأيديَ دونها. والساربُ: الذَّاهب في الأرض، حتى قيل سَرَبَ الماء وانسربَ، ومنه اشتقاق السَّرَاب.

٢٤٩ ـ وقال العُدَيْلُ بن الفَرْخِ العِجْلِيُّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ أَلَا يا اسْلَمِي ذاتَ الدَّمالِيجِ والعِقْدِ وذاتَ الثَّنَايا الغُرِّ والفاحِمِ الْجَعْدِ[(٢)]

قوله «يا اسلَمي» يراد به يا هذه اسلمي، فحذَفَ المنادَى. ومعنى اسلَمي: دُومي سالمةً. وانتَصبَ «ذاتَ الدَّماليج» على أنه نداءٌ ثان، ويجوز أن يكون انتصابُه على إضمار فِعل، كأنه قال: أذكُرُ ذاتَ الدماليج. وهذا يَجري مَجرى الكناية لمّا كَرِه التَّنبيه

(١) العديل بن الفرخ: من رهط أبي النجم ويلقّب بالعبّاب، شاعر فحل اشتهر في العصر المرواني (ت نحو ١٠٠ هـ/٧١٨ م). ترجمته في خزانة البغدادي ٢: ٣٦٧، ورغبة الآمل ٥: ١٤.

(٢) التبريزي: «قال أبو رياش: ليست هذه الأبيات للعديل، وهي قصيدة طويلة لأبي الأخيل العجلي، قالها في آخر أيام بني أمية، ووفد على عمر بن هبيرة الفزاري، فقيل له: إن أبا الأخيل العجلي بالباب يستأذن، فقال: إذن والله لا يأذن له غيري، فقام من مجلسه حتى أتاه على الباب، فأخذ بيده وأقعده معه على بساطه، ثم قال: أنشدني منصفتك، فأنشده إياها، فكساه وأعطاه ثلاثين ألفًا».

على اسمِهَا. والدماليج: جمع الدُّملوج، وهي المِعضَد. وقال الخليل: يقال: دَملَجتُ الشيءَ، إذا سَوَّيْتَ صيغتَه، كما يُصاغُ الدُّملُجُ. وقوله «وذاب الثنايا» كان وجْهُ الكلام أن يقول: والثنايا الغُرّ، لكنّه أعاد لفظ ذات ليكونَ الْخِطابُ به أفخم وأجلَّ قَدْرًا، ولشدّة اتصال المضاف بالمضاف إليه، كأنه عَدَّهما اسمًا واحدًا لا مَحمِلَ بالحذفِ عليه. ويجري هذا المجرى قولُه تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: الآيات ١ - ٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم﴾ [الأعراف. الآية ١٥٦]. وقول الشاعر: [الطويل]

أما والذي أبْكى وأضحَكَ والذي   أماتَ وأحْيا والذي أمْرُهُ الأمْرُ(١)

والعِقْد: القَلادة، يقال عقَدتُ عَقْدًا، ثم يُسمَّى المعقود عِقْدًا، فهُما كالنَّقْض والنِّقْض. والفاحم؛ الشَّعر الأسوَد الحسَن وقد فَحَمَ فُحومًا.

٢ ـ وذاتَ اللِّثاتِ الْحُمِّ والعارِضِ الذي   به أبرَقَتْ عَمْدًا بأبْيَضَ كالشُّهْدِ

اللِّثاتُ: مَغارزُ الأسنان. والحُمُّ: جمع أحَمَّ وحَمّاءَ، وهو الأسوَد من كلّ شيء. ويُروَى «الحُوّ» وهو جمع أحْوَى وحَوّاءَ. والحُوَّةُ: حُمرةٌ تَضربُ إلى سوادٍ. والعارِضُ: ما يَظهرُ من الثَّغرِ عند النُّطق من الجانبين. ومعنى أبْرَقَتْ به: أطلَعَتِ البَرْقَ. والبَرْقُ: وَمِيضُ السَّحابِ أصلُه. ويقال: بَرَقَ السّحابُ بَرقًا وبَرِيقًا، وأبرق لغة فيه، كذلك قال الخليل. وقولُه «عَمْدًا» مصدرٌ في موضع الحال، أي أبرَقَتْ عامدةً. ويريدُ بالأبيض رُضابَ الفم. والتشبيه بالشُّهْدِ قُصِدَ به إلى العذوبة.

٣ ـ كأنّ ثَناياها اغتَبَقْنَ مُدامةً   ثَوَتْ حِجَجًا في رأسِ ذي قُنّةٍ فَرْدِ

الاغتباق: شُرْبُ العَشِيّ، وخَصَّهُ بالذِّكر لأنّ القصدَ إلى أنها عند السَّحَر يطيبُ نكهَتُها، فإذا تغيَّرتِ الأفواه وخَلَفَت كانت هذه كأنها مغتبِقة خَمْرًا بقيَت سنينَ في رأسِ جَبل انفرَد عن الجبال ورؤوسِها، بحصانتِه وتمنُّعِه. وهذا منه إشارةٌ إلى قَلعةٍ في قُلَّةِ جَبل شاهِق، أو قصر أو حِصْن شبَّهَه بحبل هذه صِفتُه.

٤ ـ لَعَمْري لقد مَرَّت ليَ الطَّيرُ آنِفًا   بما لم يكُنْ إذ مَرَّتِ الطيرُ مِن بُدّ(٢)

---

(١) لأبي صخر الهذلي في الأغاني ٢٣: ٢٨١ والدرر ٥: ١١٨، وشرح أشعار الهذليين ٢: ٢٥٧، والشعر والشعراء ٢: ٥٦٧.

(٢) التبريزي: «مرّت بيَ».

كانَ زَجَّارًا فلذلك قال ما قال. وخبرُ «العَمْري» محذوفٌ، كأنَّه قال لعمرِي قَسَمي. ولقد جوابُ القَسَم مع ما بَعدَه. والقسمُ كما يقعُ بالمفرد يقع بالجملة. وأنَّث الطيرَ لأنَّه أراد الجماعة، فلذلك قال مَرَّت. وآنِفًا انتَصَب على الظَّرف، والمعنى فيما ائتُنِفَ من الوقت، وإنما عافَ هذه العيافةَ التي أشار إليها فيما دار بين قومِه من الشَّرّ، وكأنَّه آمَنَ بما أوجبَه مُرورُ الطيرِ في حُلمِه، فلذلك قال بما لم يكُنْ من بُدٌّ. ومن بُدٌّ موضِعُه اسمُ لم يكُنْ، وخبرُه محذوف، لأنَّ التقدير بما لم يكن بُدٌّ من وقوعِه إذ مَرَّتِ الطيرُ. وهذا كما يقالُ ما جاءني من رجل في اللَّفظِ، وإن كان التقديران مختلفين. ومعنى قولِ القائل لا بُدَّ من كذا: لا اتِّساعَ في الاستغناء عنه. ويقال رجُلٌ أَبَدُّ وامرأةٌ بَدّاءُ، إذا تَباعَدَ إحدى فخذيه عن الأخرَى، وبَدَدتُ الشيءَ أَبُدُّه، إذَا جَزَّأْته أجزاءً في القَسْمِ. ويقال: هاتِ بِدَّتي، أي نصيبي، ومنه يقال: استَبَدَّ فلانٌ بكذا إذا اختَصَّ.

٥ ـ ظَلِلْتُ أسَاقِي الـهَـمَّ إخـوَتِـيَ الأُلـى أبوهُمْ أبِي عِند المُزَاح وفي الجِدّ

يقال: ظَلّ يفعلُ كذا، إذا فعلَهُ نهارًا، ثم يتوسَّعُونَ فيه، ويجري مَجرى صار يفعل كذا يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: الآية ٥٨]. ألا تَرَى أنَّ البِشارة بالأنثى تتَّفِقُ كلَّ وقتٍ من ليلٍ ونهارٍ. وقولُه «أساقِي الهَمّ» يجوز أن يريدَ به الغَمَّ، كأنَّه كان يُبَاثُّ إخوانَه وأصفياءَهُ لما كان يدور عليه أمرُ عشيرته من الخِلاف المؤدِّي إلى التَّقالي والتحزُّب، وما كان يَخافُه من التَّفاني عليهم عند التجارُب. والأُولَى في معنى الذين، والجملة التي بعدَه من صِلَتِه. وقولُه «أبُوهُمْ أبي عند المُزَاحِ وفي الجِدّ» يَجرِي مجرى التَّأكيد للأُخُوَّةِ، والتَّحقيق للتَّشابُكِ، والممازجةِ بالنِّسبة، والمعنى: على كلِّ حالٍ إذْ لا ثالِثَ لهما، ووَضَع المُزاحَ موضعَ الهَزلِ. ومثل هذا في معنى التَّأكيد، وإن كان لفظُه لفظ البدل قولهم: جاءني بَنُو تميمٍ صغيرُهم وكبيرهم، صريحُهمْ وهجينُهمْ، وما أشبَهَهُ. ويجوز أن يريدَ بالهمّ مصدرَ هَممتُ بالشيء، كأنَّه اجتمع مع إخوتِه ليوافِقَهم على رَأيٍ يَبْنُونَ أمرَهم عليه مَعَ الفساد الظاهر له بين ذَوِيه وفصيلته. ويروَى «المُزاح» بضم الميم فيكون اسمًا، والمِزاحُ بكسر الميم فيكون مصدرَ مازَحْتُ.

٦ ـ كِـلَانَـا يُـنَـادِي يـا نِـزَارُ وبـيـنـنـا قَنًا من قَنَا الخَطِّيّ أو من قَنَا الهِندِ

كِلَا اسم مفردٌ يؤكَّد به المثنَّى، كما أن كُلَّا اسم مُفرَدٌ يؤكِّدُ به المجموع. والمراد به هنا كلُّ واحدٍ منّا، لذلك قال ينادي. والمعنى: إنّ اعتزاء كلّ واحد من

طائفتينا إلى أبٍ واحد، والشَّرُّ إذا وقع بين الأقارب كان في عُقول ساداتهم أشدَّ تأثيرًا، وأبلغَ عند الاستعمال به تحذيرًا، إذْ كان مُفاسَدةُ النَّسيبِ لنَسِيبِه أَفظعَ، وكان التَّقاطع حيث يجب التَّواصل أشنَعَ، لأنَّ عِزَّ السَّيِّد بتابِعيه، وليس الأقارب منهم كالأجانب. وقوله «وبَيْنَنا قَنًا من قنا الخطِّيّ» الواو واو الحال، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المُضافَ إليه مَقامَه. والمراد: وبيننا اختلافُ قَنًا خَطِّيَّةٍ بالطَّعْنِ، أي بَلَغَ جَهْدُ البلاءِ بينهم هذا المبلغَ وانتهى إلى هذه الحالة. وقال «من قنا الخَطِّيّ» والمرادُ من قَنَا الموضع الخَطِّيّ أو المكان، فأقام الصِّفةَ مقامَ الموصوف. يدلُّ على هذا أنّه قال بعدَهُ «أو مِن قَنا الهِنْد». ويجب أن يكونَ القنا الأوّل وإن كان جمعَ قَناةٍ مُتَناوِلًا لما هو أقلُّ مما يتناولُه القَنا الثاني حتى يحصُلَ معنى التبعيض بِمِنْ. والخَطُّ: جزيرةُ عُمَان. ويقال في الرِّماح هي الخطيَّةُ، كأنّه اسمٌ لها.

٧ ـ قُرُومٌ تَسَامَى من نِزَارٍ عَلَيْهِمُ مُضَاعَفَةٌ من نَسْجِ داوُدَ والسُّغْدِ

القُرُوم في الأصل: الفُحُول المَصاعبُ التي أُعفِيتْ من الحَمل عليها وتُرِكَت للفِحلةِ. ويقال: أقرَمْتُ البعير فاستَقرمَ. وعنى بها هٰهنا الأبطالَ الكِرام. وتَسامَى، أي تَتَعالى في التَّباري والتَّمارِي. والأصْلُ في تَسَامَى تَتَسَامَى فحُذِفَ إحْدَى التاءَينِ استثقالًا لاجتماعِهما. وقوله «من نِزَارٍ» في موضع الصِّفةِ لقُروم، والتقديرُ قرومٌ نزاريَّةٌ تَتَسَامَى، وقوله «عليهم مضاعَفَةٌ» في موضع الحال والعاملُ فيه تَسَامَى. ومعنَى المُضاعَفةِ: التي نُسِجت حَلْقتين حَلْقتين. و«من نَسْجِ داوُدَ» في موضع الصِّفة للمُضاعَفةِ، أراد مضاعَفَةً داوُدية وسُغْدِيَّةً. وارتَفَعَ مُضاعَفَةٌ بالظَّرفِ في المذهبين جميعًا لوقوع الظرف في موضع الصفة. ومثْلُهُ من مسائل الكتابِ: مررتُ برجُلٍ مَعَهُ صَقرٌ صائِدًا به غدًا[١].

٨ ـ إذا ما حَمَلْنَا حَمْلَةً ثَبَتُوا لنا بمرهَفَةٍ تُذرِي السَّوَاعِدَ من صُعُدِ[٢]

٩ ـ وإنْ نَحنُ نازَلْنَاهُمُ بصَوارِمٍ رَدَوْا في سَرابيلِ الحديدِ كما نَرْدِي

أمَّا البيت الأوّل فقد ألَمّ فيه بمعنى قولِ الآخر: [الطويل]

فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدانُه أن تُكَسَّرَا[٣]

---

(١) انظر الكتاب ١ : ٢٤١. (٢) التبريزي: «مثلوا لنا».

(٣) لزفر بن الحارث في الحماسية رقم (٢٨).

والمزْهَفَةُ: السُّيُوفُ المُرَقَّقَة الحدّ، وسيفٌ رهيفٌ، وقد رَهُفَ رَهافَةً. ومعنى تذْرِي تُسْقِطُ، وهو في موضع الصِّفَة لمُزْهَفةٍ. ومعنى «مِنْ صُعْدٍ» من أعْلَى. وهذا كما قال غيره: [الرجز]

يُذْرِي بإرعَاشٍ يَمينَ المُؤْتَلِي خُضْمَّةَ الذِّراعِ هَذَّ المُخْتَلِي[1]

وقولُه «وإن نحن نازلناهم» فالنُّزال يأتونَ به ويركبُونَه في المَضايق حيث لا يَتّسع المجال للخَيْل، وإذا كان كذلك فالبيت الأوّل من صفة الفُرسان، والثاني من نعتِ الرَّجّالةِ. وقوله «رَدَوْا في سرابيل الحديدِ كَمَا نَرْدِي»، الرَّدَيَان في الأصْلِ عَدْو الحمار بين آرِيِّه ومُتَمَعَّكِهِ، ولم يَقْصِدْ تفضيلًا لأحد الفريقين على الآخر إمَّا لقَصْدِهِ إلى الإنصاف في اقتصاص ما يَجْرِي من الأحوال، وإمّا لأنّ الفرقتين كانتا من أصلٍ واحِدٍ جَعَلهُما على سَواءٍ من البَلاءِ.

١٠ ـ كَفَى حَزَنًا ألَا أزالَ أرَى القَنا يَمُجُّ نَجِيعًا من ذِرَاعِي ومن عَضُدِي

لَكَ أن تَرْفَع «أزالُ» على أن يكون أنْ مُخَفَّفَةً من الثقيلة، والمُرادُ أنّي لا أزال. ولك أن تَنصبَهُ على أن يكونَ أنْ هي النّاصبة للفِعل. ومَوْضِعُ أنْ لا أزَالَ على الوجهين جميعًا رَفْعٌ بكفَى. وحَزَنًا انْتَصَبَ على التمييز. والمعنى: كَفَى من حَزَنٍ أنّي لا أزال أرى الرِّماحَ تَصُبُّ دَمًا من ذِراعي ومن عَضُدِي، أي مِن قَومٍ بهم أبْطِشُ وأعتَزُّ، فَهُمْ منّي بمنزلة الذِّراعِ والعَضُد. وهذا في الاستعارة لمَنْ يَقْوَى به الرَّجُلُ ويَعتَضِدُ أبْلَغُ وأشبَع وإنْ تَساوَتْ الطريقتان ـ من قول الآخر: [الوافر]

فإنْ أكُ قَدْ بَرَدتُ بِهِمْ غَليلي فَلَمْ أقْطَعْ بِهِمْ إلّا بَنَانِي[2]

وقد قيل «أَخُ الرَّجُلِ عَضُدُه». والمَجُّ: إخراجُ الماء من الفم، وتوسَّعُوا فقالوا للمَطَر: هو مُجاجُ السَّحابِ. والنَّجِيعُ: دمُ الجوف. ويقال: تَنَجَّعَ الرَّجُل، إذا تلطَّخَ به.

١١ ـ لَعَمْرِي لَئِنْ رُمْتُ الخُروجَ عَلَيهِمُ بِقَيسٍ عَلَى قَيسٍ وعَوْفٍ عَلَى سَعْدِ

١٢ ـ وضَيَّعْتُ عَمْرًا والرِّبَابَ ودارِمًا وعَدْوَانَ وَدٍّ كَيفَ أصْبِرُ عن وَدِّ[3]

(١) للعجاج في ديوانه ١: ٣١٠، واللسان (رعس، وخضم).
(٢) لقيس بن زهير في الحماسية رقم (٤٤).
(٣) التبريزي: «وعمرو بن أدّ كيف أصبر عن ودّ».

١٣ ـ لَكُنْتُ كمُهْرِيقِ الَّذِي في سِقَائِهِ   لِرَقْرَاقِ آلٍ فَوْقَ رابِيَةِ صَلْدِ

نَبَّهَ بهذا الكلام على قُرب القَرابةِ بينهم، وتأكُّد الالتحام فيهم، وأنّ تَمازُجَ الأنساب، وتواشُجَ الأسباب، يُوجِبان أنّ طوائفَ هؤلاءِ الجموعِ كطوائف تلك، فإنْ أخذ يطلبُ الخروج عليهم، والنِّكاية فيهم، احتاج أن يخرُج بقيسٍ على قيس، وبسَعْدٍ على سعد، لأنّ عوْفًا هو ابن سعد. واحتاج أن يُراغِمَ عَمْرًا والرِّبابَ ودارِمًا وَوَدًّا، وأن يضيِّع حظوظَهم وحقوقَهم، ويُفِيتَ نفسَه وذَوِيه مأمولَ الخيرِ من جهتهم، والتكثُّرِ والتعزُّز بمكانهم، وذلك أيسرُ نتائج التَّقاطع والتدابر، والتنازُع والتنابذ، والتجاذُب والتحارُب؛ هذا إلى ما فيه من مجانَبةِ الرَّشاد، والتباعُد في طُرق الضلال والفَساد. وقوله «كيف أصبِرُ عن وَدٍّ» هو الذي يُسمِّيه النُّقادُ والبُصَراءُ بِصنعةِ الشِّعر وتمييز البديع فيه «الالتفات». كأنه لمّا ذَكر وَدًّا والخلافَ عليه، ونفْضَ اليدِ مما يجمعه وإيّاه، وكشْفَ الرَّأسِ بالمُعاداةِ معه، رَقَّ للرَّحمِ قلبُه، وضاق بالحال المتصوَّرةِ، صدرُه، والتفتَ إلى من بحضرتِه فقال: كيف يكون صبري عن مِثلِه. ثم أخذ يمثل نفسَه فيما يأتيه، ويصوِّر نفسه إن أخذ فيه، فقال: لَعَمْرِي إنّ صورتي إذا ركبتُ هذه الخُطّةَ مَعَهم، ومَثَلي فيما أختارُه من مُفاسَدةِ الأقارب مع هذا التحقُّق والتَّداني، والاستنامة إلى آمالٍ متخيَّلةٍ في الأجانب، مَثَلُ رجل قد أعَدَّ ماءَ فَمِه لوقتِ حاجتِه، وهو في مَفازةٍ متنائيةِ الأرجاء، فترقرقَ له السَّراب من مكان يُتوصَّل إليه بمشقَّةٍ تُتكلَّف، وزيادةِ تَعبٍ تُتجشَّم، فَصَبَّ ما قد استَصْحَبَه من الماء، وتَيقَّن النَّجاةَ به، اغترارًا بما تَراءَى له وتَظَنّاه، وهو لا يَدري هل يقدِرُ على الوصول إليه، وإذا جاءَه هل يَجد له حقيقةً أوْ لا. وقد ضَرب الله المَثل بالسَّراب لأعمال الكُفّار واغترارِهم بها فقال: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: الآية ٣٩]. والرابيَةُ: المكان المرتفع. والصَّلْد: الصُّلب الذي لا يُنبِتُ شيئًا. والرَّقْراق: ما تَرقرَقَ فيما يَتَخيَّل للعين ولَمَع، ويوصَفُ به الدَّمْعُ والماء والجارية الرائقة. يدُلّ على ذلك قولُه:

رَقَارِقَ لا زُرْقَ العُيونِ ولا رُمْدَا

ولامرىء القَيْس يصف الدمع: [المتقارب]

أو الدُّرّ رَقْراقُه المُنْحَدِرْ[1]

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ٧٩ (الأعلمي) وصدره:

وقوله «لكنتُ كمُهريق الذي» جواب القَسَم، وبعضُهم روَاه: «فكنتُ كمُهريقٍ» وعلى هذا يكون الجواب محذوفًا. وقد حَمَلَ الكلام على المعنى لظُهورِ المراد منه دون اللَّفظ، والأوّل أكشَفُ.

١٤ ـ كمُرْضِعَةٍ أوْلادَ أُخرَى وضَيَّعَتْ　　بَنِي بَطْنِها هذا الضَّلَالُ عن القَصْدِ

يجوز أن يكونَ المُرْضِعةُ امرأةً فعَلَت ذلك فضُرِبَ المثلُ بهذا، ويَشهدُ لذلك قولُ الآخر: [الطويل]

كمُرْضِعَةٍ أولادَ أُخرى وضَيَّعَت　　بَنِيها فلم تَرْقَعْ بذلك مَرْقَعًا[١]

ويقال: النَّعامُ تفعل ذلك لسوء هدايتها، فتترُك الواحدةُ منها بيضَ نفسِها وتَسُومُ في المَرْعى، فإذا أرادت العَودَ إليها لم تَهْتد، فتَجْثِمُ على بيض غيرِها. ويَشهد لهذا الوجه قولُ الآخر[٢]: [المتقارب]

فإنّي وتَرْكِي نَدَى الأكرَمِينَ　　وقَدْحِي بكَفَّيَ زَنْدًا شَحَاحَا
كتارِكةٍ بَيْضَها بالعَرَاءِ　　ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَا

وقوله «هذا الضَّلالُ عن القصد» يَجرِي مجرى قوله «كيف أَصْبِرِ عن وَدّ»[٣]، في أنه من باب الالتفات. ومثلهما قول جرير: [الوافر]

مَتَى كان الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ　　سُقِيتِ الغَيْثَ أيَّتُها الْخِيَامُ[٤]

والشاعر لم يُقْنعه التشبيه الأوّلُ ولم يكتَفِ به، لأنّ الثاني أدَلُّ على الحال فيما يرومُ تصويرَه، وأشبَهُ بقصَّتِه، إذا فعل فَعْلَته. والقَصْد: الطريق المستقيم، وهو المقصود.

١٥ ـ فأوصِيكُمَا يا ابْنَي نِزَارٍ فَتَابِعَا　　وَصِيَّةَ مُفْضِي النُّصْحِ والصِّدْقِ والوُدِّ

١٦ ـ فلا تَعْلَمَنّ الحَرْبَ في الهَامِ هَامَتِي　　ولا تَرْمِيَا بالنَّبْلِ ويحَكُمَا بَعْدِي

= «فأسبل دمعي كفضّ الجُمانِ»

(١) لابن جذل الطعان الكناني في الحيوان ١: ١٩٧، وحماسة البحتري ١٧٠.
(٢) لابن هرمة في الحيوان ١: ١٩٩، والتبريزي ١: ٤٩٢، وثمار القلوب ٣٥٣.
(٣) ورد في البيت (١٢) من هذه الحماسية.
(٤) لجرير في ديوانه ٢٧٨، والأغاني ٢: ١٧٩، والجنى الداني ١٧٤، وخزانة الأدب ٩: ١٢١.

جَعلَ وَصَاتَهُ شاملةً لقبائل ربيعةَ ومُضَر، وهما ابنا نزار بن مُعَدٍّ، فيقول: أبْذُل نُصْحِي لكم، وأبسطُ وصِيَّتِي إيّاكم فيكم، فتابعوها واعملوا بحسَبِها، فإنَّها ممحوضَةٌ لكم عن قَلْبِ رجلٍ سليمِ الغَيبِ، نقيّ الجَيْب، صائب الرّأي، صادِق الوُدّ. وقولُه «مُفْضِي النُّصْحِ» أي واصِلٍ نُصْحُهُ إليكم، وصائر في فَضَاءٍ وسَعَةٍ. والمعنى انكشافُه وخُلُوصُه. وفي القرآن: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النّساء: الآية ٢١]. وقولُه «فلا تعلمَنَّ الحَرْبَ في الهام هَامَتِي» هذا صريحُ الوصيّةِ التي دعا إليها، وسامَهُم ارتسامها وحِفظَها. وجَعلَ النَّهيَ لهامتِه، والمُخاطَبون هم المنهِيُّون، فهو كقولك: لا أرينَّك هٰهنا، والمُراد لا تكن هٰهنا فأراك. وتحقيق قوله «فلا تَعْلَمَنّ الحَرْبَ في الهام هامَتِي» لا تتحاربوا بعدِي فتَعلَمَ هامتِي بين الهام الحربَ بينَكُم، أي عليكم بالتّواصُل والتّعاضُد، وإيّاكم والتقاطُعَ والتّدابر، فإنَّ ذلك يؤدّي ضَعفكُم، واجتراءِ الخَصم عليكم، إن لم يُؤَدِّ إلى التّفاني والتّهالُك. وكانت العرب تقول: إن عِظامَ الموتَى تَصيرُ هامًا فتطيرُ وتتنسَّم أخبار الأحياء. وقوله «ولا تَرْمِيَا بالنَّبْلِ ويَحكُمَا بَعْدِي»، يقول: دعوا التّفاخُر والتنافُر، والتّجاذُب والتّحارُب، فإنّ ذلك من آكَدِ أسباب التّقالي والتهاجُر. وهم يجعلون المُناضَلة مَثلًا للمُفاخرةِ، على هذا قولُ لبيد: [الرمل]

فـانـتَـضَـلْـنـا وابـنُ سَـلْـمَـى قـاعِـدٌ كـعَـتـيـقِ الـطَّـيْـرِ يُـغْـضِـي ويُـجَـلّ[(١)]

ثم قال:

فَـرَمَـيْـتُ الـقَـوْمَ رِشْـقًـا صَـائـبًـا لَيسَ بـالـعُـصْـلِ ولا بـالـمُـفْـتَـعَـلْ[(٢)]

١٧ ـ أَمَا تَرْهَبَانِ النَّارَ في ابنَيْ أبيكـمـا ولا تَـرْجُـوَانِ اللهَ فـي جَـنَّـةِ الْخُـلْدِ

١٨ ـ فَمَا تُرْبُ أثرَى لو جَمعْتَ تُرَابَهَا بـأَكْـثَـرَ مـن ابْـنَـيْ نِـزَارٍ عـلى الـعَـدّ

١٩ ـ هُمَا كَتِفَا الأرضِ اللّذَا لو تَزَعزَعَا تَـزَعْـزَعَ ما بَيْـنَ الْجَنُوبِ إلى الـسُّـدّ

ذَكَّرهُم بما في صلة الرَّحِم من الأجرِ، وبما في قطيعته من الإثم، فأخذَ يُرغِّبُهُم ويُحَذِّرُهم، فيقولُ: أمَا تخافُونَ أن يحِقّ عليكم العَذابُ إذا استَهنتُم بالوعيدِ الوارد في القَطيعة واستعمالِ البَغي، وتَعَرَّضْتُم لسَخَطِ الله عزّ وجلّ في تجاوُزِ مأمورِه، وأما تَرْجُونِ أن يحلّ الثّوابُ الكريم في الصِّلَةِ واستعطاف أولي المحارِم والقُرْبَةِ، إذا رَعَيْتُم

(١) للبيد في ديوانه ١٩٥، واللسان (عتق، نضل، جلا).
(٢) ديوانه ١٩٤، واللسان (روق، عصل، فعل، رقم).

أمرَه، والتزمتم حَتمَهُ، واستنجزتُم مَوعودَه. وإنّما أخرجَ الخِطابَ بلفظ التثنية، وإن كان الوعظُ مُتوَجِّها إلى جميعهم، لأنّه قال «فأُوصيكُما» يا ابنَيْ نِزارٍ».

وقولُه «فما تُربُ أَثرَى» أثرى والثَّرَى يُجعلان اسمين للأرض، إلّا أنّ أثرى جُعِل كالعلَم لها، ولذلك لم يُصْرَف. والثَّرى: النَّدَى. وفي المَثَل «التَقَى الثَّريانِ»[1]. وفُسِّرَ قوله «وما تحت الثَّرى» على ما تحت الأرض. ويُقال: ثَرَى ثَرِيٌّ، فَيرادُ به التُّراب النَدِيُّ. وفي الاستكثار قيل: هم أَكْثَرُ من الثَّرَى. والشَّاعر وَصفَ ابنَي نِزارٍ بالكثرة، لأنّ فيها العزَّ والغَلبة، ثم لم يَرْضَ بذلك حتَّى قال «هُمَا كنفَا الأرض». ومعنى «لو جَمَعْتَ تُرَابَهَا» لو أَحطتَ علمًا به وضَبطتَه. ومعنى «بأكْثَرَ منْ اِبنَيْ نِزَارٍ على العَدّ» بأكثر منهما معدودَين؛ فموضِع على العَدّ موضع الحال. وقَطَع هَمزةَ ابنَيْ نزارٍ ضرورةً، كما قال الآخر: [الطويل]

إذَا جـاوز الإثْـنَـيْـنِ سِـرٌّ فـإنَّـهُ بـنَـثٍّ وإكْـثـار الـوُشـاةِ قَـمـيـنُ[2]

ويركبون هذه الضَّرورةَ في الأكثر الأعمِّ إذا كانت الألِفُ في اسمٍ، وذلك أنَّ أَلِفات الوصل بابُها الأفعال دون الأسماء حتَّى يُمْكِنُ حَصْرُها إذا لم تَكن في مصدرٍ، فإذا كان كذلك فالمعتادُ في أَلِفات الأسماء القطْع، فَعلَى ذلك يُستحسَنُ قَطعها فيها، وإن كانت في الوصل للضَّرورة.

وقولُه «هما كَنفَا الأرض» فالكَنَفُ: الجانبُ والنَّاحيةُ. ومنه تكَنَّفَهُ بَنُو فلانٍ. والمعنى أنّهم مُحْدِقون بالأرض. وقولُه «اللَّذَا لو تَزَعْزَعَا» حذف النون استطالةً للاسم بصلتِهِ. وعلى هذا قَوْلُه: [الكامل]

أَبنِـي كُـلَيْـبٍ إنَّ عَـمَّـيَّ الـلَّذَا قَتَلَا المُلُوكَ وفَكَّكَا الأغلَالا[3]

والزَّعْزعةُ: التحريك، ومنها ريحٌ زَعْزاعٌ، وقولُه «ما بين الجَنُوبِ إلى السُّدّ» يريدُ ما بين مَهَبِّ الجَنُوبِ إلى سدِّ يأجوج. ويقال: سَدٌّ وسُدٌّ لُغتان، وقيل السَّدُّ ما يفعله الآدميّون، والسُّدُّ بالضم ما لا صُنْعَ للآدمي فيه. ومُراد الشّاعر أن مِسَاكَ الأرض وجوانبها بابْنَيْ نزارٍ، فإن تزعزعا تزلزلت الأرض. وهذا الكلامُ نهايةٌ في بابه.

---

(١) ذكره في اللسان (ثرا): «وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هو وندى الأرض».

(٢) لقيس بن الخطيم في ديوانه ٢٨، واللسان (نثث).

(٣) للأخطل في ديوانه ٤٤، والخزانة ٢: ٤٩٩.

٢٠ ـ وإنّي وإن عَادَيْتُهُمْ وجَفَوْتُهُمْ لَتألَمُ مما عَضَّ أكبادَهم كَبْدِي

٢١ ـ لأنَّ أبِي عِنْدَ الحفاظِ أبوهُمُ وخالُهُمُ خالي وجَدُّهُمُ جَدِّي[١]

يقولُ: أنا وإن كنتُ متنكِّرًا لهم مُستجفِيًا، وجافيًا مَعَهم معاديًا، ومتحامِلًا عليهم مُناصِبًا، فللعلائق الجامعة بيني وبينهم، والأواصرِ العاطفةِ ضميري عليهم، ولأنّي أرى أطرَافي من السَّبَب والنَّسب تَظاَرُني وتَأبى إلَّا التَّحَنُّن لهم، وتضُمّني فتمنع من الانحراف عنهم ـ يَسوؤني ما يَسُوؤُهم، وأشتكي لشكواهم، وأتألَّم مما ينالُهُم، وبحسب ذلك أختارُ لهم ما أختارُه لنفسي، وأريد بهم ما أريدُ بمن لا يَتميَّزُ عنّي، فذلك هو الذي يَدعُوني إلى استصلاحِهم، والوَصاةِ بِما يُؤدِّي إلى مصالحتِهم، فِعْلَ الأمسِّ سُهْمَةً، والأخَصّ نُسبَةً. وكيف لا أكون كذلك، وإذا حافَظْنا الحُقوق، وراعَينا الوسائل والحظوظ تَناسَقَتِ الأُبوَّة بيننا والأمومة، وتلاحَظت البُنُوَّة والأُخُوَّة.

٢٥٠ ـ وقالت عاتكةُ بنتُ عبد المطَّلِب[٢]: [مرفّل الكامل]

١ ـ سائِلْ بنا في قَوْمِنا ولْيَكْفِ من شَرٍّ سَمَاعُهْ

٢ ـ قَيْسًا وما جَمَعُوا لنا في مَجْمَعٍ باقٍ شَنَاعُهْ

هذه الأبيات تناسب ما قبلها وتؤدِّي إلى مِثْل مؤدّاها، لذلك قالت «سائلْ بنا في قومنا» لأنّ ما تألَّمَتْ منه كان في عشيرتها وذويها، وكأنّ الخَطْبَ كان عظيمًا، والشرَّ كان مُستفحِلًا شديدًا، فأخذت تَبْعث على التَّسآلِ عنهم في قومهم، إذ كان البلاءُ لم يَعْدُهم. ويجوز أن يُريد: سائلْ بنا وعن حالِنا فيما بين قومِنا، كأنّه يَدَّعِي أنّ لهم شأنًا في قومهم ليس لغيرهم. وقولها «وليكْف من شرٍّ سماعُه» توجُّعُ مما نالهم، واستفظاعٌ لما أَجرَوا إليه فيما أداروا أنفسَهم عليه. وظاهِر لفظ الأمر للسَّماع، وهو في الحقيقة للمخاطَب، لأنّ المراد: واكتَفِ إذا سألْتَ من الشرِّ بالسَّماع دون العِيان، فهو في باب الأمر ـ أعْنِي ليَكْفِ ـ كقولهم في باب النَّهي: لا أَرَيَنَّكَ هٰهنا، إذ كان المراد: لا تكن هٰهنا فأراك. فإن قيل: لِمَ نَكَّر قولَه من شرٍّ، والذي يومِىءُ إليه يجب أن يكون معروفًا مشهورًا؟ قلت: إنّ فائدة المُنَكَّرِ مثل فائدة المعرَّف في مثل هذا المكان، ألا

---

(١) التبريزي: «فإن أبي». وبعده عند التبريزي:

«رماحُهُمُ في الطول مثلُ رماحنا وهم مثلُنا قدَّ السيورِ من الجلدِ»

(٢) عاتكة بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ. ترجمتها في الإصابة تر (٦٩٥) قسم النساء.

تَرَى أنّكَ تقول: فلانٌ يَلبسُ خَزًّا وقَزًّا، والخزَّ والقزَّ، فلا يختلف المفهوم منهما؟ وقوله «قَيْسًا وما جَمَعُوا لنا» انتَصَب قيسًا على إضمار فِعلٍ، كأنه قال: سائل قيسًا والجيش الذي جَمَعوه لنا في مَحْفِلِ أخبارُه تُتحمّل وتُنشَر على مَرِّ الأحقاب والأيّام، وشناعتُه تُستفظَع وتُذكر في المَشاهِد والأقوام. والشَّنَعُ والشَّناعةُ والشَّناع والشُّنُوع: قُبح الشيء الذي يطيرُ خبرُه ويَغلو. ومنه شَنَعَ النَّجم، إذا ارتَفَع في السماء. والشَّنَاعُ: الناقة الخفيفة. وتشنَّعَت: تَشمَّرت في السَّير وجَدَّت. وإنما قالت «وما جَمَعوا لنا» لأنها أشارت بما إلى الجِنس. ويجوز أن تريد: والذي جَمَعوا من أنواع المَلَامات والجرائم. وإذا فَسَدَ ذاتُ البَيْن من قومٍ أخَذوا يَتجرّمون ويعدِّدون ما لا يكونُ جِنايةً جِناية.

٣ ـ فيه السَّنَوَّرُ والقَنَا والكَبْشُ مُلْتَمِعًا قِناعُهْ[1]

أشار بقوله «فيه السَّنَوَّر» إلى ما اشتمَل عليه ذلك المَشهدُ من العَدَد والعُدّة. وموضع «فيه السَّنَوَّر» من الإعراب جَرٌّ على أنه صفةٌ لمَجْمَعٍ. والمراد بالسَّنَوَّر والقنا والكَبْش أجناسُها. والسَّنَوَّر: الدِّرع، وقيل هو جماعة الأسلحة والكَبْش: الرئيس. ومعنى «مُلتمِعًا قِناعُه» بارِقًا، أي عليهم البَيضُ. وانتَصَب ملتمِعًا على الحال. ويجوز أن يُنْوَى الاستئنافُ بقولِه «والكَبْشُ»، وحينئذٍ يُروَى «ملتمِعٌ» بالرَّفع، فيكونُ خبرًا عنه، وموضع الْجُملة يكونُ نَصْبًا على الحال، وقد سُمِّيَت البَيضةُ يَلْمَعًا لبريقهِ، كما سُمِّيَ السَّرابُ يَلْمَعًا. وفي المثل السائر «أَكْذَبُ مَن يَلْمَع».

٤ ـ بعُكَاظَ يُغشِي الناظِريـ ـنَ إذا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعُهْ

٥ ـ فيه قَتَلْنا مالِكًا قَسْرًا وأَسْلَمَهُ رَعَاعُهْ

٦ ـ ومُجَدَّلًا غادَرْنَهُ بالْقاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاعُهْ

قوله «بعُكَاظَ» الباءُ منه تَعَلَّقَ بقولهِ في مَجْمَعٍ، ويجوز أن يتعلَّقَ بمُلتمِعًا. وشُعاعُه يرتَفِع بيُغشِي، والضميرُ منهُ يجوز أن يعودَ إلى عُكاظَ لكوْنِ الشُّعاعِ به، ويجوز أن يعودَ إلى القِناع لأنّ اللمعانَ له. ويقالُ: أَشَعَّت الشمسُ، أي انتَشَر شُعاعُها. ويقالُ: لَمَحَهُ ببَصَرِه ولمَحَ البصرُ، ولمَحَ البَرْقُ، وبرقٌ لَمَّاحٌ. وقولها «فيه قَتَلنا مالِكًا» الضميرُ يعود إلى المَجْمَع، ويجوز أن يعودَ إلى عُكَاظ. ومعنى قَتَلناه

---

(١) التبريزي: «ملتمعٌ».

قَسْرًا، أي قَصْدًا، لا اتِّفاقًا. والقَسْرُ: القَهْر على كُرْهٍ. ويقالُ: قَسَرْتُه واقتسرتُه. وقولها «وأَسْلَمَهُ رَعاعُه»، إشارةٌ إلى لفائفَ انضمُّوا إليه فخذَلوه ولم يَفُوا له. والرَّعاعُ: سَفِلَةُ الناس وسُقَّاطُهم. وقال الخليل: الرَّعَاعةُ: الرَّجُل الذي لا فؤادَ له، ومنه رَعَاعُ الناس. و«مُجَدَّلًا» انتَصَب بفعلٍ ما بعدَه تفسيرُه، كأنَّه قال: وغادَرْنَ مُجَدَّلًا غادَرْنَه. والضميرُ في الفِعْل للخَيْل. والمُجَدَّل: المصروع على الجَدَالةِ، وهي الأرض. والقاعُ: المُستَوِي من الأرض. وموضع «تَنْهَسُه» نَصْب على الحال، والعامل فيه غادرن. والنَّهس: أَخْذُ الشيء بمقدَّم فيك. ويُروَى: «تَنْهَشُه» بالشين معجمةً. وكان **الأصمعيُّ** يقول: النَّهْسُ والنَّهش سواءٌ، وهو أَخْذ اللَّحم بالفم. وخالفه أبو زيدٍ فقال: النَّهس بالسّين أَخْذُك الشيء بمقدَّم فَمِكَ. والضميرُ في قولِهِ «ضباعُه» يعودُ إلى القاع.

٢٥١ ـ وقال عبد القَيس بن خُفَاف[1] أحد بني حنظلة بن مالك، البُرجُميّ:

[المتقارب]

١ ـ صَحَوْتُ وزايَلَنِي باطِلِي   لَعَمْرُ أَبِيكَ زِيَالًا طَوِيلا

يقولُ: وبَقاءِ أبيكَ لقد أَفَقْتُ من سُكْر البَطَالةِ، وفارَقَني ما كنتُ أتعاطاه من الصِّبَا والجَهالة، فِراقًا ممتدًّا لا ينقطع بمُعاوَدةٍ تَعْرِضُ دُونَه، أو بمواصَلةٍ تُبطلُه وتُزِيلُه. فإن قيل: كيف وَصَفَ الزِّيالَ بالطُّول؟ قلتَ: الطول في الحقيقة لوقتِ الزِّيال لا لَهُ، لكنَّهُ وَصَفه به على طريق التوسُّع. وهم يستعملون الطُّولَ والعَرض على ضَرْبين: أحدهما في المُجَسَّمات، وذلك وصْفٌ لذهابها في الجهتين. والثاني أن يرادَ بهما الاتساع للشيء، أو امتدادُ الوقتِ به. وهذا الوجه قد يُستعمل في المُجَسَّم وغير المُجَسم. وأكثرُ ما يُستعمل منه العَرض من دون الطُّول. على هذا قولُهم: نِعمةٌ عريضةٌ وجاهٌ عريض. وقال الله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٣] وقال: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فُصّلَت: الآية ٥١]. وربما جَمَعوا بينهما فقد قالوا: عِشْنا زَمنًا طويلًا عريضًا. والدَّهرُ العريضُ الطويلُ، يراد به الكمالُ

---

(١) عبد القيس بن خفاف: شاعر جاهلي من شعراء المفضليات، وذكر له الأصفهاني في الأغاني ٧: ١٤٥ قصة في أنه حمل دماء عن قومه فأسلموه فيها وأنه أتى حاتمًا الطائي ومدحه. والقصة في أمالي القالي ٣: ٢١، ومعجم المرزباني ٣٢٥.

والاتساع، وقد قال كُثَيِّر: [الوافر]

بِطَاحِيٌّ لَهُ نَسَبٌ مُصَفًّى وأَخلاقٌ لها عَرْضٌ وطُولُ(١)

فهذا على التَّشبيه بالمُجسَّمَات، والقَصْدُ إلى السعة، لأنَّ الأخلاقَ تُوصَفُ بالسَّعَةِ والضِّيق. وقد عِيبَ على أبي تَمَّامٍ قولُه: [الطويل]

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ في عَرْضِ مِثْلِهِ(٢)

وقيل: جَعَلَ للزَّمانِ عَرْضًا مع أنَّه لا حاجَةَ به إليه، إذْ كانَ بِذِكْر الطول قد استوفى المعنى المقصود. وهذا من قائله ظلمٌ صريحٌ لأنَّه سَلَكَ مثلَ طريقةِ كُثَيِّرٍ من التَّشبيه بالمُجَسَّم، فكَمَا قال في الأخلاق لها عرضٌ وطولٌ، كذلك قال في الزّمان لَهُ طُولُ كذا في عَرْضِ مِثْلِهِ، ولا فَصْل. وقوله «وزَايَلَنِي بَاطِلِي» قال سيبويه: يقال زايَلْتُ بمعنى بارَحْتُ، ومنه قولهم ما زالَ يفعل كذا، لأنَّ معناهُ ما يَرِحَ، ويقالُ زالَ الشيءَ من الشيءِ يَزِيله زَيْلًا، إذا مَازَهُ منه، وزالَ الشيءُ يَزُولُ زَوَالًا، إذا فَارَقَ. وجَوَاب القَسَم مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ.

٢ ـ وَأَصْبَحْتُ لا نَزِقًا لِلّحَاءِ ولا لِلُحُومِ صَدِيقِي أَكُولَا(٣)

٣ ـ ولا سَابِقِي كَاشِحٌ نَازِحٌ بِذَحْلٍ إذا ما طَلَبْتُ الذُّحُولَا

أجْرَى أصْبَحْتُ مَجْرَى صِرْتُ. والنَّزِقُ: الطَّيَّاشُ الخفيف العَقل. ويقال: نزِقَ يَنْزَقُ نَزَقًا، ومنه نَزَّقْتُ الفَرَسَ، إذا ضَرَبْتَهُ حتى يَنْزَق واللِّحاءُ: المشاتَمَةُ. يقول: استَبْدَلْتُ من الخِفَّةِ وقَارًا؛ ومن العجلة أناة وسُكونًا، فلا يستخِفُّني النَّزَقُ لِمُلاحاة الرجال، وثَلْبِ أعراض الأصدقاء بالاغتياب. ويقال للمُغْتَاب: هو أكُولٌ لِلُحُومِ النَّاس، كالسَّبُع الضَّاري. وللنَّمَّام: هو أَضْرَبُ من مَشَى بِشَفَةٍ، من قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾ [القَلَم: الآية ١١]. وفي القرآن: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحُجرَات: الآية ١٢]. وقوله «صديقي» أراد به الكثرة لا الواحِد.

وقولُه «ولا سَابِقِي كاشِحٌ نَازِحٌ» فالكاشِحُ: العدوُّ الباطِنُ العَداوة. والنازح: البعيد الدَّار أو النَّسَب. وفي البيت يحتمل الوجهين. يقول: إذا سعيتُ في طلب

---

(١) ديوانه ص ١٦٥.

(٢) لأبي تمام في ديوانه ٢٤٤، وعجزه:

«ووجدي من هذا وهذاك أطول»

(٣) التبريزي: «فأصبحتُ».

إصابةِ الأوتار، لم يَفُتْني العدُوُّ البعيد الدار، لأنَّ المسافات لا تمنَعني عن الطَّلَبِ وإن شَقَّت وثَقُلَتْ.

٤ ـ وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدتُ لِلنَّائِباتِ عِرْضًا بَرِيئًا وَعَضْبًا صَقِيلَا
٥ ـ وَوَقْعَ لِسَانٍ كَحَدِّ السِّنانِ ورُمْحًا طَويلَ القَنَاةِ عَسُولَا

يقولُ: وصِرْتُ كما استنكفت من مَسَاوِي الأخلاقِ، وأَخَذْتُ أَتَعطَّف على مكارِمِها، أعددتُ أيضًا لحوادث الدَّهر نَفْسًا نَقيَّةً من الدَّنيَّات، رافضة للمُنكَراتِ، وسَيفًا قاطعًا مصقولًا. كأنَّهُ في وقت مساعَدَةِ الأحوالِ له وإقبالِ الزَّمان عليه، يَعلَمُ أنَّ المقدورَ كما يُعطِي يرتَجِعُ، فَيَسعَى فيما تَسلَمُ معه النَّفس ويَطِيبُ به النَّشر. وإنَّما قَرَنَ بِذِكْرِ العِرضِ المُعَدِّ أسلحتَهُ ليُرِيَ اكتفاءَه بها إذا نابَتِ النائبات، كما قال غيرُه[1]: [الطويل]

فلمَّا نَأَتْ عَنَّا العَشِيرَةُ كُلُّها أَنَخْنَا فحالَفْنَا السُّيُوفَ على الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلمتْنَا عند يومِ كريهةٍ ولا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الجُفُونَ على وِتْرِ

وقولُه «ووقْعَ لِسَانٍ» يجوز أن يكونَ من وَقَعْتُ الحديدةَ بالمِطْرقةِ، إذا ضَربْتَها؛ ومنه حافِرٌ وَقِيعٌ، إذا أثَّرَت فيه الحجارة. ويجوز أن يكُونَ من وَقَعْتُ بهم وأَوْقعْت؛ ومنه وقَعاتُ الدَّهرِ ووقائعُه. يقولُ: وأعددتُ لها لِسانًا مؤثرًا تأثيرًا شديدًا، إذا اغتَرَزَ في رِكاب القَوْلِ نافذًا حديدًا، نَفاذَ السِّنانِ. وهذا كما قال: [الرمل]

ولِسانًا صَيْرَفِيًّا صارِمًا كحُسامِ السَّيفِ ما مَسَّ قَطَعْ[2]

وقد قيل: «المَرْءُ بأصغَرَيْهِ قلبِهِ ولسانِه»[3]. وإذا تَنَقَّت الأعراضُ طالت الألسنةُ. وكانت الشُّعراء والخطباء عُدَّةً للقبائل كالرِّجال والأموال، بل كان الانتفاع بمكانِهم، والدِّفاعُ بألسنتهم أتمَّ وأكمل. وقوله «ورُمْحًا» أي وأعددتُ رُمحًا، وجعَلَه طويلَ الخَشَبَةِ لأنَّ مُستعمِلَه طويلًا أفرَسُ. والعَسُول: الشديدُ الاهتزاز؛ ومنه عَسَلانُ الذِّئب، وقولهم: عَسَلَ الدَّليلُ في الطَّريق.

---

(١) ليحيىٰ بن منصور الحنفي في الحماسية رقم (١٠٨).
(٢) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في ديوانه ٣٤، واللسان (صرف)، وشرح اختيارات المفضل ٩١٧، وتاج العروس (صرف).
(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ٢: ٤٠٩.

٦ ـ وسابِغَةً من جِيَادِ الدُّروعِ تَسْمَعُ للسيفِ فيها صَلِيلَا
٧ ـ كَمَتْنِ الغَدِيرِ زَهَتْهُ الدَّبُورُ يَجُرُّ المُدَجَّجَ منها فُضُولَا

يقول: وأعددتُ لها أيضًا دِرعًا واسعةً من خيْر أجناسِها، يَنْبُو عنها السيف فلا يَعملُ فيها، لاستحكامِها وجَوْدةِ سَرْدِها، إلّا ما تَسمَعُ من صليلها عند إصابتِها به، صافيةً كأنها صَفحةُ الماءِ من غديرٍ هَبَّت عليه ريحُ الدَّبُور، فحرَّكتْهُ واستخَفَّته، فصار على ظواهِرِه حَبَابٌ يتدافَع. وإذا لَبِسها المتدجِّجُ في السِّلاح، المستعدُّ للكِفاح، فَضَلَ عنه منها فواضِلُ يُجَرِّرُها. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

تُغَشِّي بَنَانَ المَرْءِ والكَفَّ والقَدَم[١]

والقَصْدُ في هذا إلى صفةِ الدِّرع وجودتِها. ولو قَصَدَ مَدْحَ لابِسِها لكان يجعلها صِدَارًا أو بَدَنة. على أن كُثَيِّرًا لما أنشد عبد الملك قولَه فيه: [الطويل]

على ابنِ أَبي العاصي دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجادَ المُسَدِّي سَرْدَها وأَذَالَها[٢]

قال له: قولُ الأعشى لقيس بن معديكرِبَ أحسنُ من قولك: [الكامل]

وإذا تَجِيءُ كتيبةٌ ملمومةٌ خَرساءُ يَخْشَى الذّائدُون نِهالَها
كنتَ المُقَدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ بالسيفِ تَضرِبُ مُعْلِمًا أَبطالَها

فقال كثيِّر: يا أمير المؤمنين وصفتُك بالحزم، ووصَف الأعشى صاحبَهُ بالخُرْق.

ولقائلٍ أن يقول: إنّ المُبالَغَة في الشِّعر أحسنُ من الاقتصاد، والأعشى أعطَى المبالغة حَقَّها، فهو أعذَرُ، وطريقتُهُ أَسْلَم.

٢٥٢ ـ وقالت امرأةٌ من بني عامِرٍ[٣]: [الطويل]

١ ـ وحَرْبٍ يَضِجُّ القومُ من نَفَيَانِها ضَجِيجَ الْجِمَالِ الْجِلَّةِ الدَّبِرَاتِ

انعطَفَ قوله «وحَرْبٍ» على مجرورٍ تَقَدَّمَه، وليس على إضمار رُبَّ، بدِلالةِ قولِها «سَيَتْرُكُها قومٌ». كأنّه غَلَبَ على ظنِّها لما رأت من أماراتِ الشرِّ بين قومِها

---

(١) هذا عجز بيت لراشد بن شهاب اليشكري في المفضلية رقم (٨٦)، وصدره:
«مضاعفة جدلاء أو حطميّة»

(٢) البيت في ديوانه ١٥٠.

(٣) التبريزي: «وقال أبو رياش: هي من بني قُشير». والأبيات في أشعار النساء ص ٨٣.

باستعمالهم البَغْيَ، واستيطائهم الظُّلم، واستبدالهم بالتَّحابّ تباغُضًا وبالتَّعاطُف تَدابُرًا، وبالتَّناصُر تخاذُلًا، وهم من جُرْثومةٍ واحدةٍ، أنّه سيَحْدُثُ في مُؤتَنَف الأحوال منهم أحداثٌ، وتَظهر على مرور الأيام لدواعي الهُلكِ آياتٌ من كذا وكذا، وحَرْبٍ يتشاكَوْن من اشتمالها لهم، وتَناوُلِها بالمشارَكةِ مَنْ عِداهم معهم، وتجاوز القُرَباءَ بعد ذلك إلى البُعَداء فيهم. وهذا المعنى اقتضاه قوله «من نَفَيانِها» لأنّ أصلَهُ أن يُستعمَل فيما يتطاير من القَطْرِ عند سَيَلانِ الماء من أعلَى إلى أسفَل في جوانبِ المَصَبِّ، فَشَبَّهَ ما يتدافع وينتشِرُ من أَذَى الحربِ في جوانب القومِ به. والجِلّةُ: المَسَانُّ من الإبِل. وتَعني التي مع السِّنّ أَضرَّ بها الكَدُّ، وجَهَدَها الاستعمال، وأزمَنَها الدَّبَرُ، فقالت: تَضِجُّ العَشيرةُ لما يقاسُونَه من هذا الحرب ضجيجَ تلك الإبل عندما تُقاسِي من العمل. وهذا التشبيه الصائب المتناهِي في الدَّلالة على حالة المُشبَّه. وقد قال الراجز في هذه الطريقة يَصِفُ حَرْبًا:

وأَغْشَتِ الناسَ الضَّجَاجَ الأضْجَجَا وصاحَ خاشِي شَرِّها وهَجْهَجَا[1]

٢ ـ سَيَتْرُكُهَا قَوْمٌ ويَصْلَى بِحَرِّهَا بَنُو نِسْوَةٍ لِلثُّكْلِ مُصْطَبِرَاتِ

نَبَّهَتْ بهذا إلى استفحال الحرب التي تَوَعَّدَت بها وتفاقُمِ الْخَطْبِ، فقالت: تَضجَر بها فِرقةٌ منهم فينفُضُون الأيديَ منها تفاديًا من مُلابستِهَا، ويعتزلون عنها طلبًا للسَّلامة من عُقباها، وحَذرًا من امتدادِها إلى غايةٍ لا تُملَكُ فيها الاستقالةُ منها؛ ويَصبِر فيها أُخرى، وهم المنهمكون في إيقاد نارها، والاصطلاء بحرِّها، المعنون في إثارةِ كامِنِها، وإذاعة واقفها، الذين لا يبالُون بما يفعلونه أو يفعل بهم، وقد تَعوَّدَ الثُّكْلَ أمهاتُهم فلا يَجزَعنَ لقتلهم، وأَلِفَ الأيْمَةَ نساؤهم فلا يحزنَّ لموتهم. ومعنى «للثُّكْلِ» أي من أجْلِهِ، وهذه اللام في هذا الموضع قد تؤدي معنى على، فاعلَمْه.

٣ ـ فإنْ يكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهْوَ صَادِقِي بِكُمْ وبأحْلَامٍ لَكُمْ صَفِرَاتِ

٤ ـ تُعِدْ فِيكُم جَزْرَ الجَزُورِ رِمَاحُنَا ويُمْسِكْنَ بالأكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ

قولُها «فإن يكُ ظنّي صَادِقًا» يجري منها مجرى التَّحذير والوعيد، وفيه بعض الاستفاءةِ، لأنّها إذا رهَّبت من القَطيعةِ وآفاتها، فَقَد رَغَّبتْ في الصلةِ وآياتها. وقد

---

(١) للعجاج في ديوانه ٢: ٦٧، وكتاب العين ٦: ٥، وبلا نسبة في اللسان (ضجج) وتاج العروس (ضجج).

تَقَدَّمَ القولُ في صادِقًا وصَادِقِي، وفي حَذْف النُّون من يكُ في الْجَزْم مشروحًا. وقولُها «وبأحْلَام لكم صَفِرَتِ»، أي لا خَيْرَ فيها، وقد زالت المُسْكَةُ عنها. ويقالُ: صَفِرَ الإناءُ وغيرُه صُفُورًا، وإناءٌ صِفرٌ وصَفِرٌ. وقال الخليل: هو صَفِرٌ صَجِرٌ على الإتباع، أي خالٍ. وقولها «تُعِذْ فيكم جَزَرَ الجَزور» جواب الجزاء من قولِها، فإن يك ظَنّي صادقًا، كأنّها ذَكّرَتْهم حالة مُنكرة تقدمتْ لهم، فلذلك قالت: تُعِذْ فيكم. والْجَزْر: القَطع. وقيل الجزُورُ لأنها تُقْطَعُ وتُقْسَم. والجزَرَةُ: الشاةُ تُذْبح. ويقال: تُرِكَ بَنُو فلان جَزَر الرّماح، أي قُتِلُوا واجتزرَتْهم السِّباع. وجعَل الإعادَة للرِّماح على الاتِّسَاع. وقوله «ويُمسَكن بالأكبادِ» يروى بفتح السِّين، أي يُضْبَطْنَ؛ ويروى بكسر السِّين: وهو ظاهرُ المعنى. وانتصب «منكسراتِ» على الحال والمُرَاد أنهُمْ يَجُرُّونَ الرُّمْحَ عند الطّعْنِ ويصيبون المَقاتل.

٢٥٣ ـ وقال مَعْبَد بن عَلْقَمَة[1]: [الطويل]

١ ـ غُيِّبْتُ عن قَتْلِ الحُتَاتِ ولَيتَنِي ... شَهِدْتُ حُتَاتًا يومَ ضُرِّجَ بالدَّمِ[2]

٢ ـ وفي الكَفِّ مِنّي صارِمٌ ذُو حَقِيقةٍ ... مَتَى ما يُقَدَّمْ في الضَّرِيبةِ يُقْدِمِ

٣ ـ فيَعْلَمَ حَيًّا مالِكٍ ولَفِيفُها ... بأنْ لَسْتُ عن قَتْلِ الحُتَاتِ بمُحْرِمِ

إنما قال هذا لأنه كان يُستَبعَدُ وقوعُ قَتْلِهِ من جهته، إذ كان منه ذَا رحمٍ مَحرَمٍ. فجمع في كلامه هذا بَيْن تَلَهُّفٍ على فائِتَةٍ، وتَمَنٍّ على شَرْط عَقَدَه بِهِ له، فيقول: أُخِرْتُ عن قَتْلِ هذا الرَّجل يومَ أصيبَ ولُطِّخَ بالدَّم، فذهبَتْ نفسُه فيه وتغيَّبْتُ، وكنتُ أوَدُّ وأتَمَنَّى أن أكون حاضره، ومشاهِدًا وقتَهُ وحَيْنَه، ومعي سيفٌ قاطع يَنفُذُ في الضَّرِيبة إذا أُعملَ بِحَقِّهِ من المَضاء وحقيقته، ويأتي على المضروبِ بِحَدِّه وصرامته، فيتيَقَّنَ الجيشان ومن لف لَفَّهُمْ وانضاف إليهم من أوباشٍ تجمَّعُوا لهم، وقُماش تكثَّروا بهم، بأنّي لست عن قتل هذا الرَّجلِ بذاهب ولا مُمتَنِع حتَّى كأنّي في حَرَمٍ. وقوله «يَوْمَ ضُرِّجَ» فهو من الضَّرَجِ، وهو الحمرة. والإضْرِيج: ضَرْبٌ من الخزِّ أحمر. ويقال: ضَرَّجْتُ الثَّوْبَ، إذا صبغته بالحمرة خاصَّةً، وتَضَرَّجَ الخَدُّ عند الخَجَل. وقوله

---

(١) هذه الحماسية وردت عند التبريزي برقم (٢٠٧). ومعبد بن علقمة المازني: شاعر من الشجعان، يقال له ابن أخضر، وأخضر هو زوج أمه، له مواقف وأشعار في حرب الخوارج (ت نحو ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م). ترجمته في الكامل ٥٩١، والأعلام ٨: ١٧٧.

(٢) التبريزي: «حين ضُرِّج».

«ذو حقيقةٍ» فالحقيقة ما يصير إليه حَقُّ الأمر ووجُوبه، وتوسَّعوا فقيل: حاقَقْتُ الرجلَ، إذا جاذبته حقًّا بينكما. ويقال «هو نَزِقُ الحِقاقِ»، إذا جَاذَبَ في صغار الأمور. وقولُه «بمُحْرِمِ» يقال: أحرَمَ الرجلُ، إذا دَخل في الحرَم، أو في الشهر الحرَامِ. وفسَّرَ قول الرّاعي: [الكامل]

قَتَلُوا ابنَ عَفّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِمًا[1]

على أنَّهُ كان له حرمةُ الإمامةِ والبلَدِ والشَّهر، لأنَّهُ قُتِل رضي الله عنه في ذي الحِجّة. وانتصبَ «فَيعلَمَ» على أنّه جواب التمنّي.

٤ ـ فَقُلْ لِزُهَيرٍ إن شَتَمتَ سَرَاتَنَا فَلَسْنَا بِشَتّامِينَ لِلمُتَشَتِّمِ

٥ ـ ولكِنَّنَا نَأبَى الظُّلامَ ونَعْتَصِي بكُلِّ رقيقِ الشَّفرَتينِ مُصَمِّمِ

يقولُ: أبْلِغْ هذا الرَّجُلَ أنّك إن اعتمدتَ على رُكوبِ السَّفَه معنا، وتعمَّدتَ في مجاذبتنا سَبَّ خِيَارِنا، وثَلْبَ أعراضِنا، فإنَّا نَرْبأُ بأنفسنا عن مجاراتِك في هذا المَيدان، ومكايلتِكَ بمِكيال السِّباب. والمتشتِّم: المُتَحكِّك بالشَّتم والمتعرِّضُ له. ويصلُحُ أن يكون للجِنْس فيدخُل فيه زُهَيرٌ وغَيْرُهُ، ويَصْلُح أن يُراد به زُهَيْرٌ خَاصَّةً. وقوله «ولكِنَّنَا نأبَى الظُّلامَ» يريد: لا نرضَى بالدَّنيّات، ونمتنع من التزام الظُّلَامات، ونُدافع عن أحسابِنا بكُلِّ سيفٍ رقيق الحَدَّينِ، نافِذٍ في الضَّريبةِ. والظُّلَامُ والظُّلَامَةُ والمَظلِمَةُ واحِدٌ، وهو ما تَظَلَّمَ النّاسُ بسببها بينهم. ويروَى: «الظِّلام» بكسر الظاء، مصدر ظالَمتُه مُظَالَمةً وظِلامًا. وقوله «ونعتصي» يُقال عَصِيتُ بالسَّيف، واعْتَصَيْتُ وعَصَوْتُ بالعَصَا. ومَرَّ يعتصِي على العصا، أي يتوكّأ عليها. والتصميم: المضيُّ في الأمر. ويُقال: صَمَّمَ في عَضّتِه، إذا نَيَّبَ.

٦ ـ وَتَجْهَلُ أَيدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتِمُ بالأفعَالِ لا بالتَّكَلُّمِ

٧ ـ وإنَّ التَّمَادِي في الذي كان بَيْنَنَا بِكَفَّيكَ فاستأخِرْ لَهُ أو تَقَدَّمِ

أفعال جُمْلَةِ الإنسان تُنْسَبُ إلى جوارِحهم على المجاز والسَّعَةِ، فلذلك نَسَبَ الجَهْلَ إلى الأيدِي. والمعنى أنَّ ما يُذَمُّ من أفعالِ القُلوب لا نَكتسبه بوجْهٍ، بل فينا الرأيُ الثّاقب، والوقار الغالِب، والأناةُ والحِلْم، والسَّكينة والعِلْم؛ فأمّا اليدُ فإذا بَطَشنا

(١) البيت في جمهرة أشعار العرب ١٧٦، والخزانة ١: ٥٠٣، واللسان والمقاييس (حرم) وعجزه: «ودعا فلم أر مثله مقتولا»

بها بطشنا جَبّارين. أي نَحلُم بجَهدِنا ومقدار طاقتنا فإذا أُحرِجنا فخَرجنا عن العادة كانت أفعالُ أيدينا أفعالَ الجُهّال الذين لا رِعَةَ تَردَعُهم، ولا رقَّة تضبِطُهم. وقولُه «ونَشْتِمُ بالأفعال»، يقول: نجعل جزاءَ الشَّتْم والمنقَصةِ والثَّلْبِ الفِعلَ لا القَول، إذْ كان القولُ يَذهب أدراجَ الرِّياح، والفِعلُ يَبقَى أثرُه على مرِّ الأيّام. وقولُه «إن التّمادي في الذي كان بيننا بكفَّيْك» تَوعُّدٌ. يقول: أمرُ اللَّجَاج والاستمرارِ فيما يزيدُ ما بيننا فسادًا أنت قادرٌ عليه، ومتمكِّنٌ من اختياره، فإنْ شئتَ فتقدَّمْ فيه، وإن شئتَ فتأخَّرْ عنه. ويقالُ: استأخَرَ واستقدم، وتَقَدَّم وتأخَّرَ، بمعنًى واحدٍ.

٢٥٤ ـ وقال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ(١): [الطويل]

١ ـ غَذَوْتُكَ مَولُودًا وعُلْتُكَ يَافِعًا تُعَلُّ بما أُدْنِي إليكَ وتُنْهَلُ(٢)

٢ ـ إذَا لَيلةٌ نَابَتْكَ بالشَّكْوِ لم أَبِتْ لِشَكْوِكَ إلا سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ

٣ ـ كأنّي أنا المَطْرُوقُ دُونَكَ بالذي طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وعَينِيَ تَهْمُلُ

اعتَدَّ عليه بما تَجَشَّمَه فيه بعد أن كان السَّبَب في إبدائه وإنشائه؛ وبما أَعَدَّ له وتكفَّلَ به، من ابتداء الطُّفولة إلى انتهاء الشَّباب واستِكمال القُوَّةِ، إذْ كان جارِحَهُ ومربِّيَهُ، والقائم بمُؤَنِه على اختلاف سِنيه. ويقال: غَذَوْتُكَ غَذْوًا. والغِذاءُ: الطَّعام والشَّراب. ويقالُ: غلامٌ يافعٌ ويَفَاعٌ ويَفَعٌ، وقد أَيْفَعَ وأصلُه الارتفاع، ومنه اليَفَاعُ من الأرض والجَبَل. وقولُه «عُلْتُكَ» أي أنفقتُ عليك. يقول: ربّيتُك لما وُلِدتَ، ومنتُك حين أيفعتَ، وفي تلك المدَّة تُسقَى العَلَلَ والنَّهَل، وتُطْعَم الحارَّ والبارد، وتُكْسَى اللَّيِّن والخَشِن، كُلُّ ذلك مما أَجْمعُه لك، وأُدْنيه منك، وبعدَ أن أَقِيَك من المَحاذر، وأحفظك دونَ المَتالف، شفقةً عليك، واهتمامًا بشأنِك، فإن طرقَتْكَ ليلةٌ بشَكَاةٍ تؤذيك، أو عارضٍ يُضْنيك، سهرتُ طولَ تلك اللَّيلة لا أَهدأ قَلقًا، ولا أَستَنهِضُ لدَفع ما أجدُه سَكَنًا، ولا أستلينُ مِهادًا، ولا أُثنِي لمقرِّ رأسي وِسادًا، بل أَتلَوَّى وأضطرِبُ، وأتململُ على فِراشي وأتقلَّبُ، حتّى كأنّي المختَصُّ بما أشكاكَ، والمَدْهِيُّ بما دَهاكَ، لا يَجِفُّ مَدْمَعِي، ولا يُوطأ مضجعي. وقولُه «تُعَلُّ بما أُدْنِي» يجوز أن

---

(١) أمية بن أبي الصلت: شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، وهو ممّن حرّموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأصنام أدرك الإسلام ولم يسلم. (ت ٥ هـ/٦٢٦ م). ترجمته في: تهذيب ابن عساكر ٣: ١١٥، والأغاني ٤: ١٢٠، والشعر والشعراء ١٧٦.

(٢) التبريزي: «وتُروى لابن عبد الأعلى، وقيل: هي لأبي العباس الأعمى».

يكونَ موضع تُعَلُّ صِفَةً لقولِه يافِعًا، أي مَغلُولًا؛ ويجوز أن يكونَ خبر مبتدإٍ محذوف كأنه قال: وأنت تُعَلُّ وتُنهَلُ بما أدنيه. وقوله «لم أبِتْ لِشَكْوِكَ» فالشَّكْوُ والشَّكْوَى والشَّكَاةُ واحِدٌ. والتَّملمُل: القلق وترْك الهُدُوّ. ويُرْوَى «تُعلُّ بما أجْنِي عليكَ» والمعنى أجْنِي لَكَ. وهذا كما يقالُ: سَعَى فلانٌ على ذَوِيهِ، إذا سَعَى لهم في مصالِحهم: ويقالُ: جَنَى الثَّمَرَ يَجْنِي جَنْيًا وجِنايةً. قال الأخْطَلُ: [الكامل]

دَانِي الجِنَايَةِ مُونِعُ الأثْمَارِ[١]

٤ ـ فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ والغَايَةَ التي ... إليها مَدَى ما كنتُ فيكَ أُؤَمِّلُ

٥ ـ جَعَلْتَ جَزائِي مِنكَ جَبْهًا وغِلْظَةً ... كأنَّكَ أنتَ المُنعِمُ المُتَفَضِّلُ

يقول: فَلَمَّا تكامَل منك الشبابُ، وتَعَلَّقَتْ بك الآمَالُ، وبلَغتَ المدَى المنتَظَر للانتفاع بك، والاستظهار بمكانِك، والاضطلاع بكِفايَتِك، وصَلَحْتَ لأنْ تكونَ عُدَّةً وعَددًا، وبأْسًا مَخُوفًا، وطَمَعًا مَرجُوًّا، أقبلتَ تُجازِيني بإحْسَاني إساءةً، وبما استَلَنْتَ من جانبي غِلْظَةً، وبما تَرَفرَفَ عليك من رحمتي ورِقتِي نُبُوًّا وقَسوةً، حتَّى كأنَّ ما سالَ عليك من نِعمتي كان لَكَ، وما أُسْبَلَ عليك من فَضْلِي وإفضالِي كان منك؛ لا مُراجعةَ في الأوّل تَرُدُّكَ، ولا مُلَاحَظَةَ لعُقباكَ تَفِيءُ بِكَ.

والْجَبْهُ: مقابَلةُ الإنسان بما يَكرهه.

٦ ـ فَليتَكَ إذ لم تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كما الجارُ المجاوِرُ يَفْعَلُ[٢]

٧ ـ تَراهُ مُعِدًّا للخِلَافِ كأنَّه ... بِرَدٍّ على أهلِ الصَّوَبِ مُوَكَّلُ

يقول: وَدِدْتُ أنك إذ لم تُنِلْنِي إكبار الآباءِ، ولم تَرْعَ منِّي حقوقَ الوِلادِ والإنشاءِ سِرْتَ معي بسيرةِ المُجَاوِرِ لجارِه، والمُرافِق لرفيقِه؛ فإنَّ ذلك إذا عُدَّ دَرَجاتُ المَبَارّ، ومُدَّت علائق التَّحابّ، وتُؤمِّلَ ذِمم القرابةِ، وحُرَمُ الصداقة، أضعَفُ الأواخي، وأدْوَنُ المَراقِي. ثم أخَذَ يُنبِّه على سُوءِ اختياره، وتمادِي لَجاجِه، وتَناهِي جهلِه والتوائه، فقال: «تراه مُعِدًّا للخِلاف» أي جعَلَ الْخِلافَ على ذوِي الرّأي وأرباب العقلِ، وأُولي

(١) للأخطل في ديوانه ٤٠، واللسان (حوش) وديوان الأدب ٣: ٣٦٢. وصدره:
«وكأن ظعن الحيّ حائش قرية»

(٢) بعد هذا البيت عند التبريزي:
«وسمّيتني باسمِ المفنَّدِ رأيُهُ ... وفي رأيك التفنيدُ لو كنتَ تعقلُ»

الحَزَامةِ والحلم، عُدّةً فكأنّهُ وكُلَ بِرَدِّ صوابِهم. واستقباحِ المُحَسَّنِ عندهم. فإن قيلَ: بماذا دَخَلَ هذه الأبياتُ وما يتلوها ـ وهو في معناها ـ في باب الحماسة؟ قلتَ: دخلتْ فيه بالمشاكلةِ التي بيْنها وبين ما تقدّمها من الأبيات، المُنبِئةِ عن المُفاسَدةِ بين العشائر، وما يتولّدُ فيها من الإحَنِ والضغائن، المُنسِيَةِ للتَّوَاشُج والتّناسُب، المُنْشِئةِ لهتكِ المَحارم، المبيحةِ لسَفْكِ الدّماء وقَطْع العِصَم؛ إذ كان عُقوقُ البنِين للآباء، وتَناسِي الحُرَم، فيه مثلُ ذلك. وهو ظاهرٌ بيِّنٌ.

٢٥٥ ـ وقالت امرأةٌ من بني هِزّان يقال لها «أمّ ثَوَاب» في ابنٍ لها عَقَّها: [البسيط]

١ ـ رَبَّيْتُه وهو مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظَمُه أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى في جِلْدِه زَغَبَا
٢ ـ حتى إذا آضَ كالفُحَّالِ شَذَّبَهُ أَبَّارُهُ ونَفَى عن مَتْنِهِ الكَرَبَا
٣ ـ أنشَا يُمَزِّقُ أثوابي يؤدِّبُني أَبعدَ شَيْبِي عندي تبتغي الأدَبا[١]

يقال: ربَبْتُه وربَّيْتُه بمعنًى. ومعنى البيت: كانَ ابني حين ولدتُه في ضَعْفِه وصِغَرِه، وتَساقُطِ قوّته، وتَخلخُل بِنْيَتِه، ورَخاوة مفاصله، كفَرْخ القَطاة ولم يَستبدِلْ بَعدُ بزَغَبِه شَكِيرًا، ولا بانحلال عَقْدِه تماسُكًا، فأقبلتُ أربِّيه وأَعظَمُ شيءٍ فيه بطنُه، وأرقّيه في مَدارجِ النَّشْءِ والترشيح وهو لا يميِّز ما ينفعه مما يضرُّه، متردِّدًا في الأحوال التي تَجْري إليه، وتتغيّرُ عليه، بين صيانةٍ كاملةٍ، وشفقةٍ بارعةٍ، وحِفظٍ مُتَّصِلٍ، وإشفاقٍ مُطَّرِدٍ. وتَسمِيَتُه البَطنَ بأُمِّ الطَّعام، كما قيل للجِلدة الرقيقة المُلْبَسةِ الدِّماغَ أُمُّ الدّماغ، وكما سُمِّيَ المَجَرّةُ أمّ النُّجوم، وكلُّ ذلك لما في المضاف والمضاف إليه من الانضمام والاحتواء. وقد سَمّى الشَّنفَرى تأبَّطَ شرًّا بأمِّ عِيالٍ، فقال: [الطويل]

وأُمِّ عِيالٍ قد شَهِدْتُ تَقُوتُهم إذا أطعَمتْهم أوْتَحَتْ وأَقَلَّتِ[٢]

لِمَا كان يَجمع من أمر أصحابه ويتكفَّل به لهم ويُدَبِّره. وقولها «حتى إذا آضَ كالفُحّالِ» حتى وُضِعَ للغايةِ، وأُضيفَ إلى إذا وما بعده من الجُملة التي انشَرَحَ إذا

(١) التبريزي: «يبتغي».
(٢) للشنفرى في ديوانه ٣٥، واللسان (حتر، أمم)، وأساس البلاغة (حتر) والأغاني ٢١: ٢١١، وديوان المفضليات ص ٢٠٣.

بها. والمعنى إلى هذا الوقت. وموضع «كالفُحَّالِ» نَصْبٌ على الحال. يقول: لم أزَلْ أجرِي معه في تربيته وتفقُّدِه، إلى أن استَكمَل شَبابُه، ويَرِعَ نَباتُه، وامتدَّ قَوامُه، فصار كفحلِ النَّخلِ وقد قطَعَ مُتعهِّدُه منه شَذَبَه، وألْقَى عن ظهره كَرَبَه، ليَكمُلَ طولُه، ويتِمَّ غِراسُه. والكَرَب: أُصول الأعذاق تُترَك كالأوتادِ ليُرْتَقَى بها في النَّخل. والفُحّال: فَحل النَّخل خاصةً، ولا يقال لغير فَحلِها فُحّال. والأبّارُ والمُؤبِّر: المُلَقِّحُ للنَّخل. والفُحَّال لا يُؤبِّر، ولكن لمَّا كان يُؤبَّرُ به النَّخل أضاف الأبّار إلى ضميره، على عادتهم في إضافةِ الشيء إلى غيرِه لأدنى تفلُّق بينهما. ألا تَرَى إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعـراف: الآيـة ٣٤] وفـي مـوضِـع آخـر: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ [العَنكبوت: الآية ٥]. ومعنى آضَ، قال الخليل: الأيْضُ صَيرورةُ الشيء شيئًا غيرَه وتحوُّلُه عن حاله. وقولُه «أنشا يُمزِّقُ أثوابي» هو جوابُ قوله حتى إذا آضَ كالفُحّال، وهو العاملُ في إذا، أعْنِي أنشأَ. ويقالُ: أنشأَ اللّهُ الخَلْقَ، ونَشَأَ فلانٌ حديثًا، ثم يقال: أنشأَ يفعل كذا ويقول كذا. يقول: لمّا بَلَغَ هذا المبلغَ ابتدأ يضربُني ويُخَرِّقُ ثيابي، مُرْشِدًا ومؤدِّبًا ثم قالت وكأنَّها أقبلَت على إنسانٍ غيرِه بحضرَتِها تُخاطِبُه مُنكِرَةً ومتعجِّبةً: أبَعدَ المَشيبِ يَطلُبُ تأديبي. وهذا الكلام منها كالإشارة إلى المَثَل المضروب السائر في الأمَم:

«من العَناءِ رياضَةُ الهَرِمِ»(١)، وهو مع ذلك يَجرِي مجرى الالتفات.

٤ ـ إنِّـي لَأَبـصِـرُ فـي تَـرجِـيـلِ لِمَّـتِـهِ ... وخـطِّ لِحـيَـتِـه فـي خَـدِّهِ عَـجَـبَـا

٥ ـ قـالـت لـهُ عِـرسُـه يومًا لِتُسْمِعَني ... مَـهـلًا فـإنَّ لـنـا فـي أُمِّـنَـا أرَبَـا

٦ ـ ولـو رَأَتْـنِـيَ فـي نـارٍ مُـسَـعَّـرَةٍ ... ثم استطاعَت لزادَت فوقَها حَطَبَا

قولها «إني لأبصِرُ»، يقال: أبصَرتُ الشيءَ وبَصُرتُ به. والبَصَر: العَينُ ونَفاذُ القلبِ. وحُكِيَ أنّ معاوية قال لابن عبَّاسٍ وقد كُفَّ بَصرُه: ما لكم يا بني هاشم تُصابون بأبصاركم إذا أسَنَنْتُم؟ فقال: كما تصابون ببصائركم عنده!! والترجيل: غَسلَ

---

(١) المثل في مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٣٤، وذكر في قصته: أن بعض الشراة دخل على المنصور فقال له شيئًا في توبيخه فقال الشاري:

أتروض عِرسكَ بعد ما كَبُرَتْ ... ومـن الـعـنـاء ريـاضـةُ الـهـرِمِ

فلم يسمعه المنصور لضعف صوته فقال للربيع: ما يقول الشيخ؟ قال: يقول:

الـعـبـد عـبـدكـم والـمـال مـالـكـم ... فهل عذابك عني اليوم مصروف

فأمر بإطلاقه واستُحسن من الربيع هذا الفعل.

الشِّعر ومَشطه. وعَجَبا مفعول أُبصِرُ. ويقالُ: أمرٌ عَجَبٌ وعجيبٌ وعُجابٌ، إذا تجاوزَ حدَّ العَجب. والاستعجاب: شدَّة التعجُّب. تقول: أرَى بَعْد ما شاهَدتُه من طُفولتِه وضعف حَرَاكِه وتنقُّل الأحوال به وقتًا بعد وقت، ونَشْئًا بعد نَشْءٍ، عَجَبًا في لِمَّتِه ولِحْيَتِه المختَطَّة. أي أتعجَّب كيف تحوَّلَ عن تلك الحالة إلى ما أجِدُه عليه الساعةَ. ثم قالت حاكيةً عن زوجتِهِ ما كانت تتفوَّه به سُمْعةً ورياءً، وتقيمُ به سُوقها حِيلة ونِفاقًا، إظهارًا لخلافِ ما يَنطوي عليه قلبُها، ويَشتمل عليه ضميرُها: كُفَّ عن إيذاء أُمِّنا فإنّا لا نستغني عنها، ولا تَتمشَّى أمورُنا إلّا بها وبحياتِها. ومعنى مَهْلًا رِفقًا لا تَعْجَل. وأصْل المَهْل والمَهَل السَّكينة والوقار، ومنه الإمهال في الدَّيْن. والأَرَب: الحاجة. ثم صَرَّحت بما عَرَفَتْهُ من سوء نِيَّتها فيها، وحِرْصها على الزيادة في مساءتها، فقالت: تَكلَّفَتْ ذلك المقالَ منها مَلَقًا منها ومجاملة، ولو وجدَتْني في نارٍ مُخرِقةٍ ثم قَدَرَت لزادت في وَقودِها وإضرامها. ويقال: سَعَّرْتُ النارَ والشَّرَّ وأسعَرْتُهما، وإنّه لمِسْعَرُ حَرْب.

٢٥٦ ـ وقال ابنُ السَّلْمانيّ[١]: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرُكَ إنّي يومَ سَلْعٍ لَلائمٌ ... لِنَفسِي ولكن ما يَرُدُّ التَّلَوُّمُ[٢]

سَلْعٌ: موضعٌ أضاف اليومَ إليه تعريفًا. وحُكِيَ السَّلْعُ: شَقٌّ في الْجَبل، ومنه قيل: تَسلَّعَت رِجلُه، إذا تَشقَّقَت. وكأنَّ قولهم: «هادٍ مِسْلَعٌ»[٣] من هذا، أي يَشُقُّ أجواز الفلاةِ شَقًّا. واللام من «لَعَمْرُكَ» لام الابتداء، وخبر المبتدأ محذوفٌ. ولا يجيء «عَمْرو» في القَسَم إلا مفتوحَ العين، وإن كان الضمُّ لُغةً فيه، ومعناه البقاء. والتلوُّم: تكلف اللَّوم، فهو كالتذمُّم. يقول: وبقائك إني في هذا اليوم لعاتِبٌ على نفسي ومُقرِّع لها، ولكن ماذا يُغنِي التعتُّبُ والأمرُ فائتٌ. وقوله «ما يَرُدُّ» يجوزُ أن يراد

(١) التبريزي: «ابن السليماني».
(٢) سلع: اسم يطلق على عدة مواضع، فهو جبل بسوق المدينة، أو هو موضع بقرب المدينة وأيضًا حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس. وقد وردت الأبيات في معجم البلدان (سلع)، «وقال ابن السلماني، وكان إبراهيم بن عربي والي اليمامة قبض عليه وحمل إلى المدينة مأسورًا فلما مرّ بسلع قال هذه الأبيات».
(٣) هذا مقطع من بيت لسعدى الجهنية ترثي أخاها أسعد:

سبّاق عادية ورأس سريّة ... ومقاتل بطل وهاد مسلع

به ما يَرجِعُ، ويجوز أن يكون بمعنى ما ينفع. ويقال: هذا أرَدُّ عليك، أي أنفَعُ. وموضعُ «ما» يجوز أن يكون مفعولًا، ويجوز أن يكون مبتدأ.

٢ ـ أَأَمْكَنْتُ من نَفسِي عَدُوِّيَ ضَلَّةً   أَلَهفَى عَلَى ما فاتَ لو كنتُ أَعْلَمُ

قوله «أأمْكَنْتُ» لفظه الاستفهام، ومعناهُ التقريع والتَّوبيخ. وهذا الكلام هو صريحُ لَوْمِهِ لنَفْسه، فيجوز أن يكون حَذَف قبلهُ لفظةَ قائِلٍ، كأنَّه قال: إنِّي لائمٌ لنفسي وقائلٌ أأمْكَنْتُ. ويجوز أن يكون استأنف عَذلَ نفسه من بَعْدُ أيضًا. وقولهُ «ضَلَّةً» مصدر في موضع الحال، ويجوز أن يكون مفعولًا له، أي فَعَلْتُ ذلك ضالًّا أو لإضلَالِي. وأصلُ الضَّلالِ الذَّهاب عن القصد. ويقال ضَلَلْتُ مكاني، بكسر اللام وفتحها، إذا لم تهتدِ إليه وأضْللتُ بعيري، إذا شَرَدَ فذهَبَ عنك. وقولُه «أَلَهفَى على ما فات» تحسُّرٌ وتأسُّفٌ، وهو كلامٌ مستقلٌ بنفسه. وقولُه «لو كنتُ أَعْلَمُ» تَندُّمٌ على ما قَصَّر فيه من النَّظر والفحصِ، والكشفِ عن عُقْبَى الأمْرِ. وأَعْلَمُ مفعولُه محذوف، وهو بمعنى أعرِف، فيكتفي بمفعول واحد، كأنَّه أراد: لو كنتُ أَعْلَمُ مغَيَّبَه. وجواب لو محذوفٌ، أي لو علمْتُ ما تندَّمْتُ ولا شَقِيتُ، وهذه اللفظةُ هِجِّيرَى كلِّ متوانٍ في الشَّيء حتَّى يفوتَه أو يُكابِدَ المكروهَ فيه. والبيت على ثلاثة فصولٍ، كُلُّ فصلٍ منها ينفردُ بمبناه ولا يفتقر إلى سواهُ. فالأوَّل قوله «أأمْكَنت من نَفسِي عَدُوِّيَ ضَلَّةً» كأنه يستنكر ما اتَّفق منه ضَلالًا، فأخذ يستفهم تقريعًا وعِتابًا. والثاني «أَلَهفَى على ما فاتَ»، وقد تقَدم القول في إعراب «أَلَهفَى». والثالث قولُه «لو كنتُ أعْلَمُ» أي لو علمْتُ لتحزَّمت.

٣ ـ لَوَانَّ صُدورَ الأمْرِ يَبْدُونَ لِلفَتَى   كأعْقَابِهِ لم تُلفِهِ يَتَنَدَّمُ

هذا مَعذرةٌ فيما سَهَا عنه ومَسْلاةٌ عمَّا بُلِيَ به فتحزَّنَ له. وقولُه «لوانَّ صدورَ الأمر»، هو حذف المضاف، والمراد: لو أنَّ مؤدِّيات صدورِ الأمرِ ومسبِّباته تظهر للفتَى كما تَظهر له عند أعجازه، لم تَرَهُ نادمًا على فائتٍ، ولا جازِعًا إثْرَ هالِكٍ. وفي طريقته قولُ ابنِ الرُّقَيَّات: [البسيط]

في مُقْبِلِ الأمرِ تَشْبِيةٌ ومُدْبِرُهُ   كأنَّما فيه بالليلِ المصابيحُ

٤ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ كانَتْ فِجَاجٌ عَرِيضَةٌ   ولَيلٌ سُخَامِيُّ الجناحَينِ أَدْهَمُ

٥ ـ إذِ الأرْضُ لم تَجْهَلْ عَلَيَّ فُرُوجُها   وإذْ لِيَ عن دَارِ الهَوَانِ مُرَاغَمُ

هذا تَذكُّرٌ لموارد مَخلَصِه من الأمر الذي لُزَّ به، والبلاء الذي استَأسَرَ له، وتَحسُّرٌ في عُدولِه عن مَدارجِ الحزمِ فيه، وانتهاز الفُرصَةِ في الممكن منه، اغترارًا بما لم يَجُز السُّكون إليه، وانتظارًا لما لم يَصلح الاعتماد عليه، حتّى يَتَمكّنَ طالبُه من مُراده فيه، وانسدَّتِ الطُّرقات بينه وبين ما يَرومه من بُعْدِ عنه، واحترازٍ منه؛ فقال متهافِتًا: لعَمْرِي لقد كانت لي سُبلٌ واسعةٌ يمكنني سلوكُها، لا مُدافِعَ دونها ولا ممانع، ولَيلٌ أسودُ الطّرفين مظلم، يستُرني إذا ركِبْتُه، ويُساعدُني على مجانبة ما أحْذَرُهُ، لا مُجاذبَ عنه ولا مُنازِعَ. وكانَ من قولِه «لقد كانَتْ فِجَاجٌ» هو كانَ التّامَّةُ المستغنِيةُ عن الخبر. وقولُه «وليلٌ سُخاميٌّ» فالسُّخَامُ: الأسود، كأنّه يريدُ سِرَارَ الشَّهر؛ ومنه سَخَّمَ الله وجهَه، أي سَوَّدَهُ. والسُّخامِيُّ المنسوبُ، في معناهُ، ومثلُه الدَّوّاري والدَّوّارُ من قولِه: [الرجز]

والـــدَّهْــرُ بـــالإنـــســـانِ دَوّارِيُّ[1]

ويجوز أن يريدَ بالسُّخَامِيِّ الجَناحَين، اللِّينَ وقِلَّةَ الآفاتِ في جوانبه؛ فإنّ السُّخام الرِّيشُ اللَّيِّن تحت الجَناح؛ لأنّ قوله أذهم قد دَلَّ على الظُّلمة.

وقولُه «إذِ الأرض» إذْ لما مَضى، وقد شُرِح بالجملة التي أضِيفَ إليها ومعنى «لم تَجْهَل عليَّ فروجُها»، أي ثُغُورُها ومواضعُ المخافة منها كانت عليَّ مَعالِمَ لا مَجاهِل، فأدرِي كيف آتِيها، وأنفُذُ في قَطْعِها والخروج منها، لا أتَهَيَّبُ ولا أتحيَّرُ. ويقال: جَهِلَ فُلانٌ عَلَيَّ، إذا شَقَّ عليك، قال الشاعر: [البسيط]

جَهْلًا عَلَيَّ وجُبْنًا عَنْ عَدُوِّهِم لَبِئْسَتِ الخَلَّتانِ الجَهْلُ والجُبُنُ[2]

وقولُه «وإذْ ليَ عن دار الهوان مُراغَمٌ» الأصل في المراغمة الهِجرانُ، يقال: فلانٌ يُراغِمُ أهْلَهُ أيّامًا ثم يرجع. وفي القرآن: ﴿يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا﴾ [النِّساء: الآية ١٠٠]، أي مُتّسعًا لهجرته.

٦ ـ فَلَوْ شِيتُ إذْ بالأمرِ يُسْرٌ لقَلَّصَتْ بِرَحْلِيَ فَتْلاءُ الذِّراعَينِ عَيْهَمُ

٧ ـ عليها دليلٌ بالبلادِ نَهارَهُ وباللَّيلِ لا يُخطِي لَهَا القَصْدَ مَنْسِمُ[3]

(١) للعجاج في ديوانه ٦٦، واللسان والمقاييس (دور).
(٢) لقعنب ابن أم صاحب في اللسان (وزن). (٣) التبريزي: «دليلٌ بالفلاة».

يُخْبر عن نفسِه بأنّه إنّما أُتِيَ من تقصيره وتهاونِه فيما وَجب من جِدِّه وتشميره، فيقول: لو أردتُ حين كان الخَطبُ أيسرَ، وأسباب المَنْع أقصر، لخَفَّتْ بي وشمَّرت في الانتقال عن دار المَذَلَّةِ والهَوَان، ناقَةٌ في ذراعيها فَتَلٌ. والفَتَلُ هو تباعُد المِرفَقَين عن الزَّور، لئلا يصيرَ حازًا ولا ناكِتًا ولا ضاغِطًا. والعَيْهَمُ والعَيْهَمَةُ: النّاقة الماضيةُ، وكذلك العيهامَةُ؛ وقيل هي الطّويلة العُنُق، الضّخمةُ الرّأس، وذلك محمودٌ في صفاتها. وقولُه «عليها دَلِيلٌ بالبِلاد» فإنّه يَعني به نفسَه. وبالبلاد أراد بِه في البِلاد، كما يُقال: فلانٌ بالبَصْرة وفي البصرة. ويجوز أن يكون أجْرَى قولَه «دليلٌ» مجرَى عارفٍ وعالم، فلذلك أتَى بالباء. وقولُه «وبالليل لا يُخْطِي لها القَصْدَ مَنْسِمُ»، أي لِبَصَرِه لا يخطىءُ مَنْسِمُ بَعِيرِه فَيزيغُ عن القَصْدِ. وهذا وإن جَعَله من صفة البعير فالمُراد به أنّهُ هادٍ خِرِّيتٌ. والدَّليلُ أصلُه فاعلُ الدَّلَالةِ، فهو كالدَّلّ، وقد تُوُسّعَ فيه. والبَلَدُ: الأرضُ وإن لم تُخْتَطّ.

٢٥٧ ـ وقال آخر: [المنسرح]

١ ـ أعْدَدْتُ بيضاءَ للحُروبِ ومَضْـ ... ـقُولَ الغِرارَيْنِ يَفْصِمُ الحَلَقا

٢ ـ وفارِجًا نَبْعَةً ومِلْءَ جَفِيـ ... ـرٍ من نِصالٍ تَخالُها وَرِقَا[1]

٣ ـ وأرْيَحِيًّا عَضْبًا وذا خُصَلٍ ... مُخْلَوْلِقَ المَتْنِ سابِحًا تَئِقَا[2]

٤ ـ يَملأُ عَيْنَيْكَ بالفِناءِ ويُرْ ... ضِيكَ عِقابًا إن شِئْتَ أو نَزَقَا

تبجّح في هذه الأبيات بهمّته في جَمْع آلَتِهِ ليوْمِ حاجتِه، فأخذ يَذْكُرُ الشيءَ بعد الشيءِ من عُدَّتِه وعَتادِه، على ما يَسَّرَهُ له مَرُّ الأيام في جِدِّه وجِهادِه، فقال: هَيَّأْتُ لملاقاة الأبطال ومناوَشَةِ الرّجال دِرْعًا لم يَشِنْها صَدًا، ولم يَعِبْها في السَّرْدِ خَلَلٌ، وسيْفًا مسنُونَ الحَدّين، مصقول الصفحتين، يقْطَعُ البَيْض ويَفْصِلُ الحَلَقَ. والفَصْمُ: الكَسر بلا بينونة، والقَصْمُ: الكسر مع بينونة.

وقوله «وفارِجًا» أي وأعدَدتُ فارِجًا، وهو القوْسُ المتباعدة الوَتَر عن الكبد، وكذلك الفُرُجُ. وقوله «نبعةً» أي هي قضيبٌ وليست بشِقَّةٍ. والنَّبْعُ أجوَدُ شَجرٍ يُتّخذُ

---

(١) التبريزي: «وَرِقا: والورق يريد ورق الحَوّاء، وهو يشبه النصال المشاقص، وهي العراض التي في وسط كلّ نصلٍ منها عَيْرٌ» وعير النصل: الناتىء في وسطه.

(٢) التبريزي: «سابحًا تَئِقا».

منه القسيّ العربيّةُ، وجعَلَه صفةً لأنه ضمَّنه معنى الصفات. وعلى هذا أسماء الأجناس، كقولِك هذا خاتَمٌ حديدٌ، متى وَصَفْتَ بها تَضَمَّنَ معنى فِعْل. وقوله «ومِلْءَ جَفِيرِ» المِلْء: القَدْرُ الذي يُملأُ به الظَّرف، والمَلْءُ بالفتح المصدر. والجفير: كِنانةُ النَّبْل إذا كانت واسعة من خَشَبٍ، والجَفْرُ في البئر منه. وقوله «من نِصالٍ» أراد بها نِبالًا رُكِّبَتْ فيها نصالٌ بيض تتلألأ فتُحْسَبُ فِضَّة.

وقوله «وأريحيًا عَضْبًا» يعني رجلًا يَرتاحُ للنَّفاذ في الأمور الصِّعاب والمَضاءِ ويَهتزُّ، والمراد به نفسُهُ[1]. والعَضب: القاطع. وقد مرّ القولُ في تصرُّفِه. وقوله «وذا خُصَل» يعني به فَرَسًا له خُصَلٌ من الشَّعر مُخْلَوْلِقَ المَتْن، أي مصنوعًا أملسَ المَتْنِ شديد المَلَاسةِ، لأنّ مُفعَوْعِلًا من أبنية المبالغةِ. على هذا قولهم اعشَوْشَبَتِ الأرض فهي معشوشِبةٌ. والنَّزِقُ: الممتلىء نشاطًا. وقوله «يَملأ عينيكَ بالفِناء»، في طريقته قولُ الآخر[2]: [الهزج]

يَـزِيـنُ الـبَـيْـتَ مَـرْبُـوطًـا ... ويَـشْـفِـي قَـرَمَ الـرَّكْـبِ

والعِقَابُ: جمع العَقْبِ، وهو الْجَرْي بعد الجَري. وقال الخليل: إذا كان للفَرَس جِمامٌ بعد انقطاع الجَرْي قيل: عِقابٌ. والنَّزَقُ: الْخِفَّة والعَجَلة. ويقال نَزَّفْتُ الفَرَس، إذا ضربتَه حتى يَنْزَقُ. ومعنى «يَملأ عينيكَ»، أي يشغَلُهما محاسِنُها حتى لا تَتَّسِع لغيرها.

٢٥٨ ـ وقال قَتَادَة بن مَسْلَمَةَ الحَنَفِيّ[3]: [الكامل]

١ ـ بَـكَـرَتْ عَـلَيَّ مـن الـسَّـفَـاهِ تَـلُومُـنِي ... سَـفَـهًـا تُـعَـجِّـزُ بَـعْـلَـهـا وتَـلُومُ

البيت على كلامين، وذلك أنّ المِصْراع الأول إخبارٌ عن زوْجتهِ بسوء عشرتها، وتوجيهها العَتْبَ عليه في غير كُنْهِه؛ والمصراعُ الثاني رُجوعٌ منه عليها فيما أنكَرَتْ، ورَدٌّ للعَتْبِ إليها لمّا تَجرَّمَت. وقال «تَلُومُني» في الصَّدرِ وفي العَجز «تُعَجِّزُ بَعْلَها»

---

(١) التبريزي: «قال أبو العلاء: يجوز أن يكون وصف السيف بأريحيّ لأنه يُهَزُّ فكأنه يرتاح للضرب».

(٢) لأبي دؤاد في ديوانه ٢٩٠، وأساس البلاغة (قرم)، وبلا نسبة في كتاب العين ٥: ١٥٩، ولعقبة بن سابق الجرمي في الخيل لأبي عبيدة ١٦٠.

(٣) قتادة بن مسلمة الحنفي: شاعر جاهلي أجار الحارث بن ظالم المريّ حين قتلَ خالد بن جعفر بن كلاب، والقصة في الأغاني ١١: ١٢٠ (دار الكتب العلمية).

وهما واحدٌ، على عادتِهم في تصريفِهم الكلام عند الأمْنِ من الالتباس، فيقول: ابتكَرَتْ عَلَيّ تَلُومُنِي، وتَنْسُبُنِي إلى العَجز، من السَّفَاهِ، أي ممّا تصوّرَتْه من أحوالي. ثم أخذ يَجبَهُها ويُسَفِّهُ قولها وفِعلَها فقال: سَفَهًا تُعجِّزُ بَعلَها، أي تَعجيزُها لي وتقريعُها إيّاي لسَفَهِها، وجَهْلِها بموارد الأمور ومصادرها. والسَّفَهُ والسَّفَاهُ والسَّفاهةُ: الخِفَّةُ والاضطراب. ويقال: تَسَفَّهت الرِّيحُ الغُصونَ، إذا حرّكَتْها. والبُكُورُ، أصلُه الابتداء، ولذلك قيل لأوّل النَّهار بُكْرَة. وتَلُومُني في موضع الحال، والعاملُ فيه بَكَرَتْ. وانتَصَب سَفَهًا على أنه مفعولٌ له وقد قُدِّمَ. والبَعْلُ، أصله النِّكاح، ولذلك قيل للمرأة بَعلةٌ أيضًا، وقد ابتَعَلَتْ وتَبَعَّلَت، أي أطاعَت زوْجَها.

٢ ـ لـمّـا رأتـنـي قـد رُزِيـتُ فَـوَارِسـي وبَـدَتْ بـجِـسْـمـي نَـهْـكَـةٌ وكُـلـومُ

جوابُ لمَّا تقدَّمَ، وهو بكرَتْ عليّ. كأنَّ هذا الشاعرَ لاقَى هو أعداءَهُ ومُنابِذِيه، بأصحابِه ومعاونيه، فكانت الدَّبْرَةُ عليه وعليهم، فجُرِحَ هو وقُتِل أولئك، فعَدَّت امرأتُه تلك الفَعلةَ منه وما اتَّفقَ عليه سَفَهًا وذَنْبًا يستحقُّ لهما اللَّوم، فطَفِقت باكرةً عليه تُعَجِّزه وتؤنِّبُه. والنَّهْكةُ: التأثير، يقال بانَتْ عليه نَهْكةُ العِلّةِ والمصيبةِ. ومعنى رُزِيتُ: أُصِبْتُ بهم. وتقدُّمُ القوْلِ في مجيءِ الفَوارِس جَمْعًا لصفات المُذَكَّر يُغْنِي عن إعادته.

٣ ـ مـا كُـنْـتُ أوّلَ مَـن أصـابَ بـنَـكْـبَـةٍ دَهْـرٌ وَحَـيٌ بـاسِـلُونَ صَـمِـيـمُ

قوله «من أصاب» نَكِرةٌ تُفِيدُ الكثرة، والمُراد أوَّلَ إنسانٍ أصابَه بنَكبةٍ دهرٌ. وهذا على عادتهم في نسبة الحوادث إلى الدهر، كما قال بعضُهم[1]: [الكامل]

يـا دَهْـرُ قـد أكْـثَـرْتَ فَـجْـعَـتَـنـا بـسَـرَاتِـنـا وَوَقَـرْتَ فـي الـعَـظْـمِ

فأمّا تنكيرُه للدّهر فقد حُكي عن أبي زيدٍ وأبي عبيدةَ ويونُس أنّ الدهرَ والزّمان والزّمن والحَيْن، يقعُ على محدودٍ وغير محدود، وعلى عُمر الدُّنيا من أوّله إلى آخره. وقال الخليلُ: الأبَدُ الدَّهر الممدود، ويُجعَل اسمًا للنازلة. ويقال: دَهْرٌ من الدّهر، لبَعْضِه، كما يقال حِينٌ من الدهر. وقد اشتُقّ منه فقيل: إنها لَدَاهِرةُ الطُّولِ، أي طويلةٌ جدًّا. والشاعر أراد بما قاله التجلُّد للشامت والتَّسلِّيَ من المُصاب، وأن يُظهر لمن

(١) للأعشى في ملحقات ديوانه ٢٥٨، واللسان (وقر)، وللحارث بن وعلة الذهلي في تاج العروس (وقر).

أَلْقَى السَّمْعَ جَهلَ امرأتِه وعُدُولها عن الصواب. وقوله «وحَيٌّ باسِلُون صَميمُ»، فالبُسول: عُبوسة الشجاعةُ والغضَب. ويقال: بَسُل واستَبْسَل. والصَّميم: خالِصة الشيءِ وما به قَوَامُه؛ ومنه قيل صميم الصَّيف والشتاء. ويقال للرَّجُل: هو من صميم قوْمِه، أي من مَحْضِ أصلِهم. ويوصَف بالصَّميم الواحدُ والجميع.

٤ ـ قاتَلْتُهُم حتَّى تَكافَأَ جَمْعُهمْ والخَيلُ في سَبَلِ الدِّماءِ تَعُومُ

معنى تكافأَ جمعهم: انكفَؤُوا فهزموا. وهذا من الكَفْء: قَلْبِكَ الشيءَ لوجْهِه. ومنه كفأتُ الإناءَ، إذا قَلَبتَه. ويجوز أن يكون من الكُفْءِ: النَّظيرِ والمِثْل، ويكون المعنى تكافَؤُوا في مُدافَعتي ومُقاوَمتي، أي تَساوَوْا حتى لم يَفْضل أحدٌ منهم على الآخر في ذلك. وعلى هذا ما رُوِي في الخبر: «المُسلمون تتكافأُ دِماؤهم». والسَّبَلُ: ما سال من المَطَر والدَّم، ومنه أَسْبَلَ السِّتْرَ والإزار، إذا أرخاهُما. ومعنى تَعُومُ: تَسْبَح؛ ويُسمَّى الفَرَسُ عَوّامًا، لسَبْحِها في الجَرْي. وعلى التشبيه قالوا: النُّجوم تعُومُ في الفَلَك. ومراد الشاعرِ اقتصاصُ الحال، وأنّه قد أدَّى ما كان إليه من المجاهدة، فلا تَبِعَةَ عليه.

٥ ـ إذْ تَتَّقِي بِسَرَاةِ آلِ مُقاعِسٍ حَذَرَ الأسِنَّةِ والسُّيوفِ تَمِيمُ[1]

قوله «إذ تتَّقِي» ظرفٌ لقوله تَعُوم. واتّقاءُ: أن تجعل بينك وبين محذورِك شيئًا يَقِيك. والسَّرَاةُ: جمع سَرِيّ، والفعلُ منه سَرَا يَسْرُو، ولم يجيء في المعتلّ فَعَلَةٌ في الجمع إلَّا هذا؛ لأنّ هذا البناء يختصُّ بالصَّحيح، نحو فَسَقةٍ وكَتَبة، فهو بإزاء فُعَلَةٍ من المعتلّ نحو قُضاةٍ ورُماةٍ. وانتَصبَ «حَذَر الأسِنَّةِ» على أنّه مفعولٌ له، وتميمٌ يرتَفِعُ بفِعْلهم، وهو تَتَّقِي، والتقدير: إذ تَتَّقِي وحين تَتَّقِي بِسَرَاةِ هؤلاء القوم تميمٌ حذَرًا من الأسِنَّةِ والسُّيوفِ.

٦ ـ لم أَلْقَ قَبْلَهُمُ فَوارِسَ مِثْلَهُمْ أَحْمَى وهُنَّ هَوَازِمٌ وهَزِيمُ

يجوز أن يكون عَنَى بالفَوارس أصحابَه الذين فُجِعَ بهم، فبَيَّنَ أنَّهم لم يُؤْتَوا فيما مُنُوا به من ضَعْفٍ وفَشَلٍ، ولا من تقصير وكَسَل، بل حامَوْا عن أحْسَابهم جَهْدَهُمْ، ودافَعُوا عن أَعراضهم طاقتَهم، حتَّى لم يُبقُوا غايةً يتعلّقُ بها حُسْنُ المحافَظة إلا أشرفوا عليها، وراموا بجَهْدِ الممارسةِ تجاوُزَها. ويكونُ في وصفِ أصحابِه بهذه

(١) التبريزي: «حدّ الأسنّة».

الصِّفَةِ على الْحَدِّ الذي عليه في وصف نَفْسِه بقوله «قاتَلْتُهُمْ حتَّى تكافأَ جَمْعُهُم» وبقوله «يَمَّمْتُ كَبْشَهُمُ بطَعْنَةٍ فَيْصَلٍ». وإنَّما تَكلَّفَ كلَّ ذلك لِيُقيمَ عُذرَ نفسه وعذرَهُم فيما اتَّفَق عليهم، ولِيُرِيَ أنَّ ما لَزِمه وإيَّاهُم قد أُدِّيَ بتَمامِه، وإنْ حالَ محتومُ القدَر بينهم وبين النَّجاح. ويجوز أن يكون المراد بهم فُرسَانَ الأعداء، ويكونُ ثَناؤُه عليهم على عادتهم في الرَّفْع من الخَصم عند اقتصاص الأحوال، ونُسبَتِه فيما تجاذبُوهُ إلى الغَناءِ والاستقلال، وكَمالِ الشِّدَّة والاضطلاع، ليكونَ صُورتُه غالِبًا ومغلوبًا أحسنَ، والاعتدادُ بمجاراتِه ومجاذبته أَوْفرَ وأبْلَغ فأمّا قولُه «أَحْمَى» فالمُراد به أَحْمَى منهم، فَحذَفَ. وهذا الْحَذْفُ من أفعَلَ الذي يَتِمُّ بِمنْ يجوزُ إذا وَقَعَ خَبرًا لا صِفَةً، وقد تَقَدَّم القَوْلُ فيه. أي لم أَلْقَ فُرسانًا مِثلَهم قبلَهم هم أَحْمَى منهم هازمين ومهزومين. وقولُه «وهُنَّ هَوَازِمٌ» الواو واو الحال، والضمير منه لفِرَق الخَيلِ وطوائِفها، ولهذا قال هَوازمٌ، لَمَّا كان فواعِلَ يختصُّ بجمْع المؤنَّث إلا في الأحرف المعدودة عند الكلام في فوارس. ومثل هوازم قولُهم الخوارج ـ لأنَّ المراد به الفِرَقُ ـ وما أنشدَنَاهُ أبو عليٍّ النحويُّ الفارسيُّ رحمه الله، للقُطاميِّ: [الوافر]

قــوارشُ بــالــرِّمــاح كــأنَّ فــيــهــا ... شَــوَاطِــنَ ينتزِعن بهــا انتزاعــا[1]

قال: وجاء في شعره أيضًا: [الطويل]

مـــا يَـــنَـــامُ سَـــوَافِـــرُهْ[2]

ثم قال: لا يمتنع أن يكون سَوَافِرُ جمع سَافِرٍ الذي هو المصدر، كما قال الآخر: [السريع]

فـقـد رأى الـراؤون غَـيْـرَ الـبُـطَّـلِ

فَجمع باطلًا على البُطَّلِ، والباطل مصدرٌ، تقول قد قلتَ باطلًا كما تقولُ قد قلتَ حَقًّا. فأما قوله «وهو هَزِيمُ» فهو فعيل بمعنى مفعول، والمُراد به الكثرة لا الواحد، كأنَّه قال وهُنَّ من بينِ هازمةٍ ومهزومَةٍ.

---

(١) للقطامي في ديوانه ٣٣، واللسان (قرش)، وكتاب العين ٦ : ٢٥٦، وتاج العروس (قرش، نزع).

(٢) البيت بتمامه في ديوان القطامي:

تـعـارض بـراق الـمـتـون مـوقـعـا ... رضيض الحصى ليست تنام سوافره

٧ ـ لَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ واخْتَلَفَ القَنَا   والْخَيلُ في رَهَجِ الغُبارِ أُزُومُ[(١)]
٨ ـ في النَّقْعِ سَاهِمَةُ الوُجُوهِ عَوَابِسٌ   وبِهِنَّ مِن دَعْسِ الرِّماحِ كُلُومُ
٩ ـ يَمَّمْتُ كَبْشَهُمُ بطَعْنَةِ فَيْصَلٍ   فَهَوَى لِحُرِّ الوَجْهِ وَهْوَ ذَمِيمُ[(٢)]

لمَّا هذه عَلَمٌ للظَّرف، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره، وجوابُهُ يجيءُ من بَعْدُ، وهو قولُه «يَمَّمْتُ كَبْشَهُمُ». فيقول: لَمَّا تواقَفَ الفئتان في مَصَافِّهم، واشتجرت الرِّماحُ بالطَّعن بينهم، والدوابُّ عَوَاضٌ على لُجُمها في القَتام السَّاطع، متغيِّرةُ الألوان لاشتداد الشَّرِّ اللازم، كوالِحُ الوجوهِ لما يَقع بها من الطَّعن الدِّرَاك، والدَّفعِ بالرِّماح، قصدتُ رئيسَهم بطَعنةِ رَجُلٍ يقضي الأمرَ، ويَفْصِل العُمْرَ، فسقَط لوجهه وهو مذمومٌ لعُتُوِّهِ وبَغْيه. وقوله «أُزُومُ» جمع آزِمٍ، والأَزْم: الإمساكُ والعَضُّ، وكُنِيَ به عن الحِمْية فقيل: «نِعْمَ الدَّواء الأَزْمُ».

وقوله «في النَّقْع» الأجود أن يكون مصدرَ نَقَع الشَّرُّ والصوتُ والموتُ، إذا كثُر وارتفع، وأن يُعدَلَ به عن الغُبار، لأنَّه قال: في رَهَج الغُبار. ومعنى رهَج الغبار: ما أثير من الغبار. وقولُه «ساهِمَةُ الوجوه» السُّهوم: تغيُّر اللونِ مع هُزَلٍ ويُبُوسٍ. والدَّعْسُ: الطَّعنُ وشِدَّةُ الوطء. ويقال: طريقٌ مِدعَاسٌ، أي مُذَلَّلٌ؛ ورَجُلٌ مِدْعَسٌ شديد الطَّعن.

وقولُه «فَهَوى لحُرِّ الوجه» فالحُرُّ من كل شيء أعتَقُهُ، وقال الخليلُ: حُرُّ الوجه: ما بَدا من الوَجنةِ. حُرَّةُ الذِّفرَى: موضع مَجَال القُرْط.

١٠ ـ ومَعِي أُسُودٌ من حَنِيفَةَ في الوَغَى   لِلْبَيْضِ فوق رؤوسهم تَسْوِيمُ
١١ ـ قَوْمٌ إذا لَبِسُوا الحديدَ كأنَّهُم   في البَيْضِ والحَلَقِ الدِّلاصِ نُجُومُ
١٢ ـ فَلَئِنْ بَقِيتُ لأرحَلَنَّ بغَزْوَةٍ   نَحْوَ الغَنَائِمِ أو يموتَ كريمُ[(٣)]

قولُه «من حنيفَةَ» في موضع الصِّلة لأُسودٍ، وفي الوَغَى ظرفٌ لما دَلَّ عليه قولُه أُسودٌ، وتقديره: معي رجالٌ يشابهون الأُسُودَ شجاعة وإقدامًا في الحرب حنفيُّون. والوَغَى أصلُهُ الجَلَبَةُ والصَّوتُ، ثم صار كالاسم للحَرْب. وقولُه: «للبَيْض فوق

---

(١) التبريزي: «في نقع العجاج». (٢) التبريزي: «دميمُ».
(٣) التبريزي: «تحوي الغنائمَ».

رؤوسهم تسويم»، فالتَّسويم: العلامة والتأثير، ومنه قولهم: الخَيْل المُسَوَّمةُ؛ وكلّ ذلك من السِّيما: العَلَامة، ويقال السِّيمِيا. ومعناه أنَّهم لِطول لُبْسِهِم للبيض، ودَوام مُمارسَتهم للحرب، قد انحَسَر الشَّعْرُ عن جوانب رؤوسهم. ويشبه هذا المصراع قول الآخر: [السريع]

قَدْ حَصَّتِ البيضةُ رأسِي فَمَا ... أَطعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجاعِ[١]

وقول أبي تَمّام الطائي: [الطويل]

عَبُوسٌ كَسَا أبطالَهُ كُلّ قَوْنَسٍ ... يُرَى المرءُ منه وهو أفْرَعُ أنْزَعُ[٢]

وقولُه «قومٌ إذا لبِسُوا الحديد» ارتفع قَوْمٌ على أنه بَدَلٌ من قوله أسُودٌ. ويجوز أن يكونَ خبرَ مبتدإٍ محذوف كأنه قال: هم قَوْمٌ. وإنما يَصِفُهم بأنهم مشاهيرُ بحسن البلاء، متميِّزون عن الفُرسان إذا حَضَرُوا الوَقَعات، بعلاماتهم ومعارِضِهم التي عُرِفوا بها وفيها، فلا يخفى آياتُهم إذا تَدَجَّجُوا، ولا يلتبِسُ أحوالُهُم متى تَطَلَّعُوا، بل كأنَّهم النُّجومُ في المناظِر والقُلوب. وجعل الحديد كناية عن أنواع الأسلحة. والدِّلاصُ: اللَّيِّنة الملساء، يقال دِرعٌ دِلاصٌ ودَلِيصٌ، ودُروعٌ دُلُصٌ. وقال الخليل: ربَّما جاء دِلَاصٌ في صفة الجَمْع.

وقوله «فلئِن بقيتُ لأَرْحَلَنّ بغَزْوَةٍ» اللام من لئن موطِّئةٌ للقسم، ولَأَرحلنّ جوابُه. وقولُه «نحو الغنائم» ظرفٌ لِأَرحَلَنّ. ورواه بعضُهم: «تَحوِي الغنائمَ»، ويكونُ صفةً لغَزْوَةٍ، أي حاويةٍ للغنائم. وقوله «أو يموتَ كريمُ» أو بَدَلٌ من إلا، ويموتَ ينتصِب بأن مُضمَرَةً، كأنَّه قال إلّا أن يموتَ كريمُ، ويَغْنِي بالكريم نَفْسَهُ. وفي طريقته قولُ لبيد: [الكامل]

أو يَرتبِطْ بَعْضَ النُّفوس حِمَامُها[٣]

---

(١) لأبي قيس بن الأسلت في ديوانه ٧٨، واللسان (حصص، هجع)، وديوان الأدب ٣: ١٢٦، وشرح اختيارات المفضل ١٢٣٦.
(٢) ديوانه ١٩١.
(٣) للبيد في ديوانه ٣١٣، ومجالس ثعلب ٦٣، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧: ٣٤٩. وصدره:

«تَرّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرضها»

٢٥٩ ـ وقال رجلٌ من بني يَشْكُر[(١)]: [الوافر]

١ ـ أَلَا أَبْلِغْ بَنِي ذُهْلٍ رَسُولًا ... وخُصَّ إلى سَرَاةِ بَنِي النِّطاحِ[(٢)]

٢ ـ بأنَّا قد قَتَلْنا بالمُثَنَّى ... عُبَيْدَةَ منكُم وأبا الجُلَاحِ[(٣)]

٣ ـ فإن تَرْضَوْا فإنَّا قد رَضِينا ... وإن تأبَوْا فأَطْرافُ الرِّماحِ

٤ ـ مُقَوَّمَةٌ وبِيضٌ مُرْهَفاتٌ ... تُتِرُّ جَماجِمًا وبَنانَ راحِ

قولُه «رَسولًا» أراد رسالةً. وقوله «وخُصَّ إلى سَراة بَني النِّطاح» أي تَوَصَّلْ إلى أن تَخُصَّهم بأدائها. والسَّراةُ تقدَّم القولُ فيه[(٤)].

وقوله «بأنّا قد قَتَلْنا» الباء زائدةٌ للتأكيد، وموضع بأنّا نَصْبٌ على أنه بدلٌ من رسولًا. ومثله أَعْلِمْ بكذا، يريدُ أَبلغ خيارَ هؤلاء القوم وأماثِلَهم أنّا قتلنا بدلَ الواحد الذي قتلتموه منّا اثنين منكم، فإن رَضِيتم فرِضانا مع رضاكم، وإن أبيتُم وتسخَّطتم حاكمناكم إلى ظُبَى السُّيوف وقد أُرهِفتْ، وإلى أسنَّةِ الرِّماح وقد قُوِّمت. وهذا الكلام اعتلاءٌ واقتدار، وتوعُّدٌ واستكبار. والفاءُ من قوله «فأطرافُ» بما بعدها جوابُ الجزاء، وارتَفَع أطرافُ بالابتداء، وخبَرُه محذوف، كأنه قال: فأطرافُ الرماح وبيضُ السيوف بيننا. وتُتِرُّ في موضع الصِّفة للبِيض، ومعناه تُسقِط. والمُرهَفات: المُرقَّقات الحدّ. والرَّاح: جمع راحة.

٢٦٠ ـ وقال جُرَيبَةُ بن الأشْيَم الفَقْعَسيّ[(٥)]: [المتقارب]

١ ـ فِدًى لَفَوارِسِيَ المُعْلِمِيـ ... ـنَ تحتَ العَجاجَةِ خالي وعَمّ

---

(١) التبريزي: «فيما كان بينهم وبين ذهل». (٢) التبريزي: «بني البطاح».
(٣) ضبط عند التبريزي: «عَبيدةَ». (٤) في البيت الخامس من الحماسية (٢٥٨).
(٥) جريبة بن أشيم الفقعسي: شاعر جاهلي كان من القائلين بالبعث وممن يزعمون أن «من عُقرت مطيّته على قبره يُحشَرُ عليها» وله في ذلك أبيات. ترجمته في اللباب ٢: ٢١٩، والأعلام ٢: ١١٩. وروى التبريزي في سبب الشعر: «غزا النعمان بن بجير بن عابد العجلي ويُكنى أبا سلهب فلقي فقعس بن طريف، ورئيسهم أهبان بن عرفطة، فلما بصر بنو فقعس بالخيل قالوا: هذه عيرٌ عليها تمرٌ، فابتدرتها خيلهم، فلحق بهم جريبة بن الأشيم ويكنى أبا سعد فلما رآهم رجع، واقتتل القوم، فقُتل أُهبان قتله الحصف بن معبد بن عبد الحارث بن هلال بن ربيعة بن عجل. ورواها غير أبي تمام لسبرة بن عمرو: قال ومن حديثه أن بني فقعس غزوا بني عجل فقتلوا رئيسهم أبا سلهب فقال سبرة بن عمرو الأبيات».

٢ ـ هُمْ كَشَفوا عَيْبةَ العائبين مِنَ العارِ أَوْجُهُهُمْ كالْحُمَمْ(١)

حَمِدَهم لما ظَهَرَ من وفائهم وبلائهم، ففدّاهم وأثنى عليهم. والمُعْلَم: الذي شَهَرَ نفسَه في الحرب بعلامةٍ لكَيْ إذا أَبْلَى عُرِفَ بها. والعَجَاجُ: الغُبار، وكذلك العَجَاجةُ. ويقال: لفّ عجاجتَه على بني فلانٍ، إذا أغارَ عليهم. وقوله «خالي» في موضع الرّفع، لأنه خبر المبتدأ. وقوله «هُمْ كشَفوا عَيْبَةَ العائبين» العَيْبَةُ: شِبه الخريطة من الأَدَم. وهذا مَثَل، أي أظهروا من عَيْبِ مَن كان يَطلبُ عيبَهم ما كان خافيًا، وكذَّبوهم فيما كانوا يختلقونه ويتنفَّقونه به، فكأنَّهم كشَفوا عِيابَهم المنطويةَ على عيوبهم، فاسودَّت وجوهُهم بما غَشِيَها من العار حتى صارت كالْحُمم. ويقالُ: «فلانٌ عَيْبةُ عُيوبٍ، ومِذنَبُ ذُنوب». ويقال: عابَ المتاعُ وغيرُه، إذا صار ذا عَيبٍ؛ وعِبْتُهُ أنا، أي جعَلتُ فيه عيْبًا. وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: الآية ٧٩]. والْحُمم: الفَحْم. ويقال جاريَةٌ حُمَمَةٌ، أي سوداء.

٣ ـ إذا الخيلُ صاحَتْ صِياحَ النُّسورِ حَزَزْنا شَراسِيفَها بالْجِذَمْ

يقول: إذا ضَجَّتِ الخيلُ من الطَّعنِ الواقع على نُحورِها، وهَمَّت بالازوِرار أكرهناها على الصبر والتقدُّم. ومثله قول خِداش بن زُهير: [المتقارب]

يَصِيحُون مِثْلَ صِيَاحِ النُّسو رِ مِن أَسَلٍ وارِدٍ صادِرِ

ومعنى حَزَزْنا قَطَعْنا. والشَّراسيف: مَقَاطُ الأضلاع: والْجِذَم: السِّياط. وقوله «صاحَت صياحَ النسور»، يريدُ صاحت صياحًا يُشْبه صياحَ النسور. وإذا ظرفٌ لقوله حَزَزْنا.

٤ ـ إذا الدَّهْرُ عَضَّتْكَ أَنيابُهُ لَدَى الشَّرّ فَأْزِمْ بهِ ما أَزَمْ

هذا مَثَلٌ، والذي أشار إليه بالأنياب نُوَبُ الدَّهرِ وحوادِثُه. وقوله «فأْزِمْ به» أي اغْضَض به، والمعنى صابِرْهُ. والتوسُّع في الأَزْمِ والعَضّ على طريقةٍ، يقال: هذا عَضيضي وأنا عَضيضُه، أي نتشاكس في الأمر. وإني لَعِضاضُ عيْشٍ، أي صَبورٌ على شدّته. و«ما أَزَمْ» ما مع الفعل في تقدير المصدر، واسمُ الزّمان محذوفٌ معه، فهو

(١) التبريزي: «غيبة الغائبين». وفسّرها: «أراد أن من قُتِلَ منهم في عارٍ تسودّ منه وجوههم أدرك هؤلاء القوم ثأرهم فغسلوا ذلك العار عنهم فكأنهم بذلك الفعل حفظوا عهد من غاب عنهم».

في موضع الظَّرف. والمعنى: اعضَضْ به مُدّة عَضِّه بك. ورواهُ بعضُهم: «فارزُمْ له ما رَزَم»، والمعنى: اثبُتْ له ما ثَبت لك. وإنما قال «فأْزِمْ به» طلبًا للمطابقةِ والموافقةِ. على هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٤]، والثاني ليس باعتداء، بل هو جزاؤه. وجوابُ إذا قوله «فأْزِمْ به» وهو العامل فيه.

٥ ـ ولا تُلفَ في شَرِّهِ هائبًا كأنَّكَ فيه مُسِرُّ السَّقَمْ

في شرِّه، أي في سرّ الدّهر. يقول: لا تُوجَدَنّ فيما تُدْفَعُ إليه وتُمتَحَن به من نوائب الدَّهر خائفًا متهيِّبًا مستشعِرًا لليأس من النَّجاح، وانقلابِ الأمر إلى الخير والصَّلاح، فتكونَ بمنزلةِ مَن به داءٌ عُضالٌ لَزِمَهُ، فأعياه مُداواتُه حتى يئسَ من إقلاعه وذهابِه، فجعل يَكتُمه ويُخفِي أثرَه، وهو خائفٌ مما يتعقبُه. ورواه بعضُهم: «مُشِرُّ السَّقَمْ». أي مُظهِرُه. وهذا كما رُوِيَ بيتُ امرىء القيس: [الطويل]

لو يُشِرُّونَ مَقْتَلِي(١)

وأُنشِدَ فيه: [الطويل]

وحتَّى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ المصاحِفُ(٢)

ومعناه تَغْتَمُّ لما تُقاسِيه، وتخافُ نُزولَ أمثالِه، فتنخزِل وتنقطع، فِعْلَ الوَصِبِ المريضِ إذا اشتَكى مما به.

٦ ـ عَرَضْنا نَزَالِ فلم يَنزِلوا وكانت نَزَالِ عليهم أَطَمّ

يقول: عَرَضْنا عليهم المُنازَلة فقُلْنا نَزَالِ، لمّا ضاقَ مجالُ الخيلِ عن الطِّراد، فتكرّهوه ولم يَنْشَطوا له. وكانت هذه العَرْضةُ بهذه اللَّفظة أشدَّ عليهم وأغلَبَ لهم من كلِّ ما تقدَّم من ألفاظ التَّداعي والتَّجاذب. وقد تقدَّم في لفظةِ نَزَالِ وبنائه وتأنيثِهِ وحقيقته ما فيه كفايةٌ. ومعنى «أَطَمّ» يقالُ طَمَّ البحرُ، إذا غَلَبَ سائر البحور. والطَّامَّة: الخَصلةُ التي تَطُمُّ على ما سِواها. وفي القرآن: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النَّازعَات: الآية ٣٤]، يرادُ به القيامة.

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١٣، وخزانة الأدب ١١: ٢٣٨، واللسان (شرر). وتمامه:
تجاوزت حُرّاسًا عليها ومعشرًا عليّ حِراصٍ لو يُسِرّون مقتلي

(٢) لكعب بن جعيل في اللسان (شرر)، وديوان الأدب ٣: ١٥٧، ولكعب بن جعيل أو للحصين بن الحمام المريّ في تاج العروس (شرر). وصدره:
«فما برحوا حتى رأى اللّهُ صبرَهُم»

٧ ـ وقد شَبَّهوا العِيرَ أفراسَنَا فقد وجَدُوا مَيرَها ذا بَشَمْ[١]

العِير: الإبل عليها المِيرَةُ وغيرُها. وقال بعضهم: هو من قولهم: عارَ الشيءُ: ذَهَبَ، يَعِيرُ، وهي جماعات السَّفر، ووزنُه فُعْل، جمع عائرٍ، كعائذٍ وعُوذٍ، إلّا أنّ العين كُسِرت لتدُلّ على الياء. والمَيْر: مصدر مارَهُم يَميرُهم، إذا نَقَل إليهم المِيرَة. والمعنى: لجهلهم بخصمهم، وثِقَتِهم بأنفسِهم وتمكُّن البَغْي من اختيارِهم ونظرِهم، عدُّونا غنيمةً تُغْتَنَمُ، وإبِلًا بأحمالِها تُساقُ وتُقْتَسَمُ، فقد استَوْبَلوا عاقبةَ غنيمتهم وذاقوا وخامَةَ مِيرتهم. والبَشَم: الثِّقَل، يقالُ بَشِمْتُ من الطَّعام، وبَغِرتُ من الماء.

٢٦١ ـ وقال آخر[٢]: [الوافر]

١ ـ أتاني عن أبي أَنَسٍ وَعِيدٌ فَسُلَّ لِغَيظَةِ الضحّاكِ جِسْمِي[٣]

٢ ـ ولم أَعصِ الأميرَ ولم أُرِبْهُ ولم أَسبِقْ أبا أَنَسٍ بِوَغْمِ

هذه الأبيات إنما خَتم بها الباب وإن لم تكن منه على عادته، في إتْباع المعنى بضدّه كثيرًا. والأغلبُ في الظنّ بقائلها أن يكون قَصَد بها الهُزْءَ والتملُّحَ. وفي طريقتها قول[٤] الآخر: [البسيط]

إني أَعُوذُ بِرَوْحٍ أن يُقَرِّبَني إلى القِتال فيَخْزَى بي بنو أَسَدِ
إنّ المُهَلَّبَ حُبَّ الموْتِ أورثَكُم ولم أَرِثْ نَجْدَةً في الْحَرْبِ عن أَحَدِ
إنّ الدُّنُوَّ من الأعداء تَعْلَمُه مما يُفَرِّقُ بين الرُّوحِ والْجَسَدِ

ولبعضِهم[٥]: [البسيط]

باتَتْ تُسَخِّفُني هِنْدٌ وقد عَلِمَتْ أنّ الشّجاعةَ مَقْرُونٌ بها العَطَبُ

---

(١) التبريزي: «ذا شَبَمْ، وقال أبو رياش: الشبم: البرد، ومعناه صادفوا الموت، والموت بارد والسمّ بارد».

(٢) التبريزي: «وقال شقيق بن سليك الأسدي» وهو شاعر إسلامي، وهذا الشعر يقوله معتذرًا إلى الضحاك بن قيس بن خالد الشيباني الفهري، وهو أبو أنس. والضحاك شهد صفين مع معاوية ودعا إلى بيعة ابن الزبير ثم إلى نفسه وقُتل بمرج راهط سنة ٦٥.

(٣) التبريزي: «فسَلّ تغيظُ».

(٤) الأبيات لأبي دلامة في عيون الأخبار ١: ١٦٤، والأغاني ٩: ١١٩.

(٥) الأبيات في عيون الأخبار ١: ١٦٤، والعقد الفريد ١: ١٦٦.

يا هِنْدُ لا والذي حَجَّ الْحَجِيجُ لهُ ... ما يشتَهِي الموتَ عندي من له أَدَبُ
للحَرْبِ قومٌ أضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... إذا دَعَتْهُمْ إلى أهوالِها وثَبُوا
ولستُ منهم ولا أرضَى فَعَالَهُمُ ... ما القَتْلُ يُعْجِبُني منهم ولا السَّلَبُ

وأبلَغ منه قول الآخر: [الرجز]

اثنانِ منّا يغليانِ واحِدَا ... إذا تعاوَنَا وكان راقِدَا

فأما قولُه «فسُلّ لغَيْظَةِ الضَّحاكِ» فالضَّحّاك اسم أبي أَنَسٍ. ومعنى سُلَّ: ذابَ، كجِسْم من به السُّلَالُ، وهو داء معروف. وقال «غَيْظة» لأنه أراد المرَّةَ الواحدة، وهذه الهاء تدخُل في المصادرِ على اختلافِها لهذا المعنى كالضَّرْبةِ والْخَرْجَةِ والإلمامة والاستخراجة. وقولُه «ولم أَرِبْهُ» يُروَى بفتح الهمزة وضمِّها؛ والفرقُ بينهما أنه يقالُ: رابَهُ الدَّهْرُ إذا قَصَدَهُ برَيْبِهِ وحَوادِثِه؛ وأرابَهُ: أتاه برِيبة. والوَغْمُ: التِّرَةُ والذَّحْل.

٣ ـ ولكنَّ البُعُوثَ جَرَتْ عَلَيْنَا ... فصِرنا بين تَطْويحٍ وغُرْمِ[1]
٤ ـ وخافَتْ من جِبَالِ السُّغْدِ نَفْسِي ... وَخَافَتْ من جِبَالِ خُوَارَزْمِ[2]

قولُه «ولكنّ البُعوث جَرَتْ علينا» يقالُ: ضُرِبَ البَعْثُ على الجُنْدِ، وأُجْرِيَ البَعْثُ عليهم، أي بُعِثُوا إلى العَدُوّ. وجَمَعَه فقال البُعُوث، لاختلافِه وتكرُّرِه، وهذا كما يُجْمَع الضَّرْب على الضُّروبِ والفَنُّ على الفُنون. والتَّطويحُ: والتَّبْعِيدُ في الأرضِ، والحَمْل على ركوبِ المهالِك. ويقال: طُوِّحُوا وطُيِّحُوا جميعًا.

٥ ـ وقَارَعْتُ البُعُوثَ وقارَعُوني ... فَفَازَ بضَجْعَةٍ في الحيِّ سَهْمِي[3]
٦ ـ فأعْطَيْتُ الجِعَالَةَ مُسْتَمِيتًا ... خَفِيفَ الحَاذِ من فِتْيَانِ جَرْمِ

قولُه «قارَعْتُ البُعُوثَ» يريدُ به ساهمتُهُم، والقُرْعَةُ الاسم. ويقال: هو قَرِيعِي أي مُقارِعِي، كما يُقالُ هو خَصِيمِي. وقولُه «البُعُوثَ» أراد أصحاب البُعُوث، فحذفَ المضاف. ويجوز أن يكون سَمَّى المبعوثَ بَعْثًا ثمّ جَمَعه، وهذا على عادتِهم في الوصف باسم الحدَث. وقولُه «فاز بِضَجْعَةٍ في الْحَيِّ سَهْمِي» أي خَرَج

(١) التبريزي: «جنت علينا».
(٢) التبريزي: «خوارزمِ، ويروى: خُواءَ رَزْمِ».
(٣) التبريزي: «وقارعتني».

قِدحِي باضطجاعي وراحَتِي. ويقال: رَجُلٌ ضُجْعِيٌّ بضم الضاد وكسرها، وضُجَعَةٌ، للعاجز اللازم مَنزِلَهُ، ومنه قيل للنُّجوم الثّوابتِ الضّواجعُ. وقولُه «أعْطَيْتُ الجِعَالة»، يريدُ أَعطَيتُ الرّشوةَ لنائِبِ عَنِّي من بني جَزْمٍ، خفيفِ الحال فقير، رَضِيَ بالموت وعرَّض بِنفسِه له، لا سعَدَ بالرّاحةِ والسّلامة، ويَشقَى هو بالتّعبِ والهَلَكة. ويقال: فلانٌ خفيفُ الحاذ، أي الحالِ والمؤنة؛ وهما بحاذٍ واحد، أي بِحالٍ واحد.

تمّ بَابُ الحماسة، بحمد الله الذي هو وليُّ الحمد

باب المَـرَاثِي

٢٦٢ ـ قَالَ أبو خِرَاشٍ الهُذَلِيُّ[1]: [الطويل]

١ ـ حَـمِـدتُ إلٰـهِـي بَـعْـدَ عُـرْوَةَ إذْ نَـجَـا   خِرَاشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ من بَعْضِ

خِرَاشٌ: مصدر خارشْتُه، أو جمع خَرْشٍ، وهو الأثر كالخَدش؛ ومنه تَخَارَشَ الكلابُ: مَزَّقَ بعضُها بعضًا. والخِراش: سِمَةٌ مستطيلةٌ كاللَّذْعة الخَفيَّة، ويقال: بَعيرٌ مخروشٌ. والمِخْرَشُ: اسمٌ لما يُؤَثَّرُ به، خشبةً كان أو غيرها. فأمَّا أبو خُرَاشَةَ من بيت الكِتَاب: [البسيط]

أَبَـا خُـرَاشَـةَ أَمَّـا أنْـتَ ذا نَـفَـرٍ   فإنَّ قَوْمِيَ لم تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ[2]

فقد رُوِيَ بضمّ الخاء وكسرها، فخُراشَةُ يجوز أن يكونَ من خَرَشَ لعِيالِه، أي كَسَبَ، ويكونُ من باب عُمَالَةٍ وعُجَالَةٍ وصُبَابَةٍ وما أشبهها. وخِرَاشَةُ منه من باب وِلايَةٍ ونِكابةٍ[3] وما أشبَهُهما.

وأبوُ خِراشٍ هذا كان خِراشٌ ابنُه وعُرْوَةُ أَخُوهُ، اصطَحَبَا في مُتَصَرَّفٍ لهما فأسَرَهُما بَطنان من ثُمالَة: بنو رِزَامٍ وبنو بَلَّالٍ، وكانوا موتورينَ، فاختلفُوا في الإبقاء عليهما وَقتْلِهما، فمَالَ بنو بَلَّالٍ إلى قتلهما، وتَفاقَمَ الأمر بينهما في ذلك إلى أن صار

---

(١) أبو خراش الهذليّ: خويلد بن مرّة، من بني هذيل من مضر، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، واشتهر بالعدو فكان يسبق الخيل (ت نحو ١٥ هـ/٦٣٦ م). ترجمته في الأغاني ٢١: ٣٨، والإصابة ١: ٤٦٤، والشعر والشعراء ٢٥٥.

(٢) للعباس بن مرداس في ديوانه ١٢٨، وخزانة الأدب ٤: ١٣، والدرر ٢: ٩١.

(٣) نكابة: مصدر نكب على قومه ينكب نكابة، أي صار منكبًا لهم وعريفًا، والنكابة كالنقابة وزنًا ومعنًى.

يُؤدّي إلى المقَاتَلةِ، فتفرّد أولئك بعُرْوَةَ فقتلوه، وتفرّد هؤلاء بخِراشٍ فَخلا به واحِدٌ منهم منتهِزًا للفُرصةِ في الإسداءِ إليه، فقال له: كَيْفَ دِلّيلاكَ؟ قال: قَطَاة[١]! فألقَى عليه رداءَهُ وقال: انجُهْ. فَمَرَّ لِطِيَّتِهِ، فلما انحرفوا للنَّظَر في أمرِه قال لَهم مُمسِكُه: إنَّهُ أفْلَتَ! فطَرَدوه فأعياهُمْ، فلما رَجَعَ خِرَاشٌ إلى أبيه وخَبَّرَهُ بما جَرَى على عُرْوَةَ، وبما اتّفَقَ من صاحِبِهِ في بابه، اقتصّ قِصَّتَهُ في هذه الأبيات.

وقد حُكِيَ فيما رُوِيَ عن الأصمعيّ وأبي عُبيدةَ أنهما قالا: لا نَعرِفُ مَن مَدحَ من لا يَعرِفه غيرَ أبي خِراشٍ. وقد سَلَكَ من شُعراء الإسلام مَسلَكَهُ أبو نُواسٍ في أبيات أوّلُها: [الطويل]

وَدَارِ نَـدَامَـى عَـطَّـلُوهَـا وأدْلَجُـوا ... بِـهَـا أَثَـرٌ مـنـهـم جَـدِيـدٌ ودَارِسُ
مَسَاحِبُ من جَرّ الزِّقَاقِ على الثَّرَى ... وأَضْغَـاثُ رَيْـحَـانٍ جَنِيٌّ ويَـابِسُ
ولـم أَدْرِ مَنْ هُمْ غيرَ ما شهِدَتْ لهم ... بشرقِيِّ سابَاطَ الدِّيارِ البَسَابِسُ

ومَرَّ بي أبياتٌ لبَعْض الأغفَالِ فيها: [البسيط]

سَقْيًا لَهُمْ فِتْيَةً تَدْمَى سُيُوفُهُمُ ... لا عِلْمَ لِي غَيْرَ أنَّ القَوْمَ أحْرَارُ

فهذا ما رواه الناسُ.

وقد حَكَى أبو العبَّاس في الكامل[٢]: أنّ خِرَاشًا كان في القِدِّ مأسورًا، وأنّ آسِرَهُ نَزَلَ به ضيْفٌ فقام يَحتَشِدُ له، فنظر ذلك الضيفُ إلى خِراشٍ وكان مُلْقًى وراءَ البيت، فسألَهُ عن حالهِ ونَسَبِه فشرَحَ له قِصَّتَهُ وانتَسَبَ، فقَطَعَ إسارَهُ وخَلّاهُ، فلما رجع ربُّ البيت قال: أَسِيري أَسِيري!! وأراد السَّعْيَ في أَثَرِه، فوتَّرَ قَوْسَه وحَلَفَ أنه إن تَبِعَه رماهُ.

وقد ذُكِرَ أنّ مُلْقِيَ الرِّداءِ كان مُجتازًا بعُروَةَ، فرآه بادِيَ العَورَةِ مصروعًا، ففعَلَ ذلك به. فهذا قِصَّتُه على الاختلاف فيه.

وقولُه «حَمِدتُ إلٰهي» رُوِي: «حَمِدتُ الإلٰه»، وقَلَّ ما يقع في الاستعمال الإلٰه معرَّفًا باللام، وقد أتَى به على أصلِهِ، إذ كانت العادة جرَتْ باستعمال لفظة الله بدلَه، حق جَرَى مجرى الألقاب في أن يكون مقدَّمًا وسائر الصِّفاتِ تَتْبعه. ومعنى اللفظة:

---

(١) عنى أنه في دلالته وهدايته كالقطاة، ويضرب بها المثل في هدايتها إلى الماء.
(٢) الكامل ٣٣٧ (ليبسك).

الذي تَحِقُّ له العبادةُ. والحَمد يَجري مَجرَى الشكر، إلّا أنه يستعمل في مُسْدِي الإحسانِ، وفي مَن رُضِيَتْ أفعالُه وإن لم يكن منه إحسان، فيقال: حَمِدْتُ فلانًا على اصطناعِهِ لي، وحَمَدْتُه على بَراعتِه وفَضْلِه؛ والشكر لا يُستعمَل إلا فيمن يكون منه إسداءُ معروفٍ وأَخْذٌ بإحسان. والمعنى أشكرُ اللّهَ بعد ما اتَّفَقَ مِن قتل عُرْوة، على تخلُّصِ خِراش، وبعضُ الشرّ أخَفُّ من الآخر. كأنه تصوَّرَ قتْلَهما جميعًا لو اتَّفقَ، فرأى قتلَ أحدِهما أهون. وهذا الكلام، أعني «وبعض الشرّ أهوَنُ من بعض» رَمَى به مَرمَى الأمثال. فإن قال قائلٌ: ليس في الشرّ هَيِّن، وأفعَلُ هذا يُستعمل في مُشترِكينِ في صفةٍ زاد أحدُهما على الآخر؛ لا تقولُ: زَيْدٌ أفضَلُ من عمرٍو، إلّا وقد اشترَكا في الفَضْل، فكيف جاز أن يقولَ: وبعض الشرّ أهوَنُ من بعض، ولا هَيِّنَ في الشرّ؟ قلت: إنّ للشرّ مراتبَ ودرجاتٍ، فإذا جئتَ إلى آحادِها، وقد تصوَّرْتَ جُملَها، ورُتبَ الآحادِ فيها، وجدتَ كلَّ نوع منها بمُضامَّتِه للغير له حالٌ في الخِفَّةِ أو الثِّقَل، وإذا كان كذلك فلا يمتنع أن يُوصَفَ شيءٌ منه بأنَّهُ أَهْوَنُ من غيره. ولا يُشبِه هذا قولَهُ عزَّ وجلّ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفُرقان: الآية ٢٤]؛ لأنَّك إذا تصوَّرتَ حالَ أهل الجنَّة مع أهل النَّار لم تَجِد ثَمَّ مراتبَ متقاربةً يَترقَّى الواصفُ في دَرَجِها، ويَتصَوَّر اشتراكَهُم فيها، إذ لم يكن ثَمَّ مشارَكةٌ البتَّةَ بوجهٍ من الوُجوه. فالجامع بين الآية وبين هذا وأشباهِهِ خارجٌ عن الطَّريقة. والصَّوابُ أن يقالَ في الآية: إنَّ المعنى: أصحابُ الجنَّةِ يومئذٍ أحْسَنُ حالًا وأعظمُ شانًا، وأعلَى درجةً ومكانًا، وخيرٌ مستقرٌ وأفضلُ مَقِيلًا، من أن يُشَبَّهَ بشيءٍ، أو يُحَدّ بوصفٍ، فحُذِف منه ما حُذِف. وعلى هذا يُحمَلُ قول المسلمين: اللهُ أكبَرُ، وما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه لمَّا سَمِعَ الكُفّار يقولون: اُعْلُ هُبَل! قال: «اللهُ أَعْلَى وأَجلّ!».

٢ ـ فـواللهِ مـا أنـسَـى قَـتِـيـلًا رُزِيـتُـهُ ... بجانب قُوسَى ما مَشَيت عَلَى الأرضِ

تَعَلَّقَ الباء من قولِهِ «بجانب» بـ قتيلًا، كأنَّهُ قال: ما أَنسَى قتيلًا بجانب قُوسى رُزِيته. وموضع رُزِيته وبجانب قوسى جميعًا صِفَة للقتيل؛ وقد دَخلَهُ بعضُ الاختصاص بذكرهما. وقولُه «ما مَشَيْتُ» ما مع الفعل في تقدير مصدر حُذِفَ اسمُ الزَّمان معه، كأنّه قال: مُدَّةَ مَشْيِي على الأرض. وفي الكلام نيَّةُ الشَّرْطِ والجزاء، كأنّه قال: لا أَنسَى قتيلًا رُزِيته إنْ مَشَيتُ على الأرض، ومعناه إنْ بَقيتُ حيًّا، فلذلك وقع الماضي فيه في موضع المستقبلِ، لأنّ «ما مَشَيْتُ على الأرض» في

موضع ما أمشي على الأرض، وإنْ أَمْشِ على الأرض. فأمّا تذْكُرُهُ له أبدًا فالوجه أن يكون عامًّا فيما يتعلق بالمتوفَّى وبمن يَرْثيهِ، كأنّه لا يَنْسَى أخلاقَهُ وطيبَ العيشِ معَه، ولا الامتناع بمكانه وشدَّةَ الفاقة إلى حياته، فلا يَنْسَى ما يلزمه في قضاءِ ذِمامه وطَلَبِ دمه، ومكافأةِ أعدائِهِ وقاتِليه، إلى غير ذلك. يَشهد لهذا الذي قُلناه ما يجيء كثيرًا في هذا الباب من قولهم «هَوَّنَ وَجْدِي أنني لم أفْعَلْ كذا» و«يذكُرني من فلانٍ كذا»، وما يجري هذا المجرى، ويجوز أن يكون قال: لا أنْسَاهُ، تعظيمًا للمصيبة به، وتفظيعًا للحال المعترِضَةِ فيه، وعلى عادة قولِ النّاس عند النازلة الهائلة، والنائبة الكاربة: لا يُنسِيني هذا شيءٌ، وهو نَصْبَ عَيْنِي إلى أن أموتَ، والمَعنى: لا يُرَى أعظم منه.

٣ ـ على أنّها تَعْفُو الكُلُومُ وإنّما نُوَكَّلُ بالأدنَى وإنْ جَلَّ ما يمضي

مثله قول الأحوَص: [البسيط]

إنَّ القديم وإن جَلّت رزيئته يَنْضُو فيُنسَى ويبقى الحادث الأُنُفُ

وقوله «على أنّها تعفو الكلوم» يجري مجرى الاعتذار منه والاستدراك على نفسه فيما أطلقه من قوله: لا أنسى قتيلًا رُزِئتُهُ مُدّة حَياتي. يكشف هذا أن موضع «على أنّها تعفو الكلومُ» من الإعراب نصبٌ على الحال، والعامِل فيه ما أنْسَى قتيلًا. وهذا كما تقول: ما أَتْرُكُ حَقَّ فُلَانٍ عَلَى ظَلْعٍ بِي، كأنَّ التقدير أؤدِّيه ظالعًا، فعلى المثال الذي ذكرنا يجيء ما أنسَى قتيلًا رزِئتُه على عفاء الكلوم، أي أذكُره عافِيًا كَلْمى كسائر الكلوم. ويعني بالكَلْم: الْحَزَّةَ عند ابتداء الفَجْعة. وإنّما قال هذا لأنّ الإنسانَ بكونه مُهْدِفًا للأحداث، غَرضًا للمصائب والأرزاء، موزَّع الحال بين ما يتجدَّدُ له أو يَبْلَى، مُقَسَّم الصبر في أثناء ذلك على ما يَحْدُثُ أو يَتَوَلَّى، فلذلك قال «نُوَكَّلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمْضي» فهذا بيانُ كونِ الكلام اعتذارًا. وقوله «على أنّها» الضمير للقصّة، وخبر أَنّ الجملةُ بعدها، ولو قال: على أنّه لجاز وكان الضمير للشأن والأمر. والمرادُ: على أنَّ القصة إذا اقتُصّت، والصُورةَ إذا تُحُقِّقت، أنّ الجروح تعفو، وإنما الْجَزَعُ للأقربِ منها فالأقرب يتسلّط فيعلو. وهذا كما سئل بعضهم: ما أشَدُّ الأدواء؟ فقال: ما يَحْضُرك، وإن بَرَّحَ بكَ ما غابَ! ويقال: عَفَا الشّيءُ، إذا دَرَس عَفَاءً وعفُوًّا، وتَعَفَّى أيضًا، وعَفَته الرِّيح، وعفا الشّيءُ: كثرَ عُفُوًّا وعفَوْتُه. قال أبو زيد: يقال عَفوتُ صُوف الشّاةِ، إذا أخذته، وعفوتُه إذا وفَّرْتَهُ، فهو من الأضداد. وأبلغ ممّا

قاله قولُ الآخر: [الطويل]

فلم تُنسِنِي أَوْفَى المصيباتُ بَعْدَهُ ولكِنَّ نَكْءَ القَرحِ بالقَرحِ أَوْجَعُ[1]

٤ ـ ولَمْ أدرِ مَـنْ أَلـقَـى عـليـه رِدَاءَهُ ولكنَّهُ قد سُلَّ عن مَاجِدٍ مَحْضِ[2]

ويجوز أن يكون «من» بمعنى الذي فيكون في موضع المفعول، «وألقى عليه رداءَهُ» صِلتُه، ويجوز أن يكون مَنْ استفهامًا مبتدأً وألقى عليه رداءه في موضع الخبر، وتكون الجملة في موضع المفعول لـ«لَمْ أدرِ». وتحقيق الكلام: لم أدر ما يقتضي هذا السُّؤال، لأنَّ الذي خَفِيَ عليه ذاتُ المُلقِي واسمُه لا فِعله. وموضع «على أنه» نَصْبٌ في موضع الحال، كأنَّه قال: أدريه مَسلولًا من ماجدٍ مَحضٍ. ويروى: «سِوَى أنه قد سُلّ» ويكون موضع سِوَى من الإعراب نَصْبًا على أنَّه استثناء خارجٌ، ألا تَرَى أنه يتأتّى أن يَجْعَلَ مكانَهُ لَكِنْ، والتقدير: لا أعرف اسمَهُ ونَسَبَهُ، إلَّا أنَّه وَلَدُ كريم بما ظهر من فعله. والمستثنى قد انقَطَعَ عن الأوّل، ألا تَرَى أنه قد عَرَفَهُ بِدلالته وإن لم يعرف نفسَهُ وذاتَهُ. ومعنى البيت: ولا أعلم الذي اهتدى لهذه المكرُمة في بابِ ابني خِراش، ولكنَّه كريم الأصل شريفُ الفَرعِ، مؤثرٌ لفعل الصَّنيعةِ كيف اتَّفقتْ، لا يُراعِي وُجوبَها ولا زَكاءَها. وأصل المَجْدِ الكثرة، يُقال: أمجدتُ الدابةَ العَلَفَ، إذا أكثرتَ له، وأراد بالمحض صَفاءَ النسَب.

٥ ـ ولـم يَـكُ مَـثْـلُوجَ الـفـؤادِ مُـهَـبَّـجَـا أَضَاعَ الشَّبابَ في الرَّبيلَةِ والخَفْضِ

قوله «ولم يك» حذف النون من يَكُنْ لكثرة الاستعمال لهذه اللفظة، ومضارعةِ النون لحروف المدِّ واللين، وقد مَضَى مثْلُه. وقولُه «مثلوجَ الفؤادِ» أي باردَ الفؤاد غير ذكيٍّ ولا حَدِيدٍ. والمُهَبَّج: المتورِّم، يقال هَبَّجَهُ بالعَصَا فَهَبِج وتَهَبَّجَ، إذا ضربَهُ بها فانتفخ وتورَّم. والرَّبِيلة، أصلُها الرُّطوبة والسِّمَنُ. يقال: رجلٌ رَبِلٌ، وبئرٌ ذاتُ رَبَالَةٍ، إذا كانت ناجعةَ الماءِ في الماشية تَسْمَنُ عليه. والرَّبْلُ: ما تَفَطَّرَ من الورق في آخر الصَّيف بِبَرْدِ اللَّيل. يقال: هُمْ يتربَّلُون. والرِّيبال من أسماء الأسد إذا لم يَهْمَز، يجوز أن يكون فِيعَالًا من هذا، لتَربُّلِه وعِظَمِه. والخَفض: الدَّعَةُ وتركُ السَّفَر. ومعنى البيت: أنه رَجَعَ. إلى صفة عُروةَ فقال: كان ذَكيَّ الفؤاد شَهمًا، نافذًا في الأمور حيَّ

---

(١) بلا نسبة في جمهرة اللغة ١١٠٥، وأساس البلاغة (نكأ)، ولمسعود أخو ذي الرمة في حواشي البيان ٢: ١٩٢.

(٢) التبريزي: «على أنه قد سُلّ».

القَلْب، لا آفَةَ به فيَتورَّمَ جِلْدُه أو يتغيَّرَ لونُه، ولم يكن ممَّن ضَيَّعَ شبابَه في التَّوَدُّع وصَلاحِ البدَن، حتَّى كانَ يَتْرُكُ السَّفرَ واكتسابَ الأُحدوثة بما يَمتَهِنُ فيه النَّفس، ويتعرَّض من أجلِه للتَّلَف.

٦ ـ ولـكِـنَّـه قـد نـازَعَـتْـهُ مَـجَـاوعٌ   عـلى أنـه ذُو مِـرَّةٍ صَـادِقُ الـنَّـهْـضِ

لكِنْ المخفَّفَةُ استدراك بعد نَفْي، والمشدَّدةُ وإن كان للتحقيق فيه معناه. فلمَّا نَفَى عنه ما قَدَّمَهُ في البيت الذي قبله، استدرَكَ على نفسِهِ إثباتَ ما يَتَضَمَّن هذا البيتُ له. ويروى «ولكنه قد لَوَّحَتْهُ مخامِصُ»، ومعنى لوَّحَتْهُ غيَّرَتْه، والمخامصُ: جمع مَخْمَصَةٍ، وهي خَلاء البطن من الطَّعام جُوعًا. وفي الحديث: «تَغدُ الطَّيرُ خِماصًا وتروحُ بِطَانًا»[1]. والمجاوِع مثل المَخَامِص. والخصال التي تَحْمِلُ النُّفوسَ على الصَّبر على الجوع والخَمَاصَةِ مَخَامِصُ ومَجَاوعُ. فيقول: كما انتَفَى عنه تلك الأوصافُ الذَّميمة جاذبَتْهُ في مساعيه ومتصرَّفاته لمباغِيه الشريفة ومطالبهِ مجاوِعُ أو مَخامصُ، يريدُ خِصالًا تُجَوِّعُ فيها النفس وتُفْطَمُ فيها عن لذيذ الطُّعْم؛ وهو ذو قُوَّةٍ، إذا نَهَض في الأمور صَدَق فيها، ولم يكذِبْ فِعْلَ مَن يأتي الشيءَ تعذيرًا أو رِياءً. وقولُه «صَادِقُ النَّهْضِ» جَعَل الصدقَ للنَّهْضِ وإن كان الفِعلان له ولذلك كان نكرةً تقديره: ذو مرّة صادقٌ نهضَتُه، وأصل النُّهوض البَرَاح من الأرض، ومنه النَّاهض: الفَرخ الذي وَفَرَ جناحاه فنَهَضَ للطَّيَران.

٢٦٣ ـ وقال عَبْدَةُ بنُ الطَّبيب[2]: [الطويل]

١ ـ عَـلَـيْـكَ سـلامُ الـلَّـهِ قَـيسَ بـنَ عَـاصِـمٍ   ورَحْـمَـتُـهُ مـا شـاءَ أن يَـتَـرَحَّـمَـا

حيَّاه بقوله: «عليك سلام اللَّهِ ورحمته» وهكذا تحيَّةُ الموتى، بتقديم عليك، والمعنى: عليك من الله السَّلامَةُ! وسلامَتُهُ وقد ماتَ، في توفُّر الرَّحمة عليه لذلك قال «ما شاء أن يَترحَّما»، فاستدام له التحيَّة بقوله: ما شاء أن يترحَّم؛ لأن الترحم من الله دائمٌ، لاتصال رحمته في خلقه، فكأنه قال: توفَّرَتْ عليك الرَّحمةُ ما شاء

---

(١) في النهاية في غريب الحديث ٢: ٨٠، ومنه الحديث: «كالطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا» أي تغدو بُكرة وهي جياع، وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف.

(٢) عبدة بن الطبيب: شاعر مخضرم مُجيد ليس بالمكثر، أدرك الإسلام فأسلم وكان في جيش النعمان بن المقرّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. ترجمته في الشعر والشعراء ٧٠٥، والأغاني ٢١: ٣٠ (دار الكتب العلمية).

أن يترحّم. وقوله «ما شاء» ما مع الفعل في تقدير مصدر، وهو في موضع الظَّرف، والمصادرُ يُحذف معها أسماءُ الزّمان كثيرًا، فالتقدير: مُدَّة مشيئته للرّحمة. والسلامُ من أسماء الله تعالَى، مصدرٌ في الأصل، والمُراد به ذو السَّلامة. وليس في أسمائه تعالى ما هو مصدرٌ إلا هذا، وقولُهم إلـٰه، والباقي كُلُّه صفاتٌ. وقوله «قيسَ بنَ عاصمٍ» هو على لغة من لا يُنوِّن في غير النداء، ومن ينوّن يقول قَيْسُ فيبنيه على الضَّمِّ.

٢ ـ تَـحِـيَّـةَ مـن غـادَرْتَـهُ غَـرَضَ الـرَّدَى إذا زَار عـن شَـحْـطٍ بِـلَادَكَ سَـلَّمَـا

انتَصَبَ «تحيَّةَ» على المصدر مما دلّ عليه قولُه عليك سلامُ الله، كأَنَّه قال: أحيِّيك تحيَّةَ من غَادَرْتَهُ. و«من غادرته» يجوز أن يكون مَنْ معرفةً في موضع الذي وغادرتَهُ من صلته، ويجوز أن يكون نَكِرةً في موضع إنسان كأنه قال: تحية إنسان هكذا، فيكون غادرتَهُ صفة لَهُ. وانتَصَبَ «غَرَض الرَّدَى» على الحال، وهو في موضع النَّكِرة وإن كان مُضافًا إلى ما فيه الألف واللام، لأنّ غَرضَ يَتَضمَّن معنى الصِّفة، كأنَّه قال غادرته منصُوبًا للرَّدَى وهَدَفًا له. وقولُه «إذا زار عن شَحْطٍ بلادك سَلَّما» يجوز أن يكون في موضع الصِّفة لغرضَ الرَّدى أو حالًا له، ويجوز أن يكون في موضع الحال إذا جَعلتَ مَنْ معرفَةً، ويجوز أن يكون في موضع البَدل من غادرتَهُ إذا جعلتَهُ صِلةً. وقولُه «عن شَحطٍ» أراد بعد شحط أي بُعدٍ. يقال: شَحَط يَشْحَطُ شَحْطًا وشُحُوطًا. وكأنَّهُ أشار به إلى بُعد المزار والعَهْد جميعًا. وقوله «سَلّما» جوابُ إذا. ومعنى البيت: أحيِّيك تحيَّةَ الرَّجلِ الذي غادرتَهُ غَرَضَ الرَّدَى، أو تحيَّةَ إنسانٍ هكذا، على التقديرين. أي تركْتَهُ مُهْدِفًا للمهالك والمعاطِب، وبِمَدْرَجَةِ الآفات والنَّوائب، أشدَّ ما كان حاجة إليك، لا ناصِرَ له ولا مُلتجأَ، ولا مُستغاثَ ولا مُعتمدَ، وإذا أراد قضاء حَقِّك، أو زيارَتَكَ للتسَلّي بك، فقطع المسافَةَ بينه وبينك لم يَرْزَأْك شيئًا إلَّا تسليمًا عليك، وهذا الكلام تصريح باليأس منه، وإظهارٌ للحاجة إليه.

٣ ـ فَـما كـانَ قَـيسٌ هُـلْكُـهُ هُـلكَ واحِـدٍ ولـكـنَّـهُ بُـنـيـانُ قَـومٍ تَـهـدَّمَـا

يجوز أن يروَى «هُلْك» بالنَّصب والرفع، فإذا نصبْتَ كان هُلكه في موضع البَدَل من قَيسٍ وهُلك ينتصب على أنَّه خبر كان كأنَّه قال: فما كان هُلك قيس هلكَ واحد من الناس، بل مات بموته خَلْقٌ كثير، وتَقَوّضَ بِبِنْيَتِه وعزِّهِ بنيانٌ رفيع. وإذا رفَعتَهُ كان هلكه في موضع المبتدأ، وهُلك واحدٍ في موضع الخبر، والجملةُ في موضع النَّصب

على أنّه خَبَرُ كان، ويُشبه هذا البيتَ قولُ امرىء القيس: [الطويل]

فَلَوْ أنَّها نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً ... ولكنها نَفْسٌ تُساقِطُ أَنْفُسَا(١)

إذا رَوَيْتَ «تُساقِطُ» بضمّ التاء. ومثلُهُمَا وإن أَغْمَضَ قولُ الهُذَليّ: [الطويل]

مُطَأْطَأَة لم يُنبِطُوها وإنَّها ... لِيَرْضَى بِها فُرَّاطُها أُمَّ وَاحِدِ(٢)

لأنّ المعنى أنّ الفُرّاط لما حَفَرُوا القبر رضُوا بأن يضعوا فيه واحِدًا، فإذا هم يدفنون بدَفنِه خَلْقًا كثيرًا.

وصَلَحَ قوله «ولكنه بُنيانُ قومٍ تَهدَّما» في مقابلةِ «فما كان قَيْسُ هُلكه» لمعناهُ الموافق له، وذلك أنّ البُنيان وتَهدُّمَه لم يكن إلّا لموت أربابه.

٢٦٤ ـ وقال هشامٌ أخو ذي الرُّمَّة(٣): [الطويل]

١ ـ تَعزَّيْتُ عن أَوْفَى بِغَيْلانَ بَعْدَهُ ... عَزَاءً وجَفْنُ العَيْنِ مَلْآنُ مُتْرَعُ

هِشامٌ هذا فُجِع بأخيه أوْفى، وأتى عليه زمانٌ مقاسِيًا لآلام الفجيعة به، ثم أُصيبَ بعده بغَيلان ـ وهو ذو الرُّمَّة ـ فيقول: تسلّيْتُ عن الرزيئة بأوْفى أخي، بعد أن أُصِبْتُ بغيلانَ عَقِيبَهُ، وجَفنُ عيني مملوء دمعًا، عَزاءً. وانتَصَب «عَزَاءً» على المصدر، وهو موضوعٌ موضع التّعزّي، والفِعل من العَزاء عَزى وعَزِيَ جميعًا، أي صَبَرَ. ويقال: هو حَسَنُ العِزْوَةِ، أي العَزاء، وبناءُ تَعَزَّى بناءُ تكلّفٍ. والواو من قوله «وجَفنُ العين» واو الحال، والعامل في موضع الجملة تعزَّيْتُ. وفائدة اقتران هذه الحال بما قبلهُ هو أن يتبيَّن به ضَعفُ العَزاءِ المشار إليه؛ لأنَّ العَزاء المتكلَّفَ إذا صَحِبَهُ البُكاءُ لم يكن عزاءً في الحقيقة، ولا يمتنع أن تكون الجملة التي هي «وجَفنُ العَيْن ملآنُ» في موضع الصِّفة لعزاءً، لأنك إذا قلتَ رأيتُ رجلًا ومعه غُلامُه، معناه رجلًا بهذه الصفة، فكذلك يكون المرادُ عزاءً بهذه الصفة وهي أن يصحبَه البُكاء. ولا يجوز أن يكون العاملُ في موضع قوله «وجَفنُ العين» عزاءً إذا جعلتَه حالًا؛ لأنّ

---

(١) البيت في ديوانه ١٠٧، وسرّ صناعة الإعراب ٢: ٦٤٨، وشرح المفصّل ٩: ٨، واللسان (جمع).

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٩٣، واللسان (وحد)، والشعر والشعراء ٦٦١، وأساس البلاغة (طأطأ).

(٣) التبريزي: «وقال هشام بن عُقبة العدوي، أخو ذي الرمة يرثي أوفى بن دلهم وذا الرمة غيلان».

الاعتماد على الفِعل، وعزاءَ معمولَه، والمصدرُ وقد تبع الفِعلَ معمولًا له يؤكّدُه لا يعملُ في غيره عملَه، ولا فِعلَ معه. وقولُه «مُترَعُ» أراد الامتلاء وزيادةً، وهو الانصباب. يقال: أترَعْتُ الإناءَ، إذا ملأتَهُ مَلأً يَضِيقُ عمّا يحويه حتى يَنصبَّ منه. ويقال تَرِعَ الإناءُ وأُترِعَ بما فيه. والمُتَتَرِّع: المتسرِّع إلى الشرّ المقتحم فيه، منه. وجَعل الامتلاءَ للجفن لأنه مُمْسِكُ الدَّمع، وأصل الجفن الحبْس، لذلك قيل لِقِراب السيف: جَفْن.

٢ ـ نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حين آبَتْ رِكَابُهُم لَعَمْري لقد جاؤوا بشَرٍّ فأَوْجَعُوا

٣ ـ نَعَوْا باسِقَ الأفعالِ لا يَخْلُفُونَهُ تَكادُ الْجِبالُ الصُّمُّ منه تَصَدَّعُ

أتبَعَ ما تقدَّم باقتصاص نعي الرُّكْبان لأوْفَى، كأنه أراد أن يَذكر ابتداء المُصاب به ليتبيَّن كيف توفَّرَ الجزَعُ عليه، وكيف انصرف ما انصرَفَ منه إلى ما تعقَّبَهُ من المُصاب الثاني، فيقول: ذكَر الرُّكبانُ مَوْتَ أوْفَى عند إيابِهِم، ولَعَمْرِي لقد ذكروا شرًّا عظيمًا، وأوجعوا قلبًا سليمًا. وقولُه «نَعَوْا باسِقَ الأفعال» أعاد ذِكر النَّعِيِّ تفظيعًا للشأن. ويقالُ: نَعَى نَعْيًا ونَعِيًّا ونُعْيانًا، أي خَبَّر بالموت. وقولهم: نَعاءِ فلانًا، لفظةٌ يَشهَرُون بها موتَ الرئيس. ومعنى «باسِقَ الأفعال لا يخلُفُونَه» أنهم ذكروا موتَ رجلٍ عليِّ الشأن، شريفِ الأفعال، رفيع الحكمة، هم بأجمعهم لا يقُومون مَقامَه فيما كان يتولّاه في الحيِّ من الإحسان إليهم، والتحمل عنهم، وبَسْطِ الخير فيهم، والبُسُوقُ في الأفعال، وهو في الأصلِ الطُّوْل والاستكمال، ويجوز أن يكونَ إشارةً إلى أنه لا يُدرَكُ غايتها، فكلُّ فعلٍ يقع من غيرِه إذا قِيس إلى ما يأتيه يَتَّضِعُ دونَه، ويَنحطُّ عن رتبته، فلا يعلو عُلُوَّهُ، ولا يَكمُلُ كمالَه. وعلى هذا قولهم: فلانٌ رفيع الفَعَال عليُّ المَقال. ويجوز أن يُريدَ بالبُسُوقِ امتدادَ الصِّيت بها، وصُعودَها في دَرَج تقبُّل الله تعالى إيّاها إلى السماء. وهذا كما يقال: قولُك هذا يَرتقِي إلى الملإِ الأعلى. وهذا الشِّعر إسلاميٌّ، فلا يمتنع أن يشيرَ فيه إلى قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: الآية ١٠]. وقولُه «تَكادُ الجِبالُ الصُّمُّ منه تَصَدَّعُ» مُنقطعٌ مما قَبلَهُ ويجري مجرى الالتفات، لأنَّهُ لمّا قال «نَعَوْا بَاسِقَ الأفعال لا يَخْلُفونهُ» كأنّه أقبَلَ على مَن حَولَه فقال: تكادُ الجبال الصُّمُّ منه تَصدَّعُ، ويكونَ الضَّمير من قوله منه يَرجِعُ إلى النَّعِيّ، ودَلَّ عليه قوله نَعَوْا. وهذا كما يقالُ: مَن حَمِدَ الله تعالى كان خيرًا له، أي كان الحَمدُ خَيْرًا له. والمُرادُ بالصُّمّ الصِلاب كأنّه لا خُروق في أثنائِها ولا تَخلْخل.

٤ ـ خَوَى المَسْجِدُ المَعمورُ بَعدَ ابنِ دَلهَمٍ وأَمسَى بأوْفَى قَوْمُه قد تَضَعْضَعُوا

ابن دلهَم كان السبب في عمارة المسجد الذي أشار إليه، فلمّا مضى لسبيلِهِ صار المسجِدُ خاليًا إذ كان هو المُرَاعِيَ والمُتَفَقِّدَ لصَلاح أمره. وأوفى ـ يعني الذي يَرثيه ـ كان قِوامُ أمرِ عشيرته به، وانتظامُ شؤونهم بمكانِه، فلما ثُلَّ عَرْشُهُ وأُصِيبوا به اضطَربت أحوالُهم، واتّضعت رُتُباتُهم، فصاروا بعدَهُ كالمسجد المعمور بعد ابن دَلهم. أراد أن يشبه تضعضع القوم بموت أوفى، بخراب المسجد بموت ابن دلهم فلم يَأْتِ بلفظ التَّشبيه إذ كان معناهُ من الكلام مفهومًا. والضَّعضعةُ: الخُضوع والتَّذلُّلُ.

٥ ـ فَلَمْ تُنسِنِي أوفى المُصِيباتُ بَعْدَهُ ولَكِنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ

القَرْحُ والقُرْح لُغتان في عَضِّ السلاح وما يَجرَحُ في الجسَد. ويقال: إنَّهُ لَقَرِحٌ قَرِيحٌ، وقَرِحَ قَلبُه من الحُزنِ. ونَبَّهَ بهذا الكلام على أنَّ الجزعَ بأوْفَى لم يُزِلْه ما تَعقَّبهُ من المصائب، ولكنَّه زادهُ اشتِدادًا، ثم شَبَّهَهُ بالقَرْحِ وهو الجُرْح، وقد جَلَبَ ويَبِس، إذا نُكِىءَ وقُرِحَ ثانيًا، أي أُدْمِي وقُشِرَتْ جُلْبَتُه كما أنَّ القَرْحَ إذا فُعِلَ به ذلك كان إيجاعُه أشدَّ وأبلغ، فالهَلَع بموت أوفى وقد أُمِدَّ بمُصابٍ آخر يكون أتمّ وأكمل. وقوله «أوجع» موضوعٌ موضِعَ أشدّ إيجاعًا.

فإن قيلَ: كيف صَلَحَ ذلك، وأفْعَلُ الذي للمبالغة والتَّفضيل يَتبَع ما أفْعَلَه وكذلك أَفْعِلْ به، وفِعْل التعجُّب يجب أن يكون من الثلاثي لا غيرُ: فَعَل وفَعُل وفَعِلَ، وأَوْجَعَنِي ليس منها؟ قُلتَ: ذلك سائغٌ على مذهب سيبويه، إذ كان عنده أنَّ فعلَ التعجُّب يكون من الثُّلاثيّ ومما كان على أفْعَلَ خاصَّة، على ذلك حُكِيَ قولُهم: ما أعطاه للمال، وما آتاه للخير، وإنما هما من الإيتاء والإعطاء، لا من الأَتْيِ والعَطاء، وكذلك قولُهم: ما أسداه للمعروف، وذلك لكثرة وجوه الشَّبَه بين فَعَل وأَفْعَل، ألا تَرَى أنّهما يتّفقان في معنًى، وأنّه يُقالُ في مفعولهما مفعولٌ، وفي فاعلِهما فاعل، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يقع في مطاوَعة الآخَر، إلى غير هذا من الشَّبَه. وكان أبو العباس المُبَرِّد يقول: ذلك جائزٌ على حذف الزّوائد، يعني بناءَ التعجُّب من أفْعَل ويشبِّهه بقول الشّاعر: [الرجز]

يَكْشِفُ عن جِمَامِهِ دَلْوُ الدَّال[1]

(١) للعجاج في ديوانه ٨٦، واللسان (دلا).

وقوله: [الرجز]

وَمَـهْـمَـهٍ هَـالِـكِ مَـنْ تَـعَـرَّجَـا[١]

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحِجر: الآية ٢٢]. ويُجوِّز مثلَ هذا في كل ما كان أصله ثلاثيًا على أيِّ بناءٍ حَصَل. وكان يَتْبع مذهبَ الأخفش في ذلك، فاعلَمْه.

٢٦٥ ـ وقال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ يرثي مالكًا أخَاهُ[٢]: [الطويل]

١ ـ لَقَدْ لَامَنِي عند القُبُورِ على البُكَا رفِيقِي لِتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ

٢ ـ فَقَالَ أتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رأيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوَى بين اللِّوَى فالدَّوَانِكِ[٣]

٣ ـ فقلتُ له إن الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعْنِي فهذا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

يقول: استَسرَفَ رفيقي بكائي عند القُبور، واستفْظَعَ سَيَلان الدُّموع من عَيْنِي فقال مُوَبِّخًا: أمِنْ أجل قَبْرٍ لَكَ بين اللِّوَى فالدَّوانِكِ تبكي عند كلِّ قَبْرٍ تَراهُ؟ فأجبته بأنَّ الحُزنَ يُهيِّجُ الحُزنَ فاتركني، فكلُّ قبرٍ أنتهي إليه يذكِّرني قبرَ مالكٍ، إذْ ليس لي في قبر مالكٍ إلا مِثْلُ ما لِي في القُبور كُلِّها. يُريدُ أنَّ أسبابَ الحُزنِ ومهيِّجاتِه تَتشابَهُ، فكلٌّ منها يَقُومُ مَقَامَ الآخر ولا سِيَّما وقد تَوافقت في الجِنسيَّة. وقولُه «لتَذرافِ الدُّمُوعِ السَّوافِكِ» أي من أَجله، بعدَ قولِه «على البُكا»، فيه من الفائدة المتجدِّدةِ التنبيهُ على إجابة الدُّموع له، وانصبابِها بحَسب مرادِه، حتَّى لا جُمودَ من الحِجَاج في شيءٍ من الأوقات، ولا تَوَقُّفَ من السَّيَلان في حالٍ من الحالات، وليس كلُّ باكٍ بهذه الصِّفَةِ. فكأنَّه لامَهُ على البكاء من أجل ما استَنكَره من إجابة الدُّموع السائلة له، إذ كان ذلك بالضَّرر عليه أعْوَدَ، وإلى بُطلان العَينِ بمكانِه أدْعَى. وقال «السوافِك» والسَّفْكُ صَبُّ الدَّمِ والدَّمعِ، فوصَفَ الدموع بها لأنَّها جمع سافِكَةٍ، والمرادُ ذواتُ السَّفْكِ. والسَّفْكُ أيضًا: نَثْرُ الكلام. ويقال: رجلٌ سَفَّاكٌ للدِّماء، وسَفَّاكٌ بالكلامِ، أي يُثِيرُ الكلامَ ويَصُبُّ الدِّماء.

---

(١) للعجاج في ديوانه ٢: ٤٣، واللسان (هلك)، وديوان الأدب ٢: ١٧٨، وكتاب العين ٣: ٣٧٨.

(٢) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي: شاعر فحل (ت نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م) ترجمته في الإصابة (٧٧١٧)، والأغاني ١٥: ٢٨٩ (دار الكتب العلمية)، والجمحي ص ١٦٩.

(٣) التبريزي: «فالدكادكِ».

وقولُه «بين اللِّوَى فالدَّوانِك» اكْتَفَى بَيْنَ باللِّوى، وهو مُسْتَرَقُ الرَّمْل لوقوعه على أماكنَ مختلفة، ولمّا اكتفى به جاز أن يَترتَّبَ عليه فالدَّوانِك. ولو رُوِيَ «والدَّوانِك» كان جائزًا، إلّا أنّ اللِّوى حينئذٍ لا يُتصوَّرُ شُمولُه لِبقاع كما يُتصور في أسماء الجموعِ شُمولُها للكثير، نحو القَومِ والرَّهطِ والعشيرة.

والشَّجَا: الحُزْن. يقالُ: شَجاهُ يَشْجُوهُ شَجْوًا، فَشَجِيَ يَشْجَى شَجًا. ومعنى يَبعَثُ يُهَيِّجُ ويُثِيرُ. على هذا قولُكَ بَعَثْتُه من مَنامِه، والبَعْثُ في الجُنْدِ. وقولُه «فهذا كلُّه قبر مالِك» أشار بهذا إلى الجِنْس كما هو، كأنه أراد جنس القُبور؛ يدُلُّ عليه إتْباعُه إيَّاهُ بما يُفيدُ العُمومَ، وهو قولُه كلُّه. ويقال: ذَرَفَتْ عينُهُ ذَرْفًا وذَرَفانًا وذريفًا. فأما قولُه «تَذْراف» فهو من باب ما تُكثِّر فيه المصدرَ من فَعلتُ وتُلْحِقُه الزَّوائدَ وتبنيه بناءً آخر على غير ما يجب للفِعل، قَصْدًا إلى المبالغة والتكثير. وقولُه «الدَّوانك» عَلَمٌ لموضِعٍ. ودَنَك فيما أظنُّه مُهْمَلٌ.

ومالك بن نُوَيْرَةَ قُتل في الرِّدَّة أيامَ أبي بكرٍ رضي الله عنه.

٢٦٦ ـ وقال أبو عطاءِ السِّنديّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ ألَا إنّ عَينًا لم تَجُدْ يومَ واسِطٍ عليك بِجارِي دَمْعِها لَجَمُودُ
٢ ـ عَشِيَّةَ قامَ النائحاتُ وشُقِّقَتْ جُيُوبٌ بأيدِي مَأْتَمٍ وخُدُودُ

افتَتح كلامَه بألَا، ثم أخذ يعظِّم أمرَ الفجيعة، ويبيِّن موقِعَها من النُّفوس، وشدّةَ تأثيرها في القلوب، واشتراكَ الناسُ كافّةً في الجَزَع لها، والهَلَع عليها، فقال: إنّ عَيْنًا لم تَتَسَخَّ بدمعِها الجاري على هذا المرثيِّ يومَ واسطٍ لَجَمُودُ الحِجَاجِ على المصائب، شديدةُ البُخْلِ بما في شؤونها من الذخائر. والجُمود: ضِدُّ الذَّوْب، واستعمالُه في الدَّمعِ مجاز.

وقولُه «عشيَّة قام النائحات» بدلٌ من قولِه «يومَ واسطٍ» وأسماءُ الزَّمان تُضاف إلى الأفعال، وهو توقيتٌ وتحديدٌ، إلّا أنّ فيه بيانًا لتفظيع الشان. وعلى هذا ضَبْطُهم لمدَى الأوقات في ترتيب النوائب، والتنبيه على ما يتقدَّم من الأحداث أو يتأخر. ومعنى قيام النائحات، تهيُّؤها للنَّوح. وعلى هذا قولهم: قامَتِ السيوف، وقولُه تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: الآية ٦]. وأصلُ التَّناوُح: التقابُل، يقال

---

(١) التبريزي: «في ابن هبيرة، وقتله المنصور بواسط بعد أمنه».

في الجبَلَين المتقابلين: هما يتناوَحان. وقولُه «شُقِّقَتْ جُيُوبٌ بأيدِي مَأْتَم وخُدُودُ» فالمأْتَم: النِّساء يجتمعن في الخير والشرّ، وأصلُه من الأتْم، وهو التقاء المَسلَكَين، ومنه أيضًا الأَتُومُ في صفة النِّساء. وهذا الكلام وإن كان اقتصاصَ حالٍ ففيه دِلَالةٌ على تَمَكُّنِ الجزَعِ بالمُصابِ من كافَّةِ النَّاس، وتناهيهم فيما يُستدلّ به على شدّةِ تأثيرِه فيهم.

٣ ـ فإنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الفِنَاءِ فرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الوُفُودِ وُفُودُ

٤ ـ فإنَّكَ لم تَبْعُدْ على مُتَعَهِّدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحتَ التُّرابِ بَعِيدُ

الرواية المختارة: «وربَّما أقامَ به بعد الوفودِ وُفودُ»، بالواو، وذلك أن الشَّرْطَ في قوله «فإن تُمْسِ مَهْجُورَ الفِناءِ» جوابه فإنَّك لم تَبْعُدْ، ويصيرُ: «وربّما أقَامَ» بيان الحالِ فيما تقدَّم من رِياستِهِ وقتَ تَوَفُّر الناس على قَصْده وزيارته. والمعنى: إنْ مُتَّ وصرتَ مهجور الساحةِ مرفوضَ الخِدمة ـ وربَّما كانت الوفود فيما مَضَى من حياتِكَ تزدحمُ على بابِكَ، وتتلاقى في فنائِك ـ فإنَّك السَّاعَة لم تَبْعُد على مَن يتعهَّدُك، ويرى قضاءَ حقِّك، وإقامةَ الرَّسم في واجبِك، ثم قال مستدركًا على نَفْسِه: بلى كلُّ من تحت التراب فَقَدْ بَعُدَ عن ذلك كلِّه. ويعني بالوفودِ طُلَّابَ الحاجات والمؤدِّين لواجبات الشُّكر، إذ كان في حياتِه المقصودَ والمشارَ إليه، والمُصْطَنِعَ لطوائف الناس بما يتفرَّقُ من إحسانه فيهم.

وقولُه «على مُتَعَهِّدٍ» يريدُ متَتَبِّعَ العهود بالحِفظ لها، ومَنعها من الضَّياع والدُّروس. وكما يُقالُ: تَعَهَّدتُ الشَّيءَ إذا تأمَّلتَهُ هل بَقِيَ على ما عَهدتُه، يقال: تفقَّدتُ الشَّيءَ إذا تأمَّلْتَهُ هل لَحِقَهُ فقُودٌ أَمْ لا. وإذا رَوَيْتَ «فربما أقام به بعد الوُفود وفُود» وجعلتَه جزاءَ للشرط، يَصيرُ «فإنَّكَ لم تَبْعُد» استئنافُ كلامٍ، ويكون الفاء رابطَةً لجملةٍ على جُملةٍ، والمعنى: إنْ هُجِرَ فناؤك السَّاعةَ لموتك فربَّما كان مَألفًا للوُفُود أيَّامَ حياتِك. وفي طريقته قولُ الآخر: [الطويل]

فقد كان يَخشاك الكَمِيُّ ويَتَّقِي أَذَاكَ ويَرجُو نَفْعَكَ المتضعضِعُ[1]

فإن قِيلَ: الشَّرط والجزاء لا يصِحَّانِ إلا فيما كان مستقبلًا؛ ألا تَرَى أنَّه لا يجوز أن يقول القائل: إن خرجتَ أمس أعطيتُك فيه دِرهمًا؛ لأنَّ الوقت وقد انقضى

(١) للمأثور المحاربي في اللسان (ثرا)، وتاج العروس (ثرا)، وبلا نسبة في أساس البلاغة ضعضع.

لا يصحُّ تعليق الشّرط والجزاء به، وإنما يُعَلّقان أبدًا بما يُستأنف من الزّمان، حتّى يصحَّ من الفاعِلِ إيقاعُ فعله به واستحقاقُه الجزاءَ عليه. قلتَ: إنّ الأمر في الشّرط على ما ذَكرتَ إلّا في لفظ كانَ، لأنّهم جوَّزوا أن يقولَ القائل: إن كُنتَ خرجْتَ أمْسِ إلى موضع كذا أعطيتُك اليومَ كذا، والمعنى إن ثَبَتَ في علمي وقوعُ الخروج منك أمْسِ. وجَوَّزوا هذا في لفظة كانَ لقوَّتِه في العبارة عن الإحداث، فأمّا الجزاء فلا يجوز فيه مثلُ هذا لا بلفظةِ كان ولا بغيره، ويمتنع أن يُقال: إن تجئْني اليوم أعطيتُك أمسِ، على أن تكون العطيّةُ سَلَفًا في جزائه على فِعلِه. فإن قيل: كيف جاز أن تقولَ على هذا «فربّما أَقَامَ» وأقام بناءُ ماضٍ؟ قُلتَ: إنّ الجواب في قولِه «فربّما» ليس بالفِعل، وإنّما هو بجملةٍ من مبتدإٍ وخبرٍ، كأنّه قال: ففناؤك ربّما أَقَامَ به بعد الوُفودِ وُفُودٌ فيما مَضَى. والفاءُ في جواب الجزاء إنما تُجلَبُ إذا كان الجزاء غير موافِقٍ للشّرط، وهو أن يكون مبتدأً وخَبَرًا، لا فِعْلًا وفاعِلًا، وإذا كان كذلك فَقدْ سَلِمِ اللّفظُ وصار المعنى: إن أمْسَى فِناؤك مهجُورًا السّاعةَ فرُبّما كان مألوفًا من قبل: والعَربُ تقول: هذا بذَاكَ. أي عِوَضٌ من ذاك. فأما وقوع الماضي بعد إنْ فلأنّ إن يَنقُله بكونه شرطًا إلى المستقبل، وهذا كما يَنقُلُ «لَمْ» بناءَ المستقبَل إلى الماضي، وهذا ظاهِرٌ.

٢٦٧ ـ وقال آخر(١): [البسيط]

١ ـ لو كان حَوْضَ حِمَارٍ ما شَرِبتَ به إلّا بــإذْنِ حـمـارِ آخِـرَ الأَبَـدِ

حِمَارٌ اسمُ أخيه، وكان في حياته يتعزَّزُ به فلا يعترِض عليه أحدٌ فيما يفعله، ولا يَطْمع إنسانٌ في اهتضام جانبِه وقَصْدِه فيما يختصُّه، فلما أُصيبَ به استُلِين جانبُه، واستُبيح حريمُه، حتى أنه جَبَى ماءَ في حوضٍ ليسقِيَ إبِلَه منه، فجاء من زاحَمَهُ فيه واستَبدَّ به دونه، فقال متلهِّفًا: لو كان هذا الحوضُ حوض حمارٍ أخي ما جَسَرْتَ على شُربِ مائه، ولا على امتهانه فيه، بل كنتَ تستأذنه ثم تُقْدِم عليه. وقوله «آخِرَ الأبدِ» يتعلقُ بقوله «ما شَرِبْتَ به». فأما تكريره لفظةَ حمارٍ فهم يفعلون ذلك في الأعلامِ وما يَجرِي مجراها، وفي أسماء الأجناس، ويكونُ القصدُ إلى التعظيم في التكرير. على

---

(١) التبريزي: «هذه الأبيات قالها صنّان بن عبّاد اليشكري في أنّ شمط بن عبد الله اليشكري أتاه وقد أورد إبله وأترع حوضه فأخذ فوق يده وقدّم إبله فأوردها في مائه الذي استقى فكان له الحفرة والعدد، فقال صنان الأبيات. وقال أبو رياش: حمار هو علقمة بن النعمان بن قيس بن عمرو بن ثعلبة، أما شمط فهو حطّان بن قيس بن عمرو بن ثعلبة، وحمار أخوه».

ذلك قولُه تعالى: ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقولُ الشاعر(١): [الخفيف]

لا أَرَى الموْتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيْءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفَقِيرَا

وقد قيل إنَّ حِمَارًا المذكور اسم رَجُلٍ كان يُضرَب به المثل في الذُّل، فلذلك ذكره. ولا يجوزُ أن يُرادَ به واحدٌ من الحُمر، لأنه لو كان كذلك لوجَبَ أن يقولَ في الثاني إلا بإذن الحمار؛ لأن النَّكِرةَ إذا أُعيد ذِكرُها يجب تعريفُه بالألف واللام إشارةً إليه. على هذا كُتِبَ في أواخِرِ الكُتُب وقد قُدِّمَ في أوائِلها: سَلامٌ عليك: والسلامُ عليك.

٢ ـ لكِنَّهُ حَوْضُ مَن أَوْدَى بإِخوَتِهِ رَيْبُ الزَّمانِ فأَمْسَى بَيضَةَ البَلَدِ

هذا الكلام فيه تنبيهٌ إلى شِدَّة فاقته إلى من يَذُبُّ عنه، وتأكُّدِ جَزَعِه لما فاتَه من الصِّيانةِ بإخوتهِ، فيقول: لكنه حوضُ رَجلٍ فرَّق الدهرُ بينَه وبين من كان يَعتزُّ به، ويَدفعُ الظلمَ والهضيمةَ عن نفسِه بمكانِه، فأمسى لا ناصرَ له، ولا دافِع دونَه، كبَيضةِ البلد. وقد قيل في بيضة البلد: إنه أراد بَيضَ النَّعام، لأنها سيِّئة الهِداية، فتَضعُ بيضَها في موضع، ثم تَتركه ضَلالًا عنه فتَضِيع، وربما تذهَبُ وتَحضُن بيضَ غيرِها تظُنُّ أنها بيضُها. وقد ضُرِبَ المَثلُ بها فقيل: [المتقارب]

كتارِكةٍ بَيْضَها بالعَراءِ ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخرى جَناحا(٢)

وقد قيل: إنّ بيضةَ البَلَد هي الكمأةُ البيضاءِ تنشَقُّ عنها الأرض ـ وهي الفَقْع ـ فتَطَؤه الماشيَةُ، وتَنقُرُه العافية، ولذلك قيلَ: «أذلُّ من فَقعٍ بقاعٍ»(٣). وكما ضُرِبَ المثلُ ببيضة البلد في الذُّلِّ ضُرِبَ المثلُ بها في العِزّ أيضًا. وقد مَضَى ذكرها. وأنشدني بعضُهم لأخت عَمرِو بن عَبْدِ وَدٍّ ترثي أخاها، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قاتِلَه: [البسيط]

لو كان قاتِلُ عَمرٍو غيْرَ قاتِلِهِ بَكَيْتُه ما أقامَ الرُّوحُ في جَسَدِي

---

(١) لعدي بن زيد في ديوانه ٦٥، وخزانة الأدب ١: ٣٧٨، ولسوادة بن عديّ في شرح أبيات سيبويه ١: ١٢٥.

(٢) لإبراهيم بن هرمة في ديوانه ٨٧، والحماسة الشجرية ٢: ٩٠٢، والحماسة البصرية ٢: ٢٧٧.

(٣) اللسان (فقع): «أذل من فقع بقرقر، لأن الدواب تنزله بأرجلها، والفقع: الأبيض الرخو من الكمأة، وهو أردؤها».

لـكـنَّ قـاتِـلَهُ مَـن لا يُـعـابُ بـه وكان يُدعى قديمًا بيضةَ البَلدِ[١]

والمراد إذا مُدِح أنه لا نظيرَ لها، ولا أُختَ معها، فالنَّعامةُ تُطِيفُ بها إشفاقًا عليها. ومما يُحتجُّ به في الذَّمِّ قولُ الآخَر: [الرجز]

إنّ أبـا نَـضْـلَـةَ لَيْـسَ مـن أَحَـدْ ضَـلّ أباه فـهـو بَـيـضـةُ الـبَـلَدْ

وبَيضةُ الإسلام: جماعتهم. ويقال: تَفَرّى بيضةُ الأرض عن بني فُلانٍ، إذا تناسَلوا وكثُروا. وبيضة الخدر قد تقدَّمَ القولُ فيه[٢].

٣ ـ لو كانَ يُشكَى إلى الأمواتِ ما لقِيَ الـ أَحـيـاءُ بَـعْـدَهُـمُ مـن شِـدَّةِ الـكَـمَـدِ

٤ ـ ثـم اشـتـكـيـتُ لأشـكـانِـي وسـاكِـنُـه قَـبْـرٌ بِـسِـنْـجَـارَ أو قَـبْـرٌ عـلى قَـهَـدِ

قَصْدُه إلى بيانه بِرّ أخيه به أيّامَ حياتِهِ، فقال: لو جَرَت العادةُ بتكلُّف الأحياء الشَّكوى إلى الأموات، وإنهاءِ ما يقاسونه من الجزَع فيهم، ومن النَّوائب بفقدهم وبَعْدَهُم، ثم كان يَنفع ذلك أو يُثمِر إصغاءً وإجابةً، وجريْتُ أنا على عادتهم في مُبَاثَّةِ أخِي، والإفاضةِ في الشَّكْوِ إليه، لأرضاني وأزال شكوايَ.

وقوله «أشكاني» يقال: شَكوتهُ فأشكاني، كما يقال: طَلبتُ منه كذا فأطْلَبنِي، وعَتَبْتُ عليه فأعتَبَنِي. وقوله «وساكنُه قبرٌ بسِنجارَ أو قَبْرٌ على قَهَدِ»، قَدَّمَ المعطوفَ وهو ساكنُه على المعطوفِ عليه، وهو قَبرٌ بسنجار. ومثله قوله: [الوافر]

عَــلَيْــكِ ورحــمــةُ الله الــســلامُ[٣]

وإنما يَحسُن هذا إذا كان العاملُ مُقدَّمًا، وهو في الفعل والفاعل أكثرُ منه في المفعول، فأمّا المجرور فلا يجوز ذلك فيه، لا يجوز أن تَقُولَ مَررتُ وعمْرٍو بزيْدٍ إذ كان فيه تقدُّم المعطوف على المعطوف عليه وعلى العامل فيه. والكَمَدُ: حُزنٌ وهَمٌّ لا يُستطاعُ إمضاؤه، وقال الدُّرَيْدِيّ: هو مَرَضُ القَلْبِ من الحزن. يقال: كَمِدَ يكمَد كَمَدًا، ورأيته كامِدَ الوجهِ وكَمِدَ الوجه، إذا بان به أثرُ الكَمَد؛ وأكْمَدَهُ الحُزن إكمادًا.

---

(١) البيتان في اللسان (بيض)، وتاج العروس (بيض).

(٢) انظر الحماسية (١٦٧).

(٣) للأحوص في ديوانه ص ١٩٠ (الهامش)، وخزانة الأدب ٢: ١٩٢، والدرر ٣: ١٩، واللسان (شيع) وصدره:

«ألا يـا نـخـلـةً مـن ذات عـرقٍ»

٢٦٨ ـ وقال رَجلٌ من خَثْعَم: [الكامل]

١ ـ نَهِلَ الزَّمانُ وعَلَّ غيرَ مُصَرَّدِ مِن آلِ عَتَّابٍ وآلِ الأسْوَدِ
٢ ـ من كُلِّ فَيَّاضِ اليَدينِ إذَا غَدَتْ نَكْبَاءُ تُلْوِي بالكَنِيفِ المُوصَدِ

النَّهَلُ: الشُّرْبُ الأوّل. والعَلَلُ: الشُّرب الثاني. والتَّصريد: تقليل الشُّرب؛ يقالُ: إناءٌ مصَرَّدٌ، إذا كان ما يحويه دُونَ الرِّيِّ، ويقالُ: صَرَّدَ عَطَاءَهُ إذا نَزَّرَهُ. وقَصْد الشَّاعِرِ إلى بيان تأثير الزّمان في الذين ذكرهم حالًا بعد حالٍ، ووقتًا بعد وقتٍ، وأنَّهُ استوفَى منهم ما أراد دَفعةً بعد أُخرى، وثانيةً بعد أُولى، غَيْرَ مُقَلِّلٍ ولا مُطفِّف.

وقوله «من كلّ فيّاض اليدين» بدلٌ من قوله «من آلِ عتَّابٍ». وقد أعادَ العاملَ فيه، وهذا يكثُر في المجرور. على هذا قولُ الله تعالَى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٧٥] ألا تَرَى أنه أعاد اللام كما أعَادَ هذا الشَّاعر مِنْ. وهذا التكرير تأكيدٌ للإبدال، وتنبيهٌ على أنّ الثانيَ من الأوّل. والفيَّاض: الكثير السَّيَلان، وهو بناء المُبالَغة. والنَّكباء: ريحٌ تنكَّبتْ عن مَهابِّ الرِّياح الأربع. وإذا كَثُرت النَّكْباواتُ واشتدَّ هُبُوبُها شَمِلَ القَحط: ويقال: إنَّهُ لَمِنكابٌ عن الحقّ، أي كثير العُدول عنه، والأنكب البعير كأنَّهُ يَمشي في شِقّ، ومعنى تُلوِي: تذهب به. والكنِيف: الحظيرةُ من الشَّجر؛ والمُوصَدُ: الذي جُعِل له إصادٌ إحكامًا له، والإصادُ: عَتَبَةُ البابِ، والجمع الأُصُد. وفُسِّرَ قولُه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهُمَزة: الآية ٨] أي مُطْبَقَةٌ. ويُهْمَزُ ولا يهمز. وقيل: الوصيد الفِناء. والمعنَى أنَّ الزَّمانَ ألَحَّ عليهم، وتناولَ منهم الأفضلَ فالأفضلَ تَناولًا لا تقليلَ فيه ولا تَعذير، فَذَهَب منهم بكلِّ رَجُلٍ سَخِيٍّ واسعِ المعروف إذا اشتدّ الزَّمانُ وأَسنَتَ النَّاس.
وقول الجَعْديّ: [الرمل]

سَأَلَتْنِي عن أُناسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عليهِمْ وأَكَلْ[1]

ليس مما قالَهُ في شيء، وإنما يريدُ مَرَّ عليهم دهرٌ مديد وزمانٌ طويل، فشَرِبَ النَّاسُ بعدهم وأَكلُوا ونَسوا أولئك. وهذا مثل:

٣ ـ فاليَوْمَ أَضْحَوْا لِلمَنُونِ وَسِيقَةً مِن رائحٍ عَجِلٍ وآخَرَ مُغْتَدِ

(١) للنابغة الجعدي في ديوانه ٩٢، والأزهيّة ٢٨٥، واللسان (طرب، أكل)، والمعاني الكبير ١٢٠٨، والتبريزي ١: ٥٢٩.

٤ ـ خَلَتِ الدِّيارُ فسُدْتُ غَيرَ مُدَافَعٍ ومِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ[١]

قولُه «فاليَوْمَ» أشار به إلى الزَّمان الحاضر المُتَّصل بما بعده، غيرَ محصورٍ بنهاية، ولا مضبوطٍ بذكرِ غاية، وهذا كما يُقال: فُلانٌ بالأمسِ كان يفعلُ كذا وهو اليومَ رئيسُ بَلَدٍ. فذِكرُ الأمسِ واليومِ لاتِّصال الوقتين، وتقريب المَدَى بين الماضي منهما والحاضر. والوسيقَةُ: الطَّريدةُ. ونَبَّهَ بهذا الكلامِ على أنّ الدَّهر بَعْدُ جارٍ على عادتِه المستأنفةِ معهم في الأخذ منهم، والذّهابِ بهم. وقَوْلُه «من رائحٍ عَجِلٍ وآخَرَ مُغْتَدِ» بيانٌ لذَهاب الواحد منهم في إثر الآخَر. والعَجِل: المستعجِل. ويقال: عَجِلٌ بكسر الجيم وعَجُلٌ، ومثلُه العَجْلان.

وقوله «خَلَتِ الدِّيار فسُدْتُ غَيْرَ مدافَعٍ» يُروى «غير مُسَوَّدٍ».

ومعنى «خَلَتِ الدِّيار» ماتَ الرُّؤساء الذين لكل واحد منهم بَيتٌ ودارٌ يُنسَبُ إليه، ويُتَبَجَّحُ به. وإذا رَوَيتَ «غير مُدَافَعٍ» يكون حالًا، كأنَّه سادَهم ولا مُنازِعَ له ولا مُتَأَبِّيَ عليه. وإذا رويت «غَيرَ مُسَوَّدٍ» جازَ أن يكون غير مفعولًا من سُدتُ، فيكونَ مثل قول الآخر: [الرمل]

وَضَعَ الدَّهْرُ عليهم بَرْكَهُ فأراه لم يُغادِرْ غَيْرَ فَلّ[٢]

فيكون المعنى: سُدتُ مَن لا يَصلُح أن يُنسبَ إلى السِّيادة في حال؛ لأنَّ مَن استُصلِحَ لها، أو ذُكِرَ في عِدَاد الرُّؤساء إذا عُدُّوا، ماتوا وبادُوا. وجاز أن يكون حالًا، ويكون المعنى سُدتُ قبلَ أوانِ سِيادتِي، أي سدتُ ولم أُسَوَّد بعدُ. وقولُه «ومن الشَّقاء تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ» يؤكد المعنى الذي ذكرناه أوَّلًا في غَيْرَ مُسَوَّد، وإنما شَقِيَ بزعمِه لأنَّه فُجِعَ برؤساء عشيرته، وفي ذاك ضَعفُهُ وتراجُع رِياسته.

٢٦٩ ـ وقال محمَّدُ بن بَشِيرٍ الخارِجيّ[٣]: [الكامل]

١ ـ نِعْمَ الفَتَى فَجَعَتْ به إخوانَهُ يَوْمَ البَقِيعِ حَوَادِثُ الأَيَّامِ

---

(١) التبريزي: «غير مُسَوَّدٍ».

(٢) للنابغة الجعدي في ديوانه ٩٢، وأساس البلاغة (برك)، ولسان العرب (فلل).

(٣) محمد بن بشير الخارجي: شاعر فصيح حجازيّ مطبوع، من شعراء الدولة الأموية، له مدائح ومراثٍ مختارة وهي من عيون الشعر. ترجمته في الأغاني ١٦ : ١١٢ دار الكتب العلمية، والخزانة ٤ : ٣٧.

٢ ـ سَهْلُ الفِناءِ إذا حَلَلْتَ ببابِه طَلْقُ اليدَيْنِ مُؤدَّبُ الخُدَّامِ

٣ ـ وإذا رأيتَ شقيقَهُ وصديقَهُ لم تَدْرِ أَيُّهُمَا ذَوُو الأَرْحَامِ(١)

المحمود: الذي يَطلبه نِعْمَ بالاختصاص من بين جنسه محذوفٌ، كأنّه قال نِعْمَ الفتَى فَتًى فَجَعتْ به إخوانَه. والضمير من قوله «به» عائِدٌ إلى المحذوف، والجملة من الفعل والفاعل قد خَصَّصته حتَّى صار كالمعرفة. ومثلُه قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: الآية ٣٠] كأنه قال: نعم العبدُ أيوب. والحذف في مثل هذا المكان يصلحُ إذا كان المحمود مشهورَ الشَّان، معلومًا أمرُه من القرائن في الكلام. وارتفع «حوادثُ» بفِعلها وفِعلُها فَجَعَتْ، وذكر الإخوان تنبيهٌ على من آخاهُ من الأجانب والقرائب جميعًا.

وقوله «سَهْلُ الفناء» ارتفع على أنه خبر مبتدأ مضمر، وجعل فِناءَه للزُّوّار والمجتدينَ والعُفاةِ سَهلًا، وذلك مَثلٌ لكثرة إحسانِه إليهم، وحُسنِ توفُّرِه عليهم. ومعنى «مؤدَّب الخُدّام» تنبيهٌ على اقتدائهِمْ بمولاهم في تَفَقُّد الوُرَّاد وإكرامِهم، والمبالغة في التخفُّف لهم والسَّعي في مصالحِهم.

وقوله «وإذا رأيت شقيقهُ وصديقَهُ» فالشقيق إشارة إلى إخوان الوِلادِ ومن جَرَى مَجراهم، ممن شاركه في نَسَبِه حتى كأنه شُقَّ منه. والصديق إشارةٌ إلى إخوان المودَّة ومَنْ ضَرَب بسهم في الانصباب إليه، والاعتزاء إلى جَنبتِهِ والاعتماد عليه. ثم قال «لم تَدْرِ أيهما ذوُو الأرحام» تنبيهًا على تساويهما في المحلّ عنده، وشُمول حُسن التَّفقُّد لهم، حتى تَرَى كلًّا منهم يُدِلُّ بمثل إدلال صاحبِه، لا تمايُزَ ولا تباين. وفي طريقته قوله: [الطويل]

فما زال بي إكرامُهم واقتفاؤهم وإلطافُهم حتَّى حسبْتُهُمُ أهلي(٢)

وأشار بقولِهِ: «شقيقَهُ وصديقَهُ» إلى الجنسين، وفائدتهما الكثرة لا الوَحدة. ألا تَرَى أنَّهُ قال: لم تدر أيُّهما ذوُو الأرحام، أي أيُّ الجنسين.

٢٧٠ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ طَلَبْتُ فَلَمْ أدرِك بوجْهِي وليتني قَعَدتُ فلم أبغِ النَّدَى بَعْدَ سائبِ

---

(١) التبريزي: «صديقه وشقيقه».

(٢) لبكير بن الأخنس في البيان والتبيين ٣: ٢٣٣، وهو من أبيات الحماسة.

قوله «بوجهي» تَعَلَّقَ الباءُ منه بطلَبْتُ، والمعنى ببَذْلِ وجهي، كأنَّه تَوَلَّى الطَّلبَ بنفسه، وابتَذلَ وجهَه وجاهَه فيه، فلم يُدرِك المطلوب. ومفعول «طَلَبْتُ» محذوف دَلَّ عليه قوله «فلم أبْغِ النَّدَى» والتَّقدير: طلبْتُ بعد سائبِ النَّدَى ببذْلِ وجهي فلم أنَلْهُ، وليتني قَعَدتُ فلم أبْغِهِ، ولا يمتنع أن يتعلَّق الباء من قوله بوجهي بأدرِكْ، وهو المختار عند أصحابنا البَصريِّين، ويكون التقدير: طلبْتُ النَّدَى فلم أُدْرِكْه ببَذلِ وجهي. وقوله «بعد سائب» يجوز أن يكونَ العامل فيه طَلبتُ وكلُّ واحدٍ من الأفعال المجتمعة، وهي: طلبْتُ وأُدرِكْ وقَعَدتُ ولم أبْغِ. والمعنى: بعد موت سائب.

٢ ـ ولو لَجَأَ العَافِي إلى رَحْلِ سائبٍ ثَوَى غَيرَ قالٍ أو غَدَا غَيرَ خائِبِ

أَلَمَّ في هذا البيت بقول الآخر: [البسيط]

حتى يكونَ عزيزًا من نُفوسِهِمُ أو أن يبينَ جميعًا وهو مُختارُ[1]

لأن معنَى «من نفوسِهم» مقيمًا فيهم، وكالواحِد منهم. يقول: ولو التجأ العُفاةُ هاربين من الزَّمان، ونَكَد الحَدَثَان، إلى فِناء هذا المرثيّ، أقاموا مُكَرَّمين معظَّمين، لا يَجتوُونُه ولا يُبغِضونَهُ ما داموا مقيمين، وإذا أرادوا الانصرافَ عنه اغتدَوْا غيرَ محرومِينَ ولا يائسين. وانتصَبَ «غَيْرَ» على الحال وأشار بالعافي إلى الجِنْس؛ ويقال عَفَاهُ واعتَفاهُ، إذا طَلَب مَعروفَه، فأعفاهُ أي أعطاهُ. ومنه عافية السِّباع والطَّير.

٣ ـ أَقُولُ وما يَدرِي أُناسٌ غَدَوْا بهِ إلى اللَّحْدِ ماذا أَدْرَجُوا في السَّبَائِبِ

موضع «ماذا أدْرَجُوا» نَصْبٌ على أنَّه مفعولٌ لأقولُ، ويجوز أن يكون ما مَعَ ذا بمنزلةِ اسم واحدٍ وأدرجوا في موضع الخبر، ويجوز أن يكون ما وحدَهُ اسمًا وذَا خَبرُه بمنزلَة الذي وأدرجوا من تمامِه. والمعنى: أقول متلهِّفًا فِعْلَ من أعياهُ الأمر فالتَحفَ باليأس، وتَعلَّلَ بكلمة الحسرةِ بعد الفوات: أيُّ رَجُلٍ أُدرجَ في الكَفَنِ والغادونَ به إلى اللَّحدِ لا يعلمون. وهذا تفظيعٌ للشَّأن، وتعظيم لحادِثِ الرُّزْءِ، وقولُه «أُناسٌ» أشار به إلى الجماعة والطَّائفة، والألف فيه زائدة بدلالة قولهم أَنَسٌ وأَنَاسِيُّ وإنسٌ. وإذا كان كذلك فقولُه ناسٌ منه أيضًا، والألف زائدة، وفاء الفِعْل محذوفة. ومن ذَهَبَ إلى أنَّ لفظةَ الناس ليست من أُناسٍ في شيءٍ، وأنَّ الألفَ فيه منقلبةٌ عن حرفٍ أصليٍّ فقد أخطأ. والسبائب: جمع سبِيبةٍ، وهي الثوبُ الأبيَض، العمائمُ

---

(١) ليزيد بن حمان في الحماسية رقم (٩٣)، ومعجم الشعراء ٤٩٣، والدرر ٤: ٧٤.

وغيرها. وكذلك السِّبُّ. قال الشاعر: [الطويل]

يَحُجّون سِبَّ الزِّبرقانِ المزعفرا[١]

٤ ـ وكُلُّ امرِىءٍ يَوْمًا سَيَرْكَبُ كارِهًا على النَّعْشِ أعْنَاقَ العِدَى والأقارِبِ

العِدَى: الغُرباء، وانتصبَ كارهًا على الحال من سَيَرْكَب، وموضع على النَّعْشِ منصوبٌ على الحال ممَّا في قوله كارِهًا، ويجوز أن يكون صفة لكارِهِ، كأنَّه قال: يركَبُ كارهًا حاصلًا على النَّعْشِ أعناقَ العِدَى يومًا ما. وقال الخليل: قومٌ عِدًى: بُعُدٌ عنك وغُرباء ويقال قومٌ أعداءٌ أيضًا بهذا المعنى. والعِدَى: البُعْد نفسُه.

٢٧١ ـ وقال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة[٢]: [الطويل]

١ ـ نَصَحْتُ لعارِضٍ وأصحابِ عارِضٍ ورَهْطِ بني السَّوْدَاءِ والقَوْمُ شُهَّدِي

٢ ـ فقلت لهم ظُنُّوا بألْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهم في الفارسيِّ المُسَرَّدِ

يقال: نَصَحْتُه ونَصَحْتُ له، نُصْحًا ونَصِيحةً ونَصاحةً ونَصاحِيَةً، وهو ناصِحُ الجَيْبِ، أي ناصحُ الصَّدْرِ. وقوله «والقوْمُ شُهَّدِي» فائدتُه أنَّهم كانوا له حاضرين ومضطرِّين من كلامِه وإشارتِه وبَذْلِهِ النُّصح لهم، إلى ما كان أدّى إليه مراسلتُهم في ذلك وهم غائبون، إذْ كان يَبِينُ لهم منه ما كان يَبِين وقتَ الحُضور.

وقوله «ظُنُّوا بألْفَيْ مُدَجَّجٍ» يجوز أن يكون معناه: ظُنُّوا كلَّ ظَنٍّ قبيح بهم إذا غزَوكم في أرضكم وعَقر دياركم. ويجوز أن يكون معنى ظُنُّوا أيقِنوا، لأن الظَّنَّ يستعمل في معنى اليقين. على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٦].

وقولُه «سَرَاتُهم»، يعني به رؤساءَهم وخيارَهم، وقد مضى القولُ في بنائه[٣]. والفارسيّ المُسرّد، يَعني به الدُّروع. والسَّرد: تتابُع الشيء، كأنه أراد في الدُّروع

---

(١) للمخبّل السعدي في ديوانه ٢٩٤، واللسان (سبب، حجج، زبرق)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٣: ٢٩، وأساس البلاغة (حجج). وصدره:

«وأشهد من عوف حلولاً كثيرة»

(٢) دريد بن الصمة: شاعر من المعمّرين في الجاهلية، غزا نحو مائة غزوة فلم يُهزم في واحدة منها. أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين (ت ٨ هـ/ ٦٣٠ م). ترجمته في الأغاني ١٠: ٥، وخزانة البغدادي ٤: ٤٤٦.

(٣) انظر شرح البيت الخامس من الحماسية رقم (٢٥٨).

تتابُعَ الحَلَقِ في النَّسجِ. لذلك قيل في الأشهرُ الحُرُم: ثلاثةٌ سَرْدٌ، وواحِدٌ فَرْدٌ. وقال الخليل: السَّرْدُ: اسمٌ جامعٌ للدُّروع وما أشبَهَها من عَمَل الحَلَقِ، لأنه يُسْرَدُ فيُثْقَب طَرَفَا كلِّ حَلَقَةٍ بالمِسمار، وفي القرآن: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سَبأ: الآية ١١]، أي اجعلْ المساميرَ على قَدْر خُروق الحَلَق، لا يَغلُظِ المسمارُ فيتخرق، أو يَدِقُّ فيَقْلَقَ. ومعنى البيتين: بذَلْتُ نُصْحِي لهؤلاء القومِ بلساني وقوْلي فيما صَلحَ فيه التخاطُبُ، وبإشارتي وتعريضي، وهم لي حاضرون يَسْمَعون ويَعُون، وقلتُ لهم: إنَّ الأعداء لكم مترصِّدون، وإليكم قاصدون، وعَدَدهم وعُدَدهم تامّة، فوسِّعوا مجالَ الظَّنِّ السَّيِّء بهم إذا تمكَّنوا منكم، أو أيقِنوا بقَصْدِهم، على الطريقتين اللَّتَين بيَّنّا.

٣ ـ فلمّا عَصَوني كنتُ مِنهم وقد أرَى غَـوايَـتَـهُـم وأنَّـنـي غَـيـرَ مُـهْـتَـدِ

لمَّا عَلَمٌ للظّرف، وهو لوُقوع الشيء لوقوع غيرِه، فيقول: لما أصرُّوا على ما كانوا عليه، واطَّرحوا نُصْحي ومَشُورتي عليهم، تَبِعتُ رَأيَهم ولم أتفرَّدْ عنهم وأنا أرى جَهلَهُم، وأتصوَّر عاقبةَ لَجاجِهم، وأنّي ضالٌّ عن الطَّريق عادِلٌ عن الصَّواب في اتِّباعي لهم، لكنّي لم أستَصْلِحْ لنفسي الخروجَ منهم، والتَّباعُدَ عنهم. وقوله «كُنتُ منهم» مِنْ هذه تُفيدُ تبيينَ الوِفاق وتَرْكِ الخلاف، وأنّ الشّأنَينِ واحِدٌ لا تمايز بينهم ولا تَبايُن. وهم يقولونَ في النَّفيِ أيْضًا. لسْتُ مِنْكَ، أي انقَطَع ما بيننا، فلا خِلاط ولا اشتراك. على هذا قول الشاعر: [الوافر]

فـإنّـي لَسْـتُ مـنـكَ ولـسـتَ مِـنّـي(١)

فأمّا قولهم: أنتَ منّي فرسخان، قال شيخُنا أبو عليّ الفارسيُّ رحمه الله هذا كلامُ الذَّليل مع المُستذِلّ، والمعنى: أنتَ في هِدايَتِي مَدَى الفرسَخين. وإلى غايتهما، وقد خالَفَ هذه الطريقة حُصَيْن بن المُنْذِرِ فقال: [الطويل]

أمَـرْتُـكَ أمْـرًا حازِمًا فـعَـصَـيْـتَـنِـي فأصْبَحْتَ مَسلوبَ الإمارَةِ نَادِمَا
فَـمَـا أنـا بـالـبـاكِـي عَـلَيْـكَ صبابةً وما أنا بالدَّاعي لِتَرْجِعَ سالـمَا(٢)

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٧٩، وصدره:
«إذا حـاولـت فـي أسـد فـجـورًا»
(٢) الأبيات في المؤتلف ٨٨، والخزانة ٢: ٨٩.

٤ ـ أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الغَدِ

قوله «أمري» يجوز أن يُريدَ المأمورَ به، ويكون الأصل: أمرتُهُمْ بأمْرِي، فحذَف الجارَّ ووصل الفعلُ بنفسه. ويجوز أن يكون مصدرَ أمَرتُ، وجاء به لتأكيد الفعل. وقولُه «بمنعَرَجِ اللِّوَى» تحديدٌ وتوقيتٌ، وبيانُ أنّ ذلك كان من هَمِّه حتى اختارَ له الموضعَ الذي كان أوفقَ عندَهُ، والوَقتَ الذي كان أعْوَدَ عليهم فيما أمرَهم به. واللِّوَى: مُسْتَرَقُّ الرّمل. ومُنْعَرَج: منعَطَف. وقوله «فلم يستبينوا الرُّشد» أي لم يتبيّنوه في الحال حتى جاء الوقتُ المقدَّر له. وذِكْر الغَدِ يَكثُر فيما يتَراخى من عواقب الأمور إذا أحيلَ عليه البيانُ والظُّهور فيه. والمعنى: في المستأنَفِ من الوقتِ. وهذا زاد عليه «ضُحَى» لأنه من النهار أضوأ، فكأنّ المعنى: لم يبِنْ لهم ما دعوتُهم إليه إلّا في الوقتِ الذي لا لَبْسَ فيه ولا اعتراضَ شَكّ. ومِثلُه قولُ المتلمِّس: [الطويل]

عَصَاني فَلَمْ يَلْقَ الرَّشَادَ وإنَّما يُبَيِّنُ عن أمرِ الغَوِيِّ عواقِبُهْ

٥ ـ وهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

يُقالُ: رَشِدَ يَرْشَدُ رَشَدًا ورشَادًا، ورشَدَ يَرْشُدُ؛ فلَكَ أن تضمَّ الشّين من ترشد وأن تفتحها. وقوله «هل أنا» هو في مذهب النّفي وإن كان استفهامًا ولذلك تَبِعَهُ إلّا، كأنَّهُ قال: ما أنا إلّا من غَزِيَّةَ في حالَتَي الغَيِّ والرَّشاد، فإن عدَلُوا عن الصَّواب عدلتُ معهم، وإن اقتحموه اقتحمت بهم. وغَزِيَّةُ هو رهطُه. فإن قيل: إنَّهُ كرَّر معنًى واحدًا في هذه الأبيات مَرَّتَيْنِ، لأنَّ قولَهُ «إن غَوَتْ غَوَيْتُ» قد اشتَمل عليه «كُنتُ منهم وقد أرى غوايتهم وأنّني غير مُهتَد». قلتُ: في الأوّل اقتصَّ الحالَ التي دارَ عليها معهم، وفي الأمر بقيَّةٌ، وللنُّصحِ تَوَجُّهٌ، وأنَّهُ اجتهَد في رَدِّهم إلى ما هو أردُّ عليهم وأنفَعُ لهم، فلما عَصَوْه في ذلك أمسكَ عنهم جاريًا في الطَّريق الذي يسلكونَهُ وإن عَلِمَ الخطأَ فيه. وقولُه «وهل أنا إلّا من غزيَّة» بيانٌ لِمَا دُفِعُوا إليه بعد تبيُّن الرَّشاد لهم، وابتُلُوا به من مقاساة سُوء العاقبة لسوء اختيارِهم، فقال: وما أنا إلا شَريكٌ لهم فيما أثمَرَ لهم جَهلُهم وغوايتُهم كما كنتُ شريكًا لهم لو رَشِدُوا فيما كان يُثمِرُ لهم رشادُهم. فهو في الأوّل ذَكَرَ اتّباعَه لهم بعدَ النُّصحِ ناظرًا من وراءِ رأيه ما يُدفعون إليه ويُمتَحنون به، وفي الثّاني ذكر انغماسَهم معهم فيما أعْقبَ لهم اختيارُهم، وأنَّهُ شَقِيَ بمثلِ ما شَقُوا به في عُقْبَى جهلهم أو بِأَشَدَّ منه، وإذا كان كذلك اختَلَف الحالتان

والاتِّباعان. ثمّ أخذَ يبيِّنُ مِحنتَهُ، فقال:

٦ ـ تَنَادَوْا فقالوا أرْدَتِ الخَيلُ فارِسًا ... فقُلْتُ أَعَبْدُ اللهِ ذلكُمُ الرَّدِي

٧ ـ فَجِئْتُ إليهِ والرِّماحُ تَنُوشُهُ ... كوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِيجِ المُمدَّدِ

يعني بالخيل الفُرْسان. يقول: نادَى بعضهم بعضًا: أسْقَطَتِ الخيلُ فارِسًا! فقلتُ: أعبدُ الله ذلكم السَّاقط الهالك، وإنما دَعاهُ إلى هذا القولِ أمران: أحدهما سوء ظنِّ الشقيق؛ والثاني أنّه عَلِمَ إقدامَه في الحرب، وابتذالَهُ النَّفسَ وتَعرُّضَه للحَتفِ، فدعاهُ الشَّفقةُ والإشفاقُ إلى قَصْدِهِ لوقايتِه بنفسه، فلحِقهُ والرِّماحُ تتناولُه وتَقَعُ فيه وقْعَ الصَّياصِي، وهي خشبةُ الحائك في نَسْجه الممدود إذا أرادَ تمييز طاقاتِ السَّدَى بعضِها من بعض، وكأنّهُ سمِّيتْ بذلك تشبيهًا بصِيصيَة الدِّيك وهما مِخلَبانِ في ساقه، وبِصيصية الثَّوْر، وهو قَرنُه. وقوله «أعبدُ الله»، وقد سماه مَعْبَدًا أيضًا، وهم يفعلون كثيرًا في الأعلام مِثلَ ذلك. ألا تَرَى حالَهُم في سليمان، وأنهم يُسَمُّونه مَرَّةً سُلَيْمًا ومَرَّةً سَلَّامًا وقول الآخر: [الطويل]

صَبَوْتَ أَبَا ذِيبٍ وأنتَ كَبِيرُ[1]

يعني أبا ذؤيب. وقولُه: «تَنُوشُه» من النَّوشِ. والظَّبْيَةُ تَنُوشُ الأراكَ وتنتاشه، أي تتناولُه، وفي القرآن: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سَبأ: الآية ٥٢].

٨ ـ وكنتُ كذاتِ البَوِّ رِيعَتْ فأقبلَتْ ... إلى جَلَدٍ من مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدِ

بَيَّنَ ماذا أدركَ من أخيه لما أرادَ وقايتَه والذَّبَّ عنه فقال: كنتُ كناقةٍ لها ولَدٌ فأُفزِعَتْ فيه لما تباعَدَتْ عنه في مَرعاها، فأقبلَتْ نحوَه، فإذا هو بجَلَدٍ مُقطَّعٍ، وشِلوٍ مُبدَّد. كأنّه انتَهى إلى أخِيه، وقد فُرِغَ مِن قَتلِه ومُزِّقَ كُلَّ مُمزَّق. والبَوُّ، أصله جلدُ فَصيلٍ يُحشَى تِبنًا لتَدُرَّ عليه، فاستعاره للولد. وكذلك الْجَلَدُ هو ما جُلِدَ من المسلوخ وأُلبِسَ غيرَه لتشَمَّه أمُّ المسلوخ فتدِرّ عليه. والمَسْكُ: الْجَلَدُ، لأنّه يُمسِك ما وراءه من اللَّحم والعَظم. والسَّقْبُ: الذَّكَر من أولاد الإبل؛ وناقةٌ مِسقابٌ، إذا وَلَدت الذُّكرانَ كثيرًا.

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١: ١٣٧، وصدره:
«ديار التي قالت غداة لقيتها»

٩ ـ فطاعَنْتَ عَنْهُ الخَيلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وحتَّى عَلَاني حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ[1]

١٠ ـ قِتالَ امرِىءٍ آسى أخاهُ بنفْسِهِ ويَعلَمُ أنَّ المَرْءَ غَيرَ مُخَلَّدِ

يقول: دافَعتُ الخيلَ ـ يعني الفُرسانَ ـ عنه حتَّى انكشفوا، وإلى أن جُرِحتُ فسالَ الدَّمُ عَلَيّ، وكان ذلك منِّي دِفاعَ رجلٍ جعلَ نَفسَه أسْوَةَ أخيه، واختارَ لها مثلَ ما سِيق إليه، عالمًا بأنَّ المَرءَ لا يَبقَى، بل مآلُه إلى الفَناء، وأنَّ استقتالَه ليلحقَ بأخيه خيرٌ له من أن يَبقَى بَعده فيَشقَى بالجزَع له وفيه. ويقال: هو يَأْتَسِي بفُلانٍ، أي رَضِيَ لنفسه ما رَضِيَ ذاك لنفسِه. والمُواساةُ والتَأَسِّي والائتساء واحد. وقوله: «حَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللون أسْوَدُ»، فيه إقواءٌ، وكثيرٌ من العلماء يُهوِّنون الأمرَ في الإقواء ولا يَعُدُّونه عيبًا قبيحًا. وحُكِيَ عن الأخفَشِ أنَّه قال: ما أنشَدَتْني العربُ قصيدةً سلِمَتْ من الإقواء طالت أو قَصُرَت. ويُرْوَى: «وحتَّى علاني حالكٌ لوْنُ أسْوَدِ»، والضَّعفُ فيه ظاهر. ألا تَرَى أنَّه قال حَالِكٌ وهو الشَّدِيدُ السواد، ثمَّ قال لَوْنُ أسْوَدِ. وفي إضافَةِ لون إلى أسْوَدَ ما لا يُرتَضى. وأجْوَدُ من هذا أن يُروى: حالكُ اللَّون أسْوَدِي» وهو يريد أسودِيٌّ، كما قيل في الأحمر الأحْمَرِيُّ، وفي الدَّوَّار دَوَّارِيٌّ، ثمَّ خُفِّفت ياء النسبة بحذف أحدِهما، وهو الأوّل، وجعل الثاني صِلَة.

١١ ـ فإنْ يَكُ عبدُ اللهِ خَلَّى مَكَانَهُ فَمَا كان وَقافًا ولا طَائِشَ اليَدِ

قوله «خَلَّى مكانَهُ» أي مَضَى لسبيله. والوَقَّافُ: الجَبان المتوقِّفُ فيما يَعِنُّ له عَجْزًا وضعفَ قلب. ويقال: وَقَّافَةٌ أيضًا، والهاء للمبالغة، والطائشُ: الخفيف، ومنه الطَّيَّاشُ. ويقال: هو طائشُ السَّهمِ، إذا عَدَلَ سهمُه عن الهَدَف ولم يَقْصِدْ قَصدَه؛ ثم يُقال: هو طائشُ اليَدِ، إذا كان فيما يتولَّاهُ من الأعمال كذلك. يقول: إنْ كان عبد الله تُوُفِّيَ وخَلَّى ما كان يَسدُّه بنفسه وغَنائه من أمرِ العشيرة وسياستهم، فلقدْ كان مِقدامًا صائبَ الرَّأي، حليمًا فيما يأتيه، لا يَطِيشُ زَهوًا، ولا يُؤْثِرُ على الصَّواب شيئًا.

١٢ ـ كَمِيشُ الإزارِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ من الآفاتِ طَلَّاعُ أنْجُدِ

الكَمْشُ والكَمِيشُ: الخفيف السَّريعُ الحركة. يقال: انكَمِشْ في حاجتِك، أي تَخفَّفْ وأسرِع. وأضافَ الكَمِيشَ إلى الإزار على المجاز كما يُقالُ: عفيفُ الحُجزةِ،

(١) التبريزي: «حتى تنفّست» وروى التبريزي: «حالك اللون أسودي» وأسودي: يريد أسوديٌّ، ثم خفّفت ياء النسب بحذف إحداهما.

ونَقِيُّ الجَيب. وقوله «خارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ» يصفه بالتَّشمُّر. وقد قيل: هو عَارِي الظُّنوب، في هذا المعنى. قال: [البسيط]

عَـارِي الـظَّـنَـابِـيـب مُـمْـتَـدّ نـواشِـرُهُ(١)

وقد يُرَادُ بهذا قِلَّة اللَّحم والهُزال. وقوله «بعيدٌ من الآفاتِ» يريدُ أنّه لا داءَ به ولا غائلةَ، فهو سليمُ الأعضاء متين القُوَى. ومعنى «طَلاعُ أنْجُد» أنَّه يَتصعَّدُ في دَرَج السُّموّ. ويقال: طَلَّاعُ أنجِدَةٍ أيضًا، قال: [البسيط]

طَـلَّاعِ أَنْـجِـدَةٍ فـي كـشـحِـهِ هَـضَـمُ(٢)

فأنجِدَةٌ جَمْعُ نِجَادٍ، ونِجادٌ جَمْعُ نَجدٍ. فأما أنجُدٌ، فالأصلُ أن يكون لأدنَى العَدد وقد استُعير للكثير، لأنَّه كفَلْسٍ وأفلُس. وهم كما يضعون بناء القليل للكثير والكثيرِ للقليل في أصلِ الوَضْع، يَستعيرون بناءَ القليل للكثيرِ وإنْ كان بناءُ الكثير قد استُعمل أيضًا. يكشف هذا أيضًا أنّهم يقولون: رَسَنٌ وأرسَانٌ، فوضعوه للكثير وإن كان في الأصلِ للقليل؛ وقالوا دِرهَمٌ ودَرَاهِم فوضَعُوهُ للقليل. وقال الله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سَبأ: الآية ٣٧] يريدُ أَهلَ الجنَّة. فَوَضَعَ الغُرُفَاتِ موضع الغُرَف على الاستعارة.

١٣ ـ قليلُ التَّشَكِّي للمُصِيباتِ حافِظٌ — من اليَوْمِ أَعْقَابَ الأحاديثِ في غَدِ

يريدُ بقوله «قليلُ» نَفَى أنواع التشكّي كلِّها عنه. على هذا قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٨]، وقولُهم: قَلَّ رجلٌ يقول ذاك، وأَقَلُّ رجلٍ يقولُ ذاك. والمعنى: أنّه لا يتألَّم للنَّوائب تنزلُ بساحته، والمصائبِ تتجدَّد عليه في ذويه وعشيرته، وأنَّه يحفظ من يومه ما يتعقَّبُ أفعالَه من أحاديثِ النَّاسِ في غَده، فهو نقيُّ الأفعالِ من العُيُوبِ، طيِّبُ الأخبار في أفواه الناس، صَبورٌ على العَزاء.

١٤ ـ تَرَاهُ خَمِيصَ البَطْنِ والزَّادُ حاضِرٌ — عَتِيدٌ ويَغْدُو في القَمِيصِ المُقَدَّدِ

---

(١) لتأبط شرًا في المفضليات، المفضلية رقم (١)، وعجزه:

«مـدلاج أدهـم واهـي الـمـاء غـسّـاق»

(٢) لزياد بن منقذ (المراد العدوي) في اللسان (نجد)، وبلا نسبة في شرح المفضل ٦: ٤١، وصدره:

«يـعـدو أمـامـهـم فـي كـلّ مـربـأة»

مِثلُ المصراع الأوّل قولُ الآخر: [المديد]

يابِسُ الجَنْبَيْنِ من غَيْر بُوسٍ(١)

يَصِفه بقِلّة الطُّعْم مع اتّساع الحال، وطاعَةِ الزاد، فيقولُ: تَرَى بطنَهُ منطويًا والزّادُ مُعَدٌّ، لأنّه يُؤْثر به غيرَه على نفسه، ولأنّه لا نَهْمةَ ثَمّ ولا حِرصَ على عِمارة البَدن، ولا على استسراء الثّياب، فهو يَغدو في القميص المُمَزَّق، إذْ كان يبتذِلُ نَفسَه فيما كان يَكْسِبُه فَخْرًا وعُلُوًّا. ويقال: عَتُدَ فهو عَتِيدٌ عَتادًا، وأعتَدْتُه أنا. ومنه سُمِّيَ العتيدةُ التي يكونُ فيها الطِّيبُ، والعَتَدُ بفتح التاء وكسرها: الفَرس المُعدُّ للمهِمّات من الطَّلب والهرب وغيرِهما، الذَّكرُ والأنثى فيه سواء.

١٥ ـ وإنْ مَسَّهُ الإقْواءُ والجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وإتْلافًا لِمَا كانَ في اليَدِ

يقول: وإن اتّفق عليه إعسارٌ ونَفادُ زاد، وجَهدٌ من نكد الزّمان وإعوازٌ زادَه سخاءً وإتلافًا للمال، جَرْيًا على عاداتِه التي ألِفَها، لا يَهْضِمُهُ ضُرٌّ، ولا يَلفِتهُ فَقر. ويقال: أَقْوَى الرَّجلُ، إذا نَفِدَ زادُه. ويقال: زادَ الشّيءُ ضِدّ نقَص، وزدته أنا فازداد. وفي طريقته قولُ الآخر: [مخلع البسيط]

قَدْ جَعَلَ الله فِيكَ قَلْبًا يَأبَى على الشُّغْلِ أنْ يَضِيقَا

١٦ ـ صَبَا ما صَبَا حَتّى عَلَا الشَّيبُ رَأْسَهُ فلمّا عَلَاهُ قالَ للباطِلِ ابْعَدِ

يجوز أن يكون صبا الأوّل من الصّبا واللّهوِ، وصَبَا الثاني من الصَّبَاء بمعنى الفَتَاء، فيكون المعنى: تعاطَى اللّهوَ والصّبا ما دامَ صبِيًّا، فلما اكتهلَ وظَهر في رأسه الشَّيبُ فاشتَعَل نَحّى الباطِلَ عن نفسِه زُهدًا فيه، ورجوعًا إلى الحقّ، ورغبةً فيما يَكسِبُه الأحدوثَةَ الجميلةَ من أبوابِ الصّلاح والجِدّ. ويجوز أن يكون المعنى: تعاطَى الصّبا ما تعاطاه إلى أن علاهُ المَشِيبُ، فيسقط التجنيس من البيت، وهو يَحْسُن به. وما صَبَا في موضع الظّرف على الوجهين جميعًا، أي مُدَّةَ الأمرين. وحتّى للغاية. وقوله «ابْعَد» مِن بَعِدَ يَبْعَدُ، إذا هَلَكَ. ولو أرادَ البُعد لقالَ ابْعُدْ، بضمّ العين. وجَرَى أبو نُواسٍ في هذه الطريقة لمّا قال: [البسيط]

قَدْ عَذَّبَ الحُبُّ هذا القَلْبَ ما صَلَحَا فَلَا تَعُدَّنَّ ذَنْبًا أن يُقالَ صَحَا

(١) هذا صدر بيت لتأبط شرًا في الحماسية رقم (٢٧٣)، وعجزه:
«ونَدِي الكَفَّيْن شَهْمٌ مُدِلُّ»

١٧ ـ وطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لم أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ ولم أبخَلْ بما مَلَكَتْ يَدِي

أَنَّنِي في موضع الفاعِلِ لطيَّبَ، وليس القصدُ إلى أنّه لم يَقُل له كَذَبْتَ قَطُّ، وإنما المُرادُ أَنّي لم أَجْفُهُ بأَدْوَنِ ألفاظ الجفاءِ. على ذلك قولُ الله تعالى في الوَصَاةِ بالوالدين وتنزيههما عن قبائح القولِ والفِعل: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] فأفّ الأصلُ في صيانتِهما عن الخَنَا وفُحْشِ القولِ، والنَّهر الأصل في تَركِ إيذائهما بالفِعْلِ والزَّجرِ. فيقولُ: سَلّاني طاعتي له واحتشامي منه مُدَّةَ حَيَاتِه، وإعظامي إيّاهُ في القول عند مخاطبتهِ، والفِعْلِ وقتَ مجالَسته ولَدَى مُعاملتهِ. وأشار إلى القول بقولِه «لم أَقُلْ له كَذَبْتَ» وإلى الفعلِ بقوله «ولم أبْخَلْ بما مَلَكَتْ يَدي». والمعنى: لم أبخَل بملك يدِي عليه؛ فحذف عليه كما يحذَفُ المفعول إذا دلَّ عليه الكلام.

٢٧٢ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ تقولُ ألا تَبْكِي أخاكَ وقد أَرَى مَكَانَ البُكَا لكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ

٢ ـ فقلتُ أعبدَ الله أَبكِي أمِ الَّذِي لَهُ الْجَدَثُ الأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرِ(١)

يقول: اجتمعَتْ عليَّ المصائب والرَّزايا فاقتسمتْني، فإذا دُعِيتُ إلى البُكاءِ على أخي، أرَى البُكاءَ يَحِقُّ له لِفاقتي إلى حياتِه، وتكامُلِ فَضله في نفسه، لكنّي وُجِدْتُ صبورًا إذْ كانت عليه بِنيَتِي، وإذ صار دَيْدَني ودأبِي وقولُه «مكانَ البُكا» بيانُ استحقاقِ أخيه البكاءِ عليه. وقد قَصَرَ البكاء، وللشّاعر أن يَقْصُرَ الممدود باتفاقِ من المذهبَين. وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

ولو شِيتُ أن أبكِي بُكًا لبَكَيْتُه عليْكَ ولكن ساحةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ(٢)

وقوله «فقلتُ أعبد الله أبكِي»، كَشفَ به عن تَوَالِي الرَّزايا، وأنَّ جَلَدَه متوزَّعٌ فيها، فكأنّه قال: إلى مَن أصرِف البُكا، ومَن أَخُصُّ به أعبدَ الله أم المَدفونَ في القَبرِ الأعلى قتيلَ أبي بكر بن كِلاب. وقوله «الأعلى» يريد الأشرَف، ويجوز أن يُريدَ الأعلَى في مكانِه وموضِعِه. والْجَدَثُ: القَبر، وكذلك الجَدَف، وجمعه الأجداث.

---

(١) في الأغاني ٩: ٢ «وكان لدريد إخوة، وهم عبد الله الذي قتلته غطفان وعبد يغوث قتله بنو مرّة، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب».

(٢) لإسحٰق بن حسان الخريمي في معاهد التنصيص ١: ٨٤.

وفي القرآن: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: الآية ٥١]. وانتَصَبَ عبد اللهِ بأبْكِي، وقتيلَ على البدَلِ من الذي.

٣ ـ وعَبْدُ يَغُوثَ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وعَزّ المُصَابَ جَثْو قَبْرٍ على قَبْرِ

نَبَّهَ بقوله «تَحْجُل الطَّيرُ حَولَه» على أنّه تُرِك بالعَراء، وعوافِي الطَّير تأكله، فلم يُدفن، وإنما قال تَحْجُل إشارةً إلى امتلاء حواصلِها وثِقَلها، فهي تحجُل حَوْله ولا تَطيرُ. والحَجْل: مَشيُ المُقيّد، وتوثُّب الإنسان على إحدى رجليه وقد رَفعَ الأُخرى. ونَزَوَانُ الغُرابِ حَجْله. وهذا الكلام تلهفٌ وتحزُّن. وقولُه «وعبدُ يغوثَ» وإن استأنَفَ الكلامَ به فهو في المعنَى معطوف على ما قبلَه، كأنّه قال: أيُّهُمْ أَبْكِي وقد كَثُروا. وقولُه «وعَزّ المُصابُ» يُروَى المُصابُ بالرَّفع ويُراد بالمُصابِ المصيبة، ويرتفع «جَثْوُ» على أنّه بدلٌ منه، ويكون مفعولُ عَزّ محذوفًا، كأنّه قال: وعَزَّ الشاعِرَ المصيبةُ جَثْوُ قبرٍ على قبر. وإذا روَيتَ «وعَزّ المصابَ» بالنَّصب، يكون المُصابُ الشّاعر، وجَثْوُ قبرٍ هو الفاعل، والمعنى غَلَبهُ تَولي المصائب عليه. وقولُه «جَثْوُ قَبْرٍ عَلَى قَبْرٍ» أي حصول الواحد في إثْر الواحد. ويقال: جَثا لرُكْبَته، وفي القرآن: ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريَم: الآية ٦٨]، أي لازمينَ لرُكَبِهم لا يستطيعون القِيام. واستعمالُ الجُثُوّ مجاز هنا؛ لأنّ القبر لا يَجثو. والجُثوةُ من التُّرابِ وغيره: ما جُمِعَ، وبه سُمّي القبر جُثوة. وروى بعضُهم: «حَثْوُ قبرٍ على قبرٍ»[1] فَجَعل الحَثوَ للقبر، وإنما يُحْثَى عليه، كما قال:

وما مِنْ قِلًى يُحْثَى عليه من التُّرْبِ

ورَوَى بعضُهم «وعَزّى» والمعنَى سَلّى المُصابَ، أي نفسَه، من البُكاء والتحزُّن، توالي الأرزاء عليه؛ فإنه تَمرَّن بها، فصار يصبِرُ عليها. ويكونُ في هذا مُلِمًّا بمعنى قول الآخر: [الطويل]

فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي على النَّأْيِ تَنْطَوِي وعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الصديقِ تَنَامُ[2]

٤ ـ أَبَى القَتْلُ إلّا آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ أَبَوْا غَيْرَهُ والقَدْرُ يَجْرِي إلى القَدْرِ

---

(١) هذه رواية التبريزي.

(٢) لعبد الصمد بن المعذل أو للحسين بن مطير كما ورد في حواشي الحماسية (٧٧)، ولمؤرج في اللسان (نوى).

يقولُ: لم يَرضَ القتلُ إلّا آلَ صِمَّةَ لأنّهم الكرامُ، والدَّهر يأبى في الاختيار أن يكونَ حظه من غيرهم، كما أنّ آلَ صِمَّةَ لم يرضَوْا من أحداثِ الزَّمان فيهم إلّا بالقتل، إذْ كان ذلك عندهم أحسنَ المِيتَات وأكرمَها وقولُه «أبى القتلُ إلّا آلَ صِمَّةَ» يُشبهه قولُ الآخَر: [الطويل]

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرامَ ويَصْطَفِي عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[١]

وقولُه «إنّهم أَبَوْا غيرَهُ» يشبِهُهُ قولُ الآخر: [الطويل]

وما ماتَ مِنّا مَيِّتٌ حَتْفَ أنفِهِ[٢] ....

وقولُه «والقَدْر يجري إلى القَدْرِ» يريد كما قُدِّرُوا للقتل قُدِّرَ القتلُ لهم، لأنّهم بما اجتَمَع فيهم من الخِصال الشَّريفة التي يختارها الدَّهرُ لنوائبه، كأنّهم خُلِقوا للدَّهرِ ولتأثيرِه الذي هو القتل، لأنّ القتلَ لما كان أشرف أسباب الحَتف عندهم فأَحَبُّوهُ ومالوا إليه، صاروا لذلك كأنّ القَتْل خُلق لهم.

٥ ـ فإمّا تَرَيْنَا لا تَزالُ دِماؤُنا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بها آخِرَ الدَّهرِ

٦ ـ فإنّا لَلَحْمُ السَّيفِ غيرَ نَكِيرَةٍ ونُلْحِمُهُ حِينًا وليسَ بِذِي نُكرِ

جواب إمّا أوّلُ البيت الذي يليه، وهو فإنّا. والفاء من فإنّا رابطةٌ ما بعدها بما قَبلها، ولا تَزَالُ دماؤنا إلى آخر البيت في موضع المفعول لتَرَيْنا، ولَدَى واتِرٍ لفظه واحدٌ والمُراد به الكَثرة. وآخِرَ الدَّهرِ: ظرفٌ، والعامِلُ فيه «لا تزالُ دماؤنا» لأنّ المعنى إمّا تَرَيْنَا لا تزال دماؤنا أبَدَ الدَّهر لدَى واتِرين يَسعَون بها. ولا يجوز أن يكون العاملُ فيه يَسْعَى بها، لأنّ فيه إبهامًا أنّهم لا ينالُون الوِتْر من الواترين سريعًا، ولكنَّهم يَسعَونَ بدمائهم أبدَ الدَّهر. وهذا الكلامُ كالاعتذار من كثرة القتلِ فيهم، فيقول: إن اتّصلَ القتلُ فينا حَتّى نَرَى دماءَنا أبَدَ الدَّهر لدى واترين، فإنّا لحبّنا للقتل طُعْمُ السُّيوفِ حَقًّا غيرَ ذي إنكارٍ ولا امتراءٍ، وكما تَتَطَعَّمُ مِنّا فإنّا نُطْعِمُها أيضًا مِن غيرنا، فنَجعل أعداءنا لُحمةً لها غيرَ ذي شكٍّ ولا مِريةٍ. وقولُه «غير نكيرةٍ» انتصب على المصدر

---

(١) لطرفة بن العبد في معلقته في الديوان ص ٣٤، واللسان (شدد، فحش، عيم) وكتاب العين ٢: ٢٦٩.

(٢) للسموأل في الحماسية (١٥)، وعجزه:

«ولا طَلَّ منا حيث كان قتيلُ»

وأكثرُ ما يُستعمل نَكيرٌ بغير الهاء فالنُّكر والنَّكير، كالعُذْرِ والعَذِير والعُذْرَى. ومثلُ هذا المصدر يؤكِّدُ به الكلام الذي قبله، ويجري مجرى حَقًّا وما أشبههُ. ويجوز أن تكون الهاءُ من النَّكيرة للمبالغة. وقولُه «ونُلحمُه حينًا» فالحينُ اسمٌ للزمان المتَّصل، فكأنَّه قال: ونُلْحِمُهُ فيما يتَّصلُ من الأوقات. وليس يُريدُ حينًا من الأحيان. وإن رُوِيَ «غير نكيرِهِ» على أن يكون الضميرُ منه يَعودُ إلى السَّيْفِ كأنَّه قال: غَيْرَ منكورٍ له، فيجعَلُه حالًا لِلَّحم، فليس بجيِّد؛ لأنَّ القَصدَ إلى تأكيد الكلام بهذا المصدر؛ فكما أنَّ في آخر البيت قولَه «وليس بذي نُكرٍ» تأكيدٌ لما قبلَه، كذلك يجب أن يكون غيرَ نَكيرَةٍ هكذا، ليتقابلَ الصَّدْرُ والعَجْز على حَدٍّ واحدٍ من التَّأكيد وحصول هاء التأنيث في نَكيرةٍ لا يجب أن يُنكر، كما لا يُنكَرُ في قولهم نكرةٌ ومعرفةٌ، وكما لا يُنكَرُ الألف في آخر ذِكرَى وعُذْرَى.

٧ ـ يُغَارُ عَلَيْنَا واتِرِينَ فَيُشْتَفَى   بِنَا إنْ أُصِبْنَا أو نُغِيرُ عَلَى وِترِ

نَبَّهَ بقوله «فَيُشْتَفَى بنا» أنَّهم الثَّأرُ المُنِيمُ، فإذا أصيبت دماؤهم كان فيها للأعداء الشِّفاء. وانتصبَ على الحال من الضَّمير في علينا. وقولُه «أو نُغِيرُ على وترٍ»، يريدُ على وترٍ لنا عندهم، فكأنَّه قال: أو نُغِيرُ على واترين لنا. وقد سَلكَ الأعشى هذه الطَّريقَة، فلم يُوَفِّ القِسمةَ حقَّها كما فعل هذا؛ لأنَّه قال: [المتقارب]

فأظعنتَ وِتْرَكَ من دارِهم   ووِتْرُكَ مِنْ قَبْلِهم لم يُقِمْ

والمعنى أزعَجتَ الوِتْرَ الذي كان لك عندهم من دارهم، على عادتِك مع سائر الناس من قَبْلُ في إدراكِ الثَّأرِ سريعًا؛ لأنَّ قوله «ووِترُكَ من قَبلهم لم يُقِمْ» إشارةٌ إلى أنَّه لا يُمهِلُ ولا يُهمِلُ فَوِتْرُه لا يَتَلَوَّمُ عند الأعداء.

٨ ـ قَسَمْنَا بِذاكَ الدَّهرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا   فَمَا يَنقَضِي إلَّا ونَحنُ عَلَى شَطْرِ

أشار بقوله «ذاك» إلى ما تقدَّم ذكرُه من تردُّدِه في مجاذَبة الأعداء طالبينَ مَرَّةً، ومطلوبين أخرَى. وانتصب «شَطْرَين» على المصدر، كأنَّه قال: قَسَمنا الدَّهر قسمين. ويجوز أن يكون حالًا على مَعنى قَسَمناهُ مختلفًا؛ فوقَع الاسمُ موقعَ الصِّفَةِ لمَّا تَضَمَّن معناهُ، كما تقول: طَرحتُ متاعِي بعضَه فَوْقَ بَعْضٍ، كأنَّكَ قلتَ متفرِّقًا. والمراد: جَعَلنا أوقاتَ الدَّهر بيننا وبين أعدائنا مقسومَةً قسمين، فتراها لا ينقضي شيءٌ منها إلا ونحن فيه على أحَدِ الحَدَّينِ. إمَّا أن تكونَ لنا الكَرَّةُ عليهم فنُدال منهم، وإما أن تكونَ لهم الجولَةُ علينا فيُنالَ مِنَّا.

٢٧٣ ـ وقال تَأَبَّطَ شَرًّا: [المديد]

وذُكِرَ أنه لخَلَفِ الأحْمَرِ(١)، وهو الصَّحيح.

١ ـ إنَّ بالشِّعْبِ الذي دُونَ سَلْعٍ لَقَتيلًا دَمُهُ ما يُطَلُّ

يجوز أن يكون ذكر الشِّعبَ الموصوفَ لأنَّ قَبر ذلك القَتيلِ كان فيه، ويجوز أن يكون ذَكَره لأنَّه قتِل عندَهُ، وهو في اللُّغة ما انفرج بين جبلين ونحوهما. والسَّلعُ بفتح السين وكسرِها: شَقٌّ في الجبَل، ومنه سَلَعْتَ رأسَه، أي شققته. وقولهم: هادٍ مِسْلَعٌ(٢)، أي يَشقُّ أجوازَ الفلاة. وقوله «دَمُه ما يُطَلُّ» من صفة القتيل، والمعنى أنِّي في طَلَبِ ثأره، فدَمُه لا يَذهب هَدَرًا. والطَّلُّ: مَطْلُ الدَّم والدِّية وإبطالُهما. وقال: [الكامل]

أُزَهيرُ ليسَ أبوكَ بالمطلُولِ(٣)

٢ ـ خَلَّفَ العِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أنا بالعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلُّ

أراد بالعبءِ طَلَبَ دَمِه والنَّيلَ من عَدُوِّه. وقوله «أنا بالعِبْءِ له مستَقِلٌّ» تحقيقٌ للوعد بإدراك الثَّأر، وإظهارُ اقتدارٍ على النِّكاية في الأعداء. وقولُه «لَهُ» أي من أجل المرثيّ، وإنَّما سُمِّيَ الثِّقْلُ عِبْئًا لأنه من عَبَأْت المتاعَ أعبؤه عَبئًا، ثم يُسمَّى المَتاعُ عِبْئًا، فهو كالنَّقضِ والنِّقْض. وكثُر استعماله حَتَّى تسمَّحُوا به فيما يدخُل من الثِّقْل على القَلب ولا يُحمَلُ على الظهر.

٣ ـ ووَرَاءَ الثَّأرِ مِنِّي ابنُ أُختٍ مَصِعٌ عُقْدَتُهُ ما تُحَلُّ

أَعطَى فيما اجتَمَعَ من الوصف التَّرتيبَ حقَّهُ، وذلك لأنَّه اجتَمَع مفردٌ وجُملةٌ في صفةِ «ابن أُخْتٍ» فَقَدَّم المُفرد على الجملة، وهذا وجهُ الكلامِ وحقُّه؛ لأنَّ الجملة إنَّما

---

(١) التبريزي: «وقيل: قال ابن أخت تأبط شرًا، قال النمريّ: ومما يدل على أنها لخلف الأحمر قوله فيها: جلّ حتى دقّ فيها الأجل، فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا، وقال أبو الندى: مما يدلّ على أن هذا الشعر مولّد أنه ذكر فيه سلعًا، وهو بالمدينة وأين تأبط شرًا من سلع، وإنما قُتل في بلاد هذيل ورُميَ به في غار يقال له رخمان».

(٢) هذا قول لسعدى الجهنية ترثي أخاها أسعد وتمامه:

«سباق عادية ورأس سرية ومقاتل بطل وهاد مسلع»

(٣) بلا نسبة في أساس البلاغة (طلل) وتمامه:

تلكم هريرةُ ما تجفّ دمُوعها أَهُرَيرُ ليس أبوكِ بالمطلولِ

وُصِفَ بها لوقوعها موقع المُفرد، فإذا صاحبها مفرد كان الأولى تقديمَه، وإذا كان كذلك فعُقْدتُه ارتفع بالابتداء، وما تُحلُّ خَبرُه. والمَصِع: الشَّديد المقاتَلة الثَّابتُ فيها. ويعني بوراء هٰهنا الخلفَ، وإن كان يصلُح للقُدّام. وفي هذا الكلام ضَربٌ من الوعيد، كأنَّه يجري مجرى قولِ القائل: الله من ورائِكَ. ويُريدُ: وفي طَلَب الثأر من جهتي ابن أُختٍ هذه صِفَتُهُ، ويعني به نفسَهُ. ويجري هذا المجرى قول الشَّنفَرَى: [الطويل]

هممتُ وهَمّتْ وابتدرنا وأسدلت وشَـمَّـر مـنّـي فـارطٌ مُـتَـمَـهِّـلُ

والفارط المتمهِّل هو الشَّنفرَى. وقوله «عُقدَتُه ما تُحَلُّ» يجوز أن يريد ما يَعقِده برأيه أو يُحكمه لا يُنقَضُ. ويجوز أن يريدَ به قُوَّتَه وجلادته، وتكون العُقدةُ راجعةً إلى استحكام خَلقِه وصَبرِه في الشّدائد.

٤ ـ مُـطْـرِقٌ يَـرْشَـحُ مَـوْتًـا كـمـا أَطْـ ـرَقَ أَفْـعَـى يَـنْـفِـثُ الـسَّـمَّ صِـلُ[(١)]

شَبَّهَ نفسَهُ في إطراقِه وسكونه، منتظرًا لفرصةٍ ينتهزها في إدراك ثأره بالحيَّة، وأنّه في إمساكه يرشَحُ بالموتِ لعدُوِّه كما أن الحيّة إذا أطرقَ نَفثَ بالسَّمّ. والرَّشح كالعَرَق، والنَّفْث، كالقَذْف. والصِّلُّ من صفة الأفعى، ويُوصف به الداهية وكلُّ خبيث، يقالُ: هو صِلُّ إصلالٍ، كما يقالُ داهيةُ دَوَاهٍ. وأسماء الحيَّات وصفاتُها تُستعار في الدّواهي كثيرًا. والأفعى مؤنّثة، وذكَرُها الأُفْعُوان. وقال الخليل: الأفعى حَيَّةٌ قصيرةٌ عريضةُ الرأس. وينوّن فيقال أفعًى، وبعض طيّىءٍ يقلِبُ ألِفَهُ واوًا فيقول أَفْعَوْ، وبعض قيسٍ يقلبها ياء فيقول أَفْعَي. ومنه تفعَّى فلانٌ، إذا ساء خُلُقُه. وقال سيبويه: صَرْفُه أكثر وأجود. ويصلح للذّكر والأنثى. والأُفعُوان الذّكر لا غير.

٥ ـ خَـبَـرٌ مـا نَـابَـنَـا مُـصْـمَـئِلٌ جَـلَّ حَـتَّـى دَقَّ فـيـه الأَجَـلُّ

٦ ـ بَـزَّنِـي الـدَّهْـرُ وكـان غَـشُـومًـا بِـأَبِـيٍّ جـارُهُ مـا يُـذَلُّ

يعني بالخبر نعي المتوفَّى؛ وقد استعظَمَهُ وجعلَهُ داهيةً منكَرةً حتَّى علا شأنُه وجَلّ عن أن يُضبَط بوصفٍ، أو يُحَدّ بنعت، فلذلك قال «جَلّ حتَّى دَقّ فيه الأجَلُّ». ويقال: داهيةٌ مُصْمَئِلّةٌ، إذا اشتدّت. والأجَلُّ تأنيثُه الجُلّى، والألف واللام فيه بدلٌ من

(١) التبريزي: «يرشح سمًّا».

الإضافة النّائبة عن مِن في قولهم: هو أجَلُ من كذا، ومعناه الجليل. وقولُه «بَزّني الدّهرُ» أي غلَبني واستَلَبني. وقوله «بأبيّ» الباء دخلَتْ للتّأكيد زائدةً، كأنّه قال: بَزّني الدّهرُ أبِيًّا. ومثلُه قول الآخر: [البسيط]

سُودُ المحاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ[1]

ويجوز أن يكون عَدّى بَزّني بالباء لمّا كان معناه فجَعَني، ويكونَ من باب ما عُدّي بالمعنى دون اللّفظ، كقوله: [البسيط]

إذَا تَغَنّى الحمامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِي ... ولو تعزّيْتُ عَنها أمَّ عَمّارِ[2]

وقولُه «جارُه ما يُذَلُّ» من صفة الأبِيّ. والأبيُّ المتصعّبُ المتمنّع. والغَشْمُ: الظُّلم والقَهر. وقوله «وكان غَشُومًا» يعني به الدّهر، وهو اعتراضٌ بين الفاعل والمفعول، ومثلُه يتأكّد به الكلام. وقوله «يذلّ» يُروى بفتح الياء، ويُذَلُّ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، والمعنى ظاهر، وصَفَه بأنّه كان عزيز الجار محميّ الفِناء، وأنّه كان له عُدّةً على الدّهر، وسلاحًا معه فاستلبَه منه.

٧ ـ شَامِسٌ في القُرّ حتى إذا ما ... ذَكَتِ الشِّعْرَى فبَرْدٌ وظِلُّ

٨ ـ يابِسُ الجَنْبَينِ مِنْ غَيرِ بُوسٍ ... ونَدِيُّ الكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ

وصفَه بأنّه كان يُنتَفع به في كُلّ حالٍ وزمان، وأنّه كان غِياثًا للناس في حالَتِي السَّرّاء والضَّرّاء، فكانَ الشّمسَ عند البَرد، والظّلَّ عند الحَرّ. يقال: ذَكَتِ النّارُ تَذْكو، وأذكيتها، وكذلك أذكيْتُ الحزبَ، ونَوءُ الشّعرَى بشدّة الحرّ يجيء. ويقال، للشّمس ذُكاءُ من ذلك. وقد جاء مثل هذا في النّسيبِ، يقول ابنُ الرُّقَيّات: [الخفيف]

سُخْنَةٌ في الشتاء باردةُ الصَّيْـ ... ـفِ هِلَالٌ في اللّيلةِ الظّلْماءِ[3]

والمعنى أنّها للضّجيع في الصّيف هكذا، وفي الشتاء هكذا. وقد أتى الأعشى بهذين المعنيين في بيتين، وابنُ الرُّقيّات أتى بهما مع ثالثٍ لهما في بيت واحد. وبيتُ

---

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وصدره:

«هنّ الحرائر لا ربّاتُ أحمرةٍ»

(٢) للنابغة الذبياني في معلقته، وفي جمهرة أشعار العرب ٥٣.

(٣) للأحوص في ديوانه ٧١، وله أو للسريّ بن عبد الرحمٰن في معجم البلدان (برقة خاخ)، ولعبيد الله بن قيس الرقيات في ملحق ديوانه ١٧٥.

الأعشى: [المتقارب]

وتَـبْـرُدُ بَـرْدَ رِدَاءِ الـعَـرُو سِ بالصَّيْفِ رقرقْتَ فيه العبيرا[١]

وتَسْخُنُ لـيـلةَ لا يـسـتـطيـ عُ أَنْ ينبِحَ الكلبُ إلَّا هَرِيرَا[٢]

وأما قوله «يابسُ الجنبين من غير بُوسٍ» يريدُ أنه يُؤثِرُ بالزّاد غيرَه على نفسِه. وعادتُهم التمدُّحُ بالهُزال، فهو كقول الآخر: [الطويل]

تراهُ خميصَ البطْنِ والزَّادُ حاضِرٌ عَتِيدٌ ويغدُو في القَمِيص المُقَدَّدِ[٣]

وقولُه «نَدِيُّ الكفَّين»، أراد أنّه سَخِيٌّ. ويقال: هو يتندَّى على أصحابه، أي يتسخّى. والشَّهم: الذَّكيُّ الحديد، ومنه قيل للقُنفُذ الشَّيهم. والمُدِلُّ هو الواثِق بنفْسه وبآلاته وعُدَّتِه.

٩ ـ ظَاعِنٌ بِالحَزْمِ حتَّى إذا ما حَلَّ حَلَّ الحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ

١٠ ـ غَيْثُ مُزْنٍ غامِرٌ حينَ يُجْدِي وإذا يَسْطُو فلَيْثٌ أَبَلُّ

وصَفَه بأنه مستعمِلٌ للحزم وآخِذٌ به، ظاعنًا كان أو مقيمًا. وأشاد بقوله «ظاعِنٌ» إلى غزَواته، وأسفاره وغاراته؛ وبقوله «حَلَّ الحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ» إلى شِدَّةِ حذره في إقامته، ودوام اتّقائه من الأعداء حتّى لا ينساهم ولا يَغفُل عنهم. وقولُه «غيثُ مُزْنٍ غامِرٌ حين يُجْدِي» وصَفه بأنَّ منافعَه عامَّةٌ للخَلْق. والمُزنة: السَّحابةُ البيضاء. والغامر: الشَّاملُ جدواه وعطيَّتُه. وقوله «وإذا يسطو فليثٌ أبَلُّ»، الأبَلُّ: الفاجر المصمِّمُ الماضي على وجهه، لا يُبالِي ما لَقِيَ. والمراد أنّه في الإحسانِ بالغٌ أقصى الغايات، وعند السَّطوة على الأعداء كاللّيث الكثير الإفساد، الشَّديد النكاية. والسَّطْوُ: البَسْط على الإنسان تقهرَهُ مِن فوق. ويقال: سطا عليه وسطا بِه. وقال الخليل: سُمِّي الفَرسُ ساطيًا لأنَّه يسطو على سائر الخيل، فيقوم على رجليه ويرفع يَدَيه.

١١ ـ مُسْبِلٌ في الحَيِّ أَحْوَى رِفَلٌّ وإذا يَغْزُو فسِمْعٌ أَزَلُّ

١٢ ـ ولَهُ طَعْمَانِ: أَرْيٌ وشَرْيٌ وكِلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كلُّ

---

(١) للأعشى في ديوانه ١٤٥، واللسان (عبر، رقق، ردى).

(٢) ديوانه ١٤٥، وخزانة الأدب ١: ٦٦، والدرر ٣: ١٥٢.

(٣) البيت (١٤) في الحماسية رقم (٢٧١) لدريد بن الصمة.

مفعول «مُنسِلٌ» محذوفٌ. وصفَهُ بأنّه في الحيّ ـ والحالُ سلامةٌ ـ يُسْبِلُ إزارَه خُيَلاءَ وكبْرًا، ويتبختر ذاهِبًا في التُّرْفةِ إلى أرفع الدَّرجة، وأنّه ذا غَزا فهو كالسِّمْع، وهو الوَلَدُ بين الذِّئب والضَّبُع، وهو أخبَثُ السِّباع وأعداها. والزَّلَلُ: خِفَّةُ العَجُز، وذلك خِلقتُه.

وقولُه «وله طَعْمان أزيٌ وشَرْيٌ» يريدُ به أنّه للمُوالِينَ كالأَرْي ـ ويراد به العَسَلُ وإن كان في الأصل عَملَ النّحل ـ وللمُعادينَ كالشَّرْي، وهو الحنظَلُ. ثم قال: وكِلَا الطَّعمين قد ذاق كُلٌ، أي كلُّ واحدٍ من الطَّعمين قد ذاقهُ كلُّ واحدٍ من قَبِيلَي الأعداء والأولياء. ومفعول ذاقَ محذوفٌ إذا جعلتَ كِلَا مبتدأً، كأنّه قال: قد ذَاقَهُ كلٌّ. والأجودُ أن تجعلَ كِلَا مفعولَ ذاق ولا تجعلَه مبتداً. ومثله: زيدًا ضرَبْتُ ألا تَرَى أنّه يُختار على: زَيْدٌ ضَرَبْتُ. وكِلَا اسمٌ موحَّدٌ يؤكَّدُ به المثنّى، كما أنَّ كُلّا اسمٌ مُوحَّدٌ يؤكَّدُ به الجمعُ. وهو مقصورٌ كَمِعًى، وألفه منقلبَةٌ عن واو، وهذا مذهبُ أصحابنا البَصريِّين، والكوفيُّون عندَهم أنّه اسمٌ مثنًّى.

١٣ ـ يَرْكَبُ الهَوْلَ وَحِيدًا وَلا يَصْـ ... ـحَبُهُ إِلّا اليَمانِي الأَفَلُّ

هذا كقولِ الآخَرِ: [الطويل]

يَظَلُّ بمَوْماةٍ ويُمسِي بغيرِها ... جَحِيشًا ويَعْرَوْرِي ظُهورَ المهالِكِ(١)

والمعنى: أنّه لا يتكثَّرُ بالأصحاب إذا همَّ باقتحامِ أمرٍ عظيم، وهَولٍ شديدٍ، بل يتفرّدُ فيه مستصحبًا سيفَهُ الأفلّ، وهو الذي قد كَثُر فُلولُه بكثرة الاستعمال. وانتَصَبَ «وحيدًا» على الحال. وقولُه «ولا يَصْحَبُهُ» انعطَفَ عليه، وهو صِفَةٌ للوحيد وتأكيدٌ للوَحدَةِ.

١٤ ـ وفُتُوٌّ هَجَّروا ثمَّ أسْرَوْا ... لَيلَهُم حتّى إذا انْجابَ حَلُّوا

١٥ ـ كُلُّ ماضٍ قَدْ تردّى بماضٍ ... كَسَنا البَرْقِ إذا ما يُسَلُّ(٢)

فُتُوٌّ: جمع فتًى، ولام فتًى ياء بدلالة قولهم فِتْيانٌ، لكنّه بناهُ على مصدره وهو الفُتوَّةُ، وهذا المصدرُ إنّما جاء على هذا عِوَضًا مِن حملِ بناتِ الواو على الياء كثير،

---

(١) لتأبط شرًا في الحماسية رقم (١٣).

(٢) روى بعده التبريزي:

«فأدْرَكنا الثّأرَ منهم ولمّا ... ينجُ مِلْحَيَّيْنِ إلا الأقلُّ»

فكأنّهم أرادوا أن يحملوا ما هو من الياء على الواو أيضًا، وهو شاذّ. ومعنى هَجَّرُوا: ساروا في الهاجرة. ويقال: جُبتُ الظّلامَ واجتَبْتُه فانجابَ. وجُبْتُ المفازةَ: قطعتُها. يريدُ أنّهم وصَلُوا السّير بالسُّرَى، فلمّا انكشَفَ الظّلامُ نزلوا. وقد اشتمل هذا الكلامُ على جواب رُبَّ؛ لأنَّ قولَه حَلُّوا ـ وهو جوابُ إذا انجابَ ـ صار جَوَابًا لِرُبَّ أيضًا. ويقال: سَرَى وأسرَى بمعنًى واحِد. وقولُه «كل ماضٍ قد تَرَدَّى بماضٍ» يريدُ أنّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء الفِتيان نافِذٌ في الأعمال والغَزَوَاتِ، وقد تقلّدَ سيفًا نافذًا في الضّريبات، وإذا انتُزِع من غِمده لَمعَ التِماعَ البرق. ويقال: ارتدَى بسيفه وتردّى واعتَطَفَ به، ويسمّى السَّيفُ الرِّداءَ والعِطافَ.

١٦ ـ فاختَسَوْا أنْفاسَ نَومٍ فلَمّا ثَمِلُوا رُعْتَهُمْ فاشمَعَلُّوا(١)

قوله «رُعتَهُمْ» جواب لمّا، ومعنى اشمعَلُّوا جَدُّوا في المُضِيّ. ويقال: رجلٌ مُشْمَعِلٌّ، أي جادٌّ خفيف. والمعنى أنّهم ساروا يَومَهم وليلتَهم، وكلٌّ يرجِعُ من نفسه وسلاحِه إلى ما يُرتَضَى ويُعتَدُّ به، ثم نزلوا وهوَّموا، وناموا نومَةً خفيفةً مثل حَسْوِ الطّير ماء الثَّمَد، تمشّت في يَقَظتهم بقدر دبيبها في عُروقهم، ومزاولتها لخفوتهم وسكونهم، فلما صارُوا منها كالسُّكارى أنبهتَهُمْ وبعثْتَهُم للارتحال، فخفُّوا وأطاعوا. ودَلَّ بهذا الكلام على أنَّ المَرثيَّ كان رئيسَهم ومدبِّرَهم، على زيادة غَنائه وذكائه، وشهامته ومضائه، وأنّه لما بعثَهُمْ جَدُّوا وخَفُّوا غيرَ مُتوقّفين في أمره، ولا مُعتَلّين على رأيه.

١٧ ـ فَلَئِنْ فَلَّتْ هُذَيلٌ شَبَاهُ لَبِمَا كانَ هُذَيلًا يَفُلُّ

١٨ ـ وبِما أبرَكَهُمْ في مُناخٍ جَعْجَعٍ يَنْقَبُ فيه الأظَلُّ(٢)

يقولُ: إن كان هُذَيلٌ قد تمكّنَتْ منه فكَسَرت حدّه وأتعسَتْ جَدَّه، فهو بما كان يؤثِّرُ من قَبْلُ في هذيل فيطأُ حريمَها، ويُكْثِرُ قَتِيلَها. والعربُ تقول: هذا بذاكَ، أي هو عِوَضٌ منه. واللام من قوله «لئن» موطئَة لقَسَم مضمَرٍ، والتي في قوله «لبِما» جوابُ ذلك القسم. والشَّباةُ حَدُّ الشّيء. ويقال: أشْبَى الرَّجلُ، إذا أتى بأولادٍ نجباءَ يصيرُ له بهم حَدٌّ حديدٌ كشَبَا الأسِنّة. ويقال أيضًا: أشبَيْتُ الرجل، أي

---

(١) التبريزي: «فلمّا هَوَّموا».

(٢) التبريزي: «وبما أبركها»، الضمير يرجع إلى القبيلة. وروى بعده التبريزي:

«وبما صبَّحها في ذَراها منه بعد القتل نهبٌ وشلُّ»

وجدت له شباة حكاه أبو عمرو. ويجوز أن يكون «شبْوَةُ» وهو اسم العقرب، من الشَّبَا، لإبرتها.

وقوله «وبما أبْرَكَهُم» معطوفٌ على لَبِما كانَ. والجَعْجَعُ: مُنَاخُ سَوءٍ، وهو الأرض الغليظة. والأظَلُّ: باطِنُ خُفِّ البعير. ومعنى يَنْقَبُ أي يَحفَى. والمُراد: وبما كانَ ينالُ منهم ويحملهم فيه على المراكب الصَّعبة، ويُنزلهم له بالمنازل الحَزْنة، التي تؤثِّر في أنفسهم وأموالِهم. وهم يجعلون مثلَ هذا الكلام كنايةً عن التأثير القبيح. ويشبهه قول الآخر: [السريع]

مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يجِدْ طَعْمَهَا ... مُـرًّا وتُـبـرِكْـهُ بـجـعـجـاعِ[١]

وقول الآخر: [الطويل]

لقد حَمَلَتْ قَيْسَ بنَ عَيْلَانَ حَرْبُنَا ... عَلَى يابسِ السِّيسَاءِ مُحْدَودِبِ الظَّهرِ[٢]

وقول الآخر؛ [الخفيف]

وحَمَلْنَاهُمْ عَلَى حَزْنِ ثَهْلَا ... نَ شِـلَالًا ودُمِّـيِ الأنْـسَـاءُ[٣]

١٩ ـ صَلِيَتْ مِنِّي هُذَيلٌ بِخِرْقٍ ... لا يَمَلُّ الشَّرَّ حتَّى يَمَلُّوا

٢٠ ـ يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ حتَّى إذا ما ... نَهِلَتْ كانَ لَهَا مِنْهُ عَلُّ

يقول: ابتُلِيَتْ هُذَيلٌ من جهتي برَجُلٍ كريمٍ يتخرَّقُ في العُرفِ مع الأولياء، وبالنُّكْرِ مع الأعداء، لا يفتُرُ عن النِّكاية فيهم، وعن الإغارة عليهم ما دام لهم ثباتٌ وكانَ للجَزاء عليهم مَحمِلٌ. وقولُه «حتى يملُّوا» يريدُ حتَّى يملُّوه، وليس المراد قعودَهم عن مكافأتِهِ، ومتاركَتهم لهَيْجِه، وإنَّما يريدُ أنَّه لا يَكُفُّ عن الإيقاعِ بهم، ولا يُمْسِك عن التَّأثير فيهم، حتَّى يَبْشَمُوا الشَّرَّ وحتَّى لا تَبقى فيهم قُوة ولا نُهوضٌ فيُراصِدُوا أو يناكِدوا.

وقولُه «يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ» يريدُ الإبانةَ عن الحال التي أشار إليها من دوام الحربِ، وبَسْطِ القتل، فيقول: يُرَوِّي الرُّمحَ من دمائهم بالسَّقْيَةِ الأولى، فإذا ما رَوِيَتْ لم يُرضِه

---

(١) لأبي قيس بن الأسلت في ديوانه ٧٨، واللسان (جعع)، وديوان الأدب ٣: ١١٠، وشرح اختيارات المفضل ٢٣٦.
(٢) للأخطل في ديوانه ٧١، واللسان (سيس)، وتاج العروس (سيس).
(٣) للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته.

ذلك حتّى يُعقِّبَه بمثلِه من السَّقيةِ الثانية. والمعنى اتِّصالُ الوَقَعات، وامتدادُ البلاء منه في صَبِّ الغارات. والصَّعدةُ: القَناة تَنبتُ مستويةً، وجمعُها صَعَدَاتٌ بفتح العين، لأنها اسم. ثمَّ قيلَ في المرأة المستوية القامة، والأتانِ الطَّويلةِ: صَعْدَةٌ، وهي وصفٌ لهما، ويُجمع حينئذٍ على صَعْدَاتٍ بسكون العين، لكونها صفَةً.

وقولُه «صَلِيَتْ منِّي هُذَيلٌ بخِرْقٍ»، مثل قولِه من قَبْلُ: «وَوَراء الثَّأر مني ابنُ أختٍ» في أنّ الخِرْق هو هو لا غيرُه. ويُقالُ: صَليتُ بكذا أي ابتُليتُ به ومُنِيتُ، وأصلُه من صِلاءِ النّار، يقالُ: صَليتُ أصلَى صِلاءً، واصطَلَيتُ أصطلي اصطلاء.

٢١ ـ تَضحَكُ الضَّبعُ لِقَتلَى هُذَيلٍ وَتَرَى الذِّئبَ لها يَستَهِلُّ[1]

٢٢ ـ وعِتاقُ الطَّيرِ تَهفُو بِطَانًا تَتَخَطّاهُمْ فَمَا تَستَقِلُّ[2]

استعارَ الضَّحِك للضَّبُع، والاستهلالَ للذِّئب. وأصل التهلُّل والاستهلال في الفَرَح والصِّياح، والمراد رَغَدُ العَيش لهما، واتِّصال طُعْمِهما باتِّصال قَتلِهِ في هذيل. وليس قولُ من قال معنى تَضْحَكُ: تَحيضُ، بشيءٍ. وقوله «وعتاقُ الطَّير تَهفُو بِطَانًا» مثل قول الآخر فيما تقدم:

وعبد يغُوث تَحجُلُ الطَّيرُ حَوْلَهُ[3]

ويَعني بالعِتاق آكلةَ اللُّحمان وعافِيَةَ الجِيف منها. وقوله «تَهفُو بطانًا» أي إنّها قد زَوَّرَتْ، وامتلأَتْ حواصلُها فثقُلت، فإذا طارَتْ تَخطَّتهم في الطَّيرانِ فلا ترتفع في الجوِّ، بل تُسِفُّ لِثقَلِها. وبِطانٌ: جمع بَطِينٍ. وتهفو: تطيرُ؛ يقال: هَفَتِ الصُّوفةُ في الهواء، أي ارتفعت. قال الخليلُ: ويقال لرَفارِف الفُسطاط إذا تحرَّكَتْ: تهفُو بها الرِّيح. ثم تُوَسِّع فيه، فيقال: هَفَا الظَّليمُ، وهفا قلبُ فلانٍ في إثْرِ كذا.

٢٣ ـ حَلَّتِ الْخَمرُ وكانَتْ حَرامًا وبِلأيٍ ما أَلَمَّتْ تَحِلُّ

٢٤ ـ فاسْقِنِيها يا سَوادَ بنَ عمرٍو إنَّ جِسْمِي بَعْدَ خالي لَخَلُّ

---

(١) روى التبريزي البيتين ٢٣ و٢٤ قبل ٢١، ٢٢.

(٢) التبريزي: «تغدو بطانًا».

(٣) لدريد بن الصمة في الحماسية رقم (٢٧٢)، وعجزه:

«وعزّ المصاب حثو قبر على قبر»

هذا على عادتهم في تحريم الخَمْر وما يجري مجراها في وَلُوع النَّفس به والمَيْلِ إليه إذا قُتِلَ لهم قَتيلٌ، حتَّى يُدْرِكُوا ثأرَهُ، أو حَزَبهم أمرٌ عظيم يحتاجُون فيه إلى مُناهضةٍ ومزاولة. وربَّما كانوا يحرِّمون على أنفُسِهم تنظيفَ البَدن والأخذَ من الشَّعر وما شاكَلَهُ، وذلك على حَسب مَيل الطِّباع وإيثار فَطْم النَّفس عن الشَّيء الذي لا مَتْرَكَ له عندَها. والقَصدُ في جميعه حَبْسُ النَّفس عن المطلوب وتذكيرُها بالمفقود، لئلَّا تتناساهُ أو تتشاغَل عنه. فيقول: أدركتُ الثَّأرَ فحلَّت الْخَمْرُ بعد أن كانت مُحرَّمةً بالنَّذر عليَّ، وبجهدٍ ألمَّتْ حَلالًا، إشارةٌ منه إلى ما قاساهُ في طَلَبِ دَمِه. ومعنى بلَأْيٍ: بعد جَهد وبجهد. على ذلك قولُه: [الطويل]

فـلأيًـا بـلأيٍ مـا حـمـلْنـا غُـلامَـنـا[1]

وفي هذه الطريقة لامرىء القيس: [السريع]

حَـلَّتْ لِيَ الـخَـمْـرُ وكـنـتُ امـرَأً عَنْ شُرْبِها في شُغُلٍ شَاغِلِ[2]

وقول الآخر: [الطويل]

فيا لَيْلَ إنَّ الغِسْل ما دُمْتُ أيِّمًا عَلَيَّ حَرَامٌ لا يَمسُّنِيَ الغِسْلُ[3]

وقولُه «ما ألمَّت» يجوز أن تكون ما صِلةً، ويجوز أن يكون مع الفعل بعدَهُ في تقدير المصدر. يريدُ: وبلأيٍ ألمَّتْ حَلالًا. والإلمامُ أصلُه في الزِّيارةِ الخفيفة، وتُوسِّع فيه فأجْرِيَ مجرى حَصَلَتْ عندي. وقوله:

فـاسقِنِـيـهـا يـا سَـوَادَ بـنَ عـمـرٍو إنَّ جِـسـمـي بـعـد خـالـي لـخَـلُّ

أظهر التشفِّيَ بما نالَهُ من الأعداء حتَّى دَعَا مَن خاطَبَهُ إلى ما كان يتشوَّفُه مِن سَقْيِه له، كما أظهرَ التوجُّعَ لفقده مَن أُصِيبَ به بقوله «إنَّ جِسْمِي بَعْدَ خالِي لخَلٌّ». والخَلّ: المهزول. وقوله «يا سوادَ بن عمرٍو» جَعَل سَوَادَ ـ وقد رَخَّمَهُ عن سوادَةَ ـ بمنزِلة ما جاء تامًّا ولم يُحذَفْ منه شيء فجعل سواد وابن بمنزلةِ شيءٍ واحد، وبَناهُ على الفَتح. فالفتحة في ابنَ للإعراب، والفتحةُ في سوادَ للبناء. ولك أن تَروِيه: «يا

(١) لامرىء القيس في ديوانه ٤٥ (الأعلمي) وعجزه:

«على ظهرِ محبوكِ السراةِ مُحَنَّبِ»

(٢) لامرىء القيس في ديوانه ١٧٧ (الأعلمي).

(٣) لعبد الرحمٰن بن دارة في اللسان (غسل)، ومقاييس اللغة ٤: ٤٢٤، وتاج العروس (أزل، جمل، غسل).

سَوَادُ بنَ عمرٍو» والضَّمَّةُ فيه ضمّة المنادى المفرد، فيكون كقولك: يا زَيْدَ بنَ عمْرو ويا زيدُ بنَ عمرٍو، فاعْلَمْه.

٢٧٤ ـ وقالَ سُوَيْدُ المَرَاثِدِ الحارثيّ[1]: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بأرْفَعِ صَوْتِهِ نَعِيُّ سُوَيْدٍ أنَّ فارِسَكُمْ هَوَى

٢ ـ أجَلْ صَادِقًا والقائلُ الفاعِلُ الذي إذا قال قولًا أنْبَطَ الماءَ في الثَّرَى

يُروَى: «أنَّ صاحِبَكم هَوَى»، ومعنى صاحبكم رئيسُكُم، كما أنَّ معنى فارِسَكم أفْرَسُكُم، ولهذا أقسم وعَظَّم الحال في نعي النّاعِي حتّى جَعَلَهُ يُنادِي بأرفع صوتِه فِعلَ النّادِب المتحسّر، ثم صَدَّقَه في ثنائِه وخَبَره فقال: أجَلْ صادِقًا أي قلتَ صَادِقًا. وأجَلْ هو لتحقيق الإخبار، كأنّه لَمّا قال: إنّ صاحِبَكم أو فارِسَكم سوى، قال: أجل أنت مُصَدَّقٌ، ثم زاده ثناءً فقال: وإنّ القائلَ الفاعل الذي إذا قال قولًا أنْبَط الماء في الثّرى. وقولُه «أنّ» صاحبَكُم، أراد بأنّ صاحِبَكُم، فحذف الباء وَوَصَلَ الفِعل. وانتصب «صادِقًا» على الحال، والعامِلُ فيه ما دلّ عليه الكلامُ من معنى قلتَ. و«القائلَ الفاعِلَ» عطفَهُ على صاحبكم، ويجوز أن ترفَعَهُ، كأنّهُ قال: وهو القائل الفاعِل؛ والنّصب أحْسَنُ وأجود، ومعنى أنْبَطَ الماءَ في الثّرى: وَصلَ القولَ بالفعلِ الجالب للخير، وقَرَّبَ الغَناءَ من العَنَاءِ اللاحق في الأمْرِ، وهو بعد ذلك مَثَلٌ لِتحقيق قولِه، وصِلَةِ النّجاز بوعْدِه. ومعنى أَنْبَطَ الماءَ: أخرجه. ويقال نَبَطَ أيضًا، فإن قيل: هل يجوز أن يكون التّصديق منه للنّاعِي في قوله «هَوَى» لا غَيْر لأنّه هو الخَبَر، ويكون هذا كما قال دريد: «أعبدُ الله ذلكم الرَّدِي»[2] جوابًا لقولِه «أردتِ الخيلُ فارسًا»؟ قلتَ: لا يجوز ذلك، بدلالة قوله «والقائلَ الفاعلَ الذي»، لأنّ هذا العطف لا يكون إلّا على «صاحبَكم». فكأنه صدَّقه في الأمرين جميعًا، وزادهُ مِنْ بعدُ ما زاده. وكذلك قول دريد، لا يمتنع أن يثْبِتَ الفروسيَّة له مع الإرداء أيضًا في استثباته إيّاهم لمّا قالوا: أردتِ الخيلُ فارِسًا.

---

(١) الأبيات رواها المبرد في الكامل ص ٧٢٧ (ليبسك) منسوبة إلى أعرابي.

(٢) قطعة من البيت السادس في الحماسية (٢٧١) لدريد بن الصمة، وتمامه:

«تنادوا فقالوا أردتِ الخيلُ فارسًا فقلتُ أعبدُ اللّهِ ذلكمُ الردي»

٣ ـ فَتَى قَبَلٌ لم تُعْبِسِ السِّنُّ وَجْهَهُ
سِوَى خُلْسَةٍ في الرَّأسِ كالبَرْقِ في الدُّجَى[١]

وصفَهُ بأنه مُقْتَبَل الشَّباب لم يَمسَّه أوائل الكِبَر، وأنّ السِّنّ لم تَنقُص رونقَ شبابه، ولم تُرَنِّق ماءَ بشرته، فهو طَلْق الوجهِ غيرُ عابس. والعُبُوس: ظهور الغضب في الوجه. ويقال منه: يومٌ عَبُوسٌ، أي شديد. وقوله «سِوَى خُلسَةٍ في الرَّأس»، استثناء منقطِعٌ، ويَعني أنَّه ظَهرَ من الشَّيبِ في رأسه شُعلةٌ، فهو كالبرقِ يلمعُ في سوادِ اللَّيل. والخُلْسةُ: بياضٌ في سوادٍ، وقد أخْلَسَ رأسُه، وشَعَرٌ خليس، ومنه قيل للمولود بين الأسود والبيضاء، والأبيضِ والسَّوداء: خِلَاسِيٌّ.

٤ ـ أَشَارَتْ لَهُ الحَربُ العَوَانُ فجاءها ... يُقَعْقِعُ بالأَقرابِ أوَّلَ مَن أتَى

٥ ـ ولَمْ يَجْنِها لكنْ جَنَاهَا وَلِيُّهُ ... فآسَى وآداهُ فكانَ كمَنْ جَنَى

قولُه «أشارت له الحربُ العَوَانُ» كأنَّهُ لم يَصبر إلى أنْ دُعِيَ، ولكن حين اهتاجت الحربُ جاءَها، فكأنَّ الحَرْبَ أشَارَتْ إليه. والعَوانُ: الحرب التي قُوتِل فيها مرَّةً بعد أخرى، تشبيهًا بالعَوانِ من النِّساء، وهي النَّصَف. والفعل منه عَوَّنَتْ وعانَتْ. وقوله «يُقَعقِع بالأقرابِ» يجوز أن يكون المعنى جاءها ولخواصرِه قعقعةٌ، أي صوتٌ، لشدَّة عَدْوِه وحِرصِه. وقد يُسمَعُ من جوفِ العادِي العَجِل وصَدرِه النَّهيمُ والصَّوتُ الشَّديد، إذا استُعجِل في الإدراك ويجوز أن يكون القعقعةُ التي ذَكَرَها من السِّلاح الذي كان عليه. وقوله «أوَّلَ مَن أتى» يجوز أن يكون مَنْ نكرةً، كأنَّه قال: أولَ فارسٍ طَلَع، فيكون أتَى صفةً له؛ ويجوز أن يكون مَعرفةً وأتَى صلةً له، كأنه قال: أوَّلَ الآتِين، ويكون «مَنْ» مُوحَّدَ اللَّفظ مجموعَ المعنى. وانتَصَبَ أوَّلَ على الحال في الوجهين جميعًا، والعامل فيه جاءها أو يُقعقِع. وقوله «ولم يَجْنِها لكن جناها وليُّه» يُحقق ما قلناهُ من أنه لم ينتظر الاستغاثة، ولكن لمَّا طَلعتْ له أمارات امتحان وليِّه آسَاه بنَفسه، وأعداهُ على مِحنَتِه، فكان كالجاني وإن لم يكن منه جنايةٌ، بَذْلَ اجتهادٍ وسُرعةَ إنجاد. فالبيت الأوَّل كما قال الآخر: [البسيط]

قومٌ إذا الشَّرُّ أبدَى ناجذَيهِ لهمْ ... طارُوا إليه زَرافاتٍ ووُحدَانا[٢]

(١) التبريزي: «لم تُعْبِس: أي لم تُنقص رونقَ شبابه».
(٢) لقريط بن أنيف في الحماسية الأولى.

والبيت الثاني كقول الآخر: [الوافر]

وإنِّــي لا أزالُ أخــا حــروبٍ إذا لـم أجْنِ كنتُ مِجَنَّ جَانِ(١)

وقوله «آداه» أصلُه أعداه، والألف الثانية همزة أُبدِلَت من العين في الأصل، والمعنى أعانَهُ. ويجوز أن يكون مِن الأداة، أي جَعل له أداةَ الحربِ وعُدَّتَها. وأنشد الأصمعيُّ قولَ الأسود بن يَعْفُر: [الكامل]

مـا بَـعْـدَ زيـدٍ فـي فَـتَـاةٍ فُـرِّقُـوا قَـتْـلًا وسَـبْـيًا بـعـد حُـسْـنِ تـآدِ(٢)

وقال: معناه بعد أخْذ الدهر أداتَه.

٢٧٥ ـ وقال(٣) رجل من بني نَصرِ بن قُعَيْنٍ: [الكامل]

١ ـ أبْـلِـغْ قـبـائـلَ جَـعْـفَـرٍ إن جِـئْـتَـهـا مـا إنْ أُحـاوِلُ جَـعْـفَـرَ بـنَ كـلابِ(٤)

٢ ـ أنَّ الـهَـوادَةَ والـمَـوَدَّةَ بـيـنـنـا خَـلَـقٌ كـسَـحْـقِ الـيُـمْـنَـةِ الـمُـنْـجَـابِ

قولُه «ما إنْ أُحاوِلُ جَعْفَرَ بنَ كلابٍ» يجري مجرى الصفة في شرح الاسم الذي أراده وإزالة اللَّبسِ عنه. والهَوادةُ: الحُرمة والذِّمام والصُّلح. والمُهاودة: المُوادَعَةُ. وتَهوَّدتُ إلى فُلانٍ تهوُّدًا، أي توسَّلْتُ إليه بوسيلة؛ من قولهم: بيننا هوادةٌ؛ ومنه هَوَّدَ الرجلُ إذا مشَى مَشيًا ساكنًا. فيقول: أبلِغْ هؤلاء القومَ إن زُرتَهُمْ أنَّ أسباب الصُّلح والمودّة، والذِّمام والحُرمة، قد خَلُقَتْ بيني وبينهم، وتغيَّرت عما عُهِدَتْ، فهي تزدادُ على مَرِّ الأيّام دروسًا وهُمودًا كخَلَقِ البُرود المنشقِّ، تزيدُه الأيّام بِلًى وانسحاقًا، فلا تماسُكَ فيها، ولا رجاء لصلاحها وعَودها إلى ما كانت. والثَّوبُ السَّحْقُ وُصِفَ

(١) لسوار بن المضرّب السعدي في الحماسية (١٨)

(٢) للأسود بن يعفر في ديوانه ٢٨، واللسان (أدا، فتا)، وديوان الأدب ٤: ٢٤٤.

(٣) التبريزي: «هذا الشعر لِرُبَيِّعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك... قال أبو محمد الأعرابي: ليس في العرب رُبَيِّعة غيره، وهو أبو ذؤاب الأسدي، وكان ذؤاب قتل عُتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي يوم خَوّ، وأسرت بنو يربوع في ذلك اليوم ذؤابًا، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه، وردّه إلى الحيّ، فأتاه ربيّعة أبو ذؤاب فافتداه بشيء معلوم ووعده أن يأتي به سوق عكاظ، فلما دخلت الأشهر الحرم وافى ربيعة أبو ذؤاب بالإبل الموسم، وتخلّف الربيّع بن عتيبة لشغل شاغل عرض له، فلم يواف بالأسير، فلما لم ير رُبَيِّعة ربيعًا قدّر أنه علم تقبل أبيه فقتله فرثاه بهذه الأبيات، وسارت عنه وبلغت يربوعًا فعلموا أن ذؤابًا قاتل عتيبة فأقادوه به».

(٤) التبريزي: «قبائل جعفر: يعني جعفر بن ثعلبة بن يربوع رهط عتيبة».

بالمصدر، كأنّ البِلَى سَحَقَهُ. واليُمْنَةُ: ضربٌ من بُرود اليَمَنِ. والمُنجاب: المنشَق. وهذا الكلام وعيدٌ، ويشتمل على أنّ الطَّمع من رجوع الأمر إلى ما كان زئلٌ، وأنّ الفسادَ في ذاتِ بينهِمْ مُتظاهر، لا يَقبلُ إصلاحًا، ولا يَلقَى مُزاوِلوهُ فَلَاحًا. وقولُه «أنّ الهوادَةَ» في موضع نصبٍ على أنّه مفعول ثانٍ لأبلغ.

٣ ـ أَذُؤَابُ إنّي لَمْ أَهَبْكَ ولم أَقُمْ ... لِلبَيْعِ عند تحضُّرِ الأَجْلَابِ

يُروَى «لم أهَبْكَ» من الهِبَة، أي لم أسمَحْ بدمِك كما يتواهَبُ النّاسُ الشَّيءَ بينهم، وحكى ابنُ الأعرابيّ: وَهَبنِي اللّهُ فِداءَك. ومنه قولُهم: هَبْهُ كذا، أي احْسِبْهُ. ويُروَى: «لم أهِنْكَ»، أي لم أتغافَلْ عن طلَب دَمِك استهانةً بكَ. وقولُه «ولم أقُمْ للبَيْع عند تحضُّرِ الأجلاب»، يريدُ: إنّي لم أجد الدِّيَةَ، فكنت بائعًا لدمِك كما يُباع الجَلَبُ من الأموال، إذا سِيقت إلى الحضَر. ولم يُرِدْ بقولِه «لم أقُمْ» القيامَ الذي هو ضدُّ الجلوس، إنما المُراد لم أترشّح ولم أتهيّأ. على ذلك قولُه عزَّ وجلّ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: الآية ٦].

٤ ـ إنْ يَقتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ ... بِعُتَيْبَةَ بنِ الحارث بن شهابِ

٥ ـ بأَشَدِّهِمْ كَلَبًا على أعدائِهِمْ ... وأَعَزِّهِمْ فَقْدًا على الأَصْحَابِ

الثَّلُّ: الهَدْمُ؛ ويقال: ثُلَّ عَرش فلانٍ، إذا تضعضعَتْ حالُه واتّضَع عزُّه قال الأصمعيّ: وربما قيل ثُلَّ عرْشُه، وإذا أريد به القَتْلُ فليس إلّا بضمّ العين. قال ذو الرمة: [الطويل]

وقد ثَلَّ عُرْشَيْهِ الحُسَامُ المُذَكَّرُ[1]

والعُرْشان: لحمتان مستطيلتان من جانبي العُنُق، وفيهما الأخدعان. وقولُه «إن يقتُلوكَ» وقد كانوا قَتَلُوه يريدُ إنْ تبجَّحُوا بقتلك وصاروا يفرحون به، فقد أثّرتَ في عِزّهم، وهدمت أساس مَجدِهم بما نِلتَ مِن رئيسهم عُتَيبة بنِ الحارث. وقوله «بأشدّهم كَلَبًا» جعله بدلًا من قوله بعتيبة، وقد أعاد حرف الجرّ فيه، وقد مضى مثلُه[2]، وذكرنا الشاهدَ فيه من قوله تعالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ

---

(١) عجز بيت لذي الرمة في ديوانه ٦٤٨، واللسان (هذذ، عرش)، وكتاب العين ١: ٢٥٠، وديوان الأدب ١: ١٥٥، وصدره:

«وعبد يغوثٍ يحجلُ الطيرُ حوله»

(٢) انظر البيت الثاني من الحماسية رقم (٢٦٨).

ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٧٥] ومعنى أشدِّهم كَلَبًا أشدُّهم تأثيرًا ونكايةً في الأعداء. ومن كلام الحَسَن: «إنّ الدُّنيا لما فُتِحَت على أهلها كَلِبُوا عليها أشدَّ الكَلَبِ»، أي حَرَصُوا أشدَّ الحِرص. ويقال: دَهرٌ كَلِبٌ، أي مُلِحٌّ على أهله بما يسوؤُهم. وقولهم: كَلْبٌ كَلِبٌ يأكل لحومَ النّاس فيأخُذُه منه شِبْه جنون. وقولُه «وأعزِّهم فقدًا على الأصحاب» يريدُ وأشدِّهم، ومنه استَعَزَّ اللّحمُ، إذا صَلُبَ؛ ويَعِزُّ عليَّ أن أرى كذا، أي حَقَّ واشتدّ. ويقولون: أتحبُّني؟ فيقالُ: لَعَزَّ ما، أي لَحَقَّ ما.

٢٧٦ ـ وقال الحُرَيثُ بنُ زيدِ الخَيل(١): [الطويل]

١ ـ ألا بكَرَ النّاعِي بأوسِ بن خالدٍ ... أخِي الشَّتوَةِ الغَبْراءِ والزَّمَنِ المَحْلِ(٢)

٢ ـ فإن تَقتُلُوا بالغَدرِ أوسًا فإنني ... تركتُ أبا سُفيانَ مُلتَزِمَ الرَّحْلِ(٣)

أبو سفيان مُصدِّقٌ ورد حَيَّهُمْ لاستيفاء الصَّدَقة عليهم، فاتَّهمَ أوسَ بن خالد بأنه سَتَر بعضَ مالِه طمعًا فيما يلزمه من الصَّدَقة فيه، واقتطاعًا من الواجِب عليه، فأخَذَهُ أبو سفيان يضربُه، وارتَقَى ما بينهما إلى أن أدّى إلى قَتْلِه، فصاحت أمُّ أوسٍ فأغاثَها قائل هذه الأبيات، ورَمَى أبا سفيانٍ بسهم نَفَذَ فيه فقتله.

وقولُه «بَكَر النّاعِي»، يجوز أن يكون معناه ابتدأ ينعاهُ لأنَّ البُكور أصلُه ذلك، ولذلك قيل في أوّل النّهار: بُكرةٌ. ويجوز أن يكون بمعنى جاء بُكرةً. فيقول: ابتكر المُخبِر بقتل أوسِ بن خالد ملجأ الضُّعفاء، وثِمَالِ الأيتام، في الشَّتْوَةِ الغَبراء، القليلة الأمطار، الشديدة الإمحال. والمَحْلُ: يُبْسُ الأرض. ويقال: زَمَنٌ ماحِلٌ ومَحْلٌ، وقد

---

(١) الحريث بن زيد الخيل: شاعر نشأ في الجاهلية ووفد على النبي ﷺ هو وأخ له اسمه مكنف، فأسلما. وبعث النبي ﷺ حريثًا في رسالة إلى أهل أيلة وشهد قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد، وهو يعدّ من الصحابة، (ت نحو ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م)، ترجمته في الإصابة (١٦٧٨)، والشعر والشعراء ٢٤٤.

(٢) التبريزي: «قال أبو رياش: وكان سبب هذه الأبيات أن عمر بن الخطاب بعث رجلًا يكنى أبا سفيان ليس بالهاشميّ ولا الأموي إلى البادية يستقرئهم، فمن لم يقرأ شيئًا ضربه، فانتهى إلى بني نبهان فاستقرأ أوس بن خالد بن عمرو ابن عمّ لزيد الخيل فلم يقرأ شيئًا فضربه فمات من ضربه، فقامت ابنته وأم أوس تندبانه، فأقبل حريث بن زيد الخيل حتى دخل على أبي سفيان فقتله وأصحابه وقال هذه الأبيات».

(٣) التبريزي: «فإن يقتلوا».

أمْحَلَ النَّاسُ إذا أسنَتُوا. وقوله «فإن يقتلوا بالغَدْرِ أوْسًا» يريدُ أنَّ أبا سفيان هذا كان انطوَى على غِلٍّ لأوْسٍ، وعداوةٍ كامنةٍ له، فتوصَّلَ بما ادَّعَى من خيانتِه في مالِ الصَّدقة إلى ضربِه وقتلِه، لذلك قال: «إن تقتلوا بالغَدْرِ». وقوله «فإنَّني تركْتُ أبا سفيان ملتزمَ الرَّحْل»، يريد: إنّي اثَّأرتُ من أبي سفيانَ وجعلتُه ملتزِمًا لرحله لا حَرَاكَ به، أي قتلتُهُ بدلًا من صاحِبِه.

٣ ـ فـلا تَـجْـزَعِـي يـا أمَّ أوْسٍ فـإنَّـهُ تُصِيبُ المنَايَا كُلَّ حَافٍ وذي نَعْلِ

أخَذَ بعد اقتصاص الحال يُسَلِّي أمَّ أوسٍ عن ابنها، ويطيِّبُ قَلْبَها، ويعرِّفها أنّ الموتَ طريقٌ يَسْلُكه الناس على اختلاف طبقاتِهم، وأنَّه لا مَحِيدَ عنه ولا مَعْدِل. وحَسُنَ ذلك منه لأنَّه كان قد أدرَكَ الثَّأرَ لها، وشفَى نفسَها من داء مصيبتها، فأقبل يَبْرُدُ غليلَها بوعظِه، زيادةً في الاهتمام لها والتوفُّر عليها. وكان يجب أن يقول: كل ذي حَفًى وذي نَعلٍ، أو كُلَّ حَافٍ وناعِلٍ، لكنَّه لما وجَدَ اسم الفاعل يَنوبُ مَنابَ ذي كذا، لم يُبالِ أن يكون أحدُهما بذي. وهذا يُبيِّن ما يسلكُه أصحابنا البصريُّون في مثل قولهم: طالِقٌ وحائضٌ، أنَّه على طريق النِّسبة وَفي معنى ذاتِ طَلاقٍ وذاتِ حيض، ويؤكِّد صحَّته.

٤ ـ قَـتـلـنـا بـقـتـلانـا مـن الـقـومِ عُـصْـبـةً كِرَامًا ولَمْ نأكلْ بهم حَشَفَ النَّخلِ

٥ ـ ولولا الأسَى ما عِشتُ في النَّاس بَعْدَهُ ولـكـن إذا مـا شـئـتُ جـاوَبَـنـي مِـثْـلـي

في هذا الكلام دِلالةٌ على استفحال الشَّرّ بينهم حتَّى قُتِلَ من الجانبين عِدَّة، لذلك قال: قتلنا بدل قتلانا من القوم عصبة يرجِعُون إلى كَرمٍ. والعُصبَةُ: العَشرةُ من الرِّجال، وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين، وكذلك العِصابة من النَّاس والطَّير والخيل. وهذا تنبيهٌ على أن الثأر الذي أدركه منهم كان مُنيمًا، والاشتفاء من دائه بِهِ كان مُجيبًا. وقولُه «ولم نأكلْ بهم حَشَفَ النَّخل» يريدُ: لم نشتغِلْ عن طلب دمهم بالأكل. وذِكر الحشَفِ إزراءٌ بذلك الطَّعام لو صُرِفت النفوسُ إليه مع تَضايُق الوقت في طلب الدَّم. ويجوز أن يريدَ: لم نأخذ ديتَهم. وجَعَل التَّمرَ حَشفًا كما قال غيرُه: [الطويل]

ولا تـأخُـذُوا مـنـهـمْ إفـالًا وأبـكُـرًا وأُتْرَكَ في بيتٍ بصَعدَةَ مُظلِمِ(١)

(١) لكبشة أخت عمرو بن معديكرب في الحماسية رقم (٥٢).

والإفالُ والأبكرُ لا تُؤخَذانِ في الدِّية، ولكنْ حَقَّر أمرَها. وقولُه: «ولولا الأَسَى ما عِشتُ في النَّاس بعده» يريدُ لولا التصبُّر والتأسِّي والاقتداءُ بهم في المصائب، لقتلتُ نفسي ولم أعِشْ بَعْدَه ـ يعني بعد أوسٍ ـ في النَّاس، ولكنْ متى شئتُ وجدتُ لنفسي نظائرَ ممَّن فقدوا أعِزَّتَهم. ويُشبه هذا قولُ الخنساء: [الوافر]

ولـولا كَثـرةُ البـاكِـينَ حَـوْلـي ... عـلى إخـوانِـهِـمْ لـقـتـلتُ نَـفْـسِـي

وقوله «ما عشتُ في الناس بعده» جواب لولا، ونابت عن خبر المبتدأ وهو الأسى، كأنَّه قال: لولا الأسى مانعٌ لي ما عشتُ في النَّاس بعدَه. وقد تَقدم القولُ في لولا، وفيما يقع فيه.

٢٧٧ ـ وقال البَرَاء بنِ رِبْعيِّ الفَقْعَسي(١): [الطويل]

١ ـ أَبَـعْـدَ بَـنِـي أُمِّـي الـذيـن تـتـابَـعُـوا ... أُرَجِّي الـحـيـاةَ أم مـنَ الـمـوتِ أَجْـزَعُ

قولُه «أَبَعْدَ» لفظُ. لفظُ الاستفهام، والمعنى معنى التوجُّع. والاستفهامُ يَطلُبُ الفِعْلَ. فيقول: أُرَجِّي الحياةَ أم أجزَعُ من الموت بعد إخْواني الذين انقرضوا وذهب الواحدُ في إثْر الواحدِ فدرجوا. والمعنى: ماذا يجوز أن يكونَ منِّي: أيحسُنُ الطَّمَعُ في الحياة بعدَهم، أم الجزعُ من الموتِ عَقِبَ الفَجْع بهم. وأم هذه يجوز أن تكون أوْ بدلها، لأنها المنقطعة. ألا تَرَى أنّ التي تكون عديلَةَ الألفِ في العطف مِن شرطِها أن يكون أحدُ الأمرين اللَّذَينِ يَسأَلُ عنهما المستفهمُ قد وقَع عنده إلّا أنه لا يَدْري أيُّهما هو. يقول القائل: أرأيتَ زيدًا أم عمْرًا، وهو لا يشكُّ أنّ أحدهما رآه، إلا أنّه لا يدري أيُّهما هو. والذي في البيت ليس كذلك فتأمَّله.

٢ ـ ثَـمَـانِـيَـةٌ كـانـوا ذُؤَابَـةَ قَـوْمِـهِـمْ ... بِـهِـمْ كُـنـتُ أُعْـطِـي مـا أَشـاءُ وأَمْـنَـعُ

٣ ـ أُولـئِـكَ إخْـوَانُ الـصَّـفَـاء رُزِيـتُـهُـمْ ... ومـا الـكَـفُّ إلّا إصـبَـعٌ ثُـمَّ إِصْـبَـعُ

ذكر أن إخوانَهُ كانوا ثمانيةً، وأنَّهم كانوا رؤساءَ قومهم، وأنَّه بعِزِّهم ومكانِهم مِن قبيلتِهم كان يدفَعُ عن نفسه ما يشاء، ويَقبَل لها ما يشاء. وفي قولِه «كنتُ أعطِي ما أشاءُ» حَذْفٌ، ولو أتى على حدِّه لكان: كنتُ أُعطى ما أشاء إعطاءَهُ وأمنَعُ ما أشاءُ

(١) التبريزي: «وقال أبو حبال البراء بن ربعيّ الفقعسيّ. قال أبو هلال: أبو حبال هكذا رويناه في الأصل وهو تصحيف، وإنما هو أبو الحِناك بالنون والكاف».

مَنعَه. والمفاعيل تُحذَفُ كثيرًا لأنّ القرائن تدلّ عليها. وإنما قال «ذؤابة قومهم» ولم يقل ذوائب قومهم، لأنه عدّهم شيئًا واحدًا، لتناصُرِهم واتّفاق أهوائهم. والذُّؤابَةُ: اسمٌ في الأصل، وقد وُصِفَ به، وكما قيل هو ذؤابَةُ قومِهِ، وهم ذوائبُ قومِهِ، قالوا في الضِّدّ منه: هو ذُنابة قومه، وهم ذَنائب قومه. وقولُه «أولئك إخوان الصَّفاء» نَبَّهَ به على زوال الخلافِ وسقوط المِرَاء من بينهم، وعلى خُلُوص نِيَّة كلّ وَاحدٍ منهم مع صاحبه، حتى كانَ ما يجمعهم تَصَافِيًا بلا كَدَرٍ، وتوافُقًا بلا حَسَدٍ، وأنّهم كانوا في التّعاوُن والتّظاهُر كالكفّ الواحدة، فكلُّ واحدٍ منهم كالإصبع من تلك الكفّ، فلما تُخُرّموا ومات الواحدُ بعد الواحد، صارت الكفُّ تتراجَعُ بنُقصان أصابِعها حتّى صارت لا تُغني في البَطْشِ بِها، ولا تَعمَلُ عند القبض والبسط عَمَلَها.

٤ ـ لَعَمْرُكَ إنّي بالخليلِ الذي لَهُ ... عَلَيّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمُفَجَّعُ

٥ ـ وَإنّيَ بالمَوْلَى الّذِي لَيسَ نَافِعِي ... ولا ضائِرِي فِقدانُهُ لَمُمَتَّعُ

أقسم بأنّه مُفَجّعٌ بمن تَعِزُّ حياتُه ويكرُم مقامُه، حتّى يَرى لنفسِه تدَلُّلًا واجبًا عليه، وتمكُّنًا مكينًا منه؛ ومُمَتَّعٌ بمن لا رغْبةَ له في العيش معه، فليس في بقائه نَفْعٌ له ولا في ذهابِه ضررٌ عليه، وكان الواجب أن يقول: ليس نافعي حياتُه أو وجدانه، حتّى يكونَ في مُقابلةِ قوله «ولا ضائري فِقدانُه» إلّا أنّه لمّا ضاقَ نطاقُ البيت عنه لم يُبالِ بالاقتصار على نافِعِي، إذ كان المرادُ بها مفهومًا، وإذْ كان ضميرُه في ليس يقومُ مقامَ حياتِه لو أتى به. وسَمّى مَن اشتدّت فاقتُه إلى حياته خليلًا لاختصاصِ مكانِه من قَلبِه، وعلى عادَتِهم في تسمية المعتَمَد عليه خليلًا، حتّى سمّوا الفرَسَ والسّيف خليلًا. قال يعني الفرَسَ: [الطويل]

.... وأتّقي ... بهادِيهِ إنّي للخليلِ وَصُول[1]

وقال الآخر في السيف: [الطويل]

ما سَدّ كَفّي خَليلُها[2]

(١) البيت لأبي الأبيض العبسي في الحماسية رقم ١٥٧، وصدره:
«أقيه بنفسي في الحروب وأتّقي»

(٢) وتمامه:
«وإني كما قالت نوار إن اجتلت ... على رجل ما شدّ كفّي خليلها»

وسمّى القبيلَ الثّاني مَوْلًى إشارةً إلى أبناء عمّه الذين لا غَناء عندهم، ولا انتفاع له بمكانهم.

٢٧٨ ـ وقال مُطيع بن إياسٍ، في يحيىٰ ابن زياد[1]:

[المنسرح]

١ ـ يـا أهْـلِ بَـكُّـوا لِقَـلْبِـيَ الـقَـرِحِ ... ولـلـدُّمُـوعِ الـسَّـواكِـبِ الـسُّـفُـحِ

٢ ـ راحُوا بِـيَـحْـيَـى ولـو تـطَـاوِعُـنـي الْـ ... أَقْـدارُ لـم تَـبْـتَـكِـرْ ولـم تَـرُحِ

لم يَرْضَ بتجرُّدِه لتلقِّي الأمر الذي دَهِمَه، وبتفرُّدِه في الجزَع للخَطْبِ المُلِمِّ به حتى طَلَبَ من ذويه وعشيرته إسعادَهُ في البُكَاءِ لما نابَهُ فأقْرَحَ قَلْبَهُ، وأسالَ دمعَهُ. وإنما فَعَلَ ذلك لأنَّه يَعُدُّ التعاوُنَ فيه والتَّشارُكَ، أدلَّ على تجليل الفجيعة له؛ والائتساءَ والتَّساوِيَ، أجْلَبَ للتخفيف ممَّا به. ألَا تَرَى أنَّ الله تَعالى يقولُ في أصحابِ النار: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: الآية ٣٩]، فأيأسَهم من أن يكون اشتراكُهُم في العذاب يسلِّيهم أو يرجِعُ بضربٍ من النَّفع عليهم، على العادة في دار الدُّنيا. وقولُه «قلبِيَ القَرِح» يقال: أقرَحَهُ الهمُّ فَقَرِحَ وهو قَرِحٌ قريحٌ. وقيل في القَرْح هو البَثْر إذا ترامَى إلى فساد. وقوله «السَّواكب» جمع ساكِبة، ووُصِفَ الدُّموعُ به على معنى ذات سُكوبٍ، كما قيل عَيْشٌ ناصِبٌ، أي ذو نَصَبٍ على النِّسبة. والسُّفح: جمع سَفوح، والسَّكْبُ والسَّفْحُ يراد بهما الصَّبّ إلَّا أنَّ السَّفحَ أبلغُ من السَّكْب، لذلك ارتقَى من السَّواكب إليه. وحكَى الخليل أنّ أهل المدينة يقولون: اسكُبْ على يَدِي. ويقال: رجُل سَفَّاحُ الدِّماء، ولم يُقَل سَكَّابٌ، لأنَّ السَّكب لا يبلغُ حدَّ السَّفح.

وقولُه «راحوا بيحيىٰ ولو تطاوِعُني الأقدار»، يقول مُنبِّهًا على مِسَاسِ الفاقة إلى بقائه، وغلبة اليأس من الاعتياض منه: راحوا ولو أطاعني القَدَرُ ما فُجِعنا بفِراقه، فكان لا يبتكر لا غاديًا ولا رائحًا. ومن رَوَى بالتاء «لم تبتكر» جعل الفعلَ منسوبًا إلى الأقدار يريدُ: لم تبتكر الأقدار ولم تَرُحْ به وأنا راض. وإنَّما قال «بَكُّوا» لأنَّ فَعَّلَ يفيد التكثير من الفاعلين. وتكرير الفعل من واحدٍ حالًا بعد حال.

---

(١) مطيع بن إياس الكناني: أبو سلمى، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ظريفًا مليح النادرة، ماجنًا، وكان يرمى بالزندقة. (ت ١٦٦ هـ/ ٧٨٣ م). ترجمته في الأغاني ١٣: ٢٩٩، وتاريخ بغداد ١٣: ٢٢٥.

٣ ـ يا خيرَ من يَحْسُنُ البكاءُ لَهُ الـ   ـيَومَ ومن كان أمسِ للمِدَحِ
٤ ـ قد ظَفِرَ الْحُزْنُ بالسُّرورِ وقد   أُدِيلَ مَكْرُوهُنا من الفَرحِ

إنما ناداهُ لقوله «قد ظَفِر الحُزْن بالسُّرور»، كأنّه يريدُ إعلامَه تأثيرَ المُصابِ فيهم، وأنّهم قد استبدلُوا بعدَه بالسُّرور حُزنًا دائمًا، وبالفَرَحِ مكروهًا راتِبًا. و«مَنْ» نَكِرة. وقوله «يَحْسُن البكاء له اليَوْمَ» صفة له، فيقول: يا خيرَ إنسان كان المدحُ فيما مضَى من الزَّمان أَوْلَى به، والبكاءُ عليه في الحال والاستقبال أحقّ لَهُ، قد تأدّى حالُنا بَعدك إلى أن أَبدلَنا القدَرُ بالفرح تَرَحًا مُتَّصلًا، وبالمحبوب مكروهًا لازمًا.

ومعنى ظَفِرَ الحُزْنُ بالسرور وأُدِيلَ مكروهُنا، أنّ الغَلَبَ لهما حتى لا ثَباتَ للسرور والفَرَح معهما، ولا انتِياش منهما[1]. يبيّن ذلك أنه قال «وقد أُدِيلَ مكروهُنا» أي جُعِل له على الفرح دَولةٌ. وقوله «من الفَرَح» يريد من المفروح به، وهو المحبوب؛ لأنه كما طابَقَ الحُزْنَ بالسرور في الصدر، طابَقَ المكروهَ بالمحبوب في العَجُز. وهذا كما يقال: لا يسرُّني بهذا الأمر فرَحٌ ومفروحٌ به ومُفرِحٌ. والوصفُ بالمصدر ووضعُه موضع الفاعل والمفعول مشهورٌ. وقد خرج في هذا الكلام جوابُ سائلٍ يقول: ما الفرْق بين السرور والفرح؟ وكيف أتى بهما وهما بمعنًى واحد؟

٢٧٩ ـ وقال مُطيعٌ أيضًا[2]: [البسيط]

١ ـ قلتُ لِحَنَّانَةٍ دَلُوحٍ   تَسُحُّ من وابلٍ سَحُوحِ
٢ ـ أُمِّي الضَّريحَ الذي أُسَمِّي   ثم استَهِلّي على الضَّريحِ
٣ ـ ليس من العَدْلِ أن تَشِحّي   على فتًى ليس بالشَّحيحِ

أراد أن يدعوَ للقَبْر بالسُّقيا فجعَل بدلَ الدعاء سؤالًا وتمنّيًا، لأنّ طريقةَ الجميع واحدةٌ فقال: قلتُ لسحابةٍ فيها رعدٌ، فكأنّها كانت تَحِنُّ برعدها إلى شيءٍ كحنين الناقة إلى وطنها أو وَلدِها. دَلُوح، أي ثَقيلة. يقال: مرَّ البعيرُ يَدْلَحُ بحِملهِ، أي

(١) الانتياش: الاستنقاذ.
(٢) كذا عند أبي تمام أما في الأغاني ١٣: ٧٩، فقد نسبه إلى حماد عجرد يرثي الأسود بن خلف.

يمشي متثاقلًا، والسَّحابةُ تَدْلَحُ من كثرة مائها. تَسُحُّ أي تَصُبُّ. وابلٌ: مطرٌ ضخمُ القَطرِ. سَحُوح: كثير الانصبابِ شديدُهُ: إن قيل: كيف جعَلَ السَّحَّ مرّة للحنّانة ومرّة للوابل، والوابل يكون مصبوبًا لا صابًا، وما فائدة مِن في قوله «من وابلٍ سَحُوح» فإنّ المرادَ به الكثرة، وهم يجعلون، إذا قصدوا إلى المبالغة، الفِعلَ الواقعَ بالشَّيء له. ألا تَرَى أنهم يقولون: مَوتٌ مائتٌ، وشِعرٌ شاعر. وهذا كما قالوا: سيلٌ مُفعَمٌ، والسيلُ لا يُملأ إنما يُملأ به الشيء. وإذا كان كذلك فالسَّحُّ من الحَنَّانَةِ حقيقةٌ، والسَّحُّ من الوابل مجاز، والمرادُ به ما ذكرنا. على أنه لا يمتنع أن يكون سَحَّ من باب فَعَلتُه ففعَل؛ فقد حَكَى الخليلُ: سَحَّ المطرُ والدَّمعُ، وقال: هو شدَّة انصبابِهما. ويقال من السَّحّ: فَرَسٌ مِسَحٌّ، أي يَصُبّ العَدْوَ. وأرضٌ سَحَاحٌ، أي تسيل من مَطَرٍ يسير.

وقوله «أُمّي الضَّريحُ الذي أسمّي» يريدُ الذي أنُصُّ عليه وأبيِّنه بذكر اسم صاحبِه، إذْ لم يكن للضريح اِسمٌ يَتميَّز به عن القبور، فكأنَّ بيانَ الكلام: أسمّي صاحبَه، فحذفَ المضاف وهو صاحبٌ، ثم أقام المُضافَ إليه مقامَه، فجاء أسمّيه، ثم حذف المفعول من الصلة لطولها فبقيَ أسمّي. ومعنى استهِلّي: صُبّي. ويقال: هَلَّ السحابُ بالمطرِ واستَهَلّ وانهلَّ المطرُ انهلالًا. والأهاليلُ: الأمطار الشديدةُ الانصباب. ويجوز أن يكون لمّا وصفَ السحابةَ بالحنَّانة لرَعدِها كنَى عن المطر بالاستهلال، لأنه كالْحَنين، وهو رفعُ الصوت بالتلبية وغيرها، فيكون الحنين والاستهلال للرّعد والمطر كالسؤال والجواب. فأما قولُه «على الضريح» فتكراره تنبيهٌ على عِظَم شأنه وفَظاعة الفَجْع به. والتفخم بالتكرير يحصُل كثيرًا. والضَّريح: القبر بلا لَحْد، وهو فَعِيل بمعنى مفعول، لأنه يقال ضَرَحوا له ضريحًا. وقال الدُّريديّ: سمّي ضريحًا لأنه انضَرح عن جَالَى القبر، أي اندفَع فصار في وسَطِه. وقولُه:

لـيـس مـن الـعـدل أن تَـشِـحّـي عـلى فـتّـى لـيـس بـالـشَّـحـيـحِ

يريد: ليس من الإنصاف البُخْلُ بمائك وصَوْبِك على فتّى كان لا يَبخل بمالِه، وما يُجتدَى منه في جاهِه وحالِه. وهذا ظاهر. وفي طريقته قول أبي تمَّام: [الطويل]

وكيف احتمالي للغُيوثِ صَنيعةً بإسقائها قَبْرًا وفي لَحْدِهِ البَحْرُ

٢٨٠ ـ وقال الأشْجَعُ السَّلَميّ[١]: [الطويل]

١ ـ مَضَى ابنُ سعيدٍ حين لم يَبقَ مَشرِقٌ ولا مَـغـرِبٌ إلّا لـهُ فـيـه مـادِحُ

يقول: فُجِعَ الناسُ بابن سعيدٍ حين كَمَل وبَرَع وشمِل نفعُه فعَمّ حتى لم يَبقَ بُقعةٌ من جوانب الشرق والغرب إلا وتَرَى فيها شاكرًا لنعَمِه، حامدًا لفَعالِه، مادحًا لفرط إحسانِه. وإنما يَعظُم الرُّزءُ باستكمال فضائل المرثيّ، وشمول فواضِله.

٢ ـ ومـا كـنـتُ أدرِي مـا فـواضِـلُ كـفِّـهِ على النـاسِ حَتَّى غيَّبَتْهُ الصَّفائحُ

قوله «ما فواضِلُ كفِّهِ» استفهامٌ، وموضع الجملة من الإعراب أنه مفعولُ أدرِي وقد عُلّق عنه، والمعنى: ما أدري ما يقتضي هذا السؤالُ. والفواضِلُ: جمع فاضلة، وهو اسمٌ لما يَفضُل من نَدَى كَفِّهِ فيتجاوزُها إلى الناس. ويجوز أن يكون فاضلةٌ مصدَرًا بمعنى فَضْلٍ أو إفضالٍ، فيكون كالعافيةِ والقائمِ من قولهم قُمْ قائمًا، والباليَةُ من قولهم ما أباليه باليَةً، ثُمّ لاختلافِه جَمَعَهُ. والمصادِرُ تُجمع إذا اختلفت؛ على ذلك قولهم العُلوم والعُقولُ وما أشبههما. وإذا جُعِل كذلك يكون قد عدَّى فواضِلَ وهو جمعٌ مكسَّرٌ إلى قوله على الناس. وحَصَل من هذا الكلام أنّ قوله «على الناس» يتعلّقُ بفواضل على وجهين: أحدهما أن يكون فواضل جمع فاضلة، وهو اسم للفاعل، والثاني أن يكون فواضل جمع فاضلة، وهو مصدرٌ، وتعدِّي مثلِه ليس بكثير.

وقولُه «حتى غَيَّبَتْهُ الصفائح» معناه إلى أن غَيَّبَتْهُ الصَّفائح. والصفائح: أحجار عِراضٌ سُقِّف بها قبرُه. يقول: لم أتبيَّنْ مقادير إحسانه عند الناس، ومَبالغَ أياديه لديهم، وفنونَ برِّهِ بهم، وانصبابَ مِنَنِه إليهم، لاختلاف مواقعها، ولخفاء كثيرٍ منها على حَسَب قُصودِه في الإفضال، ولتبايُن مَواضِع الصنيعة في التفصيل والإجمال، إلى أن خَلَّى مكانَه فظهرت الفاقةُ على متحمِّلي نِعَمِه، وتَظاهرَ الحمد والثَّناء من الكافّة على اختلاف منازِلهم وتباعُدِ مظانّهم، فحينئذٍ بان لي كثرتُها وتوفُّرها.

٣ ـ فـأصْـبَـحَ فـي لَـحْـدٍ مـن الأرضِ مَـيْـتًـا وكـانَـتْ بـه حَـيًـا تَـضِـيقُ الصَّحَاصِحُ

---

(١) التبريزي: «وقال أشجع بن عمرو السّلميّ» وهو شاعر فحل، كان معاصرًا لبشار، ولد باليمامة ونشأ في البصرة ثم استقر في بغداد (ت نحو ١٩٥ هـ/ ٨١١ م). ترجمته في الأغاني ١٨: ٢١٨، وتاريخ بغداد ٧: ٤٥.

قولُه «في لَحدٍ» موضعه نصبٌ على أن يكون خبر أصبح، وانتَصَبَ «ميّتًا» على الحال، وكذلك قوله «حيًّا» انتصبَ على الحال. ولا يجوز أن يكون «لَحدٍ» في موضع الحال ومَيْتًا خبر أصْبَحَ، لأنَّ مَيْتًا من الصَّدْر في مقابَلة حَيًّا من العَجز، ولا يكون ذلك إلا حالًا، فكذلك يجب أن يكون ميّتًا، وإلَّا اختلفًا وفَسد المعنى. يقول: أصبحَ وهو ميِّتٌ يتّسع له لَحدٌ من الأرض، وكانت الصَّحاصِحُ تَضِيقُ عنه وهو حَيٌّ. فيجوز أن تكون تَضِيقُ عن جُيوشِهِ وأصحابه الذين كانوا يَحيَونَ بحياته، ويَسطُون على الدَّهر بعِزَّته، ويجوز أن يريد بالضِّيق ما كان يَبُثُّ من إحسانه، ويَنْتَشِر من جدْواه في أهل الأرض ويشمَلُهم من المنافِع بمكانه وجاهه، فيكون التَّقدير أنَّها لو جُسِّمتْ لكانت الصَّحاصِحُ تضيق عنه. والصَّحصح والصَّحصَحان: الأرضُون المستوِية الواسعة. وفي طريقته للبحتري: [الكامل]

كانوا ثَلاثَةَ أبْحُرٍ أفْضَى بها وَلَعُ المَنُونِ إلى ثلاثَةِ أقْبُرِ

٤ ـ سَأبْكِيكَ ما فَاضَتْ دُموعِي فإنْ تَغِضْ فحَسْبُكَ مِنِّي ما تُجِنُّ الجَوانِحُ

ضَمِن له دوامَ البُكاء ما دامت الدُّموع تُجيبُه وتُساعده، فإنْ عَجزَتْ ونقَصتْ عن المُراد، وانقَطعت أوان الحاجة، فكافِيهِ منه ما تشتمل عليه جوانِحُه، ويتضمّنُه صدرُه وفؤاده. وقولُه «ما فاضت» في موضع الظَّرف، أي مُدَّةَ فَيضِها. وقولُه «حَسْبُكَ» مبتدأ وخَبَرُهُ «ما تُجِنُّ». وقد يتِمُّ حَسْبُك بنفسه فلا يحتاجُ إلى خَبرٍ، فيُقالُ حسبك، وحينئذٍ يتضمّن معنى الأمر، كأنَّه يرادُ به اكتَفِ، ولذلك يستقلُّ الكلامُ به. ويقال: غاض الماءُ وغِضْتُه. والجوانح: الضُّلوع، سمِّيت بذلك لانحنائها. والجُنُوح: المَيْل.

٥ ـ وما أنا من رُزْءٍ وإن جَلَّ جَازِعٌ ولا بسُرورٍ بعد مَوْتِكَ فارِحُ[1]

قولُه «ما أنا من رُزءٍ» تبرُّؤٌ من الجزَع على الرُّزء، أي لستُ له بصاحِبٍ وإن جَلَّ الفادِحُ، كما أنّي لستُ بسُرُورٍ به وإن عَظُم بفارِحٍ. والمعنى: أنَّ المنايا والعطايا تساوت أقدارهما عندِي بعدك، لأنَّك كنتَ المرجُوَّ عندي. والمَخُوفَ عليه لدَيّ، فلما فاتَني القدرُ بك أمِنتُ من الجَزَع لحادِثِ شَرٍّ، ويئِسْت من الفرح لنائبِ خيرٍ. ولو قال بَدَلَ جازِعٍ وفارِحٍ: جَزِعٍ وفَرِحٍ، كان أفصَحَ وأكثر، لأنَّ فَعِلَ إذا كان غير متعَدٍّ فالأجود والأقيس في مصدرِه فَعَلٌ، وفي اسم الفاعل فَعِلٌ، وإذا كان متعدِّيًا فبابُه

(١) التبريزي: «فما أنا».

فاعِلٌ. وقد قيل في المريض مارِضٌ، وفي السّليم سالِمٌ، لأنّ البابين يتداخَلان. وقولُه «ولا بسرورٍ» أي ولا بذي سُرورٍ فحذف المُضاف وأقام المُضاف إليه مقامَه.

٦ ـ كأنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ ولم تَقُم على أحَدٍ إلّا عليكَ النوائحُ

٧ ـ لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ المَراثِي وذِكْرُها لقد حَسُنَتْ من قَبْلُ فيك المدائحُ

قوله «كأنْ» مخفَّف كأنّ، واسمه مُضمرٌ، أراد كأنَّ الأمر أو الشأن لم يَمُتْ حَيٌّ سواكَ. والخَطْبُ إذا وَقع مستغربًا كان تأثيرُه أشدَّ، ونَكْؤُه أوجع منه، إذا أُلِفَ وُقوعُه، وتُمُرِّن بتكرُره. فيقول: إنّ المُصِيبةَ عَظُم تأثيرُها في النُّفوس، فكأنّ موتَك بِدْعُ فَعَلاتِ الدهر، وكأنّ النِّياحةَ لم تَقُم على مَن سواك، إذْ كانت طوائفُ النّاس على تبايُنهم وتباعُدِ أقطارهم، واختلاف هممهم وأوطارِهم، تَشارَكوا في الجَزَع لكَ، وتشابَهُوا في استعظام الأمر والخَطْب بك، فكأنّهم لم يَروْا مفقودًا، ولا قامت النَّوائح فيهم عند بكائهم هالكًا.

وقوله «لئن حَسُنَتْ فيك المَراثي وذِكرُها» مثلُه قولُ الآخَر: [المنسرح]

يا خيرَ مَن يحسُنُ البكاءُ له الـ يَوْمَ ومَن كانَ أمسِ للمِدَحِ[١]

وقد تقدَّم القولُ في لام لَئِن واليمينِ المضمَرة في الكلام. والجواب لقد حَسُنَتْ، وقوله حَسُنَتْ في موضع تَحْسُنُ، لأنّ حرف الشَّرط نقَل المُضِيَّ إلى الاستقبال، وجوابُ الشَّرط بالفاء هٰهنا وقد حُذف كأنّه قال: إن يحسن الرِّثاء لك وفيك، الآنَ وفي مستقبَلِ الزّمان، فَلَلْمدائحُ فيما مضى كانت حسنةً فيك.

٢٨١ ـ وقال يَحيَى بنُ زِيادٍ[٢]: [الطويل]

١ ـ نَعى ناعِيَا عَمرٍو بِلَيلٍ فَأَسْمَعَا فَـرَاعَا فُـؤادًا لا يَـزَالُ مُـرَوَّعـا

يقول: خَبَّرَ النّاعيان بموتِ عَمرٍو ليلًا، فأبلَغا الخبر وهو فظيع مُنكَر، وفزَّعا قلبًا لا يزالُ مُفزَّعًا. وإنما قال بليلٍ لأنّهما لم يصبِرا إلى مجيء النهار استعظامًا للخَطْب؛ لأنّ اللّيل لمّا كان أخفى للويلِ صار سَعْيُ الناعيينِ فيه أدلَّ على استفحال

---

(١) البيت الثالث من الحماسية ٢٧٨، وهو لمطيع بن إياس.

(٢) التبريزي: «الحارثي» وهو شاعر ماجن، أقام ببغداد مدة ثم خرج عنها، ووالده زياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح (ت نحو ١٦٠هـ/ ٧٧٦ م). ترجمته في تاريخ بغداد ١٤: ١٠٦، ولسان الميزان ٦: ٢٥٦.

الرُّزء. وقوله «أَسْمَعَا» حَذَفَ مفعولَيه لأنّ المراد أَسْمَعا النَّاسَ نَعِيَّهُ، وهو بتجرُّد من المفعول يُستعمل في المكروه كثيرًا، ولأنّه إذا أطلق مُبهَمًا فالإطلاق في مثل هذا المكان أبلغ، وإنما قال «مُرَوَّعًا» إيذانًا بأن ذلك الرَّوع ثبت في القلب حتى لا إفاقة منه. ويجوز أن يريدَ أنّه مرزَأٌ في الكِرام، فهو الدَّهرَ قلِقٌ لا يسكن، وحَذِرٌ لا يأمن.

٢ ـ وما دَنِسَ الثَّوبُ الذي زَوَّدوكَهُ وإن خانَهُ رَيبُ البِلَى فتَقطَّعا

الدَّنَسُ: لَطْخُ الوسَخ ونحوِه حتى في الأخلاق. يقال: هو دَنِسُ المُروءةِ، وقد دَنِسَ عِرضُهُ. ونَبَّهَ بهذا الكلام على أنّ زاد المُتَوَفَّى من الدنيا كَفَنُه، وأنّ ما كُفِّن فيه المتوفَّى بَقِيَ طاهِرًا لطهارة نفسه وعُنصُرِه، وأنّه كان يَجِبُ بقاؤه جديدًا لا يؤثّر فيه البِلى، ولا تَسبِقُ إليه الخُلوقةُ، وأنَّ تأثيرَ رَيبِ الدَّهر فيه بالتقطيع خِيانَةٌ منه. وكل هذا تعظيمٌ للمرثيّ، وأنّ حالَهُ بخلاف أحوال غيره حَيًّا وميِّتًا. ومعنى «خانَهُ رَيْبُ البِلَى» أي نزول البلى، قال أبو عُبيدة: يقال: رابَ عليه الدَّهْرُ، أي نَزَلَ.

٣ ـ دَفَعنا بِكَ الأيّامَ حَتى إذا أَتَتْ تُرِيدُكَ لم تَسطِعْ لها عَنكَ مَدفَعا

يجوز أن يريد بالأيّام نوائبَ الأيام وأحداثَها فحذف المضاف وأقام المضافَ إليه مقامَهُ، ويجوز أن يريدَ الأيّام أنفُس الأحداث، فسمَّاها أيّامًا كما تُسَمَّى الوقَعاتُ بها، وكما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٠]. ومعنى «حتى إذا أتَتْ تُرِيدُكَ» موضع تُريدُك نصبٌ على الحال، أي مُريدةً لك. وفائدة حتى الغايةُ: كأنّه قال: دافعْنا الأيامَ بك وبمكانِك إلى وقت مجيئها مُريدةً لكَ، فحينئذٍ لم تقدِر على دفاعها. وقوله «لم نَسْطِع» أراد نستطع فحذفَ منه تخفيفًا لكثرته في الكلام. يقال: اسطاع يَسْطيع، بمعنى استطاع يستطيع؛ وقد حكى أَسطَاعَ بفتح الهمزة يُسطِيعُ بضم الياء، وليس هذا من الأول لأنّ هذا في معنى أَطَاعَ.

٤ ـ مَضَى فمَضَتْ عَنّي به كُلُّ لَذَّةٍ تَقَرُّ بها عَينايَ فانقَطَعا مَعًا

يقول: مَضَى عَمْرٌو لسبيله فانقطعت عنّي لذَّات الدنيا، وفارقَتْني بفراقه، فانقَطَعا مجتمعَيْن ومصطحبين. وموضع «تَقرُّ بها عيناي» جَرٌّ على أن يكون صفةً للذَّةِ، أي كلُّ لَذَّةٍ تبرُدُ لها عيناي لها وتُسَرُّ نفسي بحصولِها. وقوله «مَعا» في موضع الحال. وقوله: تَقَرُّ بها عيناي، قيل: هو من القَرارِ، وقيل هو من القُرّ: البَرْد. وهذا أقرب لأنّه يقال في ضدِّه: سَخُنَت عينه، وهو سُخْنة العَين.

٥ ـ مَضَى صَاحِبِي واستَقْبَلَ الدَّهرُ صَرْعَتِي ولا بُدَّ أن ألقَى حِمامِي فأُصْرَعا[(١)]

هذا في طريقة قوله: [الكامل]

فغَبَرْتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ وإخالُ أنّي لاحِقٌ مُستَتْبَعُ[(٢)]

ومعنى «استقبل الدّهرُ صرعتي» توطينٌ للنَّفس على أنّها بمَدرَجة الدَّهر، فهو ينتظر إيقاعه بها وكأن قَدْ. ومعنى استَقبَلَ الدَّهرُ صرعتي، أي إماتَتِي، كما يقال «لكلّ جَنبٍ مَصرَعُ[(٣)]». ومعنى «لا بد»: لا محالة، وهو من البَدَد: الاتّساع والتفريج. كأنّه تضايَقَ الأمرُ فيه فلا اتّساعَ معه، ويقال: لا بد من أن يكون كذا، ولا بدَّ أن يكون كذا، و«أنْ» يُحذف حرف الجرّ معه كثيرًا.

٢٨٢ ـ وقال ابنُ المقفَّعِ يَرْثِي يحيىٰ بنَ زيادٍ[(٤)]: [الطويل]

١ ـ رُزِئْنا أبا عمرٍو ولا حَيَّ مِثلَهُ فَلِلَّهِ رَيْبُ الحادِثاتِ بِمَنْ وَقَعْ

يقول: أُصِبْنَا بأبي عمرو، وهو مفقودُ النَّظير، معدومُ الشَّبيه. فموضع «ولا حَيَّ مثلَهُ» نَصْبٌ على الحال، والعامل فيه رُزينا. ثمّ قال على وجه التعجُّب: لله رَيْبُ الدهر بأيِّ رجل وقَع. فقولُه «بمَنْ وقع» منقطَع مما قبله وإن كان فاعلُ وقع الضميرَ العائدَ إلى الرَّيب المستكنّ، لأنَّ قوله «لله ريبُ الحادثات» كلام مستقلٌّ بنفسه فيما يُفيد من إكبار الشّانِ وتفظيع الحال. وإضافةُ الشَّيء إلى الله عزّ وجلّ تفخيمٌ وتعظيم، على ذلك قولهم: بَيتُ الله ـ وإن كانَ المساجدُ لله ـ ولله دَرُّه. وقوله «بمن وقع» مستقلٌّ بنفسه أيضًا وفيه استعجاب من أن يكون الدّهر يَعرِض لمثله أو يَهُمُّ به مَعَ فخامة أمرِه، وجلالةِ نفسه. ولو قال: وبمن وقع، فزاد واوًا، لكان أكشَفَ في المعنى المرادِ به. ولا يمتنع أن يكون بمن وقع في موضع الحال، كأنّه قال: لله رَيْبُ الحادثات واقِعًا

(١) التبريزي: «واستقبل الدهرُ مصرعي».
(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في الدرر ٢: ٢٥٩، وشرح أشعار الهذليين ١: ٨، واللسان (نصب).
(٣) لأبي ذؤيب مثل البيت السابق وتمامه:
سبقوا هَوِيَّ وأعنقوا لهواهُمُ فَتُخُرِّموا ولكلّ جنبٍ مصرعُ
وهي في شرح أشعار الهذليين ١: ٧، والدرر ٥: ٥١، واللسان (هوا).
(٤) التبريزي: «وقال ابن المقفع يرثي يحيىٰ بن زياد وقيل: يرثي ابن أبي العوجاء عبد الكريم»، وعبد الله ابن المقفع: من أئمّة الكتّاب، وأول من عني بترجمة كتب المنطق، أسلم على يد عيسى بن علي عمّ السفاح، ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي. (ت ١٤٢ هـ/ ٧٥٩ م). ترجمته في: أمراء البيان ص ٩٩، وأخبار الحكماء ١٤٨، ولسان الميزان ٣: ٣٦٦.

بمن وَقَع، ومؤثِّرًا مُوجِعًا، ويكون حالًا للرَّيب، والعامل فيه ما دلَّ عليه ريبُ الحادثات.

٢ ـ فإن تَكُ قد فارَقْتَنَا وتركْتَنَا ذَوِي خَلَّةٍ ما في انسِدادٍ لها طَمَعْ

٣ ـ فقد جَرَّ نَفْعًا فَقْدُنا لَكَ أنَّنا أمِنَّا على كلِّ الرَّزايا مِنَ الجَزَعْ

حذف النون من تَكُ قد تقدَّمَ القولُ فيه. والمعنى: إن فارقْتَنا والوَهيُ بك لا يُرقَع، والخَلَّةُ بك لا تُسَدُّ، وحديثُ النَّفس بالطَّمع فيك لا يَخطُر بالقلب ولا يَجولُ في الفِكر، فقد جَلَبَ إلينا فَقْدُك نفعًا، وهو أمْنُنَا من تسلُّط الجزَع علينا لرزيئةٍ مستأنفةٍ، أو نَكبةٍ معترِضة، إذْ كان خَوفُنا عليك، وحذَرُنا فيك. وقوله «ما في انسدادٍ لها طمع» في موضع الجرّ، لأنّه صفةٌ لخلّةٍ. يريدُ ما لنا طَمَعٌ في انسدادٍ من أجلها وبَعْدَها يحصُل. وجوابُ إن تَكُ، الفاء مع ما بَعدها من قوله «فقد جَرَّ نَفْعًا»، وإنما جُلبَ الفاءُ لمخالفة الجزاء للشَّرط بكونه مبتدأ وخبراً، والمبتدأ محذوف كأنَّه قال: والأمر والشّان قد جرّ فقدُنا لك نفعًا. وقوله «إنّنا أمِنّا» إذا كسرتَ الهمزة من إنّ يكون على الاستئناف، وتكون جملة الكلام تفسيرًا للنَّفع المستَجَدّ له، وإذا رويت «أنّنا» بفتح الهمزة يكون بمعنى لأنّنا أمِنّا، فيكون الكلام بيانًا لعلّةِ حصول النَّفع. ويجوز أن يكون موضع أنّنا نصبًا على البدل من نَفْعًا.

وقولُه «على كلّ الرزايا»، على تعلّق بقوله أمِنَّا، يقال: هو آمِنٌ على كذا، وقد أمِنتُ على مالي عند فلانٍ من امتداد الأيدي إليه، أي لا تمتدّ، كذلك أمِنّا على كل الرزايا من الجزع، أي لا نَجْزع. وأتى بلفظة العموم فيه، وهو كُلٌّ، إيذانًا بتساوِي الخطوب عنده، وانحطاطِها عن درجة المُصاب به وفيه، حتى لا جَزَعَ يتجدَّدُ بَعدَه لحادثٍ يحدُثُ ولا يجوز أن يتعلّق قوله «على كلّ الرزايا» بقوله: من الجزع، لأنه لو كان كذلك لكان في صلته، والصّلة لا تتقدّم على الموصول.

٢٨٣ ـ وقال[١] بعضُ بني أَسدٍ: [الكامل]

١ ـ بَكِّي على قَتْلَى العَدَانِ فإنَّهُمْ طالت إقامتُهُمْ ببَطْنِ بَرَامِ

٢ ـ كانوا على الأعداء نارَ مُحَرِّقٍ ولقَوْمِهِمْ حَرَمًا من الأَحْرامِ

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في معجم البلدان (عدان) بلا عزو، والبيت الرابع في لسان العرب (طوأ) لابن أصرم.

يخاطب امرأةً والنساءُ كُلُّهنّ عندهُ تلك المرأة، فيقول: أكثِري البُكاء على المقتولين بهذا المكان ـ وقيل العِدَانُ ساحل من سواحل البحر ـ والمدفونين ببطن بَرام، فقد طالت إقامتُهم. والمراد أنَّ اليأس منهم قد حصَلَ وقَوِيَ، وأنَّ غيبتَهم اتَّصَلَتْ فرُفِعت الأطماعُ من عَودِهم والاجتماعِ معهم. ثم أخذ يصفُهم فقال: كانوا على المنابِذين والمخالِفين كنار هذا الملك، لا تُبقي ولا تَذَر ـ ومحرِّق هو عمرو بن هِند، وكان نَذَرَ أن يُحرِق مائةَ نفس، ففعل، فضُرِبَ المثلُ بناره ـ وكانوا لقومهم حَرَمًا من الأحرام، لا مخافةَ فيهم ولا هضيمة. يريدُ أنّ قومَهم يأمَنون نزولَ النوائب بهم في فنائهم، فكانوا كمن حَصَل في الحرَم، وأن أعداءَهُمْ كانوا يحترقون بنكايتهم فيهم، فكانوا عليهم كنار هذا الملك.

وقوله «مُحَرِّق» وإن كان صفةً في الأصل، فصار بالاشتهار في رجُل واحدٍ كالعَلَم له. وعلى هذا جاء في قوله: [الطويل]

عليهنّ فتيانٌ كساهُم مُحَرِّقٌ(١)

وقوله:

إليك ابنَ ماءِ المُزْنِ وابنَ مُحَرِّقِ

وقولُه «حَرَمًا من الأحرام» نكّرهُ لاختلاف الأحرام. وهي حَرَم الله تعالى بمكة والشام، وحَرَمُ الرّسول عليه السلام بالمدينة.

٣ ـ لا تَهلِكي جَزَعًا فإنّي واثِقٌ ... برِماحِنا وعَواقِبِ الأيّامِ(٢)

هذا الكلام تسليةٌ لها وإن كان أمَرَها بالبكَاء، وإيذانٌ أنه سيُدرك الثأر، فهو ينتظر عُقَب الأيام وانتهاز الفُرص. ونبَّه بقولِه «واثِقٌ برماحِنا» على الغَناءِ عندهم، وأنّ العناية متوفِّرةٌ من جهتهم. وانتصب «جَزَعًا» على أنه مصدرٌ لعلّةٍ، ولا يمتنع أن يكون في موضع الحال يُريدُ جازعةً، وهذا الجزع الذي نهاها عنه ليس يريدُ به الحُزنَ لفَقدِه، وإنما يُريدُ الحزنَ لسلامة الواتر على مرّ الأيام لا غيرُ. ألا ترى أنه قال: فإني واثقٌ برماحنا. وقولُه «عواقبِ الأيام» يُشيرُ فيه إلى تغيُّر الزمانِ واختلاف الحَدَثان، وأن

---

(١) للحصين بن الحمام في الحماسية رقم (١٣٣) وعجزه:
«وكان إذا يكسو أجاد وأكرما»

(٢) روى التبريزي بعد هذا البيت بيت أخير:
«عاداتُ طَيٍّ في بني أسدٍ لهم ... رِيُّ القنا وخضابُ كلّ حسامِ»

الدَّهرَ كما يُعطي يَرتجع، وكما يولّي ينتزع، فغِيَرُه لا تؤمَن، وأحداثُه على حالةٍ واحدة لا تَقِفُ.

٢٨٤ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ نُعي لي أبا المِقْدَام فاسوَدّ مَنظَرِي من الأَرضِ واستَكَّتْ عليّ المَسامعُ
٢ ـ وأقبَل ماءُ العَينِ من كلّ زَفْرَةٍ إذا وَرَدَتْ لَمْ تَستَطِعْها الأَضالِعُ

يقول: خَبَّر الناعي بموت أبي المِقدام فدِيرَ بي، وأصبَحت الدنيا مُظلمةً في عيني، وأَوْرَثَ خبرُه صَمَمًا في أُذُني، فلا الأُذن تأذَنُ للكلام على ما كانت تعملُ، ولا العين تُدرِكُ المرئيّات إدراكَها مِن قَبل، كلُّ ذلك لتأثير نَعيِه في الحواسّ التي هي طُرُق العلوم وتَبيُّنِ المشاهَدات. وبعد ذلك أقبل الدَّمعُ يَسِيلُ في إثر زَفَراتٍ اتصلَتْ وتعاقَبَتْ، وكل واحدةٍ منها لامتلاء الصدر بها كادَتِ الضلوع تستقيم لورودِها. والزَّفرة: أن يَتردَّد النَّفَس في الصدر ثم يمتلىءَ منه ويَزفِرَ به، أي يَرْمِي. وقد أومأ أبو تمّام إلى هذا المعنى وإن يصرِّح تصريحَه في قوله: [الوافر]

وما للدّارِ إلّا كلّ سَمْحٍ بأدمُعِهِ وأضلعِهِ سَخِيّ[1]

فأمّا أبو عُبادة ففي قوله: [الكامل]

ووراءهم صُعَداءُ أنفاسٍ إذا ذُكِرَ الفراقُ أَقَمْنَ عُوجَ الأَضْلُعِ[2]

قد بالَغَ في الإبانة كلَّ المبالغة. وقوله «استكَّتْ عليّ المَسامعُ» فالمَسامع: جمع المِسْمَع بكسر الميم، وهو الأُذُن. والمَسْمع، بفتح الميم: موضع السَّماع وقوله «استكّت» من قولهم بئر سَكُوكٌ، إذا كانت ضيِّقة الخَرْق. فإذا أريد الصَّمَمُ وقيل استكّت أُذُنه فحقيقته ضاقَ صِمَاخُها، وهو الخَرْق الباطنُ المُفضِي إلى الرَّأس.

٢٨٥ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ قد كان قَبلَكَ أقوامٌ فُجِعْتُ بهم خَلَّى لنا هُلْكُهم سَمْعًا وأبصارًا[3]
٢ ـ أنت الذي لَمْ يَدَعْ سَمْعًا ولا بَصَرًا إلّا شَفًا فأَمَرَّ العيشُ إمرارا

(١) البيت في ديوانه ٢٤٣.
(٢) ديوانه ص ١٠٠.
(٣) التبريزي: «خلّ لنا فَقدُهم».

قولُه «فُجِعْتُ بهم» الجملة في موضع الصِّفة لقوله أقوامٌ. وخَلَّى لنا هُلْكُهم، في موضع خبر كان. والمعنى: قد فُجِعْتُ فيما مضى من الزمان بأقوامٍ جَزِعْتُ لهم بل هَلِعْتُ، وأقمتُ الرَّسمَ في البكاء عليهم بل أسرفْتُ، فبقَّى الفَجْع بهلاكهم لي ولمن تَبِعَني واقتَدَى بي، السَّمعَ والبصَرَ بعدَهم، فزجَّينا الوقتَ مستمتِعِين بما سَلِمَ من حواسِّنا، وعائشِين مع الناس في باقي عُمرِنا؛ فلما أُصِبْنا بك استَنفَدْت قوانا، واستنزَلْتَنا عن ذخائر صبرِنا، فبَطَلت طرائق العُلوم مِنّا، وتناهَت في العَجْز عنا حوامِلُنا إلّا شَفًا، فطالت شِقْوتنا، وأمرَّ عَيْشُنا. والشَّفَا: الباقي من الشيء القليل. ويقال: ما بَقِيَ من النهار إلا شَفًا، أي مقدارُ ما بين الليل والنهار حين غَرَبت الشمس.

وقولُه «لم يَدَعْ» بالياء، هو أقْيَسُ الرّوايتين؛ لأن الصِّلَة جاءت على حَدِّها مع الموصول. وإذا رويتَهُ بالتاء فعلى الخطاب، وساغَ لأنَّ المخاطَب والذي مرجعُهما إلى شيءٍ واحد، وقد مضى مثله، فاعلَمْه. وقال المازنيُّ: لولا كثرة مجيئه لرَدَدْتُه. ومثله: [الرجز]

أنـا الـذي سَـمَّتْنِي أُمِّـي حَـيْـدَرَهْ

وقال: سَمْعًا وأبصارًا لأنَّ السمعَ اسمُ الجِنس، فهو كالجمع.

٢٨٦ ـ وقال نَهشَلُ بنُ حَرّيٍّ(١): [الطويل]

١ ـ بِنَفْسِي خَلِيلَايَ اللَّذانِ تَبرَّضَا   دُموعيَ حتى أَسْرَعَ الحُزْنُ في عَقْلي

تعلّق الباء من «بنفسي» بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه جَلِيَّةُ الحال، وقرينة الكلام، كأنه قال: أفدي بنفسي مَن أُخاله. ومعنى «تبرَّضا» أفنَيا دُموعي شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلًا؛ لأنَّ التبرُّض التبلُّغ والتطلُّب من هٰهُنا وهٰهُنا. وماء بَرْضٌ، أي قليل. وبَرَضَ لي من مالِهِ بَرْضًا، إذا أعطاك القليل. قال: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إنَّني وطِلَابَ سَلْمَى   لَكالمتبرِّض الثَّمد الظُّنُونا(٢)

---

(١) التبريزي: «وقال الشمردل بن شريك، أو نهشل بن حريّ» الشمردل بن شريك: من بني ثعلبة بن يربوع من تميم، شاعر هجّاء، يجيد القصيد والرجز، وله في الصيد والطراد أراجيز حسان. (ت نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمته في: معجم الشعراء للمرزباني ١٣٩، والأغاني ١٣: ٣٧٦، دار الكتب العلمية. ونسبة القصيدة إلى السموأل هي الأصح فقد روى الأصفهاني في الأغاني أنه كان له أخ اسمه قدامة جاءه نعيه في يوم ثم تلاه نعي أخيه وائل بعد ثلاثة أيام فرثاهما بقصيدة هذا مطلعها.

(٢) بلا نسبة في اللسان (ثمد)، وتهذيب اللغة ١٤: ٩١، وأساس البلاغة (برض).

والمعنى فدَيْتُ بنفسي صديقيّ اللذين نَضَبَ في البكاء لهما دموعي، وتأدّى إليّ الحزنُ إلى أن عَمِل في عقلي فأزالَه، فَدَمعي وصَبري مستنفدان لتأثير الفجيعة بهما. وجعَل الفعل في تَبرَّضا للخليلين، وحَقُّ الكلام تَبرَّض الحزنُ لهما والبكاءُ عليهما دموعي، إلى أن أسرعا في عَقْلي فصار والِهًا.

٢ ـ ولولا الأَسَى ما عِشتُ في الناسِ بعدَهُ ولكن إذا ما شِئتُ أسعَدَني مِثلي[(١)]

قوله «ما عشتُ في الناس» أي مع الناس ومختلطاً بهم، فموضعُ في الناس نَصْبٌ على الحال، والكلام جواب لولا، وخبر المبتدأ الذي هو الأَسَى محذوفٌ استُغنِي عنه بجواب لولا، والمعنى: لولا أنَّ لي بالناس أُسوةً في مصائبهم، فأورثَني ذاك تماسكًا وصَبرًا، لقتلتُ نفسي فلم أعِشْ ساعةً من عمري، ولكن متى شئتُ وجدتُ لنفسي أقرانًا إنْ دعَوْتُهم أجابوني، وإن استسعدتهم أسعَدوني. والإسعادُ، قال الخليل: يُستعمل في المساعَدة على البكاء خاصَّةً، ومثله: [الوافر]

ولـولا كـثـرة الـبـاكِـيـنَ حَـوْلِي على إخوانهم لقتلتُ نَفسِي[(٢)]

٢٨٧ ـ وقال أيضًا[(٣)]: [الطويل]

١ ـ أغَرُّ كـمِـصـبـاحِ الـدُّجُـنَّـةِ يَـتَّـقِـي قَذَى الزَّادِ حتى يُستَفَادَ أطايِبُهُ[(٤)]

الدُّجُنَّة: الظُّلمة؛ وليلةٌ مِدْجَانٌ. والدَّجْن: إلباس الغَيم؛ ويقال: هو يَومُ دَجْنٍ. وأراد بقوله «أغرُّ» إنَّه كريمٌ نقِيُّ العِرض أبيضُ الطَّلعة، فكأنَّه في تلألُؤِه ونُور وجهه وتهلُّله مصباحُ الظَّلام. ومعنى «يتَّقي الزَّادَ» أنَّه يزهد في خبائث الزَّاد وما يشين أخْذُهُ وتَطَعُّمُه، إلى أن يستفيد الطيِّبات منه. ويُشيرُ بقَذَى الزَّاد إلى ما يُفِيءُ عليه غَدرٌ أو غُلول، أو مَخَانَةٌ[(٥)] أو ابتذالٌ. ويُشِيرُ بالطيبِ إلى ما كان من حِلّه ووجهه، لا عارَ في اكتسابه، ولا بِذْلة في احتجانِه[(٦)]. وبعض الناس روَى: «قَذَى الزَّاد»، والقذَى:

(١) التبريزي: «في الناس ساعةً» و«جاوبني مثلي».
(٢) للخنساء في ديوانها ٥٠.
(٣) التبريزي: «والمرثيُّ مالك بن حرّي أخو نهشل، ويكنى أبا ماجد، قُتل بصفّين مع عليّ عليه السلام وكان شجاعًا». فلا بدّ أن يعود إلى نهشل بن حرّي. ونهشل شاعر مخضرم بقي إلى أيام معاوية. ترجمته في الأغاني ٤: ٣٥ و٩: ٣٠٩، دار الكتب العلمية.
(٤) التبريزي: «حتى تستفاد».
(٥) المخانة: الخيانة.
(٦) الاحتجان: الجمع والاكتساب.

الرائحة الطيّبة، يقال: قِدْرٌ قَدِيَةٌ، إذا كانت طيّبة الرائحة. كأنَّ المراد عنده: لا يتشمَّمُ الزادَ ورائحته حتى يتيقَّنه طيّبًا. والأوّلُ الأصحُ والأجود، وذاك أنّه أراد بالقَذَى الخبيثَ، وقد طابَقَ الطيِّبَ به، كما قال الآخر: [الطويل]

وما كان زادي بالخبيث كما زَعَمْ[1]

وذكْر القذَى مستَبعدٌ هٰهنا، ولا فائدة في إبقائه له، ويغلِبُ في ظَنّي أنّه تصحيف.

٢ ـ وهَوَّنَ وَجْدِي عن خَلِيلِيَ أنّني إذا شِيتُ لاقَيْتُ امرأً ماتَ صاحِبُهْ

٣ ـ أَخٌ مَاجِدٌ لم يُخزِني يَوْمَ مَشْهَدٍ كما سَيفُ عمْرٍو لم تَخُنْهُ مضارِبُهْ

يقول: خفَّفَ وجدي بخليلي لمَّا أصِبتُ به ائتسائي بغيري من النَّاس، لأني متى شئت لاقيتُ مَن امتُحِن بمثل مِحنتي. ثم قال «أخٌ ماجِدٌ» أي خليلي وصاحبي أخٌ ماجد، لم يُهِنّي يوم حَفلٍ ولم يَخْذُلْني عند احتشادٍ وجَمعٍ، ولا جَلَبَ عليَّ في مَشهدٍ من المشاهد ما أَستحيِي منه أو أَخزَى له، بل كان لي عندما أدعوه له مُجِيبًا، وفي الشَّدائد عَونًا وظَهيرًا، لا يتغيَّبُ عني ولا يَفتُر معي، كصَمْصَامَةِ عَمْرٍو[2]، له نفاذٌ حيث أعْمَلَه، ومضاءٌ عندما يَهُزُّهُ، لا يَخُونُ ولا يرتدُّ، فكذلك كان صاحبي. وارتَفَع قوله أخٌ ماجدٌ على أنه خَبَرُ مبتدإ مضمرٍ. وقوله «كما سيفُ عَمْرٍو» لو رويتَ «كما سَيْفِ عَمْرٍو» لجاز، تَجعَلُ ما صلةً وينجرُّ السَّيف بالكاف. ومثله قوله: [الطويل]

كَما العَظْمِ الكسيرِ يُهاضُ حَتَّى يَبِتَّ وإنَّما بدأ انصِدَاعا[3]

تَجُرُّ العظمَ بالكاف، وإن رفَعْتَهُ كان مبتدأً، وكذلك إذا رفَعْتَ سَيْفُ، ويكون ما من قَوْلِهِ ما الكافَّة، ويكون مثل ما من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحِجر: الآية ٢]. والضمير من قوله «لم يخُنْه» يرجع إلى عَمْرو، ويجوز أن يرجع إلى السيف أيضًا.

---

(١) لراشد بن شهاب اليشكري في المفضلية (٨٦)، وصدره:
«ولكن أنباء أتتني عن امرىء»

(٢) التبريزي: «وكان سيف عمرو لا ينبو، فاستوهبه عمر بن الخطاب فوهبه له، فقيل لعمر: إنه غيره وإنه ضَنّ بالصمصامة، فذكر عمر ذلك، فغضب عمرو بن معديكرب وقال: هاته، فأخذه ودخل دار إبل الصدقة فضرب عنق بعير بضربة واحدة فأبانها، وقال: إنما أعطيتك السيف لا الساعد».

(٣) للقطامي في ديوانه ص ٣٧.

٢٨٨ ـ وقال أَسْوَدُ بنُ زَمَعَةَ[١]: [الوافر]

١ ـ أتَبْكي أنْ يَضِلَّ لها بَعيرٌ ويمنَعُها من النَّومِ السُّهودُ
٢ ـ فلا تَبكِي عَلَى بَكْرٍ ولكنْ على بَدْرٍ تقاصَرَتِ الجُدودُ
٣ ـ ألا قَد سادَ بَعْدَهُمُ رِجالٌ ولولا يَوْمُ بَدْرٍ لم يَسُودُوا

كان السبب في قول الأسود هذا الشِّعر أنّ قريشًا كانت حَرَّمَتِ البُكاءَ على أنفسهم لقَتْلَى بدر، لئلّا يَشمَتَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه بهم، وكان الأسود قد فُجِع بابنه زَمَعَةَ، إذ كان من قَتلَى ذلك اليوم، فاقتَدَى بالنّاس في ترك البُكاء عليه، فاتَّفَقَ أنْ كانت له مَشْرَبَةٌ[٢] فتنزَّه ومضى إليها فسمع بكاءَ امرأةٍ فقال لأصحابه: انظُروا فإنْ كانَ البكاءُ قد حُلِّلَ، حتَّى نبكيَ نحنُ أيضًا زَمَعة، فَرَجعَ إليه وقيل: إنَّه بكاءُ امرأةٍ ضَلَّ لها بَعيرٌ. فقال هذا الشِّعرَ مُنْكِرًا لبكائها ومستعظِمًا.

وقوله «أتَبْكِي أن يَضِلَّ» لفظُه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى الإنكار. وقوله أن يَضِلَّ: أراد مِنْ أن يَضِلَّ، وهم يحذفون حرف الجَرّ مِن أنْ كثيرًا. والسُّهودُ: امتناعُ النَّوم؛ ورَجُلٌ مُسَهَّدٌ، إذا كانَ قليل النوم. ولم يَرْضَ بأنْ أنْكرَ البكاءَ عليها، وتَرْكَ النَّوْمِ لفِقدان بعيرها، حتَّى نَهاها فقال:

فلا تَبْكِي على بَكْرٍ ولكن على بَدْرٍ تقاصَرَت الجُدُودُ

يُريدُ أنَّ الذي يجب البكاءُ له ما جَرَى على رؤساء قريشٍ وأرباب الجدودِ فيهم ببَدْرٍ، وأنَّ الحَيْفَ العظيم والخُسران المبينَ والغَبْنَ الشَّديدَ في ذاك، لا في ضَلَالِ بَكْرٍ. وبَدْرٌ: اسم بِئرٍ اتَّفقت الوقْعةُ عندها. وقولُه «تقاصَرَتِ الجدُود» من فصيح الكلام، وهو تفاعُلٌ من القُصورِ والعجز، لا القِصَر الذي هو ضِدُّ الطول، كأنَّها تبارَتْ في القُصور، يَدُلُّ على ذلك أنه يُقالُ قَصَرْتُ كذا على كذا، إذا حَبَستَهُ عليه ومنَعتَهُ من الذَّهاب عنه حتَّى صار كالعاجز عن غيرِهِ. ويقال أيضًا قَصرتُه على كذا، إذا رَدَدْتَهُ دون ما أراد. ومنه القَصْرُ في الصَّلاةِ. ويقال تقاصَرَتْ إلى فُلانٍ نَفْسُهُ ذُلاً. وقَصرَ السَّهمُ عن الهَدَف فهو قاصِرٌ. ولا يمتنع ـ وإن كان الأوّل هو الوجْهُ ـ أن يُجعَل من

(١) التبريزي: «وقال الأسود بن زمعة بن المطلب بن نوفل، يرثي ابنه زمعة بن الأسود وقتل يوم بدر مع قريش مشركًا». وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «اللهم أعمِ بصره وأثكله ولده» السيرة ٢٧٢. والصواب في ابن زمعة أبو زمعة فزمعة ولده.

(٢) المَشربة: أرض ليّنة لا يزال فيها نبت أخضر ريان.

القِصَر، ويكونَ ضِدَّ تطاوَلَت، ويكون عَلَى موضوعًا موضع الباء، كما يقال: هم على ماءِ كذا وهم بماءِ كذا.

وقولُه «ألَا قد سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ» يريدُ أنَّ أهلَ السِّيادة انقرضوا وبادوا في ذلك اليوم، فعادَتْ إلى مَن لا يستحقُّها ولم يَكُن لها بأهْلٍ[١]. ومثل هذا وإن كانَ أغْمَض منه قولُ الآخر: [الوافر]

وَألْحَقْنَا الْمَوَالِيَ بِالصَّمِيمِ

٢٨٩ ـ وقال الأسَدِيّ وخَبَرُه في مُنادمَتِهِ معروف[٢]: [الطويل]

١ ـ خَلِيلَيَّ هُبَّا طَالَ مَا قَدْ رَقَدْتُمَا أجِدَّكُمَا لا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا[٣]

قوله «طال ما» يجوز أن يكون ما الكافّة وقد رُكِّبَ مع طال تركيبًا واحِدًا حتّى صارا مَعًا كالشيءِ الواحد. ويجوز أن يكون ما منفصلًا من طال، ويكون مع الفعل الذي بعده في تقدير المصدر، كأنه قال: طال رقُودُكُمَا. فإذا كُتِبَ المُرَكَّبُ مع ما يجب أن يُوصَلَ أحدُهما بالآخر، وإذا كُتِبَ الثاني يُفصَلُ بين طالَ وبين مَا. و«أجِدَّكُمَا» انتَصب على المصدر، ذكره سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر توكيدًا لما قبله[٤]. قال: ومثله في الاستفهام: أجِدَّكَ لا تَفْعَل كذا، كأنّه قال أجِدًّا. غيرَ أنّه لا يُستعمل إلّا مُضَافًا، فهو يجري في التأكيد مَجْرَى حَقًّا. وفي الإضافة: جهْدَكَ، ومَعاذَ الله، والمعنى: أتجعلانِ فِعْلَكُما جِدًّا. وقوله «لا تقضيان كرَاكُما» كأنه لما اتّصل رقادُهُما ودلَّ على حالَيهما في امتدادِه قولُه هُبَّا، وقولُه طالَمَا قد رقدتما، جَعلَ النَّفيَ بلا، ليدلَّ على اتِّصاله في الاستقبال، وأنَّ سؤالَه عمَّا يجيء لا عمَّا هو فيه. ولو جُعِلَ بَدَلَ «لا» ما، كان للحال. ومعنى البيت: يا خليلَيَّ انتبِها فقد امتدَّ رقادُكما.

---

(١) التبريزي: «يُعرِّض بأبي سفيان بن حرب، لأنه رأسَ قريشًا لما قُتلت أشرافهم».

(٢) التبريزي: «وذكروا أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فآخيا دهقانًا بها في موضع يقال له راوند، فمات أحدهما، وغبر الآخر والدهقان ينادمان قبره: يشربان كأسين ويصبان على قبره كأسًا، فمات الدهقان، فكان الأسديّ ينادم قبريهما ويترنم بهذا الشعر، وكان يشرب قدحًا ويصبّ على قبريهما قدحين».

(٣) روى ياقوت في معجم البلدان ٣: ٢٠ القصة والشعر، وقال: «قال بعضهم: إن هذا الشعر لقسّ بن ساعدة الإيادي، وقال آخرون: هذا الشعر لنصر بن غالب يرثي أوس بن خالد وأُنيسًا».

(٤) انظر الكتاب ١: ١٨٩.

وأَتجِدَّان جِدَّكما في أنَّ كَراكُما بَعدُ لا مُنتهَى له ولا انقضاءَ، بل يتَّصل ويدوم. وقوله «طالما قد رقدتما» يُكتفَى به إذا كان المتقدِّم من الكلام يشتمل على ما قد استُطيل. وعلى ذلك عَزَّ ما، وشَدَّ ما.

٢ ـ أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لي بِرَاوَنْدَ كُلِّها ولا بِخُزَاقٍ من صَدِيقٍ سِواكُما[1]

قوله «ألم» هو لم أُدخل عليه ألف الاستفهام، والاستفهام كالنّفي في أنه غير موجَب، ونفيُ النّفي إيجاب، لذلك قُرِّرَ بأَلَمْ فيما كان واجبًا واقِعًا، لأنّه يتضَمَّن من التَّحقيق والتَّثبيت في التَّقرير، وتأكيدِ المُقرَّر على المُخاطَب، مثلَ ما يتضَمَّنه القَسَمُ لو أتِيَ به بدله؛ لذلك عقَّبه بما يُعقَّبُ به القسم، وهو ما النَّافية. وقد تَقدَّم القولُ في قول القائل: الله يَعْلَمُ ويَعْلَمُ الله، والله يَشهدُ؛ أنَّ جميعَ ذلك يُستعمل استعمالَ الأيمان. وكذلك قول القائل: [الكامل]

ولقد علِمْتُ لتأتِيَنَّ مَنِيَّةٌ ما بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ ولا عَدَمُ[2]

فقولُه «ولقد عَلمْتُ» جارٍ مجرى اليمين فيما ذكرتُ من التَّأكيد، لولا ذلك لما عُقِّبَ بما يكونُ جوابَ اليمين. وقولُه «ألم تَعْلما» أصله تَعْلَمانِ، ودخلت ألم للتَّقرير. وقوله «ما لي بِراوَنْد» في موضع المفعول لتَعْلَمانِ، لأن تَعلَم هٰهنا في موضع أتَعرِف، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٥]، وكذلك: لقد عَلِمتُ لَتأتِيَنَّ، أصله لتَأتِينَّ ودخلت عَلِمْتُ ليُؤكَّدَ بها، لأنَّك أخرجتَ الكلامَ بها من أن يكونَ على سبيلِ التظنّي أو من خبرِ مُخبِرٍ فيكون إحالةً عليه. واللام من «لتأتينّ» له الصَّدر، فيمنَع علمت من العمل، وإذا كان كذلك كان موضع لتأتينَّ نَصْبًا على أنّه مفعول عَلِمْتُ، وعلِمْتُ بمعنى عَرَفْتُ. وقوله «من صَديقٍ» في موضع الرَّفع على أن يكون اسم ما. وفائدة من الاستغراق، و«سواكما» في موضع غير، وهو صفةٌ لصديق. والكلام هو استبطاءٌ في استمرارِ رُقادِهما عنه، وغفلتهما مما هو بسبيله، وباطنه تَلَهُّف وتوجُّعٌ.

٣ ـ أُقيمُ عَلَى قَبرَيكُما لستُ بارِحًا طُوَالَ اللَّيالي أوْ يُجيبَ صَدَاكُما

٤ ـ أَصُبُّ على قَبرَيكُما مِن مُدامَةٍ فإن لم تَذُوقاها أبُلُّ ثَرَاكُمَا[3]

---

(١) التبريزي: «من حبيب سواكما». (٢) لعامر بن حوط في تاج العروس (عدم).

(٣) التبريزي: «فإلّا تنالاها تُرَوِّ جُثاكما» وقال: «الجُثا: جمع جُثوة: وهو التراب المجتمع، ويقال للقبر جثوة». وترتيب هذا البيت الثالث عنده.

يقول: أَصِلُ مُقامي على قبريكما باتّصال اللّيالي ودوامِها، ولا أبرح إلا أن يجيبَني صداكما. وقوله «لست بارحًا» في موضع الحال، كأنّه أراد: أقيمُ مُلازمًا أبدًا. وطَوَالَ انتصب على الظّرف، والعامل فيه يجوز أن يكون بارِحًا، ويجوز أن يكون أُقيمُ. فأمّا قوله «أو يُجيبَ» فأو بدلٌ من إلى، والفعل بعده انتصب بأنْ مُضمَرة. والعربُ تقول: عظام الموتى تصير أصداءً وهامًا، لذلك قال: أو يجيب صداكما.

وقوله «أَصُبُّ على قبرَيكما من مُدامة» مِنْ أفاد التَّبعيض، وموضع من مُدامَةٍ نصبٌ على أنّه مفعول أصُبُّ، والمعنى أُجرِيكما في المنادَمة والشُّرب مَجراكُما وأنتُما حَيَّان، فإذا عادت النَّوبة إليكما أصُبُّ ما نابَكما من المُدامة على قبريكما، لأنّه إن لم يَبُلّ ريقَكما رطّب قبريكما. وقوله «أبُلّ» يجوز أن تبْنِيه على الفتح والضمّ والكسر، لأنك تُدْغم وإن كان مُعْرَبًا، فيلتقي بنقل الحركة عن العين إلى الفاء ساكنان، ثم يُبنى على الكسر لأنّه أصلٌ في التقاء السّاكنَين، أو على الفتح لخفَّته، أو على الضمّ للإتباع. ولا خِلاف في إدغام المعرَب من كلّ العرب، فأمّا المبنيُّ فبَعْضٌ يُظْهِر التَّضعيفَ فيه فيقول: ارْدُد، وبعضٌ يقول رُدَّ فيُدغِم وإن كان مبنيًا، إلّا أنَّ الأصل في الإدغام للمعرب، ثم حُمِل المبنيُّ عليه فاعلمْه.

٥ ـ وأَبْكيكُما حَتّى المَماتِ وما الذي يَـرُدُّ عـلى ذِي عَـوْلَةٍ أَنْ بَـكـاكُـمـا

قولُه «وما الذي يردُّ على ذي عَوْلةٍ» يجري مجرى الالتفات. وقوله «إن بكاكما» إذا فَتَحت الهمزة يكون موضعُه من الإعراب الرفع على أن يكون فاعل يَردّ، لأنَّ أنْ مع الفعل في تقدير المَصْدر، وإن رَوَيْت إن بكسر الهمزة كان شَرطًا وجوابُه يدلُّ عليه ما تقدَّمه، وفاعل يَرُدُّ ما يدلّ عليه أبكيكما من مصدرِه، كأنّه قال: وما الذي يردّ البكاء على ذي عَوْلَةٍ إن بكاكُما. على ذلك قولهم: «مَنْ كذَب كان شرًّا له، ومن صَدَق كان خيْرًا له» يريدون كان الكذبُ شرًّا له والصِّدق خيرًا له. والمعنى: أبكيكما ما اتّصلَ عمري. ثم قال كالملتفت إليهما على طريق اليـأس: وما يُغني البكاء عن المُعْوِل إن بَكاكُما. فقـوله «ما» استفهام ومعناه للإنكار. والعـويل: صوت الصَّدر، ومنه العَوْلة، وقد أعْوَلَتِ المرأةُ.

٢٩٠ ـ وقال عبدُ المَلِك بنُ عبدِ الرَّحيم الحارِثيّ(١): [الطويل]

١ ـ إنّــي لأربــابِ الــقُــبــورِ لَغَــابِــطٌ لِسُكْنَى سَعِيدٍ بينَ أهلِ المَقَابِرِ

٢ ـ وإنّــي لَــمَــفْــجُــوعٌ بِــهِ إذْ تــكــاثــرَتْ عُــدَاتِــي ولــم أهْــتِــفْ سِــوَاهُ بنــاصِــرِ

قولُه «سُكنى» أن تُسْكِن إنسانًا منزلًا بلا كِراء، والمنزل سَكَنٌ ومَسْكَن؛ وهو مصدر كعُذْرى وبُشْرى. ومعنى البيت: إنّي أغبِط الموتى لحصول سَعيدٍ فيما بينهم، فإنّ الجمال الذي كانَ للأحياء بمُقامه فيهم كأنّه انتقلَ إلى الأموات عنهم؛ وإنّي لمتبيِّنٌ تأثيرَ الفَجْع به. وشِدَّةَ فاقتي إليه، إذا تَزاحَمَ الأعداءُ وتبالَغُوا في قَصْدِي، ولا يكون لي من أستَنْصِرُه عليهم غيره. وقوله «سِواه» في موضع النَّصب على أنّه استثناء مقدَّمٌ. ويقالُ: هَتَفَ هَتْفًا وهُتَافًا. والهَتْفُ: الصَّوت الشديد، وقوسٌ هَتَفَى، والحمامُ تَهْتِفُ. وهَتَفَ به وصاح به، إذا دعَاهُ.

٣ ـ فكنتُ كمَغلُوبٍ على نَصْلِ سَيفِهِ وقَــد حَــزَّ فــيــه نَــصْــلُ حَــرَّانَ ثــائــرِ

النَّصل: اسمُ حديدةِ السَّيف، لذلك صَلَح إضافتُه إلى سيفِهِ وإن كان قد يُستعمل استعمالَ السّيف. ألا تَرَى أنّه قال: وقد حَزَّ فيه نَصل حَرَّان. يقولُ: كان عُدَّني على الدهر وسلاحي على أعدائي، فلما فَقَدْتُه والأعداءُ بالمرصادِ لي، صِرْت كان غُلِبَ على سَيْفِهِ وسيفُ عَدوّه قد خَرَجَ عليه كطالبِ ثأرٍ وكبدُه حرَّى، لشدّةِ عداوَتِه واستحكام غيظه يَعملُ فيه، ويَنْفُذُ في الضَّريبة منه، والمراد: كنتُ كمن غُلِبَ على عُدّته أشدَّ ما كان حاجةً إليها، وحين تمكَّنَ العدوُّ وهو تامُّ الآلة، مَكِينُ القُوى في المنازَلة.

٤ ـ أتَــيــنــاهُ زُوّارًا فــأمْــجَــدَنــا قِــرَى مِن البَثِّ والداءِ الدَّخِيلِ المُخامِرِ

٥ ـ وأُبْنَـا بـزَرْعٍ قـد نَـمَـا فـي صـدورنـا مِنَ الوَجْدِ يُسْقَى بالدُّموعِ البَوَادِرِ

يقول: جئناه زائرين فوسَّعَ قِرانًا من الحُزْن والداءِ المتمكِّن من القلب، المُخامِر له. والمُخامِرُ مأخوذٌ من الخَمَر، وهو ما واراكَ من الشَّجَر وغيرِه. وإذا كان كذلك فهو أبلغ من قوله الدَّخيل، لأنه يُفِيدُ في الموصوف فائدةً أكثرَ من الدُّخول، إذ كان

(١) التبريزي: «يكنى أبا الوليد، وهو شامي، كلاعيّ، شاعر». قال السمعاني في الأنساب: «هذه النسبة إلى قبيلة يقال لها كلاع نزلت الشام، وأكثرهم من حمص».

المرادُ به دبيبَهُ في أثناء القَلب وأَطباقِهِ، وذَهابَه في أجزائه وأضعافِه، وليس في الدَّخيل هذا المعنى. ويقال أمْجَدْتُ الدَّابَّةَ العَلَفَ، إذا أكثرتَ له.

وقوله «وأُبْنا بزرعٍ قد نما في صدورنا» نبَّه بهذا الكلام على أنَّ حُزنَه يزيد على مَرِّ الأيَّامِ، فهو كالزَّرع النامي، وأنَّ سُقياه الدُّموع. ومعنى البوادر المُستبِقَةُ لكثرتها وغلَبتها. وأصل الزَّرع الإنبات. والزُّرعةُ: البَذْر. لذلك قال الله عزَّ وجلّ: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝﴾ [الواقعة: الآية ٦٤]. وازدرع، إذا زَرَع أو أَمَر به لنفسِه خاصةً. ويقال: زُرِع لفلانٍ بعدَ شَقَاءٍ، إذا أصابَ مالًا بعد الحاجة. فإن قيل: كيف قال «أمْجَدنَا قِرَى» والميِّتُ لا يَعمل شيئًا؟ قلتَ: لمَّا جعله مَزُورًا أقام له قِرًى لزائرِه على عادته وهو حيٌّ. وهذا المعنى من كلامه أبيَنُ وأظهر من كلام عَبْدَةَ بنِ الطَّبيبِ لمّا قال: [الطويل]

إذا زارَ عـن شَـحْـطٍ بِـلَادَكَ سَـلَمَـا[1]

٦ ـ ولـمَّـا حَـضَـرْنـا لاقـتـسـام تُـراثِـهِ ... أَصَبْنا عَـظـيـمـاتِ اللُّهَـى والـمـآثِـرِ

٧ ـ وأَسْمَعَـنـا بـالـصَّـمْـتِ رَجْـعَ جـوابِـهِ ... فـأبـلِـغْ بـه مـن نـاطـقٍ لـم يُـحـاوِرِ

اللُّهَى: أفضَلُ العطايا وأجزلُها، والواحدة لُهْيَةٌ ولُهْوَةٌ؛ ومنه اللُّهْوَةُ التي تُلقَى في الرَّحَى. يقول: لمَّا اجتمَعْنا لنقتسم تَرِكتَه فيما بيننا لم نَجِدْ له إلَّا ما كَسَبَه عطاياه من المآثر الكريمة. فأضاف عظيمات إلى اللُّهَى والمآثر جميعًا، وهي جمع مأثُرَةٍ، وهي ما يُؤثَر من المحامد والمعالي ويُذْكَر. ويجوز أن يُريد بالعظيمات المفاخر التي ادَّخَرَها له اللُّهَى، ويكون اللُّهَى حينئذٍ الأموال الكثيرة. ويجوز أن يكون المراد بالمآثر الأعلاقَ الثمينة، والنَّفائسَ الكريمة، التي فرّقها في حياتِه، وآثر غيرَه بها. وقوله «وأَسمَعَنا بالصَّمْتِ رَجْعَ جَوَابِهِ» أي مَرْجوع جوابِهِ، كما قال غيرُه: «اسألِ الأرض، أينَ مَن شَقَّ أنهارَكِ، وغَرَسَ أشجارَكِ، وجَنَى ثِمارَكِ؛ فإنْ لم تُجِبْكَ حِوَارًا أجابتْك اعتبارًا»[2]؛ وكما قال الآخر: [مجزوء الكامل]

وعَـظَـتْـكَ أجـداثٌ صُـمُـتْ[3]

---

(١) البيت من الحماسية (٢٦٣) وصدره:

«تـحـيـة مـن غـادرتـه غـرض الـردى»

(٢) للفضل بن عيسى بن أبان في البيان ١: ٨١، وعيون الأخبار ٢: ١٨٢.

(٣) لأبي العتاهية في ديوانه ٨٨ (دار الكتاب العربي). وصدره:

=

ومثله: [الوافر]

وكانت في حياتِكَ لي عِظَاتٌ فأنتَ اليومَ أوعظُ منك حَيًّا[١]

٢٩١ ـ وقالت امرأةٌ من بني شيبان[٢]: [الوافر]

١ ـ وقالوا ماجِدًا مِنكُم قَتَلْنَا كذاك الرُّمْحُ يَكْلَفُ بالكريم

٢ ـ بِعَيْنِ أُباغَ قاسَمْنَا المَنَايا فكان قَسِيمُها خيرَ القَسِيمِ

انتَصَب «ماجِدًا» على معنى أنه مفعول مُقدَّم، ومنكم في موضع الصِّفة له. وموضع ماجِدًا منكم قَتَلْنا الجملة موضع المفعول لقوله قالوا. وقوله «كذاك الرُّمْحُ» جوابٌ لهذا الابتداء، كأنَّه قال: فأجيبوا: الرُّمْحُ يَكْلَفُ بالكريم كذلك، فأُشير بذاكَ إلى الخبر الذي اقتصُّوه. والكاف من كذاك كاف الخطاب لا موضعَ له من الإعراب. وتلخيص الكلام: الرُّمح يَكْلَفُ بالكرام كَلَفًا مثلَ ذلك الكلف. والعامل في كذاك يَكْلَفُ. والمعنى: تَنَادَوا: قَتَلْنا مَاجِدًا منكم؛ فأُجيبوا: الرُّمح يعشَقُ الكرامَ ويُولَعُ بهم مِثلَ ذلك. وأكثر ما يجيء الجواب في إثر السُّؤال من واحدٍ في القرآن، كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية ١٦]. وقد أَلَمَّ في هذا البيت بقول طرَفة: [الطويل]

أَرَى المَوتَ يَعْتَامُ الكِرامَ وَيَصطفِي عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[٣]

وقولُه «بعَيْنِ أُبَاغَ قاسَمْنَا المَنَايا» مثلُه قول الآخر: [الطويل]

وقاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بشَطْرِهِ

كأنَّه كانَ للمَنَايا نصيبٌ فيهم فقاسَمَتهم على نصيبها فوقَعَ إليها خَيْرُ النَّصيبَين. والمعنى: اختارَتْ منهم الأمثلَ فالأمثل، وغَادَرَتِ الفَلَّ منهمْ والمُسترذَل. وقوله قَسِيمٌ

= «ونعتكَ أزمنةٌ خُفُتْ»

(١) لأبي العتاهية في ديوانه ٤٤٢ (دار الكتاب العربي).

(٢) التبريزي: «هذا الشعر لبنت فروة بن مسعود ترثي فروة وقيسًا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أُباغ يوم قتل المنذر، وكان الذي قتل المنذر شَمِر بن عمرو الحنفي، وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني وهو المنذر بن امرىء القيس وأمه ماء السماء النمرية. وهو يوم يقول المنذر: كريمٌ وافى مصرعه».

(٣) لطرفة في ديوانه ٣٤، واللسان (شدد، فحش، عيم).

يكون في معنى مقسوم، وقد يكون القسيمُ المُقاسِم، وليس هذا موضِعَه. ولك أن تَرْوِي «قاسَمْنَا المَنَايَا» بسكون الميم، ويكون المنايا في موضع المفعول، ولك أن تفتح الميم وتجعل المنايا فاعلةً؛ والمعنى فيهما مُتقارِبٌ. وكانت الوقعةُ بعين أُباغ، فلذلك خَصَّه بالذِّكر، وقاسَمَ يقتضي مفعولًا آخر، كأنَّه قال: قاسَمْنَا المنايا النَّاسَ أو الأصحاب. وقولُه «قَسيمُها». كقولك نصيبُها. وخَيْرُ القَسِيم كقولك خَير الأنصِباء. وأنشد ابنُ الأعرابيِّ في هذه الطَّريقة: [الطويل]

إذا ما المَنَايا قاسَمَتْ بابنِ مِسحَلٍ أخًا واحِدٍ لم يَرْضَ نِصْفًا قَسِيمُها
فـآبَ بـلا قَـسْـمٍ وآبَـتْ بـقَـسْـمِـهـا إلى قَسْمِهِ لاقَتْ قَسِيمًا يَضِيمُها

كأنَّه كانَ للمنايا نصيبٌ في أخيه، فقاسَمَتْهُ وأخذت نصيبه إلى نصيبها، وآبَ هو بلا نصيب. ثم دَعَا على المنيَّةِ فقال: قَيَّضَ الله لَهَا قَسيمًا يظلمها كما ظلمَتْني.

٢٩٢ ـ وقال عُتَيُّ بنُ مَالِكٍ[(١)]: [الطويل]

١ ـ أَعَدَّاءُ مَنْ لليَعْمَلَاتِ على الوَجَى وأَضْيـافِ لَيْـلٍ بَـيَّـتُـوا لِنُـزُولِ
٢ ـ أَعَـدَّاءُ مـا لِلعَـيْـشِ بَـعْـدَكَ لَذَّةٌ ولا لـخَـلـيـلٍ بَـهْـجَـةٌ بِـخَـلِـيـلِ
٣ ـ أَعَـدَّاءُ مـا وَجْـدِي عـلـيـكَ بِـهَـيِّـنٍ ولا الـصَّـبْـرُ إن أُعْـطِـيـتُـه بـجـمـيـلِ

ناداه مُسائِلًا له على طريق التوجُّع: مَنْ خَلَّفْتَ بعدَكَ للوُرَّاد، وعلى مَن اعتمدتَ في تفقُّد الأضياف. واليَعْمَلَات: النُّوقُ السِّراعُ. والوَجَى هو الحَفَى. وقال الخليل: اليَعْمَلة لا يُوصفُ بها لا النُّوق. وقال أبو سعيدٍ: يقالُ للجَمَل يَعْمَلٌ، اسمٌ له من العَمَل، كما يقال يَعْمَلَةٌ، وأنشد: [البسيط]

إذْ لا أزَالُ عـلى أقـتـادِ نـاجِـيَـةٍ صَهْبَاءَ يَعْمَلَةٍ أو يَعْمَلٍ جَمَلٍ[(٢)]

أراد أو جملٍ يَعمَل. وموضع «على الوَجَى» نَصْبٌ على الحال، كأنَّ فِنَاءَه وداره كان مألَفًا للعُفاةِ ومَجمَعًا للأضياف، فإذا أرادوا مَن يؤويهم لم يُؤْثروا تطلُّبًا على قصده، ولم يَجِدُوا تَطلُّقًا وتوفُّرًا إلَّا مِن عندِه، فقال على طريق التحسُّر: مَنْ يُؤْوِي الأضيافَ وقد بَهرهم السَّعيُ وأتعبهم الطَّلَب غيرُك، ومن يُنزل السَّفر وقد أَكَلَّهُم التَّعَبُ

(١) التبريزي: «العقيليّ».
(٢) بلا نسبة في تاج العروس (عمل)، والتبريزي ١: ٥٦٤.

وأملَّهم الدّأبُ حتّى حَفِيت رواحلُهم، وحتّى بَيَّتُوا لنزولٍ، مَيلًا إلى نَيلِ راحتهم. ويقال بَيَّتَ الأمرَ، إذا دبّره باللّيلِ. وكلُّ رأيٍ أجلْتَهُ بلَيلٍ فهو مُبيَّت. وماءٌ بَيُّوتٌ، إذا باتَ ليلةً في الإناء. وبَيَّتُّ القومَ، إذا أوقعتَ بهم ليلًا. ويقالُ للهَمِّ: هو بَيُّوتٌ، وللصَّقِيع بَيُّوت.

وقوله «أعَدّاءُ ما للعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ» يصفُه فيه بأنّه كان ببليغ لُطفِهِ وجميل خُلُقه، وسهولة جانبه ورَحابة جنَابِه، يَطيبُ العيشُ معه على ما يعترضُ فيه من مساءَةٍ أو مَسرَّةٍ، إذْ كان يَتحمَّل الأعباءَ عمن يجاوِرُه، ويُخَفِّفُ ظهرَ مَن ينصَبُّ إليه، أو يَتسبَّب بقرابةٍ لديه، أو يتوكَّلُ لمُخَالَّةٍ عليه، فكانَ لذيذُ الحياة يوجَدُ عنده، وصَفِيُّ البقاء يَحصُلُ معه. وقوله «ولا لخليل بهجَةٌ بخليل» يعني أنَّ النّاسَ وقد رأوا مآلَ أمرِكَ إلى الفَناء، وانقطاعَ السُّرور عنهم بعد النَّماء، صار لا يبتهج بعضُهم ببعضٍ، فلا يَسْكُن الصَّديقُ إلى صديقه، ولا القريبُ مع قريبِه، لغَلَبَة اليأسِ من الخير، وارتفاع الطَّمع من الفَرَج.

وقوله «أعدّاءُ ما وَجْدِي عليكَ بِهَيِّنٍ» كَرَّرَ مُناداتَهُ دِلالةً منه على لُزومِ التَّوجُّع، وتنبيهًا على حُصُولِ العَنَاء والاشتكاء بعد التَّودُّع. ثم قال: ليس جَزَعي عليك بخفيف، ولا وَجدي عليك بطفيف، ولا صَبْري لو حَصَلَ بجميل، لأنَّ الصَّبرَ على فَقدِك منكَر، وهَوْنَ الوَجد وخِفَّتَه مُستفظَع، فليس لنا إلّا الاستمرار فيما نحن بسبيله من اللهَفِ والحسرة والاستسلام للشَّقاء والهَلَكة.

٢٩٣ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ كأنّيَ والعَدّاءَ لم نَسْرِ ليلةً ... ولم نُزجِ أنضاءً لهنَّ ذَميلُ

٢ ـ ولم نُلْقِ رَحْلَينا بِبيداءَ بَلْقَعٍ ... ولم نَرْمِ جَوْزَ اللَّيلِ حيثُ يَميلُ

أدخل الألف واللام في هذه المقطوعة على العَدّاء لأنه صفةٌ في الأصل، فهو كالحسَنِ والعبَّاس وما أشبههما، فإذا أتَيْتَ به ولا ألفَ ولامَ فيه فلأنَّك جعلتَهُ عَلَمًا، فصار معرفةً بالعَلَميَّة، وإذا أدخلْتَ الألف واللام عليه فإنَّك راعيتَ حالَه وهو صفةٌ ثم جعلتها نفسَ المُسمَّى وأدخلت الألف واللام عليه. فَعَلَى الأوّل لا يفِيدُ الاسم في المُسمَّى شيئًا أكثَرَ من تمييزه عن غيره، وعلى الثاني أفاد معنى الوصفيّة فيه مع التمييز، فصار كالصفات الغالبة الجارية مَجرى الألقاب في التخصيص.

وقولُه «كأنّيَ والعَدّاءَ لم نَسْرِ ليلةً» يريد أنّ الشيءَ إذا انقطعَ فكأنه لم يكن. والمعنى أنّي وقد فقدتُه فكأنّي وإيّاه لم نصطحب في قَطْع مسافة، ولم نشترِك في سَوقِ أنضاءٍ من الإبلِ لتحمُّل كُلفةٍ، أو صبرٍ على مشقّةٍ. ونبَّه بهذا الكلام على تبذُّله ـ كان ـ فيما يَكسِبه الأُحدوثةَ الجميلة، وإن تكلّف فيه الأثقالَ العظيمة. والذَّميل: إسراع السَّير. والأنضاء: جمع النِّضْو. وقال الدُّرَيديّ: يقالُ: ذَمَلَت الناقةُ ذَميلًا وذَمَلانًا، وهو ضَربٌ من السَّير أعلى من العَنَقِ، وناقةٌ ذَمولٌ. والإزْجاء: السَّوْق.

وقوله «ولم نُلقِ رحلَينا» لو قال رحالنا لكونهما اثنين من اثنين، فجرَى مثل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: الآية ٤] كان أَدْخَلَ في الاستعمال، لكنّه أتى به على الأصل. والبَيْداء: المَفازةُ. والبَلْقع: القَفْر الخالي. والمعنى على ما تقدم في البيت الذي قبلَهُ، من الصبر على الشدائد.

وقوله «ولم نَرْمِ جَوْزَ الليل حيثُ يَميلُ» أراد حيث يميلُ الليلُ. وحيث هذا ظرفُ زمانٍ. يريد فكأنَّا لم نَرمِ بأنفُسنا جَوْزَ اللّيل وقتَ ميلِه. يشيرُ إلى جُنوحِه وإشرافِه على تَهَوُّرِه، لأنَّ ميلَه على ذلك يكون. ومما جاء فيه وهو للزَّمان دون المكان عند أبي الحسن الأخفَش قولُه: [المديد]

لِلفَتَى عَقلٌ يَعِيشُ بِهِ حيثُ تَهدِي ساقَهُ قَدَمُهْ[1]

لأنّ المعنى: للفتى عقلٌ يعيش به مُدَّةَ سعيِه وحياتِه؛ ونُهوضِه بساقِه في أمرِه. ويجوز أن يكون حيثُ ظرفًا لمكانٍ، ويكون المعنى: إنَّا نعتسف الطريقَ فحيثُ مالَ الليلُ مِلنا معه. ويجوز أن يكون فاعل يميل ما دلَّ عليه «ولم نَرمِ» من المصدرِ، ويكون المعنى حيثُ يميلُ الرَّمْيُ ويذهَبُ فيه.

٢٩٤ ـ وقال أبو الحَجْناء[2]: [البسيط]

١ ـ أضْحَتْ جِيادُ ابنِ قَعقاعٍ مُقَسَّمَةً فِي الأقرَبِينَ بلَا مَنٍّ ولا ثَمَنِ
٢ ـ وَرَّثْتَهُمْ فَتَسَلَّوا عنك إذ وَرِثوا وما وَرِثْتُكَ غيرَ الهمِّ والحَزَنِ

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ١٩، وخزانة الأدب ٧: ١٩، واللسان (سوق، هدى).
(٢) أبو الحجناء: هو نُصيبٍ الأصغر، مولى المهدي: شاعر مجيد، من الموالي السود من بادية اليمامة، اشتراه المهدي العباسي قبل أن يلي الخلافة وأعتقه (ت نحو ١٧٥ هـ/ ٧٩١ م). ترجمته في فوات الوفيات ٢: ٣٠٧، والأغاني ٢٣: ٥، دار الكتب العلمية.

القَعْقَاع والقَعْقَعانِيُّ: الذي إذا مَشَى سُمِع لمفاصله تَقَعْقُع. وأراد بالأقربين وُرَّاثَه، وبالجِياد خيلَه. فيقول: أضحَتْ خيلُه مُفَرَّقَةً في وُرَّاثِه، وهم لا يَعْتَدُّون له بها ولا يبتاعونها، فتكونَ له المِنَّةُ أو الثَّمن. ثم قال: ورَّثتَهم فَنَسُوك اشتغالًا بالإرث، وتسلِّيًا عنك بالمال، وأنا باقٍ على ما كنتُ عليه من التَّحزُّنِ والاهتمام لا إرثَ لي غيرُهما. وهذا كلامُ متأسِّفٍ ومستنكرٍ من أقاربه ما يَراهم عليه من نِسيانه والسُّرور بما فازوا به من ماله. والسُّلُوُّ: طِيبُ النَّفس عن الشيء. وفي تَسَلَّى من التَّكلُّف ما ليس في سَلَاهُ.

٢٩٥ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ لَنِعْمَ الفَتَى أَضْحَى بأكنَافِ حَائلٍ غَدَاةَ الوَغَى أُكْلَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

٢ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ أُرْدِيتَ غَيْرَ مُزَلَّجٍ ولا مُغْلِقٍ بَابَ السَّمَاحَةِ بالعُذْرِ

٣ ـ سأبكِيكَ لا مُسْتَبْقِيًا فَيضَ عَبْرةٍ ولا طَالِبًا بالصَّبْرِ عاقبةَ الصَّبْرِ

المحمود محذوفٌ، كأنَّه قال: نِعمَ الفَتَى فتًى أضحَى. وانتَصَبَ «أُكْلَ» على أنَّه خبر أضحى، وبأكنافِ حَائلٍ ظَرفُ مكانٍ. وغداةَ الوَغَى ظرف زمانٍ، وتَعَلَّقَا جميعًا بأضحى. ويجوز أن يُجعَلَ بأكناف حائلٍ الخبر، وينتصب أُكْلَ على الحال. ولا يمتنع أن ينتصب غداةَ بما دلَّ عليه بأكنافِ حائلٍ من الفعل المضمَرِ. ويجوز أن يكون العامِلُ فيه أُكْلَ، لأنَّه ليس بمصدر فلا يعمل ما في صلته فيما قبله. والأُكْل: الطُّعْمُ، وإضافته إلى الرُّدينيَّة لم تُفِدْ فيه اختصاصًا. ألا تَرَى أنَّ فائدتَه وهو مضافٌ مثلُ فائدته لو نُوِّنَ فقيل أُكْلًا للرُّدينيَّة. ومثلُه قَيْد الأوابِد وما أشبهه. ومعنى البيت: محمودٌ في الفِتيان فَتًى حصَل بجانب هذا الوادي غداةَ الحربِ طُعْمًا للرُّدينيَّة السُّمْر. وأصل الوَغَى الجلَبَةُ والصَّوت. واللام مِنْ «لَنِعْمَ» جوابُ قَسمٍ مضمر.

وقولُه «لعَمري لقد أُرْدِيتَ غيرَ مُزَلَّجٍ» أقبل عليه يخاطِبُه بعدَ أن كان يخبرُ عنه، على عادتهم في افتنانهم في الكلام، وكأنَّ الخطاب أدَلُّ على التحسُّر والتَّوجُّع من الإخبار، ولذلك عَدَلَ إليه. واللام في لَعَمْرِي لام الابتداء. وخبر المبتدأ محذوف، كأنَّه قال: لعمري قَسَمِي. واللام من لَقَدْ جوابُ اليمين، والمعنى: وبقائي لقد أُهلِكتَ غيرَ ضعيفٍ ولا جَبَانٍ وقتَ المُدافَعةِ والممانعة فتُضَيِّعَ محفوظًا، ولا متشدِّدًا على تزاحُم المجتَدين والسُّؤَّالِ، بإقامة المعاذير والعِلَّات، فتُغلِقَ للسماحة بابًا مفتوحًا.

وقوله «سأبكيك لا مستبقيًا فَيضَ عَبرةٍ» يريدُ أنَّ بُكاءَهُ يتَّصلُ إلى أن يستنفد موادَّ دَمعِه، وأنه لا يَطلُبُ بتكلف الصَّبر ما يتعقَّبه من التَّسلّي. فقوله «بالصبر» أراد بتكَلُّفِ الصَّبر، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامَه، وذاك أنّ الإنسانَ إذا تَصبَّر فيما يَدهَمُه مُدَّةً، وتَماسَك به بُرهةً، أدَّاهُ مرورُ الأوقات إلى أن يَتَسَلّى؛ فعاقِبَةُ الصَّبر هو التَّسلّي، فإذا تسلَّى عادَ طمَعُه فيما يُرجَى، وحَذرُهُ ممَّا يُخشَى، إلى ما كان أو أشَدَّ، وذلك حالُ مَن لا هَمَّ له.

٢٩٦ ـ وقال خَلَفُ بن خَلِيفة: [الطويل]

١ ـ أُعاتِبُ نَفسِي إن تَبَسَّمْتُ خالِيًا وقد يَضحَكُ المَوتُورُ وهو حَزِينُ

انتصب «خاليًا» على الحال من أُعاتِبُ. وأن تبسَّمْتُ بفتح الهمزة معناه لأنْ تبسمتُ، ومن أجل تبسُّمِي. ولك أن تكسر الهمزة من إنْ فيكون شرطًا ويكونُ جوابُه ما دَلَّ عليه أُعَاتِبُ نفسي. والمعنى: إذا خَلَوْتُ بنفسي أبْسُطُ العَتْبَ عليها لما يتَفقُ منها في الملأ من مُتابَعةِ النَّاسِ على تصرُّفهم في المُؤانَسة والمضاحَكة، وطَلَبِ موافقتِهم عند المفاكهة والمحادثة. هذا وليس ذاك لداعيَةِ سُرورٍ، ولا لباعثةِ ابتهاجٍ وحُبورٍ. ثم قال «وقد يَضحكُ الموتورُ وهو حَزينُ» يريد أنَّ الموتور وإنْ تَناهَى حزنُه، واشتَدَّ قَلقُه وبثُّه، فقد يضحك قَطْعًا لشماتةِ شامتٍ، وتَجَلُّدًا مع عَدُوٍّ مكافِحٍ، أو جريًا على عادةٍ، أو استمرارًا في إقامة موافَقةٍ، ولا يُعَدُّ ذلك منه إخلالًا بواجب الهلَع، ولا إغفالًا للَوازِمِ الْجزَعِ، والضَّحكُ أبلغُ من التَّبسُّم، فكذلك أنا وإن تَبَسَّمْتُ لضَرْبٍ من تلك الضُّروبِ، فَطَلَبُ الوِترِ والقيام بسُنَّةِ الحُزنِ نَصْبُ عَينِي، وأهمُّ الأُمُورِ إليَّ.

٢ ـ وبالدَّيرِ أشجَانِي وكَم من شَجٍ لَهُ دُوَينَ المُصَلَّى بالبَقِيعِ شُجُونُ

٣ ـ رُبَى حَولَهَا أمثَالُها إن أتَيتَها قَرِينَكَ أشجَانًا وهُنّ سُكُونُ

٤ ـ كذا الهَجْرُ أنَا لم يَصِحْ لَكَ أمْرُنا ولَم يأتِنا عَمَّا لدَيكَ يَقِينُ[١]

الأشجان: جمع الشَّجَن، وهو الحزن، وفي أدنى العدد، والشُّجون جمعه الكثير. وقوله «رُبى حولها أمثالها» موضعه رفع على أنَّه بدل من قوله شُجون. ويعني بها القبور المسنَّمة. وحولها أمثالها صفة للرُّبى. وما أشار إليه من المماثَلة يعني في

---

(١) التبريزي: «كفى الهجرَ».

الصُّورة والغَناء جميعًا. وقد ألمّ في هذا بقول الآخر: [الطويل]

فقلت له إنَّ الشَّجَا يبعث الشَّجَا ... فَدَعْنِي فهذا كلُّهُ قَبرُ مالكِ[١]

وإنَّما يريد أنَّ قبور أحبّته بالدِّير وقبور أحبَّة مَن يأتسي بهم من المفجوعين ببَقيع الغَرقَد، لأنّ أولئك ماتوا حَتْفَ أنفِهم وفي أماكنهم، فدفنوا في مقابرهم، وأصحابُ الشَّاعر قُتِلوا وتَغَرَّبوا فدُفِنُوا ثَمَّ. والكلامُ توجُّعٌ وتلهُّف. وقوله «دُوَيْنَ المصلَّى» تحديدٌ للمقبُرة، وتقريبٌ لها من المصلَّى، لذلك قال دُوينَ فصغَّر دُونَ. وعلى ذلك تصغيرهم لقُبَيْلِ وبُعَيدِ وفُوَيق. وقوله «إن أتيتَها قرينَك أشجانا» مثل قول الآخر: [الطويل]

أتيناهُ زُوَّارًا فأمجَدَنا قِرَى ... من البثِّ والدَّاءِ الدَّخيلِ المخامِرِ[٢]

وأضاف إليه معنى البيت الآخر بقوله «وهنّ سكون» وهو «وأسمعنا بالصَّمتِ رجع جوابه[٣]». وقوله «كذا الهجر» يجوز أن يُشير بذا إلى ما قَدَّمَه، ويجوز أن يكون وضع حرفَ الإشارة والمشارُ إليه يجيء من بعدُ على طريق التَّفسير له، والتَّرجمة منه. والمراد ما بيننا من استعجام الأخبار، وذَهاب لالتقاء والاجتماع، على اتِّصال التَّزاور إذا فُعِلَ، أشبَهُ شيءٍ بالهِجران؛ وذلك ما لم يدخل بيننا في شيءٍ من الأوقات والأحوال. وهذا تحسُّرٌ آخر جديد، وتلهُّف شديد.

٢٩٧ ـ وقال عبدُ الله بنُ ثَعْلَبَةَ الْحَنَفِيُّ[٤]: [الطويل]

١ ـ لكلِّ أُناسٍ مَقْبَرٌ بِفِنائِهِم ... فَهُمْ يَنْقُصُونَ والقُبُورُ تزيدُ

٢ ـ وما إنْ يزالُ رَسْمُ دارٍ قَدَ اخْلَقَتْ ... وبَيْتٌ لِمَيْتٍ بالفِناءِ جَدِيدُ

٣ ـ هُمُ جِيرَةُ الأحياءِ أمَّا جِوارُهُم ... فَدَانٍ وأمَّا المُلْتَقَى فَبَعِيدُ

يقول على وجه التحزُّن والتفجُّع والتوجُّع: تساوت أحوالُ النَّاس في مقاساة البلاء، ومعاناة الشَّقاء، لا تفاضل فيما بينهم ولا تمايز، يَرَون مصارعَهم بأفنيتهم،

(١) لمتمم بن نويرة في الحماسية رقم (٢٦٥).
(٢) لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في الحماسية رقم (٢٩٠).
(٣) صدر البيت السابع من الحماسية رقم (٢٩٠)، وعجزه:
«فأبلغ به من ناطق لم يحاورِ»
(٤) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣: ٢٩٠ في الطبقة السادسة من أهل البصرة، والأبيات موجودة في صفة الصفوة.

وجنودَ الموت والفناءِ متسلِّطَة على طوائفهم، تَخترِمُ الواحدَ بعد الواحد منهم بلا حياءٍ ولا رِقبةٍ، ولا استبقاء ولا رِعَة، وقد رَضُوا بحكمِه وأخذِه، واختياره وقَسْمه، فعَسْفُه عندهم رِفق، وبطشُه رحمةٌ وعدل، يَرَون فِرَقَ أخيائِهِم على مُرور الأيّام إلى تراجُعٍ وتناقُص، ومصيرَ مَصانِعِهم ومساكِنِهِم قريبًا إلى البِلى والتعطُّل، ويجدُون عَددَ الأموات إلى تزايُدٍ وتكاثُر، ومقابرَهم إلى عِمارةٍ وتوافُر. هذا وقد التزموا ما يَجري عليهم التزامًا، لا سُخطَ فيهم ولا إنكار، ولا كراهةَ ولا مَلال؛ فلا المجاورةُ بين الفريقين تنقطع، ولا المهاجرة ترتفع، ولا الأحوالُ تتبدَّل، ولا العادةُ في جميعها تتغيَّر؛ ففي كل قبيلةٍ حدوثُ مصيبةٍ، ونزولُ بلية؛ وفي كل مَجْمَعةٍ تأثيرُ فجيعةٍ، ونكايةُ منيَّة. فبماذا نستمسك ونعتصم من الفناء، وعلى ماذا نعوِّل ونعتمد في الرَّخاء، وكيف رضِينا بتدانٍ يُبْطله فناء، وتجاوُرٍ بُنِيَ على تدابُر، وأنّى يستقيم البناءُ والتَّشييد، لمن مَلَكَهُ النَّفادُ والتَّشتيت، ومتى يحصل السُّلُوّ لمن هو مُرتهَنٌ بتجديد الفُقود.

٢٩٨ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ لا يُبْعِدِ اللهُ إخوانًا لَنا ذَهَبُوا ... أفناهُمُ حَدَثانُ الدَّهرِ والأبَدُ

٢ ـ نُمِدُّهُمْ كلَّ يَومٍ مِن بَقِيَّتِنَا ... ولا يَؤوبُ إلينا منهمُ أحَدُ

معنى لا يُبعِدِ الله لا يهلك الله. يقال: بَعِدَ الرَّجلُ إذا هلَك. فإن قيل: كيف قال: لا يُبْعِد الله وقد عقَّبه بقوله أفناهُم حَدَثان الدهر والأبد، وهل الهلاك إلّا الفناء؟ قلتَ: هذه اللَّفظةُ جرت العادةُ في استعمالها عند المصائب، وليس فيه طلبٌ ولا سؤال، وإنَّما هو تنبيهٌ على شدَّة الحاجة إلى المفقود، وتناهِي الجزَعِ في الفَجْع به. ألا تَرَى أنَّ الآخَر قال: [الطويل]

يقولُونَ لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنُونَنِي ... وأينَ مكانُ البُعدِ إلّا مكانيا[(١)]

وأشار بقوله «حَدَثان الدَّهرِ» إلى النَّوائب والنَّكبات، وبقوله الأبدُ إلى نَفْس الدَّهر؛ لأنَّ مَن سلِم من الآفات أدّاهُ مرورُ الأيّام واللَّيالي إلى الفَناء والهَرَم. أمَا سمِعتَ قولَ القائل: [الكامل]

وَدَعَوْتُ رَبِّي بالسَّلَامَةِ جاهِدًا ... لِيُصِحَّنِي فإذا السَّلامةُ داءُ[(٢)]

---

(١) لمالك بن الريب في ديوانه ٤٦، وخزانة الأدب ٢: ٣٣٨، واللسان (بعد).

(٢) للنمر بن تولب في ملحق ديوانه ٤٠٠، وللبيد بن ربيعة في نهاية الأرب ٣: ٧٠، ولعمرو بن=

والأموات على اختلافهم لا يخرجون من هذين الحكمين. وقوله «نُمِدُّهمْ كلَّ يومٍ من بقيَّتنا» مثل قوله: [الطويل]

فـهـم يَـنـقـصـون والـقـبـور تـزيـدُ(١)

إلا أنّه زاد على ما قاله، حين قال: «ولا يؤوب إلينا منهمُ أحد». ويجوز أن يُريد بقوله «مِن بقيَّتنا» من خيارنا. يقال: فلانٌ من بقية قومه، أي من خيارهم. ويكون مثلَ قوله:

أرَى الدَّهرَ يَعتامُ الكرامَ ويَصطفِي(٢)

٢٩٩ ـ وقال الغَطَمَّشُ الضّبّيَ: [الطويل]

١ ـ إلى اللهِ أشكُو لا إلى النَّاس أنَّنِي ... أرَى الأرضَ تَبقَى والأخلَاءُ تذهبُ

٢ ـ أخِلَّاءِ لو غيرُ الحِمامِ أصابَكُمْ ... عَتَبْتُ ولكن ما على المَوْتِ مَعْتَبُ(٣)

صَرَف شكواهُ عن النّاس إلى الله عزّ وجلّ، بأسًا مِن معُونتهم، وإشكاءِ يَحْصُل مِن جهتهم، ولأنَّ الله تعالى هو الذي أجرى المقاديرَ بما يَتألَّمُ منه، مِن بقاء الأرض وفَناء الأصدقاء. ثم قال «أخِلاءِ لو غيرُ الحمام أصابكم»، كأنّه أقبلَ على الذّاهبين معتذِرًا إليهم من استسلامه للحكم الجاري عليهم، ومن عَجْزِ قُواه عن نُصرتهم فيما أصابَهم فقال: لو كان القاصدُ لكم غيرَ الموت لتسَخَّطتُ الحالَ ولم يكن منِّي بها رِضًا، ولكنْ ما على الموت طريقٌ للعَتْب، ولا فيه لي رَجَاءٌ لإعتَابٍ، ورُجُوعٌ باعتذار. وقوله «أخِلَّاءِ» يُروَى «أخِلايَ» على قَصر الممدود. والأجود أن يُترك مَدَّته على حالها، وتُحذف الياء من آخره في النّداء، لأنَّ الكسرةَ تدلُّ عليه. وقد ألمّ بقولِهِ: [الكامل]

أمِنَ المَنُونِ ورَيبِها تَتَوَجَّع ... والدَّهرُ ليس بِمُعتِب من يَجْزَعُ(٤)

= قمينة في ملحق ديوانه ٢٠٤، وزهر الآداب ١: ٢٢٣، ولبعض شعراء الجاهلية في الكامل ١: ٢٨٤.

(١) عجز البيت الأول من الحماسية رقم (٢٩٧) وصدره:

«لكلّ أناسٍ مقبرٌ بفنائهم»

(٢) لطرفة في معلقته وعجزه:

«عقيلة مال الفاحش المتشدّد»

(٣) التبريزي: «أخِلايَ».

(٤) لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١: ٤، وخزانة الأدب ١: ٤٢٠، واللسان (منن).

٣٠٠ ـ وقال أَرْطَاةُ بنُ سُهَيَّةَ: [الطويل]

١ ـ هَلَ أنتَ ابْنَ لَيلَى إن نَظَرْتُكَ رائِحٌ مَعَ الرَّكبِ أو غادٍ غَداةَ غَدٍ مَعِي
٢ ـ وقَفْتُ على قَبْرِ ابنِ لَيلَى فلَمْ يَكنْ وُقوفِي عليه غَيرَ مَبْكًى ومَجْزَعِ
٣ ـ عَنِ الدَّهرِ فاصْفَحْ إنَّه غيرُ مُعْتِبٍ وفي غيرِ مَن قد وَارَتِ الأرضُ فَاطمَعِ

خاطَبَ المرثِيَّ متلهِّفًا على مفارقته، ومتحسِّرًا في إِثْرِ الفائتِ منه، فقال: هل تَرُوحُ مع رُكبان الإبلِ إن انتظرناك، وهل تغدو غداةَ غدٍ معي إن أقمْتُ لك. وهذا تحزُّنٌ وإظهارُ يأسٍ، وبيانُ انقطاعِ ما بينهم من التألُّف والاجتماع، والتَّعاون والاصطحاب. ومن روى «غداتَئِذٍ» فالمُرادُ غداةَ إِذِ الأمرُ كذا، فحذف الجملة التي أضيف إذْ إليها لينشَرِح بها، لكون المراد مفهومًا، ثمّ أتَى بالتنوين عِوَضًا من الجملة المحذوفة ليستقلّ إذْ به.

وقولُه:

وقفت على قبر ابن ليلى فلم يكن وقوفي عليه غيرَ مبْكًى ومجزَعِ

مثل ما تقدَّم من قول الآخَر: [الطويل]

رُبًى حَولَهَا أمْثَالُهَا إنْ أتيتَها قَرَيْنَكَ أَشْجَانًا..........[1]

وقول الآخر: [الطويل]

أتيناه زُوّارًا فأمْجَدَنا قِرًى من البَثِّ والدَّاءِ الدَّخيلِ المُخامِرِ[2]

وقوله «عنِ الدهر فاصْفَحْ» رَجَع إلى نفسه وأقبل يُشيرُ عليهَا بالرِّضا بالمقدور، وترك التكلُّف للعَتْب على الدَّهر في ارتجاع الموهوب، إذ كان ذاك لا يؤدِّي إلى زَجْرٍ وارعواءٍ، ولا إلى تَلَافٍ من جهته أو إعتابٍ. وقوله «وفي غير من قد وارت الأرضُ فاطمعِ» تصويرٌ لليأس من المدفون، وأنه لا طَمَعَ في إيابه إذْ لم يكن حَالُه كغيبة الغائبين.

وكلُّ ما فيه من غريب وتصريف قد مَرّ القولُ فيه.

---

(١) البيت الثالث من الحماسية رقم (٢٩٦) لخلف بن خليفة وتمامه:
«ربَى حولها أمثالُها إن أتيتها قرنيك أشجانًا وهنّ سكونُ»

(٢) البيت الرابع من الحماسية رقم (٢٩٠) لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي.

٣٠١ ـ وقال آخرُ في أَخ له مات بعد أَخٍ: [الطويل]

١ ـ كأنّي وصَيفِيًا خَليلَيَّ لم نَقُلْ لِمُوقِدِ نارٍ آخِرَ الليلِ أَوْقِدِ
٢ ـ فلو أنّها إحدَى يَدَيَّ رُزِيتُها ولكنْ يَدِي بانَتْ على إثْرِها يَدِي
٣ ـ فأقسَمْتُ لا آسَى على إثْرِ هالِكٍ قَدِي الآنَ من وَجْدٍ على هالِكٍ قَدِي

يقول: لمّا انقطع ما بيني وبين أخي صَيْفيٍّ بالموت صِرتُ كأنْ لم يجمَعْني وإيّاه أُخُوَّةٌ ووِصال، ولا وِلادة ولِبَان، فلم نترافَدْ على ابتناء مَكْرُمَةٍ، وإيقاد نارٍ لطارقِ ليلٍ، وطالبِ قِرًى وضِيافة، ولم نتعاونْ على إقامةِ مروءةٍ وإسداء عارِفة. ثم قال «فلو أنَّها إحدى يديّ رُزيتُها». وموضع إحدى مبتدأ ورُزيتها في موضع الخبر. والشّاعر إنَّما يريد بيانَ تَوالِي المصائب عندَه وعليه، وتفاقُم الخَطْب لديه فقال: لو أُصِبْتُ بإحدى يَدَيَّ لكان في الباقية بعضُ الاجتزاء والاستغناء، ولكنْ تَبِعَتِ الأولى الثانيةُ، فأدّى فَقْدُهما إلى انقطاع الحياة، وافتقادِ العُدّة في الآلات. وحذف جَواب لَوْ لأنَّ المراد مفهوم، فهو كما تقول: لو رأيتَني وأنت شابٌّ، ولو رأيتَ زيْدًا وفي يده السَّيف؛ لأنَّ المعنى لرأيتَ الأمر بخلافه. والضمير في قوله «فلو أنها» يجوز أن يكون للقصّة، ويجوز أن يكون للمصيبة، كأنّه قال: فلو أنَّ القصَّة والشّان إحدى يديَّ رُزِيتُها.

وقوله «فأقسَمتُ لا آسَى على إثرِ هالك» معناه حَلَفتُ لا أتحزَّنُ لغُمَّةٍ في هالك بعد هذا تَتَجدَّد، لأنَّ حَذَري كان عليهما، وخَوْفي كان مِن فقدهما، كما كان رجائي فيهما، وطمعي مُعلَّقًا بحياتهما.

وقوله «قَدِي الآن» معناه حَسْبي. وقد تُزادُ النون عليه ليَسْلم السكون في داله، إذ كان مبنيًا عليه، فيقال: قَدْني، وإن جعلتَ قد غير مضاف في الموضعين جاز. ويجوز تحريك الدال في الأول لالتقاء الساكنين، وفي الثاني لأنْ كلَّ ساكنٍ وَقَعَ رَوِيًا يجوز إطلاقُه بالكسر. قال حُجّة في زيادة النون وحذفه: [الرجز]

قَدْنِيَ من نَصرِ الخبيبين قَدِي(١)

فأتَى بالوجهين جميعًا. وقوله «الآن» موضعه نصب على الظرف، ولا يجيء إلَّا بالألف واللام ومبنيًا معه. «ومِن وَجدٍ» موضعه رفع على أنه خبر المبتدأ الذي هو

---

(١) لحميد بن مالك الأرقط في خزانة الأدب ٥: ٣٨٢، والدرر ١: ٢٠٧، واللسان (خبب)، ولحميد بن ثور في اللسان (لحد) وليس في ديوانه، ولأبي بجدلة في شرح المفصل ٣: ١٢٤.

قَدِي. وكَرَّر قدي على طريق التأكد، والثاني مبتدأ مثل الأول وخبره مضمر وهو مثل ما ظَهَر وصار خبرَ الأوّل. ومعنى الآنَ أنه اسمٌ للزَّمان الحاضر: وقال بعضهم: هو الزَّمان الذي هو آخر ما مضى وأوّل ما يأتي من الأزمنة، وإنما بُني لأنها وقعت في أوّل أحوالها بالألف واللام. وحُكم الأسماءِ أن تكون شائعةً منكورةً في الجنس ثم يدخُل عليها ما يعرِّفها من إضافةٍ وألِفٍ ولامٍ، فخالف الآنَ سائرَ أخواتها بوقوعه معرفةً في أوّل الأحوال، ثم لزم مع ذلك موضِعًا واحدًا، لأنَّ لزومَها في هذه الحالة لموضِعِه قد ألحقه بشبه الحروف، إذ كان حُكم الحروف لزومَها لمواضعها في أوّليَّتها لا يزولُ عنها، فبُنِيَ لذلك، واختيرت الفتحة لخفّتها.

٣٠٢ ـ وقال آخر(١): [الوافر]

١ ـ هَوَى ابْنِي مِنْ عُلَى شَرَفٍ يَهُولُ عُقَابَهُ صَعَدُهْ

٢ ـ هَوَى مِنْ رَأْسِ مَرْقَبَةٍ فَزَلَّتْ رِجْلُهُ ويَدُهْ

يقول: سقط ابني من أعلى جبلٍ يَهُولُ الارتقاءُ إليه والصُّعودُ فيه عِقبانَه، لسُموقه وارتفاعه. أي إذا همّت العُقاب بالطَّيَران إلى قُلَّته تداخَلَها منه هَوْلٌ وهَيبةٌ. وهذا تهويل وتفظيع للشأن. وأعادَ قولَه «هَوَى» تحسُّرًا وتوجُّعًا. والمرقبةُ هو المَحْرَسَةُ. والعُلَى هو الأعلى. ويقال: صَعِدَ يَصْعَدُ صُعودًا وصَعَدًا وصُعُدًا. وهَوَى مصدره الهَوِيُّ والهُوِيُّ بالفتح والضم، وقد تقدَّمَ القول فيه(٢). والأُهوِيَّة: البئرُ، وما بين أعلى الجبل إلى مستقَرِّ بطن الوادي. وقيل: الهاوية: كلُّ مَهْواةٍ لا يُدرَك قَعرُها. وقوله «يَهُولُ عُقابَهُ صَعَدُه» في موضع الصِّفة للشَّرَف. ومعنى زَلَّتْ رجله، أي انخلعت وبانت منه.

٣ ـ فلا أُمٌّ فَتَبْكِيهِ ولا أُخْتٌ فَتَفْتَقِدُهْ

لم يجعل فتبكيه ولا فتفتقده جوابًا للنَّفي، لأنَّ الجواب يكون منصوبًا، لكنَّه عَطَفَ على ما قبله، وهو عَطفُ جملةٍ على جملة. ومثله في القرآن: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المُرسَلات: الآية ٣٦]، لأنَّ المعنى لا يُؤذن لهم ولا يعتذرون. وكذلك هذا، معناه لا أُمَّ له فلا تبكيه، إلَّا أنَّ الجملة المعطوفة مما في القرآن موافِقةٌ للجملة المعطوفِ عليها؛ لأنَّ كلَّ واحدةٍ منهما متركِّبةٌ من فعل وفاعل، والتي عُطِفَ

---

(١) التبريزي: «في ابن له».

(٢) انظر الحماسية رقم (١٢).

عليها هي من ابتداءٍ وخبَر. والجُمل الخبَريّة إذا اختلفت مثلَ هذا الاختلاف يَسُوغ عطف بعضها على بعض، ألا تَرَى أن الله تعالى يقول: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٩٣]، فعطف أنتم صامتون وهو ابتداءٌ وخبَرٌ، على ما قبله وهو فعل وفاعل، لأنَّ المعنى لا يختلِف، بل يصير كأنّه قال: أدَعَوتموهم أم صَمَتُّم. وقد جاء على العكس من هذا، لأن الشاعر يقول: [الطويل]

أَمُوفٍ بأذراعِ ابنِ طَيْبَةَ أم تُذَمّ(١)

فعطف تُذَمُّ، وهو من فعل وفاعل بأمْ على مُوف وهو ابتداءٌ وخبر، لأنَّ المعنى أأنت مُوف محمودٌ أم غادرٌ مذموم. والكلام في لا أُختٌ فتفتقده على ذلك، كأنه قال لا أُختٌ له فلا تفتقدُه. وقال الخليل: تفقّدت أمر كذا: تعهَّدته، وافتقدته: لم أره هلاكًا وغَيبةً.

٤ ـ هَوَى عن صَخرَةٍ صَلْدٍ ففُتَّتْ تحتَها كَبِدُهْ(٢)
٥ ـ ألامُ على تَبَكّيهِ وألْمُسُهُ فلا أجِدُهْ
٦ ـ وكيفَ يُلامُ مَحزونٌ كبيرٌ فاتَهُ وَلَدُهْ

أعاد قوله «هَوَى» استفظاعًا وتحسُّرًا. وعَدَّى هَوَى هٰهنا بعَنْ لأنه أجراه مجرى زَلّ وما أشبهه. والصَّلْدُ: ما لا يُنبِت شيئًا من الحجارة. ومن الأرَضِين. ومنه أصْلَدَ الزَّنْدُ، إذا لم يَخرُج منه النارُ ولم يكن وريًا. ومعنى قوله «فُتَّت تحتها كبِدُه» تقطّعت كبده لمّا حَصَل على الأرض، ويُشير بالصخرة إلى المَرقَبة.

وقوله:

ألام على تَبَكّيه وألْمُسُهُ فلا أجِدُهْ

معناه أنّ الناس يستسرفون اتصالَ بكائي عليه، ودوامَ التحسُّرِ في إثره، والحاجةُ إليه تدعوني إلى طَلَبه فلا أظفَر به، فعند كل طَلَبٍ يحصُل يأسٌ، ويتعقب ذلك اليأسَ منّي بكاءٌ وتحزُّن. وقولُه «ألْمُسُهُ» بمعنى ألتمسه. واللَّمس والمَسّ يتقاربان في معنى الطَّلب والالتماس. ألا تَرَى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا

(١) عجز بيت لراشد بن شهاب اليشكري في المفضليات ٢: ١٠٩، وصدره:
«أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد»

(٢) التبريزي: «فَفُرّتْ يريد «فُرِيت» من تفرّى الأديمُ».

وَشُهُبًا ﴿٨﴾ [الجنّ: الآية ٨]، وأنّ مُسترِقةَ السَّمع لم يلمُسوا السماء ولا طلبوا ذلك منها، وإنما تراقَوْا للسَّمع ليسترِقوا السَّمَع لا غير. وإذا كان كذلك فمعنى لَمسَ التمس وطَلَبَ. وكذلك قولُ الشاعر: [الطويل]

مَسِسْنا من الآباءِ شيئًا وكُلُّنا ... إلى حَسَبٍ في قومه غيرِ واضعِ[1]

معنى مَسِسْنا منه طلبنا وفتَّشنا ونظرنا، وليس هو من المَسِّ باليد في شيءٍ. ويَدُلُّ على أن معنى قوله أَلْمُسُه أطلبه أنّه عَقَّبه بقوله فلا أجده؛ وهذا ظاهر. وقوله:

وكيف يُلام محزونٌ ... كبيرٌ فاتَهُ ولَدُهْ

يريد: كيف يُلام على البكاء والتوجُّع محزونٌ قد مَسَّهُ الكِبَرُ، ومَن كان أعَدَّه لحياته ومماته، واعتدَّه للنيابة عنه في عِياله ومعاشِه، قد فاتَه حتَّى لا طمع في إيابٍ له، ولا في مَغُوثَةٍ من جهتِهِ وإن استغاثَ به.

٣٠٣ ـ وقال آخر[2]: [الطويل]

١ ـ إذا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ والبُكا ... أَجَابَ البُكا طَوْعًا ولم يُجِبِ الصَّبْرُ

٢ ـ فإنْ ينقَطِعْ منك الرَّجاءُ فإنه ... سَيَبْقَى عليكَ الحُزْنُ ما بَقِيَ الدهرُ

يقول: إذا ميَّلتُ الرأيَ بين حَمْلِ النَّفس على الاستمرار في الجَزَع، والذَّهاب في الهَلَع، وبين ضبطه وإمساكه والأخْذ بالصَّبر فيه، ثمَّ استَدعَيتُ الصَّبرَ من جانب والبكاءَ من جانب، وجدتُ البكاءَ يستجيب سريعًا من غير تباطؤٍ واستكراه، ووجدت الصَّبرَ يَخذُل ويتأخَّر، فلا يكون منه دنوٌّ ولا مساعَدة. وهذا الكلام تلهُّفٌ وتوجُّع. ثم أقبَلَ على المرثيِّ فقال: إن كان الأملُ فيك منقطعًا، والرَّجاء من إيابك متأخِّرًا مستبعَدًا، فإنّ الحزنَ يبقى عليك ويتَّصل باتِّصال الأبد، لا يَفتُر ولا يتغيَّرُ. وقوله «طَوْعًا» مصدرٌ في موضع الحال، أراد: أجابَ طائعًا غير مُجْبَر.

٣٠٤ ـ وقال النَّابغة يرثي أخًا له من أمِّه[3]: [البسيط]

١ ـ لا يَهنِىءُ النَّاسَ ما يَرْعَوْنَ من كَلَإٍ ... وما يَسُوقُون مِن أَهْلٍ ومِن مَالِ

---

(١) البيت ليزيد بن الحكم التميمي في الحماسية رقم (٥٨).

(٢) التبريزي: «وقيل: هو للعباس بن الأحنف، وكان يكنى أبا الفضل».

(٣) التبريزي: «وأمّه عاتكة بنت أنيس الأشجعي».

٢ ـ بعد ابنِ عَاتِكَةَ الثَّاوِي عَلَى أَبَوَي أَمسَى ببلدَةٍ لا عَمٍّ ولا خالِ[١]

دعاهُ الضَّجَرُ بموت من أُصِيبَ به إلى أنْ دَعَا على النَّاس كافَّةً بأن لا يهنئَهم اللهُ ما يرعَونهُ من حِمًى، وما يَحُوزونه من مالٍ ولُهًى، ويسوقون من أهلٍ ووَلَدٍ، ويجمعونَهُ من عَتادٍ وذخيرة. وهذا يدلُّ على شماتةٍ من قومٍ حصلتْ عليه حين فُجِعَ بأخيه، فيجوز أن يكون النَّاسُ وإن كان لفظُه عامًّا يختصُّ بمن مُنِي بعداوته، وابتُلي بشَماتَتِه. فقد قيل في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٣] إنه كان رجلًا واحدًا. ولا يمتنع أن يكون اعتقَد في النَّاس كافةً أنهم نظَروا بعين الحاسدِينَ إليه أيَّامَ حياته، لحُسْن توفُّره، وكمالِ بَراعته. وهذا شَأنُ مَن أُعجبَ بشيءٍ أوتِيَه، فلمَّا فَقَده ظنَّهم شَمِتوا به، وأدركوا مُرادًا لهم في فقدِه، لا اختصاصَ فيه ولا تبايُن، فعمَّهم بالدُّعاء عليهم.

وقوله «بعد ابن عاتكةَ» نسبه إلى أمِّه تنبيهًا على أنَّ الجامعَ بينهما كانت الأمومة. وقوله «الثاوي على أبَوَي»[٢] يَدُلُّ على أنّ قبره كان به. وقوله «ببلدة لا عمٍّ ولا خال» نبَّه به على تبايُنِه عن بلاده وأقاربه، وأنَّه مات في غُربة.

٣ ـ سَهلُ الخليقَةِ مَشَّاءٌ بأَقْدُحِه إلى ذَوَاتِ الذُّرَى حَمَّالُ أثقالِ

٤ ـ حَسْبُ الخَلِيلَين نَأيُ الأرضِ بينهما هذا عليها وهذا تَحْتَها بَالِ

وصَفَهُ بأنه كان سهلَ الجانب حسنَ الخُلُق، جميلَ التعطُّف أوانَ القَحطِ والجَدْبِ على الفُقراء والمساكين، ضَروبًا بقِداحِه على الإبل السِّمان ذواتِ الأسنِمَة الكبيرة، إذا حَضر الأيسار، لشدَّة الزَّمان؛ وأنَّه كان يَدخُل تحت الأعباء الثقيلة فيحملُها على جاهِهِ ومالِه لذويه، والعُفاةِ الراجِين له.

وقولُه «حَسْبُ الخليلين نأيُ الأرضِ بينهما»، يعني بالخليلين نفسَه والمفقودَ، فيقول: حَسْبُنا من البُعد وإن كان التَّداني بالجِوار حاصلًا أن صاحبي تحتَ التُّراب يَبْلَى، وأنِّي على ظهرها أمشي وأحيا. وقوله «هذا عليها وهذا تحتها» أشار إلى كلِّ واحدٍ منهما بما يُشارُ به إلى الحاضر، تنبيهًا على التَّجاورِ والتَّداني في الدِّيار، وأنَّ البُعدَ إنَّما كان في تَعَذُّر الوِصال، وسقوط التَّزاوُر والالتقاء.

(١) التبريزي: «الثاوي على أَمَرٍ، وذو أمر: موضع بعينه».
(٢) أبوى: اسم موضع فيه قبره.

٣٠٥ ـ وقال مُوَيلِكٌ المزمومَ يرثي امرأته[1]: [الكامل]

١ ـ أَمْرُرْ على الجَدَثِ الذي حَلَّتْ به ... أُمُّ العَلاءِ فحيِّها لو تَسمَعُ

٢ ـ أَنَّى حَلَلْتِ وكُنتِ جِدَّ فَرُوقَةٍ ... بَلَدًا يمرُّ به الشُّجاعُ فيَفزَعُ

٣ ـ صَلَّى عَلَيكِ اللهُ مِن مفقودةٍ ... إذ لا يلائمُكِ المكانُ البَلْقَعُ

يخاطِبُ نفسه ويبعثُها على زيارة المفقودة والتسليمِ عليها، قضاءً لحقِّها، وتجديدًا للعهد بها، فقال: أَمْرُرْ على القبر الذي دُفنت فيه، وسَلِّمْ عليها إن كانت تَسْمَعُ، وهذا توجُّع وتلهُّف. ويُروى «فحيِّها هل تَسْمَعُ»، والفرق بين لو هنا وبين هل، أنَّ «لو» فائدته الشرط هٰهنا، والكلام به كلام مَن غلَبَ القنوطُ عليه من إدراكِها تحيَّة مَن زارها؛ و«هل» من حيث كان للاستفهام يصير الكلامُ به كأنّه كلامُ راجٍ أو طامعٍ في سَماعها. ويكون المعنى: حيِّها وانظر هلْ تسمع.

وقوله «أنَّى حَلَلتِ» معنى أنَّى كيف ومِن أين. وفَروقٌ بناء المبالَغة، وازدادَ تناهيًا بدخول هاء المبالغةِ عليه. فيقول مخاطبًا لها: كيف تأتَّى منك الاستيطانُ والنُّزول في قَفْرٍ إذا مرَّ به الرجلُ القويُّ القلبِ تَداخَلُه رُعْبٌ، واستولى عليه قلقٌ وذُعر، وعهدي بكِ وكنتِ أضعفَ الناس قلبًا وأشدَّهم مِن ذِكر المحاذر استيحاشًا. وقوله «كنتِ جِدَّ فروقةٍ»، كقولك كنتِ فروقةً جدًّا لا هزلًا، وحقًّا لا باطلًا. والبَلَد: القطعة من الأرض اختُطّ أو لم يُختَطّ.

وقوله «صلَّى عليك الله» فالصلاة من الله تعالى الرَّحمة، كأنَّه يئس منها فأقبلَ يترحَّم عليها، فيقول: إنَّكِ في شَبابِكِ وقربِ ميلادك، وكمالِكِ في خصال أمثالِك، لم يَلِقْ بك فِقدان، ولا كان لوقت مجيءِ الموتِ بطلبِك منِّي انتظار، ثم كنتِ من التَّرْفَةِ والنَّعمة، ومساعدة القدَر لك، بحيثُ لا يوافِقُك الانتقالُ إلى القَفر، والتوحُّش عن الأهل.

وهذه الأبيات غايةٌ فيما يُحدِّث به المفجوع نفسَه.

٤ ـ فلقد تَرَكتِ صَغيرَة مَرحومةً ... لَمْ تَدرِ ما جَزَعٌ عَلَيكِ فتَجزَعُ

٥ ـ فَقَدَتْ شَمائلَ مِنْ لِزامِكِ حُلوَةً ... فتَبيتُ تُسهِرُ أهلَها وتُفجِّعُ

---

(١) التبريزي: «أم العلاء».

٦ ـ فإذا سَمِعتُ أَنِينَها في لَيلِها طَفِقَتْ عَليكِ شُؤونُ عَينِيَ تَدْمَعُ

قوله «لم تَدْرِ ما جَزَعٌ عليك فتجزع» لم يجعَلْ «فتجزعُ» جوابًا ولا عطفًا على ما قبله، وليس اللَّفظ على واحدٍ منهما ولا المعنى، وإنما قوله «فتجزعُ» منويٌّ به الاستئناف، كأنَّه أراد أنها مِن صِغَرها لا تعرف المُصِيبةَ ولا الجزَعَ لها، وهي على حالها لا تجزع، لأنَّ ما تأتيه من الضَّجَر والبُكاء، وتَتركه من النَّوم والقَرار، فِعلُ الجازعين، وغايةُ الفاقدين. وفي كتاب الله عزّ وجلّ قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، لك أن ترفع فيغفرُ على نيّة الابتداء، كأنّه قال: فهو يغفرُ لمن يشاء. ومثلُ هذا كثيرٌ في القرآنِ والشِّعر. على ذلك قولُه: [الطويل]

فما هو إلّا أن أراها فُجَاءَةً فأُبْهَتُ حتى ما أَكادُ أجيبُ[1]

يُرفع «أُبهتُ» على الابتداء والاستئناف.

وقوله «فقَدتْ شمائلَ»، يريد الأخلاقَ والشَّكْلَ وجميلَ المخالَطَة. وقال الخليلُ: الشِّمالُ: خَليقة الرجُل وطبيعته، وجمعه شمائل. وأنشد: [الوافر]

هُمُ قومي وقد أنكرتُ منهم شمائلَ بُدِّلوها من شِمالي[2]

فيقول: كانت اعتادتْ منكِ توفُّرًا ومداراةً وحُسنَ خُلق، ولينَ عِطفٍ وكرمَ مخالَطَة، وإيناسًا في مجاملة، فلما انقطع عنها جميعُ ذلك بالفراقِ باتت لا تنام ولا تُنيم، بل تَفَجُّعُ وتَوَجُّعُ، ومهما أدركْتُ شكواها وبكَاءَها أقبلَتْ مفاصلُ رأسي تَمسح بالدَّمع فأبكِي عليكِ ولَهَا. ومعنى «طفِقَت عليك شُؤونُ عيني» كقولك: أقبلَت تفعل كذا، وجعلَت تقولُ كذا.

٣٠٦ ـ وقال حَفصُ بن الأحنفِ الكنانيُّ[3]: [الكامل]

١ ـ لا يَبْعَدَنَّ ربيعةُ بن مُكَدَّمٍ وَسَقَى الغَوَادِي قَبْرَهُ بذَنُوبِ[4]

---

(١) لكُثَيِّر عَزَّة في ديوانه ٥٢٢، والحماسة الشجرية ١: ٥٢٨، وللمجنون في ديوانه ٤٩، وللأحوص في ملحق ديوانه ٢١٣، وخزانة الأدب ٢: ١٧، ولعروة بن حزام في خزانة الأدب ٨: ٥٦٠، والشعر والشعراء ٦٢٦.

(٢) للبيد في ديوانه ٩٤، واللسان (شمل)، وأساس البلاغة (شمل).

(٣) التبريزي: «ويروى لحسان، ويروى الأخيف وهو الصحيح».

(٤) ذكر التبريزي قصة الشعر في ١: ٥٧٦.

٢ ـ نَفَرَتْ قَلُوصِي مِن حجارةِ حَرَّةٍ بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ اليَدَيْنِ وَهُوبِ

قوله «لا يبعَدنّ» لفظُه لفظُ الدُّعاء، والكلام فيه على ما تقدَّم. وكما قيل: بُعْدًا له وسُحقًا لم يُقَلْ من بَعِدَ بَعَدًا إذا هَلَكَ بَعَدًا له، وكان استعمالُ هذا في الدُّعاء أقربَ فلم يجيء. ومعنى «وسَقَى الغوادِي قبرَه بذَنوبِ» أنه دَعا له بالسُّقيا. والغَوادي هي السَّحابات التي تنشأ غُدوَةً. والذَّنوب: الدَّلو بما فيه من الماء، قال: [الرجز]

لــه ذَنــوبٌ ولــنــا ذنــوبُ[١]

وربَّما جُعِلَ الذَّنوب الحظَّ والنصيب، كما قال: [الطويل]

وحُــقَّ لِـشَـأسٍ مِــنْ نَـدَاك ذَنُــوبُ[٢]

وفي القرآن: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ [الذاريات: الآية ٥٩]. وفي البيت الذي نحن فيه يحتمل الوجهين.

وقوله «نَفَرَتْ قَلوصِي مِن حجارةِ حَرَّةٍ» فإنَّه كان اجتازَ بقبرِ ربيعةَ وقد نُضِدَ عليه حجارةٌ سُود، فنَفَرتْ قَلوصُه، فأخذَ يقتصُّ ما كان اتَّفق ويُنكِره. وقوله «بُنيتْ على طَلْق اليدَين» من صفة الحجارة. ومعنى طلق اليدين أنَّه سَخيٌّ بَذَّالٌ يُطلِق يدَيه بالمعروف. والوَهُوب: الكثير الهبات.

٣ ـ لا تَنْفِرِي يا نَاقَ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرَّابُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبِ[٣]

٤ ـ لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو على العُرْقُوبِ

جَعل نِفارَ ناقته كأنَّه كان من المدفون، فنهاها عن ذلك، ثم أخَذَ يصفُه بالكرم والشَّجاعة، والتقدُّم في الشُّربِ والبَطَالةِ. والمِسعر: الذي كأنَّه آلةٌ في إيقاد نار الحرب.

وقوله «لولا السِّفار» كانت العادة في العرب أنَّ الواحد منهم إذا اجتازَ بقبرِ كريمٍ كان مأوًى للأضياف، ومقيمًا لِقِراهُم، ينحَر راحلتَه ويُطعِمها النَّاسَ إذا أعوزَ الزَّادُ ولَمْ يتَّسع، يفعل ذلك نيابةً عنه، إلَّا أن يمنَع مانِعٌ من بُعْد السَّفر وتناهي المشَقَّة وما يجري مَجراه، فقال هذا الشَّاعرُ معتذرًا من إبقائه على راحلتِه، لمَّا خفَّ الزَّادُ الذي

(١) بلا نسبة في اللسان (ذنب)، وتهذيب اللغة ١٤: ٤٣٩، وكتاب العين ٨: ١٩٠.
(٢) لعلقمة الفحل في ديوانه ٤٨، واللسان (جنب، شأس، خبط)، ومجالس ثعلب ٩٧.
(٣) التبريزي: «شِرِّيبُ».

كان معه، وعَجَز عن الصَّحْب على بُعد المسافة وطُول المشقَّة ومِسَاس الحاجة. ومعنى «لتركتُها تحبو على العُرقوب» أي لعَرْقَبْتُها. والحَبْو: ما يفعله الصبيُّ من الزَّحف قبل القيام، ويفعله البعيرُ وهو يريد المَشْي. ومنه الحابي من السِّهام، وهو الذي يسقُط ثم يَزْحَف إلى الهَدَف. ويقال: حبًا للخَمسينَ، أي لم يبلغْها وقد دنا منها؛ وهو من فصيح الكلام. والخَرْق: المكان الواسع تتخرَّق فيه الرِّيح. والمَهْمَهُ: الأمْلَسُ الواسعُ.

٣٠٧ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَجَارِيَ ما أزدادُ إلَّا صَبَابَةً عَلَيكَ ولا تزدادُ إلَّا تَنَائِيا[1]

٢ ـ أجارِيَ لو نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ فَدَيتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي ومَالِيا

الصَّبابة: الوَجْد والمحبَّة، والفعل منه صَبِبْتُ بكسر الباء أَصَبُّ. ورجُلٌ صَبٌّ، وامرأةٌ صَبَّة. وقوله «أجاري»، ليس بندبةٍ، لأنَّ المندوبَ لا يكون إلا بيا ووَا، لكنَّه على العادة والرَّسم ناداه ورخَّمَهُ. يقول: لا أزداد على مُرور الأيّام وتصرُّفِ الأوقاتِ إلا شَوْقًا إليك، ووَلُوعًا بك، وقوَّةَ أسفٍ عليك، إذْ لم يكن حالي حالَ المتحسِّر في إثْرِ فائتٍ، والرَّافع طمعَه من لقاءِ مائت، فيُعْقِبه الفوات بأسًا، ويُورثه ما يشاهده مِن حال الفناء تناسيًا أو تسليًا؛ وأنت لا تزداد إلَّا تناهيًا في الانقطاع، وتنائيًا في الهِجرة والإعراض. فقولُه «تنائيًا» لم يُرِدْ تباعُدَ الأجرام وتراخِيَ المَزَار؛ لأنَّ تجاورَ الدِّيارِ وتصاقُبَها كان باقيًا على ما كان في الأصل.

وقوله «أجارِيَ لو نفسٌ فدَتْ نفسَ ميِّت»، يريد: لو كان السَّبيل إلى التَّفادي بين الأحياء والأموات مسلوكًا، وقَبولُ الأبدال عند الاستعراض والدُّعاءِ مُجابًا إليه مألوفًا، لكنتُ السابقَ إليه، والجاهلَ في فدائكَ النَّفسَ والمال، وأنا مغتبطٌ بذلك ومغتنمٌ له، لكن لا مانع لما طُلِب، ولا مَعْدِلَ عما حُتِمَ.

٣ ـ وَقَدْ كُنْتُ أرجُو أنْ أُمَلَّاكَ حِقْبَةً فَحَالَ قَضَاءُ اللهِ دُونَ رجائيا

٤ ـ ألَا لِيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إنَّمَا عَلَيكَ مِنَ الأقْدارِ كانَ حِذَارِيَا

قوله «أنْ أُمَلَّاك» يقال: مُلِّيتُ فلانًا فتَمَلَّيتُه، أي جُعِلَ لي أن أعيش معه مُلاوةً فيبقى لي ممتَّعًا به. والمَلَوانِ: اللَّيل والنَّهار، من هذا. يقول: كنت أرجو أن أُمَتَّعَ

---

(١) التبريزي: «عليك وما تزداد».

بحياتك حِقبةً ـ وقال الخليل: الحِقبة زمانٌ من الدهر لا وقتَ له، والجميع الأحقاب والحِقَبُ والحُقُبُ مثلُه ـ فحجز بيني وبين مرادي القدرُ الذي لا يُملَك معه إلّا الاستسلام له.

وقوله: «ألا لِيَمُتْ مَن شاء بعدك» مثل قول الآخر: [الطويل]

فـآلـيـت لا آسـى عـلى إثـرِ هـالِكٍ[١]

وقول الآخر: [الطويل]

أمِـنَّـا عـلى كـلّ الـرَّزايـا مـن الْجَـزَعْ[٢]

٣٠٨ ـ وقالت فاطمةُ بنت الأَحْجَم الخُزَاعيَّة[٣]: [الكامل]

١ ـ يـا عَـيْـنِ بَـكّـي عـنـد كُـلّ صَـبَـاحِ   جُـودِي بـأربَـعَـةٍ عـلى الـجَـرَّاحِ

قوله «بَكّي» يجوز أن يريدَ به أكثِري البكاء، ويجوز أن يريدَ كرِّري البكاء، لأنَّ تضعيف العين إذا لم يكن للتَّعدية مثل كَرَّمَ ـ لأنّه كأكرمَ لا فرقَ بينهما، يكون للتكثير أو التكرير، وذلك كقولك ضَرَّب وقَتَّل. وإنّما قال «عند كلّ صَباحِ» لأنّه يريد اجعَلي مَبْدَأ نَهارِكِ لذلك، أو لأنّه يريد كانَ وقتَ نكايته في الأعداء، وشنِّ الغارات على المنابِذين، فاجعلي بإزاء فِعلِه حينئذٍ البكاءَ عليه السَّاعةَ. وقوله «جودي بأربعة» أراد بالأربعة قبائلَ الرَّأس، والدَّمعُ يخرج من الشؤُون. فأراد: جودي بدَمعكِ كلِّه. ولا تدَّخِري منه شيئًا. وقوله «يا عينِ» حذف الياءَ لوقوعها موقعَ ما يُحذف في النداء وهو التنوين، ولأنَّ الكسرة تدلّ عليه. وبابُ النِّداء بابُ حذفٍ وإيجاز.

٢ ـ قـد كُـنـتَ لي جَـبَـلًا ألُوذُ بِـظِـلِهِ   فَـتَـرَكْـتَـنِي أضْـحَـى بـأجْـرَدَ ضَـاحِ

أقبلَ يخاطب المرثيَّ على عادتهم في الانتقال عن الإخبار إلى الخطاب، وعن الخطاب إلى الإخبار، تفننًا واقتدارًا. فيقول: كنتَ لي جبلَ عِزٍّ، آوِي إليك في

(١) عجزه:

«قدي الآن من وجدي على هالك قدي»

(٢) البيت الثالث من الحماسية رقم (٢٨٢) لعبد الله بن المقفع وصدره:

«فقد جرّ نفعًا فقدُنا لك إننا»

(٣) التبريزي: «الأجحم» وقال السكري: الأبيات لليلى بنت يزيد بن الصعق، ترثي ابنها قيس بن زياد بن أبي سفيان بن عوف بن كعب.

الشَّدائد، وأعوِّل على حسن دِفاعك في النَّوائب، وأستكِنُ بظلِّك، وأتحصَّن بتمنُّعك، فغادرتني بارزًا للآفات، ومعرَّضًا للحوادث والنّكايات. لا مَعْقِل لي مما يَدهَم، ولا مَلاذَ عندما يهجُم. والضَّاحي: البارز للشَّمس، والفعل منه ضَحِيَ يَضْحَى؛ وقد أتى بهما في البيت. والأجرد: الأمْلَسُ. يَضرِبُ ذلك مثلًا لكونه مُعْوِرًا لا واقِيَ له ولا ساتر، ولا مُحامِيَ ولا مدافِع.

٣ ـ قد كنتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشتَ لي   أَمْشِي البَرَازَ وكنتَ أنتَ جَنَاحِي

٤ ـ فَاليَوْمَ أَخْضَعُ للذَّلِيلِ وأَتَّقِي   منه وأَدْفَعُ ظالِمِي بالرَّاحِ

قوله «قد كنتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ» يقال: حمِيتُ من الشَّيء أحْمَى حَمِيَّةً، أي أَنِفْتُ وغضبت. ورجل حَمِيُّ الأنْف: لا يحتمل الضيم، وحَمَى أنفَه من كذا. والمعنى: كنتُ في حياتك آنَفُ ممَّا أُسَامُ من الضَّيم فأتسخَّطُه، وتتَّسع المقدرةُ لدَفعِه والإباء منه، والآنَ صار بدلَ ذلك السُّخْطِ الرِّضا، وبإزاء ذلك الانتقام الاستسلام. و«ما عشت» في موضع الظَّرف، أراد مُدَّةَ عيشِك لي. وقوله «أمشِي البَرَازَ» البرازُ: المكان الفَضاء من الأرض. وإذا خرج إنسانٌ إلى ذلك الموضع قيل بَرَّز. ومن هذا قولهم: بَرَّز على أقرانِه، أي صار في البَرَاز ظُهورًا عليهم واقتدارًا. وكما تصرَّفوا في هذا على ما تَرَى تصرّفوا في الظَّاهرة، وهي الضَّاحيةُ العالية، فقيل: ظهَرَ فلانٌ على فُلان، أي عَلاهُ، وأظهرهُ اللهُ عليه، وفي القرآن: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٣٣]. وأصلُه أمشِي في البَرَاز، فحذَف الجارَّ ووصَلَ الفعلُ فعَمِل. والمعنى: كنتُ لا أستتر ولا أكتتم تهيُّبًا وتخوُّفًا من شيء. وقوله «وكنتُ أنتَ جَناحي» فالجناح من الطَّائر والإنسان: يداهُ. والمعنى: كنتُ أطير بقوَّتِك، وأنهض في الأمور بصَولتِك، وأبْطِشُ بالأعداء بيدك وأيْدِك.

وقوله «فاليوْمَ أَخْضَعُ للذَّليل» أراد باليوم متَّصِلَ وقتِهِ من الحال والاستقبال، والمعنى: صرتُ من طلَب السَّلامة على الدَّهرِ وأهلِه بحيث يَطْمَعُ فيَّ الذَّليل، ويَستلينُ جانبي المَهين، فأتَّقِي ذا الشَّوكة ومَن لا شوكة له، وأحذَرُ مَن يُخشَى كَيدُه ومَن لا كيد له. وقوله «وأدفَعُ ظالمي بالرَّاح» يريد أدفَعُه بألْيَنِ ما أجدُ السَّبيلَ إليه، لا خشونَةَ لي في قولي ولا مزاحمةَ في رُكني، ولا اعتراضَ شديدًا منّي في اهتضامِه لي، ولا محاجَّةَ قويَّةً على جِدَالِه إيّاي، فِعْلَ مَن لا حَدَّ له ولا حديدةَ، ولا عُدَد ولا عَتِيدة، ولا حِمَى ولا حمِيَّة.

٥ ـ وإذا دَعَت قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لَها يومًا على فَنَنٍ دَعَوْتُ صَباحي
٦ ـ وأغُضُّ من بَصَري وأعلَمُ أنّهُ قَدْ بانَ حَدّ فَوارِسي ورِماحي

قولُه «وإذا دَعتْ قمرية شجنًا» كلامٌ أُخرجَ على ما في اعتقادهم من بُكاء الحمام، فيقول: إذا ناحت حمامةٌ على غُصْنٍ وهي تدعو حُزْنَها ليهتاجَ بكاؤها ويمتدّ صوتها، فإني أَشْجَى لصوتها وأُجاوبُها داعيًا صَباحي، أي قائلًا: واصباحاه!

وقولُه «وأغضُّ مِن بَصَري» غَضُّ الطَّرْفِ مِن فعلِ الذليل المنخزل، كما أن طُموحَهُ فعلُ العزيز الناظرِ من فوق. فيقول: إني عارفٌ بمقداري بَعدَكَ، ومتيِّقن نكوصي وسقوط حشمتي بذهابِك، وكِلَّةَ حَدّي وحدَّ أصحابي لفِقدانك، فأغمِّض عيني في كثيرٍ مما يجري عليّ وألابِسُه، مخافَةَ أن أرى ما هو أكبرُ منه. وقولُه «وأعلم أنّه» الضمير ضمير الأمر والشأن. يريدُ: وأعلم أنَّ الأمرَ انفلالُ فُرساني، وتفلُّلُ أسِنَّة رماحي. وهذا مثَلٌ لسقوط القُوَى واستعلاء العِدَى، وذهاب العُدَّة وتراجُع العِدَّة. ولا يمتنع أن يريد بحدّ فوارسي نفسَ المفقود، جعله لفُرسانه حَدًّا إذا كان مقدامَهم ومِدرَهَهم، ولرماحِهِ سنانًا إذ كانت تعمل بقوّته، وتنفُذ بصرامته.

٣٠٩ ـ وقال آخر[1]: [المديد]

١ ـ إِخْوتِي لا تَبْعَدُوا أَبدًا وَبَلَى واللهِ قَدْ بَعِدُوا
٢ ـ لَو تَمَلَّتْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ لاقْتِناءِ العِزِّ أو وَلَدُ[2]
٣ ـ هانَ مِنْ بَعْضِ الرَّزِيئَةِ أو هان مِن بَعْضِ الذي أَجِدُ[3]
٤ ـ كلُّ ما حَيٍّ وإن أَمِرُوا وَارِدُو الحَوْضِ الذي وَرَدوا

لك أن تروى «إِخْوَتِي» و«إِخْوَتا». فمن روى «إخوتِي» فإنّه يسكّن الياء وأصله الحركة، لكونه علامة الضمير متطرّفًا على حَرْفٍ واحدٍ فوجب تقويتُه بالتحريك كما كان سبيل أختَيه الكافِ والهاء لو وقَعا موقِعَه، لكنّهم آثروا الفتحة لخفّتها، ويدلّ على أنّ الأصل الفتحة أنه لو كان ما قبلَه ساكنًا كان لا يجيء إلّا مفتوحًا. وذلك قولك رَحَايَ وعَصَايَ، إلّا أنّه لمّا كان باب النّداء باب حذفٍ وإيجاز، لكثرة استعمالهم له،

(١) التبريزي: وقالت أيضًا، أي فاطمة بنت الأحجم.
(٢) التبريزي: «أو ولدوا». (٣) التبريزي: «الرزيّة».

سَكّنوا الياء. ومَن قال «إخوتا» فرَّ من الكسرة وبعدها ياءٌ إلى الفتحة، فانقلبت الياء ألفًا. على ذلك قولهم باديةٌ وباداةٌ، وناصِيَةٌ وناصاةٌ، وقولك يأباهما وأنت تريد يأبى هما. وقوله «لا تَبْعَدوا» قد تقدّم القول فيه. فأمّا استدراكُه لقولِه «وبَلَى والله قد بَعِدوا» فإنه تنبيهٌ منه على أنَّ لا تبعَدوا وإن كان لفظُه لفظَ الدُّعاء فهو جارٍ على غير أصلِه، وأنّه إنما هو تحسُّرٌ وتوجُّع.

وقوله «لو تَمَلَّتْهُمْ عشيرتهم»، يريد: لو بَقُوا معهم مُلاوَةً من الدَّهر ممتَّعين بهم، ومقتنين العزَّ بمكانهم أو أولادُهم بَقُوا معهم فتربَّوا في جُحورهم، وتأدَّبُوا بسياستهم، واحتَبَوْا بأردية السِّيادةِ في أقنيتهم ومَحافِلهم ـ لهانَ بعضُ الرزيئة. ولك أن تروي «أو ولدوا» على أن يكون فعلًا وواوُ الضمير بعد حرف الرويّ تُجعَل وصلًا، ويكون المعنى: لو أعقَبُوا وخلَّفوا أولادًا يَرِثونَ مجدَهم ويُحيُون أسماءَهم، ويَعْمُرون مَعالِيَ آبائهم بعدهم. وجواب لو أوّل البيت الذي يليه، وهو «هان من بعض الرزيئة» ومعناه: لو قُضِي الأمرُ على ذلك لخَفَّ بعضُ ما على النَّاس لهم ومن أجلهم، أو خفَّ بعضُ الذي أجدُه أنا من الاكتئاب والاهتمام بفَوتهم. وقوله «من بعض الرزيئة» الأخفش يجيز زيادة «مِن» في الواجب، فعلى طريقته يكون المعنى هان بعضُ الرزيئة. وسيبويه يمتَنِع من زيادة من إلّا فيما ليس بواجبٍ، كالاستفهام والنَّفي. فعَلى طريقته يكون المعنى: كانَ ابتداءُ المهوَّنِ بعضَ الرزيئة أو من بعض الرزيئة.

وقوله «كلُّ ما حيٍّ» ما زائدة، ويجوز أن يريد بالحيِّ القبيلة. ومعنى أمِرُوا كَثُروا. يقال: أمِرَ الشَّيءُ وآمَرَه الله له. ويجوز أن يريد بالحيِّ ضدَّ الميّت، ويكونَ الضمير من أَمِروا عائدًا إلى لفظ كلّ. فيقول: كل قبيلة وإنْ تناسَلوا وتكاثروا فمآلُ أمرهم إلى مثلِ ما آل أمرُ إخوتي، ومَورِدُهم من الذَّهاب والفَناء مثلُ مَوردهم، إذ كان الموتُ لا معدِلَ عنه، ولا مَنْجَى لأحدٍ منه. وجواب الشَّرط في قوله وإن أَمِروا دلّ عليه قوله «وارِدُو الحوضِ الذي وردوا»، والضمير العائد من الصِّلة إلى الموصول محذوف، كأنه قال: الذي وردوه، لأنّهم استطالوا الاسم بصِلتهِ.

٣١٠ ـ وقالت امرأةٌ أخرى[(١)]: [مشطور المديد]

١ ـ طافَ يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلاكٍ فَهَلَكْ[(٢)]

---

(١) التبريزي: «ويقال إنها لأم تأبط شرًا، ويقال لأم السليك بن السلكة».

(٢) التبريزي: «قال أبو العلاء: هذا الوزن لم يذكره الخليل ولا سعيد بن مسعدة وذكره الزجاج=

٢ ـ لَيتَ شِعرِي ضَلَّةً أيُّ شيءٍ قَتلَك

النَّجاة والنَّجوة: ما ارتفع من الأرض حتَّى لا يصلَ إليه السَّيلُ ولا يبلغَه. قال: [البسيط]

فَمَنْ بنَجْوَتِهِ كمن بعَقْوَتِه والمستكِنُّ كمَنْ يمشِي بقِرواحِ(١)

فجعله هٰهنا مثَلًا لما كان يطلبه مِن وجه الخلاصِ من الآفات. وكأَنَّ هذا المرثيَّ كان استشعر خوفًا من الموت فأخذ يتنقّل في البلاد والبِقاع ويتطلَّب موضعًا يبعِّده من الآفات، فبقي يتردَّد في ذلك ويتحيَّر، فإذا الهلاك قد فاجأه من حيث لا يحتسب ولا يرتقب. وإنَّما نكَّر من هلاكٍ لأنَّه جعلَ كلَّ نوعٍ منه هلاكًا، ولم يَدْرِ ماذا يصيبُه.

وقوله «ليت شِعْري» موضع شعري نصبٌ في معنى عِلمي. ويقال: شَعَرْت شِعْرةً كما يقال فَطَنت فِطنة، إلَّا أنَّه لا يستعمل مع ليت إلَّا وقد حُذِف الهاءُ منه. وقوله «أيُّ شيءٍ قتلك» الجملة كما هي في موضِع نصب، لأنَّها نابَت عن مفعوليه. وخبر ليت مضمَر لا نجده إلَّا كذلك، فهو يُشبِه خبرَ المبتدأ بعد لولا إذا قلت لولا زيد لخرجت، لأن لَخرجتُ جوابُ لولا. وخبر المبتدأ محذوف لا يجيء إلَّا على ذلك. واستغناء ليت بمفعولَيْ شِعري عن خبره، كاستغناء المبتدأ بعد لولا بجوابه عن خبره. و«ضَلّةً»، انتصبَ على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر. وهذا الضَّلال يجوز أن يكون لنفسه فيما استَبهَمَ عليها من حال المتوفى، كأنَّه ضَلَّ عن العلم ضَلَّة، ويجوز أن يكون للمتوفَّى نفسِه، كأنَّه عَدَّ غيبتَه وخفاءَ أمره ضلالًا له، والمعنى: تمنيت أنّي أعلم أيُّ شيءٍ أهلكك، وهذا لضلالي عن معرفة حالِك، وذَهابي عن العلم به. هذا على الأول، وعلى الثَّاني يكون المعنى: ما الذي قتلك حتَّى ضلِلْتَ هذا الضَّلالَ.

فإنْ قيل: خبر ليت كيف يجيء في التَّقدير وإنْ لم يظهر في الاستعمال؟ قلتَ: تقديره ليت شعري واقعٌ أيُّ شيءٍ قتَلَك، أي ليتني علمت أو وقَعَ عِلمي بما يقتضي هذا السُّؤالُ، لأنَّ الذي تمنَّاه هو ما كان جوابَه لا نفسُ السُّؤال.

= وجعله سابعًا للرمل».

(١) لعبيد بن الأبرص في ديوانه ١٥، واللسان (قرح، نجا)، وديوان الأدب ٢: ٧٣، ولأوس بن حجر في ديوانه ١٦، والشعر والشعراء ٢١٤.

٣ ـ أمَرِيضٌ لم تُعَدْ أم عَدُوٌّ خَتَلَكْ[1]

٤ ـ كُلُّ شيءٍ قاتِلٌ حين تَلْقَى أَجَلَكْ

٥ ـ والمنايا رَصَدٌ لِلفَتَى حَيثُ سَلَكْ

٦ ـ أيُّ شيءٍ حَسَنٍ لِفَتًى لَمْ يكُ لَكْ

قوله «أمريض لم تُعَد» هو إعلام منها بأنّه تغيَّبَ فخفي أمرُه فيما أصابه حتَّى لم يبِنْ له أثر، ولا لمرضه نبأ. وهو يجري مجرى البيانِ لقولِها «أيُّ شيءٍ قتلك» فتقول: أمريضٌ كنتَ في غربةٍ ووطنٍ وَحشةٍ، فمتَّ حتْفَ أنفِك لا يعودك مُشفِق، ولا يتفقَّدك ممرِّض، أو اغتالَكَ عدوّ فتوصَّلَ إلى الغِيلة في بابك بإعمال الخَتْل والحِيلة. ويروى: «أو رصيدٌ خَتَلَكْ»، والمعنى: أو خَدَعَك عن حياتك مَنْ كان بالمرصاد لكَ من أعدائك. وقال الخليل: الخَتْلُ: تَخادُعٌ عن غفلة.

وقوله:

كلُّ شيءٍ قاتلٌ حين تَلْقَى أجلَكْ

تريد الإخبارَ عن استواءِ أسباب الموت في الأخذ والظَّفَر، إذا دِنا الأجَل. وأنَّ كلَّ سببٍ ينُوب مَنابَ الآخَر إذا انتهت المُدَّة.

وقوله:

والمنايا رصَدٌ لِلفَتَى حيثُ سلَكْ

تُريد به أنَّ البِقاعَ والتحوُّلَ فيها لا يغني؛ لأنَّ حُكمَ الله تعالى يبحَثُ وينقِّب عن المطلوب حيث كان، فالموتُ رصَدٌ للفتى حيثُ استطرَقَ وأنَّى توجَّه. وبعضهم يرويه: «والمنايا رُصَّد» كأنَّه جَمع الرَّاصد لكون المنايا جمعًا. والأوَّلُ أفصَح وأجود.

وقوله:

أيُّ شيءٍ حسنٍ لفتًى لم يَكُ لَكْ

(١) بعده عند التبريزي:
«أم تَوَلَّى بكَ ما غالَ في الدهرِ السُّلَكْ»

يصفُه ببراعته وتكامُلِ مَحاسنه، واستتمام آلات الرِّياسة فيه، فكأنه لا يُستحسَن من الفِتيانِ شيءٌ خَلقًا ولا خُلقًا إلّا وقد كان حصَلَ له، واجتمع فيه. وقد تقدم القول في حذف النُّون من لم يك.

٧ ـ ساعزِّي النَّفسَ إذْ لم تُجِبْ مَن سَألَكْ
٨ ـ إنَّ أمرًا فادِحًا عَن جوابي شَغَلكْ
٩ ـ طالما قد نِلتَ في غيرِ كدٍّ أمَلَكْ[1]

قوله «سأعزّي النّفس» أي ساصبّرها، إذْ كنتَ مع السّائلين ـ وإن اختلفوا ـ على حَدٍّ واحدٍ في ترك مجاوبتهم، فعَمَمْتَ ولم تَخُصّ. وهذا التعزّي الذي أشار إليه ليس لتَسَلٍّ عن المفقود، ولا لِتَنَاسٍ منه، ولكنّه طِيبُ النّفس بتَشَارُك النّاسِ في إمساكه عن إجابتهم.

وقوله: «إنَّ أمرًا فادِحًا» اكتسب أمرٌ وهو نكرةٌ من النّعت الذي تَبِعه بعضَ الاختصاص، فلذلك صلَح الابتداءُ به حتّى دخل إنّ عليه. ألا ترى أنَّ فائدتَه مع إبهامه كاملةٌ في المراد، والمعنى: إنَّ عظيمًا من الأمور صَرَفَكَ عن رَسْمِك ودأبك في مباسَطَتي ومُباثّتي. ولأنَّ الكلامَ قد يُحمَل على المعنى فيما يُستفاد منه، فكأنّه قال: ما صرَفك وشغَلك عن جوابي إلّا أمرٌ عظيم فادح؛ إذ كانت العادةُ قَدَمَتْ منك في حُسْن التوفُّر عليّ والإقبَالِ، لتَوَجُّه خطابي نحوَك.

وقوله:

طالما قد نلت في غَيرِ كَدٍّ أمَلَكْ

إيذانٌ بأنّه نال من الدُّنيا كثيرًا من إرادته وأمانيه، حينَ هبَّت أرواحُه، وساعدَتْه أيّامُه وحالاتُه، وأنّه طالما كان يتحصَّل له المَبَاغِي بلا كدٍّ لإقبال الدُّنيا عليه، ويتسهَّلُ له المَطَالب لاقتران المناجح بما لديه أو إليه، وفي ذلك بعضُ السَّلّى للجازعين له، والمتوجِّعين لفَنائه.

(١) بعده عند التبريزي:
«ليت قلبي ساعةً صبره عنك ملك
ليت نفسي قُدِّمَتْ للمنايا بدلك»

وقد تقدم القول في لفظةِ طالما وبينت معناه وهجاءه في الكتاب[١].

٣١١ ـ وقال العُجَيْرُ السَّلُولي[٢]: [الطويل]

١ ـ تَرَكْنا أبا الأضياف في لَيلةِ الصَّبَا ... بِمَرّ ومِرْدَى كُلّ خَصْمٍ يُجادِلُهْ[٣]

يُروى «تركنا أبا الحَجْناء» وهو فيما أظنُّه كُنْية المرثيّ. وجعله أبا الأضياف لتوفُّره عليهم، ولأنَّ داره كانت مثواهم. وهم يقولون: فلانٌ أبو مثوايَ، وفي المرأة: أمُّ مثوايَ، لمَنْ قَراهم. وأشار بليلة الصَّبَا إلى ليلةٍ بعينها اتُّفق فيها على هذا الرَّجل بمَرّ، وهو موضعٌ، اجتماعُ الخُصوم حولَه. والمِرْدَى: صخرةٌ يُكسَر بها النَّوى؛ هذا أصله، ثم يقال: فلانٌ مِردَى الخُصوم، أي يُرمَون به فيَكسِرُهم. وقوله «كلّ خَصْم» أراد بالخصم الكثرة، كأنَّه حضَرَه من كلِّ قبيلٍ من مُخالِفِيه مِردًى لهم يجادِلُه عنهم ويجاذبه. وقوله «بمَرّ» منَعَه من الصَّرف لأنه جعله مؤنَّثًا معرفة، ولو ذكَّره لصرفه. والواو من قوله «ومردى كلِّ خصم» واو الحال. والصَّبا. ريحٌ تستقبل القبلة؛ والفعل منهُ صَبَا يصبو. وأضاف الليلة إلى الصَّبا تعريفًا وتخصيصًا، كأنَّه كان للصَّبَا شأنٌ في تلك اللَّيلة.

٢ ـ تركْنا فتًى قَدْ أيقَنَ الجوعُ أنَّه ... إذا ما ثَوَى في أرْحُلِ القومِ قاتِلُهْ

يقول: تركنا في ذلك المكان فتًى كان ربيعًا للفقراء، ومَألَفًا للأضياف. وإذا اشتدّ الزمان وأسْنَت النَّاسُ تيقَّن الجدبُ والقحطُ أنَّه لا يُقارُه، بل يَقتلُه بما يُفيضه على النَّاس من إحسانه، ويَشملُهم من تَفَقُّدِهِ وبرِّه. وقوله «قد أيْقَنَ الجوع» إلى آخر البيت، من صفة الفتى، وفي طريقته قول الآخر: [الوافر]

يُقاتِلُ جُوعَهُمْ بِمكَلَّلاتٍ ... من الفُرْنِيِّ يَرعَبُها الجميلُ[٤]

وقوله: «إذا ما ثَوَى» ظرفٌ لقاتله.

---

(١) انظر الحماسية (٢٨٩).

(٢) العجير السلولي؛ واسمه عمير، وعجير لقبه، ابن عبد الله بن عبيدة بن كعب، من شعراء الدولة الأموية. كان جوادًا كريمًا، عدّه ابن سلام في شعراء الطبقة الخامسة من الإسلاميين (ت نحو ٩٠ هـ/٧٠٨ م). ترجمته في الأغاني ١٣ : ٦٣، دار الكتب العلمية، ومعجم المرزباني ص ٢٣٢.

(٣) التبريزي: «بمروَ ومِردى».

(٤) لأبي خراش الهذليّ في شرح أشعار الهذليين ص ١٢١٤، واللسان (جمل، وفرن)، وللهذليّ في أساس البلاغة (فرن). وفي رواية «تُقابل جوعهم».

٣ ـ فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيفِ لا متَضائلٌ ولا رَهِلٌ لَبَّاتُه وَأَباجِلُهْ

معنى «قُدَّ قَدّ السيف» أنه في مضائه ونفاذِه كالسيف. والقَدّ: القطع طُولًا. ويقال: هو حَسَن القَدِّ، أي التقطيع؛ وهو على قدِّه، أي على قَدرِه. وهو يقتَدُّ الأمورَ بالسيف، إذا دَبَّرها بالسيف. ومعنى لا مُتضائل: لا مُتخاشع. والضُؤولة: الدِّقَّة، يقال: هو ضئيل الجسم. والرَّهِل: المُسترخِي اللَّحمِ من السِّمن. يقال: فَرَسٌ رَهِلُ الصدر. واللَّبَّات: جمع اللَّبَّة، وهو الصدر؛ وجَمَعه على ما حَوْلَه، أو جعَل كلَّ قطعةٍ لَبَّة. والأباجل: جمع أَبجَل، وهو عرقٌ في الساق، والمعنى أنه ليس بكثير اللَّحم على الصدر غليظ الساق. وهم يتمدّحون بالهُزال ويذُمُّون السِّمَن. ويُروى «وبآدِلُه»، وهو ما بين العنُق. والتَّرقُوة. ومعنى البيت: أنه في قدّ السيف ومَضائه، لا يَشينُه تخاضُعٌ، ولا هو سمينٌ مسترخِي اللَّحم على الصدر ولا على ما حولَه. ولا متضائل، ارتفع متضائل على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: لا هو متضائل. ولبَّاته ارتفع بفعله، وفعلُه رَهِلٌ.

٤ ـ إذا جَدَّ عند الجِدّ أرضاكَ جِدُّه وذُو باطِلٍ إن شئتَ ألهاكَ باطِلُهْ

٥ ـ يَسُرُّكَ مظلومًا ويُرضيك ظالمًا وكلُّ الذي حَمَّلتَهُ فهوَ حامِلُهْ[1]

يصفُه بأنه كان مُستَصْلَحًا للهَزلِ والجِدِّ، فإن جَدَّ حَسُن جِدُّه وتناهَى الرِّضا به والاستحسانُ له، وإن هَزَلَ ألهَى هزلُه على اقتصادٍ فيه واستطابة له، لأنه أخذ من مَكارم الأخلاق بأوفر النَّصيب، فهو ينخرِط في كلِّ سِلك، ويدخُل في كلّ شأنٍ وأمر.

وقوله «يسرّك مظلومًا» انتصب مظلومًا على الحال. يقول: إن اهتُضِمتَ انتقَمَ لك من ظالمك، وإن اهتضمت أنت غيرك لم يَبعد عن نُصرتك. وهذا على طريقتهم في قولهم: «انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا». وقوله «وكلُّ الذي حَمّلتَه فهو حاملُه» يصفُه برَحابة الصدر والأخذِ في كلّ ما يُدعَى إليه بالصبر، وأنه يتحمل الأعباءَ الثقيلةَ

(١) روى التبريزي بعده:

إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوّرًا على الحيّ حتى تستقلّ مراجلُهْ

العذوّر: السيّء الخلق.

عن ذَويهِ والمنتسِبين إليه، لا يَضجَر بما يحُلُّ بفِنائه، ولا يتسخَّط أمرًا يُقترحُ عليه، أو يُستَنهَض إليه.

٣١٢ ـ وقال أبو الحَجْناء[1]: [الطويل]

١ ـ أعاذِلَ مَن يُرزأ كَحَجناءَ لا يَزَلْ كئيبًا ويَزهَدْ بَعْدَهُ في العَواقِبِ

يقول: يا عاذِلةُ، مَن يُصَبْ بمثل من أُصِبْتُ بِه يتَّصلِ اكتئابُه، ويَدُمْ زُهدُه في عواقب أطهار النِّساء ومباشرتهنَّ عِلمًا بأنَّ مثل ذلك الولد لا يُعتاض منه. وحَجناءُ: ابنُه. كأنَّ عادلة آذته بتكرير الوَصاة عليه وإدامةِ الوعظ له، وأنَّ ما يأتيه من التفجُّع مُستسرَفٌ ومُستقبَحٌ، لخروجه عن العادات، فأقبل يجيبها ويذكر عُذرَه لها. وقد صرح غيره بهذا المعنى فقال: [الكامل]

أفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بن زُهَيْرٍ ترجو النّساءُ عواقِبَ الأطهارِ[2]

٢ ـ حَبيبًا إلى الفِتيانِ صُحْبَةُ مِثْلِهِ إذَا شانَ أصحابَ الرِّحالِ الحقائبُ[3]

انتصب حَبيبًا على الحال للضمير في قوله «بعده». وصُحبةُ ارتفع على أنَّه قامَ مَقام فاعل حبيبًا. ويروى «حبيبٌ إلى الفِتيان» فيكون خبرًا مقدَّمًا، والمبتدأ صحبة مثله. وجواب إذا ما يدلُّ عليه صدر البيت، كأنه قال: إذا بَخِل أصحابُ الرِّحال بالزاد فشانَهم امتلاءُ حقائبهم وقلَّةُ إنفاقهم منها، ففي ذلك الوقت يَستحِبُّ الفِتيانُ صحبةَ مثلِ ابني حَجناء، لحُسْنِ توفُّره، ورَحابة صدرِه، وكرم صَحابته، وجميل تفقُّدِه لأصحابه. وإنما قال «صحبةُ مثلِه» ولم يقل صحبتُه، إجلالًا له، وصيانةً لاسمه، لا إثباتًا لنظيرٍ له. وعلى هذا قولهم: مِثلُ فلانٍ لا يُوازَى، ومثلُك لا يَفعل كذا. وفي القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١].

٣ ـ نِظَامُ أُناسٍ كان يَجمَعُ شَمْلَهُمْ ويَصْدَعُ عنهم عادِياتِ النَّوائبِ[4]

---

(١) التبريزي: «وقال أبو الحجناء مولى بني أسد» وهو غير أبي الحجناء نصيب الأصغر الذي تقدّمت له الحماسية رقم ٢٩٤.

(٢) للربيع بن زياد العبسيّ في اللسان (مهر، قوا)، وبلا نسبة في اللسان (قعد)، وتهذيب اللغة ١: ٢٠٣.

(٣) التبريزي: «حبيبٌ» على أنه خبر مقدّم، والمبتدأ «صحبة مثله».

(٤) التبريزي: «يجمع بينهم».

يريد أن داره كان مجمعًا لأُناسٍ هو يَنظِم شَمْلهم، ويؤلِّف جمعَهم، فإنْ حَزَبهم من النَّوائب عادياتُها فرَّقها عنهم، وإن حَلَّ بفِنائهم من أثقال الزمان ما يبْهظُهم آساهُم وتحمَّل عنهم. وقوله «عادياتِ» يجوز أن يكون من العَدَاء الظُّلْم؛ يقال: عَدا يعدو عُدُوًّا وعَدَاءً وعُدْوانًا. ويجوز أن يكون من العَدْو، يريد مسرعاتِ النَّوائب وصادماتها. ومعنَى يَصدَع يُفرِّق، ومنه تصدَّعت الأرضُ بفلانٍ، إذا تَغَيَّب فارًّا.

٤ ـ وجَرَّبتُ ما جَرَّبتُ منه فَسَرَّني ولا يَكشِفُ الفِتيانَ غيرُ التَّجارِبِ

يريد أن ينبّه على أنَّ ما وصفه به لا عن تقليدٍ أو شكٍّ والتباس، ولا عن تخمينٍ أو حَدْسٍ وقياس، بل عن تجريب واستكشاف على مرّ الأيام. فيقول: لم أَرضَ منه بعَفْوِ أفعالِه وما يختاره في مقاصِدِه، بل أخَذْتُ أستدرجُه وأتعرَّف غَوْرَ مقالِه وفعاله بالسَّبر والنَّظَر، فلم أرَ إلّا ما سَرَّ وآنَسَ، وزاد في العلم به فأَبهَج. وقوله «ولا يَكشِفُ الفتيانَ غيرُ التَّجارب»، يشبه الالتفات، كأنه أقبَلَ بعد ما خبَّر، على إنسانٍ فقال: إنَّ الفتيان تتشابَهُ ظواهرُ أمورهم، ولم يخبرْك عنهم مثلُ مجرِّب. ولهذا قيل في المثل السائر: [الهزج]

تَرَى الفِتيانَ كالنَّخْلِ وما يُدرِيكَ ما الدَّخْلُ[1]

٥ ـ بَعيدُ الرِّضا لا يبتغي ودَّ مُدبِرٍ ولَا يَتَصَدَّى للضَّغِينَ المُغاضِبِ

قوله «بعيدِ الرِّضا» يريد أنه ليس بسريع الفَيئة إذا سَخِطَ، لكنه يَعْرُك أذى مُجاذِبِه ومجاوِره بجَنْبه، ويصبر ما أمكن، فإذا أظهَرَ النكيرَ، وتلقَّى ما يُزاولُه بالضَّجَر الشديد، لم يُرْضِه أدنى المعاذير فِعْلَ مَن لا حميَّة له ولا عزيمة. وقوله «لا يبتغى وُدَّ مُدْبِرٍ» وَصَفه بأنَّه آخِذٌ بالصُّرْم إذا أُحوِجَ إليه، غيرُ راغبٍ في الزَّاهد فيه. وهذا كما يقال: فلانٌ وَصَّالٌ صَرُوم.

وقولُه «ولا يتصدَّى للضغين المغاضب» معنى يتصدّى أن ينظر إليه نظَرَ غيرِ محتفلٍ به، وكالمعْرِض عنه، حتى يخرجَه ذلك إلى ما يطلبه. يريد أنه لا يتعرَّض لعدوِّه والمضطغن عليه، بل يتركه ينطوي على ما في صدره من غِلٍّ وعداوة، ولا يُخرجه إلى مبادرةٍ ومكاشَفة، بل يجري على المداجاة معه، منتظرًا ما يكون منه،

(١) لابنة الخسّ في لسان العرب (حجا)، ولعثمة بنت مطرود البجلية في الفاخر ص ١٥٦، ومجمع الأمثال ١: ١٣٧.

ومحاذِرًا ما يُتَّقى من جهته. وهذا كما قال الآخر: [المتقارب]

أَفِــرُّ مِــنَ الــشَّــرِّ فــي رِخْــوِهِ[١]

وقد ألَمّ بقول الآخر: [الوافر]

إذا حـارَبْـتَ حـارَبَ مـن تُـعـادِي   وزاد سِـلاحُـه مـنـك اقـتـرابـا[٢]

٦ ـ وكـنـتُ إذا مـا خِـفـتُ أمرًا جَـنَـيْـتُـه   يُخَفِّضُ جَأْشِي ضَبْنُك المتراعِبُ[٣]

يصفه بحُسن المدافعة عن متسبِّب إليه، ومبالَغة النُّصرة لمن أَوَى إلى جَنْبَته، فيقول: إذا خفتُ جريرةً ارتكبتُها ثم لُذْت بفنائك، واعتمدتُ تعصُّبَك، سكَّن من جأشي وأزال قلقي قَبْضُك الواسع، ودَفْعك المحامِي، وذبُّك المبالِغ. وقوله «المتراغب» يُروى بالغين معجمة وبالعَيْن، فإذا روي بالغين معجمةً فهو من الرَّغابة. ويقال: وادٍ رَغيبٌ، وحَوض رغيب، أي واسع؛ ورجلٌ رَغيبُ البطن، أي أَكُول. ومن رَوَى بالعين غير معجمة فهو من قولهم سيل راعِبٌ: يملأ الوادي. ومنه حِسِّيٌّ متراعِب. أي واسعٌ لا يملؤه شيء. ومعنى يخفِّض جأشي يسكِّن نفسي. ويقال: هو رابط الجأش، أي قويُّ النفس؛ وخافِض الجأش، أي ساكنه. والخفض: ضدُّ الرفع. والتخفيض: مَدُّك رأسَ البعير إلى الأرض. والضَّبْث: القبض الشديد، ومنه يقال: ناقةٌ ضَبوثٌ، أي سمينة لا يُشَك في سِمَنِها، كأنّه فعول في معنى مفعولة، أي حيث ضُبِثَ منها باليد مَلأَت الكفُّ لحمًا.

٣١٣ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ إذا مـا امْـرُؤٌ أَثْـنَـى بـآلاءِ مَـيِّـتٍ   فـلا يُـبْـعِـدِ اللهُ الـولِـيـدَ بـنَ أَدْهَـمَـا

٢ ـ فـمـا كـان مِـفْـراحًـا إذا الـخـيـرُ مَـسَّـهُ   ولَا كـانَ مَـنَّـانًـا إذَا هـوَ أَنْـعَـمَـا[٤]

٣ ـ لَعَـمْـرُكَ مـا وَارَى الـتُّـرابُ فَـعـالَهُ   ولـكـنَّـمـا وَارَى ثِـيَـابًـا وأَعْـظُـمَـا

---

(١) لأبي ثمامة بن عارم في الحماسية (١٨٧)، وعجزه:

«فـكـيـف الـفـرار إذا مـا اقـتـربْ»

(٢) لربيعة بن مقروم في الحماسية رقم (١٧٧).

(٣) التبريزي: «المتراغبُ» ويروى «ضبنك المتراغب».

(٤) روى التبريزي بعده:

«ونادى المنادي أولَ الليل باسمه   إذا أحجَر الليل البخيلَ المذمّما»

الآلاء: النِّعَم، واحدها إِلَى. ويعني بها صنائعَهُ ومِنَنَهُ عند الناس. فيقول: إذا ذُكر مُنعَمٌ عليه إحسانَ المنعِم عليه، وأياديَه لديه، فشَكَر ثمَّ تجاوزَ الشكر إلى الثَّناء فأفرط، فلا أَبعَدَ الله هذا الرجل. وهذا الكلامُ وإن كان دعاءً في موضعه الذي استعمل فيه أَبلَغُ من كلّ ثناء، وأَزْيَدُ من كلّ تقريظ وإطراء. ولذلك اقتَصَر عليه ولم يخلِط به غيره.

وقوله «فما كان مِفراحًا إذا الخير مَسَّه» يصفُه بأنه لا يُطْغيه الغِنى فيَكْسِبُه كِبْرًا وبَأْوًا، بل يزدادُ تواضُعًا فيما يناله، وتودُّدًا إلى الناس على اتِّساع حاله، حتى يُشرِكَهم في خيره. وقولُه «ولا كان مَنَّانًا إذا هو أنعما» يصفُه بأنه لا يُكدِّر نِعمةً عند غيرِه بالمنِّ والأذى، بل يتناساها حتى يكون في صورة من لم يُسْدِ ولم يصطنِع.

وقوله «لعمرك ما وارى التُّرابُ فعَاله» يريد أنَّ مكارمَه لم تَمُت بموته، ولم تُدفَن في قبره، بل هي منشورةٌ في النَّاس لا تُنسَى، ومأثورةٌ لا تُلغَى، فهي على مرِّ الأيَّام تزداد جِدَّةً، وعند النَّاس طَرَاءَةً، لأنَّها تُذكَر وتُتلَى، ولأنَّ ما سُيِّر فيه من الشِّعر والمدائح تُقرأ وتُروَى. وقوله «ولكنَّما وارى ثيابًا وأعظُما» الفعل للتُّراب، وهذه إشارةٌ إلى الكفَن ونفس المتَوَفَّى، وفيه من إظهار التوجُّع ما كفَى وأغنى.

٣١٤ ـ وقال أبو الشَّغْب العبسيّ[١]: [الطويل]

في خالد بن عبد الله، وهو أسيرٌ في يدَيْ يوسُفَ بنِ عُمَر:

١ ـ أَلَا إنّ خيرَ النَّاسِ حَيًّا وهالِكًا أسيرُ ثَقِيفٍ عِنْدهُمْ في السَّلاسِلِ

قوله «حَيًّا وهالكًا» يجوز أن ينتصب على الحال والعامل فيه ما دلَّ عليه خير الناس، ويكون الكلام ثناءً على المخبر عنه بخير النَّاس، ويجوز أن ينتصب على التمييز، وحينئذٍ يكون تفصيلًا للنَّاس، كأنَّه قال: إنّ خير الناس من الأحياء والأموات أسيرُ ثَقيف. وقوله «عندهم» يجوز أن يكون في موضع الحال، ومعناه حاضرًا لهم وقريبًا منهم، ويكون العامل فيه ما دلَّ عليه أسير ثَقيف، ويكون فائدة الكلام أنّه كان

(١) أبو الشغب العبسي: اسمه عِكرشة، وهو من شعراء الدولة الأموية. وخالد بن عبد الله القسريّ: كان واليًا على العراق وما يليه من الأهواز وفارس، ويوسف بن عمر: عامل الوليد بن يزيد بن عبد الملك على العراق، وقد دفع الوليد بخالد لعامله يوسف بن عمر فحمله إلى الكوفة وعذّبه حتى قتله وذلك في سنة ١٢٦.

يجوز أن يكون أسيرًا لهم ولم يكن عندهم، فأفاد أنه أسيرُهم وحاصِلٌ بحضرتهم. وكذلك قوله «في السّلاسل» يجوز أن يكون في موضع الحال ويكونَ العامل فيه ما عمل في الظّرف، فيكون تقديره بحضرتهم مقيّدًا، ويجوز أن يكون العامل في عندَهم ما دلّ عليه قوله في السّلاسل من الفعل.

٢ ـ لَعَمْرِي لقد عَمَّرتُم السِّجْنَ خَالِدًا وأوْطَأْتُمُوه وَطْأَةَ المتَثَاقِلِ[1]

هذا الكلام تفظيعٌ للأمر الذي رَكبوه، وإعلامٌ منه بأنّهم أتَوْا قبيحًا من الأمر منكرًا، عمَّ وبالُه النّاس وظهر تأثيرُه فيهم. فهذا فائدة اليمين وجوابُها. وقوله «عمَّرتم» أي أدمتم سَجْنَه وأطلتم حَبْسَه، كأنّهم جعلوا خالدًا للسّجن عُمْرَهُ. والعُمْر: السّنُونَ والحين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ [يونس: الآية ١٦]. وقوله «وأوطأتموه وطأةَ المتثاقِل» يجوز أن يكون وطأة مصدرًا من أوطأتموه وإن لم يكن من لفظه، وهذا كما يُجعَل العطاءُ موضعَ الإعطاء، والجَابَة موضع الإجابة. والمفعول الثاني محذوف، كأنّه قال: أوطأتُموه السّجنَ أو الأرضَ إبطاءَ المتثاقِل، أي أثقلتموه. ويجوز أنْ يريد: أوطأتموه فوطِىءَ وطأة المتثاقل أي يَفعَل فعلَ المتثاقل وإن لم يكن معه تثاقُل، هو يطأ عَقِبَه.

٣١٥ ـ وقال مُهَلْهِلٌ[2]: [الكامل]

١ ـ نُبِّيتُ أنّ النّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ واسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيبُ المجلِسُ

٢ ـ وتَكَلَّمُوا في أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ شاهِدَهُمْ بِهَا لم يَنْبِسُوا

كان كليبُ وائلٍ لا تُوقد معَ نارِه للضِّيفانِ نارٌ في أحمائه، وفيما يَقرُب مِن منازلِهِ وأوطانه، بل يتفرَّد بذلك لا مبارِيَ له ولا مشارِك؛ وكان إذا حَضَرَ مجلسَهُ النّاسُ لا يجسرُ أحدٌ أن يُجاذِبَ غيرَه أو يفاخرَه أو يسابَّه، إعظامًا لقَدْرِه وإجلالًا لشأنِه وأمره، فيقول على وجه التحسُّر: خُبِّرْتُ أنَّ نِيرانَ الضِّيافة بعدَك أُوقِدَتْ لسُقوط

(١) بعده عند التبريزي:

«لقد كان يبني المَكرُماتِ لقومه ويُعطي اللُّهى في كلّ حقّ وباطلِ
فإن تسجنوا القسريَّ لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائلِ»

(٢) المهلهل: عديّ بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني جشم من أبطال العرب في الجاهلية، وهو خال امرىء القيس الشاعر (ت ١٠٠ ق.هـ/ ٥٢٥ م). ترجمته في الشعر والشعراء ٩٠٩، والأغاني ٦: ١١١.

احتشامك، وأنَّ أهلَ المجلس تنازَعُوا الكلامَ بَعدك وتجاذبوه، حتَّى صار بعضُهم يسبُّ البعضَ ويصكُّ في وجهه الكلامَ القبيح، لا رِقْبَة تَردَعُهم، ولا حِشمةَ تدفَعُهم.

وقوله «وتكلّموا في أمرِ كلِّ عظيمةٍ»، يريد أنَّ الكلامَ منهم فيما يَدهَمهم من النُّوب نُهبَى، لأنَّهم صاروا سُدًى لا يَبِين التَّابعُ من المتبوع فيها، ولا الرئيس من المرؤوس، حتَّى صار تدبيرُ العظيمة بينهم فوضَى فَضًا، يتناهبون إدارةَ الكلام في دفعها، ويتجاذبون إجالةَ الرَّأي في رفعها، ولو كنتَ حاضرَهم ما جَسَرُوا أن يتقدَّموا بين يديك بارتجالِ خطاب، أو رَجْعِ جواب. ويقال: كلَّمتُه فما نَبَس، أي لم يتكلَّمْ بحرف، وما سمعتُ للقول نَبْسةً ولا زَجْمة. وقوله «استبَّ» يقتضي اثنين فصاعدًا، وإنَّما نمَّ بِالمجلسِ، لأنَّ المراد به أهلُ المجلس، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢]، وقولِ العرب: بنو فلان يَطؤُهم الطَّريق.

٣١٦ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ لَقَدْ ماتَ بالبَيْضاءِ مِنْ جانِبِ الحِمَى ... فَتًى كان زَينًا للمواكِبِ والشَّرْبِ
٢ ـ تَظَلُّ بَنَاتُ العَمِّ والخالِ حَوْلَهُ ... صَوادِيَ لا يَروَيْنَ بالباردِ العَذْبِ
٣ ـ يَهِلْنَ عَلَيهِ بالأَكُفِّ مِنَ الثَّرَى ... وما مِنْ قِلًى يُحثَى عليه من التُّربِ

الحِمَى: اسمٌ للموضع الذي فيه الماء والكلأُ وقد دُفِع عنه النَّاس. ويقال: أحميت المكانَ، إذا جعلتَه حِمًى. وقوله «بالبيضاء مِن جانب الحِمَى» توقيتٌ للمكان الذي وقع فيه الحادثة، وذلك إعظامٌ لخَطْبِها، وتفظيعٌ لشأنها. وقوله «كانَ زَيْنًا للمواكب والشَّرب» يصفه بالرِّيَاسة، وأنَّه كان يَزين المواكب خَلْفه من حيث يستحقُّ التعظيمَ والتَّقديمَ والاتِّباع؛ لم يَرِثْ ذلك فيهم عن كَلَالةٍ، فهو كما قال الأعشى: [البسيط]

كُلٌّ سَيَرضَى بأن يُلقَى له تَبَعًا[1]

وقوله «والشَّرب» يريد أنَّ مَن نادمَهُ واختلط بأهل مجلسِه زانه ذلك ولم يَشِنْه، لِمَا سُلِّمَ له من الاعتلاء والفَضل، والسَّابقة في الرِّيَاسة والطَّول.

(١) ديوانه ٨٦: وصدره:

«تلقى له سادة الأقوام تابعة»

وقوله «تظلُّ بنات العمّ والخال حوله صوادِيَ» أراد أنَّ غليلَهنَّ وحَمى أكبادِهنَّ لا يزول بالبارد العذب من الماء، إذْ لم يكن ذلك عن عطشٍ، ولكن كان لِمَا اهتاجَ في صدورهنَّ من بوارح التوجُّع، ولواذع الغموم والتفجُّع، حتَّى كُويت أكبادُهن بمواسمها، واحترقتْ أحشاؤهنَّ من لفح نَوَائرها.

وقولُه «يَهلن عليه بالأكفّ من الثّرى» يريد أنَّ النوائح لما هِلْن التُّرابَ عليه لم يَفْعلن ذلك عن بُغض وإهانة، ولكن إظهارًا لما أفضَى إليه أحوالُهنَّ من السقوط في الترابِ والالتزاقِ به، ولِمَا شمِلهنَّ من الصَّغار والابتذال بموته. ويقال: هِلْتُ الترابَ وغيرَه أَهِيلُه هَيْلًا. وفي الحديث: «**أَتَكِيلون أم تَهِيلون؟ قالوا: نَهِيل. قال: فكِيلوا ولا تَهِيلوا**»(١) وحثَوْتُه أحثُوه حَثْوًا. والصَّوادي: العِطاش، والفعل منه صَدِيَ يَصْدَى صَدًى.

٣١٧ ـ وقالت جارية: ماتت أُمُّها فأضرّت بها رَابَّتُها(٢): [الوافر]

١ ـ ولـو يَـأتِـي رَسُـولـي أُمَّ سَـعْـدٍ ... أتـى أُمِّـي ومَـنْ يَـعْـنِـيـهِ حـاجِـي

٢ ـ ولـكِـنْ قـد أتـى مَـنْ بَـيْـنَ وُدِّي ... وبـيْـنَ فُـؤادِهِ غَـلَـقُ الـرِّتَـاجِ

٣ ـ ومَـن لـم يُـؤذِهِ ألَـمٌ بـرَأسِـي ... ومـا الـرِّئْـمَـانُ إلَّا بـالـنِّـتَـاجِ

كأنَّها لما ناكَدَتْها رابَّتُها، ولَجّت في إهانتها والإضرارِ بها، راسلت أباها تُطْلِعه على ما تُقاسي منها، وتستمدُّ التعصُّب لها رجاءَ أن يزجرَها، فلم تَرَ مِن عطفِه عليها ما يُرضيها، ولا مِن إنكاره فيها ما يَردَعُها، فلمَّا استمرت الحالُ بها على طريقةٍ واحدة اقتصَّتْها شاكية فقالت: لو وَرَدتْ رسالتي على والدتي ومَن يُهِمُّه أمري لاقتَضَتْها الشفقةُ الاعتناءَ بشأني، وعطَفَتْها الأمومةُ على ما أقترِحُه من حاجي، ولكن قد وَرَدتْ على من صُرِف ودُّه عنِّي، وحيل بينه وبين الحنُوّ عليّ، فانسدَّت طُرُق الأمل فيه، وأُغلقت أبوابُ الخير مِن جهته، فلا اهتزازَ لمارُبة، ولا انبعاثَ لدفع مَضرَّة، ولا توجُّعَ لشكوَى تظهر، ولا تَرَحُّمَ لبَلْوَى تُذكر. وما ذلك إلَّا لأنَّ علائق الوِداد تستحكم

---

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٨٨ «أن قومًا شكوا إليه سرعة فناء طعامهم، فقال أتكيلون أم تهيلون؟ قالوا: نَهيل. قال: فكيلوا ولا تهيلوا» كلّ شيء أرسلته إرسالًا من طعام أو تراب أو رمل فقد هِلته هَيلًا. يقال: هلتُ الماءَ وأهلته إذا صببته وأرسلته.

(٢) الرابّة: امرأة الأب، التبريزي: «فأضرت بها امرأة أبيها».

بالنِّتَاج، ومعاقدَ الإشفاق تَتوثّق بالوِلادِ، فبهذا انفصلت الأبُوّة عن الأمومة، وضعفت الأسبابُ إلّا عن الرِّضاع والحَضانة.

وقولُه «وما الرئْمان إلا بالنِّتاج» فيه بعضُ ما في المثل السائر، وهو «ابنُكِ مَن دَمَّى عَقِبَيْك»(١). يريد من قمتِ عنه وقد ولدْتِه. وفي المثل الآخر: «ابنُكَ ابنُ بُوحِكَ(٢)» أي الناشىء في باحة دارِكَ. والباحَة: عَرْصة الدار، وجمعها بُوح. والرِّئمان: العَطف، يقال رئمتهُ أرْأمُه رَأمًا ورِئمانًا، ثم يسمَّى الولد رأمًا، وهو المرؤوم. قال أبو ذُؤَيب: [المتقارب]

كعُوذِ المُعَطَّفِ أَحْزَى لها ... بمَصْدَرَةِ الماءِ رَأْمٌ رَذِيُّ(٣)

٣١٨ ـ وقالت أُمّ الصريح الكِنديَّة: [الطويل]

١ ـ هَوَتْ أُمُّهم ماذا بِهِمْ يومَ صُرِّعوا ... بجَيْشانَ مِنْ أسبابِ مَجْدٍ تَصَرَّما(٤)

٢ ـ أَبَوْا أن يَفِرُّوا والقَنا في نُحُورِهم ... ولم يَرتَقُوا مِن خَشْيَةِ الموتِ سُلَّما(٥)

٣ ـ ولو أنَّهمْ فَرُّوا لكانوا أَعِزَّةً ... ولكنْ رأَوْا صبرًا على الموتِ أكْرَما(٦)

قوله «هَوَت أُمُّهم» أي هلكت. والمَهْواةُ والهُوَّة والهاوية والأُهوِيَّةُ والهُوَّاءَة على فُعّالةٍ بمعنًى، وهو ما بين أعلى الجبل أو البئر إلى المستقَرّ. وفي القرآن: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القَارعَة: الآية ٩]، قيل هي اسمٌ لجهنّم، أي هي مأواهم كما تُؤوي الأمُّ الولدَ، وقيل هي من هَوَت أُمُّهم، وهذه اللفظة تُستعمل عند الداهيةِ يُشْرِف عليها الإنسانُ أو يقعُ فيها، وفيها معنى للتعجُّب والاستفهام. على ذلك قوله: [الطويل]

هَوَتْ أُمُّه ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غاديا ... وماذا يؤدّي الليلُ حينَ يؤوبُ(٧)

---

(١) في اللسان «دمي»: «ولدك من دمّى عقبيك».

(٢) في اللسان (بوح): «البوح: الفرج، والمثل: ابنك ابن بُوحكِ يشرب من صَبوحك، قيل: فغناه الفرج، وقيل النفس، ويقال للوطء، وفي التهذيب: ابنُ بوحك أي ابن نفسك لا من يُتبنّى».

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٠١، واللسان (رأم، حزا)، وتهذيب اللغة ٥: ١٧٦.

(٤) جيشان: مخلاف باليمن، وقد وردت الأبيات في معجم البلدان ٢: ٢٠٠.

(٥) التبريزي: «وأن يرتقوا». (٦) التبريزي: «فلو أنهم».

(٧) لكعب بن سعد الغنوي في الأصمعيات ٩٥، واللسان (أمم، هوا)، وسمط اللآلىء ٧٧٣، وجمهرة أشعار العرب ٧٠٣.

وعلى الأوّل قول الآخر: [السريع]

كـنـتَ كـمـن تَـهْـوِي بـه الـهـاويـة[١]

وقيل: هوَت أُمُّهم، معناه أمُّ رؤوسهم هاوية في الهُوّة أو في النار. وتلخيص البيت هَوَت أمُّهم أي شيءٍ تصَرَّم بهم من أسباب المجد يوم صُرِّعوا بجَيْشان، وهو عَلَمُ البقعة اتَّفقت الوقعةُ بهم فيها. وماذا إن شئت جعلتَ ما اسمًا مبتدأً وذا خبره، وإن شئت جعلتَ ما مع ذا اسمًا واحدًا ويكون مبتدأً وتصَرَّم في موضع خبره. وهذا الكلام مخرجه على الاستفظاع والتعجُّب.

وقوله: «أَبَوْا أن يَفرّوا» يصف ثباتَهم في وجه البلاء، وصَبْرَهم على الطِّعان والوِقاع. والواو من قوله «والقَنَا في نُحُورهم» واو الحال؛ أي امتنعوا من الإحجام والنُّكوص فلم يطلُبوا وجهَ المَهْرَب، ولا سلكوا طُرقَ المَخْلص، مع الإمكان والتمكُّن، وتمهُّد المَعذِرة عند الناس فيما يأتونه والتنصُّل، ومع العِلم باستظهار الأعداءِ عليهم، وقُعود العجز عن الوفاء بهم.

ثم قال: «ولو أنهم فرُّوا لكانوا أعزَّة» أي لو تأخّروا وكَفوا لما لحقهم ذُلٌّ فيه ولا غضاضة؛ ولا تَسَلَّطَ على عِزِّهم نقيصةٌ وحَقارة، ولكن وجَدوا الصبرَ على الموت، والاستقتالَ بعد اللّقاء أكرمَ في الأُحدوثة، وأنفى للعار والمَذَمَّةِ.

٣١٩ ـ وقال الحسين بن مُطَيرٍ[٢]: [الطويل]

١ ـ أَلِمّـا عَـلَى مَـعْـنٍ وقُـولَا لِقَـبْـرِه سَقَتْكَ الغـوادِي مَرْبَعًا ثم مَرْبَعَا

٢ ـ فـيـا قَـبْـرَ مَـعْـنٍ أنـت أوّلُ حُـفْـرَةٍ من الأرض خُطَّت للسَّماحَةِ مَضْجَعَا

يخاطب صاحبَين له، يسألهما زيارة قبرِ معن وإبلاغَه عنه أنه مقيمٌ على ما هو دأبه ووُكده من طلب السُّقيا له، فواصَلَ اللهُ ذلك لك من السُّحُب التي تنشأ غُدوَةً، ربيعًا بعد ربيع. والمعنى: دامت النُّضارة والطَّراوة. وإنما خَصَّ الغواديَ لأنّ المرادَ

(١) لعمرو بن ملقط الطائي في اللسان (ثعلب، خبج، هوا)، ونوادر أبي زيد ٦٢، وصدره:
«يـا عـمـرو لـو نـالـتـك أرمـاحـنـا»

(٢) التبريزي: «ابن الأشيم الأسدي»، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وله أماديح في رجالهما. (ت ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م) ترجمته في فوات الوفيات ١: ١٤٤، والأغاني ١٦: ٢٠ (دار الكتب العلمية).

حصولُه له غداةً كلَّ يوم. وقولُه «مَرْبَعًا» يجوز أن يكون ظرفًا، ويجوز أن يكون مفعولًا، ويكون المربع والربيع المطرَ نفسَه. قال الخليل: وقد يسمَّى الوسميُّ ربيعًا. ويكون المعنى: سَقَتْك مطرًا الغوادي بعد مطر. ويجوز أن يكون مصدرًا من قولهم رُبِعَت الأرضُ، إذا أصابَها الرَّبيع، فكأنه قال: رَبَعَتْكَ الغوادي مَرْبَعًا بعد مَرْبَعٍ، أي سقتك الغوادِي سقيًا بعد سقي.

وقوله:

فيا قبر معنٍ أنت أوّلُ حفرةٍ

يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مثلَ قول الآخر[1]: [الطويل]

كأن لم يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ ولم تَقُمْ   على أحَدٍ إلّا عليكَ النوائحُ

ويكون الكلام تفظيعًا للحال، وتنبيهًا على أنّ ما وقع لم تجرِ العادةُ بمثله، فهو مُستبدَعٌ لِعِظَم موقعِه في النُّفوس، حتى كأنّه لم يُرَ قبرٌ قبلَه دُفِن فيه كريم. والآخر أن يكون المعنى: أنتَ أول حَفيرة استُحدِثَتْ لتُوارَى فيها السَّماحة والسَّخاء والمروءة، فتصيرَ مضجعًا لها، ويكون المعنى أنَّ السَّماحةَ ماتت بموتِ مَعْنٍ ودفنتْ بدفنه، وأنت أوّلُ خُطَّةٍ اختُطَّت للسَّماحة نفسِها. وقوله «مضجعًا» انتصَبَ على الحال.

٣ ـ ويا قَبْرَ مَعْنٍ كيف وارَيْتَ جُودَهُ   وقد كان منه البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعَا

٤ ـ بَلَى قد وَسِعْتَ الجُودَ والجُودُ مَيِّتٌ   ولو كان حَيًّا ضِقْتَ حتى تَصَدَّعَا

كرَّرَ مناداةَ القبر توجُّعًا وتحسُّرًا، ثم أخذ يتعجَّب ويقول مُنكرًا: كيف سَتَرتَ جوده، وقد كان مِلْئًا للبرّ والبحر معًا. وفي طريقته قولُ الآخَر: [الكامل]

عَجَبًا لأربعِ أذرُعٍ في خَمْسَةٍ   في جوفها جَبَلٌ أشَمُّ كَبيرُ[2]

فإن قيل: لم قال مُتْرَعًا فوَحَّدَ والإخبار عن البرّ والبحر جميعًا؟ قلتَ: يجوز أن يكون إنما وَحّد لأنّه نَوَى التَّقديم والتأخير، كأنه قال: وقد كان منه البَرُّ مُترعًا والبحر، أي والبحر أيضًا مُترع، فيرتفع البحرُ بالابتداء، واكتفى بالإخبار عن الأوّل إذ

(١) لأشجع السلمي في الحماسية رقم (٢٨٠).
(٢) البيت السابع من الحماسية (٣٢٧) لعبد الله بن أيوب التيمي.

كان المعطوف كالمعطوف عليه. ومثله: [الطويل]

فــإنِّــي وَقَــيَّــارًا لــغــريـــبُ[١]

يريد: إنّي لغريبٌ بها وقيار أيضًا غريب، وهو اسم فرسِه. ويجوز أن يكون لمّا علم أنّ المعطوفَ حكمُه حكم المعطوف عليه اكتفى بالإخبار عن أحدهما، ثِقَةً بأنّ الثّاني عُلِم أنّه في حكمه. ومثله: [الطويل]

رَمانِي بأمرٍ كنتُ منه ووالدي بريئًا ومن أجْلِ الطَّوِيّ رَماني[٢]

بَلَى قد وسعتَ الجود والجود ميت

بلى جوابُ استفهام مقرونٍ بنَفى نحو قولك ألَمْ، أليس، وما أشبههما. وهذا الشّاعر لما قال متعجِّبًا من مخاطبة القبر ومُنكِرًا: كيف واريتَ جودَه على كثرته ووفورِه، وشموله لأقطار البرّ والبحر، صار بما اعتَبر وشاهدَ من الحال كأنَّ القبرَ قال له: ألم أسَعْهُ، ألم أوارِه، ألم أتضمَّنه على ما به؟ فقال مصدِّقًا له، ومتلهِّفًا: بلى قد وسعتَه واشتملتَ عليه وهو ميّت، ولو كان حَيًّا لضِقْتَ عنه حتى تنقطع وتنشق، والصَّدع: الشّقُّ في الشيءِ الصُّلب. وصدَعْتُ الفَلاةَ والنَّهرَ قَطَعتُهما.

٥ ـ فَتًى عِيشَ في مَعرُوفِه بَعْدَ مَوْتِهِ كما كان بَعدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتعا

٦ ـ ولما مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجودُ فانقضى وأَصْبَحَ عِرْنينُ المَكَارِمِ أجْدَعَا

قوله «فتًى عِيشَ في معروفه» موضعه نصبٌ على المدح والاختصاص، والعامل فيه فعلٌ مضمَر، كأنّه قال: أذْكُرُ فتًى هذا صفته. ويجوز أن يكون موضعه رفعًا على الاستئناف، ويكون خبر مبتدأ محذوف، كأنّه قال: هو فتًى، أو مَن أؤبِّنه فتًى، وقوله «عِيش في معروفه بعد موته» يجوز أن يكون أراد مَن استغنَى به وبمعروفه من المتَّصلين به، والمنقطعين إليه، والراجين له. ويجوز أن يكون أراد من عاش من وُقوفه وحبائِسِه بعدَه، ويجوز أن يريد أنّه علَّمَ النّاسَ الجودَ والكرم، فمِن مُقتدٍ به آخِذٍ أَخْذَهُ، ومُستَنٍّ بسُنَّته سَلك مسلكه، فما يفعله هؤلاءِ صار كأنّه هو الفاعل له. ثمّ شبّهه

(١) هذا عجز بيت لضابىء البرجمي في الأصمعيات ١٨٤، وخزانة الأدب ٩: ٣٢٦، والدرر ٦: ١٨٢، والشعر والشعراء ٣٥٨، وصدره:

«فمن يكُ أمسى بالمدينة رحلُهُ»

(٢) لعمرو بن أحمر في ديوانه ١٨٧، والدرر ٢: ٦٢، وله أو للأزرق بن طرفة بن العمّرد الفراصي في اللسان (جول).

بالغيث يصوبُ فيُحيي العبادَ ثم يعيشُ النّاسُ في آثاره بَعد انقطاعهِ ومُضيِّه. وقوله «كما كان بعد السَّيل مجراه» ارتفع مجراه بكان، وكان الحكمُ أن يَلِيَهُ فلم يَسُغْ لأنَّ الضمير فيه يرجع إلى السَّيل وقد تَقَدَّم عليه، والإضمار قبل الذِّكر أو ما يجري مجراه لا يجوز، فامتنع ردُّه إلى رتبته من وَلْيِ العاملِ له، لشيء يرجع إلى الضمير المتَّصل به لا لشيءٍ يرجع إليه. وتلخيص الكلام: كما كان مَجرى السيل مرتعًا بعده.

وقوله «ولَمَّا مَضى مَعنٌ» لَمّا يجيء لوقوع الشيء لوقوع غيرِه، وهو علَمٌ للظَّرف. فيقول: حينَ مضى مَعْنٌ لسبيله وانقطعت حياتُه، فُقِد الجود وانمحت آثاره، فأصبحت المكارم ذليلةً إذْ مات من يَرُبُّها ويَغمُرها، كمن جُدِع أنفُه مُثْلةً وعقوبة، وإرغامًا وإهانة. ويقال في المثل: «مِنّي أنفي وإن كان أجدَع». والعِرْنين: ما ارتفعَ من الأنف والأرض، وأوائلُ الشيء، وأشراف القومِ وسادتُهم، وكما ضُرب المثل بجَدْع الأنف في الإذلال، ضُرِب بصلم الأذن فيه لذلك. قال: [الطويل]

فَـمَـشُّـوا بـآذان الـنَّـعـامِ الـمُـصَـلَّـمِ(١)

٣٢٠ ـ وقال آخر: [الكامل]

١ ـ مـا ذا أَجَـالَ وثـيـرةُ بـن سِـمَـاكِ ... مـن دَمْـعِ بـاكـيـةٍ عـلـيـه وبـاكِ(٢)

٢ ـ ذَهَـبَ الـذي كـانـت مُـعَـلَّـقَـةً بـه ... حَـدَقُ الـعُـنـاةِ وأنـفُـسُ الـهُـلَّاكِ

يقول على وجه التعجُّب وإكبارِ الأمر: أيُّ دمع أراقه وثيرةُ بن سِمَاكٍ من عَينٍ باكية عليه وباكٍ. يريد أنَّ المصيبةَ به أثَّرت في جماهير النَّاس وطوائفِ الخَلْق، وأنَّهم لم يملكوا فيما دَهِمهم إلَّا البكاءَ إطفاءً لنار الوجد، وإراحةً من تعب القلب، وماذا يُغني العَويل، وهو الرَّاحةُ المطلوبةُ من البكاء إذا حَقَّت الحقيقةُ، إلَّا زيادةً في اللَّوعة وإنجاذً للمصيبة. وقد تقدم القول في ماذا، وشرَحْنا أمره(٣).

وقوله: «ذهب الذي كانت معلَّقةً به» يريد أنه كان يَفُك الأَسْراء، ويُنعش الفقراء، حتَّى أن مَن ابتُلي بأسرٍ، أو رُمِيَ بفقر، فإنَّه لم يُعَدَّ لفكِّهِ ولم يُرْجَ لجبرِه

---

(١) لكبشة أخت عمرو بن معديكرب في الحماسية رقم ٥٢، وصدره:
«فإن أنتم لم تثأروا واتَّديتم»

(٢) التبريزي: «قال أبو العلاء: يروى (وثيرة) بالثاء، وهو من قولهم فراشٌ وثيرٌ».

(٣) انظر الحماسية رقم (٢٧٠).

غيرُه، فأعْيُنُهم كانت ممتدَّةً إليه، وآمالُهم كانت معلَّقةً به، وإذْ قد مَضى لسبيله، وانتقل إلى جوارِ من هو أحقُّ به، فقد استَبْدَلوا بالطمع خيبةً، ومن التعزُّز ذِلَّة، وبَقُوا في ملَكةِ مِحَنِهم لا انفكاك لهم منها، ولا ارتياشَ من سقطاتها.

٣٢١ ـ وقال أشجعُ بن عَمرِو السُّلَميُّ[(١)]: [السريع]

١ ـ أَنعَى فَتَى الجُودِ إلى الجُودِ ... ما مِثْلُ مَن أنعَى بموجودِ

٢ ـ أَنعَى فتَى مَصَّ الثَّرى بَعْدَهُ ... بقيَّةَ الماءِ من العُودِ[(٢)]

قولُه «أنعى فتى الجود» إنما أضافه إلى الجود إيذانًا بأن الجودَ كان يمتلكه فهو فَتاه. أو يريد أنّ الجود كان يتبجَّح بكَوْنِ هذا الرَّجلِ من أسرته وأصحابه، لأنه كان يتَفَتَّى في الجود؛ وهذا كما يقال: فلانٌ فَتَى الحرب، وكما قيل: «لا فَتَى إلا عليٌّ في الوَغَى». فيقول: إنَّه الآن وقد مضى لسبيله فإنّي أنعاه إليه، لتَتَشارك في فَقده والجزعِ عليه. ثم قال: «ما مثل من أنعَى بموجود»، وهذا يشبهُ الالتفات، كأنه أقبلَ على إنسانٍ فقال: أذكرُ موتَ مَن كان معدومَ النَّظير، قليلَ الشبيه، فلا الجود يجدُ من يخلُفُه ويُعلي ذكرَه، ويقوم بأوده فيقيمُه فيقال هو فتى الجود، ولا نحن نعتاضُ منه مَن يَجمعُ شملنا، ويَجبُر كَسْرنا، ويسدُّ مَفاقِرَنا إذا أضرَّ الزمان بنا.

وقولُه «أنعى فتَى مَصَّ الثَّرى بعده»، يريد: تغيَّرت الأرض عما كانت عليه، فيبِست أشجارُها واغبرَّت ساحاتها بموت هذا المرثيّ، فالدُّنيا مُدْبرة، والأقطار مُقشعِرّة، والبؤس للبَئِيس مُعانِق، والخير بتوابعه من النَّدى والتطوُّل والخِصْب والترطُّب مُفارِق.

٣٢٢ ـ وقال عبدُ الله بن الزُّبيرِ الأسديّ[(٣)]: [الوافر]

١ ـ رَمَى الحَدَثانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ ... بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودَا

---

(١) التبريزي: «ابن محمد بن منصور بن زياد». وقد نسب الجاحظ في البيان والتبيين الشعر إلى أبي الشيص.

(٢) روى التبريزي بعده:

«وانثلم المجدُ به ثلمةً ... جانبُها ليس بمسدودِ

فالآن تُخشى عثراتُ الندى ... وصَولةُ البخلِ على الجودِ»

(٣) عبد الله بن الزُّبير: من شعراء الدولة الأموية والمتعصبين لها، كوفيّ المنشأ والمنزل، وكان هجّاءً يخاف الناس شرّه. (ت نحو ٧٥ هـ/ ٦٩٥ م). ترجمته في الأغاني ١٤: ٢١٥ (دار=

٢ ـ فـرَدَّ شُـعـورَهُـنَّ الـسُّـودَ بِـيـضًـا   ورَدَّ وُجـوهـهـنَّ الـبِـيـضَ سُـودَا(١)

السُّمود: الغَفلة عن الشَّيء وذَهابُ القلب عنه. ويقال للمأخوذ عن الشَّيء: اترُكْ سُمودَك. وفي القرآن: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ [النجم: الآية ٦١]، أي ساهون لاهون. وقوله «رَمَى الحَدَثانُ نِسوَةَ آلِ حرب بمقدارٍ» فيه ما يجري مجرى القَلْب، لأنَّه لو قال رمى المقدار نسوةَ آل حَرْبٍ بحَدَثانٍ، لكان أقربَ في المعتاد، وأَجْرَى على طريق الدِّين. فيقول: جَرَّ المقاديرُ على نسوةِ آل حَرْبٍ نَوْبَةً من نوائب الدهرِ أثَّرَتْ في عقولهنّ، حتى غَفَلن عن أسباب الدِّين والدُّنيا كلِّها، وحتى شيَّبَتهنَّ ولَفَحَت وجوهَهنَّ، فردَّت السُّودَ من شعورهنّ بيضًا، والبيضَ من وجوههن سُودًا.

وهذا كما حُكي عن العُريان بن الهيثم(٢)، لمَّا سأله عبدُ الملك عن حاله، فقال: «ابيضَّ منِّي ما كنتُ أَحِبُّ أن يسوَدَّ، واسوَدَّ مني ما كنت أحبُّ أن يبيضَّ» في كلامٍ طويل. ثم قال: [الطويل]

وكنتُ شَبابي أَبيضَ اللَّونِ زاهرًا   فصرتُ بُعَيْدَ الشَّيبِ أَسْوَدَ حالكا

٣٢٣ ـ وقال مُسْلِمُ بن الوليدِ(٣) وماتت امرأتُه: [الطويل]

١ ـ حَـنِـيـنٌ ويَـأسٌ كـيـف يَـجـتَـمِـعـانِ   مَقِيلاهُما في القَلْبِ مُخْتَلِفانِ(٤)

٢ ـ غَـدَتْ والـثَّـرَى أَوْلَى بـهـا مِـن وَلِيِّـهـا   إلـى مَـنـزِلٍ نـاءٍ لِعَـيْـنِـكَ دَانِ

٣ ـ فلا وجْدَ حتَّى تَنزِفَ العينُ ماءَها   وتَـعـتـرِفَ الأحـشـاءُ لِلْخَـفَـقـانِ

هذا الكلام شَكْوٌ من حالهِ فيمن أُصيب به، فيقول: اليأس حاصلٌ منها إذ كان غائبُ الموتِ لا إيابَ له، والشَّوقُ إليها غالبٌ حتى كأنِّي ما فقدتُها؛ فيا عجبًا كيف اجتمَعَ مع اليأس رجاءٌ مع اختلاف مقرِّهما في القلب، ومع تَنافيهما عند

= الكتب العلمية) ومعاهد التنصيص ٢: ١٠٨، والخزانة ١: ٢٤٥.

(١) روى بعده التبريزي:

«فـإنـك لـو رأيـت بـكـاءَ هـنـدٍ   ورمـلـةَ إذ تـصـكّـانِ الـخـدودا
سـمـعـتَ بـكـاءَ بـاكـيـةٍ وبـاكٍ   أبـان الـدهـرُ واحـدَهـا الـفـقـيـدا»

(٢) في البيان ١: ٣٣٩: أنه الهيثم بن الأسود بن العريان.

(٣) مسلم بن الوليد الأنصاري: شاعر غزلٌ، وهو أول من أكثر البديع وتبعه الشعراء فيه وهو من أهل الكوفة. (ت ٢٠٨ هـ/ ٨٢٣ م). ترجمته في النجوم الزاهرة ٢: ١٨٦، وتاريخ بغداد ١٣: ٩٦، والشعر والشعراء ٣٣٩.

(٤) التبريزي: «كيف يتّفقان».

التحصيل والكَشف، وهل يكونُ الإنسان فيما اعتِيدَ وعُرِف من أحوال الأزمان مُبْتَلى بأسباب الخيبة من الشَّيء، ومتردِّدًا معها بين علائق الطمع فيه، والمَقيلُ الموضع من قِلتُ. وفي القرآن: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفُرقان: الآية ٢٤].

وقوله «غَدَتْ والثَّرى أَولَى بها من وليِّها» تحسُّر، فيقول: ابتكرَتْ وهي في مَلَكة التُّراب دون ملكة وليِّها، فالثَّرى صار أولى بها. والانتقالُ من بين الأحْياء إلى الأموات أحقُّ وأوجبُ في أمرها. وقوله «إلى منزل ناءٍ لعينك دانِ» مثلُ قول الآخر: [الطويل]

...... أمَّا جِوَارُهم فدانٍ وأمَّا الملتقَى فبعيدُ[1]

وقد أَلَمَّ في قوله «غَدَتْ والثَّرى أولَى بها» بقول الآخر: [الكامل]

صلَّى الإلهُ عليكِ مِن مَفْقودَةٍ إذْ لا يلائمُكِ المكانُ البَلْقَعُ[2]

وقوله «فلا وجدَ حتى تَنزِف العينُ ماءها» يريد به: لا وجد يُعتَدُّ به إذا ذُكِر الهلَع على مثله حتى تستنفدَ العينُ دمعَها، لاتِّصال البكاء بها، وحتى تستمرَّ الأحشاءُ في خفَقان القلب فتذلَّ له وتصبرَ عليه، حتى يصير عادةً وسجيَّةً ويقال: عَرَفَ فلانٌ لكذا واعتَرف له، إذا صَبَر فيه واعتاده. على ذلك قوله: [الطويل]

علَى عارِفاتٍ لِلّقاء عَوَابِسِ[3]

ويقال: نَزَفتُ البئرَ وأَنْزَفتُها جميعًا، قال العجّاج: [الرجز]

وأنزَفَ العَبْرَةَ من لَاقَى العِبَر[4]

وفي المثل «أجْبَنُ من المنزوفِ ضَرْطًا»[5].

---

(١) البيت الثالث من الحماسية رقم (٢٩٧) لعبد الله بن ثعلبة الحنفي، وأوّله:
«هم جيرة الأحياء»
(٢) البيت الثالث من الحماسية رقم (٣٠٥) لمويلك المزموم.
(٣) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤٣، ومقاييس اللغة ٤: ٢٨٢، وعجزه:
«بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالبِ»
(٤) للعجاج في ديوانه ١: ١٠، واللسان (وقر، نزف، أون)، وتهذيب اللغة ١٥: ٥٤٦.
(٥) في اللسان (نزف): «في المثل: فلان أجبن من المنزوف ضَرطًا وأجبن من المنزوف خَضفًا؛ وذلك أن رجلًا فزع فضرط حتى مات. وقال اللمياني: هو رجل كان يدّعي الشجاعة فلما رأى=

وقوله «لا وَجْدَ» خبرهُ محذوف، كأنّه قال: لا وجد حاصلٌ أو موجود. والخفقانُ في القلبِ والجناح: الاضطراب، ومنه خَفْقُ البُنُودِ والأعلام، حتَّى سُمِّي الأعْلَامُ خوافِقَ. قال: [الطويل]

لقد تركتْ عَفراءُ قلبي كأنَّه جَناحُ عُقابٍ دائمُ الخفَقانِ[1]

٣٢٤ ـ وقال مُسْلِمٌ أيضًا: [الكامل]

١ ـ قَبْرٌ بحُلْوَانَ استَسَرَّ ضَرِيحُه خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَه الأَخْطَارُ

٢ ـ نُفِضَتْ بِكَ الأحْلاسُ نَفْضَ إقامةٍ واسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَها الأمْصَارُ

قوله «استسرّ» بمعنى أسَرَّ، ومثله استعجب بمعنى عَجِبَ. وأكثر ما تَرَى استسرّ يكون في معنى استَخفَى وتوارَى. على ذلك قولهم في آخِر الشهر استَسرَّ القمرُ ليلةً أو ليلتين، فهو من السَّرَار، وهو آخِرُ يومٍ في الشَّهر، والخَطَر: ارتفاع المكانةِ والحالِ في الشَّرف، ثم يقال في الشَّريف: هو عظيم الخَطَر. والضَّريح، أصله القَبر يُشَقّ وسطُه ولا يُلحَد. وارتفع «قبر» بالابتداءِ لأنّه بصفته وهو بحلوان قَرُبَ من المعارف؛ واستَسَرَّ في موضع الخبر. والمعنى: قبْر بهذا المكان اشتَمَلَ جوفُه على عظيمٍ من العظماء، رفيعِ المكانةِ جليلِ الخطر، يتقاصر عنه كلُّ عظيمٍ جليل. وقوله «خطَرا» أراد ذا خطر، فحذَف المضاف، وكذلك الأخطار، أراد ذَوُو الأخطار. وقوله «تقاصَرُ» يجوز أن يكون من القصور: العجزِ، أي تعجِزُ أن تبلغ مَحَلّه الأخطار. ويجوز أن يكون ضدَّ تطاوَل فيكون من القِصَر.

وقوله «نُفِضتْ بك الأحلاسُ نَفْضَ إقامَةٍ» يريد أنّ العُفاة قَعَدوا عن الاجتداء بعد موتِكَ يأسًا ممن يُطمَع فيه، أو يُرْجَى خيرُه، فَنَفَضوا أحلاسَ رواحِلِهم نَفْضَ مَن يقيم في بلاده ويطَّرِح التَّرحال. وقوله «استرجَعَتْ نُزَّاعَها الأمصارُ» معناه أنّ مَن كان على بابه انصرفوا إلى أوطانهم نافضين أيديَهم ممَّن يتعطَّف عليهم، أو يصطنعُهم وينظُر لهم، فكأنّهم كانوا ودائعَ الأمصار عندهُ مدَّةَ مُقامِهِم ببابه فارتجَعَتْهُم. والنُّزَّاع: جمع نازِع، وهو البعيد والغريب جميعًا، وكذلك النَّزيع والجميع النزائع. ويجوز أن يكون

= الخيل جعل يفعل حتى مات هكذا، قال: يفعل يعني يضرط، والمنزوف: السكران المنزوف العقل».

(١) لعروة بن حزام في ديوانه ٨٩، وتاج العروس (خفق)، وبلا نسبة في مجمل اللغة ٢: ٢٠٤.

مِن نَزَعْتُ إليه نِزَاعًا، أي حَنَنْت. فيقول: المقيمُ في موضِعه رَفَضَ التَّرحالَ، والمسافر عاد إلى مَقَرِّه يأسًا مِن كَسب المال.

٣ ـ فاذهبْ كما ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَى عليها السَّهلُ والأوْعَارُ

٤ ـ سَلَكَتْ بِكَ العَرَبُ السَّبِيلَ إلى العُلَى حَتَّى إذا سَبَقَ الردَى بِكَ حارُوا

يقول: اذهب لوَجْهِك وآلاؤك منشورةٌ، وصنائعُك محمودةٌ مشكورة، وآثارك كآثار السُّحبِ وقد أغاثت النَّاسَ بأمطارها، فإذا أَقْلَعَتْ تَرَى أهلَ السهلِ والوَعر يُثْنون عليها. والغوادي: السَّحابات التي تَنشأ غُدْوَةً، وكأنَّه أراد أَقطاعًا منها، وأضافها إلى المُزْنة لأنَّها منها تجمَّعت فكَمَلَتْ مُزنةً. ويجوز أن يكون المراد بالغوادي أمطارًا تَصُوب غدوةً، وأضافها إلى المزنة.

وقوله «سلكت بك العَربُ السَّبيلَ إلى العلى» يريد أنَّك هادِي العربِ ودليلُهم في اكتساب المعالي وابتناءِ المكارم، فأنت قائدهم وهم يَطَؤون عَقِبَك، ويقْتَدُون بكَ، حتَّى إذا فقدوا إرشادَكَ تحيَّروا فلم يَهتدوا، وضَلُّوا فلم يَرشُدوا. ومعنى «سَبَقَ الرَّدَى بك» كأنَّهم كانوا يتشبَّثون به ويَلزَمونه حافظين بقاءَهُ فجاء الرَّدَى يطلبُه ويختاره، فانتهزَ الفُرصةَ في السَّبق به واجتذابِه من أيديهم، والفوز به من دونهم. ومفعول سَبَقَ محذوف، كأنَّه قال سبقَهم الرَّدَى بك.

٣٢٥ ـ وقال حَنَشٌ[١] في يعقوبَ بنِ داود: [الكامل]

١ ـ يعقوبُ لا تَبْعَدْ وجُنِّبْتَ الرَّدَى فَلَنَبْكِيَنَّ زَمَانَكَ الرَّطْبَ الثَّرَى

٢ ـ وَلَئِنْ تَعَهَّدَكَ البلاءُ بنفسه فلقِيتَهُ إنَّ الكريمَ لَيُبْتَلَى

لم يَرضَ بالجري على عادة النَّاس في قولهم عند المصاب: لا تَبْعَدْ، حتَّى زاد عليه «وجُنِّبتَ الرَّدَى» ليكون الكلامُ أدلَّ على التوجُّع، وأوفَى بالتَّنبيه على حاجة النَّاسِ إلى بقاء المتوفَّى. وقوله «فلَنبكِيَنَّ زمانَك الرَّطبَ الثَّرَى» يشير فيه إلى إحسانه الصَّافي، ومعروفِه الواسع الوافي، وأنَّه كان للناس كالحَيَا يُحيِي الأرضَ وسُكَّانَها، فكانَ ثَرى

(١) التبريزي: «الهلاليّ، قال دعبل: اسمه خُضير بن قيس النميري بصريّ، كان يحفظ القرآن وعاش مائة سنة، وصحب يعقوب وزير المهدي، فلما حبسه المهدي ونال منه ما نال قال هذا الشعر».

الأرضِ به رطْبًا، وزمانُه خِصبًا. وفيه إلمام بقوله: [الكامل]

اذهَبْ كما ذهبَتْ غوادِي مُزْنَةٍ[١]

وقوله «ولئن تعهَّدَك البلاءُ بنفسه» أفاد قوله «بنفسه» إكبارَ الأمرِ وتفظيعَ الشَّانِ في موته وفِقْدانه، كأنَّ البلاءَ لم يرضَ في الذَّهابِ به بأن يعتمِد على نائِبيهِ ورسُلِه، بل جاءه بنفسه. وقوله «إنّ الكريمَ ليبتلى» تَسْلِيَة. ومعنى «تعهَّدَك» أي نَظَر هل أنتَ على ما عَهِدَك ليَرى فيك رأيَه. وفي الكلام إلمامٌ بقول الآخر: [الطويل]

أرى الموتَ يَعتامُ الكِرامَ ويَصطفِي عَقِيلَة مالِ الفاحِشِ المتشدِّدِ[٢]

ويعني بالبلاء الموتَ، وقد يكون في غير هذا الموضِع النِّعمةَ والاختبار. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٤]، أي يَمتحِن. وقوله «لئن» اللام موطِّئة للقسم، وهو مضمر وجوابه «إنَّ الكريمَ ليبتلى».

٣ ـ وأرى رجالًا يَنْهَسُونَكَ بَعْدَما أغْنَيْتَهُمْ مِن فاقةٍ كلَّ الغِنَى

٤ ـ لو أنّ خَيْرَك كان شرًّا كُلُّهُ عِنْدَ الّذِينَ عَدَوْا عليكَ لَمَا عَدَا

معنى ينهسونك يغتابونك، وأصل النَّهس في العظْم إذا عُرِقَ ما عليه من اللَّحم. وانتصب «كلَّ الغِنى» على المصدر، ووضع الغنى موضع الإغناء على عادتِهم في وضع الاسم موضعَ المصدر. والمعنى: أرى مَن أحسنتَ إليه وأنعشتَه وبعد الفاقةِ أغنيتَه، يتنقَّصك ويغتابُك، سوءَ محافَظةٍ منهم، ولدناءةِ أصلهم ولؤمِ عِرقهم.

ثم قال: لو أنّ خيرك عندهم كان كلُّه شرًّا لما جاوز فعلُهم بك، ومكافأتُهم لك، ما نراه. ومعنى «عَدَوْا عليك» ظلموك. ومعنى «لَمَّا عدا» لَمَا جاوز ويقال: عدا عليه عَدْوا وعُدُوًّا وعَدَاءً وعُدْوانا. وارتفَع «كلُّه» على التوكيد للمضمر في كان، ويجوز أن يكون اسم كان. وفي قوله «لَمَا عدا» ضمير للشرّ، ومفعوله محذوف، كأنه قال: لَمَا جاوز الشَّرُّ، أي جزاءُ الشَّرّ، ما يأتونَه في نقيصتك والوضعِ منك. والكلام تحسُّرٌ وتَشَكٍّ من متحمّلي صنائع المفقود، وذمٌّ للدّهرِ وأهله.

---

(١) البيت الثالث من الحماسية رقم (٣٢٤)، لمسلم بن الوليد، وعجزه:
«أثنى عليها السهلُ والأوعارُ»

(٢) لطرفة بن العبد في معلقته.

٣٢٦ ـ وقالت صَفِيَّةُ الباهليَّة[١]: [البسيط]

١ ـ كُنَّا كغُصْنَيْنِ في جُرْثُومةٍ سَمَقَا حِينًا بأحْسَنِ ما تَسْمُو له الشَّجَرُ
٢ ـ حَتَّى إذا قيلَ قد طالَت فُروعُهما فطابَ فَيْئَاهُما واستُنْظِرَ الثَّمَرُ

قوله «سمقا» أي طالا في كمال. والجُرثومة: الأصل فيقول: كنا كفَنَنَيْنِ خَرجا من أصلٍ واحد فنَميا وطالا، واستكملا زمانًا، وبقيا يزدادانِ على أحسنِ ما تزداد له الأشجار، حتَّى إذا فَرَعا، وآتتْ أغصانُهما وبَرَعا، وكثر ورقُهما، واستُطيب ظلُّهما، وصارا يُنتظر ثمرهما، وقَفَ الأمرُ بهما دونَ الغاية المرجوَّةِ فيهما، ودُعِيَ أحدهما مقدَّما على الآخر للمحتوم لهما. والفَرع من كلِّ شيءٍ: ما تفرَّع منه في أعلاه. الفيء من الظِّلِّ: ما فاءَ من جانبٍ إلى جانب. ومعنى استُنظِر انتُظِر. ورواه بعضهم: «واستُنضِر الثَّمر»، أي وجد ناضرًا غضًّا. والأوَّل أحسن.

٣ ـ أَخْنَى عَلَى واحدٍ رَيْبُ الزَّمَانِ وما يُبْقِي الزَّمانُ على شيءٍ وما يَذَرُ
٤ ـ كُنَّا كأنْجُمِ ليلٍ بينها قمرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِن بَيْنِها القَمرُ

قوله «أخنى» جواب إذا من قوله «حتى إذا قيل قد طالت فروعهما»، وقوله «وما يُبقي الزَّمان» اعتراض حَصَلَ بين ما قبله وما بعدَه من القصَّة، مؤكِّدٌ له. فيقول: لمَّا بلغ الأمرُ بنا ذلك المبلغَ أناخ حَدَثانُ الدَّهرِ على أحدهما فأتلفه وأفسده، والزَّمانُ هذا دأبُه، لا يَسلَم عليه شيءٌ، بل يرتجعُ كما يُعطي، ويَسلبُ كما يَهَب.

ثم قال: «كُنَّا كأنجُمِ ليلٍ بينها قمرٌ»، وهذا تشبيه ثانٍ، كأنها في الأوَّل ـ وهو كُنَّا كغُصْنين ـ شَبَّهتْ نفسها وصاحبَها بغُصنَين، وفي الثَّاني شبَّهتِ العشيرةَ كلَّها والمتوفَّى فيها، بنجوم ليلٍ أحدقَتْ بقمرٍ استضاء ظلامُ اللَّيلِ بنُوره فسقط ذلك القمرُ من وسطها فعادَ اللَّيلُ كما كان.

وهذا الكلام فيه تفضيلٌ للمتوفَّى على ذَوِيه كلِّهم، فإنَّهم كانوا يَستكشِفون ظُلمة حوادثِ الدَّهرِ من جهته ومكانِه، فلمَّا فارقَهم عادَ الشَّرُّ جَذعًا[٢]، والضِّياءُ حِندِسًا.

---

(١) الأبيات ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣: ٢٧٧ وقال إنها رثاء لزوجها، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣: ٦٧ أنها رثاء لأختها.
(٢) عاد جَذَعًا: أي جديدًا كما بدأ.

٣٢٧ ـ وقال التَّيميّ[١] في منصورِ بن زِيَاد[٢]: [الكامل]

١ ـ لَهفَى عليك لِلَهفَةٍ مِنْ خائفٍ يَبْغِي جِوَارَكَ حِينَ لَيسَ مُجِيرُ

«لَهفَى» مبتدأ، وهو لَهفٌ مضاف إلى ضمير النَّفس، ففرّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفًا. ولو رُوي لَهفِي عَلَيْكَ، لجاز، ويكون جاريًا على أصله. و«عليك» في موضع الخبر. واللام من لِلَهفةٍ متعلّق بما دلَّ عليه لَهفَى. فيقول: لي عليك حسرةٌ شديدةٌ من أجلِ حسرةِ رجلٍ نابَهُ من حوادِثِ الدَّهرِ ما اخْتَشَى له فطلب جِوَارَك، والاستعاذةَ بفِنائك، وقتَ لا مجيرَ له ثم لا يَجِدُك. وقوله «حينَ ليس مجير» ظرفٌ ليَبغِي، ويبغِي في موضع الصِّفة لخائف. وخبر ليس محذوف، كأنَّه قال: حينَ ليس مجيرٌ في الدُّنيا، أو ينعَشُه، أو ما أشبه ذلك. وأضاف حينَ إلى ليس فبناهُ لأنَّ المضافَ إليه غيرُ متمكِّن، فاكتسب البناءَ من جهته، فالفتحة في حينَ فتحةُ بناءٍ. ولا يمتنع أن يكون فتحةَ إعراب، كأنَّه أجرى حينَ على سلامته ولم يعتدَّ بالإضافة فيه.

٢ ـ أمَّا القُبُورُ فإنَّهنَّ أوانِسٌ بِجِوَارِ قَبْرِكَ والدِّيارُ قُبُورُ

٣ ـ عَمَّتْ فَواضِلُهُ فَعَمَّ هَلاكُهُ فالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مأجُورُ[٣]

يقول: فارقْتَ الأحياءَ وفي كلِّ فِرقةٍ من فِرَقِهم غَمٌّ شامل، وزفرةٌ متَّصلة، فاختلَطْتَ بالأموات، فالأُنس الذي كان في الأحياء انتقَلَ بانتقالك إلى الأموات، فديارُ الأحياءِ ذاتُ وَحْشَةٍ ونُفُور، فهي كالقُبورِ لِمَا حصَل فيها من الفجْع بك، وفارَقَها من نَسيم الرَّوْح والرَّاحةِ بفراقك. وقبورُ الأموات ذواتُ أُنس وقَرارٍ بمجاورتها لقبرك، ولما يَغدُو ويروح إليها من زُوَّارِك.

وقوله «عَمَّتْ فواضِله فعَمَّ هلاكُه» يريد أنَّ إحسانَه عَمَّ الخَلْق، وصنائعَه شمِلتْهم، فبحسب ذلك عمَّتْهم الفجيعةُ به، فالنَّاسُ كلُّهم مُصابون مأجورون، قد استوت أقدامُهم وتناسَبَتْ أحوالُهم فيما نالَهُمْ من الحسرة فيك، وأضرَّ بهم من الخَلَلِ الواقِع في عَيْشهم بك.

---

(١) التبريزي: «قال أبو هلال: هو عبد الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد، عربي من أهل اليمامة فصيح كلاميّ».

(٢) منصور بن زياد: من وجوه الدولة العباسية، وكان ابنه محمد بن منصور كاتبًا للبرامكة. انظر الشعر والشعراء ٨٣٠.

(٣) التبريزي: «فعمّ مُصابُهُ».

٤ ـ يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لأنَّكَ بالثَّنَاءِ جَدِيرُ
٥ ـ رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيهِ حَيَاتَهُ فكأنَّهُ مِن نَشْرِهَا مَنْشُورُ

يقول: عَرَف النَّاسُ على اختلافهم وتبايُنِ أوطانهم، فضلَكَ وفواضلَك، فاتَّفقت ألسنتُهم في الثَّناءِ عليك والحمدِ لك، فمَنْ لم تُسْدِ إليه خيرًا منك، ولم تُشركه في النِّعمة عِندك، صار مقتديًا بغيرِه في إطرائكَ ومدحِك، وتقريظِك وتزكِيَتك، لأنَّك عندهم كلِّهم جديرٌ بذلك، لا لمكافأةِ على إحسانك، وَلا لشكرٍ وجَبَ عليهم في تحمُّل أفضالِك.

وقوله «رَدَّت صنائعُهُ إليه حياتَهُ»، يقول: تَذَاكَرَ النَّاسُ بعوارِفك لديهم، ونشروا محامدَكَ فيهم، فكأنَّك حيٌّ لم يُوارِكَ قبر، ولم يَفُزْ بك موت. ويقال: أنشر الله الموتَى ونَشَرهم جميعًا. وأَنْشَرَ أفصح. وقوله «من نَشْرِها» أي من نَشر النَّاس لها، فأضيف المصدر إلى المفعول.

٦ ـ فالنَّاسُ مأتَمُهُمْ عَلَيْهِ واحِدٌ في كلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزَفِيرُ
٧ ـ عَجَبًا لأرْبَعِ أذْرُعٍ في خَمْسَةٍ في جَوْفِهَا جَبَلٌ أشَمُّ كَبِيرُ

أصل المأتم النِّساء يجتمِعْنَ في الخير والشَّرّ، وجعله هٰهنا المصيبةَ نفسَها. والرَّنين: الصَّوت. والرَّنَّة الفَعْلَةُ منه. وانتصب «عَجَبًا» على المصدر، والعامل فيه فعلٌ مضمَر، كأنَّه قال: عجِبْتُ عَجَبًا. وإنَّما قال أربَع أذرع، لأنَّ الذِّراع مؤنثة، وفي خمسة لأنَّه أراد الأشبار، والشِّبْر مذكَّر. ويشبه هذا قوله: [الطويل]

بَلَى قدْ وَسِعتَ الجُودَ والجودُ ميِّتٌ ولَوْ كان حَيًّا ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعا[١]

والجبل الأشَمُّ: الطَّويل الرَّأس. ويقال: عِزٌّ أشمُّ، يراد به الارتفاع.

٣٢٨ ـ وقال نَهَارُ بنُ تَوسِعَةَ[٢] يَرْثِي أخاه: [الكامل]

١ ـ عِتْبَانُ قد كُنْتُ امرأً لِيَ جانِبٌ حَتَّى رُزِيتُكَ والجُدُودُ تَضَعْضَعُ
٢ ـ قد كنتُ أشْوَسَ في المَقَامَةِ سَادِرًا فنَظَرْتُ قَصْدِي واستَقَامَ الأخْدَعُ

(١) البيت الرابع من الحماسية (٣١٩) للحسين بن مطير.
(٢) التبريزي: «ابن تميم بن عرفجة بن عمرو بن حنتم بن عدي بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة، أحد شعراء بكر بن وائل، وكان أشعر بكريّ بخراسان، يرثي أخاه عتبان».

يقول: يا عِتْبان، كنتُ رجلًا كان لي ملاذٌ ألوذ به، وجانبٌ أستنيم إليه، وأتعزّز بعزِّه، إلى أن فقدتُك، والجُدود تنحطّ بعد الارتفاع، وتعوَجُّ عَقِيب الاستواء. فقوله «والجدود تضعضع» اعتراضٌ، لأنَّ قوله «كنتُ أشْوَسَ» متصِّل بما قَبلَه. والشَّوَس هو النَّظَر في اعتراضٍ كنظر الغَضْبَانِ والكارهِ للشَّيءِ المعرضِ عنه والمُقَامة: المجلس. والسَّادر: الذاهب عن الشَّيء ترفُّعًا عنه. ويقال أتى فلانٌ أمْرَه سادرًا، إذا جاءه من غير جهتِه. والسَّدَر: ظُلمة تَغْشَى العين، وكأنَّ السادر منه. وقوله «فنظرتُ قَصدِي» أراد نظرت حيثُ أقْصِدُ، ومكانَ قَصدِي. وإعرابه يجوز أن يكون نصبًا على الظَّرف، وقد حُذف اسم المكان معه، ويجوز أن يكون مصدرًا، كأنه قال: فنظرت أقصِد قَصدِي، أي قاصدًا قصدي فدلَّ المصدرُ على اللَّفظ بالفعل، والواقعُ موقع الحال هو الفعل. ومعنى البيت: قد كنتُ بما في نفسي من الكِبْر والتعلّي على النَّاس أَنظرُ إلى أهل المجلس نظرَ المعترِض عليهم، المعرِض عنهم المستَهين بهم، المأخوذِ عن قصدي فيهم عجبًا واستغناء، فلما فقدتُك زالت تلك الخُنزُوانة عني، واستقام عنقي من الصَّوَر العارض له، كما اعتدل نظري فزال عنه الشَّوَس الذي كان فيه.

ويُستحسن لأوس بن حَجرٍ قوله: [الطويل]

تَشَاوَسْ يزيدُ إنَّنِي مَنْ تَأَمَّلُ[1]

٣ - وفَقَدتُ إخْوَانِي الَّذِينَ بعَيْشِهِمْ قد كنتُ أُعطِي ما أشاءُ وأَمْنَعُ

خاطب عِتبانَ فيما تقدم، وشكا بَثَّهُ إليه، على عادة النَّاس في إظهار التلهُّف عند مخاطبة المفقود، والجريِ في مباثّته على عادتهم معه في حياته. وفي الثَّاني أخبَرَ عن نفسه بأنَّه مُرَزَّأٌ في إخوانه. كأنَّ المصائبَ كانت متوافيةً إليه، ملحَّة في تكرير الفجائع عليه، فإخوانُه تفانَوْا واحدًا بعد واحد، وتدانَوْا في التَّتابُع سَنَدًا بعد سند، فقال: ورُزئت إخواني الذين كنت أعطِي ما أشاء إعطاءه، وأمنع ما أشاء منعَه، مدّة عيشِهم، وزمنَ بقائهم. ويقال: عشت عَيْشًا ومَعاشًا. والمَعِيش والمَعِيشة والمَعَاش. اسمُ ما يُعاش به. ويقال: هو عائشٌ أي حالُه حسنة.

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٩٨، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٠: ٢٢٤، ومجالس ثعلب ١٥٥، وصدره:

«يقلِّب عينيه كما لأخافه»

٤ ـ فلِمَن أقولُ إذا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ أَرِني بِرأيكَ أم إلى مَن أَفزَعُ
٥ ـ فليأتِيَنَّ عليكَ يومٌ مَرَّةً يُبكَى عليك مُقَنَّعًا لا تَسمَعُ

قوله «فلمَنْ أقولُ إذا تلمُّ ملمة» كلامُ من سلبه القَدَر إخوانَه، وقصَّ جناحه فأعياهُ طيرانُه، فمتى طرقَهُ حادثٌ أو ألمّ بساحته من الدَّهر نائبٌ لم يكنْ له مَن يرجعُ إليه مستشيرًا، أو يقتبس من نور رأيِه مستضيئًا، ولا وجَدَ مَن يستدفِع به البلاءَ أو يستَعْدِيه على مهتضمِه، فيصرِفُ بقوّته عن نفسه العَداءَ فيبقى أَسِير الغِيَر، وقِيذَ الفكر. ومعنى «أرِني برأيك» أرشِدْني برأيك، واهدِني بنظَرك. وقد حذف المفعول الثاني لقوله أرني، والمراد أرِني الصَّوابَ أو وجْه الأمرِ برأيك. ويقال: رأَيْتُ الشَّيءَ بعيني رُؤيةً ورأيا، ورأيته بقلبي رأيا لا غير. فأمّا قولُ زُهير: [الطويل]

فقال أميري ما تَرَى رَأيَ ما تَرَى أنَختِلُه عن نفسه أم نُصَاوِلُهْ[(١)]

فالمراد به ما تَرَى رأيَ أيِّ الأمرين ترى. فما ترى سؤالٌ عن جُملة الرَّأي ورَأْيَ ما تَرَى سؤالٌ على طريق التَّفصيل، وقد بيَّنه بقوله أنختله أم نصاوله. وقوله «إلى من أفزع» يقال فَزِعت إلى فلان أفزع، إذا التجأتَ إليه؛ وهو لنا مَفْزَع، أي نفزَعُ إليه. وفي ضدّه يقال: هو لنا مَفزعةٌ، أي نفزع منه. ويَستوِي فيه الواحد والتثنية والجمع، والمذكّر والمؤنث.

وقوله «فلَيأتينَ عليك يومٌ مَرَّةً» خِطابٌ لنفسه. وقد ألَمَّ بقول الآخر: [الكامل]

وإخالُ أنّي لاحِقٌ مُستَتْبَعُ[(٢)]

يريد أن أجَله قد قرُبَ ولا بقاءَ للرُّوح على ما يمارسه ويزاوِلُه. وأشاد بقوله «يومٌ» إلى وقت النّازلة. ويقال: فعل كذا مَرًّا ومَرَّيْن كما تقول مرّة ومرتين، و«مقنّعا» انتَصب على الحال من قوله «يُبكَى عليك» ومعناه مُسَجًّى مستور الوجه. ولا تَسمع في موضع الصِّفة لقوله مقنّعا، أي مقنعًا غير سامع عَولةَ الباكِي. و«ليأتينَّ» جواب يَمينٍ مضمرة، ويُبكَى عليك في موضع الصِّفة ليومٌ، أي يومٌ يُبكَى عليك فيه، أو يُبكاهُ

(١) ديوانه ١٣٢.
(٢) لأبي ذؤيب الهذليّ في تخليص الشواهد ٤٤٨، وشرح أشعار الهذليين ١: ٨، واللسان (نصب)، وصدره:

«فلبثتُ بعدهُمُ بعيشٍ ناصبٍ»

عليك إن قدّرته تقدير المفعول به. ومثله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: الآية ٤٨]، وقد مرَّ القول فيه.

٣٢٩ ـ وقال يزيد بن عَمْرٍو الطائيّ: [الطويل]

١ ـ أصابَ الغَلِيلُ عَبرتِي فأسالَها وعادَ احتمامُ ليلتي فأطالَها
٢ ـ ألَا مَن رأى قومي كأنّ رِجالَهُم نَخِيلٌ أتاها عاضدٌ فأمالَها[١]

الغَليل: حرارةُ الجَوف، يقال: به غُلّة. والاحتمام: القَلَق والانزعاج، يقال أحمني الأمرُ إحمامًا. والعاضد: قاطع النَّخل، والذي يُقطَع به يقال له المِعْضَد. فيقول: تناهَى حَمْيُ جوفي وغُلّة كبِدي، فأسَلْتُ دمعي إطفاءً لنائرتها، وعاد قلقُ ليلتي، وطار النَّومُ عنّي فطال له ليلتي. وقوله «احتمام ليلتي» أضاف الاحتمامَ إلى ليلته لكونِهِ فيها، ولاجتماع الوساوس عليه، لتَفرُّدِه عما يشتغل به. ويروى: «احتمامي ليلتي»، ويكون ليلتي في موضع الظَّرف، يريد احتمامي في ليلتي. وإنما قال احتمامُ ليلتي لما كان تقدَّمَ من مصائبه في عشيرته.

وقولُه «ألَا مَن رأى قومي» لفظه استفهام، والمعنى معنى التوجُّع. وقد يأتون به على الخطاب هل رأيتَ قومي؟ كأنّ هذه الرُّؤيةَ مستنكَرة فهو يَستثبِت. وقوله «كأن رجالَهم نَخيلٌ» شبَّههم وقد صُرِعوا بنخيلٍ معضودة. وهذا التشبيه ورَد مثلُه في القرآن، في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقّة: الآية ٧]. وجملةُ المعنى كأنّه يُنكِر أن يكون قومُه بهذه الصِّفة، فقال مستثبِتًا على طريق التحسُّر: مَن رأى قومي مَقتَّلين مُصرَّعين كأنّ فُرسانَهم نخيلٌ قَصَدها عاضدٌ فأمالها. وفائدة أمَالَها، على فصاحته في هذا الموضع، تصويرُ حالة الرِّجال حِينَ تُرِكوا بالعَرَاء كيف تُرِكوا.

٣ ـ أُدَفِّنُ قَتلاها وآسُو جِراحَها وأعلَمُ أن لا زَيْغَ عمّا مُنَى لَها
٤ ـ وقائلةٍ مَن أمَّها طالَ ليلُهُ يزيدُ بن عمرٍو أمّها واهتَدَى لها

وَصف حالتَه وما مُنِي به في ذَوِيه وعشيرته، وكيف تَولَّى من المقتولين دفْنَهم، ومن المجروحين أَسْوهم، لأنّه إذا احتاج إلى تولّي ذلك منهم كان أشقَى له وأعْوَدَ

---

(١) التبريزي: «من رأى قومًا». «وقال أبو العلاء: إذا رويت (أتاها عاصف فأمالها) فهي من عصف الريح».

بالكَمَد عليه. وقوله «وأعلَمُ أن لا زَيْغَ عما مُنَى لها» رِضًا منه بمحتوم القضاء، وإظهارٌ للتصبُّر في البلاء، وتحسُّر على ما فاتَه من القوم في حالتَي الشِّدَّة والرَّخاء. ومُنَى لها، يعني قدِّر لها، وأصله مُنِيَ، فأَخرجَ على لغتِهِ، لأنهم يفرُّون من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، فتنقلب الياء ألفًا. والزَّيْغ: الميل والانحراف. وقولُه «أن لا زَيْغَ» أن فيه مخفَّفة من الثقيلة، أراد أنَّه لا زَيْغَ. والضمير في أنَّه للأمر والشأن، ولا زيغ في موضع خبر أنْ.

وقوله «وقائلةٍ مَنْ أَمَّها» مَن في موضع المبتدأ، وطال ليله في موضع الخبر، كأنَّه قال: الذي أَمَّها طال ليلُه. ويزيد بن عمرو مبتدأ آخر وأَمَّها في موضع الخبر، وهو استئناف كلامٍ منقطع عما قبله، ويعني بيزيد بن عمرٍو نفسَه.

وروى الأثرم هذه الأبياتَ عنْ أبي عُبيدةَ للنابغة الذُّبيانيّ، وأثبتَها في ديوانه وقد غيَّر أبياتَه ترتيبًا ولفظًا، وقال: إنما هو زياد بن عمرو؛ لأنَّ اسم النابغة زياد، وزعم أنَّه قالها في وقعة طَيِّىءٍ يومَ «شَرَاف»، غزاهم حِصن بن حُذَيفة ومعه النابغة، فالتفوا بشَرَاف. والناسِبون كالكلبيّ والشَّيبانيّ واليَربوعيّ والأصمعيّ، ذكروا أنَّ النابغة هو زياد بن معاوية بن جابر بن ضِباب بن يربوع بن غَيْظ بن مُرَّة. وأبو تمَّام نسبها إلى يزيد بن عمرٍو الطائيّ، وفي ألفاظ هذه الأبياتِ على ما رواه أبو تمّامٍ شاهدُ صدقٍ على أنَّه ليزيد لا للنابغة. والله أعلم.

ومعنى البيت: رُبَّ امرأةٍ قالت متوجِّعةً متحسِّرة: من قَصَد هؤلاء المقتولين، ووُفِّق في الاهتداء فقد أُطيلَ ليلُه، لأنه يرِدُ منهم على ما يَجْرح القلب ويُطيلُ السَّهرَ. ثم قال يزيدُ بن عمرٍو: أنا الشقيُّ الذي أَمَّها واهتدى لها، مجيبًا للقائلة. وفائدة اهتدى أنَّ الموضع الذي قُتلوا فيه كان كالملتَبِس عليهم، فصار هو الطَّالبَ له، والمهتَدِيَ إليه، والمنبِّه عليه. وانجرّ «وقائلةٍ» بإضمار ربَّ، وجوابه مَنْ أمَّها، والجملة في موضع المفعول لقائلة. وقد تعرَّى قائلة من صفةٍ لها، وأكثر ما يجيء المجرور برُبَّ يجيء موصوفًا.

٣٣٠ ـ وقال قَسَامُ بن رَوَاحَةَ السِّنْبِسيِّ[١]: [الطويل]

١ ـ لَبِئسَ نصيبُ القومِ من أَخَوَيهِمُ طِرادُ الحواشي واستراقُ النَّواضحِ

(١) التبريزي: «قسامة».

٢ ـ وما زال من قتلَى رَزَاحٍ بِعَالِجٍ دَمٌ ناقِعٌ أو جاسِدٌ غيرُ ماصحِ

أخويهم يريد صاحبيهم. والعرب تقول: يأخا بكرٍ، يريد واحدًا من بني بكر. والحواشي: صغار الإبل ورُذالُها. والنَّواضح: التي يُستقى عليها الماء، واحدتها ناضحة. وسمِّيت بذلك لأنَّه جُعِل الفعلُ لها كأنَّها هي التي تنضح الزُّراعاتِ والنَّخيل، وهم يسمُّون الأكّار النَّضّاح. على ذلك قول الهُذَليّ: [البسيط]

هَبَطْنَ بطنَ رُهَاطٍ واعتَصَبْنَ كما يَسقِي الجذوعَ خِلالَ الدُّورِ نَضَّاحُ(١)

فيقول: مذمومٌ في أنصباءِ القوم مِن صاحبَين لهم يُقتلانِ طردُ الإبل وسَوقُها، وسرقة البُعران التي يُسْتَقَى عليها. وإنما جعل الطَّرائدَ حواشيَ الإبِل ونواضحها إزراءً بها، كما قالت كَبْشَة أخت عمرو بن مَعدِيكرِبَ: [الطويل]

ولا تأخُذوا مِنهمْ إفالًا وأبْكُرَا(٢)

يعني في الدِّية. وهذا تعريضٌ بمن وجَب عليه أن يُهمّه طلبُ دم صاحبهم فاقتصر من الأعداء على الغارة عليهم، وسَرِقة الإبل منهم. وفيه هُزُؤٌ أيضًا، وبَعْثٌ على طلب الدَّم.

وقوله «وما زالَ مِنْ قَتْلَى رَزَاح بعالج دَمٌ ناقع» فالنَّاقع: الثَّابت، مصدره النُّقوع. والماصحُ، قال الخليل: هو الرَّاسخ في الثرى، وهو هٰهنا الذَّليل، والدارس. يقال: مَصَحتِ الدَّار إذا دَرَست، ومَصح الظِّلُّ، إذا قَصُر. قال الأعشى: [الرمل]

إذا الآلُ مَصَخ(٣)

وهذا الكلام تذكيرٌ بدماءِ قتلاهم. ورملُ عالجٍ: موضعٌ معروف. ورَزَاح: قبيلة. فيقول: ولا يزال من مقتولي هذه القبيلة بهذا المكان دمٌ ثابت، أو يابسٌ غير زائل. والمعنى أنَّ دماءهم بحالها ما لم يثأروا بهم؛ لأنَّ غَسْلَ تلك الدِّماء إنما يكون بما يُصَبُّ من دماء أعدائهم.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١: ٤٦، والتبريزي ١: ٦٠٦.

(٢) البيت الثاني من الحماسية (٥٢) لكبشة أخت عمرو بن معديكرب وعجزه:
«وأُتركَ في بيتٍ بصعدةَ مظلمِ»

(٣) البيت في ديوانه ١٦١ وتمامه:
«ولقد أجذم حبلي عامدًا بعفرناة إذا الآل مصخ»

٣ ـ دَعَا الطَّيْرَ حَتَّى أَقبَلَتْ مِنْ ضَرِيَّةٍ   دَوَاعِي دَمٍ مُهْرَاقُهُ غَيْرُ بَارِحِ

لم يَرْضَ بما ذكره في البيت المتقدِّم من التَّذكير بدماء المقتولين حتَّى بَسطَ القولَ فيه وجَنَّحه بأن قال: دعا دواعي دمائهم طيورَ الأماكِن النَّائيةِ والجبالِ المُطِلَّةِ، حتى أقبلَتْ من ضَرِيّة ـ وهو اسم بلادٍ تشتمل على جبَالٍ ـ عَوَافي سباعِها وطيورِها تَستدِلُّ بها، فوقعت عليها تأكل من جِيَفِها. ويجوز أن يريد بالدَّواعي الرِّياحَ الذَّاهبة في الأقطار. وقوله «مُهراقُهُ غيرُ بارح» أي هو مصبوبٌ موضعَه لم يَحُل ولم يَزُلْ. وأعاد المعنى تفظيعا، ويجوز أن يريد بقوله «مهراقُه» الموضعَ المصبوبَ فيه الدَّم، كأنَّه يستشهد به فقال: هو غير بارح. وقال مُهراقُهُ والأصل مُهراقٌ فيه. وإنما قلنا هذا ليكون بين هذا وبين قوله «دم ناقع أو جاسد غير ماصِح» فصْل. والكلامُ يشتمل على ما يُطرِّي المصيبة ويهيِّج الفجيعة، ويصوِّر مَصرعَ القومِ بما يأتيه من عوافي الطَّير. وفيه بعثٌ شديد وحضٌّ بليغٌ على طلب الدَّم.

٤ ـ عَسَى طَيِّىءٌ مِنْ طَيِّىءٍ بَعْدَ هذِهِ   ستُطفِي غُلَّاتِ الكُلَى والجوانِحِ

عسى لفظه وُضِعت للتَّرجّي والتأميل، إلَّا أنَّها تؤذِن بأنَّ الفعل مستقبَلٌ مطموع فيه، فيجب أن يُستأنَى له، وإن كانت من أفعال المقاربة. وبهذا يَبِين عن لفظة «كاد» لأنَّ كاد لمشارفة الفعل فهو يلي الفعل بنفسه تقول كاد زَيْدٌ يفعل كذا، وعسى يَحُولُ بينه وبين الفعل أنْ، يدُلُّك على هذا أنَّه قال «سَتُطفِىء غُلَّات الكُلَى والجوانح». لمّا كان من شرط عسى أن يجيء بعده أنْ إيذانًا بالاستقبال جَعَل هذا بدل أنْ السِّينَ، لأنَّه أشهر في الدَّلالة على الاستقبال، وإنَّما قال «عسى طيِّىءٌ من طيِّىءٍ» لأنَّ الجِذاب الذي أشار إليه والقتالَ، كان بينَ بطنَينِ منهما. وقوله «بعد هذه» أشار إلى الحالة الحاضرة، الجامعةِ لكلِّ ما ذَكره. والجوانح: جمع جانحة، وهي الضُّلوع القِصار. والمعنى: المطموع فيه من أولياء الدَّم أن يطلُبوا الثَّأر في المستقبل، وإن كانوا أخَّروه إلى هذه الغاية، فتسكنَ نفوسٌ وتَبرُدَ قلوب. وقد آلَمَ بهذا الكلام كل الإيلام، لِمَا خَتَم به كلامَه المتقدِّم.

وأبلغ من هذا قول الآخر، وهو في طريقته: [الطويل]

وإني لَرَاجِيكُم على بُطْءِ سعيِكمْ   كما في بطونِ الحاملاتِ رَجاءُ[1]

(١) التبريزي: ١: ٦٠٧.

٣٣١ ـ وقال سُليمان بن قَتَّةَ العَدَويّ[١]: [الطويل]

١ ـ مَرَرْتُ على أَبياتِ آلِ مُحمَّدٍ فلم أَرَها أَمثالَها يومَ حُلَّتِ
٢ ـ فلَا يُبْعِدِ اللهُ الدِّيارَ وأهلَها وإنْ أصبَحَت منهم برغْمِي تخلَّتِ

الآلُ عند أصحابنا البصريِّين والأهلُ واحد، ويدلُّ على ذلك أن تصغير الآل أُهَيْل، كما أنّ تصغير الأهل أُهَيْل. وأخبرنا الفرّاء عن الكسائي أنَّه قال: سمعت أعرابيًا فصيحًا يقول: أَهْلٌ وأُهَيْلٌ، وآلٌ وأُوَيْلٌ، قال أبو العبّاس ثعلب: فقد صار أصلين لمعنيين، لا كما قال أهل البصرة؛ وحكى أبو عُمَر الزَّاهدُ عن ثعلبٍ أنّ الأهل القَرابة، كان لها تابعٌ أو لم يكن، والآل: القرابة بتابِعها. قال: ولهذا أجودُ الصلوات على النبي ﷺ وأفضلُها: اللهمّ صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد: وقد ورد فيه التوقيف. رُوي أن أمير المؤمنين عليه السلام سأَل النبيّ صلوات الله عليه: كيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا اللهمَّ صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد»[٢].

وقوله «فلم أرها أمثالَها يومَ حُلّتِ»، يريد أنها قد ظهر عليها من آثار الفَجْع والمصيبة ما صارت له وحْشًا، فحالُها في ظهور الجزَع عليها ليست كحالها في السُّرور أيّامَ حَلُّوها. فهو مثل قول الآخر: [الطويل]

بَكَتْ دارُهم من فَقْدِهم فتهلّلت دُموعي فأَيُّ الجازعَينِ أَلْوَمُ
أَمُستعبِرٌ يَبكِي من الهُونَ والبِلَى أَمْ أُخَرُ يبكي شَجْوَه ويَهيمُ

وقد سلك محمَّد بن وُهَيْبٍ مثلَ هذا في مديحةٍ في المأمون أوّلُها: [الكامل]

طَلَلَان طال عليهما الأمَدُ دَرَسَا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ[٣]
لَبِسَا البِلَى فكأنَّما وَجَدَا بَعْدَ الأحبَّةِ مثلَ ما أجِدُ

وسلك أبو تمَّامٍ هذا المسلكَ فزاد عليهم كلِّهم، لأنَّه قال: [البسيط]

قد أقسَمَ الرَّبْعُ أنّ البَيْنَ فاضِحُهُ أنْ لم تَحُلَّ به عَفراءُ عن عُفُرِ

---

(١) التبريزي: «ورواها البرقيّ لأبي رمح الخزاعيّ»، وذكره ابن قتيبة في مقدمة الشعراء ٦ باسم «سليمان بن قتّة التيمي المحدث».
(٢) رواه ابن الجارود في المنتقى ٢٠٦، ومالك في الموطّأ ص ١٦٦.
(٣) الأغاني ١٧: ١٤٧.

وقوله «فلا يُبعِدِ الله الدِّيَارَ وأهلها» فيه دلالةٌ على أنّه جعل الدار وحالَها كالمفقودِين وأحوالهم، إذ كانت لفظة لا تَبْعَدْ ولا يُبعِدِ الله يستعمَل في الفائت. وقوله «وإن أصبحَتْ منهم برَغْمِي تخلَّتِ» تحسُّرٌ على أهل الدار والدار جميعًا.

٣ ـ أَلَا إنّ قَتْلَى الطَّفِّ من آلِ هاشِمٍ ... أَذَلَّتْ رِقَابَ المسلمينَ فَذَلَّتِ

٤ ـ وكانوا غِيَاثًا ثم أَضْحَوْا رزيَّةً ... أَلَا عَظُمَتْ تلكَ الرَّزايا وجَلَّتِ

قَتْلَى الطفِّ: الحسينُ ومن مَعَه من ذويه عليه السلام. وقوله «أذلّت رقابَ المسلمين فذلّت» كأنّها لما أُذِلَّتْ، بأن بُغِيَ لعِترة رسول الله ﷺ وولدِه عليه السلامُ الغوائلُ، واستُحِلَّ منهم المحارمُ، ونِيلَ منهم ما كان محظورًا من غيرهم من المسلمين، فكيف منهم، وقُهِروا على حقوقهم واستُبيحت دماؤهم وحُرَمهم ـ التَزمَتْ رقابُهم ذلك الذُّلَّ فأقرّتْ به وخضعت، ولبسته لِبسةَ مَن كان ذلك نصيبَه من مَواليه، فصاروا كالراضِين به وإن لم يكن ذلك رِضًا. وقوله «وكانوا غياثًا» يريد أنهم كانوا للمسلمين غَوْثًا عندما يَنزِل بهم فلا يرجون لمُلِمِّهم دينًا ودُنيا غيرهم، فلمَّا نِيلَ منهم ما نيل صاروا رزيئةً لهم كلِّهم، لأنّه بحسَب رجائهم كان فيهم، وعلى مقدار مكانتهم من قلوبهم صار نوازِلُ الغَمِّ تَنْكِي فيهم، وفواقِرُ الرُّزْءِ تكسِر ظهورَهم.

وقولُه «ألا عَظُمَت تلك الرَّزايا وجَلَّتِ» التفات، كأنّه أقبَلَ مُكبِرًا ومُستفظِعًا على مَن حوله فقال: ما أعظَمَ هذه الرزايا وما أجلَّها، لقد بلَغَت مَبلَغًا شنيعًا، وافترَّت عن البلايا افترارًا قبيحًا، فيا لَها ما أنكاها وأقرَحَها.

٣٣٢ ـ وقالت قُتَيلَةُ بنتُ النَّضر بن الحارث(١)

وكان رسول الله ﷺ قتل أباها صَبرًا(٢): [الكامل]

١ ـ يا رَاكِبًا إنَّ الأُثَيلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْحِ خامِسَةٍ وأنتَ مُوفَّقُ

الأُثيل: موضعٌ كان فيه قبر النَّضر، وكان النبي ﷺ تأذّى به فقتله صَبْرًا، وكان من جملة أذاه أنّه كان يقرأ الكتبَ في أخبار العجَم على العرب، ويقول: محمَّدٌ

(١) التبريزي: «بن كلدة بن علقمة بن هاشم بن عبد مناف» وقُتيلة بنت النضر؛ شاعرة من الطبقة الأولى في النساء، أدركت الجاهلية والإسلام، أسلمت بعد مقتل أخيها وروت الحديث، وتوفِّيت في خلافة عمر (ت نحو ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م). ترجمتها في طبقات ابن سعد ٨: ١٠٥، والإصابة تر ٨٨٩.

(٢) التبريزي: «وقيل: أخت النضر وقتل أخاها».

يأتيكم بأخبار عادٍ وثمود، وأنا منبِّئكم بأخبار الأكاسرة والقياصرة. يريد بذلك القَدْح في نُبُوَّتِه، وأنَّه إنْ جاز أن يكون ذلك نبيًّا لإتيانه بِقصص الأمم السَّالفة فإنِّي وقد أَتيت بمثلها رسولٌ أيضًا. وذكر ابنُ عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: الآية ٦]، أنَّها نَزلت في النَّضر بن الحارث الدَّارِيّ، وكان يشتري كتبَ الأعاجمِ فارسَ والرُّوم، وكُتُبَ أهلِ الحيرة، فيحدِّث بها أهلَ مكَّة، وإذا سمِعَ القرآنَ أعْرَض واستهزأ به. وقُتَيلةُ ابنتُه لمَّا جاءت إلى حضرة النبي ﷺ وأنشدَتْه هذه الأبياتَ رَقَّ لها النبيُّ ﷺ وبكى. وقال: «لو جئتِنِي من قبلُ لعفَوْت عنه»، ثم قال: «لا يُقتَلُ قرشيٌّ بعد هذا صَبرًا». فأمَّا قولها «يا راكبًا» فإنها دَعَتْ واحِدًا من الرُّكبان غيرَ معيَّنٍ، فكلُّ من كان يجيبها منهم كان هو المدعوّ. والمَظِنَّةُ: المنزِل المَعْلَم. وقولها «من صبحِ خامِسَةٍ» تريد من صبح ليلة خامسةٍ لليلة التي تبتدىء في السَّير منها إلى الأثَيْل وأنتَ على الطَّريق غيرُ عادلٍ منها. وإنما تُرِيدُ أن تقول: إذا كان ابتداءُ السَّير من موضِعها يكون انتهاؤه في أُثَيْل من سَيْرٍ يحصُل في صباح ليلةٍ خامسة لليلتها. ومن قولهم: إذا خَرجْت عن مكانِ كذا فموضعُ كذا مَنْزِلٌ قَمِنٌ منك ضَحْوَةَ غَدٍ، وموضعُ كذا مظِنَّةٌ من عشيَّة يوم كذا. وعلى هذا الوجه قولُ الآخر: [الكامل]

يَسِطُ البيوتَ لكي يَكونَ مَظِنَّةً   من حَيْثُ تُوضَعُ جَفْنَةُ المُستَرفِدِ[1]

وإن كان الأوَّل في الزَّمان وهذا في المكان.

٢ ـ بَلِّغْ بـه مَـيْـتًـا فـإنّ تَـحِـيَّـةً   مـا إنْ تَـزالُ بـهـا الرَّكـائـبُ تَـخْـفِـقُ

٣ ـ مِـنِّـي إلـيـه وعَـبْـرَةً مَـسْـفُـوحَـةً   جَـادَتِ لِـمَـائِـحِـهـا وأُخْـرَى تَـخْـنُـقُ

هذا هو الرِّسالةُ التي تُرِيدُ أن تُحمِّلها الراكبَ، تريد: يا راكبًا بَلِّغ بهذا المكان، إذا أتيتَه، مقبورًا فيه تحيّتي، فإنَّ التَّحيات أبدًا تخفِق بها الرَّكائب وتُبلَّغ أربابها. والخَفْقُ: الاضطراب. ومفعول بَلِّغ الثَّاني محذوف، لأنَّ قولها «فإنّ تحيَّةً» يدلُّ عليه.

وقولُها «منِّي إليه» يتعلّق بفعلٍ مضمَر قد دَلَّ عليه بَلِّغْ، كأنَّه قال: أوصِلْ إليه مني تحيَّة، وأدِّ منِّي تحية، لأنَّ جميعَ ذلك معناه بلِّغه عنِّي. وقولها «وعبرةً مسفوحَةً»

(١) البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٤: ٣٦٤.

معطوف على المفعول المضمَر الذي أظهرته. والمسفوحة: المصبوبة. وقولها: «جادت لمائِحها» أي أجابت داعِيَها وساعدت مُستَقيها. وقولُها «وأخرى تَخْنُقُ» معطوف على عَبْرَةً، كأنَّها قالت: وأدِّ إليه أيضًا عبرةً قد خنقَتْني وهي في الطَّريق لم تُوجَد. وهذا الكلام يشتمل على اقتصاصِ حالِها، وعلى ما في نفسها من الحسَرات وآلام الفجيعة. والرَّكائب: جمع رَكوبة، وهي مفردةٌ عن الموصوف، لا يقال ناقة رَكوبة، وكذلك حَلوبة وقَتُوبَةٌ. وقولها «جادت لمائحها» في موضع الصِّفة لعَبرة، كما أنَّ تخنُق في موضع الصِّفة الأخرى. والمعنى: بلِّغه عنِّي تحيَّة وأَعلِمه من حالي بكاءً يتَّصلُ ولا ينقطع، ودمعًا يُساعِد ولا يَخذُل، فمن سائلٍ مَسفوحٍ، ومن خانِق مَدفوعٍ. وجادت من الجَوْدِ. ولك أن تَروِي «لماتِحها» و«لمَائحها». والمائح أبلغ، لأنَّ المَتْح الاستقاء، والمَيْح أن تُدخَلَ البئرُ ليُملأ الدَّلوُ إذا قلَّ الماء. والذي يدلُّ على قلَّة الدَّمع والجهدِ في إسالته يكون أجودَ في الرواية.

٤ ـ فليَسمَعَنَّ النَّضرُ إن نادَيتَهُ إن كان يَسمَعُ مَيِّتٌ أو يَنطِقُ

قولها «إن نادَيْتَهُ» شَرْطٌ وجوابه ما دَلَّ عليه ليسمعَنّ، وكذلك قولها «إن كان يسمَعُ ميِّت» شرط ثان وجوابه يدلُّ عليه ليسمعَنَّ. وترتيب الكلام إذا جاء على وجهه. إن ناديتَ النَّضر وقد أتيتَه عنِّي فليسمعنَّ نداءَكَ ولَيُجِيبنَّكَ إن كان المَيِّت يسمع أو ينطِق. وقولُها «ليسمعنَّ» جواب يمين مضمرة ودَلَّ على ليجيبَنَّك أيضًا، لأنَّ مَن صحَّ فيه السَّمع إذا دُعِيَ صَحَّ منه الجواب. وقد يقول الإنسانُ وقد سُئل شيئًا: السَّمعُ والطَّاعة، والمفهوم فيه: إنِّي أجيبُك إلى ملتَمَسك. ويريد به الفعلَ لا سماعَ سؤالِه من دون الفعل.

٥ ـ ظَلَّتْ سُيوفُ بني أبيهِ تَنُوشُهُ لِلَّهِ أرحامٌ هُناكَ تَشَقَّقُ

٦ ـ أَمُحَمَّدٌ ولأنتَ نَجلُ نَجيبةٍ مِنْ قومِها والفَحلُ فَحلٌ مُعرِقُ[1]

٧ ـ ما كانَ ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفَتَى وهو المغِيظُ المُحْنَقُ

٨ ـ والنَّضرُ أقرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وسيلةً وأحَقُّهم إنْ كانَ عِتْقٌ يُعتَقُ

قولها «ظَلَّت سيوفُ بني أبيه تنوشُه» تحسُّرٌ منها لما جَرَى على أبيها، تريد: صارت سيوفُ إخوانه تتناولُه بعد أن كانت تَذُبُّ عنه، وتَضعُ منه بعد أن كانت ترفعُه،

(١) التبريزي: «ولأنت ضِنءٌ» وضنء نجيبة: ولدها.

وتبتذل حُرُماتِه بعد أن كانت تصونُها. ثم قالت كالمستعطِفة والمتعجِّبة. لله أرحامٌ وقَراباتٌ في ذلك المكان قُطِعَت أسبابها، وهُتِكت أستارُها.

وقولها «هناك» ظرف، والكاف كاف الخِطاب، ويُشار به إلى مكانٍ مُتَراخٍ. وإذا قيل هنالك فزِيد فيه اللامُ كان آكَدَ، والمشار إليه أبعد. والعامل في «هناك» تَشَقَّقُ، وهو في موضع الصِّفة للأرحام. واللام من قوْلِهِ «لله» لام التعجُّب. وهم إذا عظَّموا شيئًا نسَبوه إليه تفخيمًا لأمره جلَّ شأنه.

وقولها «أمحمدٌ» نوَّنَت المنادَى المفردَ المعرفةَ ضرورةً، ولو رُدَّ إلى أصله فقيل أمُحمَّدُ لجاز. وسيبويه يختار تركَه على البناء في هذا المكان وإن نوَّنَه للضرورة، لمشابهة البناء في هذا المكان الإعراب. ولذلك جاز حمل الصفة عليه. ومثل هذا قول الآخر: [السريع]

لا نَسَبَ اليَوْمَ ولا خُلَّةً اتَّسَعَ الخَرْقُ على الرَّاقِعِ(١)

فنوّن خَلَّة، والفتح فيه للبناء، لأنّه مبنيٌّ كمنصوب. وبعضهم روى: «أمحمدٌ ها أنت نَجْلُ نَجِيبة»، فأدخل ها التنبيهِ على الجملة وقد تعرّت من حرف الإشارة. وقد جاء مثلُه. قال النابغة: [البسيط]

ها إنَّها عِذْرَةٌ إلا تكن نَفَعَتْ فإنَّ صاحبَها قد تاهَ في البَلَدِ(٢)

والواو من «ولأنت» عاطفة للجملة ومفيدةٌ معنى الحال، وكذلك الواو من قوله «والفحلُ فحلٌ مُعرِق». والمعنى: أنت كريمُ الطرفين مُعَمٌّ مُخْوِلٌ. ويقال: هو عريقٌ في الكرم، إذا كان متناهيًا فيه. وإنما نادته في هذا البيت واستعطفَتْه مقرِّظة ومُثْنية والمدعُوُّ له قولها: ما ضَرَّك لو مَننت. وهذا الكلام فيه اعترافٌ بالذَّنب، والتزامٌ للنِّعمة والمِنَّة في العفو لو حصل فتقول: أيُّ شيء كان يضرُّك لو عفوتَ والفتى وإن كان مُغْضَبًا مُضْجَرًا، منطويًا على حَنَقٍ وعداوةٍ، قد يَمُنّ ويعفو. هذا إذا جعلتِ ما استفهامًا. ويجوز أن تجعل ما نافية والاستفهام في مثل هذا الكلام يفيد معنى النفي.

---

(١) لأنس بن العباس بن مرداس في الدرر ٦: ١٧٥، واللسان (قمر، عتق)، وله أو لسلامان بن قضاعة في شرح أبيات سيبويه ١: ٥٨٣، ولأبي عامر جد العباس بن مرداس في ذيل سمط اللآلىء ٣٧.

(٢) للنابغة الذبياني في ديوانه ٢٨، والجنى الداني ٣٤٩، وخزانة الأدب ٥: ٤٥٩، واللسان (عذر، تا، ها).

وإنما قالت «ربّما» لأنَّ الحالة التي أشارت إليها بقولها «المَغِيظ المحنَق» يقل فيها المَنّ، ورُبَّ للقليل.

وقولها «والنَّضر أقربُ مَن أصبتَ وسيلةً» تذكيرٌ منها بما يجمع النبيَّ ﷺ وإيّاه من القُربَى والقرابة. وإنما يَدُلُّ بذلك على وجه الاستحقاق للصَّفح عن الخيانة، لما يُدِلُّ به من الأسباب المتواشِجة، والأرحام المتشابكة. وقولها «وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعتَق» أرادت: وأحقُّهم بأن يُعتَق إن كان عتقٌ، أي إن وقَع عِتق، فحَذَف الباء، وحروف الجرّ مع أن تُلْغَى كثيرًا، ثم حَذَف أنْ ورفَع الفعل، فهو كقوله: [الطويل]

ألا أيُهذا الزاجري أَحضرُ الوَغَى وأنْ أشهَدَ اللّذّاتِ هل أنت مُخْلِدِي[١]

يدلُّ على أنَّ أنْ من أحضُر محذوفٌ أنه عطف عليه بأن فقال: «وأن أشهدَ اللّذّات». وجواب الشرط، وهو «إن كان عِتقٌ»، ما يدلُّ عليه «وأحقُّهم» و«أقرب مَن أصَبْتَ». وكان هذه كان التامَّة فلهذا استغنت عن الخبر. والمعنى: والنَّضر أقرب الأُسراء الذين أسرتَهم إليك، وأحقُّهم بالعِتق إن وقع فِكاكٌ وعِتْق.

٣٣٣ ـ وقال النَّابغة الْجَعْدِيّ[٢]: [الطويل]

١ ـ فَتًى كانَ يُدْنِيهِ الغِنَى من صَدِيقِهِ إذا ما هو استَغْنَى ويُبْعِدُه الفَقْرُ[٣]

هذا مثلُ قول الهُذَليّ[٤]: [المتقارب]

أبو مالك قاصِرٌ فقرَهُ على نَفْسِهِ ومُشيعٌ غِنا

وأحسن منهما قول الآخر: [الطويل]

إذا افتقَروا عضُّوا على الفقرِ حِسبةً وإن أيْسَرُوا عادُوا سراعًا إلى الفقرِ

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٣٢، وخزانة الأدب ١: ١١٩، والدرر ١: ٧٤، واللسان (أنن، دنا).
(٢) النابغة الجعدي: قيس بن عبد الله بن عُدَس الجعدي العامري، شاعر مغلق صحابي، من المعمرين، كُفّ بصره في آخر حياته (ت نحو ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) ترجمته في الإصابة ٣: ٥٣٧، وطبقات فحول الشعراء ١٠٣.
(٣) لم يروِ التبريزي هذه الحماسية، وقد روي البيت في الكامل ١٢٣ (ليسبك) ونسبه للأبيرد الرياحي.
(٤) للمتنخل الهذليّ في ديوان الهذليين ٢: ٣٠.

٣٣٤ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ فَتًى كانَ فِيهِ ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أنَّ فيه ما يَسُوءُ الأعاديا

٢ ـ فَتًى كَمَلَتْ خيراتُه غَيرَ أنَّهُ جَوَادٌ فلا يُبقِي من المال باقِيَا(١)

لمَّا قال: «كان فيه ما يَسُرُّ صديقه» وعُلِم أنَّ في النَّاس مَن يَجمع الخيرَ خالصًا من دون الشَّرِّ خشِيَ أنَّه إنْ سكَتَ على هذه الجُملة ظُنَّ به القُصُورُ عن التَّمام، والوُقوفُ دونَ الكمال، فلا يكون فيه النِّكايةُ في الأعداء والإساءة إليهم، وإذلالُهم وإرغامُهم. ثمّ وصَفَه بأن قال «على أنَّ فيه ما يسوءُ الأعاديا» وهذا هو النِّهاية في الكمال؛ لأنّه إذا عَرَف لأوليائه ما يُوجِب عليه التوفُّرَ عليهم، وجَميلَ التفقُّد لهم، وعَرَف لأعدائه ما يُوجب التنقصَ منهم وإِذلالَهم، كان في ذلك أكملُ الكمال.

وقوله «فَتَى كَمَلت خيراتُه غير أنّه جواد» هذا استثناء في نهاية الحُسْن، فهو كالتأكيد لأوَّلِ الكلام؛ لأنَّ كونَه جوادًا لا يكون عيبًا فيُخرجَه من قوله «كَمَلت خيراتُه»، لكنَّه إذا كان عَيبُه المستثنى من الخَيْراتِ الجود الذي هو مُؤْثَرٌ عند الله تعالى وعند النَّاس، فخصالُه المحمودة الباقية ماذا ترى تكون. فهو استثناءٌ منقطع من الأوّل، كأنّه قال: كملت خيراته لكنَّه جواد. وإذا تأمَّلْتَ وجدت البيتَ الثَّانيَ مثلَ البيت الأوّل، في أنّه أتبَعَ ثناءً بثناء، وأردَفَ مديحًا بمديح، فعجزُ كلٍّ واحدٍ منهما يؤكِّدُ صدرَه، ويَزيده مُبالغةً معنًى وتظاهُرَ مبدأً ومُنتهًى. ومثلُهما بيت النابغة: [الطويل]

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سُيوفَهمْ بِهِنَّ فلُولٌ مِن قِراعِ الكتائبِ(٢)

وموضع قوله «فتى» في البيتين جميعًا نصبٌ على الاختصاص، كأنه قال أذكُرُ فَتًى هذه صفتُه. ولا يمتنع أن يكون موضعه رفعًا على أن يكون خبر مبتدأ محذوف. فإنْ قيل: ما موضع «على أنّ فيه ما يسوءُ الأعاديا» من الإعراب؟ قلتَ: هو يجري وإن كان جمعًا بين صفتين متضادَّتين على أنَّ الثانيةَ كالحال للأولَى، كأنَّه قال: فيه ما يسرُّ صديقه مركَّبا على ما يسوء الأعاديا. وقوله «فما يُبقِي من المال باقيا» تأكيد للجود. وانتصاب «باقيا» يجوز أن يكون على المفعول، ويجوز أن يكون على

(١) التبريزي: «فما يُبقي».

(٢) ديوانه ص ١٧ (مؤسسة النور للمطبوعات).

المصدر، وقد وضعَه موضع الإبقاء. ومثلُه: [الوافر]

كَـفَـى بـالـنَّـأي مـن أسـمـاءَ كَـافِ[١]

وضع كافٍ موضع كفاية، وهو مصدرٌ منصوب، لكنَّه حذف فتحة الإعراب من آخره وإن كانت الفتحة مستخَفَّةً، على طريقة مَنْ قال: [م. الرجز]

كـأنَّ أيـدِيـهـنَّ بـالـقـاعِ الـقَـرِقْ[٢]

٣٣٥ ـ وقال[٣]: [الطويل]

١ ـ وأيَّ فَـتًـى ودَّعْـتُ يَـوْمَ طُـوَيْـلعٍ ... عـشِـيَّـةَ سـلَّـمْـنَـا عـلـيـه وسـلَّـمَـا

٢ ـ رَمَى بصدورِ العِيسِ مُنخَرَقَ الصَّبا ... فَلَمْ يَدْرِ خَلْقٌ بعدَها أَيْنَ يَمَّمَا

٣ ـ فـيـا جـازِيَ الفِتْيانِ بالنِّعَمِ اجْزِهِ ... بِنُعْمَاهُ نُعْمَى واعْفُ إن كان أظْلَمَا[٤]

انتصب «أيَّ» بودّعْتُ، والكلام فيه تعجُّبٌ على طريق التفخيم للشأن، والتعظيم للأمر. وانتصب «عشِيَّةَ» على البَدَل من يوم، والمعنى: ما أجلَّ شأنَ فتًى ودَّعناه عشيَّةَ شيَّعناه مِن يوم طُويلِع، وقَضَينا فيما بيننا وبينه بَعْدُ حقَّ التوديع، بأن سلَّمنا عليه وسلَّم هو علينا، أي قلنا: أصْحَبَكَ الله السلامةَ، وحفِظَك حيثُ كنتَ! وقال لنا مثلَ ذلك. وهذا كأنَّه كان تثنيةً للوَدَاع حينئذٍ، وتَذكرةً مِن بَعْدُ من الشاعر. وإرسالُ القَول فيه تحسُّرٌ وتوجُّع. وقوله «وسَلَّما» يريد وسَلَّم علينا، فحذَفَ علينا ويجوز أن يكون أراد بودّعْتُ الوَدَاعَ الذي لا تلاقِيَ بعده. ألَا تَرَى أنه يقال للمُفارق: غَيْرَ مُوَدَّعٍ! أي جعَلَ الله بعده التقاءً. وقد كشَفَ عن هذا المعنى طَرَفَةُ حيث يقول: [الطويل]

قِفِي وَدِّعينا اليومَ يا ابنةَ مالِكِ ... وعُوجِي علينا مِن صُدورِ جِمالِكِ

قِفِي لا يكُنْ هـذا تَـعِـلَّةَ ساعةٍ ... لِبَـيْـنٍ ولا ذا حَـظُّـنـا مـن نَـوَالِكِ

فإذا جعلتَ ودَّعْتُ على هذا، انفَصلَ معناه عن معنى سلَّمنا عليه وسلَّما. وهذا ظاهر.

---

(١) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٤٢، وخزانة الأدب ٤: ٤٣٩، ولأبي حية النميري في لسان العرب (قفا)، وعجزه:

«وليـس لـحبّهـا مـا عـشـت شـافي»

(٢) لرؤبة في ملحق ديوانه ١٧٩، وخزانة الأدب ٨: ٣٤٧، والدرر ١: ١٦٦، واللسان (زهق).

(٣) التبريزي: «وقال آخر». (٤) التبريزي: «إن كان مجرمًا».

وقوله «رَمَى بصدور العِيس منخَرَق الصَّبَا» يريدُ أنه توجَّهَ في المَفَازة حيث تنخرِق الرِّيحُ، ورَمَى بصُدور رَوَاحِلِه نحوها، فلم يُعرَف له بعد ذلك خَبَرٌ ولا أثر. وقوله «أين يَمَّما» موضعُ الجملة من الإعراب نصبٌ على أنّه مفعول لم يَدْرِ، كأنه قال: لم يَدْرِ خَلْقٌ ما يقتضي هذا السُّؤال. وهذا الكلامُ نهايةٌ فيما يثيره الجَزَعُ من المشفِقِ القَلِق، ويَدُور في شكوَى المتولّه الحَدِب، لأنه إذا لم يمكنه الرُّجوعُ إلى شيءٍ بعد جَوْلةِ الوداع والافتراق، إلّا إلى صَدْمة اليأس والاكتئاب، فذاكَ أجلب لِلوَاذِعِ الرَّزيئة، وأجمعُ لبوارح الشَّكيَّة.

وقولُه «فيا جازِيَ الفِتيان بالنِّعَم اجزِهِ» دعاءٌ له، والمعنى أحْسِن إليه بَدَل إحسانه إلى خَلْقِكَ، وجَزَاءً على إنعامِه في عِبادِكَ، وتجاوَزْ عن سيِّئاته فيما كان فيه ظالمًا، وعن الحقّ والنِّصْف عادِلًا. وقوله «كان أظلما» أي كان ظالمًا. وأفعلُ بمعنى فاعلٍ جاء كثيرًا. ومثله: [الطويل]

فتلك سبيلٌ لستَ فيها بأَوحَدِ[1]

وجعل في الثاني شرطًا لأنّه قال «واعفُ إن كان» وفي الأوّل لم يأْتِ بمثله ليدلَّ على سلامة طريقته من الجَوْر والاهتضام، وبراءةِ ساحته في غالب ظنّه ممَّا يستحق به العقابَ والانتقام. والكلام وإن كان فيه دعاءٌ فهو تحسُّرٌ وتوجُّع. وإنما قلتُ هذا لأنَّ استعمالَ الدُّعاءِ بعقبِ ما ذكَر طريقٌ في إظهار الخيبة لا يكاد يعفِّيها تعاوُر الأحوالِ بالسُّلوة، ولا يحوِّل عن سلوكها تعاقُبُ الأزمانِ بالمساءةِ والمَسَرَّة.

٣٣٦ ـ وقال شَبيب بن عَوَانة: [الطويل]

١ ـ لِتَبْكِ النساءُ المُعْوِلاتُ بِعَوْلَةٍ أبا حُجُرٍ قامَتْ عليه النَّوائِحُ

٢ ـ عَقِيلَةُ دَلّاهُ لِلَحدِ ضريحِهِ وأَثوابُهُ يَبْرُقْنَ والخِمْسُ مَائِحُ

٣ ـ خِدَبٌّ يَضِيقُ السَّرجُ عنه كأنَّما يَمُدُّ رِكابَيهِ مِنَ الطُّول ماتِحُ

لِتَبْكِ النساء أمرٌ من فعلٍ يدلُّ على الحال. ألا ترى أنّه وصَف النِّساء المأمورات بأنّهن مُعْوِلات. والأمر وإن كان في الأكثر يُبْنَى على المستقبل يصحُّ أن يبنى على ما

(١) للإمام الشافعي في ملحق ديوانه ١٥٩، وللإمام علي في ديوانه ٦٧، ولطرفة بن العبد في بهجة المجالس ٢: ٧٤٦، وصدره:

«تمنّى رجالٌ أن أموتَ فإن أمتْ»

للحال، ويراد به الاستدامة والاستمرار في الفعل. على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النِّساء: الآية ١٣٦]. وقوله «بعَوْلَةٍ» تَعَلَّق الباء منه بلِتَبْكِ، والمراد أن يكون بكاء المُعْوِلات أبا حُجُرٍ بزيادة عَوْلَةٍ.. المُعْوِلات: الصَّائحات، والاسم العَويل. و«قامت عليه النَّوائح» في موضع الحال وقد مضمَرة، كأنَّه قال: لتَبْكِه النِّساء فقد ماتَ والنوائحُ يَنُحْنَ عليه. وهذا كلُّه تفظيع للرَّزيئة، وتنبيهٌ على وجوب البكاء له، وأنَّ الزِّيادة في العَوْلات عليه مُسَوَّغَةٌ، لأنَّ فَقْدَ اسمِه غير مُشاهَدٍ من قبلُ ولا مُعتادٍ.

وقوله «عقيلةُ دَلّاهُ» اقتصاصُ حال التجهيز والدَّفن، وأنَّها وقعت بمرأى منه ومسمَع، فشَقِي بمزاولَتها، وكَمِدَ لمشاهدتها. وأراد بالأثواب أكفانَه، فجعلها تبرُق لبياضها. والماتح أصله الذي يدخل البئرَ فيغرف الماء في الدِّلاء إذا قلَّ الماء. وهٰهنا أراد الذي يدخل القبرَ فينظفه ويُصلح ما يجب إصلاحه منه. ودَلَّى، أصلُه الإرسال، وتوسَّعُوا فيه فقيل: دَلّاه بغُرور، إذا خدعَه. وتدلَّى على كذا بالحِيَل. فيقول: عقيلةُ هو الذي أرسلَه للَحْد القبر، وأكفانُه لبياضِها ونظافتها تَلْمَعُ، والخِمْسُ هو الذي تَوَلَّى من القبر ما تَوَلّى. وسَوْق كلِّ هذا تفجُّع وتألُّم، وتذكُّر لما سخِنت له العين، وأُحرِقت له الكبد.

وقوله «خِدَبٌّ» هو الكامل الخَلْق التامُّ الأعضاء، القويّ السويّ. لذلك قال «يضيق السَّرجُ عنه» وقوله «كأنَّما يَمُدُّ ركابَيْه» وصفه بامتداد القامة وطول البَادَّيْنِ[1]. ويُحمد من الفارس ذلك. وقوله «كان ماتِحًا» أي مُسْتَقِيًا، يَمُدُّ ركابَيْه من بئرٍ لطولهما. والخِدَبُّ: الطويل. يقال: إنَّ في ذلك لَخَدَبًا أي طولًا. وبعيرٌ خِدَبٌّ: ضَخْمٌ شديد.

٣٣٧ ـ وقال[2]: [الطويل]

١ ـ أَبا خالدٍ ما كان أدهَى مُصيبةً ... أَصابت مَعَدًّا يومَ أَصبَحْتَ ثاوِيا

٢ ـ لَعَمْري لَئِنْ سُرّ الأعادِي وأَظْهَرُوا ... شَمَاتًا لقد مَرّوا بِرَبْعِك خالِيا

٣ ـ فإِنْ تَكُ أَفْنَتْهُ اللَّيالي فأَوشَكَتْ ... فإِنَّ له ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيالِيَا

(١) البادّان: مثنى بادّ، وهو باطن الفخذ.

(٢) التبريزي: «وقال آخر»، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي قال: «وقال منصور النَّمِريّ في يزيد بن مزيد» والنمريّ من شعراء العصر العباسي توفي سنة ١٩٠ هـ، ويزيد بن مزيد الشيباني والي أرمينية وأذربيجان مات سنة ١٨٥ هـ. والأبيات في الزهرة ٢: ٥٢٧.

خاطب المرثيَّ فقال متلهِّفًا: ما أعظَمَ مصيبةً أصيبت بها قبائلُ مَعَدٍّ يومَ فُجِعَتْ بك فأصبحتَ مقيمًا في مكانٍ لا تَبْرَحُ منه. يُشِيرُ إلى القَبْرِ. ويقال: ثَوَى بالمكان وأَثْوَى جميعًا. وقوله «أذهَى» يقال: دَهاه كذا يَدْهَاهُ دَهْيًا ودَهْوًا، إذا أثَّر فيه تأثيرًا شديدًا وداهِيَةٌ دَهْيَاءُ ودهواء. والدَّاهية: المنكَر من الأمر. فيقول: إنّ المصيبةَ بك ما أعظَمَها وأنكرها، فيا لَمَعَدٍّ فقد بُلِيَتْ بها.

وقوله «لعمري» مبتدأ وخبره محذوف، و«لئنْ سُرَّ» شَرْطٌ، واللام موطِّئةٌ للقَسَم، وجواب لعَمري لقد مَرُّوا، وجواب الشَّرط ما دَلَّ عليه هذا الجواب. والمعنى: وبقائي لئن كان الأعادي مسرورين بموتك، شامتين بذويك وعشيرتك لفقدهم لك، فقد وقعت الشَّماتةُ في وقتها وحِينها، ووافاهم السُّرور لحادثِ أمرٍ عَظُم موقعُه، لأنّهم مرُّوا بربعكَ خاليًا. والمعنى: أنَّ ما كان ممدودًا على ذويك وأوليائك من نطاق الاعتزاز بمكانك، والاعتلاءِ بجَدِّك وجدُوه قاصرًا زائلًا منقطعًا. وانتصب «خاليًا» على الحال. وقوله «فإنْ يكُ أفنَتْه اللَّيالي فأوشكت» معنى أوشكت: أسرعَتْ، كأنّه استقصرَ مدَّةَ بقائه. ويجوز أن يكون استقصَرَ مدَّةَ علَّته. والكلام في حذف النُّون من إن تكُ فقد تقدَّمَ في مواضعَ. وقوله «فإنَّ له ذكرًا سيُفني الليالي» يريد: إنْ كان عمرُه قد انقطَعَ فإنَّ ذكرَه متَّصلٌ بالأبد، لا تفْنيه الأيَّام ولا تَقطعُه الآماد، بل هو يُفْني الأيَّام والآماد. ووشْكُ البَين: سرعةُ القطِيعة. وتقول: لَوَشْكَان ذا، كما تقول: لعَجْلان ما كان كذا. ومثله قوله: [الطويل]

فإن تسجُنوا القسرِيَّ لا تسجُنوا أَسمَهُ ... ولا تسجُنوا معروفَه في القبائلِ[1]

٣٣٨ ـ وقالت امرأةٌ من كِنْدة: [البسيط]

١ ـ لا تُخبِرُوا الناسَ إلّا أنّ سيِّدَكم ... أسلَمْتُموهُ ولو قاتَلْتُمُ امتَنَعا

٢ ـ أنعَى فَتًى لم تَذُرَّ الشَّمسُ طالعةً ... يومًا من الدَّهرِ إلّا ضَرَّ أوْ نَفَعا

قوله «لا تُخبِرُوا الناسَ إلّا» تهكُّم وسُخريَّة، يشُوبُه تعيير شديد. أي قد ارتكبتم أمرًا عظيمًا بتسليمكم سيِّدَكم، فاستُرُوا أمرَكم ولا تُنبِئوا الناسَ به. وهذا مخاطبةٌ لقومٍ خَذَلوا رئيسَهم ولم يثبُتوا معه، حتى قُتل. فيقول: لو ثبتوا وتابعوا لدافَعَ عن نفسِه

(١) البيت الرابع من الحماسية رقم (٣١٤) لأبي الشغب العبسيّ.

وعنهم. وقوله «إلّا أنّ سيِّدكم» إلّا بمعنى غير، فهو منقطعٌ مما قبله. وهذا الاستثناء من المعنى، كأنه قال: سَلِمتُم إلّا أنّ سيِّدكم أسلَمتُم.

وقولها «أنعَى فتًى لم تذُرّ الشمسُ طالعةً» انتصب طالعةً على الحال المؤكَّدة لما قَبلَه. والكوفيُّون يقولون في مثله: انتصب على القطع. وكما أنّ الحال يجيء مؤكِّدًا لما قبلَه تجيء الصِّفةُ أيضًا مؤكِّدة لما قبلَها. ومثال الحال: رأيتُه في الحمَّام عريانًا، فعريان حالٌ مؤكِّدة. ومثال الصفة أن تقول: فعلتُ كذا أمسِ الدَّابرَ. وذُرُور الشمس: انتشارُها في الجوّ. والمعنى: أذكرُ موتَ فتًى لم تطلُع الشمسُ يومًا من أيَّام الدَّهرِ عليه إلّا وهو ضارٌّ لأعدائه ناكٍ فيهم، أو نافعٌ لأوليائه مُسْدٍ إليهم. وفي هذا ذهبَ إلى مثل ما قاله عديّ: [الطويل]

إذا أنتَ لم تنفَعْ بوُدِّكَ أهلَه ... ولم تَنْكِ بالبُوسَى عدوَّك فابعَدِ

٣٣٩ ـ وقالت امرأةٌ من بني أَسَدٍ[1]: [الطويل]

١ ـ خَليليَّ عُوجَا إنَّها حاجَةٌ لنا ... على قَبْرِ أُهْبانٍ سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ

تخاطب صاحبين لها تسألهما التعريجَ على قبرِ أُهبان زائرَينِ له، ومجدِّدَينِ العهدَ به. وقوله «سقته الرَّواعد» دعاءٌ للقبر بالسُّقيا. والرَّواعد: السَّحاب التي فيها الرَّعد. وقولها «إنها حاجة لنا» حَشْوٌ واعتراض، وقد وقع موقعًا حسنًا، وفيه استعطافٌ للمخاطَبَيْنِ واستلطافٌ فيما تُكلِّفهما. ويقال: ما عند فلانٍ تعويج عليهم، أي تعريج. وعُجْنا بالمكان أشدَّ العِياجِ والعَوْجِ، أي عَطَفْنا.

٢ ـ فثَمَّ الفَتَى كلُّ الفتى كان بَيْنَهُ ... وبينَ المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتباعِدُ

قولها «كلُّ الفتَى» مفيدٌ للتأكيد، وجامعٌ أسبابَ الفتوّة كلَّها للموصوف، فكأنها قالت: ثَمَّ الفتى التامُّ الفتوّة حتى لم يغادِرْ شيئًا من علائقها وأسبابها. وقولها «كان بينه وبين المُزَجَّى»، والمُزَجَّى: الضَّعيف، كأنه يُزَجَّى الوقتُ في الاعتداد به بين الفتيان. ويجوز أن يكون سمِّي الضعيفُ مُزَجًّى لتأخُّره وحاجتِهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يَعِنّ. وهذا كما قيل «المركَّب» في الضعيف الفروسيَّة. والنَّفْنَف: المَهْواة بين الجبلَين، والأرضُ بين الأرضَين. وهذا كما يقال: بين هذا وبين كذا بَوْنٌ بعيد.

---

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ١/ ٢٥٢ ونسبتها إلى أهبان بن أهبان بن همام بن نضلة الأسدي، شاعر جاهلي.

فتَقول: بين هذا الفتى وبين من يُزَجَّى في الفتيان مَهواةٌ بعيدة، حتى لا التقاءَ ولا تدانِيَ.

٣ ـ إذا انتَضَل القومُ الأحاديثَ لم يكُنْ عَيِيًا ولا عِبئًا على مَن يُقاعِدُ[1]

أصل الانتضال والنِّضال في الرِّماء، ثم يستعمَل توسُّعًا في المفاخَرة وقتَ المنافرةِ، ومُجاثاة الخُصوم لدى المناقَرة. ألا تَرَى لبيدًا يقول: [الرمل]

فانتَضَلْنا وابنُ سَلْمَى قاعدٌ كعَتيقِ الطَّيْرِ يُغضِي ويُجَلْ[2]

ثم قال:

فرمَيْتُ القومَ رِشْقًا صائبًا ليس بالعُصْل ولا بالمُفْتَعَلْ[3]

فيقول: إذا تجاذَبَ القومُ أطرافَ السَّمر والأخبار، وتنازَعوا قَصَص الفُرسان والأيَّام، ودَسُّوا في أثناء المسارَّة روائعَ التبجُّح والمكاثَرة، لم يكن حاجزًا فيما بينهم فَدْمًا، ولا ضعيفَ التصرُّف بكِيًّا، ولا كان ثقيلًا على جُلسائه، سَيِّيء العِشْرة لخلطائه، بل كان حسن المجلِس معهم، مُستحلَى المنادَمة بينهم، خفيفَ الوطْأة عليهم.

ومن روى: «ولا ربًّا على من يقاعد» فإنه يُريد: لا متكبِّرًا على جليسه فِعلَ ذي المَلَكة والسُّلطان؛ والآخِذِ على مُصطنِعِه بالاعتلاءِ والامتنان.

٣٤٠ ـ وقال كعبُ بن زُهَيرٍ[4]: [الوافر]

١ ـ لقد ولَّى ألِيَّتَهُ جُوَيٌّ مَعاشِرَ غيرُ مَطْلُولٍ أخُوها

كان جُوَيٌّ على ما دلَّ عليه الكلامُ حلَفَ في وجوه ناكبِيه والعازمِين على قتله، أنهم لا يستمرئون فِعلَهم ذلك، وأن عشيرتَه وأصحابَه سيطلبون دمَه ويُدرِكُون ثأره، فكانوا عند ظنِّه بهم من غير إهمال ولا تضجيع. فيقول: جَعَل جُوَيٌّ وِلايةَ يمينه التي أقسم بها إلى معاشرَ لا يُبطَل دمُ صاحبهم ولا يُهدَر، بل لا ينامون ولا يُنِيمون حتى

(١) التبريزي: «عَيِيًا ولا ربًّا».
(٢) للبيد في ديوانه ١٩٥، واللسان (عتق، نضل، جلا)، وأساس البلاغة (عتق)، وكتاب العين ٧: ٤٣.
(٣) للبيد في ديوانه ١٩٤.
(٤) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له معلَّقة ترجمت إلى الإيطالية والفرنسية. (ت ٦ هـ/ ٦٤٥ م) ترجمته في الشعر والشعراء ٦١، وابن سلام ٢٠).

ينالوا الوِتْر. وقوله «غير مطلول أخوها» أي دم أخيها، فحذف المضاف وأقام المضافَ إليه مقامه. قال: [السريع]

دمــاؤهــم لــيــس لــهــا طــالــب مــطــلــولــةٌ مــثــلُ دمِ الــعُــذْرَهْ(١)

وقال: [الكامل]

تــلكُــمْ هُــريـرةُ لا تـجـفُّ دمـوعـهـا أَهُــرَيْـرَ لـيـس أبـوكِ بـالـمـطـلـولِ(٢)

أي لا يُنسَى دمُه ولا يُبطَل ديتهُ. والألِيَّةُ: اليمين، وجمعها ألَايَا. والفعل منه آلَيْتُ أُولي إيلاءً، وائتلَى، وفي بعض اللغات يقال الأَلْوَةُ.

٢ ـ فــإن تَــهْــلِكْ جُــوَيُّ فــإنَّ حَــرْبًــا كَــظَــنِّــكَ كــان بَــعْــدَكَ مُــوقِــدُوهــا

خاطَب بعد أن أخبر على طريق التَّسلية، فيقول: إن ذَهَبْتَ لما دُعِيتَ له فإنَّ الذين شَبُّوا نارَ الحرب بعدَكَ في التقاضي بك كانوا كما ظننتَهم، وعند أمَلِكَ فيهم. فقوله «موقدوها» ارتفع بكان، وكظنِّك في موضع خبر كان وقد تقدَّم، والجملة أعني كان موقدوها بعدك كظنّك خبر إن، واسم إنّ وهو حَرْبًا نكرةٌ غير موصوفة أيضًا، وساغ ذلك لمّا كان المراد بها مفهومًا معلومًا. ويجوز أن يُجعل قولُه «كظنّك كان بعدَكَ موقدوها» من صفة حَرْبًا، ويُجعل خبر إنَّ محذوفًا، كأنَّه قال: إنَّ حربًا هذه صفتُها وقَعَتْ. وبيتُ الأعشى حجَّةٌ في الوجهين جميعًا. وهو: [المنسرح]

إنَّ مَــحَــلّاً وإنَّ مُــرْتَــحَــلَا وإنَّ في السَّفْرِ إذْ مَضَى مَهَلَا(٣)

ألا ترى أنَّ معناه إنَّ لنا مَحَلّاً وإنَّ لنا مرتحلًا، فحذف الخبر، ومَحَلٌّ ومرتَحَلٌ نكرتان.

٣ ـ ومــا ســاءت ظــنــونُــكَ يــومَ تُــولــي بــأرمــاحٍ وَفَــى لــك مُــشــرِعُــوهــا

٤ ـ ولــو بَــلَــغَ الــقــتــيــلَ فَــعَــالُ قَــوْمٍ لَــسَرَّكَ من سيوفِكَ مُنْتَضُوهـا(٤)

(١) بلا نسبة في اللسان (طلل)، وتاج العروس (طلل).

(٢) بلا نسبة في أساس البلاغة (طلل).

(٣) البيت في ديوانه ٢٨٣، وخزانة الأدب ١٠: ٢٥٢، واللسان (رحل)، وتاج العروس (حلل).

(٤) بعده عند التبريزي:

«لِــنــذركَ والــنــذورُ لــهــا وفــاءٌ إذا بــلــغَ الــخــزايــةَ بــالــغــوهــا»

٥ ـ كأنكَ كنتَ تعلَمُ يومَ بُزَّتْ ثِيابُكَ ما سَيَلْقى سالِبُوها[١]

قوله «وما شاءت ظنونك» تشكُّرٌ للعشيرة وإن كان لفظُه إعلامَ جُوَيٍّ ما كان منهم وثناءً عليهم، فيقول: لقد حَسُنَ ظنُّك بأرماحٍ وفَى لك مهيِّئوها ومُعْلموها يوم حَلِفك، فلا جَرَمَ أنّهم صَدَّقوا ظنَّك بهم، وحقَّقوا اعتقادَك فيهم، وجدُّوا في طلب الأمر وانكمشوا، حتّى بَرَّتْ يمينُك، وطابت نفوسُ أوِدَّائك، والمفجوعينَ بك. وجعل الباء من قوله «بأرماحٍ» متعلِّقًا بقوله ظنونك، وإنّما الظّنّ كان بأربابها، مجازًا واتّساعًا.

وقوله «ولو بلغ القتيلَ فَعالُ قوم» يريد لو أمكن إبلاغُ المقتولين ما يفعله الأحياءُ بعدَهم لقُمْتُ في ذلك وقَعدتُ، علمًا بأنّ ما أتاه قومُكَ إذا تأدّى إليك سَرَّكَ وقوعُه وحمِدتَهم له ويقال: نَضَا سيفَه وانتضاه، إذا جَرَّدَهُ من غمده. وقال «من سيوفك» وأضافها إليه لمّا كان أربابُها من أسبابه، وما للسَّبب مثل ما للمسبَّب.

وقوله «كأنك كنت تعلم يوم بُزَّتْ ثيابك» أراد بالثِّياب السِّلاحَ، وهذا كما يُقال له البَزُّ. قال الهُذليّ: [الطويل]

فَوُقِّرَ بَزٌّ ما هنالِكَ ضائعُ[٢]

يعنِي به السَّيف، ومعنى وُقِّرَ وُقِّعَ وَقَراتٌ وهَزَمَاتٌ، فيه. ويقال: بَزَّه كذا وابتزَّه. وفي المثل: «مَن عَزّ بَزّ»[٣]، أي من غَلَب سَلَب. وقال الدُّريديّ: البَزُّ السِّلاح، يدخل فيه الدِّرع والمِغْفَرُ والسَّيف. وجعل تَعلَم بمعنى تعرِف، لذلك اكتفَى بمفعولٍ واحد، كقول الله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠]. و«ما سيلقى» ما بمعنى الذي، وما بعده من صلته، وحذَف المفعولَ من سَيَلقى استطالةً للاسم بصلته، أراد ما سيلقاه، ويعني بذلك ما يصيبُهم في مكافأةِ فعلِهم، وعند الانتقام منهم.

---

(١) بعده عند التبريزي:

«فما عُتِرَ الظباءُ بحيِّ كعبٍ ولا الخمسونَ قصّرَ طالبوها
صَبَحْنَ الخزرجيّةُ مرهفاتٍ أبانَ ذوي أرومتها ذووها»

(٢) لقيس بن عيزارة الهذليّ في شرح أشعار الهذليين ص ٥٩١، وللهذليّ في اللسان (بزز، ويل)، وصدره:

«فويلُ أُمِّ برٍّ جرَّ شَغلٌ على الحصى»

(٣) المثل في اللسان (بزز).

٣٤١ ـ وقال آخر: [الوافر]

١ ـ نَعَى النَّاعِي الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ تَنْعَى فَتَى أَهْلِ الحِجَازِ وأَهْلِ نَجْدِ
٢ ـ خَفِيفَ الحَاذِ نَسَّالَ الفَيَافِي وعَبْدًا لِلصَّحَابَةِ غَيْرَ عَبْدِ

يقول: خَبَّرَ الناعي بموت الزُّبير، فقلت معظِّمًا لشأنه، ومفخِّمًا للتأثير بمكانه: إنكَ تذكر موتَ قريعِ أهلِ الحجاز وأهل نجد ومختارِهم، ومَن لا تحقُّ الفتُوَّة بالاتِّفاق إلا له. وقوله «خفيف الحاذِ» وصفه بخفَّة العجُز وقلّة اللَّحم على الفخِذ، وذلك مستحبٌّ من الفُرسان. قال الخليل: الحاذَان: أدبارُ الفخِذين، والآحاذ الجميع. وقيل: هو الظَّهر. والحاذُ في غير هذا المكان: الحال والمَؤُونة. وقوله «نَسَّال الفيافي» أراد نسَّالٌ في الفيافي، فأجراه مجرى قَطَّاع الفيافي. والنَسَان: مِشية الذِّئب إذا أعتَقَ وأسرع. ويقال: نَسَل الماشي، إذا أسرع. وفي القرآن: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: الآية ٥١] أي يُسْرِعون.

وقوله «عَبْدًا للصَّحابة غيرَ عَبْدِ» يصفه بكرم الصِّحاب، وحُسن التوفُّر على الرِّفاق. والصَّحابة مصدر في الأصل، يقال أحسَنَ الله صِحَابتك، ثم استُعمِل صفةً، وقَوِيَ في الوصفيَّة حتى جَرَى مَجرى الأسماء، وتفرَّد عن الموصوف به. وكذلك قولهم صاحبٌ اسم الفاعل من صَحِبَ، تفرُّدُه بنفسه، قَوِيَ حتى كأنَّه ليس بمشتقٍّ من صَحِبَ، لا يكاد يقال هو صاحِبٌ زَيْدًا كما يقال: هو ضاربٌ زيدًا. ومعنى «غير عَبْدِ» نَفْيٌ لذُلِّ العبوديّة، لأنَّ قوله «عبدًا للصحابة» أراد كرم الخُلُق وسهولةَ الجانب، وتحمُّلَ الأعباءِ عن رفقائه. وقد ألَمَّ في هذا بقول الآخر: [الرجز]

طَبَّاخِ ساعاتِ الكَرَى زادَ الكَسِلْ(١)

٣٤٢ ـ وقال رُقَيبة الجَرْمِيُّ، من طيِّىء: [الطويل]

١ ـ أقولُ وفي الأكفانِ أبيَضُ ماجِدٌ كغُصْنِ الأرَاكِ وجْهُهُ حِينَ وسَّما
٢ ـ أحقًّا عِبَادَ الله أنْ لَسْتُ رائيًا رِفاعَةَ طُولَ الدَّهرِ إلّا تَوَهُّما

---

(١) للشماخ في ديوانه ٣٨٩، ولجبار بن جزء في خزانة الأدب ٤: ٢٣٣، وبلا نسبة في اللسان (عسل)، ومجالس ثعلب ١: ١٥٢.

مفعول «أقول» هي جملة البيت الذي يليه، والواو من قوله: «وفي الأكفان أبيضُ ماجد» واو الحال، و«كغصن الأراك» في موضع الصِّفة لأبيض، شبَّه امتدادَ قامتِه به. و«وجهُه» على هذا يكون مبتدأً وخبره حين وسَمَا، والجملة في موضع الصِّفة لما قبله. وظروف الأزمنة لا تتضمَّن الأشخاص والجُثَث، لا تقول زيدٌ اليوم، ولكن هذا مثل قولهم: الهلالُ اللَّيلةَ فكما جازَ هذا لأنَّ المراد طُلوع الهلال اللَّيلة، كذلك قوله «وجهُه حين وسَّمَا» لأن المعنى: بُقُولُ وجْهِه حين وَسَمَّ. ومعنى وسَمَّ: خَرَج قليلًا، وحقيقتُه أنّه بمعنى توسَّم، كما أنَّ وجَّه بمعنى توجّه، ونَبَّه بمعنى تنبَّه، وقدَّم بمعنى تقدَّم. ويقال: لَوَّن الغلامُ، وطَرَّ، ووَسَّم، وبَقَل بالتخفيف، في معنًى واحد. وأجاز أبو حاتم بَقَّل بالتَّشديد ورواه الأصمعيّ ولم يُجِزْهُ غيره. والمعنى: أقول متلهّفًا وقد كُفِّن بمرأى منّي ثَمّ شابٌّ مجتمِعٌ كريمٌ شريفٌ حسن الطَّأة[1]، كأنّه غُصن من الأراكِ ووجهُه قد وَسَمَّ حديثًا. والمعنى: اغتُبِط ولم يُمتَّع بشبابه، ولا أُمهِل لاستكماله واكتهاله. فأقول: حَقًّا عبادَ الله ما أرى.

وقد ألمّ في هذا المعنى بقول النّابغة: [الطويل]

يقولون حِصْنٌ ثم تأبى نفوسُهم[2]

كأنه يكذِّب المشاهدة كما كذَّب النابغة الإخبار. وكلُّ ذلك لاستفظاع الحال، واستعظام الأمرِ والخَطْب. فأمّا قوله «أحَقًّا» انتصبَ عند سيبويه على الظَّرف، كأنَّه أفي الحقّ ذلك. فإن قيل: كيف جاز أن يكون ظرفًا؟ قلتَ لمَّا رآهم يقولون: أفي حقٍّ كذا، أو أفي الحقّ كذا، جعله إذا نصبوه على تلك الطَّريقة، قال: [الوافر]

أفِي حَقٍّ مُواساتِي أخاكمْ بمالي ثمَّ يَظلِمُني السَّرِيسُ[3]

وقال: [الطويل]

أفِي الحقِّ أنّي مُغرَمٌ بِكِ هائمٌ وأنّكِ لا خَلٌّ هَوَاكِ ولا خَمْرُ[4]

(١) الطَّأة: الحال اللّيّنة.
(٢) للنابغة في ديوانه ١٩٠، وأساس البلاغة (جنح).
(٣) لأبي زبيد الطائي في ديوانه ١٠١، والأغاني ١٢: ١٢٩، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٨٠، واللسان (سرس).
(٤) لفائد بن المنذر في شرح التصريح ١: ٣٣٩، ولعابد بن المنذر في شرح شواهد المغني ١: ١٧٢، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١: ٤٠١.

وقوله «أن لستُ رائيًا» أنْ مخفَّفة من الثقيلة. والمعنى: أفي الحقِّ لستُ رائيًا هذا الفتى إلا متوهِّما أبَدَ الدَّهر. وقوله «توهُّما» مصدر في موضع الحال. وفائدة قوله «عبادَ الله» أنّه رجع فيما كان لا يؤمِن به ولا يسكُن إليه شناعةً وقباحة، إلى النّاس كافةً يستثبتُهم ويستَفْتيهم.

٣ ـ فأُقْسِمُ ما جَشَّمْتُهُ من مُهِمَّةٍ تَؤُودُ كِرَامَ القَوْمِ إلا تَجَشَّمَا[1]

٤ ـ ولا قُلتُ مَهلًا وهو غَضبانُ قد غَلَا مِن الغَيظ وسْطَ القَومِ إلّا تَبَسَّما

يصِفُ رضاه وحُسنَ طاعتِه له، وقُوّةَ نهضته بكلِّ ما يُحَمِّلُه من الأثقال المتعِبة، والآراب المثقِلة، ودوامَ صبرِه على جميع ما يُكلِّفُه من المهمّات الشاقَّة على كرام النّاس الباهظةِ، إلى ما كان يُوجِب له ويعظِّم قدرَ كلامِه، فقال: ولم أقل له رفقًا إذا احتَمَى غيظًا إلّا سكَنَ وحَسُنت فَيئتُه، وكَرُمت عَطفتُه، حتّى بَدَا ليَ مَضحَكُه، وتهلّلتْ في لُقيايَ غُرّتُه. هذا ومجلسُه مشهود، والأقوامُ حولَه قعود، فلا يتداخله نَخوة، ولا تأخُذه بالإباء والتشدُّد عزّة. وهذا كلُّه تنبيهٌ على تَعالي لوعتِه، وتَغالي حُرْقته وفَجْعته.

٣٤٣ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَلَا لَا فَتى بعدَ ابنِ نَاشِرَةَ الفَتَى ولا عُرْفَ إلّا قد تَوَلّى فأدْبَرَا

٢ ـ فَتًى حَنظَليٌّ ما تَزالُ رِكابُهُ تجودُ بمعروفٍ وتُنكِرُ مُنكَرَا

٣ ـ لَحَى اللهُ قومًا أسْلَمُوكَ وجَرَّدُوا عَنَاجِيجَ أعطَتْهَا يَمينُك ضُمَّرَا

حذف الخبر من قوله «لا فَتى» و«لا عُرْفَ» جميعًا، كأنّه قال: لا فتى في الدنيا بعدَ ذهابه، ولا عُرفَ موجودٌ بعد تَوَلّي عُرْفه. وفي وصفه المرثيَّ بالفتى كأنّه جَمَع له الفضائلَ كلَّها، كما أنَّ نفيه العُرفَ كأنّه نَفَى به المحامد كلَّها؛ لأنَّ من شرط الفتوّة أن يَدخل تحتها خِصالُ الخير، كما أنَّ العُرف والمعروف يدخل تحتَه كلُّ ما عُرِف في الإحسان والصَّلاح. ولك أن تنوِّن «لا فَتًى» وإن كان الأوّل أشرفَ في المعنى وأبلغ، فيكون في موضع الرَّفع بالابتداء، وكذلك لا عُرْف ترفعه وتنوّنه، لأنّك تلقى حركة الهمزة من إلّا وهي كسرة على التّنوين. والفصل بين الرَّفع والنَّصب أنَّ النّصب يفيد الاستغراق، كأنّه نفى قليلَ الجِنس وكثيرَه، إذا كان جوابَ هل مِن فَتًى، ومن عُرْفٍ؟

---

(١) التبريزي: «من مُلِمّةٍ».

والرَّفع لا يكون فيه الاستغراق، لكونه جوابَ هل فتًى وهل عُرِفَ، فلا يمتنع أن يكون السُّؤال عن واحدٍ من الجنس ويكون الجوابُ على حدِّه. وقوله «ما تزال ركابه» من صفة فتًى، و«تجود بمعروف» خبر ما تزال.

وارتفع «فتًى حَنظليٌّ» على أنه خبر مبتدأٍ محذوف، ولو نصبه على المدح والاختصاص لجاز، وقَصْدُه إلى أنَّه أَمَّارٌ بالمعروف، ونَهَّاءٌ عن المنكر، ولا يَرضى بذلك فيما يليه من البلاد، بل تَرى الرُّكبان تطوف به، فيأتيهما في الأباعد مثلَ ما يأتيهما في الأقارب. وقوله «ركابه» أراد أصحاب رِكابه يعني رسله.

وقوله «لَحَى الله قومًا أسلموك» تصريحٌ بأنَّ أصحابَه خذلوه وتقاعدوا عن نُصْرَته حتَّى تمكّن منه الأعداءُ فقتلوه. وقوله «جرّدوا عناجيج أعطَتْها يمينُك ضُمَّرا» بيانٌ لأن الخَيل التي جرّدُوها للرَّكض في الهرَب ممَّا سمحت به يدُه، فلم يُراعُوا ذِمَّة، ولم يحافِظوا حُرمة، ولا راجعوا أنفُسَهم فيما تُنتِجه الأُحدوثة، وتسير به الرَّكبُ من سيِّىء القالَة. والعَناجيج: الخيل الطِّوال، واحدها عُنجوج. ومعنى «لَحَى الله» يجوز أن يكون من اللِّحاء: السَّبّ والذمّ. ويجوز أن يكون من اللَّحْى: القَشْر. وكيف جعلتَه فهو دعاءٌ عليهم، تسويدًا لوُجوههم، وإلحاقًا للعارِ بهم، وتقبيحًا لفعلهم، وجزاءً على صُنعهم. وفائدة قوله «ضُمّرا» أنّهم لم يُؤتَوْا من عُدَّةٍ ولا عَدَدٍ، وإنَّما أُتُوا من عَجزِهم وجُبنِهم، وسوء نيَّاتِهم، وسُقوط همَّتهم.

٣٤٤ ـ وقال آخر(١): [البسيط]

١ ـ أَضحَى أبو القاسمِ الثَّاوِي ببَلْقَعَةٍ تَسفِي الرِّياحُ عليهِ مِنْ سَوَافيها(٢)

قوله «أضحى» هٰهنا لاتصال الوقت، والباء من قوله ببلقعة تعلق بالثاوي، وخبر أضحى تَسفي الرِّياح عليه، والكلام توجُّعٌ وتحسُّرٌ بأنَّه استَبدَلَ بمَجالِسهِ الفضاءَ، ومن نُدَمائه وخلطائه الخَلَاءَ، ومن رفيع دَسْتِه ونَبيه فَرْشِه التُّراب، والرِّياح السَّوافي تأتي بها إليه، وتجمعه عليه. والسَّفَا والسافياء: التُّراب. ويقال سَفَت الريحُ التُّرابَ وغيرَه تَسفيه

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي قال: «قال دعبل الخزاعي» والأبيات في ديوانه. ودعبل الخزاعي: شاعر هجّاء، أصله من الكوفة، هجا الخلفاء: الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. (ت ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م)، ترجمته في وفيات الأعيان ١: ١٧٨، والشعر والشعراء ص ٣٥٠.

(٢) أولها عند التبريزي:

«كانت خزاعةُ مِلءَ الأرض ما اتّسعتْ فقصَّ مَرُّ الليالي من حواشيها»

سَفْيًا، والريح سافية، والجميع السَّوافي، للترابِ والوَرَق واليَبِيس. وقيل السافياء: الريح تحمل ترابًا كثيرًا تهجُم به على الناس. والسَّفَا: اسم ما تسفيه. والبَلقَع: المكان الخالي.

٢ ـ هَبَّتْ وقد عَلِمَتْ أنْ لا هُبُوبَ به وقد تكون حَسيرًا إذْ يُباريها

يقول: هبَّت الرياحُ عليه رافعةَ الحشمةَ في ابتذالها إيّاه، عالمةً أنه لا هبوبَ لريحِ دَولته، ولا نَفاذَ لأمره، ولا استقامةَ لصولته، وقد كانت إذا هَمَّت بمباراته تقِف حَسيرًا بهيرًا لا انخراقَ لها، ولا مَجرَّ لذيلها. وقوله «أن لا هُبوبَ» أن مخفَّفة من الثَّقيلة، كأنَّه قال: أنّه لا هبوب به. والضَّمير للأمر والشأن، وإن شئتَ كان للمرثيّ. ولا هبوب في موضع خبر أنّ، والجملة سَدَّت مَسَدّ مفعولي عَلِمَتْ.

٣ ـ أَضْحَى قِرًى لِلمَنَايا رَهْنَ بَلْقَعَةٍ وقد يكونُ غَداةَ الرَّوْعِ يَقْرِيها

يقول: صار طُعمةً للمنايا هذا المفقودُ ومرتَهنًا في قبره، لا انفكاكَ له ولا دِفاعَ به، وقد كان وهو حَيٌّ غداةَ الرَّوع يَقرِي المنايا من لحوم الأعادي، ويجعلهم قِراها وطُعْمها. ويقارب هذا قولَ الآخر: [الطويل]

وإنّا لَنَلْحَمُ السَّيفَ غَيْرَ نكيرةٍ ونُلْحِمُهُ حينًا وليس بذي نُكْرِ[1]

٣٤٥ ـ وقال عَقِيل بن عُلَّفة[2]: [الطويل]

١ ـ لِتَغْدُ المَنايا حيثُ شاءَتْ فإنَّها مُحَلَّلَةٌ بعدَ الفتى ابنِ عَقِيلِ
٢ ـ فتًى كان مَوْلاهُ يَحُلُّ بنَجْوَةٍ فَحَلَّ الموالي بَعْدَهُ بمَسِيلِ
٣ ـ طَويلُ نِجَادِ السيفِ وَهْمٌ كأنَّما تَصُولُ إذا استَنْجدتَه بقَبيلِ

كأنَّه أذِن لأنواع الموت أن تَبتكر حيث شاءت، وتَنالَ من الناس مَن أرادت، فقد حلَّ لها ذلك بعد أَخْذها الفتى ابنَ عقيل، لأنَّه هو الذي كان يُخشى عليه منها، ويُرتجى يومُه وغدُه، وإذ قد أصيب الناسُ به فلا خطَرَ على المنايا، ولا خوفَ من الرزايا. ويقال: حَللتُه من كذا تحليلًا، إذا أطلقتَه له.

(١) البيت السادس من الحماسية رقم (٢٧٢).
(٢) التبريزي: «... ابن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرّة».

وقوله «كان مولاه يحُلُّ بنَجْوةٍ» فالنجوة: اسم المكان المرتفِع، والجميع النِّجاء. وقيل هو اسمٌ لما إذا أَوَيْتَ إليه نَجَوْتَ من محذورك. وقد دخَل تحت قوله «مولاه» ابنُ العمِّ وكلُّ مَن ينتسب إليه بوَلاءٍ. ألا تَرَى أنّه لما أعاد ذِكره قال: «فحَلَّ الموالِي بعدَهُ بمَسِيل». وإنما قال ذلك لأنّهم كانوا بأجمعهم يتعزَّزون به ويستظهِرون على الدَّهر بحياته، فلما أُصيبوا به تمكَّنت الأقدارُ من التأثير فيهم، وتسلَّقت الآفاتُ من كلِّ جانبٍ عليهم، وصاروا بمنزلة من نزَلَ في مسيلٍ من الأرض فلعبت السُّيول به، وتهجَّمت نُوَبُ الزَّمان عليه، وقد كان من قبلُ في يَفَاع لا يرتفع إليه الأَتِيُّ وإن طَمَا، ولا يرتقي إليه الأبيُّ وإن استعلَى.

وقوله «طويل نِجاد السيف» وصَفه بامتداد القامة، وهذا كما أنَّ الفرسَ إذا وُصِف بطول الخدِّ قيل: هو طويل العِذَار. ومثله قول أبي نُواس: [الكامل]

سَبْطُ البَنَان إذا احتَبَى بنجادِهِ   غَمرَ الجماجِمَ والسِّماطُ قِيامُ

وهذا المعنى مضادٌّ لما وَصَف به بعضهم تأبَّط شَرًّا، وكان يلقَّب بالشَّغل، فسَلَبَ بزَّ قتيلٍ له وتقلَّدَ سيفَه، وكان القتيل حَسَنَ الشَّطَاط، وتأبَّطَ شرًّا قصيرَ القامة، فطال عليه حمائلَ السيفِ المسلوبِ وانجرَّ على الأرض، فقال فيه: [الطويل]

فويْلُمِّ بَزٍّ جَرَّ شَغلٌ عَلَى الحَصَى   فوُقِّرَ بَزٌّ ما هنالك ضائعُ(١)

أراد بالبَزّ السيف، ومعنى وُقِّر وُقِّع فيه وَقَراتٌ وهَزَمات، لتأثير الحصَى فيها. وجعل البَزَّ ضائعًا لِمَا لبِسه غيرُ صاحبِه. فأمَّا قوله «يصول إذا استنجدتَه بقبيل» فإنَّه يصفه بغَنائه إذا استُغِيثَ به وكمالِ آلاته، حتى صار المستنصِر له والمستغيث به، إذا أجابه واحتضره، كأنّه أجابه قَبيلٌ لا رجُل. والوَهْمُ: العظيم التامُّ الخَلْق. ويقال: جَملٌ وهمٌ، وهو القويُّ العظيم المنقاد، المطيعُ لصاحبه.

٣٤٦ ـ وقال مُسافِعُ العَبْسِيّ(٢): [الطويل]

١ ـ أبعد بني عَمْرو وأُسْرُ بمُقْبِلٍ   من العَيْشِ أوْ آسَى على إثْرِ مُدْبِرِ

٢ ـ وليسَ وَرَاءَ الشيءِ شيءٌ يَرُدُّهُ   عليك إذا وَلّى سِوَى الصَّبْرِ فاصْبِرِ

---

(١) مرّ في حواشي الحماسية (٣٤٠).
(٢) التبريزي: «مسافع بن حذيفة العبسيّ» وهو شاعر فارس من شعراء الجاهلية.

قوله «أبعد بني عمرو أُسَرُّ بمقبلٍ» كأنّه قال منكِرًا مستقبِحًا. يريدُ أُسَرُّ بعد أن فُجِعت بهؤلاء القوم بقدَرٍ يساعدُ، أو عيشٍ يُقبِل، أو زمانٍ يُطاوِع، أو أحزَنُ في إثر فائتٍ، أو أجزع لتولّي مُدْبِر. والمعنى: أنَّ السُّرور كان يتصل بحياتهم، والغَمّ كان يُحذَّر مخافةَ أن يكون فيهم، وإذا قد مضَوْا لسبيلهم فلا شيءَ من أعراض الدنيا يَلحق له حبورٌ إذا نِيل، ولا شيءَ من أعلاق المُنَى يُحزَنُ له إذا أُفِيتَ.

وقوله «وليس وراءَ الشيءِ شيء يردُّه عليك» أي يَرجِعه إليك. فالاعتصام بحبل الصَّبر هو الأَوْلَى؛ والأحبّ دِينًا ودُنيا، فاصبِر وقوله «سِوَى الصبر» موضعُه من الإعراب استثناءٌ خارج، لأنَّ الصبر ليس من الشيءِ الرّادّ الفائتَ في شيء، فقد انقطع مما قبله.

٣ ـ سلامٌ بني عمرٍو على حيثُ هامُكُمْ جَمَالَ النَّدِيِّ والقَنَا والسَّنَوَّرِ

٤ ـ أُولاكَ بَنُو خيرٍ وشَرٌّ كِلَيْهِما جَمِيعًا ومعروفٍ أَلَمَّ ومُنكَرِ

لما استسلم للجزع وما اعتاده من الهَلَع، وصبَّرَ نفسَه مسلِّيًا، وتتبع أثر المصيبة معفيًا، حيَّاهم فقال: عليكم التَّحِيَّةُ من اللهِ يا بني عَمرٍو حيث قَرّت هامكم. و«هامكم» ترتفع بالابتداء وخبره محذوف، كأنه قال: حيث هامكم حاصلة موجودة. والجملة أضيف إليها حيث لينشرح بها، لأن حيث يقتضي جملتين، فهي في الأمكنة مثل حينَ في الأزمنة. ثم قال «جمالَ النَّدِي» أي أذكرُ جمالَ المجلس يومَ الحفل، وزَينَ السِّلاح غداةَ الروع، فانتصبَ جمالَ على الاختصاص والمدح. وذَكَر الهامَ على عادةِ العرب، في زعمهِم أنَّ عظامَ الموتَى تصير هامةً تطير. والنَّدِيُّ والنَّادي: المجلِس. ويقال: نَدَاهُمُ المجلسُ، أي جَمَعَهم، فانتَدَوْه.

وقوله «أولاك بنو خيرٍ وشرٌ كليهما» إيذان منه بأنّهم كانوا مستصلَحِين لكلّ ما يعنُّ ويحدُثُ من السَّرَّاء والضَّرَّاء، فكانوا بني الخير لاستدرار المنافع من مالهم وجاههم، وبني الشَّرّ لاستدفاع البلايا ببأسِهم. وكانوا يُسْعِدون مواليَهم ببِرِّهم وتفقدهم، ويُشْقُون مُعَادِيَهم بحَدِّهم وسطوتهم. وقوله «كليهما جميعًا» انجرَّ كليهما على البدل من خيرٍ وشرٍ، ولا يجوز أن يكون توكيدًا لهما، لأنَّ توكيد ما لا يُعرَف لا فائدةَ فيه. والكوفيُّون يجوِّزون توكيدَ ما يَدخله التَّجزئةُ منَ النَّكرات، يقولون: قرأت كتابًا كلَّه، وأكلتُ رغيفًا كلَّه، على التوكيد. وأصحابنا البصريُّون يجيزون الكلامَ بمثل هذا، ولكنهم يمتنعون من إجراء الآخر على الأوَّل على طريق التَّأكيد ويجعلونه بدلًا،

كأنّه قال: بنو كِلَا الخيرِ والشّرّ. وانتصب «جميعًا» على الحال. وكِلَا يضاف إلى المثنّى، إلّا أنّ المعطوفَ والمعطوف عليه والحرف العاطفَ الواوَ بمنزلة المثنّى وفائدة قوله «معروف ألَمّ ومنكَر» أن يُصْرَفَا إلى النّوازل الملمّة والحوادث الطّارئة، فيكون الخير والشر مقصورين على أفعالهما، فلذلك قال «ومعروفٍ ألمّ ومنكر» ليتَميَّزَ ما يكون من فعلهما عما يحدُث من غير فِعلهما.

٣٤٧ ـ وقال الربيعُ بن زيادٍ العَبْسيّ في مالكِ بن زُهيرِ العبسِيّ:

[الكامل]

١ ـ إنّـي أرِقْـتُ فـلم أُغَـمِّـضْ حَـارِ مِنْ سيّىء النّـبأ الْجَلِيلِ السّـاري

٢ ـ مِنْ مِثْلِهِ تُمْسِي النّسَاءُ حَوَاسِرًا وتَـقُـومُ مُـعْـوِلَةً مـع الأسْـحـارِ

يقول: لمّا تساقَطَ الخبرُ الموجِع السّاري بليلٍ، العظِيمُ في شأنه، الفظيع عند وُقوعِه إليّ، سهرتُ فلم أغمِّض يا حار. كأنّه ذكرَ ابتداءَ حاله لابتداء نَعِيِّه. والأرَق: السَّهَر. ويقال: غمّضتُ عيني بالتشديد، وغَمَضْتُها، واغتمضْتُ. وأضاف السّيّىء إلى النّبأ لأنّه جعل النّبأ للجِنس، فهو كإضافة البعض إلى الكلّ. ويقال: أساءَ ما صنَعَ، فهو سيّىء، وساءني الشّيءُ مَساءةً، وسُؤتَني بما فَعلتَ مَساءةً ومَسَائيَة. ويقال: السّيّىء والسّيِّئة والسُّوءَى. والسّيئة كالخطيئة، وهو بإزاء الحسنة، والسُّوءَى بإزاء الحسنى. والسُّوء: الاسمُ الجامعُ للآفات والأدواء.

وقوله «من مثله تُمسِي النّساءُ حواسرًا» أي يأتي عليهنّ المَساء وقد طَرحْنَ خُمُرَهنّ فهنّ كاشفات الرُّؤوس، مسبِلات الشُّعور، لا يَكتسِينَ ولا يستَترن، ويقُمْن مع السَّحَر صائحاتٍ عائداتٍ إلى عادتهنّ من النِّياحة والبكاء. وقيل الإمساء من الظُّهر إلى المغرب، وقيل بل إلى نِصف اللّيل من الإمساء. ورَوَى بعضهم: «تَمْشِي النّساء» أي يمشين متبرّزات لا يدفعُهنّ عن ذلك حشمةٌ ولا يَحجزهنّ رِقْبَةٌ. والأوّل أجوَدُ، حتّى يكون المساءُ في مقابَلة الصّباح، ويكونَ الشّاعرُ قد ذكر طَرَفَي النّهار من أوقاتِهنّ.

٣ ـ أفـبَـعْـدَ مَـقْـتَـلِ مـالِكِ بـن زُهَـيْـرِ تَـرجُـو الـنّـسـاءُ عـواقِـبَ الأطـهـارِ

٤ ـ مـا إنْ أرَى فـي قَـتْـلِهِ لِذَوِي الـقُـوَى إلّا الـمَـطِـيَّ تُـشَـدُّ بـالأكْـوَارِ[١]

(١) التبريزي: «لذوي النُّهى».

هذا فيه ما في قول الأخطل: [البسيط]

قـوم إذا حـارَبُـوا شَـدُّوا مـآزِرَهُـمْ دونَ النِّسـاءِ ولـو بـاتَـتْ بأطْهَارِ[1]

وإلى هذا أشار أبو تمامٍ في قوله: [البسيط]

لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبَطْرِيًا هَرَقْتَ له كأسَ الكَرَى ورُضَّابَ الخُرَّدِ العُرُبِ

وقوله «أفبعد» لفظه لفظ الاستفهام، والاستفهامُ يطلب الفِعل، فكأنَّه قال: أترجو النِّساء عواقبَ الأطهار بعد مقتلِ مالك؟ وهو ينكر أن يكون ذلك أو يُستجازَ وقوعُه. والمراد بعواقب الأطهار مراجعةُ البُعولة إلى مضاجَعة النِّساء بعقِبِ أطهارهنّ والتمتُّع بهنّ. والمعنى أنَّ الأمور أفظَعُ من أن يُتَوَهَّمَ ذلك، والخَطْبَ في المصاب به أنكَى في القُلوبِ والنُّفوسِ من أن يُتذكَّرَ لذَّاتٌ، أو يُتحدَّثَ بتناسُلٍ ووِلادات. وقوله «ابن زُهَيْرٍ» جعل عَروض الضَّرب الثاني من الكامل مقطوعة، ولو قال «زُهَيِّرٍ» لاستفهام له وكان يكون متفاعِلُنْ. وهم يُدْخِلون على الأعلام التَّغييرَ كثيرًا، لكنَّه مال إلى هذا وجعله فَعِلاتُنْ. وقد فَعَلَ في أوّل المقطوعةِ مثلَ ذلك، لكنَّه في ذلك أعذَر لأنَّه جعلَها مصرَّعَة، ولم يرضَ بأن جعله فَعِلاتُنْ حتَّى سكَّنَ العين منه وجعله مَفْعُولُنْ، ويسمَّى مقطوعًا مُضمَرًا. وفَعَلَ أيضًا مثلَه في قوله:

ومُـجَـنَّـبَـاتٍ مـا يَـذُقْـنَ عَـذُوفَـا

والعُذر فيه كالعُذر في قوله «أفبعد مقتل مالِك بن زُهَيْرٍ» ولو قال «عَذوفةً» لاستقام له. وربَّما مالوا إلى المُزَاحَفِ من غير ضرورةٍ. على ذلك قول المُتَنَخِّلُ في الطائيّة: [الوافر]

أبِـيـتُ عـلى مَـعَـارٍ فـاخِـراتٍ بِـهِـنّ مُـلَوَّبٌ كَـدَمِ الـعِـبَـاطِ[2]

روَوا أنَّ كل العرب ترويه «مَعَارٍ فاخراتٍ» بالتنوين، وإنَّما هو من الضرب الأوَّل من العَروض الأولى من الوافِر: مُفاعَلَتُنْ مفاعَلَتُن فَعُولُنْ، فجعل مُفاعلتن الثاني مفاعيلن بالعَصْب، وهو في زِحاف هذا البحرِ جائز، لكنَّه لو رُوِي «مَعَارِيَ» بفتح الياء لسَلِم، ولـم يفعل. وقوله «ما إن أرى في قتله لذوِي القُوى» أضاف المصدرَ إلى

(١) للأخطل في ديوانه ٨٤، وحماسة البحتري ص ٣٤، ونوادر أبي زيد ص ١٥٠.
(٢) للمتنخل الهذليّ في شرح أشعار الهذليين ٣: ١٢٦٨، واللسان (لوب، عرا)، وللهذليّ في الكتاب ٣: ٣١٣.

المفعول والمراد في قتلهم لمالك، ويعني بذوي القُوَى ذوي الرَّأي والفِعْل، والعدد والعُدّة، فيقول: لا أرى لمن كان هكذا من أولياء دمِه وطُلّاب ثأره، إلّا امتطاءَ الإبل وتَجنيبَ الخُيول، وركوبَ كلّ صعبٍ وذَلول، إلى أن يُنالَ من العدوّ مثلُ ما ناله منهم، فإنّ في ركوب الجِدّ مساعدةً من الجَدّ، ولن ترى العزمَ أُصْرِخ بالفعلِ إلا وثَمّ مطاوَعَةٌ من القَدَر. وقوله «تُشَدُّ بالأكوار» يريد تُشَدُّ الأكوار عليها، فرَمَى بالكلام.

٥ ـ ومُجَنَّباتٍ ما يَذُقْنَ عَذُوفًا يَقْذِفْنَ بالمُهَرَاتِ والأمْهارِ
٦ ـ ومَسَاعِرًا صَدَأُ الحديدِ عليهِمُ فكأنّما تُطْلَى الوُجوهُ بِقَارِ

عَطَف قوله «ومجنَّباتٍ» على «إلّا المطي» والمراد أرى لهم أعدادَهم ومطايَا مرحولة، وخيلًا مجنوبة. وكذا كانت عادتُهم في مَقْصَدِهم الغارات، وركوبِهم إلى الوَقَعات، أن يركبوا الإبلَ ويجنّبوا الخيلَ إلى أن ينتهوا إلى موضع الغارة، أو ملتقَى القومِ للمحارَبة، فحينئذٍ يُنيخون الإبل ويركبون الخيلَ وهي وادعةٌ لم يلحقْها كبير تعب، ولم يمتلكها سآمةُ ضَجَر، فيُعمِلونها كما يحبُّون.

وهذا كما قال[1] النابغةُ يصف خيلَ عمرِو بن هندٍ: [الطويل]

مُقَرَّنَةً بالأُدْمِ والعِيسِ كالقَطَا عليها الخُبُورُ مُحْقَباتُ المَرَاجِلِ
ويَقذِفْن بالأولاد في كلّ مَنزِلٍ تَشَحَّطُ في أسلائها كالوصائلِ

ومعنى «ما يذقن عَذُوفًا» أي أدنى ما يُؤكَل. وقال الخليل: يستعمل في الطعام والشراب. ويقال: ما ذُقْتُ عَذَفًا ولا عَذُوفًا ولا عَذُوفةً ولا عَذَفًا أي ذَوَاقًا. والفعل منه قد يُبنَى فيقال: تعذَّفْتُ عَذُوفةً. وقوله «بالمُهَرَات والأمهار» أي لما يلحقهنَّ من الكلال، والتحامل عليه في طيِّ المنازل بها والتَّرحال والمَساعِر: جمع المِسعر، وهو كأنه آلةٌ في إسعارِ نار الحرب وإيقادها. وإنما قال «صدأُ الحديد عليهم» لاتّصال لُبسهم الدُّروع، و«كأنما تُطلَى الوجوهُ بقارٍ» لأنّ المراد أنّ السَّموم والحَرور قد لَفَحَت وجوهَهم، وغيَّرتْ ألوانَهم، لأنّهم تعوَّدوا قَصْدَ الغارات، وقَطْع المشاق. وجعَلَ الخيلَ كالفُرسان والفُرسان كالخيل في الصَّبر والثَّبات.

٧ ـ مَن كان مسرورًا بمقتلِ مالكٍ فليأتِ ساحَتَنا بوَجْهِ نَهارِ[2]

(١) الأبيات في ديوانه ص ٩٩ ـ ١٠٠ (مؤسسة النور للمطبوعات).
(٢) التبريزي: «فليأتِ نسوتنا».

٨ ـ يَجِدِ النِّساءَ حواسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَلْطِمْنَ أَوْجُهَهُنَّ بالأَسحارِ

كانت العادة مستمرّة مستحكِمةً فيهم، أنّهم لا يَنْدُبون القتيل أو يُدْرَكَ ثأره. فيقول: مَن كان فرحًا بمقتل مالك، شامتًا بأوليائه، فلينزعْ ملابسَ المسرّة وليطّرِحْ أردية الشّماتة، فقد أُدرِكت الآثارُ وأُرِيقت الدّماء، وشُفيت الأدواء، وليحضُرْ ساحتَنا في أوّل النهار، ليرى أنَّ ما كان مُحرَّمًا من الرّثاء قد حَلّ، وأن الْحَظْر الواقعَ ببكائه قد رُفِع، ويجدَ النساءَ مكشوفاتِ الرؤوس يَذكُرنَه بما كان من فضائله، ويندُبْنه بأشهر أوصافِه، وأعلى مراتِبه ومَحَالِّه، فإنّ ذلك متصّلٌ من فعلهنَّ غير منقطعٍ في أطراف الليل والنهار، والآصالِ والأسحار، وبعضهم يرويه:

مَـن كـان مـحـزونًـا بـمـقـتـل مـالـكٍ

والمراد الموالُون، كما كان المراد بالأوّل المنابِذين. وأكثرُ من رأيناه كان يروى «فليأتِ نسوَتَنا» ورأيت الأستاذَ الرئيسَ أبا الفضل ابنَ العميد يقول: «إني لأتعجَّب من أبي تَمّامٍ مع تكلُّفه رَمَّ جوانبِ ما يختاره من الأبيات، وغَسْلِه من دَرَن بَشِع الألفاظ، كيف تَرك تأمُّلَ قولِه فليأتِ نسوتَنا. وهذه لفظةٌ شنيعة. وكيف ذهَبَ عليه تأمُّلُ قولِه: [الطويل]

قلتُ لقومٍ في الكَنيفِ تروَّحوا عشيّة بِتنا عندما وَانَ رُزَّحِ[1]
تنالوا الغِنَى أو تبلُغُوا بنفوسِكم إلى مُستَراحٍ من حِمامٍ مُبَرِّحِ

حتى جمع بين كنيف ومستراحٍ في بيتين. وتأمَّلْ أمثال ما ذكره وبيَّنَه من شرائط الاختيار».

٩ ـ قد كُنَّ يَخْبَأْنَ الوُجوهَ تَسَتُّرًا فاليومَ قد أَبرَزْنَ للنُّظّارِ[2]

١٠ ـ يَضْرِبْنَ حُرَّ وُجوهِهِنَّ عَلَى فَتًى عَفِّ الشَّمائلِ طَيِّبِ الأخبارِ

يصفهنَّ بأنهن ابتذَلْن أنفسَهنّ للمصيبة وقد كان من قبلُ سِترُ الصيانة مُسْبَلًا عليهن، لا يُظْهِرنَ المَعارِيَ من الوجوه وسائرِ الأعضاء لأحدٍ من الناس، لتستُّرهنّ وارتفاعِ محالِّهنّ ومناصِبهنّ عن التبرُّز والتبرُّج، إذ كُنَّ بيضاتِ خُدورٍ وربّاتِ حِجالٍ وستور. وقوله «فاليوم قد أَبرَزْنَ للنُّظّار» يريد الوجوه. وهُنَّ وإن رَمَيْنَ قِناعَهنّ،

---

(١) البيتان في الحماسية (١٥٦). (٢) التبريزي: «حين برزن».

وأظهَرْن مُحيّاهُنَّ فإنّ أحدًا لا يَطمَع في الدُّنُوّ منهنّ، والنظر إليهنّ، فيخرجَ إلى حدّ المنكَر. وقوله «يَضرِبْنَ حُرَّ وُجوهِهِنّ عَلَى فتًى» يريد ما يَنَلْن من أنفسهنّ بالضرب والإهانة، إجلالًا للرَّزيئة، وافتداءً للمرثي. والعَفُّ: العفيف، ومصدره العِفّة والعَفاف. والشمائل: خَليقة الرَّجل وطبيعتهُ، واحِدها شِمال. وقوله «طيِّب الأخبار» أي حديثُه حسنٌ في الناس لا يُؤْبَن بدنيَّةٍ، ولا يُوسَمُ بنقيصة.

٣٤٨ ـ وقال كعبُ بن زُهيرٍ: [الوافر]

١ ـ لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ عَلَى أُبَيٍّ مَصَارِعَ بَيْنَ قَوٍّ فالسُّلَيِّ

٢ ـ ولكِنّي خَشِيتُ عَلَى أُبَيٍّ جَرِيرةَ رُمْحِه في كلِّ حَيِّ

٣ ـ من الفِتْيانِ مُخلَوْلٍ مُمِرٌّ وأمّارٌ بإرْشادٍ وَغَيِّ

٤ ـ ألَا لَهْفَ الأرامِلِ واليَتَامَى ولَهْفَ الباكياتِ على أُبَيِّ

قوله «لعمرك» مبتدأ وخبره مضمر، وفيه معنى اليمين، وجوابها ما خشيت. فكأنَّ هذا المتوفَّى مضَى لسبيله لعارِضٍ عَرَض له بين قَوٍّ والسُّلَيِّ. وإنما قال «مَصارع» لأنه جعل كلَّ قطعةٍ مما بين هذين الموضعين كالمَصرَع لواحدٍ من الناس. فيقول توجُّعًا: وبقائكَ ما خَشِيتُ على هذا الرجلِ أن يُصرَع بين هذين الموضعين، ولكنِّي كنت أخشى عليه جرائره في الأحياء، وتِراتِه في القبائل. وعلى ما يدلُّ عليه كلامُه كان مات هذا المرثيُّ حَتْفَ أنفِه، فلهذا قال: لم أختَشِ عليه القدر بين هذين المكانين ما خَشِيتُ عليه من جرائر رُمحِهِ في الأحياء.

وقوله «من الفتيان مُخلَوْلٍ مُمِرّ» تعلَّقَ من بمحذوف، كأنه قال: كان من بين الفِتيان سهلَ الخُلُق، وطيءَ الجانب. والمُخلَوْلي هو الذي تَناهَى حلاوَتُه. قال الخليل: افعَوْعَل: بناءٌ للمبالغة. على ذلك قولهم اعشَوْشَبَ المكانُ، إذا تَناهَى عُشْبُه؛ واخلَوْلَى، إذا تناهى حلاوته. والمُمِرّ: الذي صار مُرًّا. وليس هذا من قولهم: ما أَمَرّ وما أَحلَى، لأن ذلك معناه ما أتى بحُلوٍ ولا مُرّ، ولكن يجب أن يكون من أمَرَّ الشيءُ فهو مُمِرٌّ، وفي بعض اللغات مَرَّ. قال: [الطويل]

لئن مَرَّ فِي كَرمانَ لَيلي لَطالَمَا(١)

(١) للطرماح في ديوانه ١٠٠، واللسان (مرر)، وعجزه:
«حلا بين شَطّيْ بابلٍ فالمضيّحِ»

حتى يكونَ مثلَ محلولٍ. وقوله «أمّارٌ بإرشادٍ وغيّ» وضَع إرشادًا موضع رشادٍ، ألَا ترى أنّه قال: وغيٍّ. وهم كما يستعيرون الاسم للمصدر يستعيرون المصدر للاسم، وكما يوضع العطاء موضع الإعطاء في قول القطاميّ: [الوافر]

وبعد عطائك المائة الرِّتاعا[1]

يضعون الإعطاء موضع العَطاء. فعلى هذا وضع الإرشاد موضع الرَّشاد. وإذا كان كذلك فيجب أن يكون إرشاد هذا لا يتعدَّى، لوقوعه موقع الرَّشاد. وقوله «ألا لَهفَ الأراملِ واليتامى» الصدر من البيت تحسُّرٌ لما أصاب الفقراءَ واليتامى بعد موته، إذ لم يكن في الدهر مَن يُؤويهم أو يمونهم. والأرامل: جمع أَرمَل، وهذه الصفة يشترك فيها المؤنَّث والمذكَّر، واشتقاقُه من أرمَلَ القوم، إذا نفِدَتْ نفقاتُهم، وحقيقته صاروا من الفقر في الرَّمْل، كما يقال: أَتْرَبَ الرجلُ. والشهادةُ في اشتراك الرجلِ والمرأة في هذه الصفة قولُ جرير: [البسيط]

هٰذِي الأرامِلُ قد قضَّيتُ حاجتَها فمن لحاجَةِ هذا الأرمَلِ الذَّكَرِ[2]

وقوله «ولَهفَ الباكيات على أبيّ» هذا العجُز تحسُّرٌ للمتعلّقين بحَبْله، والرَّاجين ليومه وغده، والواصلين سبَبَهم بسببه دون أولئك، فتكريره اللَّفظ يشتمل على هذا المعنى.

٣٤٩ ـ وقال[3]: [مرفّل الكامل]

١ ـ في بَعْضِ تَطْوَافِ ابن طُعْـ ـمَةَ آمِنًا لاقَى حِمَامَهْ[4]

٢ ـ وَصَدا لَهُ مِنْ خلفِهِ يَغْتَرّهُ لا بل أَمامَهْ[5]

٣ ـ غُرَّ امرُؤٌ مَنَّتْهُ نَفْـ ـسٌ أن تَدُومَ له السَّلامَهْ

٤ ـ هيهاتَ أَعْيا الأوَّليـ ـنَ دَوَاءُ دَائِكَ يا دِعامَهْ

---

(١) للقطامي في ديوانه ٣٧، وخزانة الأدب ٨: ١٣٦، واللسان (رهف، عطا). وصدره:
«أكفرًا بعد ردِّ الموتِ عنّي»

(٢) لجرير في اللسان (رمل)، ومقاييس اللغة ٢: ٤٤٢، وكتاب العين ٨: ٢٦٦ وأساس البلاغة (رمل).

(٣) التبريزي: «وقال آخر».

(٤) التبريزي: «المرثيّ هو دعامة بن طُعمة».

(٥) التبريزي: «وَصَدًا له: أي مترقّبًا».

قوله «في بعض تَطواف ابن طعمة» قد أبرز اسمَه، يقول: يا دِعامة. فهو دِعامة بن طُعمة. وتَطواف: بناءٌ لما يَشوبُه في الوقوع أدنى تكلُّف. فكأنَّ هذا الرجل كان جَوَّالةً، فاتَّفق عليه أن مات آمَنَ ما كان، فأخذ يقتصُّ حالَه ويتحزَّنُ له، وجعل التَّطْواف للجنس، وأضاف البعضَ إليه. وانتصب «آمنًا» على الحال مِنْ لاقَى حِمَامَه، وإذا كان العامل في ذي الحال فِعْلًا جاز تقديم الحال عليه.

وقولُه «وصَدًا له» خَفِيَ عليه كيف اتُّفق مصرعه. ومعنى صَدًا له دعاه. ويجوز أن يكون فَعَل بمعنى تفعَّل، كأنّ صدا بمعنى تصدَّى له قائدًا. والتصدِّي تعرُّضٌ يختلط بازورارٍ وإعراض. على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ [عَبَس: الآية ٦]. يقول: تصدَّى له الحيْنُ سائقًا له يأتيه على غرّة، بل تصدى قائدًا لَا سائقًا. كأنَّه لما خَفِيَ عليه مِن أين أتى لم يَقطع الكلامَ على وجهٍ واحد، بل تدارَكَ وانتقل وهو بعد شاكٌّ، ولكن كأنّه أوما إلى جِماع الطُّرُق. وقوله:

غُــرَّ امــرُؤٌ مــنَّــتْــه نَــفْــ ـــسٌ أن تــدوم لــه الــســلامــه

معنى غُرَّ خُدِع على وَجْهٍ له في الاستنامة إليه غَرَرٌ. ويقال: ما غَرَّك بفلانٍ؟ أي لِمَ اجترأتَ عليه وكان الوجه أن لا تجترىء. على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفِطار: الآية ٦]. ويقال: مَن غرَّك من فلانٍ؟ أي مَن الذي جَذَبك عنه وحالَ بينك وبينه، وكان الوجه أن تكون مُقبلًا عليه. ويقال: ما غرَّك من فلانٍ؟ أي لم وثِقْتَ به وكان الحُكم أن لا تثق به. فأما قوله «منَّته نفسٌ» فإنما نكَّرهُ لغرضٍ ما، وهو أنّ لكلِّ رجلٍ فيما يهُمُّ به أو يرجوه أو يخافه نَفْسَين: نفسٌ تبعثه عليه، ونفس تصرِفه عنه، فلهذا قال: منَّته نفسٌ أن تدوم له السلامة، أي غرّت تلك النَّفس امرأً جَعَلت من أمانيه دوامَ السلامة. يشهد لهذا الذي قلناه قولُ الآخر: [الرمل]

شـاوَرَ نَـفْـسَـيْ طـمـعٍ وخَـيـبـةٍ تقول هاتي: لا، وهاتيك: بَلَى

ثم قال:

فشجَّعَتْه نفس حِرْصٍ طَمِعتْ وحذَّرته نفْسُه الأخرى الرَّدَى

وقولُه: [مجزوء الكامل]

هــيــهــات أَعْــيَــا الأوّلِيــ ـنَ دواءُ دائــكَ يــا دِعــامــه

أراد بالأوّلين الأممَ السالفة، وقد أعجزَهم دواءُ الموت. وقولُه «هيهات» استبعادٌ لوقوع ما تقدَّم ذِكرُه، وهو أن تدومَ له السَّلامة. وهيهات: اسمٌ للفعل وهو

بَعُدَ، وفاعله ما دلَّ عليه ما قبله، وكأنَّه قال: بَعُد ذاك أن يكون. على هذا قولُه: [الطويل]

فهيهاتَ هيهات العقيقُ ومَن به وهيهات خِلٌّ بالعَقيق تُواصِلُه(١)

٣٥٠ ـ وقال غُوَيَّةُ بن سُلْميّ بن رَبيعة: [الوافر]

١ ـ أَلَا نـادَتْ أُمـامـةُ بـاخـتِـمَـالِ لِتَـحْـزُنَـنـي فـلا بِـكِ مـا أُبـالي

٢ ـ فَسِـيـرِي مـا بَـدَا لَكِ أَوْ أَقِـيـمِي فـأيَّـا مَـا أَتَـيْـتِ فَـعَـنْ تَـقَـالِ

يقول: أظهرت هذه المرأةُ من نفسها ارتحالًا عنّي لتجلِبَ عليّ حُزنًا وغمًّا، ونادت بالفِراق وكثرته على ألسنة الناس. ثم انصرَفَ عن الإخبار عنها وأقبَلَ عليها يخاطبُها فقال: لا بِكِ ما أبالي. وهذه اليمين فيها تهكُّم وسُخريَّة، لأنَّ مَن يُحِلُّ من قلبه امرأةً محلَّها لا يجعلها أهلًا للإقسام بها. فقولك لا بِكِ، كقولك لا بالله. وما أبالي جوابُ القسم. وقيل: أراد لا بِكِ أُبالي، أي لا أبالي بكِ، ويكون ما صلةً، ولا قَسَمَ في هذا الكلام على هذا. ورُوِيَ «فآبَكِ ما أُبالي» فيكون دعاءً عليها. ومعنى آبَكِ: أبْعَدَكِ الله، والشاهد في ذلك قوله: [الطويل]

وخَبَّرْتَنِي يا قلبُ أنَّكَ ذو نُهَى بلَيْلَى فَذُقْ ما كنت قبلُ تَقولُ(٢)

فـآبَـكِ هَـلّا والـلـيـالي بـغِـرَّةٍ تُلِمُّ وفي الأيَّام عَنكَ غُفُولُ(٣)

فإذا رويت لا بِكِ فالبيت على كلامين، لأنّ لا بِكِ ينفصل عما قبله، ويصير ما أبالي متَّصلًا به لأنه جوابه. وإذا رويتَ «آبَكِ» فالكلام على فصولٍ ثلاثة. فالفصل الأوّل أنها أرادت أن تُدْخِلَ عليه جَزَعًا بالفراق، فكأنه أقبل قُبْلَها ودعا عليها، ويكون الدعاء حشوًا حَسَنًا، وما أبالي كلامًا آخر، وينفصل ما أبالي عن الدعاء وعن الأوّل.

وقوله «فسِيرِي ما بدا لك أو أقيمي» استهانَ بها وبفراقها، فخَيَّرَها بين السَّير ما بدا لها وأرادته، وبين الإقامة، ثمَّ قال: فأيَّ الأمرينِ اخترتِ فعَن تقالٍ لي إيَّاه. وإنَّما قال تَقَالٍ ولم يقل قِلًى، لأنّ في التَّقالي زيادةَ معنى، وهو أن يحدُثَ الفعلُ شيئًا بعد

---

(١) لجرير في ديوانه ٤٧٩، واللسان (هيه).

(٢) لرجل من بني عقيل في أساس البلاغة (أ و ب) وفيه: «أنك ذو غرًى».

(٣) لرجل من بني عقيل في أساس البلاغة (أ و ب)، وبلا نسبة في اللسان (أوب، غفل).

شيء. على ذلك قولُه تداعَى البِناءُ وما أشبَهَه. وقوله «فأيًّا ما أتيتِ» أيًّا انتَصَب بأتيتِ، وما صلة، ومِن شرط أيّ أن يجيء مضافًا، فأفرده هنا لمَّا كان المضافُ إليه معلومًا. على ذلك قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: الآية ١١٠]. ألا ترى أنَّ المعنى أيَّ الأسماء تدعوا. ولمَّا كان السَّيرُ منها أحبَّ إليه عَلَّقَهُ بما وَسَّعَ أمَدَهُ فقال: ما بَدَا لَكِ، ولم يشترط في الإقامة شيئًا. وقوله «فعن تقالٍ»، عن تقتضي فِعلًا مضمرًا، كأنَّه قال: أيَّ الأمرين أتيتِ أتيتِ عن تقالٍ منِّي، فحذَفَ الثَّانيَ، لأنَّ الأوّل يدلُّ عليه. وحذَف منِّي أيضًا لأنَّ في الكلام عليه دليلًا. وما بدا لك في موضع الظَّرف. وبدا هذا من البُدُوّ: الظُّهور، وليس من البَدَاء: التحوُّل، لأنَّ المعنى سِيري مدَّةَ ظُهور السَّير في رأيِك. ففاعل بدا السَّيرُ، ودلّ عليه سِيري لأنَّ الفعلَ يدلُّ على مصدرِهِ كما أنَّ المصدرَ يدلُّ على فِعلِه.

٣ ـ فكَيفَ تَروعُني امرأةٌ ببَينٍ حَياتي بَعْدَ فارسِ ذي طَلَالِ
٤ ـ وبَعْدَ أبي ربيعةَ عبدِ عَمْرٍو ومَسْعُودٍ وبعد أبي هِلالِ
٥ ـ أصابَتْهُمْ حَمِيدِينَ المنايا فِدَى عَمِّي لِمُصْبَحِهِمْ وخالي
٦ ـ أولئكَ لو جَزِعْتُ لهم لَكَانُوا أعزَّ عَلَيَّ مِنْ أهلي ومالي

أخذ يتعجب من نفسه وممَّن يظن به أنَّه يقف موقف من يُفزعه امرأةٌ بفراق، فقال: كيف يكون ذلك مُدَّة حياتي بعد أن فُجِعْتُ بفارسِ هذا الفَرَس. وذو طَلَالٍ كان اسْمَ فرسه، و«حياتي» انتصب على الظَّرف، أي مُدَّةَ حياتي؛ لأنَّه حُذف اسم الزَّمان معه. ثمَّ عدَّد بعدَ ذكرِ هذا الفارسِ مَن فُجِع به من عشيرته حالًا بعد حال، ووقتًا بعد وقت، ذكر أبا ربيعة ومسعودًا وأبا هلال، وهؤلاء كانوا حُماةَ العشيرة وفُرسانَ الكتيبة، فلهذا خصَّهم بالذِّكر وشَهَر نفسَه بالتوجُّع لهم. ولو كانوا على غير هذه الصِّفة لما استحسن لنفسِه الاعتدادَ بهم في الحالة التي ذكرها.

وقوله «أصابتهم حَميدينَ المنايا» حميدين انتصب على الحال، يريد أنَّ أيامهم سَلِمَتْ من شَوْبِ العَار، وقَباحة الذِّكر، وأنهم أُصِيبوا وهم مشكورونَ محمودونَ بلسان القريب والبعيد، والأجنبيِّ والنسيب. وقوله «فِدَى عَمِّي لمُصبَحِهم وخالي» كلامٌ منقطع ممَّا قبله، وهو كالالتفات. كأنَّه أقبلَ عَلى مُخاطَبٍ فقال: أفدى مُمساهُم ومصبَحَهُم بأطرافِي العمومةِ والخؤولة. وذَكَر المُصْبَح وكأنَّ المُمْسَى معه منويٌّ، لأنَّ طرفَي النَّهار مذكوران في الغارة والضِّيافة وما يشبههما من الإساءة والإحسان. وقيل:

الممسى يتَّصل بأوّل حد الليل، وكذلك المُصبَح يبتدىء من أوّل حدِّ النَّهار. وقيل: إنَّ الممسى يستحقُّه الوقت إلى أن ينقضي شطر من الليل، وكذلك المصبح يستحقُّ إلى أن ينقضي شِطرٌ من النهار. والغَرض في التَّفدية التي تبرَّع بها هو إظهار اليَأس والتفجُّعِ في إثر أوقاتهم وأفعالهم فيها.

وقوله «أولئك لو جَزِعْتُ لهم لكانوا» إقرارٌ بأنَّه لم يوفِّ الجزعَ فيهم حقَّه، ولو وَفَّى لكان ذلك يُوجِب عليه الزُّهدَ في العشيرةِ والأهلِ والمال، وسائرِ ما يطيب العيشُ به وله. فالشَّرط الذي ذكره ليس هو شرطًا فيما يوجبه التوجُّعُ في كونهم عزيزًا، لأنَّهم أعزّاء عليه في كلِّ حال، وإنَّما هو شرطٌ فيما يوجبه التوجُّع للمتوفَّى لو تُكلِّف على وجهِه وكُنْهِه، لكأنه قال: لو أَعطيتُ الجزَعَ حُكمَهُ لكان حالي حينئذٍ بخلاف حالي السَّاعةَ، ولَكانَ لي عذرٌ في ذلك، لأنَّهم أعزُّ عليَّ من أهلي ومالي، لكنِّي تركتُ ذلك اقتداءً بالنَّاس في جَزَعهم لمُصابهم. فذكر السبب في أنَّ ما يُظْهِر منه ليس يعُدُّه شيئًا مُغْنيًا مع ما يستحقُّونه. وهم يكتفون بذكر السَّبب عن المسبَّب وبذكر المسبَّب عن السبب كثيرًا.

٣٥١ ـ وقال قُرَادُ بن غُوَيَّة[1]: [الطويل]

١ ـ أَلَا لَيتَ شِعْرِي ما يَقُولَنْ مُخَارِقٌ إذا جَاوَبَ الهَامَ المُصَبَّحَ هَامَتِي[2]

٢ ـ ودُلِّيتُ في زَوْرَاءَ يُسْفَى تُرابُها عليَّ طَويلًا في ثَرَاها إقامتي

تقدَّمَ القولُ في ليت شعري وأنَّ خبر ليت يحذَفُ أبدًا كما يُحذَف خبر المبتدأ بعد لولا، وأنَّ شعري بمعنى عِلْمي، ويصير ما بعده سَادًّا مَسَدّ مفعولَيه كما يسدُّ جواب لولا مَسَدّ خبر المبتدأ بعده. وإنَّما تمنَّى أن يعْلَمَ موقعَ مُصابه من مخارقٍ على حسنِ تربيته له، وحميد تعطُّفه عليه، وميله مدَّةَ عيشِه إليه. وكيف يَجزع له ويقلَق لفِراقه إذا حَدَثَ به قضاءُ الله ودخل في جُملة الأموات، وجاوَبَ صداه أصداءَهم. وهذا على عادتهم فيما كانوا يقولونه من أنَّ عظام الموتَى تصير أصداءً وهامًا؛ حتَّى قال النبيُّ ﷺ: «لا عَدْوَى ولا هَامةَ ولا صَفَر»[3]. ويقال: صاح يصيح، فإذا أريد

---

(١) التبريزي: «بن سُلميّ بن ربيعة بن زبّان». (٢) التبريزي: «ويروى (المصبّح) بالباء».

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١: ٣٢٨، ٤٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ١٣٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٥: ١٠٢.

المبالغةُ قالوا صَيَّحَ. ويقال: سمِعت الصَّيحة في الغارة وما أشبَهَها، وسمِعت الصائحة، في صَيْحة المناحة. وقوله «ما يقولَنْ مخارق» أدخل النُّون الخفيفة لتُؤذِن بالاستقبال، وموضع النونين الخفيفة والثقيلةِ الاستفهامُ وكلُّ ما ليس بواجب، وإذا ظرفٌ ليقولنّ، وجاوب جملةٌ مضاف إليها وشُرح إذا بها.

وقوله «ودُلِّيتُ في زَوْرَاءَ يُسْفَى ترابُها» أي أدخِلتُ فأُرسِلْتُ في حُفرةٍ معوجّة، يعني اللحد، وقوله «يسفى ترابُها عليّ» أي يُهال ترابُها عليه إذا دفن فيها. وقد مضى القول في السّافياء والسّوافي، إلا أنّه يقال: سَفَت الرِّيح التُّرَاب سَفْيًا، ثم قالوا: سفى الترابُ يَسفِي، والتُّراب سافٍ، وهو من باب فَعَلَ وفَعَلْتُه. وقال بعضهم: كان يجب أن يقال في التُّراب مسفيٌّ فقيل سافٍ، كقولهم عيشة راضية وإنما هي مرضيَّة. وقال الخليل: السَّفَا: اسمُ ما تَسفيه الرِّيح من التُّراب وغيره. وطويلًا: انتصَبَ على الحال، والعاملُ فيه دُلِّيتُ، وإقامتي في موضع الرَّفع على أنّه فاعل طويلًا. والمقبور هكذا مُقامُه في الثَّرى. وهذا اقتصاصُ حالِهِ عندما تمنَّى معرفتَهُ من جهة مخارِقٍ إذا حصلَتْ له من التلهُّف والتوجُّع. ثم استمرّ في ذكر الحال فقال:

٣ ـ وقالُوا ألَا لا يَبْعَدَنّ اختيالُهُ وصَولَتُهُ إذا القُرُومُ تَسَامَتِ

٤ ـ وما البُعدُ إلّا أنْ يكونَ مُغَيَّبًا عَن النَّاسِ مِنّي نَجْدَتي وقَسَامَتِي

يريد: وقال الناس مكبرًا ما يقع بي، ومظهرًا الفجيعة لي: لا يبعدن اختياله وصَولَته، يعني كِبْره وحميَّته، وبأسَه وبطشه، إذا حَصَلَ بين الصَّفَّين، فتدافعت فُحولةُ الرِّجال، وتزاحمت أركانُهم في القتال أو الجدال. وقد تقدم القول في لا يَبعَدنَّ وما أشبَهَه. والقُرم: جمع القَروم، وهو الفَحْلُ أُقْرِمَ، أي تُرِكَ حَتَّى استَقْرَم، وهو المكْرم لا يُحمَل عليه شيءٌ، وإنّما يُترَك للفِحْلة. ويقال قَرْمٌ ومُقْرَمٌ. على ذلك قولُه: [الطويل]

إذا مُقرَمٌ مِنّا ذرَا حَدُّ نابِهِ تَخَمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ[١]

ومعنى تسامَتْ تبارَتْ في السُّمُوّ ذكرًا وحالًا.

وقوله «وما البُعد إلا أن يكون مغيّبًا» يقول: إنَّ الانتفاعَ بهذا القول إعظامًا للرُّزْء ليس يقع، لأنّ البُعد كل البُعد في الموت، الذي يتغيَّبُ به عن النَّاس ما شَمِلهم من

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ١٢٢، واللسان (قرم، ذرا)، وأساس البلاغة (خمط، قرم، ذرا).

معونتي ومَغُوثتِي، وإحساني وإفضالي، ويقال: رجل نَجدٌ، وهو ظاهر النَّجدة. ورجل قَسِيمٌ وسيم: ظاهر القَسَامة والوَسامة. كأنَّه أراد بالقَسَامة ما قُسِمَ في الخَلْق من طَوله. وكذلك قولهم: رجل مقسَّم الوجهِ، يرجع إلى هذا، لأن المعنى ما قُسِمَ في أعضائه من الحُسْن، فكلُّ عضوٍ يَمُتّ بمِثل ماتَّةِ صاحبِه. والقَسَامة: الجماعة يَشهدون على الشَّيء ويُقسِمون مع الشَّهادة.

٥ ـ أيَبْكِي كما لو ماتَ قَبْلِي بَكَيتُه ... ويَشكُرُ لي بَذْلِي له وكَرامَتِي

٦ ـ وكنتُ له عَمًّا لطيفًا ووالِدًا ... رَؤُوفًا وأُمًّا مهَّدَتْ فأنامَتِ

قوله «أيبكي» هو بيانُ ما تمنَّى معرفتَه من أحوال مُخَارِقٍ عند مفارقتِه له، فقال: ليتني علمتُ هل يوفِّي الجَزَعَ حقَّه، كما لو أُصِبتُ به كنت أوَفِّيه، ويَرْثِي لي بمثل ما كنت أَرثيه؛ وهل يشكر آلائي لَدَيه، وإقبالي عليه، وإحساني إليه مدة حياتي أمْ لا. فحذف لا لأن المراد مفهومٌ، أنّه يريد أيكون ذلك أم لا. وعلى ذلك قول القائل: ليتني علمتُ أزَيدٌ في الدار ـ إذا سكتَّ عليه، فلا بد من أن تريد أم لا.

وقوله «وكنت له عمًّا لطيفًا»، أي كنتُ جَمَعت له مدَّة عمري وما اطّرد في نفسي، بين حَدَب الآباء وشفَقَتِهم، ولُطف العمومةِ وتوفُّرهم، وتفقُّد الأمَّهات وإشبالهن[1]. والمعنى: كنتُ أتنقّل له في الأحوال بين ما يأتيه العمُّ في وقتِ لُطفهِ أو يأتيه الوالد وقتَ رأفتِه، أو الأمُّ وقتَ تربيتها ولُطفها. وقد سارت هذه اللفظة، وهي «أمٌّ مَهَّدَتْ فأنامت» مثلًا فيما يُنشَر من إحسان الغير إلى الغير. ويقال: ما امتَهَد فلانٌ عندي مَهْدَ ذلك، أي ما وَطَّدَ لنفسه. وقد أخرج في مِعرَضٍ آخَرَ فقيل: [الطويل]

كما مَهَّدَتْ للبَعْلِ حسناءُ عاقِرُ[2]

وروى بعضهم: «ويَشْكُرُني بذلي له وكرامتي» على أن يكون بَذلي بدلًا من المضمر في يَشكُرُني.

---

(١) الإشبال: التعطّف والمعونة.

(٢) لدريد بن الصمة في الحيوان ٧: ٣٧، ولمعقر بن حمار البارقي كما في الأغاني ١٠: ٤٥، والمزهر ٢: ٣٤٨. وصدره:

«لها ناهضٌ في الوكر مهّدتْ له»

٣٥٢ ـ وقال مِسْجَاحُ بنُ سِبَاعٍ[١]: [الوافر]

١ ـ لَقَدْ طَوَّفْتُ في الآفاقِ حَتَّى بَلِيتُ وقد أَتَى لي لَوْ أَبِيدُ
٢ ـ وأَفْنَانِي ولا يَفْنَى نَهَارٌ ولَيلٌ كُلَّما يَمْضِي يَعُودُ
٣ ـ وشَهْرٌ مُسْتَهِلٌّ بَعْدَ شَهْرٍ وحَوْلٌ بَعْدَهُ حَوْلٌ جَدِيدُ
٤ ـ وَمَفْقُودٌ عَزِيزُ الفَقْدِ تَأْتِي مَنِيَّتُهُ وَمَأْمُولٌ وَلِيدُ

يقول: جُلْتُ في نواحِي الأرضِ شرقِها وغَرْبِها، عافيًا وطالبًا بما يَطلُب به مثلِي المالَ والجاه، والعِزّ والفخر، إلى أن مَسَّنِيَ الكِبَرُ، وتسلَّط عليَّ البِلَى والهَرَمُ، وضَعُفَ الأملُ في البقاء بحسب قُوَّةِ الخوف من الفَنَاء، فقد آن لي أن أَلحقَ السَّابقين إنْ قُدِّر لي ذلك. وقوله «أَتَى لِي» يقال: أَنَى وآن بمعنًى، وفاعلُه ما دلَّ عليه لو أَبيدُ، والمعنى: أَنَى لي البُيُودُ إن كُتِبَ وقُضِيَ عَلَيّ.

وقوله «وأفناني ولا يَفْنَى نهارٌ» جَمَعَ بين فِعلَين، على قوله نهار، لكنَّه أَعمَلَ الثَّانيَ، وهو المختار. والمراد: أَثَّر في قُوايَ مُضِيُّ نهارٍ لا يتقضَّى، وتجدُّدُ ليلٍ لا يتصرَّم، بل كلما يمضي واحدُ عادَ بدلَهُ آخَرُ، وكذلك أفنَاني، أي أفنَى جِدَّتي وغَنَائي، شهر ينسلخ بعد استهلاله، إلى وقت استكماله، وسَنَةٌ يتبعها مثلُها، فلا يُعرَف قضاؤها، ثمّ ما يلحقُني في أثناء تلك اللَّيالي والأيّام، والسِّنينَ والأعوام، مِنْ فَقْدِ من أعتمدُه ليومي وغَدِي، وخِلافتي بعد موتي وأستكفِلُه وَلَدِي، وأستَرعِيهِ هَمَلِي. هذا مع كماله في فضله، وبَرَاعته وطَوْلِه، والإشادة بالتَّنويه إليه من كل جانب، والشهادةِ له بالتّبريز من كلّ فاضل. ومِن ولادةِ طفلٍ يعلَّق الرَّجاء بنَشْئِه، وتُجْمَع أسباب الطَّمَع في حياته، ويُشغَلُ الوقتُ بتربيتِه والتَّرفرُفِ عليه عِوَضًا مما كان له من كاسبه وكافلِهِ، ورحمةً لبقائه بَعْدَ مَن كان يعزُّ عليه، وعَقِب مَن هنِّىءَ فيه فلم يَهْنَأْهُ.

وإذا تأمَّل الناظرُ ما اقتصَّه هذا الشاعرُ في هذه الأبيات على قِلَّتها، من امتحانه بالكَبْرة والسِّنّ، وتَراجُع القوّة بمآخِذِ الدَّهر، ومع التَّجْوال في البُلْدَان، ومُقاساة الشَّقاء في الحَلّ والتَّرحال، والتنقُّلِ في الأحوال، ثم مرُورِ الأيَّام وكُرُورِها بما لا يَسُرُّ عليه، إلى أن رَفَع الطَّمعَ عما كان تجمعُه يدُه ونفَضَ اليدَ مما كان يشدُّه قَبْضُه، ثم المُصابِ

---

(١) التبريزي: «المسجاح بن سباع الضبيّ» شاعر جاهلي عدّه السجستاني في المعمّرين. ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ٤٦٩، والأغاني ١١: ١٢٤، وكتاب المعمرين ص ٧٦.

في الكامل البارع، وتعليق الرَّجاء بالطِّفل الدارج ـ وجَدَ عَيشَه على العكس مما وصفه امرؤ القيس في قوله: [الطويل]

أَلَا انعَمْ صَبَاحًا أيُّها الطَّلَلُ البالِي ... وهل يَنْعَمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي

وهل يَنعَمَنْ مَن كان أَقْرَبُ عَهدِهِ ... ثلاثينَ شهرًا أو ثلاثةَ أحوالِ

وهل يَنْعَمَنْ إلّا خليٌّ مُخَلَّدٌ ... قليلُ الهُمُومِ ما يبيتُ بأَوجالِ

فتأمَّلْها فإنَّها عجيبة[1].

٣٥٣ ـ وقال حَرَّان بن عَمْرو بن عَبْدِ مَنَاةَ[2]، يرثي زيد الفوارس[3] وغيرَه من أبناء عُمومته: [الكامل]

١ ـ تَبْكِي على بَكْرٍ شربتُ بِهِ ... سَفَهًا تَبَكِّيها على بَكْرِ

٢ ـ هَلَّا عَلَى زيدِ الفَوارسِ زَيْـ ... ـدِ اللَّاتِ أو هَلَّا على عَمْرِو

٣ ـ تَبْكِينَ لا رَقَأَتْ دُمُوعُكِ أَوْ ... هَلَّا على سَلَفَيْ بني نَصْرِ

هذه امرأة ضايقَت الشَّاعر ـ وهي من بطائنه ـ في بَكرٍ باعَهُ واشترى بثَمَنه خَمْرًا، فبكت، فأخذ يذكُر حالها ويُنكر بكاءَها، فقال: تبكي هذه المرأةُ على بَكرٍ شربتُ به، أي شربتُ خمرًا سبأْتُ بثمنه. ويروى: «شَرَيْتُ به»، ويكون أظهر.

ثم قال، بعد أن أخبَرَ عنها بما أخبر، كالمتلفِّت إلى إنسانٍ بحضرته: سَفَهًا تبكِّيها على بَكر، فانتصب سفهًا على المصدر، وهو المفعول له. وتبكِّيها في موضع رفعٍ بالابتداء، وعَلَى بكر في موضع الخبر، أي لسفهها فَعَلَتْ ذلك؛ لأنَّه لم يبلغ من قدرِ بَكْرٍ ما تكلَّفَتْهُ. ولو روي: سَفَهٌ تبكِّيها على بكر، فجُعِل التبكِّيَ هو السَّفه لم يمتنع، وكان خبرًا مقدَّمًا، وعلى بكرٍ يكون لغوًا.

---

(١) في هامش الأصل المطبوع:

[خاتمة الجزء في نسخة الأصل]

تمّ الجزء الأوّل من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي، المعروف بكتاب الحماسة.

يتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى: «وقال حران بن عمرو بن عَبْد مَناةَ يرثي زيدَ الفوارس وغيرَه من أبناء عمّه:

تبكي على بكر شربتُ به ... سفهًا تبكّيها على بكرِ

هَلاَّ على زَيد الفوارس زَيْـ ... ـدِ اللاّتِ أو هَلاَّ على عمرِو

تَبكِين لا رَقَأَتْ دُمُوعُكِ أَوْ ... هَلاَّ على سَلَفَيْ بَني نَضرِ»

(٢) التبريزي: «حزاز بن عمرو».

(٣) زيد الفوارس: سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨٠).

وقوله: «هَلَّا على زيدِ الفوارس» إلى آخر البيت، هَلَّا حرف تحضيض وهو يطلب الفِعل، وذلك الفعل هو تبكين. يخاطبها، أي: هَلَّا تَبكين على هٰؤلاء الجبال التي انهدَّت، والبُحورِ التي غاضت بزيد الفوارس أو عمرو. ثمَّ دعا عليها، فقال: لا أرقأ الله دمعَك، أمْ هَلَّا تبكين على سَلَفَيْ بني نصر. وإنَّما ثنَّى السَّلَف لأنَّه أراد العمومة والخُؤولة.

٤ ـ خَلَوْا عَلَيَّ الدَّهرَ بعدَهُمُ ... فبَقِيتُ كالمنصوبِ للدَّهرِ

٥ ـ إنَّ الرَّزيئةَ ما أُولاكَ إذا ... هَزَّ المُخالِعُ أقدُحَ اليَسَرِ(١)

٦ ـ أهلُ الحُلُومِ إذا الحلومُ هَفَتْ ... والعُرْفِ في الأقوامِ والنُّكرِ

يقول: مضَوْا لسبيلهم، وانتقلُوا إلى جوارِ مَنْ هو أملكُ بهم، وتركوا أعباءَ الدَّهرِ على ظهري، فهي تثقُل عليَّ وتعرِّضني لنوائبه وأحداثه، فأنا كالغرض المنصوب له، ليس لي من يتحمَّل عنِّي، ولا من يؤازِرني أو يشدُّ أزري. ومعنى: «خلَّوْا عليَّ الدَّهر» أي: صرتُ فريسةً للدَّهر، فكأنَّهم هم الذين أغرَوْه بي لمّا ذهبوا عنِّي وأفردوني. وهذه اللَّفظةُ تُستعمَل في إغراء الجوارح على الصَّيد.

وقوله: «إنَّ الرزيئة ما أُولاك» إلى آخر البيت، يريد: المصيبة كلُّ المصيبةِ هم أُولاك إذا اشتدَّ الزَّمان وأَسْنَتَ النَّاس، واحتِيج إلى مجامِع الأيسارِ، لإصلاح أمر الفقراء والأيتام، فلم يُوجَدْ من يُرجَع إليه أو يُعْتَمَدُ على إفضالِه وتفقدِهِ. وقوله: «ما أولاك» ما صِلةٌ. ومعنى: هَزَّ أجالَ. والمخالِعُ: المقامر. والمخالَعةُ: القِمار. وقيل: إنما سُمِّيَ مخالِعًا لأنَّه هو المولع باليَسْر، فهو الذي يَخْلع مالَ غيره وينخلع هو أيضًا من ماله، مُنافسةً وحِرصًا على الميسِر واكتساب الحمد فيه وله. وقوله: «إذا هَزَّ» هو ظرف لما دلَّ عليه «ما أولاك». يريد: أنَّ الرَّزيئة افتقارُ النَّاس إلى أولٰئك في مثل هذا الوقت فلا يُنالون. وقوله: «أهل الحلوم إذا الحلوم هَفَت» يصفُهم بالرَّزانة فيقول: إذا دَهِمَ من الأمر ما تهفو فيه العُقول وتزِلُّ فيه الأقدام، فهٰؤلاء لأصالة آرائهم يثْبتون عند المزاولة، ويُداوون الأمورَ بدوائها من غير طَيْشٍ ولا سَفَهٍ، ولا تجاوُزِ حَدٍّ وعَنَت. وقوله: «والعُرْف في الأقوام» أراد: وهم أهل العُرْف والنُّكر في الأقوام. يعني: أنَّهم يُنْزِلون الأقوامَ منازِلَهم من المُوالاة والمُداجاة، فمن دَاجَى كان له النُّكر منهم، ومن وَالَى كان له العُرْف.

---

(١) التبريزي: «إن الرزيّة» و«هرّ» بالراء المهملة. وهرَّ: كره.

٣٥٤ - وقال زُوَيفِر(١) بن الحارث بن ضِرَار: [الطويل]

١ - أَلَمْ تَـرَ أَنِّـي يـومَ فـارقـتُ مُـؤْثِـرًا أتاني صَرِيخُ الموت لو أنهُ قَتَلْ(٢)

يروَى «صريخُ الموت» بالخاء المعجمة «لو أنه قَبِل» بالباء. ومعنى: ألم تَرَ: اعلَمْ ذلك، ألا ترى قولَه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [الفيل: الآية ١]. والنبيّ عليه السلام لم يَرَ ذلك، فيقول: اعلمْ أني يوم فارقتُ هذا الرجلَ وَرَدَ عليّ ما يجري مَجرى الموت الصريح الخالِص لو أنّه قتلَني وأتى عليَّ، ولكنَّ القدَرَ ثبَّتَ قدمي في الأحياء، فلم يُخَلِّني للموت. ومن رَوَى «صريخ» بالخاء و«قَبِل» بالباء، فالمراد: أتاني داعي الموت. والصَّريخ يكون المستغيثَ والمُغيث جميعًا، والمراد: أتاني داعي الموت لو أنّه قَبِلني لكُنتُ لا أمتنع من إجابته لمَّا استَدعَى، وإغاثتِه لمَّا استغاث، لكنه لمَّا بَقَّاني ولم يأخذْني فكأنّه لم يقْبلني.

٢ - وكـانـت عَـلَيْـنـا عِـرسُـهُ مِـثْـلَ يَـوْمِـهِ غَـدَاةَ غَـدَت مِـنّـا يُـقـادُ بـهـا الْـجَـمَـلْ

تقدير البيت إذا أُزيلَ ما فيه من هُجْنة التقديم والتأخير: وكانت علينا عِرْسُه غداةَ غَدَت منّا يُقادُ بها الجمل مثلَ يومِه. والمعنى: كانت مفارقةُ عِرْسه لنا غداةَ انتقالِها عنّا، وقد حُمِّلت الجِمالُ وقِيدَ بها ظعينتُها مثلَ يومِ فقده، أي كان ذلك اليومُ مثل ذلك اليوم. كأنّهم كانوا أَلِفُوا من مُقامها أيّامَ عِدَّتها أُنسًا بها، وببقاء دارها على ما كانت تُعْهَدُ من قبل، فلمّا رأت من التنقُّل ما رأت، وخَلَت الديارُ منها ومن أسبابها وتغيَّرت، عادت المصيبةُ على أحيائها جَذَعًا، والشَّرُّ مستفحِلًا.

٣ - وكـان عَـمِـيـدَنـا وَبَـيْـضَـةَ بـيـتِـنـا فـكـلُّ الـذي لاقـيـتُ مـن بَـعْـدِهِ جَـلَلْ

أي: كان رئيسَنا والمصمودَ بالحاجات فينا، وأصْلَ بيتِنا وأساس فَخْرِنا. وقد تقدم القول في بيضة البلد، وأنه يُستعمَل في المدح والذمّ. فأمّا بيضة الخِدر وبيضة البيت فلا يستعملان إلّا في المدح. وقد صيغ من البيضة هذا فعلٌ، حكى ابن الأعرابي قال: يقال: اجتاحوهم وابتاضوهم، إذا استأصلوهم. وقوله: «فكلّ الذي لاقيت من بَعْدِهِ جَلَل» أي: صغيرٌ هيِّنٌ في جَنب ما لاقيناه فيه. والجلل يُستعمَل في الصغير والكبير. وقال بعضهم: المراد ببيضة البلد أنّه المعروف الموضِع، المرجوعُ

---

(١) التبريزي: «زويهر».

(٢) التبريزي: «مؤثر: اسم ابن أخيه، وصريح الموت: خالصه».

إليه في كلِّ مُهِمّ، كما يرجع صاحبُ الأُدْحِيّ إلى أُدحِيِّهِ[١] كيف توجَّه في المرعى، وأنّى انتجَعَ ورَعَى. والأجود أن يكون المراد به وقد أضيف إلى البيت، وهو بيت الفخر والعِزّ، أنه الأصلُ والجُرْثومة، كما حكى عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أنّه قال: «نحنُ عِتْرةُ رسول الله التي خَرَج منها، وبَيضتُه التي تفقَّأَتْ عنه».

٣٥٥ ـ وقال ابن عَنَمة الضَّبِّيُّ[٢] في مَقْتلِ بِسطامَ بنِ قَيْس[٣]: [الوافر]

١ ـ لأُمِّ الأرضِ وَيْـلٌ مـا أجَـنَّـت بحَـيْـثُ أضرَّ بـالْحَسَنِ الـسَّبـيـلُ

يعظّم شأنَ الأرض كيف ترشَّحَت لستر بِسطامَ فيها، ومن أين صارت يتَّسع بطنُها له ميِّتًا وهي تضيق عن أفعاله وذِكْرِه حيًا. وقال الأصمعي في تفسير وَيْلٍ إنه قُبُوحٌ. ولك أن تقول: «لإِمّ» فتُتْبِع حركة الهمزة حركة اللام. وارتفع وَيْلٌ بالابتداء وإن كان نكرة، لأنه عُلم أنه دعاء، فحصل به مثلُ فائدة المعارف. ومعنى: «لِأُمِّ الأرض وَيْلٌ» ثبَتَ لأمِّ الأرض ويل، فهو في لفظ ما وقع. وقوله: «ما أجنّت» ما استفهام، وموضعه مفعول أجَنّت. يقول: ستَرَتْ رجلاً وأيَّ رجل، أي: ستَرَتْ جليلاً من الأملاك رفيعَ بناءِ العِز، واسعَ باعِ الفخر. وقوله: «بحيثُ أضَرَّ» جعل حيثُ اسمًا. ومعنى أضَرَّ: دنا. والحَسَن: جَبَلٌ. والمعنى: بمكانٍ أضرّ بالْحَسَن فيه، أو أضرَّ السبيلُ بالحسَن، حتى نكونَ مثَّلناه على المذهبين جميعًا.

٢ ـ نُـقَـسِّـم مـالَه فـيـنـا ونَـدْعُـو أبـا الـصَّـهْـبَـاءِ إذ جَـنَـحَ الأَصـيـلُ

يقول: نقسِّم فواضلَ ما عندنا من غنائمِ غَزَواته وما بَقّاه ولم يَقْسِم فينا لوقتٍ يختاره له، فبقيَ بعده. وفي اقتسام تلك الأموال ما يهيِّج الحَسَرات، لأوقات الغارة في البُكُرات. ثم قال: «وندعو أبا الصَّهباء إذ جَنَح الأصيل» يُشير إلى وقت الأضياف، وأن الحيَّ في ذلك الوقت يصير ضَجَّةً واحدة، تلهُّفًا في إثر الفائت، وتذكّرًا له، وتوجّعًا لما فُقِدَ من المستأنَف من تلك الرُّسوم واستمرارها. ومعنى ندعوه نندبُه

---

(١) الأدحيّ والأدحيّة: مبيض النعام في الرمل. (٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨٩).

(٣) التبريزي: «قتله عاصم بن خليفة، وكان ابن عنمة مجاورًا في بني شيبان فخاف على نفسه لما قتل بسطام، فرثاه يستميل بذلك بني شيبان، وهو من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة».

ونقول: وابِسطاماه! وإنَّما قال «مالَه» لأنَّ ما اجتمع بسعيه وحَدِّه، وبأسِه وسَطوته، كان له. ومعنى: جَنَح مال، والأصيل: العشيَّة. وأبو الصَّهباء: كنية بسطام.

٣ ـ أجِـدَّكَ لـن تَـراه ولَنْ تَـرَاه تَـخُـبُ بـه عُـذافِـرَةٌ ذَمُـولُ[(١)]

ألمَّ في هذا بقول النابغة: [الطويل]

يقولون حِصْنٌ ثم تَأْبَى نفوسُهُمْ[(٢)]

كأنَّه لشدة الأمر عليه يكذِّب المشاهدة ويدع التَّصديق بها في الوقت بعد الوقت، إما استعظامًا للحال، وإما لآفةٍ تلحق العقلَ، وضعفٍ يَتخلَّل التحصيل، فكأنَّه بعد ما اقتصّ من الحال ما اقتصّ، وشَرَح من الفَجْع ما شَرَح عاودَتْه تلك الحالة وعادته، فأقْبَلَ على نفسه يستثبتها وقال: أعلى جِدٌّ منك، وأتَجِدُّ جِدَّكَ، أنَّك في مستقبل الأوقات لا تراه متمكّنًا منه قريبًا، على عادتك في حال الأمن معه، ولا تراه أيضًا من بعيدٍ في الغَزْو وتسير به الخَبَبَ راحلةٌ قوية خفيفة.

وقد ظهر بما ذكرتُه فائدةُ تكرار حرف النفي في كلامه، لأنّ لن نَفْيُ قول القائل أسيفعل كذا زيد؟ فيقول: لن يفعل. فقوله: لن تراه، نَفْي الرُّؤْية في حال السِّلم، ولن تراه نفيٌ لها في حال الغَزْو. وتخُبُّ به في موضع الحال.

٤ ـ حَـقِـيـبـةُ رَحْـلِهَـا بَـدَنٌ وسَـرْجٌ تُـعَـارِضُـهـا مُـرَبَّـبَـةٌ دَؤُولُ

٥ ـ إلـى مِـيـعـادِ أرعَـنَ مُـكْـفَـهِـرٍّ تُضَمَّـن فـي جـوانِـبِهـا الـخُـيـولُ[(٣)]

يقول: تَخُبُّ به ناقة بهذه الصِّفة وقد شُدَّ في الحقيبة التي ارتَدَفَها درعٌ قَدْرُ ما يستر البدن، وسَرْجٌ لِمَا جُنِب معه من فرسٍ تعارض هذه النَّاقَة في السَّيْر؛ وهي لعزِّها وكرمها على رَبِّها، رُبِّت في البيوت ولم تُتْرَكْ هَمَلًا، وسيرها الذميل. ويقال: رَبَبْتُهُ وربّبته بالتشديد بمعنى. والدَّأَلانُ: ضربٌ من السَّيْر. والاحتقاب: شَدُّ الحقيبة مِن خَلْف، وكذلك الاستحقاب.

---

(١) التبريزي: «لا تراه ولن تراه».

(٢) للنابغة في ديوانه ١٩٠، وأساس البلاغة (جنح)، وعجزه:

وكيف بحصن والجبال جنوحُ»

(٣) التبريزي: «تُضَمَّرُ في جوانبه». و«تضمّر: أي تصَنّع وتغذّى في القرّتين»، والقرّتان: الغداة والعشيّ.

وقوله: «إلى مِيعادِ أرعَنَ» يعني به جيشًا كأنه رَعْنُ جَبَلٍ. وقيل: جيشٌ أرعن: له فُضُول. والرَّعْن: أنف يتقدَّم من الجبل، والجميع الرِّعان والرُّعون. مكْفَهِرٌ، أي مرتفعٌ عالٍ. وقوله: «تُضَمَّنُ في جوانبها الخيول» أي: تُقْرَن الخيلُ بالإبِلِ في جوانبها، إذْ كان لكلِّ رجلٍ راحلةٌ وفرَسٌ يقودُه معه. ومثل هذا قولُه: [الطويل]

خَصَفْنَ بآثارِ المَطِيِّ الحوافرا[١]

يقول: تسير به راحلةٌ معها جَنيبَةٌ، إلى ميعادِ أرعَنَ، أي جيش كثيرٍ ضمَّنَ جوانبُ رواحلها الخُيول. ويروى: «تُضَمَّر في جوانبها» بالراء، والمعنى: تُصْنَعُ الخيولُ وتُغْذَى في القَرْتَيْنِ في جوانبها. والمراد: أنّ فُرسانَ هذه الكتيبة دأبُهم ذلك.

٦ ـ لَكَ المِرْبَاعُ منها والصَّفَايا وحُكْمُكَ والنَّشِيطةُ والفُضولُ

أقبَلَ يخاطِبُ المرثيَّ بعد الإخبار، على عادتهم في الكلام.

وقال أبو عبيدة: كان رئيسُ القَوم في الجاهليّة إذا غزا بهم فغَنِمَ أخَذَ من جماعةِ الغنيمة ومن الأسرَى والسَّبْيِ على أصحابه المِرْباعَ، وهو الرُّبع، فلذلك قال: «لكَ المِرباعُ منها» فصار هذا الرُّبع الذي كان في الجاهليّة للرَّئيس في الإسلام خُمسًا. وكان له الصَّفِيُّ: واحد الصَّفايا مِن جماعةِ الغنائم والأسلاب والكُرَاعِ قبل القِسْمة، وهو أن يصطفيَ لنفسه شيئًا: جاريةً أو سيفًا أو فَرَسًا أو ما شاء، وبقي الصفيُّ على حالِهِ في الإسلام: اصطفى النبيُّ ﷺ سيفَ مُنَبِّه بن الحجّاج ذا الفَقَار يومَ بدر، واصطفى جُوَيْرِيَةَ بنتَ الحارث من بني المُصْطَلِق يومَ المُرَيْسِيع، فجَعَل صَدُقَتَها عِتْقَها وتزوَّجَ بها، واصطفى صَفِيَّةَ بنت حُيَيٍّ، فَفَعَل ذلك بها.

وقال أبو عُبَيْدة: وكان له النَّقيعة أيضًا، وهو بعير يَنْحَره قبلَ القِسمة فيُطْعِمُه النّاسَ كذلك. قال: [الكامل]

إنّا لنضرِبُ بالسُّيوف رؤوسَهم ضَرْبَ القُدَارِ نقيعةَ القُدَّامِ[٢]

قال: وسَقَطَ في الإسلام النَّقيعة.

---

(١) لمقاس العائذي في شرح اختيارات المفضل ٣: ٨٥، واللسان (خصف، ولي)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٩: ٣٤٦. وصدره:

«أولى فأولى يا امرأ القيس بعدما»

(٢) للمهلهل في ديوانه ١٨٠، واللسان (قدر، نقع، قدم)، وديوان الأدب ١: ٣٣٦.

قال: وله حُكْمُه، وهو أن يبارزَ الفارسُ فارسًا قبلَ التقاء الجيشَين فيقتُله ويأخُذَ سَلَبَه. والحُكم فيه إلى الرئيس، إن شاء نفَّله وإن شاء رَدَّه إلى جُملة المَغْنَم، وهذا باقٍ في الإسلام.

وله أيضًا «النَّشيطة» وهو ما انتُشِط من الغنائم ولم يُوجِفوا عليه بخيلٍ ولا رِكابٍ، فبقيت في الإسلام. وفَدَكُ مِنْ ذلك، لم يُوجِفُوا عليه، فكان للنبيِّ ﷺ خاصَّةً.

قال: وكان للرَّئيس البَسيطة، وبعضهم يُسَمِّيها البِسْط، وهي الناقةُ أو الحِجْرُ معها ولدُها، فتُجعل هي وولدها في رُبْع الرئيس ولا يُعْتَدُّ عليه بالوَلَد. وقال: وسقَطَ البسيطةُ في الإسلام.

وكان له «الفُضول» وهو ما فَضَل بعد القِسمة ويَعْجِز عن عَدَد الغُزاة، أوْ لا يتناوله القَسْمُ، وهذا سَقَطَ أيضًا في الإسلام. قال أبو عبيدة: غيرَ أنّي حُدِّثت عن مجاهد أنّه قال في قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: الآية ١]، قال: هو ما شَذَّ من الغنائم، كالفضول. وقيها: إنَّها منسوخة.

٧ ـ أفاتَتهُ بنو زيدِ بنِ عَمْرٍو ولا يُوفِي بِبِسْطامٍ قَبِيلُ

٨ ـ فخَرَّ على الألاءَةِ لم يُوَسَّدْ كأنَّ جبينَه سَيفٌ صَقِيلُ(١)

قوله: «أفاتته» فات يتعدّى إلى مفعول. تقول: فاتَني الشيءُ، فإذا أدخَلْتَ عليه حرفَ التَّعدية تعدَّى إلى مفعولين، فإذا كان كذلك فأحدُ المفعولين محذوف، كأنّه قال: أفاتت الناسَ بنو زيدِ بن عمرٍو بِسطامًا، أي الانتفاعَ بِبسطام. وقوله: «ولا يُوفِي بِبسطامٍ قبيل» بالباء يروى، والمعنى: لا يُوفِي بدمه قَبِيلٌ، كأنَّ القبيلةَ بأسرِها مطالَبون بدمه ووافُون به إذا أُتِيَ بهم كلِّهم. وهذه الرِّوايةُ أقرب إلى ما يدلُّ عليه صدرُ البيت وأشبه. ويروى: «قتيلُ» بالتاء، ويكون الكلامُ تحسُّرًا، والمعنى: لا يُوفِي بدَمِ بِسطامٍ دمُ قتيل. ويقال: وَفَى وأَوفَى بمعنًى واحد.

وقوله: «فخرَّ على الألاءَةِ»، معناه: سقط. والألاءة: شجرة ولم يُوَسَّد، يستعملونه كثيرًا في القتيل، وليس ذلك لأنَّ القتلَى بعضُهم يوسَّدون. وقد يقال: «وسُدَّ فلانٌ يمينَه في ضريحه»، وهذا أيضًا مَثَلٌ؛ لأنَّ الميِّت لا يوسَّد يمينَه، وإنما

---

(١) التبريزي: «وخرَّ».

يُرادُ: تجافَى المكانُ به في حالتَي الدَّفن والقتل. وقوله: «كأنّ جبينَه سيفٌ صقيل» يريد وجهَه وإشراقَ لونِهِ.

٣٥٦ ـ وقال الهُذْلُولُ بن هُبَيْرةَ(١): [الطويل]

١ ـ أَلِكْنِي وفِرْ لابنِ الغُرَيْرَةِ عِرْضَهُ ... إلى خالدٍ مِنْ آلِ سَلْمَى بنِ جَنْدَلِ

٢ ـ فما أَبْتَغِي في مالكٍ بَعْدَ دارمٍ ... ولا أَبْتَغِي في دارِمٍ بَعْدَ نَهْشَلِ

٣ ـ وما أَبْتَغِي في نَهْشَلٍ بَعْدَ جَنْدَلٍ ... إذَا مَا دَعَا الدَّاعِي لأمرٍ مُجَلَّلِ

٤ ـ وما أَبْتَغِي في جَنْدَلٍ بَعْدَ خالدٍ ... لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِعَانٍ مُكَبَّلِ

قوله: «أَلِكْنِي» أي: أعِنِّي على أداء أَلُوكَتي، وهي الرِّسالة. وقد تقدَّم القولُ في هذه اللفظة؛ وأن أصلها آلِكْني، فقُلِبَ وقُدِّم اللام على الهمزة فصار أَلْئِكْني، ثم حُذِفت الهمزة استخفافًا وألقيت حركتها على اللام فصار أَلِكْنِي.

وقولُه: «وفِرْ لابن الغُرَيْرة عرضَه» معناه: اترُكْ عرضَه وافرًا. يقال: وَفَرْتُهُ أفِرُهُ وَفْرًا، وهو موفور. والمراد: خُصَّ برسالتي خالدًا واترُكْ ابن الغريرة جانبًا، لا تذكر له قبيحًا ولا تُولِهِ مكروهًا. والرِّسالة ابتداؤها: «فما أبْتَغي في مالك». والشاعر رتَّب أفخاذًا وبطونًا، وذكر أنّ كل واحدٍ منها كان له رئيسٌ يدور أمرُه عليه، ويعتصم بأمره في الملمّات، وأنه بعد افتقادِ ذلك فيهم فلا طائلَ ولا خيرَ عند واحدٍ منهم. ألا تَراه قال: فما أبتغي في بني مالكٍ بعد خُروج بني دارمٍ منهم، وما أَبْتَغِي في بني دارمٍ بعد خروج بني نهشل منهم، وما أبتغي في بني نهشلٍ إذا صَرَخَ الصارخُ لأمرٍ عظيمٍ بعد خروج جَندلٍ منهم، وما أبتَغي في بني جندلٍ لِسارٍ يسري بليلٍ يطلُب الضِّيافةَ، أو أسيرٍ مكبَّلٍ يطلُب مَن يفكُّ أسْرَهُ بعد افتقادِ خالد؛ كأنّه كان يأخذ بعضُهم بما يتماسك به البعضُ الآخر، وذلك البعضُ يتماسَك بآخرَ إلى آخِر القصة. وهذا على ما رتَّبه في نهاية الحُسن. وقوله: «أمرٌ مُجَلَّلٌ» أي معظَّم. والكَبْلُ: القَيْد، ورجُلٌ مكبَّلٌ.

٣٥٧ ـ وقال إياسُ بنُ الأَرَتّ(٢): [الطويل]

١ ـ وَلَمَّا رأيتُ الصُّبْحَ أَقْبَلَ وَجْهُهُ ... دَعَوْتُ أبا أَوْسٍ فَمَا إنْ تَكَلَّمَا

---

(١) التبريزي: «الهذيل بن هبيرة، أحد بني حرفة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب».

(٢) ذكره ابن دريد في الاشتقاق (٢٣٥) في رجال طيِّىء من بني شمجى، وأنشد له الجاحظ في=

٢ ـ وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أخٍ لَكَ نَاصِحٍ وكانَ كثيرَ الشَّرِّ للخيرِ تَوْءَمَا

لمَّا عَلَمٌ للظَّرف، وهو لتوقُّع الشيء لوقوع غيره، ولذلك احتاجَ إلى الجواب، وجوابه هنا دَعَوْتُ. فيقولُ: لمَّا دنا الصُّبح وأقبَلَ وجهه يَنْفَلِقُ ويُقْبِل، دعوتُ هذا الرَّجلَ ـ يعني المرثيّ ـ فما أجاب. وإنَّما خصَّ وقتَ تَنَسُّم الصُّبح، لأنَّ المريض يخفّ فيه، فكأنّه على عادته في تمريضِهِ، وتعرُّف خَبره، وتحدُّبه عليه في العارض له، دَعاه فوجده ثقيلًا، لا يُجيب ولا ينطلق لسانُه، فتيقَّنَ منه قُرب المفارقةِ، والبِعادَ بعدَ المقارَبة، فلذلك قال: «وحانَ فراقٌ من أخٍ لك ناصح». ومعنى حانَ: قَرُبَ. والنَّصاحة: صَفاء الوُدِّ، وخُلوصُ العقيدةِ من الغِلِّ. وقوله: «وكان كثيرَ الشَّرّ» يعني مع منابذيه ومُشَاقِّيه. ولن يكمل الفتى حتى يكون مُسْتصلَحًا للخير والشَّرّ، فيُحِلّ النَّاسَ مَحالَّهم، ويوفِّيَهم مُسْتَحَقَّاتِهِم، إنْ خيرًا فخيرًا، وإنْ شرًّا فشرًّا.

وقد عَمِلَ لَطيفةً في الصفة الثانية فقال: «للخير توءما»، فجعَلَ الخير وُلِدَ معه فنشأ بنشئه. يقال: غلامٌ توءم، للذي وُلِدَ معه غيره. وأتأمت المرأةُ فهي مُتْئِمٌ. واشتقاقه من الوَأم، والتاء فيه بدلٌ من الواو، كالتاء في تُكَأةٍ وما أشبَهها، والجمع تُؤَامٌ، وفُعَالٌ في الجمع قليل. كأنّ الولدَ واءم غيره في الإتيان، أي وافَقَ. وفي المثل: «لولا الوِئامُ هلَك اللِّئام». وقد استقصيتُ القولَ فيه في شرحِ كتاب الفصيح.

٣ ـ تتَابعَ قِرْوَاشُ بنُ لَيْلَى وعامِرٌ وكانَ السُّرورُ يومَ ذاكَ مُدَمْدَمَا[1]

يريد: أنّهم قد تداعَوْا في الذَّهاب، وتقاطرُوا في الموت، فمات الواحدُ بعَقِبِ الواحد، كأنَّهم دُعُوا بلسانٍ واحدٍ فأجابوا، وكان السرور يوم ماتَ مُلقًى. مُهلكًا غير باقٍ؛ لأنَّ كلَّ مَنْ سمِع بموتِهِ أخذَ قسطًا من الجزع له فخفِيَ سرورُ النَّاس وظهَرَ جزعُهم. وقوله: «يومَ ماتَ» يعني أبا أوس. هذا من باب ما خُصَّ البعضُ بشيءٍ من دون الجملة، فأُعيد ذكره. والدَّمدمة: الإهلاك والاستئصال. وفي القرآن: ﴿فَدَمْدَمَ

= الحيوان ٤: ٣٥٩.

(١) التبريزي: «مُدَمَّما، ودممتُ الشيء: إذا طليته وغطّيته».

عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ﴾ [الشمس: الآية ١٤]. ويروى: «وكان السُّرُورُ يومَ ذاكَ مُذَمَّمَا[1]».

٤ ـ هَمَمْتُ بأنْ لا أَطْعَمَ الدَّهرَ بَعْدَهُمْ حَياةً فكانَ الصَّبْرُ أبقَى وأكْرَمَا

قوله: «بأن لا أطعَمَ الدهرَ بعدهم» انتصب أطعم بأن، ولو رُفع لجاز على أن يكون أنْ مخفَّفة من الثَّقيلة، ويكون اسمه مضمرًا، والفعل مع ما بعده خبرٌ كأنّه قال: هممت بأني لا أطعَمُ حياةً بعدهم، أي كنت وطَّنْتُ نفسي على الزُّهد في الحياة، وجعلتُ قَتْلَ نفسي من هَمِّي، ثم نظرت فكان الائتساء بالناس في مصائبهم، والصَّبْرُ على مقاساة البلاء مَعَهم، أبقَى في الذِّكْر، وأحسنَ في الأُحدوثة، وأكرمَ عند عدِّ الأفعال وعَرضها على العُقول. وروي: «أتقَى» بالتاء المعجمة، والمعنى: أوْقَى؛ لأن التاء مُبدلةٌ من الواو، أي أصْوَن للدِّين والعِرْض.

٣٥٨ ـ وقال قَبِيصة بن النَّصرانيّ الجرميّ[2]: [الوافر]

١ ـ ألَا يا عَينُ فاحتَفِلي وبَكِّي على قَرْمٍ لِرَيْبِ الدَّهرِ كافِ

٢ ـ وما لِلعَينِ لا تَبْكِي لِحَوْطٍ وزيدٍ وابنِ عَمِّهِما ذُفافِ

٣ ـ وعَبْدِ اللهِ يا لَهفِي عليه وما يَخْفَى بزَيْدِ مَناةَ خافِ

٤ ـ وجَدْنَا أهْوَنَ الأموالِ هُلْكًا وجَدُّكَ ما نَصَبْتَ له الأثافِي

يقول: يا عينِ جاءَ وقتُ البكاء فتهيَّئي له، واجْمَعِي دموعَكِ ثم فرِّقيها، ولا مَساغ لتقصير، ولا مَجالَ لتعذير. والحافِلُ من الغَنم: التي جَمَعت اللَّبَنَ في ضَرعها. ومعنى بَكِّي: أكْثِرِي البكاءَ أو كرِّريه. والقَرْمُ: الكريم من الرجال، وأصله في الفحول، وكذلك المُقْرَم، وقد تقدَّم ذكرُه.

وقولُه: «لرَيْبِ الدَّهر كافِ» قد حذف أحد مفعولي كَفَى، كأنّه كافِ الناسَ ريبَ الدَّهر، أي ما رابَ من أحداثه.

ثم عَدَّدَ من فُجِعَ به من أعِزَّته فوجبَ البكاءُ له، ليُعْلَمَ عظيمُ شقائه وما أصيب به في أوِدّائه.

---

(١) من الذمّ.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٩٩).

وقوله: «يا لَهْفَى عليه» يجوز أن يكون المُنَادَى محذوفًا كأنّه قال: وعبدِ الله لَهفَى عليه يا قوم. ويجوز أن يكونَ نادَى اللَّهْفَ ليُرِي عظيمَ حسرته، وكمالَ شِقوته في فَجْعَتِهِ.

وقولُه: «وما يَخْفَى بزيدٍ مَناةَ خافٍ»، يجوز أن يكون موضعه رفعًا على أنّه يرتفع بيخفى، فكأنّه قال: ما يخفى خافٍ بزيد، أي زيدُ مناة لا يخفى، لأن الخافي هو زيد؛ وهذا كما تقول: لقيتُ بزيدٍ أسدًا. ويجوز أن يكون قوله: «بزيد» هو الفاعل والباء فيه مثل الباء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النّساء: الآية ٧٩]. والمعنى: ما يخفى زَيْدُ مَناةَ خفاءً، وخافٍ في موضع خفاءٍ، لكنّه لم ينصبه كما لم يُنصَب قوله: [الرجز]

كـأنَّ أيـدِيـهـنَّ بـالـقـاعِ الـقَـرِقْ[1]

ومثله: [الوافر]

كـفَـى بـالـنَّـأيِ مِـن أسـمـاءَ كـافِ[2]

وقمتُ قائمًا، وعُذْتُ بالله عائذًا، وقد مضى مثله.

قولُه: «وجَدْنا أهوَنَ الأموال هُلكًا» كأنّه نبّه به على ما كانوا يُقيمونه من الضِّيافة، ويُنفقونه من الأموال في العُفاة وأبواب البِرّ والإحسان، وأنّ أهونَ الأموالِ هَلاكًا على نُفوس الكرام وأخفَّها في الصُّدور والقلوبِ ما وُقِف على الأضياف، وصُرِف إلى مآكلهم، وكذلك مَن أشبه الأضياف. وانْتَصَب «هُلْكًا» على التمييز. ومعنى: «وجَدِّك» وحقِّ جَدِّك.

وقولُه: «ما نَصَبْتَ له الأثافي» في موضع المفعول الثاني لوجدنا. والأثافِي، واحدتها أُثفِيَّةٌ. ويقال: ثَفَّيت القِدْر وأثفيتها، فأُثْفِيَّةٌ أُفعولة. ومن قال: أَثَّفْتُها فأُثفِيَّة عندي فُعْلِيَّة؛ لأنّ الهمزة أصليّة. من ذلك قول النابغة: [البسيط]

وإنْ تَـأَثَّـفَـكَ الأعـداءُ بـالـرِّفَـدِ[3]

---

(١) انظر المقاييس واللسان (قرق)، وإصلاح المنطق ص ٤٦٤.

(٢) لبشر بن أبي خازم، وعجزه:

«ولـيـس لـنـأيـهـا إذ طـال شـافِ»

(٣) للنابغة في ديوانه ٢٦، واللسان (أثف، ركن، ثفا)، ومقاييس اللغة ١:٥٧، وصدره:

«لا تـقـذفَـنّـي بـركـنٍ لا كـفـاء لـه»

٣٥٩ ـ وقال أَبو صَعْتَرَة البولانيّ[1]: [الطويل]

١ ـ زُكَيْرَةَ وابنا أُمِّهِ الهَمُّ والمُنَى ... وفي الصَّدْرِ منهم كُلَّما غِبْتُ هاجِسُ

٢ ـ أَوَدُّهُمْ وُدًّا إذا خامَرَ الحَشَا ... أضاءَ على الأضلاعِ والليلُ دامِسُ

٣ ـ بني رَجُلٍ لو كان حَيًّا أعانني ... على ضَرِّ أعدائي الذينَ أمارِسُ[2]

يعني بزُكَيْرَةَ وأخويهِ أولاد أخيه، وكان تُوُفِّيَ والدُهم فصارَ هو كافِلَهم. فيقول: هم الذين أهتمُّ لهم، وأتمنَّى خيرَهم وبقاءَهم، وأقصُر همِّي على ما تستقيم به أحوالُهم، وتستتِبُّ له أمورُهم، ومَتى غبتُ عنهم كان في صدري هاجسٌ من الفكرِ فيهم، وسانِحٌ من التوفُّر عليهم، يحُولَانِ بيني وبين الذَّهاب عنهم؛ فجسمي غائبٌ عنهم، وهوَايَ حاضرُهم. فهذه التي أشار إليها نتائجُ العِناية بهم، ومسبِّبات الرِّعاية في النِّيابة عن أخيه فيهم. ثم أخَذَ يذكر ما غَرَسَه الحبُّ في قلبه لهم، ورعاه صدرُه من التحنُّن والشَّفَقة في بابهم، فقال: أَوَدُّهم وُدًّا إذا خالَطَ الحشا في ظُلْمة الليل أضاء على الأضلاع. وإنما قال هذا لأنّ الشيء إذا أشرَقَ بالليل وعند التباس الظَّلام، فهو بالنهار أوْلَى بالإشراق؛ فكأنَّ المعنى أنّ طلائعَ حبِّهم في مكامِنِ صدره مضيئةُ الأرجاء، نيِّرة الأكنافِ، في كلِّ حالٍ ووقت.

وقولُه: «بني رجلٍ» يعني أخاه، كأنّه ذكرَ ما يقتضيه في أمرهم بما يأتيه، فأشارَ إلى الدَّواعي القائمةِ بينه وبين أولادِ الأخ، فقال: أذكُرُ بني رجلٍ لو كان في جُملة الأحياء لأعانَني على الأعداء، وأنصفَني من الزَّمان، ودفع عني مِن مضرَّاتهم ومُناكَداتهم ما يخفُّ معه ظَهري، ويقوَى فيه نُهوضي وجذابي.

٣٦٠ ـ وقال الغَطَمَّشُ من بني شَقِرَةَ بن كعب ابن ثَعْلبة[3]: [الطويل]

١ ـ ألَا رُبَّ مَن يغتابُني وَدَّ أنَّني ... أبوهُ الذي يُدْعَى إليه ويُنْسَبُ

٢ ـ على رِشْدَةٍ من أُمِّهِ أو لِغَيَّةٍ ... فيَغْلِبَها فَحلٌ على النَّسْلِ مُنْجِبُ

قولُه: «مَن يغتابني» مَن نكرة ويغتابني في موضع الصِّفة له، و«وَدَّ أنَّني» جواب رُبَّ، فيقول: رُبَّ إنسانٍ يأكلُ لحمي بظهر الغَيْب ويتنقَّصني، ومع ذلك

(١) التبريزي: «في بني أخيه». (٢) التبريزي: «بنو رجلٍ».
(٣) التبريزي: «ابن سعد بن ضبة» وقد وردت له الحماسية رقم (٢٩٩).

يتمنّى أن أكون أباه الذي يُسَمَّى به ويُنْسَبُ إليه، وإنما يبعثُه على ذلك الحسدُ والبَغْضاءِ.

وقوله: «على رِشدةٍ من أُمِّهِ أو لغَيَّة»، فإنّ على يتعلّق بقوله: إنّني أبوه، كأنّه يريد: وَدَّ أبُوّتي سواءً كان ولدَ حلالٍ أو حرام. والرِّشْدة: اسم الهيئة في الرَّشاد. والغَيَّةُ: الفَعلة الواحدة من الغيّ. وهكذا يُختار أن يقال هو لرِشْدة بكسر الراء، ولغَيَّةٍ بفتح الغين. وقوله: «فيغلبَها» نصب جواب التمنّي بالفاء، والعامل فيه أنْ مضمرة. وهذا شرح الغَيّة، كأنّه قال: تمنّى أن يكون ولدي على رِشدةٍ، أوْ يغلبَها فحلٌ مُنْجِب على النّسل فتأتي به لغَيّةٍ. وأراد بالفحل المنجِب نفسَه، ويعني بيغلبُها على النّسل غلبةَ الشَّبَه ليبرّئه من هُجْنَتها. وإذا قال القائل: ودِدْتُ أنّني أجيئك فتكرمَني، فقوله: فتكرمَني انتصب ولم يعطف على أجيئك، لمخالفة آخر الكلام أوّلَه، وذلك أنّ قوله: إنني أجيئك متمنّى غيرُ واجب، وفتُكْرِمَني ليس من التمنّي بل هو واجبٌ، فلمّا خالَفَه نوَى بالأوّل الاسمَ، وأضمر بعد الفاء أنْ، لتكون الفاءُ عاطفةً لاسمٍ على اسم، فكأنّه قال: ودِدْتُ مَجيئي إليك فإكرامَك لي. وكذلك إذا قال: ألَا ماءَ فأشْرَبَه، يراد: لو كان لي ماءٌ لشربتُه، تقديره: ألا ماءَ فشُربَه.

٣ ـ فبالخيرِ لا بالشَّرِّ فارْجُ مَوَدَّتي وأيُّ امرئٍ يُقْتَالُ منه التَّرَهُّبُ

كأنّه أقْبَلَ على هذا المغتابِ له، الناحتِ أثلتَه، المداجي له بعداوةٍ كامنةٍ مستحكِمة في الصدرِ، فقال له: هذه المودّةُ التي تُظْهِرُها من نفسك لي، ارْجُ انتفاعَكَ بالخير لا بالشَّرّ، لأنك إنْ فعلتَ غير ذلك فإنما تحتاج إلى إصلاحِهِ من نفسك، فأمّا إذا كانت المودّةُ صافيةً، والعقيدةُ خالصة، فإنّ صاحبَها لا يرجو بها إلّا خيرًا، وكيف يرجو غيرَه من ثمارِهِ، وهو يغرِس الخيرَ لا الشَّرَّ. وقولُه: «ارْجُ مودّتي» أي: ارجُ مودَّتَكَ لي، والمصدر يُضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل. وقولُه: «أيُّ امرئٍ يُقتالُ منه الترهُّب»، فمعنى يُقتال يُحتكَم، وهو يُفْتَعَلُ من القول، يريد: أيُّ رجلٍ يُحْتَكَم عليه ومنهُ الترهُّب، التخوّف، وتَرْكُ السُّكون والأمَنةِ إليه، أي: كيف يُطلب وُدُّه على الرَّهبةِ منه.

٤ ـ أقولُ وقد فاضَتْ بعينَيَّ عَبرةٌ أَرَى الأرضَ تَبْقَى والأخِلّاءَ تذهَبُ

٥ ـ أَخِلّاءِ لو غَيرُ الحِمَامِ أصابَكُم عَتَبْتُ ولكنْ ما عَلَى الدَّهرِ مَعْتَبُ

قولُه: «وقد فاضت بعينيّ عبرة» اعتراض بين الفِعل ومعموله. وقولُه: «أرَى الأرض تَبْقَى» متصِّل بقوله: «وقد فاضت بعينيّ عبرة»، وهو من جملة الاعتراض. ومفعول أقولُ البيت الثاني، فيريدُ: أقول وقد اتَّصل البكاءُ منِّي، وسالت العَبَراتُ من عيني، إذْ كنتُ أرى الأرضَ باقية، والإخوان الخُلَّص ذاهبة، وأنا لا أَمْلِكُ شيئًا: أخِلَّايَ إني مَغيظٌ مغلوب، مأخوذٌ عن عَزَائي لِمَا أتاه الدَّهر، ولكني إذا أفْكَرتُ وكان سببَ اخترامِكم الموتُ الذي تتساوى فيه الأقدامُ فلا يُبْقِي على شريفٍ ولا وضيع، ولا صغير ولا كبير، صَدَّني ذلك عن العَتْب؛ لأنَّ الموتَ لا مَعْتَب عليه، ولو كان الجاني فيكم، والسالبُ لكم غير الموت لعتَبْت على الدهر، وقلتُ وأكثرتُ في موضع القول، وانتصفْت وأسرفت في موضع الفِعل. ويقال: عتَبْتُه فأعْتَبَ، أي لُمْته فأَرْضَى. ويروى: «أخِلَّايَ» بالقصر وإثبات ياء الإضافة، و«أخِلّاء» بالمدّ وحذف ياء الإضافة، وهذا أجْوَد.

٣٦١ ـ وقالت امرأة[١]: [الطويل]

١ ـ ألَا فاقْصِرِي مِنْ دَمْعِ عَيْنَيْكَ لَنْ تَرَيْ أَبًا مثْلَه تَنْمِي إليه المَفَاخِرُ

٢ ـ وقد عَلِمَ الأقوامُ أنّ بناتِه صَوَادِقُ إذْ يَنْدُبْنَه وقَواصِرُ

تقول متسلِّيَةً ورافعةً الطَّمْعَ من أن يكون الجزعُ يَرُدّ فائتًا، فقالت: كُفِي من دمع عينيك، ونَهْنِهِي عَبَراتِك، فإنَّكِ لن تَرَيْ مَن تعتاضينَه من أبيكِ الذي كان إليه ينتمي المَفاخر. ومعنى: «تَنْمى إليه المَفاخر» أنه غاية المَفاخر، فهي إليه تنتمي. ويُرْوَى: «ينمو إليه المُفاخِرُ» بضمّ الميم، والمعنى: يَرْتَقِي إليه المُفاخر إذا نافَرَ خَصْمَه وجاذَبه.

وقولها: «وقد عَلِمَ الأقوامُ أنّ بناتِه صوادِقُ» استشهدَتْ بطوائفِ الأقوام على اختلافها، وذكرت أنَّهم قد عَلِمُوا أنّ بناتِ هذا المتوفَّى فيما ينْدُبْن به أباهنّ ويذكرنه من فضائله وإفضاله، آتياتٌ بالصِّدْقِ غيرِ الكذب، وعاجزاتٌ عن بلوغ الغاية التي يستحقُّها أبوهنَّ المرثيّ، فإنّ القول لا يُحيط بحدِّه، والوصف لا يَنْظِمُ كُنْهَ حَقِّه.

---

(١) التبريزي: «قال أبو رياش: والذي عندي أن هذه الأبيات لمحمد بن بشير أحد بني الخارجية، يرثي بها أبا عبيدة عبد الله بن زمعة بن الأسود...».

٣٦٢ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ سَقَى جَدَثًا وارَى أرِيبَ بن عَسْعَسٍ مِنَ العَيْنِ غَيثٌ يَسْبِقُ الرَّعْدَ وابلُهْ
٢ ـ مُلِثٌّ إذا ألْقَى بأرْضٍ بَعَاعَهُ تَغَمَّدَ سَهْلَ الأرضِ منه مَسَايِلُهْ

دَعَا لقبر المرثيِّ بالسُّقيا، وهو أريبُ بن عَسْعَس. ومعنى «من العين» من السَّحابات التي تنشأ من عين القبلة وهي أغْزَر، فلذلك خَصَّها. وقوله: «يسبق الرَّعدَ وابله» يطلُب به الكثرة. والوابل: المطر الضَّخم القَطْر، وإذا سبَقَ المطرُ الرعدَ كان النَّوْءُ أغزر.

وقوله: «مُلِثٌّ» لم يرض بأن يكون سُقياه عارضًا، ولكن جعل الغيث مُلِثًّا، وهو بمعنى مقيم. وقولُه: «إذا ألقى بأرضٍ بَعَاعَه» يريد: إذا جاءَ مطرُه على أرضٍ فوضَع أثقالَه بها امتلأت الوِهاد، وتغمَّدت المسايل بطونَ الأباطح السهلة. والبَعَاعُ: الثِّقْل، والجَهاز. يقال: بَعَّ السَّحابُ بَعًّا وبَعاعًا، إذا ألَحَّ بمكانٍ فألقى بَعَاعَه فيه.

٣ ـ فما مِنْ فتًى كُنَّا من الناسِ واحدًا به نَبْتَغِي منهم عميدًا نُبادِلُهْ
٤ ـ ليَوْمِ حِفَاظٍ أو لدَفْعِ كَرِيهَةٍ إذَا عَيَّ بالْحِمْلِ المعضَّلِ حامِلُه

قولُه: «فما من فتًى» بيتٌ فيه تقديم وتأخير، وتلخيصه مُبيَّنًا مُعادًا كلُّ شيءٍ إلى موضعه: ما مِنْ فتًى من الناس كُنَّا نبتغِي به واحدًا منهم عميدًا نبادله. فعلى هذا قوله: «من النَّاس» مِن صفة الفتى، وبه يعود الضمير إلى الفتى. والمعنى: كُنَّا بسببه نبتغي واحدًا منهم ـ أي من الناس ـ عميدًا، من صفة الواحد، لأنَّا جعلنا واحدًا مفعولًا لنبتغي. نُبادلُه، أي: نُبادِل به الناسَ، فحذَف الجارَّ وقال نبادله. على هذا قول عارِقٍ الطائيّ: [الطويل]

وليس من الفَوتِ الذي هو سابقُه(٢)

أي سابقٌ به. وخبر ما محذوف؛ كأنَّه قال: ما فتًى ذا صفتُه بموجودٍ في الدنيا وما أشبهه.

---

(١) التبريزي: «قال القلاخ: قال أبو هلال: في الشعراء ثلاثة يقال لهم القلاخ أحدهم: القُلاخ الراجز ابن حزن بن جناب بن منقر، والآخر القلاخ بن زيد أحد بني عمرو بن مالك، والقلاخ العنبري، وهذا هو قلاخ بن حزن».

(٢) هذا عجز بيت لعارف الطائي سيرد في الحماسية رقم (٧٧٩)، وصدره:
«إلى المنذر الخيرِ بن هندٍ نزوره»

وقوله: «ليوم حِفاظٍ» اللام تعلّق بقوله نبادله، أي: نُبادِل به لهذا الشأن، وهو أن يحافظ على حسبِهِ محافظةَ الكرام، أو يدافعَ الكرائهَ والشدائدَ لدى الجَدَلِ والخِصام، في وقتٍ من الزَّمان يعزُّ مِن العَشِير مَن يَكفيه الهضيمة، وتَرى الناهضَ بالأثقال لَتضاعُفِ المُؤَن والبلايا يَعيا بما يحمِله فيعدُّه داءً عُضالًا. وأصل العضل: المَنْع والتضييق. ويقال: عَضَلت المرأةَ وعَضَّلْتُها، إذا مَنَعْتَها من التَّزويج. وعَضَّلَت، إذا عَسُرَ وِلادُها.

٥ ـ وذِي تُدْرَإٍ مَا لـلَّيثُ في أَصْلِ غـابَةٍ ... بـأَشْـجَـعَ مِـنْـهُ عـنـد قِـرْنٍ يُـنـازِلُهْ(١)

٦ ـ قَـبَضْـتَ عَلَيهِ الكَفَّ حَتَّى تُقِـيدَهُ ... وحَـتَّى يَـفِـي لـلحقِّ أخْضَعَ كاهِـلُهْ

قوله: «وذي تُدْرَإٍ» الواو عاطفة، وانجرّ ذي بإضمار رُبَّ. وتُدْرَأٌ: تُفْعَل من الدَّرْء، وهو الدَّفْعُ بشِدَّة، فيقول: رُبَّ رجلٍ هكذا ما الأسدُ في خِدره بأقوى قلبًا منه نظيرٍ له في بأسه وشِدّته ينازلُه. فقوله: «ما الليث» إلى آخر البيت، من صفة ذي تُدْرَإٍ. والغابة: الأجمَة. وإنَّما قال: «في أصل غابةٍ» إشارة إلى دخولِهِ وتمكُّنِهِ من غايَتِها. والمنازَلة إنما تكون عند تضايُقِ المجال وتَداني أطراف موضع الالتقاء، عن الإقدام والإحجام.

وقولُهُ: «قبضْتَ عليه الكفَّ» يقول: جَمعتَ عليه قبضَتَك فمنعتَه عن الانفصال عند الخروج من إسارِكَ، حتى أمكنَك من الاقتياد منه، وحتى عاد كاهلُه خاضعًا للحقِّ راضيًا به. والخطاب بجميع هذا للمرثيّ. وإنما يصفُه بحُسْن الثَّبات في معاركة الخُصوم ومزاولتهم، وأنَّه باقي الصَّبْرِ في استيفاءِ الحقوق عليهم. وقوله: «كاهلُه» يجوز أن يرتفع بقوله يَفِي. ويجوز أن يرتفع على البَدَل من المضمر في يَفِي، وحينئذٍ يحتمل ضميرًا لذي تُدرإٍ. وأخضعَ ينتصب على الحال في الوجهين جميعًا، ويجوز أن يرتفع أخضَعَ فيكون خبرًا مُقدَّمًا، وكاهِلُه يكون مبتدأ. والأخْضَع: الذي في عنُقه انخفاضٌ وتطأطؤ.

٧ ـ فَـتًى كـان يَـسْـتَـحْـيِـي ويَـعْـلَـمُ أنَّـه ... سَـيَلْحَقُ بـالـمَـوْتَـى ويُـذْكَـرُ نـائـلُهْ

راجَعَ الإخبارَ عنه ثانيًا، فيقول: هو فَتًى كان الحياءُ يملكُه فلا يتعاطَى ما يقبُح في الأحدوثة، ولا يَسمعُ منكَرًا إلَّا ألْغاه، ولا رأى مستشنَعًا إلَّا رفضَه وأقصاه، ليطيبَ

---

(١) التبريزي: «في أصل غابِهِ».

مَسْمَعُ ما يُرْوَى عنه، ومنظرُه فيما يُشاهَدُ منه. وقوله: «ويعلم أنّه سيلحق بالموتى» يقول: تيقَّن أن الخلودَ لا مطمعَ فيه، فإنَّ الذي له من المال ما يقدِّمه لِمَثُوبة، وادِّخارًا لأُكرومة، إذا تُحُدِّث عنه بها كان ذِكرُه حَيًّا وإن كان الشَّخص فينا مغيَّبًا.

٣٦٣ ـ وقال الضَّبِّيُّ: [الكامل]

١ ـ أَأُبَيُّ لا تَبْعَدْ وليس بخالدٍ حَيٌّ ومن تُصِبِ المَنُونُ بعيدُ
٢ ـ أَأُبَيُّ إن تُصْبِحْ رَهِينَ قرارَةٍ زَلِج الجوانبِ قَعْرُها مَلحودُ(١)
٣ ـ فَلَرُبَّ مكروبٍ كَرَرْتَ وراءَهُ فَمَنَعْتَه وبنو أبيهِ شُهُودُ
٤ ـ أَنَفًا ومَخْمِيَةً وأنك ذائِدٌ إذْ لا يكادُ أخُو الحِفاظِ يَذُودُ
٥ ـ ولَرُبَّ عانٍ قد فَكَكْتَ وسائِلٍ أَعْطَيْتَهُ فَغَدَا وأنتَ حميدُ
٦ ـ يُثْنِي عليكَ وأنتَ أهلُ ثَنائه ولَدَيكَ إمَّا يَسْتَزِدْكَ مَزِيدُ

البيت الأول يشتمل على أنواع ثلاثة من الكلام: فقوله: «لا تَبْعَدْ» ما يُندب به الموتَى على إظهارِ الفاقة إلى حياته، وقد مرَّ القول فيه. وقوله: «وليس بخالدٍ حَيٌّ» تَسَلٍّ وإيمانٌ بمحتوم القدَر، وأنَّ ذلك يوجب على المُصاب الصَّبْرَ والائتساءَ بفِرَق الخلق. وقوله: «ومَن تُصبِ المَنُون بعيد» تبرُّؤٌ من الجري على عادة الناس في المصائب واعتراف بأنّ الموت يبعّد الالتقاء بين الأحياء والأموات، فلا تزاوُرَ ولا تراسُل، ولا تخاطُب ولا تكاتُب؛ فكلُّ هذا تحسُّرٌ وتوجُّعٌ.

وقوله: «أَأُبَيُّ إنْ تُصْبِحْ رهين قرارَةٍ» جواب الشَّرط أوّل البيتِ الذي يليه، وهو قوله: «فلربَّ مكروبٍ»، والمعنى: إنْ خلَّيْتَ مكانَك من الدُّنيا وصِرْت مرهونًا في قرارة قبرٍ زَلِقِ الجوانب، صريعُه لا يُنْعَشُ، ورهينُه لا يُفَكّ، وأسيرُه لا يُتَخلَّص بمنٍّ ولا فِداء، ولَزِيمُه لا يَتَمَلَّسُ لوقتٍ وعِدَادٍ، فلربما فعلْتَ كذا وكذا. وقوله: «قعرُها ملحود»، تصويرٌ للقبر بلحده.

وقوله: «فلرُبَّ مكروبٍ كررتَ وراءه» يريد: رُبَّ مُضَيَّقٍ عليه أسْلَمه بنو أبيه لمَّا امتُحن به حتى تمكّن العدوُّ منه، أنتَ تَعَطَّفتَ عليه، وصرفت عنايتك إليه، فخفَّفت

---

(١) التبريزي: «زَلَخٍ» أي جوانبها مزلّة، يقال: مكان زلَخٌ: إذا لم تستقرّ عليه الأقدام.

ثِقلَه، وألقيت عنه وِزرَه، ودفعتَ من فَوْرَتِهِ دونَهُ، ومواليه من بني الأعمام وغيرِهم حضورٌ لا يَرْعَوْن له إلّاً، ولا يَحفظون له عهدًا.

وقوله: «أنَفًا ومَحْمِيَةً» انتصب على أنه مفعول له، وما بعده معطوفٌ عليه وفي معناه، كأنه ذكر العِلّةَ الموجِبة لما أتاهُ، فقال: فعلتَ ذلك حِمْيَةً وأنفَةً، وأنَّ عادتَك المدافعَةُ عن كلّ مَن يتعلّق بحبلك، أو يتمسَّكُ بعُرْوَةٍ من عُرَى عنايتك، غريبًا كان أو نسيبًا؛ وهذا تفعله في وقتٍ يزهدُ الناس في الإحسان، لشدَّةِ الزمان، ويُرَى المُحافِظ ممسكًا والمُرَاعِيَ مُهْمَلًا.

وقوله: «ولَرُبَّ عانٍ قد فككتَ»، فالعاني: الأسير، وأصله مِن عَنا يعنو، إذا خَضَعَ. على ذلك قولُه تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: الآية ١١١]. فيقول: رُبَّ مأسورٍ أخرجتَه من ضِيق الإسارِ إلى سَعَة الأمانِ، فأطلَقْتَ كَبْلَه، ونزعتَ غُلَّه، ورُبَّ سائلٍ اجتداكَ فأغنيتَه، وعن التَّجوال أقعدتَه، فانصرفَ عنكَ وهو يُثني عليك ويتشكَّرُ نِعمتك؛ وقد استحققتَ عليه ذلك بما أسديتَه إليه، ولو عادَ إليك لوجد مَعادًا لا ضَجَر منك يلحقُه، ولا سآمةَ فيك تمحقُه، وإن استزادَ زِدتَه، لا يُمْنَع من موجود، ولا يُحالُ على مفقود.

٣٦٤ ـ وقال عِكْرِشَةُ أبو الشَّغْبِ[١] يَرْثي ابنَه شَغْبًا:

[البسيط]

١ ـ قد كانَ شَغْبٌ لوَ أنَّ اللهَ عَمَّرَهُ ... عِزًّا تُزَادُ به في عِزِّها مُضَرُ

٢ ـ فارَقْتُ شَغْبًا وقد قوّسْتُ مِن كِبَرٍ ... لبِئْسَتِ الخَلّتانِ: الثُّكلُ والكِبَرُ

يعظِّمُ شأنَ ابنِه، وذلك أنه كان قد برع في فضله، وورَدَ أبوابَ الملوكِ فقبِلته العيونُ والقلوبُ نَباهةً وحَلاوةً، وتوجُّهًا وتقدُّمًا. فقال: لو أنَّ القضاءَ أَمْهَلَ ابني شَغْبًا ولم يُعاجِلْه عن استكماله، وعن الاستمتاع بما توحَّد به من فضائله، لكان بقاؤه عزًّا مُسْتَجَدًّا لقبائلِ مُضَر كلِّها، تُضِيفُهُ إلى عزِّها، وتتبجَّح باستقرارها.

وقوله: «فارقْت شَغْبًا» عاد إلى ما يخصُّ نفسَه من الفَجْع بموته، والجزعِ لفراقه، فقال: فارقْته والكِبَرُ قد صافحني، وحَنَى ظهري، وانتقصَ جَلَدِي، وأَوْهَنَ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٣١٤).

قُواي، ولا أملَ في إدراك مِثْلِه، ولا استقلالَ بالنُّهوض بأعباءِ أهله. ثم قال متحسِّرًا: بئست الخَلَّتان المجتمِعتان لي: ثُكلُ مَن لا يُعتاض منه أبَدَ الدَّهر، والكِبَرُ المقصِّر للأمل، المقرِّب ليوم الأجَل.

٣٦٥ ـ وقال آخر يرثي ابنَه: [الطويل]

١ ـ للهِ دَرُّ الدّافِنيك عَشِيَّةً أمَا راعَهُمْ في القَبْرِ مَثْواكَ أمْرَدَا

٢ ـ مُجاوِرَ قَوْمٍ لا تَزاوُرَ بَيْنَهُمْ ومَن زارَهم في دارِهم زار هُمَّدا

قوله: «للهِ دَرُّ الدّافنيك» فدَرٌّ، وإن كان في الأصل مصدرًا فقد لَزِمَ هذا الموضعَ وجرى الكلمةُ به لكثرةِ الاستعمال مَجرى: للهِ خَيْرُك، فلا يَعمل في ظرفٍ ولا في حالٍ؛ ولا في شيءٍ مما يعمل فيه أمثالُه من المصادر. فيقول على وجه التعجُّب مِن الذين تولَّوْا دفْنَه في عشيّةِ يومِه: لله دَرُّهم، أمَا أفزَعَهُم مُقامُك في القبرِ على استقبال شَبابِكَ، ونضارة غُصْنِكَ وقُرْبِ ميلادِك، حين لم تجتمع نفسُك، ولا تَوجَّه وَجْهُك. وفي طريقته قولُ الآخر: [الطويل]

أيَا شَجَرَ الخابورِ ما لكَ مُورِقًا كأنك لم تَحزن على ابنِ طريفِ[1]

وأبلغ منهما قول الآخر: [الطويل]

أبَعْدَ قَتيلٍ بالمدينة أظلَمَتْ به الأرضُ تَهْتَزُّ العِضَاهُ بأَسْوُقِ[2]

وانتَصَب «أمرد» على الحال، وأصل التمرُّد التملُّس والانجراد. يقال: صَخرةٌ مَرداءُ، إذا لم ينبُت عليها شيء.

وقوله: «مُجاورَ قومٍ لا تَزاوُرَ بينهم»، هذا حالُ الأموات فيما بينهم، يتجاورون ولا يتزاوَرُون، ومَن زارهم من الأحياء منّا انصرَفَ عنهم بالخَيْبة، والزِّيَادةِ في الغُمَّة والحَسْرة. والهُمَّد: جمع هامد، وهو الميِّت؛ وأصله من هَمُود النار. ويقال للثَّوب إذا بَلِيَ: قد هَمَد.

(١) لليلى بنت طريف في الأغاني ١٢: ٨٥، والحماسة الشجرية ١: ٣٢٨، والدرر ٢: ١٦٣، ولليلى أو لمحمد بن بجرة في سمط اللآلي ٩١٣، وللخارجية في الأشباه والنظائر ٥: ٣١٠.

(٢) للشماخ في ملحق ديوانه ٤٤٩، واللسان (سوق)، وفي الحماسية (٣٨٨)، ولجزء أخي الشماخ في تاج العروس (سوق).

٣٦٦ ـ وقال لبيد[١]: [الطويل]

١ ـ لَعمرِي لئن كان الـمُخَبِّرُ صادقًا لقد رُزِئَتْ في حادِثِ الدهرِ جَعفَرُ
٢ ـ أخًا لِيَ أمّا كلَّ شيءٍ سألتُه فيُعطِي وأمّا كلَّ ذَنبٍ فيَغفِرُ

يرثي بهذا أربدَ أخاه. وقوله: «إن كان المخبِّر صادقًا»، فهو قد عَلِمَ صِدْقَ الحديث، لكنَّه لاستعظامه للنَّبأ، وفخامة أمر المتوفَّى في النفوس وعِنْدَه، يَرجع على المخبِّر بالتكذيب، ويُدْخل الشَّكَّ على المشهود والمسموع؛ كما قال الآخر: [الطويل]

يقولون حِصْنٌ ثم تأبَى نُفُوسُهم[٢]

واللام من «لَعَمْرِي» لام الابتداء، ومن قوله: «لئن» هي الموطِّئة للقسم، ومن قوله: «لقد» هي جواب القسم.

والمعنى: وبقائي لئن وَرَدَ هذا الخبرُ من صادقٍ بريءٍ من الحسد والتزيُّد مؤدٍّ لما تحقّقه سماعًا أو عِيانًا. لقد أصيبت قبيلةُ جعفر بن كلابٍ فيما حدث من رَيْب الدهر بمَرْزِئةٍ عظيمة فظيعة.

وقوله: «أخًا لي» انتصب عن «رُزِئَتْ جعفر»، أي رُزِئَتْ شقيقًا لي هذا صفتُه، وهو أنَّ سماحَتَهُ وتكرُّمَه كانا يبعثانِه على بذلَ كلّ حَسنة تُقْتَرَح عليه، وأنْ سلاستَه وسُهولتَه تَدْعوانِهِ إلى التَّجافي عن كلّ سيِّئة تَبْدُرُ إليه.

٣٦٧ ـ وقالت زينب بنت الطَّثْرِيَّة ترثي أخاها: [الطويل]

١ ـ أرَى الأثلَ مِنْ بطن العقيقِ مجاوِرِي مُقِيمًا وقد غالَتْ يَزيدَ غَوائلُهْ[٣]

الأثلُ: شجر. وإنما قالت ما قالت منكِرةً ومستوحِشة؛ إذ كان الحكمُ عندها أن تتغيَّر الأمورُ عن مقارِّها لموت أخيها، فتتحوَّلَ الأحوالُ وتتبدَّلَ الأبدال، وتَتَخشَّع

(١) لبيد بن ربيعة العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام ووفد على النبيّ ﷺ، ويُعَدّ من الصحابة المؤلّفة قلوبهم (ت٤١هـ/ ٦٦١م). ترجمته في الشعر والشعراء ٢٣١، والآمدي ١٧٤، وطبقات ابن سعد ٦: ٢٠.
(٢) صدر بيت للنابغة يرثي حصن بن بدر في شروح سقط الزند ٨١٣، وعجزه:
«وكيف بحصنٍ والجبالُ جنوحُ»
(٣) الأبيات في حماسة البحتري ٤٣٣.

الجِبالُ، وتتقلَّع الأشجار؛ فلمَّا جرَى الأمرِ بخلافه أخبرَتْ متوجِّعة ومتحسِّرَة، فقالت: إنَّ بطنَ العقيقِ ومنابتَ أثلِه بما تحويه أرى مقيمًا في جِواري على ما كان عليه، وأخى يزيدُ قد دَعَاهُ محتومُ القضاء فذهَبَ به غوائلُه. ويقال: غالته الغوائل، أي أهلكَتْه المُهْلكات، وهذا كما يقال: عَلِقَتْ به العَلُوقُ. وانتصب «مقيمًا» على أنَّه مفعول ثانٍ لأرى، ومُجاوري في موضع الجرّ على أنَّه صفة لبطن العقيق.

٢ ـ فَتَى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا متضائِلٌ وَلا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وَأَبَاجِلُهْ[١]

وصَفه بأنَّه في خِلقة السيف تجرُّدًا واقتضابًا، وعلى خُلُقه مضاءً ونفاذًا. وقوله: «لا متضائِلٌ» يريد أنَّه شهمٌ حيُّ النَّفس والقلبِ، جريءُ المُقْدَم، لا يتخاشَعُ لشيءٍ ولا يتماوَتُ على حَدَث. والضُّؤولة، أصلُه الدِّقَّة. والرَّهِل: المُسترخي. يصفُه بقِلَّةِ اللَّحم على الصَّدر والسَّاق. والأباجل: جمع أبْجَل، وهو عِرْقٌ. وذكَرَ الأباجِل وهو يريد مواضعها. وجَمعه كما يقال: هو ضَخم العثانين، كأنَّه أراد ما حَوْلَه.

٣ ـ إذا نَزَلَ الأضيافُ كانَ عَذَوَّرًا عَلَى الحَيِّ حتَّى تستقلَّ مراجِلُهْ

العَذَوَّرُ: السَّيِّئ الخُلُق، القليلُ الصَّبْر فيما يطلبُه ويُهِمُّ به. وإذا ظرفٌ لقوله: «كان عَذَوَّرًا». وصفَه بأنَّه يجمع الحيَّ لأمره فيُطَاعُ، لسيادته وجَلالة محلِّه، وأنَّه إذا نزلَ به الأضيافُ قام بنفسه في إقامة القِرَى لهم، غيرَ معتمدٍ على أحدٍ فيه، وأنَّه يعرِض له وفي خُلُقه عَجَلَةٌ يركبها، وتشدُّد في الأمر والنَّهي على جماعة الحيّ به يصرِّفُها، حتَّى تُنْصَبُ المراجل، وتُهيَّأ المطاعم؛ فإذا ارتفع ذاكَ على مُرَادِهِ عاد إلى خُلُقِهِ الأوَّل. والمراجل: جمع مِرْجَل، وهي القِدْر العظيمة النُّحاسية، واستقلالُها: انتصابُها على الأثافيّ. وحتَّى تَسْتَقِلَّ، أراد لتستقلّ وكي تستقلّ أي: كان عَذَوَّرًا لذلك الشأن.

٤ ـ مَضَى وورِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًا طَوِيلًا حَمَائِلُهْ

يقول: أجاب دَاعِيَهُ فمضى لوجهه، وورِثْنَاهُ دَرِيس مُفَاضَة. فانتصب دريسَ على أنَّه مفعول ثانٍ. ويقال: ورِثْتُه كذا وورثتُ منه كذا. فعلى هذه اللُّغة كان أصله وَرِثنا منه، فحذَفَ الجارّ، ووصل الفعلَ فعَمِلَ. والدَّريس: الخَلَق من الدِّرع وغيره؛ لأنَّه كأنَّه فعيلٌ بمعنى مفعول. والجمع الدِّرْسان. والمُفاضة: الدِّرْع الواسعة. وأبيض، أي

---

(١) هذا البيت والذي بعده في الحماسية (٣١١) للعجير السلولي.

وسيفًا أبيضَ. وجعله طويلَ الحمائل لطول قَوَامِهِ. والمعنى: أنه أنْفَقَ مالَهُ في ما ادَّخَرَ له أجْرًا، ونَشَرَ لهُ حَمْدًا وشُكْرًا، فلم يكن إرْثُهُ إلَّا ما ذَكَر من السِّلاح.

٥ ـ وقد كان يُرْوِي المشرفيَّ بكفِّه ويَبْلُغُ أقْصَى حَجْرَةِ الحيِّ نائلُهْ

وصَفَه بأنّه كان غزَّاءً شديدَ النكايةِ في الأعداء، فكان يُعْطِي السيفَ حقَّه إذا أعملَه، ويُرويه من دِماء مُشاقِّيهِ ومُنابِذِيه إذا جرَّده، ويبلغُ أبعد ناحيةِ الحيِّ عطاياه. وإنما قالت: «يُروي المشرفيَّ بكفِّه»، لأنها تريد أنَّ نهضتَه في ذلك بنفسه خاصَّةً من غير اعتمادٍ على حميم أو غريب؛ لأنه كان لا يجرُّ الجزائرَ على ذويه ثم يتركهم لها، ولكن كلُّ ما أتاه أو تجشَّمه فبنفسه لا بغيرِه.

٦ ـ كريمٌ إذا لاقيتَهُ متبسِّمًا وإمّا تَولَّى أشعَثُ الرَّأسِ جافلُهْ

قولها: «كريمٌ» ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. أرادت: هو كريم إذا لاقيتَه متبسِّمًا. فانتصب «متبسِّمًا» على الحال. وجواب إذا يدلّ عليه كريم، فتقول: إذا لقيتَه راضيًا ساكنًا متبسِّمًا لاقيتَ منه طَلْعَةَ الكرام وأفعالَهم، وإن أعرضَ عنك وولَّى وجدتَه أغبرَ الرّأس كثير الشعر، لا يهمُّه أمرُ نفسِه في اللِّباسِ والطَّعام، وإنَّما به الغَزْوُ والسَّعْيُ في إصلاح أمر العشيرة، وما يَكْسِبُه الجمالَ والشَّرف.

وقولها: «أشعث الرَّأس» أي اغبرَّ شعرُه وتلبَّد. والفعل منه شَعِثَ شَعَثًا وشُعوثةً، وهو أشعثُ وشَعِث. وقولها: «جافله» من قولهم: أخذتُ جُفْلَةً من الصوف، أي جُزَّةً منه. وفي كلامٍ لهم عن الضائنة: «أُجَزُّ جُفَالًا»[1]. ويقال: جافل، ومُجْفِل.

٧ ـ إذا القومُ أَمُّوا بيتَه فهو عامِدٌ لأَحْسَنِ ما ظَنُّوا به فهو فاعِلُهْ

يجوز أن يريد بالقوم رجالَ الحيِّ خاصَّة، ويجوز أن يريد به طوائفَ الرِّجال، ويكونَ المرادُ به الكثرة. وإنما وصفَتْهُ بأنه مدبِّر العشيرة عندما يَدْهَمُهم، والمشيرُ عليهم فيما يَحْزُبُهم، فإذا قَصَدُوا حضرتَه قائلينَ ما نأتمرُ وكيف نَصْنَع؟ أرشَدَهم وهَداهم، وتحمَّل عنهم ما يَثْقُل عليهم. ثمّ بعدَ ذلك تعَمَّدَ إلى أحسنِ ظنونهم به

(١) في اللسان (رخل): «أولد رخالًا، وأحلب كثبًا ثقالًا، وأجزّ جفالًا، ولم تر مثلي مالًا». قوله جفالًا: أي بمرة واحدة، وذلك أن الضائنة إذا جُزّت فليس يسقط من صوفها إلى الأرض شيء حتى يجزّ كله ويسقط أجمع».

فيأتيه معهم لا متبرِّمًا ولا مُتكرِّهًا، بل باسطًا من آمالهم، وجامعًا الحسنَ في كل بابٍ لهم.

٨ ـ تَـرَى جَـازِرَيْـهِ يُـرْعَـدَانِ ونَـارُهُ عَـلَيْـهـا عَـدَامِـيـلُ الـهَـشِيـمِ وصـامِـلُهْ

٩ ـ يَـجُـرّانِ ثِـنْـيًـا خَـيْـرُهـا عَـظْـمُ جـارَةٍ بصيرًا بها لـم تَـعْـدُ عنها مشاغِلُهْ[١]

جعلتْ له جازِرَيْنِ على عادتهم في جعلهم أصحابَ المِهَنِ فيهم اثنين اثنين، كالبائِنِ والمُسْتَعْلي في الْحَلَب، والماتح والقابل في الاستقاء. وجَعَلهما يُرْعَدَانِ لشدّة البرد، وإنما تَعْنِي وقتَ الْجَدْبِ وعند إمحالِ الناس. والعدَاميل: العَتيق من الخشب الغليظ، واحدها عُذْمُولٌ على القياس وعُذْمُلِيٌّ. والصاملُ: اليابس. والمعنى: إذا اشتدَّ الزَّمانُ وشَمِلَ القَحْطُ واشتدَّ البرد، كان له جازِرَان ينحران، ونارُه عظيمةٌ وَقودها من الحطب الغِلاظ العُتُق؛ وترى العُفاةَ والمَضرُورِين بالفِناء نازلين، وذَوِي الحاجة من جوانب الحيِّ يَعْتَرُّون، وهو يقتَسِم فيها ما يُرضيهم.

وقولُها: «يَجُرّان ثِنْيًا» يعني الجازِرين. والثِّني: التي ولدت بطنَيْن، وهي مما يُضَنُّ بها. وقولها: «خَيْرُها» تريدُ: خيرُ إبدائها ومفاصلِها البَدْءُ الذي يُجعل لجارةٍ له قد عَرَفها، فهو بصيرٌ بها وبحالها. وليست تعني جارةً بعينها، إنما المراد الكثرة، فالجاراتُ على ذلك لا تتخطّاها أشغالُه المزدحمة، ولا يَغُضُّ العنايةَ بها الأسبابُ المتراكمة، بل قد وصَّى بها وبأمثالِها فيُتفقَّدْنَ بأوفرِ الأنصباءِ عند قسمة الجزور. وقالت: «بصيرًا بها» والفعل للمرثيّ، فجرى على غَير من هو له، لأنه تبع لجاره، وإذا كان كذلك فالواجب كان عليها أن تظهر ضميره فتقول: بصيرًا بها هو؛ لأن اسم الفاعل والصفة المشبّهة إذا جَرَى واحدٌ منهما على ما قبلَه صفةً أو صِلةً أو حالًا أو خبرًا لم يَحتمل الضمير كما يحتملُه الفعل، لِضَعفه وانحطاطِ منزلته. وأكثَرُ أصحابنا على أنه لا بُدَّ من ذلك، حتى أن أبا الحسنِ كان يلحِّن الكلامَ إذا لم يَجرِ على هذه السُّنَن. والكوفيُّون وبعض أصحابنا يُجَوِّزون ترك إظهاره. وهذه الشاعرةُ دعَتْها الضرورةُ إلى وَضع المتّصل موضعَ المنفصِل، فتركت التغيير. وقولها: «لم تَعْدُ عنها» أي لم تَصْرِف. يقال عَدَت بيننا عَوَادٍ، أي صَرَفَتْ صوارف.

---

(١) التبريزي: «عظمُ جارِهِ».

٣٦٨ ـ وقال أبو حكيم المُرّيّ(١): [الطويل]

١ ـ وكنتُ أُرَجِّي من حَكيمٍ قيامَهُ عليّ إذا ما النّعْشُ زَالَ ارتدانِيَا

٢ ـ فَقُدِّمَ قَبْلي نَعْشُه فارتَدَيْتُهُ فيا ويحَ نَفْسِي من رِداءٍ عَلانِيَا

النّعش: شَبيهٌ بالمِحَفَّة، كان يُحْمَل عليه الملكُ إذا مَرِض؛ ثمّ كَثُر حتّى سُمّي النَّعْشُ الذي فيه الميّت نَعْشًا. يقول: كنتُ أؤمّل في حكيم ابني أن يُمْهَل وينفّس مِن عمره، فيقومَ عليّ إذا مُتُّ، ويرتَدِيَ نَعْشِي إذا حُمِلْتُ، ثمّ بعد ذلكَ يَقْضِي فيما أخلّفه عليه، وأعتمد على كفايته وخلافتِه، فخابَ أملي وكَذبني ظنّي، وقُدِّم قبلي، فارتديت أنا نعشَه، فوابَلاة نفسي مِن رداءٍ علاني بنعشِهِ. وقوله: «ارتدانيا» تفسيرٌ لقيامه عليه. وقد وَضَع الماضيَ موقع المستقبل؛ أي: يرتديني في ذلك الوقت. ولو ساقَ الكلامَ على تلاؤم لقال: قيامَهُ عليّ وارتداءه إيّايَ إذا ما النّعش زال ارتدانيا، أي يرتديني، فيكون إذا ما النّعش زَال ظرفًا، وارتداني مفعول أُرَجّي، أي: أرجوه يرتديني إذا ما النّعْش زال.

٣٦٩ ـ وقال مُنقِذٌ الهِلاليّ(٢): [الكامل]

١ ـ الدّهر لَاءَمَ بين أُلْفَتِنَا وكذاكَ فَرّق بَينَنَا الدّهرُ

٢ ـ وكذاك يَفْعَلُ في تَصَرُّفِهِ والدّهرُ لَيسَ يَنَالُهُ وِتْر

نَسَبَ ما اتّفق عليه وعلى مُحِبّيه إلى الدّهر، فقال: الدّهر جَمّع بيننا وسوّى أُلْفَتنا، فلمّا أراد كُلٌّ منّا أن يفرحَ بصاحبِهِ كما يَهْواهُ، ويتمتّعَ به ويتملّاه، فرّق بيننا وشتّت شملنا، فعاد ما كُنّا نَأْمُلُه من التّملّي والاستمتاع تباينًا وتوجُّعًا.

ومعنى وكذاكَ فَرّق بيننا: ومثلُ ذاكَ. وأشار إلى ما دلّ عليه لاءمَ من التّأليف. يريد: وكتأليفه فَرّق أيضًا. وكرّر لفظ الدّهر تفخيمًا. وموضع كذاكَ نصبٌ على الحال مِن فَرّق بيننا. وقوله: «وكذاك يفعل في تصرُّفه» يريد أن الدهر في مصارفه فعّال لمثل ما فَعَل بنا، يهَبُ ويَرتجع، ويؤلّف ويفرّق، ولا يترك شيئًا على حاله إلّا رَيْثَ ما

(١) التبريزي: «يرثي ابنه حكيمًا».

(٢) منقذ بن عبد الرحمٰن الهلالي: شاعر، خليع، ماجن، يُرمى بالزندقة، من أهل البصرة، اشتهر في صدر الدولة العباسية وغيره، وله أخبار مع بشار وغيره. (ت نحو ١٤٠هـ/٧٥٧م). ترجمته في المرزباني ٤٠٤، والأغاني ١٦: ١٤٣.

يُسَلَّطُ عليه التَّغيير. وقوله: «والدهر ليس ينالُه وِترٌ» يريدُ أنَّه يَتِرُ غيرَه فلا يُوتَر، ويَنْكِي فلا يُجازَى، فليس معَه إلّا الاستسلامُ لحكمه، والرِّضا بمحتومه. وهذا الذي جعلَه للدَّهر، الفاعلُ له القادرُ على كلِّ شيء، تَعَالى عن الأشباه.

٣ ـ كُنْتُ الضَّنِينَ بمَنْ أُصِبْتُ بِهِ فَسَلَوْتُ حِينَ تقادَمَ الأمْرُ

٤ ـ ولَخَيرُ حَظِّكَ في المُصيبةِ أنْ يَلْقَاكَ عِنْدَ نُزولِهَا الصَّبْرُ

قوله: «كنتُ الضَّنينَ» تشكٍّ من الفِراق الواقع بينه وبين مَن يرثيه، وإظهارٌ لضنِّه كانَ به، وتنافسه فيه، فيقول: كنت لا أصْبِرُ عنه، وأعُدُّ الأوقاتَ التي لا أراه فيها كَثُلْمَةٍ في العَيْش، ونَقيصةٍ من زَاكي الحظّ؛ إذ كنتُ لا أرى طِيَب العيش إلّا معه، ولا أعْرِف طعمَ الحياة إلا في صُحبته، فلما افترقْنا وتقادَمَ العهد بيننا سَلَوْتُ عنه، حتَّى كأنّني لم يَجْمَعْني وإيَّاه حَالٌ. وهذا الكلامُ منه استقصارٌ لجزعه، واعترافٌ بأنَّه لم يَفْعَلْ كُنْهَ الواجبِ عليه عند الرَّزيئة.

وقوله: «ولخَيْرُ حَظِّكَ» يريد: خير أنصبائك فيما تُصاب به وتَعنو له، أن يتلقّاك الصَّبرُ عند الصَّدمة الأولى لتصونَ به دينكَ ونفسك وعقلك؛ لأنَّ المرجع إليه، فَألَا يتسلى الإنسان تَسَلِّيَ البهائم أحسَنُ، وفي هذه الطريقة قول الخُرَيميّ: [الطويل]

وإنِّي وإن أظهرتُ صَبْرًا وحِسْبَةً وصانَعْتُ أعدائي عليكَ لَمُوجَعُ

ولو شِيتُ أنْ أبكي دَمًا لبَكَيْتُهُ عليك ولكن ساحةُ الصَّبْرِ أوسَعُ[1]

٣٧٠ ـ وقالت ابنةُ ضِرَارِ الضبية[2] تَرْثِي أخاها قَبِيصَةَ بنِ ضِرَار: [الكامل]

١ ـ لا تَبْعَدَنَّ وكُلُّ شَيْءٍ ذاهِبٌ زَيْنَ المَجَالِسِ والنَّدِيِّ قَبِيصَا

«لا تبعدنّ» لفظة قد مَرَّ القولُ فيها فيما تقدَّم. وقوله: «وكلُّ شيءٍ ذاهِبٌ» تَسَلٍّ؛ كأنّها قالت متوجِّعةً: لا تَبْعَد، ثم عَقَّبَتْه بالتَّسَلِّي، فقالت: وكل حيٍّ منّا مَيِّتٌ، وكلُّ أمرٍ فينا متغيِّر يا زينَ المجالس والنَّدِيِّ يا قبيصة. وقولها: «وكلُّ شيءٍ ذاهب» اعتراض

(١) بلا نسبة عند التبريزي ١: ٦٥٤.

(٢) التبريزي: «وقالت ميّة ابنة ضرار الضبّيّة». وقبيصة بن ضرار أحد فرسان ضبة، شهد الكلاب الثاني قبل الإسلام بقليل. (الأغاني ١٥/ ٧٠).

بين المنادى وبين الدُّعاء له. والجمل المعترضة بين أنواع الكَلِم تفيد فيها التَّأْكيدَ وتحقيقَ معانيها. وقولها: «زينَ المجالسِ والنَّدِيّ»، إنَّما ذكرتهما وهما واحد لأنّها أرادت بالمجالس مجالسَه خاصةً إذا قُصِدَ لإنزال الحاجاتِ به، واستخراج المطالب منه، وأرادت بالندِيِّ ناديَ الحيِّ. وانتَصَبَ قبيصةُ على أنه عَطف البيان ليا زَيْن. ويجوز أن يكون على تكرير النِّداء وقد رَخَّمه، فكأنّه قال: يا زينَ المجالس يا قبيصة.

٢ ـ يَطْوِي إذا ما الشُّحُّ أبهَمَ قُفْلَهُ بَطْنًا من الزَّادِ الخَبيثِ خَمِيصَا

يصفُه بقِلَّةِ الشَّرَه، وأنّه لا يَرْغَب من أعراض الدُّنيا إلا فيما يَزِين ولا يَشِينُ، ويُستطاب ولا يُستخبَث. وقوله: «إذا ما الشُّحُّ أَبْهَمَ قُفْلَهُ»، يريدُ إذا اشتدّ الزمان فصار كلُّ مالكٍ لشيءٍ يبخَل به حتّى لا يمكنَ انتزاعُه منه. وإذا رَوَيْتَ «أُبهِمَ قُفْلُه» على ما لم يسمَّ فاعله، فالمعنى أحكم أمرُه وجُعِل كالفَرض الذي لا يَحتمل التجوُّز. وإذا رويت: «أَبْهَمَ قُفْلَه» جَعَلَ الفعل للشُّحّ، كأنّ له قُفلًا يُبْهِمه. وإبهامُه: أن يَجْعَلَه على وجهٍ لا يُدْرَى كيف يُفْتَح، فيقول: هذا الرَّجُل يطوي بطنًا له صغيرًا مضطمِرًا من الزَّاد السَّيِّئ، إذا تملَّك البخلُ النّاسَ لشِدَّة الزَّمان، فجعلهم كذلك.

٣٧١ ـ وقال عِكْرِشَةُ الضَّبِّيُّ[١] يَرْثي بَنِيه: [الطويل]

١ ـ سَقَى اللهُ أَجْداثًا ورائي تركْتُها بحاضِرِ قِنَّسْرِينَ من سَبَلِ القَطْرِ

٢ ـ مَضَوْا لا يريدون الرَّوَاحَ وغَالَهُمْ من الدَّهرِ أسبابٌ جَرَيْنَ على قَدْرِ

الأجداث: القبور، وكذلك الأجداف بالفاء. ويَعني بالأجداث قبورَ بنيه. ودَعَا لَهَا بالسُّقيا وجعل موضعَها بحاضر قنَّسْرين، إجلالًا لها وتنبيهًا عليها. وقوله: «من سَبَلِ القَطْر» مفعول ثان لسَقَى الله. والمعنى: سقى الله هذه القبورَ التي وصفْتُها من ماء السَّحاب ما سالَ على عَجَلةٍ وبشِدَّة. وخَصَّ ذلك لأنّها أعذبُ المياه عندهم. والقَصْد في طَلَب السُّقيا لها أن تبقى عهودُها غَضَّةً محميّةً من الدُّروس، طريّةً لا يتسلَّطُ عليها ما يُزيل جِدَّتَها ونضارَتَها. ألَا تَرى أنّه لمّا أراد ضدَّ ذلك قال: [البسيط]

فلا سَقَاهُنَّ إلَّا النّارُ تضطرمُ[٢]

(١) التبريزي: «عكرشة العبسي» وهو نفسه أبو الشغب العبسي.

(٢) لزياد بن منقذ في تاج العروس (نقم)، ومعجم البلدان (نقم). وصدره:

«إذا سقى الله أرضًا صوبَ غاديةٍ»

وقوله: «مضوا لا يُريدون الرّواح» يريدُ: ساروا لا يعرّجون على شيءٍ، فلا يريدون لُبثًا ولا مُقامًا، بل استُعجلوا فتَعجَّلوا، وأهلَكَهم مِن أحداث الدَّهر أسبابٌ جاءت على قَدَرٍ، فكأنَّهم كَما دُعوا أجابوا، وكما تهيَّؤوا أُخِذُوا، لا تَلَوُّمَ ولا اختلاف، ولا قُصور ولا امتناع.

٣ ـ ولو يَستطيعونَ الرَّواحَ تَرَوَّحوا مَعِي وغَدَوْا في المُصْبِحِينَ على ظَهْرِ

يقول: ولو قَدَرُوا فيما هَمُّوا به من سَيْرهم على النُّزول رَوَاحًا لتروَّحوا معي، ولغَدَوْا في صباح اليوم الثاني على ظهر الأرض ولم يَصِيروا مع الأموات في بطنها مأخوذِينَ عن حظوظهم، لكنَّهم استمرُّوا في المفارقة فِعْلَ مَنْ لا يَمْلِكُ إلّا ذاك، ولا اختيارَ له فيما يركبه.

وهذا الكلامُ منه توجُّعٌ وتحسُّر، حين أُتُوا من حيثُ لم يَشْعَروا، وطُولِبوا بما لا رَجْعَةَ فيه ولا استبقاء، وإن استُنظروا.

٤ ـ لَعمري لقد وارَتْ وضَمَّتْ قُبورُهم أَكُفًّا شِدادَ القَبْضِ بالأَسَلِ السُّمْرِ

٥ ـ يُذَكِّرُنِيهِمْ كلُّ خَيرٍ رأيتُه وشَرٌّ فما أَنْفَكُّ مِنهم عَلَى ذُكرِ

يقول: وبقائي، لقد اشتملت قبورُهم على فُرسانٍ شُجْعانٍ يَملكون بالطَّعن أكُفًّا شدادَ القَبْض على الرِّماح؛ وإنَّما قال: «وارَتْ وضَمَّتْ» لأنَّ المُوَارِيَ هو السَّاتِر، وساتِرُ الشَّيءِ يكون ضامنًا وغير ضامن. وإنَّما أراد أن يجعل القبور مُواريةً وضامنة، فلذلك جمع بينَ اللَّفظين. ثم عقَّبَ هذا بأن قال: يذكِّرُنيهم الأمورُ التي أنتهي إليها على اختلافها، فإنَّها لا تخلو من أن تكون نافعَةً أو ضارّة؛ فإن كانت نافعةً كانت خيرًا، وكانت عَمَلهُ دِيمةً[1] مع مَن يتسبَّب إليه بحُرمة، أو يُدِلّ بآصِرةٍ. وإن كانت ضارَّة كانت شَرًّا، وهو الذي يَشْقَى به من يُشَاقُّه ويعانِدُه، حتَّى لا يُخْلِيه منه أو من تَرَقُّيهِ ساعةً، فلا أزال ذاكرًا له بما أعتَبِرُه من أمور الدُّنيا وأحوالها، وأنتَهِي إليه فأتأمَّلُه من مسبَّباته في طوائف النَّاس بعده. ويقال: ما انفكَّ يفعل كذا، بمعنى ما زال. والذُّكر، بضم الذال، يكون بالقلب؛ والذِّكر بكسر الذال، يكون باللِّسان.

(١) «ديمة»: أي دائمًا.

٣٧٢ ـ وقال رجلٌ من بني أَسَدٍ[(١)]، يرثي أخاه وكان مَرِضَ في غُربة، فسأل الخروجَ به هرَبًا من موضعه، فماتَ في الطريق: [المنسرح]

١ ـ أَبْعَدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الفِرارَ فما   جاوَزْتَ حَيْثُ انتَهَى بك القَدَرُ
٢ ـ لو كان يُنْجِي من الرَّدَى حَذَرٌ   نَجَّاكَ مِمَّا أصابَكَ الحَذَرُ

يُروى: «أبعطتَ»، والإبعاط والإبعاد متقاربان. فالإبعاط: الإسراع في السَّيْر. ويقال: أبعطتُ من الأمر، إذا أبَيْتَه وهَرَبْتَ من. ويُرْوَى: «أسرعْتَ من يومك الفِرَار» والأوّل أشهر وأجود؛ لأن مِن يتعلَّق فيها بأبعدتَ. والمعنى: فَرَرْتَ مِن أجلكَ فِرارًا بعيدًا. ومعنى: «من يومك» من آخر أمَدِك. وإذا رويت «أسرعت» احتجت إلى إضمار فعلٍ يتعلَّق به من، ولا يجوز تعلُّقه بأسرعتَ، ولا بالفرار لأنه يكون من صلته وقَدْ قُدِّم عليه. وقوله: «فما جاوزتَ حيث انتهى بك القَدَرُ» يريد أنَّ الحذر لا يُغني من القَدَر، وأنَّك وإن تحزّمتَ في تغيير الأماكن تَبَاعُدًا من المحذور، وتنقَّلتَ في المنازل هَرَبًا من القدر المحتوم، فما وجدتَ فيه واقيةً لنفسك، ولا جاوزتَ الوقت المُرْصَدَ لحينك. وجعل قوله: «حيث انتهى» اسمًا، فهو في موضع المفعولِ لجاوزت. ومثلُه في القرآن: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]. ومن مَحْكِيِّ كلامِهم وفصيحه: «هي أحسَن الناس حيث نظر ناظرٌ»، يعني وجهها.

وقوله: «لو كان يُنْجِي» جواب لو قولُه «نجّاك»، والمعنى: إنَّكَ لم تُؤْتَ من تضجيعٍ وقَعَ منك، أو إغفالٍ اعترض دون طالبِك؛ فلو كان يخلِّص من الموتِ تَوَقٍّ لوقَاكَ ما أخذت به نفسك من الحَذَر الشَّديد، والهرب البعيد؛ ولكن هو الموت الذي لا منجَى منه ولا مَهرَب عنه. وكلُّ هذا النوع توجُّعٌ وتحسُّر، واعترافٌ بالقصور والعجز لدَى مُبْرَم القضية.

٣ ـ يَرْحَمُكَ الله من أخي ثقةٍ   لم يَكُ في صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ
٤ ـ فَهَكَذا يَذْهَبُ الزَّمانُ ويَفْـ   ـنَى العِلْمُ فيه ويَدْرُسُ الأثَرُ

(١) التبريزي: «ويقال إنها لابن كناسة». وكذلك نسبه ابن خلكان في ترجمة حماد الراوية وذكر أن محمد بن كناسة يرثي حمادًا بهذا الشعر، وكذلك في الحماسة البصرية ١: ٢٤٣، والفهرست لابن النديم ١٣٥.

قوله: «يرحمك الله» استِسلام. والرَّحمة من الله: الإحسانُ والعفو. ومعنى «من أخي ثقةٍ» دخل مِنْ للتَّبيين، أي من أخٍ يُوثَق بودِّه، ويُؤمَن غِلُّه ووبَالَ حَسَدِهِ، وإذا صَافِي الوِداد وافَقَ باطنُه ظاهرَه، ولم يَكُ ذا وجهين يُعطيك حَضرَتَهُ خِلاف ما يُعطيك غَيْبَتَهُ.

وقوله: «فهكذا يَذْهَبُ الزّمان» يريد أنَّ ما رآه وأصابَه ليس بمستبدَعٍ من حَدَثَانِ الدّهر ونوائبه، بل استمراره قديمًا وحديثًا على وجهٍ واحد ينقرضُ أهلُه كما أتاه، ويفنى فيه كلُّ معلومٍ حَوَاه، ويدرُس كلُّ أثرٍ اقتناه ووَعَاه. وهذا الكلامُ إظهارُ اليأسِ من المفقود، وتضعيفُ الطَّمع في بقاء الموجود.

٣٧٣ ـ وقالت أُمُّ قَيْسٍ الضَّبِّيَّة: [البسيط]

١ ـ مَنْ للخُصُومِ إذا جَدَّ الضَّجاجُ بهم بعد ابن سَعْدٍ ومن للضُّمَّرِ القُودِ

قوله: «إذا جَدَّ الضجاج بهم» أي صار ضَجاجُهم جِدًّا. ويقال: ضَجَّ يضجُّ ضجيجًا، والاسم الضَّجاج، قال العجّاج يصف حربًا: [الرجز]

وأغْشَتِ النّاسَ الضَّجاجَ الأضْجَجَا وصاحَ خَاشِي شرِّهَا وهَجْهَجَا[1]

وقوله: «مَنْ للخصوم» لفظة استفهام، والمعنى: التوجُّع والاستفظاع؛ فيقول: مَنْ يَفْصِل بين الخُصوم إذا اشتدَّ بهم النِّزاع، وطال الجِدالُ والدفاع، فاحتِيجَ إلى من يردُّ الجامح، ويُلين الكابح، حتّى إذا رجع كلٌّ منهم إلى ما يقرب مَسْمَعه، ولا يبعد عن الفَحص مُستنزعه، أنفذ قضيَّتَه فقطعها، لا يلفِتهم عن القَبول مراجعةٌ، ولا تَخلِجُهم عن الالتزام مماتَنةٌ ومدافَعة بعد ابن سعد. ومَن للضمَّر القود بعدة، أي مَن أصحابُ الخيلِ المضمَّرة. وتريد: من يدفَعُهم عن اشتطاطِهم إذا جاؤوا واترِينَ أو موتورين. ويجوز أن تريد أنّه كان غزا بها فمَنْ لها بعده. والضمَّر: جمع ضامر. والقُودُ: الطِّوال الأعناق.

٢ ـ ومَشْهَدٍ قد كَفَيْتَ الغائبين به في مَجْمَعٍ من نَواصِي الناس مَشْهُودِ

٣ ـ فَرَّجْتَهُ بلسانٍ غيرِ مُلْتَبِسٍ عِنْدَ الحِفاظِ وقَلبٍ غيرِ مَزْؤُودِ

---

(١) للحجاج في ديوانه ٢: ٦٧، وكتاب العين ٦: ٥، وبلا نسبة في اللسان (ضجج)، وتاج العروس (ضجج).

يقول: ورُبَّ مشهدٍ عظيم الشأن يُسألُ عن حال حاضريه، ويُستمع إلى ما يُنشر عنه من حِجاجِ منافريه، تكلَّمتَ فيه عن نفسِكَ ونُبتَ عن الغائبينَ من مُعْتَلِقي حَبْلِكَ، واليومُ يومٌ مشهود، ورؤساءُ الناسِ وأماثلُهم فيه شهود؛ ثم كَشَفْتَ الغُمَّة، وأثبتَّ الْحُجَّة بكلامٍ فصيحٍ لا يلتبس، وجدالٍ راجحٍ لا يُخيلِ ولا يَغْتَمِض، وقلبٍ ثابت لا يرتَدِع إذا استُنْهِض، ولا يَنتكس إذا استُقْدِم. وقوله: «نواصي الناس» أي أشرافهم والمقدَّمين منهم. وهذا كما وَصفُوا بالذَّوائب، يقال: فلانٌ ذُؤابةُ قومِه، وناصيةُ عشيرتِه. وقوله: «بلسانٍ غيرِ ملتبس» يريد بكلام. وفي القرآن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: الآية ٤]، وتُسَمَّى الرِّسالةُ لسانًا. وقال: [البسيط]

إنِّـي أَتَـتْـنـي لِسَـانٌ لا أُسَـرُّ بِـهـا(١)

وقوله: «غيرَ مَزؤود» فالزُّؤْد: الذُّعْر، والفِعل منه زُئِد فهو مزؤود.

وقوله: «عند الحفاظ» أي: فعلت ذلك كلَّه عند المحافظة على الشَّرَف، والاحتماءِ من عار الهَضِيمة والعَنَتِ.

٤ ـ إذا قَـنَـاةُ امـرِئٍ أَزْرَى بِـهـا خَـوَرٌ ... هَـزَّ ابنُ سَعْـدٍ قَـنَـاةَ صُـلْـبَـةَ الـعُـودِ

ذِكر القناة مَثلٌ للإباء والامتناع، وأنَّ المُكْرَه لا يُخْرِج منهم الخضوعَ والانقياد. أَلَا ترى قول سُحَيْم بن وَثِيلٍ: [الوافر]

وإنَّ قَـنَـاتَـنَـا مَـشِـظٌ شَـظَـاهَـا ... شَـدِيـدٌ مَـدُّهَـا عُـنُـقَ الـقَـرِيـنِ(٢)

ويقال: مَشِظَتْ يدُه تَمْشَظُ مَشَظًا. والشَّظِيَّة والشَّظا من العصا كاللِّيطَةِ منها، تَدخُل في اليد فَتَمْشَظُ منها. ومثل هذا قولُ عمرو بن كُلْثوم: [الوافر]

عَـشَـوْزَنَـةً إذا غُـمِـزَتْ أَرَنَّـتْ ... تَـشُـجُّ قَـفَـا الـمـثَـقِّـفِ والْجَـبِـيـنَـا(٣)

وقال أيضًا:

وإنَّ قَـنَـاتَـنـا يـا عَـمْـرُو أَعْـيَـتْ ... عـلى الأعـداءِ قَـبْـلَـكَ أنْ تَـلِـيـنَـا

---

(١) لأعشى باهلة في إصلاح المنطق ٢٦، والأصمعيات ٨٨، وأمالي المرتضى ٢:٢٠، وخزانة الأدب ٦:٥١١، واللسان (سخر، لسن). وعجزه:
«من عَلْوِ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ»
(٢) لسحيم بن وثيل في اللسان (مشظ)، وتاج العروس (مشظ)، وديوان الأدب ٢:٢٤٠.
(٣) ديوانه ٧٩، واللسان (ثقف).

وزاد الآخر عليهم، فقال: [الكامل]

ولَنَا قَنَاةٌ من رُدَيْنَةَ صَدْقَةٌ ... زَوْرَاءُ حامِلُها كذلك أَزْوَرُ

٣٧٤ ـ وقال الجعْدِيُّ[1]: [الطويل]

١ ـ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنّي رُزِئْتُ مُحَارِبًا ... فَمَا لَكَ منهُ اليومَ شيءٌ ولا لِيَا

٢ ـ ومن قَبْلِهِ ما قَدْ رُزِئْتُ بِوَحْوَحٍ ... وكان ابْنَ أُمّي والخليلَ المُصافِيَا

يخاطب صاحبتَه أُمَّ مُحَارِبٍ، ومحاربٌ ابنُه. وقوله: «ألم تعلمي» ظاهره تقرير، وإنما هو تحسُّرٌ وتَوَجُّعٌ؛ لذلك قال: «فما لك منه اليومَ شيءٌ ولا ليا»، أي: قد فُجِعْنَا به فأصبحنا خِلْوًا من الاستمتاع بحياته، والانتفاعِ بمكانه. ثم ذكر أنه قد فُجِعَ قبله بأخيه أيضًا، وكان نسيبًا قريبًا، وصديقًا مُصافيًا حَبِيبًا.

٣ ـ فَتًى كَمَلَتْ خيراتُه غيرَ أنّهُ ... جَوَادٌ فما يُبْقِي من المالِ باقِيَا

٤ ـ فَتًى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقَهُ ... على أنّ فيه ما يَسُوءُ الأعادِيَا

قوله: «فتىً كملت خيراته» يجوز أن يكون فتًى في موضع النَّصب على المدح والاختصاص، أي أذكُرُ فتًى هذه صفتُه. ويجوز أن يكون في موضع رفعٍ على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو فتًى. وقوله: «غير أنه جَوَادٌ» استثناءٌ منقطع، وقد تقدم الكلام في مثله، وأن من كان عيبُه والمستثنَى مِن خصاله المحمودة ما يُذكَرُ بعد غير فناهيك به رَجُلًا كاملًا. وقوله: «فتًى تَمَّ فيه ما يسرُّ صديقه» مثله، وقد تقدَّم في مواضِعَ وشرَحْناه.

٣٧٥ ـ وقال رَجُلٌ من بَني هِلالٍ يَرْثي ابن عمٍّ لَهُ: [الطويل]

١ ـ أَبَعْدَ الذي بالنَّعْفِ من آلِ مَاعِزٍ ... يُرجِّي بمَرَّانَ القِرَى ابنُ سَبِيلِ

٢ ـ لقد كان لِلسَّارِينَ أيَّ مُعَرَّسٍ ... وقد كان للغادينَ أيَّ مَقِيلِ

٣ ـ بَنِي المُحْصَنَاتِ الغُرّ من آلِ مَالِكٍ ... يُرَبِّينَ أولادًا لِخَيْرِ خَلِيلِ

يقولُ على وجه الإنكار: أيُرَجِّي ابنُ السبيلِ القِرَى بمَرَّان بعدَ المدفون بالنَّعْفِ من آل ماعِزٍ، أي لا يكون ذلك؛ لأنَّ من كان يشمَلُ خيرُه ويُرْتَجَى النُّزولُ به مُكْرَمًا

---

(١) التبريزي: «وقال النابغة الجعدي». سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٣٣).

ضيفُه قد مات. والنَّعْفُ: ما ناعَفَكَ من الجَبَل، أي استقبلك، وقيل: هو ما انحدَرَ عن السَّفح وغَلُظَ، فكان فيه صَعُودٌ وهَبوطٌ، ذكره الدريديُّ، قال: وجمعُه نِعَافٌ.

وقولُه: «لقد كانَ للسَّارِينَ» جوابُ قَسَم محذوف. والتَّعْرِيس: النُّزول عند الصُّبح. والمَقِيل: موضع القَيلولة، فيقول: مَن أسرى ليلةً ثم طلب من ينزلُ به، كانَ هذا الرَّجلُ مَعرَّسًا له كريمًا، وأيَّ مُعرَّسٍ. وهذا الكلام فيه تعجُّبٌ وتفخيم. وكذلك مَن ارتحل غُدُوًّا ثمَّ أرادَ الرَّواحَ كان فِناؤه له مَقِيلًا طيّبًا وأيَّ مَقِيلٍ.

وقوله: «بَنِي المُحْصَنَاتِ» جَمَعَ إلى ذِكْرِهِ ذِكْرَ إخوته، فقال: أذكُرُ قومًا كرامَ الأطراف، أُمّهاتهن من الحَصَانَةِ والطَّهارة في أعلى محلٍّ، وأبعدِ رُتبة، ويَرْبُبْن أولادًا لبعولٍ لا يُوازَى بهم، عُلوَّ مَنصِب، وزَكاء مَنْسِبٍ، وتقدُّمًا في الشَّرف والإفضال، وبَراعةً في جميع الأحوال.

٣٧٦ ـ وقال كَبِدُ الحَصَاةِ العِجليُّ[1]: [الوافر]

١ ـ ألَا هَلَكَ المُكَسَّرُ يَالَ بَكْرٍ ... فأَوْدَى البَاعُ والحَسَبُ التَّلِيدُ[2]

٢ ـ ألَا هَلَكَ المُكَسَّرُ فاستراحَتْ ... حَوافي الخيلِ والحيُّ الحَرِيدُ

افتتح كلامه بألَا، ثمَّ أخذ يُعظِّم الخَطْبَ ويفظِّع الشَّأن، فقال: مات هذا الرَّجلُ فمات بموته الكرَمُ العميم، والشَّرف الصميم.

وقول «يالَ بَكرٍ» استغاثة ممَّا دهاه. وقد مرَّ القولُ في هذه اللامِ والفَصلُ بينها وبين لام التعجُّب من قوله يالَبَكْرِ. ومعنى أَوْدَى: هَلَكَ. والباعُ هاهنا الكَرَمُ. ويقال: باعَ الرَّجُل يَبُوعُ بَوْعًا، إذا مَدَّ باعه، وتَبَوَّعَ. وكذلك تَبَوَّعَ البعير، إذا مَدَّ ضَبْعَهُ. والحَسَبُ: الشَّرَف، وأصله من الحِساب؛ لأنَّ الحسيبَ يَعُدُّ لنفسه مآثر فتلك المآثر حَسَبٌ؛ كما يقال نَفَضْتُ نَفْضًا، ثم يسمَّى المنفوضُ نَفَضًا. والتَّليد والتَّالد: ضدُّ الطَّريف والطَّارف. والتِّلاد: ما وُلِدَ عندك من مالِك، قالوا: وأصلُ هذه التَّاء الواو.

---

(١) التبريزي: «يرثي المكسَّر بن حنظلة، واسمه يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار، وكانت طائفة من طيّئ أغارت على بكر بن وائل، فأخذُوا منهم أخائذ، فأغار المكسّر على طيِّىء، فاكتسح أموالهم وأصاب منهم سبايا، فأغار زيد الخيل على بني تيم الله بن ثعلبة».

(٢) المكسَّر: ضبطه التبريزي بكسر السين.

وقوله: «أَلَا هَلَكَ المكسَّرُ» كرَّره لتفظيع الأمر. ومعنى: «استراحت حَوَافي الخيل» وصفه بأنَّه يُبْعِد الغَزْو فلا يبقى على الخَيْل وإن حَفِيت، فلمَّا مَضَى نالت الرَّاحةَ وتودَّعَتْ. وقال: «حَوَافِي الخيل» على أن يصفَها بما كان آل آمرها إليه بعد الغَزْو. وكذلك قوله: «الحَيُّ الحريدُ»، هو المنفرِد والمتباعد عن غيره؛ كأنَّه لا يَسْلَمُ عليه وإن حَذِر وتباعَد. ويقال: كوكبٌ حَرِيدٌ، إذا طَلَعَ في أفُق السَّماء متنحِّيًا عن الكواكب، ورجلٌ حَرِيدُ المحلّ، إذا لم يُخَالِط النَّاس ولم ينزلْ معَهم. وقال: [الرجز]

أَمَّـا بـكـلِّ كـوكـب حَـرِيـدِ[١]

وقال آخر: [المتقارب]

حَـرِيـدَ الـمـحَـلِّ غَـوِيًّـا غَـيُـورَا[٢]

٣٧٧ ـ وقال ابنُ أُهبانَ الفقعَسي يرثي أخاه: [الطويل]

١ ـ عَلَى مِثْلِ هَمّامٍ تَشُقُّ جُيُوبَهَا ... وتُعْلِنُ بالنَّوْحِ النِّسَاءُ الفواقِدُ

٢ ـ فَتَى الحَيِّ أنْ تَلْقاه في الحيِّ أو يُرَى ... سِوَى الحَيِّ أو ضَمَّ الرِّجَالَ المَشَاهِدُ

يقول: عَظُم الرُّزءُ بموت همَّام فلا مَخْبَأَ للجزَع ولا مصطَبَر، ولا إسْرَارَ للالتياع ولا مُدَّخَر. وأنَّى يكون للسَّامع به مَعْدِلٌ إلى التجمُّل والتجلُّدِ، وقد فُقِدَ به مَن يُستباح في نُدبته كلُّ محظور، ويُستَجاز في الرِّثاء له كلُّ مَذكور، فلا مَنْعَ مِن شقّ الجُيوب، وصَدْع الأكباد والقُلوب، وإعلان النِّياحة، وامتداد المآتم في الإعوال إلى كل غاية. وقوله: «على مِثْل هَمَّام» يذكر المِثْلَ والمقصودُ نفسه لا غَيْرُ صيانة له ونزاهة. على ذلك قولُ القائل: مثلُك لا يَحْسُن به كذا معناه: أنت لا يَحْسُن بهِ ذلك؛ ولكن الغَرض ما ذكرتُه، وقوله: «بالنَّوْحِ» يراد به مصدر ناحَ، وقد يُراد بهِ في غير هذا المكان النِّساء النائحات.

وقوله: «فَتَى الحيِّ أن تلقاه» جعلَ له الفتوَّة والرِّياسةَ مسلَّمةً له في كلّ حال، وعلى كلّ وجه؛ ألا ترى أنَّه قال: هو الفتى بينَ رجالِ الحيّ وعند لقائك إيَّاه فيهم،

---

(١) لذي الرمة في ديوانه ٣٣٦، واللسان (حرد، عسف)، والمخصص ٩: ٣٤.

(٢) للأعشى في ديوانه ١٤٣، واللسان (حرد، حجش)، وصدره:

«إذا نـزل الـحيّ حـلّ الـجـحـيـش»

فمعنى أنْ تلقاه، هو الفتَى لأنْ تلقاه في الحيّ، ووقتَ تلقاه في الحيّ. وقوله: «أو يُرَى سِوَى الحيّ» أي في مكانٍ آخَرَ وفي قومٍ آخرين بدلًا من الحيّ؛ لأنك إذا قلت: عندي رجل سِوَى زَيْدٍ، معناه: عندي رجلٌ مَكانَ زيد، وبدلًا من زيد.

وقوله: «أو ضَمَّ الرّجالَ المَشاهِدُ»، معناه: وهو الفَتى إذا حصَلَتْ وفودُ القبائلِ وألسنتُهم ورؤساؤهم في مَجامع الملوك الأعاظم، ومَشاهد السادة الأكابر. وقوله: «أو ضمَّ» محمولٌ على المعنى، يريد: وهو الفَتَى لأن ضَمَّ الرّجال. والقِسمةُ بما رتَّبه قد استوفت الأحوالَ كلَّها.

٣ ـ إذا نازَعَ القومُ الأحاديثَ لم يكُنْ عَيِيًا ولا عِبئًا على مَنْ يُقاعِدُ

٤ ـ طويلُ نِجادِ السيفِ يُضبِحُ بَطْنُهُ خَمِيصًا وجادِيهِ على الزَّادِ حامِدُ

وصفَه بالبَراعة وتمامِ الآلة، وأنه سَهْلُ الخُلُق، سهل الجانب، يباسِطُ منازِعَهُ في الأحاديث ويطاوِلُه، لا عِيّ يقصّرُ حديثَه، ولا كِبْرَ يُنَفّرُ قَعِيده، فهو طيّب المجلِس، خفيفُ الملتزَم، وإذا تأمّلت خِلقتَه كان حسَنَ القَوام، تامَّ الجِسم، طويلَ حمائل السّيف؛ هذا في الحيّ ما أقام، وفي السَّفر تراه يُؤثر غيرَه بالزاد، فبَطنُه خميص، ومُجْتَدِيهِ والمعوّلُ عليه حامدٌ له شكور. وأبلَغُ مِن قوله: «طويل نِجَاد السّيف» قول مُسْلِم: [الطويل]

يَطُولُ مع الرُمْحِ الرُدَيْنِيّ قامةً ويَقْصُرُ عنه طولُ كلّ نِجَادِ

٣٧٨ ـ وقال ابنُ عمّارٍ الأسَدِيُّ يرثي ابنَه[(١)]: [الوافر]

١ ـ ظَلِلْتُ بجِسْرِ سابُورٍ مُقِيمًا يُؤَرّقُني أنينُك يا مَعِينُ[(٢)]

٢ ـ وناموا عَنْكَ واستيقَظْتَ حَتّى دَعَاكَ الموتُ وانقطَعَ الأنِينُ

أصل الظُّلول للمُكْث في النهار، ولكنه يُتَوسّع فيه فيُجعل للأوقات كلِّها؛ على ذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: الآية ٥٨]، وذلك لا يختصُّ بالنهار دونَ الليل. وهذا الكلامُ اقتصاصُ حالِهِ معه في تمريضه، وتولّيه منه ما تفرّد به، وفيه التشكّي مما قاساه وتجرُّعَ الغُصَص عنه، فيقول: بَقِيتُ

---

(١) التبريزي: «يرثي ابنه معينًا».
(٢) التبريزي: «بِخُسْرِ سابور» «وهو من بلاد العجم نسب إلى خُسروسابور، وهما ملكان من الفرس، ويُصحَّف هذا فيقال: جسر سابور».

مقيمًا بذلك المكانِ يُسْهِرني تألُّمك وأنينُك، ونامَ كلُّ مَن صحبتُه، فاستيقظتُ أنا متجرِّدًا فيك، ومتحمِّلًا ما أمكن تحمُّلُهُ عنك، إلى أن أجَبْتَ داعيَك، وأطلقْتَ من أَسْر الانتظار ناعيَك، فانقطَعَ الأنين، وجَدَّ منّي لفقدك العَويل.

٣٧٩ ـ وقال أبو وهبٍ العبسي(١) يرثي ابنَه: [الطويل]

١ ـ أرابِعَ مَهلًا بَعْضَ هذا وَأَجْمِلي ... فَفِي اليأس ناهٍ والعَزاءُ جَمِيلُ

٢ ـ فإنَّ الذي تَبكِينَ قد حالَ دُونَه ... تُرابٌ وزَوْراءُ المَقَامِ دَحُولُ

سلك فيما قالَه مسلَكَ أوسِ بن حَجَرٍ، حين قال: [المنسرح]

أيَّتُها النَّفسُ أجْمِلِي جَزَعًا ... إنَّ الذي تحذَرِينَ قد وَقَعَا

والمرأةُ المخاطَبة فيما نظنّ أمُّ المَرْثِيّ. وقوله: «مهلًا بعضَ هذا» انتصبَ بعضَ بإضمار فعل؛ كأنّه قال: رِفقًا كُفِّي بعضَ ما تأتينَه، وأحْسِنِي العَزاء، ففي اليأس ممَّن قد مضَى ناهٍ لكِ عن الإسراف في الجَزَع، والإفراطِ في الالتياع والهَلَع، والصَّبرُ جميلٌ كيفَ كان، فإنَّ مَنْ تَبكينَه حجَزَ بينه وبيننا تُرابٌ مَهِيلٌ، ولَحْدٌ قَعِيرٌ، وحفرةٌ معوجَّة، وهُوَّةٌ مَهُولة، فلا طَمَعَ في الالتقاء، ولا في الرُّجوع والانكفاء.

وقوله: «وزَوْراء المَقَام» أي معوجَّة الموضع الذي يُقام فيه منها. وقوله: دَحُولُ، يقال: بئرٌ دَحُولٌ، أي ذاتُ تَلَجُّفٍ.

٣ ـ نَحَاهُ لِلَحْدٍ زِبرِقَانٌ وحارِثٌ ... وفي الأرض للأقوامِ قَبْلكِ غُولُ

٤ ـ فأيُّ فَتًى وارَوْهُ ثُمَّتَ أقبَلَتْ ... أكُفُّهُمْ تَحْثِي مَعًا وتَهِيلُ

اللَّحد: ما حُفِرَ في عُرْض القَبْر. ويقال: لَحَدتُ القبرَ وألْحَدْتُه، وقبرٌ ملحود ومُلْحَدٌ ولاحِدٌ، أي ذو لَحْدٍ. يقول: وَلَّاهُ لِلَحْدِ قبرِه هذان الرَّجُلان، والعادةُ مستمرّةٌ في فَناء الأمَم السالفة قبلَنا؛ لأنَّ الأرض لا تخلو مما يَغتالُ الأحياءَ ويُهلكُهم. والغُولُ: الهَلَكة، ويقال: غالَهُ الموت. وقال الشاعر: [الطويل]

وما مِيتَةٌ إن مِتُّها غير عاجِزٍ ... بعَارٍ إذا ما غالتِ النَّفْس غُولُها(٢)

---

(١) التبريزي: «وقال طريف بن أبي وهب العبسي».

(٢) للأعشى في ديوانه ٢٢٧، وبلا نسبة في كتاب العين ٤: ٤٤٧، وتهذيب اللغة ٨: ١٩٣.

والكلام فيه تأسٍّ وتَعَزٍّ، بعد أن اقتصّ دفنَه ومَن تولّى ذلك منه.

ثمّ قالَ على وجهِ التعجُّب: أيُّ فَتًى غَيَّبُوهُ ودفنوه؟! يعظِّم أمرَهُ ويُفخِّم شأنه. وقوله: «ثمّتَ أقبلت» التّاء من ثُمّتَ علامة التّأنيث، وهو تأنيث الخَصْلَة. وكما تتَّصل هذه العلامةُ بالاسم نحو امرئٍ وامرأةٍ، وبالصفة نحو قائم وقائمة، تتَّصل بالفعل، والاسمُ والفعل هما موضعُها، إلّا أنّها في الاسم يُبْدَل منها الهاء في الوقف، وينتقل الإعرابُ عن آخر الاسم إليها. وفي الفعل يُسَكّن، إلّا أن يُلَاقِيَهُ ساكنٌ آخر، ويكون تاءً في الوصل والوَقْف جميعًا. وفي الحرف يقلُّ دخولُه، وإذا دَخَلَ حُرِّكَ بالفتح، نحو رُبّتَ وثُمّتَ، وتبقى تاءً في كلّ حالٍ.

وقوله: «تَحْثي مَعًا» انتصب معًا على الحال. والحَثْيُ: أن تَرفع يدَك بالتُّرابِ أو غيرِه فتفرّقَه في الجوّ. قال: [السريع]

الـحُـصْـنُ أَدْنَـى لـو تَـأَيَّـيْـتِـهِ   مِنْ حَثْيِكِ التُّرْبَ على الرّاكِب[1]

والحاثِياء: تُراب يجمعُه اليربوع، مِن هذا. والهَيْلُ: أن تَجْرُفَهُ من غير أن تَرْفَعَ اليَدَ به. ويقال: هِلْتُ التُّرابَ وأهَلْتُه. وفي المثَل: «مُحْسِنَةٌ فَهِيلَى»، ويقال: «جَاءَ بالهَيْلِ والهَيْلُمَانِ»، أي بالشَّيْءِ الكثير، ويجوز أن يكون من هذا؛ لأنَّ المعنى جاءَ بما اجتمعَ هَيْلًا لا كَيْلًا.

وفي الطريقةِ التي سَلَكها مِن اقتصاص الحال في الدَّفْن والحَثْي، قد أحسَنَ مَنْ قال: [الطويل]

أَلـم تَرَنِي أبني على اللَّيْث بيتَه   وأَحْثِي عليه التُّرْبَ لا أتَخَشَّعُ
كـأنّي أُدَلّي فـي الـحَـفِـيرَةِ بَـاسِـلًا   عَـقِـيـراً يَـنُـوءُ لِلْقـيـامِ ويُـصْـرَعُ
تَـخَالُ بَقَـايَا الـرُّوحِ فيهِ، لِقُرْبِهِ   بعَهْدِ الـحياةِ، وهو مَيْتٌ مُقَنَّعُ

ألا تَراه كيف صَوَّر التَّهَيُّبَ منه والإعظامَ له في تلك الحالة.

---

(١) لامرأة قالته لابنتها في ديوان الأدب ١: ١٦٠ واللسان (أيا)، وبلا نسبة في المستقصى ١: ٣١٢، ومجمع الأمثال ١: ٢١١.

٥ ـ وظَلَّتْ بِيَ الأرضُ الفضاءُ كأنَّما تَصَعَّدُ بي أركانُها وتَجُولُ
٦ ـ وشَدَّ إليَّ الطَّرْفَ مَن كان طَرْفُه بعَهْدِ عُبيد الله وَهْوَ كَليلُ

يقول: دِيرَ بي لَمَّا شاهدتُ من أمره ما أنكرت، واسودَّت الأرضُ في عيني فصارت عَلَى سِعَتِها كأنَّما جُمِعَتْ جوانبها، فأُصَعِّدُ فيها وهي تَجُولُ فلا تَهْدَأ، وتدور فلا تَقِرُّ.

وقوله: «وشَدَّ إليَّ الطَّرفَ» أي: نظرَ إليَّ بشِدَّةٍ وتحديق. وفي الحديث: قيل لأبي مَحذورة وشَدّ أذَانَهُ: **«أمَا خَشِيتَ أن تنشقَّ مُرَيْطَاؤُك»**. ويقال: شَدَدْنَا على يدِ فلان وشددنا يَدَهُ، أي قوّيناه. والطَّرْفُ: تحريك الجَفْن في النَّظر. يقول: شَخَص بصرُه فما يَطْرِفُ. وقوله: «من كان طَرْفُه» كانَ هذه هي التَّامَّة. والمعنى: مَنْ وقع طَرْفُه وحدَثَ طرفُه في زمن عُبيد الله وبِعهده وهو كليلٌ، يريد: مَن كان لا يملأُ عينَه منِّي في حياته تَهَيُّبًا صارَ ينظرُ إليَّ شَزَرًا ونظرًا شديدًا، وإنَّما قوَّاه تَجاسُرُه وما حَدَثَ له وفي تقديره، من مُنَّةٍ استَجَدَّها، وقُوَّةٍ عاوَدَتْهُ واستَظْهَرَ بها. وقولُه: «وهو كليلٌ»، الواو واو الحال.

٧ ـ لَئِنْ كانَ عبدُ اللهِ خَلَّى مَكانَهُ على حِينِ شَيْبي بالشَّبابِ بَدِيلُ[١]
٨ ـ لقد بَقِيَتْ مِنّي قناةٌ صَلِيبَةٌ وإنْ مَسَّ جِلْدِي نَهْكَةٌ وذُبُولُ
٩ ـ وما حَالَةٌ إلا سَتُصْرَفُ حَالُها إلى حَالَةٍ أخرى وسوفَ تَزُولُ

اللام من «لَئِن» موطِّئة للقسَم المضمَر، وجوابُه: «لقد بَقِيَت». وخلّى مكانَه، أي: تَرَكَ مكانَه من العُيون والقُلوب خاليًا. ويجوز أن يريدَ ترَكَ مكانَه من دنياه لمَنْ شاء. على حينِ شَيْبِي، أي: في وقتٍ استَبدلتُ بالشَّباب شَيْبًا، وبالقوَّة ضَعْفًا، لقد بَقِيَ منِّي إباءٌ شديد، ولَجَاجٌ على مَنْ يقصِد اهتضامي بليغ؛ فقَناتي صُلْبَةٌ على غامِزها، ممتنِعَةٌ على مُثَقِّفِها، وإن كانت المصيبةُ نالت منّي فنَحَل جِسْمي، وذَبُلَ جِلْدي، وحالَ لَوْني، وتَحَوَّلَ عمَّا كان عليه أمري وشأني. وقد تقدَّم القولُ في القَناة

---

(١) «على حينِ شيبي»: قال التبريزي: «قال أبو هلال: لا يجوز إلا الخفض في (حين)، لأن الذي أضفت إليه (حين) معرب فإن أضفته إلى الفعل جاز الفتح والكسر، أما الكسر فلأنه مجرور وهو اسم منصرف، وأمّا الفتح فلإضافتك إياه إلى شيء غير معرب فبنيته على الفتح، لأن المضاف والمضاف إليه شيء واحد فبنيته لذلك».

وطريقتِهم في استعارتها وجَعْلِها مثلًا. وقوله: «وما حالَةٌ إلا سَتُصْرَفُ حَالُها» يُرِيدُ: وما خُطَّةٌ إلا سَتَحُولُ صورتُها إلى صورةٍ أخرى ما بقيت وأُمْهِلَتْ، ثمَّ مِنْ بعدُ سوف تَزُولُ فلا تَبْقَى، وتَحُولُ عن المعهود فتَفْنَى. والمعنى: إنَّ شيئًا من أسباب الدُّنيا وأعراضها لا يدوم على حَدٍّ، ولا يستمرُّ على طريقٍ ووجه، لكن يتسلَّط عليه التغيُّر والتبدُّل، فيزداد عمَّا يكون عليه، أو يتراجع هذا إذا سَلِم، ومِن بَعْدُ سوف يكون مُغَيِّره مُهْلِكَهُ، ومدَبِّرُهُ مُدَمِّرَهُ.

٣٨٠ ـ وأنشد أيضًا[١]: [الطويل]

١ ـ وقاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِهِ ... فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرَهُ عَادَ فِي شَطْرِي[٢]

٢ ـ أَلَا لَيتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي ولَيتَنِي ... سَبَقْتُكَ إذْ كُنَّا إلى غايَةٍ نَجْرِي

كانت رواية الناس بُرهةً: «وقاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بشَطْرِهِ» مضافًا، «فلما تقضَّى شَطْرُه» بالضاد، وارتفاع الشَّطر به، فجاء شيخٌ لنا فرواه:

«بِشِطْرَةٍ * فلمَّا تقصَّى شَطْرَهُ»

وكان يقول: هذه ضالَّةٌ أنا وجدتُها، وهو مِمّا حكاه أبو زيد من قولهم: بنو فلانٍ شِطْرَةٌ، إذا كان ذكورُهم بعدد إناثِهم، يريد: ناصَفَنِي. ومعنى: «تَقَصَّى شَطْرَهُ» بلغ أقصاه واستَوفاه. والذي أختاره أن يُرْوَى «بِشَطْرِهِ» على الإضافة. ومن الظاهر أن تَقصَّى أحسَنُ من تَقَضَّى في اللَّفظ، وأبلَغُ في المعنى. ومعنى: بشَطْرِهِ كأنَّ الدَّهرَ ادَّعَى أنَّه قَسِيمُهُ في بَنِيه وأنَّ له منهم الشَّطْر، وهو النِّصف، فقاسمه على ذلك، فلمَّا استوفى حَظَّه أقْبَلَ يأخذ من نصيبه الذي كان أقرّ له به، وساهَمَهُ عليه. وإنّما اخترتُ بشَطْرِهِ على «شِطْرَةٍ»؛ لأنَّ شِطْرَةً لم يُستعمَل في الأنصباء والسُّهم، والشَّطْر في النِّصف معروفٌ ومستعمَل، ومنه شاة شَطُورٌ، إذا يَبِسَ أحدُ ضَرْعَيها. وكذلك قولهم: حَلَبَ الدَّهرَ أشطُرَهُ، إذا جَرَّبَ الأمور، وأصله من الحَلَب، أي حَلَبَ شَطْرًا من الخَيْرِ وشَطْرًا من الشَّرّ، حتّى تبصَّرَ وعَرَفَ مواضعَ النَّجاة من مواضعِ العطب والهَلَكَةِ.

---

(١) التبريزي: «وقال العتبي». والعتبيّ: هو محمد بن عبيد الله من آل عتبة بن أبي سفيان، أديب أخباري من أهل البصرة (ت٢٢٨هـ/ ٨٤٢م). ترجمته في الفهرس لابن النديم ١:١٢١، ووفيات الأعيان ١:٥٢٢.

(٢) التبريزي: «بنيّ مشاطرًا».

وقوله: «ألَا ليت أُمّي لم تَلِدْنِي» تمنّى السلامةَ بأن كان لا يُخْلَقُ ولا يُخْتَرع فينجو من الابتلاء، وملابَسة أنواع البلاء، والتردُّدِ بينَ السعادة والشقاء؛ وتمنَّى بعد أن أُوجِد وخُلِق ألَّا يكون فاقِدَهُ والمُعَزَّى فيه، بل كان السابقَ له والمقدَّمَ عليه، سيَّما وهما جاريانِ إلى غايةٍ من العطبِ لا مَحِيصَ عنها، ولا مَفرّ منها.

٣ ـ وكنتُ به أُكْنَى فأصبحتُ كلّما كُنِيتُ به فاضَتْ دُموعي على نَحْرِي

٤ ـ وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفرٍ على العِدَى فأصبحتُ لا يخشَوْنَ نابي ولا ظُفرِي

جَرَى على افتنانهم في تحويل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب، وصَرفِه عن العموم إلى تخصيص بعضهم بالذُّكر، ألَا ترى أنه أخبَرَ في قوله: «وقاسمني دَهْرِي بَنِيّ» ثم قال: «ليتني سبقتُك» فرجع إلى خطابِ واحدٍ منهم، ثم قال: «وكنتُ به أُكْنَى» فأخْبَرَ به عن أحدِ بنيه. والمعنى: كنت اكتنيتُ به حُبًّا لذِكْرِهِ واسْمِهِ، وتفاؤلًا ببقائه ودوامِه، فبقي الاسمُ والشخص مفقودٌ، فلا جَرَمَ أنّي متى كُنيتُ به تَجَدَّدَ لي حُزنٌ أفاضَ عَبْرَتي، وأغاض ماء عِيشتي.

وقوله: «وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفر على العِدَى»، يُريد: إنّي كنتُ تامَّ السِّلاح بهم، موفور العَدَد والعُدَدِ بمكانهم، مخشيّ الجانب، لا يُطْمَعُ في استنزالي عن حُجَّةٍ أركبُها، أو شُبْهَةٍ أتعلَّقُ بها. وذِكْر النابِ والظُّفر مَثَلٌ ضرَبَه لسلاحه وآلاته التي كان يدفع الخصومَ بها، ويَقهر الأعداء باستعمالها.

وقوله: «لا يخشَوْن نابي ولا ظُفري»، يريد: لا ناب لي بعدهم ولا ظُفر فيُخْشَى، فهو مِثْل: [الرجز]

ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ[1]

٣٨١ ـ وأنشد لامرأة ترثي أباها: [الطويل]

١ ـ إذا ما دَعَا الداعي عليًا وجدتُنِي أُرَاعُ كما رَاعَ العَجُولَ مُهِيبُ

٢ ـ وكم من سَمِيٍّ ليسَ مثلَ سميِّهِ وإنْ كانَ يُدْعَى باسمه فيُجيبُ

يقول: متى قَرَعَ أُذني دعاءُ داعٍ باسمِ والدي أُذعر وأقلق، كما يَذعَر الثَّكْلَى مُهيبٌ، وهو الداعي. والثَّكلَى تَفزعُ لأدنَى صيحةٍ تَزهَقُها، أو قَرعةٍ تَصدِمُ قلبَها.

(١) لابن أحمر في الخزانة ٤: ٢٧٣، وصدره:

«لا تَفزع الأرنب أهوالُها»

ويجوز أن يريدَ بالعَجُول ناقةً فَقدَتْ ولدَها بنحرٍ أو موتٍ، فهي في حنينِها تَنْفِر مِن أخفَض إهابة، وأدنى بَغْثٍ وإزعاجةٍ. ويقال لأمثالها من النُّوق: المعاجيلُ أيضًا. ووجدُهنَّ يَزيد على كلِّ وَجْدٍ. لذلك قال: [الطويل]

فـمـا وَجْـدُ أظْـآرٍ ثـلاثٍ رَوائـمٍ رَأَيْنَ مَجَرًّا من حُوارٍ ومَصْرَعَا[1]
يُـذَكِّـرْنَ ذا الـبَـثِّ الـحَـزيـنَ بِـبَـثِّـهِ إذا حَنّت الأُولَى سَجَعْنَ لها مَعا
بـــأوجَـــدَ مِـــنِّـــي.... ....

وقوله: «وكم من سميٍّ» يقول: ليس التوافُق في الأسماء مما يوجب التَّعادلَ والتَّشابُه في المسمَّيَات؛ لأنَّ الأعلامَ لا تُفيدُ في المسمَّيْن شيئًا، لكنَّ التَّشابه إنما يكون بالأوصاف الحاصلة، والمعاني المتماثِلة. وإذا كان كذلك، فالتشاركُ في الأسماء وإن حصلَتْ به الإجابةُ عند الدُّعاء لا يوجِب تقارُب المسمَّيْنَ ولا تباعُدَهم.

٣٨٢ ـ وقال رجلٌ من كَلْبٍ: [الطويل]

١ ـ لَحَى اللهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ وَوَجْدًا بصَيفِيٍّ أتَى بَعْدَ مَعْبَدِ
٢ ـ بَقِيَّةُ إخواني أتَى الدَّهْرُ دُونَهُمْ فما جَزَعِي أمْ كَيفَ عَنهُمُ تَجلُّدِي
٣ ـ فلو أنَّها إحدَى يَدَيَّ رُزِيتُها ولكنْ يَدِي بَانَتْ على إثْرِهَا يَدِي[2]
٤ ـ فآلَيتُ أسَى بَعْدَهُمْ إثْرَ هَالِكٍ قَدِي الآنَ من وَجْدٍ على هالكٍ قَدِي

لَحَى اللهُ: دعاءٌ على الدَّهْر الذي وصفه، وقد تقدَّمَ القولُ في حقيقته. ومعنى: «شَرُّه قَبْلَ خَيْرِهِ» أي: ما كان يُخْتَشَى من شرِّه في الأحِبّة سبَقَ ما كان يُرْتَجى مِن خيره بهم. ثمَّ دعا على وَجْدٍ تَعجَّلَ له بصيفيٍّ بعد وجدٍ تقدَّمَ في مَعبد؛ كأنه كان لا يأمَن مِن أحداث الدهر فيما حُبِيَ وأُنْعِمَ عليه في إخوةٍ كرامٍ تناسَقُوا في الوِلاد والوِداد، وتَقابلوا في جَوَازِ تعليق الرَّجاء بهِمْ عند الحفاظ، فيَخاف. وعلى ذلك كان يَغلبُ في

(١) الأبيات لمتمم بن نويرة في ديوانه ١١٦، وشرح اختيارات المفضل ١١٨٧، واللسان (ظأر). وتمام البيت الثالث:
«بـأوجـد مـنـي يـوم قـام بـمـالـك مـنـاد بـصـيـر بـالـفـراق فـأسـمـعـا»
(٢) مرّ هذا البيت والذي بعده في الحماسية (٣٠١).

نفسه وعلى قلبه سلامتُهم وبقاؤهم، حُسْنَ ظَنٍّ بالواهب، وشِدَّةَ طمعٍ في الموهوب، فيسكن ولا يهاب. فلمَّا جرى الأمرُ على خلافِ ما ظَنَّ زَعمَ أنَّ شرَّ الدَّهرِ سبقَ خيرَه، فدعا عليه. وقوله: «ووَجدًا بصيفيٍّ»، يقول: ولَحى أيضًا جَزَعًا تجدَّدَ بصيفيٍّ بعد مَعْبَدٍ. وهذا تبرُّمٌ منه بما قاسَى من الدَّهر، وكابَدَ من جَزَعٍ بعد جَزَعٍ. وفيه إشارة إلى معنى قولِ الآخَر: [الطويل]

نُوَكَّلُ بالأدْنَى وإن جَلَّ ما يَمْضِي(١)

وقوله: «بقيَّةُ إخواني» يجوز أن يكون المرادُ به خيارَ إخواني، كما يقال: فلانٌ من بقيَّةِ الناس. ويجوز أن يريدَ به أنَّه كان في إخوانه وُفورٌ ففَقَد منهم عِدَّةً، وجعلَ يأنس ببقيَّتهم، فأتَى الدَّهْرُ عليهم أيضًا. وقوله: «فما جَزَعي أم كيفَ عنهمْ تجلُّدي» كأنَّه كان لا يَعتدُّ بالجزعِ الواقع لهم ومِن أجلِهم، لقُصوره عن الواجب، ووقوعِه دونَ اللازم، ولا يَطمع مِن نفسه في مُسْكَةٍ يَتَعَلَّقُها، أو سَلوةٍ يتكلَّفُها، إذْ كان الْخَطْبُ أعظَمَ، والرُّزْءُ أمْلَكَ.

وقوله: «فلو أنَّها إحدى يديَّ رُزِيتُها» جواب لو محذوف، يريد: لو أُصِبْتُ ببعضهم لسَهُل ما تَعذَّر أو خَفَّ ما ثَقُلَ، ولكنهم تجاوبوا للدَّعوة، وتَتابعوا في النُّقلة، ففَدحَتِ المُصيبة، وجَلَّت الرَّزيئة.

وقوله: «فآلَيْتُ آسى بعدَهم» يريدُ: حلفت لا أَسَى بعدهم في إثْرِ هالك، فحذف لا ولم يَخَفِ التباسَه بالواجب، إذْ كان للواجب صِيغَةٌ مفرَدة باللَّام وإحدى النُّونين الثَّقيلة أو الخفيفة، وقد مرّ مثله. والمعنى: أنَّ خوفي كان فيهم، وإذْ قد أُصِبْتُ بهم فإنِّي لا أَجْزَعُ لفائتٍ، فحسبي على الهُلَّاك ما بي حَسْبي. وقال: «قَدِي»، ولو قال: قَدْني، فأتَى بنون العماد ليَسْلم سكونُ قَدْ، لجاز. قال الشَّاعر: [الرجز]

قَدْنِيَ من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي(٢)

فأتَى بهما جميعًا.

وقوله: «إثْرَ هالك» انتصَبَ على الظَّرْف.

---

(١) لأبي خراش في الحماسية رقم (٢٦٢)، وصدره:
«على أنها تعفو الكلوم وإنما»

(٢) لحميد الأرقط في الخزانة ١: ٤٥٣.

٣٨٣ ـ وأنْشَدَني لأعرابيّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ لَحَى اللهُ دَهـرًا شَـرُّه قَـبْـلَ خَـيْـرِهِ   تَقَاضَى فلم يُحْسِنْ إلينا التَّقاضيا

٢ ـ فَتًى كان لا يَطْوِي على البُخْل نَفْسَهُ   إذا ائْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ في السِّرِّ خاليا

قد مرَّ القولُ في بيان الدُّعاء على الدَّهر وشرحِه، وفي معنى: «شرُّه قبل خَيْرِهِ[(٢)]»، فأمَّا قوله: «تَقَاضَى فلم يُحْسِنْ إلينا التَّقاضيا»، فالمعنى: طالَبَنا بردِّ ما مَنَحَنا فلم يُحْسِنْ في التقاضي، لإسرافه في الفِعْل، واستعجالِه في الرَّدّ، واعتسافِه في الأخذ، ولأنَّ العَوارِيَّ قد تُرْتَجَعُ، والمَنائحَ قد تُسْتَرَدّ، على وَجْه لا يُخَلُّ فيه بالإجمال، ولا يُفْسَدُ بِهِ ما تقدَّم من الإفضال.

وقوله: «فَتًى كان لا يَطْوَى على البُخْل نفسَه»، يريد: أنَّه إذا اجتداه المُجْتَدي لا يَرى لنفسه أن تطوَى على البُخل والإمساك، والضَّنِّ بما في يده عليه، إذا ائتمرت نفساه، أي تشاوَرَتْ فيما بينه وبينهما، فأقبلَتْ واحدةٌ تأمُرُ بالبَذْل، والأخرى تُشير بالإمساك. ففي ذلك الوقتِ يصمِّم على ترك الائتمار للآمِرِ بالبُخل ويَخْرُج من طاعته إلى العطاء والبذل. والائتمار: التَّشاوُر ها هنا. فأمَّا قوله: [المتقارب]

وَيَـعْـدُو عـلى الـمَـرْء مـا يـأتَـمِـرْ[(٣)]

فالمراد به ما يجعله من أمره وهمّه، فيقول: إذا ائتمر المرء لغيره ما ليس برشاد فإنه يعدو عليه فيهلكه. وهذا كما قيل: من حَفَر مَهْوَاةً وقع فيها.

٣٨٤ ـ وقال الأُبَيْرِد اليَرْبُوعِيُّ[(٤)]: [الطويل]

١ ـ ولـمّـا نَـعَى الـنـاعِـي يَـزِيـدَ تَـغَـوَّلَتْ   بِيَ الأرضُ فَرْطَ الحزنِ وانقطع الظَّهرُ[(٥)]

---

(١) التبريزي: «وقال أعرابي».   (٢) انظر الحماسية السابقة (٣٨٢).

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس في ديوانه ١٥٤، وخزانة الأدب ١: ٣٧٤، واللسان (أمر، خمر، نفس)، وللنمر بن تولب في ملحق ديوانه ٤٠٤، واللسان (أمر)، وصدره:

«أحـارِ بـن عـمـرٍو كـأنـي خَـمِـره»

(٤) الأبيرد بن المعذّر بن عبد قيس الرياحي اليربوعي: شاعر فصيح بدويّ، لم يكن مدّاحًا، وكان هجّاءً، جيد الرثاء. (ت ٦٨ هـ/ ٦٨٨ م) ترجمته في الأغاني ١٢: ٩ (الساسي)، وسمط اللآلي ٤٩٤.

(٥) التبريزي: «لمّا نعى الناعي بُرَيدًا».

يقول: لمَّا خبَّر المخبِّر بموت يزيدَ تلوَّنت الأرضُ في عيني فابيضَّت تارةً واسودَّتْ أخرى، لشِدَّة حُزني، وانقطَعَ ظهري، وتساقطت قُوايَ، وقوله: «تغوَّلت» اشتقاقُه من الغُول. وهم يعتقدون في هذا القبيل من الجنّ أنَّهم يَتصوَّرون بما شاؤوا من الصُّوَر. ويقال: غوَّلَتْهُم الغُولُ وتغوَّلَتْهم، إذا توَّهَتْهم. وانتَصب «فرطَ الحزن» على أنّه مفعول له. والكلام تَسَلٍّ مِن غِيَرِ الدَّهر وتأثير المصيبة فيه، حتَّى انكسر قناةُ ظهرِه، واختلَّ ما كان قويمًا من أمرِه.

٢ ـ عَسَاكِرُ تَغشَى النَّفسَ حتَّى كأنَّني أخُو سَكرةٍ دارَتْ بهامَتِهِ الخَمْرُ

العساكر: جمع عَسْكَرَةٍ، وهي الشِّدَّة. قال: [الرمل]

ظَلَّ في عَسْكَرَةٍ من حُبِّها[١]

فيقولُ: غَشِيَتْ نفسي أنواعُ البلاء، فزالَ عقلي لها، حتَّى صرتُ كأنّي سكرانُ دبَّت الخمرُ في عَقْلِهِ ودِماغه، حتى دارت هامتُه، وزال تماسُكُه وقوَّتُه. ولك أن تَرْوِي: «دارَتْ بهامَتِي الخمر» لأنه لمَّا كان أخو السَّكْرَة نَفْسَه جاز أنْ يُجْعَل الضَّميرُ الراجع إليه ضميرَ نفسه. وهم يفعلون في الصِّفات والصِّلات هذا. على ذلك قولُه؛ [الرجز]

أنا الذي سَمَّتْنِ أمّي حَيْدَرَهْ[٢]

ولم يقل أمُّه، وإن كان وجهَ الكلام. وإن رويتَ: «دارَت بهامته الخمرُ» فهو الصَّواب المختار.

٣ ـ فَتًى إنْ هو استَغنَى تَخرَّقَ في الغِنَى وإن قَلَّ مالٌ لم يَضَعْ مَتْنَه الفَقْرُ[٣]

٤ ـ فَتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ إذا نَزَلَ الأضيافُ أو تُنْحَرَ الجُزْرُ[٤]

---

(١) هذا عجز بيت لطرفة في ديوانه ٥٢، واللسان (عسكر)، وديوان الأدب: ٣١، وعجزه: «ونأتْ شحطَ مزارِ المدَّكِرْ»

(٢) لعليّ بن أبي طالب في ديوانه ٧٧، واللسان (حدر).

(٣) روى التبريزي بعده:

«وسامى جسيماتِ الأمورِ فنالها على العسرِ حتى أدرك العسرَ اليسرُ»

(٤) روى التبريزي بعده:

«أحقًّا عبادَ الله أن لستَ لاقيًا بُريدًا طوال الدهر ما لألأ العُفْرُ»

«العفر: الظباء التي تعلو بياضها حمرة. ولألأ الظبي: حرّك ذنبه».

البيت الأول يشبهه قولُ الهذَليّ: [المتقارب]

أبـو مـالـكٍ قـاصِـرٌ فَـقْـرَهُ عـلى نَـفْـسِـهِ ومُـشِـيعٌ غِـنـاهُ(١)

وقوله: «تَخَرَّق في الغنى» أي: تكرَّمَ في غِناه وتوسَّع، وهو تَفَعَّلَ من الخِرْق: الكَريم من الرِّجال، الذي يتخرّق بالمعروف.

وقوله: «وإنْ قَلَّ مالٌ» أراد مالَه. ومعنى: «لم يَضَعْ مَتْنَه الفقر»، أي: لم يورِثْهُ إقلالُه تَخضُعًا وتَخشُعًا حتّى تَطاطأَ ظهرُه وانخفضَ شخصُه. وإن رويت: «وإن قلَّ مالًا» بالنَّصب جاز، ويكون فاعِلُ قَلَّ ما استكنَّ فيه من ضمير الفَتَى، وانتصب مالًا على التمييز؛ كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريَم: الآية ٤].

وقوله: «فتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ»، يريدُ إذا نزل الأضيافُ به لا يَعُدُّ اللَّبَن قاضيًا ذِمامَ قِرَاهم، ولا كافيًا فيما يجبُ عليه لهم، حتى ينحَرَ جُزْرَه، ويوسِّع مطاعِمَهُ. وقوله: «أو تُنْحَرَ» أو بَدَلٌ من إلّا، وانتصب الفعل بإضمار أنْ.

٣٨٥ ـ وأنشد لِسَلَمَةَ الجُعْفِيّ يرثي أخاه لأمِّه(٢): [الطويل]

١ ـ أقـولُ لـنـفـسـي فـي الـخَـلاءِ أَلُومُـهـا لَكِ الـوَيْـلُ مـا هـذا الـتَّـجَـلُّدُ والـصـبـرُ

٢ ـ أَلَمْ تَعْلَمِي أن لَسْتُ ما عِشْتُ لاقِيًا أخِي إذْ أتَى مِن دُونِ أوصالِهِ القَبْرُ

يقول: إنّي أتسخَّط ما أقيمُه من الهَلَع فيمن أُصِبْتُ به، حتى أرجعَ إلى نفسي إذا خَلَوْتُ بها باللَّوم والتَّعنيف، وأقولَ حَلَّ بكِ الويلُ، ما الذي يَظْهَرُ منك من تكلُّف الجَلَد والصبر فيما بُليتُ به. أمَا علمتِ أنّي مدَّةَ عيشي لا أُلاقِي أخي وقد حَجَزَ بيني وبينه الثَّرَى؟!

وقوله: «ألومُها» في موضع الحال، «ولكِ الويلُ» في موضع المفعول لأقول، و«ما هذا التجلُّد» استفهامٌ على طريق التقريع والتوبيخ. وارتفَعَ التجلُّد على أنه عطف البيان. وقوله: «ألم تعلمي» تقرير فيما هو واجب؛ لأنَّ حرف الاستفهام قد ضامَّهُ حَرْفُ النَّفي، والاستفهام غيرُ واجب فهو كالنَّفي، ونفي النَّفي إيجاب.

(١) للمتنخل الهذلي في ديوان الهذليين ٢: ٣٠.
(٢) التبريزي: «وقال سلمة الجعفيّ»، وهو سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع... الجعفيّ، كان ممن وفد على رسول الله ، وحدّث عنه. ترجمته في الإصابة (٣٣٩٨).

وقوله: «أن لَسْتُ» أنْ مخفَّفة من الثَّقيلة، واسمه يجوز أن يكون ضمير الرّجل، أراد أنّي لستُ، ويجوز أن يكون ضمير الأمر والشأن. و«ما عشت» في موضع الظَّرف. و«لاقيا» خبر ليس. و«إذ أتى» ظرفٌ له. والأوصال: جمع وَصْلٍ، وهو اسمٌ للأعضاءِ المتَّصِل بعضُها ببعض. ويقال: وِصْلٌ ووَصل، بالفتح والكسر.

٣ ـ وكنتُ أرَى كالمَوْتَ من بينِ ليلةٍ فكيفَ بِبَيْنٍ كان مِيعادَه الحَشْرُ

٤ ـ وهَوَّنَ وَجْدِي أنّني سوفَ أغْتَدِي على إثْرِه يومًا وإن نُفِّسَ العُمْرُ

قوله: «كالموت» جعل الكاف وحدَه اسمًا. وكان أبو العبّاس يتبع أبا الحسنِ الأخفشَ في جواز وُقوعه اسمًا في غير الضَّرورة، وأنشَدَ: [البسيط]

أتَنْتَهُونَ ولن يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كالطَّعْنِ يَهْلِكُ فيه الزَّيْتُ والفُتُلُ(١)

ويجعل الكاف في موضع فاعل يَنْهى. وسيبويه لا يَرى ذلك إلّا في الضرورة؛ كأنّه قال: أرى مثل الموت. ولا يمتنع أن يكون «كالموت» صفَةً لموصوف محذوف، كأنّه قال: وكنتُ أرى شيئًا أو أمرًا مثلَ الموت.

وقوله: «مِنْ بين ليلةٍ» مِن دَخَل للتبيين، والمعنى: كنتُ أعُدُّ مفارقتي له في ليلةٍ كالموت، أو أقاسي مثلَ الموت مِن أجلِ مفارقةِ ليلةٍ منه، فكيف يكون حالي وقد فَرَّق بيني وبينه بَيْنٌ مَوْعِدُ الالتقاء بعدَه يومُ القيامة. ومثل قوله: «من بين ليلةٍ» قوله تعالىٰ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحجّ: الآية ٣٠]. ولك أن تجعل مِن بين، في موضع المفعول لأرى، وتجعل مِن زائدةً على طريقة الأخفَش في جواز دخوله زيادةً في الواجب، فيكون التَّقدير: كنتُ أرى بينَ ليلةٍ، أي فراقَ ليلةٍ كالمَوْت، فيكون كالموت في موضع المفعول الثاني. وقوله: «كان ميعاده» وَضَع الماضي موضعَ المستقبل أي يكون ميعاده، والهاء يرجع إلى البَيْن، كأنه وعَدَهُ الزَّوالَ والالتقاءَ معه مِن بعده في يوم الحَشْر.

وقوله: «وهَوَّن وَجْدِي أنّني» موضع أنني رَفْعٌ، لأنه فاعل هَوَّن، والمعنى: خَفَّفَ وَجْدِي وقَلَقِي أنني ذاهب في إثْرِه، ومُخْلٍ مكاني في الدنيا بَعْدَه يومًا، وإن أُطِيل عُمْرِي، ونُفِّسَ في أَجَلِي.

---

(١) للأعشى في ديوانه ١١٣، والحيوان ٣:٤٦٦، وخزانة الأدب ٩:٤٥٣، والدرر ٤:١٥٩.

٥ ـ فتًى كان يُعْطِي السَّيفَ في الرَّوْعِ حَقَّهُ إذا ثَوَّبَ الداعي وتَشقَى به الجُزْرُ

٦ ـ فتًى كان يُدْنِيهِ الغِنَى مِن صَدِيقِهِ إذا ما هو استَغْنَى ويُبْعِدُه الفَقْرُ

يريد: أنّ المرثيَّ كان إذا حضر الوَغَى تصوَّر للسيف عليه حَقًّا، فجاهَد نفسَه في توفير ذلك الحقِّ عليه إذا أعاد الداعي وكرّر: يال فلانٍ!! مِرارًا. والتَّثويب في الأذان معروف. وقوله: «وتَشقَى به الجُزْر» يريد وقتَ نُزول الأضياف، وأنه كان لا يُرْضيه أقربُ المنازل في نُزُل الضَّيف، بل كان يرتقي إلى أعلاها.

وهذا المعنى قد مضى قريبًا، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثلُه[1]. ومعنى يُدْنِيه الغِنَى من صديقه أنّه كان يَعُدُّ التفرُّد بالغِنَى لُؤمًا، وكان يُشرِك أصدقاءه فيه، كما يَعُدُّ في حال الإضافةَ والفَقر ملابسَةَ الأصدقاء؛ كالتَّعرُّض لخيرهم، فيَبْعُدُ عنهم.

٣٨٦ ـ وقالت عَمْرَةُ الخَثْعمية، ترثي ابْنَيها[2]: [الطويل]

١ ـ لَقَدْ زَعَمُوا أنّي جَزِعْتُ عليهما وهَلْ جَزَعٌ أنْ قلتُ: وا بِأباهما

الزَّعْمُ يُستعمَل كثيرًا فيما لا حقيقةَ له، لذلك قالت فيما حكَتْ عن القوم: زعموا، كأنّها لما استَشرف النّاسُ جَزَعَها وهَلَعَها، فتذاكروا أمْرَها فيما بينهم أظهرَت الإنكارَ والتّكذيب فيما توهّموه، فقالت: وهل جزَعٌ أنْ قلت وا بأباهما، تُرِي أنَّ ما تكلّفَتْه من التَّوَجُّع لهما على قدر قول القائل: وا بأباهما. ولفظةُ «وا» تألُّم وتَشَكٍّ، وهي حَرْفٌ للنُّدْبة. و«بأباهما» أرادت: بأبي هما، ففرَّ من الكسرة وبعدها ياءٌ إلى الفَتحة فانقلبَت ألِفًا، على ذلك قولهم: باداةٌ وناصَاةٌ، في باديةٍ وناصيةٍ. وقولها: «وهل جَزَعٌ» ارتفع جَزَعٌ على أنّه خبرٌ مُقدّم، و«أنْ قلتُ» في موضع المبتدأ، تقديره: هل جَزَعٌ قولي وا بأباهما، وارتفع هما من وا بأباهما على المبتدأ، وبأبا خبره، هذا على طريقة سيبويه، وعلى مذهب الأخفش يرتفع بالظَّرف. ورواه بعضهم: «بأناهما»، أي: أفديهما بنَفْسي وأنا هو ضمير المرفوع، وقد وقع موقعَ المجرور، وكقولهم: هو كَأَنَا، وأنا كَهُوَ.

---

(١) انظر البيت الرابع من الحماسية رقم (٣٨٤).

(٢) التبريزي ١:٦٧٤: «قال أبو رياش: الذي عندي أن هذه الأبيات لدرماء بنت سيّار بن عبعبة الجحدرية ترثي أخوين، وأولهنّ:

أبى الناس إلا أن يقولوا هما هما ولو أننا اسطعنا لكان سواهما

بُنَيّا عَجوز حَرَّم الدهرُ أهلَها فليس لها إلاّ الإلٰهَ سواهما»

٢ ـ هُمَا أَخَوَا في الحَرْبِ مَنْ لا أَخَا لَهُ إذا خَافَ يَوْمًا نَبْوَة فَدَعَاهُمَا

أَلَمَّ في هذا بقوله: [الوافر]

إذا لم أجْنِ كنتُ مِجَنَّ جَانِ(١)

تقول: كانا يَنْصُران مَن لا ناصر له من القوم إذا خَشِيَ من نَبَوات الدّهر يَوْمًا فاستغاثَ بهما. وقولها: «أخوَا في الحرب مَن لا أخا لَهُ» فَصَلَتْ فيه بين المضاف إليه والمضاف بالظرف، فلذلك حذفتِ النون من أخوانِ، فهو كقوله: [البسيط]

كأنَّ أصواتَ مِنْ إيغالِهِنَّ بنا أوَاخِرِ المَيْسِ أصواتُ الفراريجِ(٢)

ففَصَل بقوله: «من إيغالهن بنا». وقولُها: «مَن لا أخَا له» نَوَتِ الإضافة ثم أدخلت اللام تأكيدًا للإضافة التي قصَدَتْها، لذلك أثبتت الألفَ من لا أخا، لأنّ هذه الألف لا تثبُت إلّا في الإضافة؛ إذ كان في الإفراد يُقالُ أخٌ، وخَبَر لا محذوف، كأنّها قالت: لا أخا موجودٌ أو في الدنيا، ولو قالت: لا أخَ له، لكان له خَبرًا للا، على قولهم: لا أبَ لك، ولا أبَا لك. وإنّما قلت: أدخَلَتِ اللامَ لتوكيد الإضافة التي قصدَتْها، لأن الإضافةَ غيرُ معتدٍّ بها هنا، فلا تُعَرِّفُ الأخَ، واللام تُبْطِلُ الإضافةَ في الأصل. وهذه اللام لا تدخل إلّا في بابَيْنِ: أحدهما باب النفي، وهو ما نحن فيه، والثاني باب النّداء في مثل قولهم: [مجزوء الكامل]

يا بُوسَ للحَرْبِ(٣)

لأن المراد: يا بُوسَ الحربِ.

٣ ـ هُمَا يَلْبَسانِ المَجْدَ أحسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحَانِ ما اسطَاعَا عليهِ كِلاهُما

وصفتهما بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسنَ استمتاعٍ وأجملَ اكتساب، وأنهما يَضِنَّانِ به حيثُ ظهر وطلَع فلا يترُكانِه لأحدٍ ما داما يستطيعان كَسْبَه والفوزَ به. وانتصب «أحسنَ لِبْسة» على أنه مصدر. وارتفع «شحيحان» على أنه خبر مقدم،

---

(١) هذا عجز بيت لسوار بن المضرب السعدي في الحماسية (١٨)، وصدره:
«وإنـي لا أزال أخـا حـروب»

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ٩٩٦، والإنصاف ٤٣٣، واللسان (نقص).

(٣) قطعة من بيت في الحماسية رقم (١٦٧)، وتمامه:
«يا بوس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا»

والمبتدأ «كلاهما»، و«ما استطاعا» في موضع الظَّرْف واسم الزَّمان محذوف معه. واسطاعَ منقوص عن استطاع. وتقدير الكلام: كلاهما شحيحان به ما اسطاعا عليه، أي ما قدَرا عليه. ومعنى «يلبسان المجد»، أي: يتملَّيانِه ويُمتَّعانِ به. قال: [الطويل]

لبِسْتُ أبي حتَّى تملَّيْتُ عيشَه وَبَلَّيْتُ أعمامي وبلَّيتُ خاليا[1]

٤ ـ شِهابان مِنَّا أوقِدا ثُمَّ أُخمِدَا وكانَ سَنًا لِلمُدلِجِينَ سَناهُما

ارتفع «شهابان» على أنه مبتدأ، وجاز الابتداء به لكونه موصوفًا بمِنّا، وأُوقِدَا في موضع الخبر. والمعنى: أنهما لم يُمْهَلَا للتَّمام والكمال، بل كانا كنارين أُوقِدَتا ثم أُتبعتا بالإخماد. والكلام توجُّعٌ وتلهُّف. وقولها: «وكانَ سَنًا للمدلجين سَناهما»، تريد نارهما الموقَدَةَ للضِّيفان وللطُّرَّاق بالليل، وأنهم كانوا يستضيئون بها فيرِدُون فناءَه مستمسكِين أرماقَهم به، ومتخلِّصين من سلطان البَرد والجوع وشُقة السَّفرِ إليه. ولا يمتنع أن يرتفع شِهابان على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هما شهابان.

٥ ـ إذا نَزَلَا الأرضَ المَخُوفَ بها الرَّدَى يُخَفِّضُ من جأشَيهِمَا مُنصُلَاهُمَا

تصفهما بالصبر في دار الحِفاظ، وأنَّهما إذا نزلا مكانًا مَخُوفًا لا يُؤمن الرّدَى فيه يُسكِّن من قلقهما سيفاهما، وهذا فيه إعلامٌ بأنَّهما كانا لا يعتمدان في الشِّدَّة تنزل بساحتهما على غيرهما، وأنَّهما كانا يتحمَّلان الأثقالَ بأنفسهما، فلا صاحب لهما يُتَّكل عليه، ولا مُعِين يُسْكَن إليه، إلَّا السيف؛ فهو كقول الآخر: [الطويل]

ولم يَرْضَ إلا قائِمَ السيف صاحبًا[2]

٦ ـ إذا استَغْنَيا حَبَّ الجَمِيعُ إليهما ولم يَنأَ عن نَفعِ الصَّديقِ غِناهُمَا[3]

تقول: وإذا نالا الغِنَى وسَاعَداهما الحالُ حَبَّبَ جماعةَ الحيِّ والمتعلِّقين بحبلهما، فازداد توفُّرًا عليهم، وتفقُّدًا لهم، ولم يَبْعُد غناهما مِن انتفاع الغرباء والأجانب، ومن يتسبَّب بودٍّ وصداقة إليهما. فقولها: «حَبَّ الجميع إليهما» مقصورٌ

---

(١) لابن أحمر في ديوانه ١٦٨، واللسان (بلا)، وتاج العروس (بلا، لبس).
(٢) لسعد بن ناشب في الحماسية رقم (١٠)، وصدره:
«ولم يستشر في أمره غير نفسه»
(٣) التبريزي: «حُبَّ»، ويفسّره: «إذا نالا الغنى حُبِّبَ جماعة الحيّ إليهما».

على النَّسب، وآخر البيت مصروف إلى الصَّديق الغريب. وسَاغَ أن يُرَاد بالجميع الحيُّ كلُّهم لاجتماعهم حولَه. والجميع والجمع: المجتمِعون. والجُمَّاع: المتفرِّقون. قال: [السريع]

مِن بين جَمْعٍ غيرِ جُمَّاعِ[1]

٨ ـ إذا افْتَقَرَ لم يَجْثُمَا خَشيَةَ الرَّدَى ولم يَخْشَ رُزْءًا منهما مَوْلَيَاهُمَا

تريد أنَّهما إذا مسَّهما الفقر، وضاقَ بهما الأمر، لم يَلزما بيوتَهما تاركَيْنِ للغزوِ والتَّجوال في طلب المال، خَوْفًا من الهَلاك، ومَيْلًا إلى الرَّاحة عن التَّسيار لكنَّهما يَسْعيان للاكتساب، ويتحمَّلان من المشاقِّ ما ينالان به مُنَاهُمَا، أو يقيمان به العُذْر عند مَنْ رَاعَى أحوالَهما. وقولها: «ولم يَخْشَ رُزْءًا منهما مولياهما»، تريد: أنَّهما لا يستحملان مَوْلَيَيْهما عِبْئًا من فقرهما، ولم يَضَعَا أنفسَهما في موضع الارتزاء منهما، وجَبْرِ الحالِ بمالهما ويَسارِهما. وهذا كقول الآخر: [المتقارب]

أبو مالكٍ قاصِرٌ فقرَه على نفسه ومشيعٌ غِناه[2]

وقولُها: «لم يَجْثُما» مِن جَثْم الطائر، وهم يُسَبُّون مَن رَضِيَ بفقره وصار لبيته كبعض أحلاسه: الضاجع والضُّجْعِيّ؛ لأنَّ الضَّجْعَةَ خَفْضُ العيش. وإلى هذا المعنى يشير القائلُ في ذمِّه قومًا: [الوافر]

أولئك مَعْشَرٌ كبناتِ نَعْشٍ ضواجِعُ لا تَسِيرُ مع النُّجومِ[3]

يُرْوَى: «رَوَاكد». وانتَصَب خشيةَ الرَّدَى على أنَّه مفعول له. وقولها: «مولياهما» ليس يراد به التَّثنية، بل المراد به الكثرة. وعلى ذلك قولهم: لبَّيْك وسَعْدَيْك.

٨ ـ لَقَدْ سَاءَنِي أنْ عَنَّسَتْ زَوْجتاهما وأنْ عُرِّيَتْ بَعْدَ الوَجَى فَرَساهُمَا

٩ ـ ولَنْ يَلْبَثَ العَرْشان يُسْتَلُّ منهما خِيَارُ الأواسي أن يميلَ غَمَاهُمَا

---

(١) هذا عجز بيت لأبي قيس بن الأسلت السلمي في ديوانه ٨٠، واللسان (جمع، وعمم)، ومجمل اللغة ١: ٤٥٩، وأساس البلاغة (جمع).

(٢) للمتنخل الهذلي في ديوان الهذليين ٢: ٣٠.

(٣) بلا نسبة في اللسان (ضجع)، وتاج العروس (ضجع)، وأساس البلاغة (ضجع)، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٣٧٢:

أولاكَ قبائلٌ كبناتِ نعشٍ ضواجع لا يغرنَ مع النجومِ

يقال: عَنَسَتِ المرأة وعنّست بالتشديد، إذا قعدت بعد بلوغ النّكاح أعوامًا لا تُنْكِحُ، ويستعمل في الرَّجُل أيضًا. قال: [الطويل]

حتّى أنتَ أشمطُ عانِسُ[1]

كأنّهما كانا تزوَّجَا بامرأتين ولم يحوِّلاهما، ولمّا اتّفق عليهما ما اتّفق بقيَتا على حالهما زُهْدًا في النّكاح بَعْدَهما، وعِلْمًا بألّا اعتياضَ منهما، فتقول: زاد ذلك في مَسَاءتي، وزاد فيها أيضًا تَعْرِيَةٌ من الإسراج والإلجام، بعد أن كانا يُستعمَلان على ما يَعْتَرِضُ لهما من الحَفَى في غَزْو الأعداء وغيره، وإنّما ساءَها ما حَصَل من الأمَنَةِ في الجوانب التي كانا يقصدان ويُوقعان بها بعد الرِّقبة الشّديدة، وما عُلِمَ أنّهم وجَدُوه ولَزِمُوه من الشّماتة وإظهار الفَرَح والمسرّة.

وقولُها: «لَن يلبثَ العَرشانِ» جعلَتْ لكلّ واحدٍ عَرْشًا به كان يثبت ويقوم، فيقول: العَرْش إنما بقاؤه بعُمُده، فإذا انتُزِع خيارُها منه فَلَنْ يلبثَ أن يميل سَقفُه فيَسقُط. وهذا مَثَلٌ ضربَتْهُ لعِزِّ ذويهما، وإذْ قد مَضَيَا فيُوشِك أن يتثَلَّمَ وينخفض. والأواسي: جمع آسِيَة، وهي الأساطين. والغِماءُ، بكسر الغين والمَدّ: سَقف البيت. والغَمَا بالفتح والقصر لغة.

٣٨٧ ـ وقال آخر: [الكامل]

١ ـ صَلَّى الإلٰهُ على صَفِيِّي مُدرِكٍ يومَ الحسابِ ومَجْمَعِ الأشهادِ

٢ ـ نِعْمَ الفَتَى زَعَمَ الرَّفِيقُ وجارُهُ وإذا تَصَبْصَبَ آخِرُ الأزوادِ

يُرْوَى: «ومَجْمَعِ الأشهاد» تجرُّه وتعطفه على الحساب، ويكون مَجْمَعٌ في معنى جَمْع. ويُرْوى: «ومجمعَ» بالنصب، ويكون ظرفَ مكانٍ ومعطوفًا على يومَ الحساب. والصَّلاة من الله تعالى: الرَّحمة. والمراد: رَحِم الله مُدْرِكًا صفيِّي في الودّ، رحمةً تأتي مِن وَرَاءِ ذنوبه، وتُعَفِّي على سَوَابِق فَرَطاتِهِ يومَ القيامة، إذا حَضَرَ الشُّهودُ ووُضِعَ الحسابُ على تَحَاكُم الخصوم، وقامَ الجزاء من الثَّواب والعِقاب على المطيعين والعُصاة.

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص٢١٧، والمخصص ١٦: ١٢٢، وتمامه:
«فإني على ما كنتُ تعهد بيننا وليدين حتى أنت أشمطُ عانسُ»

وقوله: «نِعْم الفتى» الممدوح محذوف؛ كأنّه قال: نِعْمَ الفتى مدرِكٌ. قال: وليست هذه الشّهادة مِنّي ومن جهتي، ولا من جملةِ مَدْحِي، على عادة الناس في تأبين الهُلّاك، ولكنّها مما أدّاه وكثّره رفقاؤه في السَّفَر، وجِيرانُه في الحَضَر؛ فهي حكايةُ ألسنتهم، ومُؤدّاة قضيّتهم. وقولُه: «وإذا تَصَبْصَبَ آخرُ الأزواد» معنى تصبصب: قَرُبَ من النَّفاد. يريد: ونِعْمَ الفتى هو في ذلك الوقت، لأنه يؤْثِر غيرَه بالطُّعْم على نفسِه. وتلخيص الكلام: نِعْم الفتى مُدْرِكٌ في المُرَافَقةِ والمُجاوَرَة، وعند نفادِ الزّاد. والأشهادُ: جمع الشُّهود. واكتفى زَعَمَ بالفاعل في اللّفظ؛ لأنَّ مفعوليه دَلَّ الكلام عليهما:

٣ ـ وإذا الرِّكابُ تَروَّحَتْ ثم اغْتَدَتْ حَتَّى المَقِيلِ فلم تَعُجْ لِحِيَادِ

يريد: ونعم الفتى هو إذا وَصَلت الرِّكابُ السَّيرَ بالسُّرَى، فلم تَعْطِفْ لانحرافٍ وازورار، ولم تعرِّج لإصلاح شأن، لكنّها استمرّت وجَدَّتْ لِمَا أزْعَجَهم وبَعَثهم على استدامة التَّشمير، وتعجيل الحركةِ وتَرْك التَّقصير، وطيّ المنازل، واستقصار المَرَاحل. ومعنى ترَوَّحَت: راحت. والرَّوَاحُ: العَشِيُّ. وراحَت الإبلُ رَوَاحًا. والإراحة: رَدُّ الإبلِ عَشِيًّا من المَرْعَى. يقال: سَرَحْتُها بالغَداة وأَرَحْتُها بالعشيّ. ومعنى اغتدَتْ حَتَّى المَقِيل: سارت غُدُوًّا إلى وقت القيلولة، أيْ: كانَ في هذه الحالةِ يأتي بما يستحقُّ به المَدْح من أصحابِه ورُفَقائه، لكرمِ صَحَابَتِهِ، وحسن رِفَاقَته. ومعنى «لم تَعُجْ»: لم تَعْطِف. يقال: عاجَ عَوْجًا وعِيَاجًا. والحِيَاد: الإعراض عن السَّيْر للنُّزولِ. والفعل منه حادَ. ويقال: ما لَكَ عن هذا مَحِيدٌ وحَيَدَانٌ وحِيَادٌ.

٤ ـ حَثُّوا الرِّكَابَ تَؤُوبُها أنضاؤها فَزَها الرِّكابَ مُغَنِّيانِ وحادِ[1]

٥ ـ لَمَّا رَأَوْهُم لم يُحِسُّوا مُدْرِكًا وَضَعُوا أنامِلَهُم على الأكْبادِ[2]

وصَفَ وُرّاد فِنائه بعد فَنائه، وزُوّار قبرِهِ طلبًا لحِبائه، فيقول: استَعجلوا رواحلَهم وحضُّوها على قَصْدِهِ والوصول إلى بابِه، ومهازيلُها التي قد أثَّر بُعْدُ الشُّقَّة فيها فأنضاها، تؤوبُ إليها إذا نزلت، أي تسير النهار كلّه حتى يتَّصل سيرُها بالليل،

(١) التبريزي: «تؤمُّها أنضاؤها».
(٢) بعده عند التبريزي:
«فكأنَّما طارت بِلُبِّي بعده صفراءُ عارضها رعيلُ جرادِ»

طلبًا للتَّلاحُقِ معها، فاستخفَّها ونَشَّطَها مغنِّيانِ بالحُدَاءِ، وسائقٌ يحدوها، حتى وصلوا، فلمّا رأوا أنفسَهم قد فَقَدَتْ مُدْرِكًا، يعني المرثيّ، أمسَكوا على أكبادهم خوفًا من تصدُّعها، إذْ لو أدركوه حيًا لم يكن بينهم وبين الغِنَى إلّا ما لا يُعَدُّ حاجزًا ولا مانِعًا.

إن قيل: لِمَ جاز لمَّا رأوهم، والفاعلون هم المفعولون، وأنت لا تقول: ضَرَبْتُني ولا ضَرَبْتَك، بل تأتي بدل ضمير المنصوب بالنّفس، تقول: ضربتُ نفسي وضربتَ نفسَك؟ قلتَ: إنّ أفعالَ الشكّ واليقين جُوِّز فيها ذلك. تقول: حسِبْتُني ورأيتَكَ وعلمتُني، لمخالفتها سائرَ الأفعال في دخولها على المبتدأ والخبر.

وقوله: «تؤُوبها أنضاؤها» في موضع الحال من الرّكاب.

٣٨٨ ـ وقال الشَّمَّاخ(١) في عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه(٢): [الطويل]

١ ـ جَزَى اللهُ خَيرًا من أميرٍ وبارَكَتْ ... يَدُ اللهِ في ذاكَ الأديمِ الممزَّقِ

٢ ـ فمَنْ يَسْعَ أوْ يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ ... لِيُدْرِكَ ما قَدَّمْتَ بالأمسِ يُسْبَقِ

يقول: جزاه الله عن الرَّعيَّة خيرًا من بين الأُمراء، وباركتْ نعمةُ اللهِ ـ تعالى جَدُّهُ وإحسانُهُ ـ في أديمِهِ الممزَّق، يعني: جلدَ عُمَرَ رضي الله عنه، حينَ طعنه أبو لؤلؤة فَتَى المُغِيرةِ بْنُ شُعْبَة. وأصل البَرَكة النّماء والثّبات. ومنه: بَرَك البعيرُ بُرُوكًا، وبَرَاكاءُ القِتال: حيث يَبْتَرِكُون، أي يَجْثُون على رُكَبهم.

وقوله: «فمن يَسْعَ» يريد أنّ شأوَه في الإيالة واستِصلاح الرَّعِيَّة وتفقُّد مصالِحِهم لا يُدْرَك، فمن أرادَ بلوغه والارتقاءَ إلى غايتهِ بقِيَ حسيرًا مسبوقًا ولو ركبَ جَنَاحَ النعامة، يريد: لو أسرع إسراعها. وقوله: «بالأمس» ذكَرَه على طريق تقريبِ الأمَد. وقوله: «يُسْبَق» هو جوابُ الجزاء.

---

(١) الشمّاخ: معقل بن ضرار بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، وكان أرجز الناس على البديهة (ت٢٢هـ/ ٦٤٣م)، ترجمته في الإصابة ٣٩١٣، والأغاني ٨: ٩٧.

(٢) التبريزي: «يرثي عمر بن الخطاب: وقال أبو رياش: الذي عندي أنه لمزرّد أخيه، وقال أبو محمد الأعرابي: هو لجزء بن ضرار أخيه».

٣ ـ قَضَيتَ أُمورًا ثم غادَرتَ بَعدَها بَوائجَ في أكمامِها لم تُفَتَّقِ[(١)]

يقول: أحكمتَ أمورًا بصائب نظرِك، وجميلِ رأيك، وحسن تألُّهِك ثم أُعجِلْتَ فتركتَ بعدها دواهِيَ وخُطوبًا عظيمة، هي في أغطيتها لم تظْهَر ولم يُكْشَف عنها. والفَتْق: ضدُّ الرَّتْق، وكلُّ متَّصلٍ مُسْتَوٍ رَتْقٌ، فإذا انْفَصَل وانكشف فهو فَتْقٌ. والبوائج: الدَّواهي العامَّة. ويقال: بَاجَهُم الشَّرُّ، أي: عَمَّهم. قال الشاعر:

فَبُجْتَه وأهلَهُ بِشَرّ

والأكمام: الأغطية، منه كُمُّ الثمرة. ويقال: لكلِّ شجرة مُثْمِرَةٍ كُمٌّ وهو بُرْعُومَتُها.

٤ ـ أَبَعْدَ قَتِيلٍ بالمدينةِ أظْلَمَتْ له الأرضُ تَهْتَزُّ العِضَاهُ بأَسْؤُقِ

قوله: «أبعدَ قتيلٍ» لفظة استفهام، ومعناه التفظيع والإنكار. وحرف الاستفهام يطلُب الفعل، فكأنه قال: أتهتزُّ العِضَاهُ على أَسْؤُقها بعد قتيل بالمدينة أظلمتْ له الأرض، هذا عَجَبٌ.

وقوله: «أظلَمَتْ له الأرض» من صفة قتيل. والمعنى: أن حصولَ هذا الأمرِ وجرَيَانَه على ما كان مُنْكَرٌ فظيع، بَعْدَ ما اتَّفق على قتيلٍ هذا صفتُه. والعضاهُ: شجرٌ، واحدتها عِضَةٌ. قال: [الطويل]

ومن عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُها[(٢)]

وقد مضى القول في مثل هذا البيت، ويشبهه قول الآخر: [الطويل]

أيا شَجَر الخَابُورِ ما لَكَ مُورِقًا كأنك لَمْ تَحْزَنْ على ابن طَرِيفِ[(٣)]

٥ ـ تَظَلُّ الحَصَانُ البِكْرُ يُلْقِي جَنِينَها نَثَا خَبَرٍ فَوْقَ المَطِيِّ مُعَلَّقِ

٦ ـ وما كنتُ أَخْشَى أن تكونَ وفاتُهُ بكفَّيْ سَبَنْتَى أزرقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

---

(١) التبريزي: «بوائج: دواهي، واحدتها بائجة، في أكمامها: أي غلفها.

(٢) بلا نسبة في خزانة الأدب ٤: ٢٢، واللسان (شكر، عضه)، وشرح الأشموني ٢: ٤٩٧، وصدره:

«إذا مات منهم ميتٌ سرق ابنُهُ»

(٣) لليلى بنت طريف في الأغاني ١٢: ٨٥، والحماسة الشجرية ١: ٣٢٨، والدرر ٢: ١٦٣، ولليلى أو لمحمد بن بجرة في سمط اللآلي ٩١٣.

الحَصَان: العفيفة وقد أحصنَتْ وحَصُنَتْ. والبِكر: التي حَمَلَتْ أوّلَ حَمْلِها، فهي بِكْرٌ والولد بِكْرٌ والأب بكرٌ. والنَّثا، يستعمل في الخير والشَّر. يقال: نَثَوْتُ الكلامَ أنثُوهُ نَثْوًا، إذا أظْهَرْتَهُ، فيقول: ترى الحامِلَ يُسْقِطُ حَمْلَها ما يُنْثَى من خَبَرٍ سار به الرُّكبان، وتقاذفتهُ الأقطار، استفظاعًا لوقوعه، واستشعارًا لكلّ بَلَاءٍ وخوفٍ منه.

وقوله: «وما كنتُ أخشى»، يقول: إنِّي وإنْ لم آمن الحَدَثانَ عليه، وصرتُ أرقبُ جميعَ أسباب الرَّدَى فيه حتّى ظننتُ ظُنُونَ المُشْفِقَات، مستدفِعًا للآفات عنه، فإنَّه لم يَخْطُر ببالي أن يكون في جلالتهِ وارتفاعِ مَحَلِّه يُرْديه عَبْدٌ جَسُورٌ لَئيمٌ جَرِيءٌ، أزرق العين، مسترخي الأجفان، وإنما حَلَّى قاتِلَهُ بهذه الحِلْيَة تنبيهًا على حقارته في نفسِه وجنسه؛ وذَمًّا لأصلِهِ وفرعه، وإعلامًا بأنَّ الصَّغير من الرِّجال يَجْني الكبيرَ من الأمور، وأنَّ ما لا يَقَعَ في الوهم استبعادًا لكونه، يشاهده الإنسان أقربَ من كلِّ قريب، ثم لا يملك إلّا استغرابَه وقضاءَ العجَبِ منه والتِزَامَ الجزعِ فيه. والسَّبَنْتَى والسَّبَنْدَى، أصله في النَّمِر، ويُستعمَل في الجريء المُقْدِم. وقال الدُّريدي: المُطْرِقُ: الغليظ الجَفْن الثَّقِيلُهُ.

٣٨٩ ـ وقال صَخْرُ بن عَمْرو[1] أخو الخَنْسَاء: [الطويل]

١ ـ وقالوا ألا تَهْجُو فوارِسَ هاشِمٍ ومَا لِي وإهْدَاءَ الخَنَا ثمّ مَا لِيَا

٢ ـ أبَى الهُجْرَ أنّي قد أصابوا كريمتي وأنْ لَيسَ إهداءُ الخنَا من شَمَالِيَا[2]

يريد: قال النَّاسُ باعثين لي على هِجاءِ مَن أصابني في أخي معاويةَ ونَحتِ أثْلَتِهم، وذكر أعراضِهم: ألا تنتقمُ منهم بالقَول إلى أن يتسهَّلَ الفِعل فتَذكُرَ معايبهم، وتكشِفَ عن مستور مَخَازيهم، ومجهولِ مقابِحهم ومساويهم؟ فأجبتهم وقلت: ما لي وذكرَ القبيح وإهداءَ الفواحشِ ثمّ ما لِيَ؟ أمَا تعلمون أنّ ما بيني وبينهم أقْذَعُ من

---

(١) صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السلميّ: من بني سُليم بن منصور، من قيس عيلان جُرح في غزوة له على بني أسد بن خزيمة ومرض قريبًا من الحول، وله في ذلكَ أبيات أوّلها:

أرى أمّ صخر لا تملّ عيادتي وملّت سليمى مضجعي ومكاني

وسليمى زوجته (ت نحو ١٠ق.هـ/ ٦١٣ م). ترجمته في جمهرة الأنساب ٢٤٩، والأغاني ١٣: ١٢٩.

(٢) التبريزي: «أبى الهجوَ».

الهِجَاء، وأنّ جزاءَ مَن أصاب كريمتي أَقْطَعُ من الإهجار، وأنه ليس قولُ القبيح وتنقُّصُ النَّاس من عادتي وطبيعتي، إذْ كنتُ أَرْبأُ بقدري عن الوقوف موقفَ المغتابين والطّاعنينَ في الأنساب والأعراض. وقوله: «وما لي وإهداءَ الخَنا» انْتَصَبَ إهداءَ بفعلٍ مُضمَرٍ، وتكريره لِمَا لي دلالَة على استقباحه لما بُعِث عليه، ودُعِيَ إليه. والْخَنَا هو الفُحْشُ، كأنه قال: ما لي أُلابِسُ الخَنَا وأتكلّفُه. وقوله: «أصابوا كريمتي»، فالكريمة أُخْرِجَ إخراجَ المصادر. وعلى ذلك ما رُوِيَ على النبيِّ ﷺ: **«إذا أتاكُمْ كريمةُ قومٍ فأكرِمُوه»**.

ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة. وقوله: «وأنْ ليسَ إهْدَاءُ الخَنَا» أن مخفَّفة من الثّقيلة، واسمُه مضمَر، والجملة التي بعدَه في موضع الخبر، وموضع أن رَفْعٌ بكونه معطوفًا على أنّي قد أصابوا، وأنّي فاعلُ أَبَى الهُجْرَ.

٣ ـ إذَا ما امْـرُؤٌ أَهْـدَى لِـمَـيْـتٍ تَـحِـيَّـةً   فَـحَـيَّـاكَ رَبُّ الـنَّـاسِ عَـنِّـي مُـعَـاوِيَـا

٤ ـ لَنِـعْـمَ الـفَـتَـى أَدَّى ابـنُ صِـرْمَـةَ بَـزَّهُ   إذا رَاحَ فَحْلُ الشَّوْلِ أَحْدَبَ عَارِيَا[1]

يقول: إذا رَجُلٌ حَيَّا مَيِّتًا فتولّى الله تعالَى عنّي تحيَّتَك يا معاوية. والتَّحيّة من الله تعالَى: الإكرام والإحسان، والتفضُّلُ عليه بما هو أهلُه.

وقوله: «لَنِعْم الفتى» المحمود بهذا الكلام محذوف؛ كأنه قال: لنعم الفتى الذي ذا صفته. وقوله: «أدّى ابنُ صِرْمَةَ بَزَّهُ» أرَادَ سلاحَهُ وسَلَبَهُ. وقوله: «إذا راحَ» ظرفٌ لما دلّ عليه نِعْمَ الفَتَى، أي: يُحْمَدُ في هذا الوقت إذا اشتدَّ الزّمان وأجدَبَت الأرضُ، وانصرَفَ فَحْلُ الشَّوْلِ من مَرْعاهُ عارِيًا من اللّحم مهزولًا، لكثرة أفضالِهِ، وحُسْنِ تفقُّدِهِ واتِّصالِ بِرِّهِ بمن يجمَعُه إليه نَسَبٌ أو سببٌ. والشَّوْل: النُّوق القليلة الألبان، واحدتها شائلة. وابن صِرْمَةَ المذكورُ يجوز أن يكون القاتلَ لمعاوية أو المعينَ عليه.

٥ ـ وطَـيَّـبَ نَـفْـسِـي أَنَّـنِـي لَمْ أَقُـلْ لَهُ   كَـذَبْـتَ ولَـم أَبْـخَـلْ عَـلـيـه بِـمَـالِـيَـا

٦ ـ وَذِي إخْـوَةٍ قَـطَّـعْـتُ أَقْـرَانَ بَـيْـنِـهِـم   كَـمَـا تَـرَكُـونِـي واحِـدًا لا أَخَـا لِـيَـا

---

(١) بعده عند التبريزي:

«إذا ذُكِـرَ الإخْـوانُ رقـرقْـتُ عَـبـرةً   وحَـيَّـيْـتُ رَمْـسًـا عـنـد لِـيَّـةَ ثـاويـا»

تَسَلّى فيما أوجَعَه من الرُّزْءِ بأن لم يكن جفَاهُ وهو حَيٌّ قولًا ولا فِعْلًا، ثم تَسَلّى أيضًا بأنّه كما فُرّق بينه وبين إخوته وتُرِك فريدًا وحيدًا، قد تولّى مِثْلَ ذلك من مُعَاديه، فرُبَّ إخْوَةٍ متناصِرينَ صارت كلمتهم واحدةً، وأهواؤُهم متَّفِقة، وهم في تألُّفهم وتشابههم، وتلاؤمهم وترافُدِهم، كالحَلْقة المُفْرغة لا يُدْرَى أين رأسُها، أنا قطعتُ علائق بينهم، ووُصَلَ نظامهم، فتفرّقوا وتفاقَدُوا حتى صاروا في التشتُّت مثلًا، كما كانوا في التجمُّع مَثَلًا. وهذا بإزاءِ ما فُعِلَ بي، وفي مُقابَلَةِ ما نِيلَ منّي. والدَّهْرُ تاراتٌ، و«مَنْ يَرَ يَوْمًا يُرَ به»، وقد مرَّ القول في قوله: «لا أَخَا لِيَا». وانتصب «واحدًا» على الحال من تركوني، ولا أخا لِيَا صفةٌ له؛ كأنّه قال: تركوني وحيدًا فريدًا. وقوله: «أقرانَ بينهم» أي: وُصَلَ بينهم. وأصل الأقران الحبالُ، والواحد قَرَنٌ. يريدُ: إنّي قطّعتُ الأسبابَ الجامعة بينهم بقتلهم وتفريقِهم. و«بين» جعلَهُ اسمًا. وفي القرآن: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤].

٣٩٠ ـ وقالت أختُ المُقَصَّص[1]: [الكامل]

١ ـ يا طُولَ يَوْمِي بالقَلِيبِ فلم تَكَدْ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ تُتَّقَى بحجابِ

٢ ـ ومُرَجَّمٍ عَنْكَ الظُّنُونَ رأيتَهُ وَرَآكَ قبلَ تأمُّلِ المُرْتَابِ

قوله: «يا طُولَ يومي» لفظة نداء، ومعناه تعجُّبٌ واشتكاء، وإنَّما استطالَهُ لأنّه كان يومَ نَحْسٍ ومكروه، فيقول: يومي بالقَليب امتدَّ وطال حتّى كادت الشمس لا

(١) التبريزي: «الباهلية». «قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أن المقصص أخا بني الصموت من عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خرج في أيام فتنة ابن الزبير يصدّق من مرّ به من الناس، حتى أتى بنو قنفذ من بني سليم بناحية هضب القليب، فصدّقهم، ثم بعث إلى هلال أخي بني سِمال بن عوف أن ابعث إليّ بابنتك، فقال هلال: إن كان تزويجًا فليأتنا فإنه كفؤٌ، قال: إنما أردت أن تمشّط رؤوسنا وتحدث معنا. فضرب هلال الرسول، فركب المقصّص في فرسان ثلاثة حتى هجم على الحيّ، فثاروا إليه، وكان في الذين ثاروا إليه مع هلال فَتَيان من بني قنفذ يقال لأحدهما المستوضح وللآخر الحسن بن الأسود، فناوشوه قليلًا، ثم إن المقصّص حمل على هلال، فخاف هلال أن يطعنه وليس معه سلاح فوجد أثفيّة مُرتزّة في الرماد فاقتلعها ورماه بها فركب ردعه ومات، وانهزم أصحابه، ومروا على جعدة بن عبد الله أخي بني غيظ بن مالك فقتلوه، فركب أولياء المقصّص حين هدأت الفتنة إلى الحجاج، فذكروا أمر صاحبهم وأمر الغيظي، فأهدر دم المقصّص وأقادهم بالغيظي، فقالت أخت المقصّص هذه الأبيات، واسمها ميسون.

تحتجب عن الأبصار بحجابها المعلوم؛ فيا له من يومٍ ما أطولَه. والقليب: موضع. وأضاف الشَّمْسَ إلى الظَّهيرة كأنَّه لما قامَ قائمُ الظَّهيرةِ وقفَتْ حيرَى فلم تكنْ تَجْنحُ إلى المَغِيب، ولا كانت تسير فتَهْوِي للغُروب.

وقوله: «ومرجِّم عنكَ الظُّنون» وصَفَه بأنَّ الآفاق على بُعدها كانت قريبةً عليهِ لِمَا أُيِّدَ به من العَزْمِ وتُسَهِّلَ له وفي نفسه مِن وُعورة السَّير، فيقول: ربَّ مُكاشحٍ لك كان على تنائيه عنك، وتحرُّمه معك، واستظهاره بإبعاد الدَّارِ منك، يرجِّم الظَّنَّ فيك، ويُوَسْوِس إليه ما يَعْرِفه من إبعادك في الغَزْوِ، وقِلَّة احتفالِك فيما تركبه بلَواحق التَّعَب، وعَوارضِ الخَطَر ـ أنَّك تَقْصِده وتُوقِع به آمَنَ ما كان منك، وهو في وَسْوَاسِهِ لم يحدِّثْ نفسَه بتأمُّلِ ما وَقَع في خَلَدِهِ، ولا بالكشف عمَّا ارتاب له، إذْ أنتَ أتيتَه من حيثُ لا يحتسِبُه، واستَبَحْتَ حريمَه، واستَغنمتَ مالَه. وقوله: «قَبلَ تأمُّل المرتابِ» يجوز أن يريد به قبل تأمُّلِهِ، فيكون المرتاب هو المُرَجِّم المكاشِح. ويجوز أن يكونَ جَعَلَه مثلًا.

وقد ألمّ بهذا المعنى أبو تمّامٍ في قوله: [الكامل]

أَسْرَتْ لكَ الآفاقَ عَزْمَةُ هِمَّةٍ جُبِلَتْ على أنَّ المَسِيرَ مُقَامُ

٣ ـ فأفأْتَ أُدْمًا كالهِضابِ وجامِلًا قَدْ عُذْنَ مِثْلَ عَلائِفِ المِقْضابِ[(١)]

٤ ـ لَكُمُ المُقَصَّصُ لا لَنا إن أنتُمُ لم تأْتِكُمْ خيلٌ ذوو أَحْسَابِ[(٢)]

يقول: غَزَوْتَهُ فجعلتَ مالَه فَيْئًا وغنيمةً: نُوقًا كالجبالِ سمانًا، وذكورَةً عِظامًا ضِخامًا، عُذْنَ كالَّتي يسمِّنُها الجزّار للنَّحر.

وقوله: «لكُمُ المقصَّص لا لنا»، يقول: إنْ لم تأتكم خيلٌ إذا طلبوا الثَّأر طلبوه عن امتعاضٍ وشدَّةِ أَنَفَة، وجِدٍّ في الأمر واجتهادٍ، فِعْلَ الحسيبِ الكريم الذي لا يغمِّض على قَذًى، ولا يصبر فيما يحقّ له على أذًى، فأنتم أولياءُ دَمِهِ مِن دوننا، والمالكون له سوانا. وقد تَرَكْنَاهُ لكم، وفُزْتُم بما أصبتموه، واستمرأتم ما طَعِمْتُموه.

---

(١) التبريزي: «المِقضاب». وقال: «المقضاب: المزرعة التي تُنْبِتُ القَضْبَ، وهو القتّ، فأرادت أنهم من الخصب في روضة مُستَكّة كاستكاك نبات القضب، وقيل: المقضاب: شبه مِنجل، تريد كأنها علائف سُمِّنت للنحر، والمقضاب أيضًا: الرجل الكثير القطع».

(٢) التبريزي: «لم يأتكم قومٌ».

وقوله: «أَفَأْت» من الفَيْء: الغنيمةِ، لا من الفَيْءِ الرُّجوع. والجامل موحَّدُ اللَّفظ مَصُوغٌ للجمع، ويراد به الإبل، لكنَّه مشتقٌ من لفظ الجمل، كالباقِرِ من البَقَر. والعلائف: جمع العَلوفة، وهو ما يسمَّن في البيوت. ويقال: شاةٌ مُعَلَّفَةٌ، أي مسمَّنةٌ. والمِقْصابُ، بناهُ بناءَ ما يكون آلة، فهو كالمفتاح، لا بناءَ ما يكون للحِرْفَة والمُزاوَلة. والواجب أن يكون «القصَّاب»، وهو من القَضْب: القَطع والفَصْل، لأنَّه يقضِّب الشَّاةَ أي يقطِّعها.

٥ ـ وأبو اليَتامى يَنْبُتُونَ ببابِهِ   نَبْتَ الفِراخِ بِمُكْلِئٍ مِعْشابِ[١]

٦ ـ فَكِهٌ إلى جَنْبِ الخِوانِ إذا غَدَتْ   نَكْباءُ تَقْلَعُ ثابِتَ الأَطْنابِ

قوله: «وأبو اليَتامى»، أي: كان يكفُلهم ويَعُولهم، ويُشفِق عليهم ويتحدَّب، حتَّى كأنَّه أبوهم. وارتفع «أبو» كأنَّه خبر ابتداءٍ محذوف، كأنَّها قالت: وهو لليتامى أبٌ. ومعنى: «ينبتون ببابِه» يُروى «فناءَه»، وانتصابُه على أنَّه أخرجَه إلى باب الظُّروف، كما فُعِلَ ذلك بمَقْعَد القابلة، ومَنَاطَ الثريَّا وما أشبههما. والمعنى: أنَّهم يتربَّون في فنائه ويتنعَّمون، تَرَبِّيَ فِراخِ الطَّير بمكانٍ كثير العُشب والكلأ. ويقال: أَكْلَأَ الموضِعُ، إذا صار ذا كَلإٍ وعُشب. والمِعْشاب: الكَثير العُشب.

وقوله: «فَكِهٌ إلى جَنْبِ الخِوان»، فالفَكِه: الكثير المِزاح واللَّعب، تأنيسًا للضَّيف وبَسْطًا منه؛ كما قال الآخر: [الطويل]

أُحَدِّثُهُ إنَّ الحديثَ مِنَ القِرَى[٢]

وقوله: «إذا غَدَتْ» ظَرْفٌ للفَكِه، يريد: يفاكه الضَّيْف عند الأكل بمُلَح الكلام، كي يستأنسَ ويتَّسِع الوقتُ له فيستوفِيَ. وإلى من قوله: «إلى جنب الخِوان» تعلَّق بفعلٍ مضمَر دَلَّ عليه فَكِهٌ، كأنَّه مع قُرْب الخوان يَفْكَهُ. و«إذا غَدَتْ نكباءُ» يريد وقت البَرْدِ وهبوبِ الرِّيح الباردةِ المزعزِعة للبُيوت، القالعةِ لأوتادها وحبالِها. وأطناب البيوت: حبالها. ومنه إطنابَةُ الحُزَم والقِسيّ. والجميعُ الأطانيب.

---

(١) التبريزي: «بكالىء»، وقد روى التبريزي هذا البيت بعد تاليه.
(٢) لعروة بن الورد في ديوانه ص ١٠١، واللسان (بصص)، وبلا نسبة في المخصص ٢:٣٧، وعجزه:

«وتعلم نفسي أنه يهجعُ»

قال: [البسيط]

يَرْكُضْنَ قد قَلِقَتْ عَقْدُ الأطانيب[١]

٣٩١ ـ وقالت عَمْرَةُ بنتُ مِرْداسٍ تَرْثِي أخاها عَبَّاسًا:

[الطويل]

١ ـ أَعَيْنَيَّ لم أَخْتِلْكُمَا بِخِيانَةٍ أَبَى الدَّهْرُ والأيَّامُ أن تَتَصَبَّرَا

٢ ـ وما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أكُونَ كأنَّنِي بَعِيرٌ إذا يُنْعَى أُخَيَّ تَحَسَّرَا

٣ ـ تَرَى الخَصْمَ زُورًا عن أُخَيّ مَهَابَةً وليسَ الجليسُ عَنْ أُخَيَّ بأَزْوَرَا

تقول: يا عينيَّ لا أقول إنّكما لم تَجْزَعا ولم تَذْرِفا، ولم تَخْلِطَا بدمعٍ دمًا، فأكونَ قد خدعتُكما بخيانةٍ استعملتُها معكما. وكيف لا تكونان كذلك والأيّامُ والليالي امتنعَتْ عليكما أن تتصبّرا فيها، إذْ كانت حَمَّلتكما من أعباء الرزيّة ما استنفَدَ وُسْعَكُمَا، واستغرق طوقَكُما، حتى نُزِفَتْ دموعُكما، وتوقّفت عن الإجابة شُؤُونكما، فما بَقِي منكما إلّا شفًا.

وقولها: «وما كنتُ أخشى» يقول: كنتُ قبل هذه الرّزيئة واثقًا بقوّتي وصبري، ومُسْكَتِي وعقلي، حتى لا أخشى ـ إذا أخطرتُ ببالي أحداثَ الدّهر وتأثيرَها في الأحبّة والأهل ـ سوءَ احتمالٍ فيها، وضعف مُنّةٍ عنها، إلى أن نُعِيَ أُخَيّ فورَدَ له على نَفْسي ما أبدلني بالتّماسُك تهالُكًا، وبالتثبُّتِ تساقُطًا، حتى صرتُ كأنّي بعير أُلِحّ عليه فتحسَّرَ ورزَح، وعُقِلَ في مَبْرَكِه بالعَجْز فما بَرِح.

وقولها: «تَرَى الخَصْم زُورًا» جعلت الخَصْمَ للجمع فلذلك قالت زُورًا. والمصدرُ إذا وُصِفَ به بُقّيَ على حالِهِ فلم يُثَنَّ ولم يُجْمَع. وقد قيل: خَصمان وخُصوم، لَمَّا غلبت عليه الوصفيّة وكَثُر في الاستعمال أُجْرِيَ عليه حكمُ الصِّفة. والمعنى: تَرَى مُنَابِذِي أُخَيّ منحرفين عنه وعن كلّ متَّصلٍ به، مسالِمِين له ولمن أعْلَقَ حبلَه بحبله، إعظامًا له وتَهَيُّبًا، وإكبارًا وتَخَوُّفًا. وترى جُلَسَاءَه ونُدَماءَه مباسِطِينَ له ومستأنسين به، لا يتداخَلُهم منه رُعْبٌ، ولا يقبضهم عنه تجبُّرٌ وكِبر. والخَتْلُ:

---

(١) لسلامة بن جندل في ملحق ديوانه ٢٣٣، واللسان (طنب)، وتاج العروس (طنب)، وللنابغة الذبياني في ديوانه ٥٠، وأساس البلاغة (طنب)، وصدره:

«حتى استغثنَ بأهل الملحِ ضاحيةً»

المَكْر. وقال الخليل: هو تَخادُعٌ عَنْ غَفْلَةٍ. وإنّما قال الدَّهر والأيَّام، لأنّه أرادَ بالأيّام الأحداثَ. وهذا كما قيل للوقعات: الأيّام. وإنما صَغَّرت الأخَ لتلطيف المحلّ، هذا على قولهم صُدَيقيّ. والتحسُّر: الضعف عن الإعياء، ويقال: الحَسْر والحُسُور أيضًا. وحَسَرَت النّاقةُ فهي حسيرٌ والجمع الحَسْرَى، ولك أن تروي: «أُخَيِّي» وهو الأصل، و«أُخَيَّ» فتحذفَ ياءً استثقالًا لاجتماع الياءات، وتبنيه على الفتح لأنّه أخفُّ الحركات. وانتَصب «مهابةً» لأنّه مفعول له.

٣٩٢ ـ وقالت رَيطةُ بنتُ عاصِمٍ: [الطويل]

١ ـ وَقَفْتُ فَأَبْكَتْنِي بِدارِ عَشِيرَتِي ... على رُزْئِهِنَّ البَاكِيَاتُ الحَوَاسِرُ

٢ ـ غَدَوْا كَسُيوفِ الهِنْدِ وَرَّادَ حَوْمَةٍ ... مِنَ المَوْتِ أَعْيَا وِرْدُهُنَّ المَصَادِرُ

٣ ـ فَوَارِسُ حَامَوْا عَنْ حَرِيمٍ وحافَظُوا ... بِدَارِ المَنَايَا والقَنَا مُتَشَاجِرُ[١]

٤ ـ وَلَوْ أنَّ سَلْمَى نَالَهَا مِثْلُ رُزْئِنَا ... لَهُدَّتْ ولكن تَحْمِلُ الرُّزْءَ عَامِرُ

تقول: دعاني ما أُصِبْتُ به في عشيرتي إلى الوُقوف بدارهم، فشجِيتُ بِشَجى النِّساء النَّوادِب الحواسر، حتّى بكيتُ لبكائهنّ على حادثِ الرُّزْء، واقتفرت آثارَهن في الهَلَع والحُزْن.

وقولها: «غَدَوْا كسيوف الهِند» أخذَتْ تصفُ حالَ عشيرتها، فقالت: ابتكروا وهم في خَلْقِهم وتجرُّدهم، وصَفائهم ونفاذهم، كسُيوفِ الهِند، فورَدُوا حَومةً من الموتِ أعْجَزَهم الصَّدَر عنها. والحومة: مُعْظَم الحَربِ وغيرِها. وحومة البحر: أكثَرُ موضعٍ منه ماءً، وكذلك حَوْمة الحوض. ويقال: حامَ الطَّائرُ على الماءِ يَحُومُ حَوْمًا، إذا دارَ عليه في الطَّيَران.

وقولها: «فَوارِسُ حامَوا عن حريم» وصَفَتْهُمْ بأنّهم حَفِظوا ما وَجَب عليهم حِفظُه من حُرَمِهم. وفي المثل: «لا بُقْيَا للحَمِيَّة بعد الحَرَام»، أي: عند الحُرْمَة، والحُرمة: ما لا يَحِلُّ لك انتهاكه، وكذلك المَحَارم، واحدتها مَحْرَمَةٌ. قال: [الرجز]

وَمَحْرَمَاتٌ هَتَكَهَا بُجْرِيُّ[٢]

(١) التبريزي: «عن حريمي».
(٢) للعجاج في ديوانه ١: ٤٩٤، وكتاب العين ٣: ٧٥.

ومن ذلك قيل: حَرِيم الدَّار. لِمَا كان من حقِّها.

وقولها: «وحافَظوا بِدَارِ المَنَايَا»، أي: ثَبَتُوا في دارِ الحِفاظ، ودافَعُوا وصبروا، ولم ينتقلوا عنها طلبًا للسَّلامة، وحِرْصًا على نَيْلِ الخِصب والأَمَنَةِ.

وفي هذه الطريقة قولُ الآخر: [الكامل]

وتَحُلُّ في دارِ الحِفاظِ بُيُوتُنَا ... زَمَنًا ويَظْعَنُ غَيْرُنَا لِلأَمْرَعِ(١)

وقولها: «والقَنا مُتشاجِر» الواو منه واو الحال، وأشار بذلك إلى قيام الحرب بينهم، وانتصابِ الشَّرِّ فيهم، وأنَّ للطَّعن تَلاحُقًا كما أنَّ للقنا في الاختلاف تداخُلًا.

وقولها: «ولو أنَّ سَلْمَى»، فسَلْمَى: أحدُ جَبلَيْ طَيِّئ، والمعنى: لو أنَّ ما نَزل بنا من الرُّزْء مثلُه نَزَلَ بهذا الجبلِ لانهدَّ، ولكنَّ الإنسان صَبورٌ شديد، يتحمّل كلَّ ما حُمِّل، وإنْ ضُوعِفَ على وُسْعِهِ وثُقِّل. وعامرٌ: قبيلتُهم.

٣٩٣ ـ وقالت عاتِكةُ بنت زيد بنُ نُفَيل(٢): [الطويل]

١ ـ آلَيتُ لا تَنفَكُّ عيني حَزِينَةً ... عَلَيكَ ولا ينفكُّ جِلْدِي أَغْبَرَا(٣)

٢ ـ فَلِلَّهِ عَينَا مَنْ رَأى مِثْلَهُ فَتًى ... أَكَرَّ وأَحْمَى في الهِيَاجِ وأَصْبَرَا

٣ ـ إِذَا أُشْرِعَتْ فيه الأَسِنَّةُ خَاضَها ... إلى المَوْتِ حَتّى يَتْرُكَ الموتَ أَحْمَرَا

روى بعضُهم أنّ عليًا عليه السّلام استأذَنَ عمر رضي الله عنه في مُكالمة عاتكةَ بنتِ زيدٍ، وهي يومئذٍ زوجته، فقال عُمر رضي الله عنه: لا غَيْرَةَ منكَ يا أبا الحسن! فقال عليٌّ عليه السلام مازحًا: آنتِ القائلة:

آلَيْتُ لا تنفَكُّ عيني قَرِيرةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جلدِي أصفَرا

فقالت: لم أقُلْ كذا، وعاودَتْ حُزْنها وجَزَعها. ومعنى: «لا تنفكُّ»: لا تزال.

---

(١) للحادرة الذبياني في المفضلية رقم (٨).

(٢) عاتكة بنت زيد القرشية العدويّة، شاعرة صحابية حسناء، من المهاجرات إلى المدينة (ت٤٠هـ/ ٦٦٠ م)، ترجمتها في الاستيعاب والإصابة كتاب النساء تر (٦٩٥)، وخزانة البغدادي ٤: ٣٥١.

(٣) التبريزي: «خبر هذه الأبيات: قال أبو رياش: قالت عاتكة هذه الأبيات ترثي بها زوجها عبد الله بن أبي بكر، وكان أصابه سهم يوم الطائف مع رسول الله، رماه أبو محجن فماطله حتى مات في خلافة أبيه».

وقولها: «فَلِلّهِ عَيْنَا» تعجُبٌ، وهي في تعظيم الشَّيْء ينسُبونه إلى الله عزّ وجلّ، وإن كانت الأشياءُ كلُّها له تعالَى وفي مَلَكته.

وقولها: «أكَرّ» أي أكثرَ كرًّا. و«أحْمَى» يجوز أن يكون من الحماية، ويجوز أن يكون من الحَمِيَّة. والمعنى: لله عينَا رجلٍ رأى فتًى مثلَه أكرّ منه وأحْمَى. وقولها: «من» نكرةٌ تريد رجلًا أو إنسانًا. و«رأى مثله» صفة لِمَنْ. وقولها: «إذا أُشْرِعَتْ فيه الأسنَّة»، تريد: في الهِياج. ويجوز أن تريد في المرثيّ، أي قِبَلَهُ. والهياج يجوز أن يكون مصدر هائج، ويجوز أن يكون جمع هَيْجٍ، والمراد به الحربُ وقد هاجت، فتُريد: إذا هُيِّئَت الرِّماحُ لطعنةٍ اقتحمَهَا وتلقَّاها، لا يَحِيد عنها حتّى يَخُوضَ الموتَ بها، فيتركَه أحمر، أي شديدًا.

ويقال: مِيتةٌ حمراء، وسَنَةٌ حمراء، وسِنُونَ حَمْرَاوات. ويقولون: «الحُسْنُ أحمر»، أي: طلَبُ الجمال تُتَجَشَّم فيه المشَاقّ.

٣٩٤ ـ وقالت امرأةٌ من طيِّئ: [الطويل]

١ ـ تَأَوَّبَ عَيْنِي نُصْبُهَا واكتِئابُهَا ... ورَجَّيْتُ نَفْسًا رَاثَ عَنْهَا إيابُهَا

٢ ـ أُعَلِّلُ نَفْسِي بالمُرَجَّمِ غَيْبُهُ ... وكَاذَبْتُهَا حَتَّى أبانَ كِذَابُهَا

أصل التأوُّب والتَّأْوِيب: سَيْر النَّهار كلّه حتّى يتّصلَ باللَّيل. وقد فَسَّر ابن الأعرابيّ قولَ النابغة؛ [الطويل]

وليس الذي يَتلو النُّجومَ بآيِبِ[1]

على أنّه من هذا لا من الأوبة الرُّجوع. والنُّصْب، من قولهم أنْصَبَه المرضُ والحُزنُ، إذا أثَّرَ فيه. قال: [الطويل]

تَعَنَّاكَ نُصْبٌ من أُمَيْمَةَ مُنْصِبُ

وقال الدُّريدي: يقال: نَصَبَهُ أيضًا. والاكتئاب: الحُزْن. والمعنى: أنّه نابَ عيني، وواظبَ عليها من السَّهرِ والكَآبة والهمّ النّاصِب، ما أثّر فيها، وعلَّقْتُ رجائي بنفسٍ غائبةٍ عنّي قد استعجمَتْ أخبارُها عليّ، فأبطأ رجوعها إليّ.

(١) هذا عجز بيت للنابغة، وصدره:

«تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ»

وقولها: «أُعلِّل نفسي بالمرجَّم غَيْبُه»، تريد: أُزَجِّي وقتي وأُرضي نفسِي بظَنٍّ مَرْجُوم وأملٍ مرجُوّ، وحديثٍ مؤلَّف، وتمنٍّ مُزَخْرَف فيما لا حقيقةَ يعتمد عليها، ولا أمارة يَتأكَّد الطَّمَع فيها. ويقال: رَجَمَ الرَّجُلُ بالغَيب، إذا تكلَّم بما لا يَعلم.

وقولها: «وكاذَبْتُها حتَّى أبانَ كِذابُها»، أي: استعملتُ ملفَّقَ الأحاديث ومُموَّهَ الأباطيلِ معها، إلى أنْ بَرِح الخَفاء، وانكشَفَ عن جليَّة الأمر الغِطاء، وتَعَلَّى رُغْوة الكذب عن مصدوقَةِ الخَبَر. والمكاذَبة تكون من اثنين، كأنَّه كان يكذِّب نفسه فتقتريهِ وتزيد عليه.

٣ ـ فَلَهفَى عليكَ ابنَ الأشَدِّ لبُهمَةٍ أفَزَّ الكُماةَ طَعنُها وضِرابُها[1]
٤ ـ مَتى يَدعُهُ الدَّاعِي إليهِ فإنَّهُ سَميعٌ إذَا الآذانُ صَمَّ جَوابُها
٥ ـ هو الأبيضُ الوَضَّاحُ لو رُمِيَتْ به ضَوَاحٍ من الرَّيَّانِ زَالَتْ هِضابُها

تتلهَّفُ على ما فاتَ عشيرتَه منه مِن حسن الدِّفاع، والثَّباتِ في وجه الشُّجاع الذي لا يُدْرَى كيف يُدْفَعَ، وأنَّى يُؤْتَى ويُقْدَعُ، وقد طَرَدَ الشُّجْعَانَ وطَرَّقهم ذُعْرًا، شِدَّةُ مُطَاعَنَتِهِ، وقُوَّةُ مُضارَبَتِهِ. وقال الخليل: أفَزَّهُ: أفزعه. واستفزُّوه: أخرَجوه من دارِه وخَدعوه حتّى ألقَوْه في الجهل. وفي القرآن: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: الآية ٧٦]. والبُهْمة تقع على الواحد والجماعة، وهاهنا هي للواحد، بدلالة قولها: «متى يَدْعُه الدَّاعِي إليه» فلم تقل إليهم، فأمّا قولها: «طعنُها وضِرابُها»، فالضَّمير جاء فيه على لفظ البُهْمَة.

ومعنى: «متَى يَدعُه الدَّاعي إليه»، أنَّه إذا دَعا الدَّاعي لمُبارَزَة هذه البُهْمة ومنازَلتِهِ، فإنَّه كانَ يَسمع ويُجِيب، في وقتٍ تستَكُّ فيه المسامع لشدَّة الأمر، وإلباس الخَوف. وجعل الصَّمَم للجواب مجازًا، وإنما تَصَمّ الآذانُ عن السَّماع فينقطعُ الجَواب.

وقولها: «هو الأبيضُ الوَضَّاح» تريد خُلوصَ النَّسَب وزَكاءَ المَنْصِب، واشتهار الذِّكر في الأفُق.

وقولها: «لو رُمِيَتْ به ضَواحٍ»، تريد: نَفَاذَه وحُسْنَ خُروجِهِ ممَّا يَدخُل فيه وشدَّةَ صَدَمَتِهِ للأمور، ولَجَاجَة في إبرامها، فيقول: لو رُمِيَتْ بِوَارِزُ هذا الجبل به لزَعْزَعَها، وهَدَّ جوانبَها.

---

(١) التبريزي: «ألهفي عليك» و«أفَزَّ الكماةَ»، وفسّره: «وأفزّ الكماة: طردهم».

٣٩٥ ـ وقالت العَوْراءُ ابنةُ سُبَيع: [مرفّل الكامل]

١ ـ أبكي لعَبْدِ اللهِ إذْ حُشَّتْ قُبَيلَ الصّبحِ نارُه
٢ ـ طَيّانَ طَاوِي الكَشْحِ لا يُرخَى لمُظْلِمَةٍ إزارُه
٣ ـ يَعْصِي البَخِيلَ إذَا أرَا دَ المَجْدَ مَخْلُوعًا عِذَارُه

تريد: أنها إذا تذكَّرَتْ حالَ المرثيّ فيما كان تَجري أمورُه عليه، ويأخُذُ نفسَه به، عاوَدَها البكاء والنَّحيب. ومعنى: «حُشَّتْ نارُه» ضُمَّ ما تفرَّقَ من الحَطَب إليها وأُوقِدت، وإنما تريدُ نارَ الضّيافة.

ومعنى: «طَيّانَ» صغير البَطْن، مهضومُ الجنبَيْنِ، قليلُ الطُّعْم. وقولها: «طاوِي الكَشْح» أي: يَمْضِي في الأمور لوَجْهِهِ لا يُعَرِّج على شيءٍ ولا يَنْثَنِي. ويقال: انْطَوَى كَشَحًا، فيصير من باب تصبَّبَ عَرَقًا. قال: [الطويل]

أخٌ قد طَوَى كَشحًا وأبَّ لِيَذْهَبا(١)

وقولها: «لا يُرْخَى لمُظلمةٍ إزارُه»، تريد: أنه إذا نابَتْه النَّوائبُ تجرَّدَ لها وفيها وهو مشمِّرُ الإزار، مقلَّص الذَّيْل، فداوَاها بدوائها، ونهض فيها نَهْضَ المقتدِر عليها، الفاصِلِ لها.

وقولُها: «يَعْصِي البخيل»، تقول: وإذا أراد اكتسابَ المجد أهانَ مالَه للفُقراء والعُفاة، وفي إصلاحِ أمرِ العشيرة، وعَصَى المُشيرَ عليه بالإمساكِ والبُخْل، فخلَعَ رِبقَةَ طاعتِهِ، وعذارَ احتشامِهِ.

٣٩٦ ـ وَقالت عاتكة بنت زيد(٢): [الرمل]

١ ـ مَنْ لِنَفْسٍ عادَها أحزانُها وَلِعَينٍ شَفَّهَا طُولُ السَّهَدْ
٢ ـ جَسَدٌ لُفِّفَ فِي أكْفَانِهِ رحمةُ اللهِ على ذاكَ الْجَسَدْ
٣ ـ فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْلًى غارِمٍ لَمْ يَدَعْهُ اللهُ يَمْشِي بِسَبَدْ

(١) للأعشى في ديوانه ١٦٥، واللسان (أبب، كشح)، وجمهرة اللغة ٥٣، وصدره:
«صرمتُ ولم أصرِمْكُمْ وكصارمٍ»

(٢) التبريزي: «ترثي عمر».

قولها: «مَنْ لنفسٍ» توجُّعٌ وتَشَكٍّ واستغاثة. وعادَها، أي: اعتادَها. قال:

عـادَ قـلبـي مـن الـلَّطـيـفـة عِـيـدُ

والمعنى: مَنْ يُؤمِنُ نفسًا ممَّا اعتادَها من الأحزان، واجتَمَعَ عليها في رُزْئِها من الأوصاب والآلام، ومَنْ لِعَيْنٍ آذاها طُولُ الأرَق، ودَوامُ السَّهَر.

وقولها: «جَسَدٌ لُفِّفَ في أكفَانِهِ» لُفِّفَ بما بعده صفة للجسَد، ورحمة الله بما بعده، اعتراضٌ بين الأوصاف، لأنَّ قولها: «فيه تفجيع» صفةٌ أيضًا. والكلام تحسُّر وتلهُّف، فتقول: رحمَ الله جَسَدًا جُهِّز بما يجهَّز به الموتى، وفُجع به مواليه الذين كانوا يعيشون في فِنائه، فإذا لَحِقَ أحدَهم غُرْمٌ وقد ضاقتْ حالُه عن احتمالِه وَسَّعَ له في جَنابِهِ، وأعانَه على دهره بمالِه. وقولها: «لم يدعهُ الله يَمْشِي بسَبَد»، تريد: أفْقَرَه فلم يُبْقِ له شيئًا. ويقال: «ما لَهُ سَبَدٌ ولا لَبَد»، فالسَّبَد: الشَّعَر، واللَّبَد: الصوف.

٣٩٧ ـ وقالت امرأةٌ من بني الحارث[1]: [الرمل]

١ ـ فـارِسٌ مـا غـادَرُوهُ مُـلْحَـمًـا ... غَـيْـرَ زُمَّـيْـلٍ ولا نِـكْـسٍ وَكَـلْ

٢ ـ لـو يَـشَـا طـارَ بـه ذو مَـيْـعَـةٍ ... لاحِـقُ الآطـالِ نَـهْـدٌ ذو خُـصَـلْ

٣ ـ غـيـرَ أنَّ الـبَـأْسَ مـنـهُ شِـيـمَـةٌ ... وصُـروفُ الـدَّهْـرِ تَـجْـري بـالأَجَـلْ

قولها: «فارسٌ ما غادروه» ما صلة، والكلام فيه تفخيمٌ لأمر المرثيّ وتعظيمٌ لشأنه. تريد: تركوا فارسًا رفيعَ المحلّ مُلْحَمًا، أي: طُعْمةً لِعَوافِي السِّبَاع والطَّير. قال: [البسيط]

قد أَلْحَمْتَني المَنَايَا السَّبْعَ والرَّخَمَا

وقولها: «غيرَ زُمَّيْل»، فالزُّمَّيْل والزمَّال والزمَّل: الضعيف، كأنّه زُمِّل في العَجز كما يُزَمَّل الرَّجُلُ في الثَّوب. وقولها: «ولا نِكْس وَكَلْ»، فالنِّكْس: المقصِّر عن غاية النَّجدة والكرامة، وأصله في السِّهام، وهو الذي انكسَرَ فجُعِل أسفلُه أعلاه، فلا يزال ضعيفًا. والوَكَل: الجَبَان الذي يتّكل على غيرِه فيضيِّع أمرَه.

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ١:٢٤٣، والخزانة ٥:٥٢٢، وأمالي ابن الشجري ١:١٨٧.

وقولها: «طارَ بهِ ذو مَيعةٍ»، حَكى الحالَ، والمراد: لو شاء أنجاهُ فرسٌ له ذو نشاط. وقال الخليل: مَيْعة الحُضْر والنَّشاط: أولُهما وجِدَّتهما. وقولها: «الاحِقُ الآطالِ»، تريد: ضامرَ الجنبَيْن. نَهْدٌ، أي: غليظٌ. ذو خُصَلٍ، أي: من الشَّعَر.

وقولها: «غيرَ أنَّ البأسَ منه شِيمة»: تقول ثبَتَ ولم يَرَ لنفسه الانقباضَ والإحجام، لأنَّ الصَّبرَ في الشِّدَّةِ والبَأسِ عادةٌ منه وطبيعة، ولأن صُرُوفَ الدَّهرِ تجري إلى النفوس بآجالها، ولكل حَيٍّ وقتٌ من يومٍ معلوم، فإذا انتهى العُمر به إلى ذلك الوقتِ انقطَعَ.

٣٩٨ ـ وقال جَريرٌ، يرثي قيسَ بن ضِرَارٍ[(١)]: [الطويل]

١ ـ وبَاكِيَةٍ من نَأْيِ قَيْسٍ وقد نَأَتْ ... بقَيْسٍ نَوَى بينٍ طَوِيلٍ بِعَادُهَا

٢ ـ أظنُّ انهِمَالَ الدَّمْعِ ليس بمُنْتَهٍ ... عن العَيْنِ حتَّى يَضْمَحِلَّ سوادُها

٣ ـ وحُقَّ لقَيْسٍ أنْ يُبَاحَ له الحِمَى ... وأنْ تُعْقَرَ الوَجْنَاءُ إنْ خَفَّ زَادُهَا

قوله: «وباكيةٍ من نَأْيِ قَيْسٍ» ألَمَّ فيه بقول الآخر: [الطويل]

وكنتُ أرَى كالمَوْتِ من بينِ ليلةٍ ... فكيفَ بِبَيْنٍ كان ميعادَه الحَشْرُ[(٢)]

فيقول: رُبَّ امرأةٍ باكية لبُعْدِ قيس عن مقرِّ عزِّه، ومَسْكَنِ فخرِهِ، ونأيُ قيسٍ الساعةَ لمُنتوًى بُعْدُه طويل. والنَّوَى: وِجهة القَوم التي ينوونها، وهي مؤنّثة. وأضاف النَّوَى إلى البَيْن ـ وهو الفِراق ـ لأن الغرضَ في تلك النَّوَى كان مفارقَة الأحياء، والتنقُّلَ إلى دار القرار، فالبَيْنُ سببُها ومقتضيها. وارتفع «بعادُها» بطويلٍ، والضمير منها يعود إلى النّوى. والواو من قوله: «وقد نأت» واو الحال.

وقوله: «أظنُّ انهمالَ الدَّمع»، يريد: أن أوقاتَ البكاء متَّصلة، وآمادَ سيلان الدُّموع غيرُ منقطِعة، والعين وشُؤونَها لا تثبت لذلك ولا تَقْوَى به، فلا شكَّ أنَّ سوادَها يَبطُل. وذلك أنَّ مسبّباتِ الأشياءِ إنما تقوى وتدومُ بقوَّةِ أسبابِها ومقتَضياتِها، فما دامَ سببُ البكاء ـ وهو الحزنُ والهلَع ـ يملِك الباكيَ ويقودُ زِمَامَه، فالدَّمع سائلٌ ذارف، وسوادُ العَيْن مُشْفٍ على البُطُول هالك.

---

(١) التبريزي: «قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة».

(٢) البيت الثالث من الحماسية رقم (٣٨٥) لسلمة الجعفيّ.

وقوله: «وحُقَّ لقَيْسٍ أنْ يُبَاحَ له الحِمَى» الأصل في الحمى الماء والكلأ، ولمَّا كان العزيزُ منهم يَسْتَبِيح الأحميةَ ويحفظُ حِمَى نفسِهِ ويمنعُ منه كلَّ أحد، وإذا قال: أحْمَيْتُ هذا المكانَ، أي: جعلته حِمًى، كان يُتَجَنَّب ويُتَحَامَى إجلالًا وخوفًا منه ـ اسْتُعِيرَ من بَعْدُ للقلب وما يمتلِك منه الحبُّ أو الحزنُ أو غيرهما وما لا يُمْتَلك منه، فيصير كأنّه حِمَى العقل، فيقول: حُقَّ لقيسٍ وللمصابِ به أن يُباحَ له من القلوب ما كان حِمًى، فلا ينزلَ به غَمٌّ، ولا يمتلكه سرور، أي حُقَّ للجَزَع به أن يبلغ من القلب حَدًّا لم يبلغْ منه شيء. وقد أخرجوا هذا المعنى في مَعارضَ لأنه معنًى صحيح حكيم شريف، فقال كُثَيِّر في الحُبِّ يصف امرأة: [الطويل]

أباحَتْ حِمًى لم يَرْعه الناس قبلها   وحَلَّتْ تِلاعًا لم تكنْ قبلُ حُلَّتِ

يريد: بلغَتْ من القلب هذا المبلغ.

وأخذَه منه عبدُ الله بن الصِّمَّة القُشَيْرِيّ، فقال: [الطويل]

فَحَلَّتْ مَحَلًّا لم يَكُنْ حَلَّ قَبْلَها   وهـانَـتْ مَـرَاقِـيـهَـا لِرَيّـا وذَلَّتِ

وأخذه أبو نُواسٍ فقال: [المنسرح]

مُـبـاحـةٌ سـاحـةُ الـقُـلوبِ لـهُ   يَـرْتَـعُ فـيـهـا أطـايِـبَ الـثَّـمَـرِ

وأخرجه على وجهٍ آخر، فقال يَنْفِي: [السريع]

بـصَـحْـنِ خَـدٍّ لـم يَـغِـضْ ماؤهُ   ولـم يـخُـضْـهُ أعْـيُـنُ الـنَّـاسِ

فنَقَلَ إلى الخدِّ وغَمَّضَ كما ترى.

وقال آخر يصف ناقة: [الرجز]

حـمـراءُ مـنـهـا ضَـخْـمَـةُ الـمـكـانِ[1]

يريد: عظيمة المكانِ من القلب، ذكره الأصمعي. يريد أنها محبّبة، وقد قيل فيه غير هذا.

وقوله: «وأن تُعْقَر الوجناءُ إن خَفَّ زادُها»، كان الواحد منهم إذا مرَّ بقبر رئيسٍ وهو في صُحْبةٍ أحبَّ أن ينوب عن المقبور في الضّيافة، فإذا لم يساعدْه من الطعام ما

---

(١) الرجز لابن ميادة في أمالي القالي ٣: ٢٠٢، ومجالس ثعلب ٥٠٦.

يَدْعو الناسَ إليه عَقَر ناقتَه، إكرامًا له؛ لذلك قال: «وأن تُعْقَر الوجناءُ إنْ خَفَّ زادُها». والوَجْناء: الناقة الصُلبة، أُخِذ من الوجهين، وهو الأرض الصُّلْبة. فمن رَوَى: «أنْ خَفَّ زادُها» بفتح الهمزة، فالمراد لأنْ خَفَّ زادُها. ومن رَوَى: «إنْ خَفَّ» بكسر الهمزة فهي للشرط. وقد اعتذر بعضُهم من ترك ذلك، فقال: [الكامل]

لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لَتَرَكْتُها تَحْبُو على العُرْقُوبِ(١)

يعني: ناقته.

وقد حكى ابنُ الأعرابي حكايةً مليحة، قال: كان رجلٌ يُواصِلُ امرأة فخرج في سفرٍ له وعاد وقد استَبْدَلَتْ به، فأتاها لِعادته، فقالت: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنَّ الماءَ بُدِّلَ حاضِرًا ... وأن شِعَابَ القَلْبِ بَعْدَكَ حُلَّتِ

فأجابها: [الطويل]

فإنْ تَكُ حُلَّتْ فالشِّعَابُ كثيرةٌ ... وقد نَهِلَتْ منها قَلُوصِي وعَلَّتِ

تمّ باب المراثي بحسنِ توفيقِ الله وجَمِيلِ صُنْعه،
وله على تواتُر نِعَمِهِ، وتتابع أياديهِ، أجْزَلُ الحمد(٢)
وبهذا يتمّ الجزء الثاني، ويليه الجزء الثالث
وأوله: باب الأدب

(١) البيت الرابع من الحماسية (٣٠٦) لحفص بن الأحنف الكناني.
(٢) روى التبريزي بعد هذه الحماسية ثلاث حماسيات، وهي:
« - وقال آخر: [الكامل]

إن المساءةَ للمسرّة موعدٌ ... أُختانِ رهنٌ للعشية أو غدِ
فإذا سمعتَ بهالكٍ فتيقّن ... أنّ السبيل سبيلُهُ وتزوّدِ

- وقال آخر يرثي أخاه: [الطويل]

أخٌ وأبٌ بَرٌّ وأمٌّ شفيقةٌ ... تفرّق في الأبرارِ ما هو جامعُهْ
سلوتُ به عن كلِّ من كان قبله ... وأذهلني عن كلّ من هو تابعُهْ

- وقال آخر يرثي ابنه:

ذهبتَ على حين أعجبتني ... وولّى الشبابُ وجاء الكِبَرْ
فإن أبكِ أبكِ على فاجعٍ ... وإن يكُ صبرٌ فمثلي صَبَرْ»

شرح ديوان الحماسة لأبي تمام

تأليف

أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

علق عليه وكتب حواشيه

غريد الشيخ

وضع فهارسه العامة

إبراهيم شمس الدين

٣

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3589-9

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بابُ الأدَب

٣٩٩ ـ قال مِسْكِينٌ الدارِمِيّ[1]: [الطويل]

١ ـ وفِتْيانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ   عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيرَ أنّي جِمَاعُهَا

قوله: «وفِتْيانِ صِدْقٍ» أضافَ الفتيانَ إلى الصِّدْق، كما يقال: فِتيانُ خير. والمعنى: أنّهم يصدُقون في الوَدّ ولا يخونون. وقال الخليل: يُقالُ: رَجُلُ سَوءٍ وإذا عَرَّفتَ قُلْتَ: الرَّجل السَّوءُ، ولم تُضِفْ، بل تجعلُه نَعْتًا. وتقول: عَمَل سَوءٍ وعَمل السَّوء، وقولُ صِدْقٍ وقول الصِّدق، ورجل صِدقٍ، ولا تَقُلْ الرَّجل الصِّدق، لأنّ الرجل ليس من الصِّدْق.

فيقولُ: رُبَّ فِتيانٍ هكذا استنامُوا إليّ واستَوْدَعُوني أسرارَهم، فكنتُ أنا نِظَامَها لا يَفُوتُني من خَبيئاتِ صُدورهم شَيْءٌ، ثمَّ أفْرَدْتُ كلّاً منهم بالوفاء له، وكتمانِ ما أوْدَعَني من سِرِّهِ، ولا أُطْلِعُ بعضَهم على ما يَسْتكتِمني البعضُ الآخَر، بل أصونُه من الإذاعة، وأحْفَظُهُ من النَّشر بالطَّيّ والصِّيانة؛ وذاك لأنَّ حِفْظَ السِّرّ يجري مَجرى أداءِ الأمانات، فهو في الدِّين والدُّنيا مأخوذٌ به ومبعوثٌ عليه. وقوله «جِمَاعُهَا» هو كما يقال نِظامٌ، لأن النِّظام اسمٌ لما يُنظَمُ به الشَّيْءُ، فهو كالوِثاق والرِّباط. وكذلك الجِماعُ: اسمٌ لما يُجْمَعُ به الشَّيْء. والضمير من جِماعُها يرجع إلى الفِتْيان، ويجوز أن يرجعَ إلى ما دَلَّ عليه الكلام من ذِكر الأسرار. وانتصب «غَيْرَ» على أنّه استثناءٌ منقطِع.

٢ ـ لِكُلِّ امرِئٍ شِعْبٌ من القَلْبِ فارِغٌ   ومَوضِعُ نَجْوَى لا يُرَامُ اطِّلاعُها

---

(١) مسكين الدارميّ: هو ربيعة بن عامر بن أُنيف الدارمي التميمي: شاعر شجاع من أشراف تميم، لُقِّبَ مسكينًا لأبيات قالها (ت ٨٩ هـ/ ٧٠٨ م)، ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٥: ٣٠٠، والشعر والشعراء ٢١٥.

٣ ـ يَظَلُّونَ شَتَّى في البِلادِ وسِرُّهُمْ إلى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجالَ انصداعُها

قوله: «لكلّ امرئٍ»، يريد: لكلّ رجلٍ منهم جانبٌ من القلب، وشِقٌّ قد فُرِّغَ له وخُصَّ بموضع سرِّه ونجواه، لا يُطْلَبُ الاطِّلاع عليه والكشف عنه، لما عُرِف من محافظتي ووفائي. والنَّجْوَى يجري على أحكام المصادر: الدَّعوى، والعَدْوَى، وألِفُه للتأنيث، ويوصفُ به الأمر المكتوم. ويقال: نَجَوْتُه فهو نجيٌّ. وقد وُصِفَ بالنَّجْوَى والنَّجِيّ الواحد والجمع. وفي القرآن: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يُوسُف: الآية ٨٠]، و﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ [الإسراء: الآية ٤٧]، و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ [المجَادلة: الآية ٧]. ويقال: تَنَاجَوْا وانْتَجَوْا.

وقوله: «يَظَلُّونَ شَتَّى في البِلاد»، يريد: أنّهم يُفارِقُونَه فتغيَّبون في أقطار الأرض، وسِرُّهُمْ مكتوم مُحصَّن، كأنّه أودِع صَخْرَةً أعْجَزَ الرجالَ صَدْعُها. ويقال: شَتَّ الأمرُ شَتًّا وشَتاتًا، وهو شَتِيتٌ وشَتٌّ، وهم أشتاتٌ وشَتَّى، فأشتاتٌ جمع شَتٌّ، وشَتَّى: جمع شَتيتٍ. ويُروى: «أعيا الجبالَ اتِّضاعُها»، والمعنى: أنّ هذه الصَّخرةَ لإشرافِها وثُبوتها في موضِعِها لو رام الجبالُ حَطَّها لأعجزها ذلك. وقوله: «إلى صخرة» أي مضمومٌ إلى صخرة، فتعلَّق إلى بفعل مضمَر دلَّ عليه الكلام.

٤٠٠ ـ وقال يحيىٰ بن زياد[1]: [الطويل]

١ ـ وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيبَ لَاحَ بياضُهُ بِمَفْرِقِ رَأْسِي قلتُ للشَّيبِ مَرْحَبَا
٢ ـ ولو خِفْتُ أَنِّي إنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أن يَتَنَكَّبَا
٣ ـ ولكن إذا ما حلَّ كُرْهٌ فسامَحَتْ به النَّفسُ يَوْمًا كان للكُرْهِ أَذْهَبَا

قوله: «لمَّا رأيتُ الشيب» لمّا عَلَمٌ للظَّرف، وهو لوقوع الشَّيء لوقوع غيره. وجوابه: «قلتُ للشَّيب مَرْحَبًا»، وكان الواجب أن يقول: قلتُ له مَرْحَبًا ولكنَّهم يكرِّرون الأعلامَ وأسماءَ الأجناس كثيرًا، والقَصد بالتَّكرير التَّفخيم، والمعنى: لمَّا وجَدت الشَّيْبَ اشتَعَل رأسِي ببياضه، طيَّبتُ نفسي بطُلوعه وقلتُ له: أتيتَ رُحبًا وسَعَةً. وقولُه: «مَرْحَبًا» انْتَصَبَ على المصدر. ويقال: رَحُبَتْ بلادُكَ رُحبًا ورَحَابَةً.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٨١).

وحُكي: رَحِبَتْ بلادُك بكسر الحاء تَرْحَبُ رُحْبًا. والرَّحْبَةُ والرَّحَبَة، واحدٌ وهما ساحةُ المسجدِ.

وقوله: «ولو خِفْتُ»، يريد: بخِفْت رجَوْت، وهم يَضَعُون كلّ واحدٍ من الرّجاء والخَوْفِ موضعَ الآخر، ألا ترى قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ [النبأ: الآية ٢٧]، أي: لا يخافون. وقول الآخر، وهو الهذَليّ: «يَرجُونَ لَسْعَهُ»[1]، يعني: النّحل، فيقول: لو رجوتُ أنّي إذا تكرّهتُ الشَّيْب وتسخَّطتُه، وكفَفت عن إظهار الرّضا به والسُّرورِ لطَلْعَتِهِ فارقَني وانحَرَفَ عنّي، لَرُمْتُ ذلك، ولكنْ إذا حلّ ما يكرهه فطاوعَتْ نفسُه به، وتلقّاه بالصَّبر عليه، كانَ ذلك أعْوَنَ على زَوال الكَراهة فيه، وإلّا اجتمعَ وجهانِ مما يشُقّ نُزُولُه به، واغتمامُه له. وقوله: «فسامَحَتْ به النَّفس»، أي: ساهَلَتْ. ومنه قيل: عُودٌ سَمْحٌ، أي لا أُبَنَ فيه. ومما يَجْري مَجْرَى المَثَل: «إذا لم تجد عِزًّا فسمِّحْ»، أي: لِنْ وهِنْ. وقولُه: «كان للكُرْهِ أذْهَبَا» كان الحُكْمُ أن يقول أشدّ إذهابًا، لأنّ الفعل منه ليس بثلاثيّ. ولكنْ على طريقة سيبَويه يجيء أن يُبْنَى فِعل التعجُّب مما كان على أفْعَلَ أيضًا، وإن كان البابُ على الثُّلاثيّ. وقد يمكن أن يقال: إنّما قال «أذْهَبَا» على حذف الزّوائد؛ ألَا ترى قولَه: [الطويل]

فإنّا وَجَدْنَا العِرْضَ أَفْقَرَ ساعةً إلى الصَّوْنِ من بُرْدٍ يمانٍ مُسَهَّمِ[2]

والفعل لم يجىءْ إلّا افْتَقَر، فكأنّه نَوَى حذفَ الزّوائد وردّه إلى فَقُر، وعليه جاء «فقيرٌ» وإن لم يُسْتعمَل الفعل.

وقوله: «ولكن إذا» لكنْ جاء في هذا المكان لتَرك قِصَّةٍ إلى قصَّةٍ، وهي إذا جاءتْ عاطفةً كانت لاستدراكٍ بعد النَّفي. وجواب «لو» في قوله: لو خِفْتُ «رُمْت أن يتنكّبا»، وجواب إذا من قوله: «إذا ما حَلّ كرهٌ»: «كان للكُره أذْهَبَا». ويومًا انتصَبَ على الظَّرف، والعامل فيه حَلّ، واسم كانَ ما دلّ عليه قولُه سامحت، كأنّه قال: كانَ المسامحةُ أذهَبَ للكره.

---

(١) هذا قطعة من بيت لأبي ذؤيب الهذليّ، وهو: [الطويل]
إذا لسعته النحلُ لم يرجُ لسعها وخالفها في بيتِ نوبٍ عواسلُ

(٢) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ١٢١، واللسان (كثر، سهم، صون)، والمخصص (سهم وصون).

٤٠١ ـ وقال المرّار بن سعيد[١]: [الطويل]

١ ـ إذا شِئْتَ يَوْمًا أنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فبالحِلْمِ سُدْ لا بالتَّسَرُّعِ والشَّتْمِ

٢ ـ ولَلْحِلْمُ خَيْرٌ فاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً مِنَ الجَهْلِ إلّا أنْ تَشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

جواب، وقوله: «إذا شئت» قوله: فبالحلم. والمعنى: أنَّ السِّيادة لها آلاتٌ، وإليها مَرَاقٍ ودرجات، فمَنْ أتاها من وَجْهِهَا ومأتاهما تَمَّتْ له؛ وذاك أنَّ منها استعمالَ الحِلْم، وتركَ التعجُّل، وكَظْمَ الغيظِ، وتسهيلَ الجانبِ، والاحتمالَ في النَّفْس والمال والجاه، إلى غير ذلك ممَّا يَطولُ ذِكْرُه. فمَنْ صبَرَ في طلب الرِّياسة وحُصول سيادةِ العشيرة، على هذه الخصال، فهو حقيقٌ بإدراكها، فإنْ أخَذَ يُخَشِّنُ جانبَه ويقطِّب وجهه، ويغلِّظ كلامَه، ويوسِّعُ غَيْظَه ويُفَظِّظ قلبَه، ويعجِّل الطَّاعةَ له، نفرت العشيرةُ منه، وبانوا عنه؛ لذلك قال مَنْ قال: [المتقارب]

فإنْ كنتَ سيِّدَنا سُدْتَنا وإنْ كنتَ للخالِ فاذْهَبْ فَخَلْ[٢]

وقوله: «ولَلحِلْم خيرٌ فاعلَمنَّ مغبّةً» انتصب مغبّةً على التمييز. وقوله: «فاعلمنَّ» حَشْوٌ، فإنْ قيل: كيف اختِيرَ هذا البيتُ بهذا الحَشو، والمتكلّمُ إذا استَعمَل في كلامِهِ مع المخاطب اعلَمْ واسمَعْ وما يجري مجراهما، عُدّ ذلك منه عِيًّا؟ قلتَ: إنَّ هذه اللَّفظةَ في هذا المكان مُحتاجٌ إليها في عُمدةِ المعنى المقصود، وإنَّ ما أشَرْتَ إليه إنَّما يكون زوائدَ وفُضولًا لا يُحتاج إليه، فإذا وَصَل المتكلّم بها كلامَه مستعينًا بها عُدَّ منه خَطَلًا وعَيًّا، وهو في هذا المكانِ وصّاه بالفِكْر فيما أورده والتبيُّنِ له، وبمعرفةِ الحِلْم ووقتِه حتَّى يَدْرِيَ كيف يأخذُ به، فقولُه: فاعلمنّ، فاعرفنّ، ومفعوله محذوف، والمراد: فاعلمنّ الحِلْمَ ومغَبّتَه، فأطلَقَ. رجع فيما أشار به مطلقًا، واستثنى في كلامه فقال: إلّا أن تَنْفِرَ من ظُلْم يَرْكبُك، وهضيمةٍ تَنالُكَ؛ فإنَّ الجهلَ في ذلك الوقتِ أرجحُ في الاختيار من الحِلْم، إذ كان صَدْمُ الشَّرِّ بالشَّرِّ أقرب، ودفعُ الجهلِ بالجهلِ أحلَم. ويقال: غَبَّت الأمور، إذا صارتْ إلى أواخرها. وإنَّ لهذا الأمرِ لَمَغَبَّةً محمودة، أي: عاقبة. وقوله: «تَشَمَّسَ»، يقال: إنّه لَذُو شِمَاسٍ شديد، إذا كان عَسِرًا، وشَمَس لي فلانٌ إذا تنكّرَ وهمَّ بالشّرّ.

---

(١) المرار الفقعسي: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وكان يهاجي المسور بن هند. ترجمته في المرزباني ص ٤٠٨، والشعر والشعراء ٦٨٠.

(٢) البيت الرابع من الحماسية رقم (٦٧).

٤٠٢ ـ وقال عِصَامُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ[١]: [البسيط]

١ ـ أَبْلِغْ أبا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً وَفِي العِتَابِ حياةٌ بينَ أقوامِ

٢ ـ أَدْخَلْتَ قَبْلِيَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمُ في الحقِّ أنْ يَدْخُلُوا الأبوابَ قُدَّامِي

قوله: «مغَلْغلة»، أي: رسالةٌ يُغلغِلها إلى صاحبها، وهو من قولهم: تغلغل الماءُ، إذا دخَلَ بين الأشجار، وغلغلتُه أنَا. وقال الدُّريديُّ: الغَلغلة: دُخول الشيء في الشيء. وقال الخليل: الغَلغلة: سُرعة السَّيْر. يقال: تَغَلْغَلوا ومَضَوْا، ورسالةٌ مُغَلْغَلة: محمولة من بلدٍ إلى بلد. وقوله: «وفي العِتاب حياةٌ بينَ أقوام» اعتراضٌ، وقد مرَّ القول في فائدة الاعتراضات. والمعنى: أنَّهم ما داموا يتعاتَبُون فإنَّ نيَّاتِهم تُعاوِد الصَّلاحَ وتُرَاجِعه، وإذا ارتفع العتابُ من بينهم انطوتْ صدورُهم عن الإحَن والضغائن، وظهَرَ الشَّرُّ على صَفَحات أقوالهم وأفعالهم، فاهتاجَت الحَمِيّات، وأنتجت مِن سُوء عقائدهم البَليّات. وفي طريقته قال أبو تَمّام: [الكامل]

إنَّ الدَّمَ المُغْتَرَّ يحرسُهُ الدَّمُ[٢]

وقال غيره: «القَتْلُ أَقَلُّ للقَتْل». فأمّا قولُ الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: الآية ١٧٩]، فإنَّ بلاغَة القرآنِ لا تُدانيها بلاغَةٌ، وكلّ كلامٍ وإن علا ينحطُّ دونه. والرِّسالة قولُه: أدْخَلْتَ قبليَ قومًا. والمعنى: أنَّك قَدَّمْتَ عَلَيَّ في الإذن والدُّخول قومًا لم يكن من حقِّهم أنْ يتقدّموا عليَّ إذا ورَدْنا الأبواب، ولا بَلَغَتْ من محالِّهم ورُتَبهم أنْ تُرْفَع على ما يُقْسم لي في مجالس الكِبار. وقوله: «أنْ يَدْخلوا الأبوابَ» حقُّه عند سيبويه أن يقال: أنْ يَدْخُلوا في الأبواب، يجعلُه مما يتعدّى في الأصل بحرف الجرّ ثم يُحذف الجارُّ من اللفظ تخفيفًا. ومسألة الكتاب: دخَلْتُ البيتَ. وغيرهُ يذهب إلى أنه مما يتعدّى تارةً بنفسه وتارة بحرف الجرّ، وفي أنّهم يقولون: دخلت في الأمر فيُعدّى بفي لا غير، وأنّ ضدّه وهو خرجت يتعدّى بحرف الجر، بَيَانٌ لصِحّة قولِ سيبويه.

٣ ـ لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كنتُ أكرمَهُمْ مَيتًا وأبعَدَهُمْ مِن منزِلِ الذَّامِ

---

(١) التبريزي: «عصام بن عبيد الزِّمّاني»، وروى الجاحظ الأبيات في البيان ٢: ٣١٦، و٣: ٣٠٢، ونسبها إلى همام الرقاشي.

(٢) لأبي تمام في ديوانه ٢٧٤ وصدره:

«وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم»

٤ ـ فقَدْ جَعَلْتُ إذا ما حاجتي نَزَلَتْ ببابِ دَارِك أَذْلُوهَا بأقوامِ

قوله: «لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ»، المراد به والأصل فيه: لو عُدّت القبورُ قبرًا قبرًا، إلّا أنّه اختصر الكلامَ وحذَفَ القبورَ ورَفَعَ قبرًا على أن يقوم مقامَ الفاعل، فلما رفعه وأزالَهُ عن سَنَنِ الحالِ في نحو قولهم: بِعْتُ الشَّاءَ شاةً شاة، وقبَضْتُ المالَ دِرْهمًا درهمًا، وصُمْت رمضان يومًا يومًا، ردَّ حرفَ العطف، وإنما قلتُ هذا لأنّه من مواضع العطف، لكنّهم اتّسَعُوا في الحال لعلم المخاطب. وقال سيبويه: إنّ الغالب على هذا البابِ كلّه أن يكون انتصابه من إحدى الجهتين: الحالِ أو الظّرف؛ لأنّ الاتّساع منهم على هذا الحدّ والجواز لم يكنْ إلّا فيهما. والظَّرْفُ كقوله: لقيتُه يومَ يومَ، وصباحَ مساءَ، وما جانسهما. قال: والإفراد في هذا الباب لا يجوز حمايةً على المعنى الذى يتضمّنه التّكرار.

وإنْ قيل: هل يجوز على ما بيَّنتَ: لو عُدَّت القبورُ قبر وقبر، على البدل، وكذلك بُيّن حسابُه باب وباب؟ قلتَ: لا يجوز ذلك؛ لأن القصدَ والغرضَ من الكلام، وقد أُجْرِيَ على ما تقدَّم، التفصيلُ والتتابع، ومن الإبدال على ما ذكرتَ لا يتبيَّن ذلك. ومع ذِكر القبور يُحْذَف الواو من الاسمين المترجِمين عن الحال بعدَه، لا يجوز بعتُ الشاء شاةً وشاةً؛ فكذلك هذا، على أن بابَي الحالِ والظَّرف يَحتملان من التوسُّع ما يَضِيق عنه أكثرُ أبواب الإعراب ويَعجِز، وإذا كان كذلك لم يجزْ تجاوزُهما بالاتّساع فيهما إلى غيرهما؛ ألَا ترى أنه لو قال: لو عُدَّ قبرانِ كنتُ أكرمَهما مَيْتًا، لم يجُزْ، ولم يتبيَّن منه ذلك المعنى، وإن كان المعطوف والمعطوف عليه إذا قلت: جاءني رجلٌ ورجلٌ بمثابة جاءني رجلان.

ومعنى البيت: لو عُدَّتِ القُبورُ مُنَوَّعةً مفصَّلة ـ وإنّما يعني أسلافَ مَن قُدِّمَ عليه في الإذن والدُّخول خؤولةً وعمومة ـ لكنتُ أكرمَهم أبًا، وأشرفَهم بيوتًا، فكنَى عن البيت والمَنصِب بقوله: «وأبعدَهم من منزل الذّام»، أي: من منزل العَيب؛ لأنّ الذّامَ والذّمّ بمعنًى. يقال: ذامَه يَذيمُه، كما يقال: ذَمَّهُ يذُمُّه، وحيث يحصُل العيبُ يحصُل الذّمُّ، أُظْهِرَ أو لم يُظْهَرْ.

وقوله: «فقد جَعَلْتُ إذا ما حاجَتي نَزَلَتْ»، يريد بجعَلْت: طَفِقْت وأقبلت. يقال: جَعَلَ يفعل كذا. والمعنى: أنّي قَعدتُ عنك وتركتُ زيارتَك، وإذا اتّفق ما لا بدَّ لي منك ومن مَعُونتك من حاجةٍ أو عارضِ سببٍ فإنّي معتمدٌ على غيري في التنجّز

والاستسعاف. ومعنى: «أدلوها» من قولك: دلَوْت الدَّلْوَ، إذا أخرجتَها من البئر، أي) أتسبَّب بغيري، وأصونُ من التبذُّل عِرْضِي.

٤٠٣ ـ وقال شَبيبُ بن البَرْصَاء(١): [الطويل]

١ ـ وإنِّـي لَتَـرَّاكُ الـضَّـغِـيـنَـةِ قَـدْ بَـدَا ثَرَاهَـا مِنَ المَوْلَى فَمَـا أَسْتَثِيرُهَا(٢)

٢ ـ مَـخَـافَـةَ أنْ تَـجْـنِـي عَـلَيَّ وَإِنَّـمَـا يَهِيجُ كَـبِـيراتِ الأُمُـورِ صـغـيـرُهـا

يقول: إنِّي أصابرُ مُوَالِيّ وأحتملُ أَذَاهُمْ، وأعفِّي على فَرَطاتهم ما وجدتُ سبيلًا إلى الصَّبر، فأتركُ ضَغَائنهم تبدو أوائلُها، وتَظهر مَخايِلها، ولا أكشِفُ عنها ولا أطلب ثَوَرَانَها، مخافةَ أنْ يَسْتفحِلَ الشَّرُّ ويرجعَ الصَّغيرُ منه كبيرًا، وسهلُه عسيرًا؛ فإنّ أوائلَ الأمور كلُّها ضعيفةٌ ضيِّقة، فإذا اتّفقَ لها مَن يَهِيجُها ويَزيد في موادِّها قويَتْ واتّسعتْ. والتَّرَّاك: بناء المبالغة، وهو الكثير التَّرك للشَّيء، وليس هو باسم الفاعل من تَرَك. والضَّغِينة والضَّغَن والضِّغْن واحد، وهي الحقد والعَداوة. ويقال: ضَغِنَ عليَّ واضطَغَن. وقال الخليل: الضِّغن في الدَّابّة: عَسَرهُ والتواؤه، ودابّةٌ ضَغِنَةٌ، إذا نَزَعَتْ إلى وطنِها. والثَّرَى: النَّدَى، والفعل منه ثَرِي. والمراد به هاهنا ما يُسْتَدَلُّ به على كامن الحِقْد. ويقال: ثار الأرنبُ من موضِعِها، واستَثَرْتُها أنا.

وقوله: «مخافةَ» انتصَبَ على أنّه مفعول له، و«أن تَجْنِيَ» في موضع المفعول منها، وقد أضافها إليه. وقوله: «صغيرها» يراد به الكَثْرة، أي صغائرها.

٣ ـ لَعَـمْـرِي لَقَـدْ أَشْـرَفْـتُ يَـوْمَ عُـنَـيْـزَةٍ على رَغْـبَـةٍ لـو شَـدَّ نَفْـسِي مَرِيرُهـا

٤ ـ تَـبَـيَّـنَ أعـقـابُ الأُمُـورِ إذا مَـضَـتْ وتُـقْـبِـلُ أشـبـاهًـا عَـلَيْـكَ صُـدُورُهـا

قوله: «على رغبة»، أي: على مرغوب فيه، كأنّه كان ظَهَرَ له من الفُرَص في صاحبه ما لَو انتَهَزَها ولم يَغْفُل عنها لكان فيها الاشتفاءُ منه، ودَرَكُ المطلوب في بابه، فلمَّا لَمْ يَفعلْ وأصرَّ صاحبُه على مَسَاءته أخذ يتحسَّر. وقوله: «لو شَدَّ نفسي مريرُها»، يريد: لو قَوّى نفسي عَزِيمُها، وحصيفُ رأيِها. والمَرير: المُمَرّ المحكم، ووُصِفَ

---

(١) شبيب بن يزيد بن جمرة المريّ، والبرصاء أمّه، شاعر إسلامي بدويّ من شعراء الدولة الأموية كان يهاجي عقيل بن علفة. ترجمته في الأغاني ١٢: ٣١٦ (دار الكتب العلمية).

(٢) التبريزي: «فلا أستثيرها».

الحبل به لذلك، ويقال: استمرَّ مريرُ فلانٍ، إذا استحكَمَ رأيُه واستحصَفَ. وعُنيزة: مَوْضع(١).

وقوله: «تَبَيَّنُ أعقابُ الأمور إذا مضت» مثلُه قول القطاميّ: [الطويل]

ولا يَعْلَمُ الغيب امرؤٌ قبل ما يَرَى ... ولا الأمْرُ حَتَّى تَسْتَبِينَ دوابِرُه

وأكشَفُ منه قولُ حُميدِ بن ثَوْر: [الطويل]

أُشَبِّهُ غِبَّ الأمْرِ ما دَامَ مُقْبِلًا ... ولكنَّما تِبْيَانُهُ في التَّدَبُّرِ(٢)

وأعقاب الأمور: أواخرها. ويروى: «تبيّنُ أدبار الأمور إذا انقضتْ»، يُراد به تَتَبيّنُ. وانتصَبَ «أشباهًا» على الحال.

٥ ـ إذا افْتَخَرَتْ سَعْدُ بنُ ذُبْيَانَ لم تَجِدْ ... سِوَى ما ابْتَنَيْنَا ما يَعُدُّ فَخُورُها

٦ ـ ألَمْ تَرَ أنَّا نُورُ قَوٍّ وإنَّما ... يُبَيِّنُ في الظَّلْمَاءِ للناسِ نورُها(٣)

يقول: مَفاخِرُ سعدٍ ومَباني مكارمها على ما أسَّسه قديمُنا، وعَمَّره حديثُنا، فمتى استُعْرِضَتِ المساعِي في منافرة الخُصوم لم تجدْ بنو سعدٍ ما يعتمده فَخُورُها، ويُكاثِر به خَصِيمُها، إلّا ما شيَّدناه على مرِّ الأيام، وتعاقُب الأحوال. فقوله: «سوى ما ابتنينا» استثناء مقدَّم. و«ما» يعدُّ في موضع مفعول لم تجد.

وقوله: «ألم تَرَ» تقرير لمن تصوَّره مخاطَبًا، فيقول: أمَا علمت أنّا لأهلِ قوٍّ(٤) بمنزلة النُّور للأبصار، فهم بنا يهتدون، وبمعالنا يقتدون، ولمراسمنا يقتفرون، وبسنار رأينا يستضيئون، ولولا ذلك لكانوا يتوقَّفون في مَرَاشدهم فلا يَقْضُون، ويتحيَّرون في آرائهم فلا يَمْضُون، كما أن الناسَ لولا ما يُمِدُّ به النورُ أبصارَهم في رَواكدِ الظُّلَم حتى يتبيَّنوا المرئيَّات، ويتميَّزوا أشباحَ المدركات على حقائقها، لوقَفوا حَيارَى لا يتقدّمون ولا يتأخَّرون.

ومفعول «يُبَيِّن» محذوف، والضمير من نُورُها يعود إلى الظَّلماء لما كان يتعقَّبها، وهم يُضِيفون الشيءَ إلى الشيءِ لأدنى تناسُب بينهما.

---

(١) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة (معجم البلدان ٤: ١٦٣).

(٢) البيت ليس في ديوانه.

(٣) التبريزي: «نور قومٍ».

(٤) قوّ: موضع، وهو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة.

٤٠٤ ـ وقال مَعْن بن أَوْس[١]: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرُكَ ما أَدرِي وإنِّي لأَوْجَلُ ... على أَيِّنا تَغدُو المنِيَّةُ أَوَّلُ

«لعمرك» مبتدأ، وخبره مضمر، وفيه معنى القسم، وقد تقصِّيَ القول فيه. وقوله «إنّي لأوْجَلُ» مما جاء فيه أفْعَلُ ولا فَعْلاءَ له، كأنَّهم استغنَوا عن وَجْلاء بوَجْلةٍ، ويقال: وَجِلتُ أَوْجَلُ وآجَلُ وَجَلًا، وهو وَجِل وأَوْجَلُ، وقلبي من كذا أَوْجَلُ وأَوْجَر، بمعنًى. ويروى: «تَغْدُو المنيَّة» و«تغدو» ومعناهما ظاهر. وأوّلُ، بُنِي على الضّمّ، كما فُعِلَ ذلك بقَبْلُ وبَعْدُ، وذاكَ أنّه لمّا كان أصله أفعلَ الذي يتمُّ بمن، وأُضيف مِن بعد، وجُعل الإضافةُ فيه بدلًا مِن مَنْ، والمضاف إليه من تمامه ثم حَذف المضاف إليه لعِلم المخاطَب به، وجُعل في نفسه غايةً، وكان معرفةً كما كان قبلُ وبعد كذلك وجَبَ أن يُبْنَى كما بُنيا، وموضعه نصبٌ على الظَّرْف. ومعنى البيت: وبقائك ما أعلم أيُّنا يكون المقدَّمَ في عَدْوِ الموت عليه، وانتهاء الأجل إليه، وإنِّي لخائفٌ مترقِّب، فموضع «على أيِّنا» نصب لأنّه مفعول ما أدري، والذي لا يدريه هو مقتضَى هذا السُّؤال، وقوله: «إنّي لأوجل» اعتراض.

٢ ـ وإنِّي أَخُوكَ الدَّائِمُ العَهْدِ لم أَحُلْ ... إنَ ابْزَاكَ خَصْمٌ أو نَبا بِكَ مَنْزِلُ[٢]

٣ ـ أُحارِبُ مَنْ حاربتَ مِن ذِي عداوةٍ ... وأَحْبِسُ مالي إن غَرِمتَ فَأَعْقِلُ

يقول: إنّي وَدِيدُك الذي يدومُ عهدُه، ويتَّصل على تقلُّب الأحوالِ وتبدُّلِ الأبدال، ولا يَحُول إن تطاوَلَ عليك خصم، أو بطَشَ بك عدوّ، أو ضاق عنك منزل، فاحتجتَ إلى التحوُّل عنه والاستبدال به. وقال الخليل: يقال: أَبْزَيْتُ بفلانٍ، إذا بَطَشْتَ به وقَهرتَه. وحكى الدُّريديُّ: بَزَاه يبزوه بزوًا، إذا قهَرَه. وأنشد: [البسيط]

جارِي ومولايَ لا يُبْزَى حريمُهُما ... وصاحبي من دَواء السِّرّ مُصْطَحَبُ[٣]

ويُبْزَى يكون مستقبَل بُزِيَ وأُبزِيَ جميعًا، والله أعلم. ويجوز أن يكون أبزى منقولًا بالألف عن بَزِي يَبْزَى بَزًى فهو أَبْزَى، وامرأة بَزْواء؛ وهو دُخول الظهر

---

(١) معن بن أوس بن زياد المزني: شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة. (ت ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م). ترجمته في جمهرة الأنساب ١٩١، والأغاني ١٠: ١٥٦.

(٢) التبريزي: «لم أخن».

(٣) بلا نسبة في اللسان (صحب، بزا)، وجمهرة اللغة ٢٨٠، وتاج العروس (بزا، صحب)، وفي اللسان: «السوء مصطخب».

وخُروج البَطْن. ويكون المعنى: إن خَفَض منك خَصْمٌ، أو طأطأ من إشرافك عَدُوٌّ، وحمَّلك من الثِّقل ما يَبْزَى له ظهرُك، فلا تُطيق الثَّباتَ تحته، والنهوض به.

وقوله: «أحاربُ مَنْ حاربْتَ» هو تفسيرُ دوامِ عهده وثبات وِدِّه. والمعنى: تحدُني ذَابًا عنك واقعًا معك، أرصد الشَّرَّ لأعدائك، وأدافعهم دونك، وإن أصابك غُرْمٌ حَبَسْتُ مالي عليك، واحتملت فيه الثِّقل عنك. وكان الواجب أن يقول: فأعْقِلُ عنك، لأنه يقال عَقَلْتُه إذا أعطيتَ دِيَتَه، وعقلتُ عنه إذا غرمت ما لَزِمَه في ديته. وقال الخليل: الغُرْم لزوم نائبةٍ في مالٍ من غير جناية. والمالُ إذا أُطلق يراد به الإبل. ويجوز أن يكون معنى **فأعْقِلُ**: أشدُّها بعُقُلِها بفنائك، لتَدفعها في غَرامَتِك.

٤ ـ كأنَّك تَشْفِي منكَ داءَ مَسَاءَتِي وسُخْطِي وما في رَيْثَتِي ما تَعجَّلُ[(١)]

قوله: «مساءتي» يريد مساءتَك إليَّ، وكذلك «سُخْطي» يريد سُخطَك عليَّ، فأفاضهما إلى المفعول. ويُقال: مساءة ومسائِيَة. والسُّخط والسَّخَط لغتان، ومثله السُّقْم والسَّقَم، والعُدْم والعَدَم، وهو نقيضُ الرِّضا. ويقال: سخِطْتُه وتسخَّطته، إذا لم تَرْضَ به، وإن كان في التفعُّل فضلُ تكلُّف. ومعنى البيت: أنك تستمرُّ في إساءتك إليَّ وسُخْطِك عليَّ، حتى كأنَّ بك داءً ذاكَ شفاؤه، وما تطلبُه من عَجَلتي لا تجدُه في بطئي، أي ما تقدِّره يَتعجَّلُ لك من المكاشَفة بيني وبينك، واستثارةِ الحِقد الكامنِ فيك، لا يحصُل لك منِّي متباطئًا أيضًا. والمعنى: أنِّي أصابرُك وأتركُك على مداجاتك.

٥ ـ وإنْ سُؤْتَني يَوْمًا صَفَحْتُ إلى غَدٍ ليُعْقِبَ يَوْمًا منك آخَرُ مُقْبِلُ

٦ ـ ستَقْطَعُ في الدُّنيا إذا ما قطعْتَني يمينَك فانظُرْ أيَّ كَفٍّ تبدَّلُ[(٢)]

قوله: «وإنْ سُؤْتَني يومًا» يقال: سُؤْت فلانًا، وسوْت له وجهَه مَساءةً ومسائِيَة. والمعنى: أنِّي لا أؤاخِذك بما يَظهر من مَساءتك، بل أقابلُه بصفحٍ جميلٍ عنك، انتظارًا لفيئةٍ تَظهرُ منك في مُقْتَبلِ أمرك، ومراجعةٍ تعفي على قبيحِك، فإن لم يتَّفِق منك عُقْبَى حسنةٌ تُنسِي زَلَّاتك، بل تُتابع بين مسبِّبات القطيعةِ وموجِباتها بما تُظهرهُ من الجَفاء والعُقوق فيما يجمعني وإياك، فإنك تقطعُ أخًا هو في مُظاهرتِك، والانطواءِ

---

(١) التبريزي: «وما في ريبتي».
(٢) قبل هذا البيت عند التبريزي:
«وإني على أشياءَ منكَ تريبني قديمًا لذو صفحٍ على ذاك مجملُ»

على مساعدتك، والدُّخول تحت طاعتك في كلّ ما يعِنُ ويعرض لك، بمنزلةِ يَدِكَ اليمنى، فانظُرْ مِن بَعْدُ مَن تعتاضُ منه، وعلى مَن تعوّل إذا صارمته. وانتصب «أيَّ كَفٍّ» بـ«تبَدّل». وقوله: «ليعقِبَ يومًا منك آخر»، يجوز أن يكون مِن قولهم أعقب هذا ذاك، أي صار مكانَه، ويكون المعنى: ليصيرَ مكانَ يومٍ من أيّامك مذمومٍ يومٌ آخرُ منها مقبلٌ محمود، وهذا حسن. ويجوز أن يكون أعقَبَ غيرَ متعدٍّ، ويكون من أعقب الأمرُ عُقْبانًا وعُقْبَى، أي صار له عاقبة. ويرتفع «آخرُ» بيُعقب، ويكون قوله يومًا منك ظرفًا. والمعنى: ليصير ما يُقبل من أمرِك يومًا ذا عاقبةٍ محمودة. ويجوز أن يكون من أُعْقِبَ فلانٌ عِزًّا، أي أُبدِل، ويكون المعنى: ليُعْقِبَنا يومًا منك محمودًا أمرٌ آخرُ مؤتَنَفٌ. ورأيت من يرويه: «ليَعْقُبَ يومًا منك آخَرُ» بفتح الياء، ويكون من قولهم عَقَبَ فلانٌ فلانًا إذا خلَفه، وهما عَقيبان، وقد اعتقَبا وتعاقَبا. ويكون المعنى: ليَخلُفَ يومًا منك يومٌ آخرُ مقبِل.

٧ ـ وفي النـاسِ إن رثَّـتْ حبـالُكَ واصِـلٌ ... وفي الأرضِ عَنْ دار القِلَى مُتَحَوَّلُ

٨ ـ إذا أنـتَ لـم تُـنْـصِـفْ أخاكَ وجـدتَـهُ ... على شَرَف الـهِجْرَانِ إنْ كان يَعْقِلُ

٩ ـ ويـركَـبُ حَدَّ السَّيفِ مِنْ أن تَضِـيمَـهُ ... إذا لم يَكُنْ عن شَفْرَةِ السَّيفِ مَزْحَلُ

قوله: «وفي الناس إن رثَّتْ حبالُك واصل» إظهارٌ للزُّهد في وِداده إذا لم يستقمْ معه. ويقال: رثَّ الثَّوب يَرِثُّ رُثُوثًا ورَثاثةً. وقال أبو زيدٍ وأبو عبيدة: رَثَّ المَتاعُ وأَرَثَّ جميعًا. وأنشد لعَدِي: [الطويل]

أرَثَّ جـديـدُ الـوَصْـلِ مـن أُمِّ مَـعْـبَـدِ(١)

وفي طريقة ما قالَه قولُ لبيد: [الكامل]

واحْبُ المُجامِلَ بالجَزيلِ وصُرْمُهُ ... بـاقٍ إذَا ضَـلَـعَـتْ وَزاغَ قِـوامُـهـا

وقولُ أوس: [الطويل]

وإنْ قالَ لي ماذا ترى يستشيرني ... يَجِدْني ابنَ عَمٍّ مِخْلَطَ الأمرِ مِزْيَلَا(٢)

---

(١) بلا نسبة في المخصص ٩: ١٧٣، وأساس البلاغة (عقب)، ولدريد بن الصمة في ديوانه ٥٧، واللسان (رثث)، والأصمعيات ص ١٠٦، وجمهرة أشعار العرب ٥٨٧. وعجزه:

«بـعـاقـبـةٍ وأخـلـفَـتْ كـلَّ مـوعـدِ»

(٢) لأوس بن حجر في ديوانه ص ٨٢، وتاج العروس (خلط)، ومقاييس اللغة ٢: ٢٠٩.

فيقول: إذا رغبتَ عن مواصلتي، وتَقَطَّعَت حبالُ الوُدِّ بيني وبينَك ففي الناس واصلٌ غيرُك، وإذا نَبَا بي جِوارُك، وضاقَ عنّي أرضُك وديارُك ففي جوانب الأرض سَعة ومَزحل عنك، سيَّما والتحوُّل عن دار البُغض والنُبُوّ لي عادةٌ أعتادُها، وسُنَّةٌ أسيرُها ولا أعْدِلُ عنها. واعلم أنَّك إذا لم تُعْطِ أخاكَ النَّصَفة ولم توفِّرْ حقوقَه متوخّيًا المعدِلة، ولم يوجبْ له عليك مِثلَ ما تُوجِبه لنفسك عليه، ألفيتَه هاجرًا لك، مشارقًا قطيعتَك، مُسْتَبْدِلًا بك وبمؤاخاتك إن كانت به مُسْكَةٌ، أو يمتلكه عقلٌ ومعرفة، ثم لا يُبالي أن يركب من الأمور ما يقطِّعه تقطيعَ حدِّ السيف ويؤثِّر تأثيرَه فيه، مخافةَ أن يَدخلَ عليه ضَيْمٌ، أو يلحَقه عارٌ واهتضام، متى لم يجد عن رُكوبه مَبْعَدًا ومَعْدِلًا. وكما قال هذا «دار القِلَى» قال غيره: [الكامل]

دارُ الـهَـوانِ لـمـن رآهـا دارَه[1]

وقوله: «مِنْ أن تضيمه» معناه بدلًا من أن تضيمَه. ويجوز أن يريدَ بركوب السَّيْف الصَّبْرَ على الحربِ والموت. وشفرة السَّيف: حدُّه. والشُّفير: حرفُ كلِّ شيءٍ منه.

١٠ ـ وكنتُ إذا ما صاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي ... وبَدَّل سُوءًا بالذي كُنتُ أفعَلُ

١١ ـ قَلَبْتُ لَهُ ظَهرَ المِجَنِّ فلم أَدُمْ ... على ذاكَ إلَّا رَيْثَ ما أَتَحَوَّلُ

١٢ ـ إذا انصَرَفَتْ نَفْسِي عن الشَّيءِ لم تكَدْ ... إليه بوجْهٍ آخِرَ الدَّهرِ تُقبِلُ

يقول: وإذا رأيتُ صاحبي يتجنَّى عليَّ ويتجرَّم، ويتطلَّب عليَّ ما يُنتج ظِنَّةً ويولِّدُ تُهْمَة، وطفِقَ يقبِّح آثاري، ويبدِّل حسناتي، اتَّخذتُه عدوًّا، وقلبتُ له ظَهرَ التُرس متَّقيًا منه، ومُدَفِّعًا له، ولم أدُمْ على تلك الحال المتقدِّمَة مَعَهُ إلّا قدرَ ما أتحوّل، وبُطْءَ ما أتنقَّل. فقوله: «رَامَ ظِنَّتي»، أي: رامَ ارتفاع التُّهْمَة عليَّ. وقوله: «بالذي كُنْتُ أفعل»، أي: أفعلُه، فحذف الضَّميرَ استطالةً لصِلة الذي.

وقوله: «إذا انصرفَتْ نَفْسي»، يريد: أنّي نفَسَ التصبُّر ما أمكن، فإذا أعجزَتْني الحالُ العارضةُ عن الاحتمال انصرفتُ مالكًا عِناني، ثم لا يَثنيني على ما أعرضت عنه شيءٌ أبَدَ الدَّهر. وقوله: «بوجهٍ» الباءُ تعلّق بقوله: تُقْبل، أي لم تكدْ تُقبِل إليه بوجهٍ من الوجوه، وعلى لونٍ من الألوان.

---

(١) لعبد قيس بن خفاف البرجمي في المفضلية (١١٦)، وحماسة البحتري ١٧٩، وعجزه:
«أفراحل عنها كمن لم يرحل»

٤٠٥ ـ وقال عَمرو بن قَمِيئة[١]: [المنسرح]

١ ـ يا لَهفَ نَفسِي على الشَّباب ولم أَفْقِدْ بِهِ إذْ فَقَدْتُه أَمَمَا

٢ ـ إذْ أَسْحَبُ الرَّيْطَ والمُروطَ إلى أَدْنَى تِجارِي وأَنْفُضُ اللِّمَمَا

٣ ـ لا تَغْبِطِ المرءَ أنْ يُقالَ لَهُ أَضْحَى فلانٌ لِعُمْرِهِ حَكَمَا[٢]

٤ ـ إنْ سَرَّهُ طولُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ أَضْحَى على الوَجْهِ طُولُ ما سَلِمَا

يتحسَّر على ما فاته من الشَّباب وحُسْن أيَّامه، ونَضارة العَيْش به، فقال: يا حسرةَ نفسي على متقضّي الشَّباب ومتولّيه، فإنَّ ما فاتني منه لم أفارقْ به أمرًا قريبًا، وشيئًا هيِّنًا، لكنِّي فقدت به صِحَّة بدني، ورَوْعَةَ وجهي، وطيبَ عَيْشي، وقُوَّةَ رُوحي، حين كنت أجُرُّ رَيطتي (وهو الإزار الذي ليس بملفَّق) ومُروطي (وهو جمع مِرْط، وهو مِلْحَفَةٌ يُؤْتَزَر بها) إلى أقرب الخَمَّارين إليَّ، وأَنْفُضُ شَعْر رأسي إعجابًا به، واستحسانًا له، وطربًا يُداخِلُني في جميع أسبابي معه. ثمّ قال مُزْرِيًا بالشَّيْب وبما يكتسِبه المَرْءُ إذا علاه مِن أكبار النَّاس له، وتقديمِهم في المجالس إيَّاه، ومن الرُّجوع إلى قولِهِ، واستشارتِهِم فيما يعِنُّ من الخطوبِ رأيَه، فقال: لا تَغبطنَّ الرَّجلَ ولا تَرْمُقنَّ ولا تَجْعَلَنَّ مُحَسَّدًا إذا قِيلَ فيه: صار فلان حَكَمًا في عشيرتِهِ لكثرة تجاربه، وامتدادِ عُمْره، ودوام مُزاوَلته للأمور، واتِّصال لقائه للنَّاس وممارسته لهم وفيهم؛ لأنَّه إن سَرَّه امتداد عُمْره، وتنفُّسُ عَيْشِه فلقد ظَهَر في نَفسه من ضعفٍ وانحناء، وعلى وجهِه من ذُبولٍ وسُهوم إلى غيرِها مما يدلُّ على طولِ سَلامتِهِ التي هي الدَّاءُ الذي لا دواءَ له. ومثل هذا قول الشاعر: [الطويل]

وحَسْبُكَ داءً أنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا[٣]

وقول الآخر: [الكامل]

فدَعَوْتُ رَبِّي بالسَّلامة جاهِدًا لِيُصِحَّني فإذا السَّلامةُ داءُ[٤]

---

(١) عمرو بن قميئة: شاعر جاهلي مقدّم، أقام في الحيرة مدة وخرج مع امرئ القيس في توجّهه نحو قيصر. (ت نحو ٨٥ ق.هـ/ ٥٤٠ م). ترجمته في الأغاني ١٦: ١٥٨، والشعر والشعراء ١٤١، وابن سلام ٣٧.

(٢) التبريزي: «أمسى فلانٌ لسنّه».

(٣) لحميد بن ثور الهلالي في ديوانه ٧، والبيان ١: ١٥٣، والحيوان ٦: ٥٠٣، وصدره:
«أرى بصري قد رابني بعد صحة»

(٤) البيت لأحد شعراء الجاهلية في الكامل ١٢٥ (ليبسك)، وبلا نسبة عند التبريزي ٢: ٦٩٩.

وقوله: «أن يقال له»، أراد: لا يُغْبَط لأنْ يقال له، ومن أجل أن يُقال له. وقوله: «أدنى تجارِي»[١] إظهارٌ لغُلوِّه في سِباءِ الخمر وسَرفِهِ، ثم تبجُّحٌ بإضافتهم إلى نفسه.

٤٠٦ ـ وقال إياسُ بن القائف: [الطويل]

١ ـ يُقِيمُ الرِّجالُ الأغنياءُ بأرضِهِمْ وتَرْمِي النَّوَى بالمُقْتِرِينَ المَرَامِيَا[٢]

يفضّل الغِنَى على الفَقْر ويبعثُه على طلبِهِ وارتياده، فقال: تَرى المُوسِرين يتودَّعون، وتطول إقامتُهم في دُورهم وأَرَضيهم يُمتَّعون، والفقراءُ تراهم ترتمِي بهم البُلدان النّائية، وتَقْذِف النَّوَى بهم المَقاذِف البعيدة، والمهالكَ المُستصعَبة، فلا يهدؤون ولا يَقَرُّون. والنَّوى: وِجهةُ القوم التي يَنْوُونَها. والمَرامي: جمع مَرمًى، وهو المكانُ لا غَيْرُ هُنَا، لأنّه قابَلَ الأغنياء بالمُقْتِرين، وأرضَ الأغنياءِ بمرامى الفُقراء، لأنّهم لا تَذُوبهم دارٌ أبدًا، فمجالُ تَسيارِهم لكَسْبهم وتصرُّفهم كذُور أولٰئك لهم. ومَفْعَلٌ يكون اسمًا للحدَثِ، وزَمانِهِ، ومكانِه.

٢ ـ فأكْرِمْ أخاكَ الدَّهرَ ما دُمْتَما مَعًا كَفَى بالمَمَاتِ فُرقَةً وتنائِيا

٣ ـ إذا زُرْتُ أَرْضًا بعد طُولِ اجتنابِها فَقَدْتُ صديقِي والبلادُ كما هِيَا

يقول: أحْسِنْ صُحْبة أخيك وصاحبِك، وتناوَلْه بالإكرام طُولَ الدَّهرِ ومُدَّةَ العمر، فإن المنايا كفَتْك مفرِّقةً ومبعِّدة. وقوله: «الدَّهْرَ» انتصب على الظرف، وما دمتما انتصب على أنه بدل من الدَّهر. وانتصب «معًا» على أنّه خبر ما دمتما. ومعنى ما دُمْتما مَعًا: مدَّةَ بقائِكما ودوامِكما مجتمِعَين. وقوله: «كفَى بالمنايا» موضع بالمنايا رفعٌ على أنّه فاعلُ كَفَى. وانتَصَب «فُرْقَةً» على التمييز، أو يكون في موضع الحال؛ كأنّه قال: كفى بفُرقة المنايا فُرقةً. والتقدير: كفى فُرْقَةً بالمنايا مِن فُرقةٍ، أو كفَى المنايا مفرِّقة ومتنائية.

وقوله: «إذا زُرْتُ أرضًا بعد طُول اجتنابها»، هذا الكلام توجُّعٌ وتشكٍّ من نوائب الدهر. يقول: أرى الإخوانَ تَخترِمُهم المنايا فهم يَتفاقَدون، وبلادُهم وأُروضهم على ما كانت عليه، فمتى زُرْتُ مكانًا بَعْد طول العهد به وجدتُ أصدقائي مفقودين،

---

(١) هذه الكلمة وردت في البيت الثاني، وهو يفسّرها هنا.

(٢) التبريزي: «تُقيم الرجالُ».

وأماكنهم كما كانت. وقد تقدَّم القول في إعراب «كما هِيَا[١]». وقوله: صديقِي، يُرادُ به الكثرةُ لا الواحد.

٤٠٧ ـ وقال ربيعةُ بن مَقْروم[٢]: [الوافر]

١ ـ وكَمْ مِن حامِلٍ لي ضَبَّ ضِغْنٍ ... بَعِيدٍ قَلْبُهُ حلْوِ اللِّسانِ

٢ ـ ولو أَنّي أشاءُ نَقَمْتُ منه ... بِشَغْبٍ أو لِسانٍ تَيِّحَانِ

كم لفظةٌ وُضِعَتْ للتَّكثير، كما أن رُبَّ وُضِعَ للتَّقليل، إلّا أنّه اسم ورُبَّ حرف وله موضعان: الاستفهام، والخبر، وهو من باب الخبر هنا. والضَّبّ: الحِقْد. قال: [الوافر]

فَما زَالَتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْني ... وتُخْرِجُ مِنْ مَكامِنِها ضِبابي[٣]

وأضافه إلى الضِّغْن لأنّ الضِّغن العَسَر، فكأنّه حِقْدُ عَسَرٍ ولَجاجٍ، فيقول: كثيرٌ من الرِّجال يحملون لي الضَّغائن، ويُسِرُّون لي البغضاء، وقد حلا مَنْطِقُهم لي جَرْيًا على سُنَّتهم في المداجاة، وبَعُدَ قلبهم منّي استمرارًا في طريق الشَّنآن لي والمعاداة، ولو شِئْت لانتقمتُ منه بالفعل أو بالقول، فإن لساني عِرّيضٌ ويَدِي عالية، يتأتّى له مكافأةُ كلِّ النّاس على مقدار فعلِهِ، وبمثل ما ينطوي لي من خيرٍ أو شرٍّ. ويقال: نَقَمت عليه أي أنكرت عليه فِعْله، ونَقَمت منه بمعنى انتقمت، ونَقَم ونَقِم لغتان. والتَّيِّحان لا يُكسر ياؤه، وقد مضى القولُ فيه[٤].

٣ ـ ولكِنّي وَصَلْتُ الحبلَ منّي ... مُواصَلَةً بِحَبلِ أبي بَيَانِ

٤ ـ وضَمْرَةَ إنّ ضَمْرَةَ خَيْرُ جارٍ ... عَلِقْتُ لَهُ بأسبابٍ مِتَانِ

٥ ـ هِجَانُ الحَيِّ كالذَّهَبِ المُصَفَّى ... صَبِيحَةَ دِيمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِ

قوله: «ولكنّي وَصَلْتُ الحبل منّي»، يقول: أبقَيت على من يعاديني ولم أعَجِّل مؤاخذتَه بإساءته وإصراره وتماديه فيما أكرهه ولجاجِهِ، لأنّي قد واصلتُ أبا بيانٍ

---

(١) انظر الحماسية رقم (٦٢).

(٢) التبريزي: «ابن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة، أبو هلال: مقروم هو ابن جابر بن خالد». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٩).

(٣) لكُثَيِّر في ديوانه ٢٨٠، وأساس البلاغة (رقي)، والحيوان ٤: ٢٥٠، وسمط اللآلي ٦٢.

(٤) انظر الحماسية (١٨).

وعَلَّقتُ حَبْلي بحبله؛ وكذلك احتَشَمْتُ ضَمْرَةَ لأنه خيرُ جارٍ، وقد استحكمَتْ بيني وبينه أواصرُ حفظُها عن القطيعة واجبٌ، ولأن العِصَم المَتينة التي تجمعُنا تُلزِمني الوقوفَ فيما يكرهانِهِ، وتَركَ ما لا يؤمنني استيحاشَهما، وهما مع ذلك كرامُ الحيّ لا غائلة لهما، ولا شُبْهَةَ في مصافاتِهما وحُسْن عقيدتهما، فما وُدُّها إلّا كإبريز الذَّهَب المصفًّى، وما يَظهر من مَعادن الذَّهب صبيحةَ مَطْرَةٍ تكشف عن عُروق الذَّهب، فيجتنيه المُجتنون، أي يلتقطه الملتقِطون. وهذا الذي وَصَفه يقال إنّها تكثُر في نواحي اليَمَن واليمامة، وتسمَّى تلك المعادن معادن اللَّقط، فإذا مُطِرتْ وانكشَفت الهَبَوات والغُبار عن وُجوه حجارتها يظهَرُ من عروق الذهب في صفائحها مثلُ ما وصفه أو أحسن.

وقوله: «هِجانُ الحيّ» ارتفَعَ على أنّه خبر مبدأ محذوف؛ كأنّه قال: هم هِجان الحيّ. وهِجَانٌ جَمْعٌ، وواحدة هِجَانٌ أيضًا، لأنّ فعيلًا وفِعَالًا يشتركان في الجمع كثيرًا؛ فهِجَانٌ جاء من هِجَانٍ واحدًا كظِراف من ظريف. وقوله: «كالذَّهب» في موضع الحال، وكذلك قوله: «يَجْنيهِ جان» حال من الذَّهب المصفّى. وقوله: «مواصلةً» يجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال، أي مُواصلًا، ويجوز أن يكون موضوعًا موضعَ صِلةٍ فيكونَ مصدرًا من غير لفظه، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح: الآية ١٧]، وقوله: «يجنيه جان» وضَعه موضعَ يَلقطه.

٤٠٨ ـ وقال سَلْمُ بنُ ربيعة[١]:

١ ـ إنّ شِـــوَاءَ ونَـــشْـــوَةَ	وخَـبَـبَ الـبَـازِلِ الأَمُـونِ
٢ ـ يُجَشِّمُها المَرْءُ في الهَوَى	مَسافَةَ الغائطِ البَطِينِ
٣ ـ والبِيضَ يَرْفُلْنَ كالدُّمَى	في الرَّيْطِ والمُذْهَبِ المَصُونِ
٤ ـ والكُثْرَ والخَفْضَ آمِنًا	وشِرَعَ المِزْهَرِ الحَنُونِ
٥ ـ مِن لَذَّة العَيْشِ والفَتَى	للدَّهرِ والدَّهرُ ذُو فُنونِ
٦ ـ واليُسْر كالعُسْر والغِنَى	كالعُدْمِ والحَيُّ لِلمَنُونِ[٢]

(١) التبريزي: «سُلمِيّ بن ربيعة»، وقد وردت ترجمته في الحماسية رقم (١٧٩)...

(٢) بعد هذا البيت عند التبريزي بيتان آخران:

«أهلكن طَمْسًا وبعده	غَذِيّ بَهْم وذا جُدُونِ»
وأهلَ جاشٍ ومارِبٍ	وحيّ لقمانَ والتُّقُونِ»

هذه المقطوعة خارجةٌ عن البحور التي وضعها الخليل بن أحمد، وأقرب ما يقال فيها أنها تجيء على السادس من البسيط، وليس هذا موضعًا لبسط الكلام فيه.

والنَّشوة: الخَمْر والسُّكر. والخَبَبُ والخَبِب: ضَرْبٌ من السَّيْر. والبازِلُ: التي قد استَكْمَل لها تِسْعُ سنين فتناهى قُوَّتُها. والأَمُون: الموثَّقَةُ الخَلْقِ. وخبر إنّ في قوله: «من لذَّة العيش».

وقوله: «يُجْشِمُها المَرْءُ» من صفة البازل، والمعنى: يكلِّفها صاحبُها قَطْعَ المسافةِ البعيدة فيما يهواه. والمَسَافة مأخوذةٌ من السَّوف، وهو الشَّمّ. وكان الدَّليلُ إذا اشتبَهَ عليه الطَّريق يفعلُ ذلك. والغائطُ: المطمئنُّ من الأرض. والبَطِين: الواسع الغامض.

وقوله: «والبِيض يَرْفُلْنَ كالدُّمَى»، يعني به النّساء. ويَرْفُلْن: يَتَبَخْتَرن في الرِّيْطِ، وهي المُلاءة الواسعة. والمُذْهَبُ المَصُون: يُراد به الثِّياب الفاخرة المطرَّزة بالذَّهب. وتَعَلّق في من قوله: «في الرِّيط» بيَرْفُلن، وكالدُّمَى في موضع الحال. والمعنى: والنِّساء البيضَ يتبختَرنَ في المَصونات من الثِّياب الكريماتِ وهنَّ مُشبِهاتٌ للصُّوَر.

والكُثر انعطَفَ على البيض، كما أنّ البِيض انعطف على «وخَبَبَ البازِل الأَمُون». والمراد بالكُثرِ كثرةُ المالِ ومساعدةُ الحال، وضِدُّه القُلُّ. وقال الخليل: كُثر الشَّيْءِ: أكثَرُه، وكذلك قُلُّه أقلُّه. والخَفْض: التَّودُّع. وانتصب «آمِنًا» على الحال، وانعطف «وشِرَعَ» على الخفض، فيقول: إنَّ لذَّات الدُّنيا من مأكولٍ ومشروب وملبوسٍ ومركوب، وقد استعمَلَه صاحبُه فيما يهواه، وكَلَّفَهُ قَطْعَ المسافاتِ فيما تدعوه إليه نفسُه، والنِّساءَ البيضَ بالصِّفة التي ذَكَرها، والغِنى والرَّاحةَ في الأمن والملاهِي، جميعَ ذلك مِن لذَّة العيش. وقوله: «وشِرَع المِزهر» أي الأوتار، واحِدُها شِرْعَةٌ. والمِزْهَر: العُود. والحَنُون: يُريد به الصَّيِّتَ مِن الحنين، فكأنّه أشار إلى المِزْهَر منقورًا يَنْقُره المُلْهِي. فانظُرْ فإنّه جَمَع كلَّ ما يتلذّ به النَّفْس، وجعلَها تامَّةً بما قَرَن به من حال الأَمْن، لأنّ جميعَ ذلك إذا عَرِي من الأَمْن لم يُسْتَطب ولم يُسْتَمْرأ.

ثم قال: «والفَتَى للدَّهرِ والدَّهرُ ذو فنونِ»، الواو واو الحال، وذو فنونٍ أيْ ضروبٍ. يريد: أنّ كلَّ ذلك مما يلتذُّ العائش به، لكنّ الفَتى مُهَدَّفٌ للدّهر، والدّهر ذو تاراتٍ: كما يَهَبُ يرتجِع، وكما يُسَلِّم يُعِلّ، وكما يُوَدِّع يُتْعِب، وكما يُصَفِّي

يكدِّر. وبعد ذلك قال:

واليُسْرُ كالعُسْرِ والغِنَى كالعُدْمِ والحيُّ للمَنُونِ

يريد: أنّ شيئًا من هذه الأحوال لا يدومُ إلّا ريثَ ما يُسلَّط عليه القواطعُ والمغيِّرات، فاليَسَار إذا حَصَل كالإعسار، في أنّ واحدًا منهما لا يبقَى، وغِنَى النفس كفقرها، ثم انتهاءُ كلِّ ذلك للحيّ منّا إلى المَوْتِ الذي لا غايةَ وراءه، وليس يُتَخلَّص منه بحيلةٍ تَنْفُذ، أو رويّة تُعْمَل.

٤٠٩ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ وأنتَ امرُؤٌ إمّا ائتمنتُكَ خَالِيًا فَخُنْتَ وإمّا قُلْتَ قَولًا بلا عِلْمِ

٢ ـ فأنتَ مِنَ الأمرِ الذي كان بَيْنَنَا بمنزلةٍ بينَ الخيانةِ والإثْمِ

يقول: أنت رجلٌ إمّا وثِقْتُ بك في شيءٍ يُحتاج إلى أداء الأمانة فيه، وقد خلَوْت معك وأظهرت السُّكونَ إليك فخنتَني، وإمّا أستَنِيمُ إلى ناحيتك في الخير فكذَبتَ عليّ، وخبَّرت بما لا علمَ لك به، فأنت ممّا بيني وبينك واقفٌ في محلٍّ بَيْنَ الخيانة فيما ائْتُمِنْتَ فيه. والإثم فيما رجَعَ إليك في الكشف عنه. وقوله: «ائتمنتك» هو افتعل من الأمانة، ولك أن تخفّف الهمزة وتُبْدِلَ منها ياء، ولك أن تعوِّض من الهمزة تاءً فتُدْغِمَهُ في التاءِ التي بعدها، فتقول: اتَّمَنْتُكَ. وخَالِيًا انتصَبَ على الحال، وذو الحال يجوز أن يكون الشّاعرَ. والمعنى: جعلتُك موضعًا للأمانةِ وقد خلوتُ بك لئلّا يتجاوَزَنا السِّرُّ الذي أودعتُك. ويجوز أن يكون حالًا للمخاطَب، والمعنى منفردًا.

وروي أنّ رجلًا أتى عُبيد الله بن زيادٍ(٢) فأخبرَه أنّ عبدَ الله بن همّامٍ السَّلوليّ سَبَّهُ وأسرف جِهارًا، لا حِشْمَةَ تَرْدَعُه، ولا رِقْبَةَ تمنعُه، فأرسل عُبيدُ الله إلى ابن همامٍ واستحضَرَه ليقابلَه بالرَّجل، ويَتَبَيَّنَ مِن حضورهما صِحَّةَ الخبر، فأتاه ابن همَّامٍ، فلما استقرَّ به المجلسُ، قال عُبيدُ الله: يا ابنَ همام، إنّ هذا يَزعُم أنّك قلتَ كذا وكذا، فأقبلَ ابنُ همام على الرجُل وخاطبَه بقوله: «أنتَ امرؤٌ إمّا ائتمنتُك خاليًا»... البيتين.

---

(١) التبريزي: «هو عبد الله بن همّام السّلولي، من بني مرّة بن صعصعة من قيس عيلان، وبنو مرّة يُعرفون ببني سلول، وسلول أمهم، وهي بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة».

(٢) عند التبريزي: «إلى زياد بن أبي سفيان».

فإن قيل: ما موضعُ «إمّا ائتمنتُك» من الإعراب؟ قلت: هو في موضع الرَّفْع على أن يكون صفةً لامرئ. وإمَّا هذه هي التي تُعَدّ في حروف العطف، والكلام خبرٌ. يريد: أنتَ رجلٌ لا تخلو مما تَصُكّ به وجهي من أحد الأمرين الذين أذكُرهما، فهو كما تقول: أنت رجلٌ إمّا صالحٌ وإمّا طالح. وقوله: «فخُنْتَ» انعطف على ائتمنتك؛ كأنّه قال: أنت رجلٌ إمّا مؤتَمَن فخائنٌ، وإمّا قائلٌ قولًا لا عِلْمَ لك به. وقوله: «وإمَّا» الواو هي العاطفة. وإمّا كأَوْ في أنه لأحد الأمرين، إلّا أنّ «أوْ» يُبْنَى الكلامُ فيه على اليقين، ثم يَعْتَرِض ما يخرُج به عنه؛ و«إمَّا» يُبْنَى الكلام فيه على عين اليقين. ولهذا الذي قُلناه قال حُذّاقُ أصحابنا: إنّه ليسَ من حروف العطف، وكيف يكونُ منها وهو يجيءُ قبلَ ما يُعْطَف عليهن أو مع حَرف العطف، تقول: رأيتُ إمّا زَيْدًا وإمّا عَمْرًا، فإمّا الأولى سابقٌ المعطوفَ عليه وهو زيد، وإمّا الثانية معها الواو العاطفة.

وقوله: «فأنتَ من الأمر الذي كان بيننا» مبتدأٌ وخبره «بمنزلة»، وبينَ الخيانة صفةٌ للمنزلة. والمعنى: أنت مِمَّا بيننا في موقف يُشفي بك إمّا على الخيانة فيما ائتُمِنْتَ فيه، وإمّا على الإثم فيما تُسْتَشْهَدُ فيه، فتقولُ بما لا عِلْمَ لك به.

٤١٠ ـ وقال شَبيبُ بنُ البَرصاءِ[1]: [الطويل]

١ ـ قلتُ لِغَلّاقٍ بِعِرْنَانَ ما تَرَى ... فما كادَ لي عن ظَهْرِ واضحةٍ يُبْدِي

عِرْنانُ: اسمُ وادٍ[2]. وقوله: «عَنْ ظهر واضحة»، يجوز أن يريد عن ظهر خَصلة بيِّنة، والمراد: لمّا استشرتُه وقد حصَلْنا بعِرنان ارتَبَكَ فلم يكدْ يَكْشِف لي عمَّا يصح المرادُ به، ويمكن الاعتمادُ عليه. ويجوز أن يريد بالواضحة: السِّنّ. والمعنى: لم يكَدْ يتهلّلُ أو يكشِف عن أسنانه به ضاحكًا أو كاشرًا، ويكون استعمال الواضحة كما قال طرَفة: [السريع]

كلُّ خليلٍ كنتُ هادتُه ... لا تَرَكَ اللهُ له واضِحَهْ[3]

وقوله: «تبسَّمَ كَرْهًا» يدلُّ على الوجه الثاني.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٠٣).
(٢) عرنان: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٤: ١١١.
(٣) لطرفة بن العبد في ديوانه ١٥، ومجمع الأمثال ١: ٣١٧، وديوان الأدب ٣: ٢٣١.

٢ ـ تبسَّمَ كَرْهًا واستَبَنْتُ الذي به من الحَزَنِ البادِي ومن شِدَّةِ الوَجْدِ
٣ ـ إذا المَرْء أعْرَاهُ الصديقُ بَدَا لَهُ بأرضِ الأعادِي بعضُ ألوانِها الرُّبْدِ

انتصب كَرْهًا على أنه مصدرٌ في موضع الحال، يقول: بَسَمَ لي كارهًا فتبيَّنْت الذي به من حُزْنٍ ظهَرَ عليه، ومن وَجْدٍ استكنَّ في قلبه. ويقال: استبنْت وتبيَّنْت بمعنًى واحد. وبَسَمَ وابتسم وتبسَّم بمعنًى واحد، إلّا أنّ في تبسَّم زيادةَ معنى التكلّف، كأنه تكلّف منه ما تكلّف على كراهية.

وقوله: «إذَا المَرْءُ أعراه الصديق»، يريد به: إذا الرجُل خَذَله صديقُه وقَعَد عن نُصرته، وتَرَكه بالعَراء، في أرضِ الأعداء، بدا لَهُ من ألوان الأرض إذا اسودَّت بعضُها. وهذا التفصيل والتبعيض دلَّ على أنَّ اسودادَ الأرض يكون من وجوهٍ عِدَّة، وللحالة التي أشار إليها ما يختصُّ بها، ويجب أن يكون أشدَّها، وهذا لأنَّ ما يَرِد على النّفس من المكاره مَراتبُ، فاسوِداد الأرضِ عليه لها على حسَبِ مقاديرِها في أنفُسها.

٤١١ ـ وقال سالم بن وابِصَة[١]: [الطويل]

١ ـ أُحِبُّ الفتَى يَنْفِي الفواحِشَ سَمْعُه كأنّ به عن كلِّ فاحشةٍ وَقْرَا
٢ ـ سَلِيمُ دَوَاعِي الصَّدْرِ لا باسطٌ أَذًى ولا مانعٌ خَيرًا ولا قائلٌ هُجْرًا[٢]

يقول: أُحِبُّ من أخلاق الفتى أن يكون متكرِّمًا إذا طرقَ أُذنَه ذِكْرُ الفواحش، فلا يَعِيها ولا يجعلها من نفسه ببالٍ، حتى كأنّ به صَمَمًا عن أنواع الفواحِش كلها.

وقوله: «سَلِيمُ دَوَاعِي الصّدر»، ارتفع سليمُ لأنه خبر مبتدإٍ محذوف، كأنّه قال: هو سليم، ويكون ما بعدَه صفاتٍ له. ويريد بالدّواعي ما يتعلق بالأغيار منه لا ما يخصُّه في نفسه؛ ألَا تَرَى أنه فسَّره بقوله: «لا باسطٌ أذًى ولا مانعٌ خيرًا ولا قائلٌ هُجْرَا»، وكلُّ ذلك للغَيْرِ لا للنّفس. ويَكْشِفُ هذا أنّه إذا بَسَطَ أسبابَ الأذى عادَ الضّرر منها على المتأذِّي لا عليه. وإذا مَنَعَ خيرَه كذلك عاد الضّرر على المنتفِع به، وعلى هذا إذا قال هُجْرًا. والهُجْر: الفُحْش. ويقال: أهْجَرَ الرجُل، إذا أَتَى به، وقد

(١) التبريزي: «سالم بن وابصة الأسدي»، وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٢٤٤).
(٢) التبريزي: «سليمَ، لا باسطًا، ولا مانعًا، ولا قائلًا»، وقال: «لك أن تنصب (سليمَ دواعي الصدر) مع ما بعده فيكون في موضع الحال، وما يتبعه صفات له».

كان من فلانٍ هاجرةٌ؛ على ذلك قوله: [الوافر]

إذا مـا شِـيـتَ نـالَكَ هـاجِـرَاتِـي[١]

ولك أن تنصِبَ «سليمَ» بما بعده، فيكون في موضع الحال، وما يتبعه صفات له، وهو لا باسطًا أذًى ولا مانِعًا خَيْرًا ولا قائلًا هُجْرًا.

٣ ـ إذا مـا أَتَـتْ مِـن صـاحِـبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَـكُـنْ أَنْـتَ مُـحْـتَـالًا لِزَلَّتِهِ عُـذْرَا[٢]

٤ ـ غِنَى النَّفْسِ ما يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عادَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرَا[٣]

يقول واعظًا ومُهذِّبًا: إذا اتَّفقَتْ من صديقٍ لك زَلَّةٌ، أو وُقوفٌ موقفَ تُهمة، فحسِّنْ أمره في ذلك واحمله على ضُروبٍ ممَّا يَبْسُطُ عُذْرَهُ فيه، بل كُنْ أنتَ المحتالَ لعُذْرِهِ، فلا تُحْوِجْه إلى تكلُّف الاعتذار.

وقوله: «غِنَى النَّفس ما يكفيك من سَدِّ حاجةٍ»، يقول: خُذْ من دنياك ما تسدُّ به فقرَك، فإنَّ غِنَى النفس ما يمضَن الكفاية، فإن زاد قليلًا عاد ذلك بزيادتك فيه الفقر، وذاك أنَّ الدواعيَ إنما تكثُر وتتوسَّع بتوسُّعِ الأسبابِ وكثرتِها، وما يَفضُل عن الكفاية يمتُّ كلُّ جزءٍ منه بمَاتَّةِ صاحِبه فلا يكاد يَكتفي ببعضه إلا وما عَدَاهُ يَمُتُّ بمثل ماتَّتِهِ. وإذا صار الأمر على ذلك، فكلُّ منزلةٍ ينتهي إليها طلبُ الفَضل تدعوه إلى ما فوقَها، فيبقَى أبدًا مُتعَبًا فقيرًا. وقوله: «فإن زادَ شيئًا» انتصَبَ شيئًا على المصدر؛ لأنَّه واقعٌ موقعَ زيادة. وزاد هاهنا بمعنى ازداد، فلا يتعدَّى، وانتصب فقرًا على الحال.

٤١٢ ـ وقال آخر[٤]: [الطويل]

١ ـ وكَـمْ مِـنْ لَئِـيـمٍ وَدَّ أنِّـي شَـتَـمْـتُـه وإِنْ كـانَ شَتْمِي فيه صَابٌ وَعَلْقَمُ

---

(١) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٦٤، وأساس البلاغة (هجر، قذع)، وبلا نسبة في اللسان (هجر). وعجزه:

«ولـم أُعـمِـلْ بـهـنَّ إلـيـكَ سـاقـي»

(٢) قبله عند التبريزي:

«إذا شـئـتَ أن تُـدعـى كـريـمًـا مُـكَـرَّمًـا أديـبًـا ظـريـفًـا عـاقـلاً مـاجـدًا حُـرًّا»

(٣) التبريزي: «من سدِّ خَلَّةٍ».

(٤) التبريزي: «وقال المؤمّل بن أُمَيْلٍ المحاربيّ». والمؤمّل: شاعرَ جاهلي من أهل الكوفة، أدرك العصر الأموي واشتهر في العصر العباسي وكان فيه من رجال الجيش، عَمِيَ في أواخر عمره (ت نحو ١٩٠ هـ/ ٨٠٥ م). ترجمته في نكت الهميان ص٢٩٩، وتاريخ بغداد ١٣: ١٧٧، والأغاني ١٩: ١٤٧.

٢ ـ ولَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّئيمِ تكرُّمًا أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

اللّئيم: الذي اجتمَعَ فيه خصالٌ مذمومةٌ في نفسه وأبويه، فيقول: كم من رجل دنيّ النفسِ والأصلِ، يتمنّى أن أَتَّخذه نظيرًا لي أُكايِله وزنًا بوزن، وأُكافيه لفظًا بلفظ، وإن كان في هَجْوي له وشتمِي إيَّاه ما يَجري مَجرَى الصَّاب والعَلقم في المرارة. والصَّابُ: شجرةٌ لها لبنٌ فإذا إصابَ العينَ حَلَبَها. والعَلقم: الحنظَل. وقال الخليل: يقال: عَلْقَمَ الحنظلُ، إذا اشتدَّت مرارته.

ثم قال: لَإمساكي عن مُشاتَمة اللِّئام آخِذًا بالكَرم، أَصْوَنُ لعِرْضِي، وأَعْوَدُ عليهم بالضَّررِ من كلّ ذمٍّ وهَجْو. وانتصب «تكرُّمًا» على أنَّه مصدرٌ في موضع الحال، أي متكرِّمًا، ويجوز أن يكون مفعولًا له، أي للتكرُّم.

٤١٣ ـ وقال عَقِيلُ بنُ عُلَّفَةَ(١): [الطويل]

١ ـ وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فكُنْ في ثِيَابِهِ كَلِبْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا

٢ ـ وكُنْ أَكْيَسَ الكَيْسَى إذا كُنْتَ فِيهِمُ وإنْ كُنْتَ فِي الحَمْقَى فكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

ذِكْرُ الأثواب مثَل، وإنَّما يُريد تلوُّنَ الدَّهر بأهله، وتصرُّفَه بأحداثه وتاراته وغِيَرِهِ. واللِّبْسَةُ: اسمُ حالة اللّابس، أي: البَسْ ثيابه لبستَه مُجِدًّا أو مُخْلِقًا، وإنْ أَجَدَّ أوْ أَخْلَقَ؛ لأنَّ الحالَ يتضمن معنى الجزاء. والقصدُ إلى توصيَة المخاطَب بأن يطلبَ موافقةَ النَّاس في دهرهم، ويتخلَّقَ بأخلاقهم. ومعنى أجَدَّ: جعَلَ ثوبَه جديدًا. وكذلك أَخْلَقَ الثَّوْبُ نفسُه فهو مُخْلِق؛ وهذا أشهَرُ مِنَ الأوَّل. وقد قيل في الدُّعاء لِلَابِس الجديد: «أَبْلِ وَأَجْدِدْ»، يراد به فِعْلُ مثلِهِ في المستأنف، واتِّصالُ عمره. وقد صَرَّح عن المعنى فيما بَعْدَهُ؛ لأنه قال: وكُنْ أَكْيَسَ الكَيْسَى إذا كنتَ فيهم، والمعنى: تميَّسْ مع الأكياس، بل اجتهدْ أن تفوقَهم في كَيْسهم وإن ابتليت بحَمْقَى فتحامَقْ معهم. وقوله: «كُنْ أنتَ» أنتَ توكيدٌ للمضمر في كُنْ. و«أحمقا» يجوز ألّا يريد به أَفْعَلَ الذي يتمُّ بمِنْ ويكون المعنى تحامَقْ. ويجوز أن يكون أفعَلَ الذي يتمُّ بمِنْ، وقد حذف منه مِنْ لأنه خَبَرٌ فجاز ذلك فيه. ويَدُلُّ على هذا أنه قال: كُنْ أكْيَسَ الكَيْسَى، وقد قيل: ما أَحْمَقَهُ، لأنه ليس من الخِلَقِ في شيءٍ، ألَا تَرَى أنَّ صاحبه يُوَبَّخ على ما يأتيه منه. فأمَّا قوله: «الحَمْقَى» فَفَعْلَى جَمْعٌ فيما يكون بلاءً وزمانةً. على ذلك

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٦).

الجَرحى والمَرْضَى، فشُبِّهت الحماقة به، ثمّ حُمِلَ الكَيْسَى عليه، لأنّهم يَحملون النّقيض على النّقيض كثيرًا.

٤١٤ ـ وقال بعضُ الفَزارِيِّين: [البسيط]

١ ـ أَكْنِيهِ حِينَ أُنادِيهِ لأُكْرِمَهُ ولا أُلَقِّبُهُ والسَّوْءَةَ اللَّقَبا

٢ ـ كذاكَ أُدِّبْتُ حَتَّى صارَ مِنْ خُلُقِي إِنّي وَجَدْتُ مِلَاكَ الشِّيمةِ الأَدَبا

يصف حُسْنَ عِشرته لصاحبِهِ وجليسِهِ، ومؤاخذةَ نفسِهِ بصيانته وإكرامه، فيقول: إذا خاطبتُه خاطبتُه بأحبِّ أسمائه إليه، وهو الكُنْيَةُ، وأَعْدِلُ عن نَبَزِهِ ولَقَبِهِ؛ لأنّي على هذا أُدِّبْتُ، حتّى به تَطَبَّعْتُ، فصار خُلُقًا ثانيًا لي وإنْ كان أصله تخلُّقًا، إني وجدت الأدب مِلَاكَ الأخلاق. والمِلاك: اسمٌ لما يُمْلَكُ به الشّيء، فهو كالرِّباط والنِّظام وما أشبههما. وقوله: «ولا أُلقِّبه والسَّوْءة اللَّقبا» بنصب السّوءة، فتنصب اللّقَب من أُلَقِّب، وينتصب السَّوْءَة على أنّه مفعول معه، فيكون من باب: جاء البَرْدُ والطَّيالِسَةَ. والتّقدير: لا أُلقِّبه اللّقب مع السَّوْءة. ويَجرى هذا المجرى قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: الآية ٧١]؛ لأنّ المعنى مع شركائكم. ويكون المراد: لا أجمعُ بين اللّقب وما يسوءه من فُحْش الكلام، فهذا وجهٌ للنصب. ويجوز أن يكون انتصاب السّوءة على المعنى؛ كأنّه قال: ولا آتي السَّوْءة، فعمل فيه معنى لا ألقبه، فيكون على هذا من باب: [م. الكامل]

يا ليتَ بعلَكِ قد غدا متقلِّدًا سَيفًا ورُمْحا[1]

عَلَفْتُها تِبْنًا وماءً بارِدًا[2]

ويجوز أن يكون السَّوْءة مفعولًا به، وقد عمل ما قبل الواو فيه؛ كما تقول: ما زلتُ وزيدًا حتّى فَعَل كذا، أي ما زِلتُ بزيدٍ حتّى فعل. وتقدير الباب في هذه أَكْشَفُ

(١) بلا نسبة في أمالي المرتضى ١: ٥٤، وخزانة الأدب ٢: ٢٣١، واللسان (رغب، زجج، مسح، قلد، جدع، جمع، هدى).

(٢) بلا نسبة في أمالي المرتضى ٤: ١٧٠، وابن الشجري ٢: ٣٢١، وشرح شواهد المغني ٣١٤، وقد ذُكِرَ صدرًا وعجزه:

«حتى شتت همالة عيناها»

وذُكِرَ عجزًا وصدره:

«لما حططت الرحل عنها واردًا»

من تقدير مَعَ وإنْ تقارَبَ معنياهُما؛ كأنّه قال: لا ألقبه اللقبَ بالسَّوْءة، ويقال: سمَّيته كذا ويكذا، ولقَّبته كذا ويكذا. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحُجرَات: الآية ١١]. وإنْ رُفع فارتفاعه يجوز أن يكون بالابتداءِ ويكون الخبر مضمَرًا، كأنّه قال: والسَّوْءةُ ذاك، يعني: إنْ لقَّبته فالفحش فيه. ويجوز أن يكون مبتدأً وخبره اللَّقبَا، ويكونُ مَصدرًا كالجَمَزَى والوَكَرَى وما أشبهَهُما. والمراد: والفُحْش استعمال اللَّقب معه، ويكون تفظيعًا للأمر لو فعَل. ويجوز أن يكون خبرَ مبتدإٍ محذوف؛ كأنّه قال: لا ألقبه اللقبَ، وهو السَّوْءة، وهذا أقربُ. والسَّوْءة: الفَعَلَةُ القبيحة. قال الشَّاعر:

يـا لَقَـوْمِ لـلسَّـوْءَةِ الـسَّـوْآءِ(١)

ويسمَّى الفَرْج السَّوْءَةَ، لقبحه. وفي القرآن: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ [طه: الآية ١٢١]. ويقال: سَوْءةً لِفلانٍ! دعاءً عليه.

٤١٥ ـ وقال رجلٌ من بني قُرَيْع(٢): [الطويل]

١ ـ مَتَى ما يَرَ النَّاسُ الغَنِيَّ وجارُه فَقِيرٌ يَقُولُوا عاجِزٌ وجَلِيدُ
٢ ـ وَلَيْسَ الغِنَى والفَقْرُ مِنْ حيلةِ الفَتَى ولـكـن أَحَـاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

أخرج هذا الكلام مَخرج الإنكارِ لما تعوَّدَه النَّاس في الحكم على الأغنياء والفُقراء، فيقول: ممَّا يَقضِي به النّاسُ على الغنيِّ وإلى جنبه فقيرٌ، أنْ يقولوا: هذا من عَجْزِهِ أُتِيَ، وهذا لجلادَتِهِ أُغنِيَ. وهذا خطأٌ، لأنّ الغِنَى والفقرَ مما قَدَّر الله تعالى وأجرَى به قَسْمَه في خَلْقه، وليس المعتمَد فيه على احتيالهم، وسَعْيِهم واجتهادهم، لكنها جدود وحظوظ دُرِّجوا عليها، وخُلِقُوا لها، على ما عَرَف الله تعالى من صالح خَلْقه.

وجوابُ: «متى ما يَرَ» قوله: «يقولوا»، وارتفع عاجزٌ على أنّه خبر مبتدإٍ محذوف؛ كأنّه: هذانِ عاجزٌ وجليدٌ.

---

(١) تمامه:

لـم يـهـب حـرمـة الـنـديـم وحقت بـالـقـوم لـلـسـوءةِ الـسـوآءِ

(٢) هو المعلوط السعدي القريعي كما في عيون الأخبار ٣:١٨٩، والاشتقاق ١٥٥، والبيت الثالث في ملحق ديوان المخبل السعدي، وفي الخزانة ٣:٢١٩.

٣ ـ إِذَا المَرْءُ أَعْيَتْهُ المُرُوءَةُ نَاشِئًا فَمَطْلَبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ

٤ ـ وكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ وصُعْلُوكِ قَوْمٍ ماتَ وَهْوَ حَمِيدُ

قوله: «إذا المَرْءُ أَعْيَتْهُ» بعثٌ وتحضيض على النُّهوض في طلب المعالي في ابتداء النَّشء، وحين كان في القُوَّة فَضْلَةٌ، وفي العمر مُهْلَةٌ، حتى تتلاقَى أوائلُ عُمره وأواخرُه في طلب الرِّياسة، وإقامة المروءة، وأنَّه إن دافَعَ بما عليه في ذلك وماطَلَ انتظارًا لأحوالٍ تجتمع له، فاكتهَلَ ولمَّا تساعدْه تلك الأحوال فإنَّه يتعذَّر عليه طلبُها، ويشتدُّ عليه إدراكها. وانتصب «ناشئًا» على الحال، والعامل فيه أَعْيَتْهُ، ويقال: فتًى ناشئ، أي شابٌّ. قال الخليل: ولا يوصف به الجارية. والنَّاشئة: أوَّلُ الوقت، من هذا. وينتصب «كَهْلًا» على الحالِ أيضًا، والعامل فيه مطلبُها؛ لأنَّ المعنى مطلبُه لها وهو كهلٌ، فالمصدر مضافٌ إلى المفعول، أو مطلبه لها إذا كان كَهْلًا، ومثله: هذا تَمْرًا أطيبُ منه بُسْرًا.

وقوله: «وكائنْ رأَيْنَا» كَائنْ بمعنى كَمْ، وكأنَّه أخذ يفضِّل الفقرَ إذا جرى صاحبهُ في محمود الطَّرائق من التجمُّل، والاكتفاء والتَّعَفُّف، على الغِنَى وصاحبُه يَبْطَر، ويطغَى ويأشَر، ثم لا يؤدِّي حقَّ النِّعمة عليه، فقال: كم مِن غَنِيٍّ ساعدَتْه الدُّنيا والأقدار، ثم أصبح مذمَّمًا حينَ لم يلتزم شُروطَ محمودِ الغِنى، وكم من فقيرِ قومٍ لما جَرى في مَيْدان العَفَاف والتجمُّل والرِّضا بمالِهِ والتشكُّر، مات وهو حميدُ الطَّريقة، رضيُّ السَّريرة. والصُّعلوك: الفقير، ويقال: صعلَكْتُه، أي ذهبتُ بمالِه كلِّه.

٤١٦ ـ وقال بعضهم[١]: [الطويل]

١ ـ وأَضْحَتْ أمورُ النّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِمًا بِمَا يُتَّقَى منها وما يُتَعَمَّدُ

٢ ـ جَدِيرٌ بِأَلَّا أَسْتَكِينَ ولا أَرَى إِذَا الأَمْرُ وَلَّى مُدْبِرًا أَتَبَلَّدُ

قوله: «يغشَيْن عالمًا»، أي يغشين منِّي عالمًا؛ لأنَّ العالِم هو هو، فحذف منِّي. والمعنى: إنِّي باشَرت الأمورَ العظيمة، ولابَست الخطوبَ الجليلة، فصرتُ بِطُولِ تجربتي، واتِّصال ممارستي، عالمًا من أمورِ الناس إذا وردتْ أخبارها عليّ بما يُتحامى منها ويُحذَر، وما يُتمنَّى منها فيُطلب. فلا جَرَم أنِّي خليق ألّا أضرعَ عند نوائب الدَّهر

---

(١) التبريزي: «وقال آخر».

ولا أخضع، ولا أرَى إذا فاتَني أمرٌ أتحسَّرُ في إثْره وقد وَلّى، وأضربُ بَلْدَةَ[١] إحدى كَفّي بالأخرى، توجُّعًا وتلهُّفًا، إذا كنتُ واثقًا بأنَّ الأمور يملِكها التغيُّر، وأن الفائت يُتلافَى، فلا يدومُ شيءٌ على حالٍ إلا ريثَ ما يتسلَّط عليه انتقال.

وقال الدُّريدي: تَبلَّدَ الرَّجلُ إذا تحيَّر في أمره فأقبل يضرب بَلْدَةَ نحره بيده. وبَلْدةُ النَّحر: الثُّغرة وما حَواليها. وقال الخليل: التبلُّد: نقيض التجلُّد وهو استكانةٌ وخُضوع. وبَلُد الرجل، إذا انكسَرَ في العمل وضَعُفَ.

٤١٧ ـ وقال آخر[٢]: [الطويل]

١ ـ وإنَّكَ لا تَدرِي إذا جاءَ سائلٌ ... أأنتَ بما تُعطِيهِ أم هُوَ أسعَدُ

٢ ـ عَسَى سائلٌ ذُو حاجةٍ إن منعتَهُ ... من اليوم سُولًا أن يكونَ له غَدُ

٣ ـ وفي كَثْرَةِ الأيْدِي لِذِي الجَهْلِ زاجِرٌ ... ولَلْحِلْمُ أبْقَى لِلرِّجالِ وأعْوَدُ

هذه الأبياتُ تشبه قولَ الآخر: [الطويل]

وأكْرِمْ كريمًا إنْ أتاكَ لحاجةٍ ... لعاقبةٍ إن العضَاة تَروَّحُ[٣]

وقول الآخر: [المنسرح]

لا تُهِينَ الفَقيرَ علَّكَ أنْ ... تركَعَ يومًا والدَّهرُ قد رَفَعه[٤]

وقوله: «أأنت بما تعطيه أم هو أسعدُ»، تقدير: أأنت أسعد بما تُعطيه أم هُوَ؟ وأمْ هذه هي المتّصلة المعادِلة لألف الاستفهام، فانعطَف هو به على أنت. وقد يجيءُ الخبرُ في مثله مكرَّرًا؛ كقول الشَّاعر: [الرجز]

باتَ يقاسي أمْرَهُ أمُبْرَمُه ... أَعْصَمُهُ السَّحيلُ أَعْصَمُهْ[٥]

فيكون التَّكرار فيه على طريق التأكيد. ويجري «بين» هذا المجرى في نحو قولهم: بينَ زيد وبين عَمْرٍو خلاف، ولو لم يكرَّرْ بينَ لكانَ الوجهَ. والشَّاعر يقول:

---

(١) البَلْدة: راحة الكفّ.

(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «عديّ بن زيد العبادي».

(٣) بلا نسبة في أساس البلاغة (روح)، واللسان (روح).

(٤) للأضبط بن قريع في الأغاني ١٨: ٦٨، والحماسة الشجرية ١: ٤٧٤، وخزانة الأدب ١١: ٤٥٠، والدرر ٢: ١٦٤، والشعر والشعراء ١: ٣٩٠.

(٥) للعجاج في ديوانه ٢: ١٤١، ولرؤبة في أساس البلاغة (برم)، وليس في ديوانه.

إذا زارَكَ سائلٌ فتوفَّرْ عليه، وليِّنْ قولك وجانبك له، فإنك لا تعلم أأنت أسعدُ بما يناله منك أم هو، واعلمْ أنَّ المحتاجَ إليك إن منعتَه سُؤْلَهُ وطَلِبتَه فهو حقيقٌ بأن ينال ما منعته في غده. وقوله: «أن يكون له غَدٌ» في موضع خبر عَسى، والضمير من له يعود إلى السَّائل، والمعنى: عساه إن منعتَه سؤلَه من يوم كان عليه، أن يكون غدُ ذل اليوم له، ولهذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٠]، فغَدٌ يرتفع بيكون، وله في موضع الخبر.

وقوله: «وفي كثرة الأيدِي لِذِي الجهل زاجِرٌ»، يريد: استَبِقْ إخوانَكَ وذَوِيك، واعلم أنّ في التكاثُر بهم مَزْجَرةً للجاهل، ولتعاوُنِ أيديهم مدفَعَةً لأذَى المغلَّب الخامل. ومع ذلك فالحِلم أبقى شأنًا وأمرًا للرجال، وأردُّ عليهم وأنفعُ لهم. وهذه الوَصاةُ اشتملَتْ على أمرين، أحدُهما: اكتسابُ مودَّات الإخوان لكي يكونوا إذا احتيجَ إليهم عَونًا. والثاني: استعمالُ الحِلم مع الأعداء، والجريُ معهم على حدٍّ لا يُخرجهم إلى المكاشفة، ولا يُحْوِجُهم إلى خرق الهَيْبة. وقوله: «من اليوم سُولًا»، يقال: أُعْطِيَ فلانٌ سُولَه، فيهمز ولا يهمز.

٤١٨ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ إيَّاكَ والأمرَ الذي إن توسَّعَتْ مَدَاخِلُه ضاقَتْ عليك المصادِرُ[١]

٢ ـ فما حَسَنٌ أنْ يَعْذِرَ المَرْءُ نَفْسَه وليس له من سائر الناسِ عاذِرُ

انتصب «والأمرَ» بفعلٍ مضمر. وإيَّاكَ ناب عن أحذِّرك، فكأنه قال: أُحذِّرُك أن تُلابِسَ الأمر الذي إن توسَّعَتْ موالِجُه ضاقت عليك مخارجُه. والمعنى: تأمَّلْ كلَّ ما تُلابِسه، واعرِفْ أواخرَه وإن اشتَبَهَتْ، كما تَعرفُ أوائلَه وإن تَبيَّنَتْ، لأنه يَقْبُح بالمرء أن يكون فيما يقتحمُه عند نفسه معذورًا، وعند الناسِ مَلُومًا.

وقوله: «فما حسنٌ أن يَعْذِر المرءُ نفسه»، في إعراب «أن يَعْذِرَ» وُجوهٌ: أحدهَا أن يرتفع بالابتداء وخبره متقدّم عليه، وهو حسنٌ؛ لأنّ ما النافية إذا قُدِّم خبرهُ على اسمه يبطُل عمله. ويجوز أن يكون موضعه رَفْعًا بفِعله وفعله حسنٌ، ويرتفع حسنٌ بالابتداء، ويستغني بفاعِلِه عن خبره، وجاز الابتداء بحسَنٍ وإن كان نكرةً لاعتماده على حرف النفي. والمعنى: ما يحسُنُ عذرُ المَرْءِ نفسَه فيما يتولّاه

(١) التبريزي: «إن توسعت موارده».

وليس له من الناس عاذِرٌ. ويجوز أن يرتفع «أن يَعْذِرَ» بأنّه خبر المبتدإ الذي هو حسَنٌ، وهذا أضعَفُ الوجوه. ويُرْوَى: «إنْ توسَّعَتْ مواردُه ضاقت عليك المصادرُ»، وقوله: «من سائرِ الناس» أي من باقي الناس، وهو من السُّؤر، ومَن وضَعَه موضع الجميع فقد أخطأ.

٤١٩ ـ وقال العباس بن مِرداس[1]: [الوافر]

١ ـ تَرَى الرَّجُلَ النَّحيفَ فتَزْدَرِيهِ وفي أثْوَابِهِ أسدٌ مَزيرُ[2]

٢ ـ ويُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

ينبِّه بهذا الكلام على أنّ الرجال ليسوا بجُزُرٍ يُطْلَب عِظَمُها وسِمَنُها، لأنّ المرء بأصغريه: قلبِه ولسانِه، فيقول: تَرَى الرَّجُل النحيفَ المهزولَ الدَّقيق، فتستحقرُه لضؤولته، وإذا فتَّشت عنه واستشفَفْتَ ما وراء ظاهِره وجدتَه أسدًا مزيرًا. والمَزيرُ هو الجَلْدُ الخفيف النافذ في الأمور. ويُرْوَى: «يَزيرُ» وليس بجيِّدٍ من طريق المعنى، فكأنّ أصله يَزْئِرُ فنُقلت الحركةُ إلى الزاء وأُبْدِل من الهمزة ياءً؛ كما يقال: المَرَاةُ والكَمَاةُ، في المرأة والكَمْأة، وإنما ضَعُف من طريق المعنى لأنَّ تشبيهه إيَّاه بالأسد لا فائدة لذكر الزَّئير معه، إذ لا تدومُ حالُه على ذلك. ووجهُه على ضَعْفِه أن يكون مَوْرِدُ «يَزْئِرُ» تأكيدًا للتشبيه؛ كما يُستعارُ صفةُ المشبَّهِ به للمشبَّه وإن كان حصولُه لو حصَلَ ذمًّا فيه، تأكيدًا للتشبيه. على ذلك قوله: [الرجز]

أزَلُّ إنْ قِيدَ وإنْ قادَ نَصَبْ[3]

والزَّلَلُ من صِفة الذئب. ومثله قول الآخر: [الكامل]

صَكّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذا استدبرتَها[4]

والصَّكك من صِفة النَّعام.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٩). قال التبريزي: «قال أبو رياش: هذا الشعر لمعاوية بن مالك معوّد الحكماء الكلابي».

(٢) التبريزي: «ويرى (مرير) أي قوي القلب شديده، ويروى (يزير) إذا أرادوا يزئرُ».

(٣) بلا نسبة في اللسان (نصب، جذل، زلل)، وتاج العروس (نصب، زلل).

(٤) للمسيب بن علس في المفضليات رقم (١١)، وعجزه:

«حرج إذا استقبلتها هلواع»

وقوله: «فيُعجبك الطَّرير»، فالطرير: الشابُّ الناعم ذو الكِدْنَة، فيقول: ويتَّفق في الرِّجال مَن يُعجبك خِلْقتُه، فإذا بلَوْتَهُ وامتحنتَ أخلاقَه وجدتَه لا يصدِّق ظنَّك فيه، بل يُخْلِف ويُخالِف في كل تعتمِد عليه، أو تَكِلُه إليه.

٣ ـ فما عِظَمُ الرِّجَال لهم بفَخْرٍ ولكن فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخِيرُ
٤ ـ ضِعَافُ الطَّيرِ أطْوَلُها جُسُومًا ولم تَطُلِ البُزَاةُ ولا الصُّقورُ
٥ ـ بَغَاثُ الطيرِ أكثرُها فِراخًا وأُمُّ الصَّقرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ[1]

صَرَّح عن الغرض المقصود فيما تقدَّم، فقال: إنما يُحْمَد من المرء كرمُه وفضلُه وكثرة محاسِنِهِ وخيرُه، وكلُّ ذلك يرجِعُ إلى الأخلاق لا إلى الخِلَق، فلا اعتبار بالعِظَم، ولا فَخْرَ في البَسْطَة إذا حَصَلَتْ في الجسم خاصّةً من دون العلم. ثم أخذ يمثّل فقال: تَرَى الطير ضعافُها كالكراكيّ وطيور الماء أطولُها جُسومًا، وأمَدُّها أعناقًا وسُوقًا، ثم كرائمُها كالبُزاة والصُّقور، وهي تَصِيد ما وزنهُ يتضاعَف على وزنها، وما طولُه وعَرَضه يتزايَدُ على طولها وعرضِها، ثم بَغاثُها وهي صغارُها ومصطادها أكثَر فِراخًا وأوسع نَسْلًا، وأُمُّ الصقر قليلة الفراخِ مِقلاتٌ لا يَبْقَى لها أيضًا ما تُفرِّخه. وانتصب «جُسومًا» و«فِراخًا» على التمييز. والمِقلاتُ: مِفعال من القَلْت، وهو الهلاك. والنَّزُور: القليلة الأولاد، من النَّزْر، وهو القَليل.

٦ ـ لقد عَظُمَ البعيرُ بغيرِ لُبٍّ فلم يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البعيرُ
٧ ـ يُصَرِّفُه الصبيُّ لكلِّ وَجْهٍ ويَحْبِسُه على الخَسْفِ الجَرِيرُ[2]
٨ ـ وتَضْرِبه الوَلِيدَةُ بالهَرَاوَى فلا غِيَرٌ لَدَيْهِ ولا نَكِيرُ

لمّا ضَرَبَ المَثَل بذوات الأجنحة والماشيةِ على رجلين، عادَ يذكر من ذوات الأربع مثلَ ذلك، فقال: ترى البعير مع عِظَمه وقُوّته وصبره على النُّهوض بالأعباء الثقيلة، والأحمال العظيمة، لمّا لَمْ يَصْحَبْ عِظَمه اللُّبُّ، وقُوَّتَه التمييز، لم يستغْنِ بما أُعطي من ذلك، بل تراه مسخَّرًا لأنْ يُدِيرَه الصبيُّ على وجهٍ من وجوه التذليل، ويَحْبسَه زِمامُه على كل خَسْفٍ وهَضْم، حتى أن الوليدةَ تضربُه أوجَعَ الضرب، فلا إنكارَ منه ولا ذَهابَ عنه، ولا تغييرَ إليه ولا نكيرَ لَدَيْه.

(١) نسب هذا البيت في اللسان (قلت) إلى كُثَيِّر عَزَّة.
(٢) التبريزي: «بكلِّ وجهٍ».

وقوله: «الهَرَاوَى» جمع هِرَاوَةٍ، ووزنهُ فعائل هَرَائي، لأنّ فَعِيلة وفِعَالة يشتركان في هذا البناء من التكسير، تقول: صحيفةٌ وصحائف، ورسالة ورسائل، إلّا أنهم فرُّوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، صار هَرَاءَا، فاجتمع همزةٌ وألفان فكأنّه قد اجتمع ثلاثُ ألفات أو ثلاث همزات، فأبدَلوا من الهمزة واوًا فصار هَرَاوَى، فإن قيل: هَلَّا أبدَلْتَ منه الياء، كما فعلتَه في مطايا وما أشبهَها؟ قلتَ: أرادوا أن يَظْهَرَ في الجمع الواوُ كما ظهر في الواحد ليتميَّز بنات الياء عن بنات الواو.

٩ ـ فـإنْ أَكُ فـي شِـرَارِكُـمُ قـليـلًا فـإنّـي فـي خـيـارِكُـم كَـثِـيـرُ

يقول: إنْ كَثَرَنِي شرارُكم وأراذلُكم، لوفور عدِدِهِم وكوني واحدًا فيهم، فإني أكْثُر خيارَكم وأغلبُهم لقلّتهم وكثرتي، وذلك أني أنُوب عن جماعةٍ إذا عُدَّ الأخايِرُ. ويجوز أن يريد أنّه لا خيارَ لكم، فأنا وإنْ كنتُ واحدًا من حيثُ العدد، كثيرٌ إذَا طُلِبَ الخيار منكم، إذْ لم يكن لكم خيار.

وقد مَضَى القول في غير موضع في حذف النّون من لم أَكُ وإنْ أَكُ.

٤٢٠ ـ وقال بعضهم: [الطويل]

١ ـ أَعَاذِلُ مـا عُـمْـرِي وهَلْ لِي وقـد أَتَـتْ لِدَاتِي على خَمْسٍ وستِّين من عُمْرِي

٢ ـ رأيـتُ أَخَـا الـدُّنْـيـا وإنْ كـان خـافِـضًـا أَخَـا سَـفَـرٍ يُـسْـرَى بـه وهـو لا يـدري

٣ ـ مُـقِـيـمِـيـنَ فـي دَارٍ نَـرُوحُ ونـغـتـدي بلا أُهْبَةِ الثَّاوِي المقيـمِ ولا السَّفْرِ

وقوله: «ما عمري» استفهامٌ على طريق التّحقير والاستقلال، فكأنَّ العاذلةَ كانت عتبَتْ عليه في تبذيرٍ وإنفاقٍ، وخوّفتْه العواقبَ وما تؤدّي إليه باتّفاق، فأخذ يُجيبُها ويقول: يا عاذلةُ، أيُّ شَيْءٍ عَمْرِي، وكيف يدوم بقائي حتّى أخوّفَ بالفقر، وهل لي عُمْرٌ وأقراني يَعُدُّون خمسًا وستين سنة. ثم أخذ يَذُمُّ الحريصَ على الدنيا وأعراضها، ويَقُصُّ ما تَسْتَوي فيه أقدامُ الخلائق من إرصاد الفَناءِ لها، فقال: رأيتُ صاحبَ الدنيا وإن كان متودِّعًا مقيمًا، كالمسافرِ يُسار به وهو لا يعلم؛ وذلك لأنَّ أجَلًا يُسَاق إليه، ومُنْتَهًى من العمر يحال عليه، فالأيام تأخذ منه، وتنقص من عمره، فهو كالمسافر وقد انتوى نِيَّةً فما يقطعه من المسافة يُقرِّبه من مَقْصَده، ويُعجِّل وصولَه إلى أمده.

وقوله: «مقيمين في دارٍ» انتصب على الحال من قوله: «أخا الدنيا» لأنّه أراد به الكثرة، فهو كأسماء الأجناس. وقال: «نَروح ونَغتدي» لأنّه من إخوان الدُّنيا، فأدخل

نفسه فيهم. وقوله: «بلا أُهْبةِ الثّاوي المقيمِ ولا السَّفرِ»، يريد: لا نأمُل البَقاءَ في هذه الدنيا، ولا نأمَن الفَناء، فلسنا كالثّاوي فنتأهَّبَ أهبتَه، ولا كالمسافر فنُعِدَّ عُدَّتَه، وأراد بالثّاوي المقيم الكثرةَ لا الواحد، وقد تقدَّم القَوْل في حقيقة العُمْر.

٤٢١ ـ وقال بعضُهم(١): [الطويل]

١ ـ لا تَعْتَرِضْ في الأمر تُكْفَى شُؤونَه ولا تَنْصَحَنْ إلّا لِمَنْ هُوَ قابِلُهْ

٢ ـ ولا تَخْذُلِ المَوْلَى إذَا مَا مُلِمَّةٌ أَلَمَّتْ ونازِلْ في الوَغَى مَنْ يُنَازِلُهْ(٢)

يوصِي مخاطَبَه بأنْ يُعْرِضَ عن الأمر الذي لا يَعْنِيه، ويترُكَ الاعتراضَ فيه، وألّا يتنصَّحَ إلّا لِمَنْ يرجو قبول النُّصح منه، وبألّا يخذُلَ ابنَ عمِّه إذا نزلت به نازلة، بل يُنازِل مَن ينازله، ويناوئ مَنْ يناوئه. وهذا على طريقتهم في قولهم: «انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أو مظلومًا». وأصل الوغَى هو الجلَبة والصَّوْت. وقوله: «في الأمر تُكفى شؤونَه»، يريد: تُكفى أسبابَه وجوانبه. والضمير من «قابِلُه» لما دلَّ عليه قوله: لا تَنْصَحَنْ، وهو النُّصح.

٤٢٢ ـ وقال مَنظور بن سُحَيْم(٣): [الطويل]

١ ـ ولَسْتُ بهاجٍ في القِرى أَهْلَ مَنْزِلٍ على زَادِهِمْ أَبْكِي وأُبْكِي البَواكِيَا

٢ ـ فإمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتيتُهُمْ فَحَسْبِيَ مِنْ ذِي عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا(٤)

٣ ـ وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِمَّا لِئَامٌ فَادَّكَرْتُ حَيَائِيَا

يصف نفسَه بالتعفُّف عن المطامع الدنيَّة، والمطاعم الذَّميمة، فيقول: لا أهجو بسبَبِ القِرَى، وهو ما يُقدَّم إلى الضَّيف، ولا أشكو أهلَ دارٍ فأبكي على ما يفوتُني مِن زادهم وأُبكي غيري معه. وقوله: «أبكي وأُبكي البواكيا» لا بُكاءَ ثمَّ، وإنَّما أرادَ

---

(١) هو عبيد بن أيوب العنبري كما في مجموعة المعاني ١٤، وعبيد بن أيوب: أحد بني العنبر بن عمرو بن تميم، وكان جنى جناية فطلبه السلطان وأباح دمه، فهرب في مجاهل الأرض وأبعد لشدّة الخوف. انظر الشعر والشعراء ٧٥٨، واللآلئ ٣٨٣.

(٢) بعده عند التبريزي:

«ولا تحرمِ المولى فإنه أخوك ولا تدري لعلك سائلُهْ»

(٣) منظور بن سحيم بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعسي: أدرك الجاهلية والإسلام وسكن الكوفة. ترجمته في الإصابة (٨٤٧١)، والمرزباني ٣٧٤.

(٤) التبريزي: «من ذو عندهم».

تفظيع التأسُّف، فيريد: لا آسَفُ لما أرى من الحِرمان أسفَ مَنْ يَبْكى ويُبْكي غيرَه تهالكًا على مالِ غيره، وتوجُّعًا لشدَّةِ نَهمته.

وقوله: «فإمَّا كِرَامٌ» فصَلَ بين حرف الجزاء والفِعل بقوله كرام، فارتفع بفعلٍ مضمر دَلَّ عليه الفعل الذي بعده؛ كأنَّه قال: فإمَّا يُقْصَدْ كِرَامٌ موسِرُون أتيتُهم. وقوله: «فحسبي» في موضع الابتداء، و«ما كفاني» في موضع الخبر، والفاء مع ما بعدَه جواب الشرط. وقوله: «مِن ذِي عندَهم»، أراد: من عندهم، والعرب تقول: هذا ذو زَيْدٍ، يريدون: هذا زَيْدٌ؛ وهذا من إضافة المُسمَّى إلى الاسم. قال الكُمَيْت: [الطويل]

إليكم ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعَتْ(١)

يريد: يا أصحاب ذا الاسم. وقال الأعشى: [البسيط]

فكذَّبوها بما قالَتْ فصَبَّحَهُمْ ذو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي الموتَ والشَّرَعَا(٢)

أي: العسكر الذي يقال له آل حسّان.

ويروى: «مِن ذو عِندَهم»، ويكون ذو بمعنى الذي، وعندهم في صلته، وذو هذه طائيّة. والمعنى: لا يخلو مَنْ أَقْصِدُهُ بهِ من وجوه: إمَّا أن يكونوا قومًا يرجعون إلى كَرَم ويَسار، فيتوفَّرون عليَّ حسَبَ ما يقتضيه كَرَمُهم وأَكْتَفِي مِن الذي عندهم لي بما يَكْفِيني، وإمَّا أن يكونوا كِرامًا مُضِيقينَ أثَّر الدهر فيهم، فأَعْذِرَهم لإضاقتهم، وعلمي بحالهم. فقوله: «وإمَّا كرام معسرون»، بيانُه: وإمَّا قُصِدَ كرامٌ مُضِيقُون عذرتُهم في تقصِيرهم، وإمَّا أن يكونوا قومًا لئامًا في أخلاقهم دناءةٌ، وفي أعراقهم نَذَالة، فتذكَّرتُ حيائي وصيانَتي لنفسي، فلم أبذلْ لهم وجهي، ولم أبتذلْ بتَقاضيهم ومُطالَبتهم جاهي.

٤ ـ وعِرْضِيَ أَبقَى ما ادَّخرتُ ذَخِيرَةً وبَطْنِيَ أَطْوِيهِ كَطَيِّ رِدائِيَا

قوله: «أبقَى ما ادَّخرتُ» ما في موضع الجرّ، كأنّه قال: عِرْضِي أبقى شيءٍ أدَّخره ذخيرة، أي اكتسبه ذخيرة، فعلى هذا ينتصب «ذخيرة» على الحال المؤكَّدة لما

---

(١) للكميت بن زيد في خزانة الأدب ٤:٣٠٧، واللسان (ظمأ، لبب، نسا، ذو، ذا)، وليس في ديوانه. وعجزه:

«نوازع من قلبي ظماء وألبُبُ»

(٢) للأعشى في ديوانه ١٥٣، وخزانة الأدب ٤:٣٠٨، وتاج العروس (أول).

قبله. وادَّخَر: افتعَلَ من الذُّخر لكنه أُبدل من التاء دالًا فأدغم الدَّال فيه، فلك أن تقول: ادَّخر، ولك أن تقول: اذَّخَر.

وهذا الكلام بيانُ ما يأخذ به نفسَه من الصيانة والقَناعة، وسُلوكِ طرائق الانقباض عمَّا يَشِين ولا يَزين من الانبساط إلى اللِّئام؛ فكأنّه قال: أُبَقِّي على عِرْضِي، لأنَّه أعزُّ الذخائر لي، وأطْوِي بطني عن المآكل المُزْدِية كما أطْوِي ردائي، إذْ كان التَّزهُّد فيما يُخْزِي أولَى عِنْدِي.

٤٢٣ ـ وقال سالم بنُ وابصة[1]: [البسيط]

١ ـ ونَيرَبٍ مِنْ مَوَالِي السَّوْءِ ذِي حَسَدٍ ... يَقتاتُ لَحْمِي وما يَشْفِيهِ من قَرَمِ

٢ ـ داوَيتُ صَدْرًا طَوِيلًا غِمْرُه حَقِدًا ... منهُ وقَلَّمتُ أظفارًا بِلَا جَلَمِ

النَّيرب: النميمة والعداوة. وقوله: «ونَيربٍ»، أراد: وذي نيرب، والمصدر وما يجري مَجراه إذا وُصِفَ به إمَّا أنْ يكونَ على حذف المضاف، وإمّا أن يُجْعَل الموصوفُ نفسَ الحدَثِ لكثرة وُقوعه منه، فيقول: رُبَّ ذي نيربٍ حَسودٍ من موالي السَّوْء، يَغتابُني بظهر الغَيْب، ويأكل لحمي ولا يَشفيه ذلك من قَرَم. والقَرَم: شَهْوَة اللحم. والمعنى: أنّه لا يَكْفيه ما يتناول منّي وإنْ كان لا يألوا جُهْدًا في ثَلْبِي. وجواب رُبَّ قوله: «داويت» من البيت الثاني. ويقتات: يفتعل من القُوت، وهو فِعْل المطاوَعة. ويقال: قاتَه كذا فاقتاته.

ومعنى «داويتُ صدرًا طويلًا غِمْرُه»، أي: صابرتُه على مُداجاته وانطوائه على حقدي، فدفعتُ شرَّه عن نفسي بطول مداواتي، وفَلَلْت حدَّه بترك مكاشَفَتِهِ حتَّى لم يجد إلى إثارة كامِن غِمْرِه طريقًا، فاحتاج إلى الإمساك عن أذاتي، لدوام تمسُّكي بمجاملته شاءَ أو أبَى. وقوله: حَقِدًا هو اسم الفاعل من حَقِد، وهو لغةٌ في حَقَد. يقال: حَقَد يَحْقِد فهو حَقُود، وحَقِد يَحْقَدُ فهو حَقِدٌ.

٣ ـ بالحَزْمِ والخِيرِ أُسْدِيهِ وأُلْحِمُهُ ... تَقْوَى الإلهِ وما لَمْ يَرْعَ من رَحِمِي[2]

٤ ـ فأصبحَتْ قوسُه دُوني مُوَتَّرَةً ... يَرمِي عَدُوِّي جِهارًا غَيرَ مُكْتَتِمِ

الباء من قوله: «بالحزم» تعلّق بقلَّمتُ أو داويتُ من البيت المتقدِّم. والخِيرُ: الكرَم، وقيل: هو الهيئة والطبيعة، يقال: هو كريم الخِيم والخِير جميعًا. وقوله:

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٤٤). (٢) التبريزي: «من رحمٍ».

«أُسْدِيه وأُلحِمه» خبرَانِ لُفَّ أحدُهما بالآخر، فقوله: «تقوى الإلـه» يرجع إلى أُسْدِيه، و«ما لم يَرْعَ من رَحِمي» رجع إلى أُلحِمُه. والمعنى: داويتُ صدرَه أي مكنونَ صدرِه، وقلَّمْتُ ظُفرَه باستعمال الحزم والخِير معه، ثم جعلتُ تقوَى الله تعالَى سَدَى ما بيني وبينه، وألحمتُه رعايةَ ما ضَيَّعه من الرَّحِم، فلا جَرَم أنه كفَّ من شأْوِ شرِّه وغَرْب عداوته، وأقْبَلَ في الظاهر يُعادي من يُعاديني، فقوسُه الآن موتَّرَةٌ دوني يرمي منها أعدائي بأسهم النُّصْرةِ، مجاهَرةً لا مكاتَمةً.

٥ ـ إنّ مِـنَ الـحِـلْـمِ ذُلّاً أنْـتَ عـارِفُـه ... والحِلْمُ عن قُدْرَةٍ فضلٌ من الكَرَمِ

نبَّه بهذا الكلام على أن تَحَلُّمَهُ عن أدانيه كان عن قُدْرَةٍ لا عن عجز ونَقيصة، ولو شاء لانتقَمَ منهم. وأنّه لم يُكْسِبْه إمساكه عن مجاذبتهم ذُلّاً؛ ولو كان يُفْضِي به الحالُ إلى ذلك لما فعَلَ، فتحلُّمه كرَم، وإبقاؤه على ما يَجمعه وإيَّاهم من قُرْبَى وقرابةٍ تُقًى وتفضُّل. وقوله: «فضلٌ من الكرَم»، يريد: أنه نوعٌ من الفضل يُعَدّ في خصال الكَرَم. ومثل هذا قول الآخر: [الطويل]

جَهُولٌ إذا أزْرَى التَّحَلُّمَ بالفَتَى ... حَليمٌ إذا أزْرَى بذي الحَسَبِ الجهلُ

٤٢٤ ـ وقال بعضهم[1]: [الوافر]

١ ـ وأُعْـرِضُ عـن مَـطَـاعِـمَ قـد أراهـا ... فـأتْـرُكُـهـا وفـي بَـطْـنِـي انْـطِـوَاءُ

٢ ـ فـلا وأَبِـيـكَ مـا فـي الـعَـيْـشِ خَـيْـرٌ ... ولا الـدُّنـيـا إذا ذَهَـبَ الـحَـيَـاءُ[2]

يماثل هذا قول الآخر: [الكامل]

ولـقـد أبِـيتُ علـى الـطَّـوَى وأظَـلُّه ... حتى أنالَ بـهِ كـريـمَ الـمَـطْـعَـمِ[3]

قوله: «وأظَلُّه» يريد أظلُّ عليه، فحذف حرف الجر؛ كما قال:

لَـــولا الأَسَـــى لَـــقَـــضَـــانِـــي[4]

---

(١) التبريزي: «وقال آخر». وفي الحماسة البصرية ٢: ١٠ لجميل بن المعلّى الفزاري.

(٢) بعده عند التبريزي:

«يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويبقى العودُ ما بَقِيَ اللِّحاءُ»

(٣) لعنترة في ديوانه ٢٤٩، واللسان (ظلل)، وكتاب العين ٧: ٤٦٦ (والرواية المعروفة: كريم المأكلِ).

(٤) قطعة من بيت لأعرابي من بني كلاب في الكامل (ليبك)، واللسان (غرض، قضى)، وتمامه مع بيت سابقٍ له: =

أي: لقضى عليّ.

٤٢٥ ـ وقال نافعُ بن سعدٍ الطائيّ: [الطويل]

١ ـ ألَمْ تَعْلَمِي أنّي إذا النَّفسُ أَشْرَفتْ   على طَمَعٍ لَمْ أَنسَ أنْ أَتَكَرَّمَا
٢ ـ ولَسْتُ بلوّامٍ على الأمر بَعْدَما   يَفُوتُ ولكنْ عَلَّ أن أتقدَّمَا

يقول: أَمَا علمتِ من أخلاقي الكفَّ عن كثيرٍ من المَبَاغي الجالبةِ لقالَة الناس وتصرُّفهم في الحكم عليه وله، وأنّني إذا أمكنني الفوزُ بالمطامع القريبة والمآكلِ الهنيئة، فأشرفتُ منها على تحصيلِها لم أنسَ أخذَ النَّفس بالنظر فيها، واستعمال الكرَم في تركِ ما يَجمع عليّ عارًا منها. وقوله: «على طَمَعٍ» أي: على مطموعٍ فيه، ومنه قيل لأرزاق الجند: أطماعهم.

وقوله: «ولَسْتُ بلوّامٍ» يقول: إذا فاتَنِي أمرٌ لا أرجِعُ على نَفْسي باللَّوْم الكثير تحسُّرًا في إثرهم، لكنني حقيقٌ أن أتقدّم في تحصيله قبلَ فواته إن كان مما يُهِمّ، وقوله: «ولكنْ عَلّ» هو أصل لَعَلّ، وهو حرفٌ موضوعٌ للطمع والإشفاق، واسمه مضمر كأنّه قال: ولكن لعلني أن أتقدّم، وهو يجيء بأنْ وبغير أن، فإذا كان معه أن أفاد فائدة عَسَى، وإذا جاء بغير أن كان الفعل أقرب وقوعًا؛ لأنّ أنْ للاستقبال، ولعلّ وإنْ كان حرفًا يُعَدّ مع أفعال المقاربة وهي عسى وكاد، ولَوّام بناء المبالغة، وليس بمبنيٍّ على لَوَّمَ لأن المبني عليه هو مُلَوِّمٌ.

٤٢٦ ـ وقال بعض بني أسد(١): [الطويل]

١ ـ إنّي لأستغني فما أبطَرُ الغِنَى   وأَعرِضُ مَيْسُورِي على مُبْتَغِي قَرْضِي
٢ ـ وأُعسِرُ أحيانًا فتَشْتَدُّ عُسْرَتِي   فَأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنَى ومعي عِرْضي
٣ ـ وما نالَها حتى تجلَّتْ واسْفَرَتْ   أَخُو ثِقَةٍ منّي بقَرْضٍ ولا فَرْضِ(٢)

= «فمن يكُ لم يغرضْ فإني وناقتي   بحِجرٍ إلى أهل الحمى غَرِضانِ
تحنُّ فتبدي ما بها من صبابةٍ   وأُخفي الذي لولا الأسى لقضاني»

(١) هو الحكم بن عبدل الأسدي كما في أمالي القالي ٢: ٢٦٠، وهو شاعر مقدّم، هجّاء، من شعراء بني أمية، كان أعرج أحدب، منزله ومنشؤه الكوفة. (تَ نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م). ترجمته في الأغاني ٢: ٤٠٥، وتهذيب ابن عساكر ٤: ٣٩٦.

(٢) بعده عند التبريزي:
«وأبذل معروفي وتصفو خليقتي   إذا كدرت أخلاق كلّ فتى مَحْضِ»

يعدّد في هذه الأبيات عاداته في حالتي الغِنى والفقر، فقال: إنّي أنالُ الغِنَى فلا يَكْسِبني أشَرًا ولا بَطَرًا، لكني أشكر الواهبَ وأبقَى على حالتي الأولى، بل يقرّبني ما أنالُه من المتّصلين بي، والمنضمّين إليّ بسببٍ من الأسباب، فأُعْرِضُ ما يتيسّر لي على طُلّاب قرضي، وأُشرِكُ مَن يمتُّ إليّ في الخير المُتاح. وقد يتعقّب الإيسارَ إعسارٌ في الوقت بعد الوقت، فأصبرُ وإن اشتدَّ عُسْري، وأُسْبِلُ على نفسي جَناحَ تحمُّلي وتعفُّفي حتى أدركَ ميسورَ الغِنَى ونفسي معي، لم أبتذِلْها ولم أدنِّسْها بتعريضٍ أو تصريح لمُفْضِلٍ أطلُب بهما عنده مَطْمَعًا، وأجتلب مرغَبًا.

وقوله: «وما نالها»، يريد: وما نال تلك العُسْرة أخٌ لي يُوثَقُ بودّه لا بعاريّة ولا بعطيّة، إلى أن انكشفَتْ وفارقت.

وقوله: «أبْطَرُ الغِنَى»، معناه: أبْطَرُ في الغنى حتّى أذهبَ عن سَنَنَ الشُّكر فأتجاوزَه وأخلِّفَه ورائي، غَمْطًا للنّعمة، أو جهلًا بحقِّ الصَّنيعة. وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القَصَص: الآية ٥٨]. وقوله: «أعْرِضُ ميسوري» وضَعَه بلفظ المفعول للمصدر، يريد اليُسْر. ومثله ماله معقولٌ، وضدّه حُمِل عليه وهو العُسْر، فقيل: معسور؛ وإنما قال: «ومعي عِرْضي» لأنّه إذا صانَه عن القبائح ولم يُسَلِّط عليه من يتملّكه بهِبَة أو صلَة، فكأنّهُ معه لم يفارقْه. ولو أجراه على غير هذا لكان مفارقًا له، وداخلًا في مَلَكة غيره.

٤ ـ ولكِنَّهُ سَيْبُ الإلٰهِ ورِحْلَتِي وشَدِّي حَيازِيمَ المَطِيَّةِ بالغَرْضِ

الهاء من قوله: «ولكنّه» يعود إلى ميسور الغنى. واستدرك النّفي من قوله: «ما نالها حتّى تجلّت» بقوله لكنّ، يريد: لكنّ الغنى المتجدِّد، وهو عطيّة الله تبارك وتعالى، وتقلُّبي وارتحالي، وشدِّي حيازيمَ المطايا بالغُروض؛ كأنّه ذكَرَ الأسباب التي يَسَّرت له الغِنى، وأنّها لم تخرُجْ من تفضُّل الله تعالى واجتهاده. وقوله: «المطيّة» أراد بها الجِنس، لذلك قال: «حيازيم» وجمعها. والسَّيْب: العَطاء والمعروف، وكثُر في الاستعمال حتّى سُمِّي الكنوزُ سُيُوبًا، وقيل: لما تخرجه المعادِن سُيوب. والغَرْضُ والغُرْضَة: البِطان، وهو للبعير بمنزلة الحِزام للدَّابّة، والمَغْرِض منه كالمَحْزَم.

٥ ـ وأَسْتَنْقِذُ المَوْلَى من الأمرِ بَعْدَما يَزِلُّ كما زَلَّ البَعِيرُ عن الدَّحْضِ

٦ ـ وأَمْنَحُه مالي ووُدِّي ونُصْرَتي وإن كانَ محنيَّ الضُّلوع على بُغْضِي[1]

---

(١) بعده عند التبريزي:

=

يقول: إنّي أتعطّف على أبناء عمّي، فأُخلّصهم من الشّدائد، وآخُذ بأضباعهم إذا زلّتْ أقدامُهم، فأقيمُهم بعد أن كانت زلّتُهم كزَلّة البعير عن المَزْلَقَة. وإنّما خَصَّ البعير لأنّ سقطتَه أفلظع وأسرَعُ في المَزَلّ، يقال: مكانٌ دَحْضٌ ومَدْحَضَةٌ، ودحَضَتْ رِجلُ البعير، إذا زَلِقَتْ. قال: [الطويل]

وحِذتُ كما حَادَ البعيرُ عن الدَّحْضِ(١)

ومنه: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: الآية ١٦]، أي: لا تثبت. ودَحضت الشَّمْسُ عن كَبِد السماء: زالَتْ.

وقوله: «وأمنحه مالي»، يريد: أنّي بعد استنقاذي إيّاه أتوفّر عليه ببذل المال، وإخلاصِ الودّ، وتقريب النُّصرة، وإن كان منطويًا على العَداوة والبغضاء.

وقوله: «محنيّ الضُّلوع»، أي: معطوفَها. ويقال: حَنَيْتُ الشيءَ وحنَوْتُه حَنْيًا وحَنْوًا، فهو مَحْنِيٌّ.

٤٢٧ ـ وقال حاتِمُ الطَّائي(٢): [الطويل]

١ ـ وما أَنا بالسَّاعِي بِفَضْلِ زَمَامِهَا لِتَشْرَبَ ماءَ الحَوْضِ قَبْلَ الرَّكَائِبِ

٢ ـ وما أَنا بالطَّاوِي حَقِيبةَ رَحْلِهَا لأَبْعَثَهَا خِفًّا وأَتْرُكَ صَاحِبِي(٣)

يقول: لا أجتذب إلى نَفْسي الفضلَ مع خلطائي وشركائي في الشُّرْبِ وغيرِهِ فلا أتسرّع في الوُرود مستعجِلًا براحلتي لتشرب ماءَ الحَوْض قبل وُرود ركائبهم. ومعنى

= «ويغمره حِلمي ولو شئت ناله قوارعُ تبري العظمَ عن كَلِم مَضّ
وأقضي على نفسي الأمرُ نابني وفي الناس مَنْ يُقضى عليه ولا يَقضي
ولستُ بذي وجهين فيمن عرفته ولا البخلُ فاعلم من سمائي ولا أرضي
وإني لسهلٌ ما تُغيّرُ شيمتي صروفُ ليالي الدهرِ بالفتلِ والنقضِ»

(١) لطرفة في ديوانه ١٣٨، واللسان (دحض)، وتاج العروس (دحض)، وبلا نسبة في أساس البلاغة (دحض). وصدره:

«رديتُ ونجّى اليشكريّ حذاره»

(٢) حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي القحطاني: فارس شاعر جواد، جاهلي، يُضرب المثل بجوده «ت ٤٦ ق.هـ/ ٥٧٦ م». ترجمته في: تهذيب ابن عساكر ٣: ٤٢٠، والشعر والشعراء ٧٠.

(٣) بعده عند التبريزي:

«إذا كنتَ ربًّا للقلوص فلا تدع رفيقك يمشي خلفها غير راكبِ
أنِخْها فأردفه فإنْ حملتكما فذاك وإن كان العقابُ فعاقبِ»

قوله: «بالسَّاعِي بفضل زمامها»: السَّابقُ بما أُعْطِي راحلتي مِن زمامِها، وهذا مثَل. والرَّكائب: جَمْع رَكوبٍ، وهو اسمٌ يجمَعُ ما يُرْكَب، ويقال: رَكُوبة، فهي كالحلوبة والحَمُولة، وتقع للواحد والجمع.

وقوله: «وما أنا بالطَّاوِي حقيبةَ رَحلِها»، يقول: وإذا كان لي رفيقٌ في السَّفَر وسِعت جَنَابي له، ولا أتركُه يمشِي وقد خفَّفْت حقيبةَ رحلِ ناقتي طلبًا للإبقاء عليها، ولكنّي أُرْدِفُه أو أُرْكِبُه. والحقيبة: ما يُشَدُّ خَلْفَ الرَّحْلِ. قال: [الكامل]

والـبِـرُّ خَـيْـرُ حَـقـيـبـةِ الـرَّحْـلِ[1]

والفعل منه: احتقَبَ واستَحْقَب. واستُعير فقيل: احتقَب إثمًا. قال: [السريع]

فاليومَ فاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إثْـــمًـــا مـــن الله ولا واغِـــلِ[2]

٤٢٨ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ وإنّـي لأَنْـسَـى عِـنْـدَ كُـلِّ حَـفِـيـظَـةٍ إذَا قِيلَ مَوْلَاكَ، احتمالَ الضغائنِ
٢ ـ وإنْ كان مَوْلًى ليسَ فيما يَنُوبُنِي مِن الأمرِ بالكافِي ولا بِالمُعَاوِنِ

يصف نفسَه بأنَّ الحقد ليس من طَبْعه ولا عادته، فيقول: إنّي أُشْفِقُ على مَوالِيَّ حتّى إذا اتَّفق لواحدٍ ما يحتاج مني إلى مَعونةٍ نَسِيت سيِّئته، ولم أحتمِلْ في صدري له ضِغْنَهُ، فأخَذْتُ بيده وأعنتُه على دهره، وإنْ كانَ فيما ينوبُني ليس بكافٍ لي ولا مُعين، إذ كنتُ أوجِبُ له بكونه مَوْلًى ما يُنْسِي تباغُضَه وجفاءَه. والحَفيظة: الخَصْلة يُحْفَظُ لها الإنسانُ، أي: يُغْضَب. ويقال: «أهلُ الحفائظ أهل الحِفاظ»، لأنَّهم يُحامونَ من وراء إخوانهم. وانتصب «احتمالَ» بِأَنْسَى. والضَّغائن: جمع الضَّغينة، وقد مرَّ ذِكْرُها.

٤٢٩ ـ وقال آخر[3]: [الطويل]

١ ـ وإنّـي لَعَـفٌّ عَـن مَـطَـاعِـمَ جَـمَّـةٍ إذا زَيَّنَ الفَحْشاءَ لِلنَّاسِ جَوعُها

قد مضى له نظائر.

(١) لامرىء القيس في ديوانه ٢٣٨، وأساس البلاغة (حقب)، وتاج العروس (حقب).
(٢) لامرىء القيس في ديوانه ١٢٢، والأصمعيات ١٣٠، وحماسة البحتري ٣٦، وخزانة الأدب ٤: ١٠٦، والدرر ١: ١٧٥.
(٣) هذه الحماسية غير موجودة عند التبريزي.

٤٣٠ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ومَوْلًى جَفَتْ عَنهُ المَوَالي كأنَّهُ مِنَ البُوسِ مَطْلِيٌّ به القَارُ أجْرَبُ

٢ ـ رَئِمْتُ إذا لم تَرْأَمِ البازِلُ ابنَها ولم يَكُ فيها للمُبِسِّينَ مَحْلَبُ

يقول: رُبَّ ابنِ عَمٍّ زَهِد أقاربُه في الإحسان إليه فاطَّرحوه وانثنَوْا عن الفِكْر فيهِ والتوفُّر عليه، نُبُوًّا عنه وعن اصطناعه، فأثَّر فيه البؤس، وأحاطَ بجوانبه الشَّقاء والضُّرّ، حتى صار كالبعير الجرِب وقد طُلِيَ بالقار، هيئةً ولونًا، وضُؤولةً وانخزالًا، وتباعدًا عن الناس وتجافيًا، أنا عَطَفْتُ عليه، وأشركتُه فيما وهَبَ الله لي في وقتٍ من الزّمان لا يُؤْوِي أحدٌ من أهله غيرَه، لِشُمول القَحْط، وغَلَبة الضُّرِّ والفَقْر، حتى أنّ النُّوقَ تُؤْثر التباعُد عن أهلها فلا تَرأَمُها، وتَرَى الذين يُبِسّون بذوات الألبان عند الحَلَب، لا يَجِدُون في ضَرعها خيرًا، ويقال: بَسَّ بالناقة وأَبَسَّ، إذا دَعاها للحَلَب. ومن أمثالهم: «لا أفعلُ كذا ما أَبَسَّ عَبْدٌ بناقةٍ[1]»، أي دعاها للحَلَب. ويقال: رَئِمَتِ الناقةُ رِئمانًا، إذا عطَفَتْ.

٤٣١ ـ وقال عروة بن الورد[2]: [الطويل]

١ ـ دَعِيني أُطَوِّفْ في البِلادِ لَعَلَّني أُفِيدُ غِنًى فيه لِذِي الحقِّ مَحْمِلُ

٢ ـ أَلَيسَ عَظِيمًا أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ وليسَ علينا في الحقوقِ مُعَوَّلُ

يُخاطب عاذلةً له فيما همَّ به من التَّرحال في طلَب المال، فقال: اترُكيني وما أختارُه من التَّجوال، والتنقُّل في البُلْدان، طمَعًا في خيرٍ أستفيدُه، وغِنًى أستجدُّه، لكيْ إذا نابَنا ذو حَقٍّ وجَدَ على مالِنا مَحْمَلًا، وعلينا في التزام واجِبِه مُتَّكَلًا؛ لأنَّ مَن جالَ نال، ومن قَرَع بابًا وجَدَ وُلُوجًا، وأوَّلُ دَرَج الحِرمان الوقوفُ عند أدنى الهِمَّتين، وآخرها الرِّضا بأوْدَع العَيْشَين.

وقوله: «أليس عظيمًا»، يريد: تقريرها على فَظاعةِ الفقر والفاقَة، وقَباحة إمساكِ الناس عن تعليق الرَّجاء بهم والطَّماعة، فقال: ألا تستعظم أن تَنُوبَ الحيَّ نائبةٌ فلا يُعَوِّلون علينا في الاحتمال عنهم، ولا يرتجون منّا تعطُّفًا عليهم، لاتِّضاع حالِنا، وتأكُّد

(١) المثل في اللسان (بسس)، قال اللحيان: «وهو طوافه حولها ليحلبها».
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٥).

اليَأسِ من نَيْلنا. وقوله: «أُفيده» بمعنى: أستفيد. وأليس يقرِّر به في الواجب الواقع، وأن تُلِمَّ في موضع الرَّفع بلَيْس.

٤٣٢ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ تَثَاقَلْتُ إلا عَن يَدٍ أَسْتَفِيدُها وخُلَّةِ ذي وُدٍّ أشُدُّ به أزْرِي

هذا في طريقةِ ما تقدَّم. والمعنى: أنّي أتباطأ عن المطالب والمَباغي كلّها إلا إذا اتّفق مَصنعٌ عند حُرٍّ، فإني أتسرّع إليه، وأتخفَّف في تحصيله، مخافةَ أن يفوز به غيري، لأن اعتقاد المِنَن في أعناق الرِّجال أعُدُّه غنيمةً تُغْتَنَم، وفائدةً تُدَّخر، وإلّا صَداقةَ أخٍ وَديدٍ أعتمدُها في مدافعةِ شَرّ، ولاشتدادِ أزْرٍ، فإني أجمعُ يَدِي عليها، ولا أصبرُ على المزاحمة فيها. ويقال: شَدَّ فُلانٌ أزْرَه، إذا شدّ مَعْقِدَ إزارِه، ويقال: آزَرَه على أمره، إذا ظاهَرَهُ وعاونَه عليه.

٤٣٣ ـ وقال عبدُ الله بن الزَّبِير[1]: [البسيط]

١ ـ لا أَحْسِبُ الشَّرَّ جارًا لا يُفارِقُني وَلَا أَحُزُّ على ما فاتَني الْوَدَجَا

٢ ـ وما نَزَلْتُ مِن المكروهِ مَنْزِلَةً إلّا وَثِقْتُ بأن أَلْقَى لها فَرَجَا

يصف حُسْنَ ثقتِهِ بربِّه، وجميلَ ظنِّه بتفضُّله، وأنه قد جَرَّب وتَبصَّر، وعَرَف من أعقابِ الأمور ما جعلَه لا يَذِلُّ لنائبة، ولا يتخشَّع لنازلة، فلا يظنُّ الشَّر إذا بُلِيَ به ضربةَ لازِمٍ لا يُخالِف، وجارَ سَوء لا يُفارِق. قال: وإذا فاتَني أمرٌ وإن جَلَّ لا أهْلِك أسًى في إثْرِهِ، ولا أقتلُ نفسي جَزَعًا لفَوْته، ولا أنْزِلُ من مَظانِّ المكارِه منزلةً إلّا وثقتي بتلَقّي الفرَج وتعجُّله على أقرب مسافةٍ مني. والوَدَجان: عِرْقانِ يقطعُهما الذابح، ويقال: وَدَجْتُ الدَّابّةَ، إذا أصَبْتَ وَدَجها.

٤٣٤ ـ وقال مالكُ بن حَزِيم[2]: [الطويل]

١ ـ أُنَبِّيتُ والأيّامُ ذاتُ تَجارِبٍ وتُبْدِي لَكَ الأيّامُ ما لَسْتَ تَعْلَمُ

٢ ـ بأنَّ ثَراءَ المالِ يَنفَعُ رَبَّهُ ويُثْني عليه الحَمْدَ وهو مُذَمَّمُ

---

(١) التبريزي: «عبد الله بن الزبير الأسدي»، وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٣٢٢).

(٢) التبريزي: «مالك بن حريم الهمداني» هو مالك بن حريم بن مالك من بني دالان: شاعر همدان في عصره، وفارسها وصاحب مغازيها، جاهلي يماني، كان يقال له مفزع الخيل، ويعدّ من فحول الشعراء. ترجمته في المرزباني ٣٥٧، والحيوان ٢: ٢١٠.

٣ ـ وأنَّ قَلِيلَ المَالِ لِلْمرءِ مُفْسِدٌ يَحُزُّ كما حَزَّ القَطِيعُ المُحَرَّمُ

٤ ـ يَرَى دَرَجَاتِ المَجْدِ لا يَسْتَطِيعُهَا ويَقْعُدُ وَسْطَ القَوْمِ لا يتكلَّمُ

قوله: «والأيّامُ ذاتُ تجارب» اعتراضٌ وقعَ بين أُنبِيت ومفعولَيْه، وهما في قوله: «أنّ ثراءَ المال ينفع ربَّه»؛ لأنَّ أُنبيت ونُبِّيت وأخواتها كلُّ واحدةٍ منها تتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل. وقوله: «وتُبْدِي لك الأيّامُ» اعتراضٌ ثانٍ وإنْ عُطِفَ على ما قَبْلَه. والمعنى: أنَّ الأيّام واللَّيَاليَ تفيد أربابَها تجاربَ بما يحدُث فيها من الحوادث، ويتحوّل من الأحوال، وتُعْلِمهم بما ينكشف عنها ويَشْتَمِل عليها من غوامض الأمور وخفِيّاتها، ما لا يَخطُر لهم ببال، ولا يؤدّيه إليهم رَسْمٌ ولا مِثالٌ، فيقول: أُخْبِرْتُ والأيّام هذه حالها أنّ كَثرةَ المال، والتّوسُّع في الحال، يَرْجِعان بالنَّفع على صاحبهِما فيصوِّرانه بصورة المكشور والمحمود، وإن كان عند التَّحقيق والتحصيل مشكُوًّا مذمومًا؛ وأنَّ في قِلَّةِ المال مَفْسَدَةً لحالِ المُقِلّ وجاهِهِ ونفسه، حتّى يبريَه ويقطعه بَرْيَ السَّوْط الجديد الذي لم يليَّن بَعْدُ، المضروبَ به، فتراه يَبْخَعُ نفسَه، ويتخشّع لِلَاقِيهِ والنّاظِرِ إليه، ويَلْزَم السُّكوتَ في نادي الحيِّ فلا يَنْبِسُ تَماوُتًا وتصاغرًا، إذْ كان قد عَلِمَ من نفسه أنّه لا يستطيع التَّرَقِّيَ في مدارج الفَضْل والإفضال، وأنّه تَقْعُدُ الحالُ به عن النُّهوض بما ينهض به أماثلُ الرِّجال، فهو يُسَلِّم الأمرَ لهم، ويَبْرأ من التَّدبير إليهم.

وقوله: «بأنَّ ثَراءَ المال» تَعَلّق بأُنبيت بأنَّ الأمر كذا وأنَّ الأمر كذا. والقَطيع: السَّوْط. والمُحَرَّم: الذي لم يُمَرَّن بَعْدُ.

٤٣٥ ـ وقال محمد بن بَشِيرٍ[(١)]: [البسيط]

١ ـ لَأَنْ أُزَجِّيَ عِنْدَ العُرْيِ بالخَلَقِ وَأَجْتَزِي من كثيرِ الزَّادِ بالعُلَقِ

٢ ـ خَيرٌ وأكْرَمُ لي من أنْ أرَى مِنَنًا خَوَالِدًا لِلِئَامِ النَّاسِ في عُنُقِي[(٢)]

يصِفُ رضاهُ بيسيرِ الحظِّ من الدُّنيا، وعَفَافَهُ عن كثير ما يَسْتَغْنِي عنه فيتوقّى، فيقول: لأنْ أتبلَّغ عند التَّعرِّي باكتساء الخَلَق، وأكتفي من الزّاد الكثير بما يمكن به سدُّ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٦٩). (٢) التبريزي: «مِننًا معقودة».

الفاقة ـ أَصْوَنُ لي وأَرَدُّ عليَّ مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا معقودة في عُنُقِي، مُثْقِلَةً لظَهْري، باقيةً على أعقَاب الزمانِ لِلِئَامِ الناسِ عندِي. والعُلَق: جمع العُلْقَة، وهي اليسير من الشيء يُتَبَلَّغُ به ويَعْتَلِقُه المحتاجُ إليه. ويجوز أن يكون من عَلِقَ يَعْلَقُ إذا رَعَى. ومنه الحديث: «إنَّ أرواحَ الشُّهداء لَتَعْلَقُ في الجنّة»، وتكون العُلْقة كالغُرْفة والطُّعْمَة وما أشبههما. وقوله: «لأنْ أُزَجِّيَ» اللام لام الابتداء، وأن أزجّي مبتدأ وخبره قوله: «خَيْرٌ وأكرمُ بي».

٣ ـ إنّي وإن قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي ... وكانَ مَالِيَ لا يَقْوَى على خُلُقِي

٤ ـ لَتَارِكٌ كلَّ أَمْرٍ كانَ يُلْزِمُنِي ... عَارًا ويُشْرِعُني في المَنْهَلِ الرَّنِقِ

نَبَّهَ على تمام الظَّلَف والعفاف إذا أَخَذَ به الإنسان، فيقول: أنا وإنْ عَجَزَتْ غُنْيَتِي عمّا توجبه همَّتي، وكان في حالي قُصُورٌ عما يدعو إليه خُلُقي، مُعْرِضٌ عن كلِّ أمْرٍ إذا نلتُه رجع منه عارٌ عليَّ أُذْكَرُ به، ويوردُني مشارعَ الكدر، فإذا صَدَرْتُ عنها لم أتهنَّأْ بشربي منها. ولك أنْ تروي: «في مَنْهَل الرَّنَق»، فيكون المنهل مُضافًا إلى المصدر، ولك أن تَرْوِي: «في المَنْهَل الرَّنِق» بكسر النون فيكون صفةً له. والمَنْهَل: موضع النَّهَل. والنَّاهِلُ: العَطشان، والرَّيَّان جميعًا. والوُجْدُ والجِدَةُ: مصدر وَجدتُ في المال، ويقال: شَرَعت في الماء، إذا خُضْتَ، وأَشْرَعَنِي فيه فلانٌ وشرَّعني أيضًا. وفي المثل: «أَهْوَن الوِرْدِ التَّشْرِيعُ».

٤٣٦ ـ وقال أيضًا: [البسيط]

١ ـ ماذا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحَاتِ والدُّلَجَا ... البَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تركبُ اللُّجَجَا

٢ ـ كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ في الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ... أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قد فَلَجَا

قوله: «ماذا» لفظةُ استفهام، والمعنى الإنكار، ويجوز أن يَكون «ما» مع ذا بمنزلة اسمٍ واحد مبتدأ، ويكلّفك خبره. ويجوز أن يكون وَحْدَه اسمًا، وذا في موضع الخبَر، ويكلِّفك من صلته؛ كأنّه قال في الأوّل: أيّ شيءٍ يكلّفك، وفي الثاني: ما الذي يكلّفك السَّيْرَ في اللَّيْل والنَّهار متّصلًا، لا تفتُر تركَب البَرَّ تارةً، والبحرَ أخرى. والرَّوْحات: جمع الرَّوْحَة، وهو يريد به السَّيْرَ رَواحًا. والدَّلَجُ والدُّلجة: السَّيْر بالليل. وقوله: «طَوْرًا» انتصَبَ على الظَّرْف، والبَرّ انتصَبَ بفعلٍ مضمَر دلَّ عليه الفعلُ الذي

بعده. واشتقاق الطَّوْرِ من قولهم: لا أطور به، ومن طَوَار الدَّار، وهو ما كان مُمْتدًا معها.

وقوله: «كم من فتّى» أفادكَم التّكثيرَ، والكلام خبر، والمراد: كثيرٌ من الفِتيانِ تَودَّعوا في منازلهم، وقَصُرَتْ خُطُواتهم للسَّعْي في طلَب أرزاقهم، أُلْفُوا قد نالُوا ما غَلَبُوا به المجِدَّ في الطَّلَب، المتعِبَ نفسه في التَّنقُّل. ومعنى: فَلَجَ: غَلَبَ. وسهام الرِّزْقِ، يراد بها قِداح الرِّزق، كأنّه فاز لَمَّا خرجَ له عند الإجالة بما غَلَبَ به مُقامِرَهُ ومُزَاحِمَهُ. ويجوز أن يريدَ بسهام الرِّزق ما حُظَّ له من الحظّ، وأُسْهِمَ له وقُسِمَ في الرِّزْقِ.

٣ ـ إنَّ الأُمورَ إذا انسَدَّتْ مَسالِكُها فالصَّبْرُ يفتُقُ منها كلَّ ما ارتَتَجا
٤ ـ لا تَيأَسَنَّ وإنْ طالَتْ مُطالَبَةٌ إذا استَعَنْتَ بصبرٍ أن تَرَى فَرَجا

يقول: استَعِنْ بالصَّبْرِ في كلِّ ما تُزَاوِله وتراوِده، فإنَّ الأمورَ إذا انسدَّت طرقُها، وأعْيَت الحِيَلُ في تحصيلها، فإنَّ الصَّبْرَ يسهِّلُ مدارجَها، ويوسِّع مَوالِجَها، ويَفْتَح ما انغلَقَ منها، ويَفْتُق ما ارتَتَقَ من أسبابها، ولا يتسلَّطنَّ عليك من اليأس ما يفتِّر عزمَك، أو يقصِّرُ سَعْيَك، وإنْ دامَتْ مطالبتُك، واتَّصلَتْ مواظبتك. واعتقِدْ أنَّ الفرجَ يتلقَّاك، والنُّجحَ بأقرب المنازِلِ منك؛ فإنَّك إذا فَعلتَ ذلك فُزْتَ بكلِّ ما تَرومُهُ، وتَعَجَّلَ لك كلُّ ما تهواه. وقوله: «أن ترى» في موضع المفعول من تيأسَنَّ. وقوله: «فالصبر يَفْتُق» جواب إذا، وخبر إنّ الأمور في الشرط والجواب. ويقال: رتَجْتُ البابَ وأرْتَجْتُهُ، إذا أَغْلَقْتَهُ، وباب مُرْتَجٌ ومَرْتُوجٌ. والرِّتاجُ: البابُ نفسُه.

٥ ـ أَخلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحظَى بحاجَتِهِ ومُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
٦ ـ أَبْصِرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عن غِرَّةٍ زَلِجَا[1]

يقول: إنَّ مُدْمِنَ الصَّبْرِ في الأمور، ومُلازِمَ التثبُّتِ والتلوُّم عند الخطوب حقيقٌ بأن يظفَر بطَلِبَتِهِ، وبنجاحِ السَّعْي في مَرَامِهِ وبِغْيَتِهِ؛ كما أَنَّ من أدامَ قَرْعَ أبوابِ

(١) التبريزي: «قَدِّرْ لرجلك». وبعده عند التبريزي:
«ولا يغرنَّكَ صَفْوٌ أنت شاربُهُ فربّما كان بالتكدير ممتزجا»

مَداخله، وغَمَز مفاصلَ آرابِه، حقيقٌ بوُلوجِه ووصوله، ومَعرفةِ مُتِيح ما يرجوه ومُريحهِ.

ثم قال: وإذا سعيتَ في أمْرٍ فاعرفْ مواطئَ قَدَمِكَ قبل أن تَعْلوَها، ومواقعَ خَطْوِك قبل أن تَغدُوَها، واقسِمها بين نَظَرِكَ واختبارك، وتحقيقك وحَدْسِك؛ فإنَّ مَن ركِب مَزْلَقَةً عن غِرَّةٍ وغَفلة، يُوشِك أن يسقُط ليديهِ وفمِهِ، وتزلَّ به قدمُه إلى قَرار هَلَكته وحَينه. والزَّلَجُ: السُرعة في المَشْي والسُّقوطِ وغيرِهِ. وفرسٌ زَلُوجٌ: سريع السير. وكذلك يقال: قِدْحٌ زَلُوجٌ، ومزلاج الباب: الخشبَةُ التي يُغلقُ بها.

٤٣٧ ـ وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ لَجِجْنَا ولَجَّتْ هَذِهِ في التَّغَضُّبِ وشَدِّ الحجابِ بَيْنَنَا والتنقُّبِ[٢]

٢ ـ تَلُومُ على مَالٍ شَفَانِي مَكانُهُ إلَيكِ فَلُومِي ما بَدَا لَكِ واغْضبِي

كانَ هذا الشَّاعرَ اطَّلَعَ من أحوال أيتام أخيه على ما ساءه وأَنِفَ منه، ثُمَّ دعاه التَّحنُّن والإشفاقُ مِّما يتداوله الناسُ في مجالسهم من أحاديث البِرّ والعُقوق، وتصرُّفهم في صَرْف المَقْتِ إلى مستحقِّه، والحمدِ إلى مكتسِبه، إلى أنْ أمرَ عَبْدَيْهِ الرَّاعيينِ بإراحة ما رَدًّا إلى فنائه مِنْ مَسارح إبلِه عليهم، فاغتاظَتْ امرأتُه من ذلكَ وأنكرَتْ فِعْلَه، وخوَّفَتْه في أثناء ملامها بالفَقر وهجرَتْه، فأخذ يقتصُّ ما كان منها ومنه، فقال: تمادَت امرأتي في الغَضَب والهجران، واللَّوم والاحتجاب، وكلُّ ذلك منها في مَالٍ شفاني موضعُهُ الذي وضعتُه فيه، ومَصْرِفُه الذي صرفتُه إليه. ثُمَّ أَقْبَل عليها مستهينًا بها وبفِعْلِها فقال: إليكِ فلومي ما بدا لَكِ، والمعنى: اجْمعِي أمرَكِ، واستمرِّي في عَتْبِكِ وغضبَك ما بدَا لك، فإنَّ الرَّشَادَ فيما آثرتُهُ، والصَّلَاحَ في قِرَانِ ما اخترتُه. و«إليك»: اسمٌ من أسماء الأفعال هنا، كما يكون عليك، وعندك. ولذلك عَطَفَ عليه قوله: «فلومي». و«ما بدا لك» في موضع الظَّرْف، وقد تقدم القولُ في أمثاله.

---

(١) التبريزي: «وقال حجيّة بن المضرّب: حدّث ابن كناسة أن حُجيّة بن المضرّب كان جالسًا بفناء بيته فخرجت جارية بقعبٍ فيه لبن، فقال لها: أين تريدين بالقعب؟ فقالت: بني أخيك اليتامى، فوجم، وأراح راعياه إبله، فقال: اصفقاها نحو بني أخي، ثم دخل منزله فعاتبته امرأته فقال هذه الأبيات».

(٢) التبريزي: «ولطّ الحجاب»، واللطّ: الستر.

٣ ـ رَأَيْتُ اليَتَامَى لا تَسُدُّ فُقُورَهُمْ هَدَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبِ
٤ ـ فقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا أَرِيحَا عَلَيْهِمُ سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْلَ آخرَ مُعْزِبِ
٥ ـ عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خَصَاصَةً وأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا إلى حِينِ مَكْسَبِي[(١)]

يعني باليتامى أولاد أخيه المتوفَّى، يريد: رأيتهم لا تَسدّ مفاقرَهم ولا تقيمُ مُخْتَلَّ أحوالهم، تُحفٌ تُوجَّه إليهم، وهدايا تُحْمَلُ نحوهم في قِعابٍ مشعوبَةٍ. يشير بذلك إلى ما كانت امرأته تتولّاه وتأتيه من بِرِّهم وتفقُّدهم قبل ذلك. وفي قوله: «هدَايا لهم في كلِّ قعب مُشَعَّبِ» إزراءٌ بصنيعِها، وبالألبان المنقولة إليهم وظُروفِها. وجَمَع الفُقُورَ لاختلاف وجوهها.

وقوله: «فقلتُ لِعَبْدَيْنا»، يعني: راعِيَيْه اللّذين أُمِرَا بِسَوْقِ الإبل المردودة من المراعي إلى فِناء أولاد أخيه. وإنَّما ثَنَّى على عادتِهم في تثنية مزاوِلِي أعمالهم، كالبائن والمستعلِي في الحَلَب وما أشبههما. وقوله: «سأجعلُ بيتي مثلَ آخر»، يريد: مثل بيتِ آخرَ وقد عَزَبَتْ إبله وتباعدَتْ، فإنّ عيالي ولهم كاسبٌ مثلي أحقُّ بمزاوَلة الفَقْر، ورَثَاثة العيش، والصَّبْرِ على المَشْرَب الرَّنق، إلى أن أَكْسِبَ ما تعودُ به حالهم إلى ما أَلِفُوه من الخِصْبِ والسَّعَة، والخَفْض والدّعَة. ويقال: أَعْزَبَ الرَّجلُ، إذا عَزَبَتْ عنه إبلُه في المرعَى.

٦ ـ ذكرتُ بِهِمْ عِظَامَ مَنْ لَوْ أَتَيْتُه
خَرِيبًا لآسَانِي لَدَى كُلِّ مَرْكَبِ[(٢)]
٧ ـ أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ
يُجِبْكَ وإنْ تَغْضَبْ إلى السَّيفِ يَغْضَبِ[(٣)]

---

(١) التبريزي:
«بَنِيَّ أحقُّ أن ينالوا سغابةً وأن يشربوا رنقًا لدى كل مشرب»

(٢) التبريزي: «ويروى:
حبوتُ بها قبر امرئ لو أتيتُه»

(٣) التبريزي:
«أخي والذي إن أدعه لملمة يُجبني وإن أغضبْ إلى السيف يغضبِ»
قال أبو رياش: وفيها:
فلا تحسبيني بلدمًا إن نكحتِه ولكنني حُجيَّةُ بن المضرّبِ
البلدم: الثقيل الوخم.

يقول: تذَكَّرْتُ بهؤلاء الأولادِ أباهم الذي لو أتيتُه محزونًا مسلوبًا، ومُتْعبًا بأعباء الفقر مَبهورًا، لضمَّني إلى صدره، وشمِلَني تضاعيفُ برِّه، وجعلني إسوةَ نفسِه في كلِّ ما أركبُه، والمُسْعَفَ بِطَلَبَتِهِ عند جميع ما أخطُبُه؛ لأنَّ الآخَ الكامل الأخوَّة هو الذي يشدّ أزرَكَ، ويَحْمِي ظهرَكَ، وإن دعَوْتَه لنائبةٍ تنوبُ أجابَكَ سريعًا، وإن أعْمَلْتَ سيفَكَ أعْمَلَ سيفَه معه حثيثًا.

٤٣٨ ـ وقال المُقَنَّعُ الكِنْدِيُّ[١]: [الطويل]

١ ـ يُعَاتِبُنِي فِي الدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا ... دُيُونِيَ فِي أَشْيَاء تَكْسِبُهُمْ حَمْدَا

٢ ـ أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخَلُّوا وَضَيَّعُوا ... ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدَّا

٣ ـ وفي جَفْنَةٍ ما يُغْلَقُ البابُ دُونَها ... مُكَلَّلَةٍ لَحْمًا مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا

٤ ـ وفي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُه ... حِجابًا لِبَيْتِي ثم أَخْدَمْتُهُ عَبْدَا

كأنَّ قومَه ينعَوْن عليه سَرَفه في الإنفاق، وتخرُّقَهُ في الإفضال، وتجاوُزَه ما تُساعِدُه به حالُه وتتَّسعُ له ذاتُ يدِه إلى الاستقراض، وبَذْلِ الوجه في الادِّيَانِ، فقال: كَثُرَتْ لائمتُهم فيما يركَبُني من الدُّيون، وإنما هي مصروفةٌ في وجوهٍ مُؤَنُها عليَّ، وجَمالُها لهم، وقضاؤها في أنفسِها يَلْزَمُني، ومحامدُها موفَّرة عليهم. ثمَّ أخذ يعدِّد فقال: من تلك الوجوهِ أنَّ ما يَنُوبُ من الحقوق فيُخِلّون بها ويضيِّعونها عجزًا عن الوفاء بواجبها، أنا أسُدُّ ثغورَها، وأُقيم فروضَها.

ومنها: أنّ لي دارَ ضيافة قُدورُها مُشْبَعة موفورة، وجفانُها معَدَّة منصوبة، لا يُمْنَع منها طالبُها ولا يُحْجَب عنها رائدها، فلُحمانُها كالأكاليل على رؤوسها، وثرائدها قد نُمِّق تدقيقُها.

ومنها: أنّ بفنائي فرسًا مربوطًا قد أُعِدَّ للمهِمَّات، على عادةِ أمثالي من الأكابر والرُّؤساء، ولكَرمِه وما يتوفَّر عليه من إكرامي إيَّاه قد صار كالحِجاب لباب بيتي، وقد شَغَلْتُ بخدمته عَبْدًا يتفقَّده بمرأًى منِّي، لا أُهمِلُه ولا أغفُل عنه.

---

(١) المقنَّع الكندي: محمد بن عميرة بن أبي شمر شاعر من أهل حضرموت، اشتهر في العصر الأموي (ت نحو ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م) ترجمته في: الشعر والشعراء ٢٨٤، والوافي بالوفيات ٣: ١٧٩، والأغاني ١٥: ١٥٧.

قوله: «مدفَّقةٍ» أي: مملوءة، والأحسن أن يُروى معه: «ثُرْدًا» بضمّ الثاء. ويروى: «مدفَّقةً ثَرْدًا» بفتح الثاء. والمراد: مثرَّدةٍ ثَرْدًا دقيقًا. والنَّهْد: الجَسِيمُ المُشْرِفُ من الخَيْلِ.

٥ ـ وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمختلِفٌ جِدًّا

٦ ـ فَإِنْ يَأْكلوا لَحمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بنيتُ لهم مَجْدَا[1]

٧ ـ وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لهم رَشْدَا

٨ ـ وَإِنْ زجروا طَيرِي بنَحسٍ تَمُرُّ بِي ... زَجَرْتُ لهم طَيرًا تَمُرُّ بهم سَعْدَا[2]

ذكر بعد ما عَدَّد معاذيره فيما أنكروه عليه، أنَّ إخوتَه وأبناء عمِّه يحسدونه ويأتمرون العداوةَ والغَوايةَ له، وهو يُصابِرُهم ويُجامِلُهُم، ويتغابَى معهم، فقال: إنَّ ما بيني وبينهم في طَرَفَيْ نقيض، وعلى لونٍ من الخِلاف عجيب؛ فإنهم أن اغتابُوني وتطعَّموا لحمي أمسكْتُ عنهم، وتركتُ أعراضهم موفورة، لم يتخوَّنْها منِّي إذالةٌ ولا ثَلْب، وأعراقهم محفوظة لم يتحيَّفْها تحامُلٌ ولا غَضٌ، وإنْ سَعَوْا في نَقْضِ ما أبرمْتُه من مَسْعَاةٍ كريمةٍ، وهَدْمِ ما أسَّستُه من خُطَّةِ مَجْدٍ عليَّةٍ، جازيتُهم بابتناء شَرَفٍ لهم مستحدَث، وإعلاءِ شأنٍ لهم مستأنَف. وإن أهْمَلُوا غيبي فلم يُراعُوهُ بحُسْنِ الدِّفاع عنه، وإسباغِ ثَوب المحاماة عليه حَفِظت أنا غيبَهم، وأرصَدْت الغوائل لمن اغتالهم. وإن أحبُّوا لِيَ الغِوايةَ، والتَّسكُّع في الضَّلالة والبَطالة، اخترتُ لهم المَراشِد، وهَوِيت في مَباغيهم المَناجح. وإن تمنَّوْا لِيَ المَنْحَسَة، وزَجروا من بَوارح الطَّيْر وسوانحها في المشأمة، جعَلْت عِيافتي لهم فيما يَمُرُّ بي منها المَسْعَدة والطِّيَرَة الحميدة. وقوله: «سَعْدًا» صفة لطَيْرًا.

٩ ـ وَلا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَدِيمَ عَلَيهِمُ ... وَلَيسَ رَئِيسُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدَا

١٠ ـ لَهُمْ جُلُّ مَالِي إنْ تَتَابَعَ لِي غِنًى ... وَإِنْ قَلَّ مَالِي لم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا

١١ ـ وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيفِ ما دامَ نَازِلًا ... وَمَا شِيمةٌ لِي غَيرَها تُشْبِهُ العَبْدَا

أثبت لنفسه الرِّياسةَ عليهم في هذا البيت. والمعنى: أنه متى استعطَفوه عطَفَ عليهم، وإن استقالوه أقالَهم وأسرَع الفَيْئةَ لهم، غيرَ حاملٍ الضِّغْنَ واللِّجاجَ معهم، ولا معتقِدًا انتهازَ الفُرَص فيهم، لِمَا اكتَمَن من عَوادِي الحقد عليهم.

(١) التبريزي: «فإن أكلوا».

(٢) التبريزي: «وإن زجروا طيرًا».

وقوله: «وليس رئيس القَوم من يحمل الحقدا» يجري مجرى الالتفات، كأنّه أقبلَ على مخاطَبٍ فقال: إنّي لا أتجمّل بترك مؤاخذتهم، واطّراحِ الحِقد في مساوَفَتهم، فإنّ الرّئيسَ يُحِبُّ لتَبِعِهِ ذلك عليه في شروط الرّياسة. وقوله: «لهم جلُّ مالي»، يريد: إنْ تَوَاصَلَ الغِنَى لي أشركتُهُمْ في مُعْظَمه، من غير امتنانٍ ولا تكدير، وإن تحيَّفَ مالي حادثٌ يُلِمُّ، أو عارضٌ يحدُثُ، لم أنتظِرْ من جهتهم مَعونة، ولا كلّفتهُم فيما يخفّ أو يثقُل مؤونة.

وقوله: «وإنّي لعَبْد الضَّيْف»، أراد أن يبيِّنَ ما عنده للغريب الطارق، والضَّيْف النازل، بعد أن شَرَح حالَه مع مواليه، وخِصالَه في مُرافَقَةِ ذويه، فقال: وأبْلُغُ في خِدمة الضُّيوف مَبالغَ العبيد فيها. ثمّ أكّد ما حكاه بقوله: «وما شِيمةٌ لي غَيْرَها تُشْبِهِ العبدا»، فانتصبَ «غيْر» على أنّه مستثنى مقدَّم؛ وذاك لأنّه لما حالَ بين الموصوف والصِّفة، وهما شيمةٌ وتُشْبه، وتقدَّمَ على الوصف صار كأنّه تقَدَّمَ على المصوف، لأنَّ الصِّفة والموصوفَ بمنزلةِ شيءٍ واحد. وقوله: «تشبه العبدا»، يريد: تُشْبِه شِيَمَ العبد، فحذفَ المضافَ وأقام المضاف إليه مقامه.

فليَتأمَّل النّاظرُ في هذا الباب وفي مثلِ هذه الأبيات، وتصرُّفِ قائلِها فيها بلا اعتساف ولا تكلُّفٍ، وسلاسَة ألفاظها، وصِحَّة معانيها، فهو عَفْوُ الطَّبْعِ، وصَفْو القَرْض.

٤٣٩ ـ وقال رجلٌ من الفَزَارِيِّين: [الطويل]

١ ـ إلّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإنَّنِي لَهُ بالخِصَالِ الصَّالحاتِ وَصُولُ
٢ ـ وَلَا خَيرَ فِي حُسْنِ الجُسُومِ ونُبْلِهَا إذا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الجُسوم عُقُولُ
٣ ـ إذَا كُنْتُ في القَوْمِ الطِّوَالِ أَصَبْتُهُمْ بِعارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ[(١)]

يقول: إن لم يكنْ في طولي امتداد، ولا في خُلقي بَسْطة وكمال، فإنّي لا أزالُ أَصِلُ نَقْصَ جسمي، وأَمُدُّ قِصَر قامتي بما أتولّاه من الأفعال الكريمة، وأختاره من الخِصال الحميدة، حتّى أمْحُوَ سِمةَ الإزراء عن نفسي، ومَنْ أُوتِيَ الفضلَ في خُلُقه ونَفْسه، وعاداته وشِيَمه، خيرٌ مِمَّن أُوتِيَ العِظَم في خَلْقه، والبَراعةَ في جسمه، فلا فضيلَةَ لمن حسُنَ وجههُ ونَبُل منظرُه، إذا لم يزيِّنْه عقلٌ وافر، ومَخبرٌ رائق.

---

(١) التبريزي: «الطوالِ علوتهم».

ومتى حَصَلْتُ بين أقوامٍ طِوال القامات، قابَلْتُ طُولَهم بطَوْلِ يدي فِيهم، وأنَلْتهم معروفي حتّى عظُمْتُ في أعينهم، وامتلأَتْ من حبِّهم لي ومَيْلِهِم إليَّ قلوبُهم، فأنساهُمْ طولُ باعي بالعطيَّةِ قِصَر قامتي بين قاماتهم. وقوله: «حتّى يُقالَ طَوِيل» ارتفع طويل على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنّه قال: هو طويل، أي: يُسَلِّمون له فضيلةَ الطُّول عندهم.

٤ ـ وكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُروعٍ كثيرةٍ ... تَموتُ إذا لم تُحْيِهِنَّ أُصُولُ

٥ ـ ولم أرَ كالمعروفِ أمَّا مَذاقُه ... فحُلْوٌ وأمّا وَجْهُهُ فجَميلُ

هذا مثلٌ ضَرَبَه للخصال المجتمِعة في الإنسان، لا تُعَدُّ فضائلَ إلّا إذا اقترنَتْ بخصالٍ أُخَر، وهي كالأصول لها. ومثالُ ذلك ما قدَّمه من ذِكر عَبالة الخَلْق إذا عَرِيَتْ من نَباهة الخُلُق، وما شاكَلَها من صباحة الوَجْه إذا خَلَتْ من صحابة العَقْل. ثم قال: ولم أرَ شيئًا كإسداء المعروف وبثّ العطاء والإحسان، فإنَّ مَنْ ذاقَه استَجْلاه، ومن رآه استحسنَه وارتضاه. وهذا تأكيدُ ما ذكر من قوله: «أصبتهم بعارفة حتّى يقال طويل».

٤٤٠ ـ وقال عبدُ الله بن معاوية[(١)]: [الوافر]

١ ـ أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إلى أُمورٍ ... ويَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

٢ ـ فنَفْسِي لا تُطَاوِعُني ببُخْلٍ ... ومالي لا يُبَلِّغُني فَعَالِي

قد مضى له أمثال، ومعناه ظاهر، ويروى: «لا يَقُومُ له فَعَالي».

٤٤١ ـ وقال مُضَرِّس بن رِبْعِيٍّ[(٢)]: [الكامل]

١ ـ إنّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجاهِلِ قَوْمِنا ... ونُقِيمُ سَالِفَةَ العَدُوِّ الأَصْيَدِ

٢ ـ ومَتَى نَخَفْ يَوْمًا فَسَادَ عشيرةٍ ... نُصْلِحْ وإنْ نَرَ صَالِحًا لا نُفْسِدِ

---

(١) التبريزي: «عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر»، هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: من شجعان الطالبيين وأجوادهم وشعرائهم، اتّهم بالزندقة وكان فتّاكًا، طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية سنة ١٢٧هـ بالكوفة ثم قُتل خنقًا بأمر من أبي مسلم الخراساني (ت ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م). ترجمته في ابن الأثير حوادث سنتي ١٢٧ و١٢٩، ومقاتل الطالبيين ١٦١.

(٢) مضرّس بن ربعي بن لقيط الأسدي: شاعر حسن التشبيه والرصف، كان معاصرًا للفرزدق. ترجمته في: معجم المرزباني ٣٩٠، والمؤتلف ١٩١، وخزانة الأدب ٢: ٢٩٢.

يصفُ صفاءَ نيّتهم لقومهم، وأنّهم يسلُكون معهم طرائقَ ما يعود على المَسُودِ بالصّلاح، وعلى السّائد باستكمال الرّياسةِ والارتفاع، فقال: إذا جَهِلُوا علينا صَفَحْنا عنهم، وأبقَيْنا على الحال بيننا وبينهم، واستفأْنا إقامتهم ورَجعتَهم. كلُّ ذلك لئلا ينفِرُوا فيزدادَ ما بينَنا وبينهم تَفاقُمًا. فأمّا الأعداءُ فإنّا نَكْسِرهم ونستلُّ عنهم كِبرَهم وخُنزُوانَتَهم، وتليِّن أعناقَهم حتّى ينقادوا على ضِغْنٍ منهم. والسّالفة: صفحة العُنُق. والصَّيَد: مَيَلٌ في العُنق من الكِبْر كما ما يكون الصَّعَر في الخَدّ، وكما أنَّ الصَّادَ يستعمل في النّاظر.

وقوله: «ومتى نَخَفْ يومًا فسادَ عشيرة»، يريد: إنّا نَسْعَى في إصلاح ذاتِ بينهم، ولا ندَعُهم يتدابرون ويتضاغَنُون؛ لأنَّ عِزَّ الرَّجُل بعشيرته. ثم إنْ رأيناهم على حَدٍّ من الصّلاح زِدْنَا في قُوّة نِيّاتهم، وحملناهُمْ على ما يزدادونُ به استقامةً واستمرارًا.

٣ ـ وإذا نَـمَـوْا صُـعُـدًا فَـلَـيـسَ عَـلَـيْـهِـمُ مِـنّـا الـخَـبَـالُ ولا نُـفُـوسُ الـحُـسَّـدِ
٤ ـ ونُـعِـيـنُ فـاعِـلَـنـا عـلى مـا نَـابَـهُ حَـتّـى نُـيَـسِّـرَه لِـفِـعْـلِ الـسَّـيِّـدِ

يقول: وإذا ارتقَوا في درجات العِزّ وتبوّءُوا منازلَ الفَضْل، لم نحسُدْهم، ولم نضيِّقْ عليهم طرائقَ مقاصدهم، فيورثَهم ذلك خبْلًا وفتورًا. والسّاعِي منهم إذا جدَّ في إقامةِ ما يَنُوبُه من الحقوق أعنّاهُ على إتمام ما يشيِّدُه، والزّيادةِ فيما يؤيِّده، حتّى نَبْلُغ به فِعَلَ السَّيِّد، علمًا بأنَّ رفعتهم لنا، وجمالَهم جَمالُنا.

٥ ـ ونُـجِـيـبُ دَاعِـيَـةَ الـصَّـبَـاحِ بِـثـائـبٍ عَـجِـلِ الـرُّكُـوبِ لِـدَعْـوَةِ الـمُـسْـتَـنْـجِـدِ
٦ ـ فَـنَـفُـلُّ شَـكْـوتَـهـا ونَـفْـثَـأُ حَـمْـيَـهـا حَـتّـى تَـبُـوخَ وحَـمْـيُـنَـا لـم يَـبْـرُدِ
٧ ـ ونُـحِـلُّ فـي دار الـحِـفـاظِ بُـيُـوتَـنَـا رَتْـعَ الْـجَـمَـائِـلِ فـي الـدَّرِيـن الأسْـوَدِ[1]

قوله: «ونُجيبُ داعيةَ الصّباح»، يريد: وإن استعانَ بنا من أُغِيرَ عليه صَباحًا من ذي مَحْرَمٍ أو جارٍ، أو متسبِّب بإلٍّ وقرابة، أَجَبْناه سريعًا بجيش سريعِ الرُّكوب لدعوة المُسْتَصْرِخ، فنكسِرُ شَوْكَةَ المُغِيرين، ونُخمِدُ نائرتَهم ونسكّن حُمَاهم حتّى تبرَدَ، وحُمّانا لم تَسْكُن ولم تَبْرُد. وجَعَلَ الشَّوْكَة كناية عنِ السّلاح والقُوّة جميعًا. وقوله: «نفثأ» هو من فَثَأْتُ القِدرَ، إذا سكّنتَ غليانَها. وقوله: «حتى تَبُوخَ»، يقال: باخَتِ النّارُ إذا طَفِئَتْ.

---

(١) التبريزي: «وتَحُلُّ».

ومعنى: «ونَحِلُّ في دار الحفاظ بيوتَنا»، نَصْبِرُ في دار المحافَظَة على الشَّرف إذا اشتدَّ الزَّمان، وإذا قَصَدَ غيرها للخِصْب أو طلَب الانتجاع أقمنا مُرْتِعين في الدَّرِينِ مالَنا، ولا نمكِّن أعداءنا من أرضنا وحِمانا. والدَّرين: اليابس من الكلأ القديمُ العَهد، وجعله أسودَ لفسادِهِ وطولِ قِدَمِهِ. ويروى: «وتَحُلُّ في دار الحفاظ بيوتُنا». وانتصَبَ «رَتْعَ الجمائلِ» على أنه مصدر في موضع الحال. ومثله قول الآخر: [الكامل]

ونَحِلُّ في دارِ الحِفاظِ بُيُوتَنَا   زَمَنًا ويَظْعَنُ غَيْرُنَا للأَمْرَعِ[1]

٤٤٢ ـ وقال المتوكِّلُ اللَّيْثِيّ[2]: [المنسرح]

١ ـ إنِّي إذا ما الخَليلُ أَحْدَثَ لي   صَرْمًا ومَلَّ الصَّفاءَ أو قَطَعَا

٢ ـ لا أَحْتَسِي مَاءَهُ على رَنَقٍ   ولا يَرَانِي لِبَيْنِهِ جَزِعَا

يقولُ: إذا اعوجَّ صديقٌ لي والْتَوَى، وطلبَ الخِلافَ عليّ فأحدث لي نُبُوًّا وجَفاء، وتبرَّمَ من مُصافاتي فأقبَلَ يتجنَّى عليَّ، فإنِّي لا أرومُ منه العَودَ، ولا أَعْرِضُ عليه الرُّجوعَ، بل أصارِحُه ولا أتجرَّع ماءَ الوُدِّ بيني وبينَه على كدَرٍ فأحتملُ مكروهه، ولا أظهرُ جَزَعًا لاستحداثِ فِراقٍ منه، أو تنكُّرٍ ينطوي عليه فأُخْبِثُ له، لأنّي وَصّالٌ صَروم، أصافِي مَن يُصافِيني، وأُجامِل من يُجاملني، وأُداجِي من يداجيني.

٣ ـ أَهْجُرُهُ ثم تَنْقَضِي غُبَرُ الْـ   ـهِجْرَانِ عنِّي ولم أَقُلْ قَذَعَا[3]

٤ ـ احْذَرْ وِصالَ اللَّئِيمِ إنَّ لَهُ   عَضْهًا إذا حَبْلُ وَصْلِهِ انْقَطَعَا

الغُبَر: البقايا، واحدتها غُبْرَة. ويقال: تغَبَّرَت النّاقَة، إذا احتلبت غُبْرَتها. وغُبَّرُ الليل: مآخيره. قال: [الطويل]

فَيَا صُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ الليل مُصْعِدًا   بِبَمٍّ ونَبِّهْ ذا العِفاءِ المُوَشَّحِ[4]

والقَذَع والقَذِيعة: الفُحْشُ. يقال: قَذَعْتُه، إذا رميته بالقَذَع، وأقْذَعَ الرَّجُل: أتى بالفُحش، وكلامٌ قَذِع. ويُتوسَّع فيه فيقال للقَذَرِ: القَذَع، حتّى يقال: قَذَعَ ثوبَه بالبول

---

(١) للحادرة الذبياني في المفضلية (٨)، وبلا نسبة في التبريزي ٢: ٧٢٦.

(٢) المتوكّل الليثي: المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي، كان على عهد معاوية ونزل الكوفة، وكنّاه المرزباني بأبي جهمة. ترجمته في الأغاني ١١: ٣٧، والمرزباني ٤١٠.

(٣) التبريزي: «ثم ينقضي غُبَّرُ الهجران».

(٤) للطرماح في ديوانه ٩٨، واللسان (وشح)، وكتاب العين ٣: ٢٦٣، والحيوان ٢: ٢٥٤.

وغيره. يقول: أقطعُ العلائقَ بيني وبينه فأنصرف عنه هاجرًا، وتنقضي مُدَّة الهجران عَنَّا ولم أغتبْه ولا قلتُ فيه فُحشًا، ولا ذكَرْتُه بزَلَّةٍ كانت منه.

ثم قال: احْذَرْ مُواصلة اللّئيم ومؤاخاتَه، لأنّه إذا انقطع حَبْلُ وَصْله، وانْصَرَم ما يَجْمعك وإيّاه من ودِّه يتكذَّبُ عليك، ويَخْلُق من الإفك فيك ما لم تكتسبْه لا بيدك ولا لسانِك، وهذا كأنّه لَمَّا نفَى عن نفسه في البيت الأوّل ما نفى بيَّنَ في البيت الثاني أنّه لا يفعل ذلك، لكونه من فِعل اللّئام. والعَضْه: ذِكر القبيح كَذِبًا وزورًا. ويقال: عَضَهْتُه، إذا رميتَه بالزُّور. وأعْضَهَ الرَّجُل: أتى بالعَضيهة، وهي الإفك. ومن كلامهم: يا لَلْعَضيهة! ويا للأَفِيكَة!

٤٤٣ ـ وقال بعضُهم(١): [الطويل]

١ ـ خَليلَيَّ بَينع السَّلْسَلَيْنِ لو اَنَّنِي ... بِنَعْفِ اللِّوَى أنكرتُ ما قُلْتُمَا لِيَا

٢ ـ ولكِنَّنِي لَمْ أَنسَ ما قالَ صاحِبي ... نَصِيبَكَ مِنْ ذُلٍّ إذا كُنتَ خالِيَا

النَّعْف: ما ناعَفَك، أي عارضك من الجبل أو المكانِ المرتفع. واللِّوَى: مُسْتَرَقُّ الرَّمل. وجواب لو «أنكرتُ»، وكأنَّ نعفَ اللِّوَى كانَ أرضَه ودِيارَه، فيقول: لو كنتُ في أرضي ومعي عشيرتي وأهلي، ثم سُمْتُمَاني ما سُمْتُماني لأنكرتُه ولم أقْبَلْه، ولكنّني لم أذهبْ عما وصَّاني به صاحبي من قوله: الزمْ نصيبَك من الذُّلّ إذا كنتَ في دار غُربة، ومتباعدًا عن نُصَّارِكَ والمُشْفِقين عليك. وانتَصَب «نصيبَك» بإضمار فعل.

٤٤٤ ـ وقال قيس بن الخطيم(٢): [الوافر]

١ ـ ومـا بَـعْـضُ الإقـامـةِ فـي دِيـارٍ ... يُـهـانُ بـهـا الـفَـتَـى إلّا بَـلَاءُ

٢ ـ وَبَـعْـضُ خـلائـقِ الأقـوامِ داءٌ ... كـداءِ الـبَـطْـنِ لَيـسَ لـه دوَاءُ

٣ ـ يُـرِيـدُ الـمَـرْءُ أنْ يُـعْـطَـى مُـنَـاهُ ... وَيَـأْبَـى اللهُ إلّا مَـا يَـشـاءُ

٤ ـ وكـلُّ شَـدِيـدةٍ نـزلَتْ بِـحَـيٍّ ... سَـيَـأْتِـي بَـعْـدَ شِـدَّتِـهَـا رَخَـاءُ

(١) لقتادة بن خرجة الثعلبي في البيان والتبيين ٣:٢٤٩، وبدون نسبة في معجم البلدان (السلسلين).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٣٦). وقال التبريزي: «قال أبو رياش: هي لربيع بن أبي الحُقيق اليهودي».

قوله: «وما بعضُ الإقامة» إنّما بعّضها لأنّه أشار إلى الإقامةِ التي أوائلها تَنْزَاحُ معها العِلَل، ويَسْهُل في اختيارها الانفصال والترحُل، وأواخرُها تَتغيَّر بما يَعْرِض فيها حتَّى يشقَّ لها التلوُّمُ والتَّلبُث. وارتفع «بَلَاء» لأنّه خبر المبتدإ، وهو بعضُ الإقامة، و«يُهانُ بها الفَتَى» في موضع الصِّفَة لقوله في ديارٍ، فيقول: إذا أمْكَنَ الارتحالُ عن دار الهوان، ولا دافِعَ ولا مانعَ يُوجبان الصَّبْر فالإقامة بها بلاءٌ، ويجبُ على الحرِّ طلبُ الانفكاك منه، ورَوْمُ الخَلَاص من أذاه.

وقوله: «وبعضُ خلائق الأقوام»، يريد: أنّ بعضَ ما يتخلَّى به النَّاسُ يتعذَّر مفارَقتُه ومُداواةُ إزالته، فهو كالدَّاء الذي يكون بالإنسان وقد استصحبَه من بَطْنِ أُمِّه. يريد: أنّ ما اعتادَه الإنسانُ من الأخلاقِ يَصِيرُ إذا أتَتْ الأيَّامُ عليه، وقوِيَ الإلْفُ له، كالخِلْقة أو ما يجري مَجراها.

وقوله: «يريد المرءُ أن يُعْطَى مناه»، معناه: أنّ الإنسانَ يتمنَّى أن يحصُلَ له ما يتعلَّقُ به شهوتُه، ويرتادُه هواه وإرادتُه، ويَمنعُ الله تباركَ وتعالى إلَّا ما يكون بمشيئته، ويعرفُه مِن مَصالح خليقته.

وقوله: «وكلُّ شديدة»، يريد: أنّ الشَّيْءَ لا يدوم على حالٍ، فالشَّدائد إذا نزلَتْ يتعقَّبها الخيرُ ورَخاء العيش وسَعَته، لأنَّ لكلِّ أمرٍ أمدًا يُمَدُّ له الوقت، فإذا تناهَى انقطَع.

٥ ـ ولا يُعْطَى الحَرِيصُ غِنًى لحِرْصٍ ... وقد يَنْمِي إلى الجودِ الثَّرَاءُ[1]
٦ ـ غَنِيُّ النَّفْسِ ما عَمِرَتْ غَنِيٌّ ... وَفَقْرُ النَّفْسِ ما عَمِرَتْ شَقَاءُ
٧ ـ وَلَيْسَ بنافِعٍ ذا البُخْلِ مالٌ ... وَلا مُزْرٍ بصاحِبِهِ السَّخَاءُ
٨ ـ وبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفاهُ ... وداءُ النُّوكِ لَيسَ لَه شِفَاءُ

قوله: «ولا يُعْطَى الحريص»، يريد: أنَّ حِرْصَ الإنسان في طلب الغِنى لا يُجْدِي عليه نَفْعًا، ولا يقرِّب منه بعيدًا؛ لأنَّ ميسِّر اليُسْر والغِنى هو مَن له الخَلْق والأمر، وإليه الإبرامُ والنَّقض.

وقوله: «وقد يَنْمِي إلى الجود»، يريد: أنّ الثَّرْوَةَ والكُثْرَ هما يَنْمِيان مع الجود. وإنَّما يقدح بهذا الكلام في البُخْل والإمساك، وأنَّ زيادَةَ المال وبقاءَه لا يحصُلان لهما وبهما. وقوله: «إلى الجود» إلى بمعنى مع، تقول: هذا إلى ذاك.

(١) التبريزي: «على الجودِ».

وقوله: «غنِيُّ النَّفْس ما عمرت غنيّ»، يريد: أنَّ غِنَى النفس خيرٌ من كَثرة المال؛ لأنَّ مَن كان راضيًا بماله، غَنِيًّا عن غيرِهِ بما يحصُل في يده، تراه باكتفائه أغنَى المُوسِرين، وفقيرُ النَّفْس وإن ساعدَه المالُ، وأطاعه القَدَرُ يزدادُ على مَرِّ الأيَّامِ وزيادةِ الحال، حِرْصًا ونَهْمَةً وشَقاء.

وقوله: «وليس بنافع ذا البخل مال»، يريد: أَنَّ البخيل لا يَنتفع بماله، لأنّه يَجْمَعُه ويتركُه لغيره، والسَّخاءُ لا يُقَصِّر بصاحبه، بل يَرْفَع منه، ويَكْسِبه الحمدَ والأحدوثة الجميلة.

وقوله: «وبَعْضُ الدّاء ملتمَسٌ شِفاه»، جعلَ الدّاءَ للجنس فناب عن الجمع، فقال: بعضها يُعرف شفاؤه فيُطْلَب إزالته، وداء الحُمْق لا شفاءَ له، ولا مَحِيد لصاحبه عنه. وقوله: «شِفاه» قَصَر الممدود، وهذا لا خلافَ في جوازِهِ على المذهبَين.

٤٤٥ ـ وقال يزيد بن الحَكَم[(١)]: [مرفّل الكامل]

١ ـ يا بَدْرُ والأمثالُ يَضْـ ـرِبُها لِذِي اللُّبِّ الحكيمُ
٢ ـ دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ ما خَيرُ وُدٍّ لا يدومُ

قوله: «والأمثالُ يَضْرِبُها» اعتراض دخَلَ بين قوله «يا بدر»، وبين دُمْ للخليل من البيت الثاني، ونبَّهَ بهذا الاعتراض على أنَّ وصيَّتَه وصيّةُ حكيم، وأنَّ اللَّبيبَ العاقلَ يأخُذ بها ويتأدَّب.

ومعنى قوله: «دُمْ لِلْخَلِيلِ بوُدِّه»، أي: بوُدِّكَ له، فأضافه إلى المفعول، والمصدر كما يضاف إلى الفاعل يُضاف إلى المفعول. وقوله: «ما خير وُدٍّ» استفهامٌ على طريق الاستثباتِ والقَصْدِ إلى النَّفْي. والمعنى: أنَّ الوِداد إذا لم يَصْفُ ولم يَدُمْ فلا خيرَ فيه. وقوله: «لا يدوم» صفة لودٍّ. تلخيصه: أيُّ شيءٍ خيرُ وُدٍّ غيرِ دائم.

٣ ـ واعرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ والحَقُّ يَعْرِفُه الكريمُ
٤ ـ واعْلَمْ بأنَّ الضَّيفَ يَوْ مًا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
٥ ـ والنَّاسُ مُبْتَنِيانِ مَحْـ ـمُودُ البِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ

(١) التبريزي: «يزيد بن الحكم الثقفي يَعِظُ ابنه بدرًا».

يقول: اعرِفْ حقَّ الجوارِ لمجاورِك، فإنَّ الكريم هو الذي يعرِفُ حقَّ مثله. وقوله: «والحق يعرفُه» الواو واو الحال، وهو واو الابتداء، ولو رويته بالفاء كان أجودَ، والمعنى: اعرفْ حقَّ الجار لأنَّ حقَّه تعرِفُه الكَرام، فإذا رويتَه بالواو يكون حالًا لقوله حقه، كأنَّه قال: اعرِفْ حقَّه معروفًا للكرام، وهو معروفٌ للكرام.

وقوله: «واعلَمْ بأنَّ الضَّيف» يقال: علِمت كذا، وبكذا. وهذه الوَصَاةُ بالضَّيْف قد علَّلها بقوله: «سوف يَحْمَد أو يلوم»، والمعنى: أحسِنْ إليه وتفقَّدْهُ، عالمًا بأنَّ نزولَه بك يجلِبُ حمدًا إنْ أحسنتَ إليه، أو لومًا إنْ أسأتَ إليه أو قصَّرتَ في حقه.

وقوله: «محمود البناية» أتى بالبِناية غير مبنيٍّ على مذكَّر حصَلَ من قبل، ثم أدخلَ تاء التأنيث عليه، فهو كالثِّناية اسم الحَبْل، والشَّقاوة والرِّعاية والغَباوة، ولو كان مبنيًا على مذكَّر لكان «البناءة»؛ لأنَّ الواو والياء إذا كانا حرفَيْ إعرابٍ بعد ألفٍ زائدة تُبدل منهما الهمزة، على ذلك: الرِّعاء والكِساء والرِّداء والبابُ كلُّه.

ومعنى البيت: أنَّ أفعالَ عقلاءِ النَّاس لا تَخْلُو من أن تكونَ مِمَّا يُسْتَحَقُّ به حمدٌ أو ذمٌّ، فهم يَبْنُون مبانِيَهم، ويؤسِّسون مكاسبَهم على أحد هذين الرُّكنين، وذلك لأنَّ الأفعالَ تابعةٌ للأغراض، وغَرضُ العاقل إليهما ينقسم، فانظُرْ ماذا تَجْلِبُ على نفسك بما تبتنيه من فِعْلك، وتدَّخره من كَسْبك.

وارتفع «محمود» على أنه بدل من «مبتنيان»، أو خبر مبتدأ محذوف، كأنَّه قال: هما محمود البنْية أو ذميم.

٦ ـ واعلَمْ بُنَيَّ فإنَّهُ ... بالعِلْمِ يَنْتَفِعُ العليمُ
٧ ـ إنَّ الأُمورَ دَقِيقُهَا ... مِمَّا يَهِيجُ له العَظِيمُ
٨ ـ والتَّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تُقْـ ... ـضَاهُ وقد يَلْوِي الغَرِيمُ[1]
٩ ـ والبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ ... وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

قوله: «بنيّ» إن ضممتَه فهو منادًى مفرد، وإن كسرتَه فهو منادًى مضاف وقد حذف ياء الإضافة، وإذا كان ياءُ الإضافة في المنادى يُحْذَف في نحو: يا غلام، لأنَّ الكسرة تدلُّ عليه، وهو واقعٌ موقعَ ما يُحْذَف في هذا الباب وهو التَّنوين وبابُ النداء بابُ حذفٍ، لكثرة الاستعمال، فهو في بنيٍّ أولَى بالحذف، لاجتماع الياءات

(١) التبريزي: «يُلوى».

والكَسَرات في آخرها، وقوله: «فإنّه بالعلم ينتفع العليم» الهاء ضمير الأمر والشّأن، والجملة اعتراضٌ بين اعلَمْ ومفعولَيْه. والمراد باستعمال العلم، وذاك أنّ مَن عَلِمَ طرقَ الرّشادِ ثم لم يسكلْها كان معرفته بها وبالًا عليه.

وقوله: «إنّ الأمور» مفعول واعلم، ودقيقها مبتدأ وما بعده خبره، والجملة خبر إنّ. ولك أن تكسره، فتقول: «إنّ» على الاستئناف، ويكون واعلمْ معلّقًا، والمعنى: أنّ الشرَّ يبدؤه أصغرُه، كما أنّ السَّيْلَ أولُه مطرٌ ضعيف. وهذا الكلامُ بَعْثٌ على النَّظر في ابتداءات الأمور وتصوُّرِ عواقِبِها.

وقوله: «والتَّبْل مثلُ الدَّين»، التَّبل: الذَّحل، ومعنى يَلْوِي يَمْطُل، ومصدرُه اللَّيُّ واللَّيَّانُ. وفي الحديث: «لَيُّ الواجِد يُحِلّ عقوبته». وقد روي «يُلْوِي» و«يُلْوَى» فإذا رويت يُلْوِي بالكسر، فمعناه: يذهب بالحقّ، يقال: أَلْوَى بالشَّيْءِ إذا ذهبَ به، و«يُلْوَى» هو بناء ما لم يُسمّ فاعله، لَوَى إذا مَطَل. والغَريم: اسمٌ لمن لَهُ الدَّين، ولِلَّذِي عليه الدَّين. وأصل الغرامة اللُّزوم، ولِكون كلّ واحدٍ منهما ملازمًا لصاحبِه إلى أن ينقضيَ ما بينهما أُجْرِي الاسمُ عليهما. والمعنى: أَنَّ الوِتْر والذَّحل كالدَّين على الواتر، فهو بِعَرَضِ المطالبة به كالغريم ثَمَّ، قد يَقْضِي وقد يمطُل، فلا تكتسبْه، لأنّ العداواتِ وخيمةُ الأواخر، سيِّئة المبادئ.

وقوله: «والبَغْيُ يَصْرَعُ أهلَه»، يقول: وإذا كان لك خَصْمٌ في شيءٍ فلا تستهِنْ به، ولا تستعمل البغيَ معه، فإنَّ من بُغِيَ عليه بعَرَض النُّصْرَة، والباغي بِعرض التَّلَف والهَلَكة، ولا تَظْلِم فإنَّ الظُّلْمَ ذميمُ المرتع وبِيلُه، وفَظيع المَسْمَع قبيحُه. ويقال: ظَلَمْتُه ظَلْمًا بفتح الظاء وهو المصدر، وظُلْمًا بضم الظاء وهو الاسم.

١٠ ـ ولـقـد يَـكُـونُ لَكَ الـغَـريـ ـبُ أَخًا ويَقْطَعُكَ الحَمِيمُ(١)

١١ ـ والـمَـرْءُ يُـكْـرَمُ لـلغِـنَـى ويُـهَـانُ لِلْعَـدَمِ الـعَـدِيـمُ

١٢ ـ قـد يُـقْـتِـرُ الـحَـولُ الـتَّـقِـ ـيُ ويُكْثِرُ الحَمِقُ الأثِيمُ

١٣ ـ يُـمْـلَـى لِذاكَ ويُـبْـتَـلَـى هـذَا فَـأَيُّـهُـمَـا الـمَضِـيـمُ

قوله: «ولقد يكون»، معناه: أن الوفاءَ قد يكون في الغريب إذا آخيتَه، والخيانةَ تتّفق من القريب إذا صافَيْتَه، فانظُرْ لنفسك إذا اخترتَ، ولا تَعتمد القُرْبَى

(١) التبريزي: «لك البعيدُ أخًا».

والقَرابة، فإنَّ المواخاةَ مبنيَّةٌ على الأصول الزكِيَّة، والنُّفوس الوفيَّة، لا على الأنساب والأسباب.

وقوله: «والمرءُ يُكْرَمُ»، يقول: ادَّخرِ المالَ واسْعَ في جمعِه، وإيَّاك واستعمالَ التَّبذير فيه، فإنَّ اليسيرَ منه مع حُسْنِ التَّدبير يتَّصل بقاؤه، وكرامةُ المرءِ متسبِّبة عن غِناه، كما أنَّ هوانَه في قِرانِ فقره. وقوله: «والمرء» ارتفع بالابتداء، وخبره يُكْرَم، وقد عُطِف على هذه الجملة جُملةٌ مخالفةٌ لها من التَّقارُب لما صَلَح ذلك. ومثله قول الآخر: [الطويل]

أَمُـوفٍ بـأدرَاع ابـن ظَـبْـيَـةَ أَمْ تُـذَمّ(١)

على العكس من هذا قولُ الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٩٣]، لأنَّ هذا عُطف فيه المبتدأ والخبر على الفِعل والفاعل.

وقوله: «قد يُقْتِرُ الحَوِلُ»، فالحَوِلُ: الكثير الحيلة. وصُحِّحَ بناؤه ولم يُعَلَّ إخراجًا له على أصله، وتنبيهًا أنَّ ما عُلِّلَ من نظائره كان حكمهُ أن يجيء على هذا. ومما جاء على القياس من نظائره: رَجُلٌ مَالٌ وصاتٌ وما أشبهُهما. وكذلك هذا كانَ يجبُ أن يقال حالٌ. والمعنى: أنَّ الكثيرَ الحِيَل، الخَرَّاجَ الولَّاجَ، وهو سَدِيدٌ في طرائقِه، قد يَفْتَقِرُ فيكون مُقِلًّا، وأن المائق النَّاقِصَ في عقله، المكتَسِبَ بجهله، المرتَكِب للأوزارِ بحرصِهِ، قد يستغني هو فيكون مُكْثِرًا، إذا كانت القِسَمُ والحُظُوظُ لا تَقِفُ على كَيْسِ المرء وخُرْقِهِ، ولا على تُقَاهُ وفِسْقِهِ.

وقوله: «يُمْلَى لذاك» أشار بذاك إلى الحَمِقِ الأثيم، وبهذا إلى الحَوِل التَّقيّ. وقد طابق بذاك وهذا، فيقول: أُمْلِيَ لِذَاكَ الجاهلِ وأُرْخِيَ له الحبلُ فنال ما نال، وابْتُلِيَ هذا الحَوِل التَّقيّ حَتّى شَقِيَ وحُرِمَ، فأيُّهما المظلوم. والمعنى: أنَّ ذلك مِن قِسْمَةِ مَن عرف مَصالح خَلْقه، وعَلِمَ ما يتأدَّى إليه حالُ كلِّ واحدٍ منهم، فاختار الأحكمَ في التَّدبير، والأصلاحَ للصَّغير والكبير.

١٤ ـ والـمَـرْءُ يَـبْـخَـلُ فِـي الـحُـقُـو ... قِ وَلِلْكَـلَالَةِ مَـا يُـسِـيـم
١٥ ـ مَـا بُـخْـلُ مَـنْ هُـوَ لِـلْـمَـنُـو ... نِ وَرَيْـبِـهَـا غَـرَضٌ رَجِـيـمُ

---

(١) هذا عجز بيت لراشد بن شهاب كما في المفضلية رقم (٨٦)، وصدره:
«أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد»

١٦ ـ وَيَــرَى الــقُــرُونَ أَمَــامَــهُ هَـمَـدُوا كَـمـا هَـمَـدَ الـهَـشِـيـمُ

يقول: تَرَى الرجل يُسَوِّف بما يلزمُه من أداء الحقوق، فيبخلُ بإخراجه وأدائه، فيموت عمَّا يجمعه ويبخَل به، ويتركُه للكلالة. والكَلالة هُم الوُرّاث وقد خَلَوْا من الوالد والولد. وأصله من تَكَلَّلَه النَّسَبُ، إذا أحاط به. وقيل: هو من الكلالِ: الإعياء؛ كأنَّ بُعْدَ النَّسب أَكَلَّه. وقوله: «ما يُسِيمُ» يجوز أن يكون مصدرًا؛ كأنّه قال: فإسامته لماله للغيرِ لا لنَفْسِهِ. ويجوز أن يكون ما بمعنى الذي، وقد حذف الضَّمِيرَ العائد إليه من يُسِيم، كأنّه قال: وللوَرَثة مالُه الذي يُسيمه. والإسامة: إخراج المال إلى المَرْعَى، ويقال: أَسَمْتُ البعيرَ فَسامَ، ومنه السَّائِمَة للمالِ: الرَّاعية.

وقوله: «ما بُخْلُ من هو» استفهامٌ على طريق الإنكار، فيقول: ما يُغْنِي بُخْلُ مَن هو للحوادث كالغَرَض المنصوب للرّمْي، فإذا عَلِمَ من نفسه أَنَّه غيرُ مُخَلد، بل هو منقولٌ من دار الفناء إلى دار البَقاء، فلماذا يُمْسِك ولا يُنْفِق، ويَجْمع ولا يفرّق. هذا وقد رأى الأمم الخاليةَ قبلَه ماتوا وفَنُوا فعادوا رميمًا، كما يَهْمُدُ النباتُ فيصيرُ بعد نَضارته دَرِينًا هَشِيمًا، وهو اليابس المتهشِّم الأسود لطول القِدَم. والمَنُون يكون اسمًا للدهر فيذكَّر، ويُرَادُ به المَنِيَّةُ فيؤنّث، وهو من المَنّ: القطع. فلك أن تروى: «ورَيْبِهِ» و«رَيْبها» جميعًا. ومعنى: «وريبِها» نزولها، قال أبو عبيدة: رابَ عليه الدَّهرُ، أي نَزَل. وقد يُرادُ برَيْبِ الزَّمانِ أحداثُه وصُروفُه الرَّائبة.

١٧ ـ وَتُــخَــرَّبُ الــدُّنْــيَــا فَــلَا بُــوسٌ يَــدُومُ وَلا نَــعِــيــمُ[1]

١٨ ـ كُــلُّ امْــرِئٍ سَــتَــئِــيــمُ مِــنْــهُ الـعِـرْسُ أَوْ مِـنْـهَـا يَـئِـيـمُ

١٩ ـ مَــا عِــلْــمُ ذِي وَلَدٍ أَيَــثْــكَــلُهُ أَمِ الــوَلَدُ الــيَــتِــيــمُ

يقول: وإذا كانت الدُّنيا مبنيَّةً للفناء لا للبقاء، والخراب لا للعمارة، وكذلك أعراضُها مخلوقة للزَّوَال لا للدَّوَام، وقُرب الأمَد في الاستمتاع بالمُعارِ لا الإملاء، فلماذا يَفْرَحُ الإنسان بما ينال، ويَجْزَع لما يفوت، وكلٌّ بائدٌ غير ثابت، ومُسْتَلَب غير موفَّر.

وقوله: «كلُّ امرئ»، يقول: إنّ الأليفَيْن فيها لا بدَّ من فِقدان أحدهما للآخر، والبعلُ يموتُ فتَبقى العِرْس منه أيِّمًا، لتقدُّم موتِهِ، والعِرْسُ تموتُ فيبقى هو منها أيِّمًا

---

(١) التبريزي: «وتَخَرَّبُ» مخفّف تتخرب.

لتقدُّمها، ويقال: رجلٌ أَيِّمٌ وامرأةٌ أَيِّمٌ. وقد آمَت تَئِيم أَيْمَةً. وكذلك ذو الولدِ لا يدري أيموتُ فيَيْتَم الولد، أم يَهْلِكُ الولَد فيثكل الوالد، فإنَّ سُكّانَ الدُّنيا موعودون لآجالٍ مُنتَظِرة، مدعوُّون لأحوالٍ مؤخَّرة.

وقوله: «ما عِلْمُ ذِي ولدٍ» استفهامٌ معناه النَّفْي، والمراد: لا يَعْلَم الوالدُ ما يكون منه ومن ولدِه في الإمهال والاستعجال، أي لا يَدْرِي أيُّ الأمرَيْنِ يقَع. وقد عطف قوله: «أمِ الولدُ اليتيمُ»، وهو جملةٌ من ابتداء وخبر على «أيَثْكَلُه» وهو فعل وفاعل، وجازَ ذلك لمَا قدَّمته.

٢٠ ـ والحَرْبُ صاحِبُها الصَّلِيـ ـبُ عَلَى تَلاتِلِهَا العَزُومُ

٢١ ـ مَنْ لا يَمَلُّ ضِرَاسَها وَلَدَى الحقيقةِ لا يَخِيمُ

٢٢ ـ وَاعْلَمْ بأَنَّ الحربَ لا يَسْطِيعُها المَرِحُ السَّؤُومُ

٢٣ ـ والخَيلُ أَجْوَدُهَا المُنَا هِبُ عِنْدَ كَبَّتِهَا الأَزُومُ

الصَّلِيب: الصُّلب ذو الصَّلابة. والتّلاتل: الشَّدائد، ويقال: تَلْتَلَهُ، إذا حرَّكه، يقول: وصاحبُ الحَرْبِ هو الصَّبورُ على شدائدها، القويُّ العزم في مَصارِفها، الحامي الشِّكَّة على نوائبها، فلا يمَلُّ عِضَاضَها، ولا يَخيمُ عند حَقائقها. ومعنى يَخِيمُ: يَجْبُن.

وقوله: «مَنْ لا يَمَلُّ ضِرَاسَها» في موضع الرَّفع على أن يكون بدلًا من قوله الصَّليب. والضَّرس: العضُّ، وأصله إصابةُ الشيء بضِرْسِهِ.

ثم قال: واعلم أنّ الحرب لا يُطِيقُها المَلُول النَّزِق، العَجُول الظَّرِف، لأنَّ مبانيَها على الصَّبر والثَّبات، والتّدبير السَّديد، والحذَر الشديد، واستعمالِ الإقدامِ في وَقْته، والإحجام لدى مُوجِبه. وقوله: «لا يَسْطِيعها»، يريد: لا يستطيعها. والماضي منه اسْطاع يَسطيع بكسر الهمزة، وأصله استطاع، فحذف التاء.

وقوله: «والخيل أجْوَدُها»، يريد: خير الخيل ما يَنْتَهِب الأرضَ انتهابًا في سعيه. وقال الخليل: المُناهَبة: المُباراة في الجَرْي والحُضر. ومعنى: «عند كَبَّتِهَا»، أي: حَمْلتها. وسُئِل رجلٌ: كيف طعنتَ قتيلك؟ قال: «طعنتُه في الكَبَّة طعنةً في السَّبَّة فأنفذْتُها من اللبَّة»(١)، وكل ما جمعتَه فقد كببتَه ومنه كُبَّة الغَزْل. والأَزُوم: العَضوض.

---

(١) الكَبَّة: الحملة في الحرب، والدّفعة في القتال والجري. والسبّة: الإست.

والأزم: العَضُّ، وكُنِيَ به عن الاحتماء، فقيل: «نِعْمَ الدَّوَاءُ الأزم»، فكأنّه أراد بالأزم هنا الصَّبْر والثَّبات.

٤٤٦ ـ وقال مُنْقِذُ الهِلاليّ[1]: [الخفيف]

١ ـ أيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إذا كُنْتُ مِنْهُ   بَيْنَ حَلٍّ وبينَ وَشْكِ رَحِيلِ
٢ ـ كلُّ فَجٍّ مِنَ البِلَادِ كأنّي   طالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ
٣ ـ مَا أَرَى الفَضْلَ والتَّكَرُّمَ إلَّا   كَفَّكَ النَّفسَ عَن طِلَابِ الفُضولِ
٤ ـ وَبَلاءٌ حَمْلُ الأيادي وأنْ تَسْـ   ـمَعَ مَنًّا تُؤْتَى به من مُنِيلِ

قوله: «أيُّ عَيْشٍ» استفهام مبتدأ. والمعنى: الإزراءُ به والذَّمُّ له. و«إذا» تعلَّقَ بما دلَّ عليه عيشي. والمراد: إذا كنتُ من عَيْشي بين سفرٍ مُتواصل، ونزولٍ وارتحال متتابع، ولا أنالُ دعةً، لا أُحصِّل خَفضًا وراحة، فكأنّه لا عيشَ لي. وقوله:

كلُّ فَجٍّ من البلادِ كأنّي   طالبٌ بعضَ أهلِهِ بذحُولِ

قد سَلَكَ مثلَ هذا المسلكِ أبو تمّام في قوله: [الطويل]

كأنّ به ضِغْنًا على كلِّ جانبٍ   من الأرضِ أو شوقًا إلى كلِّ جانبِ

والمعنى: أنّي لا أَقْتَصِرُ على قَصْدِ مُنْتَوًى، ورَمْي نفسي في جانبٍ من الأرض مُرْتَمًى، ولكنّي أتنقَّل في أطراف الأرض وآفاقها، وأضرِبُ في أعراض البَسِيطة وأعماقها، كأنّي أطلب بعضَ أهلها بِتِرَةٍ، فهو في الهربِ وأنا في الطَّلَب.

وقوله: «ما أرى الفَضْل»، ينبّه به على أنَّ سعيَه في إصلاحِ عَيْشِه، وتَرْكِ ما لا يَعْنِيه من شأنه، فقال: ليس الفضلُ والعَفاف، وحَبْسُ النفس فيما بينك وبين الناس على التكرُّم والكَفَاف، إلّا إذا زمَمْتَ نفسَك عمّا يتجاوز رمَّ الحال، ووقَفْتَ عند ما يُمكن الاكتفاءُ به من المَعاش، فمِنَ البلاء العظيم تحمُّلُ النِّعمِ عن المُفْضِلين، وسَمْعُك امتنانَ المُنِيلين. وهذا دَأْبِي فيما أَلْتَزِمُه من التَّعَب، وأحْمِلُ عليه نفسي من التَّجوال في البلاد والتقلّب. وارتَفَعَ «بَلاءٌ» على أنّه خبر مقدم، والمبتدأ حَمْل الأيادي. وقوله: «تُؤتَى به» من صفة المنّ.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٦٩).

٤٤٧ ـ وقال محمد بن أبي شِحَاذٍ[1]: [الطويل]

١ ـ إذَا أَنتَ أُعطِيتَ الغِنَى ثم لم تَجُدْ بفَضلِ الغِنَى أُلْفِيتَ ما لَكَ حامِدُ

٢ ـ إذا أَنتَ لم تَعرُكْ بجَنْبِكَ بعضَ ما يَرِيبُ من الأَدْنَى رَمَاكَ الأباعِدُ

قوله: «إذا أنت» جوابه أُلفِيت، وهو الفعل الواقع فيه، لأنّ إذا بتضمُّنِه للجزاءِ يطلبُ جوابًا ويكون ظرفًا له، فيقول: إذا نِلْتَ اليسار والغِنَى، ومُكِّنتَ من أطماع الدُّنيا فملكتَها، ثم لم تتسَخَّ بما يفضُل من وُجْدِك، وُجِدْتَ لا يُثْنِي عليك حامد، ولا يَحْفَظ غيبَك ذائد، وفي الثّناء الباقي على الدّهر خَلَفٌ من نَفَاد العُمْر، فإنْ لم تكتَسِبْه بما تنالُه لحِقَك الذَّمُّ ممّن ألحاظُهم سِهام، وألفاظُهم سِهام.

وقوله: «إذا أَنت لم تَعرُكْ»، جوابه: رماك الأباعد، وكما بعث في البيت الأول على الإفضالِ وذمِّ الإمساك مع القدرة، بعَثَ في هذا البيتِ على مُصابَرة العشيرة واستبقائهم، وتركِ مؤاخَذَتهم بما يتّفق من هَفَواتهم، وتَدقيقِ محاسَبتِهم على بَدَواتهم وزَلّاتهم، فقال: لا يُؤْمِنْكَ إقبالُ الدُّنيا عليك إدبارَها عنك، ولا دَوْلَةٌ لك من إدالةِ منك. واعلَمْ أنّك إذا لم تَعِفَّ عما يَرِيبك من أدانيك، ولم تَحْتَمِلْه في عفوك وحلمك، اجترأ عليك الأباعدُ فرمَوْك بما لا صَبْرَ لك عليه مِنْ أذاهم ومكروههم. ويقال: عركتُ كذا بجَنْبِي، أي: احتملته وجعلتُه منّي بظَهْر. والعَرْك والدَّلْك بمعنًى واحد. وقال: «بعض ما يَريب من الأدنى»، إشارةٌ إلى ما يكون فيه على الحلم مَحمِل؛ لأنّه ليس كلُّ ما يَرِيب يُعَدُّ التجافِي عنه حَسَنًا.

٣ ـ إذا الحِلْمُ لم يَغلِبْ لَكَ الجَهلَ لم تَزَلْ عليكَ بُرُوقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ

٤ ـ إذا العَزْمُ لم يَفْرُجْ لَكَ الشَّكَّ لم تَزَلْ جَنِيبًا كما اسْتَتْلَى الجَنِيبَةَ قائِدُ

قوله: «إذا الحلم» جوابه: لم تزل، فيقول: تَحَلَّمْ في كثيرٍ ممَّا يعروك ويطرُقك، وانظُرْ أن تكونَ لك الغلَبَةُ على جهلك، والتّملك لاحتدادك وصَوْلِك، فإنّك إن لم تستعمل الأناةَ في مقارضاتك، وتَسَرَّعْتَ إلى المكافأة على ما يظهر لك، ولم تضنَّ بمن بلوتَه فعرفتَ مذاهبَه، وخَبَرْتَ خلائقَهُ، وصار مستمَدَّ رأيِكَ ومُشْتَكى حُزْنِكَ لم تنتفعْ بغيره، واجتمعَتْ عليك البُرُوقُ والرواعدُ ممّن تعده لك وعليك. وهذا مثلٌ لأنواع الأذَى والمكروه، والتوعُّد بضروبِ القولِ، وفنون الفعل.

---

(١) التبريزي: «محمد بن أبي شِحاذٍ الضبيّ».

وقوله: «إذا العَزْمُ لم يَفْرُجْ» جوابه لم تزلْ جنيبًا. والمعنى: انظُرْ لنفسك فيما تُشرِف عليه طالبًا للحزم ثم اعزِمْ، ودعِ التَّشكُّكَ والتلوُّم فيما يُرِيكَ رَأْيُكَ وإلّا بقيتَ تابعًا لغيرك، متوقّفًا فيما يمسُّك، كما يَسْتَتْبِع قائدُ الخيل مجنوبًا له. وهذا بَعْثٌ على اقتحام الأمور، واستعمال الاستبداد فيها بَعْدَ النظَر والتحزُّم في الظّاهر، وتَرْكِ التعرّج على قولِ مانعٍ، أو دَفْعِ مُزَاحِم، أو مذكِّر بعاقبة؛ كما وصّى في البيت الذي قبلَه بالرِّفْق في الأمور التي تكسِب العداوات، واستعمال الصَّبر فيما يَجْلِب الضَّغائِن ويُهِيجُ التِّرات.

٥ ـ وقَلَّ غَنَاءً عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَه ... إذَا كَانَ مِيراثًا وواراكَ لاحِدُ[1]

٦ ـ تَجَلَّلْتَ عَارًا لَا يَزَالُ يَشُبُّهُ ... سِبَابُ الرِّجَالِ نَثْرُهُمْ والقَصائِدُ

المراد بذكر القِلّة هاهنا النَّفْيُ، لا إثباتُ شيءٍ قليل. وانتصب «غَنَاءً» على الحال، أي: مُغْنِيًا عنك، فيقول: لا يُغْنِي عنك مالٌ تجمعُه إذا ذهبتَ عنه وتركته لورثَتِكَ، فإنّ ما تملكُهُ هو ما تُنفِقُهُ أيامَ حياتِكَ، وتَصْرِفُه فيما يَدَّخِرُ لك أجرًا، أو يَكْسِبَ لك حَمْدًا، فأمّا إذا سَتَرَكَ من يُلْحِدُ قبرَك، فما تَتْركه لغيرك لا حظَّ لك فيهِ ولا نصيب، بل تَكْتَسي عارًا منه لا يزال يُوقِدُ نارَه، ويَرْفَعُ في المحافل ذِكْرَه سِبَابُ الرِّجال، من النَّثْر تارةً، ومن النظم أخرى، لأنّ الباخلَ مذمومٌ بكلّ لسانٍ حيًّا وميّتًا، وفي كلّ زَمان موجودًا ومفقودًا، ثم تراه كالجاني على كلّ مَنْ يعرفه، فهم يذُمُّونه بظَهْرِ الغَيْب، ويَقْذَعُونه في الحُضور، فلا يزال مسبوبًا، مأكولَ اللَّحم مدحورًا.

٤٤٨ ـ وقال[2]: [الطويل]

١ ـ وَيَلُمِّ لَذَّاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً ... مَعَ الكُثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى المُتْلِفُ النَّدِي

٢ ـ وقد يَعْقِلُ القُلُّ الفَتَى دُونَ هَمِّهِ ... وقد كَانَ لولا القُلُّ طَلَّاعَ أَنْجُدِ

لفظةُ «وَيْل» إذا أضيفت بغير اللام فالوجه فيها النَّصب، تقول: ويلَ زيد، والمعنى: أَلْزَمَ الله زيدًا وَيْلًا، فإذا أُضِيفَتْ باللام فقيل: ويلٌ لزيد، فحكمه أن يُرْفَعَ

---

(١) التبريزي: «إذا صار ميراثًا».

(٢) التبريزي: «وقال آخر». ونسبهما في جمهرة الأمثال ١:٣٧٩ لخالد بن علقمة الدارمي، وفي الخزانة ١:٥٦٣ لحميد بن سجار الضبيّ، وهما في ديوان علقمة الفحل ص ١٣٥، ونسبا في اللسان (قلل) إلى خالد بن علقمة الدارمي.

فيصير معه ما بعده جملةً، ابتُدِئَ بها وهي نكرةٌ لأنّ معنى الدُّعاء منه مفهوم، والمعنى: الويل ثابتٌ لزيد؛ كأنّه عدَّه مُحَصَّلًا له، كما يقال: رَحِمَ الله زيدًا! فيُجعلُ اللَّفظُ خبرًا. وإذا كان حُكْم وَيْلٍ هذا وقد ارتَفَعَ في قوله: «وَيْلُمّ لَذّاتِ الشَّباب»، فمن الظاهر أنّ أصلَه وَيْلٌ لأمّ لَذّاتِ الشّباب، فحذف من أُمّ الهمزة، واللام من ويلٍ، وقد ألقَى حركةَ الهمزة على اللام الجارّة، فصار وَيْلُمّ. وقيل: وَيْلِمّ، كما قيل: (الحمدُ للهِ) و(الحمدِ للهِ) إتباعًا لإحدى الحركتين الأخرى، وقصدُه إلى مَدْح الشَّباب وحَمْدِ لذّاته بين لَذّات المعَاش وقد طاع لصاحبه الكُثْرُ، وهو كثرةُ المال، فاجتمع الغِنَى والشَّبابُ له وهو سَخِيٌّ مبذِّرٌ فيما يكسبُه ذِكْرًا جميلًا، وصِيتًا عاليًا؛ ثم قال: وقد يَحْبِسُ قِلّةُ المال صاحِبَهُ دونَ ما يهتمُّ له أو يُهتمُّ به. وقد كان لولا إضافَتُه وقِلّةُ ذاتِ يده طلّابًا للتَّرَقّي في درجات الفَضْل والإفضال، طَلّاعًا على عَوالي الرُّتَب في النِّهايات. وانتصب «معيشةً» على التمييز.

٤٤٩ ـ وقالت حُرْقةُ بنت النُّعمان[١]: [الطويل]

١ ـ بَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ والأمرُ أَمرُنا إذا نحنُ مِنهُمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

٢ ـ فَأُفٍّ لِدُنْيَا لا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وتَصَرَّفُ

بينا: كلمةٌ تُستَعْمَل في المفاجآت، وهي من ظروف الزّمان. وقد يقال بينما؛ كأنّهم أرادوا أن يَصِلوه بدلًا مِمّا كان يُضاف إليه من قبلُ بما أو بالألف، والمراد: بينَ الأزمنة التي تجرى علينا ونحن نَسُوسُ النّاسَ ونُدبِّر أمرَهم بما نُريدُ، وطاعتُنا واجبةٌ، وأحكامُنا نافذة، إذا الأمرُ انقلَبَ فاتَّضعت الأموال، وتسلَّطت الأبدال، وصرنا سُوقةً نخدُم النّاس. والنّاصف في اللغة: الخادِم. والسُّوقة: مَنْ دونَ المَلِك. ومعنى: «والأمر أمرُنا»، أي: لا يدَ فوق أيدينا. والعامل في بينا ما دلَّ عليه قولها: «إذا نحنُ منهم سُوقة»، وإذا هذه ظرفُ مكان، وهي للمفاجأة، وقد تقدَّم القولُ فيه.

وقوله: «فأُفٍّ» فيه لغات عدَّة، يفتح ويكسر ويضمّ، وينوَّن في كلّ ذلك ويُتْرَك التنوينُ فيه، وهو اسمٌ من أسماء الفعل، وأسماء الفعل أكثرُ ما تقع في الأمر والنّهي، وفي باب الخبر تقع قليلًا، فمنها أُفٍّ هذه، ووَاهًا، وهَيْهات وأحرفٌ أُخَر. ومعنى أُفّ

---

(١) حرقة بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس، من بني لخم، من بيت الملك في قومها بالحيرة. ترجمتها في المؤتلف والمختلف ص ١٠٣، وخزانة الأدب ٣: ١٨١.

التَّحقير؛ كأنَّه قال: حَقارةً لِدُنيا نعيمُها يزول، وحالها لا يدوم، بل تَقَلُّبُ بأهلها وتحوُّل، وتتصرَّفُ بطُلّابها وتتبدَّل، فمن فتح أُفَّ فلخفَّة الفتحة، ومن كسر فلالتقاء السَّاكنَيْن؛ لأنَّ الكسر فيه أولَى، ومن ضمَّ فلإتباع الضمَّة الضمَّة، والتَّنوين فيه أمارة للتَّنكير، وتركُ التنوين أمارةٌ للتعريف.

٤٥٠ ـ وقال الحكَم بن عَبْدَلٍ[١]: [السريع]

١ ـ أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الكريمُ مِن الـ ... ـرِّزْقِ بنفسي وأُجْمِلُ الطَّلَبَا

٢ ـ وأَحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ ولا ... أَجْهَدُ أخلافَ غَيْرِهَا حَلَبَا[٢]

يَقُول: مَطالبي من الدُّنيا ومَرَاغِبي على حدٍّ من استعمال الكرَمِ والتعفُّف، لا يزرى بي نظرُ النَّاظِرِ إليَّ، لأنِّي إذا طَلبتُ أجملت، وإذا سُدَّت مَفاقِري اكتفيت، ثمَّ لا أعوِّل فيما أزاولُه إلا على نفسي، مُتَّهِمًا سَعْيَ غَيْري، وكلُّ ذلك أبقَى على مراعاة العَفاف والكَفاف.

وقوله: «وأحلب الثَّرَّةَ الصَّفيّ»، يقول: أُعلِّق طَمَعِي بمَنْ إذا استُدِرَّ حَلَبُه كان غزيرًا، لأنِّي لا أُسِفُّ للمطامع الدَّنِيَّة، ولا أَضَعُ نفسي في المواضع الخسيسة. والثَّرَّة: الغزيرة. ويقال: عينٌ ثرثارةٌ، إذا كانت كثيرة الماء. والصَّفيّ: الجامع بين مِحْلَبَيْن في حَلْبة. وقوله: «ولا أَجْهَدُ أخلافَ غُبْرِهَا حلبا»، انتصب الحلَبُ على أنَّه مصدرٌ في موضع الحال. والمعنى: أنِّي لا أطلُبُ الزَّهيد الحقير القَدْر، ولا أستدرُّ البَكى القليلَ الدَّرِّ. والحَلَب قد يراد به المصدر، وقد يراد به المحلوب.

٣ ـ إِنِّي رَأَيْتُ الفَتَى الكريمَ إِذَا ... رَغَّبْتَه في صَنِيعَةٍ رغِبَا

٤ ـ والعَبْدُ لا يَطْلُبُ العَلَاءَ ولا ... يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهِبَا

٥ ـ مثلُ الحِمارِ المُوَقَّعِ السَّوْءِ لا ... يُحْسِنُ مَشْيًا إِلَّا إِذَا ضُرِبَا

قوله: «إنِّي رأيتُ الفتى الكريم»، يقول: إنّ من تكرُمُ عروقُه وتَزكُو أصولُه، إذا دعوتَه إلى اصطناعِ صَنيعة، وهززتَه لابتناء مكرُمة، أجابَكَ حريصًا على استغنامه. وتَرَى الدَّنِيَّ الخسيسَ الهِمَّة والنفس لا يطلبُ ارتفاعًا ولا يَكْسِب ادِّخارًا، ولا يُسمِح بشيءٍ إلَّا عن رهبةٍ، فِعْلَ مَن لا يبتغي في مَصارِفه حمدًا، ولا يَقْتَنِي ليومِه وغَدِهِ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٢٦). (٢) التبريزي: «أخلاف غيرها».

خِلّاً، فهو كالحمار السَّوْء، الذي بظهرِهِ آثارُ دَبَر وقد ذُلِّل في العَمَل، لا يُجِيب إلَّا إذا استُحِثَّ حتّى يُضرَبَ، بلادةً منه وكَسَلًا. وقوله: «لا يُحْسِنُ» موضعه من الإعراب نصب على الحال. وارتفع «مثل» على أنه خبر مبتدأ مضمر.

وقوله: «مثل الحمار الموقَّع»، يجوز أن يُراد منه الذي في ظهره أثر الإكاف أو الدَّبَر، ويجوز أن يُرادَ به المذلَّل، كما يقال: طريقٌ موقَّع، ويجوز أن يكون من وَقَعْتُ الحديدةَ، إذا ضَرَبْتها بالمِيقَعة، كأنّه لبلادته يُضرَب كثيرًا.

٦ ـ ولَمْ أَجِدْ عُزوَةَ الخلائق إلَّا الدِّينَ لمَّا اعتَبَرتُ والحَسَبا
٧ ـ قد يُرزَقُ الخافِضُ المقيمُ وما شَدَّ بِعَنْسٍ رَحْلًا ولا قَتَبا
٨ ـ ويُحْرَمُ المالَ ذُو المَطِيَّةِ والرَّحْـ ـلِ ومَنْ لا يَزالُ مُغْتَرِبا

قوله: «لم أجد»، يريد: أنَّ مِسَاكَ الخلائقِ الشريفة، ووثائق عُرَاها، إنَّما هي إذا اعتبرَه المعتبِر في الدِّينِ وعِمارته، وفي الشَّرف وتحصيله؛ كأنّه جعَلَ طلبَ الحسَب للدُّنيا وأسبابِها والاعتلاءِ فيها، وجعَلَ الدِّين للآخرةِ وتقديمِ ما يفوز به مِن رضا الله عزّ وجلّ، والثوابِ الجسيم.

وقوله: «قد يُرزَق الخافضُ المقيم» سلك فيه مسلك الآخر(١) في قوله: [البسيط]

ماذا يُكلِّفك الرَّوْحاتِ والدُّلجا البَرَّ طَوْرًا وطَوْرًا تركَبُ اللُّجَجا

البيتين، وقد تقدَّما.

والخافض: الوادع الذي لم يُحدِّث نفسَه بتَجْوَالٍ وارتحال، فيقولُ: قد ينالُ الرِّزْقَ الواسعَ مَن لا يُؤْثِر على الإقامة في وطنه شيئًا، وقد تَرَى قاطع الشُّقَّة البعيدة، وصاحبَ الرَّحْل والمطيَّة، الصابرَ على الغُرْبة، محرومًا مضيَّقَ العَيْش، مكدود العُمر. والرَّحْل: مَرْكَب البعير؛ والرِّحالةُ نحوُه، وهو السَّرج أيضًا. والقَتَب: إكافُ الجَمَل، كذا ذكره الخليل. وقوله: «ذو المَطِيَّة والرَّحْل»، الرَّحْل: مصدر رَحَلْتُ البعيرَ، إذا شدَدْتَ عليه الرَّحْلَ.

---

(١) لمحمد بن بشير في الحماسية رقم (٤٣٦).

٤٥١ ـ وقال آخر: [الكامل]

١ ـ يا أيُّها العامُ الذي قد رابَنِي أنتَ الفِداءُ لِذِكْرِ عامٍ أوَّلا
٢ ـ أنتَ الفِداءُ لِذِكْرِ عامٍ لم يَكُنْ نَحْسًا وَلَا بَيْنَ الأَحِبَّةِ زَيَّلا

يفضِّل أيَّامَه الماضية على أيَّامه الحاضرة، فقال كالمخاطِب لها: أيُّها العام الذي قد أتى بما يَرِيبني، جَعَلَك اللهُ فداءً لعامٍ أوَّلَ مِنْ عامِي، تقضَّى بما سرَّني.

وقوله: «عامٍ أوَّلَا» مما أُلِفَ فيه كثرة الاستعمال، فوُصِف بصفةٍ لم توصف به نظائرُه، اعتمادًا على التعارف. والمارد بهذا أنه لم يقل شهرٌ أوّل ولا حَوْلٌ أوّل، ولا سنةٌ أولى، وإنما خُصَّ هو بذلك لكثرة الاستعمال، ولأنّ دَلالة الحال وتعارُف المتكلّمين به سوّغ الحذف والإجراء على ما أُلِف فيه.

وقوله: «أنت الفداء»، يريد: تكرير الدُّعاء على التضجُّر بحاضرِ وقتِهِ وعامِه، والتنبيه على ما رابَه منه، فيقول: جعَلك الله فداءً لذكرِ عامٍ لم يَعُدْ بمَنْحَسَةٍ، ولا حَكَمَ بين الأحبَّة بفُرْقة، وإنّما قال: «لذكرِ عام»؛ لأنّ العام وقد تقضَّى لا يصحُّ فيه التَّفدية. والنَّحس: ضِدُّ السَّعد، وقد وُصِفَ به الغُبْرَةُ والأمرُ المظلم. وفي القرآن: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فُصّلَت: الآية ١٦]. ويقال: رجل مُنَحَّسٌ، أي: مَحزُون.

٤٥٢ ـ وقال الفَرَزْدَق: [الوافر]

١ ـ إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ حَوَادِثَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا[١]
٢ ـ فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

يقول: إذَا صُرُوف الدَّهْرِ أناخَتْ على قومٍ بإزالة نِعَمهم، وتكديرِ عَيْشهم، فجرّت عليهم أذيالَ الشَّرِّ والتَّغيير، ودَرَسَتْ آثارَهم ومَحَتْ دِوَلَهم، تراها تنتقل إلى آخرين، لأنَّها كما تَهَبُ ترتجع، وكما تُولي تَسْتَلِب.

ثم قال: قل لمن شَمِت بنا فيما رأى من أثَرِ الزَّمان فينا: انتبهوا من رَقدتكم واصْحُوا من شَماتتكم، فستَلْقَوْنَ كما لقينا، وتُمْتَحَنون كما امتُحِنَّا؛ لأنَّ حَيَاتَنَا وجميع ما في أيدينا عَوَارٍ، والعَوارِي تُسْتَرَدُّ وإنْ طالت المُهْلة.

---

(١) التبريزي: «كلاكله أناخ».

٤٥٣ ـ وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِيُّ(١): [المتقارب]

١ ـ أَشَابَ الصَّغيرةَ وأَفْنَى الكبيرَ كَرُّ اللَّيالي ومَرُّ العَشِيِ(٢)
٢ ـ إذا لَيلَةٌ هَرَّمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذلك يَوْمٌ فَتِي
٣ ـ نَرُوحُ ونَغْدُو لحاجاتِنا وحاجَةُ من عَاشَ لا تَنْقَضِي

ذكر في هذه الأبيات ما تَدور عليه دوائرُ الأيَّام، وصروفُ الأزمان، وأنَّها لا تقف عند غايةٍ، ولا تَعرف فيما تجرِي فيه مَقَرَّ نهاية، وأنَّ مِن عادتها تغيير الأمور، وفي تقضِّيها وقضاياها تحويلَ الأحوال، فقال: إنَّ كُرور الأيَّام، ومُرورَ اللَّيالي والأوقات، تراها تجعل الصَّغير كبيرًا، والكبير حقيرًا، وتجعل الطِّفلَ شابًا، والشَّيخ فانيًا، فكلَّما خَلُقت جِدَّةُ يوم جاء بعدَها يومٌ آخر فَتِيٌّ جديد، ونحن فيها ندأب في حاجاتنا، فلا نحن نَمَلُّ، ولا حاجاتنا تَفْنَى أو تَقِلُّ، ولا الوقتُ بنا يقف، ولا واحدٌ منا يَنْتَظِرُ أو يَتوقَّف، إذ كان ذُو العيش مآربُه متَّصلة، كما أنَّ أوقاتَه دائرةٌ متتابعة.

معنى هرَّمت يومَها: ضعَّفته مُسْلَما للزَّوال، ويقال: هو ابن هَرْمةِ أبيه، كما يقال: هو ابن عِجْزَة أبيه، لآخِرِ الأولاد، كأنَّه من الهَرَم. والهَرْمَى من الخَشَب: ما لا دُخانَ له، لعِتْقِهِ وذهاب قُوَّته. والفَتِيُّ مصدره الفَتَاءُ، وضدّه الذَّكِيّ. ويقال: فَتَاءُ فُلانٍ كَذَكاءِ فُلانٍ وكتَذْكِيَةِ فلان.

٤ ـ تَمُوتُ مع المَرْءِ حاجاتُه ويبقَى له حاجَةٌ ما بَقِيَ(٣)
٥ ـ إذا قُلْتَ يَوْمًا لمن قد تَرى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الغَنِي

يقول: تموت مع المرء حاجاتُه، يريد: أنَّ المَرء ما دام حيًّا فمآربُه وشهواتُه تتجدَّد تَجدُّد الأوقات، وأمانِيهِ تتَّصِل ما اتَّصَلَ عمره، فإذا جاءَ أجله وتناهى أَمَدُه، انتهت مآربُه، ووقَفَتْ مطالبه.

وقوله: «إذا قلت يومًا لمن قد ترى»، يريد: وإن سألتَ كلَّ مَن تقعُ عينُك عليه من المُمَيَّزين، عن سَراة الرِّجال وكِرامهم، أحالُوا على المُثْرِين وإن ضعُفَت رغباتُهم

---

(١) الصلتان العبدي: هو قثم بن خبيّة العبديّ، من بني محارب بن عمرو، من عبد القيس: شاعر حكيم وهو الذي قضى بين جرير والفرزدق ففضّل شعر جرير (ت نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمته في المؤتلف والمختلف ١٤٥، والشعر والشعراء ١٩٦.

(٢) التبريزي: «كرّ الغداةِ».

(٣) التبريزي: «وتبقى له».

في اكتساب الخير، واستجلاب الحمدِ. والسَّرْوُ: سخاءٌ في مُرُوَّةٍ. يقال: سَرُوَ الرجل يَسْرُو، وهو سَرِيٌّ من قوم سَرَاةٍ. وكأنَّ هذا سَلَكَ مسلك الآخر حين قال: [الطويل]

وأنَّ ثَـرَاءَ الـمـالِ يَـنْـفَـعُ رَبَّـهُ ... ويُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمُ(١)

٦ ـ أَلَمْ تَـرَ لُقْـمَـانَ أَوْصَـى بَـنِـيـهِ ... وأَوْصَـيْـتُ عَـمْـرًا وَنِـعْـمَ الـوَصِـي(٢)

٧ ـ بُـنَـيَّ بَـدَا خِـبُّ نَـجْـوَى الـرِّجَـالِ ... فَـكُـنْ عِـنْـدَ سِـرِّكَ خَـبَّ الـنَّـجِـي

٨ ـ وسِـرُّكَ مَـا كَـانَ عِـنْـدَ امْـرِئٍ ... وَسِـرُّ الـثَّـلَاثَـةِ غَـيْـرُ الْخَـفِـي(٣)

معنى «ألم ترَ»: اعلم. ويريد التنبيهَ على أنَّ له في وَصاتِه ابنَه اقتداءً بالحكماء قبلَه، فكما ساغ للُقمانُ أن يوصِي ابنَه ساغ للصَّلَتَانِ أو يُوصِي عَمْرًا ولده. والمحمود في قوله: «نِعْم الوصي» محذوف؛ كأنّه قال: ونِعْم الوصي هو. وهذا ترغيبٌ منه لعمرٍو في الاحتذاء بما يَرْسُم له. وقوله: «بنيَّ بدا خِبُّ نَجْوَى الرِّجال»، فالخِبُّ: المكر بكسر الخاء، والخَبّ بفتحها: المكّار. ومثلُه رجلٌ صَبٌّ. والنجوى: مصدر، وهو يستعمل فيما يَتحدَّث فيه اثنانِ على طريق السَّتْر والكِتمان، فيقول: إذا ناجيتَ صاحبًا لك فكن خَبًّا فيما تُودِعه من سِرِّك، فإنَّ نَجْوَى الرِّجال إذا بدا خِبُّها، ومكرَ أربابها فيها، عادت وبالًا وفضيحة. والنَّجِيُّ يقع على الواحد والجمع، وكذلك النَّجْوَى. وفي القرآن: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: الآية ٤٧].

وقوله: «وسِرُّكَ ما كان عند امرئٍ»، ذهب فيه مذهبَ مَن قال: [الطويل]

إذا جـاوز الاثْـنَـيْـنِ سِـرٌّ فـإنَّـهُ ... بِبَثٍّ وتكثير الوُشاةِ قَمِينُ(٤)

وقد قيل في «الاثنين» من هذا البيت أراد به الشَّفتَين، وكأنَّ من فَسَّر هذا التفسير يريد: لا تُفْشِ سِرَّك إلى أَحَد.

آخر باب الأدب، والحمدُ لله وحده، والصلاة على نبيِّه محمّد وآله بَعْدَه.

---

(١) لمالك بن حزيم الهمداني في الحماسية رقم (٤٣٤).

(٢) التبريزي: «فنعم الوصي».

(٣) بعده عند التبريزي:

«كما الصمتُ أدنى لبعض الرشاد ... فبعضُ التكلّم أدنى لِغَيّ»

(٤) لقيس بن الخطيم في ديوانه ١٦٢، وحماسة البحتري ١٤٧، والدرر ٦: ٣١٢، وسمط اللآلي ٧٩٦، واللسان (نثث، قمن، ثني).

بابُ النَّسيب

٤٥٤ ـ وقال الصِّمَّةُ بنُ عَبْدِ الله القُشَيْرِيّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ حَنَنْتَ إلى رَيَّا ونَفْسُكَ باعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وشَعْبَاكُمَا مَعَا[(٢)]
٢ ـ فما حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الأَمْرَ طائِعًا وَتَجْزَعَ أَن دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

الحنين: تألُّم من الشَّوْقِ وتشكٍّ. وريًّا: اسمُ امرأةٍ، فإنْ قيل: هَلَّا قيل رَوَّى، لأنَّ فَعْلَى إذا جاء اسمًا من بنات الياء يقلب ياؤه واوًا، على هذا الفَتْوَى والشَّرْوَى والتَّقْوَى والبَقْوى؟ قلت: إنه سمِّي به منقولًا عن الصِّفة، وفَعْلَى صفة يصحُّ فيه الياء، على هذا قولهم: خَزْيَا وصَدْيَا ورَيًّا؛ كأنَّه تأنيث رَيَّان في الأصل، كما يقال: عطشان وعطشى، ثم نُقل من باب الصِّفات إلى باب التَّسمية بها فترك على بنائه. وقوله: «ونفسُك باعَدَت» الواو واو الحال، وهي للابتداء، ومعنى باعَدَت: بَعَّدَتْ، وهو كما يقال ضَاعَفَتْ وضَعَّفَتْ. وفي القرآن: ﴿بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سَبأ: الآية ١٩].

والمَزَار: اسمُ مكان الزِّيارة. والشعب: شَعْب الحيّ، يقال: التأَمَ شَعْبُهم، أي: اجتمعوا بعد تفرُّقٍ، وشَتَّ شَعْبُهم، إذا افترقُوا بعد تجمُّع. وقوله: «وشُعباكما معا»، الواو واو الحال أيضًا، والعامل في «ونفسُك باعَدَتْ» حَنَنْتَ، وفي قوله: «وشعباكما» باعدت. ومعنى قوله: «معا» مجتمعان ومصطحبان، وموضعه خبر المبتدأ.

---

(١) الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيري: من بني عامر بن صعصعة من مضر، شاعر غزل بدويّ من شعراء العصر الأموي، ومن العشّاق المتيّمين (ت نحو ٩٥هـ/ ٧١٤م). ترجمته في الأغاني ٥: ١٢٦، وخزانة البغدادي ١: ٤٦٤.

(٢) الأبيات (١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٨) له في المصون في سرّ الهوى المكنون ١٦٢، وأسواق الأشواق خ ١٠٤ ظ، والأبيات (٤، ٦، ٨) مع أبيات أخرى في اعتلال القلوب ٢٩٠.

وقوله: «فما حَسَنٌ أن تأتِيَ الأمرَ طائعًا» في حَسَنٍ وجوهٌ: يجوز أن يكون مبتدأً، وجاز الابتداء به وهو نكرةٌ لاعتماده على حرف النفي، و«أنْ تأتيَ» في موضع الفاعل لحَسَنٌ، واستَغْنَى بفاعله عن خَبَرِهِ، والتقدير: ما يَحْسُن إتيانك الأمرَ طائعًا. وانتصب طائعًا على الحال من أن تأتي. ويجوز أن يرتفع حسنٌ على أنه خبر مقدَّم، وأن تأتي في موضع المبتدإ. ويجوز أن يرتفع حسنٌ بالابتداء وأن تأتي في موضع الخبر، وهذا أضعف الوجوه لكون المبتدإ نكرةً والخبر معرفة. وقوله: «وتجزع أن دَاعِي الصَّبابة» أنْ مخففة من أنَّ الثَّقيلة، والمراد: وتجزع مِنْ أنَّ داعيَ الصَّبابة أسْمَعَكَ صوته ودعاك.

ومعنى البيتين: شكوتَ شَوْقَكَ إلى هذه المرأة، وأنت آثَرْتَ البُعْدَ عنها بعد أن كان حَيَّاكُما مجتمعين، وليس بجميلٍ اختيارُك الأمرَ طائعًا غيرَ مُكْره، وجزعك بعده، لأنَّ داعيَ الشَّوق والعائد منه إليك أسمعَك وحَرَّكَ منك.

٣ ـ قِفَا وَدِّعَا نَجْدًا ومَنْ حَلَّ بالحِمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُوَدَّعَا

٤ ـ وَلَيْسَت عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ عَلَيْكَ ولٰكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

يخاطب صاحبين لَه يستوقِفُهما ويكلِّفهما توديع نَجْدٍ معه والنَّازلِ بالحمى منه، ثم استأنَفَ فقال ملتفتًا: ويقِلُّ لنجدٍ وساكنه التَّوديعُ منَّا، لأن حقَّهما أعظم من ذلك، ولكنَّا لا نَقْدِر على غيره. والحِمَى: موضعٌ فيه ماءٌ وكلأٌ يُمنع منه الناس. ويقال: أحْمَيْتُ المكانَ، إذا جعلتَه حِمًى. وحكى ابنُ الأعرابيِّ أنهم يقولون للمكان وقد أُبطِلَ وأُبيحَ ولم يُحْمَ: بَهْرَجٌ. وأنشد: [الرجز]

فَخُيِّرَتْ بَيْنَ حِمًى وبَهْرَجِ ما بَيْنَ أَجْرَاذٍ إلى وادِي الشَّجِي

وقوله: «أنْ يُوَدَّعَا» في موضع الفاعل لقلَّ.

ومعنى قوله: «وليسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برواجع» أنك وإن أفرطتَ في الجزَع، فإنَّ أوقاتَ المواصَلة بالحِمَى مع أحبابك لا تكاد تَعُود، ولكنْ أدِمِ البكاءَ لها، مع التوجُّعِ في إثْرِها، تَجِدْ فيه راحةً. وفي هذا إلمام بقولِ الآخر: [الطويل]

فقُلْتُ له إنّ البُكاءَ لَراحةٌ به يَشْتَفِي مَن ظَنَّ ألّا تَلاقِيَا

وقوله: «تدمعا» جواب الأمر، ولو قال: تدمعان، لكان حالًا للعينَيْن.

٥ ـ ولمّا رأيتُ البِشْرَ أعرضَ دُونَنا وحالَتْ بَناتُ الشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا

٦ ـ بَكَتْ عَيْنِيَ الْيُمْنَى فلمَّا زَجَرْتُها عن الجَهْلِ بَعْدَ الحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا[١]

البِشْر: جبل. وأعرض دُونَنا: أبدى عُرْضَه. وحالت: تحرَّكَتْ. يقال: اسْتَحَلْتُ الشَّخْصَ، إذا نظرتَ هل يتحرَّك، ومنه: لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلّا بالله! والمعنى: لمَّا تباعَدْنا عن نَجْدٍ، وحَجَزَ بَيْننا وبينه البِشر، تحركَتْ بناتُ الشَّوق نوازعَ كثيرةَ الحنين، مظهِرةً ضَعْفَ الصَّبر. وجواب لما قوله: «بكَتْ عَيْنِيَ اليُمْنَى»، وأراد ببناتِ الشَّوْق مسبَّباته. وهذا كما قال الآخر[٢]: [الطويل]

يَضُمُّ إليَّ اللَّيْلُ أطفالَ حُبِّها كما ضَمَّ أَزْرَارَ القميصِ البنائقُ

فأطفالُ الحُبِّ كبنات الشوق. والنُّزَّع، الأشهر فيه أن يكون جمعَ نازع بمعنى كافٍّ، فوضَعَها موضعَ نوازع، واللَّفظتان المتواخِيَتان لكونهما من أصلٍ واحد يُستعار ما لإحداهما للأخرى؛ وإنّما قال: «بكَتْ عَينيَ اليُمنى»، لأنّه كان أعور ممتَّعًا بعينِه اليُسْرى. والعَيْن العَوْراء لا تَدْمَع، فيقول: بَكَتْ عينيَ الصحيحة؛ فاجتهَدْتُ في زَجْرِها عن تَعاطِي الجهل بعد أنْ كنتُ تحلمتُ وتركْتُ الصِّبَى، فلما تكلفتُ ذاك لها أقبلَتِ العوراءُ تَدْمَعُ معها وتبكي. ونبَّهَ بهذا على عِصْيان النفس والقَلب، وقِلَّة ائتمارهما له، وأنهما إذا زُجِرَا ورُدَّا عن مَواردهما زادا على المُنْكَر منهما.

٧ ـ تَلَفَّتُّ نحوَ الحَيِّ حتى وجَدْتُني وَجِعْتُ من الإصغاء لِيتًا وأَخْدَعا

٨ ـ وأَذْكُرُ أيَّامَ الحِمَى ثم أَنْثَني على كَبِدِي مِن خَشْيَةٍ أنْ تَصَدَّعَا

يقول: أَخَذْتُ في مَسيري لمَّا أبصَرْتُ حالَ نفسي في تأثير الصَّبابة فيها، ملتَفِتًا إلى ما خلَّفْتُه من الحيِّ وأرضِ نجدٍ، حتى وجدتُني وجِعَ اللِّيتِ ـ وهو عِرْقٌ فيها ـ لطُولِ إصغائي، ودوام التفاتي؛ كلُّ ذلك تحسُّرًا في إثْر الفائت من أحبابي وديارِها، وتذكُّرًا لطِيب أوقاتي مَعَهم فيها. وقد قيل فيه: إنَّ مِن رُموزهم أنّ مَنْ خَرَجَ من بلدٍ فالتفتَ وراءَه رجَعَ إلى ذلك البلد. وأنشد فيه أبياتٌ منها قولُه: [الخفيف]

عِيلَ صَبْري بالثَّعْلَبِيَّةِ لَمَّا طالَ ليلي ومَلَّني قُرَنائي

كلَّما سارت المطايا بنا مِيـ ـلًا تنفَّسْتُ والتفتُّ ورائي

قالوا: التفتَ لكي يُقْضَى له الرُّجوع، لكونه عاشقًا.

---

(١) التبريزي: «بكت عيني اليسرى».

(٢) لقيس بن معاذ في ديوانه ١٦٠، واللسان (نبق)، وبلا نسبة في اللسان (طفل).

وانتَصَبَ «لِيتًا» لأنَّه تمييز، وهذا من باب ما نُقِل الفعلُ عنه، كأنَّ الأصل: وَجِعَ ليتي وأخْدَعِي، فلما شُغِل الفعلُ عنهما بضميره أشْبَهَا المفعولَ فنصبَهما. ومثله: تصبَّبْتُ عَرَقًا، وقررْتُ به عَيْنًا.

وقوله: «وأَذكرُ أيَّامَ الحِمَى ثم أَنثني»، يقول: وأتذكَّرُ أوقاتي بالحِمَى لَمَّا كانَ من أسباب الوصال تَساعُد، وبينَ دُورِنا ودُور الأحبَّة تقارُبٌ، وللتَّراسُل إمكان، ومع الحبيبِ في الوقتِ بعدَ الوقتِ تلاقٍ واجتماع، ثم أَنْعَطِفُ على كبدي وأَقْبِضُ عليها مخافةَ تشقُّقِها، وخُروجِها من مواضعها، شوقًا إلى أمثالها، وحسرةً في إثْرِ منقَطَها.

وقد ذكر هذه الأبياتَ أبو عبدِ الله المفجَّعُ رحمه الله، في حدِّ الغَزَل من كتابه المعروف بالتَّرجُمان، فنذكر بيتين منها في (باب الصَّبابة)، وهما:

حـنـنـتَ إلـى رَيَّـا ونـفـسُـك بـاعـدَتْ

و:

فـمـا حـسـنٌ أن تـأتـي الأمـرَ طـائـعًـا

وقال في تفسيرهما: «يقول: الحربُ بينَك وبين قومِك تَمْنعُك مِن قُربها ولقائها». وذكَرَ مع البيتين قولَ عنترة: [الكامل]

عُـلِّقْـتُـهَـا عَـرَضًـا وأَقْـتُـلُ قـومَـهـا زَعْمًا لعَمْرُ أبيك ليس بمَزْعَمِ[1]

ثم جاء إلى (باب الحنين)، فذكر ما في الأبيات:

وأذكـــرُ أيَّـــامَ الـــحِـــمَـــى

و:

وليسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برواجعٍ

و:

بـكَـتْ عَـيْـنِـيَ الـيُـمْـنَـى

الأبيات، وقال في تفسيرها: هذا كانَ نجاورًا لأحبابه وهم منتجِعُون بجُنُوب الحِمَى فنشأَتْ عينٌ ـ والعينُ: سحابةٌ تجيءُ من ناحية القبلة ـ فنشأَتْ مِنْ عَنْ يسارِ القبلة، فارتاعَ لذلك، وخَشِيَ الفُرْقَةَ إذا اتَّصل الغيث، فذلك معنى قوله: بكَتْ عَيْنِي

(١) لعنترة في ديوانه ١٩١، وخزانة الأدب ٦ :١٣١، واللسان (زعم).

اليُسْرَى، كنايةٌ عن السحاب. وجَهْلُها: كثرةُ مَطَرِهَا. وجعَلَ ارتياعَه منها زجرًا لها. ثم نشأَتْ أُخرى مِنْ عَنْ يمينِ القِبْلَة، فأيْقَنَ حينئذٍ بالفِرَاق. فذلك معنى قوله: أَسْبَلَتا معًا. ثم قال معترِفًا بالبَيْن: خلِّ عَيْنَيك تدمَعا، يعني السَّحابتَين. وقال جرير: [الكامل]

إِنَّ السَّوَارِيَ والغَوَادِيَ غَادَرَتْ ... لِلرِّيحِ مُنْخَرَقًا بها ومَجَالا

هذا كلامُه في كتابه، وقد حَكَيْنَاه على ما أورده لا زيادةَ فيه ولا نُقْصان. وأظنُّ أنه تذكَّرَ أبياتًا غيرَ هذهِ، ثمَّ تصرَّف في تفسيرها وذكَرَ هذه الأبيات في أثناءِ تفسيرِ ما ذكَرَه، ولم يَأْتِ بها، وقد أحسَنْتُ الظَّنَّ مُسْتَطْرِفًا فِعْلَه، والله أعلم.

٤٥٥ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ ونُبِّئْتُ لَيلَى أَرْسَلَتْ بِشَفاعةٍ ... إليَّ فَهَلَّا نَفْسُ لَيلَى شَفِيعُهَا

٢ ـ أَأَكْرَمُ مِنْ لَيلَى عَلَيَّ فَتَبْتَغِي ... به الجاهَ أَمْ كُنْتُ امرأً لا أُطيعُها

نُبِّئَ يحتاج إلى ثلاثةِ مفاعيل، وقد حصَلَتْ إلى قوله: «أَرْسَلَتْ بشفاعةٍ إليَّ».

وقوله: «هَلَّا نَفْسَ ليلى»، هلَّا: حرفُ تخصيص، وهو يطلُب الفعل، وقد وَقَعَ في البيت بعده جملةٌ من مبتدإٍ وخَبَر. وفارق «هَلَّا» هذه أختَها «لولا» في قوله: [الطويل]

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفضَلَ مَجْدِكُمْ ... بَنِي ضَوْطَرَى لولا الكميَّ المقنعا(٢)

وذاك لأنَّ تأثيرَ الفعلِ بالنصب بعد لولا من البيت دلَّ عليه، فأمْرُه في إضمار الفِعْل بعده قويّ. وهذا لم يَصْلُحْ له أن يَنْصِب النَّفْسَ بعد هَلَّا، فكانَ يجيءُ التقديرُ: فهَلَّا أرسلَتْ نَفْسَها شَفِيعَها؛ لأنَّ القوافيَ مرفوعةٌ، فجعَلَ مابعده مبتدأً لمَّا لم يتأتَّ له ما تأتَّى لذاك. وقد يفعلون هذا في الحروف المختصَّة بالأفعال إذا كان في الكلام دَلالةٌ على المضمر من الفِعل. ألا تَرَى أنَّ لَوْ يَطْلُب الفعل. ثمَّ جاءَ قولُه تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: الآية

(١) نسبهما في الحماسة البصرية ٢: ١٩١ لقيس بن الملوّح وليسا في ديوانه، وقيل: هما للصمّة القشيري أو لابن الدمينة (انظر شرح شواهد المغني للسيوطي ٧٩).

(٢) لجرير في ديوانه ٩٠٧، وتخليص الشواهد ٤٣١، وللفرزدق في الأزهية ١٦٨، واللسان (ضطر)، ولجرير أو للأشهب بن رميلة في شرح المفصل ٨: ١٤٥.

١٠٠]. وعلى ذلك جاء إنْ الجازمةُ الدَّالَّة على الشرط في وُقوع الاسم بعدَه، وإنْ كان يطلُب الفعلَ عاملًا فيه بالْجَزم، وذلك نحو: إنْ زيدٌ أتاني أكرمْتُه. وقول الشاعر: [البسيط]

إنْ ذو لُوثـــــةٍ لانـــــا[١]

وما أشبَهَهُ. فإن قيل: هَلّا جعلتَ المضمرَ بعد هَلّا فعلًا رافعًا فيَرتفعُ النفسُ به لا بالابتداء، كما يُفعَل ذلك في: إن زيدٌ أتاني أكرمته، فيصير هلّا في ذلك أجْرَى في بابِه من أن يكون ارتفاعُه بالابتداء؟ قلتَ: إنَّ قولَك إن زيدٌ أتانِي أكرتُه، ارتفع زيدٌ بفعلٍ هذا الظَّاهرُ تفسيرُه، وأكرمتُه جوابُ إنْ، فساغَ فيه ما لم يسُغْ هاهنا؛ لأنه ليس هاهنا شيءٌ يكون تفسيرًا لذلك الفعل. وإنَّما جاءَ بَدَلَ الفِعل المفسَّر شفيعُها، ويكون خبرًا لا غير، وإذا كان كذلك لم يُمْكِنْ حَمْلُ هذا عليه.

ومعنى البيت: خُبِّرتُ أنَّ لَيْلَى أرسلَتْ إليَّ ذا الشَّفاعةِ في بابها، تَطْلُب به جاهًا عندي، مستكفية عن ذِكْرِهَا في الشِّعْرِ وعن إتيانها وما يَجْرِي مَجراه. ثم قال: هَلّا جعَلَتْ نَفْسَها شفيعًا. فقوله: «بشَفاعةٍ» حذف المضاف وأقام المضافَ إليه مَقامه، الفعلُ الذي يقتضيه هَلّا دلَّ عليه شفيعُها، لو قال: هَلّا نَفْسُها شفيعُها ـ لكان أقربَ في الاستعمال، إلَّا أنه قَصَدَ إلى التَّفخيم بتكرير اسمها.

ثم قال: «أأكرمُ مِنْ لَيْلَى عليَّ»، فأتَى بلفظ الاستفهام، والمراد التَّقْريع والإنكار، كأنَّه أنكَرَ منها استعانَتَها بالغَيْر عليه، وطلَبَ الشَّفيع فيما أرادت لدَيْه. وقوله: «فتبتغِي» في موضع النصب على أن يكون جوابَ الاستفهام بالفاء. وقوله: «أم كنت» هي أم المتَّصلة، كأنَّه قال: أيَّ هذين توهَّمْتْ: طلبُ إنسانٍ أكرَمَ عليَّ منها، أمِ اتِّهامُها لطاعتي لها. وخبر أكرم عليَّ محذوفٌ؛ كأنَّه قال: أأكرمُ منها موجود، أو في الدُّنيا.

٤٥٦ ـ وقال آخر[٢]: [الطويل]

١ ـ أَمَا يَسْتَفِيقُ القَلْبُ إلَّا انبَرَى لَهُ ... تَوَهُّمُ صَيْفٍ من سُعَادَ ومَرْبعِ

(١) لقريط بن أنيف وقد ورد في الحماسية الأولى، وتمامه:
«إذًا لقام بنصري معشرٌ خُشُنٌ ... عند الحفيظةِ إن ذو لوثةٍ لانا»

(٢) التبريزي: «وقال ابن الدمينة». هو عبد الله بن عبيد الله بن الدُّمينة: من بني عامر بن تيم الله من خثعم، شاعر بدوي، من أرقّ الناس شعرًا، أكثر شعره في الغزل والنسيب والفخر، وهو من=

٢ ـ أُخَادِعُ عَنْ أطلالِها العَيْنَ إنَّهُ ... مَتى تَعْرِفِ الأطلالَ عينُكَ تَدْمَعِ

٣ ـ عَهِدْتُ بِها وَحْشًا عليها براقِعٌ ... وَهَذِي وُحُوشٌ أصبحَتْ لم تَبَرْقَعِ

استفاق وأفاق بمعنى صحا. وانبرَى: تعرَّض. وأراد بالصَّيف المَصِيف. وقوله: «من سعاد» أراد من دار سُعادَ وأرَضِيها. و«أمَا» هي ما النافية أُدخِل عليها ألفُ الاستفهام تقريرًا أو إنكارًا. والمراد: لا يحدَّث القلبُ بالسُّلُوّ والإفاقة ممَّا تداخَلَه من علائق حبِّ هذه المرأة، وتشبَّثَ به فألْهَاهُ عن كلِّ شيءٍ، إلَّا اعترضَ له تذكُّرُ مَصيفٍ ومَرْبع من أرَضِيها بعد التوهُّم؛ كأنَّه كان يَقِف على منازلها فيتوهَّمُها بآياتها وعلاماتها، ثم يَعْرِفُها. وأكثرُ ما يذكرون التَّوهُّمَ في الدِّيار يعقِّبونه بالعِرفان دونَ العلم. وهذا أحدُ ما نَفْصِل به بين العِلْم والمعرفة، ولهذا وأشباهِه نمتنع من أن نصِفَ الله تعالى بأنَّه عارفٌ؛ لذلك قال زهير: [الطويل]

فَلأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ[١]

وأشباهُه كثير.

وقوله: «توهُّمُ صيفٍ»، حقيقته أنَّه حذف المضافَ وأقام المضافَ إليه مقامه، كأنَّه قال: توهُّمُ موضعِ صيفِنا، فيكون الصَّيْف مصدر صِفْنَا بالمكان نَصِيفُ به صَيْفًا. وقوله: «مربع»، يجوز أن يَكونَ اسمَ المكان.

وقوله: «أخَادِعُ عن أطلالها العيْنَ»، يريد: أنِّي إذا وقفتُ على آثارِ دارِها وجوانِبِ مَحَلِّها رُمْتُ خَدْعَ النَّفْسِ والعَيْن عن تأمُّلها، تفاديًا مما يتسلَّط من الوَجد بها، ويتجدَّدُ لي من الصَّبابة نحوَها. ولئلَّا أتذكَّرَ بما أتفرَّسُ فيها أحوالي قِبَلَها، لأنَّ العينَ إذا عرفَتْها وكَفَتْ بالدَّمع، والنَّفسَ إذا تبيَّنتها أُشْقِيت بالوجد.

وقوله: «عَهِدْتُ بها وَحْشًا»، هذا تحسّرٌ فيما رأى الدَّارَ عليه من الاستبدال وُحوشًا، فقال: عَهِدْتُ بها نساءً مبرقَعة ـ يشير بذلك إلى عَفافِها وقلَّةِ تبرُّجها ـ كالوحشِ كمالًا وحُسْنًا، ونُفورًا عن الرِّيَب، وأرى الآنَ وُحوشًا تختلِفُ فيها غير

= شعراء العصر الأموي. (ت ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م). ترجمته في: الشعر والشعراء ٤٥٨، والمرزباني ٤٠٢، والأغاني ١٥: ١٤٤.

(١) لزهير في ديوانه ص ٧، واللسان (وهم، لأي)، وصدره:
«وقفت بها من بعد عشرين حجة»

مبرقعة. وفي هذه الطَّريقة قول الآخَر: [الطويل]

يَعِزُّ عليَّ أنْ يُرَى عِوَضَ الدُّمَى بحافاته هَامٌ وبُومٌ وهِجْرِسُ(١)

وقوله: «عليها براقع» صفةٌ للوحش، وكذلك «أصبحت لم تبرقع».

٤٥٧ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ فيا رَبِّ إنْ أَهْلِكْ ولم تُروِ هامَتِي بلَيلَى أَمُتْ لا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِي

٢ ـ وإنْ أَكُ عَنْ لَيلَى سَلَوْتُ فإنَّما تَسَلَّيْتُ عَنْ يَأسٍ ولم أَسْلُ مِنْ صَبْرِ(٢)

٣ ـ وإنْ يَكُ عَنْ لَيلَى غِنًى وتجلُّدٌ فرُبَّ غِنَى نَفْس قريبٍ من الفَقْرِ

حذف الياء من «يا ربّ» لوقوعها موقعَ ما يحدث في باب النِّداء، البتّة، وهو التنوين؛ ولأنَّ الكسرة تدلُّ عليه، ولأنَّ بابَ النداء بابُ حذْفٍ وإيجاز، لكثرةِ تردُّدِهِ في الكلام، وقوله: «أَمُتْ» جوابُ الشَّرط. وقوله: «لا قَبْرَ أعْطَشُ مِنْ قَبْري» الجملةُ في موضع الحال. وقد رُوِي: «تَرْوَ» بفتح التاء ويكون الفعل للهامة، و«تُرْوِ» بضم التَّاء والفعل لله عزَّ وجلَّ، فيقول متألِّمًا من بَرْح الصَّبابة، وعَطَش الاشتياق، ومتشكِّيًا إلى الله تعالى: يا ربِّ إنْ مُتُّ ولم أَنَلْ شِفاءً من دائي، ورِيًّا من عطَشِي إلى هذه المرأة مُتُّ ولا قبرَ لعاشقٍ أشدُّ عطشًا من قبري؛ وإنَّما قال: لم ترو هامتي، لأنَّهم كانوا يزعمون أنَّ عظامَ الموتى تصير هامًا فتطير. والأصلح في هذا المكان أن يكون جَعَلَ نفسَه مُقْتَتَلًا لحبِّها. ومعنى: «ترو هامَتِي» لم تَطْلُب دمي من قاتلي، تَبْقَ هامتي أعطش من كلِّ هَامٍ. وكانوا يقولون: إنّه يَخْرُج من رأس المقتولِ هامةٌ فتصيح وتقول: اسقوني اسقوني! إلى أن يُدْرَكَ ثأره.

وإنما آثرْتُ هذا لتوحيده هامة. والرِّوايتان في تُرْوِ وتَرْوِ معنياهما ظاهر.

وقوله: «وإن أَكُ عن ليلى سَلَوْتُ»، قد تقدَّم القول في حذف النون من أكُنْ. وجواب الشَّرط قوله: «فإنّما» بما بعده، والمعنى: إنْ أَكُ في الظَّاهر حَصَلَ لي سُلُوٌّ عنها لمن يتأمَّلُ حالي، فإنّما تكلَّفْتُ ما ظَنَّ منّي سلوًّا لغَلَبَةِ اليأس منها عليّ، فأمَّا نَفْسي فهي كما كانت، ذَهابًا فيها ووُلوعًا بها. وقوله: «سلوت» معناه: طِبْت نفسًا. وتسلَّيت معناه تكلّفت ذلك، والتَّفعُّل لا يكون إلا عن تكلّفٍ في أكثرِ

(١) الهجرس: ولد الثعلب.

(٢) التبريزي: «ولم أسلُ عن صبرِ».

الأحوال، وكذلك التَّفاعُل، فأتى بسلَوْت بناءً على ظنِّهم واعتقادهم، وتسلَّيْت بناء على حاله.

وقوله: «وإن يَكُ عَنْ لَيْلَى غِنًى»، يريد: وإنْ كان ظاهرُ أمري أنّي استغنيت عنها بخلوِّ قلبي من حبِّها، أو أنّي أتجلَّد للوَهْن العارض في الاشتياق إليها، فرُبَّ غِنَى نفسٍ يَقْرب من الفقر. والمعنى: أنَّ باطن أمرِي بخلاف ظاهرِه، وإنما يُتصوَّر منّي غِنًى يقرُب من الفقر إذا حَصَل وتُؤُمِّل. ومن روى «أمرٌ من الفقر»، فالمعنى ظاهر والفاء من فربَّ بما بعده جواب للشَّرط. وفائدة ربَّ التقليل، كأنه استقلَّ الحالاتِ التي تشبه حالَه، فلذلك أتى برُبّ.

٤٥٨ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ يومَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْذَعَتِي ... والعَقْلُ مُتَّلِهٌ والقلبُ مشغولُ

٢ ـ ثم انصرَفْتُ إلى نِضْوِي لأَبْعَثَهُ ... إثْرَ الحُدُوجِ الغَوادِي وهو معقولُ

انتصب «يومَ» بإضمار فعل، كأنَّه أراد: أذكرُ يومَ هذا الأمر والشَّأن. وأضاف اليومَ إلى الفعل تشهيرًا له وتعظيمًا لما اتَّفق فيه، وذلك أنَّه باغَتَه حديثُ الفِراق وما هَمَّ به المُجْتَمِعون فيه في النُّجعة من الارتحال، فلمَّا وَرَدَ عليه ما لم يَحْسِبْه ولم يحدِّث نفسَه به تَوَلَّهَ وخُولط، حتَّى صارَ لا يدرِي ماذا يأتي عندما هَمَّ به من تشييعهم، والتهيُّؤ للكَوْنِ معهم، فقال: أذكرُ يومَ أقبلْتُ أضعُ الرَّحلَ على الناقة قَبل البَرْذَعَة، وعقلي فاسدٌ وقلبي مشغولٌ بما دَهِمَه من الحال. وقوله: «مُتَّله» هو مُفْتَعِل من الوله، وأصله مُوتَلِهٌ، فأُبدل من الواو تاءً كما تقول في اتَّقى واتَّجه وما أشبههما، ثم أَدغَم إحدى التاءَين في الأخرى. ويروى: «مختَبَلٌ»، والخَبْل: الفسَاد.

وقوله: «ثم انصرفت إلى نِضوى»، تتميم لبيان حالِهِ فيما انعكس عليه من قَصْدِهِ، وفَسَد من همِّه، فقال: ثُمَّ رجعتُ إلى بَعِيري لأقيمَه في إثْر الظَّعائن الباكرة، وهو مشدودٌ بعِقاله لم أحُلّه. وهذا غايةُ ما يقالُ في انحلال العُقْدة، واسترخاء المُسْكة، وسُوء الضَّبط وانقلاب القَلْب. ومعنى أبعثه: أُهيِّجه. والنِّضو: البعير المهزول. والحُدوج: مراكب النِّساء الظاعنة. وانتصب إثر على الظَّرف.

وقد سلكَ أبو تَمَّام هذا المسلكَ، فقال[1]: [البسيط]

أصَمَّنِي سِرُّهُمْ أيَّامَ فُرقتهم ... هل كنتَ تَعْرِفُ سرًّا يُورِثُ الصَّمَما

(١) ديوانه ص ٣٠٢.

نَأَوْا فظَلّتْ لوَشْكِ البَيْنِ مُقلتُه تَنْدَى نَجِيعًا وَيَنْدَى جسمُه سَقَمَا
أظَلّهُ البَيْنَ حتَّى إنّهُ رجلٌ لو ماتَ من شُغْلِهِ بالبَيْن ما عَلِما

٤٥٩ ـ وقال جِرَان العَوْدِ[١]: [الطويل]

١ ـ أيا كِبدًا كادَتْ عَشِيَّةَ غُرَّبٍ من الشَّوْقِ إثْرَ الظَّاعِنِينَ تَصَدَّعُ
٢ ـ عَشِيَّةَ ما فِيمَنْ أقامَ بِغُرَّبٍ مُقامٌ ولا فِيمَن مَضَى مُتسرَّعُ

يروى «يا كَبِدَا» والمراد: يا كبِدِي على الإضافة، ففرَّ من الكسرة وبعدها ياءٌ إلى الفتحة، فانقلبت ألفًا. ويروى «يا كبدًا» والمراد به كبده وإنْ نكَّرها، بدلالة أنَّه وصفَها بقوله: «كادت عَشِيَّةَ غُرَّبٍ من الشوق»... البيت. وهذه الصفة لم تحصلْ إلَّا لها. والمراد: أنَّه تألَّمَ مما دَهِمَه من أمر الفراق بعد الاجتماعِ الحاصلِ في مواضعِ الانتجاع، وكأنَّ المجتمِعِين تحزَّبُوا حِزبَين، ارتحل أحدُهما وصاحبَتُه معهم، وأقام أحدُهما بالتهيُّؤ والاستعداد وهو فيهم، فالمتقدِّمون ليس فيهم متسرَّع، لانتظارِهم المتخلِّفين، والمتخلِّفون لا مُقامَ لهم لاستعجالهم اللَّحاقَ بهم، فَشَكَا الحالةَ الواقعة في أثناءِ ذلك، وهو مع ذلك يحِنُّ ويشتاق. وغُرَّبٌ: موضع، وأضاف العشيَّة إليه تخصيصًا. وفصل بين كاد وبين الفعل الذي تناوله بالظَّرْف على ما اتَّصل به. و«إثْرَ» انتصبَ على الظَّرْف من الشَّوْق، و«عشيّةَ» من البيت الثاني بدلٌ من العَشِيَّة الأولى. وكما أضافَ الأولَى إلى غُرَّب تبيينًا أضافَ الثانية إلى قوله: «ما فيمن أقام بِغُرَّب» تبيينًا، وهما عشيَّةٌ واحدةٌ وإن اختلف مبيِّنُهما.

٤٦٠ ـ وقال الحُسَين بن مُطَير[٢]: [الطويل]

١ ـ لقد كُنتُ جَلْدًا قَبْلَ أنْ تُوقِدَ النَّوَى على كَبِدِي نارًا بطيئًا خُمُودُها[٣]
٢ ـ وقد كُنتُ أرْجُو أنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إذا قَدُمَتْ أيّامُها وعُهُودُها

(١) التبريزي: «واسمه عامر بن الحارث، وسمّي جران العود لقوله:
خُذا حذرًا يا جارتيَّ فإنّني رأيت جران العَودِ قد كاد يصلُحُ
والعَوْد: المسنّ، والجِران: باطن عنق البعير والدابّة. وقال أبو رياش: هي لذي الرمّة».
(٢) التبريزي: «الأسديّ». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٣١٩)، والأبيات في الأمالي ١: ١٦٥.
(٣) بعد في الأمالي:
«ولو تركت نار الهوى لتضرّمت ولكن شوقًا كل يوم يزيدها»

يقول: كنتُ قويَّ النَّفس، ثابتَ القَلْب، راجحَ العَقْل، صبورًا في الشَّدائد، قبلَ أن بُليتُ بفِراق الأحبَّة، فلمَّا أوقدَتْ نِيَّتُهم التي انتوَوْها نارَ الصَّبابةِ على كَبِدي فأبطأَ سكونُها ضَعُفت عن الثَّبات لها، وظهَرَ عَجْزي عن تحمُّلِ أعبائها، وقد كنتُ أؤمِّلُ إذا أَتَتَ الأيَّامُ على ما أُقاسيه، واستمرَّت النَّفسُ في التَّألُّم تارةً وفي التصبُّر أخرى، أن يتنقَّصَ ذلك صبابتي، وأنَّ قِدَمَ الأيَّام وانمحاءَ العهود يؤثِّر في تسكين نائرتها، ويُبْطِل ما تسلَّطَ عليَّ من أذاها ومكروهِها. وقوله: «إذا قَدُمَتْ» ظرفٌ لتموت صبابتي.

٣ ـ فَقَدْ جَعَلَتْ في حَبَّةِ القلبِ والحشا عِهَادَ الهَوَى تُولَى بشَوْقٍ يُعِيدُها[(١)]

يريد: أنَّ ما كانَ يرجُوه من سُكونِ صبابته قد ازدادَ، لأنَّها صَيَّرَتْ في حَبَّة القلب وأحشائِه أمطار الهوى، تُجَدَّدُ وتُتْبَعُ بوَلْيِّ من الشَّوْق يرُدُّها كما كانت، وانتصب «عِهَادَ» على أنَّه مفعول أوَّلُ لجَعَلَتْ. وتُولَى بشوق في موضع المفعول الثاني، ويُعيدها في موضع الصفة للشَّوْق. ومعنى «تُولى»: تُمْطَر الوَليّ. والوَليُّ المَطْرة الثانية، لأن الأولى منها تسمَّى: الوَسْميّ. والعِهاد: جمع العَهْد، وهو المطَر الذي يجيءُ ولِمَا تَقَدَّمه عهدٌ باقٍ لم يَذهب. وحَبَّة القلب هي العَلَقة السوداء في جوفه. ويروى «عهادُ الهوَى ـ بالرّفع ـ يُولَى ـ بالياء ـ بشوق بَعيدُها، بالباء»، فيكون معنى جَعَلَتْ: طَفِقَتْ وأقبلت، ويكون غيرَ متعدٍّ، ويرتفع عهاد بجعلت، وبعيدَها يقوم مقام فاعل يُولَى. فيكون المعنى: فقد طفقت أوائلُ هواها يُمطَرُ أبْعَدُها بشوقٍ يجدِّدها.

٤ ـ بِسُودٍ نَواصِيها وحُمْرٍ أَكُفُّها وصُفْرٍ تَراقِيها وبِيضٍ خُدُودُها

٥ ـ مُخَصَّرَةِ الأوساطِ زانَتْ عُقُودَها بأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْها عُقُودُها

٦ ـ يُمَنِّيْنَنَا حَتَّى تَرِفَّ قلوبُنا رَفِيفَ الخُزامَى بات طَلٌّ يَجُودُها[(٢)]

الباء من قوله: «بسودٍ نَواصيها»، يجوز أن يتعلَّق بقوله: تموت صبابَتي، ويجوز أن يتعلق بجعلَتْ إذا ارتفع عِهَادُ الهَوَى به، يريد: جعلَتِ العهادُ تفعل هذا بسببِ نساءٍ هكذا. وإنَّما جاز أن يجمع سُودٌ وحمرٌ وغيرهما، وإن ارتفع ما بعدها بها؛ لأنَّ هذه

(١) بعده في الأمالي:
«لمرتجة الأطراف هيف خصورها عذاب ثناياها عجاف قيودها»

(٢) بعده في الأمالي:
«وفيهنّ مقلاق الوشاح كأنّها مهاة بشربان طويل عقودها»

الجموعَ لها نظائرُ في هذه الأسماء المفردة، ولو كانت جموعَ سلامة أو ما لا نظيرَ له في الواحد لما جازَ جمعُه. تقول: مررت برجالٍ ظِرافٍ آباؤهم، ولو قلت: ظَرِيفين آباؤهم، لم يجز.

وقوله: «مُخَصَّرة الأوساط»، يريد: أنها دقيقةُ الخصور، غيرُ واسعة الجنوب، وأن قلائدها وحليَّها تكتسب من التزيُّن بها إذا عُلِّقت عليها، أكْثَرَ مما تكتَسِبه منها إذا تحلَّت بها.

وقوله: «يُمَنِّيننا» يصف لَطافتهنَّ في مواعيدهن، وتقريبهنَّ أمرَ الوِصال بينه وبينهنّ، وأنّها لا تزالُ تُمَنِّي وتَضمن من حُسْن الإجابة ما يَصير للقلوب به بريقٌ ونضارةٌ، كبريقِ الخُزامى إذا بقي لَيْلَته يُطَلُّ بالجَوْدِ، والرَّفِيف كثرةُ الماءِ في النَّبات ونَضارتُها. ومعنى «حتّى تَرِفّ»: إلى أن ترفّ.

٤٦١ ـ وقال أبو صَخْرِ الهُذَليّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي ... أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

٢ ـ لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى ... أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لا يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ

تكريره للذي ليس بتكثيرٍ للأقسام، لأن اليمينَ يمينٌ واحدةٌ بدلالةِ أن لها جوابًا واحدًا، ولو كانت أيمانًا مختلفة لوجَبَ أن يكون لها أجوبةٌ مختلفة، وفائدة التَّكرير التَّفخيمُ والتَّهويل، وعلى هذا إذا قال القائل: واللهِ واللهِ لقد كان كذا، فاليمين واحدة. وما في القرآن من قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل: الآيات ١ - ٤] مِثْلُه. على أنّ ما في البيتِ من اختلاف الأفعالِ الدَّاخلة في الصِّلات جَعَلَ الكلامَ أحسنَ، والتَّفخيم أبلغ. وجواب القسم: «لَقَدْ تركَتْنِي»، وفاعل تركتني ضميرُ المرأة المستكنُّ فيه. والمعنى: أني إذا تأمّلتُ الوحوشَ وهي تأتلف في مراعيها ومُتصرَّفاتها اثنين اثنين، لا يُفَزِّعها رقيبٌ، ولا يَدْخُل فيما بينها تَنفير، حَسَدْتُها وتمنَّيْتُ أن تكون حالتي مع صاحبتي كحالها في ألافها.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٠٩). والأبيات (١، ٢) مع بيتين آخرين له في اعتلال القلوب ٣٣٠، و(١، ٢، ٣) مع بيت آخر في مصارع العشاق ٢: ١٣، وأسواق الأشواق خ ١٤٥ ظ، و(١، ٢) في مصارع العشاق ١: ١٤٤، والأبيات (٣، ٤) لمجنون ليلى في ديوانه ٨٢.

وقوله: «أحسدُ الوَحش» في موضع الحال، وأنْ أرى، في موضع البَدَل من الوحش. وقوله: «لا يَروعُهما» في موضع الصِّفة لأليفين، لأن أَرَى من رؤية العين، ويكتفي بمفعولٍ واحد، وهو أَلِيفَين.

٣ ـ فيا حُبَّها زِدْني جَوَى كلَّ ليلةٍ ويا سَلْوَة العُشَّاق مَوْعِدُكِ الحَشْرُ
٤ ـ عَجِبْتُ لِسَعْي الدَّهْرَ بَيْنِي وبَيْنَها فَلَمَّا انقَضَى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ

تَجَلَّدَ في الهَوى وادَّعى اللَّذاذةَ به، حتَّى استزادَ من أجزاء الجوَى الحاصلِ له، وهو داءُ الجَوْف، ما يَتضاعَفُ بتجدُّد الأوقات، واستَبْعَدَ التَّسَلِّيَ منها حتَّى جَعَلَ الموعدَ بينهما يومَ النَّشر، وهذا غايةُ التَّفتِّي في الهَوَى، والتَّصبُّر على الرَّدَى.

وقوله: «عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهرِ»، يجوز أن يريد به سُرعةَ تقضِّي الأوقات مُدَّةَ الوصال بينهما، وأنَّه لَمَّا انقضَى الوَصْلُ عادَ الدَّهرُ إلى حالته في السُّكون. وهذا على عادَتهم في استقصار أيَّامِ السرور واللَّهْو، واستطالةِ أيَّامِ الفراق والهَجْر. ويجوز أن يريدَ بسَعْيِ الدَّهر سِعايةَ أهل الدَّهر وإيقادَهم نارَ الشَّرِّ بينهما بالنمائم والوِشايات، وأنَّه لمّا فَترتْ أسواقُهم بالتَّهاجُر الواقع مِنْهُما، وارتفع مُرادُهم فيما طلَبوه من الفَساد بينهما، سكنوا. وكما أرادَ بسَعْيِ الدَّهر سَعْيَ أهلِ الدَّهر، كذلك أراد بسُكون الدَّهر سُكونَ أهل الدَّهر.

٤٦٢ ـ وقال[1]: [الكامل]

١ ـ بِيَدِ الَّذي شَعَفَ الفُؤادَ بكم تَفريجُ ما أَلْقَى من الهَمِّ
٢ ـ ويُقِرُّ عَيْنِي وهي نَازِحَةٌ ما لا يُقِرُّ بعَيْنِ ذِي الحِلْمِ

الذي شَعَفَ القلب به من زعمه هو الله تعالى. ومعنى شعف الفؤاد: أصاب شَعَفَتَهُ. وشَعَفَةُ كلِّ شيءٍ أعلاه. وقوله: «بكم» أراد بحبِّكم، ويقال: فلانٌ مشعوف بكذا، إذا شُغِلَ قلبُه به وأُصيبَ. وارتفع «تفريج» بالابتداء، وخبَره بيد الذي على طريقة سيبَوَيْه، وعلى مذهبِ أبي الحسن الأخفَش ارتفع تفريج بالظَّرف، والمعنى: بيدِ الله الذي ابتلاني بكم، وشَغَلَ قلبي بحبِّكم، كَشْفُ ما أُقاسيه من الهَمِّ. وهذا للشاعر في الهَوَى على الضِّدِّ ممن تقدَّم ذكرُه، لأنَّ شكواه في نهاية القُوَّة والعُلُوّ، كما أنَّ التِذاذَ ذاكَ في نهاية الجِدَّةِ والغُلُوّ.

---

(١) التبريزي: «وقال أيضًا» أي أبو صخر الهذلي، والأبيات (١، ٣، ٤) له في الزهرة ٩٦.

وقوله: «ويُقِرُّ عيني وهي نازحةٌ»، يريدُ: أنّه يسرّه فيها على بُعدها منه ما لا يُسَرّ به عاقل. وإنّما نبّه بهذا على شِدَّةِ تمنُّعِها، وعلى قُوّة يأسِه منها، حتّى أنّه مع البِعاد إذا أخطر بباله شيئًا من أحوالها التي يُشاركه فيها، عَدَّهُ مَرزِئَةً منها، واستمتاعًا بها. وقد شَرَحَ ذلك فيما بعده، وقد روى بعضهم: «بعَيْن ذي الحُلْم»، بضمّ الحاء، وليس بشَيْء.

٣ ـ إنّـي أرَى وَأظُـنُّ أنْ سَـتَـرَى وَضَـحَ الـنّـهـارِ وَعـالِيَ الـنّـجْـمِ

لك أن تروى «أنّي» وتجعله في موضع الرفع بدلًا من «ما لا يُقِرُّ»؛ ولك أن تكسر إنّ، كأنّك تستأنف شَرْحَ ما قُدِّم، وتفصّلُ ما أُجْمِل. ويكون المعنى: يُقِرُّ عَيْنِي أنّي أرى بياضَ النّهار وعالي الكواكب باللّيل، وهو أضوَؤُها وأعلَنُها، وأظنُّ أنّها تُشارِكُني في رؤيتها، فأفرحُ بذلك، وهذا ممّا لا يَفْرح به عاقل، ولا يَعْتَدُّهُ لَذَّةً. ويُروى والمعنى ما بيّنْتُه، على غير هذا، وهو:

إنّ الّذي سـأظُـنُّ أنْ سَـتَـرَى وضَـحُ الـنّـهـار وعـالِيُ الـنّـجْـمِ

فيرتفع وضَحُ على أن يكون خبر إنّ، وأتى بِعالِيُ النّجم على أصلِه فضم الياء منها. والمعنى ذلك المعنى، إلّا أنّه زاد الظّنَّ تراخيًا بإدخال السّين عليه. ويُرْوَى:

إنّـي أرَى وأظُـنُّ أن سَـتَـرَى وضَـحَ الـنّـهـار عَـوَالِيَ الـنّـجْـم

فينتَصِب وضحَ على الظّرف، وعَواليَ على أنّه مفعول أرى. والمعنى: أرى الكواكبَ ظُهْرًا، فيما أُقاسيهِ من بَرْحِ الهوى، وأظنُّ أنها ستُمتحن في حُبّها لي بمثل ما امتُحِنْتُ في حبّي لها، وأنّ أسبابَ الهوى تُفارقني وتعود إليها، فَتَرى مثلَ ما أرى، فأفرحُ بذلك وتَطيبُ له نَفْسي، وهذا مما لا يَفْرحُ به عاقل.

٥ ـ ولِـلَـيْـلَـةً مِـنْـهَـا تـعـودُ لـنـا فـي غَـيْـرِ مـا رَفَـثٍ ولا إثْـمِ[١]

٦ ـ أشْـهَـى إلـى نَـفْـسِـي ولـو نَـزَحَـتْ مِـمّـا مَـلَـكْـتُ ومـن بـنـي سَـهْـمِ

نبّهَ بهذا الكلام على تهالكه في هواها، وتَناهِي صبابته بها، وأنّ اليَسيرَ إذا عادَ عليه منها عَدّه كثيرًا. وقد أظهَرَ العَفَافَ في بَلواه، وأنّه يتمنّى ما يتمنّى فيها حلالًا لا

(١) التبريزي: «من غير ما رفثٍ».

حرامًا، فيقول: ولَلَيلَةٌ من أوقاتها تحصُلُ لنا في غير فُحْشٍ تُذْكَرُ به، أو إثمٍ تكتسبُه، ألذُّ إلى نَفسِي وأَطْيَبُ في قلبِي من مِلْكِي كلّه، ومن عشيرتي بأَسْرهم.

وقوله: «أشهى إلى نفسي» في موضع المبتدإ، وهو ولليلةٌ منها. وقوله: ولو نَزَحتْ شرطٌ فيما تمنَّى حصوله، وقد فصل بها بين أشهى إلى نفسي وبين ما ملكْتُ، أي: وإن بَعُدت تلك الليلة فعادت إلى أُولَى أحوالها في التَّمنُّع عليَّ والتفصّي مني.

٧ ـ قد كان صُرْمٌ في المماتِ لنا ... فعَجِلْتِ قَبْلَ المَوْتِ بالصُّرْمِ
٨ ـ ولَمَا بَقِيتُ لَيَبْقَيَنَّ جَوًى ... بَيْنَ الجَوَانِحِ مُضرِعٌ جِسْمِي
٩ ـ فَتَعَلَّمِي أنْ قد كَلِفتُ بكم ... ثُمَّ افْعَلِي ما شِيتِ عن عِلْمِ

عاد إلى مخاطبتها، بعد أن تألّم مما تألّم، فقال يعتب عليها:

قد كان لنا في الموت قطيعةٌ وافتراق، لكنَّكِ لم تصبِري إلى حِينِ وُقوعه، ولم تنتظري نُزولَه، فتعجَّلتِ الصُّرْمَ قبل الموت، فلا جَرَمَ أنَّ بينَ جوانحي داءً يبقى مُدَّةَ بقائي فيها، ويُذِيبُ جِسْمي، ويَكْسِفُ بالي.

وقوله: «ولَمَا بَقيتُ» أدْخَلَ اللام الموطِّئة للقسم على ما بقيتُ، وهو مصدرٌ في موضع الظَّرف، لِمَا يتضمَّن من معنى الشَّرط. وقوله: «لَيَبْقَيَنَّ جوًى» جوابُ القسم المضمر، والكلام كأنَّه: لئنْ بقيتُ ليبقَين جَوًى؛ لأنَّ المعنى: ولَمُدَّةَ بقائي ليبقين جَوًى، فمحصول الكلام يعود إلى ذلك.

وقوله: «فتَعَلَّمِي أنْ قد كَلِفت بكم» يضعون تَعَلَّم موضعَ اعلمْ، إلَّا أنَّ المخاطبَ ليس له في الجواب أن يقول تعلَّمْتُ، لكن يقول: علمتُ. والمعنى: اعْلَمِي كَلَفي بكم، وانحطاطِي في هواكُم، وكُنْهَ ما أُقاسيه في حُبِّكم، ثمَّ آثِري في بابي ما أردتِ بعد عِلْمك بالحال، لأنَّ الذي أطلبُه رضاكِ، ثمَّ لا أبالي بما يَلحقُني من بقاءٍ أو فناءٍ، أو سَرَّاءٍ أَوْ ضَرَّاء.

٤٦٣ ـ وقال آخر[١]: [الكامل]

١ ـ إنَّ الَّتي زَعَمَتْ فؤادَكَ مَلَّهَا ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقْتَ هَوًى لها

(١) التبريزي: «وقال أبو رياش: هي لابن أذينة»، وعروة بن أذينة: هو عروة بن يحيىٰ (ولقبه أذينة) ابن مالك بن الحارث الليثي: شاعر غزل متقدم من أهل المدينة (ت نحو ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م). ترجمته في الإغاني ٢١:١٠٥، والشعر والشعراء ص ٢٢٥.

٢ - بَيضاءُ باكَرَها النَّعيمُ فصاغَها   بِلَباقةٍ فأدقَّها وأَجَلَّها

يقول: إنَّ المرأةَ التي ادَّعتْ عليكَ مَلاَلَ قلبك منها، وإعراضَكَ عنها، ونيَّتَك في استبدالك بها، خُلِقَتْ هَوًى لك كما خُلِقْتَ أنتَ هوًى لها. والمعنى: أنَّ دَعْوَاها تَجَنٍّ منها، وتسخُّطٌ لما يظهر من شَعَفك بها، وهي لك لا انفكاك لقلبك مِن عشقها، كما تدَّعي أنَّها لك بهذه المنزلةِ، فأنتَ تهواها كما أنَّ تلك تهواك، لا مِزْيةَ في ذلك ولا شَكَّ.

وقوله: «بيضاءُ باكَرَها النَّعيم»، يريدُ: أنَّها نشأت في النِّعمة والنَّعمة، وأنَّ خَفضَ العيش ربّاها وحَسَّن خَلقَها بحِذْقٍ ولباقة، فجعَلَ محاسنَها مرتَّبةً بين ما يُسْتَحَبُّ دقَّتُها، وبين ما يُسْتَحَبُّ فخامتُها. ومعنى «باكرها» سَبَق إليها في أوَّل أحوالها؛ لأنَّ البكور: اسمٌ لابتداء الشيء، على ذلك باكورةُ الربيع. واللَّباقة: الحِذْق، يقال: هو لَبِقٌ ولَبِيقٌ، أي حاذق. ومعنى أدقّها وأجلّها: أتى بها دقيقةً جليلة، فما يُسْتَحَبُّ دقّتها منها مثلُ الأنف والعين والثَّغر والخَصر جعلَها دقيقةً، وما يُسْتَحَبُّ جَلاَلتُها منها مثل الساق والفَخِذ والعَجُز والصَّدْر جَعَلَها جليلة. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

فَدَقَّتْ وجَلَّتْ واسبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ   فلو جُنَّ إنسانٌ من الحسنِ جُنَّتِ[1]

وكما قال: [الوافر]

يَمَانِيَةٌ تُلِمُّ بنا فتُبْدِي   دَقِيقَ محاسِنٍ وتُكِنُّ غَيْلاَ[2]

٣ - حَجَبَتْ تَحِيَّتَها فقلتُ لِصَاحِبِي   ما كانَ أَكْثَرَها لَنَا وأَقَلَّها

٤ - وَإذا وَجَدْتُ لها وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ   شَفَعَ الضَّمِيرُ لها إليّ فَسَلَّها[3]

كأنَّها لمّا لامَتْه في مَلالِهِ وظُهور التسلّي منه، هجرَتْهُ وأقبلتْ لا تَقبلُ تحيَّةً ولا تردّ جوابَها، فيقول: لمَّا أعرضَتْ وتحجَّبَتْ عن رسُلي، وأظهرت اطِّرَاحَ وُدِّي، قلتُ متأسِّفًا ومتعجِّبًا: ما كان أكثرَها لنا حينَ كانت متوفِّرة علينا وما أقلّها لنا السَّاعةَ وقد زَهِدَتْ فينا هذا الزُّهدَ المُسْرِف، وضَجِرَتْ بنا الضجَر المُفرِط. والذي استكثَره واستقلّه هو نَيْلها ومَيْلها، هذا إذا جعلتَ الضمير من «أكثرها» و«أقلّها» راجعًا إلى

(١) للشنفرى من المفضلية رقم (٢٠).   (٢) لوضاح اليمن في الحماسية رقم (٢١٢).

(٣) التبريزي: «شفع الضمير إلى الفؤاد فسَلَّها».

المرأة، ويجوز أن يرجع الضمير إلى التحيّة، والمراد: ما كان أكثرها لنا لو حَصَلَت، إذْ كان فيه مِسَاكُ أَزْمَاقِنا، وحياةُ قلوبنا، وما كان أَقَلَّها في نفسها. وهذا كما قال الآخر: [الخفيف]

إنّ ما قَلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِي وكَثِيرٌ مِمَّن يُحَبُّ القَلِيلُ

وقوله: «وإذا وجدتُ لها وساوس سلوة»، يبيِّن به استحكامَ حُبّها في قلبه، وأنّه كلّما تداخَلَهُ ضَجَرٌ بِدَلَالِهَا وتأبّيها، فحدَّثَ نفسَه بالتَّسَلّي عنها والتَّصبُّر دونَها، أقبلَتْ دَواعِي المَيْل إليها، والأسبابُ المتسلِّطة على قلبه والمشتملةُ على لُبِّه، ولها تَشَفُّعٌ وتَعَصُّب، فنزعتْ ما خَطَرَ بالبال من ذلك، وصارت شوافعُ الضمير أغلب على تدبيره، وأَمْلَكَ لمتصرّفاتِهِ، حتّى يصير الحُكْمُ لها، والغَلَبُ لقضاياها. وفي طريقته قول كثيِّر: [الطويل]

أُرِيدُ لأَنسَى ذِكْرَها فكأنّما تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بكُلِّ سَبِيلِ[1]

٤٦٤ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَمَا وَالَّذِي حَجَّتْ له العَيْسُ وَارْتَمَى لِمَرْضَاتِهِ شُعْثٌ طوِيلٌ ذَمِيلُهَا

٢ ـ لَئِنْ نائِبَاتُ الدَّهْرِ يومًا أَدَلْنَ لي عَلَى أُمِّ عَمْرٍو دَوْلَةً لا أُقِيلُهَا

افتَتح كلامه بأَمَا، ثمّ أقسمَ بالله، لأنّ الذي قصَدَت العِيسُ بيتَه، وطلبتِ الحُجّاج الغُبْرُ الوجوهِ الطِّوالُ الذمِيل مَرْضَاتَه، هو الله تبارك وتعالى.

واللام من «لَئِن» هي الموطِّئة للقَسَم، وجواب القَسَم «لا أُقِيلُها». والمعنى: والله لَئِن جَعَلَتْ نوائِبُ الدَّهر لي دَولةً على أُمِّ عَمْرٍو لعَدَدْتُ ذلك ذنبًا لا أقيلُها منه، فالضمير من لا أقيلها يرجع إلى النائبات، كأنَّ لذّته كانَ في الهوى، وأن يكون لتلك عليه البَسطةُ في الأمر، والتمكُّن من التصريف فيما يَسُوءُهُ أو يسرُّه، فإذا تغيَّر الأمرُ عن ذلك عَدَّهُ شَقاءً وضررًا فادحًا، وهذا الوجه حسن. ويجوز أن يكون الضَمير يعود إلى المرأة، فيكون المعنى: إنّي إنْ صارت لي اليَدُ عليها، وجَعلتُ أَمْلِكُ من أمرها مثلَ ما تملكُ من أمري جازيتُها حينئذٍ بما تعاملُني به كَيْلَ الصَّاع بالصَّاع، وتركتُها لا أنعشُها من صَرعتها، ولا أُقيلها عَثْرَتها، وهذا المعنى إذا قايستَه إلى ما تقدَّمَ ذكرُه كان

(١) لكُثَيِّر عَزّة في ديوانه ١٠٨، والأغاني ٤:٢٦٧، وأمالي القالي ٢:٦٣، وخزانة الأدب ١٠:٣٢٩.

منحطًا عنه، وواقعًا دونه، وفيه إظهارُ العجزِ عن مكابَدة الصَّبابة، والتَّصريحُ بسوء المَلَكَة. ومثل هذه الطريقةِ لا يرتضيها أربابُ الهوى، والحُكّام على مُدَّعِي العشقِ ولهم. ومعنى: «أدلنني» جعلْنَ لي دولةً. ويُرْوَى: «أَدَرْنَ لي» فينتصب دولة على أنّه مفعول به. والدَّائرات كالدائلات لا فَضْل. ومَنْ روى: «أَدَلْنَ لي» انتصب دولةً على أنّه مصدر، فيكون موضوعًا موضعَ الإدالة، ويقال: أدالك الله من عَدُوِّكَ، أي جَعَلَ لك عليه دَوْلَةً.

٤٦٥ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ وكُنْتَ إذا أرسلتَ طَرْفَك رائِدًا ... لقلبِك يَوْمًا أتعبتكَ المناظِرُ

٢ ـ رأيتَ الذي لا كُلُّهُ أنتَ قادِرٌ ... عليه ولا عَنْ بعضه أنت صابرُ

الرَّائد: الذي يتقدَّم القومَ فيطلبُ لهم الماء والكلأ، ولذلك قيل في المثل: «لا يكذِبُ الرَّائدُ أهلَه»، لأنَّه إن كذبَهُمْ هَلَكَ معهم، فيقول: إنك إذا جعلتَ عينَك رائدًا لقلبكَ تطلُب له مَصبَّ هواه، ومقرَّ لهوه وصِباه، أتعبَتْكَ مناظرُها في مَطالبِك، وأوقعتْك مواردُها في أشقّ مكارِهك؛ وذلك أنّها تهجم بالقلب في ارتياده لها على ما لا يصبِر في بعضه على فراقه مع مهيِّجات اشتياقِه، ولا يقدرُ على السُّلُوّ عن جميعِهِ مع تذكّر غرائب الحسن منه، فهو الدَّهرَ مُمْتَحَنٌ ببلوَى ما لا يَقْدِر على كلّه، ولا يصبرُ عن بعضه. والجنايَة فيهما للعين، لكونها قائدًا للفؤاد إلى الرَّدَى وسائقًا، وهاديًا لدواعي الحبِّ إليه وحاديًا.

وقد ألَمَّ بهذا المعنى أبو تمّامٍ حيث يقول: [الكامل]

لم تَطْلُعِ الشمسُ المضيئةُ مُذْ رَأَتْ ... عَيْنِي خِلَالَ الخِدْرِ شَمْسًا تَغْرُبُ

لَأُعَذِّبَنَّ جُفُونَ عَيْنِي إنَّمَا ... بِجُفُونِ عَيني حلَّ ما أتعذَّبُ

وأبين من هذا قول الآخر: [الطويل]

ألَا إنَّما العينانِ للقلبِ رائدٌ ... فما تَألَفِ العَيْنَانِ فالقلب يَألَفُ(٢)

---

(١) البيتان بلا نسبة في الزهرة ٤٥، واعتلال القلوب ١٤٣، ومصارع العشاق ٢: ١٩٤، وروضة المحبّين ٩٧، ٢٢٧، وأسواق الأشواق خ ٢٦٠ ظ.

(٢) بلا نسبة في المصون ٩٢.

وقوله: «رائدًا» انتَصَب على الحال، وجواب إذا أرسلت «أَتْعَبَتْكَ المناظر». وقد حَصَل خبر كنت فيه ومعه. وقوله: «رأيت الذي» تفصيلٌ لما أَجْمَلَهُ قوله: «أتعبتْك المناظر».

٤٦٦ ـ وقال الصِّمَّةُ بنُ عبدِ الله القُشَيْرِيّ(١): [الوافر]

١ ـ أقولُ لصاحِبِي والعَيْسُ تَهْوِي ... بِنَا بَيْنَ المُنِيفَةِ فالضِّمارِ(٢)

٢ ـ تَمَتَّعْ من شَمِيمِ عَرارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

العَيَسُ: بياضٌ في ظُلْمة خفيّة. والعرب تجعلُه في الإبل العِرابِ خاصَّة. والمُنِيفَةُ: موضعٌ، أو هَضْبَة مرتفعة. ومنه: أنافَ على كذا، أي أشْرَفَ، وقولهم: مائةٌ ونَيِّفٌ. والضِّمارُ: مكانٌ أو وَادٍ منخفضٌ يُضمِرُ السَّائرَ فيه، لذلك قال الأعشى: [المتقارب]

تُرانَا إذا أضمرَتْكَ البِلَا ... دُ نُجْفَى وتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ(٣)

ومنه قيل للعِدَة المُسَوَّفَةِ: الضِّمار، وقيل لما لا يُرْجَى رُجُوعُهُ من المال: الضِّمار، قال: [الرجز]

وعَيْنُهُ كالكالِئِ الضِّمارِ(٤)

يذمُّه بأنَّ حاضرَه كغائبه، يقول: إنِّي أُجَارِي رفيقي وأُباثُهُ قِصَّتَنَا، والرَّوَاحِلُ تُسرعُ بين هذين الموضعين، وأقولُ في أثناء ذلك متلهِّفًا: استمتِعْ بشمِّ عَرار نجد، فإنَّا نَعْدَمُهُ إذا أَمْسَيْنَا بخروجنا من أرْضِ نجدٍ ومنابِتِهِ. والشَّمِيمُ: مصدر، وأكثر ما يجيءُ فعيلٌ مصدرًا في الأصوات، كالصَّهيل والشَّحِيج؛ ومثله العَذِيرُ والنَّكِيرُ. ويقال: تَمَتَّعْتُ بكذا ومن كذا. والعَرار: بقلَةٌ صفراءُ ناعمةٌ طيِّبة الرِّيح، والواحدة عَرَارَةٌ. قال الخليل: العَرارَةُ البهارَةُ البرِّيَّة، وقيل: هو شجر. وقد شُبِّه لونُ المرأةِ بها. قال

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٤)، وعند التبريزي: «وقال آخر».
(٢) الأبيات في زهر الآداب ٣: ١٠٣، ومعجم البلدان (الضمار، المنيفة).
(٣) للأعشى في ديوانه ٩١ (أرانا)، وتاج العروس (ضمر)، وأساس البلاغة واللسان (ضمر).
(٤) بلا نسبة في اللسان (كلأ، ضمر، عين)، ومقاييس اللغة ٥: ١٣٢، وديوان الأدب ٤: ١٧٩، وكتاب العين ٥: ٤٠٨.

الأعشى: [مجزوء الكامل]

بَيْضَاءُ صَحْوَتِهَا وَصفـ ـراءُ العَشِيَّةِ كالعَرَارَهْ(١)

وقولُه: «من عِرارِ» مِن لاستغراق الجِنْس، وموضع «من عرار» رفع على أن يكون اسمَ ما. والواو من قوله: «والعيس تهوي بنا» واو الحال، وموضع «تَمتَّعْ من شَمِيم» نصبٌ لأنّه مفعول أقولُ. وقوله: «بين المُنِيفة فالضِّمار» أجود الروايتين «بين المُنيفَة والضِّمار»؛ لأنّ بينَ يدخُل لشيئين يتباين أحدُهما عن الآخَرِ فصاعدًا، وإذا كان كذلك لا يكتفي بقوله المُنيفة فيرتّب عليه الضمار بالفاء العاطفة، اللّهمّ إلا أن تجعلَ بين الأجزاء «المنيفة» فتصير المنيفة كاسم الجمع، نحو القوم والعَشِيرة وما أشبههما؛ وعلى هذا حُمِل قولُ امرئ القيس: [الطويل]

بين الدَّخُول فحَوْمَلِ(٢)

وكان الأصمعي يردُّه ويرويه بالواو.

٣ ـ أَلَا يا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرَيَّا رَوْضِهِ غِبَّ الْقِطَارِ(٣)
٤ ـ وَأَهلُكَ إذْ يَحُلُّ الحَيُّ نَجْدًا وأَنْتَ على زمانك غَيْرُ زَارِ
٥ ـ شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وما شَعَرْنَا بأنصافٍ لهنّ ولا سِرَارِ

أَلَا: حرفٌ لافتتاح الكلام، والمنادَى في يا حبَّذا محذوف، كأنّه قال: يا قومِ أو يا ناس، حَبَّذا نفحات نجد. وارتفع نفحاتُ بالابتداء، وخبرُه حبَّذا؛ كأنّه قال: محبوبٌ في الأشياء نَفَحاتُ نَجْدٍ، وهو تَضوُّعُ الرِّياح بالنَّسِيم الطيِّب. ويقال: له نفحةٌ طيِّبة وخبيثة. وقوله: «رَيّا روضِهِ» يراد بها الرَّائحة هنا. وارتفع قوله: «وأهلُك» عَطْفًا على وريّا، وهما جميعًا معطوفانِ على «نفحاتُ»، وكأنّه قال: وحبّذا أزمانُ أهلِكَ حينَ كانوا نازلينَ بنجدٍ وأنت راضٍ مِن الزّمان، لمساعدته إيّاك بما تهواه وتريد، فلا تَعِيبُه ولا تَشكوه. ويقال: زَرَيْتُ عليه، إذا عِبْتَ عليه، وأَزْرَيْتُ به، إذا قَصَّرْتَ به. وقوله: «وأنت» الواو واو الحال، وارتفع «شهورٌ» على أنّه مبتدأ، وهو تفسير الزّمان الذي حَمِدَهُ وتلهَّفَ على انقضائه. وقوله: «ينقضين» خبره. ويجوز أن يرتفع شهور

(١) بلا نسبة في المخصص ١٢: ١٦٠، والتبريزي ٢: ٧٥٢.
(٢) قطعة من مطلع معلقة امرئ القيس، وتمامه:
«قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل»
(٣) التبريزي: «بعد القطار».

على أنه خبر مبتدإٍ محذوف، وما ينقضين حينئذ يكون صفةً له. وقوله: «وما شَعَرْنَا» أي ما عَلِمْنَا، يقال: شِعْرَةً وشِعْرًا، ومنه الشِّعْر، يقال: شَعَرَ الرَّجُلُ، إذا قال الشِّعْر، فشَعِر بكسر العين أي صار شاعِرًا. وسَرَارُ الشَّهر: آخِرُه؛ لأنَّ القمرَ يَسْتَسِرُّ فيه. وقد حُكِيَ كسر السين فيه، وليس بكثير. والمعنى: يا قومُ، محبوبٌ فيما تَقَضَّى نسيمُ أرواح نجدٍ وروائح رياضِه عَقِبَ إتيان المطَرِ عليه، وهزِّ الريح لنباتها، ومحبوبٌ أيضًا زمان أهلِكَ وإقامَتُهم بنجدٍ، حينَ كنتَ تشكُر وقتَك وترتضيه، إذْ كانت شهورُه وأيّامُه تنقضي وأنتَ لا تشعُر بأنصافها، ولا بأوائلها وأواخِرها، لاشتِغالِك بلهوك، وذَهابك في غَفلتك، وهم يَستقصِرُون أيّامَ السَّلامة والسَّعادة ومواصلةِ الأحبّة، وعندَ طاعةِ الدَّهرِ والأقدارِ لهم، كما يستطيلون ما كان على خِلافه من الشُّهور والأعوام.

٤٦٧ ـ وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ ومِمّا شَجَانِي أنَّها يومَ أعْرَضَتْ ... تولَّتْ وماءُ العينِ في الجفن حائرُ

٢ ـ فلمَّا أعادَتْ مِن بعيدٍ بنظرةٍ ... إليَّ التفاتًا أسْلَمَتْه المحاجِرُ

يقول مُلِمًّا بالمعنى الذي شرحه أبو تمّام حين قال: [الكامل]

لأودِّعَنْكَ ثُمّ تَدْمَعُ مُقْلَتِي ... إنَّ الدُّمُوعَ هي الوَداعُ الثّاني

يقول: ومِمَّا حزنني وصار نَصْبَ عَيْنِي وحِلْفَ قلبي تُذَكِّرُنيهِ الأحوالُ فلا أنساه، وتمثِّله لناظري الأوقات فلا أتغاباه، أنّ صاحبتي يومَ الفِراق عند الوَداع أعرضَتْ لي ودَمْعُها يترقرق في جَفْنِ عينها ويتحَيَّر، لامتلائها به، إلّا أنّها كانت تَحْبِسه فلا تُسِيله، فَلَمّا أعادت التفاتَها إليّ بعد إعراضها عَنِّي، بنظرة جَدَّدَتْها، أسلمتْ محاجرُ عينِها ما اجتمع فيها من الدَّمع، فتحَدَّرَ في مدامعها؛ لأنّ ذلك كوداعٍ ثانٍ منها، وكَمُتْعَةٍ مَتَّعَتْني بها وزيادَةِ زادٍ في الحب زوَّدتْنيها. وقوله: «أنّها» مبتدأ و«مما شجاني» خبره، ويقال: شجاه يشجو شَجْوًا فَشَجِيَ يَشْجَى؛ فهو شَجٍ. وحار الماءُ والدَّمع، إذا تحيَّرَ في موضعه وقد ملأه فلا موضعَ له. وقولُه: «أعْرَضَتْ»: أبْدَتْ عُرْضها، وخبر أنّ تولَّتْ.

---

(١) البيتان بلا نسبة في اعتلال القلوب ٢٩٢، والمصون في سر الهوى المكنون ١٥٩، ولمجنون ليلى في ديوانه ص٧، ولجميل في ديوانه ص ٨١.

وقوله: «فلمّا أعادت» يجوز أن يكون التفاتّا مفعولَ أعادَت، وموضع بنظرةٍ حالًا؛ كأنّه قال: لما أعادت التفاتَها ناظرةً من بعيدٍ إليّ أسلمَتْه. وجواب لمّا «أسلمته»، وإليّ تعلق بنظرةٍ. ولا يجوز أن يتعلق بالتفاتّا، لأنّه إذا جُعِل كذلك يكون صلةَ المصدرِ وقد قُدِّمت على الموصول. ويجوز أن يكون بنظرةٍ في موضع المفعول لأعادت، والباء إن شئتَ جعلتَها زائدة، وإن شئتَ جعلتَها مؤكِّدة؛ كما جاء في قول الآخر: [البسيط]

سُودُ المحاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ[1]

ويصير «التفاتّا» مصدرًا في موضع الحال، والتقدير: لما أعادت نَظْرَتَها من بعيدٍ إليّ ملتفِتةً أسلمَته. والهاء من أسلمَتْهُ للدَّمع كما قدمْتُه. والمَحَاجر: جَمْع المَحْجِر، وهو ما يبدو من نِقاب المرأة إذا تنقَّبت. والكَيَّةُ حَوْلَ العينَيْن يقال لها: التَّحجير. ويقال: حَجَّرَ القمرُ، إذا استدار حوله خطٌّ رقيق.

٤٦٨ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ وَلَمَّا رأيتُ الكاشِحِينَ تَتَبَّعُوا ... هَوَانَا وَأَبْدَوْا دُونَنَا نَظَرًا شَزْرَا

٢ ـ جَعَلْتُ وَمَا بِي من جَفَاءٍ ولا قِلًى ... أزورُكُم يَوْمًا وأهْجُرُكُم شَهْرَا

الكَشْحُ: ما بين الخاصرة إلى الضِّلع، والكاشح: العدوّ الباطن العداوة. ويقال: هو بيِّن الكَشاحة والمكاشحة. ويقال: طَوَى فلانٌ كَشْحَهُ على كذا، إذا استمرَّ عليه. وهذا كلامُ مُبْقٍ على المحبوب، كارِهٍ لانتشار القَالَةِ فيهما، مختارٍ لاستتار الهوى بينهما، فيقول: لما رأيتُ الوشاةَ يتتبَّعون أحوالَنا بالنَّميمةِ وإفشاء أسرارنا، وأخذوا ينظُرُونَ إلينا نظَرَ الأعداء بتحديقٍ شديد، واستكشافٍ لما خَفِيَ من أمرنا بليغ، أقبلْتُ أحترِزُ وأقصِّر أشواطَهم فيما يَنْتَحونه من مَساءتنا، والقعودِ والقيامِ بذكرنا، فأتأخَّرُ عن زيارتكم شهرًا وأوافيكم يَوْمًا؛ هذا ولا أَقْصِدُ ولا أُضمر بغضًا، وإنَّما بي مُضِيُّ أيَّامنا بالسَّلامة منهم، وردُّ كيدِهم في نحورهم، ولئلّا يجدوا مَقالًا فيُركِّبون عليه قصصًا وأنباءَ. وقوله: «نظرًا شزْرًا»، يقال: هو يَشْزِرُ الطَّرْفَ إليّ، إذا نظَرَ نظرًا منكَرًا يتبيّن

---

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وللقتال الكلابي في ديوانه ٥٣، وللراعي أو للقتال في خزانة الأدب ٩: ١٠٧، وصدره:

«هنّ الحرائر لا رباتُ أحمرةٍ»

فيه العَداوة، قال أوس: [البسيط]

إذْ يَشْزِرُونَ إليَّ الطرفَ عن عُرُضٍ كأنَّ أعْيُنَهُمْ من بِغْضَتِي عُورُ(١)

وقوله: «جعلتُ» لا يحتاج إلى مفعول لأنه في معنى طفِقْتُ وأقبلتُ. وانتَصَبَ يومًا وشهرًا على الظَّرف، و«تتبَّعوا هوانًا» في موضع المفعول الثاني لرأيت.

٤٦٩ ـ وقال بعض القرشيِّين(٢): [الخفيف]

١ ـ بَيْنَمَا نَحْنُ بالبَلَاكِثِ فالقا ... عِ سِراعًا والعِيسُ تَهْوِي هَوِيًّا

٢ ـ خَطَرَتْ خَطْرَةٌ على القَلْبِ مِنْ ذِكْـ ... ـراكِ وَهْنًا فما استطعتُ مُضِيًّا

٣ ـ قلتُ لَبَّيكِ إذْ دَعَانِي لكِ الشَّوْ ... قُ وللحادِيَيْنِ كُرَّا المَطِيَّا(٣)

قد تقدَّم القول في «بينا» و«بينما» جميعًا، وأنَّهما يستعملان في المفاجأة. وانتصب «سراعًا» على الحال؛ لأنَّه جعل بالبلاكث مستقرًّا، والواو من قوله: «والعِيسُ» واو الابتداء وهو للحال أيضًا.

وقوله: «خطرَتْ خطرةٌ»، هي الحالة التي فاجأتْهم. وانتَصَب «وَهْنًا» على الظرف، ومعناه: بعد ساعةٍ من الليل. وقوله: «خطرت خطرة»، يقال: خَطَرَ ببالي خُطُورًا، وخَطَر البعيرُ بذنبه خَطَرَانًا، ويقال: سَنَح لي سانح، وهجس هاجِسٌ، وخَطَرَ خاطِرٌ، وكأنه أجرى خطرَتْ خَطْرَةٌ مجرى قوله: دعَتْ دَعْوَةٌ من ذكراك، لقوله: «قلت لبَّيكِ إذْ دَعَانِي لكِ الشَّوْقُ». والشاعر وَصَفَ ما هو عليه من طاعة الهوى، وأنَّه في مَلَكته إذا دعاه أجابَ حتَّى لا يقدرُ إلَّا على ذلك، فيريد: بينما نحنُ بهذين الموضعين نسيرُ مُسْرِعين، والرَّواحلُ تَهْوِي بنا في أثنائهما ومعاطفهما، وتقطع المسافة

---

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ص ٩.

(٢) التبريزي: «هو أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن المسور بن مخرمة، خرج إلى الشام، فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته صالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن المنذر بن الزبير، وكان شديد الحب لها فضرب وجوه رواحله إلى المدينة، وقال: «بينما نحن بالبلاكث»، فلما رأت رجوعه من أجلها وسمعت الشعر، قالت: لا جَرَم والله لا أستأثر عليك بشيء، فشاطرته مالها وكانت تضنّ عليه بمالها». والأبيات لأبي بكر بن عبد الرحمٰن في مصارع العشاق ١: ٣٢٣، وذمّ الهوى ٥١٢، والواضح المبين ٢٣٩، وأخبار النساء ٢٥، وتزيين الأسواق ٢١٤، وأسواق الأشواق خ ١٣٤ ظ.

(٣) التبريزي: «حُثَّا المطيَّا».

بينهما، خطرَتْ ذِكرةٌ ببالي، وقد مضى من اللَّيل ساعةٌ، فتحيَّرتُ حتَّى لم أَقْدِرْ على التوجُّه في المقصِد الذي كنتُ أؤمُّه، وحتَّى لم أملك إلَّا إجابةَ داعِي الشَّوق إليك بالتَّلبيةِ والوقوفِ له، وبعدَ ذلك قلتُ للحادِيَين: انْصرِفَا واعطِفا برؤوس مَطيِّكما، فقد مَنَعَ ما طاعَتُهُ أوجبُ، ودفعَ في صدورنا مَن أَمْرُه أنْفَذُ.

وقد تقدَّم الفرق بين الهَوِيّ والهُوِيّ.

وقوله: «بالبلاكث فالقاع»، رَتَّبَ القاعَ على البلاكث بالفاء العاطفة، كأنّه ارتقى منها إليها، ويجوز أن البلاكث اسم لبقاعٍ مختلفة؛ لأن بناءه بناء الجمع.

وقوله: «لبَيْك» هو من ألَبَّ بالمكان، إذا أقامَ؛ إلَّا أنّه لا ينصرِف كما أنَّ سبحان الله لا ينصرف. والكلمة مُثَنَّاة عند سيبويه، والمراد عند إقامةٌ للدَّاعي تتبعهَا إقامة ودوامٌ على طاعتِهِ ومتابعته، ويُقْرَن بها سَعْدَيك، المعنى: مساعدةٌ بعد مساعدة واستمرارٌ على مشايعته. وحصلَ التَّكثير والاتِّصال فيه بالتثنية، كما حصل بالتَّكرير في قولك: ادخُلوا الأوَّلَ فالأوّل. قال سيبوَيه: أخبرنا أبو الخطَّاب أنَّهُ يُقال للمُداوِمِ على الشَّيْءِ لا يُقْلِع عنه ولا يفارقُه: قد ألبَّ عليه. أنشد للتثنية فيه قولَ الشَّاعر: [الطويل]

دَعَـوْتُ لِمَـا نَـابَـنِـي مِـسْـوَرًا ... فَـلَبَّـى فَـلَبَّـيْ يَـدَيْ مِـسْـوَرِ(١)

هكذا روايتُه وإنشاده عن العرب بهذا اللَّفظ. وحُكي أيضًا عن بعضهم: لَبِّ بالكسر، يجعله صوتًا مثل غاقِ. وعند يُونُس أنَّه موحّد لَبَّى، وانقلبَ ألفُه ياءً كما انقلب في عَلَى وَلَدي عند الإضافة إلى مضمر. وعلى مذهبه يجب أن يكون «فلبَّى يَدَى»، كما أنَّ عَلَى وَإلى وَلَدَى إذا أضيفت إلى الظَّاهر لا يتغيَّر ألفها، تقول: على زيدٍ وإلى عَمْرٍو.

٤٧٠ ـ وقال آخر(٢): [البسيط]

١ ـ اسْتَبْقِ دَمْعَكَ لا يُودِ البكاءُ بِهِ ... واكْفُفْ مدامعَ من عينيكَ تَسْتَبِقُ

---

(١) لرجل من بني أسد في الدرر ٣: ٦٨، واللسان (لبى)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٢: ٩٢، وشرح أبيات سيبويه ١: ٣٧٩.

(٢) التبريزي: «وقال ابن هرمة». وابن هرمة: هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر القرشي الكناني، أبو إسحق، شاعر غزل من سكان المدينة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية (ت ١٧٦ هـ/ ٧٩٢ م). ترجمته في الأغاني ٤: ١٠١، وتهذيب ابن عساكر ٢: ٢٣٤، =

٢ ـ لَيسَ الشُّؤون وإنْ جادَتْ بباقيةٍ ولا الجُفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

قوله: «لا يُودِ البكاء به» يجوز أن يكون جوابَ الأمر، ويجوز أن يكون نَهْيًا وهو أحسَنُ، وإنْ لم يكن معه حرفُ العطف، وذلك لأنّه قد ذكر بعده: «واكْفُفْ مدامعَ من عينيْك» ولم يأتِ له بجواب، كأنّه أمَرَه باستبقاء الدّمع، ونهاه عن التّهالُك في البُكاء فيفسِدَ عليه آلته. ثمّ أمرَه بكفِّ المدامع وهي تستبق. وإذا كان الكلام نَهْيًا بعد أمرٍ وأمرًا بعد نَهْيٍ، كان أبلغ. ومعنى أوْدَى بكذا: أهلكه. والاستِباق في المدامع مجازٌ؛ لأنَّ الذي اسْتَبَق في التحدُّر هو الدَّمع. والمَدْمَعْ: مَجْرَى الدَّمع، ولا يمتنع أن يكون المدمع اسمًا للحدثِ الذي هو السَّيَلانُ، كأنّه موضوعٌ موضعَ الدَّمْع، وهو مصدر دمعَتْ، ويكون المراد به أيضًا العينَ الذي هو الجاري؛ لأنَّ الاستباق لا يصحُّ إلّا فيه.

وقوله: «ليس الشُّؤون وإن جادتْ بباقيةٍ»، يريد: أنّك إنْ أدمْتَ البُكاء استهلكْتَ منابعَ الدَّمع ومجاريهَا، وأطباقَ العين وحماليقَها؛ لأنَّ شيئًا من هذه الآلات وإن سمَحتْ بالإجابة مدَّةً لا يدوم على فِعْلِك، ولا يقوم لتكليفك. وقوله: «على هذا» أشار بهذا إلى فعلِه، وعلى تعلّق بباقيةٍ، وهو مضمَرٌ دلَّ عليه الباقية المذكورة، كأنّه قال: ولا الجُفُونُ باقيةٌ على هذا، وجعل «لا» من قوله: والجفونُ بدلًا من ليس، والجَفْن في اللغة: المَنْعُ والحَبْس؛ لذلك سُمّي غلاف السَّيْف الجَفْنَ.

٤٧١ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ قد كنتُ أعلُو الحُبَّ فلم يَزَلْ بِيَ النَّقْضُ والإبرامُ حَتَّى عَلَانِيَا

يقول: بَقِيتُ أزاوِلُ الحبَّ وأجاذبُه، وهو معي متردِّدٌ بين أن أعلوَه تارةً فأدفعَه عن نفسي بجَهْدي، وبين أن يعْلُوَني فيغلِبَني على مُرادي، ويأخذَ مَقرَّه من فؤادي، فلم نزَلْ بين النَّقض والإمرار، أنْقَض عليه وهو يُمِرُّ، وينقُضُ عليّ وأنا أُمِرّ، إلى أن صار الغَلَبُ له.

= والنجوم الزاهرة ٢: ٨٤. والبيتان بلا نسبة في اعتلال القلوب ٢٨٨، والزهرة ١: ٣٩٣، وقد نسبهما لابن هرمة وليسا في شعره.

وهذا الذي أشار إليه حالةُ الحبّ إذا لم يكن عن اعتراضٍ، لذلك قال أبو تمام: [الطويل]

هَوَى كان خَلْسًا إنّ من أبرَحِ الهَوَى هَوَى جُلْتَ في أفيائه وهو جائلُ(١)

كأنّه يُريد المحبوبُ فيفكِّر في محاسنه حالًا بعد حالٍ، ووقتًا بعد وقت، ويستحليها شيئًا بعد شيءٍ، إلى أن يصيرَ لها في قلبه قادحٌ ونازعٌ، فيدفَعُه عن نفسه بأن يزيّف تلك المحاسنَ، ويتناسى وَيَدْرَأ في صدر ذلك القادِح من الهوى ويتأنّى، فكلّما قَدَّرَ أنّه قد تخلّى عاوَدَه الوسواس جَذَعًا، فلا يزالُ بين القَبول والامتناع، والتماسُك والانهيار، ومدافَعَةِ الدَّاء بالدَّوَاء، إلى أن يصيرَ الغَلَب للهوى.

والمعترِضُ من الهوى هو الذي يقعُ عن أوّل وَهْلة، فيَسْبي القلبَ في دَفعةٍ واحدة، إلّا أنّ تركَه أسرع، كَما أنّ أخْذَه أسرع. على ذلك قول الأعشى: [البسيط]

عُلِّقْتُها عَرَضًا(٢)

وما يَجْري مَجراه، وهم يشبّهون مثل هذا الهوى بنارٍ تُوقَد بضِرام أو بعَرْفَج وما يجري مَجراه، فترتفعُ سريعًا وترجِعُ سريعًا. وأنشد ابنُ الأعرابيّ بيتًا في قسمة الهوى زعم أنّه لا ثانيَ له، وأنّ قائلَه لا يُعرف وهو: [الطويل]

ثلاثةُ أحبابٍ فحُبٌّ عَلاقَةٌ وحُبٌّ تِمِلّاقٌ وحبٌّ هو القَتْلُ(٣)

يعني ما يكون من تعمُّلٍ وطول تأمّل.

٢ ـ ولم أرَ مِثْلَيْنَا خَلِيلَيْ جِنَابَةٍ أشَدَّ عَلَى رَغْمِ العَدُوِّ تَصَافِيَا

نَبَّه بهذا الكلام على أنها مع المجانَبة واستعمال الحذَر، واستدفاعِ شرّ الرُّقباء والحافظين بترك الوُرود والصَّدَر، وإكسادِ سُوق الوُشاة والنَّمّامين بإخماد نائرة الخَبَر، يُصافِي كلُّ واحدٍ منهما صاحِبَه، حتّى لا خلَلَ في الهوى ولا فساد، ولا استزادةَ في الحبّ ولا عِتاب، ولا تَسَلُّطَ تُهَمَةٍ لعارضٍ تَسَلٍّ، وحُؤُولٍ عن عَهْد.

---

(١) ديوانه ٢٥٦.
(٢) تمامه:
«عُلِّقتها عرضًا وعلِّقت رجلاً غيري وعلّق أخرى غيرها الرجلُ»
(٣) بلا نسبة في شرح المفصل ٦: ٤٧، واللسان (ملق)، ومجالس ثعلب ١: ٢٩.

وإنّما قال: «على رَغْمِ العدوّ»، استهانةً بهم. وهو من الرّغام: التُّراب. وإذا قيل: أرغم الله أنفَه، فالمعنى: أذلَّهُ اللهُ وأسخَطَه. وانتصب «تصافِيا» على التمييز. وقوله: «خليلَيْ جنابَة» انتصب على أنّه بدل مِن مثلَيْنا، وأشدَّ مفعولٌ ثانٍ لأرَى.

٣ ـ خَلِيلَيْنِ لا نَرْجُو لِقاءً ولا تَرَى خَلِيلَيْنِ إلّا يَرْجُوَانِ التَّلَاقِيَا

ذكَرَ أنَّ اليأسَ قد استقرَّ في قلبِ كلّ واحدٍ منهما من مُلاقاةِ صاحبه والتَّصافي بينهما هو أنَّ ذلك من كمال البلاء، إذ لا يُوجَد خليلانِ غيرُهما إلا وهُما على شفَا الرَّجاء في الاجتماع، وقوَّةٍ من الطمع في الالتقاء والاستمتاع، واليأسُ الذي أشار إليه كأنَّه لارتفاع منزلةِ المحبوب عن منزلته: أوْ لكثرة أوليائه وقُوّة عشيرته أو لعفافِهِ وتألُّهه، وما يجري مجراها.

٤٧٢ ـ وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ وكلُّ مُصيباتِ الزَّمانِ رأيتُها سِوَى فُرْقة الأحبابِ هَيِّنَةُ الخَطْبِ[٢]

موضع «سِوى فُرقةِ الأحباب» نصب على أنه مستثنى مقدَّم، لأنَّ تقدُّمه على صفة المستثنى منه كتقدُّمه عليه نفسه. ومعنى البيت ظاهر.

٤٧٣ ـ وقال الحُسَيْنُ بن مُطَير[٣]: [الطويل]

١ ـ فيا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْرِفُونَنِي كأنْ لم يَرَوْا بَعْدِي مُحِبًّا وَلَا قَبْلِي

قوله: «يستشرفونني»، أي: ينظرون إلَيَّ، وتطمحُ أبصارُهم نحوِي، ويودُّون أنّي على شَرَفٍ من الأرض، لأكون معرَّضًا لهم.

والشّاعر أخذ يتعجّب من أحوال الناس فيما يأوهُ عليه، واستطرافِهِمْ لحالته في حُبِّه، واستشرافِهِمْ لما يشاهدونه عليه، حتى كأنَّهُ بِدْعٌ من الحوادث لم يُشاعِد مثله، ولم يقع في تقدير أحدٍ جوازُ صورته، فقال: يا عجبًا للنَّاس في حال استشرافهم لي،

(١) هو قيس بن ذريح، والأبيات في ديوانه ٣٣، ومجالس ثعلب ٢٨٥، والبيت بلا نسبة في اعتلال القلوب ٤٨١.

(٢) بعده عند التبريزي:

«وقلت لقلبي حين لجّ به الهوى وكلّفني ما لا أُطيقُ من الحبِّ
ألا أيُّها القلبُ الذي قاده الهوى أَفِقْ لا أقرَّ الله عينكَ من قلبِ»

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٩)، والأبيات له في أسواق الأشواق خ ٥١، وبلا نسبة في مصارع العشاق ١: ٢٣٥.

واستطلاعهم من جهتي ما أنا عليه، وإفراطِهم في التعجُّب ممّا يجدونني مبتلًى به، ومرهونًا له كأنهم لم يُشاهِدوا قبلَ مشاهدتهم لي، ولا بعد مشاهدتهم لي محبًّا، وكأنّ الحبَّ شيءٌ أنا ابتدعتُه، وكأنّ مسبّباته لم تُوجَد قطُّ إلّا فيَّ. وليس الأمر كذلك، لأنّ الدُّنيا وأهلَها إذا تُؤُمّلت أحوالُهم فيها لم يُعْوِزْ تقديرًا أو تحصيلًا مَنْ حاله حال مِثْلِي فيه زائدًا على ما أنا عليه، أو قاصرًا عنه. هذا إذا جعلت «لم يَرَوْا» بمعنى لم يشاهدوا، فإن جعلته بمعنى لم يعلموا كان المعنى أكشَفَ وأبْيَن، إلّا أنّه يكون بمعنى يعرف، ويكتفي بمفعولٍ واحد. وقوله: «بعدي» أي بعد رؤيتهم لي، فحذَف المضاف، وكذلك قوله: «ولا قبلي»، يريد: ولا قبل رؤيتهم لي. وقوله: «يا عجَبًا»، يجوز أن يكون منادى مضافًا، ويجوز أن يكون مفردًا، وقد تقدَّم القول فيه وفي أشباهه.

٢ ـ يقولونَ لي اصْرِمْ يَرْجِعِ العقلُ كلُّه وصُرْمُ حَبِيبِ النَّفسِ أذهبُ للعَقْلِ

يقول: يُشيرُ الناس عليَّ بالتسلّي عنها، والأخْذِ في مصارمتها، وأخْذ النَّفس على الانفكاك منها، فإنّ في ذلك بزُعْمهم إذا تدرَّجتُ فيه مراجعةَ العقل كاملًا، وانتزاعَ رِبْقة الذُّلّ عاجِلًا. وإذا تأملْتُ حالي في قَبول ما يشيرون به، ورُكوبِ الجِدّ في قطيعتها، والحيلولة بين النفس ومُرادها فيها، وجدتُ ذلك أدعَى إلى زوال العقل كلِّه، وإن كان الباقي منه شُفافةً، وأجلَبَ لهلاك النَّفس، وحرج الصدر، وإن كنتُ عائشًا بصُبابَةٍ. وقوله: «أذهبُ للعَقْل»، قد تقدّم القول في أن سيبويَه يجوِّز بناء فعل التعجُّب بعد الثُّلاثيّ ممّا كان على أفْعَلَ خاصة، فإذا جاز ذلك فبناءُ التَّفضيلِ يتبعه.

٣ ـ ويا عَجَبًا مِنْ حُبِّ مَنْ هو قاتِلِي كأنّيَ أَجْزِيهِ المودَّةَ مِنْ قَتْلي

تَعَجَّبَ من حالِ نفسِهِ في مقاساةِ ما يقاسِي منها، وبقائه على حُبِّها، فيقول: إنّي أُداوم اعتقادَ الجميلِ لها، وقيامَ القلبِ بعمارة الهوى فيها، حتّى كأنّي أُجازيها على قتلها إيّايَ بأن أزيدَ في وُدِّها وإخلاص العقيدة لها. وقوله: «من قتلي» أراد من قتلها لي. والمصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل، وكذلك قوله: «مِنْ حبّ من هو قاتلي»، أي: من حبّي من هو قاتلي؛ لأنّ مَنْ في موضع المفعول. وقوله: «يا عجبًا»، يجوز أن يكون الألف بدلًا من ياء الإضافة، ويجوز أن يكون ألفَ النُّدبة وزيدت ليمتدَّ الصَّوْت به، ويكون يا عجب منادًى مفردًا، وامتداد الصوت يدلُّ على عِظَمَ البَليّة، وتفخيم أمر العجيبة.

٤ ـ ومِنْ بَيِّناتِ الحُبِّ أنْ كانَ أهلُها أَحَبَّ إلى قَلْبِي وعَيْنَيَّ مِنْ أَهْلِي

يقول: ومِن آيات حبِّي البيِّنة، وشواهدِهِ الصَّادقة، على تكامله لها، وتناهيهِ في استحكامها، أنِّي أُوثِر أهلَها على أهلي، وأنَّ رتبتَهم في العَيْنِ والقَلْب أعلَى من رُتْبة عشيرتي عندي. وقد خَلَّصَ هذا المعنى عَنترةُ، حيث قال: [الكامل]

عُلِّقْتُها عَرَضًا وأَقْتُلُ قَوْمَها زَعَمًا لعمرُ أبيكَ ليسَ بِمَزْعَمِ[١]

لأنَّ في قضيَّة الهوَى والعقل أنَّ حبَّها مع عداوةِ أهلها ليس بمتَّسِقٍ ولا متسبِّبٍ، بل يُنافِي كلُّ واحدٍ صاحبه، وأنَّ الواجبَ أنّها إذا كَرُمت عليه فكلُّ مُتسبِّبٍ إليها بسببٍ، ومنتسبٍ بنسبٍ، يجب أن يكون مؤثَرًا عنده، مبجَّلًا في حكمه.

وأبينُ من ذلك كلِّه قولُ الآخر: [الطويل]

وأُقْسِمُ لو أنِّي أرَى نسبًا لها ذِئابَ الفَلَا حُبَّتْ إليَّ ذئابُها[٢]

وقوله: «أن كان أهلُها» أنْ مخفَّفة من الثَّقيلة، أراد أنّه كان أهلُها، والهاء من أنّه ضمير الأمر والشأن، وقد تقدَّم مثلُه. وموضع أنْ بما بعده رفعٌ بالابتداء وخبره قوله: ومن بيِّنات الحبّ.

٤٧٤ ـ وقال عمر بن أبي ربيعة[٣]: [الطويل]

١ ـ ولَمّا تفاوضْنَا الحَدِيثَ وأَسْفَرَتْ وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أنْ تَتَقَنَّعَا[٤]

٢ ـ فقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ وَيْحَكَ إِنَّمَا ضَرَرْتَ فَهلَ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا[٥]

قوله: «لمّا» يحتاج إلى جوابٍ؛ لأنه لوُقوع الشيء لوقوع غيرِه، إذا كان عَلَمًا للظرف، فيقول: لَمّا تنازعْنا الحديثَ، واندفعنا فيه، وأشرقَتْ وجوهٌ تَلألأُ نورًا، استخفّ أربابَها الحُسْنُ الجائل في جوانبها، ومَنَعها من أن يستُرها بقِناعٍ عُجْبًا بها،

---

(١) لعنترة في ديوانه ١٩١، وخزانة الأدب ٦: ١٣١، واللسان (زعم).

(٢) البيت الثالث في الحماسية رقم (٥٣١).

(٣) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، من أشهر شعراء الغزل في صدر الإسلام والدولة الأموية (ت ٩٣ هـ/ ٧١٢ م). ترجمته في: الأغاني ١: ٢٨، والخزانة ١: ٢٣٨.

(٤) بعده عند التبريزي:

«تبالهن بالعرفانِ لمّا عرفنني وقلنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأوضعا
وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيَّمٍ يقيسُ ذراعًا كلّما قِسْنَ إصبعا»

(٥) التبريزي: «وقلتُ».

والتذاذًا بِخَوْضِ عيونِ الناسِ في محاسنها، قلتُ للمُثْنِي عليهنّ: إنَّ ثناءَك يَضُرُّنا، لتنبيهك على كثيرٍ ممَّا لعلّه يخفَى عليهنّ من دقائق الجمال، ولطائف الكمال، إذْ كان ذلك يَزيد في الإعجاب بأنفسهنّ، ويُكْسِب الكِبَر في أخلاقهنَّ، فهل تقدرُ بَدَلَ ذلك على ما ينفَعُنا معهنَّ. وجواب لمَّا إنْ شئتَ جعلتَه «فقلتُ» على أن يكون الفاء زائدة، وإن شئتَ جعلته محذوفًا، كأنّه قال: لمَّا فعلنا ذلك كلَّه توانَسْنَا، أو ما يجري مجراه. وقد تقدَّم القول في أنَّ لو ولمَّا وحتَّى يُحْذَف جوابتُها، ويكون إبْهَامُها لِحَذْقها أبلغَ في المعنى. ويقال: أَطْرَى فلانٌ فُلانًا، إذا مدحَه بأحسنِ ما قَدَرَ عليه. وقوله: «تسطيع» منقوص عن تستطيع. ويحٌ، قال الأصمعي: هو ترحُّمٌ، فإذا أضيف بغير اللام يُنْصَبُ، ويكون العامل فيه فِعْلًا مضمرًا، كأنّه قال: ألزمَه الله وَيْحًا، وانتَصَبَ فتنفَعَا بأنْ مضمرة، وهو جوابُ الاستفهام، ومعنى: «زَهَاهَا الحسنُ» استخفَّها ويقال: زَهَتِ الأمواجُ السَّفينةَ والرِّياحُ النَّباتَ. وقوله: «أن تتقنَّعا»، أراد: من أن تتقنعا، وهم يحذفون الجارَّ مع أنْ كثيرًا.

٤٧٥ ـ وقال أبو الرُّبَيْس التَّغْلِبيّ[1]: [الطويل]

١ ـ هـل تُـبْـلِغَـنِّـي أمَّ حَـرْبٍ وتَـقْـذِفَـنْ ... عـلى طَـرَبٍ بَـيُّـوتَ هَـمٍّ أقـاتِـلُهْ

٢ ـ مُـبِـيـنَـةُ عِـنْـقٍ حُـسْـنَ خَـدٍّ ومِـرْفَـقًـا ... بـه جَـنَـفٌ أنْ يَـعْـرُكَ الـدَّفَّ شـاغِـلُهْ[2]

قولُهُ: «على طَرَبٍ» يجوز أن يتعلَّقَ بتبلغنّي، ويجوز أن يتعلّق بوتَقْذِفَنْ، والفعلان جُمِعَا على قوله: «مُبِينَةُ عِنْقٍ» وهي ناقةٌ. والاختيارُ عند أصحابنا البَصريِّين أنْ يرتفع بالأقرب، وهو تَقْذِفَنْ، ويجوز أن يرتفع بتُبْلغني، وعلى هذا: جاءني وأكرمني زيدٌ. والطَّرَب: خِفَّةٌ تَلْحَقُ لنشاطٍ وجَذَلٍ، واهتمامٍ وجزع. وبيُّوت هَمٍّ، فَعُّول من قولك: بات يبيت، كأنَّه هَمٌّ جاءه ليلًا فلازَمَه. وعلى هذا قيل في الصَّقيع: البَيُّوت. وانتصب «حُسْنَ خَدٍّ» على التمييز. والجَنَف: المَيْل، ورَجُلٌ أجنفُ: في خَلْقه مَيْلٌ، وقيل: هو الطَّويل المنحني. والعَرْك: الدَّلك والغَمْر. وقوله: «به جَنَفٌ» في موضع النَّصب، لأنه صفة لمرفَق. و«شاغله» صفةٌ لجنَفٍ. وإضافتُه على طريق التَّخفيف، فهو نكرة والتنوين مَنويٌّ، كأنّه شاغلٌ له. ويريد بقوله: «به جَنَفٌ» أنَّ المِرْفَق متباعدٌ عن الزَّوْر، لأنَّ الناقة فَتْلاءُ، ولولا بُعْدُه عنه لكان يكون ناكتًا أو حازًّا

(١) التبريزي: «الثعلبيّ، من ثعلبة بن سعد بن ذبيان».

(٢) التبريزي: «مبينة عِتقٍ».

أو ضاغطًا أو ناقرًا؛ وذلك عيبٌ يمنع من إدامة السَّيْر. فيقول على وجه التَّمنّي: هل أُرَاني راكبَ ناقةٍ توصِّلني إلى هذه المرأة، نشيطةٍ طَرِبَة، وتَطْرَحُ عنّي ثِقْلَ هَمٍّ أزاولُه وأدافعُه، وهي تُلازِمُني باللَّيْل ولا تُفارقني. وهذه النَّاقة لها شواهدُ تُوجِبُ عِتْقَها وكَرَمَها، من حُسْن الخَدِّ والمِرْفَق المتجانِفِ عن الزَّوْر.

٣ ـ مُطَارَةُ قَلْبٍ إنْ ثَنَى الرِّجْلَ رَبُّهَا بِسُلَّمِ غَرْزٍ في مُنَاخٍ تُعَاجِلُهْ

هذا يرجعُ إلى صفة النَّاقة، والمراد أنَّها ذكيّةُ الفُؤاد، شَهْمة النفس، فكأن بها لنَشاطها وذَكائها جُنونًا أطارَ قلبَها، وأزال مُسْكَتَها. وقوله: «إنْ ثَنَى الرِّجْلَ ربُّها» جوابُ الشَّرْط فيه قوله: «تُعَاجله» وأصله تُعَاجِلُهُ، اللام ساكنة للجَزْمِ، ولكنَّه نَقِلَ إليها حركة الهاء، وهو ضمير يرجع إلى «ربُّها». ومثله قولُ طَرَفة: [المديد]

لـو أُطـيـعُ الـنَّـفْـسَ لـم أَرِمُـهْ[1]

يريد: لم أَرِمْهُ، فنَقَل. والمعنى: أنَّها لخفّتها وحِدَّتها، متَى هَمَّ صاحبُها برُكوبها فثَنَى رجلَها، أي غطف بغَرْزِها الذي هو كالسُّلَّم، وهو الرِّكاب، عاجلَته فنهضتْ به قبل تمكُّنه مِن رُكوبها، واستقراره على ظَهْرها.

وقد سلك هذا المسلَك ذُو الرُّمَّة في البائية التي أوّلُها: [البسيط]

ما بال عينك منها الماءُ يَنسكبُ[2]

حُدِّثْتُ عن الكِسْرَوي عليّ بن مَهْدِيٍّ الإصفهانيّ عن شيوخه، أنَّ ذا الرُّمَّة أنشد هذه القصيدةَ كُثَيِّرَ عزَّةَ، فلما انتهى إلى قوله: [البسيط]

حَتَّى إذا ما استوَى في غَرْزِهَا تَثِبُ[3]

قال له: أهلكَتْ واللهِ راكبَها، هلَّا قلتَ كما قال الرَّاعي: [المتقارب]

تَـرَاهَا إذا قُـمْـتَ في غَـرْزِهَـا كَمِـثْـلِ الـسَّـفِـيـنَـةِ أو أَوْقَـرُ[4]

(١) عجز بيت لطرفة في ديوانه ص ١٦، وصدره:
«حـابـسـي رسـمٌ وقـفـتُ بـه»

(٢) هذا صدر بيت لذي الرمّة في ديوانه ٩، واللسان (سرب، غرف، عجل)، وجمهرة أشعار العرب ٩٤٢، وعجزه:
«كـأنـه مـن كـلـى مـفـريـةٍ سَـرِبُ»

(٣) هذا عجز بيت لذي الرمّة في ديوانه ٤٨، والكتاب ٣: ٦٠، واللسان (عجل، صفا)، وصدره:
«تصغي إذا شدّها بالكور جانحة»

(٤) للراعي النميري في ديوانه ١٠٣، واللسان (طبق، عجل).

فهذا ما رُوِيَ لنا. وقد ذكر الرّاعي في موضع آخر، فقال: [الكامل]

وكـأنّ رَيِّـضَـهـا إذا يـاسَـرْتَـهـا   كـانَـتْ مُـعَـاوِدَةَ الرَّحِـيـلِ ذَلُولَا(١)

وحُكِيَ لي أنّ سعيدَ بن سَلْمٍ الباهليّ، قال: قرأنا هذه القصيدة على الأصمعي من شعر الرّاعي، فلما انتهينا إلى البيتِ رواه:

وكـأنّ ريِّـضَـهـا إذا بـاشَـرْتَـهـا

فقلت: ما معنى «باشرتَها»؟ قال: ركبْتَها، من المباشَرة. فسألنا ذلك أبا عبيدةَ عنه، فقال: صحّف والله، إنّما هو «إذا ياسرتُها» أي: لم أُعازّها ولم أقْتَسِرْها، ومثله قوله: [الطويل]

إذا يُـوسِـرَتْ كـانـت وَقُـورًا أديـبَـةً   وتَـحْـسِبُـها إنْ عُـوسِـرَتْ لـم تُـؤَدَّبِ

٤ ـ يُبَارِي بها القُودَ النَّوافِخَ في البُرَى   قـليـلُ الـنُّـزولِ أَغْـيَـدُ الـخَـلْـقِ عـاطِلُهْ

٥ ـ مُـرَاجِـعُ نَـجْـدٍ بـعـد فِـرْك وبِـغْـضَـةٍ   مُطَلِّقُ بُصْرَى أَصْمَعُ القَلْبِ جافِلُهْ

يقول: يعارِض بهذه الرّاحلةِ التي وصفتُها رواحلَ طِوالَ الأعناق، تنفُخُ في بُرَاها لنشاطها، رجلٌ قليلُ النُّزول عنها، ناعمُ الخَلْقِ عاطله، يعني نفسه، أي أنَّهُ يَجِدُّ في السير ويُدِيمُه. وقوله: «مُرَاجِعُ نَجْدٍ»، أي: أنّه بعد أن فارَقَ نَجْدًا وأبغضه لخلوِّه من حبيبه يريدُ أنْ يراجعَه وينتقل عن بُصْرَى ـ وهي قرية بالشَّأْم تُطْبَعُ فيها السُّيوف البُصرية ـ ويخلِّيها. ومعنى أطْمَعُ القَلْب: حَديدُه. جافلُه، أي مُسْرِعُهُ. ويقال: أجفلَ الظليمُ وجَفَلَ، إذا نشرَ جناحيه ومرَّ يعدُو، وكلُّ هاربٍ من شيءٍ فقد أجفل عنه. والظليم مُجْفِلٌ وجافلٌ جميعًا. وذكر المراجعة والتطليق، واستعارةٌ للانتقال والتخلية.

وقد فَعَلَ أبو تمام مثل هذا فقال: [الكامل]

فِـيـهَـا وَطَـلَّـقْـتُ الـسُّـرورَ ثـلاثـا(٢)

إلا أنّ ما قاله هذا الشّاعرُ أحسَن، حينَ زَاوَجَ التَّطليق بالمراجعة. وقوله: «نوافخَ في البُرَى»، النوافخ: المتنفّسات نفخًا لنَشاطها. والبُرَى: الحَلَقُ التي في

---

(١) للراعي النميري في ديوانه ٢١٨، وأساس البلاغة (روض)، واللسان (روض).

(٢) عجز بيت لأبي تمام في ديوانه ٦٦، وصدره:

«أرض خلعت اللهو خلعي خاتمي»

أنوفها. وقوله: «أَغْيَدُ الخَلْقِ»، أي: منثنيه، وعاطلُه أي يعطِّله من التَّزفه، ويَفْطِمه عن النّعمة، وكل مُهْمَل متروك فهو معطَّل وعاطل.

٤٧٦ ـ وقال عبدُ الله بن عَجْلانَ النَّهديّ(١): [الطويل]

١ ـ وحُقَّةِ مِسْكٍ مِنْ نِسَاءٍ لَبِسْتُها شَبابي وكأْسٍ باكَرَتْني شَمُولُها

٢ ـ جديدةُ سِربالِ الشبابِ كأنَّها سَقِيَّةُ بَرْدِيٍّ نَمَتْها غُيُولُها

قوله: «وحُقَّةِ مِسْكٍ» كنايةٌ عن امرأةٍ جعلَها لِطيبِ رَيَّاها كظرف مِسْكٍ. ومعنى «لبستها»: تمتَّعْت بها. وقال ابنُ أحمر: [الطويل]

لبِسْتُ أبي حتى تملَّيْتُ عَيْشَهُ وبَلَّيْتُ أعمامي وبَلَّيْتُ خاليا(٢)

وموضع قوله «شبابي» نصب على الظَّرف، والمعنى: زَمَنَ شبابي، ومُدَّةَ شبابي. والمصادر تُحْذَف منها أسماءُ الزمان كثيرًا. وقوله: «وكاسٍ» انعطف على قوله: «وحُقَّة مِسْكٍ» والعامل فيها رُبَّ، والواو واو العطف، وليست بنائبَة عن رُبَّ، بدَلالة أنّه لو كان كذلك لوجَبَ أن يُدْخَلَ الحرفُ العاطف عليه، فيقال: ووحُقَّةِ مِسْكٍ. والشَّمُول: الخمرة التي لها عَصْفَةٌ كعَصْفَةِ الشَّمال، وقد قيل: هي التي تشتمل على العقل فتَمْلِكه وتَذْهَبُ به.

وقوله: «جديدة سربال الشباب» أدخل الهاء على جديدة، والأكثر أنْ يقال: مِلحفةٌ جديدةٌ. وطريقة سيبويه فيه أنه صفة مذكَّرة تَبِعت مؤنَّثًا، ويُنْوَى في ذلك المؤنَّث ما يكون لفظُه مذكَّرًا، كأنّه يَنوي بالملحفة إزارًا، وما يجري هذا المجرى. وبعضُهم يذهبُ إلى أنه فعيلٌ في معنى فاعل، فلحِقَه الهاءُ قياسًا، فهو كظريفٍ وظريفة؛ لأن الفعلَ منه جَدَّ الثَّوبُ يجِدُّ جِدَّةً. وبعضهم ذهَبَ إلى أنّه فعيل في معنى مفعول، كأنّ ناسجها جَدَّها قريبًا، أي قَطَعَها، فلهذا يُستنكَر إلحاقُ الهاء به. ومعنى: «جديدة سربال الشباب» أنها في عُنْفُوان شبابها، وأنّ عليها غَضارةَ الحدوث، ونَضارة النَّشء، فكأنّها سَقِيَّةُ بَرْدِيٍّ. والسَّقِيَّةُ في معنى مَسْقِيّة، جعلها اسمًا، فهي كالبَنِيَّة

---

(١) عبد الله بن العجلان: شاعر جاهلي من العشّاق المتيّمين، وسيد من سادات قومه، أحبّ زوجته هندًا وأقامت عنده سبع سنوات ثم أجبره والده على طلاقها لأنها لم تلد فطلّقها وتزوّجت غيره فمرض ومات أسفًا، (ت نحو ٥٠ ق.هـ/ ٥٧٤م). ترجمته في المبهج ٥٥، ومصارع العشاق ٢٣٣، وتزيين الأسواق ١: ٨٥، والأغاني ١٩: ١٠٢.

(٢) لابن أحمر في ديوانه ١٦٨، واللسان (بلا).

واللقيطة. وشبَّهها بها لزيادة خِلْقتها وحُسْن بِنيتها، ألَا تَرى أنّه قال: «نمتْها غُيُولُها»، والغُيُول: جمع الغَيْل، وهو الماء الذي يجري بين الأشجار. وقال الدُّريديّ: الغَيْل: الماء الذي بين الحجارة في بطن وادٍ. والغِيلُ، بكسر الغين: الماء يجري بين الأشجار، وربما سَمَّوا الشجرَ الملتفَّ غِيلًا. ويُشبه هذا قول الآخر: [الكامل]

بَـرْدِيَّـةٌ سَبَـقَ الـنعـيـمُ بـهـا ... أَقْـرانَـهـا وغَـلَابِـهَـا عَـظْـمُ(١)

وفي طريقته قولُ الآخر: [مجزوء الكامل]

لـم تَـلْـتَـفِـتْ لِلِدَاتِـهَـا ... ومَـضَـتْ عـلى غُـلَـوَائِهـا(٢)

وإنما يكون ذلك من نتائج الترفهِ، ولوائح النِّعمة. وقد ظهر معنى البيتين بما ذكرتُه؛ لأنّه تبَجّحَ بتعاطِيهِ الصِّبا واللّهو، وشُرْبِ الخمر مدَّةَ الصِّبا وأيّامَ الشباب.

٣ - ومُـخَـمَّـلةٍ بـالـلَّـحْـمِ مِـن دُونِ ثَـوْبِـهَـا ... تَـطُـولُ الـقِـصَـارُ والـطِّـوالُ تَـطُـولُـهـا
٤ - كـأنّ دِمَـقْـسًـا أو فُـروعَ غَـمَـامَـةٍ ... على مَتْنِهَا حيثُ استَقَرّ جَدِيلُهَا(٣)

قوله: «ومُخَمَّلةٍ» من جملة صفاتها وإن عطفْتَها بالواو، فعلى هذا لك أن تقول: مررتُ برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ أديب، وأنْ تقول: برجُلٍ فاضلٍ وعاقلٍ وأديب.

ومعنى: «ومُخَمَّلةٍ» أنّ أعضاءها تساوَتْ في رُكوب اللَّحم إيّاها، وظُهورِ السِّمَن والبُدْنِ عليها، فكأنَّ اللَّحم جُعِل خَمْلًا لها. وفائدة «من دونِ ثَوْبِها» أنها مِلْءُ دِرْعِهَا، فهي سمينةُ المُعَرّى. وإلى هذا أشار الأعشى في قوله: [البسيط]

صِـفْـرُ الـوشـاحِ ومِـلْءُ الـدِّرع بَـهْـكَـنَـةٌ(٤)

وقوله: «تَطُولُ القِصارَ»، يريد: أنها رَبْعةٌ، فإذا حَصَلت في القِصار طالتهُنّ، وإذا حصلت في الطِّوال طُلْنَها يُشير إلى التَّوسُّط الذي هو المختار في كل عَقْل،

(١) للمخبل السعدي في المفضلية رقم (٢١).
(٢) لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ١٧٦، واللسان (غلو).
(٣) بعده عند التبريزي:
«وأبـيـضَ مـنـقـوفٍ وزِقٌّ وقـيـنـةٍ ... وصـهـبـاءَ فـي بـيـضـاءَ بـادٍ حـجـولُـهـا
إذا صُبَّ في الرّاووقِ منها تضوّعتْ ... كُـمـيـتٌ يُـلِـذُّ الـشـاربـيـن قـلـيـلُـهـا»
(٤) للأعشى في ديوانه ص ١٠٥، واللسان (خزل)، وأساس البلاغة (خزل). وعجزه:
«إذا تـقـوم يـكـاد الـخـصـر يـنـخـزلُ»

ولذلك قيل: «خَير الأمور أوساطها»، ولأنّ الغُلُوّ والإفراط مذمومان، كما أن القُصُور والتفريط مذمومان. و«تطول» في البيت مُعَدًّى، لأنه بمعنى تَغْلِبُ في الطول، فهو من طاولْتُه فطُلْتُه.

وقوله: «كأنّ دِمَقْسًا أو فروع غَمامةٍ»، الدِّمَقْس: الحرير الأبيض. وفروع الغَمامة، أشارَ إلى أطرافها وجوانبها والشمس تحتها؛ لأنّ تلك الأطرافَ بشُعاع الشمس تُشْرِق أبدًا. والمعنى: أنها ليِّنة المَجَسِّ برّاقة اللون، كأنَّ الحريرَ وأطراف غمامةٍ استكنَّت الشمسُ تحتَها على مَتْنِهَا. وقوله: «حيثُ استقرَّ جديلُها» تخصيصٌ لما عمَّهُ قولُه: «على مَتْنِهَا». والجَدِيل: هو الوِشاح، وما تشدُّه المرأة في حَقْوِها من الأَدَم المضفور، وليس هذا من عادات العرب. وإذا كان من لَوْنَيْن فهو البَرِيمُ، وهذا يُشَدّ في أحْقي الصِّبيان يُدْفَعُ به العين.

٤٧٧ ـ وقال عبد الله بن الدُّمَيْنَة الخَثْعَمِيّ[1]: [الطويل]

١ ـ ولـمّـا لَحِقْـنَـا بـالـحُـمُـولِ ودُونَـهـا ... خَمِيصُ الحَشَا تُوهِي القميصَ عَوَاتِقُهْ

٢ ـ قـلـيـلُ قَـذَى الـعـيـنـيـن نَـعْـلَـمُ أنّـه ... هو الموتُ إن لم تُلْوَ عَنّا بَوَائِقُهْ[2]

قوله: «ولمّا لحقنا» جوابه ما دَلَّ عليه البيت الثالث، وهو «عَرَضْنا»، وأراد بالحمول الظَّعَائنَ وأثقالَها. وقوله: «ودونها خميص الحشا»، يريد: قَيِّمَهنّ، فيقول: لمّا دعانا الشوقُ إلى اللُّحوق بالظّعائن بعد تشييعنا لها، وإلى تجديد العهد بها، فأدركناها ودونها رجُلٌ قليلُ اللحم على بَدَنه، لطيفُ طيِّ البَطْن، مديدُ القامة، حتى إنَّ عواتقَه، وهي النَّواحي من عاتِقَي الإنسان، تكاد أن تُوهِيَ قميصه، وهذا مما تتمدَّح به العرب؛ لأنّ السُّمْنَة عندهم مذمومة.

وقد كَشَفَ عن هذا المعنى قولُ الآخر: [الطويل]

دَتّى لا يُرَى قَدُّ القميصِ بخَصره ... ولـكـنّـمـا تَـفْـرِي الـفَـرِيَّ مـنـاكِـبُـهْ

وقوله: «قليل قَذَى العينَين» يصف امتعاضَه وقلّةَ صبرِه على دَرَن العار. ويقال: فلانٌ لا يُغْضِي على قَذًى، إذا لم يحتملْ ضَيْمًا. وقوله: «نَعلم أنّه هو الموت» يصِفه بشِدَّة الحميَّة عند غَضَبِهِ، وأنَّ نارَه لا يُصْطَلَى بها إذا غار على حُرَمِهِ. والمعنى: أنّا

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٥٦).
(٢) التبريزي: «يعلم أنه هو الموت إن لم تُضرَ...».

مع تعرُّضِنا له نَحْذَره مخافةَ أن يَحْمَى، لتحقُّقنا أن شرَّه لا يُقامُ له إذا سطا. والبوائِق: جمع بائقةٍ، وهي الخَصْلَة المنكَرة في شُمُولِهَا، فيقال: باقَتْهُم بائقةٌ. والبُوقة: الدُّفعَةُ الشَّديدة من المَطَر منه. قال رؤبة: [الرجز]

مِن بَاكِرِ الوَسْمِيِّ نَضَّاحِ البُوَقْ[1]

وقوله: «تُلْوَ عَنَّا» أي: تُصْرَف. ويُروَى «تُلْقَ عنَّا» من الإلقاء.

٣ ـ عَرَضْنَا فسَلَّمْنَا فسَلَّمَ كارِهًا ... علينا وتَبْرِيحٌ من الغيظِ خانِقُهْ
٤ ـ فسايَرْتُه مِقْدَارَ مِيلٍ ولَيْتَنِي ... بكُرْهِي له ما دام حيًّا أُرافِقُهْ

يقول: لمَّا لَحِقْنا بالظُّعائن عَرَضْنَا لَهُنَّ، وسَلَّمْنَا على قيِّمهن والمحامي دونهنّ، فأجابنا جوابَ الكاره لنا، والمنكِرِ لتسليمنا، قد خَنَقَهُ غَيْظٌ مُبَرِّحٌ. ويقال: لَحِقْتُهُ ولَحِقْتُ به. وانتَصَبَ «كارِهًا» على الحال. والتَّبريح: التَّشديد. ويقال: بَرَّح بي كذا وكذا، ومنه قول الأعشى: [المتقارب]

أَبَرَحْتَ رَبًّا وأَبَرَحْتَ جَارَا[2]

ويقال: هو في بَرْحٍ من الشَّوْق بَارِح. وقوله: «خانِقُه» يريدُ أنَّه امتلأ صدرُه من الغَيْظ فارتقى إلى ما هو فوقَه حتَّى خنقه.

وقوله: «فسايرتُه مقدارَ مِيلٍ» انتصب مقدارَ على الظَّرْف. ومعنى: سايرْتُه صاحَبْتُه في السَّيْر، ثم قال: وليتني أرافقه ما دامَ حَيًّا، على كُرْهٍ مِنِّي؛ لأنّه استطاب صحبتَه لما له من اللّذاذة في النظَر إليهنّ، واستَكرهَ الكونَ معه لما يخاف على نَفْسه منه، إلّا أنّه غلَّب الالتذاذَ. و«وما دامَ حَيًّا» انتصب على الظرف، و«أرافقه» في موضع خبر ليت. وقوله: «بكُرْهي له» نصب على الحال، والعامل فيه أرافقه.

٥ ـ فلَمَّا رأتْ أنْ لا وِصَالَ وأنَّهُ ... مَدَى الصُّرْمِ مَضْرُوبٌ علينا سُرَادِقُهْ
٦ ـ رَمَتْنِي بِطَرْفٍ لَوْ كَمِيًّا رَمَتْ بِهِ ... لَبُلَّ نَجِيعًا نَحْرُهُ وَبَنَائِقُهْ
٧ ـ ولَمْحٍ بِعَيْنَيها كأنّ وَمِيضَهُ ... وميضُ الحَيَا تُهْدَى لِنَجْدٍ شَائِقُهْ

---

(١) لرؤبة في ديوانه ١٠٥، واللسان (بوق)، وكتاب العين ٥:٢٢٨.
(٢) للأعشى في ديوانه ٩٩، وخزانة الأدب ٣:٢٠٢، وسمط اللآلي ٣٨٨، واللسان (برح)، وصدره:

«تقول ابنتي حين جدَّ الرحيلُ»

قوله: «أنْ لا وصال» أنْ فيه مخففَة من أنّ الثقيلة، يريد أنه لا وصال. ألَا تَرَى أنه عَطَفَ عليه، و«أنه مَدَى الصُّرْم»، ووصال انتَصب بِلَا، وخبره محذوف؛ كأنّه قال: لا وِصَالَ بيننا. والجملة في موضع خبر أنّ، والضمير في أنه الأولى والثانية ضمير الأمر والشأن. وقوله: «مَدَى الصُّرم» في موضع الابتداء، و«مضروب علينا» خَبَرُه. وسرادِقُه ارتفع بمضروب، لأنه قام مقام الفاعل.

وقوله: «رَمَتْنِي بطَرْفٍ» جوابُ لمّا، كأنّه لمّا تأمّلت حالَهُ في مُسايرتِه، وضيقَ الوقت عن مجاذَبته، لِمَا كان يَحُولُ بينهما من مراقبته، ثمّ رأتْ تغيُّظَ الرقيب وكراهيتَه، مع معرفتها بنتائج ضَجرِه، نظرتْ إلى الشاعر نظرَ إنكارٍ استدلَّ منه على ضلالِهِ فيما يأتيه، وسوءِ توفيقه فيما يُلِحُّ فيه، فكأنّه رمته بسَهْم لو لم يكن نَظَرًا، بل كان سَهْمًا رُمِيَ به شُجاعٌ في معركةٍ، لأصيبَ مقلُه، فكان يبتلُّ نحرُه، وبنائق قميصِه نجيعًا. والنجيع: دمُ الجوف. ويقال: تَنَجّع به، أي تلطَّخَ.

وقوله: «ولمْحِ بعينيها»، انعَطَفَ على قوله بطَرْفٍ. واللَّمْح: النَّظَر، ويستعمل في البَرق والبَصَر. وكذلك الطرفُ هو النَّظر هنا، كأن الرَّمْيَ بالطَّرْفِ كان إنكارًا منها. واللّمح بالعينين مُواعَدةٌ وتوجِيَةٌ بجميلٍ بعد تعذُّر المطلوب: والوَمْض والوميض: اللّمْع. وأومضتْ له فُلانةُ بعينها، إذا بَرَقَتْ. لذلك شبَّهَ وميضَ لَمْحِها بوميض الحَيَا، وهو الغيث المُحْيِي للأرض وأهلها وقد هُدِيَتْ أي أُرْشِدَتْ شقائقه، وهي قِطَعُ سحابِهِ لنجد؛ كأنّه جعَلَها قاتِلَةً في رميها، مُحْيِيَةً بلَمْحها. والشَّقيقة: البَرْقةُ إذا استطارت في عُرْض السحاب وتكشَّفت أيضًا.

٤٧٨ ـ وقال أبو الطَّمَحان القَينيّ[١]: [الطويل]

١ ـ أَلَا عَلِّلَانِي قَبْلَ صَدْحِ النّوائِحِ ... وقبلَ ارتقاءِ النَّفسِ فَوْقَ الجوانِحِ[٢]

٢ ـ وقَبل غَدٍ يا لَهفَ نَفْسِي على غَدٍ ... إذا رَاحَ أصحابِي ولستُ بِرائحِ

يُرْوَى «يا لَهفَ نَفْسِيَ من غَدٍ». والصَّدْحُ: شِدّة صوت الدِّيكِ والغرابِ وغيرهما. والصَّيْدَحِيُّ: الشّديد الصَّوت. والجوانح: ضُلوعُ الصَّدر. وارتقاءُ النَّفْسِ

(١) أبو الطمحان القيني: أحد بني القين من قضاعة شاعر فارس معمّر، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام وأسلم ولم يرَ النبيّ. (ت نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م). ترجمته في الأغاني ١١: ١٢٥، والإصابة ١: ٣٨١، والشعر والشعراء ١٤٥.

(٢) التبريزي: «قبل نوح النوائح».

فَوْقَها، كما يقال: بلغتْ نفسُه التراقي، فيقول: عَلِّلاني بالمقتَرَح عليكما قبل أن أموتَ فتقومَ النَّوائحُ عليَّ ينْدُبْنَني، وقبل ميقاتِ أَجَلي، وأوانِ تخلُّفي عن أصحابي وقد راحُوا عنِّي، لنُزول القَدَرِ المقدور بي.

فإن قيل: كيف قدَّم ذكر صَدْح النَّوائح على ذكر الموت، وإنَّما يكون بعده؟ قلت: إن العطفَ بالواو لا يوجب ترتيبًا، ألا تَرَى أن الله تعالى قال: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٣]، والرُّكوع قبلَ السُّجود في ترتيب أفعال الصلاة.

وقوله: «إذا راح أصحابي»، يجوز أن يكون إذا في موضع الخبَر بدلًا من غَدٍ، والبدل إذا جاء مؤكِّدًا للمُبدَل منه ومفصِّلًا جُمَلَه قد لا يستغني عن المُبْدَل منه، وإذا كان كذلك فليس لأحدٍ أن يقول: من شرط البدل أن يُلْقَى المبدلُ منه ويُجْعَل هو مكانه، وإذا كان كذلك لم يَجُزْ أن يَلِيَ إذا العامِلَ في غَدٍ، وهو «على» أو «من» في الرِّوايتين جميعًا. على أنّ أبا العباس قد جَوَّز وقوعَ إذا في موضع المجرور والمرفوع. ويجوز أن يكون نصبًا بَدَلًا من موضع «من غَدٍ» أو «على غَدٍ» العامل والمعمول فيه جميعًا، لأنَّ موضعهما نصبٌ على المفعول مما دلَّ عليه قولُه: «يا لهف نفسي»، وهو: أتلهّف من غَدٍ.

وإنَّما جاز أن يُودعَ البيتين باب النسيب لرقّتهما ولأنّ المتعلَّل به كان لذَّةً من اللّذّات، وهذه عادته في أبواب اختياره.

٤٧٩ ـ آخر[1]: [الطويل]

١ ـ هَلِ الوَجدُ إلّا أنَّ قَلْبِيَ لَوْ دَنَا مِنَ الجَمْرِ قِيدَ الرُّمْحِ لاحْتَرَقَ الجَمْرُ
٢ ـ أَفِي الحقِّ أنِّي مُغْرَمٌ بكِ هائمٌ وأنّكِ لا خَلٌّ هَوَاكِ ولا خَمْرُ[2]
٣ ـ فإنْ كنتُ مطبوبًا فلا زِلتُ هكذا وإن كنتُ مَسْحُورًا فلا بَرَأَ السِّحْرُ

قوله: «هل الوجد» استفهامٌ لفظه ومعناه النَّفي، بدلالة وقوع إلّا بعده، كأنّه قال: ما الوجد، أو ليس الوجد إلّا هذا الذي بي، وهو أنّ قلبي لو قَرُب من الجَمر حتّى لا يكونَ بينهما إلّا قدرُ رمح لغَلَب نارُه نارَ الجمر، وكان الجمرُ يحترق. وقوله:

---

(١) البيت الأول في الحماسة البصرية ٢: ٢٠٨ لقائد بن المنذر القشيري، والبيت الثاني في شرح التصريح ١: ٣٣٩، وخزانة الأدب ١: ٢٧٤، والثالث في مقاييس اللغة (طبّ) بلا عزو.

(٢) التبريزي: «لا خلٌّ لديَّ».

«الوجد» مبتدأ وخبره إلّا مع ما بعده. وانتصب «قِيدَ الرُّمْح» على الظّرف. ويقال: بيني وبينه قابُ قوسٍ، وقِيدُ رُمْحٍ، وغَلْوَةُ سَهْمٍ. وحَكَى بعضُ أهل التَّفسير في قوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: الآية ٩]، أنَّ لكلِّ قوس قابَيْن، وهو ما بين المَقْبِض والسِّيَةِ، وأهلُ اللُّغة على ما قدَّمتُه.

وقوله: «أفي الحقِّ أنّي مُغْرَمٌ بكِ هائمٌ»، فالمغرم: الذي قد لزِمَه الحُبّ، يقال: حُبُّه غَرَامٌ، أي لا تَقَصِّيَ منه. ومنه عذابٌ غَرَامٌ. والهائم: المتحيِّر. والهُيَام كالجنون من العِشْق، ومنه المُهَيَّم: الذي يَهْذِي بالشيءِ ويُكْثِرُ ذِكْرَه. والمعنى: أنه لا يدخُل في الحقِّ ووُجوهِهِ، وأنواع قِسَمِهِ أن يكون حُبّي لَكِ غرامًا، وحُبُّك لا يرجع إلى معلوم، ولا يَحْصُل على حَدٍّ محصور. ويقال: ما هو بخَلٍّ ولا خَمْرٍ، والمعنى: أنه ليس بشيءٍ يَخْلُص ويتبيَّن.

وقوله: «فإنْ كنتُ مَطْبوبًا»، فالطِّبُّ: السِّحر والعلم جميعًا، وهو طَبٌّ، أي عليم. وفي الحديث: «حينَ طُبَّ» أي: سُحِر، وهو مطبوبٌ، أي مسحور. ومعنى البيت: إن كان الذي بي وأقاسِيه داءً معلومًا يُعرفُ دواؤه، فلا فارقَني فإنّي ألتذُّ به ـ وهذا هو الفِتْيانيَّةُ في الهوى، والتجلُّد على البلاء ـ وإن كنتُ مسحورًا، يريد: وإن كان الذي بي لا يُعْلَمُ ما هو، وأعْيَا الوقوفُ عليه الأطبَّاء، والعلماءَ بالأدواء، حتى يُسَلِّمَ للسِّحرِ فلا فارقَني أيضًا. وإنّما قال هذا من عادة العامّة، لأنهم كذا يعتقدون في الأوصاب والعِلَل، ولا يجوز أن يكون معنى (مطبوبًا) مسحورًا، لأنه يصير الصدرُ والعَجُزُ لمعنًى واحد.

٤٨٠ ـ آخر[1]: [الطويل]

١ ـ تَشَكَّى المُحِبُّونَ الصَّبابَةَ لَيتَنِي ... تحمَّلْتُ ما يَلْقَوْنَ من بينِهم وَحْدِي

٢ ـ وكانت لنفسِي لَذَّةُ الحُبِّ كلُّها ... فلم يَلْقَها قَبْلي مُحِبٌّ ولا بَعْدِي[2]

هذا كلامُ مَن تجلَّدَ في الهوى وادَّعَى التلذُّذَ به وإن بَرَّحَ به وأثَّر فيه، فيقول: شكا المُحِبُّون جنايَةَ الصَّبابة عليهم، وجريرةَ العشق لديهم، وبِودِّي أنّي تحمَّلْت أعباءَها كُلَّها وحدي، وخَلَص للصَّبر فيها ولها عَفوي وجهدي، وكانت نفسي تنالُ لذَّة

(١) في معجم الأدباء ٣: ١٩٣ لابن قم الزبيدي وهو الحسين بن علي بن محمد، ولأبي تمام في روضة المحبّين ٢٤، ١٦٦، ١٧٣، وبلا نسبة في الظرف والظرفاء ٣٣٢.

(٢) التبريزي: «فكانت».

مجموعها ومفرِّقِها، وتنفردُ بمكابَدَة مجهولها ومعرَّفها، فأفوزَ بادِّعائها، وتسقطَ المشاركةُ بيني وبين أربابها ممَّن سبَقني لتقدُّمِ زمانِه، أو تأخَّرَ عنِّي لتأخُّرِ ميلادِه.

٤٨١ ـ وقال شُبْرمةُ بن الطُّفَيْل[١]: [الطويل]

١ ـ ويَـوْمٍ شـديـدِ الـحَـرِّ قَـصَّـرَ طُـولَهُ دَمُ الزِّقِّ عَنَّا واصطكاكُ المَزاهِرِ[٢]

٢ ـ لَدُنْ غُـدْوَةً حـتَّى أَرُوحَ، وَصُـحْـبَتِي عُـصَاةٌ على النَّاهِـينَ شُـمُّ المَنَاخِرِ

٣ ـ كـأنَّ أبـاريـقَ الـشَّـمُـولِ عَـشِيَّـةً إوَزٌّ بأعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الحَناجِرِ

قوله: «ويوم» انجرَّ بإضمار رُبَّ، وجوابُه قَصَّر طُولَه. يقولُ: رُبَّ يَوْمٍ من أيام الصَّيف شديد الحرِّ، جعل طولَه قصيرًا، ما اشتغَلْنا به فيه من الشُّرْب والقَصْفِ. وأرادَ بدم الزِّقّ: الخمر. واصطكاك المزاهر: مُدافَعة أوتار البَرْبَط بعضها لبَعْض بالضَّرب. ويقال: ازدَهر الرَّجُل، إذا فَرِح، فيجوز أن يكون العود سُمِّي مِزهرًا منه.

وقوله: «لَدُنْ غُدْوَةً»، انتَصَب غُدوةً عن النون من لَدُن، ولا ينتصب به غيره، فهو شاذٌّ. والمعنى: باكَرْنا الشُّرْب، فلمَّا رُحْنَا كان أصحابي قد سَكِروا واكتَسَبوا كِبْرًا ونُبْلًا، وذَهَابًا عَمَّا يُشيرُ به النَّاهِي والمسدِّد.

وقوله: «كأنَّ أباريق الشُّمُول عشيَّةً» شَبَّهَ أوانيَ الخَمْرَ وقد فُرِّغَتْ وأُمِيلت بطيورِ ماء اجتمعت عشيَّةً بأعلى السَّاحل، معوَجّة الحناجر والحلوق.

وأدخَل هذه القطعةَ في باب النَّسيب لرقَّتها ودَلالتها على اللَّهْو والخَسارة.

٤٨٢ ـ وقال جابرُ بنُ ثَعلبِ الجَرْميّ[٣]: [الطويل]

١ ـ ومُـسْـتَـخْـبِـرٍ عـن سِـرِّ رَيَّـا رَدَدْتُـهُ بِـعَـمْـيَـاءَ مـن رَيَّـا بِـغَـيْـرِ يَـقِـيـنِ

٢ ـ فـقـالَ انـتـصِـحْـنِي إنَّـنِي لَكَ نَـاصِـحٌ ومـا أَنَـا إنْ خَـبَّـرْتُـهُ بـأَمِـيـنِ

يروى: «انتصحْني إنَّني ذو أمانةٍ»، وهذا في كتمانِ سرِّ المحبوب، والمحافظةِ على الذِّمام والحُرَم. يقول: رُبَّ مُسْتَدْرِجٍ لي فيما بين رَيَّا وبيني، طالبٍ للوقوفِ على المكتوم من أمرها وأمري، رددتُه عن نفسي بقصَّةٍ عمياءَ لا يُهْتَدَى فيها لمطلوبٍ، ولا

---

(١) الأبيات لابن الطثرية في الحيوان ٦: ١٧٩، وثمار القلوب ٥٠٢.

(٢) التبريزي: «واصطفاق المزاهر». (٣) التبريزي: «من طيئ».

يُرَجِّع فيها إلى يقين، فلمّا لم يُمْكنه إنزالي عمّا حاولَه قال: انتصِحْني، أي: أَدْخِلْنِي في أَمْرِكَ، وأَجْرِني مَجْرَى نُصَحائك، إنّي أمينٌ لا دَغَل في همّتي، ولا خيانةَ في شأني، ولو خبَّرتُه بما التمَسَ، وأطْلَعتُه على ما استشرح، كنتُ أنا غيرَ أمينٍ، فكيف أصِير معه مؤتمنًا، وذاك أنّي إنْ بُحتُ بِسرِّها فقد ضَيَّعْتُ أمانتَها، والسرُّ إذا جاوزَ اثنين خرجَ من أن يكون سِرًّا. ومثل هذا قولُ جرير: [الكامل]

ولقد تَسَقَّطَني الوُشاةُ فصادَفُوا ... حَصِرًا بسرِّكَ يا أُمَيْمَ ضَنِينَا[1]

٤٨٣ ـ وقال نَفْر بن قَيْسٍ[2]، وبنو نَفْرٍ رَهْطُ الطِّرِمَّاح: [الوافر]

١ ـ ألا قالت بُهَيْشَةُ ما لِنَفْرٍ ... أراه غَيَّرتْ مِنهُ الدُّهُورُ

٢ ـ وأنتِ كذاكِ قد غُيِّرتِ بَعْدِي ... وكُنتِ كأنَّكِ الشِّعْرَى العَبُورُ

كأنَّ المرأةَ ازدرته وأنكرتْ شُحوبَه وهُزالَه، وتغيُّرَه عما عهدَتْه، فصَرَفَتْ ذلك إلى أنَّه من مقتَضَيات الكِبَر، ومسبِّبات القَشَف، وقالت مستفهمةً: ما لِنَفْرٍ، أرَى الأيّام أثَّرتْ فيه، والأحداثَ أضنَتْه وهَزَلَتْه، فأجابها مِن طريق إنكارها وقال: إنْ كان ذلك من عُقَبِ الأيام فإنّها لم تَغْفُل عنكِ ولم تُهمِلْ تغييرَك أيضًا، فما أنكرْتِه منّي موجودٌ فيكِ وظاهرٌ على سَحْنَتِكِ ولونكِ، فقد كنتِ كالشِّعْرَى العبور إشراقًا وتلألُؤًا، وقد حلتِ وتغيّرتِ. و«العَبُور» قيل فيه: هو من عَبَرْتُ النَّهرَ، إذا جُزْتَه. وقيل: بل هو من عَبَّرْتُ به، إذا شَقَقْتَ عليه، كأنّها إذا طلعَتْ تُعَبِّرُ المال الرّاعِيَةَ بحَرِّها، وإذا سَقَطَت فببَردها. وقوله: «وأنتِ كذاك»، الكاف الأولى للتّشبيه، و«ذا» أشار به إلى ما أنكرَتْ منه، والكاف الأخيرة للخطاب ولا موضعَ له من الإعراب، فهو حرف.

٤٨٤ ـ وقالَ بُرْجُ بن مُسْهِرٍ[3]: [الوافر]

١ ـ ونَدْمَانٍ يَزِيدُ الكَأسَ طِيبًا ... سَقَيتُ إذا تعرَّضَتِ النُّجُومُ[4]

٢ ـ رَفَعْتُ برأسِهِ وكشَفْتُ عَنْهُ ... بِمُعْرَقَةٍ مَلامةَ مَن يَلُومُ

---

(١) لجرير في ديوانه ٣٨٧، واللسان (حصر، سقط)، وأساس البلاغة (حصر).
(٢) التبريزي: «نفر: هو جدّ الطرماح». (٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٢).
(٤) التبريزي: «إذا تغوّرت النجومُ».

النَّدمَان والنَّديم: مَن يُنادِمُك على الشَّراب، ومثله في البناء سَلْمَانُ وسَليمٌ، وحَمْدَانٌ وحَمِيدٌ، ورحمـنٌ ورحيمٌ. ومعنى: «يزيد الكأس طِيبًا»، أي: بِحُسْنِ عِشْرته، وأدبِ مجالَسته يزداد شُرْب المدام وإدارةُ الكأس معه لذَّة. والمعنى: رُبَّ نَدِيمٍ على ما وصفْتُه سقيْتُه إذا تَعرَّضت النُّجوم، أي أبدت عُرْضَها للغُيوب. ويقال: تعرَّضْتُ الجبَلَ، أي: أخذتُ يمينًا وشِمالًا فيه، ولم أستقمْ في الصُّعود. قال: [الرجز]

تـعـرَّضـي مَـدَارِجًـا وسُـومِـي تـعـرُّضَ الـجـوزاءِ لـلـنُّـجـومِ[1]

ومعنى قوله: «رفعتُ برأسه» أنبهتُه من مَنامه، وأزلْتُ عنه ما كان يُداخِلُه من الغَمّ بلوم اللائمين إيَّاهُ على معاطاة الشُّرْبِ وإدمانِه اللهو، بأن سقيتُه مُعْرَقةً ـ وهي الصِّرْف من الخمر، وقيل: هي القليلة المِزاج. ويقال: تعرَّقْتُ الخمرةَ، إذا مزَجْتَها، وأعرقَه الساقي، إذا سقاه مُعْرَقًا. وقوله: «إذا تعرَّضت النجوم» يشير به إلى الاصطباح.

٣ ـ فـلـمَّـا أنْ تَـنَـشَّـى قـامَ خِـرْقٌ مـن الـفِـتْـيَـانِ مُـخْـتَـلَـقٌ هَـضُـومُ[2]
٤ ـ إلـى وَجْـنَـاءَ نـاوِيَـةٍ فـكـاسَـتْ وَهَـى الـعُـرْقُـوبُ مـنـهـا والـصَّـمِـيـمُ

انتَشَى ونَشَى وتَنَشَّى بمعنى سَكِر. والنَّشوة: السُّكر. وأراد بالخِرْق نفسَه، وهو الكريم المتخرِّق بالمعروف. والمُخْتَلَق: التامّ الخَلق. والهَضُوم، قال الأصمعي: هو المِنفاق في الشتاء، وقال غيره: هو الكريم المِفضال، كأنّه يَهْضِم مالَه بأن يُخْرِجَ منه أكثرَ من الواجبِ فيه. والوجناء، هي الناقة الغليظة الوَجْنَتين، وقيل: بل هي الصُّلبة، مأخوذٌ من الوَجين، وهي الأرض الغليظة. قال الخليل: وقَلَّ ما يقال للجَمَل أوْجَنُ. والنَّاوية: السمينة.

وقوله: «فكاسَتْ» اختَصَر الكلام، والمراد فعرقَبَها فكاست. والكَوْس: المَشْي على ثلاثِ قوائم. وأراد بالصَّميم العُضْوَ الذي به القِوَام؛ يقال: هذا صَمِيمُ الوظيف، وصميم الرَّأس. والعُرْقوب: عَقَبٌ موتَّرٌ خلفَ الكعبين فُوَيْقَ العَقِبِ من الإنسان وبين مَفْصِل الوظيف والساق من ذوات الأربع. وعرْقَبْتُه: قطعت عُرْقوبَه. وقوله: «وَهى

(١) لعبد الله ذي البجادين المزني دليل رسول الله ﷺ في اللسان (درج)، والمقاييس (درج).
(٢) التبريزي: «مختلِق» بكسر اللام وفسّره بأنه الكريم الأخلاق.

العُرقوب» إظهارٌ للعلَّة في كَوْسِهَا. والوَهَى: الشَّقُّ والخَرْقُ. وفي المثل: «غادَرَ وَهْيَةً لا تُرْقَع»، أي: فَتْقَةً لا يُطاق إصلاحُها ورَتْقُها. والمعنى: لمّا أُقيم رسم الاصطباح، وانتَشَى النّدمانُ، قام هو إلى ناقةٍ بهذه الصفة فعَرْقَبَها.

٥ ـ كَـهـاةٍ شـارِفٍ كـانـت لِشَـيْـخٍ　　لَهُ خُـلُقٌ يـحـاذِرُهُ الـغـريـمُ
٦ ـ فـأَشْـبَـعَ شَـرْبَـهُ وجَـرَى عَـلَـيْـهِـمْ　　بِـإبْـرِيـقَـيْـنِ كَـأْسُـهُـمَـا رَذُومُ[1]
٧ ـ تَـراهَـا فـي الإنـاءِ لـهـا حُـمَـيًّـا　　كُـمَـيْـتًـا مـثـلَ مـا فَـقَـعَ الأَدِيـمُ
٨ ـ تُـرنِّـحُ شَـرْبَـهـا حـتـى تَـراهُـمْ　　كـأنَّ الـقَـوْمَ تَـنْـزِفُـهُـمْ كُـلُومُ

الكَهاةُ: الناقة الضخمة كادت تدخل في السنّ، وكذلك الكَيْهاة. والشارِفُ: المسنّة. وقوله: «كانت لِشَيْخٍ» كان الكريمُ منهم المِحْسانُ إلى عشيرته، المِفْضالُ على رفقائه ونُدَمائه، يتعمَّد إذا نحرَ لهم في الشُّرْب وعند السكر، أن يفعلَ ذلك في غير مِلْكِهِ، يَسْتامُ مالِكَ الجَزُور بها أغلَى الأثمان فيغرمُه، ويَعُدُّ ذلك الغُرْم غُنْمًا، والصَّبْرَ على سوء خُلُقِهِ وإنكارِه التبسّط في مِلْكِهِ بغير إذنه كَرَمًا؛ لذلك قال: «لهُ خُلُقٌ يحاذِرُه الغريم»، يريد: البُخْل منه والاستقصاء.

وقد سلك هذا المسلك طَرَفَةُ فقال وَوَفَّى المعنى حَقَّهُ، وكأنه صَبَّ في قالَب هذا الشاعر: [الطويل]

وبَرْكٍ هُجُودٍ قد أثارت مَخَافَتِي　　نَوَادِيهَا أَمْشِي بعَضْبٍ مُجَرَّدِ[2]
فمرَّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ　　عَقِيلةُ شَيْخٍ كالوَبيل أَلَنْدَدِ[3]
يقول وقد تَرَّ الوظيفُ وساقُها　　أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قد أَتَيْتَ بمُؤْيِدِ[4]
وقال ألا ماذا تَرَوْنَ بشارِبٍ　　شَديدٍ علينا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ
فقال ذَرُوهُ إنَّما نَفْعُها لَهُ　　وإلّا تَكُفُّوا قاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ

---

(١) التبريزي: «وسعى عليهم».
(٢) لطرفة بن العبد في ديوانه ١٨١، واللسان (غصص)، وأساس البلاغة (غصص). والبرك: الإبل الكثيرة الباركة، والنوادي: القواصي منها، والعضب: السيف القاطع.
(٣) الحنيف: جلد ضرع الناقة، والعقيلة: كريمة المال، والوبيل: العصا الضخمة، والألندد واليلندد: الشديد الخصومة.
(٤) ترّ: سقط، المؤيّد: الداهية العظيمة الشديدة.

فـظَـلّ الإمـاءُ يـمـتـلِلْنَ حُـوَارَهَـا ويُسْعَى علينا بالسَّدِيفِ المُسَرْهَدِ[١]

قوله: «فأشبع شَرْبه» يعني من الناقة المعقورة. وجعل الجاريَ عليهم بأبريقَين والكأس مَلأى تَقطُرُ؛ لأنّ شُرْبَهُمْ كان بِدَارًا. ثم وَصَف الخمرة فقال: لها سَوْرَةٌ شديدةٌ، وللونها حُمْرة متناهية. ومعنى فَقَع: حَسُنَ وَصَفَا، ويقال: أحمرُ فاقعٌ. ويُروى: «مثل ما نَصَع»، والمراد: خَلَصَ. والحُميَّا مصغَّرٌ لا مكبَّر له، وقد تقدَّمَ القولُ في بنائه. وكُمَيْت: مصغَّر مرخَّم، والمراد به تكبيره، وهو أكْمَتُ، لذلك جُمع على كُمْتٍ. ومثله فَرَسٌ وَرْدٌ، ثم قيل خَيْلٌ وُرْدٌ، لأنه أريد به أفْعَلُ. وممّا جاء مصغَّرًا قولهم: كُعَيْتٌ، وهو طائرٌ، وجُمَيْل، والثُّرَيَّا، والغُبَيْراء، والمُرَيْطاء، واللُّجَيْن، وهُنَيْدَةُ.

وقوله: «تُرَنِّحُ شَرْبهم»، أي لشدَّتها تُزيلُ قُواهم، فكأنهم أُسارَى نُزِفَتْ دماؤهم. ويقال: ضربته حتى رنَّحْتُه، أي غُشِيَ عليه.

٩ - فـقُـمْـنَـا والـرِّكَـابُ مُـخَـيَّـسـاتٌ إلـى فُـتْـلِ الـمَـرَافِـقِ وَهْـيَ كُـومُ

١٠ - كَـأَنَّـا والـرِّحَـالَ عـلـى صِـوَارٍ بِـرَمْـلِ خُـزَاقَ أَسْـلَـمَـهُ الـصَّـرِيـمُ[٢]

يُرْوَى «محبّسات» أي معقولاتٌ مُناخَةٌ بالفِناء، وهو الوجه. ورَوَى بعضهم: «مخيّسات» أي مذلّلاتٌ، لكي إذا رُكِبَتْ للَّهو، وفي حالة السُّكر كما فعلَه هؤلاء، لم تَعْسِفْ برُكبانها، ولم تَأْتِ العِرِضْنة في سيرها. والفُتْل: جمع أَفْتَلَ وفَتلاءَ، وهي البعيدة المِرْفَق عن الزَّوْر. والكُومُ: العظام الأسنِمة. وقال الخليل: الكَوَمُ: العِظَم في كلّ شيء. وقوله: «كأنّا والرِّحالَ» شبَّهَ ركائبهم بقطيعٍ من البَقر بالرَّمْل المذكور، أسلَمَه الصَّريمُ إلى الصَّيَّادين والكلاب، فخفَّتْ وعَدَتْ. والصَّريمُ استُعْمِل في الصُّبح والليل جميعًا؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما ينصرمُ عن صاحبِهِ وقتَ السَّحَر. وإنما ركبوا بعدَ الاصطباح للتنزُّه أو في بَطَالَةِ حَضَرَتْهُمْ.

١١ - فَـبِـتْـنَـا بـيـن ذاك وبـيـن مِـسْـكٍ فَـيَـا عَـجَـبـا لِعَـيْـشٍ لَوْ يَـدُومُ

١٢ - وَفِـيـنَـا مُـسْـمِـعَـاتٌ عِـنْـدَ شَـرْبٍ وغِـزْلَانٌ يُـعَـدُّ لـهـا الـحـمـيـمُ

---

(١) يمتللن: الامتلال: جعل الشي في الملّة وهي الجمر والرماد الحار. والسديف: قطع السنام، المسرهد: السمين.

(٢) خزاق: اسم موضع بعينه في بلاد العرب (معجم البلدان ٢: ٣٦٧).

تَبَجُّحَ بأنهم نالوا أكثرَ أنواعِ اللّذّاتِ، من شُرْبٍ وقَصْفٍ وتنزُّهٍ ولَهْوٍ، ومعاشرةِ وطَرَبٍ، وتَسَخٍّ وإفضال، وتَنَدٍّ على الندماء وإكرامٍ، وتَتَرُّفٍ وتَعَطُّرٍ، وتمتُّعٍ بالنساء وتغزُّل. وقوله: «فيا عجبًا» إنّما تعجَّبَ من استمرار الوقت بمثلِ العيش الذي وَصَف، وكيف سَمَح الزمانُ به ثم غَفَل عنه حتّى اتَّصَل. والمُسْمِعات: المغنّيات. والسَّمَاعُ: الغِناءَ. وذَكَرَ الحميمَ لتنعُّمهنّ، ولأنَّ بلادهن كانت صُرودًا. وعلى هذا قال عمرو بن كلثوم: [الوافر]

مُشَعْشَعَةً كأنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خَالَطَها سَخِينا[1]

قال ابن الأعرابيّ: سخينًا حال بمعنى مُسَخَّنٍ، لأنَّ البَرْدَ اقتضاهُمْ بِذلك الماء.

وقوله: «فبِتْنَا بين ذاك»، يريد: أنَّ حاضر وقتِهم كانَ على ذلك ثم تغيَّرَ.

١٣ ـ نُطَوِّفُ ما نُطَوِّفُ ثم يَأْوِي ذَوُو الأموالِ مِنَّا والعَدِيمُ
١٤ ـ إلى حُفَرٍ أسافِلُهُنَّ جُوفٌ وأعلاهُنَّ صُفَّاحٌ مُقِيمُ

يقول: يُكْثِرُ الواحدُ منا التَّطْوافَ على اللّذّات، والتَّجوالَ في الأطراف لطلب البَطَالة، وليس مآل الجميع مُقْتِرنا وغنِيِّنا إلّا إلى حُفَرٍ، يعني بها القُبورَ. ثمّ وَصَفَها بأنها جُوفُ الأسافلِ لِلُحودِهَا، وأنَّ أعالِيَها نُصِبَتْ عليها حجارةٌ عِراضٌ كالسُّقُوفِ لها، وهي دائمة على هذهِ أبدًا.

وقوله: «نُطَوِّفُ ما نُطوِّف»، أي: مدَّةَ تَطوافنا. ويقال: أَوَى إلى كذا أُوِيًّا.

٤٨٥ ـ وقال إياسُ بن الأرَتّ[2]: [الطويل]

١ ـ هَلُمَّ خَلِيلي والغَوَايَةُ قد تُصْبِي هَلُمَّ نُحَيِّ المُنْتَشِينَ من الشُّرْبِ
٢ ـ نُسَلِّ مَلَامَاتِ الرِّجالِ بِرَيَّةٍ ونَفْرِ شُرُورَ اليَوْمِ باللَّهْوِ واللَّعْبِ

قوله: «والغواية قد تُصْبِي» اعتراض، وكرَّر هلمَّ على طريق التَّأكيد. والفائدةُ في هذا الاعتراض تحقيقُ القِصَّة المدعوِّ إليها.

وللعرب في «هلمّ» طريقتان: منهم مَن يُجْرِيه مجرى أسماءِ الأفعال، وحينئذ يقع للواحد والجمع والمؤنّث والمذكَّر على حالةٍ واحدة، والقرآنُ نزَلَ به، لأنّه قال

---

(١) لعمرو بن كلثوم في ديوانه ٦٤، واللسان (طلح، حصص، سخن، سخا)، وكتاب العين ١ :٧١.
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٧).

تَعَالَى ذكره: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨]. ومنهم مَنْ يجعل أصلها ها التّنبيه ضُمَّ إليه لُمَّ، وهو فِعْلٌ، جُعِلَا مَعًا كالشَّيْءِ الواحد، فيثّنيه ويجمعه ويؤنّثه. وكان الفَرّاء يقول: هو هَلْ أُمَّ تركّبا مَعًا. وليس لِهَلْ في الكلام إلّا موضعان: أحدهما ـ وهو الأكثر ـ أن يكون لِلاستفهام، ولا معنى للاستفهام هاهنا. والثّاني: أن يكون بمعنى قَدْ، على ذلك فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: الآية ١]، وليس لمعنى قَدْ في هذا مَدْخَلٌ، وإذا كان كذلك فما قاله فاسدٌ.

وقوله: «والغواية قد تُصْبِي»، يريدُ: أنّ الغَيَّ يدعو صاحبَه إلى أمورٍ كثيرةٍ مختلفةٍ، وقد يحمله على الصِّبَا واللّهو في الوقتِ بعدَ الوقت. وطلَبَ من صاحبِهِ مساعدتَه على تحيّتِهِ للشّرْب، والدُّخول في جُملتهم، وتسلِيَة النُّفوس عن مَلاماتِ مَن يدعُو إلى الرّشاد، ويَحْمِلُ على سُلوك طُرقِ الصَّلاح والسَّداد، بشُرْبِ رَيَّةٍ، وهي الكأس الممتلئة خَمْرًا، وقَطْعِ وقتِ الشّرِّ والغَمّ باللّهْو واللّعب.

وقوله: «نُسَلّ» في موضع الجزم، لأنّه جوابُ الأمر. و«نَفرِ»، معطوف عليه. ويقال: فَرَيْتُ الأدِيمَ، إذا قطعتَهُ على جهة الصَّلاح، وأفْرَيْتُه إذا قطعتَه للفَساد.

٣ ـ إذا ما تَراخَتْ ساعَةٌ فاجْعَلَنَّها لِخَيرٍ فإنَّ الدَّهْرَ أعْصَلُ ذُو شَغْبِ

٤ ـ فإنْ يَكُ خَيرٌ أو يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ فإنَّكَ لاقٍ مِن غُمُومٍ ومن كَربِ

قوله: «إذا ما تراخت ساعة فاجعلنّها» في طريقته ما أنشده ابنُ الأعرابيّ: [الطويل]

إذا كانَ يَوْمٌ صَالِحٌ فاقبَلَنَّهُ فأنتَ على يَوْمِ الشَّقَاوَةِ قادِرُ

وقوله: «فإنّ الدَّهر أَعصَلُ»، العَصَلُ: اعوجاج الأنيَاب. قال الخليل: ولا يقال أَعصَلُ إلّا لكل معوجٍّ فيه صَلابةٌ وكَزَازَة. والمعنى: أنّ ما يَعضُّ عليه الدُّهر لا يمكِن انتزاعُه منه، كما لا يمكنُ انتزاع الشَّيْءِ من الناب التي فيها عَصَلٌ. والشَّغْبُ: تهييج الشّرّ، ويقالُ: رَجُلٌ مُشْغَبٌ.

وقوله: «فإنْ يَكُ خيرٌ أو يَكُنْ بعضُ راحةٍ»، يريد: أنّ الدَّهر لا تصفُو أحوالُه من الكَدَر، ولا عطاياه من التَّعبِ والأذى، فلا تُعِنْه على نَفسِك، واجتهدْ في إصلاح ما يُفسِده، وإلقاءِ ما يَشُقُّ منه. وقوله: «فإنّك لاقٍ مِن غُموم»، من زائدة على مذهب الأخفش، كأنّه قال: إنّك لاقٍ غُمومًا. وسيبويه لا يَرَى زيادةَ «مِنْ» في

الواجب، فطريقته في مِثله أنه صفةٌ لمحذوف، كأنّه قال: إنَّك لاقٍ ما شئت من غُمومٍ.

٤٨٦ ـ وقال آخر[1]: [الوافر]

١ ـ أُحِبُّ الأَرْضَ تسكُنُها سُلَيْمَى وإنْ كانَتْ تَوَارَثُها الْجُدُوبُ
٢ ـ ومَا دَهْرِي بِحُبِّ تُرَابِ أَرْضٍ ولكِنْ مَنْ يَحُلُّ بها حَبِيبُ

يذكر حنينَه إلى محلِّ سُلَيْمَى ومكانِها، ومَيْلَه وإن كانَ قفرًا متردِّدًا في الجدوبة متناهِيًا أقطارُه في اليُبوسة، وأنَّ ذلك عَزَّ عليه لكونها به، فأمَّا حُبُّ الأَرَضِينَ مجرَّدةً فليس من دأبه وعادتِهِ.

وقوله: «وما دَهْرِي بحبِّ تُرَاب أرضٍ» جعلَ الحُبَّ للدَّهر على طريقتهم في قولهم: نهارُه صائم، وليلُه قائم. والمعنى: ليس حُبُّ الأرضِين مِنِّي بِعادةٍ في دهري، وقوله: «ولكنْ مَنْ يحل بها حبيب»، يشبه قولَ الآخر: [الوافر]

ألا يا بَيْتُ بالعلياء بَيْتُ ولَوْلَا حُبُّ أهلِكَ ما أَتَيْتُ[2]

يريد: أنَّ البيوت في الموضع الذي جئت منه قد كَثُرَتْ، ولكنِّي قصدْتُك لحبِّ أهلك. وقوله: «توارَثُها» أي تتوارثُهَا. فحذف إحدى التاءين استثقالًا، وقد مضى مثلُه.

٣ ـ أَعَاذِلَ لو شَرِبْتِ الخَمْرَ حَتَّى يَكُونَ لِكُلِّ أَنْمُلَةٍ دَبِيبُ
٤ ـ إِذَنْ لَعَذَرْتِنِي وعَلِمْتِ أَنِّي بِمَا أَتْلَفْتُ مِنْ مَالي مُصِيبُ

كأن عاذلةً أفرطَتْ في لَوْمِهِ على ما يُدْمِنُهُ من الشُّرْب، ويَذهَب فيه من طُرُق اللَّهو، فقال لها: لو شربتِ الخَمْرَ فأخذَتْ منكِ، ودبَّت في عُروقكِ ومفاصِلِك، وجَمَعت السارَّ لكِ، وكشفَت أنواعَ الغَمِّ عنكِ، لَعَرَفتِ مِنْ لذَّاتِهَا ومَنافعها، وحُدوث الطَّرَب والجذَل في النُّفوس لها، واستمتاع الرُّوح بنَشوتها وقُواها، ما يَبْعَثُكِ على بَسْط عُذْرِي في الوَلُوع بها، والثَّبَات على هواها، ولعلِمْتِ أنِّي راكب ثَبَجَ الصَّواب، وغيرُ

---

(١) البيتان الثالث والرابع في الحماسة البصرية ٢:٣٨٤، وقد نسبهما إلى إياس بن الأرتّ.
(٢) لعمرو بن قعاس (أو قنعاس) المرادي في شرح أبيات سيبويه ١:٥٢٦، واللسان (تمر)، وشرح شواهد المغني ٢١٥.

عادلٍ عن الواجب في إنفاق المال. معنى: «لِمَا أتلفتُ»، أي: من أجل إتْلافِي. ويُرْوَى: «بما أتلفتُ»، والمعنى: أنّي مصيبٌ بِسبَبِهِ ومِنْ أجْله.

٤٨٧ ـ وقال أبو صَعْتَرة البَوْلَانيّ[١]: [الطويل]

١ ـ فَمَا نُطْفَةٌ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ   به حِسَنُ الجُودِيِّ واللَّيلُ دَامِسُ[٢]

٢ ـ فلَمَّا أَقَرَّتْهُ اللِّصَابُ تَنَفَّسَتْ   شَمَالٌ لأعْلَى مائِه فهو قَارِسُ

٣ ـ بأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا وما ذُقْتُ طَعْمَهُ   ولكِنَّني فيما تَرَى العَيْنُ فارِسُ

قوله: «حِسَنُ الجُودِيّ» رواه البَرقيّ: «به حُزَنُ الجُوديّ»، وكثيرٌ من الناس يرويه: «به جَنْبَتَا الجُوديّ». وقيل في «حِسَن الجُوديّ»: إنَّه قطعةٌ متَّصلة بالجُودي، والجُوديّ: جبل. وقال صاحب العين: حِسَنٌ: اسم رملٍ لبني سعد. وذكر البَرْقيّ أن الحَزْنَةَ والحَزْنَ من الأرض والدَّوَابّ: ما فيه خُشونة، والفعل منه حَزُنَ حُزونةً، ورجل حَزِنٌ: شَرِسٌ، وقومٌ حُزُنٌ. ومن روى: «به جَنْبَتَا الوادي»، فالمراد به الكَنفُ والنَّاحية. وبعضُهم استدلَّ على أنَّ قولَ النَّاس: فُلانٌ في جَنَبِهِ فُلانٍ ليس بشيء، وإنما الصّواب في جَنْبَةِ فُلَانٍ، بسكون النون، استدلالًا بهذا البيت.

وقد روى الأصمعيّ: [الرجز]

والنَّاسُ في جَنْبٍ وكُنَّا جَنْبَا[٣]

فيقول: ما ماءٌ اجتمع من حَبِّ مُزْنٍ ـ وهو البَرَدُ، لأنّ المُزْن اسمٌ يجمع أنواعَ السحاب، فهو كالغَيْم ـ ترامَتْ به جوانبُ هذا الجبلِ واللَّيْلُ مظلمٌ إلى أنْ زالَ رَنَقُه، وانقَطَعَ كَدَرُه. وخبر «ما» قوله «بأطيب». ثمَّ وصَفَ الماءَ بأنّه لمَّا حَصَل في القرارات بعد تقطُّعِهِ بنَضَد الحجارة، وجَوانب المَذَانبِ والأدوية، فزال عنه أكثرُ شَوْبِهِ، هَبَّتْ عليه شَمالٌ ليِّنَةٌ فَصَفَّتْهُ وبرَّدَتْه. يريدُ: ما ماء ساريةٍ بهذه الصِّفة بأعذبَ مِن رُضاب فَمِ هذه المرأةِ، ولا أقولُ هذا عن ذَوَاقٍ واختبار، ولكن عن صِدْقِ فِراسةٍ، واعتبارِ مُشاهَدة.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٩). (٢) التبريزي: «به جنبتا الجوديّ».

(٣) لرؤبة في ديوانه ١٢، واللسان (ألب)، وتاج العروس (ألب).

وفي طريقته قول الآخر: [البسيط]

يا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ إِلَّا شهادَةَ أطرافِ المَساويكِ(١)

واللِّصاب: جمع لِصْب، وهو شقوقٌ في الجبل. والقارس: البارد. وقوله: «فارس» أراد به المتفرِّس، ويقال: هو فارس على الخَيْل بَيِّن الفُروسَة، وإذا كان يَتفرَّس في الأشياء ويُحْسِن النَّظَر فيها قلتَ: هو فارسٌ بيِّن الفراسةِ. والدَّامِس: المُظْلِم، ويقال: دَمَس، أي أظلَمَ، وأتيتُه دَمَسَ الظَّلام.

٤٨٨ ـ وقال الحارث بن خالدِ المخزوميّ(٢): [الكامل]

١ ـ إِنِّـي وَمَـا نَـحَـرُوا غَـداةَ مِـنًـى عِـنْـدَ الـجِـمَـارِ تَـؤُودُهـا الـعُـقُـلُ

٢ ـ لـو بُـدِّلَتْ أعـلـى مـسـاكِـنِـهـا سِـفْـلًا وَأَصْـبَـحَ سِـفْـلُهَـا يَـعْـلُو

٣ ـ لَعَـرَفْـتُ مَـغْـنَـاهَـا لِمَـا ضَـمِـنَـتْ مِـنِّـي الـضُّـلوعُ لأهـلِهَـا قَـبْـلُ

أَقْسَمَ بالقرابين التي ينحرها الحجيج عند المُحَصَّب غداةَ مِنًى وهي معقولةٌ أنّه لو غُيِّرت ديارُ هذه المرأةِ عن خِططها المعهودة، ورسومها المشهورة، حتى جُعِلَت أعاليها أسافلَها، وأسافلُها أعاليَها لعَرفَ مغناها المختصَّ بها، ومَثْواها الجامعَ لأسبابها لما انطوَتْ عليه مَحاني ضُلوعِهِ من وُدِّ أهلِها أيامَ مواصلتِها، حتى كان لا يلتبس عليه شيءٌ منها. ومعنى «تؤودُها»: تثقلها. وجواب اليمين: «لعرفت». والمَغْنَى: المنزِل. ويقال: غنينا بمكان كذا نَغْنَى به غِنًى. وجواب «لو بُدِّلَتْ» ما هو جوابُ القَسَم، وهو لعَرفْتُ.

٤٨٩ ـ آخر(٣): [الطويل]

١ ـ مَـرِيـضَـاتُ أَوْبَـاتِ الـتَّـهَـادِي كـأنّـهـا تَـخَـافُ عـلـى أحشـائِهَـا أن تَـقَـطَّـعَـا

٢ ـ تَـسِـيبُ انسِيابَ الأيْمِ أخْصَرَهُ النَّدَى فَـرَفَّـعَ مـن أعـطـافِـه مـا تَـرَفَّـعَـا

(١) لبشار بن برد في أمالي القالي ١:٢٢٨، والأغاني ١٨:١٩٢.

(٢) الحارث بن خالد المخزومي: أحد شعراء قريش المعدودين الغَزِلين، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة فلا يتجاوز الغزل، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبّب بها (ت نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمته في الأغاني ٣:٩٧، وتهذيب ابن عساكر ٣:٤٣٧.

(٣) البيتان في الحماسة البصرية ٢:٢٢٠ لمسلم بن الوليد، وفي محاضرات الراغب ٢:١٣٩ لرجل من بني سعد.

التَّهادي: المَشْي بينَ اثنين، يقال: رأيتُه يُهادى بين اثنَين ويَتَهادَى. يصفها بالنِّعمة والرِّقَّة وضعف الحركة، لِثقَل رِدْفها، ودِقَّة خَصْرِها، وتُرْفَتِهَا المتملِّكة لأعضائها وحواملها، فيقول: إذا تهادَتْ بين اثنين فعَطَفات حركاتها مريضة، ونَهَضات اندفاعها بطيئة، فكأنَّها تَجْذِب أعاليَهَا أسافِلُها، تخاف على خصرها التَّقطُّع إن تبسَّطَتْ في المَشْي، أو تسرَّعَتْ في القصد.

وقوله: «تسيب انسيابَ الأينِ»، فالأينُ: الجانُّ من الحَيَّات. ويروَى «الأيم» أيضًا، وهي الحيَّة. والحيَّةُ لا تصبر على البرد؛ لأنه إذا أثر فيها يبِسَ جِرمُها فتكسَّرَت، فيقول: هي تنسابُ أي تتدافَعُ في مشيها تَدافُعَ الحيَّة وقد أثَّر فيها النَّدَى فخَصِرَت وأخذَتْ من جرمها وأعطافِها ما أطاعها وأمكنها؛ كأنَّ الحيَّة وقد خَصِرَت شَقَّ عليها ما ينالُها من خَصَر النَّدَى وبَردِهِ، فهي في انسيابِها تَجافَى عن الأرض جُهْدَها. ويقال: ساب وانساب بمعنًى واحد. وفي القرآن: ﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٣]. قال الدُّرَيْديّ: ساب الماءُ، إذا جرى.

٤٩٠ ـ وقال آخر(١): [الكامل]

١ ـ أَبَـتِ الـرَّوادِفُ والـثُّـدِيُّ لِقُـمْـصِـهَـا مَـسَّ الـبُـطُـونِ وأن تَـمَـسَّ ظُـهُـورَا

٢ ـ وإذَا الـرِّيـاحُ مع الـعَـشِـيِّ تـنـاوحَـتْ نَـبَّـهْـنَ حـاسـدةً وهِـجْـنَ غَـيُـورَا

لفَّ في البيت الأول الخبرَين لفًّا، ثم رمَى بتفسيرهما جملةً، ثقةً بأنَّ السامع لكلامه يرُدُّ إلى كلٍّ مالَهُ، وذلك لأنه قال: «أبتِ الرّوادف والثُّدِيّ لقمصها»، فجمع بين ما يكون خَلْفًا وقُدَّامًا من الرِّدْف والثَّدي، وهو يريد أن يصفَها بأنها ناهدةُ الثَّديين، دقيقةُ الخصر، لطيفةُ البَطْن، وأنها عظيمةُ الكَفَل والرِّدْف، فالثُّديّ تمنع القُمصَ أن تلتصِق ببطنها، والرِّدْف يمنعُها أن تلتصق بظهرها، فبيَّن في التفسير في عجز البيت ما لفَّه في صَدره كما ترى.

وقوله: «وإذا الرِّياحُ مع العشيّ تناوحت»، يريد: وإذا دنَتْ الأُصُلُ وهَبَّت رياحُ الصيف، فتقابلت ريحانِ كالشمال والجَنُوب، أو الصَّبا والدَّبور، وابتردت هذه، التصَقَ مِن درعها ببطنها وظهرِها ما كان يمنعُه ثديُها ورِدفُها قبل هُبوبها، وظَهَر من

(١) البيتان بلا نسبة في الحماسة البصرية ٢: ٩١، وأمالي القالي ١: ٢٣، وفي اعتلال القلوب ١٦١، وأخبار النساء ٢٠٦.

مَحاسنها ما ينبّه الحاسدَ ويهيّج الغيور، لأنّ ما خَفِيَ منها ظَهر للعيون والمَناظر، فالغيور يَكْرَه، والحاسد يتنبّه. وقوله: «وأن تَمَسَّ» جاز انعطافُه على «مَسّ البطون» لكونِ العامل والمعمول فيه في موضعِهِ ومعناه. والبطونُ في موضع المفعول؛ لأنَّ المصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل، والبطون مع لفظ مسّ، كظهورًا مع أن تمسّ.

٤٩١ ـ وقال بكرُ بن النَّطّاح(١): [الكامل]

١ ـ بَيْضَاء تسحَبُ من قيامٍ فَرْعَها ... وتَغيبُ فِيهِ وهو وَحْفٌ أسْحَمُ

٢ ـ فكأنَّها فيه نَهارٌ ساطِعٌ ... وكأنَّه ليلٌ عليها مُظْلِمُ

وصف شعرها بالطول، وكثرة الأصول، فإذا قامت سحبَتْه، وإذا أرسلَتْه ستَرَها فتغيب فيه، وهو مع ذلك شديد السَّواد، مسترسِلٌ في جُعُودةٍ واردٌ في جُثُولة، فكأنَّها لشدَّة بياضها إذا تغشَّاها نهارٌ يَسْطع من خَلَل الظَّلام، وكأنّ شَعَرها لشدَّة سوادِهِ عليها، ليلٌ مظلم تغَشَّى بياضَ نهاره.

٤٩٢ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ تأمَّلْتُها مُغْتَرَّةً فكأنَّما ... رأيتُ بها من سُنَّةِ البَدْرِ مَطْلَعَا

٢ ـ إذَا مَا مَلأتُ العينَ منها مَلأتُها ... من الدَّمْعِ حتى أُنْزِف الدَّمْعَ أجْمَعَا

يقول: نظرتُ إليها على غرَّةٍ منها اختلستُها، وغَفلةٍ ترصَّدْتُها، فكأنّني رأيتُ بها بدرًا طالعًا، وسُنَّة البدر، أراد وجهَه. ويقال: اغترَّ فلانٌ، إذا فوجئ من غِرّة.

وقوله: «إذا ما ملأت العين منها ملأتُها من الدمع»، يقول: إذا تزوَّدَتْ عيني من حُسْنِهَا فنظرَتْ في أعطافها، امتلأتْ متحيِّرة من جمالها، كما يتحيَّر ظرفُ الماء، إذا امتلأ منه؛ وإنما قال: «ملأتُها من الدمع» لأنّه كان ينقطع وُصَلُ تحمُّله، وتنحلُّ عُقَد تجلُّده، وَجْدًا بها، وتحسُّرًا فيها. والذي يدلّ على أنّ نظرَه لم يكن عن اتِّفاق أنّه قال: تأمّلْتُها مُغْتَرَّةً، ومعنى «أُنزف الدمع»: أُفْنِيهِ كلَّه. يقال: نزَفْتُ الماءُ وأنزفتُه بمعنًى واحد.

---

(١) بكر بن النطّاح: من شعراء بني حنيفة بن لجيم، وكان صعلوكًا يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك، وكان شجاعًا بطلًا فارسًا كثير الوصف لشجاعته وإقدامه (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٨م). ترجمته في فوات الوفيات ١: ٧٩، والبداية والنهاية ١٠: ٢٠٨.

٤٩٣ ـ وقال كثيّر[١]: [الطويل]

١ ـ وددتُ وما تُغْنِي الوِدَادَةُ أنَّنِي ... بما في ضميرِ الحاجبيَّةِ عالِمُ
٢ ـ فإنْ كانَ خيرًا سَرَّني وعَلِمْتُه ... وإنْ كانَ شرًّا لم تَلُمْني اللَّوَائِمُ

يقول: تمنَّيْتُ أنَّني عالمٌ بما ينطوي عليه قلبُ هذه المرأة لي، وما ينفع التمنّي إذا لم يُساعِد القَدَر. وقوله: «وما يغني الوِدَادَة» اعتراضٌ بين ودِدْت ومفعوله، وهو أنّني. ويقال: وددتُ وَدادةً ووِدادة، بفتح الواو وكسرها. وقوله: «فإنْ كان خيرًا»، يريد: فإن كان ما تضمره لي ودًّا صافيًا، وميلًا ناصعًا سرَّني ذلك وسكنتُ إليه، فلا يذهبُ ما أتكلّفه في هواها باطلًا، وإنْ كانَ ما تُضمره وتنطوي عليه اعتراضًا خالصًا، وجفاءً مُرًّا، قَتَلْتُ نفسي وأرحتُها من لَوْم اللائمات. وقوله: «وعلمته»، اكتفى بمفعول واحدٍ لأنّه بمعنى عرفته.

٣ ـ وما ذَكَرَتْكِ النَّفْسُ إلّا تفرَّقَتْ ... فريقَيْنِ منها عاذِرٌ لي ولائمُ[٢]

يقول: ما أخطَرتُها ببالي على ما أُقاسي فيها، ويُوافيني من اطِّراحها وزُهدها إلّا تفرَّقَتْ نفسي فريقين: ففريق يَعْذِرُني ويقول: إنَّ مثلها في كمالها وظَرفها وحَسَبها ومَنْصبها، وشرفها وسَرْوِها، يَصْبِرُ على كل أذًى يَعْرِض في اكتسابها ويُعْتَلق على جميع عِلّاتها، احتفالًا باسمها في العُشّاق، وتكثُّرًا بمكانها بين ذوي الأهواء. وفريقٌ يلومني، ويقول: إنّك جاهلٌ بمالَكَ وعليكَ، مبتذِلُ الرُّوح في هوًى من لا يُشْفِقُ عليك ولا يرفق بك، ولا يرجع إلى شيءٍ مما تُؤْثره، وإن امتدَّ مَدَى ذهابِها عنك. وهذا قالَه على عادةِ النّاس فيما يَهُمُّون، وتَردُّهم بين ما يقوّي العزمَ عليه وبين ما يضعِفه، فجعَلَ كلَّ واحدٍ منهما كأنّه نَفْسٌ على حِيالها.

٤٩٤ ـ وقال أيضًا: [الطويل]

١ ـ وأنتِ التي حَبَّبْتِ شَغْبًا إلى بَدَا ... إلَيَّ وأوطاني بلادٌ سِوَاهُمَا[٣]

---

(١) كثيِّر بن عبد الرحمٰن بن جمعة الخزاعي، صاحب عزّة، وأحد فحول شعراء الإسلام، وكان غاليًا في التشيّع معروفًا بالحمق (ت ١٠٥هـ/ ٦٢٣م). ترجمته في الأغاني ٨: ٢٥، والشعر والشعراء ٤٨٠.

(٢) بعده عند التبريزي:
«فريقٌ أبى أن يقبلَ الضيمَ عنوةً ... وآخرُ منها قابلُ الضيمِ راغمُ»

(٣) بعده عند التبريزي:
«إذا ذرفت عينايَ أعتلُّ بالقذى ... وعزّةُ لو يدري الطبيبُ قذاهما»

٢ ـ وحَلَّتْ بهذا حَلّةً ثم أصبَحَتْ   بهذا فطابَ الواديانِ كلاهُما(١)

خاطبَها في البيت الأول مُعْتَدًّا عليها بأنَّه كما آثَرَها على أهلِه وعشيرتِه، آثَرَ بلادَها على بلاده، فذكر طرفَيْ مَحالِّها فقال: أحبُّ لك وفيك شَغْبًا إلى بَدَا، وبلادِي بلادٌ غيرها. ثمَّ أخبر عنها في البيت الثاني فقال: ونزَلَتْ بهذا ـ يشير إلى شَغْبٍ ـ نَزْلَةً، ثم أصبحَتْ ببَدَا، ففاح الواديانِ وتضوَّعَا بريَّاها. ومثله قولُ الآخر: [المنسرح]

اسْتَوْدَعَتْ نَشْرَهَا الرِّياضَ فما   تَزْدَادُ إلّا طِيبًا على القِدَمِ

ومثله أيضًا: [الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نَعْمانَ أنْ مَشَتْ   به زَيْنَبُ في نِسْوَةٍ خَفِرَاتِ(٢)

٤٩٥ ـ وقال نُصَيب(٣): [الطويل]

١ ـ لقد هَتَفَتْ في جِنحِ ليلٍ حَمَامَةٌ   على فَنَنٍ وَهْنًا وإنّي لنائِمُ

٢ ـ كذبْتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقًا   لَمَا سَبَقَتْنِي بالبُكاءِ الحمائِمُ

هتَفَت: صاحَت. في جُنح اللّيل، أي: فيما مالَ من اللّيل. والفَنَن: الغُصْن. وَهْنًا: بعد ساعةٍ من الليل. يقول: جَدَّدَتْ لي حمامةٌ بتغريدِها وَجْدًا وصبابةً، وهي على غُصْنٍ فيما مالَ من الليل، وإني لساكنٌ نائمٌ، ولو كنتُ عاشقًا وحقِّ بيتِ اللهِ لَمَا سبقَتني الحمائم بالبُكاء، لكني كاذبٌ في دعوايَ متزيِّدٌ. وهذا كلامُ مستقصِرٍ فيما هو عليه، مستزيدٍ لنفسه فيما يُجْرِي إليه، يصوِّرها بصورةِ المتشبِّع بما ليس فيه. وهذه الطريقة زائدةٌ على طريقة الملتذِّ بالهوى. وقوله: «لَمَا سَبَقَتَني» على عادتهم فيما يعتقدون من شَجْوِ الحمام. لذلك قال أبو تمام: [الكامل]

لا تَشْجَيَنَّ لها فإنَّ بُكاءَها   ضَحِكٌ وإنَّ بُكاءَكَ استغرامُ

---

(١) التبريزي: «بأخرى فطاب الواديان».

(٢) البيت لعبد الله بن نمير الثقفي في اللسان (ضوع)، وإصلاح المنطق ٢٨٧.

(٣) نُصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، كان شاعرًا فحلًا مقدّمًا في النسيب والمديح وهو نصيب الأكبر (ت ١٠٨ هـ/ ٧٢٦ م). ترجمته في الأغاني ١: ٣٢٤، والنجوم الزاهرة ١: ٢٦٢.

وسلَكَ مسلكَ نُصَيْبٍ عديُّ بنُ الرِّقاع فيما أظنُّ، فقال[١]: [الطويل]

فلَوْ قبلَ مَبْكاها بكيتُ صبابةً ... بِلُبْنى شَفَيْتُ النفس قبل التندُّمِ

ولكنْ بكتْ قبلي فهاجَ لِيَ البُكَا ... بُكاها فقلتُ الفضلُ للمتقدِّمِ

وقوله: «لَمَا سَبَقَتْني بالبكاء الحمائم»، اشتمَلَ على جواب اليمين، وعلى جواب لو.

٤٩٦ ـ وقال الشَّماطِيطُ الغَطَفاني[٢]: [الوافر]

١ ـ أَرَارَ الله مُـخَّـكِ فـي الـسُّـلَامَـى ... إلَى مَـنْ بـالـحَـنِـيـنِ تـشـوِّقِـيـنـا[٣]

٢ ـ فـإنِّـي مِـثْـلُ مـا تَـجِـدِيـنَ وَجْـدِي ... ولـكـنِّـي أُسِـرُّ وتُـعْـلِـنِـيـنـا

٣ ـ وبِـي مِـثْـلُ الـذي بـكِ غـيـر أنّـي ... أُجَـلُّ عـن الـعِـقَـالِ وتُـعْـقَـلِـيـنـا

قوله: «أرارَ الله» يخاطب ناقَته ووجدَهَا تحنُّ، فقال داعيًا عليها: جعَلَ الله مُخَّكِ رِيرًا. والرِّير: الرَّقيق من المخّ. والقَصْدُ في الدُّعاء إلى أن يجعلَها نِضْوًا مهزولًا، وخَصَّ السُّلامَى لأنّها والعينَ آخرُ ما يبقَى فيه المخُّ عند الهُزال. لذلك قال الشّاعر: [الرجز]

لا يَـشْـتَـكِـيَـن ألَـمًـا مـا أنْـقَـيْـنْ ... ما دامَ مُخٌّ في السُّلامَى أو عَيْنْ[٤]

وقوله: «إلى مَن بالحَنِينِ تشوِّقينا»، يجوز أن يكون إنكارًا منه على النّاقة في حنينها، ويجوز أن يريدَ تفخيمَ شأنِ المشتاق إليه، كأنّه قال: تشوّقيني بحنينِك إلى إنسانٍ وأيِّ إنسان، ويكون «مَنْ» اسمًا نكرةً، ويكون الكلام خَبَرًا، وفي الأوّل يكون استفهامًا. وإنّما أنكرَ ضَجَرًا بها، لأنّه لم يَدْرِ أحنينها إلى ولدٍ أو وطن أو صاحب.

وقوله: «فإنّي مثلُ ما تجِدِينَ» يجوز أن يكون «وجدي» في موضع النَّصب، على أن يكون بدلًا من المضمر في إنّي، ويكون مثلُ في موضع خبر إنَّ، فكأنّه قال: إنَّ وَجْدِي مثلُ ما تجدين، ويجوز أن يكون وجدي في موضع الرَّفع على الابتداء،

---

(١) الأبيات في الكامل ٥٠٤ (ليبسك)، والتبريزي ٢:٧٧٨.
(٢) التبريزي: «وقال آخر». (٣) التبريزي: «على من بالحنين تعوّلينا».
(٤) الرجز لأبي ميمون النضر بن سلمة العجليّ في اللسان (سلم، نقا)، وبلا نسبة في اللسان (ملح، مخخ، ليل، قفا، نقا)، وديوان الأدب ٤:١٠٥.

ومِثْلُ خَبَرٌ له مقدَّم، والجملة في موضع خبر إنَّ، كأنّه قال: إنّي وجدي مثلُ ما تجدين.

وقوله: «ولكنّي أسِرُّ وتُعْلنينا»، يريد إنَّ عقلي يُمْسِكني، وإنْ كان وَجدي مثل وَجْدِكِ وبَرْحِي مثل بَرَحِك، عن إظهار التألُّم، وفي القلب ما فيه، وأنت تُعْلِنينَ وتَصيحين.

وقوله: «وبي مثلُ الذي بك» يقول: إنّ نِزاعي مثلُ نزاعك، ولكني يُؤْمَنُ منّي أن أهيمَ على وجهي، إذْ كنتُ أضبِطُ نفسي بما أُعطيتُ من تمييزي وإبقائي، وأنت تُعْقَلِينَ مخافَةَ أن تَنِدّي على وجهكِ؛ إذْ لا مُسْكَةَ بك، ولا رِقبَةَ لك، ولا حياءَ يردَعُك، ولا رِعَةَ تُمسِكُكِ.

٤٩٧ ـ وقال(١): [الطويل]

١ ـ ولَمّا أَبَى إلّا جِماحًا فؤادُه ... ولم يَسْلُ عن لَيلَى بمالٍ ولا أهْلِ
٢ ـ تَسَلَّى بأُخرَى غيرِها فإذا الَّتِي ... تَسَلَّى بها تُغري بلَيلَى ولا تُسْلِي

يقول: لمّا عَصَى قلبه وتأبّى إلّا جِماحًا في لَجاجته، وخُروجًا عن طاعته، ولم تنصرف نَفْسُه عن ليلَى شُغْلًا بتثمير مال، وترقيح عيش، ولا بإرضاءِ أهلٍ واستصلاحِ عشيرة، أخَذَ السُّلُوَّ عنها في مُواصلةِ غيرِها من النِّساء وشَغْلِ القلبِ بحبِّها دونها، فإذا الَّتي طلبَ التَّسلّيَ بها تبعثُ على الرُّجوع إلى لَيْلى، وتحضُّ على تَرْك الإيثار عليها، لأنّه يَظهرُ من زيادات محاسنها، وأنواعِ ما تَوحَّدت به من فضائلها، ما يدعُو إلى التشبُّث بها، وعِمارةِ هواها. وجواب لمّا أبى «تَسَلَّى». والجِماح من قولهم: جَمَحَ الفَرَسُ، إذا جرى جَرْيًا غالبًا لراكِبه. وقوله: «فإذا التي تَسَلَّى بها» إذا هي هذه التي للمفاجأة، ومن الظروف المكانيّة لا الزّمانيّة، وما بعده مبتدأ وخبر، فإنّه لم يُجْعَل مستقرًّا.

٤٩٨ ـ آخر(٢): [الطويل]

١ ـ عَجِبْتُ لبُرْئي مِنكِ يا عَزُّ بَعْدَمَا ... عَمِرْتُ زَمانًا منكِ غيرَ صَحِيحِ

---

(١) التبريزي: «وقال آخر»، والبيتان بلا نسبة في الزهرة ١: ٧٨، وذم الهوى ٣٥٣، ولمجنون ليلى في مصارع العشاق ١: ٢٢٥، وديوانه ٢٣١، ولابن الدمينة في ديوانه ٢٤.
(٢) التبريزي: «وقال آخر، وهو كثيّر».

٢ ـ فإنْ كانَ بُرْءُ النَّفْسِ لي مِنْكِ راحةً فقد بَرِئَتْ إنْ كان ذاكَ مُرِيحِي
٣ ـ تَجلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ عَنّي ولم يَكَدْ غِطاءُ فُؤَادِي يَنجَلِي لِسَرِيحِ

يقول: قضيتُ العجبَ من انصراف قلبي عنكِ، وبُرْئي من الدَّاء فيك، بعد ما بقيت زمانًا مبتَلَى النَّفس في هواكِ، عليلَ القَلْبِ بوجدك، مُبَرَّحًا بي حبُّكِ؛ فإنْ كان برءُ النَّفس يُعْقِبُ لي راحةً منكِ وفي هواك فقد بَرِئَتْ والرَّاحة منتظَرَةٌ، إنْ كانتْ من نتائجِهِ ومسبّباته. ثم قال: «تجلَّى غطاءُ الرَّأس»، يريد: شِبْتُ واستَبْدَلْتُ بلونِ رأسِي وسوادِ شعري لونًا آخرَ حديثًا، فكأنَّ المتقدِّم كان كالغطاء على رأسي، تكشّف بالتَّأنّي، ولم يكَدْ ما تَغشَّى قلبي من حُبِّكِ ينكشف بالهُوَيْنَى.

فإنْ قيل: في ظاهر هذا الكلامِ تَناقُضٌ، لأنَّ القائلَ إذا كِدْتُ أفعلُ كذا معناه شافَهْتُ فِعْلَهُ وشارفْتُه، ولا يكون قد فَعَلَهُ؛ وإذا قال: لم يكد فُلَانٌ يفعلُ كذا، معناه يَقْرُب وقوعُ ذلك منه. فإذا كان كذلك فقد نَفَى عن نفسِه ما أثبتَه بقوله: «تَجلَّى غطاءُ الرَّأس»، لقوله: ولم يكَدْ غطاءُ فؤادي ينجلي لسريح. قلتَ: لو أمسك عندَ قوله: «ولم يكدْ غطاءُ فؤادي ينجلِي» لكان الأمرُ على ما قلتَ، لكنَّه لما قال: «لسَريح» بيَّن أنَّه لم يَكُنْ عن سهولة وبعجلةٍ، وقِلّة تَعَبٍ ومشقَّةٍ، فنَفْيُه في الحقيقة لقِلَّة التَّعب والسُّهولة لا للانجلاء، وإذ كان كذلك يكونُ الغطاء قد انْجَلَى عن القلب، لكنَّه انجلَى بعد طُولِ مزاولةِ نَصَب، ومقاساةِ كَمَدٍ، وعن شدَّةِ تَفَاقُم، وبَلاءِ مُلَازِم. ويقال في الدُّعاء للمرأةِ إذا طُلِقت عند الوِلادة: اللَّهُمّ اجْعَلْهُ سَهْلًا سَرْحًا. فالسَّراح والتَّسريح والسَّريح كلُّها في طريقٍ واحد، وهو السُّهولة والعجَلة. ويقال: سَرَّحَه اللهُ تعالَى للخَيْر، أي وفَّقهُ له وعَجَّله. وفي المثل: «السَّرَاحُ من النَّجاح».

٤٩٩ ـ وقال عُرْوَةُ بنُ أُذَيْنَةَ(١): [البسيط]

١ ـ إلفَانِ يَغْنِيهما لِلْبَيْنِ فُرْقَتُه ولا يَمَلَّانِ طُولَ الدَّهرِ ما اجْتَمَعَا(٢)
٢ ـ مُسْتَقْبِلانِ نَشَاصًا مِنْ شَبَابِهِما إذَا دَعَا دَعْوَةً دَاعِي الهَوَى سَمِعَا
٣ ـ لا يُعْجَبَان بقولِ الناسِ عَن عُرُضٍ ويُعْجَبَان بما قالا وما صَنَعَا

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٦٣). (٢) التبريزي: «تعنيهما».

البين يقع على وجوهٍ: أحدهما أن يكون مصدرَ بان يَبين بَيْنًا وبينونة. والثاني أن يكون ظرفًا، تقول: بين القوم كذا، وهو لشيئين يتباينُ أحدُهما عن الآخر فصاعدًا. والثالث: أنْ يفيد معنى الوَصْلِ، على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعَام: الآية ٩٤]. ألَا تَرَى أنَّ معناه تَقَطَّعَ وصلُكم، ولا يصحُّ أن يكون المراد تقطُّع افتراقُكم، لفساد المعنى. وعلى هذا قولهم: سَعَى فلانٌ لإصلاح ذاتِ البين من عشيرته؛ لأنَّ المراد إصلاحُ الوصل لا الافتراق. والذي في البيت هو الثالث، لأنَّ المعنى: هما متحابّان قد أَلِفَ كلٌّ منهما صاحبَه، والذي يهُمُّهما ويَعْنِيهما للوَصل ما يُخْشَى تعقُّبه له من الفُرْقة، فخوفُهما منها وفكرُهما فيها، ولا يكتسبان مَلالًا من اتِّصال الاجتماع طُول الدهر. فقوله: «طولَ الدهر» يجوز أن يكون مفعول يملّان، أي: لا يملّان تطاوُلَ الوقت إذا اجتمعا، ومدَّةَ اجتماعهما. ويجوز أن يكون طول الدهر ظرفًا، وما اجتمعا مفعول يملّان، أي لا يملّان الاجتماع طول الدّهر. وقوله: «مستقبلان نَشاصًا»، فالنَّشاص أصلُه السَّحاب إذا ارتفعَ من قِبَل العَيْن حِينَ يَنشأ ويَغلو، فاستُعير هنا لما يُقتَبَلُ من الشَّباب وأيَّام الصِّبا واللَّهو؛ كأنَّه يمطُرُهما النَّشاطَ والسُّرور كما يمطُر السَّحابُ الغيثَ. وجعَلَ ذلك فيهما بحيثُ يسمعان قريبًا دُعاءَ مُنَادِي اللَّهو ويحيِّيانه؛ لأنَّ الوقت وقتُ التَّصابي والبَطَالة. وإلى هذا أشارَ أبو نُواسٍ في قوله: [البسيط]

قَدْ عَذَّبَ الحُبُّ هذا القلبَ ما صَلَحَا فَلَا تَعُدَّنَّ ذَنْبًا أن يُقَالَ صَحَا

وقولُه: «لا يُعْجَبَان بقَوْل النَّاس عن عُرُضٍ»، هو من قولهم: نَظَرْتُ إليه عن عُرُضٍ، أي عن ناحية. والمعنى: أنَّه لا يُعْجِبها من مَقال الناسِ وفَعَالهم شيءٌ، ولا يَأخذ قلبَهُما وعينَيْهما حديث ولا إبلاغٌ ممَّن كان عن ناحيةٍ وشِقٍّ، لكنَّ الحسنَ عندهما فيما يتفاوضانِه أو يتقارضانه، والإعجاب يتعلَّق بما يصنعانِه ويُؤْثِرانه؛ إذْ كان كلُّ واحدٍ منهما قد صار في مَلَكةِ هَوَى صاحبِهِ، وفي رِفاق قَبِيلِهِ، فلا يُبْصِرُ إلَّا بعَيْنه، ولا يَسْمَعُ إلَّا بأُذُنه.

٥٠٠ ـ وقال(١): [الطويل]

١ ـ ولَمَّا بَدَا لي منكِ مَيْلٌ مَعَ العِدَى سِوَايَ ولم يَحْدُثْ سِوَاكِ بَدِيلُ

---

(١) التبريزي: «وقال آخر»، وفي أمالي القالي ٤: ٦٦ لجميل، وهما في ديوانه ١٦٣.

٢ ـ صَدَدْتُ كما صَدَّ الرَّمِيُّ تطاولَتْ ... به مُـدَّةُ الأيَّـامِ وَهْـوَ قَتِيلُ

قال سيبويه: معنى سِوَى بَدَل ومكانَ تقول. عندي رَجُلٌ سِوَى زَيْدٍ، معناه: ومكان زيد وبَدل زيد، وعلى ما فَسَّرَهُ يكون معنى البيت: ولمَّا بدا لي مَيْلُك مع الأعداء بَدَلَ مَيْلِكِ إليَّ ومكانَ مَيْلِكِ، ولم يَحْدُثْ لي بَدِيلٌ مكانَكِ وعِوَضًا منك أعرضْتُ عنك إعراضَ المرميِّ من الصَّيد المصابِ بسهم الصَّيَّاد، وهو قتيلُه، لأنّ الإصابةَ عَمِلتْ عَمَلَها، لكنَّ المدَّةَ تطاولَتْ به، فهو رهينٌ بإصابته. يريد: صددتُ عنك) صدودَ يأس لا صدودَ مَقْلِيَةٍ، وأنا أعلم أنّ هواكِ قاتلي كهذا المرميِّ الذي لا يُشَكُّ في كونه قتيلًا وإن طال نَفَسُ مُهْلَتِهِ، ومُدَّ من أَمَد منيَّتِهِ.

٥٠١ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَحُبًّا على حُبٍّ وأنتِ بَخِيلَةٌ ... وقد زَعَمُوا أَنْ لا يُحَبُّ بَخِيلُ

٢ ـ بَلَى والَّذي حَجَّ المُلَبُّونَ بَيْتَهُ ... ويَشْفِي الهَوَى بالنَّيلِ وهو قَلِيلُ

٣ ـ وإنَّ بِنَا لو تَعْلَمِينَ لَغُلَّةً ... إليكِ كما بالحائماتِ غَلِيلُ

الألف من قوله: «أَحُبًّا» لفظُه الاستفهام ومعناه التَّوبيخ. وانْتَصَبَ حُبًّا بإضمارِ فِعْلٍ؛ كأنَّه قال: أتجمعين عَلَيَّ حُبًّا على حُبٍّ، أو أتزيدينني حبًّا بعد حُبٍّ، مع بُخْلِك وإيثارِ زهدِك، وعند النَّاس وفي أحكامهم واعتقادهم أنَّ البخيلَ لا يكون محبوبًا، كأنَّه عاتَبَها وقرَّعها من أمر الذي بينهما، وأنَّهما من أجْلِه في طَرَفَيْ نقيض، وفي لَوْنٍ من العِشْق طريف، وذلك أنَّ معاملتَها له معاملةُ من لا يتندَّى عليه ولا يرحمُه، ولا يتسَخَّى بشيءٍ له، وأنَّ جَذْبَها إيَّاهُ في الهوَى جَذْبُ مَن لا يكتفي معه بعفوه حتَّى يجهدَهُ ويزيدَه وجدًا على وَجْدٍ، وألَمًا بعد أَلَمٍ. قال: هذا حَالِي معك، وفي زَعَمَاتِ النَّاس أنَّ القُلوبَ جُبِلَتْ على حُبِّ المحسنين الباذلين، لا المسيئين الباخِلين، ثمَّ استَدرك فقال: بلى واللهِ المحجوجِ بيتُه، المعظَّمِ حَرمُه، المُداوِي من داءِ الهوى باليسير الخفيف من النَّيْل، إنَّ البَخيلَ ليُحَبّ. ودَلّ على المُقْسَمِ له بقوله: «وإنّ بنا لو تعلمين لغُلَّةً»، وهي حرارةُ العطَش، كما يكون غُلَّةُ الحائمات، وهي الطُّيور التي تحوم على الماء وتدور من شِدَّة العطَش ثمَّ تقعُ عليه، وقد تكون العِطاشَ أنفسَها. وقوله: «وأنت بخيلَةٌ» الواو واو الحال. وقوله: «ألَّا يُحَبّ» إن شئت جعلت أن النَّاصبة للفعل فنَصَبْتَ يُحَبَّ به، وإن شئتَ جعلتَه المخفَّفةَ من الثَّقيلة فيرتفع يُحَبُّ، يريد: أنَّه لا يُحَبُّ. ثم قال: بَلَى، وهو جوابُ استفهامٍ مقرونٍ بنَفْي. على ذلك قولُ

الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]؛ كأنّه قيل له مُسْتَفهِمًا منه: أيحبُّ البَخِيلَ المُمْسِكُ؟ فقال: بَلَى وأقْسِمُ أيضًا، تأكيدًا. والحَجُّ: القَصْد. والنَّيْلُ: مصدر نِلْتُه أنالُه. وقوله: «لو تعلمين» كالعُذْر لها، وقد أقامه مستعطِفًا، يُصَوِّرُها بأنها لو عَلِمَتْ ما به كانت لا تستجيزُ ما يَجْرِي عليه.

٥٠٢ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ إذا كُنتَ لا يُسْلِيك عَنْ مَنْ تَوَدُّهُ تَنَاءٍ ولا يَشْفِيكَ طُولُ تَلَاقِ(٢)

٢ ـ فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ حُشَاشَةً لِمُهْجَةِ نَفْسٍ آذَنَتْ بِفِرَاقِ

يخاطبُ نفسَه متوجِّعًا لها، ومستوحِشًا من الحالة التي مُنِيَ بها، فيقول: إذا لم تستوفِقْ مع من تحبُّه التباعُدَ عنه، وأَخْذَ النَّفْس بالتفَصّي منه، لِيُورِثَك سُلُوًّا دونه، ولم يقرِّب شفاءَك من الدَّاء فيه طولُ الاجتماع معه، واتِّصالُ التردُّد منه، والمريض في العُرْف والعادة إذا اشتكى من دواءٍ عُولِجَ به نُقِلَ إلى ما يُضادُّهُ، فإنْ لم يُغْنِ سُلِّمَ لعلّته، فكذلك أنتَ إذا لم يَنْفَعْكَ فيما تقاسيه لا التَّنائي ولا التَّداني، فما ذاك إلّا غَرامٌ، وما أنتَ فيه إلَّا مستعيرٌ حشَاشَةً، وهي رُوح القَلْبِ، ورمَقٌ من حياة النَّفْس وقد آذَنَتْ بالمفارقة. والمُهْجَة: خالِصَةُ النَّفْس؛ ومنه لَبَنٌ أُمْهُجَانٌ.

٥٠٣ ـ وقال عبدُ اللهِ بن الدُّمَيْنَة(٣): [الطويل]

١ ـ أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتِ مِن نَجْدِ فقد زادني مَسْرَاكِ وَجْدًا على وجدِ(٤)

٢ ـ أَأَنْ هَتَفَتْ وَرْقاء في رَوْنَقِ الضُّحَى على فَنَنٍ غَضِّ النَّباتِ من الرَّنْدِ

٣ ـ بَكَيْتَ كما يَبْكِي الوَلِيدُ ولم تَزَلْ جَلِيدًا وأبدَيْتَ الذي لم تَكُنْ تُبْدِي

الصَّبَا: القَبول. يقال: صَبَتِ الرِّيح تَصْبُو صُبُوًّا. ومتى هجتِ، أي: متى ثُرْتِ واهْتَجْتِ. يقال: هاجَ الفَحْلُ والرِّيحُ هِيَاجًا. وهم يخاطبون الرِّيحَ والبَرْقَ إذا كانا من نحوِ أرضِ المحبوب. فيقول: متى اهتَجْتِ من أرَضِي نَجْدٍ فقد زادني سَيْرُكِ شَوْقًا، وجَدَّدَ لي هُبُوبكِ على ما كنتُ أكابِدُه من الوَجْدِ وَجْدًا.

---

(١) البيتان في الحماسة البصرية ٢:١٣٦، والوافي ٢٢:٣٧٤ لعليّة بنت المهدي، وهما للعباس بن الأحنف في ديوانه ٢٠٣، وبلا نسبة في المصون في سر الهوى المكنون ١٥٦.

(٢) التبريزي: «عمّا تودّه».

(٣) التبريزي: «الخثعمي»، وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٥٦).

(٤) التبريزي: «لقد زادني».

وقوله: «أَآنْ هَتَفَتْ» يخاطبُ نفسَه مبكِّتًا، فيقول: أَلِأَنْ صاحت حمامةٌ ورقاء في أوّل الضحى واقِعةٌ على غُصْنٍ غَضٍّ من شجر الرَّنْد بكَيْتَ بكاءَ الصَّبِيِّ إذا أعياه مطلوبُه، وأظهَرتَ العجزَ عمّا حُمِّلتَه، وعَهْدُ النّاسِ بك فيما مضى من أيّامك ولم تَزَلْ ثابتَ القَدَمِ فيما ينوبُك، دائمَ الصبرِ على بلواكَ، إنَّ هذا منكَر.

٤ ـ وقد زَعَمُوا أنَّ المُحِبَّ إذا دَنَا يَمَلُّ وأنَّ النَّأيَ يَشْفِي من الوَجْدِ
٥ ـ بكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فلم يَشْفِ ما بِنَا على ذاكَ قُرْبُ الدَّارِ خيرٌ من البُعْدِ
٦ ـ على أنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بنافعٍ إذا كان مَن تهواهُ ليس بذي وُدِّ(١)

يقول: زعم الناسُ أنَّ الاستكثارَ من المحبوب والتَّداني منهُ يُكسِب المُحِبَّ مَلالًا، وأن الاستقلال من زيارته والتّنائيَ عن محلِّه ودارِه يُنتج له سُلُوًّا، فداويتُ بكلِّ واحدٍ من ذلك فلم يَنْجَعْ؛ إلّا أنّه على الأحوال كلِّها وجدتُ قُرْبَ الدار منه خيرًا من بعدها عنه، لِمَا تُوَسْوِسُ به النَّفسُ في الوقتِ بعد الوقت من طَمَعٍ فيه، ولتَطَلع المجاورين له، وتجدُّدِ الحديث عنه، إلى كثير مما يُعْدَم في البِعاد. ثمَّ رجَعَ فيما أَعْطَى فقال: على أنَّ تقارُبَ الدِّيار لا يكاد ينفع إذا كان المحبوب لا وُدَّ له، ولا مَيْلَ له. ويُرْوَى: «ليس بذي عهد»، أي لا يبقَى على ما عُهِدَ عليه.

٥٠٤ ـ آخر(٢): [الوافر]

١ ـ إذا ما شِئْتَ أنْ تَسْلَى خليلًا فأكْثِرْ دونَهُ عَدَدَ اللَّيالي
٢ ـ فما سَلَّى خَلِيلَكَ مِثْلُ نَأْيٍ ولا بَلَّى جَدِيدَكَ كابتذالِ

معناهما ظاهرٌ بما تقدَّم، ويقال: سَلِيتُ، بمعنى سلوت. قال: [الرجز]

لو أَشْرَبُ السُّلوانَ ما سَلِيتُ(٣)

٥٠٥ ـ وقال آخر(٤): [الطويل]

١ ـ أَلَا طَرَقَتْنا آخِرَ الليلِ زينبُ عليكِ سَلامٌ هَلْ لِمَا فاتَ مَطْلَبُ

---

(١) التبريزي: «بذي عهدِ».
(٢) التبريزي: «وقال آخر»، وفي الحماسة البصرية ٢: ٢١٩ لزهير بن جناب، ولزهير بن الحباب الكلبي في ذمّ الهوى ٦٣٤، والبيت الأول في ديوان الصبابة ٢١٠.
(٣) لرؤبة في ديوانه ٢٥ ـ ٢٦، واللسان (سلا)، وللعجاج في ديوانه ٢: ١٨٥، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٤: ٦٧.
(٤) البيتان الأول والثاني ليزيد بن مفرغ الحميري في الأغاني ١٨: ٢٧٠، والثالث والرابع رويا=

٢ ـ وقالت تَجَنَّبْنَا ولا تَقْرَبَنَّنا فكيفَ وأنتم حاجَتي أتَجَنَّبُ

يقول: أَتَتْنا هذه المرأةُ سَحَرًا فقلتُ مسلِّمًا عليها: عليك سلامُ الله هل لما فاتَ من أيّام الوِصال والإقبال على الإحسان مَطلبٌ لي فأسأله. فقالت لي مجيبةً: جانِبْنا ولا تَدْنُوَنَّ مِنَّا. فقلتُ: أنّى يكونُ مني مجانبةٌ وأنتم في الدنيا حاجتي ومُنايَ، ولا اختيارَ مع الضرورة، كما أنه لا غِنَى عن الفاقة، هذا هو ظاهرُ الكلام. وقد رأيتُ من يفسِّره على أن المراد بآخر الليل آخرُ أيّامِ الشباب. وكان يَرْوِي: «عليكَ سلامٌ» بفتح الكاف، ويجعل الخطاب والتّسليم من المرأة للرَّجل، ويقول: إنما حيَّتْهُ بتحيَّة الموتى لتولِّي أيّامه، وتناهِي عُمْرِهِ، وقولُها: «هل لِمَا فات مَطْلب» من كلامها معاتبة، كأنها أنكرَتْ التعرُّضَ لها وقد فاتَه دالّةُ الشّباب، وشَفاعةُ النَّضارة والاقتبال، والأَوْلَى ما قدَّمْتُه.

٣ ـ يَقُولون هَلْ بعد الثَّلاثين مَلْعَبٌ فقلتُ: وَهَلْ قَبْلَ الثَّلاثين مَلْعَبُ

٤ ـ لقد جَلَّ خَطْبُ الشَّيبِ أَنْ كنتُ كُلَّمَا بَدَتْ شَيبَةٌ يَعْرَى من اللَّهوِ مَرْكَبُ

المضمَر في «يقولون» المتعصِّبون للمرأة والنَّاس، يريد: عيَّروني بتعاطي الصِّبا واللَّهْوِ واللعب، بعد تَقَضِّي الثلاثين من أيَّام عمري، فقالوا: هل بعد الثَّلاثين ملعب، أي لا ينبغي اللَّهْوُ لمثلك. فقلت لهم: وهل قبلَ الثَّلاثين ذلك. والمعنى: أنَّ مَن عَدَّ ما دون الثلاثين فهو في عداد الصِّبيان، لا يعرف اللّذات، ولا يصلُح للبَطالات. ويجوز أن يكون المراد: وهل تَسَهَّلَ لي قبل الثَّلاثين شيءٌ مِنْ مَبَاغِي اللَّهو واللّعب فيُنْكَرَ منّي طلبي إيّاه بعده.

وقوله: «لقد جَلَّ خَطْبُ الشَّيْب» لقد جوابُ يمين مضمَرة، ولك أن تروى «أنْ كنتُ كلّما»، والمعنى: لأن كنتُ كلّما، ولك أن تكسِر الهمزة فتكون إنْ المفيدة للشَّرط، والمراد: إن كنتُ كلّما بَدَت في رأسي لُمْعَةٌ من الشَّيب يلزم منها أن أعرِّيَ مَرْكَبًا من مراكب اللَّهو، فلقد عظمَ خَطْبُ الشَّيْبِ، ويكون جوابُ إنْ في قوله: «لقد جَلَّ خَطْبُ الشَّيب»، وكلّما في موضع الظَّرف.

٥٠٦ ـ وقال كُثَيِّر[١]: [الطويل]

١ ـ وَأَدْنَيتِنِي حَتَّى إذا ما فَتَنْتِنِي بِقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ[٢]

= منفصلين في ديوان الحماسة برواية الجواليقي وقد نسبهما إلى أشجع السلميّ.

(١) لقيس بن الملوّح في الأغاني ٢:١٤، والزهرة ٩٤، وأسواق الأشواق خ ٦٤ ظ، والواضح المبين ٣٠٨، وتزيين الأسواق ١١٩، وديوانه ٥٥.

(٢) التبريزي: «إذا ما ملكتني».

٢ ـ تَنَاهَيتِ عَنِّي حينَ لَا لِيَ حِيلَةٌ وغادَرْتِ ما غادَرْتِ بينَ الجوانحِ

يقولُ: توفُرتِ عَلَيَّ ولَطُفتِ لِيَ المقالَ والفعال، على تَطَلُّقٍ من وجهكِ، وهَشاشةٍ ظاهرةٍ منكِ، حتى أوقَعْتِني في حِبالتك، وخبَّبْتِ قلبي بكلامٍ يقرِّب البعيد، ويسهِّل العسير، ويُؤنس النافر، ويُطْمِع اليائس، فلمَّا استكملَ مرادُكِ فيَّ ضممتِ أطرافَكِ إليك، وقَبضتِ ما انبَسَط من أَمَلي فيك. والعُصْم: جمع أَعْصَم وعَصماء، وهي الوُعول الجبليّة التي في قوائمها بياض. وجواب «إذا» تناهيتِ عَنِّي. والمعنى: بعد ما كَسَبْتِنِي خَبَالًا، وجَلَبْتِ على عَقْلِي وقلبي فسادًا، كَفَفْتِ عنّي، وتباعدتِ منّي وقتَ أعْيَتْنِي الحِيلُ في الانفكاك، وتأبَّى تمازُجُ الهوَى وتلاصُقُه من الانسلاخ، وتركْتِ بين جوانحي ما تركتِ من وجدٍ متصل، وحزن دائم.

فإن قيل: إنَّ كثيّرًا عَلَمٌ في النَّسيب، فلِمَ لم يرضَ بإظهار التَّوجُّع من المعامَلة، والتَّألُّم من التهاجر والقطيعة، حتَّى اعتدَّ على صاحبته ذَنبًا. ونَسَبَ إليها خِيانةً ووِزْرًا؛ لأنَّ الذي وَصَفَ من افتنانها في افتِتان الرِّجال ليس من شأن العفائف؟ قلتَ: إنَّ كُثَيِّرًا لم يصِفْ صاحبتَه إلّا بصفة العفائف. ألَمْ تسمع قول الآخر: [الطويل]

بَرَزْنَ عَفَافًا واحْتَجَبْنَ تَسَتُّرًا وَشِيبَ بقولِ الحقِّ منهنَّ باطِلُ
فذُو الحِلْمِ مُرتابٌ وذو الجهلِ طامِعٌ وهُنّ عن الفحشاءِ حِيدٌ نَوَاكِلُ
كَواسٍ عَوَارٍ، صامتاتٌ نواطِقٌ بِعَفِّ الكلام، باذلاتٌ بواخِلُ

فتأمَّلْ ما قالَه فإنَّه غايةٌ في استقامة الطَّريقة، وإن هَلَكت نفوسٌ، وخُبِّلت عقول.

وحُدِّثت عن أبي حاتمٍ عن الأصمعيّ عن أبي عَمْرو بن العلاء، عن راويةِ كثيِّر قال: كنتُ مع جرير وهو يريد الشَّام، فطَرِب فقال: أنشِدني لأخي بني مُلَيْحٍ، يعني كثيِّرًا، فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله: وأدنيتني حتى إذا ما فتنتِني، الأبيات، قال جرير: لولا أنّه لا يَحسنُ بشيخ مثلي النخير لنخرت حتى يسمع هشام على سريره.

٥٠٧ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ تَعَرَّضْنَ مَرْمَى الصَّيدِ ثم رَمَيْنَنا مِنَ النَّبْلِ لا بالطَّائِشاتِ الخَوَاطِفِ

---

(١) ورد في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «قال عمارة بن عقيل بن بلال بن حرير»، وبلا نسبة في الزهرة ١: ٤٦، ومصارع العشاق ١: ٢٠٤، والمصون في سرّ الهوى المكنون ٥٣، وتزيين=

٢ ـ ضعائفُ يَقْتُلْنَ الرِّجالَ بلا دَمٍ فيا عَجَبًا للقاتلاتِ الضَّعائف

٣ ـ ولِلْعَيْنِ مَلْهًى في التِّلادِ ولم يَقُدْ هَوَى النَّفسِ شَيْءٌ كاقتياد الطَّرائف

قوله: «مَرْمَى الصيد»، موضعه نصبٌ على الظرف، أي تعرَّضْن لنا وبيننا وبينهنَّ غَلْوَةُ سَهْمٍ، فِعلَ المتعرِّض للصَّيد إذا أراد رَمْيَهُ. ويُرَاد بالصَّبد المَصِيد، كما يُرادُ بالخَلْق المَخْلُوقُ. وقوله: «ثمَّ رمينَنا من النبل»، يريد: ثمَّ نَظَرْنَ إلينا وعَرَضْنَ محاسنَهنَّ علينا، وتلك نبالُهنَّ التي لا تخِفّ فتعْدِلَ، ولا نَخْطَف فَتقْصُرَ. والخاطِفُ من السِّهام: الذي يقَعُ على الأرض ثم يحبو إلى الهَدَف كأنَّه يخطَف من الأرض شيئًا. والطَّائش: الخفيف الذي لا يستقيم؛ ومنه الطَّيْش والطَّيَّاش، كأنّه يُرَى لخفته عادلًا عن سواء السبيل. ومفعول رميننا الثاني محذوف؛ كأنَّه قال: رميننا لا بالطَّائشات، ولكن بالصَّائبات النَّاقرات. والنَّاقر: الذي يَنْقُر الهَدَف.

وقوله: «ضعائف يَقْتُلن الرِّجال بلا دَم»، يريد: بلا تِرَةٍ وذَحْلٍ. والضَّعْف الذي أشار إليه يريد في الخِلقة والخُلُق، أي: يقْتُلْن الرِّجال وإن ضَعُفْنَ عن جِذابهم كَيْدًا وفِعْلًا. ثم قال: يا عَجَبًا لمن يقتل القويَّ على ضعفه، ويا عجبًا يجوز أن يكون على طريق النُّدبة، ويكون منادًى مفرَدًا أُلحق به الألف ليمتدَّ به الصَّوْت، ويدلَّ على فرط الشَّكْو. ويجوز أن يكون مُنادًى مُضافًا ففرَّ من الكسرة وبعدها ياءٌ فانقلبت ألفًا. واللام من قوله «للقاتلات» هي التي تفسَّر بأنّها لام العِلَّة، كأنَّه عَلَّلَ تعجُّبَه بقوله للقاتلات، فارتفع ضعائف على أنَّه خبر مبتدإٍ محذوف.

وقوله: «وللعَيْنِ مَلْهًى في التِّلاد»، يُريد: أن للعين لهوًا وراحةً إذا نظرَتْ في التِّلاد الرَّائق المعجِب ـ والتِّلاد: ما قَدُم مِلْكُهُ ـ ولم يَجْذِب هَوَى النَّفس شيءٌ كما يجذبُه الطَّرائف، وهي المستحدثات، وهذا كما يقال: «لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ» وما أشبَهه. وقاد واقتادَ بمعنًى واحد، والمَلْهَى كما يجوز أن يراد به الحَدَث، وهو اللّهو، يجوز أن يراد به موضع الحَدَث ووقتُه.

٥٠٨ ـ وقال آخر[(١)]: [الطويل]

١ ـ لَئِنْ كان يُهْدَى بَرْدُ أنيابها العُلَى لَأَفْقَرَ مِنّي إنَّني لفقيرُ

= الأسواق ١٩، و(١، ٢) في اعتلال القلوب ١٣٣، وديوان الصبابة ٢٩٦.

(١) لعبد الله بن الدُّمينة في ديوانه ٢٥.

قوله: «يُهْدَى» يجوز أن يكون من الإهداء الإتحاف، ويجوز أن يكون من الهِدَاء الزِّفاف. وقوله: «أنيابِها العُلَى»، يرادُ به الشَّريفةُ العالية الشّأن. ويجوز أن يُراد بالعُلَى الأَعالِي من الأسنان، لأنها موضع القُبل. ويعني ببَرْد الأسنان: عُذُوبةَ الرُّضاب عند المذاق. وقوله: «إنني لفقيرٌ» فعيل بناء المبالغة، ولا سيَّما إذا أُطْلِقَ إطلاقًا، فلا يقال فقيرٌ إلى كذا وكذا فيُخصَّص. والمعنى: إنْ كان يتربَّص بمتَّسِق مَضْحَكِها، وواضح مُقَبَّلِها، وطيِّب رُضابها، وبَرْدِ أسنانها، لمن هو أفقر منِّي إليها، فإنني الفقيرُ مطلقًا. والمعنى: لا غايةَ وراءَ فقري. ومما يَجري مجرى فقيرٍ إذا أُطْلِقَ، قولُهم سقم. ألا ترى قول الآخر: [الطويل]

لَئِنْ لَبَنُ المِعْزَى بماءِ مُوَيْسلٍ بَغانِيَ داءً إنني لَسَقِيمُ[1]

يريد: المتناهي في السَّقَم حتى لا غايةَ وراءه. وأفْقَرُ، كأنه بُنِي على فقُر المرفوضِ في الاستعمال. وإنما قلت هذا لأنَّ فقيرًا كان حُكْمُه أن يكون فعله على فَقُر، ولم يجئ منه إلَّا افتقر. وشَرْط فعل التعجُّب وما يتبعُه من بناء التفضيل أن لا يجيءَ إلَّا من الثُّلاثيِّ في الأكثر، وما كان على أفعل خاصَّةً، وإذا كان كذلك فأفْقَرُ لا يصحُّ أن يكون مبنيًا على افتقر ولكن على فَقُر؛ فهذا طريق. ولك أن تقول: بُنِيَ منه على حذف الزَّوائد، كما جاء: ريحٌ لاقِحٌ والمراد مُلْقِحٌ، وما أشبهه.

٢ ـ فما أكثَرَ الأخبارَ أن قد تَزَوَّجَتْ فَهَلْ يَأْتِيَنِّي بالطَّلاقِ بَشِيرُ

قوله: «أن قد تزوَّجَتْ»، أراد: بأن قد تزوّجت. وحَذْفُ الجارِّ مع أنْ كثيرًا، وموضعه من الإعراب مفعول من قوله الأخبار. والأخبار: جمع خَبَر، ووضع خَبَرًا موضع الإخبار، كما يوضع الطاعة موضع الإطاعة، ثم عَدّاه وهو مجموع، ومثله: [الطويل]

مَواعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخاهُ بِيَثْرِبِ[2]

أَلَا تراه أنه انتصَبَ أخاه عن جَمعٍ وهو مواعيد. ومعنى البيت: كَثُرَ في أفواه الناس الإخبارُ بتزوُّجها، واشتغالِها ببعلها عن غيرِه، فهل يتأتيَنِّي مبشِّرٌ بتطليقها. وهذا ليس باستفهامٍ وإنما هو تمنٍّ.

---

(١) لواقد بن الغطريف الطائي في اللسان (وسل، بغا، وسل)، ومعجم البلدان ٨:٢٠٣.

(٢) لابن عبيد الأشجعي في خزانة الأدب ١:٥٨، وللأشجعي في اللسان (ترب، عرقب)، وأمثال الميداني (مواعيد عرقوب)، وللشماخ في ملحق ديوانه ٤٣٠، وصدره:
«وعدتَ وكان الخُلْفُ منك سجيةً»

٥٠٩ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ يُقِرُّ بعينِي أن أرى رَمْلَةَ الغَضَى إذا ما بَدَتْ يومًا لعَيْنِي قِلالُها
٢ ـ ولستُ وإنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ الغَضَى بِأَوَّلِ راجٍ حاجةً لَا ينالُها

أضاف الرَّملةَ إلى الغضى تشهيرًا لها. وقوله: «يُقِرُّ بعيني»، هذه الباء تزاد كثيرًا مع أَقَرَّ، والأصل يُقِرّ عَيْني، وزيدت الباء تأكيدًا. تقول: قَرّت عيني وأقرَّها الله. وقوله: «أن أرى» في موضع الفاعل ليُقِر، والمراد: إذا بَدَتْ يومًا لعيني قِلالُ الغضى ـ وهو جمع القُلَّة وهي أعلَى الجبل ـ فقُرَّةُ عيني في أن أرى رمالَها أيضًا وبَطْحاواتها. ثم قال على طريق اليأس من ذلك: ولستُ بأوَّلِ مَن رجا مؤمِّلًا، وائتمر مُقَدِّرًا، ثم لم يحصُل منهما على طائل. يريد: ولا غَرْو إن كنتُ أحببتُ سُكّانَ الغضى أن يكون هذا حالي معهم؛ كأنّه كان بين أهل الغضى وبين قومِه عداوةٌ، أو حالةٌ مانعة من المزاوَرةِ والمواصلة؛ فلذلك قال ما قال.

٥١٠ ـ وقال آخر(٢): [الطويل]

١ ـ سَلِي البانَةَ الغَنَّاءَ بالأجرعِ الذي به البانُ هل حَيَّيتُ أطلالَ دارِكِ(٣)
٢ ـ وهل قمتُ في أظلالهنّ عَشِيَّةً مقامَ أخِي البأساءِ واخترتُ ذلِكِ(٤)
٣ ـ لِيَهْنِكِ إمساكي بكَفِّي على الْحَشا وَرَقْرَاقُ عَيني رَهْبَةً من زِيالِكِ

سَلِي، أصلُه اسألي، فحذِف الهمزةُ تخفيفًا وأُبقيَت حركتُها على السِّين، فصار إِسَلِي، ثم استُغني عن همزة الوصل لتحرُّك ما بعدها فحُذفت فصارت سَلِي. وهذا كما تقول في الأحمر إذا خفَّفْته: لَحْمَر. ومن قال الَحْمَر يقول: إِسَلِي، فيُبْقِي ألفَ الوصل. ويروَى: «البانة الغيناء»، والغَنَّاء: الملتفّة الكثيرة الورق والأغصان، فإذا

---

(١) في الزهرة ١: ٣٨٠ لأبي القمقام، وفي معجم البلدان ٦: ٢٩٥ لأحد الأعراب.
(٢) الأبيات لعبد الله بن الدُّمينة في ديوانه ص١٥ ومطلعها:
قفي يا أميم القلب نقضِ لبانةً ونشكُ الهوى ثم افعلي ما بدا لكِ
(٣) التبريزي: «البانة الغيناء».
(٤) بعده عند التبريزي:
«وهل حملت عينايَ في الدار غدوة بدمعٍ كنظم اللؤلؤِ المتهالكِ
أرى الناسَ يرجون الربيعَ وإنما ربيعي الذي أرجو نوال وصالكِ
أرى الناس يخشون السنين وإنّما سِنِيَّ التي أخشى صروف احتمالكِ
لئن ساءني أن نِلتني بمساءةٍ لقد سرّني أني خطرتُ ببالكِ»

ضربتْها الريح غنَّت. وهذا كما قال الآخر: [الخفيف]

لِلثَّرَى تحتَها سُبَاتٌ وللما ءِ خريرٌ وللغُصون غِناءُ

والأجرع من الأماكن: السَّهل المختلِط بالرمل. والغَيناء، هي العظيمة الواسعة، من قولهم غان عليه كذا إذا سَتَر، وبه سُمِّيَ السَّحاب الغَيْن. وإنّما قال: «الذي به البانُ» لأنّه كان منبِتَه. واستشهَدَ بالبان على أنه هل قَضَى حَقَّ منزلِ الأحبَّةِ لمَّا وقف عليه، وهل حَيَّا أطلالَه تحيَّةَ المتقرِّب إليها، والقاضي لوازمَها، وهل قامَ في أظلال البانِ بها مَقامَ الضَّرير البائس، والكسير الرَّازِح، تذلُّلًا لها، وتلوُّمًا بها؛ وهل ذلك كلُّه عن اختيارٍ وقصدٍ أو كما اتَّفق.

ثم قال: «لِيَهْنِك إمساكي»، كأنّه لمَّا وقَفَ على الدار وتذكَّرَ العُهودَ فتصوَّر له ما كان دَرسَ من آياتِ هواه، وتَجدَّدَ ما أخلقَ منها، خَشِيَ على كَبِدِهِ التصدُّعَ فأمْسَكَ بكفِّهِ على حَشَاهُ، تثبيتًا لها وتقويةً، وبَكَى فترقْرَقَ الدمعُ في عينِه ثم سالَ. فقال: هَنَّاكَ الله ذلك كلَّه مني. وانتَصَبَ رَهْبَةً لأنه مفعول له، وهذا من باب التجلُّد في الهوَى. والزِّيَال: مصدر زايَلَ. وفي هذه الطريقة قولُ الآخر: [السريع]

يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إلى رَبِّهِ يَدْعُو وَفَوْقَ الكَبِدِ اليُسْرَى

٥١١ ـ وقال آخر[1]: [الطويل]

١ ـ تَمَتَّعْ بها ما ساعَفَتْكَ ولا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجًى في الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ[2]

٢ ـ وإنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللِّيانَ فإنَّها لِغَيرِكَ من خُلَّانِها سَتَلِينُ

٣ ـ وإنْ حَلَفَتْ لا يَنقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيسَ لمخضوبِ البَنَانِ يَمِينُ

يصف النِّساء وأخلاقهنَّ في الانقياد والتأبِّي إذا رُووِدْنَ، واستعمالِهنَّ الوفاءَ من بَعْدِ غَدْرِهِنَّ، ويُوصِي باستبقاء المقارَبة معهنَّ، وتَرْكِ تدقيق محاسَبَتهنَّ، والرِّضا بالميسور من مصافاتهنَّ، فيقول: عليك في الاستمتاع بهنَّ مدَّةَ انقيادهنَّ لك، وإسعافهنَّ بالمراد من جهتهنَّ، لا يَشْجُوَنَّك تنكُّرُهُنَّ لك، وبينونتهنَّ إذا عَدَلْنَ عنك، واعلمْ أنَّ الواحدةَ منهنَّ إذا لانَتْ لك فهي بعَرَضٍ أن تلينَ لغيرك، فلا تعتمدْ عليهنَّ

(١) الأبيات لقيس بن ذريح في ديوانه ص ١٢٠، والأبيات (١، ٢، ٣) بلا نسبة في الظرف والظرفاء ٢٣٦، و(٢، ٣) في اعتلال القلوب ٢١١، والثاني في الزهرة ١: ١٤٢.

(٢) التبريزي: «شجىً في الحلقِ».

وإن حَلَفَتْ لك أنَّها تَفِي وتَبْقَى على عهدها معك، واعلَمْ أنَّه لا يمينَ لمثلها يُسْتَوْثَق بها، أو يُسْتَنَامُ إليها، وفي طريقته قولُ بَشَّار: [الكامل]

لا يُـوئِسَـنَّـكَ مِـنْ مُـخَـبَّـأَةٍ قَـوْلٌ تُـغَـلِّظُـهُ وَإِنْ جَـرَحَـا[1]

عُـسْـرُ الـنِّـسـاءِ إلـى مُـيـاسَـرة والصَّعْبُ يُمْكِنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

٥١٢ ـ وقال العباس بن مرداس[2]: [الطويل]

١ ـ قَـلِـيـلَةُ لَحْـمِ الـنَّـاظِـريـنَ يَـزِيـنُـهـا شبابٌ ومخفوضٌ من العيش بارِدُ

٢ ـ أرادَتْ لِتَـنـتـاشَ الـرِّواقَ فـلـم تَـقُـمْ إلـيـهِ ولـكـن طَـأْطَـأَتْـهُ الـوَلَائِدُ

٣ ـ تَـنَـاهَـى إلى لَهْـوِ الـحَـدِيـثِ كـأنَّـهـا أَخُو سَقْطَةٍ قد أَسْلَمَتْهُ العَوائِدُ

الناظِران: عِرْقان في مَدْمَع العينين: يصفها بأنَّها ليست بجَهِمةِ الوجه، لكنَّها أَسِيلة الخدَّين، ويزينُها شبابٌ مُقْتَبَلٌ، ورفاهَةٌ من العيش ودَعَةٌ، ويقال: عيشٌ خَفْضٌ، وخَفَضْتُ عيشَه فهو مخفوض. والبارد: الثَّابت. ويقال: بَرَدَ لي على فُلانٍ حَقٌّ، أي ثَبَتَ.

وقوله: «أرادَتْ لتَنْتاشَ الرِّواق»، فالانتياش: التَّناوُل. يصفُها بأنَّها مخدَّمة لا تَبْتَذِلُ نفسَها في مِهْنَةٍ، ولا في عَارِضِ خِدْمَةٍ، حتَّى أَنَّها إذا أرادت تَناوُلَ رِواق البيت ـ والرِّواق: ما مُدَّ مع البيت من سِتارَةٍ ـ لم تُتْرَكْ والقيامَ إليه، ولكن قدَّمته الولائد، وأمَلْنَهُ لها حتَّى نظرت إلى ما وراءه، فإذا كانَتْ في مثل هذا تُوَدَّعُ وتُكْفَى، فما هو أثْقَلُ منه أبْعَدُ من استعمالها فيه. والطَّأطأة: خَفْض الرَّأسِ وغيرِه عن الاشتراف. ويقال للفارس إذا ضَبَطَ فرسَه بفخذَيه ثم حرَّكه للحُضر: طأطأ فرسه.

وقوله: «تَنَاهَى إلى لَهْوِ الحديث»، أراد أنَّها تنصبُّ من كلِّ أحوالها إلى اللَّهو، وتنتهي إليه، إذْ كان ما عدا اللَّهو قد كُفِيَتْ، فهي مُنَعَّمَةٌ لا تتعلَّل إلَّا باللَّعب والهَزْل، فكأنَّها عليلٌ يَتَرَفَّق عليه ويُشْفَقُ، حتَّى يُتْرَكَ لا يُهِمُّه شيء، ولا يَشغله شأن، يعني أنَّها في توفُّرها على الحديث والملاهي على نَعْمَتِها وكَسَلها، كذلك العليلِ في توفُّرِهِ على مقاساته ما به.

(١) التبريزي: «من مخدَّرةٍ».
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٤٩، وفي التبريزي: «وقال آخر، وهو عتيبة بن مرداس».

٥١٣ ـ آخر[(١)]: [الطويل]

١ ـ ولـو أنّ لَيـلَى الأَخْـيَـلِيَّـةَ سَـلَّمَـتْ عَـلَيَّ ودونِـي تُـرْبَـةٌ وصـفـائـحُ

٢ ـ لـسلّمْـتُ تـسليمَ الـبشاشـة أوْزَقَـا إليها صَدًى من داخل القبر صائحُ

٣ ـ وأُغْـبَـطُ مِـنْ لَيـلَى بـمـا لا أنَـالُهُ أَلَا كُـلُّ مـا قـرَّت بـه الـعَـيْـنُ صالِحُ

يقول: لو أنّ هذه المرأة سَلَّمَتْ عليّ وقد مُتُّ فحال بيني وبينها صفائح القبر، وثَرَى اللَّحد، لتسرَّعْتُ إلى جوابها، وقابلْتُ سلامَها ببَشاشةٍ منّي لها وطلاقةِ وجه، لتلقّيها وإجابتها: فإنْ حصلَ مَنْعٌ دون المراد صاح إليها صَدًى لي من داخل قبري بَدَل جوابٍ منّي. وهذا على اعتقادهم كانَ، أنَّ عِظام الموتى تصير هَامًا وأَصْداءً.

وقوله: «وأُغْبَط من ليلَى»، يقول: إنّي مَرْموق ومحسود منذُ عُرِفْتُ بلَيْلَى، وإنْ لم أَنَلْ منها مطلوبًا، ولا حَصَّلْتُ من الشَّقاء بها طائِلًا؛ ثم قال: «أَلَا كلُّ ما قَرَّت به العَيْنُ صالح»، يريد: أني قريرُ العينِ بأنْ أُذْكَرَ بها وتُعرَّفَ بي دون طُلّابِها، وهذا القَدْرُ ناقعٌ وإنْ تجرَّدَ ممّا سِواه.

٥١٤ ـ وقال آخر[(٢)]: [الطويل]

١ ـ فَإنْ تَمْنَعُوا لَيلَى وحُسْنَ حَدِيثِها فَلَنْ تَمْنَعُوا منّي البُكَا والقَوافِيَا

٢ ـ فَهلَّا مَنَعْتُمْ إذْ مَنَعْتُمْ حَدِيثَها خَيالًا يُوافِيني على النَّأْيِ هَادِيَا

يقول: إن حُلتُم بيني وبين ليلى ومنازعتِها الكلام، والتأنُّسِ بحديثها، وحَبْسِ النَّفس على التزوُّد منها ومن مغازلَتِها، فإنّكم لا تقدرون على ما أنا بصددِه من البكاء لها وَجْدًا فيها، ومن قَرْض الشِّعر في النَّسيب بها؛ وإذْ قد مَنعتم حديثَها والدُّنوَّ منها، فهَلّا حَبَسْتُم عنّي خيالًا عارفًا بالطَّريق على البُعد بيني وبينها، حسَنَ الاهتداء إلى حيثُ ذهَبْتُ عنها، يزورني في المنام فيُطرّي من الشَّوْق ما أخْلَقَ، ويُعيدُ من الهَوَى ما دَرَس. وهذا الكلامُ تحسيرٌ لهم، وتشهيرٌ بمكايدتهم، وتذكيرٌ بما يسوؤهم، وإعلامٌ أنَّ العهدَ بينهما مَرْعِيٌّ، والهَوَى مِمّا يَقْدَح فيه من الجانبَين

---

(١) التبريزي: «وقال توبة بن الحمير»، وهو شاعر من عشّاق العرب المشهورين كان يهوى ليلى الأخيلية (ت ٧٥ هـ/ ٧٠٤ م)، ترجمته في فوات الوفيات ١: ٩٥، والشعر والشعراء ١٦٩.

(٢) التوبة في ذمّ الهوى ٤٣٥، وبلا نسبة في ديوان الصبابة ١٥١.

محفوظ، بدَلالة أنَّه لو استجفاها لامتنع خيالُها، لزوالِ نَوْمه، وذَهاب هُدوِّه؛ ألَا ترى الآخر يقول: [الوافر]

وكـان يَـزورنـي مـنـهُ خـيـالٌ ... فـلمَّـا أنْ جَـفَـا مَـنَـعَ الـخَـيَـالَا

٥١٥ ـ وقال نُصَيب(١): [الوافر]

١ ـ كـأنَّ الـقَـلْـبَ لَيـلَةَ قِـيـلَ يُـغْـدَى ... بِـلَـيْـلَى الـعـامـرِيَّـةِ أو يُـرَاحُ

٢ ـ قَـطَـاةٌ عَـزَّهَـا شَـرَكٌ فـبـاتَـتْ ... تُـجَـاذِبُـه وقـد عَـلِقَ الـجَـنَـاحُ(٢)

يقول: لمَّا أحسستُ باللَّيلة التي رُسِمَتْ بوقوع الفِراق في صبيحتها، أو في وقت الرَّواح من غَدِها، وتصوَّرْتُ أنَّ المتواعَدَ به حَقٌّ، والمتحَدَّث به واقع، صار قلبِي في الخفقان والاضطراب كقطاةٍ وقعَتْ في شركٍ يحبسُها، فبقيتْ ليلتَها تجاذبُه والجناح عَلِقٌ لا مُتَخَلَّصَ له، نَشِبٌ لا مُتَنَزَّع منه، وكمِثْل ذلك قلبي قَلِقٌ في حَشَاهُ، غَلِقٌ عند بَلْواه.

وارتفع قطاةٌ على أنَّه خبر كأنَّ، وعَزَّها في موضع الصِّفة لقطاة، يريد: غلَبَها. وانتَصَبَ «ليلةَ» على الظَّرف ممَّا دلَّ عليه «كأنَّ القَلبَ» من التَّشبيه، ولا يجوز أن يكونَ ظرفًا بقيلَ، لأنَّه بما بعده مضافٌ إليه، والمضاف إليه لا يَعمل في المضاف. وقوله: «تُجاذِبه» المفاعلة تكون في الأكثر من اثنين، فلأنَّه جَعَلَ مَنْع الشَّرَك للقطاةِ من التخلُّص جذبًا منه.

٥١٦ ـ وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِيّ(٣): [الطويل]

١ ـ رَمَـتْـنِـي وسِـتْـرُ اللهِ بَـيْـنِـي وبَـيْـنَـهـا ... ونـحـنُ بـأكـنـافِ الـحِـجـازِ رمـيـمُ(٤)

---

(١) الأبيات للمجنون في الأغاني ٢: ٣، والأمالي ٢: ٦١، وديوانه ٥٢، وتزيين الأسواق ١٠٤.

(٢) بعده عند التبريزي:

«لـهـا فـرخـان قـد تُـركـا بِـوَكـرٍ ... فـعـشـهـمـا تـصـفّـقُـه الـريـاحُ

إذا سـمـعـا هـبـوبَ الـريـح نـصّـا ... وقـد أودى بـه الـقـدرُ الـمـتـاحُ

فـلا فـي الـلـيـلِ نـالـت مـا تـرجّـي ... ولا فـي الـصـبـحِ كـان لـهـا بـراحُ»

(٣) أبو الحيّة النميري: الهيثم بن الربيع بن زرارة، شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية (ت نحو ١٨٣هـ/ ٨٠٠م). ترجمته في: الشعر والشعراء ٢٩٩، والأغاني ١٥: ٦١.

(٤) الأبيات له في المصون ٥٣، وبلا نسبة في ٥١، والأول بلا نسبة في أسواق الأشواق خ ٢٤٩ ظ.

٢ ـ فلو أنَّها لمّا رَمَتْني رَمَيتُها ولكِنَّ عَهدِي بالنِّضالِ قديم

رَميمُ: اسم المرأة، وارتفع لأنّها فاعلةٌ، وقد بُني على رَمَتْنِي. وأراد بسِتْر الله الإسلامَ، فيقول: نظرتْ إليَّ رميمُ، فكأنها رَمَتْني بسهمٍ، ونحن مقيمون بأكنافِ الحْجاز، والإسلامُ حاجزٌ بيني وبينها، يمنع من مُغازلتها ومراودَتها. ومثل هذا قول الهُذَلِيّ: [الطويل]

فليسَ كعَهْدِ الدَّارِ يا أُمَّ مَالِكٍ ولكنْ أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسلُ
وعادَ الفتى كالكهلِ ليس بقائلٍ سِوَى الحقِّ شيئًا واسْتَراح العواذِلُ[1]

كَنَى عن الإسلام في مَنْعِهِ عن القبائح وأنواع الفُحْش والظُّلم بالسَّلاسل في الأغلال المحيطةِ بالأيدي والأعناق.

وقوله: «فلو أنّها لمّا رمَتْنِي رميتُها» جواب لو محذوف، والمراد: لو تعرَّضتُ لها وقابلتُها في عَرْض محاسِنِهَا بمثل ما يكون للشُّبَّان بمنزلة الشُّفَعاء عند النِّساء، لحَقَّ الأمر وكانَ القدْرُ يجري إلى القَدْر، ولكنّي قد شِخْت وكبرت، فعهدي بمناضلة النساء قديم.

٥١٧ ـ وقال آخر[2]: [الطويل]

١ ـ أَسِجْنًا وقَيدًا واشتياقًا وعَبْرَةً ونَأْيَ حَبِيبٍ إنَّ ذَا لعظيمُ
٢ ـ وإنّ امرأً دامَتْ مَوَاثِيقُ عَهدِهِ على كلِّ ما قَاسَيتَه لكريمُ[3]

انتَصَبَ «سِجنًا» بإضمار فعل، كأنّه قال: أتجمَعُ عليَّ حَبْسًا وتقييدًا، واشتياقًا إلى حبيب وبكاءً، مع بُعْدِ بيني وبينه، إنَّ ذلك أَمْرٌ منكر فظيع، يتضايق نِطاقُ الصَّبْر عن احتماله والبقاءِ معه، وأشار بذا إلى اجتماع هذه الأشياء عليه، ونبَّهَ على عجزه في احتمالِها لولا كرمُ عِرْقه، واستحكام عِقْدِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَحَمَّدَ بحاله، واعتدَّ على حبيبه بقاءَه على العهد له، وداومَ وُدِّهِ على اجتماع هذه الأحوال عليه، فقال: إنّ امرأً دامت مواثيقُ عهده، يريد: إنَّ رجلًا ثبَتَ على أَوَّلِيَّةِ شأنه، ومبادئ مَواثيقه،

(١) لأبي خراش الهذلي في ديوان الهذليين ٢:١٥٠، والأغاني ٢١:٤١.
(٢) البيتان في البيان والتبيين ٤:٦٢ لأحد الأعراب، في الحيوان ٦:١٥٩ نسبا إلى بعض اللصوص، وفي الزهرة ١:٤٦٩ بلا عزو.
(٣) التبريزي: «على مِثلِ ما قاسيته».

مع ما يقاسيه من تزاحُمِ هذه البلايا على قلبه، لَكريمُ العَهْدِ، نبيهُ الشأن، وثيق العقيدة.

ويُروى: «أَسِجْنٌ وقيدٌ» بالرفع، والمراد: أتجتمع هذه الأشياء عَلَى طريق التَّفْظِيع والتَّهويل.

٥١٨ ـ وقال آخر[(١)]: [الطويل]

١ ـ رَعاكِ ضَمانُ اللهِ يا أُمَّ مالِكٍ وَللهُ أن يَشْفيكِ أَغْنى وَأَوْسَعُ[(٢)]

٢ ـ يُذَكِّرُنيكِ الخيرُ والشرُّ والذي أخافُ وأرجُو والذي أَتَوَقَّعُ

أشار بقوله: «ضمانُ الله» إلى ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: الآية ٦٠]، فقال: أنا أدعو بأن يَشفِيَكِ الله عزّ وجلّ، يا أُمَّ مالك، وقد ضمِنَ الإجابةَ للداعي فرَعاكِ ضَمانُه. ثم قال: وَلَلَّهُ بأَنْ يَشفِيَك، فحذف حرف الجرّ، والجارُّ يُحذف مع أنْ كثيرًا، لأنّ حَذْفَهُ أظهرُ غَناءً وأوسع قدرةً. ونبَّهَ بهذا الكلام أنَّه في كِلَتِهِ الأمرَ إلى الله تعالَى الغنيِّ القادر اعْتَمَد على ما لا بُدَّ من وقوعه.

وقوله: «يذكّرنيك الخير والشرّ»، يريد: أنه لا ينساها في شيءٍ من الأحوال والأوقات، فما يتقلَّبُ فيه من خيرٍ باكرٍ، أو شرٍّ طارق، فهو يذكُّره، وكذلك ما يخاف وقوعَه أو يرجوه، ولم يَصِرْ منهما على يقين يذكره أيضًا، وكذلك ما صار منه على يقين، فهو يتوقَّعُه، يذكّرُ أيضًا. وإذا تأمَّلْتَ حوادِثَ الدهر وجدتَها لا تنقسم إلا إلى قسمتِهِ، لأنها لا تخلو من أن تكون محبوبةً أو مكروهة، أو واقعة أو مُنْتَظَرَة، أو مَخُوفةً أو مرجُوَّة.

٥١٩ ـ وقال الحكم الخُضْرِيّ[(٣)]: [الطويل]

١ ـ تساهَم ثَوباها ففي الدِّرْعِ رَأْدَةٌ وفي المِرْطِ لَفّاوَانِ رِدْفُهما عَبْلُ

---

(١) البيتان في الحيوان ٧:١٤٨ لأعرابي من هذيل، وفي البيان والتبيين ٣:٣٣٠ لأعرابي، وفي الحماسة البصرية ٢:٢٢٢ بلا عزو.

(٢) التبريزي: «ولله عن يُشقيكِ»، وفسّره: «يحتمل وجهين: أحدهما عن أن يشقيك، والثاني أن تكون العين مبدلة من همزة أنْ».

(٣) الحكم الخضري: هو الحكم بن معمر بن قنبر الخضري شاعر من خضر محارب، كان معاصرًا لابن ميادة، وعدّه الأصمعي من طبقته (ت نحو ١٥٠هـ/ ٧٦٧م). ترجمته في: معجم الأدباء ١٠:٢٤٠، والأغاني ٢:٩٤.

٢ ـ فـوالله مـا أدري أزيـدت مـلاحـة وحسنًا على النسوان أم ليس لي عقل

معنى تساهم: تقاسم، ولذلك قيل: سُهْمَةُ فُلَانٍ من هذا كذا، أي قسمته ونصيبه. ويجوز أن يكون أصله من السِّهام: القِداح التي تُجَالُ بين الخصوم إذا تقارَعوا ليستبدَّ كلٌّ بما يخرُج له لقِسمته وبِدَّتِهِ. وفي القرآن: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٤١]، فكأنّه استعار ـ وإن كان أصلُه ما ذكرت ـ للتقاسُم، إذ كان يُفْعَل للقَسْم وما يشبهه لا غير، فيقول: انقَسَم جسمُ هذه المرأةِ بين دِرْعِهَا وإزارِها، ففي دِرعها بَدَنٌ ناعمٌ وخَصْرٌ دَقيقٌ، وفي مِرْطِها فَخِذَانِ غليظتان عليهما رِدْفٌ ضخم.

وقوله: «فوالله ما أدري»، يريد: أنَّ الحَيْرَةَ قد مَلَكَتْه في أمرها، لِمَا يَرى من مَيْل قلبه إليها، وشدَّة افتتانه بها، فهو لا يَدْري أزيدتْ حُسْنًا ومَلَاحةً على نساء الدُّنيا كلِّها، أم هو فائلُ الرَّأي في الاختيار، مخبُول العَقْل في الاعتبار، ضَعيف التبصُّر في الارتياد والتخيُّر. والرادةُ والرُّؤْدة: الناعمة. واللَّفَّاء: الكثيرة اللحم. والعَبْل: الضخم، ومصدره العَبالَة.

٥٢٠ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ أروحُ ولـم أُحـدِثْ لِلَيـلَى زِيـارَةً لَبِـئْسَ إذًا رَاعِـي الـمَـوَدَّةِ والـوَصْـلِ

٢ ـ تُـرَابٌ لِأَهْـلِي لا ولا نِـعْـمَـةٌ لـهـم لَشَـدَّ إذًا مـا قـد تَـعَـبَّـدَنـي أَهْـلي

كأنَّ مَنْ صَحِبَهُ مِنْ أهلِه استعجلوه عن زيارة ليلى، فيقول مُنْكِرًا ومفظِّعًا: أأروحُ من غير أن أقْضِيَ حَقَّهَا، أو أجدِّد الإلمامَ بها، لبئس رَاعِي المَوَدَّةِ والمواصلة أنا. حذف المذمومَ ببئس لأنَّ المراد مفهوم، ومثلُه في القرآن: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: الآية ٣٠]، والمعنى: نِعْم العبد أيّوب، فحذفَ الممدوح بنِعْم، لكون المراد مفهومًا. وإذًا جوابٌ وجزاء، وكأنّه حَشَا به الكلام ليُعْلَمَ أنَّ ما يقولُه جوابٌ لما سِيمَ. واللام من «لَبِئْس» لام الابتداء، وارتفع راعِي المودَّة به.

وقوله: «تُرَابٌ لأَهْلي» دعاءٌ عليهم، وتحقيرٌ لهم، واستخفافٌ بهم. وجاز الابتداء بقوله: «تُرابٌ» وهو نَكِرة؛ لأنَّ معنى الدعاء منه مفهوم. ومثله قوله: [الطويل]

فَـتُـرْبٌ لأفـواهِ الـوُشـاةِ وجَـنْـدَلُ[1]

(١) هذا عجز بيت بلا نسبة في الدرر ٣: ٧٧، وشرح أبيات سيبويه ١: ٣٨٣، وصدره: =

والمراد في الدُّعاءِ طلبُ الذُّلِّ لهم.

وقوله: «لا ولا نعمةً لهم»، يجوز أن يكون المنفيّ بلا الأولى حُذِف لما دلّ عليه الكلام، فكأنّه قال: لأهله التّراب لا عِزٌّ لهم ولا نِعمة. ويجوز أن يكون «لا» رَدًّا لِمَا عرضوا عليه، وهذا كما يقال للإنسان: افعلْ لفُلانٍ كذا وكذا، فيقول: لا ولا كرامَةَ، أي: لا أفعلُ ذلك ولا أُكرِمُ من يَسُومُنِيه. وقوله: «لَشَدَّ إذًا ما قد تَعَبَّدَنِي أَهْلِي» تَعَبَّدَه واستعبدَه بمعنًى واحد، أي استذلَّه، و«لَشَدّ ما» هو كما يقال: لَعَزَّ ما. والمعنى: الإنكارُ فيما عُرِضَ عليه ودُعِيَ إليه، وأنهم تجاوَزُوا كلَّ حدٍّ في امتهانِهِ حين عَرَضوا عليه مثلَ ذلك. وهذا الكلامُ مُشْتَمِلٌ على الخِلاف وقلّة الاحتفال. ويجوز أن يُجْرَى شَدَّ ما، مَجْرَى نِعْمَ وَبِئْسَ.

٥٢١ ـ وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحِيُّ(١): [الطويل]

١ ـ أَأَتْـرُكُ لَيلَى لَيْسَ بَيـنـي وبيـنَـهـا سِـوَى لَـيـلـةٍ إنِّـي إذًا لَصَـبُـورُ(٢)

قولنه: «أَأَتْرُكُ» لفظه لفظُ الاستفهام والمعنى معنى الإنكار، كأنّه أنكرَ مِن نفسِه أن يَترُكَ التَّعريج على ليلى وبينهما مسيرةُ ليلةٍ، فقال: أَأُخِلُّ بزيارتها وأداءِ واجبها مع قُربِ المسافة بيني وبينها؟ إنِّي إذًا لمُتَنَاهٍ في الصَّبْرِ عن الأحبابِ، كَسُولٌ عن البِرِّ بذوي الأذِمَّة والأسباب. وإنما قال باعثًا لِصَحْبِهِ على مُسَاعَدته، وطالبًا منهم تمكينه من مراده؛ لذلك قال:

٢ ـ هَـبُـونـي امـرأً مِـنـكُـمْ أَضَـلَّ بـعـيـرَهُ لَهُ ذِمَّـةٌ إنَّ الـذِّمَـامَ كـبـيـرُ

٣ ـ ولَلصَّـاحِـبُ الـمـتـروكُ أعـظَـمُ حُـرْمَـةً عـلى صـاحِـبٍ مِـنْ أَنْ يَـضِـلَّ بَـعِـيـرُ

٤ ـ عَـفَـا اللهُ عـن لَيـلَى الـغَـداةَ فـإنَّـهَـا إذَا وَلِـيَـتْ حُـكْـمًـا عـلـيَّ تَـجُـورُ

قوله: «هَبُوني» معناه: احسبوني واجعلوني، وهو يتعدّى إلى مفعولين. وحكى ابنُ الأعرابيّ: وهَبَني الله فداءَكَ بمعنى جعلني فداءَك. وقوله: «أَضَلَّ بعيرَهُ»، يقال

= «لـقـد ألَّـبَ الـواشـون ألـبًـا لـبـيـنِـهـم»

(١) أبو دهبل الجمحي: هو وهب بن زمعة بن أسد، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب من قريش، وأحد الشعراء العشاق من أهل مكة. له أخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية (ت ٦٣هـ/ ٦٨٢م). ترجمته في: الأغاني ٧:١١٤، والشعر والشعراء ٢٣٥.

(٢) الأبيات لمجنون ليلى في ديوانه ٧٩، ومصارع ٢:١٠٠، والواضح ٣١١، وذمّ الهوى ٣٩٥، وأسواق الأشواق خ ١٤٣، وتزيين الأسواق ١٠١.

في الشيء الزَّائلِ عن مكانه إذا فُقِدَ: أضْلَلْتُهُ، فإن ثَبَتَ في مكانه ولم يُهْتَدَ إليه قيل: ضَلِلْتُهُ. وقوله: «إنَّ الذِّمَامَ كبير» كالالتفات، وقوله: «أضلَّ بعيرَهُ» في موضع الصِّفة لامرأ، وكذلك «له ذِمَّةٌ» صفةٌ أخرى. ومعنى منكم: مِنْ خاصَّتكم وبِطانتكم، وهو يُفيد معنى الوصف أيضًا. والمعنى: أَجْرُوني مَجرى رَجُلٍ منكم نَدَّ لَهُ بعير، وله ذِمام الصُّحبةِ والنَّسَب والقرابة، فإنَّ للذِّمام حَقَّه، وحُرمةُ المُرَافقةِ كبيرة، ودَعوني أَقْضِ من حَقِّ ليلى واجبَه، ولا تستعجلوني في ذلك ولا تمنعوني عنه، ثم قال: فإنكم إذا تركتموني ولم توفُرُوني على ما أهمُّ به فيما يختصُّ بي لها، كنتم تركتم رفيقًا لكم وضيَّعتُموه أشدَّ ما كان حاجَةً إليكم، والرَّفيقُ أعظم حُرمة في صاحبه المتروكِ من ضَلالِ بعيرِ. يُريدُ: وإذا عُدَّ تَرْكُ الاستيناء بمن أراد نِشْدَانَ ضَالّته، تجوُّزًا في المحافَظة، وتعدِّيًا في حُكم المرافقة كان مثلُ ذلك إذا فُعِلَ مع مَن يَرُوم تجديدَ العهد برُوحه، والاستبْقاء على لُبّه، أعظمَ في الجِناية، وأقبَحَ في الأحدوثة.

وقوله: «عفَا الله عن ليلى الغَدَاة»، تَشَكٍّ وتألُّمٌ من سوء معاملتها وأنها متى حُكِّمَتْ فيه وفيما يتعلق به جارَتْ ولم تُنْصِف. وهذا الكلام منه إيذانٌ بأنها تستعظم الصَّغير إذا وَقَع منه، بل تَعُدُّه كبيرةً وتُغَلِّظ العقوبةَ عليها، والمؤاخذةَ بها.

٥٢٢ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَآخِرُ شَيْءٍ أنتِ في كلِّ هَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أنتِ عِنْدَ هُبُوبِي

٢ ـ مَزِيدُكِ عِنْدي أَنْ أَقِيكِ مِنَ الرَّدَى وَوُدٌّ كماءِ المُزْنِ غَيرُ مَشُوبِ

قوله: «في كلّ هجعة» العامل فيه آآخر، وكذلك «عندهبوبي» العامل فيه أوَّل شيء. يقول: لا أخلو مِن ذكركِ ساعةً؛ لأنّي إنْ نِمْتُ كان خيالُك سميري مدَّةَ هجوعي، إنْ أُوقِظْتُ كنتُ لزيمَ ذكراكِ مُدَّةَ يَقْظَتي، فأنتِ في النّوم آخرُ شيءٍ لي، ولا فاصلَ بينَ الحالَيْن. ثم قال: والذي يَزِيدكِ من عندي ألّا أشهَر بك، ولا أبوحَ بسرِّك، ولا أعلنَ النَّسيبَ باسمكِ، إذْ كان في جميعه تنفيرُكِ، وتعريضُكِ للرَّدى: فضيحتَكِ، فأنا أقيكِ من ذلك، وأنا أُصفِي لكِ الوُدَّ حتى لا يشركك في قلبي أحد، فيصير ثاوي الود مشوبًا، وصافِيَ الهوى مكدَّرًا، ويجوز أن يكون المرادُ: مَزِيدُك عندي أنْ أعوذَ الله تعالى بالصِّيانةِ لك، وتوفيرِ الحياطةِ عليك من كلِّ ما تكرهينه، أو يؤدِّي إلى شَيْنِك فيما ترومينه.

والذي يشهد لقوله «من الرَّدَى» وأنَّ المرادَ به الفضيحة قولُ امرئ القيس: [الطويل]

صرفتُ الهوَى عنهنَّ مِنْ خَشيَةِ الرَّدَى ولستُ بمقليِّ الخِلالِ ولا قالِ[١]

أَلَا ترى أنَّه كان ملكًا لا يَخاف معارِضًا له فيما يَتعاطى من اللَّهو، ويختارُه من الصِّبَا والبَطالة مع مَن كان وفيمن اتّفق، فكيف ما يتعدَّاه مِن طلب الغوائل له، لكنَّه عَدَّ انتشارَ الحديث فيه، وقيامَ النَّاس وقعودَهم بذكرِه هلاكًا وعَطَبًا.

وقوله: «أن أقيك» في موضع خبر المبتدإ وهو مزيدك، وانعطف عليه قوله: «وودٌّ كماءِ المُزْنِ».

٥٢٣ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ما أَنْصَفَتْ ذَلْفَاءُ أَمَّا دُنُوُّها فَهَجْرٌ وأَمَّا نَأْيُها فَيَشُوقُ
٢ ـ تَبَاعَدُ مِمَّنْ واصَلَتْ فكأنَّها لآخَرَ مِمَّنْ لا تَوَدُّ صَدِيقُ[٢]

يقول: جارَتْ هذه المرأةُ عليَّ في حُكم الهوَى ولم تُنصِفْ، لأنّي إنْ طلبتُ التَّدانيَ منها هجرَتْني واطَّرَحَتْني، وإن رُمْتُ التَّنائي منها شوَّقَتْني وهاجتني، وإذا كانت مِن مُواصِلِها مُتباعِدة، ولمُوادِّها مُهاجِرة، فكأنَّها تصادِقُ مُعادِيهَا، وتُخالص مُنابِذَها من دون مُواصِلها ومقارِبها، وهذا عَجَبٌ من مثلها.

وقوله: «أمَّا دنوُّها فهجْرٌ»، المعنى: أمَّا في دنوِّها فتَهْجُر. ألَا ترى أنَّه قال: «وأمّا نَأْيُهَا فَيَشُوقُ»، كأنَّه: وأمَّا في نأيها فتشوق، إلَّا أنَّه جُعِلَ فعلُها منسوبًا إلى دُنُوِّها ونأيها.

٥٢٤ ـ وقال عبدُ الرحمٰن الزُّهري[٣]: [الطويل]

١ ـ ولَمَّا نَزَلْنَا مَنزِلًا طَلُّهُ النَّدَى أَنِيقًا وبُسْتانًا من النَّوْرِ حالِيَا
٢ ـ أَجَدَّ لنا طِيبُ المكانِ وحُسْنُهُ مُنًى فتَمَنَّينا فكنتِ الأمانيا

جواب «لمّا» قوله: أجدَّ لنا، فيقول: لمَّا خرجنا إلى ظاهر محالّنا متنزهِّين، ونزَلْنا موضِعًا رياضُه رَكِبها الطَّلُّ باللَّيل، فتناثَرَ عنها القَطرُ بالغُدُوات، ونَباتُه شَرِقَتْ

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٣٥، واللسان (خلل).
(٢) التبريزي: «وكأنّها».
(٣) التبريزي: «قال أبو بكر عبد الرحمٰن الزهري»، وقد سبقت له الحماسية رقم (٤٦٩).

بالرِّيّ بعد الشمس، وضاحكت الشَّمْسَ بعد الشُّروق؛ وبساتينَ تحلَّت بالأزاهير، وتحفَّتْ مِن بركَة الله بآثار الصُّنع، دَعَتْنا نفوسُنا إلى أن نتذكَّر لطيب المكان، ومُساعَدة الوقتِ والزَّمان، ما يَكْمُل به السُّرور، ونتمنَّى ما إليه تتناهى في الاقتراح العُيونُ والقُلوب، فوجَدْنا الأمانيَ كلَّها لا تتعلق إلَّا بك، ولا تحومُ فيما تُجال فيه وتُراوَد عنه إلَّا عليك، ذهابًا فيك وشَعَفًا بك.

ويقال: طُلَّتِ الأرضُ فهي مطلولةٌ. والأنيق: المُعْجِب. ويقال: حَلِيَ بكذا، وتحلَّى بكذا.

٥٢٥ ـ وقال مَعْدَانُ بن مُضَرِّبٍ(١): [الطويل]

١ ـ إنْ كانَ ما بُلِّغتِ عَنِّي فَلامَنِي صَدِيقي وشَلَّتْ مِن يَدَيَّ الأنَامِلُ

٢ ـ وكَفَّنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا في رِدائِهِ وصادَفَ حَوْطًا من أعادِيَّ قاتِلُ

قد مضى تفسيره في باب الحماسة.

٥٢٦ ـ وقال آخر(٢): [الطويل]

١ ـ صَفَا وُدُّ لَيلَى ما صفا لم نُطِعْ به عدوًّا ولم نَسمعْ به قِيلَ صاحِبِ

٢ ـ فلمَّا تولَّى وُدُّ لَيلَى لجانِبٍ وقَومٍ تَوَلَّينا لقَومٍ وجانِبِ

٣ ـ وكلُّ خليلٍ بَعْدَ لَيلَى يَخافُني على الغَدْرِ أو يَرضَى بوُدٍّ مُقارِبِ

سلك في هذا مسلكَ ذي الرُّمَّة حين قال: [الطويل]

فَيَا مَيَّ هل يُجْزَى بُكايَ بمِثْلِهِ مِرارًا وأنفاسي إليكِ الزوافِرُ

وقد زَيَّفَ النُّقَّاد هذا، وقالوا: ذُو الهوى لا يستدعي ممَّن يهواه المكافأةَ على ما يتحمّله فيه، وقد عاب ابنُ أبي عَتيقٍ على كثيّر قوله: [الطويل]

ولستُ براضٍ مِن خليلي بنائلٍ قليلٍ ولا راضٍ له بقليلِ

وقال: هذا كلامُ مُكافٍ لا كرمُ مُحِبّ. فقوله: «وُدُّ ليلَى» يجوز أن يكون الودُّ مضافًا إلى المفعول، والمراد: ودُّنا لليلى، فينتصب موضع قوله: «ما صفا» لكونه

---

(١) مرّت هذه الحماسية برقم (٢٧) في باب الحماسة: «معدان بن جوّاس الكندي».
(٢) التبريزي: «وقال معدان بن المضرّب الكندي».

ظرفًا، والمعنى: صفا وُدُّنا لليلى مدَّةَ بقائه خالصًا مما يَشُوبُه ويُفسِده من طاعة عدوٍّ لها، وإصغاءٍ إلى قِيلِ ناصحٍ يتنصَّحُ فيها. ويجوز أن يكون المراد: صفا وُدُّنا لليلى مدَّة صفاءِ وُدِّها لنا، فحميناه من قَدْح الأعداء فيها، والإصغاء إلى قِيل اللائمين وعَتْبِهم له. ويدل على هذا التفسير قوله مِنْ بَعْدُ:

فلمّا تولّى وُدُّ ليلَى لجانبٍ وقومٍ تولّينا لقومٍ وجانبِ

فإن قيل: كيف زعمتَ أنَّ المعنى ما صفا وُدُّها لنا، وقد ذكرت أنّ الوُدَّ مضاف إلى المفعول؟ قلت: إنّ المضمر في الثاني هو ودّ ليلى، والمصدر كما يضاف إلى المفعول يضاف إلى الفاعل أيضًا، واللفظ لفظ واحد. وإذا كان كذلك صلَح أن يُنْوَى في قوله: «ما صفا» عوْدُ الضمير إلى ودّ ليلَى، ويكون ليلى فاعلة لأنّ اللفظ ذلك اللفظ، فيكون التقدير: صفا ودّ ليلَى ما صفا ودُّ ليلى. والمعنى: صفا وُدُّنا لليلى ما صفا وُدُّها لنا، أي: صافيناها ما دامت تُصافِينا. ويجوز أن يكون ودّ ليلى أضاف الودّ إلى ليلى، وهي الفاعلة، لكنّه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والمراد: صفا جَزاءُ ودِّ ليلى منّا ما صفا هو في نفسه لنا. وقد رُوي: «لم نُطِعْ بها عدوًّا»، فيعود الضمير إليها، وكذلك «ولم نَسمع بها». وإذا رويت «به» يعودُ الضمير إلى الوُدّ.

وقوله: «فلمّا تولّى ودّ ليلى»، يريد: وُدّ ليلى لنا. والمعنى: لمَّا مالت إلى جَنَبَةِ غير جَنَبَتِي، وقومٍ غير قومي، نَفَضْتُ يدي من الاعتماد عليها، وأخليت قلبي من هواها، وصرَفْتُ نفسي إلى جَنَبَةٍ أخرى غيرِ جَنَبَتها، وطائفةٍ أخرى غير طائفتها، لأنّي كما أصل أقطع، وكما أُخالِط أزايل، ولستُ مِمَّن يقتل نفسَه في إثْر مَنْ لا يُريدني إذا تولَّى عني. وقوله: «تولّى» يجوز أن يكون من التولّي الإعراض والذّهاب، ويجوز أن يكون من الولاء والطاعة.

وقوله: «وكلُّ خَليلٍ بعد لَيْلَى يخافني»، يريد: أنّ الناسَ لمَّا رأَوْا ولُوعي بليلى، وصفاءَ عقيدتي في المَيْل إليها والبَقاء على العهد معها، ثم رأَوْا بَعْده انصرافي عنها في أقرب المُدَد، ولأدْنى السبب، صار كلُّ خليلٍ فيما بيني وبينه يخافُني على الغدر، ويتّهمني في الوُدّ، فلا يطلبُ منّي التّناهيَ فيما يجمعني وإيّاه، خوفًا من الإعراض عنه، أو يرضَى معي ومِن جهتي بودٍّ قريب لا سَرَف فيه ولا اشْتِطاط.

٥٢٧ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَلَا لَيتَ شِعْرِي هل أَبِيتَنَّ لَيلَةً ... وذِكْرُكِ لا يَسْرِي إليَّ كما يَسْرِي

٢ ـ وهل يَدَعُ الواشونَ إفسادَ بينِنا ... وحَفْرًا لنا العاثورَ من حيث لا نَدْرِي

هذا كلامُ مُتبرِّمٍ بالهَوَى، مستقيلٍ من الوشاة وإفسادِهم، متفادٍ من تحريشهم وألْبهم، متمنٍّ أن تنقطعَ أسبابُ الهوى، وتنقلع أغراسُ الوُدّ.

وقوله: «ليت شعري»، موضع شعري نَصْبٌ لأنه اسم ليت. وقوله: «هل أبيتَنَّ ليلةً» سَدَّ مَسدّ مفعولَيْ شِعْري. لأنّ معناه عِلْمي، ويتعدَّى تعدِّيَه، وخبر ليت مضمَر لا يظهر. والتقدير: ليت علمي واقعٌ، وما يجري مَجراه، والمعنى: أتمنَّى أن أعلَمَ هل أبقى أنا ليلةً من ليالي الدَّهر وخَيالُكِ لا يسري إليَّ كما يَسْرِي الساعةَ، وهل أرى نفسي سليمةً من رَمْي الوشاة وطَلَبهم إفسادَ ما بيني وبينَكِ، وحَفرِ المُغوَّاةِ لنا إذا غِبْنا عنهم من حيث لا نَشْعر ولا ندري فنتَّقِيَه ونَحْذَرَه.

فإن قيل: كيف جاز أن يُكْنَى عن الخيال بالذِّكْر حتى قال: «وذكرُكِ لا يَسْرِي إلَيّ»؟ قلت: إنّ الخيال في المنام لا يكونُ إلا عن التذكُّر في اليقظة، يَشْهَدُ لذلك قولُ أبي تمّامٍ الطائيّ: [الخفيف]

نَمْ فما زارَكَ الخيالُ ولكنْـ ... ـكَ بالفكرِ زُرْتَ طَيْفَ الخَيالِ

وهذا ظاهرٌ وعليه مَباني وصف الخيال.

والعاثور: مَصيدةٌ للبهائم، ويُجعل اسمًا للمتالف، وهو فاعُولٌ من العِثار والعُثور، وكذلك استُعير للنَّقص في الحسَب، لأنّ صاحبَه يعثُرُ به عن غاية السابق. وانتَصَب قوله «العاثور» من المصدر المنوَّن وهو حَفرًا، وأقوى ما يكونُ المصدر في العمل إذا كان منوَّنًا، إذ كان شَبَه الفعلِ فيه أقوى.

وقال بعضُ أصحاب المعاني: إنما يتمنَّى أن يملكَها على حَدٍّ يُسْقِط تَسَوُّقَ المفسدين فيه، ويأمَن التَّبِعَةَ معه، ويرتفع العشق والهوى مِن بينهما.

٥٢٨ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ إنْ كان هذا مِنكِ حَقًّا فإنَّني ... مُداوِي الذي بَيني وبينكِ بالهَجْرِ

٢ ـ ومُنصَرِفٌ عَنكِ انصرافَ ابنِ حُرَّةٍ ... طَوَى وُدَّه والطَّيُّ أبقَى من النَّشْرِ

يقول: إن كان هذا الذي يظهرُ منك موافقًا لما يَبْطُن، وهذا الإعراضُ عن جَفاءٍ وقِلًى لا دلالٍ وهوًى، فإني سأُداوي ما بيني وبينكِ بالتهاجر، وقاعدٌ عنك قعودَ حُرٍّ لا يَصْبِرُ على الجَفاء والتدابُر، ولا يَرْضَى مِن وَديدِه بالمُماذَقة دون الصَّفاء، فأطوي وُدِّي معه وأصونُه عن النَّشر، لأنَّ الطَّيَّ أوقى فيه، وصِيانَته عن الابتذال أوعَى له.

وإنّما قال: «ابن حُرَّةٍ» والقَصد إلى الكريم من الرِّجال، الذي يَصُون نفسَه ونفسَ صاحبِه فلا يُوحِش مع التهاجُر، ولا يُفحِش على التَّنكُّر والتباغض، لكنَّه يَلزم المجامِلَة والمُساتَرَة في كلِّ حال، لأنَّ الأمَّ إذا كانت متملِّكة تَبِعها الولد في الرِّقّ، فيحصُل الرِّقّ والهُجْنةُ معًا، ومتى كانت الأمُّ حُرَّةً لم يَتْبع الولدُ أباه في الرِّقّ وإن كان عبدًا مملوكًا، ولكنه يكون هجينًا غيرَ عربيٍّ خالِص.

٥٢٩ ـ آخر(١): [الطويل]

١ ـ وفي الْجيرَةِ الغادِينَ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ غـزَالٌ كَـحِـيـلُ الـمُـقْـلَـتَـيْـنِ رَبـيـبُ
٢ ـ فلا تَحْسَبِي أنَّ الغَرِيبَ الذي نَأَى ولـكـنَّ مَـنْ تَـنْـأَيْـنَ عـنـهُ غـريـبُ

كان شَغْبَا الشاعر وصديقتِه مجتمعَين ببطن وَجْرةَ زمانًا، فوقعت الأُلفة بينهما ثم افترقوا، فقال متأسِّفًا في إثرِها، ومتلهِّفًا لما فاتَه من الاجتماع بينهما: وفي الخلطاءِ الباكرين من هذا المكان امرأةٌ كأنها غزالٌ مكحَّل العينَيْن مُرَبَّبٌ في البيوت، منعَّمٌ بالاقتناء، ملَكَ قلبي؛ ثم قال مخاطبًا لها: لا تظُنّي أنّ الغريبَ مَن بَعُد عن سَكَنه، ونأَى عن إلْفه ووطنِه، ولكنّ الغريبَ هو من تَبْعُدين عنه وفي يدِكِ قيادُه، فعلَى البُعْد تَجْذِبينَه، ومِن مرادِه تمنعينه، وقد ضاق عنه مكانُه حتى صار فيه كمن نأَى عن أهله، وحصل في غير أرضهِ ومنزله.

٥٣٠ ـ وقال آخر(٢): [الطويل]

١ ـ بـنَـفْـسِـي وأَهْـلِي مَـنْ إذَا عَـرَّضُـوا لـه بـبَـعْـضِ الأَذَى لـم يَـدْرِ كـيـف يُـجِـيـبُ
٢ ـ ولـم يَـعْـتَـذِرْ عُـذْرَ الـبَـرِيءِ ولـم تَـزَلْ بـه سَـكْـتَـةٌ حَـتَّـى يُـقَـالَ مُـرِيـبُ

---

(١) لقيس بن المِلوّح في مصارع العشاق ٢:١٠٢، و٢:٢١٦، والواضح المبين ١٩٠، وذمّ الهوى ٣٥٦، وديوانه ٢٩، وأسواق الأشواق خ ١٠٧ و.
(٢) لصخر بن الجعد المحاربي في الزهرة ١٣٠.

تعلَّقَ الباء من قوله «بنفسي» بفعلٍ مضمَر؛ كأنَّه قال: أَفْدِي بنفسي وعشيرتي إنسانًا ـ ويعني به محبوبةً ـ إذا اجتمَعَ عليه اللُّوَّام، وتصرَّفوا في فُنون الغضِّ منه والعَتْبِ عليه، فآذَوْا قلبَه وضيَّقوا صدرَه، ارتبَكَ في الجواب وحار، ولم يدر لغَرَارته بماذا يُجيب، ولسوء اهتدائه بوجوه الحِيَل كيف يتخلَّص، فلا عُذْرُه عُذْرُ مَن لا جناية له، ولا سكوتُه سكوتُ مَن لا احتفالَ بهم معه، فهو في إطراقِهِ وخُفُوتِهِ إذا قَضِيَّتُهم نفذَتْ فيه بأنَّه مُريب، مرتكِب، ولما رُمِيَ به مُكْتَسِب، استدلالًا بسكوته على الذَّنب، وبإمساكِه عن إقامة المعاذير على صِحَّةِ القَرْفِ.

٥٣١ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دَمَّنَتْها، وإنْ مَضَتْ ... لها حِجَجٌ، يَزْدَادُ طِيبًا تُرَابُها

٢ ـ أَلَمْ تَعْلَمَنْ يا رَبِّ أَنْ رُبَّ دَعْوَةٍ ... دَعَوْتُكَ فيها مُخْلِصًا لو أُجَابُها

يقول: أَرَى كلَّ مكانٍ أقامَتْ فيه هذه المرأة زَمَنًا فأَثَّرتْ فيه أثرًا يزداد على استمرار السِّنينَ والأحقابِ ترابُهُ طِيبًا، وإن لم يكنْ لإقامتها أوانٌ ممتدٌّ وزمانٌ متَّصل، فقوله: «يزدادُ» في موضع المفعول الثَّاني لأرى. ودمَّنَتْها: فِعْلٌ مبنيٌّ من الدِّمْنةِ: أثرِ الدَّار وما سُوِّد بالرَّماد وغيرِه، فكأنَّ معنى دَمَّنَتْها أثَّرَتْ فيها بالإقامة. وانتَصَب «طيبًا» على التَّمييز، وقد نُقِلَ الفعل عنهُ لأنَّ الأصلَ يزداد طيبُ ترابها، فجُعِلَ الفعلُ للتُّراب فأشبه «طيبًا» المفعول. وعلى هذا: قَرِرْت به عَيْنًا.

فإن قيل: هل في هذا دَلالَةٌ على صِحَّةِ قولِ المُخالِفِ لسيبويهِ في جواز تقديم التَّمييز إذا كان العامل فيه فِعْلًا، وهل يُفْصَل بين هذا البيتِ وبين ما استدلُّوا به من قول الآخر: [الطويل]

وما كان نَفْسًا بالفِراق تَطِيبُ[1]

قلتَ: لا دَلالة في هذا الذي نحنُ فيه وإن كان البيتُ الذي أوردتَه أمْكَنَ التَّعلُّق به، حتَّى ذكَر أصحابُ سيبويه أنَّ الرِّواية على غيره، وهو:

وما كان نفسِي بالفِراق تَطِيبُ

(١) للمخبل السعدي في ديوانه ٢٩، واللسان (حبب)، وللمخبل السعدي أو لأعشى همدان أو لقيس بن الملوّح في الدرر ٤:٣٦، وصدره:
«أتهجر ليلى للفراق حبيبها»

وذلك أن «طِيبًا» لم يُقَدَّم على العامل وهو الفعل، وإنَّما قُدِّم على ما صار فاعلًا، وإذا كان كذلك لم يصحَّ الاحتجاج به له، لأنَّ الموضعَ المختلَفَ فيه هو جوازُ تقدُّمِهِ على العامل فيه وامتناعُه منه لا غير، فأمَّا ما دام واقعًا بعد الفعل فلا مُستدلّ به على موضع الخلاف.

وقوله: «أَلم تعلمَنْ يا رَبِّ أن رُبَّ دَعْوَةٍ»، أنْ مخفّفة من أَنَّ الثَّقيلة، والتقدير: أنَّه ربَّ دعوةٍ. وفي رُبَّ لغات: إحداها التَّخفيف، وكأنه يتضرَّع في هذا الكلام إلى خالقِهِ ومَن يستغيث به فيما يُقاسيه، ويقرِّر في الدُّعاء عليه أنَّه قد ضَمِنَ الاستجابة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: الآية ٦٠]، فقال: إنَّك تعلم يا ربِّ أنِّي قد أخلصت دُعاءَكَ في أوقاتٍ كثيرة لِطَلِبَتِي لو اقترنَ بالدُّعاء إجابةٌ وإسعاف، وضمانُك الأصحُّ الأوفَى، فاستَجِبْ. وفيه أيضًا ما يَجْرِي مَجرى الاستزادة إذا توجَّه إلى غيره تعالى. وانتصب «مخلصًا» على الحال. وقوله: «لو أُجابُها» يريدُ به لو أُجابُ فيها.

٣ ـ وأُقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ... ذِئَابَ الفَلَا حُبَّتْ إِلَيَّ ذِئَابُهَا

٤ ـ لَعَمْرُ أَبِي لَيلَى لَئِنْ هِي أَصْبَحَتْ ... بِوَادِي القُرَى مَا ضَرَّ غَيْرِي اغترابُهَا

قوله: «أُقسم» جملةٌ تنوب عن اليمين، والجواب: «حُبَّت إليَّ ذئابها»، متعلِّقًا بالشَّرط المذكور، وهو أن تكون مناسبة. وجواب لو هو ما صار جوابًا لليمين، وكذا يقع الشَّرط والجزاء بعدها، تقول: والله لَئِن جئتَني لأكرمنَّك، ويُرْوَى: «حَبَّتْ» بفتح الحاء، والأصل حَبُبَت، وفَعُل في المضعَّف قليل. ويروى «حُبَّت» بضم الحاء، وهو بناءٌ لما لم يُسَمَّ فاعله. ويقال: حَبَبْتُه فهو محبوب، لغة في أَحْبَبْتُه.

وقوله: «لعَمْرُ أبي ليلَى» إقسامه بأبيها تعظيمٌ لها، وتنبيهٌ على مَحلِّه من قلبه، وأنَّه منصبٌّ إلى مَن يجمعه وإيَّاها عُلْقَةٌ وإن ضَعُفَت، فكيف أبوها والمختصُّ بها. وفي هذا زيادةٌ على ما قاله الآخَر، وهو: [الطويل]

وَمِن بيِّناتِ الحبِّ أنْ كان أهلُها ... أحبَّ إلى قلبي وعيني مِن أهلي[1]

واللام من «لَئِن» موطِّئة للقَسَم، وجواب القَسَم ما ضَرَّ، والمعنى: إنْ عادتْ هذه المرأةُ إلى موضعِهَا من وادي القُرَى لم يضُرَّ غيري البُعْدُ منها، والاغترابُ عنها. وقوله: «اغترابها»، يريد: اغترابي عنها، ويجوز أن يُريدَ تباعُدَها.

(١) للحسين بن مطير في الحماسية رقم (٤٧٣).

٥٣٢ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ لَعَمْرُكَ ما مِيعادُ عَيْنَيْكَ والبُكَا ... بِدَارَاءَ إلا أنْ تَهُبَّ جَنُوبُ

٢ ـ أُعاشِرُ في دَارَاءَ مَنْ لا أُحِبُّه ... وبِالرَّمْلِ مَهْجُورٌ إليَّ حَبِيبُ

٣ ـ إِذا هَبَّ عُلْوِيُّ الرِّياحِ وَجَدْتُني ... كأنّي لِعُلْوِيِّ الرِّياحِ نَسِيبُ

يقول: وبَقائِكَ ما الموعدُ بين البُكاء وأنت بداراءَ إلَّا عندَ هُبوب الجَنوب، وإنَّما قال هذا لأنَّ الجَنوبَ كان مهبُّها مِن أرضِ صاحبته، فعلى هذا التَّأويل يكون «والبكا» في موضع الجرِّ عطفًا على عينَيْك. ولا يمتنعُ أن يكونُ المرادُ: ما ميعاد عينَيك مع البكا بهذا المكانِ إلَّا إذا هبَّت الجَنوب؛ فيكون مفعولًا معه. وإنَّما قال ذلك لأنَّها تُهْدِي إليه أريحَتَها، أو يعتقد أنَّها رسولُها، فتُجدِّد ذكرها، وتطرِّي الوجدَ بها، فيَبكِي شوقًا إليها. وقال الخليل: الميعاد لا يكون إلّا وقتًا أو موضعًا، وإذا كان كذلك فالميعاد مبتدأ وخبره أن تَهُبَّ، والمراد وقت هبوبها، حتَّى يكون الآخِر هو الأوَّل، إلَّا أنه حذَفَ المضاف.

وقوله: «أعاشِرُ في دَاراءَ مَن لا أودُّه» شَكْوٌ من الدَّهر حين جَمَع بينه في داراءَ وبينَ من لا هَوَى له معه، وفرَّقَ بينه وبين محبوبِهِ فجعله بالرَّمل.

وقوله: «إذا هَبَّ عُلْوِيُّ الرِّياح»، يريدُ: إذا هبَّت الرِّيح من نحو عاليةِ نَجْد، فكأنِّي يجمعني وإيَّاها نسبٌ، لاهتزازِي لها، وارتياحي لهبُوبها، فأنا أنتظرُها تَرَقُّبَ المسافِر وقد دنا موافاتُه.

٥٣٣ ـ آخر(٢): [الطويل]

١ ـ هَلِ الحُبُّ إلَّا زَفْرَةٌ بعدَ زَفْرَةٍ ... وَحَرٌّ على الأحشاءِ ليسَ له بَرْدُ

٢ ـ وَفَيْضُ دُمُوعِ العَيْنِ يا مَيُّ كُلَّما ... بَدَا عَلَمٌ من أرضكمْ لم يَكُنْ يَبْدُو

الاستفهام هنا في معنى النَّفي، كأنَّه حَاجَّته صاحبتُه أو إنسانٌ لائمٌ أو غيرُهما، فيما يدَّعيه من الحُبّ، فقال رادًّا عليهِ حينَ كذَّبه في دعواه: ما الحبُّ إلَّا تَتَابُعُ الزَّفَراتِ تحسُّرًا، والتهابُ تَوَجُّدٍ في الحَشَا لا يتعقَّبه ابتراد، وسيلانُ دَمْعٍ من العَيْنِ لا

---

(١) الأبيات في معجم البلدان ٢:٤١٨ بلا عزو، والبيت الأول في اللسان (دور).

(٢) البيتان لقيس بن ذريح في ديوانه ٩١، ولعبد الله بن الدمينة في ديوانه ٢٦، وبلا نسبة في ذمّ الهوى ٣١٧، وأسواق الأشواق خ ١٦ ظ.

يُرْقِئُه انقطاعٌ، في كلِّ وقتٍ ظهَرَ في مَرْأى العينِ له جَبَلٌ من أعلامِ أرضكمْ لم يكن يَبْدو من قَبْلُ، وجميعُ ذلك أعْتَادُهُ من نفسي، ويُدْرِكُهُ من يتأمَّلُ حالي، وتصدِّقه المشاهدةُ منِّي.

٥٣٤ ـ وقال ابنُ مَيَّادَةَ[1]: [الطويل]

١ ـ كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدٍ ضَبَثَتْ بِهِ ... مُحَاذَرَةَ أَنْ يَقْضِبَ الحَبْلَ قَاضِبُهْ

٢ ـ وَأُشْفِقُ مِنْ وَشْكِ الفِرَاقِ وَإِنَّنِي ... أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيهِ فَرَاكِبُ

الضَّبْثُ: القَبْضُ على الشَّيْءِ، ومنه ناقَةٌ ضَبُوثٌ، أي لا يُشَكُّ في سِمَنها إذا ضُبِثَ على سِنامِها. وانتصَب «مُحاذَرَةً» لأنَّه مفعول له، وموضع «أن يقضبَ» نصبٌ من محاذرةً، فيقول: كأنَّ قلبي يُعْصَر يقبْضِ قابضٍ عليه، لخوفي من أنْ يَقطع الوصلَ قاطعُه من البَيْن، ومع ذلك أخافُ من وقوعِه سريعًا لقوّة الأمارات، وتتابُع المحذِّرات المنذِرات، وإنما قال: «أظنُّ لَمحمولٌ عليه»، والظنُّ بمعنى اليقين، فهو مِثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٦]. وقوله: «لَمحمول عليه» إيذانٌ بأنه ليسَ يقعُ عن اتِّفاق معَه أو مشاركةٍ في تدبيره. وأظنُّ مفعولُه الأوَّل، والثاني مستَدلٌّ عليه، لأنَّ المراد ذلك في ظَنِّي أو عِلمي، فهو مُلغًى. والقَضْبُ: القَطْع، ومنه سيفٌ مِقْضَبٌ وقَضَّابٌ. ووشْكُ الفِراق: سُرعة القطيعة. ويقال: أوشك هذا أن يكون، أي أسْرَعَ.

٣ ـ فَواللهِ ما أَدْرِي أَيَغْلِبُنِي الهَوَى ... إِذا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أَم أَنا غالِبُهْ[2]

٤ ـ فإنْ أَسْتَطِعْ أَغْلِبْ وَإِن يَغْلِبِ الهوى ... فَمِثْلُ الذي لاقَيْتُ يُغْلَبُ صاحِبُهْ

يقول: شارفتُ فِرَاقَ الأحبَّة بالدلائل اللائحة، وأحلف بالله ما أعلمُ من حالي إذا وَقَعَ، أَأَجْزَعَ أم أصبر.

وقوله: «إذا جَدَّ جِدُّ البَيْن»، يجوز أن يكون المراد: إذا ازدادَ جِدُّه جِدًّا، كأنه يَظهر من جَلِيَّةِ أمرِهِ ما يَزُولُ اللَّبْسُ والشُّبهة معه. ويجوز أن يريد: إذا صار هَزْلُه جِدًّا، فسمَّاه بما يؤُول إليه، كما يقال: خرجَت خوارجُه، وريعَ رَوْعُه. والمراد: أنه

---

(١) ابن ميادة: هو الرماح بن أبرد، وميادة أمّه وكانت أمّ ولد، شاعر هجّاء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية (ت ١٤٩ هـ/ ٧٦٦ م). ترجمته في الأغاني ٢: ٨٥، والشعر والشعراء ٢٩٨.

(٢) التبريزي: «فوالله لا أدري».

التبس عليه إذا باغَتَهُ الفراقُ حالُه معه، فلا يَدْرِي أيُّ الأمرينِ يَقَع: أيَغْلِبُه الهوى فيسلُبَهُ التجمُّلَ، ويُلْبِسُهُ التهتُّك، أم يَغْلِبُ بدوام مُسْكَتِه وكمال تثبُّتِهِ الهوَى فيستمرّ حالُ السلامة به. ثم قال كالمتسلِّي والمنقاد لخاتمةِ الكائنة: فإن أَطَقْتُ وكان في مقدوري ـ إذا اجتهدتُ ـ غَلَبُ الهوى فهو المراد، وإن جرَى القَدَر بخلافِه فمِثْلُ ما أقاسيه يَغْلِبُ مُعَانِيَه، ويجتذبه إلى ما يكرهه، وعُذْرُه لائحٌ.

٥٣٥ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ فيا أهلَ لَيلَى أكثَرَ اللهُ فيكُمُ مِنَ أمثالِهَا حتَّى تَجُودُوا بها لِيَا

٢ ـ فما مَسَّ جَنْبِي الأرضَ إلَّا ذَكَرْتُهَا وَإلَّا وَجدتُ رِيحَها في ثِيابِيَا

بَنَى الكلامَ على أنَّ عشيرتَهَا والمالِكِين أمرَها إنما ضَنُّوا بها لأنها معدومةُ النظير فيهم، وأقبلَ يَسْتَعْطِفُهم ويدعو لهم بأن يُكْثِر اللهُ أمثالَها وأشباهَها فيهم، حتَّى يتركوا المنافسةَ، وتحتمل قلوبُهم الجُودَ له بها.

وقوله: «فما مَسَّ جنبي الأرضَ إلَّا ذكرتها»، يريد: ما اضطجعتُ للمَنام خاليًا بنفسي إلَّا امتنَعَ النَّومُ فقام ذِكْرُها مَقامَ خَيالِها، ثمَّ صِرْتُ من الشَّوْق والتَّحفِّي أتصوَّرُها معي، وأجِدُ رائحتَها في ثيابي. وهذا المعنى هو مخالفٌ لمعنى الأُنْس بالخيال.

٥٣٦ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ تَقولُ العِدَى لا بَارَكَ اللهُ في العِدَى قَدَ اَقْصَرَ عَنْ لَيلَى ورَثَّتْ وسائِلُهْ(١)

٢ ـ ولو أصْبَحَتْ لَيلَى تَدِبُّ على العَصَا لَكانَ هَوَى لَيلَى حديثًا أوائلُه

يُروى: «ورائث وسائله»، المراد بالعِدَى الوُشاةُ المُفسدون. وأصل البَرَكة الثَّبات مقترنًا بالنَّماء ومنه مَبْرَك الإبل، وبَرَاكاءُ القتال، ويقال: أقْصَرَ عن الشَّيء، إذا كفَّ عنه وهو يقدر عليه، وقَصَرَ عَنه، إذا عَجَزَ؛ وقَصَّر، إذا فَرَّط. يقول: ادَّعى الوُشاةُ أنِّي قد كَفَفْت عن ليلى وزَال وَلوعي بها، وأنَّ وسائلي لدَيها قد أَخْلَقتْ وتقطَّعتْ، فلا بارَكَ اللهُ فيهم فإنَّهم ادَّعَوْا باطلًا، واختلقوا إفْكًا، ومُرادُهم إفسادُ قلبِها عليّ، وصرفُها عن الانطواء على الجميل لي وفِيّ. ثمَّ ذكَرَ ما دَلَّ به على بقائه على العَهْد، واستمراره في

(١) التبريزي: «يقول العدى».

عِمارة الوُدّ، وعلى بُطلانِ قولِهم فيما صَنَّفوه، وبَهْتِهِم وتَمويههم فيما نَسَبوه إليه ووضَعوه، فقال: لو شاخَتْ ليلى حَتَّى يصير مَشْيُها دبيبًا وهي متوكِّئة على عُكّاز، لكان هواها في قلبي جديدًا أوائلُه، شديدًا أركانه وقواعده.

٥٣٧ ـ وقال حَفْصُ بنُ عُلَيم(١): [الطويل]

١ ـ أَقُولُ لِحِلْمِي لا تَزَعْنِي عن الصِّبَا وللشَّيبِ لا تَذْعَرْ عَلَيَّ الغَوَانِيَا

٢ ـ طَلَبْتُ الهَوَى الغَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُه وسَيَّرْتُ في نَجْدِيِّهِ ما كَفَانِيَا

يصف انهماكَه في البَطالة، وتَمادِيَه في الغَواية، والتذاذَه للصِّبا واللَّهْوِ والخَسارة، فقال: أقولُ لِحِلْمِي: تباطَأْ عنّي، ولا تعاجلْني فتكفَّني عما أهواهُ وقَصَرْتُ شغلي عليه؛ وللشيب: تَراخَ ولا تُبادِر فَتَرُوعَ النِّساءَ وتنفِّر. وهذا الكلامُ وإن كان ظاهرُه تلطُّفًا وسؤالًا فإنّه يَجْرِي مَجرى التَّمنِّي في استدامة ما كانَ يَشتهيه، ويُوزَعُ به.

وقوله: «طلبْتُ الهوى الغَوْرِيّ»، يريد: تفنَّنتُ في الهوى فأنجَدَ بي طَوْرًا، وغار بي طَوْرًا، إلى أن تناهيتُ، وبلغتُ أقصَى الغايات فوقَفْت. وموضع «ما» من قوله: «ما كفانيا» نصبٌ على المصدر من سَيَّرت، يريد: سيَّرت في نجدِيِّه سيرًا كفانيا. ومعنى سيَّرْتُ: أكْثَرْتُ السَّيْرَ وكرّرتُه. والغَواني من النِّساء: اللاتي تَستَغْنِي بجمالها عن التحلِّي. وقيل: الغانية: التي تستغني بزَوْجِهَا عن الرِّجال.

٣ ـ فيا ربِّ إن لم تَقْضِهَا لِي فَلَا تَدَعْ قَذُورَ لهم واقْبِضْ قَذُورَ كما هِيَا

٤ ـ ويا لَيتَ أنَّ اللهَ إنْ لم أُلاقِهَا قَضَى بين كلِّ اثنينِ أَلَّا تَلَاقِيَا

البيت الأوّل دلَّ به على ضِيقِ صدرِه بحاله، وشِدَّةِ ضَنّه بصاحبته، فدعا ربَّه أن يَقْبِض قذورَ إليه إن لم يقدّر بينهما مُرافأة والتحامًا، ويتوفَّاها بالموت ليأمَنَ أن يملك أمْرَها غيرَه. وهذا يدلُّ على شِدَّةِ غَيرةٍ فيه، ومُضايَقةٍ للنّاس كافَّة في شيءٍ يتمنّاه ثم يَقْصُر عنه. فأمَّا قوله: «كما هيا» فموضعه من الإعراب نصبٌ على الحال، وما من قوله «كما» يجوز أن يكون بمعنى الذي، ويكون هي خَبَرًا لمبتدإٍ محذوف؛ كأنّه قال: كالذي هُوَ هِيَ. ويجوز أن يكون ما كافَّةً للكافِ عن عمل الجرّ ويكون هي في موضع المبتدإ والخبر محذوف، والمعنى: اقْبِضْها كما هي عليه.

(١) التبريزي: «حفص العُليميّ، من جناب كلب، ويقال: هم قريش كلاب».

والبيت الثاني وهو: «يا ليتَ أنَّ الله إنْ لم أُلَاقها» دلَّ به على حسدٍ شديد منه، وقِلَّة رضًا بمساعَدة القدَر في شيءٍ يَحْرُم المشاركةُ فيه. وقوله: «يا ليت» يريد: يا قومِ ليت، والمنادى محذوف، والكلام بعده تَمَنٍّ في ألَا يَحْصُلَ الاجتماعُ بين متحابَّيْن إنْ لم يُرْزَقْ مثلَه في صديقِه. وقوله: «ألّا تلاقيا» أن فيه مخففة من الثَّقيلة، والمعنى: أنَّه لا تلاقِيَ لنا، فخبر لا محذوف، والجملة في موضع خبر أنَّ، والضمير المقدَّر ضمير الأمر والشَّأن، وخبر أنّ الله «قَضَى» وقد حصل في الجملة جوابُ الشرط، وهو إن لم ألاقها، وخبرُ ليتَ.

٥٣٨ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ وقَـفْـتُ لِلَيْـلَى بـالـمَـلَا بَـعْـدَ حِـقْـبَـةٍ ... بِـمَـنْـزِلَـةٍ فـانْـهَـلَّتِ الـعَـيْـنُ تَـدْمَـعُ

٢ ـ وَأَتْـبَـعُ لَـيْـلَـى حـيـثُ سـارَتْ وَوَدَّعَـتْ ... ومـــا الـنَّـــاسُ إلّا آلِـفٌ ومُـــوَدِّعُ

٣ ـ كـأنَّ زِمـامًـا فـي الـفـؤادِ مُـعَـلَّـقًـا ... تَـقُـودُ بـهِ حَـيْـثُ اسـتَـمَـرَّتْ فـأتْـبَـعُ

يقول: وقَفتُ مِن أجلِ لَيْلَى ومن أجل مَنازِلها بالمَلَا، بعد زمانٍ مُمْتَدٍّ، ودهرٍ متَّصل، فتَجدَّد لي من الوَجد ما هيَّج لي بكاءً، وطَرَّى لي عُهودًا فإني أُسِيرُ هواها، وتَبِيعُ البَلْوَى فيها، فقَلْبِي معها حيث ظَعَنَت وأقامت. وقوله: «وَدَّعَتْ» معناه تَوَدَّعَتْ. ثم قال: «وما النَّاس إلا آلِفٌ ومودِّع»، يريد: أنّ النّاسَ من بينِ آلِفٍ لها لكونه مسافرًا معها ومُرافِقًا لها في طريقها، أو منصرِفٍ عنها بعد توديعها وتشييعها، وأنا على خِلافِهم كلِّهم، لأنّي ملازِمُها في كلِّ حالٍ.

وقد كَشَف عن هذا الغَرَضِ بما بَيَّنه في قوله:

كـأنّ زِمـامًـا فـي الـفُـؤاد مُـعَـلَّـقًـا ... تَـقُـودُ به حيث استمرَّتْ فأتْبَعُ

يريد: طاعة قلبِه وانقيادَه لها. ومِثْلُ «وَدَّعَتْ» و«مُوَدِّع» يُسَمَّى التَّجنيس الناقص.

٥٣٩ ـ وقال وَرْدٌ الْجَعْدِيُّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ خـلـيـلـيَّ عُـوجَـا بَـارَكَ اللهُ فـيـكُـمـا ... وإن لـم تَـكُـنْ هِـنْـدٌ لأرْضِـكُـمَـا قَـصْـدَا

---

(١) وِرد الجعديّ: هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة، شاعر جاهلي، وهو الذي قتل شراحيل بن الأصهب الجعدي. انظر الأغاني ٥:٢٣، دار الكتب العلمية، والبيتان في الأغاني ١١:٣٥٢ للمرقّش الأكبر.

٢ ـ وقُولا لها ليسَ الضَّلَالُ أَجارَنا ولكِنَّنا جُرْنا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا(١)

يخاطب خليلَيْنِ له متلطِّفًا لهما، وسائلًا تعريجَهما على ديار هند وإن لم تكن مُسامِتةً لقصدهما، وأن يبلِّغاها إذا التقَيا معها أنّا تعمَّدْنا زيارتَكِ طلبًا لقضاءِ ذِمامك، وتجديدًا للعهد بك، ولم يكن العدولُ إليكِ عن ضَلالٍ مَلَكَ قيادَنا، وصَرَفْنا عن وجهِ رشادِنا، ليقع الاعتدادُ منها بتحرِّينا وفِعْلنا.

٥٤٠ ـ وقال(٢): [الوافر]

١ ـ وما في الخَلْقِ أَشقَى مِنْ مُحِبٍّ وإنْ وَجَدَ الهوَى حُلْوَ المَذَاقِ
٢ ـ تَراهُ بَاكِيًا في كلِّ حِينٍ مَخافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشتياقِ
٣ ـ فيبكي إنْ نَأَوْا شَوْقًا إليهم ويَبْكِي إنْ دَنَوْا خَوفَ الفِراقِ
٤ ـ فَتَسْخَنُ عَينُهُ عِندَ التَّنائِي وَتَسْخَنُ عَينُهُ عِندَ التَّلاقِي

وَفَّى هذه الأبياتَ حقَّ القِسمة، وأقامَ شَرْط المقسُومِ على حَدِّه المألوف من التَّجربة، فيقول: ليس فيمن خَلَقَه الله من البَشَر أوفَى شقاءً، وأعظمُ بلاءً من المُحِبّ، وإن استَحْلَى ذَواق الحبِّ واستلانَ جَسَّه، إذ كنتَ تجدهُ كلَّ وقتٍ متألِّمًا من حاله، ضَجِرًا بعَيْشه؛ وذلك أنه لا يخلو من إحدى حالتين: إما أن يكون مجتمِعًا مع محبوبه فيخافَ الافتراق، أو يكونَ بعيدًا منه فيكدُّه الاشتياق، ولا حالةَ ثالثةً للاجتماع والافتراق، وهو سَخِينُ العينِ في كلٍّ منهما، قليلُ التودُّع في عَقِبهما.

وقوله: «وإن وَجَدَ الهوَى» جواب الشَّرْط منه في قوله: «ما في الخَلْقِ أشقَى من مُحبٍّ». وقوله: «شوقًا إليهم» انتَصَبَ على أنّه مفعول له، وكذلك قوله: «خوفَ الفِراق» و«مخافَة فُرقةٍ». ألَا تَرَى أنه عَطَف عليه «أو لاشتياق» فجعل حرف الجرّ فيه اللام.

٥٤١ ـ وقال ابنُ الطَّثْريَّة(٣): [الطويل]

١ ـ عُقَيلِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ إزارِهَا فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ

(١) الأغاني: «أجازنا... جُزنا».

(٢) التبريزي: «وقال آخر، قال أبو رياش: هي مولّدة». والأبيات لماني في الزهرة ١: ١٤١، وبلا نسبة في ذمّ الهوى ٥٩٢، ولنصيب في تزيين الأسواق ١٥٩، والمصون ١٥٥، وديوانه ١١١.

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن الطثرية، والطثرية أمّه، وكان حسن الشعر، حلو الحديث، صاحب غزل وظرف وشجاعة وفصاحة. (ت ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م). ترجمته في: الشعر والشعراء =

٢ ـ تَقَيَّظُ أكنافَ الحِمَى ويُظِلُّهَا بِنَعْمَانَ من وَادِي الأَرَاكِ مَقِيلُ

المَلَاث: الموضع الذي يُدَارُ به الشيء. ويقال: لُثْتُ على رأسي العمامةَ لوثًا. ومنه قوله: [البسيط]

كانوا مَلَاوِيثَ فاحتاجَ الصَّدِيقُ لهم(١)

أي: كانوا الذين يُدارُ بهم، ويُطاف عليهم، ويُرْجَى خيرُهم. والمراد بالمَلَاث هاهنا العَجُز، وشبَّهها بالدِّعص، وهو الرَّمل المجتمِع، لكثرة اللَّحم عليها واكتنازِه. والبتيل: الهَضِيم الدَّقيق، وأصل البَتْل القَطْع، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: الآية ٨]. وصَفَ المرأة بالنَّعْمَةِ والنِّعْمَةِ، ومطاوَعة الخيرِ لها والسَّعَة، فيقول: هي دقيقة الخَصْر، قليلة العَجُز، وهي في فصول سَنَتِهَا تَنْتَقِل في المواضع الطيِّبة المُخْصِبَة، لا تُكابِد ضِيقًا ولا تُعاني جَهْدًا. وتَقَيَّظَ بالمكان: أقامَ قيظَة فيه. ونَعمان: وادِي الأراك. وأصل تَقَيَّظُ تَتَقَيَّظُ، فحذف إحدى التاءَين.

٣ ـ أَلَيْسَ قليلًا نَظْرَةٌ، إن نَظَرتُها إليكِ، وكَلَّا، ليس مِنْكِ قَلِيلُ

٤ ـ فيا خُلَّةَ النَّفسِ التي ليسَ دُونَها لنا مِنْ أَخِلَّاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ

٥ ـ ويا مَن كَتَمْنَا حُبَّهُ لم يُطَعْ به عَدُوٌّ ولم يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ

٦ ـ أَمَا مِنْ مَكانٍ أَشْتَكي غَرْبَةَ النَّوَى وخَوفَ العِدَى فيه إليكِ سَبِيلُ(٢)

قوله: «أليس» يقرِّر به في الواجب الثابت، وكذلك أَلَمْ وأَلَا؛ وذلك: أنّ حرف الاستفهام يُضارع حرف النَّفي، ونفي النَّفي إيجاب، فإذا قال القائل: ألم أحسنْ إليك؟ يجب أن يكون قد أَحْسَنَ، فتقريرُه به فيما قد وقع وثَبَت. وفي القرآن؛ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، فكأنّه قال مُدِلًّا بما يُقاسيه فيها، ويتحمَّله مِن أجلها: أليس قليلًا نظرةٌ مِنْكِ إذا حَصَلَتْ لي. ثم استدرَكَ على نفسه راجعًا فيما أطلقه، وناقضًا لما اعتقدَه، فقال: «كلَّا» ـ وهو حرفُ رَدْع ونَفْي ـ لا قليلَ منكِ.

= ٣٩٢، والأغاني ٥: ٢٤٧،

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص١٧٠، واللسان (لوث)، وتاج العروس (لوث)، وعجزه:

«فَقْدَ البلادِ إذا ما تُمْحِلُ المطرا»

(٢) التبريزي: «أما من مقامٍ».

ومثل هذا قول الآخر: [الخفيف]

هَـلْ إلـى نـظـرةٍ إلـيـكِ سـبـيـلُ فـيُـرَوَّى الـظَّـمـا ويُـشـفَـى الـغَـلـيـلُ
إنَّ مـا قَـلَّ مـنـكِ يـكـثُـر عـنـدي وكـثـيـرٌ مـمـن يُـحَـبُّ الـقـلـيـلُ

فقوله: «القليل» مبتدأ، و«كثير ممن يحب» خَبَرُهُ.

وقوله: «فيا خُلَّةَ النفس» في هذا الكلام اعتدادٌ في المناداة بما يتوخَّاه معها، فيقول: يا صديقةَ النفس التي تفرَّدَت بمِلْكها واجتذبَتْها من أيدي خُطّابها ففازت بها، فليس لنا خليلٌ ممن يُصافِي المودَّة من دُونِها، ويا مَنْ ستَرْنا حُبَّه عن الناس كافَّةً، صيانةً له عن الانتشار والابتذال، فلم نُطِعْ فيه واشيًا فيَفْسُد ذاتُ بينِنا ولا مُضَرِّبًا، ولم نأمن عليه دخيلَه يُزاحِمُه في حِمَاه فيصير موضعُه مشتَرَكًا، أمَا عندكِ مَقامٌ لي فيه إليك سبيل أشتكي غَرْبَةَ النَّوَى، وخَوْفَ العِدى، فالمنادى له قوله: «أمَا مِن مقامٍ أشتكي».

٧ ـ فَـدَيْـتُـكِ أعـدائـي كـثـيـرٌ وشُـقَّـتِـي بَـعـيـدٌ وأشـيَـاعِـي لـديـكِ قَـلـيـلُ
٨ ـ وكـنـتُ إذا مـا جـئـتُ جـئـتُ بـعِـلَّـةٍ فـأَفْـنَـيْـتُ عِـلَّاتِـي فـكـيـفَ أقُـولُ
٩ ـ فـمـا كـلَّ يـومٍ لـي بـأرضِـكِ حـاجـةٌ ولَا كـلَّ يَـوْمٍ لـي إلَيْـكِ رَسُـولُ[(١)]

الشُّقَّةُ: بُعْدُ مسيرِ أرضٍ إلى أرض بعيدة، وإنَّما لم يقل بعيدة، لأنّ فعيلًا كثيرًا ما يقع للمؤنَّث والمذكَّر على حالةٍ واحدة، حَمْلًا على النَّسب أو على فَعُولٍ. يقول: تفديك نفسي، في أعدائي بحضرتك وفي الطريق إليك كثرةٌ، وفي المسير بيني وبينَك بُعْدٌ ومشقة، وفي النُّصَّار لي بحضرتِك قِلَّة، وكنتُ متى جئتُك من قَبْل، ولم تبلُغ الحالُ منَّا هذا المبلَغ، أُقيم مَعْذِرةً، وأنصِب لفِعلي علَّة. وقد كَثُر ذلك مِنّي حتَّى فَنِيَت المعاذيرُ والعِلَل، فلا أدْرِي ماذا أقول، ومن أين أتوصَّل، بأيِّ شيءٍ أتبلَّغ، وعلى ماذا أُعوِّل، ومع ذلك فالحاجاتُ بأرْضِك لا تكادُ تَعْرِض كلَّ يوم فتُذْكَر، والرُّسل لا توجد فتتقاطر، فإذَا تُؤَمِّلَ حالي فإنّي حبيسٌ على المكاره، أسيرٌ في أيدي النَّوائب، ضيِّقِ المجال والشَّأوِ في الزِّيادة، موفورُ الحظِّ من الأسباب الصادَّة، عظيمُ

(١) بعده عند التبريزي:

«صـحـائـفُ عـنـدي لـلـعـتـابِ طـويـتـهـا سـتُـنـشَـرُ يـومًـا والـعـتـاب طـويـل
فـلا تـحـمـلـي ذنـبـي وأنـت ضـعـيـفـةٌ فـحَـمْـلُ دمـي يـومَ الـحـسـاب ثـقـيـلُ»

المِحنة فيما اجتمَعَ عليَّ من أنواع البَلَاء، وموانِع القَضاء. وقوله: «فكيف أقولُ»، يريد: كيف أقول ما أقولُه، فحذَف المفعول، ويجوز أن يكون المراد بأقول أتكلَّم، فيستغني عن المفعول، كقول الآخَر: [الطويل]

بحاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ فِي جَوَابِهَا   فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمَقالَةُ تُعْذِرُ[١]

أي: لم تتكلَّمْ في جوابها.

٥٤٢ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَبَعْدَ الَّذِي قد لَجَّ تَتَّخِذِينَنِي   عَدُوًّا وقد جَرَّعْتِنِي السُّمَّ مُنْقَعَا

٢ ـ وشَفَّعْتِ مَنْ يَبْغِي عَلَيَّ وَلَمْ أَكُنْ   لِأَرْجِعَ مَنْ يَبْغِي عَلَيْكِ مُشَفَّعَا

ألف الاستفهام تَطلب الفعل، وإن كان المراد به هنا التَّقريع، والمعنى: أتتَّخذينَني عدوًّا بعد ما لَجَّ من الحُبِّ فيكِ والهَوَى، وغَلَبَ من عِصْيَان القَلْبِ والأَسَى، وبعد أن سقيتني جُرَعَ السُّمِّ المُنقَع، وأذَقْتِني مرارةَ المَنْع الجامد، فوجَدتِني صابرًا على الأذى، مُنصَبًّا إليك بنوازع الصِّبا، لا يُخلى وِرْدَه وإن حُلِّىءَ، ولا يكدِّر صفاءَ وُدِّه وإن دُوفِع. والمُنقَع: المُثبَت، يقال: «أنقِعْ له الشَّرَّ حتَّى يسأم».

وقوله: «وشفَّعت مَن يبغِي عليَّ»، أي: رَددتِ الباغي عليَّ مُشفَّعًا بما جاء له في معناي وطلبَه، وبقيتُ أنا لا أقبل نُصْحَ النُّصَّاحِ، ولا أُصدِّق قولَ الوُشاة، ولا أُوَحِّي الشَّفيع عنِّي مُنجِحًا، ولا أَصْرِف عليكَ مظفَّرًا.

٣ ـ فقالت وما هَمَّتْ برَجْعِ جوابِنا   بَلَ انْتَ أَبَيتَ الدَّهْرَ إِلَّا تَضَرُّعَا

٤ ـ فقلتُ لها ما كُنتُ أَوَّلَ ذِي هَوَى   تَحَمَّلَ حِمْلًا فَادِحًا فَتَوَجَّعَا

يقول: أجابتني بعد أن كانت في صورةِ مَن لا يَعْبأ بما يُبدأ به فلا يُجيب، ولا يرِقُّ لمن يَشكو إليه فيستجيب، بل أنتَ تأبى إلَّا ضَرَاعَةً وتوَجُّعًا، وانخزالًا وتألُّمًا. هذا عادتك والمألوفُ من طرائقك، فإلى متى هذه الشَّكوى، وأنَّى يكون منِّي في مقابلة عَتْبِك العُتْبَى؟ فقلتُ في جوابها: ما أنا بِبِدْع في الهَوَى، ولست بأوَّل مَن حُمِّلَ ما لا يطيقه، أو ثَقُل عليه ما كُلِّفَه فتشكَّى. والفَادِح: المُثقِل، يقال: دينٌ فادِحٌ، وقد

---

(١) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٢.

فَدَحَهُ الدَّين. والتَّضرُّع: التَّصاغُر والتَّذلُّل. يقال: رجلٌ ضَرَعٌ وضارِعٌ وقومٌ ضَرَع. ويقال: خَدُّه ضَارِعُ، وجَنْبُه ضَارِعٌ.

٥٤٣ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ أَبَى القَلْبُ إلَّا أُمَّ عَمْرٍو وحُبَّهَا   عَجُوزًا ومن يُحْبِبْ عَجُوزًا يُفَنَّدِ(٢)

٢ ـ كَسَحْقِ اليماني قد تقادَمَ عَهْدُه   ورُقْعَتُه ما شِئْتَ في العينِ واليَدِ(٣)

انتصَبَ «عَجُوزًا» على الحال. والتَّفنيد: التَّوبيخ. والسَّحْقُ: الخَلَق من الثِّياب الذي قد انسحق وانجرد، وأضافه إلى اليماني إضافَة البعضِ إلى الكلّ، هذا إذا جَعَلْتَ اليماني البُرْدَ، ولك أن تجعلَه التَّاجرَ صاحب البُرْد، فيكون الإضافةُ إليه. والمعنى: أَبَى قلبي إلَّا هذه المرأةَ وحُبَّه لها في حال تعجيزها، ومَن صَرَفَ وُدَّه إلى العجائز وُبخ، لكنَّها في النِّساء كخَلَق البُرد اليماني في الثياب، وقد قَدُمَ عهده، أي معهودُه، وإذا مَسِسْتَه أو نظرتَ إليه وجدتَ رقعته زائدةً على كلِّ رقعة دِقَّةً ومتانَةً، ومنظرَه راجحًا على كلِّ منظرٍ حُسْنًا وجَوْدَةً، وكذلك منظرُ أمِّ عَمْرٍو ومُخْتَبَرُها. وقوله: «وحُبِّها» أضاف المصدر إلى المفعول. وقوله: «ما شئت» يريد ما شئته، فحذَف المفعول من الصِّلة تخفيفًا. وقوله: «في العين» يريدُ في النَّظر. و«في اليد» يريد عند اللَّمس.

٥٤٤ ـ وقال آخر(٤): [الطويل]

١ ـ هَجَرْتُكِ أيَّامًا بذي الغَمْرِ إنَّني   على هَجْرِ أيَّامٍ بذِي الغَمْرِ نادِمُ(٥)

٢ ـ وإنِّي وذَاكِ الهَجْرَ لو تَعْلَمِينَه   كعازِبَةٍ عَنْ طِفْلِهَا وهي رَائِمُ

الكلام اعتذارٌ من إخلاله بزيارتها، وهِجرانه لها لعارِض عَرَضَ بذي الغَمْر، ثم أظهَرَ تندُّمَه على ذلك، وأنَّه مُدَّة هَجْرِهِ في وَجْدِه بها وشفقتِه عليها وتشوُّقه لها، كأمّ

---

(١) التبريزي: «وهو أبو الأسود الدؤلي». وأبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي واضع علم النحو، وكان معدودًا في الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، وهو أول من نقط المصحف (ت ٦٩هـ/ ٦٨٨م). ترجمته في: وفيات الأعيان ١: ٢٤٠، والإصابة ٤٣٢٢.

(٢) هذا البيت بلا نسبة في أسواق الأشواق خ ١٢١ ظ.

(٣) التبريزي: «كثوبِ اليماني».

(٤) البيتان لابن الدمينة في ديوانه ١٩.

(٥) التبريزي: «على هجر أيامي».

جِيل بينها وبين طِفْلٍ لها، وهي بعيدةٌ عنه بنفسها، ورِئمانها ـ أي عَطْفُها ـ متوفرٌ عليه. قال: وكذلك كنتُ في انقطاعي بالنَّفْسِ، وتَوَفُّري بالقلب. شَبَّهَ نَفْسَهُ بالعازِبة، والمهجورة بالطِّفل.

فإنْ قيل: إنّما قال: وإنّي وذاك الهجرَ، فيقتضي كلامُه أن يكون التَّشبيه متناوِلًا لَهُ ولهجره؟ قلتَ: يجوز أن يريد إنّي مع ذاكِ الهجر، وهذا كما يقال: إن الرِّجال وأعضادَهَا، أي مقرونان؛ وإنَّ النِّساء وأعجازها، أي مقرونان، لأنَّ المراد مع أعضادها ومع أعجازها.

ويجوز أن يكون أراد بالهجر المهجور، لأن المصدر يوصَفُ به، ويجوز أن يكون ذكر الهَجْرَ لَمَّا كان من سَببها، والمراد تلك. وقوله: «لو تعليمنه» الضمير منه يعود إلى الهَجْر، والمراد ما ذكرتُه. والعازبة: البعيدة. ويقال: عزب عنه عَقْلُه. والعازِبُ أيضًا، الكلأ البعيدُ المطلب.

٥٤٥ ـ وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ ما أَحْدَثَ النَّأْيُ المُفَرِّقُ بيننا ... سُلُوًّا ولا طُولُ اجتماعٍ تَقَالِيَا
٢ ـ خَلِيلَيَّ إلّا تَبْكِيَا لِيَ أَسْتَعِنْ ... خَلِيلًا إذا أفنيتُ دَمْعِي بَكى لِيَا[٢]
٣ ـ كأنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ إذا كان بَعْدَهُ ... تَلَاقٍ ولكنْ لا إخَالُ تَلَاقِيَا

قوله: «ما أحدَثَ النَّأيُ» يصف أن الوجد الذي به قد صار غَرَامًا، فلا البُعد منها يُحْدِثُ سُلُوًّا عنها، ولا الاجتماعُ معها يُوجِبُ مَلَالًا منها، لكنه في الحالتين جميعًا على حَدٍّ واحد من تَبَارِيحِ الهَوَى. ثم أقبل على صاحبين له يُخَالُّهُمَا فطلب منهما إسعادَه في البكاء، وأنَّهما متى لم يُسْعِفَا لَهُ بمطلوبهِ استعان بغيرهما، حتَّى إذا نَزَف دمعه بَكى له نائبًا عنه.

وقوله: «كأن لم يكن بَيْنٌ»، شَبَّهَ البَيْنَ إذا تعقَّبه المواصلةُ أو الاجتماع بما لم يكن، لكنَّه زَعَمَ أنّه يائِسٌ لا يَظُنُّ تَسَهُّلَ التَّلاقي بينه وبين محبوبِهِ واقعًا. وقوله: «ولا طول اجتماع» ارتفع بفعلٍ مُضمَر، كأنّه قال: أحدثَ طولُ اجتماعٍ.

وقوله: «خليليَّ إلّا تبكيا لِيَ» تألُّم وتَشَكٍّ من زمانه، حين لم يكن له مَن يساعده في شدَّةٍ أو رخاء، ويتحمّل عنه ثِقْلًا في مَسَرَّةٍ أو مَضَرَّة.

---

(١) لجميل بثينة في ديوانه ص ٢٢٢.
(٢) التبريزي: «أفنيتُ دمعًا».

وقوله: «كأنْ لم يَكُنْ» كان هذه هي التَّامَّة، والمراد: كأن لم يَقَعْ بَيْنٌ. وكأنْ مخفَّفة من الثَّقيلة، وَقَع على محذوفٍ، كأنّه قال: كأنّ الأمرَ والشّأن لم يكن بَيْنٌ إذا حصل بعده التقاء. وقوله: «لا إخالُ تلاقيا» المفعول الثاني محذوف؛ كأنّه قال: لا أحسب تلاقيًا بعده. وساغَ ذلك لتقدُّم ذكره، فهو في حُكْم الملفوظ به.

٥٤٦ ـ وقال جَمِيلٌ، وقد حارَبَ الفخذ الَّذِين منهم بُثَيْنَة:

[الطويل]

١ ـ تَفَرَّقَ أهلانا بُثَينُ فَمِنْهُمُ فريقٌ أقامَ واستقَلَّ فريقُ

٢ ـ فلو كنتُ خَوَّارًا لقد باخَ مِيسَمِي ولكنَّني صُلْبُ القَنَاةِ عَتِيقُ

٣ ـ كأنْ لم نحارِبْ يا بُثَينَ لَوَ انَّها تَكَشَّفَ غُمَّاها وأنتِ صديقُ

قوله: «أهلانا» أراد شعبيهما. وقال الخليل: أهل الرجل: أخصُّ النّاس به، وأهل البيت: سُكّانه، وأهل الإسلام: مَنْ يدين به. وبُثَيْنُ: نِدَاءٌ مفردٌ مرخَّمٌ. وقوله: «فمنهم فريقٌ أقام» تفصيل لما أجمله في تفرَّقَ، وإنما افترقوا حتَّى ارْتَحَلَ قومٌ وأقام قومٌ للخلاف الواقع كان بينهما.

وقوله: «فلو كنتُ خَوَّارًا» تنبيه على كراهتِه لما حَدَث، وإظهارٌ أنَّ ميلَه مع أهل بُثَيْنة، فقال: لو كنتُ ضعيف المُسْكَةِ مُنْحَلَّ العُقدة، لكان مِيسَمي وقد بَاخَ، أي زالت حرارته، وسكنَتْ حَمْيَتُه، بما أقاسيه وأشاهدُهُ حالًا بعد حال، مِن عوارض الدَّهْرِ ونوائِب الزَّمانِ، ولكنَّني عتيق النَّبْع، صليب القناة، وهذا مثلٌ ضربَه لإبائه، وبقائه على طريقةٍ واحدة في العهد والوفاء. ثمّ اعتذر بعد ذلك، فقال: «كأن لم نُحارب يا بُثَيْن»، يريدُ: أنَّ جميعَ ما يجري عليه يخفّ ويَهُون إذا بقيَتْ له على ما فارقها عليه، وتعاقَدا له، حتَّى كأنّه لم يقع تجاذُبٌ بين الحَيَّيْنِ، ولا تحارُبٌ بين الأَهْلَيْن، إذا انكشفت الغيايَةُ الحاصلة، وارتفعت العَمَاية الرَّاكدة، وتلك باقيةٌ على المصافاة. ويقال: باخت النَّار بَوْخًا وبُؤُوخًا، إذا خَمَدَت. والغُمَّى، هي الخَصْلة المُظْلِمة. ولك أن تروِي «تكشَّفُ» بالرفع، يريد تتكشَّفُ، فحُذفت إحدى التاءين استثقالًا لاجتماعهما. وإنّما عَدَل عن الإدغام إلى الحذف؛ لأنّه كان يحتاج عند الإدغام لسُكون أوّلِ الحرفين، إلى جلب ألفِ الوصل، وألفُ الوصل لا تدخل على الفعل المضارع. ولك أن تروي «تَكَشَّفَ» على أن يكون التاء للماضي. وجواب لو في قوله كأن لم نحارب، والواو من «وأنت» واو الحال. وذكَّر «صديق» لأنَّ المراد ذات

صداقة، ولو قال صديقة لجاز. قال: [الطويل]

إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ بغِرَّةٍ ... وإذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفُ(١)

٥٤٧ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ شَيَّبَ أيَّامُ الفِراقِ مَفَارِقي ... وأنْشَزْنَ نفسي فوقَ حيثُ تَكُونُ

يقول: أثَّرَتْ أيَّامُ الفِراق فيَّ فأبْدَلَتْني بالشَّابِ مَشِيبًا، وبالجِدَّةِ والقُوَّةِ خُلُوقَةً وَوَهْنًا شديدًا، وأزعجَتْ نفسِي من مَقرِّها فارتفعت من مركزها إلى ما فوقها، فالشَّيْب وإن جاءَ قبلَ حِينه يُؤذِنني باقتراب المَهَل، ونُشوزُ النَّفس يَبْشُرني بدنُوّ الأجَل، هذا إلى ما أُعانيه من حوادث الفِراق، ولوَاذع الاشتياق. وقوله: «فوقَ حيثُ تكون» جعل حيث اسمًا وأضاف فوق إليه، وحيثُ في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة، ولذلك احتاجَ إلى جملتين. «وتكون»: مستقبَلُ كان التَّامَّة، ومعناه يَقَعُ ويَحْصُلُ. ويقال للرَّجُل إذا تزحّف عن مجلسه فارتفع فُويقَ ذلك: نَشَزَ نُشُوزًا، وأنشزته إنشازًا. وقوله: «أيَّامُ الفراق مَفَارِقي» يسمّى التَّجنيس الناقِص، وفَرْقُ الرَّأس ومَفْرِقُه واحد.

٢ ـ وقد لَانَ أيَّامُ اللِّوَى ثُمَّ لَمْ يَكَدْ ... مِنَ العَيْشِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ يَلِينُ

٣ ـ يَقُولُونَ مَا أبْلَاكَ وَالمَالُ غَامِرٌ ... عليك وضَاحي الجلدِ منك كَنِينُ(٢)

٤ ـ فقُلْتُ لهم لا تَعْذُلُونِيَ وانْظُرُوا ... إلى النَّازِعِ المَقْصُورِ كيفَ يكونُ

حَمِدَ أيَّامَهُ باللِّوَى إذْ كان فيه اجتماعٌ مع الأحبّة، ومُساعَفَةٌ من المقدار والأقضية. ثم تَعَقَّبَ بِرُغْمِهِ ما صَعُبَ منها وخَشُنَ، لما حَدَثَ من البِعاد فيه فاستنكَرَ، فلم يستَوْفِقْ بعدها شيئًا من الأوقات، ولا ارْتَضَى حالًا من الأحوال، لتعسُّرِ العَيْش، ونَكَد الفِراق.

وقوله: «يقولون ما أبلاك والمال غامِرٌ»، يريد: أنَّ النَّاسَ متعجِّبون من شأني وأمري، مستنكِرون ما يشاهدون من حُؤُولي وضُمْرِي، فيرجعون بالسُّؤَال عليّ، ويقولون: ما الذي بَلَّاكَ، وهَزَلَك وأنضاك، وفي مالِكَ وُفُورٌ، والضَّاحِي من جلدك بالكُسوة مَسْتُورٌ، فلا تَبْذُلَ للحَرُور اعتراك، ولا إضافة في المعاش تَغَشَّاك، قال:

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٧٤، واللسان (سعف)، وبلا نسبة في أساس البلاغة (سعف).
(٢) التبريزي: «غامرٌ لديك».

فأجبتهم بأنِ اصْرِفُوا عنّي العَتْبَ والمَلَام، واعتَبِرُوا حالي بالنَّظَر إلى البعير الحانِّ إلى وَطَنٍ، مع أنّه أغلَظُ ما خَلَقَهُ الله كَبِدًا، وأثْبَتُ على الشدائد نَفْسًا وجَلَدًا، كيف يضجّ، ولو خُلِّيَ كيف يهيم على وجهه ويَنِدّ. واعلموا أنّ ما يبلغ به تلك الحالةَ من النِّزاع على ما به من العُجمة والغَباوة، حقيقٌ بأن يُكْمِدَ مثلي ما تُوُحِّدْتُ به من التَّمييز والتَّحصيل، والفرق بين أَحْنَاءِ الأمور وأنحائها.

وقد أخذ أبو تَمَّامٍ هذا المعنى فنقلَه إلى الدَّار وقد خَلَتْ من السُّكَّان، فقال: [البسيط]

إن شئتَ ألَّا تَرَى صَبْرًا لمُصْطَبِرٍ فانظُرْ عَلَى أيِّ حالٍ أصْبَحَ الطَّلَلُ[١]

٥٤٨ ـ وقال أبو دَهْبَلٍ الْجُمَحِيُّ[٢]: [البسيط]

١ ـ أقولُ والرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ وَقَدْ سَقَى القَوْمَ كأْسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ

٢ ـ يا لَيتَ أنّي بأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لأَهْلِكِ هذا الشَّهرَ مُؤْتَجَرُ

أول البيت الثاني، وهو «يا ليتَ أنّي بأثوابي» في موضع المفعول لأقول. والواو من قوله: «والرَّكْبُ» واو الابتداء، وهو للحال. وقوله: «وقد مَالَتْ عمائمهم» يريدُ لِغَلَبَةِ النوم عليهم، ومجاهدة السَّير والسرَى فيهم، ومزاوَلَتهم السَّهَرَ، حتّى كأنّهم سَقَاهُمْ كؤوس النُّعاس فسَكِرُوا، والمعنى أنّي أقول، على معاناةِ هذه الأحوال بِوَدِّي أني مُسْتَعْبَدٌ لأهلِك طُول الشَّهْرِ الذي نحن فيه، مؤتَجَرٌ بِكُسْوتي وزادي وراحلتي، لا أكلّفهم مَؤُونة، ولا أُحمّلهم مَرْزئة، كلُّ ذلك رغبةً في التَّقرُّب إليكِ، والاستسعاد بخدمةِ أهلك، والفَوز بالتَّعريج على مَحَلِّكِ ومرتَحَلك. وقوله: «يا ليت» المنادَى محذوف، كأنّه قال: يا قوم يا ليت أنّي.

٣ ـ إنْ كان ذا قدرًا يُعطيكِ نافلَةً مِنّا ويَحرِمُنا، ما أَنصَفَ القَدَرُ

٤ ـ جِنِّيَّةٌ أوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمْيَ القُلوبِ بِسَهْمٍ ما لَهُ وَتَرُ[٣]

جواب الشَّرط في قوله: «ما أنصف القَدَر» على إرادة الفاء. وقوله: «يعطيكِ نافلةً» في موضع الصِّفة لقَدَرًا، وأشار بـ «ذا» إلى ما بينه وبين محبوبه. والمعنى: إنْ

---

(١) ديوانه ٢٢٦.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٢١).

(٣) التبريزي: «بقوسٍ ما لها وترُ».

كان ما يُرَى بيننا ويُشاهَدُ قَدَرًا قدَّره الله تعالى، يُعْطيكِ منا ما تَستغنمينَه وتستفضلينه، ثمَّ يمنعُنا مثلَ ذلك منكِ فلا يُوجِبُه لنا، فما أعطانا النَّصَفَةَ في القضيَّة، ولا سار بالسِّيرة المحمودة في الحكومة.

وقوله: «جنيَّةٌ»، يريدُ أنَّ فِعْلَها مُبَايِنٌ لفعلِ الإنس، وكذلك شكلُها وحُسْنها، فإمَّا أنْ تكون من الجنّ، أو لها من الجنّ من يُعلِّمها افتتانَ العقول، واختبالَ الأفئدةِ في الصُّدور. وقوله: «بسهم ما له وتَرٌ»، يريد: سهمًا لا يُنَزِّيه الوتَرُ على القِسِيّ، بل تهيِّئه مُقَلُ العُيون، ونَواظر الفُتون، لإصابة حَبَّات القُلوب، وانتظام غِرَّات النُّفوس.

٥٤٩ ـ وقال تَوْبَةُ بن المُضَرِّس[١]: [الطويل]

١ ـ يـقـول أُنَـاسٌ لا يَـضِـيـرُكَ نَـأيُـهـا ... بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا[٢]

٢ ـ أَلَيسَ يَـضِـيـرُ الـعَـيْـنَ أن تَـرِدَ الـبُـكَـا ... ويُـمْـنَـعَ مـنـهـا نَـوْمُـهـا وسُـرُورُهَـا

يقال: ضارَهُ يَضِيرُهُ، في معنى ضرّه يضُرّه. وشَفَّ النُّفوسَ، أي: آذاها وأذابَها. والمعنى: أنَّ النّاس يطيِّبون قلبي ويَرُومون بمحاجَّتِهم لي تسليتي، ويقولون: إنَّ بُعْدَها لا يُورِثك خَبالًا، ولا يَكْسِبك ضررًا ووبالًا، بل يُعقِبك سلوةً، ويبدِّلك من التأنُّس بالاجتماع معها نَفْرَةً، فأثبتُّ ما نَفَوْه، وأبطلتُ ما أَلْقَوه، وقلت: بلَى كلُّ ما يُذيب النَّفسَ ويَهزِلُها، ويسلبُها القرارَ ويُقلقُها، فهو عائدٌ بأكملِ الضَّررِ عليها، ثمَّ رَددتُهم إلى الشَّاهد مستدلًّا بها، فقلتُ: أليس العين إذا أُدِيم البكاء بها، ومُنِعَ النومُ وما يُلتَذُّ به من مَسارح اللَّهو والسُّرور منها، يضرُّها ذلك؟ كذلك النَّفسُ إذا جُمِعَ عليها ما لا تهواه، وفُرِّق بينها وبين ما تلتذُّه وترضاه.

٥٥٠ ـ وقال ابن أبي دُباكِلِ الخزَاعِيُّ[٣]: [الوافر]

١ ـ يـطـولُ الـيَـوْمُ لا أَلْقَـاكِ فـيـهِ ... وحَـوْلٌ نَـلْـتَـقـي فـيـه قَـصِـيـرُ[٤]

---

(١) التبريزي: «توبة بن الحمير». وأمّا توبة بن المضرّس: شاعر محسن، انظر: المؤتلف والمختلف ٦٨.

(٢) البيتان لتوبة بن الحمير في تزيين ١٨٦، وأسواق الأشواق ق خ ٨٨ ظ، وديوانه ٧، والواضح ١٣٩، وذمّ الهوى ٤٣٤.

(٣) هو سليمان بن أبي دباكل: شاعر أموي كان معاصرًا للأحوص.

(٤) التبريزي: «ويومٌ نلتقي».

٢ ـ وقالوا لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهرٍ فقلتُ لصاحِبِي فمتى يَضِيرُ[١]

يقول: إنَّ السَّنَة الكاملةَ إذا اتَّصَل الالتقاءُ بيننا فيها، أستقصِرُها وأحْرِصُ على الاستزادةِ منها، التذاذًا بها وبُعْدًا من المَلَال لها، وإنّ اليوم الواحِد إذا حيل بيني وبينك فيه أستطِيلُه تقاليًا له، وتفاديًا منه، وكراهِيةً لامتداده، والنَّاسُ يقولون لي: إنَّ الشَّهرَ لا يَجْلُبُ عليك ضَرَرًا، فقلت لصاحبي: فمتى يضير إذًا؟ استبعادًا للأجل المضروب. ويروى: «لصاحبيّ فمن يضير». والمعنى: إذا لم يَضُرَّني الفَطْم عمًّا لم أرتوِ منه فمن المضرور إذًا.

٥٥١ ـ وقال عُبَيْد الله بن عَبْد الله بن عُتْبَةَ[٢]: [الوافر]

١ ـ شَقَقْتِ القَلْبَ ثم ذَرَرْتِ فيهِ هَواكِ فَلِيمَ فالْتَامَ الفُطُورُ[٣]

٢ ـ تَغَلْغَلَ حيثُ لم يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلا حُزنٌ ولم يَبْلُغْ سُرُورُ[٤]

يصف استحكامَ أمْرِ الهوى وشدَّةَ تسلُّطِهِ على قلبه وتمكُّنِه من عَقْله، فيقول: شَقَقْتِ قلبي، وجعلتِ هَوَاكِ ذَرُورًا فيه، فرسَخ في جوانبه بعد أن دَبَّ في مسامِّه ومَوالِجِهِ، ثم جَمَعْتِ فُتُوقَه حتى التَأَمَتْ شقوقُه، فتوصَّلَ الهوى منه إلى حيث أعجزَ كلَّ سرورٍ وحزن. والمعنى: أنَّ الهوى مَلَكَ مجامع قلبي فأحْمَى منه ما كان مُحَرَّمًا على غيره. وقوله: «لِيمَ» أصله الهمز فأُبْدِلَ من همزته ياءً وانكَسَر اللام لها. والتَّغَلْغُل: التَّوصُّل على مقاساةِ تَعَبٍ وشِدَّةٍ. ولا يُقال لمن تَوَصَّلَ والمذهب سَهْلٌ: تَغَلْغَلَ. ويُقالُ: ذَرَّ الشَّيْءَ، إذا فَرَّقَهُ؛ وذَرَّ الحبَّ في الأرض. وقوله: «التام الفطور»، أراد الفطور منه، فحذَف تخفيفًا، لأنَّ المرادَ معلوم. والفَطْر: الشَّقُّ، ومنه تفطَّرَ الورق.

---

(١) التبريزي: «لصاحبيّ فمتى يضيرُ».

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذليّ التابعي: مفتي المدينة وأحد الفقهاء السبعة فيها، من أعلام التابعين (ت ٩٨ هـ/ ٧١٦ م). ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١:٧٤، وتهذيب التهذيب ٧:٢٣، وحلية الأولياء ٢:١٨٨.

(٣) الأبيات في المصون ٣٧.

(٤) قبله عند التبريزي:

«تغلغل حبُّ عثمةَ في فؤادي فباديه مع الخافي يسيرُ»

٥٥٢ ـ وقال ابن مَيَّادَةَ[١]: [الطويل]

١ ـ وما أَنسَ مِلْ أَشياءِ لا أَنسَ قولَها ... وَأَدْمُعُها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكاحِلِ

٢ ـ تَمَتَّعْ بِذا اليَوْمِ القَصِيرِ فَإِنَّهُ ... رَهِينٌ بِأَيّامِ الشُّهُورِ الأَطاوِلِ

انجزم «أنسَ» بما، وما موضعه نصب على المفعول من أَنسَ. والمعنى: إن أنسَ شيئًا من الأشياء لا أنسَ قولها، فلا أَنسَ انجزَمَ على أنَّه جَوابُ الشَّرط، وقوله: «مِلْ أشياءِ» أصله من الأشياء، وجعل الحَذْفَ بَدَلًا من الإدغام لَمَّا تعذَّر إتيانه في المتقاربَيْن، وقد مرّ مثلُهُ مستقصًى. وقوله: «يُذْرِين» يريد: يُسْقِطْن حَشْوَ المكاحِلِ. أراد أنها كَحْلَاءُ، فكأن الدَّمْعَ حين ذَرَفَ صَحِبه الكحل.

وقوله: «تمتَّعْ بذا اليومِ القصير» موضعُه من الإعراب نصبٌ على أنَّه مفعولٌ من قولها،أي: لا أنسَ قولها، وقد شافَهَنَا الفِراق من يومِ التوديع والتَّشييع وهي تبكي: تمتَّع بيومِكَ القصير لكونه يومَ اجتماع، فإنَّه مرتَهَنٌ من الشُّهور الطَّويلة، لكونها أيامَ التَّباين؛ أي: مثل هذا اليوم لا يُفَكُّ من الارتهان، ولا يَحْصُل إلَّا بعد تَقَضِّي تلك الأيام المستطالة.

٥٥٣ ـ وقال محمد بن بَشِيرٍ[٢]: [الكامل]

١ ـ بَيْضاءُ آنِسَةُ الحَدِيثِ كأَنَّها ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ جِنْحَ لَيلٍ مُبْرِدِ

٢ ـ مَوْسُومَةٌ بالحُسْنِ ذاتُ حَواسِدِ ... إنَّ الحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلحُسَّدِ[٣]

٣ ـ وتَرَى مَدامِعَها تُرَقْرِقُ مُقْلَةً ... سَوداءَ تَرْغَبُ عن سَوادِ الإِثْمِدِ

وصفَ المرأةَ بإشراق اللَّون. ومعنى «آنِسَة» ذاتُ أُنس، لأنَّ الحديثَ يُؤْنِسُ ولا يَأْنَسُ، كقولهم: همٌّ نَاصِبٌ، والمراد مُنْصِبٌ. ثمَّ شبَّهها بقمرٍ توسَّط السَّماء فيما جَنَحَ مِن ليلٍ كان فيه غَيْمٌ وبرد. والقَمَرُ إذا خَرَجَ من خَلَك الغمام في ليلةٍ مَطيرة كانَ أضوأَ وأَحْسَن. ويجوز أن يكون قوله: «لَيْل مُبْرِد»، يُرادُ به ليلٌ ذو بَرْدٍ أو بَرَدٍ، ويكون من باب أشْمَلْنا، أي دَخَلْنا في الشّمال، وأشْتَيْنا، أي دخلْنا في الشّتاء. ويُقال: بُرِدَت

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٣٤).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٦٩). التبريزي: «وقال آخر».

(٣) بعده عند التبريزي:

«خَوْدٌ إذا كَثُرَ الحديثُ تعوّذتْ ... بحمى الحياء وإن اتكلّمْ تقصدِ»

الأرضُ، إذا مُطِرَت البَرَدَ، فهي مبرودةٌ، وأبْرَدْنَا، أي: دَخَلْنا في البَرَدِ أو البَرْد، وكذلك قوله شُمِلْنَا: أصابتنا ريح الشَّمال، وأشْمَلْنا: دخَلْنا في الشَّمال. وقال الخليل: يقال أبْرَدَ القومُ، إذا صارُوا في وقت القُرِّ في آخر النهار. والأَبْرَدان: طَرَفَا النَّهار. وقال الشَّاعر: [الوافر]

إذا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدُودُ جَوَازِئٍ بالرَّمْلِ عِينِ(١)

يصف بقرةً وحشيَّةً بأنَّها تتوسَّدُ غصُون الأَرْطَى التي تَلِي الغَرْبَ بالغَداة، فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية الشَّرق، فتوسَّدَت الغُصونَ التي مالت الشَّمْسُ عنها.

وقوله: «موسومةٌ بالحسن»، يريد: أنه جُعِلَ سيماها الحسَنَ، فهي ممسوحةٌ به موسومةٌ. وأصل السِّمَة العلامة، ومنه السِّيمَا. ومعنى «ذات حواسِدٍ»، أي: مَن يراها مِن النَّاس يَحسُدها، لأنَّ الحِسان مَعْلَمٌ للحُسَّدِ، وهكذا كما يُقال: إنَّ الحَسَد يتبع النِّعَم.

وقوله: «وتَرى مدامعَها ترقرِقُ مُقْلَةً»، فالمدامع مَسَايل الدَّمع من القبائل في الرَّأس. ومعنى «ترقرِقُ مقلةً، أي ترقرِقُ الدَّمْعَ في مقلةٍ. والرَّقراق: الدَّمْع الذي يترقرق في العَيْن ولا يسيل. قال: [الرمل]

أو الدُّرُّ رَقْرَاقُهُ المُنْحَدِرْ(٢)

والمعنى: أنها كَحْلاء، وأنَّ الدَّمْع يتجمَّع في مُقْلَةٍ لها مُستغنِيةٍ عن سَواد الكحل، لكَحَلِها.

٥٥٤ ـ وقال آخر(٣): [الكامل]

١ ـ صَفْرَاءُ من بَقَرِ الجِوَاءِ كأنَّما تَرَكَ الحَيَاءُ بها رُدَاعَ سَقِيمِ
٢ ـ مِنْ مُخْذِيَاتِ أَخِي الهَوَى جُرَعَ الأَسَى بِدَلَالِ غَانِيَةٍ ومُقْلَةِ رِيمِ
٣ ـ وقَصِيرَةِ الأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَوْ دَامَ مَجْلِسُهَا بفَقْدِ حَمِيمِ

---

(١) للشماخ بن ضرار في ديوانه ٣٣١، واللسان (جزأ، برد)، وأساس البلاغة (جزأ).
(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٧، وصدره:
«فأسبل دمعي كفض الجمان
(٣) البيتان (٢، ٣) بلا نسبة في الزهرة ١١٣، والأبيات الثلاثة في اعتلال القلوب ١٠٢، ومصارع العشاق ١: ٢٥٢، ولبشر بن عبد الرحمٰن الأنصاري في أسواق الأشواق خ ٢٦٠ ظ.

وصَفها بأنها دُرّيّة اللّون، وأنَّ فمها مَشَابَه من بَقَر الجِواءِ، وأنّها حَيِيَّةٌ قليلة الحركات لنَعمتها، قليلةُ الكلام لفَرط حيائها، فكأنّ بها نُكسَ سَقم لما أَلِفَتْهُ من الكسَل. وقال الخليل: الرَّدْع والرُّدَاع: النُّكس؛ ورجُلٌ مَردوع. وقيل: الرُّداع: الوجع في الجَسَد. فأمّا قول الأعشى: [الكامل]

بيضاءُ ضَحْوَتِها وصَفرا ء العَشِيَّة كالعَرَارَهْ

فجعل لها لونَين: بياضًا في أوّل النهار، وصُفرةً في آخره حتى لونها لَوْنُ العَرَار. وإنّما يُريدُ أنّها تَقِيلُ فيمتدُّ النَّوْمُ بها إلى آخرِ النّهار، والقائم من نَوْمِه أبدًا يكون متغيّر اللون. ومثل قوله: «تركَ الحياءُ بها رُدَاعَ سقيم» قولُ الآخر: [الطويل]

كأنَّ لَهَا في الأرضِ نِسْيًا تَقُصُّهُ على أُمِّهَا وإنْ تُكَلِّمْك تبلَتِ[1]

وقوله: «مِنْ مُخذِياتِ أخِي الهوى»، يريدُ: أنها من النساء اللاتي تَسقِي الشُّبّانَ وأربابَ الهوَى جُرَعَ الأَسَى، يريد: أنّها تَفْتِنهم بمحاسنها، ثم لا تُنيلهم شيئًا، وهي الحُذْيَا والحِذْوَةُ. والأسى: الحُزْن.

وقوله: «بدَلالِ غانيةٍ» تعلق الباء منه بمُخْذِياتِ. والغانية: التي تَسْتَغني بجمَلها عن الحُليّ. والرّيمُ: الظَّبيُ الخالص البَيَاض. والمعنى: أنها تفتنه بعينِها وكلامِها وغُنْجِها.

وقوله: «وقَصيرةِ الأيام»، يريد: أنها لا تُمَلّ، فالأيام في مُلازَمتها قصيرة، حتى أنَّ مُجالِسَها يودُّ أن يدوم مجلسها له وإنْ فَقَدَ أقاربه. والقصدُ إلى أنها طيّبة الحديث، مُؤنِسة المجلس، مُصَرِّفة المُلازم في أصنافِ المَلاذّ حتى يَنْسَى كلَّ شيءٍ غَيْرَها، ويَنْشَم جميعَ المَناظر سِواها.

وقوله: «بفَقْدِ حميم» الباء فيه يُفيد معنى العِوَض، فهو كما يقال: هذا لك بكذا، أي عِوَضًا منه.

٥٥٥ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ونارٍ كسَحْرِ العَوْدِ يَرْفَعُ ضَوْءَها مَعَ اللَّيلِ هَبَّاتُ الرِّياحِ الصَّوَارِدُ[2]

---

(١) للشنفري في ديوانه ٣٣، واللسان (بلت، نسا)، وجمهرة اللغة ٢٥٦، وأدب الكاتب ٤٩٣، وشرح اختيارات المفضل ١: ٥١٧.

(٢) التبريزي: «ترفع ضوءها».

٢ ـ أَصُدُّ بأَيْدِي العَيْسِ عن قَصْدِ أهلِها وَقَلْبِي إليها بالمَوَدَّةِ قاصِدُ

شبَّه النارَ في حُمْرتها وتَصاعُدها بسَحْر العَود. والسَّحْر: الرِّئةُ وما تعلَّق بالحُلْقُوم. ويقال لمن نَزَتْ به البِطْنة: انتفَخَ سَحْرُه؛ كما يقال: عدا طَوْرَه، وأكثرُ ما يقال ذلك لمن جَبُن عن شيءٍ. والعَوْد: الجمَل المُسِنّ، وقد عَوَّدَ، أي نَيَّبَ، والجميع العِوَدَةُ، وفي لغةٍ: العِيَدَةُ. ويستعمل العَوْد في السُّؤْدَد القديم، والطريق العاديّ.

وقوله: «يرفع ضوءها»، يريد: أنَّ هبَّاتِ الرّياح الباردة تُهيِّجها، فكأنها ترفَع من ضوئها في ظلام الليل ومعَه. والصَّوارد: البوارد، وهي من صفة الهَبَّات.

وقوله: «أصُدُّ بأيدي العِيس» جواب رُبَّ.

ويشبه البيتَ الثانيَ قولُ الآخَرَ: [الكامل]

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ حَذَرَ العِدَى وبهِ الفؤادُ مُوَكَّلُ[(١)]

ومثل البيت الأوّل قولُه: [الطويل]

تَنوَّرْتُها مِن أَذْرِعاتٍ وأهلُها بيَثْرِبَ أدْنَى دارِها نَظَرٌ عالِ[(٢)]

وهذا منهم على التشوُّق والتحفّي. ألَا إنهم كانوا يتعَلَّلون بما كان مِن نحوِ أرضِ الحبيب.

٥٥٦ ـ وقال الحُسَيْن بن مُطَيْرٍ[(٣)]: [الطويل]

١ ـ وكنتُ أَذُودُ العَيْنَ أن تَرِدَ البُكَا فقد وَرَدَتْ ما كنتُ عنهُ أَذُودُها

٢ ـ خَلِيلَيَّ ما بالعَيْشِ عَتْبٌ لوَ آنَّنا وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الحِمَى مَن يُعيدُها

يقول: كنتُ أُصبِّر النفسَ فيما رَكِبَها وثَقُل عليها من الوَجْدِ، وأَحْبِسُ العينَ مما ترومُه من البُكاء، فقد عِيلَ الصبر، وتسلَّط الحزن، وغَلَب البكاء، فقد وردَت عيني المورِدَ الذي كنتُ أُحلِّئها منه، وأدفعها عنه.

---

(١) للأحوص في ديوانه ١٦٦، واللسان (عزل)، وديوان الأدب ٢: ٤٥٩.

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٣١، وخزانة الأدب ١: ٥٦، والدرر ١: ٨٢.

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٩).

وقوله: «خليليَّ ما بالعيش عَتْبٌ»، رواه بعضهم: «ما بالعيش عَيْبٌ»، وذِكر العَتْب أحسن هاهنا. والمراد: أنّه لا معتبَةَ على العَيْش؛ لأنَّ صفاءَه بأن تتَّصل له أيَّامٌ كأيَّامِ الحِمَى، فلو وجَدْنَا مَن يعيدُ أمثالها فساعد فيها قُرْبُ المَزار، وإمكانُ الوِصال، لطابَ وصَفَا كما كان من قبل فلا ذَنْبَ للعَيْشِ، إنما الذنب لما يكدِّره ويَشْحَنُه بالمكاره.

٥٥٧ ـ وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ ولِي نظرةٌ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْجَوَى ... كنَظْرَةِ ثَكْلَى قد أُصِيبَ ولِيدُها

٢ ـ هَلِ اللهُ عافٍ عن ذنوبٍ تَسَلَّفَتْ ... أوِ اللهُ لم يَعْفُ عنها مُعِيدُها[٢]

يقول: قَذِيَتْ عيني بما حصَلَ من صُدود الحبيب، فلي نظرةٌ بعدَه لِجَوَى القلبِ والجَوْف، كنظرةِ أمٍّ أُصيبَتْ بوليدِها فثَكِلَتْه. ثم قال متمنِّيًا: هل يعفو الله عمَّا سلفَ لنا من ذنوبٍ، أو يعيدُ لنا تسهيلَ أمثالِها والتمكينَ من اقترافِ مُشابِهها إن ضاقَ عفوُه عنها. وهذا كلامُ من حَرِجَ صدرُه بمستقبَل أمره، وامتَلأَ قلبُه من التأسُّف في إثْر مُستدبَرِه.

٥٥٨ ـ وقال سَوَّار بن المُضرِّب[٣]: [البسيط]

١ ـ يـٰأيُّها القَلْبُ هل تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ ... أو يُحْدِثَنْ لك طُولُ الدَّهرِ نِسْيَانَا

٢ ـ إنِّي سَأَسْتُرُ ما ذو العَقْلِ ساتِرُهُ ... مِن حاجةٍ وأُمِيتُ السِّرَّ كِتْمانا

عتَب على قَلْبه في عصيانه له، واطِّراحه مواعظَه، ووُلُوعِهِ المستمرِّ على تطاوُلِ الدَّهر، وتقادُم الأمر، وقال: هل ليَّنَ الوعظُ منك أو أحدَثَ مواصلةُ الأيام واستمرارُها نسيانًا لك، فتكفَّ عما يُكرَه منك، أو تَقبَل بعض ما تُدْعَى إليه من رُشْدِكَ.

وقوله: «أو يُحْدِثَنْ» زاد النونَ الخفيفة في المعطوف من غير أن حصَلَ في المعطوف عليه، وهو «يَنهاك» مثلُه؛ وساغ ذلك لأنهم أَلِفوا زيادةَ إحدى النُّونين فيما ليس بواجبٍ من الأفعال، فكأنه قَدَّرَ أنَّ الأوَّلَ حصل فيه النونُ فزاد في الثانية، لتوهُّم مثلِهِ في الأولى، واستمرار العادةِ بزيادته. وهذا كما عُطِف في بيت امرئ

---

(١) جعل التبريزي هذه المقطوعة والتي قبلها واحدة من أربعة أبيات.

(٢) التبريزي: «عنها يعيدها».

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية (١٨).

القيس: [الطويل]

فظَلَّ طُهاةُ اللَّحمِ مِن بينِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أو قَدِيرٍ مُعَجَّلِ[١]

قولُه: «أو قديرٍ معجَّلٍ»، وهو مجرور، على صفيف شِواء وهو منصوب، لنِيَّتِهِ حذفَ التنوين، وجعَلَ الإضافة بدلًا منه في مُنْضِج.

وقوله: «إني سأستُر ما ذو العقل ساترُه»، وصَفَ نفسَه بحُسْن التماسُك فيما يأتيه، واستعمالِ العقل في سَتْر ما يجب إخفاؤه من حاجاته، وضَبْطِهِ للسِّرِّ، وقوَّة كتمانِه، حتى يصير السِّرُّ كالميِّت الذي لا أثَرَ له. ويُشِير بذلك كلِّه إلى دَوام وفائه، واتصال عَهْده، وكَتْمِ ما يَجري بينه وبين محبوبه. وانتَصَب «كتمانًا» لأنه مفعول له، ويجوز أن يكون في موضع الحال؛ كأنّه قال: كاتمًا له.

٣ ـ وحاجةٍ دُونَ أُخرَى قد سَنَحتُ لها جعَلْتُها لِلَّتِي أخفَيتُ عُنوَانَا[٢]

٤ ـ إنّي كأنّي أرَى مَنْ لا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أمَانَةَ بينَ النّاسِ عُرْيَانَا[٣]

يريد: رُبَّ حاجةٍ عَرَضْتُ لها وأظهرْتُها وفي النفس خِلافُها، لأنّي جعلتُ المُظْهَر في التوصُّل به إلى المضمَر كعُنوان الكتاب الذي يَظْهَرُ وما يَنطوي عليه الكتابُ مستور. يصف نفسَه بالذَّكاءِ وجَودة الفِطنة، وحُسْن التأنّي، والاهتداءِ فيما يرومُه للحِيَل اللطيفة. وكلُّ ذلك لئلَّا يَقِف موقفًا يوجِّه إليه الظنونَ السَّيِّئة، ويَجْلِب عليه القالةَ المُنكرة.

والعُنوان يجوز أن يكون فُعْوَالًا مِن عَنَّ لِيَ الشَّيْء، إذا اعْتَرَض؛ ويجوز أن يكون فُعْلَانًا من عَنَاه كذا. وفيه لغاتٌ وكلامٌ طويلٌ أتيتُ عليه في (شَرْح الفصيح).

وقوله: «إنّي كأنّي أرَى مَنْ لا حياء له»، يريدُ: مَن خَلَعَ رِبْقَةَ الحياء، واطَّرَح حِشْمةَ الناس، وعَرَّضَ الأمانةَ للضَّياع، والمُروءة للزَّوال، فحُكمهُ حُكْمُ مَن أظهر عَوْرَته، وهتك لعائبيه سِتْره، ورضِيَ بما نِيلَ منه، وتُحُيِّفَ من عِرْضه ودِينه.

٥٥٩ ـ وقال آخر[٤]: [الطويل]

١ ـ أَهَابُكِ إجْلالًا وما بِكِ قُدْرَةٌ عَلَيَّ ولكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُها

---

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٢٢، وجواهر الأدب ص ٢١١، وخزانة الأدب ١١: ٤٧.

(٢) التبريزي: «سنحتُ بها». (٣) التبريزي: «وسط القوم عريانا».

(٤) لنصيب في ديوانه ٦٨، وسمط اللآلي ٤٠١.

٢ ـ وما هَجَرَتْكِ النَّفسُ أنَّكِ عِندَهَا قَلِيلٌ ولَكِن قَلَّ مِنكِ نَصِيبُهَا

انتَصَبَ «إجلالًا» لأنّه مفعول له، جعَله علّة في تهيُّبِهِ لها. ويجوز أن يكون في موضع الحال، فيقول: أحتَشِمُك بظَهر العيب، وأخافُكِ ليس لاقتدارِ سلطانيّ منك عليّ، وامتلاكِ لضَرّي ونفعي في يديك، ولكن رَفْعًا منك، وإكْبارًا لقَدْرك، ولأنَّ العَيْن تمتلئ ممَّن تحبُّه استكبارًا واستعظامًا؛ لأنّه يحْمَدها. والضمير من «حبيبُها» للعين، وإن جَعَلْتَها للمرأة، أي: ما تحبُّه وترضاه يملأ العين، جاز. والمِلْءُ: القدر الذي يمتلئ منه الشّيء؛ والمَلْء، بفتح الميم: مصدر مَلأْتُ.

وقوله: «وما هَجَرَتْكِ النَّفسُ»، يريد: أنَّ الإخلال بالزِّيارة، والتَّأَخُّر عن إقامة العادة ليس لزُهْدٍ ولا لاستقلال للحال، وإزراءٍ بالحق، ولكنْ قَلَّ حَظّي منكِ، ودامَ إعراضُكِ عنّي، فرُمْتُ رِضَاكِ في البُعْد عنك، وتَرْكَ التّثاقُل عليك. وقوله: «مِلْءُ عَيْنٍ» جاز الابتداء به وإن كان نَكِرَةً لحصول الفائدة في تعليق الخَبَر.

٥٦٠ ـ وقال ابنُ الدُّمَيْنَة(١): [الطويل]

١ ـ أَلَا لَا أَرَى وَادِي المِيَاهِ يُثِيبُ ولا النَّفْسَ عَنْ وَادِي المياه تَطِيبُ

٢ ـ أُحِبُّ هُبُوطَ الوَادِيَيْنِ وَإِنَّنِي لَمُشْتَهَرٌ بِالوَادِيَيْنِ غَرِيبُ

قوله: «يُثيبُ»، أي: يَجْعَلُ لي ثَوابًا، ويَقْسِم لي لتوفُّري عليه ردْءًا ونَفْعًا. ويجوز أن يكون من قولهم: بِئْرٌ لها ثائب، إذا كان ماؤُها ينقطع أحيانًا ثم يعود؛ فيكون أثابَ بمعنى صار لها ثائب، كأنَّ الواديَ كانَ اتَّفق فيه مواصَلَةٌ بينَه وبين محبوبِه ثمَّ انقطَع، فكانَ لا يَثُوبُ خَيْرُه. وهذا الذي قُلْناه في أثابَ ذَكَرَه أبو زيد. ويجوز أن يكون ذِكْرُ الوادِي كالكناية عنها، فيقول: ليست تَسْلُو نَفسي عن وادي المياه وما يتَّصل به وعن أحبَّتِي فيهما، وأراه لا يُوجِبُ لي مثلَ ما أُوجِبُه، ولا يَرْضَخُ لي جَزاءً على ما أتحمّله، وأنا أُحِبُّ النُّزول بالوادِيَيْن والانتعاشَ بزيارتهما، لكنّي مُشْتَهَرٌ بهما غريبٌ لا ناصِرَ لي فيهما، فأحتاجُ أن أُحاذِرَ الرُّقباء خَوْفًا على نفسي، وتفادِيًا ممّا يحلَقُ صاحبي من المكروه والإعناتِ بسببي.

٣ ـ أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أنْ لَسْتُ وَارِدًا ولا صادرًا إلَّا عليَّ رَقِيبُ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٦).

٤ ـ ولا زائرًا فَرْدًا ولا في جماعةٍ ... من الناس إلّا قِيلَ أنتَ مُريبُ

هذا شَرْحٌ للاشتهار الذي أَجْمَلَهُ، والاغتراب الذي اشتكى منه. وقوله: «أَحَقًّا» في موضع الظَّرف، كأنّه قال: أفي حَقٍّ. «وأنْ لَسْتُ» أنْ مخفَّفة من الثّقيلة، وموضعُه بما بعده موضعُ الابتداء، وأحَقًّا في موضع الخبر. وقوله «فَرْدًا» انتَصَب على الحال، والعامل ما دلَّ عليه «ولا زائِرًا» من الفعل، فيقول: أفي حَقٍّ يا عبادَ الله أنّي لا أرِدُ الوادِيَيْن، يعني وادِيَ المياه، وما ذَكَرَهُ فيما بعد من ذكر الكثيب الفرد، ولا أصدُرُ عنهما إلّا وعليَّ رقيبٌ محافِظٌ، يَعُدُّ لحظاتي وأنفاسي، ويتأمّل قُصُودِي وإراداتي، ولا أزورهما منفردًا ولا في صحابة إلا وسُلِّطَت عليَّ التُّهم، ونُسِبْتُ فيما أتعاطاه إليَّ الرِّيَب، حتى ضاق عليَّ المجال، وأظلمَ لي المَسْرَحُ والمَطَاف.

وقوله: «إلّا قيل» في موضع الحال، أي لا أزورهما إلّا مَقُولًا فيه ذلك. وموضع «أنت مريبُ» الجملة رفعٌ على أنّه قام مقام فاعل قيل.

٥ ـ وهل رِيبَةٌ في أن تَحِنَّ نَجِيبةٌ ... إلى إلْفِهَا أو أن يَحِنَّ نَجِيبُ

٦ ـ وإنَّ الكَثِيبَ الفَرْدَ مِن جانِبِ الحِمَى ... إليّ وإن لم آتِهِ لحبيبُ

قوله: «هل رِيبَةٌ» لفظه استفهام ومعناه النّفي، فيقول: لا رِيبةَ في حنينِ أحد المتألِّفَيْن الكريمَي العَهْد إلى الآخر، ولا استنكارَ فيما تنطوي عليه النفس من الهوى والوُدّ، ولا محاسبةَ فيما يوجب المتحابّان ويُؤْثرانه من المُصَافَاةِ على البُعْد، وإنّ موضعَ الحبيب من جانب الحِمَى قلبي مُوَكَّلٌ به وإن لم أَزُرْهُ، إذ كان مجانبتي إيّاه، وتأخُّري عنه لإبقائي على الحال بيني وبينَ مَن أحتشِمُه، ولإيثاري صيانتَه من تحدُّث الوُشاة فيه، لا لغيره.

٧ ـ لَكِ اللهُ إنّي واصِلٌ ما وَصَلْتِنِي ... ومُثْنٍ بما أوْلَيْتِني ومُثِيبُ[١]

٨ ـ فَلا تَتْرُكي نفسي شَعاعًا فإنّها ... مِنَ الوجدِ قد كادَت عليكِ تَذُوبُ

٩ ـ وإنّي لأستحيِيكِ حتّى كأنّما ... عَلَيَّ بِظَهْرِ الغَيْبِ مِنْكِ رَقِيبُ

قوله: «لكِ الله» يجوز أن يكون دعاءً لها، والمعنى: إحسان الله لك، وحفظه مشتمِلٌ عليك. ويجوز أن يكون قَسَمًا، كما يقال: أُعْطِيكَ اللهَ، وجوابه إني واصلٌ،

---

(١) بعد هذا البيت عند التبريزي:

«وآخِذُ ما أعطيتِ عفوًا وإنني ... لأزوَرُ عمّا تكرهين هيوبُ»

وكأنّه أقسَم لها أو دَعَا لها بأنه يَبْقَى على العهد لها مُدَّةَ دوامِ مواصلتها وبقائها على المصافاة والإيثار له، وأنه يوجِبُ مِن إعظامها والثناء عليها، ومكافأتها بالحسنى فيما تُسْدِي إليه وتُوليه ما ينتفي عنه سِمَةُ التقصير والإقصار. وَوَجْهُ الدُّعاء لها استعطافُها وترقيقُ قلبها، ويكونُ كالتشبيب من السائل.

وقوله: «فلا تتركي نفسي شَعاعًا»، فالشَّعاع: المنتشر، وكذلك الشعُّ والفعل منه شعَّ. ويقال: تطايَرَ القومُ شَاعًا، أي متفرِّقين، فيقول: احفظِي نفسي عن الانتشار والزَّوال، فإنها شارفَت الذَّوْبَ والسَّيَلانَ وَجْدًا بك، وشافَهَتِ التَّلَفَ والبَوار شَوْقًا إليكِ. ثم قال: وإني مستحي منك على البُعْد إعظامًا لكِ، وتهيُّبًا منكِ، حتى كأنَّ لكِ رقيبًا معي في كلِّ حالٍ، فأتعفَّف عن المنكَرات، وأتنزَّه عن ذمي المقالات، فكُوني لي على ما توجِبُه صورتي، وتقتضيه قصَّتي. ومثل هذا قولُ الآخر[1]: [الطويل]

وإني لأستحيي فُطَيْمَةَ طاوِيًا خَمِيصًا وأستحيي فُطَيْمَةَ طاعِما
وإني لأستحييكِ والخَرْقُ بيننا مخافَةَ أنْ تَلْقَى أَخًا لِيَ لَائِمَا

٥٦١ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ تَحَمَّلَ أصحابي ولم يَجهدُوا وَجْدِي وللناسِ أشجانٌ وَلِي شَجَنٌ وَحْدِي[2]
٢ ـ أُحبُّكُمْ ما دُمْتُ حَيًّا فإنْ أَمُتْ فواكَبِدَا ممن يحبُّكُمُ بَعْدِي

الشَّجَنْ: الحاجة، والجميع الأشجان والشجون. قال: [الطويل]

والنَّفْسُ شَتَّى شُجُونُها[3]

وموضع «وَحْدِي» نصبٌ على المصدر، وهو موضوعٌ موضع الإيحاد. يقول: ارتحلَ أصحابي ولم يَنَلْهم من الوَجْد ما نالني، وفي نفوس الناس حاجاتٌ وقد أوحَدْتُ نفسي بحاجةٍ إيحادًا. ثم أقبَلَ على المحبوب مفسِّرًا لشجَنِهِ الذي تفرَّد به، فقال: أحبُّكم مدةَ حياتي، وإذا مُتُّ فواكَبِدَا ممن يلي حبَّكم بَعْدي. وهذا تحسُّر في إثر ما يفوته من الهوَى إذا فارق الدنيا. ويُرْوَى: «مَن ذا يحبُّكم بَعْدي».

(١) للمرقش الأصغر في المفضليات (٢٤٦) طبعة المعارف الثانية.
(٢) هذا البيت بلا نسبة في روضة المحبين ٣٦، وديوان الصبابة ٣٧.
(٣) قطعة من بيت بلا نسبة في اللسان (شجن)، وأساس البلاغة (شجن)، وتمامه:
«ذكرتُكِ حيث استأمن الوحش والتقت رفاقٌ به والنفسُ شتّى شجونُها»

وقد عيب الشاعر بهذا، فقيل: لم يَرْضَ بأن جعَلَ لها مُحِبًّا حتى صار يتحزَّن له. وقال بعضُ أصحاب المعاني: في هذا ظُلْمٌ للشاعر، وذلك أنّ غرضَه في التماسه مُحِبًّا لها إشادةُ ذكرها، وإعلاءُ قدرِها، وتشهيرُها عند الناس حتى يصيرَ لها الجاهُ عند السلاطين. قال: وكثيرٌ من نِساء العرب طَلَبْنَ التشبيب من الشعراء مع العِفَّة، كعَزَّةَ، وليلى، ومَيَّةَ. ولخلفاء بني أُمَيَّةَ وأقرانِها من الأمَراء معهنّ محاورات.

ويُرْوَى عن بعض السَّلَف الصالحين أنه حَجَّ، فلما قَضَى نُسُكَه قال لصاحبٍ له: هلمَّ نتمّم حَجَّنا! ألم تَسْمَع قول ذي الرُّمَّة: [الوافر]

تَـمَامُ الـحجِّ أن تَـقِـفَ الـمـطَـايَا … عـلى خَـرْقَـاءَ واضِـعَـةَ الـلِّثَـامِ

والطريقة في نُصْرَتِهِ وتحسينِ قولِهِ ما قدَّمْتُه.

وأشنع من هذا قول الآخر: [الطويل]

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ … أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بها بَعْدِي[1]

وقد قيل في هذا أيضًا: إنّه لو قال:

فـلا صَـلُحَـتْ دَعْـدٌ لِذِي خُـلَّةٍ بَـعْـدِي

لكان صوابًا، سالمًا مما يهجّنه.

٥٦٢ ـ أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِيّ[2]: [الطويل]

١ ـ رَمَـتْـهُ أنـاةٌ مِـنْ رَبِـيـعَـةِ عَـامِـرٍ … رَقُودُ الضُّحَى في مَأْتَمٍ أيِّ مَأْتَمِ[3]

٢ ـ فَـجَـاءَ كَـخُـوطِ الـبَـانِ لا مـتـتـابِـعٌ … ولـكـنْ بِـسِـيـمَـا ذِي وَقَـارٍ ومِـيـسَـمِ

أناةٌ أصله وَنَاةٌ، لأنّه من الوَنْي: الفتور والكسل.

والواو المفتوحة لم تُبْدل منها الهمزة إلّا في أحرف قليلة، وهي «أناة» في صفة المرأة الثَّقيلة الناعمة؛ و«أَحَدٌ» صفةً واسمًا للعدد؛ وما جاء في الحديث من قولهم: **«أيّ مَالٍ أُدِّيَتْ زكاتُه فقد ذهبَتْ أبَلَتُه»**[4]، يُرادُ وَبالُه. وقال أبو زيد: الأَبَلَةُ في الطعام

---

(١) للنمر بن تولب في الأغاني ٩: ١٥٩، وذمّ الهوى ٦٣٨، ولنصيب في أخبار النساء ٧٢.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥١٦). (٣) التبريزي: «نؤوم الضحى».

(٤) الحديث في النهاية في غريب الحديث ١: ١٥، وهو من حديث يحيىٰ بن يعمر بلفظ: «كلّ مالٍ أدّيت زكاته فقد أذهبت أبلته»، والأَبَلةُ: الثقل والطلبة، وقيل: هو من الوبال.

أصله الوَبَلة. ويقال: «أَجِمْتُ أُجُومًا»، في وجِمْتُ، فهذه الأحرفُ جاءت على ما ترى.

وقوله: «رقود الضُّحى» وصَفها بالتُّرفة، وأنّها مَكْفِيَّةُ الخِدْمَة، فهي تَنام القَيْلولة. وهذا كما قال امرؤُ القيس: [الطويل]

نَؤُومُ الضُّحَى لم تَنْتطقْ عن تَفَضُّلِ[1]

والمأتم: النِّساء يجتمِعْن في الخَيْر والشرّ. يقول: نظرَتْ إلى هذا الرجل امرأةٌ طلعتْ عليه في جُملةِ نساء، مُتْرَفَةٌ منعَّمةٌ سمينةٌ، تنام عن شؤونها أوقاتَ الضُّحى، لأنّ لها مَن يكفيها كلّ ما تهتمُّ له ففتنَتْه، ثم اقتصّ كيف نَصبت الحِبالةَ له، ومن أين وقع فيها حتّى اصطادته، فقال: جاء الرَّجُلُ وكأنّه غُصن بانٍ لحسن شَطاطِه وطَرَاءةِ شابِه، لا مُتهافَتٌ في مشيه وتصرُّفه، ولا خفيفٌ طائِشٌ في وُرُودِهِ وصَدْره، ولكن بعلامةِ ذي سكونٍ، وميسمِ ذي صلاح وهُدُوّ. والتَّتايُع يُوصَف به الحيرانُ والسَّكرانُ إذا رمَى بنَفْسه. وتتايعَ البعيرُ في مِشيته، إذا حرَّك ألواحَه حتَّى كأنّه يتفكَّك. والمأتَم أصله من الأتم، وهو أن تلتقي الخُرْزَتان فتصيرا واحدة. وموضع «كَخُوطِ» نَصْبٌ على الحال من جاء. والخُوط: الغُصْن الناعم لِسَنَةٍ. وقوله: «لا متتايع» ارتفَعَ لأنّه خبر مبتدإٍ محذوف؛ كأنّه قال: لا هو متتايع. وقوله: «ولكن» استدراكٌ بعد نفي، أي جاء غير متتايعٍ ولكن بهذه السِّيما.

٣ ـ فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لا يَرُحْ صَحِيحًا وإنْ لم تَقْتُليه فألْمِمِي
٤ ـ فألْقَتْ قِنَاعًا دُونَه الشَّمْسُ واتَّقَتْ بأحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ: كَفٌّ ومِعْصَمِ
٥ ـ وقالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغَتْ في فُؤَادِهِ وعَيْنَيْه مِنْهَا السِّحْرَ قُلْنَ له: قُمِ

قوله: «سِرًّا» يجوز أن يكون مصدرًا في موضع الأمر، كأنّه قال سَارِّيهِ، مُسَارَّةً، فوضَع السِّرَّ موضع المُسارَّة، ويكون على هذا قوله: «لا يرحْ» جوابَ الأمر الذي دلَّ عليه سِرًّا. ويجوز أن يكون سرًّا مصدرًا في موضع الحال، ويكون لا يَرُح مجزومًا بلا النَّهى. وجَعَل النَّهْيَ في اللَّفظ للرَّجل والمرأةُ هي المنهيَّةُ؛ كما يقال: لا أرَيَنَّكَ هنا. والمعنى: لا تكن هناك فأراك، والمراد: لا تَدَعِيه يروحُ صحيحًا. يقول: قالت النِّساء

(١) لامرئ القيس في ديوانه ١٧، واللسان (عنن)، وبلا نسبة في أدب الكاتب ٥١٣، وصدره:
«وتضحي فتيت المسك فوق فراشها»

المحتَفَّةُ بالأناة المذكورة لها: أشيري إليه في السِّرِّ إشارةً تَفْتِنه، واعرِضي عليهِ محاسنك ما يُخَبِّل قلبَه بعد تعرُّضه لنا في سَمْته ووَقاره حتَّى لا يروحَ عنَّا صحيحًا، وإن لم تُبالِغي في استغوائه وفَتْلِه عن رشادِه وإهلاكِه، فكوني منه على أوفَى محلٍّ، فائتمرتْ لهنّ وألقَتْ قِناعًا وراءَه الشَّمْس، أي وَجْهٌ إشراقه كإشراق الشمس، فعرضَت وجهَها ثمَّ سترتْه فأبدتْ كَفَّها ومِعْصَمها ـ وهو موضع السوار من يدها ـ أيضًا، وتكلَّمَتْ بكلام كالمِنْكرة من نَفْسها ما اتَّفقَ عليها، والمستحيِيَة المتذمِّمةِ مِن حالِها، فلمَّا عَلِمَ النِّساءُ أنَّها أفرغَتْ في فؤادِه بالكلام، وفي عينَيْه بالكَفِّ والوجهِ السِّحر، أي صبّت ـ قلنَ للشَّابِّ المتعرِّض: قُمْ عنَّا فابْكِ لِمَا نَابَكَ وأنت لا تعلم. والسِّحر: إخراجُ الشَّيْءِ في أحسن مَعارِضه حَتَّى يَفْتِن، لذلك قيل للرَّائق المُعْجِب: هو السِّحر الحلال. يقال: سَحَرْتُ الفِضَّة، إذا طلَّيْتَها بالذَّهب.

إن قيل: أين مفعولُ قالت؟ قلتَ: إنَّه هنا في معنى تكلَّمَتْ، فاستغنَى عن المفعول، ومثلخ قولُ عمرَ بنِ أبي ربيعة: [الطويل]

لحاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جوابها[1]

أي لم تتكلَّم.

٦ ـ فَوَدَّ بِجَدْعِ الأنْفِ لو أنَّ صَحْبَهُ ... تَنادَوْا وقَالُوا في المُناخِ لَهُ نَمِ

يقول: انصرَفَ عنهنَّ وهو يتمنَّى أن جُدِعَ أنفُه في وقتِ ما هَمَّ بالخُروج إليهنّ، ويمنعُه أصحابُه من التعرُّضِ لهنّ، وقالوا له: نَمْ في المُناخ ولا تبرحْ، ويجوز أن يكون معناه: وَدَّ أن يتركَه صحبُه ويقولوا له: نَمْ في المُناخ ولا تَتْبَعْنَا، وأنَّ أنفَهُ قُطِع. والباء من قوله: «بجَدْع» هو الذي يُفيد معنى العِوَض. تقول: هذا بذاك، أي عِوَضٌ من ذاك.

وقوله: «تنادَوْا» يجوز أن يكون معناه تجمَّعوا، من النَّدِيّ وهو المجلس؛ ويجوز أن يكون من النِّداء، أي تَداعَوْا وقالوا له ذلك.

٥٦٣ ـ وقال آخر[2]: [الطويل]

١ ـ نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجاجَةٍ ... إلى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبابةِ أَنْظُرُ

(١) عجزه: «فتبلغ عذرًا والمقالة تعذرُ».
(٢) في اللآلئ ٢٦٥، وأمالي المرتضى ٢:١٠٣ لأبي حيّة، ونسبا في زهر الآداب إلى المجنون ٤:٨٢، وللبيت الأول في الأغاني ٢١:١٠٣ قصة.

٢ ـ فعينايَ طَوْرًا تَغرَقانِ مِنَ البُكا ... فَأَغشَى وَحِينًا تَحسِرَان فَأُبْصِرُ

يقول: وقفتُ بدارِ الأحبَّةِ فتوهمتُ آياتها، ثم عرفلتُها فتمثَّل لي مَن كان بها، وتَطَرَّى ما كان دار بيني وبينَها، فاغرَوْرَقَتْ عينايَ من الدَّمع تحسُّرًا وتوجُّعًا، وبقيتُ إذا نظرتُ إلى الدَّار كأني أنظرُ مِن وراء زُجاجةٍ فلا أتبيَّنُ الآثار، وإذا انهملَتَا بما فيهما عُدْتُ في صِحَّة الإدراك بهما إلى ما كنتُ عليه من قبل. وقد مرَّ القول في حقيقة النَّظر.

فأمّا «تحسران» فيجوز أن يكون من قولهم: حَسَرَ البحرُ، إذا نَضَبَ الماءُ عن ساحله؛ ويجوز أن يكون من حَسَرْتُ القِناع، ويكون على هذا مفعولُه محذوفًا، والأوَّل أحسن. ومن الثاني قولهم: امرأةٌ حسنةُ المَحَاسِر، كما يقال: حسنة المَعَارِي. وتلخيص البيت الأوَّل: كأنّي من فَرْط الصَّبابة أنظرُ إلى الدَّار من وراء زُجاجة. والطَّوْر: التَّارة. ويقال: الناسُ أطوارٌ، أي: على أحوالٍ شتَّى.

٥٦٤ ـ وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ فَما شَنَّتَا خَرقَاءَ وَاهِيَةِ الكُلَى ... سَقَى بِهِما ساقٍ فَلَمْ يَتَبَلَّلا[٢]

٢ ـ بأَضْيَعَ مِنْ عَينَيكَ لِلدَّمعِ كُلَّمَا ... تَوهَّمتَ رَبعًا أَوْ تَذَكَّرتَ مَنزِلَا

الخرقاء: التي لا رِفْقَ لها في الأعمال ولا بَصيرة. والشَّنَّةُ، أراد بها هنا الدَّلْوَ الخَلَق، وهي السِّقَاء البالي في الأصل. ويقال: لِقَطَرَانِ الماءِ من الشَّنَّةِ شيئًا بعد شيءٍ: الشَّنِينُ، ثم يُسْتَعمَل في الدَّمع. قال:

يا مَنْ لدمعٍ دائمِ الشَّنِينِ[٣]

ولم يرْضَ بأنْ جَعَلَ الدَّلْوَ خَلَقًا حتَّى جعلَها لامرأةٍ لا تُحسن عملًا من خَرْزٍ وغيره، فكانت تُصْلِحها، ثمّ جعلَ سَقْيَ الإبل بها قبل تهلُّلها وانسداد خُرَزِهَا وثُقَبها، فيقول: ما دَلْوَانِ هذه صفتُهما بأشدَّ إضاعةً للماءِ من عينيكَ للدَّمع كلَّما توهَّمتَ دارَ الحبيبِ وهي مأهولة، أو تَذَكَّرْتَ منزلًا من منازل سفرِها وهي منتجِعَة.

---

(١) البيتان في أمالي القالي ١: ٢٠٨، وزهر الآداب ٤: ٨٢ لذي الرمّة، وهما في ملحق ديوانه ٦٧١.

(٢) التبريزي: «وما شنّتا».

(٣) اللسان (شنن)، ومقاييس اللغة ٣:١٧٦.

وقوله: «بأضْيَعَ مِنْ عَيْنَيْكَ» كان الواجبُ أن يقول: بأشدَّ إضاعةً للدَّمع، فجاء به على حَذْف الزَّوَائد، أو على طريقةِ سيبويهِ في جواز بناء التعجُّب مما كان على أفعَل ممَّا زاد على الثُّلاثيّ خاصَّةً.

٥٦٥ ـ وقال أبو الشَّيصِ[١]: [الكامل]

١ ـ وَقَفَ الْهَوَى بي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُـتَـأَخَّـرٌ عـنـه ولا مُـتـقـدَّمُ[٢]

٢ ـ أَجِـدُ الـمَـلَامَـةَ فـي هَـوَاكِ لـذيـذةً حُـبًّـا لـذِكْـرِكِ فَـلْـيَـلُمْـنـي الـلُّوَّمُ

يقول: حَبَسني الهوى في الموضع الذي تستقرّين فيه فألزَمُه ولا أفارقُه، فأنا مَعَكِ مقيمةً وظاعنةً، لا أعدِلُ عنكِ ولا أَميل إلى سواك، ومَن لامَني فيك أستلِذُّ لَوْمَه محبَّةً لذكرك، ووَجْدًا باسمِك، فليستمرَّ اللّائمون في أقوالهم، ولتَدُم عِظاتُهم عليَّ وإنكارُهم، فإنَّهم لا يجدون منّي اتِّباعًا ولا رُجوعًا، ولا مَلالًا فيَّ ولا قُصورًا.
وقوله: «حُبًّا لذكرك» انتَصَب لأنّه مفعول له، وبيانٌ لعلَّة لذَّته، بما يجلِب على غيره ضَجرًا، وهو اللَّوْم.

ومثل هذا قولُ الآخر: [الطويل]

وأسألُ عنها الرَّكْبَ عَهْدُهُم عَهْدِي[٣]

يريد: أنّه يستلِذُّ ذكرَها.

وقوله: «حيث أنت» خبر المبتدإ وهو أنتِ محذوف، كأنّه قال: حيثُ أنتِ واقفةٌ، لأنَّ «حيثُ» في الأمكِنة بمنزلة حينَ في الأزمنة، في حاجَتِهِ إلى جملتين، والمتأخِّر والمتقدَّم بمنزلة التَّأخُّر والتقدُّم، فهما مصدران.

٣ ـ أَشْبَهْتِ أَعْدَائي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ إذْ صارَ حَظِّيَ مِنْكِ حَظِّيَ مِنْهُمُ[٤]

---

(١) التبريزي: «أبو الشيص الخزاعي»: محمد بن عبد الله بن رزين، شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الألفاظ من أهل الكوفة، عَمِيَ في آخر أيامه. (ت ١٩٦هـ/ ٨١١م). ترجمته في فوات الوفيات ٢: ٢٢٥، والشعر والشعراء ٣٤٦، وتاريخ بغداد ٥: ٤٠١.

(٢) الأبيات في الزهرة ١: ٦٠، والظرف والظرفاء ٣٣٢، واعتلال القلوب ٢٤٣، وفي مجموع شعره ٩٢، والمصون ٨٢، وروضة المحبّين ٢٢، ٧٠، وتزيين الأسواق ٣٥.

(٣) هذا عجز بيت لابن هرم الكلابي سيأتي في الحماسية رقم (٥٨٨)، وصدره:
«وأستخبر الأخبار من نحو أرضها»

(٤) التبريزي: «إذا صار حظّي».

٤ ـ وأَهَنتِنِي فأَهَنتُ نَفسِيَ صاغِرًا ما مَن يَهُونُ عَلَيكِ مِمَّن أُكْرِمُ

يقول: وافَقتِ في مواصلتي أعدائي أخْذًا فيما أكرهه وأتسخَّطه، وذَهابًا عما أُحِبُّهُ وأرضاه، ولأنّ حظِّيَ منكِ فيما أرومُهُ يماثل حظِّي من أعدائي فيما أسومُهم فأُشْرِبَ قلبي حُبَّهم، وانْصَبَّ إلى جانبهم الميلُ لمشابهتِكِ لهم، ومماثلةِ فَعَالِك لفَعَالهم، وأطللتِني فأذللتُ نفسي على صُغْرٍ مِنِّي، اقتداءً بكِ، ومجانَبةً للخلاف عليك، ولأني لا أرى كرامةَ من تَرَيْنَ هوانَه، ولا إرضاءَ مَنْ ترين إسْخَاطَه. وانتصب «صاغِرًا» على الحال من أَهَنتُ. وقوله: «ممَّن أُكرِمُ» العائد إلى الموصول محذوف؛ كأنّه قال: ممن أكرمُهم. وقوله: «حَظِّيَ منهم» يريد به التَّشبيه، كأنّه قال: كحظِّي منهم، ومنك في موضع الحال، وكذلك منهم.

٥٦٦ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ولا غَـزوَ إلّا مـا يُـخَـبِّـرُ سـالِمٌ بـأنّ بَـنِـي أَسْـتَـاهِـهَـا نَـذَرُوا دَمِـي

٢ ـ ومـا لِيَ مِـنْ ذَنْـبٍ إِلَيْـهِـمْ عَـلِمْـتُـه سِوَى أَنَّني قد قلتُ يا سَرْحَةُ اَسْلَمِي

٣ ـ نَعَمْ فَاَسْلَمِي ثم اَسْلَمي ثُمَّتَ اَسْلمي ثَـلاثَ تـحـيَّـاتٍ وإن لـم تَـكَـلَّـمِـي

معنى «لَا غَزوَ»: لا عَجَب، وخبر لا محذوف، كأنه قال: لا غَزوَ في الدنيا، أو موجود. وموضع «ما يخبِّر» رفعٌ على أنه بدل من موضع لا غَزْوَ. وإنما قال: «بني أستاهِها» لأنه يريد أنهم مخروُّون لا مولودون. فيقول متهانفًا: لا عَجَبَ إلا ما يُخَبِّرُ به سالمٌ، بأنَّ سُقَّاطها والذين لا عُقُولَ لهم فيها، قالوا: للهِ علينا سَفْكُ دَمِه. ثم قال: هذا اعتقادُهم وأقوالُهم، ولا جنايةَ لي عليهم، ولا ذَنْبَ منِّي أهتدي إليه فيهم سِوَى قولي: يا سَرْحَةُ أدامَ الله لكِ السلامة ـ وكان جَعَل «سرحة»، وهي شجرةٌ، كنايةً عن امرأةٍ فيهم ـ نعَمْ قد قلتُ وأقولُه مكرَّرًا: اَسلمي اَسلمي، يُغايِظُهم ويُناكِدهم بهذا المقال.

وقوله: «سوى أنّني» موضعه من الإعراب استثناءٌ خارج. و«يا سرحةُ» إذا ضممتَهُ فالضَّمَّة الأصل في استعمال المنادَى المفرد المعرفة، وإذا فتحتَه فلاعتيادهم الترخيم في مناداة ما في آخره هاء التأنيث، أتمُّوه ونوَوْا الترخيم فجعلوا حركتَه حركة المُرَخَّم منه، وهي الفتحة.

وقوله: «نعم» وإن كان في الأصل حرفًا يُوجَبُ به ويُجابُ في الاستفهام المحض فقد يُتَوصَّلُ به إلى بَسْط الكلام وصِلَتِه. وقوله: «ثلاث تحيّاتٍ» انتصب على

المصدر من فعلٍ دلَّ عليه قوله اسلَمي، كأنّه قال: أحيِّي ثلاث تحيّاتٍ، وإن لم تَرْجِعي الجوابَ إليَّ. والسَّرْحُ من العِضاه، ويكون دَوْحه مِحْلالًا يَحُلُّ الناس تحتَها في الصَّيْف. وقال الفرّاء: كلُّ شجرةٍ لا شوكَ فيها فهي سَرْحةٌ، ذَهَبَ إلى السَّرح، وهو السَّهل.

وقال ابن هَرْمَةَ وكنى بها عن امرأةٍ: [الطويل]

سَقَى السَّرْحَةَ المِحْلَالَ دُونَ سُوَيْقَةٍ نِجَاءُ الثريا مرثَعِنًّا هُطُولُها

وقد تسمّى المرأة «سَرْحَةً».

٥٦٧ ـ وقال خُلَيْدٌ مَوْلَى العبَّاسِ بن محمّد[1]: [الوافر]

١ ـ أَمَا والرَّاقِصَاتُ بذاتِ عِرْقٍ ومَنْ صَلَّى بِنَعْمَانِ الأَرَاكِ[2]
٢ ـ لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكِ في فُؤَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِن سِوَاكِ
٣ ـ أَرَيْتِ الآمِرِيكِ بِصُرْمِ حَبْلي مُرِيهِمْ في أَحِبَّتِهِمْ بذاكِ[3]
٤ ـ فإنْ هُمْ طَاوَعُوكِ فَطَاوِعِيهِمْ وإن عَاصَوْكِ فاعْصِي مَنْ عَصَاكِ

أقسمَ بالحجيج وبرواحلهم التي ترقُص بهم في السّير متوجِّهين بوادي عرفةَ وذاتِ عِرْقٍ إلى بيتِ الله عزّ وجلّ. وأضافَ نَعْمانَ إلى الأراك لكثرتِها بها. وجواب اليمين قوله: «لقد أضمرتُ حُبَّكِ». والمعنى: أنه أقسَمَ أنَّ وُدَّهُ لها مكتومٌ انطوَى عليه قلبُه، وخالص فيها قد أكنَّهُ ضميرُه لا يشاركها فيه عَديل، ولا يُجَاذِبُها بسببه قَسِيمٌ وإنّما يتحمَّدُ عليها بحِفْظ السِّرَار، وتخليص العقيدة، وشَغْل القلبِ والعقلِ بعِمارة الهوَى لها. ثم أقبل عليها فقال يخاطبها: أعلمتِ الذين يُشيرون عليك بقَطيعتي والتنكُّر لي، وجَدُّ الأسباب والمواثيق بيني وبينَكِ؟ كُرِّي عليهم مستدرجةً لهم، وعاجمةً تنصُّحَهم، وأْمُرِيهم في أحبَّتهم بمثل ما أمروكِ فيّ، فإن وجدْتِهم سامعين لكِ، وصائرين إلى القبول منك، فَخُذي أنتِ أيضًا مَأْخَذَهم، والتزمي طاعتَهم، وإن وجدتِهم متأبِّين عليكِ مخالِفين لك، فأَعْصِي مَن عصاك، ودَعِي الاستنامَة إلى رَأْيِ مَن

(١) التبريزي: «مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس».
(٢) ذات عرق: مُهَلّ أهل العراق، وهو الحدّ بين نجد وتهامة، وقيل: عِرق: جبل بطريق مكّة ومنه ذات عرق، (معجم البلدان ٤: ١٠٨)، ونعمان الأراك: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٥: ٢٩٣.
(٣) التبريزي: «أطعتِ الآمريك». وهذا البيت والذي بعده بلا نسبة في الظرف والظرفاء ٣٢٠.

لا يَرَى لك مثلَ ما يراه لنفسه. وكان الواجبُ في قضيّةِ سِياق الكلام أن يقول: وإن عاصَوْكِ فعاصيهم؛ فعَدَل عن الإتيان بالضمير إلى ذِكر الظاهر، ليبيِّن فيه ما يُشَنِّع به عليهم، وليُظْهِر السَّبَبَ المُوجِبَ للإغراء بهم، والانصرافِ عن رأيهم، ولو قال: فاعصيهم لم يَبِنْ ذلك فيه.

وقوله: «أَرَيْتِ» أصله أرأيتِ، حذفَ الهمزةَ منه حذفًا كما حُذِفَ في يَرَى، وتَرى، ونَرى.

٥٦٨ ـ وقال أبو القَمْقام الأسديّ: [الكامل]

١ ـ إِقْرَأْ عَلَى الوَشَلِ السَّلامَ وقُلْ لَهُ كلُّ المَشَارِبِ مُذْ هُجِرتَ ذَمِيمُ
٢ ـ سَقْيًا لِظِلِّكِ بالعَشِيِّ وبالضُّحَى ولِبَرْدِ مائكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمُ
٣ ـ لو كنتُ أَمْلِكُ مَنْعَ مائكَ لم يَذُقْ ما في قِلَاتِكَ ما حَيِيتُ لَئِيمُ

الوَشَلُ هنا: ماء معروف في أرضِ محبوبِه. وقال الدُّرَيديّ: الوَشَلُ: موضعٌ معروف بعينِه. والوَشَل: الماء القليلُ يترقرقُ على وجه الأرض. وقال صاحبُ العين: الوشَلُ مُحَرَّكٌ: الماء القليل يتحلَّب من صَخرةٍ أو جبلٍ، يقطُر منه قليلًا قليلًا. والواشل: القاطر، يقال: جَبَلٌ وَاشِلٌ عنده منذُ تحوَّلَ عنه وتَرَكَ وُرُوده. ثم دَعا لظِلِّه بالسُّقيا فقال: سَقْيًا لظِلِّك بالعشيّ وبالضُّحى. والظلُّ يكون للشجرةِ وغيرِها بالغداة، والفَيْء بالعشيّ، فكان في الواجب أن يقول: سَقْيًا لظلكَ بالغَداة، ولفَيْئِكِ بالعشيّ. ألا تَرى قولَ الآخر: [الطويل]

فلَا الظلَّ منْ بَرْدِ الضُّحى نستطيعه ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العشيِّ نَذُوقُ[(١)]

إلّا أنّه سَمَّى الفَيْءَ ظِلًّا لتشابُههما في مَنْظَر العَين والغَنَاء. فلما تساوَيَا وأجرَى عليهما معًا لفظةَ الظِّلّ، وكان الواوُ يفيد الجمعَ من دون التَّرتيب ـ لم يُبَالِ أن يقولَ بالعشيّ وبالضُّحى، فيقدِّم بالعشيّ، وإنْ كان الظِّلُّ أَلْيَقَ بأن يليق بالضُّحَى لو جُرِّد. ولم يُشْبِهْ هذا قولَ القائل: فُلَانٌ أشْعَرُ الجِنّ والإنس، لتَرْكِهِ فيما تَقَدَّمَه من المعطوف والمعطوف عليه طلبَ المطابقة والموافَقة. ألا تَرَى أنَّ الوجه في هذا أن يقال: فلانٌ أشعر الإنس والجِنّ ليصحَّ لفظ الأوّل، ويُضاف أشعرُ إلى ما هو بعضهُ ثمّ يجيء الثاني، وأنّ قولَكَ: سَقْيًا لظِلِّكَ وقد نوَيْتَ إجراءَ الظِّلّ للفيء أيضًا صار حكمُه حكمَ

(١) البيت لحميد بن ثور في ديوانه ص٤٠، واللسان (فيأ).

اللّفظة الموضوعة لشيئين، فإذا كانَ كذلك فأيهما أوْلَيْتَهُ من العشيّ والضُّحى فقد وَقَعَ إلى جَنْب ما يطابقُه ويوافقه.

فإن قيل: لو سُلِّمَ لك ما تقوله وتدَّعيه من الاستعارة لَمَا سَلِمَ الكلامُ المتنازَعُ من أنّه جاء على غير حَدِّه؛ وذاك أنَّ الظِّلّ يكون في الضُّحى حقيقة وفي العشيّ مَجازًا، وإجراء الكلام على حَدِّه أن يُقدِّم ما يكون حقيقةً على المجاز. قلتَ: إنَّ الظلّ فيما حكاه الخليل ضدُّ الضِّحّ، ويقال: أفاءَ الظِّلُّ وتفَيَّأ. وفي القرآن: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: الآية ٤٨]، فهو ظلٌّ قبلَ التفيُّؤ وبَعْدَه، وإنَّما نَسْخُه للشَّمس هو الذي صار به فَيْئًا، وإذا كان كذلك لم يَكُنْ من باب ما يكون حقيقةً في شيءٍ، ومجازًا في آخر، وهذا بيِّنٌ.

وقوله: «والمياه حميم» فالواو فيه للابتداء، وهو واو الحال.

وقوله: «لو كنت أَمْلِك مَنْعَ مائِك» جوابُ «لو» هو قوله: «لم يَذُق»، وهذا الكلامُ فيه إظهارُ الضَّنانة بالماء المذكور، واستمرارُه في الحَسَد إلى كلّ حَدٍّ معلوم بسببِه، حتّى كان بِرُغمِهِ يمنع عنه اللِّئام مدَّةَ حياته، ويعني به أربابَهُ فيما أظنّه، لأنّهم أعداؤُه. والقِلَاتُ: جَمْع القَلْت، وهي حُفرةٌ في الجبل يَسْتقِعُ فيها ماءُ المطر.

٥٦٩ ـ وقال ابن الدُّمَيْنَة[1]، وقد كتب بها إلى أُمامة[2]:

[الطويل]

١ ـ وأنتِ التي كَلَّفْتِني دَلَجَ السُّرَى ... وَجُونَ القَطَا بالجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ
٢ ـ وأنتِ الَّتي قَطَّعتِ قَلْبي حَزَازَةً ... وقَرَّفْتِ قَرْحَ القلبِ وَهْوَ كَلِيمُ[3]
٣ ـ وأنتِ الَّتي أَحْفَظْتِ قَوْمي فكُلُّهُمْ ... بَعيدُ الرِّضا داني الصُّدودِ كَظِيمُ

قوله: «دَلَجَ السُّرَى»، فالسُّرى: سير اللَّيل، والدَّلَج: السَّيْر في بعض اللَّيل. ويقال: سار دُلْجَةً، أي ساعةً من أوَّل الليل، فلذلك أضافَ الدَّلَج إلى السُّرَى، فجَرى مجرَى إضافة البعضِ إلى الكُلّ. والشّاعر يعدِّد عليها ما ناله حالًا بعد حالٍ من ضُروب المشقَّات والمَتَالِف فيها، فيقول: تحمَّلْتُ فيكِ كلَّ عظيمةٍ وبليَّة، فأنتِ الّتي

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٦).
(٢) الأبيات في الزهرة ٨٨، وديوانه ٤٢، والأبيات لقيس بن الملوّح في ديوانه ١٦٩.
(٣) التبريزي: «فهو كليمُ».

كَلَّفتِني السُّرَى والسَّير، وركوبَ الخطَر باللّيل والطُّيورُ ساكنةٌ في عِشَشَتِها لم تبرح، وأنتِ التي قَطَّعتِ جوانحي، وصَدَّعتِ جوانب كِبدي حَزازةً بدوام تمنُّعك وتشدُّدك، واتِّصال جفائك واطِّراحِك ـ والحزازة: وجعٌ في القَلْب ـ فنكأتِ الكَلْمَ مِن قلبي قبل اندماله، وقَشَرْتِ جُلْبَته عند صلاحه والتئامه، فأراه أبدًا داميَ الظّاهر فاسدَ الباطن؛ وأنتِ التي أغْضَبْتِ عَلَيَّ مَعْشَرِي، وأفسدت عليّ رَهْطِي وأعِزَّتي، فكلُّ واحدٍ منهم إذا خُبِر واستُكْشِف بعيدُ الرّضا عنّي، قريبُ الهِجران لي، ممتلئ الصَّدر من بُغضي، يكظِم غيظَه تجمُّلًا، ويُسِرُّ نُكْرَهُ تصبُّرًا.

وقوله: «جُون القَطَا»، جمع جُونِيَّة. قال:

جُـونِـيَّـةٌ كـحـصـاةِ الـقَـسْـمِ

وهذا كما يقال: عَرَبيٌّ وعَرَبٌ، وهذا الجمع كالجمع الذي ليس بينه وبين واحده في اللّفظ إلّا طرح الماء نحو تَمْرَةٍ وتَمْر وما أشبهه. وجُثُومٌ: جمع جاثم. وجَثم الطائرُ، إذا ألصَقَ صدرَه بالأرض، ويستعمل في السَّبُع وغيره، ومنه الجُثمان لجسم الإنسان. وقال الأصمعيُّ: الجُثمان الشُّخص، والجُسْمان الجِسم. والجَلْهَةُ: ما استقبلك من الوادي. ومعنى قَرَّفتِ: قَشَرْتِ ولم يكن بَرَأ. ويقال: كَظَمَ غيظَه، إذا جَرِعَه. وكَظَمَ البعيرُ جِرَّتَهُ، إذا ابتلعها. والكَظَم: مخرَج النَّفَس. ويقال للمحزون: إنّه لمكظومٌ وكظيم.

٥٧٠ ـ فأجابته أُمامَةُ(١): [الطويل]

١ ـ وأنتَ الّذي أخلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وأشْمَتَّ بي مَنْ كانَ فيكَ يَلُومُ

٢ ـ وأبْرَزْتَنِي للناسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وأنتَ سَلِيمُ

٣ ـ فلو أنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الجِسْمَ قد بَدَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الوُشَاةِ كُلُومُ

أخذَت تقابلُه بمثل الذي ابتدأها، وتعدِّد من جناياته عليها كِفَاءَ ما عدَّده وعَصَب به رأسها، فقالت: إن ما ارتكبْتَه منّي أشنَعُ، وما حَملتَه وقتًا بعد وقت أفظعُ، لأنك الذي نكَثْتَ عهودي، ونَقَضْتَ مواعيدي، وأشمتَّ بي كلَّ ناصحٍ فيك، وصدَّقْتَ مقالَ كلِّ لائمٍ بسببك، فظُنوني بك مكذَّبة، وظُنون النُّصّاح واللُّوّام

---

(١) الأبيات لماني في الزهرة ٨٨، وأسواق الأشواق خ٢٣٨و، والبيتان (١، ٢) بلا نسبة في الواضح ٢٤٩، والأول بلا نسبة في ديوان الصبابة ٢٤١.

مصدَّقَةً؛ ثم جعَلْتَنِي مُضغةً في أفواه الناس، وأُكْلَةً لمجامعِهِم، يتعلَّلون بحديثي، ويتبلَّغون عند أعدائي بقِصَّتي، فقد صِرْتُ كالغرَض المنصوب لكلِّ قِدح مَبْرِيٍّ، والعَلَمِ المقصود لكلِّ مَشَّاءٍ بنميم، يُغْرَى بي من كان لي سَلْمًا، ويَرِقُّ لي مَن آلَ لي حَرْبًا، وأنت سليمٌ من المكاره، بعيدٌ عن المتاعب، تَعْرُك بجنبِكَ ما يَمسُّني، وتتَّقي بعِقلَّةِ الاكتراث ما يُنْضِجُنِي؛ لأنَّ نارَ الوشاية اعتمادُها بالإحراق في النساء أبلَغُ منه في الرِّجال، وعارُ الشَّناعة أَلْصَقُ بجوانبهنَّ منه بجوانب أمثالِكَ، فلو أن كلامًا كَلَمَ جِسْمًا لبَدَتْ بجسمي نُدُوبٌ ومَنافِذُ وجُروح بأنياب المُغتابين، ونِبال الرُّماة المُراصدين.

وقد عُدِل في هذه الأبيات وفيما تقدَّمَها غفي صِلَاتِ الذي والتي عن الإخبار إلى الخِطاب، وقد مضى القولُ في جوازه مشروحًا، وبَيَّنَّا كيف ساغ تَعَرِّي. الصِّلة من الضمير العائد إلى الموصول.

٥٧١ ـ وقال المَعْلوط الأَسدي[(١)]: [الكامل]

١ ـ إنّ الظَّعَائِنَ يومَ حَزْمِ سُوَيْقَةٍ ... أَبكَيْنَ عند فِراقِهِنّ عُيُونَا[(٢)]

٢ ـ غَيَّضْنَ مِن عَبَراتِهِنَّ وَقُلْنَ لي ... ماذَا لَقِيتَ مِنَ النَوَى ولَقِينَا

٣ ـ بل لو يُساعِدُنَا الغَيُورُ بدارِهِ ... يومًا لقد ماتَ الهَوَى وحَيِينَا[(٣)]

الظَّعينة: المرأة، لأنها تَظعَن إذا ظَعَن زوجُها، أي تَشْخَص. وقيل: الظَّعينة: الجمل الذي تركُبه، سُمِّيَتْ به كما قيل للمَزَادةِ راوية. والحَزْم: ما غَلُظ من الأرض. وإنما وصفَ حالهنَّ عند التوديع ووقتَ الفِراق، فيقول: إنَّهنَّ بَكَيْن وأبْكَيْنَ، وبِجَهْدٍ منهن كفَفْن الدموع، وخفَّضْن ما علا من النَّشيج، ثم قُلْن متحسِّرات: أيَّ شيءٍ لقيتَ أنت وقاسيتَ من أحداث الهوَى وأسبابِه، وقاسينا نحن، ولو ساعَدَنا الغَيُورُ وَدانانا بدارِه يومًا لقضينا من أوطارنا ما تحيا به نفوسُنا وقلوبُنا، ويموت له كَلَفُنا وهوانا.

وذِكْرُ موتِ الهوى، كما قال الآخر: [الطويل]

فلما الْتَقَى الحَيَّانِ أُلْقِيت العَصا ... وماتَ الهوَى لمّا أُصيبت مقاتِلُهْ

(١) التبريزي: «المعلوط بن بَدَل السعديّ»، وهو شاعر إسلامي (اللآلي ٤٣٤).

(٢) التبريزي: «يوم جوّ سويقة». (٣) التبريزي: «بل لو يساعفنا».

وقوله: «غَيَّضنَ» أي قلَّلن. ويقال: هذا من ذاك غَيْضٌ من فَيْضٍ، أي قليلٌ من كثيرٍ. والمعنى: مَسَحْنَهُ بأصابِعِهِنَّ تَسَتُّرًا.

وأخذ ذو الرُّمَّة هذا فقال[1]: [الطويل]

ولمّا تلاقَيْنَا جَرَتْ من عُيُونِنَا دُموعٌ وَزَعْنَا غَرْبَها بالأصابِعِ
ونِلْنَا سِقَاطًا من حديثٍ كأنَّهُ جَنَى النَّحْلِ ممزوجًا بماءِ الوقائعِ

ومعنى «يساعِفنا الغَيُورُ بدارِه»: يقارِبنا بمحَلِّهِ. والإسعافُ: قضاء الحاجة وإدناؤها. ولك أن تجعلَ «ماذا» بمنزلة اسمٍ واحد، فينتصب بلقِيتَ: ولك أن تجعل ذا بمعنى الذي، ويكون ضميره العائد من الصِّلة محذوفًا؛ كأنّه قال: لقيته ولقيناه.

٥٧٢ ـ وقال جميلٌ[2]: [الطويل]

١ ـ وماذَا عَسَى الواشُونَ أن يتحدَّثُوا سِوَى أن يقولوا إنَّني لكِ وامِقُ[3]
٢ ـ نَعَمْ صَدَقَ الوَاشُونَ أنتِ كريمةٌ علينا وإنْ لم تَصْفُ مِنكِ الخَلائقُ[4]

ماذا في موضع المبتدإ؛ كأنه قال: أيُّ حديثٍ عسى الواشون يتحدَّثونه سوى قولهم: إنني لكِ مُحِبٌّ، فهو كقولك: أيُّ ضَربٍ عسى زيدٌ أن يضربَه، وسبيلُه سبيل المصدر والمضافِ إلى المصدر إذا ابتدِئَ بهما. ولا يجوز أن ينتصب بيتحدَّثوا، لأنه في صلة أنْ، فلا يعمل فيما قبل الموصوف، ولا يجوز أن يكون ذا منه بمنزلة الذي؛ لأنَّ عسى لا يصلح لكونه غيرَ واجب أن يقع صلةً له، وكذلك أخواتُ عسى. ألَا تَرَى أنَّ الاستفهامَ والنَّفيَ وأخواتِهما لا يَقَعْن صِلاتٍ، إذ كانت الصِّلاتُ إنما تكون من الجُمَل الخبرية الواجبة، والمعنى: أنهم لا يَقْدِرون في وِشايتهم على أكْثَرَ مِن قَطْع القول بأنّني لكِ محبٌّ وعاشق. ثم أوجب بنعَمْ فقال: قد صَدَقوا فيما ادَّعوا ولفَّقوا، أنتِ تَكْرُمين علينا وإن لم يَعُدْ علينا منكِ خير، ولا صادَفْنا من إحسانِك صَفاءٌ ولِينٌ. كأنَّه يُبرِّئ ساحتَها، ويُرِي أنَّ ميلَه وهواه لا يَشِينُها مع سلامة طريقتها، واستحكام عَفافِها.

(١) لذي الرمّة في اعتلال القلوب ٢٩٢، ومصارع العشاق ٢: ١٩، وأسواق الأشواق خ٥٩و، وديوانه ٢: ٧٨٥.
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (١٠١).
(٣) التبريزي: «عاشقٌ».
(٤) التبريزي: «أنتِ حبيبةٌ».

٥٧٣ ـ وقال آخر(١): [الكامل]

١ ـ وإذَا عَتَبْتِ عَلَيَّ بِتُّ كَأنَّني بِالَّيْلِ مُخْتَلَسُ الرُّقَادِ سَلِيمُ
٢ ـ ولقد أردتُ الصَّبْرَ عَنْكِ فعاقَنِي عَلَقٌ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ قَدِيمُ
٣ ـ يَبْقَى على حَدَثِ الزَّمانِ ورَيْبِهِ وعلى جَفَائِكِ إنَّهُ لَكَرِيمُ

يقول: اليسيرُ من إنكارِكِ ولَوْمِكِ يَعْظُم عندي ويَصْعُب عليَّ، حتى أبقَى له ليلتي ساهِرًا مؤرَّقًا، وسادِمًا قَلِقًا، كأنني لَدِيغُ حَيَّةٍ، أو مُسْلَمٌ لِعارِضِ علَّة. ولقد رُمْتُ التَّسَلِّيَ عنك، والتصبُّرَ مِنك، فدفَعني عن المراد ما عَلِقَ بقلبي من هواكِ قديمًا ومَلَك قِيادِي لكِ، حتى لا أجدُ دونكِ منصرَفًا ومَحِيَيًا. ثم وَصَفَ العَلَق اللازم له، والحُبَّ الغالب عليه فقال: إنه يبقى على تغيُّر الزَّمان، وتلوُّن الحَدَثان، فلا يَعْرِضُ له فُتُورٌ ولا نكوص؛ وعلى ما يتجدَّد عليه في كل حالٍ من جفاء فيكِ شديد، وإعراض أليم، فلا يُبدِّله قصورٌ ولا نُبُوٌّ؛ إنَّ هذا العَلَق لكريم المَحْتِد، مُحْكَم العَقْدِ، ثابت الأساس والبِناء، مقدَّم الذِّكر في صُحُف الوِداد والصَّفا.

وهذا الكلام، أعني قوله: «إنه لكريمُ» يسمَّى الالتفات.

٥٧٤ ـ وقال آخر(٢): [الكامل]

١ ـ أَلْمِمْ على دِمَنٍ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بِالجِزْعِ واسْتَلَبَ الزَّمانُ جَمَالَهَا
٢ ـ رَسْمٌ لِقَاتِلَةِ الغَرَانِقِ ما بِهِ إلَّا الوُحُوشُ خَلَتْ له وخَلَا لَهَا
٣ ـ ظَلَّتْ تُسَائِلُ بالمُتَيَّمِ أهلَهُ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أفعالَها

الإلمام: الزِّيارة الخفيفة. يُخاطِب صاحبًا له ويسأله مساعَدَتَه في زيارة دار أحِبَّتِهِ، فقال: زرْ آثار دارٍ متقادمةِ العَهْد بسُكَّانها، مسلوبةِ الْجَمَال لتأثير نوائب الزَّمان فيها، بالجِزْعِ ـ وهو منعطَف الوادي. وروى بعضهم: «جَلَا لها»، ويُكره هذا لما حكاه الأصمعي من أنه لا يقال الْجَلَال إلّا في الله تعالى، ولأنه وإنْ جاء في غيره عزّ وجلّ فهو قليلٌ في العرف والاستعمال.

(١) التبريزي: «قال أبو رياش: هي لابن الدُّمينة».
(٢) التبريزي: «قال أبو رياش: هي لعمرو بن الأيهم»، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أعشى بني تغلب، وتُروى لعمرو بن الأصمّ».

وقوله: «رسمٌ لقاتلة الغَرَانق» ابتداءُ كلام، أي هو رسمُ دارٍ لامرأةٍ كانت تَصِيد الغَرانِق وتَقْتَتِلُهُم بالحُبّ. والغُرانِق: الشابُّ الناعم الْحَسَن، بضمّ الغين، وجمعه الغَرانِق بفتحها ومثلها العُراعِر والعَراعِر، والجُوَالِق والجَوَالِق. وقد استبدلَتْ بأهلها وُحُوشًا فهي خاليةٌ لها، وهي راتعةٌ فيها، لا تَعْدِلُ عنها.

وقوله: «ظَلّتْ تُسائل»، أي: تبقى نهارَها تسأل عشيرةَ العاشق عنه وعن استهتاره وعِلّتِهِ، وهي أعرف الناس بأخباره، إذ كانت المتولّية لِفِتْنَتِه وخَبالِه. والمتيّم: المعبَّد، يقال: تيّمه الحبّ، أي: عَبَّدَه واستعبده. وقوله: «خَلَتْ له» في موضع الصّفة للرسم.

٥٧٥ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ وما بَرِحَ الواشُونَ حتّى ٱرْتَمَوْا بنا ... وحتّى قُلوبٌ عن قُلوبٍ صوادِفُ

٢ ـ وحتّى رَأَيْنَا أَحْسَنَ الوَصْلِ بَيْنَنَا ... مُسَاكَتَةً لا يَقْرِفُ الشَّرَّ قارِفُ

قد تقدم القول في «ما برح» وأنّه في معنى ما زال، فيقول: لم ينفكَّ السُّعاة عن الوِشاية والتقاط الأحاديث للنميمة، واستدراج المختلِطِينَ بنا، واستشفاف المتبلّغين بأخبارنا وأخبارِ غيرنا، حتى فرّقوا بيننا، فأقبلوا يَرْمِي بعضُها بعضًا بمَصَاير أمورنا، وحتى صَدَفَتِ القلوب، فمالَ كلٌّ من عشيرتنا إلى الاستبدال بموضعه، والانتقالِ عن جوار صاحبِهِ، وإلى أن رأَيْنَا أحسنَ المواصلةِ بيننا ملازمةَ السكوت، واطّراحَ الإيحاء والرُّموز، توقّيًا من فُرقةٍ تتوجَّه، وتَفاديًا من تُهمة تَتسلّط. هذا إذا رَوَيْتَ «لا يقرفُ» بضم الفاء. ويروى «لا يَقْرِفِ» بكسر الفاء، ويكون في موضع الجزم جوابًا للأمر الذي يدلُّ عليه قوله: مُسَاكَتَةً، لأنه في هذا الوجه مصدرٌ في معنى الأمر. والجملةُ في موضع النّصب على أن يكون مفعولًا ثانيًا لقوله رأينا. والمساكتةُ لا تكون مواصَلَة فتُجْعل بدلًا منها. ويكون هذا مثل قول الآخر: [الوافر]

تحيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ(٢)

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «قال مزاحم العُقيلي».

(٢) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ١٤٩، وخزانة الأدب ٩:٢٥٢، ونوادر أبي زيد ١٥٠، وصدره: «وخيلٌ قد دلفتُ لها بخيلٍ»

ويكون المعنى: رأينا أحسنَ المواصَلة بيننا تَواصِينَا بأن ساكِتُوا الأحبَّةَ ومن يختلف بيننا وبينهم، لا يقرفِ الشَّرَّ قارفُه. وفي الوجه الأوّل يكون مساكَتَةَ مفعولًا ثانيًا. والمعنى: سُكوتًا من الجانبين، أي كِفافًا لا يتولَّد منه قَرَفٌ ولا تُهَمَة، ويكون قوله: «لا يقرِفُ الشرَّ» تفسيرًا للمساكتة، وبيانًا لاختيارهم لها. ويروى «صوارِفُ» بالراء، والمعنى: قُلوبٌ تصرف الودَّ بما تأتيه وتستعمله عن القلوب الأُخَر.

٥٧٦ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ فإنْ تَرجِعِ الأيَّامُ بَينِي وبَينَهَا بِذِي الأَثْلِ صَيفًا مِثْلَ صَيفِي ومَرْبَعِي

٢ ـ أَشُدُّ بِأعناقِ النَّوَى بَعْدَ هٰذِهِ مَرَائِرَ إنْ جاذبْتَها لَمْ تَقَطَّعِ

«رَجَعَ» هذا مُعَدًّى، لأنه بمعنى رَدَّ. يقال: رجَعْتُه رَجْعًا فرَجَعَ رُجوعًا. و«صيفًا» انتصب على المفعول من قوله: «تَرْجِعُ». وكان الواجِبُ أن يقول: صَيْفًا ومَرْبَعًا مثل صَيْفي ومَرْبَعي، أو يقول: بذي الأثْلِ صيفي ومَرْبَعِي، أي أيَّامًا كأيَّامها، فلمَّا لم يلتبس المرادُ قال: صيفًا مثل صيفي ومَرْبَعِي.

وقوله: «أشُدُّ بأعناق النُّوَى» أشد في موضع الجَزْم، لأنه جواب الشرط. ولك أن تضمَّ الدَّالَ منه إتباعًا للضَّمَّةِ الضمةَ، وأن تكسرها لالتقاء الساكنَيْن وأن تفتحها؛ لأنَّ الفتحةَ أخفُّ الحركات. والمعنى: إن ردَّت الأيامُ الدائرة بيني وبينها ربيعًا مثل مربعي، وصيفًا مثل مصيفي معها، استظهَرْتُ على النَّوَى بأنْ أوثِّق أواخيَّها، وأُمِرَّ حبالَها التي أربطِها بها، حتى إن جاذبْتَها قاوَمَتْك فلم تتقطَّع، وهذا مثَل. والمراد: أنّي أُحْكِمُ أسبابَ التألُّف والتجمُّع بما يؤمَنُ معه تعقُّبُ الآراء بالمزايلة والافتراق.

٥٧٧ ـ وقال كُلثوم بن صَعْب: [الطويل]

١ ـ دَعَا داعِيَا بَينٍ فمَنْ كان باكِيًا مَعِي مِن فراقِ الحيِّ فلياْتِني غَدَا

٢ ـ فَلَيتَ غَدًا يومٌ سِوَاهُ وما بَقَى مِنَ الدَّهرِ ليلٌ يَحْبِسُ الناسَ سَرْمَدَا

٣ ـ لِتَبْكِ غَرَانِيقُ الشَّبابِ فإنَّني إخالُ غَدًا من فُرْقَةِ الحيِّ مَوْعِدَا

كان شَعْباهما متجاورَيْن في النُّجْعَة، فلما تقضَّى أيَّامُها وهمُّوا بالانصراف إلى المَزَالف وجوانب القرى، دعا داعِي الفراق في كل شَعب منهما، وبَعَثُوا على التهيُّؤ، لذلك ثَنَّى فقال: «داعِيَا بيْنٍ». وقوله: «فمن كان باكيًا»، يريد: فمن آلَمُه ما أحسَّ به

من النّوى، وأزعجَه ما عُزِم عليه من شَقِّ عصا الهوى، وأراد إسعادي على البُكاء فليَحضُرني غدًا، فإنه اليومُ الموعود، والمشهَد المشهود.

وقوله: «فليتَ غدًا يومٌ سِواهُ وما بَقَى»، يقول: بوُدِّي أن يكون بَدَل يومِ غدٍ يومٌ آخر غيره، تفاديًا مما يَجْرِي ويَحْدُث، وليتَ بدلَ اللَّيْلة الحائلة بيننا وبين غدٍ ما بَقِيَ من الدَّهر كله، فحبسَ الناسَ عن التزايُل والافتراق دائمًا. «وما بقَى» لغةُ طيِّئٍ، كأنهم فرُّوا من الكسرة بعدها ياءٌ إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفًا.

وقوله: «لِتَبْكِ غَرَانِيق الشّباب»، فالغرانيق جمع، واحدها غُرانِق. وقال الخليل: يقال: شَبابٌ غُرَانِق. وأنشد: [الطويل]

أَلَا إنَّ تَطْلَابَ الصِّبَا منكِ زَلَّةٌ ... وقد فاتَ رَيْعَانُ الشَّبابِ الغُرَانِقُ(١)

وقال أيضًا: الغُرْنُوق: الشابُّ الأبيض الجميل، والجمع غَرانيق. ومراد الشاعر: لِتَبْكِ من استُصْلِحَ للصِّبا من الشُّبَّان وأرباب الهَوَى، فإنَّ غدًا فيما أظنُّ أو أتيقَّن يومُ مواعَدة الحيِّ بالزِّيال. وانتصب سرمدًا على الظروف، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف، كأنّه قال: حَبْسًا سَرْمَدًا.

٥٧٨ ـ وقال زياد بن حَمَل(٢)، وقيل زياد ابن منقذ: [البسيط]

١ ـ لا حَبَّذَا أنتِ يا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ ... ولا شَعُوبُ هَوًى مِنِّي ولا نُقُمُ

٢ ـ وَلَنْ أُحِبَّ بِلادًا قَدْ رأيتُ بها ... عَنْسًا ولا بَلَدًا حَلَّتْ بهِ قُدُمُ

صنعاء: مدينةُ اليَمَن. وشَعوب ونُقُم: موضعان باليمن. وعَنسٌ وقُدُم: حَيَّان من اليمن. وقوله: «لا حَبَّذَا أنتِ» ذا أُشيرَ به إلى لفظة الشيء. والتقدير: لا محبوبَ في الأشياء أنتِ يا صنعاءُ من بينِ البلاد، وكما أنتِ لستِ بمحبوبٍ إليّ، فكذلك شَعوب ونُقُم ليسا بهوًى منّي، أي لا أهواهما ولا أَحِنُّ إليهما.

وقوله: «ولن أُحِبَّ بلادًا»، يريدُ: ولن أحبَّ أيضًا منازلَ هذين الحيّيْن. كأنّه كَرِهَ المواضعَ بأهلها فاجتواها وذمَّها. وقوله: «بلادًا قد رأيتُ بها عَنْسًا» ضَمَّ إلى لفظةِ بلادٍ من الصِّفة ما يخصِّصها.

---

(١) اللسان (غرنق).

(٢) التبريزي: «زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث».

وقوله: «حَبَّذَا» حَبَّ فِعْلٌ، والأصل فيه حَبُبَ، وذا أُشيرَ به إلى الشَّيْء، ولذلك وقع للمذكّر والمؤنّث على حالةٍ واحدة، فقلتَ: حبَّذا زيدٌ، وحبَّذا هندٌ؛ لأنَّ لفظة الشيء يشمَل المذكَّرَ والمؤنَّث والواحدَ والجمع، فهو كـ «ما»، وُضِع للجنس.

٣ ـ إِذَا سَقَى اللهُ أَرْضًا صَوْبَ غَادِيَةٍ ... فَلا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارَ تَضْطَرِمُ

لَمَّا كان القصدُ في الدُّعاء بالسُّقْيا بقاءَ المدعوّ له على نضارتِهِ، والزِّيادةَ في طَرَاوته، واستمرارَ الأيَّام به سالمًا، ممَّا يؤثر في عُنفوان حُسْنه، أو يغيِّر رونَقَ مائه، جَعَل عند الدُّعاء على المذموم عند السُّقْيَا بالنّار، لكون النَّار ضدًّا للماء ومميتًا لما يُحييه، فيقول: إذا أطالَ الله تعالىٰ جَدُّه تنعيمَ أرضٍ بما يُقِيم من خِصْبِها، ويُديمُ من رَفاغَتِهَا ورفاهَتِها، بتأتّي الأمطارِ عليها، وتبكيرِ الغوادي نحوَها، فلا سَقَى هذه الدِّيارَ إلّا نارًا يهيِّجُ ضِرامُها، ويؤجِّج لهبُها وسُعارُها، لتُبيد خَيْرَها، وتُفِيتَ حُسْنَها وزَهْرَتَها. وقوله: «تضطرم» في موضع الحال للنَّار.

٤ ـ وحَبَّذَا حِينَ تُمْسِي الرِّيحُ بارِدَةً ... وادِي أُشَيٍّ وفِتْيَانٌ بِهِ هُضُمُ
٥ ـ الوَاسِعُونَ إذا مَا جَرَّ غَيْرُهُمُ ... على العَشِيرَةِ والكَافُونَ مَا جَرَمُوا
٦ ـ والمُطْعِمُونَ إذا هَبَّتْ شآمِيَةً ... وَبَاكَرَ الحيَّ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمُ

قوله: «وحبَّذا حين تُمْسِي الرِّيحُ باردةً»، جعلَ ما نَفَاه من الحبِّ والحمد عمَّا قَدَّم ذكرَه من البُلدان ثابتًا لوادي أُشَيٍّ وأهلِه، ونَبَّه على أنَّهم في أوان الجَذْبِ والقَحْطِ يُشْرِكُون غيرَهم من العشيرة في خيرهم، ويَسْتَنْفِدُون الأموالَ التي يُتنافَسُ فيها فيما يَجْلِبُ الحمدَ، ويُطيِّب النَّشر، إذا هبَّت الريحُ باردةً، واقشعرَّت البلاد هامدة، حتَّى يصيرَ وُسْعُهُم مبذولًا لهم يتوسَّعون فيه إذا جَرَّ غيرُهم الجرائرَ على عشيرته، وذَوِي لُحمته، ثمَّ مَن اكتسَب جريمةً منهم تكفَّلوا باستنقاذِه منها، وأفاءُوا ظلَّ الحماية والصِّيانة عليه فيها.

وقوله: «والمطعِمُون» حذف مفعولَهُ، وإنَّما يصفُهم بأنَّهم يُقيمون القِرَى للأضياف إذا هبَّت الريح شمالًا، وغادَى الحيَّ السحائبُ الباردة طوائفَ وفرقًا. وقوله: «هُضُم» جمع هَضُوم، وهو المِنفاق في الشِّتاء. وقوله: «هبَّتْ شآميَةً» انتصب على الحال. وقوله: «الواسعون» مأخوذ من الوُسْع وهو الطَّاقة، ويقال: لا يَسَعُكَ كذا، أي لستَ منه في سَعَةٍ. والصِّرَمُ، أصله في أقطاع الإبل، فاستعاره.

٧ ـ وشَتْوَةٍ فَلَّلُوا أنيابَ لَزْبَتِها عَنهُمْ إذا كَلَحَتْ أنيابُها الأُزُمُ

٨ ـ حَتَّى انْجَلَى حَدُّها عَنهُمْ وجارُهُمُ بنَجْوَةٍ من حِذَارِ الشَّرِّ مُعْتَصِمُ

فلَّلُوا: كسروا. واللَّزْبَة: السَّنة المُجْدِبَة، وجعل الأنيابَ مَثَلًا لشدائدها. والكُلُوح: بُدُوُّ الأسنان عند العُبوس. والأزُم: جمع أَزُومٍ، وهي العَوَاضُّ. وقوله: «وجارُهُم بنجوةٍ»، أي: عِزٍّ ومَنَعَةٍ. والنَّجْوَةُ: المرتفِعة من الأرض لا يبلُغها السَّيْل، فضرَبه مثلًا للمَلَاذِ الذي أوَوْا إليه في فِنائهم حِذَارًا من الشَّرّ، فيقول: رُبَّ شَتْوَةٍ دفعوا أذاها ومعرَّتها عن العشيرة أشدَّ ما كانت، بما قاموا به من إصلاح أمورهم، وإزالة ضررِها عنهم، إلى أن انكشفَ حَدُّها عنهم، وجارهم معتَصِمٌ فيهم بأحمى مكانٍ، وأمنع عِزٍّ ومَلَاذ.

٩ ـ هُمُ البُحُورُ عَطَاءً حِينَ تَسْأَلُهُمْ وفي اللِّقاءِ إذا تَلْقَى بِهِمْ بُهَمُ

١٠ ـ وَهُمْ إذَ الخَيلُ حَالُوا في كَوَاثِبِهَا فَوَارِسُ الخَيلِ لا مِيلٌ ولا قَزَمُ

انتَصب «عطاءً» على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولًا له. وارتَفَعَ «بُهَم» بالابتداء، وخَبَرُه في اللِّقاء، ومفعول تَلْقَى محذوف؛ كأنَّه قال: إذا تَلْقَى بهم الأعداءَ. والبُهَم: جمعُ بُهْمَةٍ، وهو الشُّجاع الذي لا يُدْرَى كيف يُؤتَى له، لاستبهام شأنِه وتناهي شجاعتِهِ. والمعنى: هم البُحُور إذا اجتداهم المُجْتَدِي، لكثرة عطائهم، أي لا يَنْفَد عطاؤُهم على كثرة الاجتداء، كما لا يَنْفَد ماء البحر على كثرة الوُرَّاد، وهم بُهَمٌ في اللِّقاء إذا لقيتَ بهم الأعداء، وإذا ركبَ الفُرْسانُ الخيلَ وثَبَتُوا في كواثبها ـ والكاثِبة: قُدَّامُ المَنسِج منها ـ ففُرسانها لا لئامٌ ضعافٌ صغارُ الأجسام، ولا مائلون عن وجوه الأعداء. والمِيلُ: جمع أمْيَل وهو الذي يُعْرِض عن وجه الكَتِيبَة عند الطِّعان، وقيل: هو الذي لا يَثْبُت على ظهر الدّابّة، ويقال: حَالَ في ظَهْرِ دابَّته، إذا ركبها. وارتفع مِيلٌ على أن يكون معطوفًا على فوارس الخيل. ويجوز أن يكون خبرَ مبتدإٍ محذوف، كأنّه قال: لا هُمْ مِيلٌ ولا قَزَمٌ. وقد مضى القول في فوارسَ وشذوذِهِ.

١١ ـ لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيًا فَأَخْبُرَهُمْ إلّا يزيدُهُمُ حُبًّا إليَّ هُمُ

١٢ ـ كَمْ فِيهِم مِن فَتًى حُلوٍ شمائلُهُ جَمِّ الرَّمادِ إذا ما أَخْمَدَ البَرَمُ

يقول: لم أُخالِطْ بعد فراقي لهم حَيًّا من الأحياء فخبَرتُهم إلّا وازدادوا في قلبي حبًّا إذا قِسْتُهم بمَن سِواهم في قياسي ونظَرِي، كمالَ آلةٍ وتناهِيَ رياسةٍ

وتوفُّرًا على من ينتابُهم من مُتَحَرِّم بذِمَّة، أو مُدِلٍّ بقَرابة. وارتفع «هم» الأخير بيزيد، وقد وضع الضَّميرَ المنفصلَ موضع المتّصل لأنه كان الوجهُ أن يقول: إلّا يزيدونَهُمْ حُبًّا إليّ. وهذا كما يُوضع الظّاهر موضعَ المضمر والمضمر موضع الظاهر إذا أُمِنَ الالتباس. وانتَصَبَ «فأخبَرَهم» لأنه جواب النَّفي بالفاء، والعامل أَنْ مضمَرةً بين الفاء والفعل.

وقوله: «كم فيهمُ من فَتَى حُلوٍ شمائلُهُ» فكم للتَكْثير، وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فَتَى. ومعنى «جَمّ الرَّمادِ»، أي: كثير الأضياف، لأنَّ الرماد إنَّما يكثُر بحَسب اتِّساع ضِيافته، وكثرة غاشيته. والبَرَم: الذي لا يدخُل مع القوم في الميسر، ومفعول أخمدَ محذوف، والمراد ما أَخْمَدَ البَرَمُ النَّارَ لبُخْله ولشدَّة الزمان ونَكَده، فجعل الفتى حلوَ الشَّمائل، وهي الطبائع؛ لأنَّ الضِّيافة إنما تَكْرُمُ وتَشْرُفُ بحُسْن خُلُق المُضِيفِ وخِفَّتِهِ في الخدمة، وملاطفتِه لضيوفه، وتحفّيه وبرّه بهم.

١٣ ـ تُحِبُّ زَوْجَاتُ أَقْوَامٍ حَلَائِلَهُ إذَا الأُنُوفُ امْتَرَى مكنونَها الشَّبَمُ

وَصَفَ النِّساءَ منهم بحُسن التوفُّر على أشباههنّ، وكمال التفقّد بما يُهدين إليهنّ إذا قلَّت الهدايا واشتدَّ الزَّمان، وبلغ البردُ حَدًّا يستخرج مكنونَ الأنوف من الرُّعام، فيقول: زوجات الأبرام ومن يشبههم مِن ذوِي الحاجة، أو الممتنعين من المَيْسر، يُحْبِبْنَ أزواجَ هؤلاء الفتيان إذا أَمْحَلَ الزَّمانُ واشتدَّ القَحْط والجَدْب، لحسن تعطفهنَّ عليهنَّ، وصَرْفِ العنايةِ وجميل التفقُّد إليهنّ. وامْتَرَى: استخرجَ. والشَّبَم: البرد. وأراد بالمكنون المُخاط. والحلائل: النِّساء المتزوّجات سُمِّين بذلك لأنَّها تُحَالُّ أزواجها، أي: تنزل معها؛ والواحدة حليلة وفعيلة بمعنى مُفاعلة، كَقَعِيدةٍ، وجَليسة.

١٤ ـ تَرَى الأَرَامِلَ والهُلَّاكَ تَتْبَعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلُ رَذِمُ

١٥ ـ كَأَنَّ أصحَابَهُ بالقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ مِنْ مُسْتَحِيرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيَمُ

الأرامل: جمع الأرمَلِ والأرْمَلَة، لأنّه يقع الذّكر والأنثى، وهم الذين قد انقطع زادُهم وضاقت الأحوال بهم. والهُلَّاك، هم الفقراء الذين أشْرَفُوا على الهلاك، وإنّما قال «تتبعه» لأنّهم كانوا يتفيَّئُون بظلّه، ويعيشون في أفنيته من خَيْرِهِ. وقوله: «يَسْتَنُّ منه عليهم وابلٌ» مَثَلٌ لما كان يَنْصَبُّ عليهم ويجري ويدومُ من إحسانِهِ لَهُم؛ لأنَّ الحيا يُحْيِي الأرض، كما أنَّ معروفَ هؤلاء كان يحييهم.

والرِّذِم: السَّائل. ومعنى يستنُّ: ينصبُّ. سَنَنْتُ الماءَ وأسننتُه بمعنًى. والوابل: المطر الضَّخم القطر.

وقوله: «كأنّ أصحابَه بالقَطْرِ يَمْطُرُهم»، يريد: أنَّهم في دُورهم ومَحَلِّهم ذاكَ فِعلُهم مع عشيرتهم، ومع زُوَّارِهم ومؤمِّليهم، فإذا سافَرُوا ترى الصَّحابة في المكان الخالي يمطُرهم من نوالهِ ما يجري مَجرى الصَّوْبِ من سحابٍ متحيِّر ممتلئٍ ماءً، غزيرِ النَّوء، دائم السَّيْل. والدِّيَم: جمع دِيمَة، وهي المطر يدومُ بسكون، والمُسْتَحِير والمتحيِّر، بمعنًى واحد. وهذا التَّحيُّر إنَّما هو كنايةٌ عن الامتلاء. ويقال: استحار شبابُه.

١٦ ـ غَمْرُ النَّدَى لا يَبِيتُ الحَقُّ يَثْمُدُهُ ... إلَّا غَدَا وهو سَامِي الطَّرْفِ يَبْتَسِمُ

١٧ ـ إلى المَكارِمِ يَبْنِيها وَيَعْمُرُها ... حتَّى يَنالَ أُمورًا دُونَها قُحَمُ

الغَمر: الواسع العطاء. ومعنى يَثْمُدُهُ: يكثر عليه حتَّى يُفْنِيَ ما عنده. والماء المثمود: المزدحَم عليه حَتَّى يَنْزُرَ نَزْفًا. وقوله: «وهو سامي الطَّرْفِ»، أي: لا يَكسبه امتدادُ العَطَاء منه، ودوامُ الإحسان، غضاضَةَ طَرْفٍ وانكسار نشاطٍ، بل يُرَى بعَقِبه ضَحُوكًا عاليَ النظر. وقوله: «لا يبيتُ الحقُّ يثمُده إلا غَدَا»، يشتملُ على معنى الشَّرط والجزاء، أي: كلَّما باتَ الحقُّ يثمد ما عنده غدا سامِيَ الطَّرْف مبتسمًا.

وقوله: «يَبْنيها ويَعمرها» في موضع الحال، أي بانيًا عامِرًا. وقوله: «إلى المكارم» اتَّصل «إلى» بقوله: «إلَّا غَدَا». والقُحَم: الشدائد، واحدتها قُحْمَة، والمعنى: أنَّه بذَّالٌ سَخِيٌّ جمُّ المعروف، لا يبيت تورُّدُ الحقوقِ نحوَه يستغرق ما لَه إلَّا ابْتَكَرَ وهو ضحَّاكٌ عالِي النظر إلى ابتناءِ المكارم، جريًا على العادة وإلْفًا لها، وهو يعمرُها ويصلُ جوانبها بأمثالها حتَّى يُصِيبَ أُمورًا تَحُولُ بينها وبين من يريدُ نَيْلَهَا والوصولَ إليها شدائدُ وتكاليف. وقُحَمُ الطَّريق: ما صَعُبَ منها، وفي الحديث: «إنَّ للخصومة قُحَمًا»(١)، أي: يتقحَّم على المهالك.

١٨ ـ تَشقَى بِهِ كُلُّ مِرْبَاعٍ مُوَدَّعَةٍ ... عَرْفَاءَ يَشْتُو عليها تَامِكٌ سَنِمُ

١٩ ـ تَرَى الجِفانَ من الشِّيزَى مُكَلَّلَةً ... قُدَّامَهُ زَانَها التَّشرِيفُ والكَرَمُ

(١) الحديث في النهاية في غريب الحديث ٤: ١٩ وهو من حديث علي بن أبي طالب، «والقحم هي الأمور العظيمة الشاقّة واحدتها قُحمة».

٢٠ ـ يَنُوبُهَا النَّاسُ أَفْوَاجًا إذا نَهِلُوا عَلُّوا كما عَلَّ بعد النَّهْلَةِ النَّعَمُ

المِرْباع: النَّاقة التي من شأنها أن تضعَ ولدها في الرَّبيع، وهي المحمود من النِّتاج، ولذلك قال:

أَفْلَحَ مَنْ كانَ لَهُ رِبْعِيُّونْ(١)

ومِرْباع: بناءُ المبالغة. والمودَّعَةُ: المكرَّمَةُ الموفَّرَةُ على التَّناسل لا تُعمل ولا تُحَمَّل. والعَرفاء: التي لِسِمَنها صار لها كالعُرْف. والتَّامك: السَّنام المُشرِف. والسَّنِمُ: العالي، ويقال: بعيرٌ سَنِمٌ، أي مشرف السَّنام، والمعنى: تَبْقَى شَتْوَتَها سمينةً لا يغيِّرها الجَدْبُ والقَحْطُ، وإنما قال «تشقَى به»، وهو يريد الفتَى لأنَّ المراد لا يَنْحَر من الجُزُر إلَّا ما يُتنافَسُ فيه مثلِ ناقةٍ هذه صفتُها.

وقوله: «تَرَى الجِفان من الشِّيزَى مكَلَّلَةً»، يريد: أن الجفانَ المعدَّةَ للأضياف عليها كالأكاليل من فِدَر اللَّحم، وقد زيَّنها كَرَمٌ بارع، وتشريف فاخر، وهذا بما يَستعمِله من اللُّطف والتأنيس مع الأضياف، ومن توفُّرِ خِدمة الخدم عليها، ولكمال بهاء المجلس وكونه مشحونًا بما يَرُوقُ ويُعْجِب.

وقوله: «يَنُوبُهَا»، أي: يتنابُونَها طائفةً بعد طائفةٍ، وفَوْجًا بعد فَوْجٍ، فإذا تناوَلُوا النَّهل رجَعوا فأعقبوه العَلَلَ، كما يَفعل ذلك النَّعَمُ عند وروده الماءَ. وانتَصَبَ «أفواجًا» على الحال. والنَّعَم يقع على الأزواج الثَّمانية، والغالب عليها الإبل.

٢١ ـ زارَتْ رُوَيقَةُ شُعْثًا بَعدما هجعُوا لَدَى نَوَاحِلَ في أرساغِها الخَدَمُ

٢٢ ـ وقُمتُ لِلزَّوْرِ مُرْتاعًا وأَرَّقَنِي فقلتُ أَهْيَ سَرَتْ أم عادَتي حُلُمُ

٢٣ ـ وكانَ عَهْدِي بها والمَشْيُ يَبْهَظُها مِن القَرِيبِ ومنها النَّوْمُ والسَّأَمُ

يصف الخيال، فيقول: زارت خيالُ هذه المرأةِ قومًا غُبْرًا، أنضاءَ مُرْهًا، بعدما ناموا عند إبلٍ ضوامِرَ مهازيل، شُدَّت في أرساغها سُيورُ القِدّ، لشدَّة سيرها وتأثير الكلال فيها، فقمت من مَضْجَعِي للطَّيْفِ الزائر خائفًا، وطار النومُ عنِّي، وأخذني القَلَقُ، ووساوِس النفس والزَّمَعُ، فميَّلْتُ الفكرَ بين شيئين أحدُهما زيارتُها بنفسها، والثاني حُلم نائمٍ اعتادَني فأرانيها، وصِرْتُ أُراجِعُ نفسي وأقول: كيف يجوز مجيئُها،

---

(١) لأكثم بن صيفي، أو سعد بن مالك بن ضبيعة في اللسان (صيف).

وكنتُ أعهدها وقطعُ المسافةِ القريبة كانت تتكلَّفه بشِقِّ النَّفس، وتحمُّل الثِّقل والكَدِّ. هذا والغالب عليها المَلالُ مما يُتعِبُ وإن خَفَّ، وطَلَبُ الراحةِ بالنوم ليسيرِ الخطبِ منها ببالٍ ولو قَلَّ. وانتَصَبَ «مرتاعًا» على الحال.

وقوله: «أم عادَني حُلُمُ» أم هذه هي المعادِلة، والمعنى: أيُّ هٰذين الأمرينِ كان. وقوله: «أَهْيَ سَرَت» أسكن الهاء من هي مع ألف الاستفهام، لأنَّهُ أجراها مَجرى واوِ العطف وفائه، فكما يسكُن معها لأنها لا تقوم بنفسها ولا تستقلُّ كذلك أُسكِن مع الألف. ومعنى يَبهَظُها: يَثقُلُ عليها ويشقّ.

وقوله: «والمَشْيُ يَبْهَظُها» خبر كان فيه. وقوله: «وكان عهدي بها» الواو واو الحال من قوله «أَهْيَ سَرَتْ».

٢٤ ـ وبالتَّكاليفِ تَأْتِي بَيتَ جارتها   تَمْشِي الهُوَينَا وما تَبدُو لَهَا قَدَمُ

٢٥ ـ سُودٌ ذوائِبُها بِيضٌ ترائِبُها   دُرْمٌ مَرافِقُها في خَلْقِها عَمَمُ

يقول: وممَّا عهِدتُها عليه أنَّها كانت تأتي بيتَ جارتها قضاءً لذِمامٍ، أو أداءً لواجبِ حقٍّ، بَعد الجَهْد والشدّة، ومداوَرة النَّفي على أذنَى الكُلْفة والمشقّة، ومِشيَتُها الهُوَيْنا، أي على رِفْقٍ لا استعجالَ فيها ولا تهافتَ، ولا تَقاذف في أعضائها ولا تتابُع، ولذَيلها على الأرض سحبٌ وجَرٌّ، فقدَمُها لا تبدو، ووقارُها المتسبِّب من كِبرها وعُجْبها لا يَهفُو. والهُوَيْنا: تصغير الهُونَى والهُونَى: تأنيث الأهْوَن، وموضعها من الإعراب نصبٌ على المصدر. وقوله: «تمشي الهُوَيْنا» في ضمنه ما يُوصَفُ به مثلها من التَّرَفُّهِ وفَرْط الحياء، كما قال: [الطويل]

كأنَّ لها في الأرضِ نِسْيًا تقُصُّه   على أُمِّها وإن تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ(١)

وقوله: «سُودٌ ذوائبها» يصفُها بأنَّها في عنفوان شبابها، ففرْعُها أسود، وصدرُها بما حوالَيْه أبيض، ومرافقُها لا حجمَ لها لكثرة لحمِها، وخَلقها تامٌّ لاستكمالها.

٢٦ ـ رُوَيقَ إنِّي وما حَجَّ الحَجِيجُ له   وما أَهَلَّ بِجَنْبَي نَخْلَةَ الحُرُمُ

قوله: «وما حَجَّ الحجيج له» يجوز أن يكون ما بمعنى الذي، كأنه أقسمَ بالبيت الذي حجَّ إليه الحجّاج، وبإهلال الحُرُم، وهو رَفْعُ الصوت بالتلبية، بجَنْبَي نخلة،

---

(١) للشنفرى في ديوانه ٣٣، واللسان (بلت، نسا).

وهو مكانٌ بقُرب مدينة الرسول عليه السّلام يقال له بَطْنُ نَخْلَة. ويجوز أن يكون ما موضوعًا موضع مِن، على ما حكى أبو زيد من قولهم: «سبحان ما سَبَّح الرعد بحمده»، ويكون الله تعالى المُقْسَمَ به.

وقوله: «ما أَهَلّ» يراد به: وما أَهَلَّ له، فحذف له لتقدّم ذِكره وطُول الكلام به. ويجوز أن يكون «ما حَجَّ» في موضع المصدر، كأنّه أقسمَ بحَجّهم وإهلالهم، ويكون الضمير من له يعود إلى الله تعالى وإن لم يَجْرِ ذِكره، لأن المراد مفهوم، أي: حَجُّوا له إقامةً لطاعته، وابتغاءً لمرضاته. وجواب القَسم في قوله: «لم ينسني»، ويقال: أحْرم الرجلُ بالحجّ فهو مُحْرِمٌ، وقومٌ حرام وحُرُمٌ ومُحْرِمُون.

٢٧ ـ لم يُنْسِني ذِكْرَكُمْ مُذْ لم أُلاقِكُمْ عَيشٌ سَلَوْتُ به عنكم ولا قِدَمُ

٢٨ ـ ولم تُشارِكْكِ عِنْدِي بَعْدُ غانيةٌ لا والذي أصبحَتْ عِندي له نِعَمُ

حَلَف بما حلف أنه لم يَشغله عن ذِكرهم منذُ حصل الفِرق بينهم، لا عيشٌ استطابَه لمساعَدة الزمان له بما سَرّه فتسلّى عنهم، ولا بَلّى ما كان يستجدُّه كلَّ وقتٍ من الوجدِ بهم وتَذكار عهودهم تقادُمُ أيّامٍ فتناساهم، ولا شاركها في مُستوطَن هواها ومقرِّ حُبّه لها امرأةٌ غانية، فتضايق عنها حِماها. ثم ثَنّى اليمينَ توكيدًا، فقال: لا والله الذي أصبحَتْ له عندي نِعَمٌ مقابلتُها بالشكر واجبةٌ للأمر كما قلت، فحذف لأن المراد مفهوم.

وقوله: «لم يُنْسِني ذِكرَكُم» يُجاب اليمين من حروف النَّفْي بما، ولكنه اضطُرَّ فوضع لم يُنْسِي موضع ما أنساني. ولا يمتنع أن ينفرِد القَسَم الأوّل به جوابًا، ويكون جواب القسَم الثاني: ولم تشاركك عندي، لأنه خبرٌ ثانٍ، فقدَّم المُقْسَم له على المُقْسِم به، كما تقول: ما فعلته والله.

٢٩ ـ مَتَى أَمُرُّ على الشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النَّقَا بِمَرُوحٍ لَحْمُها زِيَمُ

٣٠ ـ والوَشْمَ قد خَرَجَتْ منها وقابَلَها من الثَّنايا التي لم أَقْلِها بَرَمُ[1]

قوله: «متى أمُرُّ» ابتسعاد واستعجال بما يتمنّاه من العَوْدِ إلى هذه الأماكن التي ذكرها. ورواه بعضهم «حتى أمُرّ»، ويتعلق حتى بقوله: «لا والّذي أصبحتْ عندي له

(١) التبريزي: «لم أقلها ثَرَمُ».

نِعَم»، أي: حصَلت له نِعَمٌ عندي كي أمُرَّ، لأن لِحَتَّى موضعين، والفعل بعدهما منصوب: أحدهما أن يكون بمعنى لأنْ وكَيْ، والثاني أن يكون بمعنى إلى أن، تقول: جئتُك حتى تُكرِمَني، والمعنى: لأن تُكرِمَني، وكي تكرمني. وتقول: انتظرْ حتى تخرج، والمعنى: إلى أن تخرج. والشَّقراء، قال الأصمعي: يعني فرسَهُ، وعلى هذا يكون الشقراء والمَرُوح فَرسًا واحداً. والباء من «بمَرُوح» يتعلق بقوله معتسِفًا، وعلى الشقراء بأَمُرُّ، ويكون في موضع الحال، أي راكبًا الشقراء. وانتصب معتسِفًا على الحال. والاعتساف: الأخذ على غيرِ هدايةٍ ولا دِراية. ويقال: فلان يتعسَّف الناس، أي يأخُذهم بغير الحق. والخَلّ: الطَّريق في الرَّمل. والنَّقا: الرمل. والمَرُوح: النَّشيط. ومعنى زِيَمٌ: متفرّق. ووَشْم وبَرَمٌ: موضعان. والثَّنايا: العِقاب. ويروى: «من العِقاب التي لم أقْلِهَا ثُرَمٌ»، وهي جمع ثُرْمَةٍ، وهي صدعٌ يكون في الثَّنِيَّة. ومنه قولهم: فلانٌ أثْرَمُ، إذا سقط بعضُ ثناياه فصارت بينهما فُرْجَةٌ. ولم أقْلِهَا: لم أبغضْها. وقد قيل في الشقراء: إنه موضع أو هضبة. وانعطَف «الوَشْمِ» عليه، وبمَرُوحٍ حينئذ يتعلّق الباء منه بحتَّى أمُرَّ. وعلى الوجه الأوّل تنصب الوَشْمَ وتَعْطِف على خَلِّ النَّقا.

٣١ ـ يا لَيتَ شِعْرِيَ عَنْ جَنْبَيْ مُكَشَّحَةٍ وحيثُ يُبْنَى من الحِنَّاءِ الأُطُمُ[(١)]

٣٢ ـ عَنِ الأَشَاءَةِ هل زالَتْ مَخَارِمُهَا وهَلْ تَغَيَّرَ مِنْ آرَامِهَا إِرَمُ

٣٣ ـ وجَنَّةٍ ما يَذُمُّ الدَّهرَ حاضِرُها جَبَّارُها بالنَّدَى والحَمْلِ مُحْتَزِمُ

قوله: «يا ليت شعري» يا حرف النداء، والمنادى محذوف. وهذا الكلام تحسُّر في إثرِ ما فاته من أمر الأرَضِينَ المذكورة. وشِعري اسم ليت، وخبره محذوف لا يظهر البتّة، ومعفولا شعري قوله: «هل زالت مخارمها».

وقوله: «عن جَنْبَيْ مكَشَّحَةٍ» بيان ما تمنَّى عِلْمَه، وفي أيِّ جانبٍ هو. ويُروى: «عن جِزْعَيْ مكشَّحةٍ وحَوْثُ». والجِزْع: جانب الوادي. ومكشَّحة: أرض. وحَوْثُ لغة في حيث، لأن فيه أربع لغات: حَيْثُ، وحَيْثَ، وحَوْثُ، وحَوْثَ. فالضمُّ تشبيهًا له بالغايات قبلُ وبَعد، والفتحة لخفَّته. والحِنَّاءة: أرض. والأُطُم: الحِصْن وكلُّ بناءٍ مرتفع، والجمع آطام.

---

(١) التبريزي: «عن جنبي مكسّحة»، و«حيث تبنى».

وقوله: «عن الأشاءة»، فإن كان الأشاءةُ موضعًا وبعضَ ما يقع عليه مكشّحةً فإنّه بدلٌ مِن عن جَنْبَيْ مكشّحة، وقد أُعيد حرفُ الجرّ معه. وإنْ كان النَّخلةَ فإنه يجوز أن يريد بَقْعَتَهَا، فحذفَ المضافَ وأقام المضاف إليه مقامَه. ولا يمتنع أن يكون أراد: وعن الأشاءة، فحذَف العاطف كما تقول: رأيت زيدًا، عَمْرًا، خالدًا. وأنشدنا أبو عليٍّ الفارسيُّ: [الخفيف]

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مِمَّا يزرعُ الحُبَّ في فؤادِ الكريمِ(١)

فيقول: ليت علمي كان واقعًا بأحوال هذه المواضع، وهل هي باقيةٌ على ما عهِدتها من قبل، أو هل تغيَّرَتْ أعلامُها وزالت مَخارِمُها. وإنما يدُلُّ على حَنينه إليها، وتأسُّفه على البُعْد عنها.

وقوله: «وجَنَّةٍ»، يريد: وعن جنَّةٍ حاضِرُها يَرْضَى عن الدَّهر ويَحْمَدُه، فلا يتسخَّط أيّامَه، ولا يذمُّ عوارضَه. والجَبَّار من النَّخْل: ما فاتَ اليدَ طُولًا.

وقوله: «بالنَّدَى والحَمْل محتزِم» تنبيهٌ على الخِصْب فيها، وعلى غَضارةِ عيشِ سكّانها. والاحتزام كالالتفاف، ويُروى: «جَبَّارُها بالندى والخَيْر».

٣٤ ـ فيها عَقائلُ أمثالُ الدُّمَى خُرُدٌ لم يَغْذُهُنَّ شَقا عَيْشٍ ولا يُتُمُ(٢)
٣٥ ـ ينتابُهُنَّ كِرَامٌ ما يذُمُّهُمُ جارٌ غَريبٌ ولا يُؤذَى لهم حَشَمُ
٣٦ ـ مُخَدَّمونَ ثِقالٌ في مَجالِسِهِمْ وفي الرِّحالِ إذا صاحَبْتَهُم خَدَمُ

قوله: «فيها» أي في الجنَّة. عقائل، أي: نساءٌ كريمات، كأنَّهنَّ الصُّوَر المنقوشة حُسْنًا، منعَّماتٌ لم تَسُهن فاقةٌ وفقر، ولا جُهِدْنَ بأيّام أدبَرَتْ عنهنّ، ولا شَقِين بمناكَدةِ عيشهنَّ، ولا أُصِبْنَ بموتِ كافِلِهِنَّ أو قيِّمهنَّ، عفيفات، حييّات، لا يَعْرفن منكَر الأخلاق، ولا ما يَشِينُ من الأفعال، فهنَّ ربائب النِّعَم، وغرائر الزَّمن، ومُدَلَّلاتُ العشائر والسَّكَن.

وقوله: «ينتابهنَّ كِرَامٌ» مَدَح الرِّجال عَطْفًا على مدحهنّ، فقال: يدبّر هؤلاءِ النِّسوةَ رجالٌ كرامٌ أعِزَّاء، يحمَدُهُم الجار الغريب، لوفائهم له بالعَقْد، وحُسْن تعطُّفهم عليه عند البلاء والجَهْد، ويَرْضَى عنهم الخليط النَّسيب لجمال عِشرتهم،

(١) بلا نسبة في الدرر ٦: ١٥٥، وديوان المعاني ٢: ٢٢٥، وشرح الأشموني ٢: ٤٣١.
(٢) التبريزي: «يَتَمُ».

وكَرَم أخلاقِهم، لا كِبْر فيهم، ولا ترفُّعَ معهم، ثمَّ ترى حَشَمَهُم يسالمُهم الدّاني والقاصي، لعِزّهم وحَمِيَّتهم ونُصرتهم، وذَهاب صِيتهم، وهم في مجالسهم في الحضَر رِزَانٌ سادةٌ يخدُمهم مَن يغشاهم، وفي السَّفر خِفاف لِطاف يُكرمون الصَّحابة والمُرافِقة، ويخدُمون الغاشية والمجاوِرة، ويتحمَّلون في أحوالهم المُؤَن المجحِفة، وفي أموالهم النُّوَب المُثقِلة. والحَشَم: خَدَم الرَّجل ومن يَحْشَمُ له، أي: يغضبَ عند النّازلة، ويدافع دونه لطُروق الكائنة. وقوله: «ينتابُهنّ» يُروى: «يأتابُهنَّ» يفتعِل من الإياب.

٣٧ ـ بل لَيتَ شِعْرِي مَتَى أغْدُو تُعَارِضُنِي ... جَـرْدَاءُ سـابِـحَـةٌ أو سـابِـحٌ قُـدُمُ

٣٨ ـ نَحْوَ الأُمَيلِحِ مِنْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا ... بِفِتْيَةٍ فِيهِـمُ المَـرَّارُ والـحَكَـمُ(١)

٣٩ ـ لَيسَـتْ عَلَيهِـمْ إذا يَغْـدُونَ أرْدِيَةٌ ... إلّا جِـيَـادُ قِـسِـيِّ الـنَّـبْـعِ والـلُّجُـمُ

بل: حرفٌ يدخُل للإضراب عن الأوّل والإثباتِ للثّاني، كأنّه لمّا صَرَف الكلام عمّا كان فيه وشَغَله بغيره أتى بِبَلْ، إيذانًا بذلك؛ فيقول: ليت عِلْمِي واقعٌ بما يقتضي هذا السُّؤالُ، وهو متى ابتكر من سَمْنَان نحو الأُمَيْلِح ـ وهما موضعان ـ وتُعارضني في السير حِجْرٌ قصيرة الشَّعر، تَسْبَح في عَدْوِها، أو ذَكَرٌ سابِقٌ يسبِق أصحابَه ويتقدَّمُها من حيث جَرَى، ومعي فِتْيَانٌ فيهم هذان المذكوران، ثمّ وصفَ الفِتيانَ بأنّهم لا يُهِمُّهم إلّا الفُروسيّةُ وركوبُ الخيل، وإعدادُ آلاتِ الحرب، والصَّيْدِ والطّرد. وقوله: «إلّا جِيادُ» رَفَعَهُ والوجه الجيد النَّصب، لأنّه منقطِعٌ ممّا قبله، لكنَّ بني تميمٍ يرفعون مثلَ هذا على البدل. وهذا يُشْبِه بَدلَ الغَلَط، لهذا ضَعُف في الإعراب.

والبيت يشبه قولَ لبيد: [الكامل]

فُـرُطٌ وِشَـاحِـي إذْ غَـدَوْتُ لِجَـامُـهَـا(٢)

وانتصب «مبتَكِرًا» على الحال، وقِسِيٌّ مقلوب، وأصله قُوُوسٌ، ويروَى: «قِياسِ النَّبع». والمَرّار قيل: هو أخوه. والحكَم: ابنُ عمِّه، كذا ذكره الأصمَعيّ.

٤٠ ـ مِن غَيرِ عُدْمٍ ولكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ ... للصَّيْدِ حِينَ يُصِيخُ القَانِصُ اللَّحِمُ

---

(١) التبريزي: «أو سمنانَ».

(٢) للبيد في ديوانه ٣١٥، واللسان (وشح، فرط)، وكتاب الجيم ٣: ٥١، وصدره:
«ولقد حميتُ الحيَّ تحملُ شِكّتي»

٤١ ـ فَيَفْزَعُونَ إلى جُرْدٍ مُسَحَّجَةٍ أَفْنَى دَوَابِرَهُنَّ الرَّكْضُ والأَكَمُ[١]

قوله: «من غير عُدْمٍ ولكن»، تعلّق مِن بقوله: «ليست عليهم إذا يغدون أردِيَةٌ». والمعنى: أنّ إخلالهم بلُبس الأردية واستسرائها والتّأنّق فيها، لا لفقرٍ وفاقةٍ، لكن لوَلوعهم بالصّيد، وتبذُّلهم له في الوقت الذي يستمع الصّائد القَرِمُ إلى اللّحم إلى أصحابه، في اختيار مواضع الصَّيْد، وافتقارِه لقلّته. ويُروى: «حين يُنادِي السَّائفُ اللَّحِمُ». قال الأصمعيّ: يريد يرتَدُونَ بقِسيِّهم ولُجُمِ خيلِهم إذا ابتكروا، لا همَّ لهم غيرُه. والسّائف: الذي يَحُوشُ الصَّيْدَ على أصحابه، أي ينادي أصحابَه باعِثًا على الأَخْذ، ومحذِّرًا من الفَوْتِ.

وقوله: «فيَفزعون إلى جُرْدٍ مسحَّجةٍ»، أي: يلتجئون إلى خيل قصيرة الشعر، نشيطةٍ، قد سحَجَ بعضُها بعضًا بالعضّ والاستنان. ويجوز أن يريدَ أنَّ العملَ والكدَّ سحجَها، ألا تَرى أنّه قال: أفنى مآخيرَ حوافرِهِنّ ركضُ الفُرسان لها، واستحثاثُهم إيّاها، وتأثيرُ الإكام في حوافِرها، لأنّ جَرْيَهَا كان عليها. ويقال: أَكَمَةٌ وأَكَمٌ، وإكامٌ وأُكُمٌ.

٤٢ ـ يَضْرَخْنَ صُمَّ الصَّفَا في كلِّ هَاجِرَةٍ كَمَا تَطَايَحَ عَنْ مِرْضَاحِهِ العَجَمُ[٢]

٤٣ ـ يَغْدُو أمامَهُمُ في كُلِّ مَرْبَأَةٍ طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ في كَشْحِهِ هَضَمُ

أصل الضَّرخ الرَّمْي. وإنّما وَصَفَ الخيلَ بصلابة الحوافر، وأنّها تَكْسِر ما تَطَؤه من صِلاب الصَّفَا إذا سارتْ في الهاجرة. ثمّ شبَّهَ ما يتطاير من حوافرها من الحَصَى بما يتطاير من النَّوَى عن مِرضاحِهِ. والمِرضاخُ: الحجر الذي يُكْسَر عليه النَّوَى أو به. ومعنى تَطَايَحَ: تطايَرَ.

وقوله: «يَغدو أمامهم» يعني في التصيُّد. والمَرْبَأَةُ: المَحرَسَةُ. وقوله: «طَلّاعُ أَنْجِدَةٍ» جمع نَجْدٍ كفَرْخٍ وأَفرِخَةٍ، ولا يمتنع أن يكون أنجدةٌ جمعَ نَجاد، ونِجَادَ جمع نَجْدٍ، فيكون أَنجِدَةٌ جمع الجمع. ويقال: طَلَعَ الجبَل، إذا عَلَاهُ. والهَضَمُ: انضمام الضُّلوع. يصفُ خفّتَه وشهامته، وابتذالَه نفسَه في الصَّيْد والفروسيّة.

---

(١) التبريزي: «إلى جرد مسوّمةٍ».

(٢) التبريزي: «يرضخن، مرضاخة»، وقال في تفسيره: «أصل الرضخ الرمي، والمرضاخ: الحجر الذي يُكسر عليه النوى أو به».

٥٧٩ ـ وقال عَمرو بن ضُبَيْعَةَ الرَّقَاشِيُّ(١): [الطويل]

١ ـ تَضِيقُ جُفُونُ العَينِ عَن عَبَرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بعد التَّجَلُّدِ والصَّبْرِ
٢ ـ وغُصَّةِ صَدْرٍ أظْهَرَتْهَا فَرَفَّهَتْ حَزَازَةَ حَرٍّ في الجَوَانِحِ والصَّدْرِ

العَبْرَةُ: الدَّمعة، وقد استعبر، أي: جرَتْ عَبْرَتُه، ويقال: لأُمِّه العُبْر، وأراه عُبْر عَيْنِهِ، أي: سُخْنَةَ عَيْنِهِ وما أبكاه، فيقول: تمتلىءُ العين دَمْعًا حتَّى تتضايقُ جفونُها عن احتباسه، فتصُبُّها بعد تَجَلُّدٍ منها في الإخفاء، وتَصَبُّرٍ على مدافعة البكاء.

وقوله: «وغُصَّةِ صَدْرٍ»، يريد: غُمَّةً اغتصَّ بها الصَّدْر فأظهرَتْها، بعد أن كانت لا تَسُوغ بتنفُّس الصُّعَداء، فسَكَّنت تفْظيع لَوْعَةٍ تمكَّنَتْ بين الجوانح والصَّدر. والحَزَازَةُ: وَجَعٌ في القلب مِن أذى يُصِيبُه. والجوانح: الأضلاع القصيرة، الواحدة جانحةٌ. وقوله: «رَفَّهَتْ»: وسَّعَتْ، وَعَيْشٌ رَافِهٌ.

٣ ـ أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُلَامُ الفَتَى فيما استَطاعَ من الأمْرِ
٤ ـ قَضَى اللهُ حُبَّ المالِكِيَّةِ فاصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجْرِي الأُمُورُ على قَدْرِ

أَلَا: افتتاحُ كلام. واللام من «ليقل» لام الغائب، وقد يدخل في فعل الحاضر، على ذلك ما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قرأ: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْتَفْرَحُوا﴾ [يونس: الآية ٥٨]. وقوله: «ما شاء» أراد ما شاء أن يقوله، فحذفَ المفعول، وكذلك قوله: «من شاء» محذوفُ المفعول، أي: من شاء القول؛ فإنَّ الملامَ يستحقّه الفتى فيما يُطِيقه ويَدخُل تحت مقدوره ثُمَّ لا يفعلُه، فأمَّا ما لا يطيقه فقد سقط اللَّوْمُ فيه عنه.

وقوله: «قضَى اللهُ حُبَّ المالكيّة»، يريد: حَتَمَه الله عليك وأوجبه، فتكلَّفِ الصَّبْرَ فيه، فقد تَجْرِي الأمورُ على قَدْرٍ، أي على تقديرٍ، تَضِيقُ السُّبُلُ عن الانفكاك منه، فلا حِيلَةَ فيه إلَّا التزامُها. وهذا تسليةٌ منه لنفسه وبَعْثٌ لها على الرِّضا بما قُسِمَ له، وقُضِيَ عليه.

٥٨٠ ـ وقالت وَجِيهَةُ بنت أَوْسٍ الضَّبِّيَّةُ(٢): [الطويل]

١ ـ وعاذِلَةٍ تَغْدُو عليَّ تَلُومُنِي على الشَّوْقِ لم تَمْحُ الصَّبابَةَ مِنْ قَلْبِي

---

(١) عمرو بن ضبيعة الرقاشي: شجاع، من الرؤساء، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج وعبد الملك بن مروان في العراق، وشهد وقعة دير الجماجم وقتل يوم مسكن. (ت ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م). ترجمته في: الكامل لابن الأثير ٤: ١٨٦.
(٢) الأبيات في الحماسة البصرية ٢: ١٤٨، وفي معجم البلدان (القصيبة).

٢ ـ فما لِيَ إنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وأَبْغَضْتُ طَرْفاءَ القُصَيْبَةِ مِنْ ذَنْبِ

تقول: رُبَّ لائمةٍ هَمُّها مقصورٌ على لومي وعَتْبي، فيما أهواه وأميلُ إليه، وأعِد نفسي به فتتشوَّقُه، فلا يؤدِّي عَتْبُها إلى طائلٍ لها، لأنّ تَنَصُّحَها مردود، ووعظَها مدفوع، ولا إلى طائلٍ لي؛ إذ كان لا تَزداد الصَّبابةُ في قلبي إلّا تمكّنًا وثباتًا، ولا الاشتياق اللازم لي إلّا ازديادًا ودوامًا، وأنا إذا أَحببتُ أرضَ عشيرتي ورهطي، ووطنَ أحِبّتي وأهلي، ومَسْقَطَ رأسي، وحيثُ حلّ الشَّبابُ تميمتي، وأبغضتُ القُصيبة مَنْبِتَ الطَّرْفاء، أرضًا لم أَقْضِ مَأْرُبَةً فيها، ولا أوجَبْتُ مذَمَّةً لها، فلا ذنبَ لي أُلامُ فيه، ولا جريرةَ مُكْتَسَبَةً فأُعْتَبَ عليها. وقوله: «من ذَنْبٍ» في موضع الرَّفع، لأنّه اسمُ مالي، وجواب الجزاء من قوله: «إن أَحْبَبْتُ أَرْضَ عشيرتي» في قوله: «ما لي من ذنب»، وجواب رُبَّ في قوله: «لم تَمْحُ الصبابةَ».

٣ ـ فَلَوْ أَنَّ رِيحًا أَبْلَغَتْ وَحْيَ مُرْسِلٍ حَفِيٍّ، لَنَاجَيْتُ الجَنُوبَ على النَّقْبِ[1]

٤ ـ فَقُلْتُ لَهَا أَدِّي إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي ولا تَخْلِطِيهَا، طَالَ سَعْدُكِ، بالتُّرْبِ[2]

٥ ـ فَإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالًا سَأَلْتُهَا هَلِ ازْدَادَ صَدَّاحُ النُّمَيْرَةِ مِنْ قُرْبِ

الوَحْي: مصدر وَحَيْتُ لك بخير، أي أجبرت؛ ويستعمل أَوْحَى ووَحَى في معنى البَعث والإلهام. والإيحاء: الإيماء والإشارة، فيقول: لو أنّ ريحًا أدّت خَبَر مُرْسِلٍ، أو بَعْثَ مُلِحٍّ مُنْفِذ لسارَرْتُ ريحَ الجَنوب على الطَّريق ـ والحَفِيُّ يكون المُلِحَّ، ويكون اللَّطيفَ، ومصدره الحِفَاية. والنَّقْب: الطَّريق في الجبَل ـ ولَقُلْتُ: يا ريحُ بلِّغيهم تحيَّتي، وصُونيها عن الإذالة، وخلطِها بالتراب، أطالَ الله سعادتك. وقوله: «طال سَعْدُكِ» دعاءٌ لها، وهو من الاعتراضات المستحسَنة. ومثله قولُ الآخر: [الطويل]

فَمَا مَكْثُنَا دامَ الجميلُ عليكما بِثَهْلانَ إلّا أن تُزَمَّ الأباعِرُ

وقول الآخر: [السريع]

إن الثَّمَانِينَ وبُلِّغْتَهَا قد أحْوجَتْ سَمْعِي إلى تَرْجُمَانْ[3]

---

(١) التبريزي: «فلو أن ريحًا بلّغت». (٢) التبريزي: «أدّي إليهم رسالتي».

(٣) لعوف بن محلم الخزاعي في الدرر ٤: ٣١، واصقات الشعراء ص ١٨٧، ومعاهد التنصيص ١: ٣٦٩.

وقوله: فإنّي إذا هَبَّتِ الرّيح شَمَالًا، انتصابه على الحال. وسَاغَ ذلك فيه لكونه صفةً لا اسمًا. وعلى هذا الجَنُوب والقَبُول والدَّبور، يجوز في جميعها أنْ تقع أحوالًا لكونها صفاتٍ. وكأنَّ الجَنُوب كانت تَهُبُّ من نحو أرضِه مستقبِلةً لديار أحبَّته، فلذلك جعلها رسولَه. وكانت الشّمالُ تهبُّ من ناحيةِ أرض حبيبِه مستقبلةً بلادَه، فلذلك زعمَ أنّه يسائلها عما استَعْجَمَ عليه من أخبارهم.

وقال ابن الأعرابيّ: مَهَبُّ الجَنوب يَمَانٍ من قِبَل اليمن، وقلَّما تَسْرِي بالَّيل، وهي مباركةٌ. والشَّمالُ شآمِيَةٌ، فهي أكثر الرّياح هبوبًا، وهي صاحبة الشّتاء.

و«صَدّاحُ النُّمَيْرَة»، الصَّدْح: الصَّوت، يقال: صَدَح الدِّيك والغُرابُ، إذا صَوّتا. ويعني جَلَبَةَ الصَّوْتِ ونِداءَ داعِيهم. والمُنادِي بالرَّحيل فيهم كأنّه ينتظرُهم لحضورِ وقت انتجاعهم ونَهْضَاتهم، وكان يتعرَّف ذلك ليستبْشِر به.

٥٨١ ـ وقال مِرْداس بن هَمَّاسٍ الطائي[١]: [الطويل]

١ ـ هَوِيتُكِ حَتَّى كادَ يَقْتُلُنِي الهَوَى ... وَزُرْتُكِ حَتَّى لامَنِي كُلُّ صاحِبِ
٢ ـ وحَتَّى رَأى مِنِّي أَدَانِيكِ رِقَّةً ... عَلَيْكِ وَلَوْلَا أَنْتِ مَا لَانَ جَانِبِي[٢]
٣ ـ أَلَا حَبَّذَا لَوْمَا الحياءُ ورُبَّمَا ... مَنَحْتُ الهَوَى مَا لَيسَ بالمُتَقَارِبِ
٤ ـ بِأَهْلِي ظِبَاءٌ مِنْ رَبِيعَةِ عامِرٍ ... عِذَابُ الثَّنَايَا مُشْرِفاتُ الحَقائبِ

يقول: بلغتُ الغاية القصوى في كلِّ ما كان فيكِ ولك، فحمَّلتُ نفسي من أعبار الهوَى وطلب التَّناهي فيه ما كاد يأتي عليَّ، أعُدُّ ذلك واجِبًا لكِ أؤَدِّيه، وفَرْضًا من حقوقكِ أقيمه وآتيه، ثم أَدْمَنْتُ الزِّيارة خادمًا، وتردَّدت في التعرُّف والاستعطاف متقرِّبًا، حتَّى توجَّهَ إليَّ اللَّوْمُ من أصحابي، واستسرفَنِي في البرّ جِيرتي وأَوِدّائي، وإلى أنْ ظهرَ لأقاربكِ شفقتي عليكِ ورِقَّتي، ووضَح ما اشتهر به أمري عندهم وعُرِف. ولولا أنتِ لبقيتُ على ما وُجدت عليه قديمًا مِن صيانة النَّفس وإكرامها وتبعيدها عن المراكب الشّائنة المؤدّية إلى ابتذالها، فلم يَلِنْ جانبي، ولم يَزُلْ جِمَاحِي وصعوبتي.

---

(١) التبريزي: «مرداس بن همام الطائي»، وفي معجم المرزباني ص ٤٧٤: «مزار بن مياس الطائي».

(٢) التبريزي: «رأوا مني. عليهم، . . .».

وقوله: «أَلَا حَبَّذَا» المحبوبُ محذوفٌ، كما حُذِفَ المحمود في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: الآية ٣٠]، والمراد حَبِيبٌ إليّ التَّهتُّكَ في الهوى، وتجاوُز المألوف فيه إلى المستشنَع القبيح، لولا الحَياءُ، على أنّي ربَّما مَنَحْتُ هوايَ ما لا مَطْمَعَ في بلوغه ودنُوِّه. وهذا كما قال أبو تمّام: [الكامل]

غالِيَ الهَوَى، مِمَّا يُرَقِّصُ هَامَتِي ... أُرْوِيَةُ الشَّعَفِ التي لم تُسْهِلِ[1]

وقوله: «بأهلي ظِباءٌ» رجوعٌ منه إلى استلذاذ الهوَى وإظهار التجلُّدِ فيه، فيقول: أَفْدِي بأهلي نساءً من ربيعةِ عامِرٍ، عذابَ المَباسِم، حِسَانَ الثغور والمَضاحك، عظيماتِ الأكفال، مُشْرِفَاتِ الأرداف.

والحقائب: جمع الحقيبة، وهي عجزُ الرّجل والمرأة جميعًا. ويقال: امرأةٌ نُفُجُ الحَقيبة. والقَصْدُ بالتَّفدية في قوله: «بأهلي ظِباءٌ» إلى صاحبته، وإنْ كان لفظه عامًّا لها ولغيرها.

٥٨٢ ـ وقال بعضُ بني أَسَد[2]: [الطويل]

١ ـ تَبِعْتُ الهَوَى يا طَيْبُ حَتَّى كَأَنَّنِي ... مِنَ أَجْلِكِ مَضْرُوسُ الجَرِيرِ قَؤُودُ

٢ ـ تَعَجْرَفَ دَهْرًا ثُمَّ طَاوَعَ أَهْلَهُ ... فَصَرَّفَهُ الرُّوَّاضُ حَيْثُ تُرِيدُ[3]

٣ ـ وإنَّ ذِيادَ الحُبِّ عَنْكِ وقد بَدَتْ ... لِعَيْنِيَ آياتُ الهَوَى لَشَدِيدُ

يقول: أعطيتُ الهوى مَقَادَتي فيك، فتبعْتُه حيث جرَّني، لا أتمنَّعُ عليه، ولا أَطْلُب معدولًا إليه، حتّى صرتُ كأنّني بعيرٌ قد عضَّهُ الجَرِيرُ فَلَانَ وانقادَ. والجَرِيرُ: حَبْل مضفور من أَدَم. والضَّرْسُ: العَضُّ. والقَؤُود: فعول في معنى مفعول، فهو كالقَتُوبِ والرُّكوب، والهمزة فيه بَدَلٌ من العين.

وقوله: «تَعَجْرَفَ»، أي: أخذ غيرَ القَصْد زمانًا، لأنّه كان صَعْبًا ثم تَذَلَّلَ ودخل في طاعة مداوِرِهِ، وهذا مثلٌ ضَرَبَهُ للنّفس في ابتداء هواه، وأنّه تأبّى عليه مُدَّة، فتردَّدَ بين جِدِّه وهَزْلِهِ، واقتسارِه ولَيانِهِ، حتّى رَكِبَ منه كلَّ مَرْكَبٍ، واستوطأَ ظَهْرَهُ كلَّ استيطاءٍ. فهذا معنى: «وصَرَّفَهُ الرُّوَّاضُ حيث تُرِيدُ».

---

(١) ديوانه ٢٣٣.

(٢) الأبيات في معجم البلدان (غضور)، وأمالي القالي ٣:١٠١.

(٣) التبريزي: «فصرّفه الروّادُ».

وقوله: «وإنّ زِيَادَ الحُبِّ عنك»، يريد: أنَّ دِفاعَ حُبِّه عنها وصَرْفَه عَسِرٌ صَعْبٌ وقد بَدَتْ آيات الهوى. والمعنى: أنَّ للهَوَى عَلَامَاتٍ حيثُ مالت بالإنسان ذَهَبَ معها، فيَعُدُّ الغَيَّ رُشدًا، ويَرَى التَّهالُكَ فيه حياةً، ولو رام دَفْعَ حُبِّه عنه، ولَيَّ نفسِهِ دونَه، لتعذَّرَ وامتنع.

٤ ـ وما كُلُّ ما في النَّفسِ لِلنَّاسِ مُظْهَرٌ ... ولا كُـلُّ مـا لا تَـسْـتَـطِـيـعُ تَـذُودُ[١]

٥ ـ وإنِّي لأرْجُو الوَصْلَ مِنْكِ كَمَا رَجَا ... صَدِي الجَوْفِ مُرْتَادًا كُدَاهُ صَلُودُ

يقول: ليس جميعُ ما يشتمل عليه صدري، ويشقَى في الهوَى بتحمُّله جوانحي، ممكنًا إظهارُه، ولا كلُّ ما تطيقُه النَّفس، أو لا تنهض به، يسهُل دَفْعه، فأنا أسيرُ الهوَى وتَبِيعُه، متردِّدٌ في بَلواه، لا أجِدُ منه مَخْلصًا، ولا أستطيع عنه ملجئًا ومَنَاصًا.

وقوله: «وإنِّي لأَرْجُو الوَصْلَ مِنْكِ»، يقول: وعَلَى ما أصفُه من حالي فيكِ أرجو وِصالَكِ رجاءَ إنسانٍ شديد العطَش، يطلبُ الماء من موضِعٍ حَفَرَهُ فأكْدَى، أي بلغ كُدْيَتَهُ، وهي حَجَرٌ يَعْرِض في البئر عند الاحتفار فيمتنع قطعُه بالمعاوِل، وجمعُها كُدًى، وهذا مَثَلٌ. والمعنى: أنَّ رجائي في خَيْرِكِ مَعَ حاجتي رجاءُ رَجُلٍ عطشانَ يطلُب الماء ويرجوه من بئرٍ هكذا. والصَّلُود: اليابس، ويقال للبخيل: أصْلَدُ وصَلْدٌ وصَلُود، تشبيهًا به، وكذلك زَنْدٌ صَلُودٌ إذا لم يُورِ. والمرتاد: الطَّالب، ومفعوله محذوف، ويجوز أن يُعنَى بالمرتاد المطلوب، ويراد به الماء، وقد أقام الصفة مقامَ الموصوف، وعلى الوجه الأوَّل يَنتصب على الحال.

٦ ـ وكيفَ طِلَابِي وَصْلَ مَنْ لَوْ سَأَلْتُه ... قَذَى العَيْنِ لم يُطْلِبْ وذَاكَ زَهِيدُ

٧ ـ ومَنْ لَوْ رَأَى نَفْسِي تَسِيلُ لَقَالَ لِي ... أَرَاكَ صَحِيحًا والفُؤاد جَلِيدُ

يصف بُخْلَها وتمنُّعها، فيقول: كيف أستجيزُ طلبَ وصالِ إنسانٍ لو سألتُه إزالة قَذَى العينِ لم يُجِبْني إليه، وذاك قليل فيما يُسْأل ويُلْتَمَس، فحذَف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه؛ كما قال الآخر[٢]: [البسيط]

يا صَخْرُ وَرَّادَ ماءٍ قد تَنَاذَرَهُ ... أهلُ المَوَارِدِ ما في وِرْدِهِ عَارُ

(١) التبريزي: «وما كلُّ ما في النفس لي منك مظهرٌ»، و«ما لا نستطيع نذودُ».

(٢) للخنساء في ديوانها، والكامل ٧٣٧ (ليبسك).

يريدُ: ما في ترك وُرودِهِ عارٌ، فحذَف المضاف. ويجوز أن يريد: لو سألتُه ألّا يُقذِيَ عيني، كما تقول: سألت فلانًا ضربَ فلان، أي استوهبته ضربَه لم يُطلِبْني. ويجوز أن يريد: من لو سألته تافِهًا لا خَطَرَ له ولا اعتدادَ به، فضَرَبَ المثلَ بالقذَى، والمعنى: لو سألته ما يُقذِي العين.

وقوله: «مَنْ لو رأى نفسي» عَطَفَهُ على مَن لو سألتُه، يريد: ولو رأى دَمِي يَسيلُ لقال لِقسوة قلبه عليّ: أَراكَ صحيحًا لا داءَ بِكَ ولا آفة، وقلبُه جليدُ، أي: يرقُّ لي ولا يرحمني. والمراد على هذا بالقلب: قلبُ المرأة، ويكون الواو في «والفؤاد» واو الحال، ويجوز أن يكون من تمام الحكاية ومن كلام المرأة، والمعنى: أنّها تقول مع ما تَرَى من سَيَلان دمي: أرى نفسَك صحيحة، وقلبَك ثابتًا ماضيًا، لا آفة بك ولا غائلة.

٨ ـ فيَـا أيُّـهـا الـرِّيـمُ الـمُـحَـلَّى لَبَـانُـهُ ... بـكَـرْمَـيْـنِ كَـرْمَـيْ فِـضَّـةٍ وفَـرِيـدُ

٩ ـ أَجِـدِّيَ لا أُمْـسِـي بـرَمَّـانَ خَـالِيًـا ... وغَـضْـوَرَ إلّا قِـيـلَ أيـنَ تُـرِيـدُ[1]

كأنّه استعطفَها وذكَّرها اشتهارَه بها، وتوجُّهَ التُّهَم إليه بسببها، حتّى ضاقَ بهذين الموضعين مَجالُه، وتعسَّر عليه وإن تفرَّد فيها إمساؤه.

والرِّئْمُ: الظَّبي الخالصُ البياض. والمُحَلَّى لَبَانُه، أي ترائِبُه. بكَرْمَيْنِ، أي: بقِلادتين. والفَريد: الدُّرّ. واللَّبَانُ: الصَّدْرُ. وقوله: «وفريدُ» إن جعلتَه معطوفًا على فضّةٍ يكون إقواءً، ولك أن ترفعَه بالابتداء والخبرُ محذوف، كأنّه قال: وفريدٌ فيهما. ويُروى: «كَرْمَا فِضَّةٍ وفريدُ»، فينعطِف الفريد على «كَرْمَا»، ويكون الكلام على الاستئناف لا الإبدال، كأنّه قال: هما كَرْمَا فضّةٍ وفريدٌ، وهذا أصحُّ وأجود.

وقوله: «أجِدِّيَ»، يريد: أعلى جِدٌّ منّي هذا الأمر، وهو أنّي لا أُمسِي منفردًا بنفسي برَمَّانَ وغَضْوَرَ إلّا قيلَ: أينَ مُرادُك. و«أجِدِّيَ» في موضع المصدر، والفعل العامل فيه محذوف، وذكر الإمساءَ والمراد الإمساءُ والإصباحُ جميعًا، لكنّه اكتفى بذِكر أحدِهما لعلْم النّاسِ بأنّ حالَهُ فيما ذكره يستوي فيه اللَّيل والنَّهار.

٥٨٣ ـ وقال رجلٌ من بني الحارث: [الطويل]

١ ـ مُنًى إنْ تَكُن حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى ... وَإلّا فَـقَـدْ عِـشْـنَـا بـهـا زَمَـنًـا رَغْـدَا

---

(١) التبريزي: «لا أمشي».

٢ ـ أَمَانِيّ مـن سُعْدَى حِسَـانًـا كـأنَّـمَـا سَقَتْكَ بها سُعْدَى على ظَمَإٍ بَرْدَا[١]

المُنَى: جمع مُنْيَةٍ، وموضعها من الإعراب رَفْعٌ على أنّه خبر مبتدإ محذوف، كأنّه قال: هي مُنَى، فيقول: هذه الخصال التي نَعِدُ بها أنفُسَنا في هذه المرأة وتَعِدُنا بها، لا تخلو من أن تكون صادقةً أو كاذبةً؛ فإنْ جاءَت صادقةً مُحَقَّقَةً فهي أحسنُ الأماني وأوفقُها للنّاس، وإنْ كانَتْ كاذبةً فإنّا نعيش بذِكْرِهَا منتظرين لها زمنًا ممتدًا، وعيشًا واسِعًا رافهًا.

وقوله: «أمَانِيّ من سُعْدَى»، نَصْبٌ بإضمار فِعل، كأنّه قال: أذكُرُ أمانِيّ من سُعْدَى. وكَرَّرَ لفظ سُعْدَى تلذُّذًا لاسمِها، وقد تقدَّم القولُ في أنَّ الأعلامَ وأسماءَ الأجناس يُفْعَل بها ذلك. والمعنى: أذكرُ أمانِيَّ من هذه المرأة جميلةً تُزَجِّي أوقاتَنا، وكأنَّ موقعها من قلوبنا موقعُ الماء البارد من ذِي الغُلّة الصَّادِي. وقوله: «زَمَنًا رَغْدًا»، الرَّغْدُ: السَّعَة في العيش، ويقال: عيش راغِدٌ ورَغِيدٌ. وانتصاب رَغْدًا على أنّه صفةٌ لمصدر محذوف، كأنّه قال: عِشْنَا عَيْشًا رَغْدًا بها زمنًا، ولا يمتنع أن يكون صفةً لقولِهِ زَمَنًا، كأنّه قال: عَيْشًا واسِعًا. وقوله: «على ظمإٍ بَرْدًا»، يريد: ماءً ذا برد.

٥٨٤ ـ آخر[٢]: [الطويل]

١ ـ وخُبِّـرتُ سَـوداءَ الـقـلوبِ مَـرِيـضـةً فـأقـبـلْـتُ مِـن أَهْـلي بـمِـصْـرَ أعُـودُهَـا
٢ ـ فـواللهِ مـا أدرِي إذا أنـا جِـئْـتُـهـا أأُبْـرِئُـهـا مِـنْ دائِهَـا أم أَزِيـدُهَـا

قوله: «خُبِّرْتُ» تتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل، ومريضةً المفعول الثالث. وقوله: «أعودُها» في موضع الحال من أقْبَلْتُ. ويجوز أن يريد بقوله: «سوداءَ القلوب» أنّها تَحُلُّ من القُلوب محلَّ السُّويداء منه، كأنَّ القلوبَ على اختلافها تميل إليها وتنطوي على حبِّها. ويجوز أن يكون كان اسمها سوداءَ وأضافَها إلى القُلوب؛ كما قال ابن الدُّمَيْنَةِ: [الطويل]

قِفِي يـا أُمَيْـمَ الـقَـلْبِ نَـقْـضِ تَـحِيَّـةً ونشكُو الهوى ثمَّ افْعَلي ما بَدَا لَكِ[٣]

---

(١) التبريزي: «أمانيُّ من سُعدى رواءً كأنما».
(٢) هو العوام بن عقبة بن كعب بن زهير حسب رواية التبريزي، وهو شاعر مجيد من أهل الحجاز، نبغ في العصر الأموي وزار مصر. ترجمته في: العيني ٢: ٤٤٢، والمرزباني ص ٣٠١.
(٣) البيت في ديوانه ١٣، ومصارع العشاق ١: ٢٥٢.

ويجوز أن يكون أراد أنّها قاسية القلب سوداؤه، فجمعَ القلبَ بما حولَه فقال القلوب، أو لأنّها كأنّ لها مع كلِّ مُتيَّم بها قلبًا، فقال القُلوب على ذلك؛ فيقول: نُبِّيت أنّها تألّمَتْ لعارض عِلّةٍ، فأقبلتُ مِن أهلي بمصرَ عائدًا لها، وواللهِ أحْلِفُ ما أدري إذا حَصَلْتُ عِنْدَها أأصبر شِفاءً مما بها، أو أزيدُ في شكواها لتَبَرُّمِها بي؛ كأنّه ظنّ بها تنكُّرًا وحُؤولًا عن العهد. وقوله: أم أزيدها، يريد: أم أزيدها داءً، فحذف لأنّ المرادَ مفهوم.

٥٨٥ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ إنّي وإيّاكِ كالصّادِي رَأى نَهَلًا ... ودُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بها التَّلَفا

٢ ـ رأى بِعَيْنَيْهِ ماءً عَزَّ مَوْرِدُهُ ... ولَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ الماءِ مُنْصَرَفا

يقول: مَثَلي ومَثَلُك في مِسَاسِ حاجتي إليكِ، وتناهِي رغبتي في وَصْلِكِ والنَّيْل منك، وفي احتجازِكِ عنّي وامتناعِك منّي، مَثَلُ رَجُلٍ عطشانَ شاهد ماءً، وقد حال بينه وبين وروده وَهْدَةٌ عميقَةٌ يخشى من اقتحامها الهلاكَ، فالماء بمرأى منه، وقد غَلَبَه المانع عنه، ليس يقدرُ على انصرافه من دونِه، لغلبَةِ العطَش عليه، وشِدَّة الفاقة إليه، فكذلك أنا وأنتِ. وقوله: «رَأى نَهَلًا» في موضع الحال، وقد مقدَّرةٌ في الكلام، لأنّ رأى بناءٌ للماضي. والنَّهَلُ والمَنْهَل: الماءُ، وموضع الماء. وقوله: «ودونَه هُوَّةٌ» في موضع الصِّفة للنَّهَل، كما أنّ عزّ مورِدُه في موضع الصِّفة للماء. وإنّما قال: «رأى بعينيه» فذكَرَ العينَ تأكيدًا للرُّؤية. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨] وما أشبَهَه.

٥٨٦ ـ وقال آخر[1]: [الطويل]

١ ـ ألَا بِأَبِينا جَعْفَرٌ وبِأُمِّنا ... نَقُولُ إذا الهَيْجاءُ سَارَ لِوَاؤُهَا

٢ ـ ولا عَيْبَ فيهِ غَيْرَ ما خَوْفِ قَوْمِهِ ... على نَفْسِهِ ألّا يَطُولَ بقاؤُهَا

قوله: «ألَا بِأَبِينا»، الجملة في موضع المفعول لقوله نَقول. والباء من «بأبينا» تعلَّقَ بفعل مضمَر، والمراد: نَفْدِي بأبينا وأمّهاتنا جعفرًا إذا سار الخميسُ وحَمَل لواءَ الجيش قاصِدًا إلى الهَيْجاء. وأضافَ اللّواء إلى ضمير الهيجاء لحاجتها إليه.

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال ابن المولى، وتُروى لرجل من بني الحارث».

وقوله: «ولا عَيْبَ فيه»، يريدُ: أنَّ جعفرًا بريءٌ من العُيوب إلا من مخافةِ قومِه على نفسه ألَّا تطول مُدَّتُها، ولا يتنفَّس مَهَلُها. وليس ذلك بعيب، وإنَّما يُشفِقُون ممَّا ذكرَ تنافُسًا في حياتِه، ورغبةً في الانتفاع به وبمكانه، لكنَّه أراد أنَّ مَنْ ذلك مَعِيبُه، فكيف يكون مَرْضِيُّه.

فإنْ قيل: لِمَ أدْخَلَ هذا في جملة النَّسيب وليس هو منه؟ قلتَ: لطافةُ لفظِه وحلاوةُ معناه، ومناسبتُه بذلك للنَّسيب، أدخلَتْهُ في هذا الباب. وقد فَعَل لمثل هذه العلَّة مثلَ هذا فيما تقدَّم، ونبَّهْنا عليه.

٥٨٧ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانِ بَيْتِكِ كالَّذِي رَأَى نَهَلًا رِيًّا وَلَيسَ بِنَاهِلِ

٢ ـ يَرَى بَرْدَ مَاءٍ ذِيدَ عَنْهُ ورَوْضَةً بَرُودَ الضُّحَى فَيْنَانَةً بالأَصَائِلِ

يقول: إنِّي على ما أجري عليه من تَعَزُّلي لبيتك، ومهاجَرَتي لفِنائك، ولما أتَّقي به من مكاشَفة الرُّقباء على ترصُّدهم بالمكروه لي ولك، واختلافِهم في التقاط حديثي وحديثِك، لكالعطشان وقد رأى ماءً مَرْوِيًا كثيرًا، باردًا شَهِيًّا، فمُنِع منه، وشافَه روضةً باردَةَ الظِّلِّ عند الضَّحاء، كثيرةَ الأفنان والغُصون، إذا هَبَّت رِياح العِشاء فحيل بينه وبينها. والنَّهَلُ: الماء. والنَّاهِل: الرَّيَّان هاهنا، ويكون العطشانَ أيضًا في غير هذا. وذِيدَ عنه، أي: مُنِعَ منه. والفينانة: الكثيرة الأفنان، وهو فَيْعَالٌ. والفَنَن: الغُصن. والأصائل: العشيَّات.

وقوله: «يرى بَرْد ماء»، يقول: يرى ماءً باردًا، لأنَّ البَرد لا يُدْرَك بالعَيْن. وإنْ شئتَ قلتَ: جعلَه للمبالغة في الوصف كالمحسوس.

٥٨٨ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ فَمُرًّا على أَهْلِ الغَضَى إنَّ بالغَضَى رَقَارِقَ لا زُرْقَ العُيُونِ ولا رُمْدا[1]

٢ ـ أكادُ غَدَاةَ الجِزْعِ أُبْدِي صَبَابَةً وقَدْ كُنتُ غَلَّابَ الهَوَى ماضِيًا جَلْدَا

يخاطب صاحبَيْنِ له يسألُهما أن يَجُوزا بأهل الغَضَى، لأنَّ فيها نساءً يترقرقُ ماءُ الشَّباب فيهنّ، لا زَرَقَ في عيونهنّ ولا رمَدَ. ويقال: فَتًى رَقْرَاقٌ، وفتاةٌ رقراقَةٌ،

(١) التبريزي: «مرًّا» بالجزم.

والمراد به ابتداءُ الشَّباب. وذكَر بعضُهم أنَّ المراد بالرَّقارق مياهٌ رقيقة، وأنَّ الزُّرْق الصَّافية، والرُّمْد المتغيِّرة الألوان، والأوَّل أقرب، لأنَّ الرَّمَد لا يُستعمل إلَّا في الحاسَّةِ، ولأنَّ الفائدة في كون مياهٍ بالغَضَى على هذه الصِّفة قليلةٌ. وقَصْدُ الشَّاعر فيما كَلَّفَ صاحِبَيْهِ أن يجدِّدَا عَهْدًا بأهلِ الغَضَى، ويتعرَّفا من أخبار محبوبته، ما تسكُن نفسه إليه. وفي قوله: «إنَّ بالغَضَى رقارق»، إذا جعلتَ الرَّقارِق نساءً، نَسِيبٌ بها وبصواحبها. وقوله: «لا زُرْقَ العُيُون»، ثَبَّتَ لَهُنَّ كَحَلَ العيون وسلامتَها من الآفات، بنفي الأضداد عنها، وهذا كتحديد الشَّيْءِ بالسَّلْبِ.

وقولُهُ: «أكاد غَدَاةَ الجِزْع» يَصِفُ ما نالَه غداةَ يومِ البَيْنِ، وأنَّه مع ثباته في الشَّدائد، وصَبْرِهِ على النَّوائب، وحُسْنِ تماسُكِهِ عن جوالِب الهَوَى، يفتضحُ ويظهرُ عليه من الاكتئاب والوَجْد ما يُسْتَدَلّ به على مستكِنَّات صبابَتِهِ، وخفيَّاتِ أحوالِهِ.

٣ ـ فَــلِلَّهِ دَرِّي أيَّ نَــظْــرَةِ ذِي هَــوًى   نَظَرْتُ وَأَيْدِي العِيسِ قد نَكَبَتْ رَقْدَا[١]

٤ ـ يُـقَـرِّبْـنَ مـا قُـدَّامَـنَـا مِـنْ تَـنُـوفَـةٍ   وَيَـزْدَدْنَ مِـمَّـنْ خَلْفَـهُـنَّ بِـنَـا بُـعْـدَا

قوله: «لله دَرِّي» يجري مجرى: لله خيري. ومن عادتهم أن ينسبُوا ما يُعجبهم إلى الله تعالى ذكره، وإنْ كانت الأشياءُ كلُّها في الحقيقة له. وقد فارَقَ دَرِّي بالاستعمال على هذا الوجه المصادرَ، فلا يتعلَّق به شيءٌ من متعلَّقاتها. وقوله: «أيَّ نَظْرَةِ ذِي هَوًى» تعجُّب، وانتَصَب أيَّ بنظرتُ. وكأنَّه لَمَّا صَبَرَ عندما رأى من آيات الفِراق ولواذع البَيْن، وصار بمرأًى منه وبمسمَع، من التَّهيُّؤ للارتحال، ومن تدبير عوارض السَّفَر، عَدَّ ذلك من نَظَرِهِ وجلَدِهِ شيئًا عجيبًا. ومعنى: «نَكَّبَتْ رَقْدًا» وهو موضع كان يَجمعهم. ويجوز أن يريدَ بذلك نَظَرَهُ في إثْرِ الظَّعائن تحسُّرًا وصاحبتُه معهنّ، كما قال الآخر: [الطويل]

بعينَيَّ ظُعْنُ الحَيِّ لما تَحَمَّلُوا   لَدَى جانبِ الأفلاجِ من جَنْبِ تَيْمَرَا[٢]

وقوله: [الطويل]

ولما بَدَا حَوْرَانُ في الآلِ دُونَهَا   نَظرتَ فلم تَنْظُرْ بعينيكَ مَنْظرا[٣]

---

(١) التبريزي: «أيّ نظرة ناظرٍ».
(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٥٦، واللسان (فلج، تمر)، وتاج العروس (فلج).
(٣) لامرئ القيس في ديوانه ٦١، والمخصص ١: ١١٤.

ويكون على هذا قوله: «نَكَّبَتْ رَقْدًا» معناه: انحرفن عنه وتركْنَه، لكونه مَفرِقَ الطُّرق.

وقوله: «يقرّبن ما قُدّامَنا من تنوفةٍ» وصفَ العِيسَ بالسُّرعة. والتَّنُوفة: المفَازة. والمراد: أنَّ ما يقطعُه غيرُها في يومين تقطعُها هذه في يومٍ. والكلامُ تحسُّرٌ وتوجُّع، لتباعُدِه عمَّن هواهُ معهم. ومثله قول الآخر: [الطويل]

إذا نحنُ قلنا وردهُنَّ ضُحَى غَدٍ ... تَـمَـطَّـيْـنَ حتَّـى وِرْدُهُـنَّ طُـرُوقُ

وتعلّق الباء من قوله: «بنا» بقوله: يَزْدَدْن. وبعدًا، انتصبَ على التَّمييز.

٥٨٩ ـ وقال ابنُ هَرِمٍ الطَّائيّ[١]: [الطويل]

١ ـ إنّي عَلَى طُـولِ الـتَّـجَـنُّـبِ والـنَّـوَى ... وَوَاشٍ أَتَاهَا بِي وَوَاشٍ بِها عِنْدِي[٢]

٢ ـ لأُحْسِنُ رَمَّ الوَصْلِ مِنْ أُمّ جَعْفَرٍ ... بِحُذِّ الـقَـوَافِي والـمُـنَـوَّقَـةِ الـجُـرْدِ

يصفُ حُسْنَ تأتّيه في عِمارة الهوى والحبِّ، وبليغَ لُطْفِهِ في تَلافِي ما يخاف انقطاعَه من علائق الوصل، وانتكاثَه من وثائق العهد، لوِشاية واشٍ، أو تضريب مُفْسِدٍ، أو قَدْح ساعٍ بالنَّمائم متزيِّدٍ، فيقول: إنّي على مُطاوَلة البِعاد، ومعاوَنَةِ الوُشاة بالتَّحريش والإفساد، لأُحْسِنُ عمارةَ الحال بيني وبينها، ورمّ ما يَسْتَرِمُّ من جوانب وِصالها، بما أَنْظِمُهُ من الشِّعر، وأُحْكِمُهُ من عُقَد السِّحر في رَسائلي، وأردِّدُهُ من الرُّسُل المتوجِّهين إليها على رواحِلي. وقيل في الحُذّ: إنَّها الأبيات النافذة، وقيل: هي الخفيفة الوَزْن، اللَّطيفة السَّبْك، وقيل: إنَّها المستقلّة بأنْفسِهَا، ويقال: بيتٌ أَحَذُّ، إذا لم يكن مُضَمَّنًا. والمُنَوَّقَة: المَرُوضة المُذَلَّلة من النُّوق، كذا قال الخليل. والجُرْد: السِّرَاع. ويقال: نَجاءٌ أَجْرَدُ. قال الشاعر: [الكامل]

جَـذْبَ الـقَـريـنـةِ لـلنَّـجَـاءِ الأجْـرَدِ

وخبر إنّ في قوله: «لأُحْسِنُ رَمَّ الوَصْلِ».

٣ ـ وَأَسْتَخْبِرُ الأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا ... وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُم عَهْدِي

٤ ـ فَإِنْ ذُكِرَتْ فَاضَتْ مِنَ العَيْنِ عَبْرَةٌ ... عَلَي لِحْيَتِي نَثْرَ الجُمَانِ من العِقْدِ

---

(١) التبريزي: «ابن هرم الكلابي».

(٢) التبريزي: «التجنب والهوى» و«وواش لها عندي».

قوله: «وأستخبِرُ الأخبارَ»، يجوز أن يكون على حذف المُضاف وإقامة المضاف إليه مَقامه. والمراد: وأستخبر ذَوِي الأخبار من نحو أرضها. ويجوز أن يريد أَرْجِعُ فيما أعرف مِن أخبارها فيما بيني وبينَ نفسها حالًا بعد حال، طالبًا لاستخراج زيادةٍ فيها، ومستمتعًا بما يكون حاصلًا فيها، فكأنّي أستخبرُ نَفْسَ الخبر. وقوله: «وأسأل عنها الرَّكْبَ عَهْدُهم عَهْدِي» مثله قول الآخر: [الطويل]

وذِكْـرَاكِ مـن بـيـنِ الـحـديـثِ أريـدُ

استحلاءً لاسمها، وتلذُّذًا بذكرها.

وقوله: «فإن ذُكِرَتْ» يقول: وإذا قَرَعَ سمعي ذِكْرُها بكيتُ شوقًا إليها، ووجدًا بها، فسال الدَّمعُ من عينين، وانتثر ما غَشِيَ لِحْيتي منه نَثْرَ الجُمَان من قلادةٍ لم يُتفقَّد نظامُها، وخانَ سِلْكُها، وتناثَرَ حبّاتُها. وانتصب «نَثْر» على المصدر من غير لفظه، فهو كقولك: تبسَّمَتْ ومِيضَ البَرْقِ. وقوله: «عهدُهم عهدي»، الجملة في موضع الحال من أسأل.

٥٩٠ ـ وقال عمرو بن حكيم[1]: [الطويل]

١ ـ خَلِيلَيَّ أَمْسَى حُبُّ خَرْقَاءَ عَامِدِي فَفِي الْقَلْبِ مِنْهُ وَقْرَةٌ وصُدُوعُ

٢ ـ ولَوْ جَاوَرَتْنَا العامَ خَرْقاءُ لم نُبَلْ على جَدْبِنَا أَلّا يَصُوبَ رَبِيعُ

جعلَ «أمسَى» لاتّصال الوقت. وخَرْقَاء: اسم امرأة. وقوله: عامِدِي: مُمْرِضي، يقال: أيُّ شيءٍ يَعْمِدُك، أي يُوجِعك. والوَقَرَةُ: الهَزْمَةُ والأَثَرُ. يقال: وُقِرَ الشَّيء، إذا جُعِلَ فيه وَقَرَاتٌ. قال الهذليُّ: [الطويل]

فَـوُقِّـرَ بَـزٌّ مـا هـنـالِكَ ضَـائِعُ[2]

يعني: بالبَزّ سَيفًا.

يقول: يا خليليّ، إنَّ حبَّ خرقاءَ أمسى يَقْدَحُ في قلبي، فقد صار فيه من أجله صُدُوعٌ، وآثارٌ وشقوق، ولو اتَّفقَ في هذا العام معها اجتماعٌ لم نُبالِ وإن أجدَبْنا ألّا

---

(١) عمرو بن حكيم، من ربيعة الجوع، شاعر إسلامي. (معجم المرزباني ٢٤١).

(٢) لقيس بن عيزارة الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٥٩١، وللهذلي في اللسان (بزز، ويل)، وصدره:

«فويلُ أمّ بزّ جرّ شعلٌ على الحصى»

يَع مطر؛ إذ كان التبرُّك بها، والاستسعاد الشَّامِلُ بمكانها، يقوم مقامَ كلِّ خِصْبٍ.
وقوله: «لم نُبَلْ» جزمَه مرَّتين لأنَّه كان نُبالِي، فدخل الجازمُ عليه فحذَف له الياء فصار لم نبالِ، ثم أسكن اللام بعد أن طلبَ تخفيفَه لكثرته في الكلام، فالتقى ساكنان: الألف واللام، فحُذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار لم نُبَلْ، ومثل هذا لا ينقاس.
وقوله: «على جَذْبِنَا» في موضع الحال، تقديرُه مُجْدِبِين، ويقال: صاب المَطَرُ يَصُوب، إذا وقع. والرَّبيع: المطَر، ويقال: ما باليتُ بكذا وكذا بالةً وباليةً، أي: لم نُبالِ بأن تنقطع الأمطارُ على ما بنا من جَذْب.

٥٩١ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُها ... بِهَا أَهْلُها ما كانَ وَحْشًا مَقِيلُها

٢ ـ وإنْ لم يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ ساعةٍ ... قليلًا فإنِّي نافِعٌ لي قليلُها[1]

يأمُرُ صاحبَيْه بزيارة دار حبيبِهِ، ولو كان ساعةً. وخصَّص الدار بقوله: «التي لو وجدتُها بها أهلها»، والمعنى: التي لو وجدتُها مأهولةً ما كان موضعُها وَحْشًا، أي خاليًا مُوحِشًا، لكثرة أهلِها وكثرة غواشي النِّعَمَ فيها. وفي الحديث: «**أَنَّ قُريشًا قالوا للنَّبيِّ ﷺ: إنَّا لَأَكْرَمُ مُقامًا وأحسنُ مَقِيلًا**»، أي موضعًا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الفرقان: الآية ٢٤] ـ يعني النَّبيَّ عليه السلام وأصحابَه ـ ﴿يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: الآية ٢٤]. ويقال: باتَ فلان وَحْشًا، أي خالي البَطْن، وتوحَّشَ للدَّواء.

وقوله: «وإنْ لم يكنْ إلَّا مُعَرَّجَ ساعةٍ»، يريدُ: إلَّا تعريجَ ساعة، وعَطْفَ ساعةٍ. ولم يرضَ بأن أضافَ المُعَرَّج إلى السَّاعة حتَّى وصفَه بقوله قليلًا، وهذا على هذا التقدير يكون من الصِّفات المؤكِّدة، لا المُفِيدة، كما يجيء الحالُ كذلك. ولا يمتنع أن يريد تعريجًا قليلًا في ساعةٍ، فيكونُ الصِّفةُ مفيدة. وقوله: «فإنِّي نافِعٌ لي قليلُها»، يجوز أن يرتفع قليلُها بنافِعٍ، ونافِعٌ خبر إنّ، كأنّه قال: فإنِّي ينفعني قليلُها. ويجوز أن يكون قليلُها مبتدأ ونافِعٌ خَبَرٌ له مقدَّم عليه، والجملة في موضع خبر إنّ، والتقدير: إني قليلها نافِعٌ لي، وانتَصَبَ مُعَرّج على أنّه خَبَرُ لم يكن، أراد: وإن لم يكن الإلمامُ إلَّا مُعَرَّجَ ساعَة.

---

(١) التبريزي: «قال أبو رياش: البيت الثاني لذي الرمّة في قصيدته التي أوّلها:
أخرقاءُ للبيت استقلّت حمولُها»

٥٩٢ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ ماذَا عَلَيكِ إذا خُبِّرْتِنِي دَنِفًا رَهْنَ المَنِيَّةِ يَوْمًا أنْ تَعُودِينَا

٢ ـ أو تَجْعَلِي نُطْفَةً في القَعْبِ بارِدَةً وتَغْمِسِي فَاكِ فيها ثُمَّ تَسْقِينَا

قوله: «دَنِفًا» أي مُشرِفًا على الهلاك، وانتصابه على أنّه مفعول ثالث لخُبِّرَ. وقوله: «ماذا عليكِ» لفظُه استفهام ومعناه تقريع وبَعْث. وانتَصَبَ «رهنَ المنيّة» لأنه صفة لدنفًا، ومعناه: في ضمن المنية ومَلَكَتِها، وكالرَّهْنِ عندها، إنْ شاءت أغلقَتْه، وإن شاءت فَكَّتْهُ. والمراد: أيُّ شيءٍ عليكِ من أن تعودينا، إذا أُخْبِرْتِني عليلًا. فقوله: «عليك» يقتضي فعلًا، وذلك الفعل يَعْمَل في أن تَعُودِينَا، وقد حُذِفَ حرف الجرّ منه، أي: لا عارَ عليك ولا ضرَرَ من عِيادتنا، ولا من مُداواتِنا بماءٍ هذه صفته، فهلَّا فعلْتِ. وقوله: «يَوْمًا» ظَرْفٌ لخُبِّرتِني، وقد تقدم القول في «ماذا» في مواضِع.

٥٩٣ ـ وقال جَميلٌ[(١)]: [الطويل]

١ ـ بُثَينَةُ ما فِيهَا إذا ما تُبُصِّرَتْ مَعَابٌ ولا فيها إذا نُسِبَتْ أَشَبْ

٢ ـ لَهَا النَّظْرَةُ الأولى عَلَيهِمْ وبَسْطَةٌ وإنْ كُرَّتِ الأبصارُ كان لها العَقْبُ

٣ ـ إذا ابتَذَلَتْ لم يُزْرِهَا تَرْكُ زِينَةٍ وفيها إذا ازْدَانَتْ لِذِي نِيقَةٍ حَسْبُ

تُبُصِّرَتْ، أي: استُقْصِيَ النَّظرُ إليها، والكَشْفُ عن حالها. والمَعَابُ: العَيْب. والأشَبُ: الخَلْطُ، يقول: إنّها عند السَّبْرِ والنَّظَر، والكَشْف والتأمُّل، نَقِيَّةٌ من العَيْب، بَرِيئَةٌ من الشَّوْب، فلها عند المبالغة في البحث النَّظرة الأولى، ولها البسطة وهي النَّظْرة الثانية، ويعني بها أن يُبْسَطَ التَّميزُ على ما يتجلّى من أمرِهَا، ويُسَلَّط التنقير على كثيرٍ ممَّا يخفى من أحوالها. قال: ولها العَقْبُ أيضًا، وهو النَّظَر بعد النَّظَر، وفي موضعٍ آخر: الجَزْي بعدَ الجَزْي. والعَرَبُ تقول: «النَّظْرة الأولى حمقاءُ»، فلهذا قال: لهذه المرأةِ النَّظرة الأولى، ولها الكَشْفَةُ الثَّانية وهي البَسْطَةُ، ولها البَحْثَةُ الثالثة، وهي تَعَقُّب التَّجربتين بتجربةٍ ثالثة.

وقوله: «إذا ابتَذَلَتْ»، يقول: إذا تَرَكَتِ التزيُّن واكتَست المَباذلَ لم يُقَصِّرْ بها ذلك، وإن تزيَّنَتْ كان فيها للمتأنِّق الكفايةُ من جميع ما يَطلُبُ فيها نَفسًا وخَلْقًا،

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (١٠١).

ومُتَنَسَّبًا وخُلُقًا. وقوله: «لم يُزْرِهَا» أي: لم يُزرِ بها، يقال: زَرَيْتُ عليه وأزريتُ به، لكنَّه حذف الجارّ. وقوله: «حَسْبُ» أي كَافٍ، فهو مبتدأ، على هذا تقول: حَسْبِيَ الله وحدَه، ومثل هذا قول جرير: [الطويل]

إذا حُلِّيَتْ فالحَلْيُ منها بمَعْقِدِ … مَليحٍ وإلّا لم يَشِنْها عَواطِلُه

٥٩٤ ـ وقال الحارثيّ(١): [الطويل]

١ ـ سَلَبْتِ عِظامي لحمَهَا فتَرَكْتِها … مُجرَّدَةً تَضحَى إليكِ وتَخصَرُ

٢ ـ وأخلَيتِهَا مِن مُخِّها فكأنَّها … قَواريرُ في أجوافها الرِّيحُ تَصْفِرُ(٢)

يقول: أذَيْتِني بهواكِ، وانحسَر اللَّحمُ من عِظَامي وتعرَّت، فهي بارزةٌ في النَّهار للشمس، وعند الليل للبَرد، إذا أوَيْتُ إليك وأسأذتُ. و«إليكِ» موضعه بالفعل الذي يقتضيه نصبٌ على الحال، وإنما قال هذا لأن المهزولَ الحَرُّ والبردُ إليه أسرع وأشدُّ تأثيرًا فيه. ويقال: ضَحِيَ يَضْحَى ضَحًى، أصابَه حَرُّ الشمس، ولُغةٌ: ضَحَا يَضْحُو ضَحْوًا وضُحُوًّا.

وقوله: «وأخليتِها من مُخِّها»، يريد: أنها أذهبت النِّقْيَ من العظام أيضًا ورقَّقَتْها، فخلَت من مخّها واستَشَفَّت، فهي كالقوارير الخالية لو هبَّت الريح لصفَرت بما يتخلّلها من الريح صفيرَها.

وقوله: «في أجوافها الرِّيح تصفِرُ»، الجملة في موضع الصِّفة للقوارير، وموضع تَصْفِرُ نصبٌ على الحال إن جعلتَ الرِّيحَ ترتفع بالظَّرف، وكذلك مجرّدة في موضع الحال. ويروى: «فكأنّها أنابيبُ في أجوافها الريح»، والأوّل أحسَنُ.

٣ ـ إذا سَمِعَتْ بأسْمِ الفِراقِ تَقَعْقَعَتْ … مَفاصِلُها مِن هَوْلِ ما تَتَنَظَّرُ

٤ ـ خُذِي بِيَدِي ثم انْهَضِي بي تَبَيَّنِي … بِيَ الضُّرَّ إلّا أنَّني أتَسَتَّرُ(٣)

---

(١) في أمالي القالي ١:١٦٢ للمجنون وليست في ديوانه، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال خلف بن خليفة»، وفي تزيين الأسواق ١١٨ بلا نسبة.

(٢) التبريزي: «من مخّها فتركتها أنابيبَ».

(٣) التبريزي: «... ثم ارفعي الثوب فانظري». وبعده عند التبريزي:

«فما حيلتي إن لم تكن لكِ رحمةٌ … عليَّ ولا لي عنكِ صبرٌ فأصبرُ

فوالله ما قصّرتُ فيما أظنّه … رضاكِ ولكني محبٌّ مُكَفَّرُ»

جعل الإخبار عن العِظام، وإن كان ما وصَفه حالًا للجملة لا لها وحدها، لقوله: سلِبْتِ عظامي لحمها. والمعنى: إنّ ذِكْر الفِراق يبلُغ منها هذا المبلغَ العظيم. وهي أنها لارتعادها تَتداخل مفاصلُها ويحتكُّ بَعْضُها ببعض حتى تَسْمَعَ لها قعقعة، وذلك لهَوْلِ ما ينتظرُه من وقوعه في نفسِه، واستعظامِه للخَطْب وفيه وله.

وقوله: «خُذِي بيدي»، أراد أن يُرِيَها ما تستبعدُه من وصفِ حاله بالخَبَر مشاهَدَةً، فقال: خُذِي بيدي مستنهِضةً لي يَبِنْ لَكِ أمري، ويظهر المكنونُ فيك من ضرِّي، والمجلوبُ عليَّ من هُزَالِي، والمستورُ عنكِ من سوء حالِي. وقوله: «إلَّا أنَّني أتستَّرُ» استثناءٌ منقطع من الأوّل، كأنّه أراد: لكنّي أتَسَتَّرُ بتجلُّدٍ أُظْهِرُهُ، وبصبرٍ أتّقي الناس بِهِ. وفي البيتِ طِباق بقوله: تَبَيَّنِي وأَتَسَتَّرُ. وأصل تبيَّنِي تَتَبني، فحذف إحدى التاءَيْنِ.

تمّ باب النسيب، والحمد لله على تظاهر آلائه، وتوالي نعمائه
والصَّلاة على سيِّدنا محمد وآله

بابُ الهِجَاء[1]

٥٩٥ ـ قال موسى بن جابر[2]: [الكامل]

١ ـ كانَتْ حَنِيفةُ لا أبا لَكَ مَرَّةً ... عِندَ اللِّقاء أسِنَّةً لا تَنكَلُ

٢ ـ فرأَتْ حَنِيفةُ ما رأتْ أشياعُها ... والرِّيحُ أحيانًا كَذَاكَ تَحَوَّلُ

هذا الكلام تهكُّم وسخريَّةٌ. ولا أَبا لك: بعثٌ وتحضيض، وليس بنفي للأبوّة، وخبر لا محذوف، لأنَّ النيّة في لا أَبالَكَ الإضافة، ولذلك أثبتَ الألفَ في أبا؛ فكأنَّه قال: لا أَبَاكَ موجودٌ أو في الدُّنيا. وقد مضى القولُ فيه مشروحًا. فيقول: كانت هذه القبيلة فيما مضى من الأيَّام، وتَقَضَّى من المِرار، عند لقاء الأعداءِ وفيما تباشره من الأمورء والأحوال، أسِنَّةً لا تكبو ولا تضعُفُ، نَفَاذًا في العَزَائم ومَضاءً، ولا تَنْبُو ولا تقف، كُلُولًا في الصَّرَائم ونُكولًا، فقد عادت الآن مقتديةً بأشياعها، وآخذةً إِخْذَهُم في الارتداد والنُّكوص، والإحجام والنبوّ؛ والرِّيح تتحوَّل أحيانًا كذلك، مرّةً تكون شمالًا ومرّةً جنوبًا. وقوله: «كذا» موضعه من الإعراب نصبٌ على المصدر من تحوَّل. أراد: والرِّيح تتحوّل أحيانًا تحوُّلًا كذلك. أي كما عرفتَ.

٥٩٦ ـ وقال قراد بنُ حَنَشٍ الصَّارِديّ: [الطويل]

١ ـ لَقَومِيَ أرْعَى لِلعُلَى مِنْ عِصَابَةٍ ... من الناسِ يا حَارِ بْنَ عَمْرٍو تَسُودُها

٢ ـ وأنتم سَماءٌ يُعجِبُ الناسَ رِزُّها ... بِآبِدَةٍ تُنحِي شَديدٍ وئيدُها

---

(١) التبريزي: «الهجاء: هو الوقيعة في الأنساب وغيرها، ورَمْيُ الإنسان بالمعايب، وأصله التسكين، من قولهم: هجأ غَرَثَهُ وجوعَه وأهجى إذا سكّن، فكأنه إذا رمى الإنسان بالعيوب سكّن من أشرافه».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٣).

٣ ـ تُقَطِّعُ أطنابَ البُيوتِ بحاصِبٍ وأكذَبُ شيءٍ بَرْقُها ورُعودُها
٤ ـ فويلُمِّها خيلًا بَهاءً وشارَةً إذا لاقَتِ الأعداءَ لولا صُدودُها

يقول: لقومي أحسنُ رعايةً وتفقُّدًا، وأوفرُ عنايةً وتكسُّبًا لأسباب العُلَى وحِفظ أواخِيِّها وموادِّها، من طائفةٍ من الناس أنتَ تَسُوسُها وتُدبِّرُها، وما أشبَهُكم في كثرة دعاويكم وقِلّة فَعالِكم إلّا بسحابةٍ تكثُرُ بُرُوقُها ورعودُها، ويُعجِب متأمِّلَها ومستمعَها رَبَابُها وهديرها، بريحٍ تُعَدُّ آبدةً ـ أي أعجوبَةً أو داهيَةً تبقى على الأبد ـ شديدة الخفيف، قَطَّاعةٍ لحبال البيوت يما يجيء منها بالحصْباء، ثم تراها مُخْلِفةً فيما وعَدَت من المطر، فأكذَبُ شيءٍ بَرْقُها اللَّمّاع، ورعْدُها النَّبّاح. والباء من قوله: «بآبدة» تعلقت بقوله: «يُعجِب الناس» أي يعجب رزّها بآبدةٍ، أي ومعها آبدةٌ.

وقوله: «فَوَيْلُمِّها خيلًا» انتصب خيلًا على التمييز، وحذفت الهمزة من أمّ في قوله: «ويلُمّها» لكثرة الاستعمال، وليس الحذف هذا بقياس. واللَّفظة تفيد التعجُّب. و«بهاءً» انتصب على أنه مفعول له، فيقو ساخرًا: ويلمِّها من خيل، لكمال بهائها، وحسن شارتها، عند لقاء الأعادي، لولا انهزامُها وإعراضُها.

ورُوِي: «لَقَوْمِيَ أَدْعَى للعُلَى» بالدال، والأوّل أحسن وأصوَب.

والعِصابة: الجماعة. وقوله: «يا حارِ بنَ عمرو» الترخيم في قول مَن يقول في النداء يا حارث بن عمرو، فيضُم وينوِّن في غير النداء، فيقول: هذا زيدٌ بنُ عمرو. وأحسن منه في قول مَن يقول: يا حارثَ بنَ عمرو، فيفتح ويجعل الأول والثاني بمنزلة شيءٍ واحد، وذلك أنه يُخرج آخر الاسم إذا جُعِل مع الصِّفة شيئًا من أن يكون آخرًا، والترخيم يدخل الأواخرَ لا الأوساط.

وقوله: «وأنتم سماءٌ» يُسَمُّون السحابَ سماءً، وكذلك المطر. ألَا ترى قوله: [الوافر]

إذا سَقط السَّماءُ بأرضِ قومٍ رَعَيْناهُ وإن كانوا غِضابا[1]

والرِّز والوئيد جميعًا: الصَّوت. ومعنى تُنجِي تُقْبِل. وقوله: «لولا صدودُها» جواب لولا في صدر البيت، وقد تقدَّم القول في المبتدإ بعده ومجيئِه بِلا خبر.

---

(١) البيت لمعوّد الحكماء، معاوية بن مالك في اللسان (سما)، وللفرزدق في تاج العروس (سما)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣:٩٨، وديوان الأدب ٤:٤٧.

٥٩٧ ـ وقال عُمارة بن عَقِيلٍ[1]: [الطويل]

١ ـ مَن مُبلِغٌ عنّي عَقِيلًا رِسالةً ... فإنك من حَرْبٍ عليّ كريمُ

٢ ـ ألم تَعلَمِ الأيامَ إذْ أنتَ واحِدٌ ... وإذْ كلُّ ذي قُرْبَى إليكَ مُلِيمُ[2]

٣ ـ وإذْ لا يَقِيكَ الناسُ شيئًا تخافُه ... بأنفُسِهم إلّا الّذِينَ تَضِيمُ

تمنّى أن يتّفق من يبلّغ عَقيلًا عنه رسالتَه، فأتى بلفظ الاستفهام، والرسالة «إنك من حَرْبٍ عليّ كريم» وما بعده. وبنَى كلامه على الاستعطاف، ثم أخذ في التَّقريع. ومعنى قوله: «إنك من حربٍ عليّ كريم» إنك تكْرُم عليَّ من جملة من ينتسب إلى بني حَرب.

وقوله: «ألم تَعلم الأيامُ» تذكيرٌ له بخِذْلان عشيرته إياه، وتفرُّدِه بما كان يقاسيه، فيقول: أتذكر حينَ كنتَ فردًا وحيدًا لا ناصر لك، وإذْ كان كلُّ قريبٍ ونسيب لك مُليمًا عندك ـ والمُلِيمُ: الذي يأتي بما يُلامُ عليه ـ وحين لا وَاقِيَ لك من شيءٍ تخافُه إلا الذين أنت تظلمهم الساعةَ. فقوله: «إلّا الذين» استثناء بدل، ويجوز أن يكون في موضع النَّصب على الاستثناء المطلق، والضمير العائد إلى الذين من الصِّلة محذوف، استطالةً للاسم، والتقدير: تَضِيمُهُم، أي تظلمهم.

وقولُه: «ألم تعلم الأيام»، ألم: يقرَّرُ به فيما ثبت ووقع. ويروَى «الأيامُ» بالرفع، و«الأيامَ» بالنصب. فإذا رويتَ الأيامَ بالنَّصب يكون الخطاب لعَقِيل، ويكون تَعْلَمُ بمعنى تعرف. والمعنى: أما عَرَفْتَ الأيامَ التي كان حالُكَ فيها ما ذكرت، وأتَنَسَى تلك الأيام. والمراد بالأيام حوادثُ الدهر. وقوله: «إذ أنت» ظرفٌ لها، وإذا رفعْتَ الأيامَ يكون المعنى: ألم تعرِف الأيامُ حالتَك وقصّتَك ـ والمعنى أهلُ الأيامِ وأصحابُ الأيام ـ حين كنتَ كذا وكذا. فيكون الكلام على حذف المضاف.

٤ ـ أتَرْقَعُ وَهْيَ الأبْعَدِينَ ولم يَقُمْ ... لِوَهْيِكَ بين الأقْرَبِينَ أدِيمُ

٥ ـ فأمّا إذا عَضَّت بكَ الحربُ عَضَّةً ... فإنَّكَ مَعْطُوفٌ عليكَ رَحِيمُ

٦ ـ وأمّا إذا آنَسْتَ أمْنًا ورِخْوَةً ... فإنَّكَ لِلقُرْبَى ألَدُّ خَصُومُ

---

(١) التبريزي: «وقال عَمَلّس بن عقيل بن عُلّفة»، وفي الأغاني ١٢:٣٠٣ (دار الكتب العلمية) نسب الشعر إلى علّفة بن عقيل بن علّفة.

(٢) التبريزي: «ألا تعلم الأيام».

وقوله: أترقع لفظه استفهام، ومعناه التقريع، فيقول: إنك تَسعَى في استعطاف الأباعد وإدنائهم، وإصلاح الفاسد من أحوالهم، رجاءَ التئام أمرك بهم، وقد أفَتَّ نفْسَكَ حظَّكَ من أقاربك، ومن تَحدُ بِهِمْ عليك، لسَعيك في إفساد أحوالهم، ونَحت أثْلَتِهِم، وتضييع غيبتهم. وهذا رأيٌ فائلٌ، وتوفيق سيِّءٌ.

وقوله: «لم يقم لوهْيك»، يريد بالوهْي الذي يحصلُ بك وبثلبك واغتيابك. وذِكر الأديم مَثَلٌ، أي لا يَبقَى أصلُه لتمزيقك، ولا يثبت صِحَّتُه لتَخْريقك. ويقال: فلانٌ صحيحُ الأديم، وفلانٌ نَغِلُ الأديم. وفي المثَل: «أَوْسَعْتَ وهْيًا فارْقَعْهُ».

وقوله: «فأمَّا إذا عَضت بكَ الحربُ عَضَّةً» يريدُ: أنك إذا نابتْك نائبة، وأصابتك من أزَمات الزَّمان وعضَّاته أزْمة، وألجأتك من مَصارِفِ الحرب ضَغطةٌ فإنك تستعطف عليك ذَوِيكَ وعشيرتَك، وتعتمد رحمتَهم لك، وتطلب شفقتَهم والأخْذَ بالفضْل فيك. وقوله: «رَحِيمٌ» هو فعيلٌ في معنى مفعول، أي إنك معطوفٌ عليك مرحوم.

وقوله: «وأمَّا إذا آنستَ»، يقول: أمَّا إذا أمِنتَ ووجدتَ من مَضايقك رخاء، ومن شَدائدك لِينًا، على حسَب عادةِ الدَّهر في تلوُّنه، فإنَّك تَخرُج خصمًا ألدَّ لهم، تَطلب إغلاقَ الحججِ عليهم، وتسدُّ أبوابَ الخير دونهم، وتَصرِف مَفاتحَ الرُّشْد عن وجوههم وطرُقهم، وهذا غايةُ اللُّؤم وسوءِ الاختيار. والألَدُّ: الشَّديد الخُصومة، العَسِر الانقياد. وهو اليَلَنْدَد والألندد. والخَصُوم: بناءُ المبالغة، وهو أبلغ من خَصِيم، لأنَّه أشدُّ تباعدًا من أبنية أسماءِ الفاعلين.

٥٩٨ ـ وقال أَرطاةُ بن سُهَيَّةَ المُرِّيُّ[١]: [الطويل]

١ ـ تَمَنَّتْ وَذاكُمْ مِن سَفاهةِ رأيِها ... لِأَهْجُوَها لَمَّا هَجَتْني مُحارِبُ

٢ ـ مَعاذَ الإلٰهِ، إنَّني بقبيلتي ... ونَفْسِيَ عن ذاكَ المَقامِ لَراغِبُ

ارتَفع قوله: «محارب» بفعلها وهو تمنَّت. فيقول: تمنَّتْ هذه القبيلةُ لما تحكَّكَت بي وهجتْني، وتشهَّت مقابلتي إيَّاها بمثلِ ما فَعَلَتْ، وذلك لخِفَّةِ رأيِها، وتناهِي جهلها. فقوله: «وذاكُم» الواو واو الابتداء، وهي لِلحال، وذاكم ابتداء، ومن سفاهة خَبَرُه. وتلخيص البيت: تمنَّت مُحارِبٌ لما هجَتْني لأنْ أهجوها، وذاكم مِن

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (١٣٥).

سفاهة رأيها. والمراد: حَدَثَتْ مُنْيَتُها لهجوي لها. ومثله: [الطويل]

أريـدُ لأنـسـى ذِكْـرَهـا[1]

وفي القرآن: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النّساء: الآية ٢٦].

وقوله: معاذ الإله انتصب على المصدر، أي أعوذ بالله معاذًا من أن آتيَ ذلك، لأنّني أرغبُ بنفسي وأربأُ بأصْلي عن الوقوف في ذلك المقام، وأصُون شَرَفي وأرفع عقلي عن مُساوَقتهم لفظًا بلفظ؛ وفعلًا بفِعل.

٥٩٩ ـ وقال زُمَيلٌ[2]: [الطويل]

١ ـ إنّـي امـرؤٌ أطـوِي لـمـولايَ شِـرَّتـي ... إذا أثَّـرت فـي أخْـدَعَـيْـكَ الأنـامِـلُ

٢ ـ خُـلِقْـتُ عَـلَى خَـلْقِ الرِّجـال بأَعْـظُـمٍ ... خِـفَـافٍ تَـطَـوَّى بَـيْـنَـهـنَّ الأنـامِـلُ

٣ ـ وقَـلْـبٍ جَـلَـتْ عنه الـشُّـؤونُ وإنْ تـشَـأْ ... يُـخَـبِّـرْكَ ظَـهْـرَ الـغَـيْـبِ مـا أنـتَ فـاعِـلُ

يصف نفسَه في البيت الأوّل بأنّه يكفّ أذاه عن مولاه، وأنّه إذا أجمعَ أهلُ الرّأي على نسبة مُخاطَبه إلى الغَدر، والخِيانة والشّرّ، فأشاروا بأصابعهم إذا وَلّى إلى قفاه، فقالوا: هذا قفَا غادِر، فإنّه ينطوي شِرَّتَهُ في ذلك الوقت عن مولاهُ ومكروهَهُ، فلا يُعْنِتُ نسيبًا، ولا يؤذِي جارًا قريبًا ولا غريبًا.

وقوله: «خُلِقْتُ على خَلْق الرِّجال» تبجّح في هذا البيت بأنه شَخْتٌ من الرِّجال قليلُ اللحم، مَديدُ القامة، فَخَلْقُه خَلْقُ الرجال لا خلق النِّساء، فلا يشِينُه سُمْنَةٌ ولا فَشَلٌ، ولا يقعد به آفةٌ ولا كسل، فأعظُمُه خِفاف، ومفاصله بينها مطويّةٌ ممحَّصةٌ لطاف.

وقوله: «وقَلْبٍ» عَطَفَه على بأَعظُمٍ، يريد: وبقَلْبٍ هَذَّبَهُ الأمور، وكشفَ عنه الطَّبَع والرَّيْنَ مزاولةُ الشُّؤون، فهو بتجارِبِهِ يتصوَّر ما لم يكنْ بصورةِ ما قد كان، ومتى شئتَ أخْبَرَكَ بخُبْرِهِ ومعرفته، وفَرْط شهامته وتمييزه، وحِدَّةِ نَظَره وبصيرتِهِ بما أنتَ فاعلُه بعد الغيب. وانتصب «ظَهرَ الغيب» على الظَّرف، و«ما أنت» ما فيه بمعنى

---

(١) لكُثَيِّر عَزّة في ديوانه ١٠٨، والأغاني ٤: ٢٦٧، وأمالي القالي ٢: ٦٣، وخزانة الأدب ١٠: ٣٢٩.

(٢) التبريزي «زميل بن أُبَيْر». وزميل: هو من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وهو ابن أم دينار، قتل ابن داره في خلافة عثمان. ترجمته في: الإصابة ٢٩٧٩، والمؤتلف والمختلف ١٢٩.

الذي، وأنت فاعل من صلته، وقد حذف حرف الجرّ معه، كأنّه قال: يُخَبِّرْك بما أنت فاعله. ويقال: خَبَّرْتُه كذا وخبّرته بكذا، وحدَّثته كذا وحدَّثته بكذا.

٤ ـ ولَسْتُ بِرَبْلٍ مِثْلِكَ احْتَلَمَتْ به ... عَوانٌ نَأَتْ عَن فَحلِها وهي حَافِلُ[1]

٥ ـ فجِئْتَ ابنَ أحلامِ النِّيَام ولم تَجِدْ ... لِصِهرِكَ إلّا نَفْسَها مَن تُبَاعِلُ

كان رواية الناس قبلنا «احتملتْ به» والصواب «احتلمت به»، بدَلالة قوله: «فجئتَ ابنَ أحلام النِّيام». والرَّبْل: السَّمين الرَّطب، وقد تقدم ذكرُه وتصاريفه. والعَوَان: النَّصَف من النِّساء، والفعل منه عَوَّنَتْ، ويقال: عانَتِ البقرةُ عَوْنًا، صارت عَوَانًا. وحَرْبٌ عَوَانٌ: قُوتِل فيها مرّةً بعد أخرى فيقول: لستُ برَطْبٍ مُسْتَرْخٍ مثلِكَ، احتلمت به امرأةٌ عوان بَعُدَ عهدُها بفحلها، وهي ممتلئةٌ شَبَقًا، فحملت فجاءت من احتلامها بك. والمعنى: أنّه لا والدَ لك إلّا ما رَأَتْ أمُّكَ عند شِدَّة غلمتها من احتلامها، فأنت شَرٌّ ممن يَجِيء لزِنْيَةٍ. ومعنى «ولم تَجِدْ لصِهرك» أي لم تصاهرْه فيك، أي تخالطه. وقال الخليل: الصِّهر حُرْمَة الخَتَن. وخَتَنُ القوم: صِهرهم. وحُكِيَ عن أبي الدُّقَيْشِ[2]: أَصْهَرَ بهم الخَتَن، أي صار فيهم صِهْرًا. فيقول: لم تجدْ خَتَنًا إلّا نفسَها، إذا كان ذلك الاحتلامُ لم يتجاوزْها، وإذْ كان مباعَلةُ النَّفس على ما وصفَه إنّما حصلَتْ عن شبَقٍ ولزوم ذِكرِ الجِماع في اليقظة، وإلّا نَفْسَها: مستثنًى مقدم. وقوله: «ابنَ أحلام النيام» نَصْبٌ على الحال، لأنَّ أحلامَ النِّيام لا يتخصَّص، فلا يصير المضافُ إليه معرفة.

٦٠٠ ـ وقال خارجةُ بنُ ضِرارِ المُرّيّ[3]: [الطويل]

١ ـ أَخارِجَ هَلّا إذْ سَفِهْتَ عشيرةً ... كَفَفْتَ لِسانَ السَّوْءِ أن يَتَدَعَّرا[4]

٢ ـ وهَلْ كُنْتَ إلّا حَوْتَكِيًّا أَلاقَهُ ... بَنُو عَمِّه حَتَّى بَغَى وتَجَبَّرا

---

(١) التبريزي: «هذا البيت ليس لزميل بل لأرطاة بن سهيّة يهجو زميلًا، ونظام البيت أيضًا مختلّ والصواب:

ولستُ بربلٍ مثلك احتلمت به ... عوانٌ نأت عن بعلها وهي حائل

فجئتُ ابنَ أحلام النيام ولم يكن ... لبُضعك إلا طُهرَها مَنْ تُباعلُ»

(٢) أبو الدقيش القناني الغنوي: أحد الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة. انظر الفهرست لابن النديم ٧٠.

(٣) التبريزي: «وفي بعض النسخ: وقال زميل لخارجة بن ضرار».

(٤) التبريزي: «أخالِد».

٣ ـ فإنَّكَ واستِبضاعَكَ الشِّعرَ نَحوَنا كمستَبْضِعٍ تَمْرًا إلى أهلِ خَيْبَرا[١]

قوله: «سَفِهت عشيرةً»، قال يونس: سَفِهَ لغةٌ في سَفَّهَ، وعلى هذا تنصب عشيرةً على المفعول به، ويجوز أن يكون مما نُقِلَ عنه الفعل، كأنّه قال: سَفِهتْ عشيرتُك فنَقل السَّفَهَ إلى نفسه فقال: سَفِهْتَ، فأشبه عشيرةً المفعول، فنُصِب نَصْبَ التَّمييز. وقوله: «يتدَعَّرُ» أي يَخْبُثُ ويَفْجُر. يقال: رجلٌ داعر بيِّن الدَّعارة. وحُكِي: في خَلْقِه دَعَارّة، في معنَى زَعَارَّةٍ، وعلى زنته. ومنه عُود دَعِرٌ، أي كثير الدُّخَان. والحَوْتَكي: الضَّاوِي الضَّعيف. وقال الخليل: الحَوْتَكُ والحوتكيُّ: القصير الصَّغير. ومعنى أَلَاقَهُ: أَلصَقَهُ وضَمّه أبناءُ عَمّه إلى أنفسِهم، فبغَى لمَّا رأى ذلك. واستِبضاع السِّلعة: أنْ تحملها بنفسك؛ وإبضاعُها: بَعْثُها، وكما قيل في المَثَل: «كمستبضع تَمرًا إلى أهل خيبر» لكثرة نخلِها، قيل أيضًا: «كمستبضع التمر إلى أهل هَجَر»، وهذا كما قيل: «كمستبضع المِلْح إلى بارِق».

ومعنى الأبيات: هلا إذْ كنتَ سفيهَ العشيرة لئيمَ الفصيلة، أمسكتَ عن الخنا والفُحْش، وصُنتَ نفسَك ولم تعرِّضْها للهجاء المُمِضّ: هذا وما كنتَ إلَّا حقيرًا قليلًا؛ قميئًا صغيرًا، رَقَّ له أقاربُه بعد ما كانُوا ينفُونه ويتبرؤون منه، فألصقوه بأنفُسهم، فطغَى مِن ذلك واستعلَى. وأمَا علِمتَ أنّك وحَمْلكَ الهجاءَ إلينا في النَّدم والخُسران، وسُوءِ العاقبة، كَمن حَمَلَ التَّمرَ إلى خَيبر يَتْجَرُ فيه، فرجع نادمًا، وحَصَل خاسِرًا.

٦٠١ ـ عُمَارَة بن عَقيل[٢]: [الطويل]

١ ـ بَنِي مُنْقِذٍ لا آمَنَ اللهُ خَوفَكُم وزَادَكُمُ ذُلًّا ورُقَّةَ جانِبِ

٢ ـ فمَنْ يَرْتَجِيكُمْ بَعْدَ نَائِلَةَ الَّتِي دَعَتْ وَيْلَهَا لَمَّا رَأَتْ ثأرَ غَالِبِ

٣ ـ دَعَتْهُ وفي أثوابِهِ مِنْ دِمَائِها خَلِيطًا دَم مِنْ ثَوْبِهِ غَيرِ ذاهِبِ

نَائلةُ: امرأةٌ زُوِّجتْ قاتلَ أبيها أو أخيها، فجعَل عُمارة يعيِّرهم ذلك. والعرب تقول: دمُ فلانٍ في ثوبِ فلان، إذا كان قاتلَه.

---

(١) التبريزي: «إلى أرض خيبرا».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٥٩٦.

قال أوس بن حَجَر: [الكامل]

نُـبـيـتُ أَنَّ دَمًـا حَـرَامًـا نِـلْتَـهُ فَهَرِيقَ في ثَوْبٍ عَليكَ مُحَبَّرِ(١)

وقال الفرزدق: [الطويل]

تَـمَشَّى حَـرَامٌ بـالـبَـقـيـع كـأنَّـهـا نَشَاوَى وفي أثوابها دَمُ سَالِمِ(٢)

فيقول: أبدَلَكُم الله يا بَنِي مُنقِذ بالأمن خَوْفًا لا يفارقكم، وزادكُم على مرِّ الأيَّام ذُلًّا وخضوعًا، ولينَ مَجَسٍّ وسُقوطًا، فإنَّه لا يُعَلَّقُ الرّجاءُ بكُم، ولا يَستنِيمُ أحدٌ إليكم؛ بعد نائلةَ التي دَعَت بالويلاتِ لمّا رأت ثأر غالبٍ أخيها أو أبيها، وقد ملَّكتموه أمرَها، وجعلتموه بالتزويج قيِّمها، ثم قال: دَعَت نائلة الوَيْل وفي أثواب زوجِها لها خليطًا دَمٍ هما دمُ أبيها أو أخيها، بقتْلِه له؛ والثاني دم عُذْرَتِها، لتزوُّجه بها، فهما لازمانِ لثَوبِه لا يفارقانه. ويروى «شَرِيجَا دَمٍ». وكلُّ لونينِ اجتمعا فهما شَرِيجانِ. وقوله: «غير ذاهب»، غيرُ صفةٌ لِدَمٍ، ويروَى: «مُهْرَاقُهُ غيرُ ذاهب»، ويكون الجملةُ صفةً لدمٍ أيضًا. وقوله: «مَن يرتجيكُم» استفهامٌ على طريق التَّقريع، وفيه معنى النَّفْي، أي لا يرجوكم أحد. ومعنى «دعت ويلَها» صاحت بالويلِ لي. وفي القرآن: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: الآية ١٠].

٦٠٢ ـ وقال طرَفَة بنُ العَبْد(٣): [الطويل]

١ ـ وفَرَّقَ عن بَيتَيكَ سَعْدَ بنَ مالِكٍ وعَمْرًا وعَوْفًا ما تَشِي وتَقُولُ

٢ ـ وأنتَ عَلَى الأَدْنَى شَمالٌ عَرِيَّةٌ شَآمِيَةٌ تَزْوِي الوُجوهَ بَلِيلُ

٣ ـ وأنتَ على الأقْصَى صَبًا غيرُ قَرَّةٍ تَذَاءَبَ منها مُرْزِغٌ وَمُسِيلُ

٤ ـ وأَعْلَمُ عِلْمًا ليسَ بالظَّنِّ أنه إذا ذَلَّ مَوْلَى المرءِ فهو ذَلِيلُ

قوله: «ما تشي» في موضع الفاعل لفرَّقَ. و«ما» إن شئتَ جعلتَه بمعنى الذي، وصِلَتُه تَشِي، والضمير العائد من الصِّلة إليه محذوف كأنه قال: ما تَشِيهِ وتقولُه. وإن شئتَ جعلت ما حرفًا ويكون مع الفعل في تقدير مصدر، ولا يحتاج إلى ضمير من

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٤٧، واللسان (هرق) وتاج العروق (هرق).
(٢) ديوانه ٧٧٦.
(٣) طرفة بن العبد البكري الوائلي: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقّل في بقاع نجد (ت ٦٠ ق.هـ/ ٥٦٤ م) ترجمته في: الشعر والشعراء ٤٩، والأغاني ٢١:١٢١.

الصِّلة يعود إليه، لكونه حرفًا، ويكون التقدير وِشايَتُك وقولُك. ويَعني ببَيْتَيك: أخوالَه وأعمامَه. فيقول: فَرَّقَ عن بيتَيْ أهلِكَ وذويكَ من قِبَلِ أبيك وأمِّك ما تأتيه من إبلاغاتٍ تتقوَّلُها، ونَمائم تخلقها وتصنِّفُها: سعدَ بن مالك وعمْرًا وعَوْفًا؛ وإنما يَعني بهم أفخاذًا وبطونًا كان ضَلْعُهم معهم، فلم يَزَلْ يَسعَى بالتحريض، ويَمشي بالنَّميم، حتى فَرَّق جمعَهُم، بما أَوْقَع من الشرِّ فيهم.

وقوله: «وأنت على الأدنى شَمالٌ عَرِيَّةٌ» فالعريَّة: الباردة، ومنه قولهم: عُرَواءُ الحُمَّى. فيقول: أنتَ على أقاربكَ في سوءِ اعتقادك لهم، وسَوْقِك الشرَّ إليهم، وجَرِّك الجرائر عليهم، بمنزلة الريح الشَّمال الباردة، المحرقةِ للوجوه، إذا هَبَّت في الشِّتاء، ويُصْحبُها بَلَلٌ من المطر، ونَدًى يُقبِّضُ الجلدَ، ويُجفِّف المَفْصِل والوجه. وإنما قال شآمية، وإن كان الشَّمال لا تهبّ إلّا من ناحية الشأم تأكيدًا. وللصِّفات كما تجيء مفيدةً مميِّزةً تجيء أيضًا مؤكِّدة لا تُفيد في الموصوف أكثرَ مما عُرِفَ فيه. وعلى هذا قد تجيء الأحوالُ أيضًا، لكونها صفاتٍ في الأصل.

وقوله: «وأنت على الأقصى صَبًا غيرُ قَرَّةٍ» يريد أنه على الأجانب في تعطُّفه عليهم، والانطواء على الجميل لهم، بمنزلة ريحِ الصَّبا تَهُبُّ ولا بَرْدَ معها. وقد تذاءَبَ منها، أي تَسَهَّل واضطربَ من أجلها. والذِّئب فيمن هَمَزَه منه اشتُقَ، لأنه كلما طُرِدَ من جانبٍ يتسهَّلُ ويحصُل من جانبٍ آخر، لوقاحته. والمُرْزِغُ: الذي يأتي بالرَّزَغة، وهي الوَحَل. والمُسِيل: المُذِيبُ للجامد. والمعنى: أنت للأجانب بمنزلة القَبُول التي تُرْزِغُ الأرضَ في مَهابِّها، وتُسِيلُ التِّلاعَ، وتَبُثُّ الخيرَ، وتُوَسِّعُ الخِصْبَ.

وقوله: «وأعلم علمًا ليس بالظَّنّ» لمّا كان لفظةُ العِلْم قد يُطْلَقُ على الظنّ الغالب، لقيامه مقام ما هو عِلْمٌ في الحقيقة، أكَّدَ قوله وأعلَمُ بقوله ليس بالظن، وبَيَّن بهذا الكلام الخطأَ فيما يأتيه المخاطَب، وأنه إذا أفاتَ نفسَه حظَّه من أقاربه وعشائره بسوء معاملته، فإنه لا يستفيد من الأجانب ما عند الحاجة يُغْنِي، وإذا ذَلَّ أتباعُه ولم يستبْقِهم لنفسه فالذلُّ لا حقّ له، ومُحتَفٌّ به. وبهذا الخطاب نَعَى عليه فِعلهُ، وبَيَّن له سوءَ التقدير فيما اختارَهُ، وفِعلَ الغَوَايةِ فيما اعتقَدَه واعتادَه. والضمير من قوله: «إنه» للأمر والشأن، كأنه قال: وإن الأمر الحقَّ إذا ذَلَّ ابنُ عَمِّ المرء فهو ذَليل.

٦٠٣ - بُشَير بن أبي جَذيمة(١): [الطويل]

١ - أَتَخطِرُ للأشراف يا قِرْدَ جِذْيَمٍ ... وهل يَستَعِدُّ القردُ للخَطَرَانِ

٢ - أَبَى قِصَرُ الأذنابِ أن يَخطِرُوا بها ... ولُؤْمُ بني قِرْدٍ بكلِّ مكانِ(٢)

٣ - لقد سَمِنَتْ قِعْدَانُكم آلَ جِذْيَمٍ ... وأحسابُكم في الحيِّ غيرُ سِمَانِ

قوله: «أتخطِر» لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى التبكيت. ولمَّا كان المخاطَب من بني قِردٍ جعله قردًا في الحقيقة. والخَطْر: أصله إشالة الذَّنَب من الفَحل عند هِياجه ومصاوَلته لفحلٍ آخر، فاستعاره لفعلِ هؤلاء المخاطَبين لمَّا حَدَّثوا أنفسَهم بمباراةِ الأشرافِ ومساجلتِهم. فيقول: أتحدِّث نفسَك على باعِكَ الضيِّق، وذَنَبِكَ القصير، بمجَاذبةِ الأشراف ومخاطرتِهم، حتى تفعلَ ما يفعله الفحل في صِيالِه؟ أنَّى لك ذلك، والقِردُ لا ذَنَب له يُشاوِلُ به ويَخطِر؟ وهذا مَثلٌ، وفيه مع الإزراء تهكُّم.

وقوله: «أبَى قِصَرُ الأذناب أن يَخطِروا بها» رجع الضمير إلى القبيلة بأسرها. وقوله: «ولؤم بني قِرد» الواو للابتداء ومفيدةٌ للحال: والمعنى اشتهارهم باللؤم حتى لا يخفَى أمرُهم في جوانب أرضهم، وعند أعلام معارفهم.

وقوله: «أبَى قِصَرُ الأذناب» تفسيرٌ لما أنكره بقوله: «وهل يستعدُّ القرد للخَطَران»، وتفصيلٌ لما أبهمَه.

وقوله: «لقد سَمِنَت قِعدانُكم» فالقِعدان(٣): جمع القَعود، وهي الناقة تُقتعَد، أي تُركَب.

وقوله: «آلَ جِذْيَم» إضافته لآل إلى جِذْيم إضافةُ البعض إلى الكلّ وكذلك في قوله: «يا قِرد جِذْيم»، يكشف لك أنه قال: ولؤم بني قِرد بكلِّ مكان. وإنما ينسُبُهم إلى حُسن تفقُّدهم لأموالهم، وسوءِ إهمالهم لحسَبهم، فقد سَمِنَت إبلُهم بحُسن رِعيتهِم له، وتوفُّرهم على إصلاحها، وترقيح عيشهم بتثميرها وتكثير نسلها، وأنَّ

---

(١) التبريزي: «بُشَير بن أُبَيّ بن جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة».

(٢) التبريزي: «أن تخطروا بها».

(٣) التبريزي: يقال: القَعُود الذكر والقلوص الأنثى من شوابّ الإبل، وإنما جعل قِعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيف والجار فأحسابهم غير سِمان لأنهم يضيعون الحقوق فلا حسب لهم يمدحون به».

أحْسابَهم مضيَّعةٌ مهمَلة، متروكة من التفقّد بائرة، لا تُرَمُّ فروعُها، ولا تُضبط أصولُها، ولا يُحفَظ بحُسْن المراعاةِ من السقوط والزُّزُوح هزيلُها.

٦٠٤ ـ وقال أبو مُنازِلٍ[١] في ابنه: [الطويل]

١ ـ جَزَتْ رَحِمٌ بيني وبين مُنازِلٍ جَزاءً كما يَستنزِلُ الدَّيْنَ طالِبُه

٢ ـ تَربَّيتُه حتَّى إذا آضَ شَيظَمًا يَكادُ يُساوِي غاربَ الفَحْلِ غارِبُه[٢]

٣ ـ تغمَّدَ حَقِّي ظالمًا ولَوَى يَدِي لَوَى يدَهُ اللهُ الذي هو غالِبُه[٣]

قوله: «جزتْ رَحِمٌ» دعاءٌ على ابنهِ مُنازل، وجعل فعل الجزاء للرَّحِم. والجازي هو الله تعالى، لأنه السببُ في الجزاء، ولتكونَ الشكوَى أبلغ، فيقول: جزَى الله مُنازِلًا على الرَّحم التي بيني وبينه وقد قَطَعها ولم يقم بحقها، جزاءً يَستوفِي له وعليه ما يَحِقّ، كما يَستنزِل طالبُ الدَّينِ ممن عليه الدَّينُ حقَّه. ثم أخذ يقتصُّ ما دار بينهما، وما أوجب عليه الفَرض الذي ضيَّعَه فقال: تربَّيتُه طِفلًا وناشئًا، حتى إذا صارَ شابًا طويلَ القامة يكاد غاربُه يساوِي غارب الفحل، أي بلغ قامَتُه قامةَ الفَحْل. والغارب: مُقدَّم السَّنام. والشَّيظم: الطويل الغليظ. ويروى: «لربَّيتُه»، ويكون اللام جوابَ قَسَم انطوَى عليه الكلام. ويقال: ربَّيتُه وربَّبتُه وتربَّيتُه بمعنًى واحدٍ. حتى إذا آضَ، أي إلَى أن صار. وإذا جوابُه قولُه: «تغمَّد حَقِّي» يريد: لمّا بلَغ هذا المبلغَ سَتَر حَقِّي ولم يَفِ به، متعدِّيًا طَوْرَه، وباخِسًا ما استوجَبْتُه عليه بالولادة والتربية، فلمَّا جاذَبْتُه بلساني مَدَّ يدَه فلوَى يدي، أي فتَلَها وأزَلَّها عن حالها وهيئتها ثمَّ قال داعيًا

---

(١) التبريزي: «وقال فُرعان بن الأعرف في ابنه منازل»، وفرعان بن الأعرف من رهط الأحنف، ذكره المرزباني فقال: مخضرم، له مع عمر بن الخطاب حديث في عقوق ولده منازل (الإصابة ٧٠١٥، والمرزباني ٣١٦).

(٢) التبريزي: «لربّيته، وهو جواب قسم انطوى عليه الكلام، وربّيته، وربّبته وتَرَبّتُهُ ورَبّتُهُ تربيبًا بمعنى واحد». وبعده عند التبريزي:

«فلما رآني أبصرُ الشخصَ أشخُصًا قريبًا وذا الشخص البعيدِ أقاربُهْ»

(٣) وبعده عند التبريزي:

«وكان له عندي إذا جاع أو بكى من الزاد أحلى زادِنا وأطايبُهْ
وربّيتُه حتى إذا ما تركتُه أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وجمّعتُها دُهمًا جِلادًا كأنها أشاءُ نخيلٍ لم تُقَطَّعْ جوانبُهْ
فأخرجني منها سليبًا كأنني حسامٌ يمانٍ فارقته مضاربُهْ
أإن أرعشت كفّا أبيك وأصبحت يداك يَدَيْ ليثٍ فإنك ضاربُهْ»

عليه: لَوَى يدَه الله، أي أشَلَّها وأبطَلَها، وهو القادرُ على ذلك منه، والغالب له وعليه.

٦٠٥ ـ وقال عارِقٌ الطائيّ(١): [الطويل]

١ ـ واللهِ لو كانَ ابنُ جَفْنَةَ جارَكم   لكَسا الوُجوهَ غَضاضةً وهَوانا
٢ ـ وسَلاسِلًا يُثْنَيْنَ في أعناقِكُم   وإذًا لَقَطَّعَ مِنكم الأقرانا
٣ ـ ولَكانَ عادَتُه على جاراتِه   مِسْكًا ورَبْطًا رادِعًا وجِفَانا

لهذه الأبيات قصّة طريفة، وأنا أذكرها بما عَرَض من السَّهو فيها.

ذكر هشامٌ الكلبي أنَّ عمرو بنَ المنذر بن ماء السَّماء ـ وأمه هندٌ بنت الحارث المَلِك ـ كان عاقَد طيِّئًا ألّا يُغزَوْا ولا يُفاخَرُوا، فاتَّفق أنْ غزا عمرٌو اليمامةَ فرجع مُنْفِضًا، فمرَّ بطيّىء، فقال زُرارة بن عُدُس: أبيتَ اللعنَ، أصِبْ من هذا الحيِّ شيئًا. فقال: ويلك، إنَّ لهم عَقْدًا! قال: وإن كان، فإنّك لم تكتُب العَقد لهم كلِّهم. فلم يزلْ به حتّى أصاب نسوةً وأذوادًا، فقال في ذلك قيسُ بن جِرْوَة الأجَئيّ: [الطويل]

ألَا حَيِّ قَبْلَ البَيْنِ مَن أنتَ عاشِقُهْ   ومَن أنتَ مُشتاقٌ إليه وشائقُهْ

ـ وستجيءُ الأبياتُ في هذا الباب من الاختيار من بَعْدُ، لكن في آخرها قولُه:

لئنْ لَمْ تُغَيِّرْ بعضَ ما قد صَنعتُمُ   لأَنْتَحِيَنْ للعَظْمِ ذُو أنا عارِقُه

فلقّب يومئذ بعارِقٍ ـ فلمَّا بلغَ عمرَو بن هندٍ هذا الشعرُ قال له زُرارة: أبيتَ اللعنَ، إنَّه لَيتوعَّدُك على انتقامه برُغمِه. فقال عمرٌو لتُرْمُلَة بن شُعاثٍ الأجَئيّ: أيهجُوني ابنُ عَمِّكَ ويتوعَّدُني؟ فقال: والله ما هَجَاك، ولكنه قال:

واللهِ لو كانَ ابنُ جَفْنَةَ جارَكُم   ما إنْ كساكُم غَضَّةً وَهَوانا
وسلاسِلًا يَبْرُقْنَ في أعناقكم   وإذًا لقطَّعَ مِنكُم الأقرانا
ولكانَ عادَتُه على جِيرانِه   ذَهَبًا وَرَيْطًا رادِعًا وجِفَانا

---

(١) التبريزي: «يهجو المناذرة». وعارق الطائي: قيس بن جروة بن سيف الأجئي الطائي: شاعر جاهلي كان من سكان أجأ وإليها نسبته (ت نحو ٥٠ ق.هـ، نحوه ٥٧٥ م)، ترجمته في المرزباني ٣٢٦، وخزانة البغدادي ٣: ٣٣٠، والأغاني ١٩: ١٢٧. وفي التبريزي: قال أبو رياش: ليس هذا الشعر لعارق، وإنما هو لثرملة بن شعّاث الأجئي، قاله على لسان عارق».

يعني بابن جَفنة عمرَو بن الحارث، وإنَّما أراد تُرْمُلَةُ أن يُقَبِّح عليه فَعْلَته، ومع ذلك يُذهِبُ سخيمتَه على ابن عَمِّه، فقال عمرو: والله لأقتلنَّه! فبلغَ ذلك عارِقًا فقال: [الطويل]

مَن مُبْلِغٌ عمرَو بنَ هِندٍ رِسالَةً إذا استَحْقَبَتْها العِيسُ تُنْضَى من البُعْدِ

وستجيء من بعدُ أيضًا إن شاء الله.

قال الشيخ الإمام أبو عليّ رحمه الله:

وإذا تأمّلتَ ما اقتصصتُ، بانَ لك أنَّ هذه الأبياتَ التي أوّلها: «والله لو كان ابنُ جَفْنَة»، ليس بهجو لابن جفنة وإنَّما هو مَدْحٌ له، وقد عُيِّرَ بذكره عمرَو بن هند، وأنّه لو تولّى من طيّيء ما تولّاه عمرو بن هند كان معامَلَتُه إيّاهم بخلافِ ما عامَلَهُم به هو، فَتَصَوَّرَ أنّها هَجْوٌ لابن جَفْنَةَ، وجعل بدل «ما إن كَساكُم»: لكَسَا الوجوه، وبَدَل قوله: «إذًا لقطَّع تلكم الأقرانا»: منكم الأقرانا، وبدل قوله: «ولكان عادَتُه على جيرانه: على جاراته، ومع هذه التَّغييرات ليس يَخْلُصُ هَجْوًا.

قال أبو عليّ: وأنا أعودُ إلى عادَتي من تفسيرها وشرحِ معانيها:

قوله: «غَضَّةً» فَعْلَةٌ من غَضَّ، والغضاضة والغَضُّ: الفُتور في الطَّرْفِ. ونَصَب قوله: «وسَلاسِلًا» على المعنى، فهو من باب قول الآخر: [مجزوء الكامل]

يا ليتَ بَعْلَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ورُمْحَا[1]

لأنَّ السَّلاسل ليس من كُسوة الوجوه، فكأنّه قال: ما إن كساكُمْ غَضَّة ولا قلّدكم إذا غَلّكم سلاسِلَ تبرُق في أعناقِكم. وقوله: «يُثْنَيْنَ» معناه يُعْطَفْنَ ويُلْوَيْنَ. وزإذًا لقطّع تلكُمُ الأقرانا» فالأقرانُ الحِبال، والواحِدُ قَرَنٌ. وإذا رَوَيْتَ «يَبْرُقْنَ» فالمعنى ظاهر. ويشيرُ إلى ما لحقهم من جهة عَمْرو بن هِنْد. وقوله: «إذًا» أجابَ لَوْ بإذًا كما أجابه باللام من قوله: «لكسا» وبما على الأصل الأوّل. ومعنى «لقطّع تلكم الأقرانا» أي لو كنتم مأسورين لكان يفككُم، ويقطع تلك الحبالَ التي صارت إسارًا لكم. وإذا رُوِي «وإذًا لقطّعَ منكم الأقرانا» كان معنى البي: يشدُّكم في السَّلاسل ويبدِّدُ جمعَكم. وقوله: «ولكان عادَتُه على جيرانه»، يريد أنّه يفعل خلافَ ما فعله عمرُو بن هند، لأنَّ

---

(١) بلا نسبة في أمالي المرتضى ١: ٥٤، وخزانة الأدب ٢: ٢٣١، واللسان (رغب، زجج، مسح، قلد، جدع، جمع، هدى).

عادتَه في الجِيران أن يموِّلَهم ويصلَهم، ويبرَّهم ويخلعَ عليهم، ويَقْرِيَهم ويَمُونَهُم. وعلى الرواية الثانية يرميهِ ويقذِفه بالجارات، ومعنى ذلك ظاهر. والرَّادِع: المتغيِّر اللَّون بالطِّيب والخَلُوق. ويقال: تَرَدَّعَ بالخَلُوق، إذا تَلَطَّخ.

٦٠٦ ـ وقال آخر(١): [الوافر]

١ ـ زعمتُمْ أنَّ إخوتَكم قُرَيْشٌ ... لَهمْ إلْفٌ وليسَ لكم إلَافُ

٢ ـ أُولئِكَ أومِنُوا جُوعًا وخَوْفًا ... وقد جاعتْ بنو أَسَدٍ وخافُوا

يخاطب بني أسد ويكذِّب دعواهم في انتمائهم إلى قريش، وتنسُّبهم بالقُربى والقرابة منهم، فقال: ادَّعيتم أنَّ قريشًا إخوتُكم، وسيماءُ الكذِبِ ظاهرةٌ على هذه الدَّعوى، لأنَّ لقريشٍ إيلافًا في الرِّحلتين المعروفتين للتِّجارة، وليس لكم ذا؛ وقد آمنهم الله تعالَى من الجُوعِ والخَوف، وأنتم خائفون جائعون. وإنما يُشير إلى السُّورة المُنْزَلة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ [قُرَيش: الآيتان ١، ٢]. . . إلى آخرها. ويقال أَلِفَ يَأْلَفُ إِلْفًا وإِلَافًا، وآلَفَ يُولِفُ إيلافًا.

٦٠٧ ـ وقال آخر(٢): [البسيط]

١ ـ إنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طارُوا بها فَرَحًا ... مِنِّي وما سَمِعُوا من صالحٍ دَفَنُوا

٢ ـ صُمٌّ إذا سَمِعُوا خَيرًا ذُكِرْتُ به ... وإن ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِندهم أَذِنُوا

٣ ـ جَهْلًا عَلَيَّ وَجُبْنًا عن عَدُوِّهِمُ ... لَبِئْسَتِ الخَلَّتانِ الجَهلُ والجُبُنُ(٣)

انتصب «فرحًا» على أنّه مفعول له، وكان الواجب أن يقول: يطيروا بها فرحًا، لأنّه لا يجوز أن يُعملَ حرفُ الشَّرط في الشَّرط بالجزم ويُجعَل الجوابُ فعلًا ماضيًا في الكلام، وإن كان يجوز في الشِّعر. ومعنى البيت الأوّل أنّهم إذا رأَوْا حسنةً كتَموها، وإذا رأوا سيِّئة أظهروها. وقوله: «مِنِّي» أراد من جهتي. ومعنى «طاروا بها» أي كثّروها في النّاس وأذاعُوها، ووَصَلوا القيامَ بالقعود في نشرِها. وهذا ضدُّ ما ذكَره من الدَّفْن في قوله: «وما سمعوا من صالحٍ دَفَنوا» في المعنى.

---

(١) التبريزي: «وقال مساور بن هند بن قيس بن زهير، يهجو بني أسد».

(٢) التبريزي: «وقال: قعنب بن ضمرة» وهو من شعراء العصر الأموي، له هجاء في الوليد بن عبد الملك (ت نحو ٩٥ هـ/ ٧١٤ م). ترجمته في سمط اللآلي ٣٦٢.

(٣) التبريزي: «جهلًا علينا».

وقوله: «صُمٌّ إذا سمعوا خيرًا» ارتفع صُمٌّ على أنّه خبر مبتدأ محذوف، كأنّه قال: هم صُمٌّ، أي يتصامَمون عمّان أُنْسَبُ إليه من الخصال الصالحة. ويقال للمُعرضِ عن الشَّيء: هو أَصَمُّ عنه. على ذلك قوله: [الرجز]

أَصَمُّ عمّا ساءَهُ سَمِيعُ[1]

قال: ومتى ذُكِرتْ بشَرٍّ أدركوه وعلِموه. ويقال: أَذِن يأذَن أَذَنًا. قال: [الرمل]

بِسَماعٍ يأذَنُ الشيخُ لَهُ[2]

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة. وانتَصَب «جهلًا» لأنه مصدر لعِلّة. ينسُبُهم إلى أنهم مع الأقارب يستعملون الجهل والحسد عليهم ومعهم، وأنهم جبناء عن الأعداء ضعفاء عَجَزة إذا طُلِب كفايَتُهم، لا يصلحون لدفع مكروه، ولا لجلب محبوب. ثم سوّأ عليهم فعلَهم فقال: بِئسَتِ الخَصْلَتَان جهلُهم على أقاربهم، وجُبْنُهم عن أعاديهم. وهذا تأكيد في التعبير، ومبالغة في التقريع.

٦٠٨ ـ وقال منصور بن مِسْجَاحٍ[3]: [الطويل]

١ ـ ثَأَرْتُ رِكَابَ العَيرِ مِنهُمْ بِهَجْمَةٍ ... صَفَايا ولا بُنْيَا لمن هو ثَائرُ[4]

٢ ـ من الصُّهبِ أثْناءً وجُذْعًا كأنّها ... عَذَارَى عليها شارةٌ ومَعاصِرُ

قوله: «ركابَ العَيْرِ» يُروَى «ركاب القَوْمِ». وأراد بالعَيْرِ السَّيِّد، وكان استِيقَ لرئيسهم إبلٌ فارتجَعَ بدلًا منها على ما وصَفه. ومعنى «ثأرْتُ ركاب العَيْر» أي أدركت الثَّأر فيها منهم بأنْ أخذتُ هَجْمَةً من الإبل ـ وهي المائة وما داناها ـ غِزَارًا سمينات، والثّائر ليس من حقِّه أن يُبْقَى، والأصل في الثائر القاتِل، فوضعَه موضعَ الواتر المنتقِم. يقال: ثأرْتُ فلانًا وثأرتُ بفُلانٍ، إذا قتلت قاتِلَه.

وقوله: «من الصُّهب أثناءً وجُذْعًا»، هذا تفسير للهَجْمَةِ، وتفصيل للجملة، يريد: من الإبل الصُّهب. والصُّهْبة: حمرةٌ يعلوها بياض. وتَعلَّقَ من بقوله هَجْمَة.

(١) بلا نسبة في اللسان (سمع، صمم)، وتهذيب اللغة ١٢٥:٢، وتاج العروس (صمم).

(٢) لعدي بن زيد في ديوانه ٩٥، واللسان (موذ، شور، أذن)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٣٤٢:٣، وعجزه:

«وحديثٍ مثلِ ماذيٍّ مُشارِ»

(٣) التبريزي: «منصور بن مسحاج الضبيّ» وهو شاعر جاهلي، ترجمته في معجم المرزباني ٣٧٣.

(٤) التبريزي: «ولا بُقْيا لمن هو ثائرُ».

وأثناءٌ: جمع ثَنِيّ. والجُذْع: جمع جَذَعٍ، وهو كَخُشْبٍ وخَشَبٍ. والحجة في أنَّ العَيْرَ السيِّدُ قولُه: [الخفيف]

زَعَمُوا أنَّ كلَّ مَن ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوالٍ لنا وأنّا الوَلاءُ[1]

وهذا أحد الوجوه التي قيل فيه. وقوله: «كأنّها عَذارَى» يعني حُسنَها، والمَعاصِر: جمع المُعْصِر، وهي من النّساء التي شارفَت الإدراك والبُلوغ. قال: [الرجز]

قد أَعْصَرَت أو قد دَنَا إعْصَارُها[2]

والشّارة: الهيئة. ويقال: رَجُلٌ شَيِّرٌ صَيِّرٌ، من الصُّورة والشّارة.

٣ ـ فإنْ نَلْقَ من سَعْدٍ هَنَاتٍ فإنّنا نُكاثِرُ أقوامًا بهِمْ ونُفاخِرُ

٤ ـ لقد كانَ فيكُمْ لو وَفَيتُمْ لجارِكمْ لِحًى ورِقابٌ عَزْدَةٌ ومَناخِرُ[3]

بيّنَ أنَّ الذين أدرَكَ منهم ما أدرَكَ هم بنو سعد. وهذا الكلام تهكُّم وسُخريَّة. كأنّه يريد: إن اتَّفَقَ من سعدٍ الزَّلَّةُ بعد الزَّلّة، والسَّقطة المنكَرة بعد السَّقطة، فإنّا على ذلك نُكاثِر بهم الأعداء. ونُفاخِر بمكانِهم. ثم أقبَلَ عليهم وقد نقل الكلامَ عن الإخبار إلى الخطاب، فقال: لو رُمْتُمْ الوفاءَ لجاركم، ولم تَطمَعوا في ماله لَقَرُبَ ذاك عليكم، فإنَّ آلاتِ الوفاء مُعَدَّةٌ فيكم: لِحًى موفورةٌ، ورِقابٌ غليظة، ومَناخِر واسعة منتفخة.

٦٠٩ ـ وقال حَوّاسٌ الضَّبّيُّ لامرأة[4]: [الطويل]

١ ـ واللهِ ما أَخشَى حكِيمًا وَرَهْطَه ولكنّما يخشَى أباكِ حَكِيمُ[5]

---

(١) للحارث بن حلزة في معلقته.

(٢) لمنظور بن مرثد الأسدي في اللسان (عصر، سفا)، ولمنظور بن حبة في تاج العروس (عصر)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢:٢٩٨، وقبله:

«جارية بسفوان دارها تمشي الهوينى ساقطًا خمارُها»

(٣) بعده عند التبريزي:

«فبهرًا لمن غرَّتْ كفالةُ منقرٍ وإن كان عقدٌ بينهم متظاهرُ»

(٤) هذه الأبيات يقولها ردًا على أبيات قالتها امرأة من عائذة بن مالك له، وأنشدها التبريزي: [الطويل]

«متى تَلْقَ جوّاسًا وإن كان مُحرمًا يَقُلْ لك هل تخشى عليٌّ حكيما
وما ليَ لا أخشى عليكَ مُحَرِّبًا أخا ثقةٍ ينعى قتيلاً كريما
متى تلقه يعدو به الوردُ جائلاً بشِكّته تلقَ الألدَّ الغشوما»

(٥) التبريزي: «قيل: إن الصحيح من الروايات: (ولكنما يهواكِ أنتِ حكيم)، وعلى هذا يجعل=

٢ ـ وَجَدْتِ أباكِ تابِعًا فتَبِعْتِهِ وأنتِ لِعُهّارِ الرِّجالِ لَزُومُ

رَمَى المرأة المُخاطَبَةَ وقَذَفها بحكيم، فقال لها مُعَيِّرًا ومُشَهِّرًا بها: إنّي لا أخافُ صاحِبَكِ حكيمًا ولا عشيرتَه، ولا أحتشمُهم فيكِ، ولكنْ حكيمٌ يخشى أباكِ لاجتماعه معك على الفاحشة. ثم قال: تَعاطِيكِ الفُجُورَ وِراثةٌ، لأنّكِ وجدتِ أباكِ في الأُبْنَةِ تابِعًا لسَلَفه فيها، فاقتديتِ به، فهو يَطلب مَنْ يشفيه مِن دائه، وأنتِ أيضًا شديدةُ اللِّزام للزُّناةِ والفُسّاق، والولَد يتَقيّل أباه.

٣ ـ على كلِّ وَجْهِ عائِذِيٍّ دَمَامَةٌ يُوافِي بها الأحياءَ حِينَ تقُومُ[1]

٤ ـ وَأَوْرَثَها شَرُّ التُّراثِ أَبُوهُمُ قَمَاءَةَ جِسْمٍ والرِّدَاءُ ذَمِيمُ

تعدّاهما إلى فَصيلتِها بل قبيلتهما فقال: على وجه كلِّ رجلٍ من بني عائذةَ قُبحٌ وخِزْي، إذا قامت أحياءُ العرب في أسواقهم ومجامعهم يوافيهم به. والمعنى أنهم مشهورون باللُّؤم ودناءةِ النُّفوس، فوجوههم مسودَّة بالعار، مشوَّهة بسوء الفَعال عند القبائل، فمتى وافَوْا يومًا مجموعًا فيه الناسُ وُجِدَ آثارُ الخِزي، وغَضاضَةُ الطَّرْف للخَزَاية، تلُوحُ على صفَحات وُجوههم. ودمامَةُ الوجوه ضربَها مثلًا لذلك.

وقوله: «وأورثها»، يريد أنَّ اللُّؤمَ فيهم وِراثة، وقد عَرَفوا ذلك من أنفسهم واعتَرفوا به، فتَرى أجسامَهم في المحافل والمَشاهِد قَميئَةً تَصاغُرًا وتذلُّلًا، وتقاصُرًا وتخشُّعًا. وقد ردَّاهم الله برداءِ أعمالهم من الغَدْر والخيانة، والغُلول والسَّفاهة؛ فرداؤُهم مذمومٌ في الألسِنة عند الخاصَّة والعامّة. ويجوز أن يكون المراد أنّ سيماهم كالرِّداء عليهم، فهم مذمومون لها وعليها، ويُروَى: «والرُّوَاءُ دَميم»، يعني قُبح الطّلعة. ودميمٌ: اسم الفاعل من دَمُمْتَ دَمَامةً. وفعُلْت في المضاعف قليل. والرُّوَاء يجوز أن يكون فُعالًا من الرُّؤيَة، ويجوز أن يكون من الرّيّ.

٥ ـ كأنَّ خُروءَ الطَّيرِ فَوقَ رُؤوسِهِمْ إذا اجتمعتْ قَيسٌ مَعًا وَتَميمُ

٦ ـ مَتَى تَسْأَلِ الضَّبّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ يَقُلْ لَكَ إنَّ العائِذِيَّ لَئِيمُ

لمّا كان يوصَف الوَقُور المتثبِّت في الأمور إذا حَصَل مع أشباهه من أهل الأناة والرِّفق والرَّزانة وسكونِ الجأش في منتدًى لهم، وتناجَوْا وتشاوَروا، أو حضروا في

= حكيمًا عاهرًا، ورماها به، وإذا قلت (يخشى أباك حكيم) فمعناه لأنه منك بسبيل».

(١) التبريزي: «حين يقومُ».

مجلسٍ مُحْتَشَم فتجاذَبوا وتناظروا، بقولهم: كأنّ على رؤوسهم الطَّير، وهذا التشبيه إنَّما حَصَل علي أنَّهم من السُّكون ومفارَقة التَّعجُّل بمنزلةِ مَنْ على رأسه طَيْرٌ فيخافُ في تحرُّكه ذَهابَها وطيرانَها؛ ولمَّا كان هذا الشَّاعرُ يهجو بني عائذةَ ويَهْزأ بهم، جعلَ بدل ذلك القولِ «كأنّ خُرُوءَ الطَّير فوقَ رؤوسهم». وقوله: «إذا اجتمعَتْ قيسٌ مَعًا وتميم» بيانٌ لاختلاطهم بأهل الحَلِّ والعَقْدِ مِن وُجوه القبائل، ورُؤساء المحافل. وكان الحُكْمُ أن يقول: إذا اجتمعت قَيسٌ وتميمٌ مَعًا، فقدَّم «مَعًا» لأنَّ العاطف يُنَبِّهُ على موضع المعطوف.

وقوله: «متى تسأل الضبّيّ عن شرِّ قومه»، يروى: «عن سِرِّ قومه»، وهو حَسَنٌ، والمعنى أنَّهم لئامٌ باعترافِ مِن قومهم به، واتِّفاقٍ منهم عليه، لكنَّهم يُسِرُّون أمْرَهُمْ ويُخْفُونه.

٦١٠ ـ وقال مُحْرِزُ بنُ المكَعْبِرِ الضَّبِّيُّ[1]: [الطويل]

١ ـ أَبْلِغْ عَدِيًّا حَيثُ صارَ بها النَّوَى ... وليسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ
٢ ـ كُسَالَى إذا لاَقَيتَهمْ غَيرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى به المَتْبُولُ وَهْوَ عَنَاءُ
٣ ـ أُخَبِّرُ مَنْ لاَقَيتُ أَنْ قَدْ وَفَيتُمُ ... ولو شِئتُ قال المُنبِئُونَ أَسَاؤوا[2]

يقولُ: أدِّ إلى بني عَدِيٍّ رسالتي حيثُ استقرَّت بها النَّوَى بأنَّ زمنَ طُلَّابِ الأوتار فيما عليهم من إدراك الثّأر قد اتَّصَل وامتدّ، فليس ينقطعُ لكسلهم عن السَّعي في رِدْءِ المُغَارِ عليه، واستيطائِهم مراكبَ العَجْز عن نُصْرَتِه، غير مواعيدَ خاليةٍ من الفِعل يقرِّبونها، وأقوالٍ مُزخرَفة عند الالتقاء يبذُلونها، إذا اعتَمَدها الموتور انصرفَ بها مغرورًا، فكانت عند السَّامعين لها ضَلالًا وبورًا، وعَنَاءً للقُلُوب والجوارح، لا يُخْلَى منه بطائل، ولا يَرْجِعُ على أحَدٍ بعائدٍ. هذا وأنا أُحَسِّنُ أمْرَكُم، وأقول لمن يسأل عن أخبارنا وأخباركم: إنَّهم قد وفَوْا بالعَهد، وأدَّوْا ما لزمهم من النُّصْرَةِ بحقِّ الجِوار والعَقْد، لكنْ للأمور أوقاتٌ، وللأقضية آجالٌ وآمادٌ، فينثني الذَّمُّ عنكم، وينحطّ العارُ دونَ فِنائكم، ولو شئت لقال السَّائل والسَّامع: أساءوا حين بدَّلوا الخُفَارة بالإخْفَارِ، وضَيَّعُوا الحُقوقَ بالتَّقصير والإقصار: وقوله: «أن قد وَفَيْتُمْ» أنْ فيه مخفَّفة من الثَّقيلة،

(١) «التبريزي: وقال محرز بن المكعبر لبني عديّ بن جندب بن العنبر». وقد مرّت ترجمته في الحماسية (١٨٥).
(٢) التبريزي: «قال المُنَبِّؤونَ».

واسمه مضمَرٌ، وهو ضمير الأمر، والجملة في موضع الخبر. وقوله: «غَيْرَ مَنطِقٍ» انتَصَب على أنّه استثناء خارج. و«يُلَهَّى به» من لَهَوْتُ عن كذا ولَهِيتُ، أَلْهُو لَهْوًا، وأَلْهَى لُهِيًّا، إذا انصَرَفْتَ عنه. والمَتْبُول: المُصاب بِذَحْلٍ وتَبْلٍ.

٤ ـ لَهُمْ رَثْيةٌ تَغلُو صَرِيمَةَ أَمْرِهِم ولِلأَمْرِ يَوْمًا راحَةٌ فَقَضَاءُ[1]

٥ ـ وإنِّي لَرَاجِيكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكم كما فِي بُطونِ الحامِلاتِ رَجَاءُ

الرَّثْية: الضَّعف. والصَّرِيمة: ما يُقطَع من العزيمة ويُجزَم إمضاؤُه بعد العقيدة، فيقول مصوِّرًا حالَهم في التَّفريط والإهمال: متى هَمُّوا بإنفاذِ عزائمهم، وتشديد شكائمهم، وإنجاز ما يُتَنَجَّزُ عليهم من مواعِدِهم، أو يهتمّون لرَحْضِ دَرَنِ العارِ عن شِيَمِهم وأخلاقهم، ولِسدِّ طريق العار والتعيير عن مذاهبهم وأفعالهم، علا همَّهم وهمَّتَهم وَهْنٌ وفَشَل، ومَلَكَ قِيادَهم ومِقْوَدَهم ضعفٌ وكسل. ثمَّ أخذ يتهكّم ويهزأ فقال: والمرءُ في أمرِهِ يَمضي يومًا ويكفُّ يَوْمًا، فما يَجْبُر كَسْرَ التَّعَب إلّا ما يتعقَّبه من الرَّاحة.

وقوله: «فإنّي لَراجيكم على بُطء سعيكم»، يريد أنّهم على تباطئِهم وتأخُّر فَعالهم عن مقالهم مرجوّون، كما أن الحاملات على تأخر وضعهنَّ مرجُوّات، فأنا ناظرٌ في أعقاب الأمَل متى يتحقَّق.

وقوله: «فقضاء» أي فقضاءٌ يومًا آخر. وقوله: «كما في بُطون الحاملاتِ رَجاءُ» أي أرجوكم مثلَ ذلك الرَّجاء.

٦ ـ فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ وهَلْ كُفَلائِي فِي الوَفَاءِ سَواءُ

٧ ـ لَهُمْ أَذْرُعٌ بادٍ نَواشِرُ لَحْمِها وبَعضُ الرِّجالِ في الحروبِ غُثَاءُ

٨ ـ كأنَّ دنانيرًا على قَسِمَاتِهِم وإنْ كانَ قد شَفَّ الوَجُوهَ لِقَاءُ

هذا الكلام بعثٌ وتحضيض. وهلّا: حرف إغراء وتحضيض. وذكَر بني مازنٍ تحريكًا منهم، وليوجِعَهم بتفضيل غيرِهم عليهم. وقوله: «وهل كُفَلائي»، فالكفيل: الضّامن للشيء: وهذا المصراعُ التفاتٌ، كأنّه لما هَجَّن فِعلَهم وقرَّعهم، وأطرى غيرَهم مؤثِرًا عليهم. التفَتَ إلى مَن حوله فقال: وهل ضمنَائِي مُستوُون في الوَفاء

---

(١) التبريزي: «لهم رَيْثَةٌ» والريثة: الإبطاء.

فأجريَهم مُجرًى واحدًا. وهذا أبلَغُ من كلِّ نكير، ومن كلِّ هَجوٍ فظيع. و«سَوَاءٌ» وإن كانَ في الأصل مصدرًا؛ فقد صار هنا كأسماء الفاعِلين لنيابته عنها، لذلك صَحَّ أن يَعمل في الظَّرفِ قبله وهو قوله: «في الوفاء»، لأنَّ المصادرَ لا تعمل فيما قبلَها إلّا إذا أُمِرَ بها، كقولك: ضَرْبًا زَيْدًا، أو إذا أُجرِيَ هذا المُجرَى.

وقوله: «لهم أذرُعٌ» صفةٌ للعصبة المازِنيّة. وهم يتمدَّحون بالهُزال. والنَّواشر: عُروقُ ظاهرِ الذِّراع. وقوله: «وبعضُ الرِّجال في الحروب غُثاء»، تعويضٌ بالآخَرين، وهم بنو عديّ. والغُثاء: ما يعلو السَّيل من الغُثَر والزَّبَد. والمعنى: بعضُهم لا غَنَاء عنده ولا كِفاية، فتَراه كيَبِيس النَّباتِ وقد احتمله الماء.

وقوله: «كأنَّ دنانيرًا على قسِماتهم»، القسِمات: الوُجوه، وقيل: هي مَجاري الدُّموع. ويقال: وَجْهٌ مُقَسَّم، أي حسن، والقَسَامة: الحُسْن. ومرجعه إلى القِسْمة، كأنّه مُسِحَ كلُّ جزءٍ من الوَجه بقِسمٍ من الجمال، فتعادلت الأجزاءُ وحَسُنَت. وقوله: «وإنْ كان قد شَفَّ الوُجوهَ لِقاء» تَعريضٌ أيضًا، والمعنى أنَّ وجوهَهم تُشرِقُ في الحرب وتُضيء، إذا صارتْ وجوهُ غيرِهم مشفوفةً متغيِّرة. ويقال: شَفَّهُ المَرَضُ، إذا أذابَه وهزَلَه. وذِكْرُ الدَّنانير في إثباتِ ماءِ الوجه ونَضارة الحُسْن قد جاء في النَّسيب، ألا تَرى قوله: [السريع]

النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دنا ... نيرٌ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَمْ[١]

٦١١ ـ وقال شَمْعَلَةُ بن الأخْضَرِ[٢]: [الطويل]

١ ـ وَضَعْنا على الميزانِ كُوزًا وهاجَرًا ... فمالَتْ بَنُو كوزٍ بأبناءِ هاجَرِ

٢ ـ ولو مَلأَتْ أعفاجَها مِن رثيئةٍ ... بنو هاجِرٍ مالَتْ بهَضْبِ الأكادِرِ

٣ ـ ولكنَّما اغتُرُّوا وقد كان عندَهُم ... قَطِيبانِ شَتَّى مِنْ حَلِيبٍ وحازِرِ

هذا الكلامُ هُزْءٌ وسُخرِيَّةٌ. فيقول: نظَرْنا ما بين كُوزٍ وهاجَرٍ بالمقياس القائم، والمِيزان الحاكم، فوجدنا كِفَّةَ بني كُوزٍ أرجحَ وأوزَن، ولو عَلِمَتْ بنا وبفِعلنا لملأَتْ

---

(١) للمرقش الأكبر في ديوانه ٥٨٦، وتاج العروس (نشر)، وأساس البلاغة (نشر)، ولسان العرب (نشر).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨٣). وقال التبريزي: «وقيل: منذر بن الرقاد بن ضرار بن عمرو الضبيّ».

بُطُونَها من الرَّثيئة، فزادت زِنَتُها على هِضاب الأكادر، لكنَّها أصيبت غَفلَتَها، وفُوجئوا بالوَزْنِ قبل الشُّرب والامتلاء، والتجرُّد للأمر والاستعداد، وكانت الحالُ مُساعِدَةً، وأنواعُ الحليبِ ممكِنةً، وذاك أجْلَبُ لحَسْرَتِهم، وأدعى إلى نَدامتهم.

والأعفاج: الأمعاء، والواحد عَفِجٌ. ويقال: اغْتُرَّ فلانٌ، أي أخِذَ على غِرَّة. والقَطيب: الممزوج. والحازِرُ: الجامض. والرَّثيئة: المجموع من الحازِر والحليب. وقد رماهم بأنَّ طعامَهم ذلك لا غير.

٦١٢ ـ وقال قِرْوَاشُ بن حَوْطِ الضَّبِّيُّ: [الكامل]

١ ـ نُبِّئْتُ أنَّ عِقالًا ابنَ خُوَيْلِدٍ ... بِنِعافِ ذِي غُذُمٍ وَأنَّ الأعْلَما[1]

٢ ـ يَنْمِي وَعِيدُهُما إلَيَّ وَبَيْنَنا ... شُمٌّ فَوارِعُ مِنْ هِضابِ يَرَمْرَما

الأجود في العَلَم وقد وُصِف بالابن أو الابنة، إذا كانا مضافين إلى عَلَم، أو ما يجري مجراه، تَرْكُ التنوين فيه. وقد نَوَّن هذا الشَّاعرُ عِقالًا، وإذْ قد فعلَ ذلك فالأجود في ابن خويلد أن يجعل بدَلًا، ويجوز أن يُجعَل صفةً على اللغة الثانية.

والنِّعاف: جمع نَعْفٍ، وهو المكان المرتفع في اعتراضٍ، وأعلَى كلِّ شيء؛ ومنه مَناعِفُ الجبل. والأعلم: اسم رَجُل، وأعادَ «أنَّ» معه توكيدًا، والخبر قوله: «ينمي»، والعامل فيه أنَّ الأولى، لأنَّ الثَّانيةَ لا يُعتَدُّ بها عامِلًا وإن كانَ مؤكِّدًا. ومثل هذا قولُ الحُطَيْئَة: [البسيط]

إنَّ العَزَاءَ وإنَّ الصبرَ قد غُلِبَا[2]

ويكون على هذا الألف في «غُلِبَا» ضمير المثنَّى. والشُّمُّ: الجِبال المرتفعة. والفوارع: العوالي. ويَلَمْلَم: عَلَمٌ لجبل، ويروَى: «يرَمْرَمُ».

٣ ـ غُضَّا الوَعِيدَ فما أكونُ لِمُوعِدِي ... قَنَصًا ولا أُكلًا له مُتَخَضَّما

٤ ـ ضَبُعًا مُجاهَرَةً ولَيْثًا هُدْنَةً ... وثُعَيْلِبًا خَمَرٍ إذا ما أظْلَما

---

(١) ذو غذم: موضع من نواحي المدينة، (معجم البلدان ٤: ١٨٩). والأبيات (١، ٢، ٥) في معجم البلدان.

(٢) هذا عجز بيت للحطيئة في ديوانه ص ٥، وصدره:
«قالت أمامة لا تجزع فقلت لها»

٥ ـ لا تَسْأَما لي من دَسِيسِ عَداوةٍ أبدًا فليس بِمُسْئِمِي أن تَسْأَمَا

يقول: أقْصِرَا إليكما من تهدُّدِكما، فإنّي لا أحتفل بكما ولا بوعيدكما، ولا أُصطاد بإرعادِكما وإبراقكما، ولا أَصِير مَأْكُلَةً لأحدٍ فيأكلني بفمه كُلِّهِ خَضْمًا كما يُؤكل الرُّطَب الليِّن، لا قَضْمًا. ثم أَخَذَ يُعدِّد مخازيَهما فقال: عند المكاشَفة والملاقاة تَخْبُثان وتَحمُقان، خُبثَ الضَّبُع وحَمَاقَتَهُ، وعند الاصطلاح والهُدُوّ تَشْجُعان وتُقْدِمان إقدامَ الأسَد وشجاعتَه، وفي ظلام الليل تسرقان وتحتالان على الناس، وتُراوِغان مُراوَغة الثَّعلب وسَرِقَته. والخَمَرُ: ما واراك من شجر وغيره. و«إذا ما أظْلَمَا» أي دَخَلَا في الظلام. والعامِلُ في إذا ما دَلَّ على جوابه وقد تقدَّمه.

وقوله: «لا تسأما» يقول: لا تَمَلَّا مُدَاجاتي وطَلَبِ الغوائل لي في السِّرّ وبظهر الغيب، فإنّي لكما على مِثل حالتكما لي، ولا تَفتُرا عنه فإنّي لا أفتُر ولا أَمَلّ وإن مَلِلْتما أيضًا، فإنّ مَلالَكُما لا يُكسِبُني فتورًا ولا إمساكًا. والدَّسُّ: إدخالُك شيئًا تحت شيء، وهو الإخفاء. وفي القرآن: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: الآية ٥٩] والدَّاسوس والجاسوس يتقاربان. ويُروى: «مِن رَسِيسِ عداوةٍ»، ويكون مثلَ رَسِيس الحُمَّى والهَوَى ورَسِّهما، لما يبدأُ منهما. وموضع «أن تَسْأَما» من الإعراب رفعٌ على أن يكون اسمَ ليسَ، كأنَّه قال: ليس بمسِيئي سآمَتُكما فهو كقولك: ليس بمنطَلِقٍ عَمْرٌو.

٦١٣ ـ وقال سُوَيْدُ بن مَشْنُوءٍ: [الطويل]

١ ـ ذَرِي عَنْكِ مَسْعُودًا فلا تَذْكُرِنَّه إليّ بسوءٍ واغرِضِي لِسَبِيلِ[1]

٢ ـ نَهَيتُكِ عنه في الزمان الذي مَضى ولا يَنْتَهي الغَاوِي لأوّلِ قِيلِ

قوله: «ذَرِي»؛ أي دَعِي. والأمر يُبْنَى على المستقبل، وهو يَذَر، وقد استُعمل. فأما وَذَرَ فمِن المرفوض استعماله استغناءً عنه بِتَرَك. وقوله: «لا تذكرِنَّه إليّ» كسَرَ الراء منه لأنه مخاطبةُ مؤنّث، والأصل تذكُرِينَنَّ، فحذَف النون الأولى للجزم، ثم حذف الياء لالتقاء الساكنين، فصار تَذْكُرِنَّ. والمعنى: لا ينتهيَنَّ ذِكرُه إليّ، ولا يتجاوَزَنَّ ذكرُه إليّ بسوء. فعَدَّي تَذْكُرِنَّ تعديةَ تتجاوَزِنَّ إليّ، حَمْلًا على المعنى. ومما

---

(١) التبريزي: «دعي عنكِ».

جاء على هذا قوله: [البسيط]

إذا تَغَنَّى الحَمَامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِي ... ولو تَعَزَّيْتُ عنهَا، أُمَّ عَمَّارِ[(١)]

عَدَّى هَيَّجَني تعديةَ ذكَّرَني، لأنه في معناه. وهذا كما يحملون في التَّعدية النَّقيضَ على النَّقيض، كقوله: [الوافر]

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بنُو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ الله أعجبني رِضاها[(٢)]

عَدَّى رَضِيَتْ تعدية غَضِبَتْ لأنه نقيضُه، كما عَدَّى هَيَّجني تعديةَ ذكَّرَني لأنه نظيره. وكما حُكِيَ: [الرجز]

قد قَتَلَ الله زيادًا عنِّي[(٣)]

عَدَّى قَتَل تعديةَ صرَف.

وقوله: «نَهيْتُك عنه»، يقول: كنت أحذِّرُكِ عنه فيما سلَفَ من الزَّمان وتقضَّى، لكنَّ الجاهلَ لا يرتدع للزَّجْرَةِ الأولى حتَّى يُردَعَ مرةً بعد أخرى. وهذا مَثَلٌ، أعني قولهُ:

ولا ينتهي الغَاوِي لأوَّلِ قيلِ

وقوله: «واغرِضي لسبيل» أي اعرِضي إلى طريقٍ غيره، واذكريه بسُوءٍ. ويقال: لا تَغرِضْ عِرْضَهُ، أي لا تذكرْه بسوء.

٦١٤ ـ وقال مَعْدَان بن عُبَيْد[(٤)]: [الطويل]

١ ـ عَجِبْتُ لِعُبْدَانٍ هَجَوْني سَفَاهَةً ... أنِ اصطَبَحُوا مِنْ شائِهم وتَقَيَّلُوا

٢ ـ بِجَادٌ ورَيْسَانٌ وفِهْرٌ وغَالِبٌ ... وعَوْنٌ وهِدْمٌ وابنُ صِفْوَةَ أَخْيَلُ

٣ ـ فأمَّا الذي يُحْصِيهِم فمُكَثِّرٌ ... وأما الذي يُطْرِيهِمُ فمُقَلِّلُ

يقال: عَبْدٌ وأعْبُدٌ وعِبَادٌ وعبِيدٌ وعِبِدَّى وعِبْدَانٌ ومَعْبُوداءُ ومَعْبَدَةٌ وعُبُدٌ. فبعضُ هذه الأسماء ممَّا صِيغَ للجمع، وبعضها جَمعٌ في الحقيقة. وانتَصَب «سَفَاهَةً» لأنه

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٢٠٣، وجمهرة أشعار العرب ٥٣، وبلا نسبة في الكتاب ١: ٢٨٦، واللسان (هيج).

(٢) للقحيف العقيلي في أدب الكاتب ٥٠٧، وخزانة الأدب ١٠: ١٣٢، واللسان (رضي).

(٣) راجع الهامش رقم (١) صفحة ٢٢٩.

(٤) التبريزي: «... بن عديّ بن عبد الله بن خيبري بن أفلت الطائي ثم المعنيّ».

مفعول له. وهم يَكْنُون عن اللِّئام بالعَبِيد والعِبْدَان، وبالقَزَم والقُزْمَانِ. و«أن اصْطَبَحُوا» يريد لأن اصطبَحوا، أي شَرِبوا الصَّبُوحَ، وهو ما يُشرب صباحًا. والقَيْل، وهو شرب نِصف النَّهار. وكما قال تقيَّلُوا، يقال: تصبَّحوا أيضًا. والمعن: عَدَوْا طَوْرَهم فهجَوْني، لأنهم رأوا بأنفسهم ما لم يعهدوه. فطغَوْا عِند الغِنَى، وأصابوا مِن شائهم الصَّبُوح والقَيْل، بعد أن كانوا كَلًّا على غيرهم. ثم ذكرهم بأسمائهم تخضيعًا وتشنيعًا. ويرتفع بجادٌ إن شئتَ على الاستئناف، يريد: هم بِجادٌ ورَيْسانٌ؛ وإن شئت على البَدَل من المضمرين في قوله اصطبَحوا.

وقال مِن بَعْدُ: مَنْ يَعُدُّهم يُكثِّر لوفور عددهم، ومن يُثني عليهم يقلِّلُ لقلة من يستحق الثناءَ فيهم ومنهم. ويجوز أن يكون أن من قوله أن اصطبحوا أن المفسّرة، كأنه فَسَّر لِمَ طَغَوْا فَهَجَوْا.

٦١٥ ـ وقال يزيد بن قُنافة[1]: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرِي وما عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لَبِئْسَ الفَتَى المَدْعُوُّ باللَّيلِ حاتِمُ[2]
٢ ـ غَدَاةَ أَتَى كالثَّورِ أُخرِجَ فاتَّقَى بِجَبْهَتِهِ أقتالَهُ وهو قائمُ
٣ ـ كأنَّ بصَحْرَاءِ المُرَيْطِ نَعَامَةً تُبادِرُها جِنْحَ الظَّلامِ نَعائمُ
٤ ـ أَعَارَتْكَ رِجْلَيهَا وهَافِيَ لُبِّهَا وقد جُرِّدَتْ بِيضُ المُتُونِ صَوارِمُ

قد مَضَى الكلام في قوله لَعَمْرِي. وقوله: «وما عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ» تحقيق لليمين، وأنَّ عُمرَه ليس يَهُون عليه فيحلفَ به كاذبًا. وفي الكلام إزراءٌ بالمُخْبَرِ عنه.

---

(١) التبريزي: «... بن عبد شمس العدوي، من بني عديّ بن أخزم بن أبي أخزم، من ثُعَل بن عمرو بن الغوث رهط حاتم بن عبد الله».

(٢) التبريزي: «قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أنه عمد رجل من بني السيّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة يقال له زيد بن ثابت، فجاور في طيّء، وكانت له نعمة فيهم، وكان جيرانه منهم بنو معن فقتلوه وأخذوا ماله، فبلغ ذلك بني السيد، فركبوا فيمن تبعهم من بني ضبّة حتى لقوا رجلًا من طيّء فقالوا له: من أنت؟ فكتمهم فقالوا له: أنت آمن إن دللتنا على أقرب أبيات معن منك، فدلّهم على بني ثور بن ودّ من بني معن، فقتلوهم إلا قليلًا، وانفلت منهم رجل حتى أتى حاتم طيء، وهو في قبّة له من أدم وليس معه أحد غير أهل بيت أو بيتين من بني عديّ فيهم يزيد بن قنافة، فأخبره الخبر، فأمر أَمَتَه أن توقد في قبّته، واحتمل تحت الليل فنجا، وبقي يزيد بن قنافة لم يعلم الخبر حتى صبحته الخيل غدوةً، وكانت امرأته لا تكلمه فدعته باسمه فأخبرته الخبر فثار إلى قوسه فمنع بناته وابنيه وامرأته، وذهب بماله، وإنما كان القوم أرادوا حاتمًا فأفلت، وقال يزيد هذه الأبيات هاجيًا».

وقوله: «المَدْعُوُّ باللَّيل» كثير من النحويِّين يذهبون في مثلِهِ إلى أنه بدل لا صفة، لأنَّ نِعْمَ وبئس يرفعان من المَعارِف ما فيه الألف واللام ودَلّ على الجنس؛ وما يدلُّ على الجنس لا يتأتّى فيه الوصفيّة. والصواب عندي تجويز كونِه وصفًا، بدلالة أنه يثنّى ويُجمع، فيقال: نعم الرجلان الزَّيْدَانِ، ونعمَ الرِّجالُ الزَّيْدُون، والتثنية والجمعُ أبعد الأشياء من أسماء الأجناس، إلا إذا اختلفت، فكما يجوز تثنيةُ هذا وجمعُه لدخول الاختلاف فيه، كذلك يجب أن يجوز وَصفُه لمثل هذه العِلّة، ولا فَصْل. وإذا كان كذلك كان قولُه المدعُوُّ بالليل صفةً للفتَى، كأنه قال: مذمومٌ في الفِتيان المدعوِّين باللَّيل حاتم. وهذا ظاهِرٌ.

وذَكَر اللَّيلَ لشدَّة الهَوْل فيه.

وقوله: «غداةَ أَتَى كالثَّور» يعني حاتمًا، وإنَّما يهزأ به. ومعنى أُحرِج: ضُيق عليه وأُخْرج مِن عادته فأُحوِج إلى أن يَعِيث. والأَقْتالُ: الأقرانُ والأعداء، والواحد قِتْل. فيقول متهكِّمًا: جاء كالثَّور الهائج غَضَبًا وحَمِيَّةً، وقد بَانَ له من طُلَّابِه تَركُ الإبقاء عليه، فجعل بينه وبين أقرانه قَرْنَيْه يتَّقيهم بهما، ويَعِدُهم الشَّرَّ بإعمالهما، فهو ثابتُ القدَم متهيِّئ للقِتال. هذا كان حالَه في المجيء، فلمَّا جاء وقتُ الدِّفاع والمصادَمة، والقِراع والمكافحة، انهزمَ فكأنَّ نعامَةً سابَقَها حينَ جَنَح الظَّلامُ نَعائمُ إلى أداحيِّها، أعارَتْ حاتِمًا رجلَيها وطائر قلبِها، وهو يَعْدُو مذعورًا، ويطلب النَّجاءَ مفلولًا، وقد جُرِّدت السُّيوفُ من أغمادِها، وصار الأمر في الطَّلب والهَرَبِ جِدًّا. وإنما قال: «أعارَتْك رجلها» لأنَّه نَقَل الكلامَ عن الإخبار إلى الخطاب.

٦١٦ ـ وقال عَارِقٌ، وهو قَيسُ بن جِرْوَةَ الطائي[1]:

[الطويل]

١ ـ من مُبلِغٌ عَمْرَو بنَ هِندٍ رِسالَةً ... إذا استحقبَتْها العيسُ تُنضَى من البُعْدِ

٢ ـ أيُوعِدُني والرَّمْلُ بَينِي وبَينَهُ ... تَبَيَّنْ رُوَيدًا ما أُمَامَةُ مِنْ هِندِ

٣ ـ ومن أَجَأٍ حَولِي رِعَانٌ كأنَّها ... قَنَابِلُ خَيلٍ من كُمَيتٍ ومن وَرْدِ

كان عمرُو بنُ هند غَزَا اليمامة على ما حَكيتُ من قصته فيما تقدَّم، فأخفقَ ورجع مُنْفِضًا. فمرَّ بطيِّئ، وكانوا في ذمته بكتابِ عَقْدٍ اكتتبه لهم، وعَهْدٍ أحكمه

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٠٥).

معهم، فقال زُرارة بن عُدُسٍ له: أبَيْتَ اللَّعنَ، أصِبْ من هذا الحيِّ شيئًا. قال: ويلكَ إنَّ لهم عَقْدًا لا يجوزُ لنا تخطِّيه. فأخذ زُرارةُ يهوِّن أمر العهد عليه، ويحسِّن الإيقاعَ بهم؛ فلم يزلْ يَفْتِلِ في الذِّرْوَةِ والغارِب معه لشيءٍ كان في نفسه على طيِّىء حتَّى أصابَ أذوادًا ونساءً، فهجا عارقٌ عَمْرو بنَ هندٍ بأبياتٍ يَعصِبُ رأسَه فيها بالغدر الذي كان منه، فوقعت الأبياتُ إلى عمرِو بن هند، فتوعَّدَ عارقًا وحلفَ أنَّه يقتلُه، فاتَّصلتْ مقالتُه بعارِقٍ فقال هذه الأبيات. ومعنى «استَحقبَتْها» حملَتْها في الحقائبِ. وجعلَ الفِعل للعيس اتِّساعًا. ومعنى تُنْضَى: تُهْزَل، لبُعْدِ المسافة.

وقوله: «أيُوعِدُني» استفهام على طريق التَّقريع لعمرو، واستعظامٌ منه للأمر. والمعنى أنَّه لا يَنَالُني مع حَصانة حَبْلي وداري، ولا يَتمكَّن منِّي على بُعد طُرُقي وأرضي، فلينظُرْ برفقٍ، وليُميِّلْ بينَ أمِّه وأمِّي، وليكن التعلي والتوعُّدُ بمقدار فَضْله وقُدرته. وذِكر الأمِّ إظهارٌ لقلَّة المبالاة، وأنَّه يَجسُر على تَناوُل الحُرَم منه باللِّسان.

وقوله: «ومن أجأ حَوْلِي رِعَان» أجَأٌ: أحد جبلَيْهم. والرِّعَانُ: جمع رعْنٍ، وهو أنفٌ يتقدَّم من الجبل. والمرادُ بيانُ حالِ جبلَيْ طيِّىءٍ في وَثاقتهما وحَصانتهما، وأمْنِ مَن يَنزِل بهما، وأنَّ رِعَانَهُ كأنَّها جماعاتُ خَيْلٍ أحاطت بالجبَل وأحدَقَتْ، فهي تَذُبُّ عنها كُمْتًا ووُرْدًا. وذكَرَ القنابلَ في التَّشبيه، والعِزُّ بأربابها يَحصُل.

٤ ـ غَدَرْتَ بأمْرٍ كُنتَ أنتَ اجتذَبْتَنا إليه وبِئسَ الشِّيمَةُ الغَدْرُ بالعَهْدِ

٥ ـ وقد يَترُكُ الغَدْرَ الفَتَى وطعامُه إذا هو أمْسَى جُلُّهُ من دَمِ الفَصْدَ

يُروَى: «أنت احتَدَيْتَنا»، وهو افتعَل من الحَدوِ: السَّوْق. واجتذبتنا، من الجَذْب. ويُروَى: «أنتَ دعَوْتَنا»[١].

والشَّاعر يشير إلى ما كان في طيِّىءٍ من عقد الجِوار وكِتاب العَهْد، فيقول: كنتَ أنتَ البانيَ لذلك، والمؤسِّسَ لِمَنارِه، فأبَيتَ إلَّا أن تنقُضَه، وبئس العادةُ الغَدرُ مع العُقود، ونكْثُ عُرَى العُهود. والفتَى قد يؤثِر الإقامةَ على الوفاء مع الإضافة، وشدَّة الفاقة، ويَطلُب اكتسابَ المحمدةِ، وإن كان مسكينًا ذا مَتْرَبَةٍ، حتَّى إذا أمسى يكون جُلُّ طعامه فَصِيدَ الدَّم. ويُروَى: «إذا هو أمسىَ حَلْبَةٌ من دَمِ الفصْدِ»؛ والأول أحسن.

---

(١) هذه رواية التبريزي.

ويرتفع «جُلّه» على أنه مبتدأ ثانٍ، والجملة خبر المبتدأ الأوّل، وهو طعامه. وينتصب إذا من قوله: «جُلهُ من دَمِ الفَصْدِ»، لأنّه الدالُّ على جوابِه.

٦١٧ ـ وقال آخر[1]: [الطويل]

١ ـ لعَمْرِي وما عَمْرِي عَلَيَّ بهَيِّن لقد ساءَنِي طَوْرَيْنِ في الشِّعرِ حَاتِمُ
٢ ـ أيَقْظَانُ في بَغْضَائِنَا وهِجائِنَا وأنتَ عن المعروفِ والبِرِّ نَائِمُ
٣ ـ بِحَسْبِكَ أنْ قد سُدتَ أخْزَمَ كُلَّهَا لِكُلِّ أُنَاسٍ سَادَةٌ ودَعَائِمُ
٤ ـ فهذا أوانُ الشعر سُلَّتْ سِهَامُهُ مَعَابِلُها والمُزْهَفَاتُ السَّلاجِمُ

أقسم بحياة نفسه، وخبر المبتدإ محذوف، والمراد: لعَمْرِي ما أُقْسِمُ به؛ لأنَّ اللامَ منه لامُ الابتداء، وجواب القَسَم لقد ساءني. وقوله: «ما عَمْرِي» اعتراض، وقد مرّ القول في فائدته[2]. والطَّوْرُ: التَّارَةُ. أي تَعَرَّضَ لي مرّتين بما سَاءَنِي. ثم أقبل عليه فقال: أيقْظانُ؟ والمعنى: أأنت يقظانُ، أي مُنْتَبِهٌ في هَجْوِنا وبُغضنا وعداوَتِنا، ونائم عن الخيرِ والإحسان، وإسداء المعروف والبِرِّ والإفضال؟! ثمَّ أخذَ يهزأُ به فقال: بِحَسْبِكَ. والمراد حَسْبُكَ، لكنَّهم يَزيدون الباء في المبتدَإ، نحو قولك: بِحَسْبِكَ أن تفعل كذا، وفي الخبَر أيضًا يزيدون، نحو قوله: [الوافر]

ومَنْعُكَهَا بشيءٍ يُستطاعُ[3]

أي شيءٌ يُستطاع. وهذا أحدُ ما قِيل فيه، وقال آخر: [المتقارب]

بِحَسْبِكَ في القَوْمِ أن يعلموا بأنَّك فيهم غَنِيٌّ مُضِرّ[4]

والمعنى: كَافِيكَ أن ترأستَ على أَخْزَمَ، وأَخزمُ: رَهْطُ حاتم. ثم أَزْرَى برياسته وبهم، فقال: ولكلِّ طائفةٍ من طوائف النَّاس رؤساءُ وعَمَدٌ، وهذا يَجري مَجرى الالتفات. كأنّه بَعْدَ مَا قال ذلك التَفَتَ إلى مَن حوله يؤنّسهم ويقول: ليس ذا بمُنْكَر، فلكلِّ قَومٍ مَن يَسُوسُهم ويدعَمُهم.

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «قال رجل من طيّىء واسمه جابر» والبيت الثالث للرقّاص الكلبي في اللسان (طوع).
(٢) انظر البيت الأول من الحماسية (٦١٤).
(٣) هذا عجز بيت لعبيدة بن ربيعة بن قحفان كما في الخزانة ٢: ٤١٣، وصدره:
«فلا تطمع أبيت اللعن فيها»
(٤) للأشعر الرّقبان في تذكرة النحاة ٤٤٣، واللسان (مسخ، ضرر، با) ونوادر أبي زيد ٧٣.

وقوله: «فهذا أوانُ الشعر سُلَّت سِهَامُهُ»، يعني شعره. فيقول: لكلِّ زمانٍ شَيءٌ يظهر فيه ويَغْلِب، وزمانُنا هذا مع قَرْضِكَ للشِّعر زمانُ الشعر، وقد انتُزِعت سهامُه من كنانتها بعد أن نُثِرَتْ، فجُرِّدَتْ للرَّمْي بها معابِلُها، وهي العِرَاض، وسَلَاجِمُها وهي الطِّوال. والمُرهَفَات: المُرَقَّقَات الحدّ. والمراد بهذا التَّنويع فنونُ الشِّعر وأساليبُه. أي أنتَ فيه ذو فنون، والمُعَبِّل: الذي مَعَه مَعَابلُ. وعَبَلْتُهُ: أَصَبْتُهُ بمِعْبَلَة.

٦١٨ ـ وقال رَجُلٌ من طَيِّىء: [الطويل]

١ ـ إنّ امـرأً يُـعْـطِـي الأسِـنَّـةَ نَـحْـرَهُ وَرَاءَ قُـرَيْـشٍ لا أَعُـدُّ لـه عَـقْـلَا

٢ ـ يَـذُمُّونَ لِي الـدُّنـيَـا وقـد ذَهَـبُـوا بـهـا فـمـا تَـرَكُـوا فـيـهـا لـمُـلْتَـمِسٍ ثُـعْـلَا

وَصَفَ الأمراءَ الذين أشار إليهم بسُوء المحافَظة، وذَهابهم عن مَعرِفة الحقوق ومراعاتها، وإنزال المَوَالِينَ منازِلَهم فيها فقال: إن مَن يغتَرُّ بكم بعد هذا الوقتِ واعتَمَدكُم، فبذَلَ نَفْسَهُ وراءَكم للمَتالف، ورَكِب في هواكم المعاطب، لا عَقْلَ له ولا رأي.

ثمَّ بَيَّنَ ما أشكاهُ مَنهم، وسوَّأ معاملتَهم فقال: يذُمُّون الدُّنيا لي، ويزهِّدونني فيها وفي الأخذِ منها، وقد فازُوا بها حتَّى لم يُبقُوا فيها فُضالَةً لأحَد، أي تَغَيَّرُوا كلَّ مَحلوب فيها، ولم يُبقُوا في ضروعها شيئًا حتَّى لم يترُكوا ثُعْلًا فيها. وهذا مَثَل، والثعْل هو الطُّبْيُ الزائد، والسنُّ الزائدة. ويقال: ثَعِلَت سِنُّه. وشاةٌ ثَعُولٌ: لها ثُعْلٌ. وذكر بعضُ أهل اللُّغة أنَّ الثُّعْلُول من الشَّاء: التي يُمكن أن يُحلَبَ من ثُعْلِهَا أيضًا.

وقوله: «وراء قُرَيش» يكون وراءَ بمعنى خلفَ وقُدّامَ، والأولى به هنا أن يكونَ بمعنى قُدّامَ. ومثلُه في القرآن: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: الآية ٧٩].

٦١٩ ـ وقال رُوَيْشِدٌ(١): [المتقارب]

١ ـ ومُـوقِـعُ تَـنْـطِـقُ غَـيْـرَ الـسَّـدَادِ فَـلَا جِـيـدَ جِـزْعُـكِ يـا مُـوقِـعُ

٢ ـ فـمـا فَـوقَ ذِلَّتِـكُـم ذِلَّـةٌ ولا تَـحـتَ مَـوضِـعِـكم مَـوضِـعُ

---

(١) التبريزي: «وقال رويشد الطائي لبني مُوقِع».

مُوقع: قبيلة. يريد أنهم يتكلّمون بالفُحشِ وغيرِ الصَّواب، لسفهِها وسُوءِ تمييزها، ثمَّ دَعَا عليها، فقال: لا مُطِرَ جانِبُكِ وفِنَاءُ وادِيك بالجَوْدِ، ولا أصابكم خِصْبٌ.

وقوله: «فما فوق ذِلّتكم» طَابَقَ بتحتَ وفوقَ فيه، وهو غريبٌ حَسَنٌ. يريد: لا مَرْتبةَ في الذُّلّ أعلى من مرتبتكم، فإنَّها الغايةُ القُصوى؛ ولا موضِعَ أشَدُّ تأخُّرًا وانحطاطًا في العزِّ من موضِعكم، فإنّه المنزلُ الأخسُّ الأدنى. وقوله: «غيرَ السَّدادِ»، يريدُ به تَنْطِق النُّطقَ غيرَ السَّداد. ويقال: جِيدَ جَوْدًا، في المطر، وتُوُسِّعَ فيه فقيل: [الرمل]

ومَجُودٍ من صُبَابات الكَرَى(١)

ويقال جِيدَ جُوَادًا، إذا عَطِش.

٦٢٠ ـ وقال جابرٌ: [المتقارب]

١ ـ أَجِـدُّوا الـنِّـعَـالَ بـأقـدامِـكـمْ أَجِـدُّوا فَـوَيْـهَـا لَكُـمْ جَـزْوَلُ
٢ ـ وأَبْـلِـغْ سَـلَامَـانَ إن جِـئْـتَـهـا فـلا يَـكُ شِـبْـهَـا لَهَـا الـمِـغْـزَلُ
٣ ـ يُـكَـسِّـي الأنـامَ ويُـعْـرِي اسْـتَـهُ ويَـنْـسَـلُ مـن خَـلْـعِـهِ الأسْـفَـلُ

يقول: استجِدُّوا النِّعال لأقدامِكم، أو في أقدامكم استجدُّوها يا جَزْوَلُ، وَيْهًا لكم. وإنَّما كرَّر الأمرَ تأكيدًا للقول عليهم. ويُقالُ في الدُّعاءِ: أَبْلِ وأَجْدِدْ. وَوَيْهًا: اسْمٌ من أسماء الأفعال يُعرَى به، ولا يجيء إلّا مُنَوَّنًا، وذاك علامةٌ لتنكيره. وإنَّما قلنا هذا لأنَّ في أسماءِ الأفعال ما يُنكَّر ويعرَّف. ومنه ما لا يجيءُ إلَّا منكورًا. ومثل وَيْهًا إيهًا، ويُستعمَل في الكفّ، ووَاهًا وهو للتعجُّب، وكل ذلك يجيء منوّنةً منكَّرةً. وجَزْوَلُ: اسم رَجُل. وجعلَ أوّلَ الكلام خِطابًا لجماعتهم، ثم خَصَّ بالنِّداء واحدًا منهم وجعله المأمور بما أراد. ألَا ترى أنّه قال: «وأَبْلِغْ سَلامَانَ إن جئتها». وسَلامانُ: قبيلةٌ. ومثل هذا التخصيص قول الهذليّ: [البسيط]

أَحْيَا أباكُنَّ يا لَيْلَى الأَمَادِيحُ(٢)

---

(١) للبيد في ديوانه ص ١٨١، واللسان (جود، هجد، عطف)، وعجزه:
«عاطفِ النمرقِ صَدْقِ المُبتذَلْ»

(٢) هذا عجز بيت لأبي في ديوان الهذليين ١٢٧، واللسان (نشر، مدح، أبي)، وبلا نسبة في الدرر=

فقال: أباكنّ، ثم قال: يا ليلى، وهذا التَّخصيص مثل التَّخصيص الذي في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٨]، وما أشبهه. وقوله: «فلا يَكُ شِبْهَا لَهَا المِغْزَلُ»، لو قال لكم لساغ، لأنَّهم يفتنّون في مثل هذا الموضِع بين الخطابِ والإخبار؛ على هذا قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٣]، قُرِىء: (لا يعبدون) بالياء والتاء فالتَّاء للخطاب، والياء للإخبار. والرِّسالة التي يريد إبلاغَها قولُه:

فلا يكُ شِبْهَا لها المِغْزَلُ

والمعنى لا يكوننَّ سبيلُكم سبيلَ مَن يتّبع الغَير ويضرُّ نفسه، كالمِغزل الذي يُكسِّي الخَلْقَ ويجعل استَه عُريان. وهذا مثَل. وكما ضُرِب المَثَلُ بالمِغزل ضُرِبَ أيضًا له بالسِّراج فقيل: [المنسرح]

ولا تَكُونَنْ ذُبَالَةً نُصِبَتْ تُضِيءُ للنَّاسِ وهْيَ تَحترِقُ[1]

فأمّا قوله: «وينسلّ من خلعِه الأسفل»، فإنَّه كان يُروَى: «مِن خلفِه»[2] وليس يصحّ له معنًى. والمستقيمُ كما روينا: «مِن خَلعِه الأسفل». وذاك أنَّ المِغزلَ ينسلُّ أسفلُه بأن يُخْتَلع كُبَّتُهُ، وهذا ظاهر. وكأنَّ سَلَامَان كانت تقتحم أهوالًا غنمُها يصيرُ لغيرِها، وغُرْمُها يكونُ لها، فلذلك جَعل المِغْزل مثلًا له.

٤ ـ فَإنَّ بُجَيْرًا وأشْيَاعَهُ كما تَبْحَثُ الشَّاةُ إذْ تَذْأَلُ[3]
٥ ـ أثَارَت عن الحَتْفِ فاغْتَالَها فَمَرَّ على حَلْقِها المِغْوَلُ
٦ ـ وآخِرُ عَهْدٍ لها مُونِقٌ غَدِيرٌ وجِزْعٌ لها مُبْقِلُ

قوله: «كما تَبحث الشاة» محمولٌ على المعنى، لأنَّ المعنى أنَّ بَحثَ بُجَيْرٍ وأشياعِه كبَحث الشّاةِ في ذَأَلَانِها، وهو جِنسٌ من عَدْوِها، وذاك لأنّه يُشَبِّهُ الحدَثُ بالحدَثِ، والذّاتُ بالذّات، وإذا كان كذلك فقوله: إنّ بُجَيْرًا حَذفَ المضافَ منه، لأنّ القَصْدَ تشبيهُ البحث بالبحث. وفي المَثَل: «حَتْفَها تَحْمِلُ ضانٌ بأظلافِها»، و«كما

= ٦: ٢٤٥، وهمع الهوامع ٢: ١٥٧، وصدره:
«لو كان مِدحةُ حيٍّ مُنشرًا أحدًا»

(١) الذبالة: الفتيلة التي تُسْرَج. (٢) هذه رواية التبريزي.
(٣) التبريزي: «إذ تدألُ» وقال: «الدَّأَلان والذَّألان: مشي النشيط».

تَبحث الشّاةُ عن مُدْيَتِها» و«لا تكنْ كالباحثِ عن الشّفرة»، وإنّما ينهى بهذا مَن يَجني على نفسه فيما يأتيه، ويَسعَى في إهلاكه برِجله، فيقول: لا يكوننّ سبيلُه سبيلَ الشّاة التي كشفت عن المُدية، وقد استتَرت عن الذّابح، بظِلفها، حتّى ذُبحت بها. ومعنى أثارت عن الحَتْفِ، أثارَتْ عن المُدْيَة، ثمّ كان الحَتْفُ فيها. ففيه توسُّع. وهم يُقِيمون السَّببَ مَقامَ المسبَّب كثيرًا. واغتال: افتَعَلَ من الغَوْلِ، وهو الهَلاك. والمِغْوَل: السِّكّين، وقد اشتهرت بها إذا جُعِلت في وسَط السَّوْط فصار كالغِلاف لها.

وقوله: «وآخرُ عَهْدٍ لها مُونِقٌ غديرٌ»، يعني الشّاةَ بعد إثارتها السِّكّين. وهو إظهارُها إيّاها. فيقول: كان آخرُ عهدها المُعْجِبُ لها روضةً قد أبقلَتْ، وغديرًا امتلأ ماءً وكان شِبَعه وريه منهما، فبَطِرت وأثارت عن حَتْفِها حتّى هلَكت. ولك أن تروي «مُونِقٌ» بالرفع، فيكون صفة لآخِرُ عَهْدٍ، و«مُونِقٍ» بالجَرّ فيكون للَعهد. وجَعل الإيناق للعَهْد لأنّ المرادَ بالعهد المعهود، وهو المَرْعَى المُعْجِبُ. ويجوز أن يجعل المُونِقُ من صفة الغدير وقد قُدّم عليه، وجُعِل هو بَدَلًا منه، ويكون التّقدير: وآخرُ عهدٍ لها غديرٌ مونِقٌ وجِزْعٌ مُبْقِل. ويقال: أبقَلَ المكانُ فهو باقِلٌ ومُبْقِلٌ. وأَفْعَلَ فهو فاعِلٌ شاذ ليسَ بكثير.

٦٢١ ـ وقال إياس بن الأرَتّ[1]: [السريع]

١ ـ كأنّ مَرْعَى أُمِّكُمْ إذْ بَدَتْ عَقْرَبَةٌ يَكُومُها عُقْرُبانْ
٢ ـ إكْلِيلُها زَوْلٌ وفي شَوْلِها وَخْزٌ أَلِيمٌ مِثْلُ وَخْزِ السِّنانْ
٣ ـ كلُّ عدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وأُمُّكُمْ سَوْرَتُها بالعِجانْ

قوله: «كأنّ مَرْعَى أمّكم»، يجوز أن يكون «مَرْعَى» اسمًا لها، وأمّكم بَدَلًا منه، ويجوز أن يكون لقَّبها الشاعر به. وسُئل الأحنف عن شيءٍ من أمور النساء، فقال: «الرِّجالُ حِمًى والنِّساء مَرْعَى»، فعُدَّت من سَقَطاته. ومثل قوله: «عَقْرَبة يكومُها عُقْرُبانْ» قولُ الآخر: [الرجز]

كالجُعَلَيْنِ رَكِبَا دُخْرُوجا دَمامَةً ومنظرًا سَميجا

والعُقْرُبان: ذكَر العقارب. والكَوْم: السِّفادُ. وقوله: «إكليلُها زَوْلٌ» كنى عن قَرْنَيِ العَقربة بالإكليل. والزَّوْل: الخفيف الظَّريف. وقوله: «وفي شولها وَخزٌ» أي

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٧).

فيما تَشُولُ العقربةُ من ذنَبها. وزاد الهاء في عقرَبةٍ توكيدًا للتَّأنيث. وهذا كما قالوا: جَمل وناقة، وكبش ونعجة، ووَعِلٌ وأُرْوِيَّةٌ ألحقوا الهاءَ توكيدًا وتحقيقًا للتَّأنيث؛ ولو لم تُلْحَق لم تَحْتَج إليها. وحُكِيَ: عَجُوزةٌ. والوَخْزُ: الطَّعن الشَّديد المُوجِع. وإنما يعني شوكَتَها إذا ضَرَبَ بها، فشبَّهَ تأثيرَها بتأثير السِّنان.

وقوله: «كلُّ عَدُوٍّ يُتَّقى مُقبِلًا»، أراد أن يذكر السَّوْءَةَ فيها استهزاءً واستهانةً بذكرها، فقال: كلُّ عدُوٍّ يُتَّقى شَرُّهُ إذا أَقْبَلَ، وأمُّكُمْ يُتَّقى شرُّها إذا أَدْبَرَتْ. والعِجَان يريدُ الدُّبُرَ به. وهو في الأصل ما بين الخُصْيَة إلى سَمِّ الدُّبُر. والسَّوْرَةُ: الوثْبَة.

٦٢٢ ـ وقال أدهَمُ بنُ أبي الزَّعراء[1]: [الطويل]

١ ـ بَنِي خَيْبَرِيٍّ نَهْنِهُوا من قَنَاذِعٍ أَتَتْ مِنْ لَدُنْكُم وانظُروا ما شُؤُونُها[2]

٢ ـ فكائنْ بها مِنْ ناشِصٍ قد عَلِمْتُمُ إذا نَفَرَتْ كانَتْ بَطِيئًا سُكونُها[3]

هذا الكلام منه توعُّدٌ واستهزاء. فيقول: يا بني خَيبريٍّ، كُفُّوا عن أبياتِ هِجاءٍ وفَخْرٍ جاءتنا مِن عندِكم، وانظُروا كيف تُرْسِلُونَها وماذا شؤونُها حتَّى اهتاجت وجاءت. والقَنَاذِعُ، أصلُه الفُحْش. ويقال للدَّيُّوثِ: القُنْذُع.

وقوله: «فكائنْ» بناء كائنْ لغةٌ في كمْ. و«بنا» أي عِندَنا. «ناشِصٌ» أصلُه في المرأة، يقال: نَشَصَتِ المرأةُ على زَوجها ونَشَزت، إذا تمنَّعت. فاستعارَه للشِّعر والهجو. يريد: كم من قافيةٍ إذا نَفَرَتْ كانت بطيئًا سكونَها. وهذا توعُّد، والمراد: إنَّما نُمسِكُ عن القول ما أمكنَ، فإذا تكلَّمْنا استمرَّ القولُ بنا فيبطُؤُ سكونُنا؛ لأنَّ للاحتمال غايةً وللسُّكون نهاية، إذا بلَغناهما فقد أقَمْنا العُذْرَ، وما وراءَ ذلك نبلغُ فيه الأقصى، ولا نَرضَى بالمنزلِ الأدنَى. والكِنايةُ عن القصائد والقوافي بالهَدِيِّ والعَرُوس مشهورة. وقد قيل: المراد بالنَّاشِص الحرب، وقيل: أراد به امرأةً سيِّئة الخُلُق والعِشرة، لعُجْبِها بنَفسِها. كأنَّه لمَّا جاءهم خاطبًا زهَّدَهم في نسائهم ترفُّعًا عنهم. والصَّواب فيما بدأتُ به.

٣ ـ وبالحَجَلِ المَقْصُورِ حَوْلَ بُيُوتِنَا نَوَاشِيءُ كَالْغِزْلانِ نُجلٌ عُيونُها[4]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٠٠).

(٢) التبريزي: «عن قناذع».

(٣) التبريزي: «وكائنْ بنا».

(٤) التبريزي: «خلف ظهورنا».

٤ ـ وإنّا لَمَحْقُوقُونَ حِينَ غَضِبْتُمْ بأيمَةِ عَبْدِ اللهِ أنْ سَنُهِينُها[١]

٥ ـ فلَسْتُ لِمَنْ أُدْعَى له إن تفقَّأَتْ عليها دَمامِيلُ اسْتِهِ وحُبُونُها

الحَجَل: جمع حَجَلَةٍ. والمقصور: المُرسَل عليه السُّتور. والنَّواشِىءُ: النِّساء الشَّوابّ. وقَصْدُ الشاعِرِ إلى أن يحسِّرَهم ويقصِّرَ بشأنهم ويُهينَهُمْ حينَ عَدَوْا طَوْرَهُم، فَخَطَبُوا غيرَ كُفْوِهم، فقال: إنّ عندنا نساءً كالغِزلان في جَيَدِها، وبقر الوَحش في عَيَنِها، مخدَّراتٌ في الحِجال، مُمَنَّعاتٌ حوالَيْ بيوتنا، نَربأُ بأقدارِها عن مُواصَلتِكم بهنَّ، فتحسَّرُوا وارجِعوا عنا مقذوعين مذلَّلين؛ فإنّا أَحِقَّاء حينَ غضِبتم بسبب أيمةِ عبدِ الله، وترفُّعِنا عن مناكحته، بأنّا لا نَستعظمها بل نهوّنها، ونُقِلُّ فِكرَنا فيها. وقوله: «أَنْ سنُهينُها» أن مخفَّفة من الثَّقيلة. والمعنى: إنّا لمحقوقون بأنّا سنُهينُها لا مَحالة. ومثل هذا قولُ الآخر: [الطويل]

فما أَكْبَرُ الأشياءِ عِندِي حزَازَةً بأنْ أُبْتَ مَزْرِيًّا عليكَ وزَارِيا[٢]

وقوله: «فلست لمن أُدعَى له» يجري مجرى اليمين، أي للوالد الذي أُنسَبُ إليه، أن أُنكِحَ عبدُ الله فينا، وتشقَّقتْ خُراجاتُ استِهِ عليها. وهذا الكلامُ إزراءٌ به، واحتقارٌ له، بذكر السَّوأة منه. وذِكرُ الدَّماميل تشنيعٌ للحال، وأنَّ العُزْبَةَ بلغَتْ به هذا المبلغَ لزُهد النَّاس في مُناكحتهم. وقال: «دماميل» لأنّه أشبع كسرة الميم فأحدث عنها ياء. ومثله: [البسيط]

نَفْيَ الدَّراهيمَ تنقادِ الصَّيارِيفِ[٣]

والأصل الدَّراهم والصَّيارف.

٦٢٣ ـ وقال حُرَيْثُ بنُ عَنَّابٍ[٤]: [الطويل]

١ ـ بَنِي ثُعَلٍ أهْلَ الخَنَا ما حديثُكُمْ لَكُمْ مَنطِقٌ غَاوٍ ولِلنَّاسِ مَنطِقُ

---

(١) التبريزي: «ويروى: حين غضبتم بلحية عبد الله».

(٢) لجزء بن كليب الفقعسي في الحماسية رقم (٦٢).

(٣) للفرزدق في خزانة الأدب ٤:٤٢٤، والكتاب ١:٢٨، وتاج العروس (درهم) ولسان العرب (صرف)، وليس في ديوانه، وصدره:

«تنفي يداها الحصى في كلّ هاجرةٍ»

(٤) التبريزي: «النبهاني»، وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٦٩).

٢ ـ كأنَّهُمُ مِعْزَى قَواصِعُ جِرَّةٍ من العِيِّ أو طيرٌ بخَفَّانَ تَنْغِقُ[(١)]

٣ ـ دِيَافِيَّةٌ غُلْفٌ كأنَّ خَطِيبَهُم سَرَاةَ الضُّحى في سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ[(٢)]

قوله: «بني ثُعَل أهلَ الخنا» يجوز أن يكون أهل الخَنا انتصابُهُ على الذَّمّ والاختصاص، كأنه قال: يا بني ثُعَلٍ، أَذْكُرُ أهلَ الخنا. وقوله: «ما حديثُكم» يريد: ما لغتكم. ويفسِّره قوله بعده: «لكم منطقٌ غاوٍ وللنَّاسِ مَنطق»، ينسُبُهم إلى أنَّهم نَبَطٌ، وأنَّ لغتَهم ذاتُ غَوَاية وزَيْغ. ويعني بقوله: «وللناس منطقٌ» العربَ. ويجوز أن يكون معنى ما حديثكم: ما شأنُكم المستحدَثُ وما أمْرُكم؟ ينسبُهُم إلى أنَّهم لا قديمَ لهم ولا حديث.

وقوله: «كأنَّهم مِعزَى قواصِعُ جِرَّةٍ»، يقول: إنَّهُم لعِيِّهم إذا تكلَّموا كأنهم مِعْزَى تجترُّ، أو طيرٌ بخَفَّان تنغِق. يعني بالطَّير الغُرابَ، ليكونَ أشأم، والقلوب مِن ذكرها أنفر. ويقال: قَصَع البعيرُ بجرَّته، إذا دَفَعها من جَوفه.

وقوله: «ديافِيَّةٌ»، دِيافٌ: أرضٌ بالشَّام. وقصده إلى أن يُخرجهم من أن يكونوا عَرَبًا، وجَعلَهم غُلْفًا إلحاقًا لهم بالعَجَم والغُلْفَةُ والغُرْلَةُ والقُلْفَةُ تتقارب. ورجلٌ أغْرَل وأغلف وأقْلَفُ. وقوله: «كأنَّ خطيبَهم» أي الفصيحَ منهم، والمُعَدَّ يومَ فخَارِهم، والنِّيابةِ عنهم في نِفارِهم، كأنَّه يتمطَّق في سَلْحِهِ. والتمطُّق: تَذَوُّقُ الشَّيء بضمِّ إحدى الشَّفتينِ على الأخرى مع صوتٍ بينهما. وجعَلَهم كذلك في سَرَاة الضُّحى، أي إنَّهم يتباطؤون في كلِّ حالٍ، حتَّى لا يقوموا من فُرُشهم إلَّا في ذلك الوقت.

٦٢٤ ـ وقال شُعَيثٌ، من كِنَانة[(٣)]: [الطويل]

١ ـ أتَرجو حُيَيٌّ أن تَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيرٍ وقد أعْيَا عَلَيكَ كِبَارُها

٢ ـ إذَا النَّجْمُ وَافَى مَغرِبَ الشَّمسِ أُجْحِرَتْ مَقَارِي حُيَيٍّ واشتكَى الغَدْرَ جَارُها

أجود الروايتين «أترجو حُيَيًّا»، كأنَّه يخاطِب إنسانًا ويلومه في تعليقه الرَّجاءَ برشادِ صِغار حُيَيٍّ، وقد أعياهُ كِبارُها. والمعنى أنَّهم لا يُفلِحون أبدًا، وإذا كان رؤساؤُهم وأهلُ الحَلِّ والعَقْد منهم معجِزين في دُعائِكَ إيَّاهم إلى الخير والصَّلاح

---

(١) التبريزي: «كأنكم» و«بخِفّاف يَنْغِقُ». (٢) التبريزي: «ديافيّةٌ قلفٌ».

(٣) التبريزي: «وقال شعيث بن عبد الله وهو من كنانة بلقين، يهجو رجلًا يقال له عقال بن هاشم».

فرُذالُهم أَوْلى بذلك. وإذا رويت «أترجو حُيَيٌّ» كأنّه جعل الفِعلَ للقبيلة بأسرها، أي إنّهم وحالُهم ذلك في ضَلَالٍ إذا رجَوْا مِن صغارِهِم فَلَاحًا وحالِهم مع كبارهم ذلك.

وقوله: «إذا النَّجمُ وَافَى» أشار بالنَّجم إلى الثُّرَيَّا. وهم يقولون: [مجزوء الرمل]

طَـلَعَ الـنَّـجـمُ غـدَيَّـهْ وابـتَـغَـى الـرَّاعِـي شُـكَـيَّـهْ[1]

فهذا يكونُ في الصَّيف وعند اشتداد الحر.

و: [الرمل]

طـلع الـنَّـجـم عِـشَـاءَ وابـتـغَـى الـرَّاعِـي كِـسَـاءَ

وهذا يقالُ في شِدّة البرد. فيقول: إذا طَلَع النَّجم عند غُروب الشَّمس، ـ يشير إلى تَجَرُّد المَحْل، وتكشُّف الجَذبِ ـ أُخْرَتْ مَقَارِي هذه القبيلة وسُتِرتْ، تفاديًا من الضِّيافة، وهربًا من الضِّيفان. والمَقَارِي: جمع مِقْرَاةٍ، وهي ما يُطْعَمُ فيه الضَّيفُ من الجِفان. والمراد أنّه لا مِقْرَاةَ ثَمَّ؛ لأنّهم في الشِّتاء يُضِيفون ويستضيفون، فإذا عُطّلت جِفانُهم في ذلك الوقتِ فلأنّه لا قِرَى عندهم ولا مَقاري. وقوله: «واشتكى الغَدْرَ جارُها» ينسبُهم إلى أنّ إساءَتهم مقصورة على الجار، وطمعَهم فيهِ وفيمن جَرَى مَجراه؛ فعِند الحاجة لا يَشقَى بهم إلّا جارُهم. وجواب إذا النَّجم «أُجْحِرَتْ». و«مَغرِبَ الشَّمس» يجوز أن يكون مفعولًا، وأن يكون اسمًا لموضِع الغروب، ويكون وَافَى من الموافاة. ويجوز أن يكون ظرفًا، ويكون معنى وافَى طَلَع.

٦٢٥ ـ وقال آخر[2]: [البسيط]

١ ـ فـمـا كِـنَـانَـةُ فـي خَـيْـرٍ بـخـائـرَةٍ ومـا كِـنَـانَـةُ فـي شَـرٍّ بـأَشْـرَارِ

يقال: خايرْتُه فخِرته خَيْرًا. وأنا خائرُهُ، إذا كنتَ خيْرًا منه. واستَخَرْتُ الله فخَارَ لي. وهذه خِيرَتِي، أي التي أختارُه. والمعنى لا يَرجِعون إلى حالٍ يُعْتَدُّ بهم لها، ويُعتَمَد بمكانهم عليها، فلا عِندَ الخَيْر وتَعدادِ أهله يفوزون بسُهْمَةٍ، ولا في الشَّرّ وتَعداد أهلِه يَحصُلون على خُطّة.

---

(١) بلا نسبة في اللسان (شكا)، وتهذيب اللغة ١٠: ٢٩٩.

(٢) هذا البيت لعقال بن هاشم ذكره التبريزي في الحماسية السابقة، ولم يعدّه في عداد الحماسيات.

٦٢٦ ـ وقال حُرَيْثُ بن عَنَّابٍ[١]: [البسيط]

١ ـ قُولَا لِصَخْرَةَ إذْ جَدَّ الهجاءُ بها عُوجِي علينا يُحَيِّيكِ ابنُ عَنَّابِ
٢ ـ هَلَّا نَهَيْتُمْ عُوَيْجًا من مقاذَعَتي عَبْدَ المَقَذِّ دَعِيًّا غيرَ صُيَّابِ
٣ ـ مُسْتَحْقِبِينَ سُلَيْمَى أمْ مُنْتَشِرٍ وابنَ المُكَفَّفِ رِدْفًا وابنَ خَبَّابِ

قوله: «يحيِّيكِ»، يجوز أن يكون في موضع الحال، أي عُوجِي محيِّيًا لك هذا، ومثله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ [مريم: الآيتان ٥، ٦] أي وارثًا. ويجوز أن يكون في موضع الجزم جوابًا لقوله عُوجِي، وأجرى المُعْتَلّ مَجْرَى الصحيح.

ومثله: [الوافر]

أَلَمْ يأتيكَ والأنباءُ تَنْمِي بما لَاقَتْ لَبُونُ بني زِيَادِ[٢]

وهذا الكلام تهكُّمٌ وسخريَّة. وإنما يخاطب صاحبَين له يبعثُهما على أن يبلِّغا بني صَخْرَةَ ويبعثاها وقتَ تهيُّجها بالهجاءِ وكونِ تصرُّفِهم فيه جِدًّا منهم وهَمًّا لهم على أن يَعطِفوا عليهم، ليُسَلِّمَ عليهم ابنُ عَنَّابٍ، يعني نفسَهُ. وذِكْرُ التحيةِ هٰهنا هُزْءٌ منه. وهذا كما قال الآخر: [الوافر]

تحيَّةُ بينِهِم ضَرْبٌ وَجِيعُ[٣]

إلّا أنَّ هذا في الأفعال، وابنُ عنّاب جعلها في الأقوال.

وقوله: «هَلَّا نَهَيْتُم» تقريعٌ ولَوْمٌ وتذكيرٌ بسُوء تأتِّيهم، وقُبْح فِعلهم. فيقول: هلَّا كففتم عن مفاحشتي عُوَيْجًا ـ وهو رجل منهم ـ وجعلَه عبدَ المَقَذِّ، أي لئيمًا ودَعِيًّا فيهم غيرَ خالص النَّسب. المقاذَعة: المفاحَشة. ويقال: أَقْذَعَ الرَّجُلُ، إذا أتى بفُحش. وانتصاب «عبدَ المَقَذِّ» يجوز أن يكون على البَدَل، ويجوز أن يكون على الذَّم، ويجوز أن يكون على الحال. والمقذّ؛ مَنبِت الشَّعَر من مقدَّم الرأس ومؤخَّرِه. ويقال: فلانٌ عبدُ القفا، وعبدُ المَقَذِّ، ويراد بالمَقَذِّ القفا. وهذا كما يقال في ضدِّه:

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٩).
(٢) لقيس بن زهير في الأغاني ١٧: ١٣١، وخزانة الأدب ٨: ٣٥٩، والدرر ١: ١٦٢، واللسان أتى.
(٣) لعمرو بن معد يكرب في ديوانه ١٤٩، وخزانة الأدب ٩: ٢٥٢، وصدره:
«وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ»

هو حرُّ الوجه، وكريم المُحَيًا. والصُّيَّاب: الخالصُ، كأنّه يهجّنه. وقال الخليل: الصُّيَّاب والصُّيَّابة: أصلُ كلّ قوم. وقال أيضًا: الصُّيَّاب: الْخِيار من كلّ شيء. وأنشد:

يَختَلُّ من كِنْدَةَ في الصُّيَّابِ

وقوله: «مستحقِبين سُليمَى»، أفحَشَ فيه؛ أي جئتم لمهاجاتي وقد استحقبتم هذه المرأةَ وابنَ المكفَّفِ مَعَها رِدْفًا وابنَ خَبَّابٍ. كأنه يَرمِي سُليمَى بهما أو يَعُدُّهم جميعًا من مخازيه. فهذا هُزْءٌ أيضًا. أي جازيتموني بمن هو شَيْنُكم، وجعلتم عيوبَكم بمرأًى ومَسْمَع إذا كان غيرُكم يُخْفِي أمرَه ويستُرُه. يريد: استهدفتم لي بهؤلاء. وسُليمَى كانت لها قصة. والاستحقاب: شدُّ الحقيبة من خَلف، وكذلك الاحتقاب: وكَنَى عن العَجز بالحقيبة لذلك.

٤ ـ يا شَرَّ قومٍ بنى حِصْنٍ مُهاجِرَةً ومَن تَعَرَّبَ منهم شَرُّ أعرابِ

٥ ـ لا يَرتَجِي الجارُ خيرًا في بيوتِهِم ولا مَحالَةَ مِن شَتْمٍ وألقابِ

ينسبُهم إلى أنهم شرُّ قومٍ هاجَروا إلى الأمصار أو بقوا في البَدْو. و«بني حصن» يجوز أن يكون انتَصَب على النِّداء، كأنه قال: يا شَرَّ قومٍ يا بَني حِصْنٍ. وانتَصَبَ «مُهاجِرَةً» على الحال، ناداهم في هذه الحالة. أي أنتم شرُّ قوم في مهاجَرتكم. ومثله: [البسيط]

يا بُوسَ للجَهْلِ ضَرَّارًا لأقوامِ(١)

ويُؤَنِّسُ بوقوعِ الحال بعد النِّداء قولهم: يا زَيْدُ دعاءً حقًّا. فإذا ساغَ أن يقع المصدرُ بعدَه تأكيدًا، فكذلك الحال. قوله: «ومن تَعَرَّبَ» فيه معنى التكلف، لأنَّ تفعَّلَ يجيء لذلك كثيرًا. وصرَفَ الكلامَ عن السَّنَن الأول وجعله استئناف خبرٍ. ويجوز أن يكون انتَصَب بني حصنٍ على الذّمّ والاختصاص.

وقوله: «لا يَرتَجِي الجارُ» يريد أنَّ جارَهم مبتَذَلٌ فيهم، يائسٌ من خيرهم ما دام معهم، وملقًّى من جهتهم بالاستخفاف والتلقيب، والشَّتم القبيح. وأجرى قوله: «لا

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٨٢، وخزانة الأدب ٢: ١٣٠، والدرر ٣: ١٩، والشعر والشعراء ١: ١٠١، واللسان (خلا) وصدره:

«قالت بنو عامرٍ خالوا بني أسدٍ»

مَحَالَةَ» مَجرى قولِهم لا بُدّ، كأنه أراد: الجارُ لا يرجو خيرًا فيهم، ولا بُدَّ له من شَتْمٍ يُقْصَدُ به، ولَقَبٍ يُعَرَّفُ بذكره. وقال الخليل: «يقولون في موضع لا بُدَّ: لا محالة». ويقال: حَالَ حَوْلًا وحِيلَةً، أي احتال.

٦٢٧ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ بَنِي أَسَدٍ إِلّا تَنَحَّوْا تَطَأْكُمُ مَنَاسِمُ حَتَّى تُخْطَمُوا وحَوَافِرُ

٢ ـ ومِيعَادُ قومٍ إنْ أرادُوا لِقَاءَنَا مِيَاهٌ تَحَامَتْهَا تَمِيمٌ وعامِرُ

٣ ـ وما نَامَ مَيَّاحُ البِطَاحِ ومَنْعِجٍ ولا الرَّسِّ إلّا وهو عَجْلَانُ سَاهِرُ

يقول: يا بني أَسَدٍ، خَلُّوا الطَّريقَ وتباعَدوا عنها، فإنَّكم إنْ لم تفعلوا ذلك وطِئَتْكم الإبلُ والخيل فحطَمَتْكم. ينسبُهم إلى القِلَّة والضَّعف، ويتهكَّم مع ذلك بهم.

وقوله: «وميعادُ قَومٍ» يعني بني أسدٍ وأنصارَهم، والميعاد والوَعد واحد، وإذا كان كذلك كانَ المعنى: ومَوضِعُ الوعدِ لمن أراد الالتقَاءَ معنا مياهٌ تتحاماها بنو تميم وبنو عامرٍ ـ يعني أحمِيَتَهم ـ فلا تَجْسُرُ على وُرودِها وإن كثُروا. فحذَفَ المضافَ، وهو الموضع.

وقوله: «وما نام مَيَّاحُ البِطاح ومنعجٍ»، فالميَّاح: الذي يَميح ماءَ الركيَّة. وأراد بالبِطاح ومَنعِجٍ والرَّسّ مواردَ الماء. والرَّسّ: البئر القديمة. جعَلَ المستقِي من هذه الآبار يَمِيحُ. وأراد بمَيَّاحِ الكثرةَ؛ لأنَّ لكلِّ موضعٍ من المواضعِ المذكورة ماحَةً. والمَيْح: الدُّخول إلى أسفَلِ البئر ليغرِفَ الماءَ في الدِّلاء، إذا قَلَّ الماء. والمَيْح: الاستِقاء، يريد: مَتَحُوا أوّلًا ثمَّ ماحوا، لكثرة الوارِدة. وإنَّما وصَفَ سُكّانَ هذه المواضعِ ـ وهم جيشُهم ـ بوُفور العدد، وأنَّ سُقَاتَهم بهذه الصِّفة من العَجَلة والسَّهر. وقوله: وما نام إلّا وهو عجلان ساهر، يريدُ: نَومُهم تَرْكُ النَّوم، والاستعجالُ في السَّقْي. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

فإنَّ المُنَدَّى رِحْلَةٌ فَرُكُوبُ(٢)

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضًا» أي حريث بن عنّاب، وقد ورد البيت الخامس في اللسان (شمرخ) لحريث بن عنّاب.

(٢) لعلقمة الفحل في ديوانه ٤٢، وسمط اللآلي ٢٥٤، وشرح اختيارات المفضل ١٥٨٩، واللسان=

وكقول أبي تمام: [الرجز]

تعليقها الإسراجُ والإلجامُ[١]

٤ ـ تضاءَلتُمُ مِنَّا كما ضَمَّ شَخصَهُ أمامَ البُيوتِ الخارِىءُ المُتَقاصِرُ

٥ ـ تَرى الجَونَ ذَا الشمْراخِ والوَرْدَ يُبْتَغى لَيالِيَ عَشرًا وَسْطَنا وهو عائِرُ[٢]

قوله: «تضاءلتم» أي تصاغرتم منا وانزوَيتم، لفَشَلكم وذَهاب مُنَّتكم، كما يفعلُه المتغوِّط أمامَ البُيوت إذا استولَى عليه الخَجَل لما يريده مِن قضاء الحاجة، فهو يتقاصَرُ ويُخفِي شخصَه لئلّا يُرَى. وهذا التشبيه في المُنْخزِل وقد مَسّه الحياءُ والخجَل غايةً.

وقوله: «ترى الجَونَ ذا الشّمراخ» يريد به ذا الغُرّة السّائلةِ على الأنف، والشّمراخ من الجَبَل: المُستَدِقُّ الطّويل، على التشبيه. والعائرُ: المختلف، والسَّهم العائرُ من هذا. يقول: إمَّا لكَثرتِنا واتِّساع منادِحنا وأفطارنا، لو أفْلَتَ فينا فرسٌ أدْهَمُ ذو غُرَّةٍ سائلة ـ وجعلَه كذلك ليكونَ أشهرَ أمْرًا وأقلَّ خفاءً ـ وفَرَسٌ وَرْدٌ أغرُّ أيضًا، ثمّ طُلِبَ عَشرَ ليالٍ فيما بيننا لما ظُفِرَ به.

٦ ـ ولـمَّا رأينـاكـم لِئامًـا أدِقَّـةً وليسَ لكم مولًى من النَّاسِ ناصِرُ

٧ ـ ضَمَمناكُمُ مِنْ غَيرِ فَقْرٍ إليكُمُ كما ضَمَّتْ السَّاقَ الكَسيرَ الجبائرُ

وصف حالَهم القديمة معهم، وكيفيّةَ اتِّصالِهم بهم وانعطافِهم عليهم حتّى أبطرهم ذلك، فاستَغْصَوا عليهم، وَوَسْوسَتْ نفوسُهم إليهم بالاستغناء عنهم، والاكتفاءِ من دونهم. فيقول: لمّا رأيناكم أدنياءَ في أنفُسكم، أدِقّاءَ في أحوالكم لا ناصرَ لكم، ولا مُدافعَ دونكم، تعطَّفنا عليكم لنرفع خسيستَكم، رحمةً لكم، وضممناكم إلى أنفُسِنا من غير حاجةٍ إليكم ولا تكثُّرٍ بكم، لنَجبُر كسرَكم، ونوفِّر نقصَكم كما تَضُمُّ العصائبُ التي يُعْصَبُ بها الكسرَ، والجبائرُ التي يُسَوَّى بها العظمُ الكسيرَ المجبور. وهذا من التشبيه الصَّائب، والكلام المتخيَّر. والأدِقَّةُ: جمع الدَّقيق، وهو الرَّجل

= (ركب، دمن، ندى). وصدره:

«تُرادُ على دمن الحياض فإن تعف»

(١) ديوانه ص ٢٨١، وصدره:

«بسواهم لحق الأياطل شزب»

(٢) التبريزي: «ليا عشرًا بيننا».

القليل الخير. والفعل دَقَّ دِقَّةً. وقال: الكسير، والسَّاقُ مؤنثة لأنَّه فَعِيلٌ في معنى مفعولة. وعند أصحابنا البَصريِّين هذا لا ينقاس، بل يُتْبَع فيه المحكيُّ عنهم.

٦٢٨ ـ وقال أبو صَعْتَرَة[(١)]: [الوافر]

١ ـ أتَهْجُونا وكُنّا أهلَ صِدْقٍ وتَنْسَى ما حَبَاكَ بَنُو بَرَاءِ

٢ ـ هُمُ نَتَجُوكَ تَحتَ اللَّيلِ سَقْبًا خَبِيثَ الرِّيحِ مِن خَمْرٍ ومَاءِ

٣ ـ وهُمْ جَهِلُوا عليكَ بغيرِ جُرْمٍ وبَلُّوا مَنْكِبَيْكَ مِنَ الدِّمَاءِ

يخاطب رجلًا من عشيرتِه، ويقرِّعُه على ما كان منه من ثَلْبِه وهَجْوِه، فيقولُ: أتذمُّنا مع إحساننا إليك، وكَوْنِنا أهلَ صدقٍ لك، ورهطَ صفاءٍ ووِدادٍ معك، وتَنسى ما كان منك حتى تعرَّضْتَ لبني بَرَاءٍ بمثلِ تعرُّضِك لنا، وما قابَلُوكَ به من عطِيَّةٍ وحِباءٍ، وحُسن مكافأةٍ وجزاءٍ على فعلك، وقد كان في الحكم أن يؤدِّبك ذلك ويَرْدعك، وينبِّهَك على رَشادِك وصَلاحك، ويمنعَك من مُعاوَدة شِبْهِه ويقمعك. ثم أخذ يصِف الْحِبَاءَ الواصِلَ إليه من جهتِهِم، والجزاءَ المُعَدّ له، فقال: هم نَتَجُوكَ تحتَ الليل سَقْبًا، أي ولَّدوك ليلًا سَقْبًا خبيثًا. وهو في الأصل المذكَّر من أولاد الإبل. ويقال: أسْقَبَتِ الناقةُ وهي مِسْقابٌ. والمعنى: ضربوكَ حتى سلخْتَ شيئًا منكَرًا. والذَّكَر أرْذَلُ النَّتاجَيْنِ، فلذلك خصَّه. وقال: «تحتَ اللَّيل» لأنَّ الليل أخْفَى للوَيْل.

وقوله: «وهم جَهِلوا عليك بغير جُرم»، يعني أنهم فعلوا ذلك بك، ومن قبلِ ذلك كانوا أسلفوك، بلا جِنايةٍ كانت منك عندهم، ولا جريرةٍ سبَقت عنك إليهم، أنْ جرَحُوكَ حتى بلُّوا مَنْكِبَيْك من الدِّماء السائلة عليك.

٦٢٩ ـ وقال الطِّرِمَّاح[(٢)]: [الطويل]

١ ـ إنَّ بِمَعْنٍ إنْ فَخَرْتَ لَمَفْخَرًا وفي غيرِها تُبْنَى بُيُوتُ المكارِمِ

٢ ـ مَتَى قُدْتَ يابْنَ الحنظَلِيَّةِ عُصْبَةً مِنَ الناسِ تَهْدِيها فِجَاجَ المَخَارِمِ

---

(١) التبريزي: «البولانيّ» وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٩).

(٢) التبريزي: «وقال الطرماح بن جهم السنبسيّ، لنافذ بن سعد المعني». والطرماح هذا غير الشاعر المشهور، فذاك الطرماح بن حكيم بن نفر والأبيات في معجم البلدان (عاسم).

هذا الكلام هُزْءٌ وسخرية، يقول: لكأن تفتخرَ ببني مَغنٍ، فإنهم في موضع ذاك، لكونهم مَجْمَع الفضائل، لكن مباني الكَرَم تؤسَّس في غيرهم. ثم أقبَلَ عليه فقال: أخْبِرني متى حدَّثتَ نفسَك بأن تكون قائدَ طائفةٍ من الناس فتقدُمَهم وتَهديَهم الطُّرُق، وهم يطؤون عِقبَكَ، ويدورون على مُرادِك؛ لقد رأيتَ ما لم تؤمِّله، ونِلْتَ ما لم تَرْتقِ إليه همَّتُك.

والفِجاجُ: الطُّرُق. والمخارِم: جمع مَخْرِم، وهو مُنقطَع أنفِ الجبَل. وهذا مثلٌ، أي تُصرِّفهم حيثُ أردت، وتوجِّههم كيفَ شئت.

٣ ـ إذا ما ابنُ جَدٍّ كانَ ناهِزَ طَيِّىءٍ فإنَّ الذُّرَى قد صِرْنَ تحتَ المَنَاسِمِ

٤ ـ فَقُدْ بزِمامٍ بَظْرَ أُمِّكَ واحتَفِر بِأَيرِ أبيكَ الفَسْلِ كُرَّاثَ عاسِمِ

«ابن جَدٍّ» يريدُ به صاحبَ جَدٍّ وحظٍّ في الدنيا. فيقول: إذا اتَّفق لمتقدِّم بنفسِه مجدودٍ، لا أوّليةَ له، خارجيٍّ، أن يكون ناهِزَ طيِّىءٍ، أي مِدْرَهَهُم وكبيرَهم والذي يَنهَزُ الدَّلو من البئر، أي ينزَعها، كأنَّهُ أراد: الذي يَقومُ بأمرهم عند السُّلطان، ويتنجَّزُ عليه حاجاتِهم ومُهِمَّاتهم، فقد انقَلَبَ الدهرُ، وانحطَّ الأعالِي، وصارت الأشراف أذِلَّاء، لأنه لا يتقدَّم الوضيعُ إلّا بتأخر الرَّفيع. وحكى غيرُ واحدٍ من أهل اللغة أنَّه يقال: هو ناهِزُ القوم، أي كاسِبُهم والساعي لهم.

وقوله: «فَقُد بزمام» استهزاءٌ وإزراءٌ بهم، وقلَّة احتفال، بتناوُلِ القبيحِ من ذكرهم. لذلك سمَّى السَّوءَةَ من طرفيه. والفَسْلُ: الرَّذْلُ. والفَشْلُ: الضعيف، وهما روايتان. وعاسم: موضِعٌ.

٦٣٠ ـ وقال الكَرَوَّسُ بن زَيْدٍ(١): [الطويل]

١ ـ ألَا لَيتَ حَظِّي مِنْ عطائِكَ أنَّني عَلِمْتُ وَراءَ الرَّمْلِ ما أنتَ صانِعُ

٢ ـ فقَدْ كانَ لي عمَّا أرَى مُتَزَحْزَحٌ ومُتَّسَعٌ مِنْ جانِبِ الأرضِ واسِعُ

٣ ـ وهَمٌّ إذا ما الجِبْسُ قَصَّرَ هَمَّهُ طَلُوعٌ إذا أعيا الرِّجالَ المطَالِعُ(٢)

---

(١) التبريزي: «الكروّس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مالك بن معقل بن مالك» وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢١٠).

(٢) التبريزي: «قصّر نفسه».

يقول: تمنَّيتُ أنْ يكون الذي حَظِيتُ به من عطائِكَ لي أنّي عَلِمْتُ وأنا وراءَ الرَّملِ ما أنت صانعُه وقد قَدِمْتُ عَلَيْك. فقوله: «وراءَ الرَّمْلِ» ظرف لعلمْتُ، وأنّني علمتُ خبر ليت، كأنّه وَدَّ أن يكونَ بَدَلَ حَظِّه من العطاء علمُه بما يفعلُه، فكان اختيارُه بحسبه. ولا يجوز أن يكون وراءَ الرَّمل يتعلّق بصانع، لأنّك إن جعلتَ ما موصولًا فالصِّلة لا تتقدَّم هي على الموصول، ولا شيءٌ ممَّا يتعلّق بها. وإن جعلت ما موصوفًا فالصِّفة لا تتقدَّم على الموصوف ولا ما يتعلّق بها، وإن جعلت ما استفهامًا فما بعدَ الاستفهام لا يعملُ فيما قبلَه. وإذا كان كذلك ظهرَ فسادُ تعلُّقِه به على الوجوه كلِّها، من طريق الإعراب ومن طريق المعنى، فالصَّحيح ما قدّمتُه. ألَا ترى أنّه قال: فقد كان لي عمَّا أرى مُتزحزَحٌ ومتسَع. والمتَزَحْزَح: المَبْعَد. أي كانَ لي جانبٌ من الأرض واسع أتزحزحُ فيه عمَّا أراه وأَرِدُ عليه، وكان لي هَمٌّ طويلٌ ممتدُّ الشأوِ يذهب صُعُدًا، إذا كان هَمُّ الجِبْس قصيرًا. طَلوعٌ إلى أعالي العِزِّ وذُراهُ إذا أعجزَ الرِّجالَ مَطالِعُ العِزّ. والجِبْس هو الثَّقيل الجافِي. أي يقصِّر همَّ نفسِه فيرضَى بالحاصِل له. وقوله: «إذا ما الجِبْسَ» ظرفٌ لما دلَّ عليه هَمٌّ، و«إذا أعيا» ظرفٌ لطَلوع. ولا يمتنع أن يكون إذا ما الجبسُ ظرفًا لطَلُوع، ويجعل إذا أعيا بدلًا منه؛ لأنَّ المعنيين يتقاربان. والأوَّل أقربُ وأجوَد.

٦٣١ ـ وقال وضّاح بن إسماعيل[1]: [الطويل]

١ ـ مَنْ مُبلِغُ الحَجَّاجِ عَنِّي رِسالَةً ... فإنْ شِئْتَ فاقْطَعْني كما قُطِعَ السَّلا

٢ ـ وإنْ شِئتَ أَقْبَلْنَا بمُوسَى رَميضَةٍ ... جَميعًا فَقَطَّعْنا بها عُقَدَ العُرَى[2]

٣ ـ وإنْ قلتَ لا إلّا التَّفرُّقَ والنَّوَى ... فبُعْدًا أدامَ اللهُ تَفرِقَةَ النَّوَى

٤ ـ فإني أرى في عَينِكَ الجِذْعَ مُعْرِضًا ... وتَعْجَبُ أَنْ أَبْصَرْتَ في عَيْنِيَ القَذَى

هذه أبياتٌ ذهبَ النّاسُ مِن طريق الرِّواية والمعنى فيها مذاهبَ طريفة، والصَّحيح ما أوردُهُ. وذاك أنّه رتَّب ما بينَه وبين الحجّاج مراتبَ ثلاثًا، خبَّره فيها بالشُّروط المبيّنة.

(١) التبريزي: «وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي أحمد» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٢١٢).

(٢) التبريزي: «فاقتلنا بموسى».

فالشّرْط الأول قوله: «إن شئت فاقطَعْني كما قُطِعَ السَّلا» وهذا يحتمل معنيين: أحدهما أن يريد إن شئتَ خُصَّنِي بقطيعةٍ لا وِصَالَ يتعقَّبُها، كما أنَّ السَّلَا، وهو الجِلدة التي يلتفُّ فيها الولد عندَ خروجِه من بَطنِ أمِّه، إذا قُطِعَ عنه لم يَعُد إليه. ويجوز أن يكون المعنى: اقْطَعْنِي قطيعةً لا يُرْجَى معها وَصْلٌ؛ لأن السَّلَا إذا انقطعَ في بَطن الحامل لم يمكن استخراجُه، ولا يُرجى الخَلاصُ معه. ولهذا ضُرِبَ المثَلُ به في الشَّدائد فقيل: «انقَطَع السّلا في البطن». والمراد في هذه القطيعةِ المذكورة أنْ تبقَى العلائقُ التي بينهما على ما حَصَلَتْ وثبتَت لا يُغيَّر منها شيء.

والشَّرْط الثاني: «وإنْ شئتَ أَقْبَلْنا بموسَى رَمِيضَةٍ»، يقول: وإن شئتَ أخذَ كلٌّ منّا مُوسَى محدَّدة، فقَطَّعنا بها الأواصرَ التي بيننا. وهذا مَثَل، والمعنى أنَّ لنا الأسبابَ التي تَوَاصَلْنَا بها فصارت مِثْلَ الأنساب، وحَلَلْنَا عُقَدَ العُرَى الوثيقةِ فيما تواشَجْنَا فيه حتى نَصِيرَ كالأجانبِ لا وُصَلَ تجمعُنا، ولا أواخِيَّ تَنظِمنا، إلَّا ما طَوَى البعادُ بينَنا من قُرْب الجِوار والدَّار.

والشرط الثالث: وإنْ قلتَ لا إلَّا التفرُّقَ بالأبدان معها، فيكونُ النَّوَى مُبَدِّدةَ شملَنا، فلا نلتقي في شَعْبٍ ومَسْلَكٍ، ولا نتحاذَى في منزلٍ ومَجمع، ولا نتجاورُ في مَحَلٍّ ومَقَرٍّ، فإنَّا نَبْعُدُ بُعْدًا كما نختار؛ وأدامَ اللهُ تفرقةَ النَّوى بيننا ولا جَمَع ما تشتَّت منها.

ويقال: سِكِّينٌ رَمِيضٌ: حادٌّ. وكل حادٌّ رَمِيضٌ، ومنه ارتَمض مِن كذا، إذا اشتدَّ عليه وأغضبَه.

وقوله: «فإنّي أرى في عينك الجِذع»، يقول: إن العداوة بيننا رسخَتْ وثبتَتْ واستحكمتْ من جهتِك، فلا استبقاءَ معك، ولا صبرَ على أَذَى مضضٍ منك، حتَّى تعجبَ لأدنى شيءٍ يَحُول، وتَستعظِم أصغرَ ما يحدُث ويدور، وأنا أرَى الجِذع يعترض في عينكِ فلا أنكر، ولا أحاسِبُ عليه ولا أضايِق. وهذا كما يُقال في المثل: «تُبصِرُ القَذَاةَ في عين أخيك، وتَدَعُ الجِذْعَ المعترضَ في حلقِك».

٦٣٢ ـ وقال جَوّاسٌ الكَلْبيّ من بني عَدِيّ ابن جَنابٍ[(١)]: [الطويل]

١ ـ ضَرَبْنَا لَكم عن مِنْبَرِ المُلْكِ أَهْلَهُ ... بِجَيْرُونَ إِذْ لا تَسْتَطِيعُون مِنْبَرَا

٢ ـ وأَيَّامَ صِدْقٍ كُلُّها قد عَلِمْتُمُ ... نَصَرْنَا وَيَوْمَ المرجِ نَصْرًا مُؤَزَّرَا[(٢)]

٣ ـ فلا تَكْفُروا واحُسْنَى مَضَتْ مِنْ بلائِنا ... ولا تَمْنَحُونَا بَعْدَ لِينٍ تَجَبُّرَا

يخاطب بهذا الشِّعرِ بني مروانَ ممتنًّا عليهم، وذاك أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ لمّا هَلك استعمل ابنَه يزيد، فتابَعَهُ النَّاسُ ما خلا بني قيس فإنَّهم قالوا: لا نبايع ابنَ الكلبيّة، فوقعت الحربُ بين أميَّةَ وقيس. وجَيْرون: باب من أبواب دِمَشْق، وأولئك كان مستقرُّهم بالشَّأم. ويعني بقوله: «أهلَهُ» بني هاشم، وبالمُلْك الخلافة.

وقوله: «إذْ لا تستطيعون مِنْبرًا»، أي ارتقاءَ مِنبرٍ وصعودَه، فحذَفَ المضافَ. والمراد: إنَّا نصرناكم في طلَبِ أمرٍ كان لغيركم لا لكم بجَيْرُون، حين لا تَقدِرون على صُعود مِنبر، ولا تستقيم لكم قَناةُ مُلْكٍ ونصَرْنا أيضًا يوم مَرْجِ راهِطٍ، وأيامًا أُخَر قبلَه وبعده، صادَقْناكم فيها ونَصرناكم نصرًا قويًّا، فلا تجحَدُوا نِعَمنا فيها، فكُفران النِّعَم ذميم، ولا تتكبَّرُوا علينا بعد ملايَنتكم لنا، فإنَّ التكبّر منكم عظيم. وقوله: «حُسْنَى مضت» مصدر في معنى الإحسان، وليست بتأنيث الأحسَن، لأنّ تلك تلزمُه الألِف واللام.

٤ ـ فكَم مِن أَميرٍ قَبْلَ مَرْوَانَ وَابْنِهِ ... كشَفْنا غِطاءَ الغَمّ عنهُ فأَبْصَرَا

٥ ـ ومُسْتَسْلِمٍ نَفَّسْنَ عنه وقد بَدَت ... نَواجِذُهُ حَتّى أَهَلَّ وكَبَّرَا

٦ ـ إذا افتَخَرَ القَيْسِيُّ فاذكُرْ بَلاءَهُ ... بِزَرّاعَةِ الضَّحّاكِ شَرْقِيَّ جَوْبَرَا

٧ ـ فما كان في قيسٍ مِن ابنِ حَفِيظَةٍ ... يُعَدُّ ولكنْ كلُّهُمْ نَهْبُ أَشْقَرَا

قوله: «كم مِن أمير» أراد به معاويةَ وأشياعه. أي ذبَبْنا دونَه وأزلْنا ما كان تراكم عليه من رواكِد الظُّلَم حتى أبصَرَ رُشدَهُ، وعادت إليه بصيرتُه، بعد أن كان تحيَّرَ في أمرِه، والتبسَ عليه ما يتنقَّل فيه، فلا يعرِف ما عليه ممّا له.

---

(١) التبريزي: «وقال عمرو بن مخلاة الحمار الكلبي» وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢١٤)، أما جواس: فهو جواس بن القعطل بن سود بن الحارث . . .بن جناب الكلبي: شاعر إسلامي كان معاصرًا لزفر بن الحارث الكلابي (المؤتلف والمختلف ٧٤).

(٢) التبريزي: «قد عرفتم».

وقوله: «ومستسلِم» عطفه على «مِن أميرٍ»، والضمير في «نَفَّسْنَ» للخيل ولم يَجْرِ لها ذِكر، ولكن عُرِفَ منه المراد. يريد: وكم من مُنقادٍ لما دَهِمَهُ، مُستسلِم للشَّرِّ المفاجِىء له والمحيطِ به، نفَّسَت خيلُنا عنه بعد أن يَبِسَ ريقُه، وتقلَّصَت شفتاه فظهرَت نواجذُه، لما مُنِيَ به من شدَّة البلاء، وجَهْدِ البأساء، حتى أهلَّ، أي رفَعَ بالحمدُ لله صوتَه، وأظهر شكرَه، وعَظَّمَهُ وكبَّره لما أُعقِبَ من الأمن عقِيبَ الخوف، والسلامةِ بعد الهُلْك. ويروى: «كشَفْنا غطاءَ الموت». ويروى: «ومُستَلحَمٍ نَفَّسْتُ عنه وقد بَدَت مَقاتِلُه» والمعنى فيهما ظاهر.

وقوله: «إذا افتخر القيسيُّ فاذكرْ بلاءَه»، يعيِّرهم ما كان منهم من التقصير والقُصورِ في ذلك الموضع. وأخرج الكلام مَخرج الهُزْء، لأنهم قصَّرُوا ولم يُبْلُوا؛ لذلك قال: اذْكُر بلاءَه. والزَّرَّاعات: مواضع الزرع، كالملّاحات. والزَّرْيع: العَثَرِيُّ الذي يُسقَى من السماء، فكلُّ ناعم زرْيعٌ تشبيهًا به. وجَوْبَرُ: نَهر. وانتَصَب «شرقيَّ» على الظَّرف، يعني ما وَلِيَ المشرِقَ منه. والضَّحاك كان على شُرطة معاوية، ثم صار مع ابن الزُّبير بعد موت يزيد.

وفي جملة هذه الأبيات:

فلو كنتُ من قَيْسِ بن عَيْلَان لم أَجِد　　　فَخارًا ولم أعدِلْ بأن أتنَصَّرَا

يقبِّح صورتهم كما ترى.

وقوله: «فما كان في قَيْسٍ من ابنِ كَريهة يُعَدُّ» ويروى: «فما كان في قيسِ بن عيلان سَيِّدٌ يُعَدُّ»، ويَعنِي بنَهب أشقرَ فرسَ طُفَيْل بن مالك، وكان فرَّارًا. يقول: كأنَّما انتهبهم طفيلٌ في ذلك اليوم. وكان اسمُ فرسِ طُفيل قُرْزُلًا، لذلك قال الآخر يصف قومًا منهزمين: [المنسرح]

يَغْدُو بهم قُرْزُلٌ ويستمعُ النَّا　　　سُ إليهِمْ وتخفِقُ اللِّمَمُ(١)

جعل فرس كلٍّ منهم كقُرزُلٍ لمَّا هربوا.

٦٣٣ ـ وقال جوّاسٌ الكَلبيُّ أيضًا: [الطويل]

١ ـ أَعَبْدَ المَلِيكِ ما شَكَرْتَ بلاءَنا　　　فكُلْ فِي رَخاءِ الأَمْنِ ما أنتَ آكِلُ

---

(١) للجميح الأسدي في المفضليات ٤١.

٢ ـ بجابِيَةِ الجَوْلَانِ لولا ابنُ بَحْدَلٍ هَلَكْتَ ولم يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قائِلُ

يعاتبُ عبدَ الملكِ بنَ مروان، وذلك أنّه لما قُتِل ابنُ الزُّبير وسكنت الحربُ وصفا له الأمر: أقبَلَ يتألَّف قيسًا وهم أعداؤه، ويُوحِشُ بني كَلْبٍ وهم أنصارُه، حتّى انتهى الحالُ به إلى أن عَزَل كثيرًا ممَّن استعمله من كَلْبٍ على أعماله، وجعل أبدَالَهم من قيس، فقال جَوَّاسٌ: يا عبدَ الملك، ما حَمِدتَ بلاءنا في نُصرتِك، ولا قابَلْتَ انقطاعَنا إليك وسعيَنا لك ببعضِ ما وجب لنا عليك، فكُلْ من دُنْيَاك في سَعَةِ الأمْن وظلِّ الهدُوِّ ما أنتَ آكلُه، لا مُدافِعَ لك ولا معترِضَ عليك، فلولا ابنُ بَحْدَل وقيامُه بأَمرِك بجابِيَة الجَوْلان لهلَكْتَ ولم يَنْطِقْ لقومك قائل، أي لم يكن فيهم خليفةٌ يخطُب على مِنبرٍ فيدعو ويُدْعَى له. وتعلّق قوله: «بجابية الْجَوْلان» بقوله: ما شَكَرْتَ بلاءنا. وهلكْتَ جواب لولا، وخبر المبتدأ محذوف، وقد مرَّ أمثالُه.

٣ ـ فلمّا عَلَوْتَ الشَّأمَ في رأسِ باذِخٍ مِن العِزِّ لَا يَسْطِيعُهُ المتناوِلُ

٤ ـ نَفَخْتَ لنا سَجْلَ العَداوَةِ مُعْرِضًا كأنك مما يُحْدِثُ الدَّهرُ جاهِلُ

يقول: فلما مَلَكْتَ المطلوبَ وأدركتَ المأمول، واستويْتَ على الشّأم في عزٍّ باذِخٍ وجَدٍّ صاعدٍ، لا يَقدِر على تناوُلِ مثلِه أحدٌ بأَمَلٍ أو همّة، اطّرحْتَنَا وأعرضتَ عنّا، معطِيًا سَجْلَ العداوة لنا، كأنك جاهلٌ بالدّهر وفَعَلاته، وحوادِثِه ومُلِمَّاته. ومن رَوَى: «كأنكَ مما يُحْدِثُ الدهرُ»، يريد كأنكَ مما أحدثَهُ الدهرُ لك من الرِّياسة جاهل. أي اغتررتَ فكأنك استحدثتَ جهالة. ويُروَى: «كأنّكَ عَمَّا يُحْدِثُ الدهر غافل» فجاهلٌ يجري مجرى غافلٍ. وهذا يجري مَجرَى الوَعيد. أي لا تأمَنْ غيرَ الأيّام ومعاودتَك ما يَحْتِمُ عليك بالفقْر إلينا ثانيًا.

وفي هذه الطريقة ما أُنشِدْتُه لمحمَّد بن غالب: [المتقارب]

فتى مِسْمَعٍ أنتَ من مِسْمَعٍ بحيثُ السُّوَيداءُ والناظرانِ
مَلَكْتَ فأسْجِحْ وزُعْ بالزِّمامِ وخَفْ ما يَدُور به الدائرانِ

٥ ـ وكنتَ إذا أشرفْتَ في رأسِ رَامَةٍ تضاءَلْتَ إنَّ الخائفَ المتضائلُ[(١)]

٦ ـ فلو طاوَعُوني يوم بُطْنانَ أسْلِمَتْ لِقَيسٍ فُرُوجٌ منكُم ومَقَاتِلُ[(٢)]

---

(١) التبريزي: «من رأس هضبة».
(٢) التبريزي: «ويروى: أُسلمت فروج نساء».

رامةُ: هضبة. يذكُره ضِيقَ أقطارِ الأرض عليه، فيقول: إنك حينئذٍ متَى أشرفتَ في رأسِ هذه الهضْبةِ تخاشَعْتَ وتذلّلت، لاستشعارِك الخوفَ الشديد، واستظهارِك بالاتّقاء من أعدائك البليغ. والخائف هذا دأبُه وعادتُه. على أنهم ـ يعني أصحابه ـ لو طاوَعوني في هذا اليوم وقَبِلوا نُصْحي، وعَمِلوا برأيي، لأسلِمَتْ لقيسٍ فُرُوجُكم، وهي مواضع المَخَافةِ، ومَقاتِلُكم. والمعنى: كنّا نَخْذُلكم ونُسلِمُكم حتى يتمكن القَتْلُ منكم، وتعلوَ سِمةُ الذُّلّ على أحوالكم. وإنما قال هذا لأن القيسيّة كانت تدعو إلى ابن الزُّبير، وكلبٌ تدعو إلى المَرْوَانيّة، وكان الناسُ يومئذٍ إنّما يُعرَفون بالبَحْدليّة أصحاب مروان، والزبيريّة، وهم أنصار ابنِ الزُّبَير. لذلك قال عبد الرحمٰن بنُ الحكم أخو مروان: [الطويل]

وما الناسُ إلا بَحْدَليٌّ على الهُدَى ... وإلّا زُبَيْرِيٌّ عَصَى فتزَبَّرا

٦٣٤ ـ وقال جوّاسٌ أيضًا: [الكامل]

١ ـ صَبَغَتْ أُمَيّةُ بالدِّماءِ رِماحَنَا ... وطَوَتْ أُمَيّةُ دُونَنا دُنياها

٢ ـ أأُمَيَّ رُبَّ كَتيبةٍ مَجهولةٍ ... صِيدِ الكُماةِ عَلَيكُمُ دَعْواها

٣ ـ كُنّا وُلاةَ طِعانِها وضِرابِها ... حتّى تَجَلَّتْ عنكُمُ غُمّاها

يقول: استنصرَنَا أُميّةُ ودافعَ الأعداءَ بنا، وعرَّضَنا للقَتْل والقِتال، والضِّراب والطِّعان، حتى رُوِيَت قناتُنا من دِماء مُجاذِبيهم، والمتكرِّهين لأيّامهم ودِوَلِهم، فلما وضَعت الحربُ أوزارَها، وارتفع الهَيْجُ والفِتَنُ من أنحائها ومَقاصِدِها، استبدُّوا بِطِيِّ الدنيا وزيِّها، والفَوز بها وبأعراضها مِن دُوننا. ثم أخذ يخاطبها فقال: يا أُميّة، رُبَّ كتيبةٍ مجهولةِ الشان، لم نَدْرِ كيف يُدفع في وجهها. ولا من أين يُصرَف شرُّها، متكبّري الأبطال، بُهَم الشُّجعان، دعواها عليكم لا لكم، ودفاعُها فيكم لا عنكم، تولَّينا مطاعنتَها ومُكافحتَها، وافترضْنا على أنفسِنا دَفْعها. ويجوز أن يكون المرادُ بقوله: «مجهولةٍ» أنّا لا نَعرِفُها، ولا مُجاذبةَ بيننا وبينهم ولا مُعامَلة، فهي مجهولةٌ لنا، اتخذنا كالأعداءِ لنا في هَواكُم ونُصرتِكم.

فأمّا قوله: «صِيدِ الكُماة» فإنما جمع فقال صِيدًا، حَملًا على معنى الكَتيبة، ولو حَمَل على اللفظ لقال: رُبَّ كتيبةٍ صَيْداءِ الكُماةِ.

والصَّيَد يُستعمَل على وجهين: يقال: ملكٌ أَصْيَدُ، أي متكبِّرٌ لا يلتفت إلى الناس يمينًا ولا شِمالًا. وحَكَى الخليل أن الصَّيَد ذُبابٌ يدخُل في أُذن البعير فيَقلَقُ له،

فيظلُّ رافعًا رأسَه. فشُبِّه الملِكُ ذُو الزَّهْو به. فهذا وجهٌ. والوجه الآخر: أن يُرادَ بالأصيَدِ الذي لا يستطيع الالتفاتَ من دائه.

وقوله: «حتى تَجَلَّتْ عنكُم غُمَّاها»، يقال: هم مِن أمرِهم في غُمَّاهُ، أي في شِدَّةٍ والتباسٍ شديدٍ عليهم. ومعنى حتى: إلى أنْ. والوُلاة: جمع الوالِي، وهو المتولّي للشَّيْءِ والفاعلُ له. ولا يَمتنِع أن يريدَ به المُلَّاك، كأنهم مَلَكوا تدبيرَ الحيّ فصاروا كالوُلاة لها وفيها.

٤ ـ واللهُ يَجْزِي لا أُميَّةُ سَعْيَنا وعُلَى شَدَدْنا بالرِّماحِ عُرَاها[1]

٥ ـ جِئتُمْ من الْحَجَرِ البَعيدِ نِياطُه والشَّأْمُ تُنكِر كَهلَها وفَتاها

٦ ـ إذْ أقبلَتْ قَيسٌ كأنَّ عُيونَها حَدَقُ الكِلَابِ وأَظهَرَت سِيماها

يقول: الآنَ وقد جَحَدَت أميَّةُ نِعمتَنا عندَها، وبَعُدَت عن الصَّلاح بكُفرانها، فإنَّ الاعتماد على الله تعالى جَدُّه في أن يتولَّى جزاءَ سَعْيِنا، ويَعرِفَ لنا ما أنكرَتْه أميَّةُ من بَلائنا، وعُلَى مَعَالٍ أحكمْنا وثائقَها، وشَدَدنا عَقْدَها وعلائقَها، فتُوجِبَ لنا من إثابة الله عزَّ وجلَّ ما يكون فيه عِوَضٌ من كلِّ فائت.

وقوله: «جئتم من الْحَجَر» أراد بالحجَر الجنس. والمراد: جئتم من المكانِ الكثير الحجَر، ومن بلاد الحجَر، يعني الحجاز. ومعنى «البعيدِ نياطُه» البعيد مُعلَّقُه. ويقال: نُطتُ الشيءَ أنوطه نِياطًا ونَوْطًا، إذا علَّقتَه. ورَوَى بعضُهم: «من الحجَز»، بالزاء، وقال: يريد الْحِجاز. فهذا كما قيل في تِهامة: التَّهَم. قال: [الرجز]

نظرتُ والعَيْنُ مُبِينَةُ التَّهَمْ[2]

والحاجز والْحِجاز والحَجَز، واحد. قال: وسمِّي الحجازُ حجازًا، لأنه يَفصِل بين الغَور والشام وبين البادية. وقوله: «والشأمُ تنكِر كهلَها وفتاها»، أي لم يكونوا من أهلها فاستغرَبتْهم. وهذا كما قال في المقطوعة الأولى: «رُبَّ كتيبةٍ مجهولةٍ».

---

(١) التبريزي: «فالله يجزي».

(٢) الرجز لشيطان بن مدلج في تاج العروس (تهم، رتم) وبلا نسبة في اللسان (عند، أضم، تهم، رتم)، وديوان الأدب (١: ٢٣٠).

وقوله: «إذ أقبلَتْ قيسٌ، إذ ظرفٌ لقوله جئتم من الحجَر، أي جئتم وقتَ إقبال قيس. ويجوز أن يكون ظرفًا لقوله: «تُنكِر كهلَها» أي تنكر في ذلك الوقت. ويُروَى: «وتزبَّرَت قَيسٌ كأنَّ عُيونها»، أي صار هواها زُبَيرِيًا.

وقوله: «كأنّ عيونَها حَدَقُ الكلابِ وأظهَرَت سِيماها» قَصْدُه إلى الذَّمّ وإلى أنّ نظَرَهم نظَرُ الكلاب، لكنّه جرّد التّشبيهَ أوّلًا، ثم قال: «وأظهَرَت سيماها» أي أظهَرَت سيما الكلاب في إقبالها، فتَرَكَ لفظَ التشبيه، وصار كأنه يُخبِر عن حقيقةٍ.

٦٣٥ ـ وقال عبدُ الرحمٰنِ بنُ الحكَم[١]: [الطويل]

١ ـ لَحَا اللهُ قَيسًا قَيسَ عَيلَانَ إنّها أضاعَتْ ثُغورَ المُسلِمينَ وَوَلَّتِ

٢ ـ فشَاوِلْ بِقَيس في الرَّخَاء ولا تَكُن أخاها إذا ما المَشْرَفِيَّةُ سُلَّتِ[٢]

قوله: «لَحا اللهُ» يجوز أن يكون بمعنى قشر الله، ويجوز أن يكون بمعنى سَبَّ الله. وقوله: «أنّها أضاعت ثُغورَ»، يروَى بفتح الهمزة، والمعنى لأنّها، ويروى بالكسر على الاستئناف. ومعنى وَلّت انهزمَتْ وأعرَضَتْ.

وقوله: «فشاوِلْ بقَيس»، أي خاطِرْ غيرَك ورافِعْهم بهم في الرَّخاء والسَّعة، والأمن والدَّعَة، وإياكَ والاعتمادَ عليهم ومؤاخاتَهم في الحرب وعندَ استلال السُّيوف؛ فإنّهم يُسلِمُونك وينهزمون، ويَخذُلونك ولا يَنصُرون. ويقال: شَاوَل الفَحْلَ وخاطَرَه، إذا هايَجَه.

٦٣٦ ـ وقال أبو الأسد[٣] في الحسن ابن رجاء[٤]: [الكامل]

١ ـ فَلأنظُرَنَّ إلى الجِبالِ وأَهلِها وإلى مَنابِرِها بِطَرْفٍ أخزَرِ

---

(١) عبد الرحمٰن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

(٢) التبريزي: «في الطعان».

(٣) أبو الأسد: نُباتة بن عبد الله الحماني التميمي: شاعر من بني حِمّان من أهل الدينور، كان متصلًا بالفيض بن أبي صالح وزير المهدي العباسي، وكان صديقًا لعلويه. (ت نحو ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م). ترجمته في: الوزراء والكتاب ص ١٦٤، والأغاني ١٢: ١٦٨.

(٤) التبريزي: «الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك» وهو أحد ولاة الدولة العباسية (الأغاني ١٧: ١٤٢).

٢ ـ ما زِلْتَ تَركَبُ كلَّ شيءٍ قائمٍ حَتَّى اجترأتَ على رُكوبِ المِنْبَرِ

قوله: «بطرفٍ أخزر» تعلّق الباء منه بقوله: فلأنظرن، والمراد بنظرٍ يميلُ إلى ناحيةٍ، أي نَظَرِ بُغْضٍ وشَنآنٍ، لكونه متوليًا لها، والمعنى: هانت في عَيني وصَغُر قدرُها عِندي، فصرتُ أتكرَّهها، وأبغِض أهلَها وكُوَرَها، ومَواضعَ الدَّعوة منها، مُذْ صِرْتَ أميرَها ومُدَبِّرها.

وقوله: «ما زلتَ تركب» معناه ظاهر.

٦٣٧ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ والرِّيحُ قَرَّةٌ إلى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةَ والرَّحَى(٢)

٢ ـ إلى ضَوءِ نَارٍ يَشْتَوِي القِدَّ أهلُها وقَد يُكْرَمُ الأضيافُ والقِدُّ يُشْتَوَى

٣ ـ فلَمَّا أَتَوْنَا فاشتَكَيْنَا إليهِمُ بَكَوْا وكِلَا الحَيَّيْنِ مما بِهِ بَكَى

٤ ـ بَكَى مُعْوِزٌ مِنْ أن يُلَامَ وطَارِقٌ يَشُدُّ من الجوعِ الإزارَ عَلَى الحَشَا

يقول: تعجَّبْتُ من العُصبة التي سرَتْ ليلًا إلى ضوءِ نارٍ أُوقِدَتْ في مكانٍ يتوسَّط فَردة والرَّحَى؛ وهما موضعان. والرِّواية المستقيمة على كلّ وجهٍ: «بين فرِدَة فالرَّحَى» وهذا هو ما كان الأصمعيُّ يُنكره في بيت امرىء القيس، وهو: [الطويل]

بسِقْط اللِّوى بين الدَّخُول فحوملِ(٣)

وقد مرَّ القولُ فيه وفي أشباهه، وفي حكم بَينَ ومقتضاه أنَّ الاسمَ الذي يليه يجب أن يكون كاسم الجمع في تناوُلِه أكثَرَ من واحد، حتَّى يصحَّ ترتيبُ الفاء عليه في العطف.

وقوله: «والريح قَرَّة» أي تهبُّ شمَالًا ببردٍ شديد. والواو منه واو الحال.

---

(١) التبريزي: «وقال الراعي النميري: نزل بالراعي النميري رجل من بني كلاب في ركبٍ معه ليلًا في سنة مجدبةٍ وقد عَزَبت عن الراعي إبله، فنحر لهم ناقة من رواحلهم، وصبحت الراعي إبله فأعطى ربَّ الناب نابًا مثلها، وزادها ناقة ثنية فقال الأبيات». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٨٠).

(٢) التبريزي: «فالرحا».

(٣) صدره:

«قفا نبك من ذكرى حبيب وموعد»

وقوله: «إلى ضوءِ نار يَشتوِي القِدَّ أهلُها»، أبدلَ إلى ضوء نار ممَّا في البيت الأوّلِ بإعادة حرف الجرّ معه. ويعني نارًا لقوم مضرورين مجهودين لا خيرَ عندهم، ولا طعامَ بفِنائهم، مضطرِّين إلى شيّ القِدّ، لأنّهم أعوزَهم ما هو خيرٌ منه. فتعجَّبَ وقد استضافَهم هؤلاء السَّارُون، ثمّ قال: وقد يُكرَم الأضيافُ مع مجاهَدة الفقر، ومزاوَلة الضُّرّ، إذا كان المُضيفُ لطيفَ الحِيلة، رفيعَ الهمة.

ويقال: شويتُ اللَّحمَ واشتويتُه، فانشوَى هو. وحكى سيبويهِ في بناء المطاوعة اشتوَى أيضًا. ومثله نَظَمْتُ الشيء وانتظمتُه فانتظمَ هو.

وقوله: «فلمّا أتونا» يقول: فلمَّا حصَلُوا عِندنا تباثَثْنا وتباكَينا، وكلُّ واحدٍ من الحَيَّيْنِ شكا إلى الآخَر دهرَه وأنهَى إليه في إضاقتِه أمرَه.

وقوله: «بكى مُعْوِزٌ»، هذا بيانُ وجهِ العِلّة في البُكاء. يقول: بكَى فقيرٌ مخافةَ أن يُتَّهَم ولا يُصَدَّقَ ظاهرُ حالهِ فيما يَنطِق به من ضُرِّه، وأن تَلحقَ به اللّائِمةُ إذا ذُكِر واجباتُ ضَيفِه؛ والضَّيفُ الطّارقُ بكَى لِما مَسَّه من نائباتِ دهرِه، ولِمَا يَظهر من مِسَاس حاجته، ويُقيم به العُذرَ في إلمامه، حتَّى شَدَّ حَشَاهُ لخَلاءِ جوفِه

٥ ـ فألْطَفْتُ عَينِي هَلْ أرَى مِنْ سَمينةٍ ووطَّنْتُ نَفسِي للغَرامةِ والقِرَى
٦ ـ فأبْصَرْتُها كَوْمَاءَ ذاتَ عَرِيكةٍ هِجَانًا مِنَ اللّائِي تمتَّعْنَ بالصُّوَى
٧ ـ فأوْمَأْتُ إيماءً خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ وللهِ عَينَا حَبْتَرٍ أيَّما فَتَى
٨ ـ وقُلْتُ لَهُ ألْصِق بأَيْبَسِ سَاقِها فإنْ يُجْبَرِ العُرْقوبُ لا يَرْقَأِ النَّسا

قوله: «ألطفتُ عَيني» أي نظرتُ بعيني نظرًا لطيفًا، هلْ أرى في إبلِ المُستضيفِين ورواحِلِهم ناقةً سمينةً أنحرُها لهم، وإذا رُدَّت إبلي إلى مبَاءتِها أعوِّض صاحبَها خيرًا منها، وأُغْرَمُ من بعد ذلك له ما أرضيه به. ويقال: ألطَفْتُ أخِي بكذا، إذا أتحفتَه بما يُعرف به بِرُّك ولُطْفُك. وألطفت الأمُّ بالولَد، وأمٌّ لطيفةٌ، أي أكرمَتْهُ وبرَّتْه.

وقوله: «أبْصَرْتُها كوماء»، الكوماء؛ الطَّويلة السَّنام الغَليظة، وقيل: الكَوَم: العِظَم من كلّ شيء: والعَريكة: السَّنامُ إذا عركه الحِمْل. وناقةٌ عَرُوكٌ: لم يكن في سَنامها إلّا اليَسيرُ من الشَّحم. والهِجان: الكريمة. ويقال: ناقةٌ هِجَانٌ ونُوقٌ هجان. وقد مرَّ القولُ في وقوعِه للواحِد والجمع على صُورَةٍ. وقوله: «تَمَتَّعْنَ بالصُّوَى» فالصُّوَى: الأعلام والحجارة. أي رعت الحَزْن والسَّهْل. ومعنى تمتَّعْن، أي أقمْنَ بها

وبَقِين حتَّى استمتعْنَ. ويقال: مَتَّعَ الماءُ الشَّجَرة، إذا أنشأها. ونخلةٌ ماتعة، أي طويلة.

ويروى:

. . . . . . مِــن ســمــيــنــةٍ تدارَكَ فِيها نَيُّ عامَيْنِ والصَّرَى

والنَّيُّ: الشَّحم. والصَّرَى: حَبسُ الإبلِ في الرَّعْي، ومنه سمِّي الماءُ الذي قد طال إنقاعُه في موضعٍ: الصَّرَى. ويُروى: «والصَّوَى»، وهو الإحسان إليها والإبقاء عليها.

وقوله: «فأومأتُ إيماءً خَفِيًّا لحَبترٍ» فحبترٌ: اسم ابنِه، وإنَّما رسم له عَرْقبتَها في السِّرّ بعد أن اختارَها مخافةَ أن يمتنع صاحبُها مما همَّ به فيها. وقوله: «عينا حَبْتَرٍ» اعتراض. وانتَصب «أيّما فتًى» على الحال، كأنَّه أحْمَدَه حين حَسُنَتْ فطنتُه وتسرَّع إلى مُراده. ويقال: مررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ، فتجعله صفةً للنّكرة؛ وبزيدٍ أيَّ رجل، فيصير حالًا للمعرفة. وعَلَّقَ المَدحَ بعينيه، لأنَّه بهما أدركَ إيماءَه. وإذا عظَّموا الشَّيءَ نسبوا مِلْكَه إلى الله عزَّ وجلَّ.

وقوله: «ألصِقْ بأيْبَسِ سَاقِها» الأيبَس: ما قلَّ عليه اللَّحْمُ من الساقِ وغيرِها. والسَّيفُ أعمَلُ فيه. وقوله: «فإنْ يُجبَر العُرْقُوب» العُرقوب: عَقَبٌ مُوَتَّرٌ خلفَ الكعبين فُويقَ العَقِب من الإنسان، وهو مَوصِلُ الوظيف والسَّاقِ من ذوات الأربع. والمعنى: أصِبْ ساقَها فإنَّ العُرْقُوبَ إن أمكن التَّلافي منه بالجبْر والعِلاج والشَّدّ، فإن نَساه لا ينقطعُ الدَّم منه، فصاحبُها يَيْئَسُ منها عند ذلك. والمعنى: اضربْها ضربةً ليس في البُرءِ منها مَطمع، ليَرْضى صاحبُها بالتَّعويض منها، ويستقيمَ أَمرُ الضَّيف والضيافة، وإنْ لَحِقَنَا غُرمٌ فيها.

٩ ـ فَـأَعْـجَـبَـنِـي مِـنْ حَـبْـتَـرٍ أَنَّ حَـبْـتَـرًا مَضَى غَيرَ مَنْكُوبٍ ومُنْصُلَه انتَضَى

١٠ ـ كـأنِّي وقـد أشـبَـعْـتُـهُـمْ مِـنْ سَـنَـامِـهـا جَلَوْتُ غِـطـاءً عـنْ فُـؤَادِيَ فـانْـجَـلَى

١١ ـ فـبِـتْـنَـا وبـاتَـتْ قِـدْرُنـا ذاتَ هِـزَّةٍ لعنا قَبْلَ ما فيها شِوَاءٌ ومُصْطَلَى

قوله: «غير منكوب» أي غير مدفوعٍ في صدره. ويقال: حافرٌ منكوب ونَكيب، إذا أثّر فيه ما يطؤه من حَصًى أو حجر. وقوله: «وَمُنْصُلَهُ انتَضى» أي جَرَّدَ سيفه. وانتصب مُنصُلَه لأنه مفعول مقدَّم. وقوله: «جلوتُ غِطاءً»، يقول: كنتُ مهتمًّا قلقًا،

فلما شبعُوا ممّا أعددتُ لهم وتمحّلت من أجلهم سكنْت فكأنه كان على قلبي غطاءٌ من الغم رانَ عليه، فانجلى وذهب.

وقوله: «فبِتْنَا وباتت قِدْرنا» خبر بِتْنا قوله: «لنا قبلَ ما فيها شِوَاءٌ»، وشِوَاءٌ ارتفع بالابتداء. يريد: بِتْنَا لنا قَبْلَ ما أُودع القِدرَ شِوَاءٌ واصطلاء بالنّار، كأنّه طال عليهم انتظار القِدْرِ، فعمِدَ إلى أطايب الجَزور وشُوِيَ. وقوله: «ذاتَ هِزّةٍ» خبر بانت قدرنا، أي لها هزيزٌ بالغَلَيان. ويجوز أن يريد: لقِدر اللّحم فيها اهتزازٌ واضطراب، كما قال:

قُـرَشِـيَّـة يـهـتـزُّ مـوكـبـهـا

وهذا الذي اقتصّه من حاله وحالهم، بيانُ اهتمامه بأمر الضيف وحسن التأتّي في تفقده.

١٢ ـ وأَصْـبَـحَ رَاعِـيـنـا بـرُيْـمَـةُ عِـنْـدنَـا ... بـسِـتِّـيـنَ أنْـقَـتْـهـا الأخِـلّةُ والـخَـلا

١٣ ـ فَـقُـلْـتُ لـربِّ الـنَّـابِ خُـذْهَـا ثَـنِـيَّـةً ... ونابٌ عَلَيْنَا مثلُ نابِكَ في الحَيا

يقول: أصبَحْنا وراعينا بُريمةُ رَدَّ إبلَنا مِن مَرعاها، وهي ستُّونَ قد أنقَتْها ـ أي جعل لها نقِيًا ـ الأخِلّةُ، وهي جمع خِلال، وهو ما اختُلَّ واجتُزّ من العُشب وهو أخضر. والخَلا: الرُّطب. وقال بعضُ أصحابِ المعاني: لا يقال أنْقَتِ النّاقةُ، إذ سمِنَت؛ ولكنْ لمّا سَمِنَّ من الحشيش، وكان الحشيشُ والخلا سببَ سِمَنها جَعَلَ الفعلَ لها على سعة الكلام، والأصل أنْقَتْ هي. قال: [الرجز]

لا يَشْتكِيَنْ ألَمًا ما أنْقَيْنْ ... ما دام مُخٌّ في سُلَامَى أو عَيْنْ[١]

وقال غيرُه: يجوز أن يكون أنقى هٰهنا مُعدًّى، ويكون على غير ما فسّرتموه، وهو أنه يقال: أنقيته فأنقى، كما يقال: أمْأَيْتُ الدّراهم فأمْأَت هي. والمعنى سَمَّنْتُه وجعلتُ له نِقْيًا فَسَمِنَ واحتمل.

قال البَرْقِيُّ: الرّواية الصحيحة عندِي: «أبقَتْها الأخِلّةُ»[٢]، أي أبقتها على البَرْد والجَدْب، لأنّا كَنَنّاها وخلَينا لها. ورواه بعضُهم: «الأجِلّة» بالجيم. قال: ويقال: جُلٌّ وجِلَال وأجِلّة، أي لم نَدَعْها ولم نُهمِلْها، بل ألْبَسْناها وتفقّدناها.

---

(١) لأبي ميمون النضر بن سلمة العجليّ في اللسان (سلم، نقا)، وتاج العروس (سلم)، وبلا نسبة في اللسان (ملح، نقا، قفا).

(٢) هذه رواية التبريزي.

وقوله: «وقلتُ لربِّ الناب خُذْها ثَنِيَّةً»، أي حَكّمْتُ صاحبَ النابِ التي عَقرْتُها في أن يختار من إبلِي ثَنِيَّةً على ما يشتهيه، وتصطفيه عينُه وتنتقيه، وقلتُ مُضِيفًا إلى العِوَض الواجبِ له: لك علينا نابٌ مثل نابِكَ في السِّمَن. والحيا من باب ما سُمِّيَ باسمِ غيرِه إذ كان منه بسبب. فالحيا: المطر، لأنه يُحْيِي العِباد والبلاد، ثم يسمَّى النَبْتُ حَيًا لأنه بالمطر يكون، ويُسمَّى الشَّحمُ حيًا لأنه عن النَّبت يكون. وهذا البابُ كثيرٌ واسع.

٦٣٨ ـ فقال في ذلك خَنْزَرُ بن أَقْرَمَ[1]: [الطويل]

١ ـ بَنِي قَطَنٍ، ما بالُ ناقةِ ضَيفِكُم تَعَشَّوْنَ منها وهيَ مُلْقَى قُتُودُها
٢ ـ غَدَا ضيفُكُم يَمشِي وناقةُ رَحْلِه على طُنُبِ الفَقْمَاءِ مُلْقَى قَدِيدُها
٣ ـ وباتَ الكِلابيُّ الذي يَبْتَغِي القِرَى بلَيلةِ نَحسٍ غابَ عنها سُعُودُها

أخذ يُسائلُهم عمَّا غيَّرهم به تهكُّمًا وسُخريّة. ومعنى الكلام الإنكارُ. يقول: لِمَ تتعشَّوْنَ من ناقةِ ضيفِكم؟ وكيف استَجَزتم ذلك حتى صارت قد أُلْقِيَ قُتُودُها وهي مطبوخةٌ مأكولة؟ والقُتُود لا واحدَ لها عند أصحابنا البَصريِّين. ثم قال مقبِّحًا الصورة: ابتَكَر ضيفكم يمشي وراحلتُه قد نُحِرَت وقُدِّدت لحومُها، وشُمِّسَت على طُنُبِ الفَقْماء. وهذا تفظيعٌ للشأن. والطُّنُب: حبلٌ من حبال الخيمة. والفَقْماء يَعني بها امرأةَ الراعي، لقَّبها بذلك.

وقوله: «وناقةُ رَحْلِه»، رواها المفضَّل: «وناقةُ رِجْلِه» كأنما لمَّا قال غدَا ضيفُكم يمشي، قال: وناقة رجلِه، يريد الناقة التي كانت حَملت رِجله. ومن روى: «وناقةُ رَحلِه» له أن يقول: كما قال: وهي مُلْقَى قُتُودُها، قال: وناقة رَحْلِه، أي الرَّحل المُلْقَى.

وقوله: «وباتَ الكِلَابيُّ» يعني به باتَ المستضيفُ الطالبُ للقِرَى عندكم بلَيلةِ شؤمٍ قد فارَقَها السُّعود، لأنكم غصبتم ناقتَه، ولم يَنَل القِرَى عندكم.

٤ ـ أَمَن يـنقُصُ الأضيافَ أكرمُ عادَةً إذا نَزَلَ الأضيافُ أم مَن يَزيدُها

---

(١) التبريزي: «خزر بن أرقم: واسمه الحلال وهو أحد بني بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمير».

٥ ـ كأنكُمُ إذ قُمتُمُ تَنحَرُونَها بَرَاذِينُ مشدودٌ عليها لُبُودُها
٦ ـ فما فَتَحَ الأقوامُ مِن بابِ سَوْءَةٍ بَنِي قَطَنٍ إلّا وأنتم شُهودُها

يقرّرهم على تقبيح ما كان منهم، فيقول: خبّروني أيُّ العادتين أقربُ إلى الكرم، وأحرَى في وَفاء الشِّيَم: أعادةُ مَن يَستَنزِل الأضيافَ عن أموالهم وينقُصُ ما توفَّرَ لهم، أم عادةُ مَن يزيدُهم ويُثمِّر حظوظَهم.

وقوله: «عادةً» انتصَبَ على التمييز. وإذا نزلَ ظرفٌ لقوله: «أمَن ينقُصُ الأضياف». وكرَّر لفظَ الأضياف ولم يأتِ بالضمير على عادتِهم في تكرير الأعلام والأجناس، وقد مضَى مِثلُه.

وقوله: «كأنكم إذْ قمتمُ تَنحرونها بَرَاذينُ» شبَّههم في العَجز والثِّقل وقِلّة الغَناء، والتباطؤ والبلادة، بالبراذين، وهم يضربونها مثلًا للمذموم. وجعَلها شُدَّت اللُّبودُ عليها تقبيحًا لصُوَرها.

وقوله: «فما فَتَح الأقوام من بابِ سَوءة»، يريد: لا يسبقُ طوائفُ الناس وفِرَقُهم إلى خَصلةٍ مذمومة أو سَوءة مشوَّهة منكَرة إلّا وبنو قَطَنٍ حضُورُها؛ أي لا يمكن الإغراب في المخازي عليهم، لأنهم السابقون في البِدَار إلى كلّ عار، والأوّلون عند الولوج في كل باب، والحاضرون لكلّ نُكْرٍ وعاب.

٦٣٩ ـ فأجابه الرّاعي: [الطويل]

١ ـ ماذا ذكَرتم مِن قَلوصٍ عَقَرتُها بِسَيفِي وضِيفانُ الشّتاءِ شُهودُها[١]
٢ ـ فقد عَلِموا أنّي وفَيتُ لِرَبِّها فَراحَ على عَنسٍ بأُخرَى يقودُها
٣ ـ قَرَيتُ الكِلابيّ الذي يَبتَغِي القِرَى وأمَّكَ إذ تَخدِي إلينا قَعُودُها[٢]

الرواية الجيدة: «ماذا نكِرتم». ويقال: نَكِرْتُ الشيءَ وأنكرتُه واستنكرته بمعنًى. فأمّا «ذكرتم» فمراده ماذا عيَّرتم فذكَرتم من ناقةٍ لغيرِي عقرتُها حين عَزَبَتْ إبلِي لضيفانِ الشّتاءِ بحَضرتهم، وبمرأَى منهم. وقد جرى رسمُ الكرامِ بمثلِ ذلك إذا دَعَت الحال إليه، موطِّنين أنفسَهم للغرامة، وردُّ الاثنينِ بدلَ الواحد على الخَصم فيه.

---

(١) التبريزي: «من قلوصٍ نحرتُها»، ويروي: «من كزوم عقرتها».
(٢) التبريزي: «إذ يُحدَى».

وقوله: «فقد علموا» يستشهد بالضِّيفان فيقول: حَضروا وتيقَّنوا أني وفَيْتُ لربِّها بمثلِها وزدتُه أخرى، فراح راكبًا إحداهما وقائدًا الأخرى معها. ثم اقتصَّ ما دعاه إليه فقال: قَرَيْتُ الكِلَابيَّ المبتَغِيَ للقِرَى وقَرَيْتُ أُمَّكَ، يعني أمَّ خَنْزَر بن أقرَم المعيَّر المنكِر. والخَذْي: ضَرْبٌ من السَّير. والقعُود: البَكْر إذا بلغ الإثناء؛ والذي يَقتعِده الرّاعي فيركبُه ويَحمِل زادَه عليه قَعودٌ أيضًا. وفي ذكر الأمّ وأنه أضافَها مع الكلابيِّ بعضُ الغَضّ والإيهام.

٤ ـ رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تُثَقَّبُ لِلقِرَى ... ولِقحةَ أضيَافٍ طَوِيلًا رُكُودُها

٥ ـ إذَا أُخلِيَتْ عُودَ الهَشِيمةِ أرزَمَتْ ... جَوَانِبُها حَتَّى نَبِيتَ نَذُودُها

٦ ـ إذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسِبْتَها ... نَعامَةَ حِزْباءٍ تَقَاصَرَ جِيدُها

ويروى: «رفعنا لها مشبوبةً يُهتدَى بها». ومعنى «تثقَّبُ» تُذْكَى وتضاء. وقيل: الكوكب الثّاقبُ والحَسَب الثاقب، للضَّوء والتلألؤ. ومعنى «للقِرَى» لإقامة القِرى، و«اللقحة» يراد به القِدر هٰهنا، وأصله في النّاقة الحَلُوب. وجعلَ ركودَها طويلًا لثِقَلها وكِبَرِها، ولأنّها لا تُنزَلُ إلا للغَسْل ثم تُعاد والجَفْنةُ الرَّكود: الثَّقيلة الممتلئة.

وقوله: «إذا أُخلِيَتْ» أي جُعِل الحَطَبُ لها بمنزلة الولدَ، فهو لها كالولد، وهي له كالنّاقة الخليَّة، وهي التي تَعطِف على ولدِها وتَرْأَمُه. والهَشِيمَةُ: اليابس من الشَّجرِ وغيره. وأَرْزَمَتْ: صاحت بغَلَيانها، لكِبَرها، حتَّى نَبِيتَ نُسَكِّن منها. وإذا نُصِبَتْ على الأثافي لزُوَّار اللَّيل ـ يعني الأضياف ـ حسبْتَها لإشرافها نعامةَ حِزْباءَ. والحِزْباء: الأرض الصُّلبة المرتفعة، شَبَّهَ القِدر بالنَّعامة، لأنَّها تُكثِر رفعَ رأسِها ووضعَه، لجُبْنها ونُفورِها، فكذلك القِدر ترفَعُ المَحَال وتخفضها، لشِدَّة غلَيانها. وقال: «تقاصَرَ جيدُها» ليتبيَّنَ وجهُ التَّشبيه منه ويصحّ. ومثله قولُ الآخر: [الطويل]

غُضوبٌ كحيزوم النَّعَامَةِ أُحْمِشَتْ[1]

٧ ـ تَبِيتُ المَحَالُ الغُرُّ فِي حَجَرَاتِها ... شَكَارَى مَرَاهَا ماؤُها وحَدِيدُها

٨ ـ بَعَثْنَا إليها المُنزِلَيْنِ فَحَاوَلا ... لِكَي يُنزِلَاهَا وَهْيَ حامٍ حُيُودُها

---

(١) للفرزدق في أساس البلاغة (حمش)، والحيوان ٤:٣٣٢، وليس في ديوانه. وعجزه:
«بأجذالِ مَرخٍ زال عنها هشيمُها»

٩ ـ فبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعٍ بأيدي الآكِلِينَ جُمُودُها[١]

المَحَال: فِقَرُ الظَّهر، والواحدة مَحالَة. وجعلها غُرًّا لسِمَنِها. والحَجَرات: النَّواحي، وجعلها شَكارَى لامتلائها وَدَكًا. ويقال: شاةٌ شَكِرَةٌ، إذا كانت غزيرة اللَّحم، وضَرَّةٌ شَكْرَى، أي ممتلئة. وشُكْرُ النَّعَم من ذلك، لأنّه به تُستدام وتُمْتَرَى الزِّيادة. ويُروى: «سَكَارَى» بالسّين غير معجمة، والمراد مثلُ ذلك لأنَّ السُّكر من الامتلاء يكون. ومعنى مَرَاها: استخرَج دَسَمَها. ماؤُها، أي مرقَتُها. وحديدُها أي مِغْرَفَتُها.

وقوله: «بعثنا إليها المُنْزِلَيْن» إنّما ثَنَّى ليُرِيَ أنَّ الواحدَ لا يُطيقُها ولا يَنهضُ بتحريكها لِثِقَلِها. واللام من قوله: «لكي يَنزلاها» يجوز أن يتعلّق بقوله بَعَثْنَا، كأنّه قال: بَعَثْنَا المُنْزِلَين إليها لكي يُنزِلاها فحاولاه، وحذَف مفعول حاول. وكَيْ هذه هي النّاصبة للفعل، لذلك دخلها اللامُ الجارّة. والمحاولة: مطالَبة الأمر بالحِيَل، ويجوز أن يتعلّق بحاولا. والحُيُود: الجوانب، أي إذا أراد إنزالَها وفي جوانبها بَعْدُ حَمْي، استعجالاً.

وقوله: «فباتت تَعُدّ النَّجْمَ» إخبار عن أم خنزر بن أقرَم. والمستحيرة: المتحيِّرة لامتلائها. أي في مرَقَة أو قِدرٍ قد تحيَّرت، فهي مِنْ صَفائها وكثرة دَسَمِها تَرَى فيها نُجومَ السَّماء. وقيل: شبَّه الرَّاعي النُّفّاخات التي كانت على رأسها مِن كثرة الدَّسَم بالنُّجوم، ويجوز أن يكون أراد أنَّ هذه القِدرَ مرتفعةُ الشَّأن، عاليةُ الأمْر، فأمُّه كانت تَعُدُّ النُّجومَ فيها لما أُطعِمَتْ منها كأنّها بلغت النُّجومَ في علوِّها، لأنّها لم تَرَ مثلها قطّ. وهذا هو الوجهُ عِندي، ليكونَ قد غَضَّ مِن أُمِّه جزاءً على ما قاله وأنكره. وقوله: «حُيُودُها» ارتفع بحَامٍ، وكذلك «جُمُودُها» ارتفع بسريع. ويجوز أن يروى: «سريعٌ» بالرفع على أن يكون خبرًا للمبتدإ وقد قُدّم عليه، والمبتدأ جُمودُها.

٦٤٠ ـ وقال رجلٌ من بني أَسَد: [البسيط]

١ ـ دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ والسَّاعُونَ قد بَلَغُوا جَهْدَ النُّفوسِ وأَلْقَوْا دونَهُ الأُزُرَا

٢ ـ فكَابَرُوا المَجْدَ حَتَّى مَلَّ أكثَرُهُمْ وعَانَقَ المجدَ مَنْ أوفَى ومَنْ صَبَرا

---

(١) بعده عند التبريزي:

«فلما سقيناها العكيسَ تملأتْ مذاخرها وارفضّ رشحًا وريدُها
ولمّا قضت في ذي الإناء لُبانَةً أرادت إلينا حاجةً لا نريدها»

٣ ـ لَا تَحْسَبِ المَجْدَ تَمْرًا أنتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

يقول: تباطأَ سَعْيُك للمَجْدِ، ولمّا سعيتَ كان سعيُك دبيبًا وطُلّاب المجد قد جَهَدوا أنفسَهم، وألقوا الأُزُرَ دونَه، تخفيفًا عن أنفسهم، وتشهيرًا في طلبهم وهذا مثل. والمراد أنَّ ما يفعلُه الساعي في سَعيِه إذا طلبَ شيئًا من التجرُّد والتخفُّف ليُدْرِكَ مطلوبَهُ قد فعلوه. ثم أخذ يفصِّل مجهودَهم من بَعْدُ، فقال: كابَرُوا المجد، أي جاهدوه ليَبلُغوه قَسْرًا لا خَتْلًا، فمَنْ صَبَرَ وأوفَى نالَه واحتواه ظافرًا به، معانِقًا له، ومن مَلَّ وقَصَّرَ ـ وهم الأكثر ـ خاب وأخفق ورجع نادمًا لاهيًا عنه.

وقوله: «لا تَحسَب المجدَ» تقريع، والمراد: لا تظنَّنَّ المجدَ يُدرَك بالسَّعي القصير، واستعمال التَّعذير، وعلى ملازَم الرّاحة دونَ توطينِ النَّفْس على الكدّ الشديد والمجاهدة؛ فإنَّه لن يُنالَ إلّا بتجرُّع المراراتِ دونه، واقتحام المعاطب بسببه. ويقال: لعِقْتُ الصَّبِرَ لَعْقًا. واسمُ ما يُلعَق هو اللَّعُوق.

٦٤١ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ومُستَعْجِلٍ بالحَرْبِ والسِّلْمُ حَظُّهُ فلمّا استُثِيرَتْ كلَّ عنها مَحافِرُهْ

٢ ـ وحارَبَ فِيها بامرىءٍ حِينَ شَمَّرتْ مِنَ القوم مِعْجَازٍ لئيمٍ مَكاسِرُه

٣ ـ فأعطَى الَّذِي يُعطِي الذَّليلُ ولم يَكن له سَعْيُ صِدْقٍ قَدَّمَتْهُ أكابِرُه

يقال: استعجل بالشَّيءِ، إذا طَلَبَ عجلتَه ولم يَصبِر إلى وقته وإنَاه. فيقول: ربَّ امرىءٍ يُعْجِلُكَ في هَيْجِ الحَرْبِ له، ونَصْب الشرِّ بينَك وبينه، فتراه يرتقِي في الإيذاء والمكاشَفة إلى أعلى درجات القصْد، وحَظُّه في أن يُسالِمَ، لكنَّه بسُوء تأتّيه ونقصِ اختياره، أبَى لنفسِه إلّا تعريضَها لما يَستوخِم عاقبتَه، ويَتعجَّل شرَّه، فلما هُيِّجت الحربُ له وأُجيب في إثارتها، وإيقاد نائرتها، إلى مراده منها، عَجَز فيها عن الإيفاء والاستيفاء، وكلَّ عن مُباشَرة الوِرْد والصَّدر، واستعان فيها برجلٍ رَكّابٍ لرواحل العَجْز، لئيم المَكسِر والمختبَر، ضيِّقِ العَطَن والمَبْرَك، ويعني به نفسه، وهذا كما يقال: لقيتَني لقيتَ بي قِرنًا باسلًا. ويعني بالقِرْن نفسَه. وقوله: «حين شمَّرتْ» يريد حين كشَفَت الحربُ عن ساقها، وأبدتْ أعجازَها وهوادِيَها، ففَعَل فِعلَ الذَّليل، وأعطى من الانقياد ما يُعطيه الضَّعيفُ الفريد، ولم يكن سَعْيُه سعيًا مصدوقًا فيه، ولا وقوفُه وإمساكُه إمساكًا يُعذَرُ له، فتراه عند الأماثِل من جملة الأراذل، وعندَ طُلّاب الخير مقتحِمًا في الشَّرّ. ومعنى «قَدَّمَتْهُ أكابره» أسلافُه وأماثلُ قومِه.

٦٤٢ ـ وقال إسماعيل بن عَمَّار[1]: [الطويل]

١ ـ بَكَتْ دَارُ بِشرٍ شَجْوَها إذ تَبَدَّلَتْ هلالَ بنَ مرزوقٍ بِبِشرِ بن غَالبِ
٢ ـ وهَلْ هِيَ إلّا مِثْلُ عِرْسٍ تَحَوَّلَتْ على رَغْمِها، مِنْ هاشمٍ في مُحارِبِ[2]

«شَجْوَها» انتَصَب على أنه مفعول له، والشاعر يفضّل بشرًا على هلال، ويقول: إن الدار التي كان يستوطنها بشرٌ لمّا ارتحل عنها وصار فيها بدلًا منه هلالٌ بكتْ وتحسَّرَتْ، وحُقَّ لها ذلك، فما هي في استبدالها إلا كعروسٍ زُوِّجت في هاشم، ثم انتقلت إلى محارِب. ومُحارِبٌ قبيلة فيها ضَعَةٌ وخمول، حتى قال بعض الشُّعَراء وهو يَحْلف: [الطويل]

فَصَيَّرني ربّي إذًا من مُحَارِبِ

٦٤٣ ـ وقالت امرأةٌ قُتِلَ زوجُها[3]: [الوافر]

١ ـ مَتى تَرِدُوا عُكَاظ تُوافِقُوها بأسْمَاعٍ مَجَادِعُهَا قِصارُ
٢ ـ أجِيرانَ ابنِ مَيصةَ خَبِّرُوني أعَيْنٌ لابنِ مَيَّةَ أم ضِمَارُ
٣ ـ تَجَلَّلَ خِزْيَها عَوْفُ بنُ كَعْبٍ فليسَ لخَلْفِها مِنهُ اعتِذارُ
٤ ـ فإنَّكُمْ وما تُخْفُونَ مِنها كذاتِ الشَّيبِ ليسَ لها خِمارُ

عُكاظ: وادٍ للعرَب فيه سوقٌ لهم يجتمع فيها طوائفُ الناس من جميع الأحياء، فيتعارفون فيها ويتعلَّقون بالأخبار بعد التذاكر بها والتنسُّم لها، وبينهم المواعَدات والمقايَضات، والإِحَنُ والتراتَ، والمنافَراتُ والمناقَضات، فكلُّ فِرقةٍ تتجمَّل لِلأخرى وتودّ أن تسمع فيها ما ليس عندَها من حَسَنٍ وقبيح، ومحمود ومذموم، إلى غير ذلك من الأنباء السائرة، والأوابد العائرة، التي يُتَهادى بها، ويُستطرَف وُقوعُها، ويُتبلَّغ باستماعها وأدائها. فيقول: متَى وردتم عُكاظ وافَيتموها أذلّاءَ قد اكتسيتم عارًا يُخزيكم

(١) التبريزي: «إسماعيل بن عمّار الأسدي» وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ينزل بالكوفة فيسمع غناء قيان لرجل يدعى ابن رامين ويقول فيهن الشعر (ت نحو ١٥٧ هـ/ ٧٧٤ م). ترجمته في الأغاني ١١: ٣٦٧ (دار الكتب العلمية). قال التبريزي: «قال دعبل بن علي: هي للوليد بن كعب، قالها لما مات بشر بن غالب واشترى داره هلال بن مرزوق، والشاعر يفضل بشرًا على هلال.
(٢) التبريزي: «مثل عرس تبدّلت».
(٣) التبريزي: «قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثأره».

ويُلازمكم، فتصير كالمُثْلةِ عليكم، فكأنّ آذانكم قد استوعِبَ صَلْمُها، عقوبةً لكم بما عاملتم به جارَكم من إحفار وإسلام، حين قُتل في جواركم، واستُبيح مَحْرُماتُه في ذِمَمكم. ثم قال مستهزئًا ومعيِّرًا: يا جيرانَ ابنِ مَيَّةَ، أنبئوني أنُصرَتُكم له عَيْنٌ أم ضِمَارٌ، ووفاؤكم بما عَقدتم له حَقٌ أمْ كِذَاب. والعَينُ: ما يُحضَر ويُشاهَد، لذلك قيل في المثل: «يَدَعُ العينَ ويتبَعُ الأثر». والضِّمار: الغائب الذي لستَ منه على ثقةٍ. قال الأعشى: [المتقارب]

نُـرانـا إذا أضْـمَـرَتْـكَ الـبـلادُ نُـجْـفَـى وتُـقْـطَـع مـنـا الـرحِـمْ[1]

وقوله: «تجلَّل خِزْيَها عَوْفُ بن كعب»، يريد: لَبِسَ خِزْيَ هذه الغَدْرَةِ وتغطّى بذمِّها قبائلُ عَوْفِ بن كعب كلُّها لا أنتم فحسْب، فليس لأعقابها بعدها عُذْرٌ يُقبل، ولا تَنصُّلٌ يُسمَع.

وقوله: «وإنّكم وما تُخفون منها»، يريد مَثَلكم في سَترِكم أمرَها، وتقديرِكم إخفاءَها، على انتشارها وذَهابها في الناس، وعلى تَغَشّيكم بدَرَنِها، واستقذار الناس لكم لوسخها، مَثَلُ امرأة شابَ رأسُها ولا خِمَار لها فتختمر، مع مَيلِها إلى أن لا يُرَى شيبُها. والمعنى: الأمرُ أظهر مِن أن يُكتم أو يُدفن.

٦٤٤ ـ وقال آخر: [الطويل]

٥ ـ تَـوَلَّتْ قُـرَيْـشٌ لَذّةَ الْعَـيْـشِ وَاتَّـقَـتْ بـنـا كـلَّ فَـجٍّ مِـنْ خُـرَاسَـانَ أَغْـبَـرَا

٦ ـ فَـلَـيـتَ قُـرَيْـشًـا أصبَـحَـتْ ذَاتَ لَـيـلَةٍ تَـؤُمُّ بـهـا مَـوْجًـا من الـبـحـر أَكْـدَرَا

هذا كلامُ رَجُلٍ قد جَمَّرَهُ الوالي[2]، وتبرّمَ بغُربته، وشَقِيَ بالتّباعُد عن أهله ووطنه، فيقول: تفرّدَ قريشٌ بالتنعُّم والتلذُّذ، واستأثَرَ بالعيش الطيِّب والرَّتعةِ الهنيئة، ورمَتْ بنا مرَامِيَ مُنْكَرَةً لا راحةَ معها، ولا طائلَ فيها، وسَدَّتْ طُرُق المَفاوز الغبْر التي لا تُسْلَكُ ولا تُعْبَرُ، بينها وبين أهلِ المشرق، وبوَدّي أن ثبتت قريشٌ على ليلةٍ تُفضِي بها صبيحتها إلى أنْ تُسْلِمَها إلى مَوْجٍ أكدَرَ، يجرُفُها إلى البحر ويغرّقها. وهذا مثل، والمعنى: أتمنّى أن تشملها بليّةٌ تُفنيها وتُريحُ العِبادَ والبلادَ منها. والكَدَر: نقيض الصَّفاء. ويقال: عيشٌ أكدَرُ، وقد كَدِرَ. وجعل الموجَ كذلك تهويلًا، وتكثيرًا لماءِ

---

(١) للأعشى في ديوانه ٩١، وأساس البلاغة (ضمر)، واللسان (ضمر)، وتاج العروس (ضمر).
(٢) تجمير الجند: أن يحبسهم في أرض العدو.

بَحره. وقوله: «ذاتَ ليلةٍ» يريد السَّاعةَ التي يكون فيها الليلةُ المطلوبة. وعلى هذا قولك: فعلتُ كذا ذات العشاء، يريد الساعةَ التي فيها العِشاء. والمعنى: أصبحَتْ منّا على هذه الحالة قُرَيْشٌ، أي حصلَتْ من ليلتها على صَبَاحٍ هكذا.

٦٤٥ ـ وقالت امرأةٌ[1]: [الطويل]

١ ـ حَلَفْتُ وَلَمْ أَكْذِبْ وإلّا فَكُلُّ ما ... مَلَكْتُ لِبيتِ اللهِ أُهدِيه حَافِيَة

٢ ـ لوَ أنَّ المَنايا أعْرَضَتْ لاقْتَحَمْتُها ... مَخَافَةَ فيه إنّ فَاهُ لداهيَة[2]

٣ ـ فَمَا جِيفَةُ الخِنزيرِ عِنْدَ ابن مُغْرِبٍ ... قَتَادَةَ إلا ريحُ مِسْكٍ وغَاليَة

٤ ـ فكَيفَ اصطبارِي يا قَتَادَةُ بعدما ... شَمِمْتُ الذي مِنْ فِيكَ أَتْأَى صِمَاخِيَة

قولها: «ولم أكذب» في موضع الحال أي حلفتُ صادقةً في خَبَرِي، وإلّا فما أملكه لبيتِ الله ـ تعني لمن حول بيت الله، فحذَف المضافَ ـ أُهديه إليه بنفسي حافيةً لا حِذَاءَ لي. فقولُها: «أُهْدِيه»، يجوز أن يكون في موضع خبر المبتدأ، كأنّها قالت: وإلّا فما أملكه أُهديهِ لبيت الله حافية، أي في هذه الحال. ويقال: أهديْتَ إلى البيت وللبيت هَدْيًا، إذا تقرَّبْتَ فيه بقُربان. واللام من «لبيت الله» على هذا يتعلّق بأهْديه. ويجوز أن يكون لبيت الله خبر المبتدأ. وأهديه إن شئتَ كان مستأنفًا، وإن شئت كان خبرًا ثانيًا، وإن شئت كان بَدَلًا.

وقولها: «لو أنَّ المنايا أعرَضَت» أي مكّنت من النَّظر إلى عُرضِها، أي إلى الجانب الذي تجيء منه «لاقتحمْتُها»، أي لوَقَعتُ فيها وصرت في قُحمَتِها. وانتصب «مخافَةَ فيه» على أنّه مفعول له.

وقولها: «فما جِيفة الخِنزيرِ» تُريد: ما رائحة جِيفة الخنزير إلّا ريحُ مِسك لأنّ الحدَث يشبَّه بالحدَث، والعينَ بالعين.

وقولها: «فكيف اصطباري يا قتادَةُ»، يريد: كيف أتكلّف صَبْرًا على مجاورتك والكونِ معك. بعدما بُليتُ به من بَخَرِكَ ونتْن فَمك، الذي أفسَد عليّ آلةَ الشَّم

---

(١) التبريزي: «تهجو قتادة بن مُغرِب اليشكريّ وهو زوجها». وقتادة هذا من شعراء الدولة الأموية كان معاصرًا لزياد الأعجم (الأغاني ١٠: ١١٢).

(٢) التبريزي: «إن فيه لداهية» والتقدير: إن في فيّه لداهية.

والسّمع. ومعنى أثأى صِمَاخِيَه، أي أفْسَدَه. والصِّمَاخُ: ثَقْب الأذن الذي يُفْضِي إلى الرّأس. وآلة الشَّمُّ الأنفُ دونَ الأذن، ولكن تريد أنّه فَسَدَ بمحاوَرته.

٦٤٦ ـ وقال عبد الله بن أوْفى الخُزاعِي[١]: [المتقارب]

١ ـ نَكَحْتُ ابنةَ الْمُنْتَضَى نكْحَةً عـلى الكُرْهِ ضَرَّتْ ولم تَنْفَعِ[٢]
٢ ـ ولم تُغْنِ مِن فاقةٍ مُعْدِمًا ولم تُجْدِ خيرًا ولم تَجْمَعِ
٣ ـ مُنَجَّذَةً مِثْلُ كَلْبِ الهِرَاشِ إذا هَجَعَ النّاسُ لم تَهْجَعِ
٤ ـ مُفَرِّقَةٌ بينَ جِيرانِها وما تَسْتَطِعْ بينهم تَقْطَعِ
٥ ـ بقولِ «رَأَيْتُ» لِمَا لا تَرَى وقِيلِ «سَمِعْتُ» ولم تَسْمَعِ

قوله: «على الكُره» في موضع الحال من نَكَحْتُ. وقوله: «ضَرَّتْ» من صفة نَكْحَةً، وكذلك ما في البيت الثاني من الجُمَل كلٌّ في موضع الصِّفة لها. فيقول: نَكَحْتُ هذه المرأةَ مُكْرَهًا نَكْحَةً ضارّةً غير نافعةٍ في شيءٍ من الوجوه، فما أغنَتْ من عُدْمٍ عديمًا، ولا أنالت خيرًا، ولا جَمَعت شملًا. وحذَف مفعول «ولم تجمع»، لأنّ المراد مفهوم.

وقوله: «منجَّذَة» من الناجذ، وهو ضِرْس الحِلْم. والنواجذ: أربعةُ أضراس، وقال بعضهم: هي الضَّواحك، محتجًّا بحديث النبيّ ﷺ: «أنه ضحك حتى بدَت نواجذُه». ويقال: نَجَّذَ فلانًا الخطوبُ، إذا أحكمتْه. وقال: [الوافر]

ونَجَّذَني مداوَرةُ الشُّؤونِ[٣]

فيقول: إنها قد جُرِّبَتْ ومُلَّ منها ومَلَّتْ. وقوله: «مثل كلب الهِرَاش» يعني في خَلْقها وخُلُقها. ومعنى «إذا هجع الناس لم تهجع»، يصفُها بأنها تمشي بالنَّمائم. ولذلك قال الآخر: [الكامل]

قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ عليهمُ حَدَجوا قَنافِذَ بالنميمةِ تَمْزَعُ[٤]

---

(١) التبريزي: «في امرأته». (٢) التبريزي: «ابنة المنتصى» بالصاد المهملة.
(٣) لسحيم بن وثيل الرياحي في اللسان (نجذ، دور، درى)، وأساس البلاغة (دور)، وبلا نسبة في اللسان (ربع). وصدره:
«أخو خمسين مجتمعٌ أشُدّي»
(٤) لعبدة بن الطيب في المفضلية رقم (١٤٧).

لأنَّ القُنفُذَ لا ينام بالليل. فيقول: هي بوشايتها تفرِّق بين الخُلَطاء، وتُقطِّع الوُصَل والأواصرَ بينهم.

ولك أن تنصِبَ «منجذة» و«مفرقة» على الحال، ولك أن ترفعهما على الاستئناف. وقوله: «وما تستطع» شرطٌ وجزاء، والمفعول محذوف، فهو كقولك: ما تُطِقْ تَفعل.

فأمّا قوله: بقول رأيتُ وقِيلِ سمعتُ، فالباء تتعلق بقوله: تَقْطَع. والمعنى أنها تُباهِتُ وتُكابِر، وتتزيّد في القول وتُجاهر، فتدَّعِي مشاهدةَ ما لا تشاهدُه، وسَماعَ ما لا تدركُه. وهذا زائدٌ على ما قاله الآخر حين نفَى هذه الطريقةَ، وهو: [الطويل]

وليست مِن اللائي يكون حديثُها ... أمامَ بُيوتِ الحيِّ إنَّ وإنَّما[1]

ورواه بعضهم:

تقول رأيتُ لما لا تَرى ... وقالت سمعتُ ولم تسمعِ

والذي رويناه أحسنُ تلاؤمًا وأقربُ.

٦ ـ فإنْ تَشرَبِ الزِّقَّ لا يُزوِها ... وإنْ تأكُلِ الشاةَ لا تَشبَعِ

٧ ـ ولَيسَت بتارِكَةٍ مَحْرَمًا ... ولو حُفَّ بالأَسَلِ الشُرَّعِ

٨ ـ ولو صَعِدَتْ في ذُرَى شاهِقٍ ... تَزِلُّ بها العُصْمُ لم تُضرَعِ

٩ ـ فبِئسَت قِعادُ الفتَى وحدَها ... وبِئسَت مُوَقِّيَةَ الأرْبَعِ

مَحْرَمًا، أيْ حَرَامًا. والحُرْمة: ما لا يَحِلُّ انتهاكُه، وكذلك المحارم. وفي المثل: «لا بُقْيَا للحَمِيّة بَعدَ الحرام» أي عند الحُرمة. وهو ذو مَحْرَم وحُرْمةٍ في القرابة. والشُرَّع: جمع شارع، ويقال: أشرَعت الرُّمحَ قِبَلَهُ فَشَرَع. وصفَها بالنميمة وشِدَّة الحِرص على تناول المحرَّم ولو انتزعَتْه من بين الأسِنَّة. ثم وصفها بالتجليح، وحُسن التنقيح، والحِذْق في التوصُّل إلى الممنوع، ولو احتاجت إلى أن تترقّى في مَصاعِد الجبال، ومدارج الهضاب المُعْجِزةِ للعُصْم.

وقوله: «فبِئست قِعَادَ الفَتَى وحْدَها» انتصب قِعَادَ ومَوَقِّيَة على التمييز، لأنه وإن كان معرفةً في اللفظ، فلا اختصاصَ فيه. ويُروَى بالرَّفع في الموضعين. فإذا نصَبْتَ

---

(١) لحميد بن ثور في ديوانه ١٨.

فهو كقولك: بئست رَبَّةَ البيت هِنْدٌ. وإذا رفَعْتَ فهو كقولك: بئست دارُ الكافرِ النارُ. وفي القرآن: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النّحل: الآية ٣٠]. والمذمومة بئست في الوجهين محذوفة. وانتَصَب «وحدَها» على المصدر. فيقول: هي مذمومة في النساء تفرَّدت أو اجتمعت مع ثلاثٍ أُخر. والقِعادُ والقَعِيدة واحدةٌ، ويقال: ليست له قَعيدةٌ تُقْعِدُه، أي امرأة تعزِّبُه، أي تزيل عُزْبَته.

وحُكِيَ أنَّ الأصمعي ألقَى على أصحابِه يومًا هذا البيت، وهو: [السريع]

واحــدةٌ أعــضَــلَكــم شــأنُــهــا فـكـيـفَ لـو قُـمْـتَ عـلـى أَرْبَـعِ[1]

أربع يعني النساء.

٦٤٧ ـ وقال بعضُ آل المهلَّب[2]: [البسيط]

١ ـ قـومٌ إذا أَكـلوا أَخـفَـوْا كـلَامَـهُـمُ واستَوثَقوا مِن رِتاجِ البابِ والدارِ

٢ ـ لا يَقبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِم ولا تُكَـفُّ يَـدٌ عـن حُـرْمـةِ الـجـارِ

معناهما ظاهر ولا إعراب فيهما. والقَبَس: الشُّعلة من النار. والقابِس طالب النار وآخذها، ويقال: قَبَسْتُ النار واقتبستها وأقبستَها وأقبسَنيها فلان. والمِقياس نحوٌ من القَبَس. والرِّتاجُ: الغَلَق. ويقال: رتجت الباب وأرتجته.

٦٤٨ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ كـاثِـرْ بِـسَـعْـدٍ إنَّ سَـعْـدًا كـثـيـرةٌ ولا تَـبْـغِ مِـنْ سَـعْـدٍ وَفـاءً ولا نَـصْـرا

٢ ـ ولا تَـدْعُ سَـعْـدًا لـلقِـراعِ وخَـلِّهَـا إذا أَمِـنَـتْ ونَـعْـتُـهـا الـبَـلَدَ الـقَـفْـرا

٣ ـ يَرُوعُكَ من سَعْدِ بن عمْرٍ وجُسُومُها وتَـزْهَـدُ فـيـهـا حِـيـنَ تَـقْـتُـلُهـا خُـبْـرا

كاثِرْ: أمرٌ من كاثرتُه، إذا غلبتَه بالكَثْرَة، ويقال: كاثرته فكثَرتُه أكثُره بضم العين. وعلى هذا يجيءُ هذا البناء، سواء كان مفتوحًا في الأصل أو مضمومًا أو مكسورًا، إلَّا أن يكون البناء معتَلاً، فإنَّه يُترك على حاله. يقال باكيته فبكَيْتُه أبكيه لا غير. وذلك لئلاً يلتبس بناتُ الياء ببنات الواو. وقولُه: «ونَعْتَها البَلَدَ القَفْرَا»، يصفُهم

(١) لذي الإصبع العدواني في ديوانه ٦٥، وكتاب العين ١:٢٧٨، وبلا نسبة في اللسان (عضل).
(٢) التبريزي: «قال دعبل: هو عبد الله بن عبد الرحمٰن، ولقبه أبو الأنوار».

بالسَّلامة في حال الأمن، وبحُسنِ تَصرفهم في فُنون القول، وأنَّ لهم المنظرَ الحسن دون المَخْبَرَ، ثم لا وفاءَ لهم في الذِّمم والعُقُود ولا نصرةَ في الدفاع عند الحروب. ومعنى يَروعُك يُعجِبك. يريد: اعطُوا البَسْطَةَ في الأجسام، فإذا خَبَرْتَهُمْ صَغَّرَهُمُ الخُبْر، فأورثَكَ الزُّهدَ فيهم.

ويقال: لي بهم خُبْرٌ وخِبْرَةٌ.

٦٤٩ ـ وقال آخر: [الوافر]

١ ـ أعارِيبٌ ذوُو فَخرٍ بإفْكٍ وألْسِنَةٍ لِطَافٍ في المَقالِ
٢ ـ رَضُوا بصِفاتِ ما عَدِمُوهُ جَهلًا وَحُسْنُ القَوْلِ مِنْ حُسْنِ الفَعَالِ

يقول: إنَّهم يفتخرون بمفاخِرَ مأفوكة مكذوبة، ولهم ألسنةٌ يلطُفون بها، ويصوِّرون الباطل من مفاخِرهم بصُورة الحق، فهم أصحابُ مَقَالٍ لا فعالٍ، وأربابُ كَذِب وزُور، لا حَقٍّ وصِدْقٍ، ولجهلهم يرضَوْن من أنفسهم ولها بأنْ يصِفُوها بما هو معدومٌ فيهم، وقَنِعُوا بحُسْن الصِّفات من أنفسهم بقولهم، وإنْ عَدِمُوا شهادةَ الأشهاد على دعواهم، اعتقادًا منهم أنَّ القولَ يغني عن الفعل، وأن الخَبر يُكتفَى به عن الخِبرة، وأنَّ الكرم في الدَّعاوِي لا في الحقائق.

٦٥٠ ـ وقال مالكُ بنُ أسماء[1]: [البسيط]

١ ـ لو كُنتُ أَحمِلُ خمرًا حِينَ زُرْتُكُمُ لَمْ يُنْكِرِ الكَلْبُ أنّي صاحِبُ الدّارِ[2]
٢ ـ لكنْ أتيتُ وريحُ المِسْكِ تَفغَمني وعَنْبَرُ الهِنْدِ مَشْبُوبًا على النَّارِ[3]
٣ ـ فأنْكَرَ الكَلْبُ رِيحِي حِينَ أبْصَرَني وكانَ يَعرِفُ رِيحَ الزِّقِّ والقَارِ

قوله: «تفغمني»، أي تسدُّ خَياشيمي وتملؤها. ويقال: الرِّيح الطيِّبة تَفغَم المزكوم. وقوله: «مشبوبًا على النَّار»، يقال: رأيتُ شَبَّةَ النَّار، أي اشتعالها، وقد

(١) مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن... الفزاري شاعر غزل لطيف، من الولاة، من أشراف الكوفة وتزوّج الحجاج أخته هند بنت أسماء (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م) ترجمته في المرزباني ٣٦٤، والشعر والشعراء ص ٣٠٤، ولسان الميزان ٥: ٢. وفي التبريزي: «وقال دعبل: بل قالها عيينة بن أسماء بن خارجة، وكان زار صديقًا له، فلما بلغ باب دار بيته شدَّ عليه كلب صديقه فعضه فقال الأبيات».

(٢) التبريزي: «يوم زرتكم».

(٣) التبريزي: «يَفغمني».

شَبَبْتُها. وتوسَّعوا فيه فقالوا: فلانة يَشُبُّها فَرْعُها، إذا أظْهَرَ بياضَ وجهِها سوادُ شعرها. وانتصب «مشبوبًا» على الحال. ومعنى الأبيات ظاهِرٌ.

٦٥١ ـ وقال آخر[1]: [الوافر]

١ ـ هجوتُ الأدْعِياءَ فناصَبَتْني ... مَعَاشِرُ خِلْتُها عَرَبًا صِحَاحا

٢ ـ فقلتُ لَهُمْ وقَدْ نَبَحُوا طَوِيلًا ... عَلَيَّ فَلمْ أُجِبْ لَهُمُ نُبَاحا

٣ ـ أمِنْهُمْ أنْتُمُ فأكُفَّ عَنْكُمْ ... وأدفَعَ عنكُمُ الشَّتْمَ الصُّرَاحا

٤ ـ وإلَّا فاحْمَدُوا رَأْيِي فإنِّي ... سَأَنْفِي عَنْكُمُ التُّهَمَ القِباحا

٥ ـ وحَسْبُكَ تُهْمَةً بِبَرِيءِ قَوْمٍ ... يَضُمُّ على أخِي سَقَمٍ جَنَاحا

هذه الطَّريقة في ذَمِّ الأدعياء غريبةٌ حسنةٌ جدًّا. وفيما قال أبو العَتَاهية في والِبَةَ بنِ الحبَابِ ما هو مُستَبدَعٌ أيضًا، وهو: [الكامل]

مـا بـالُ مَـن آبـاؤهُ عَـرَبُ الـ ... ـألْوَانِ أصْبَحَ مِنْ بنِي قَيْصَرْ[2]

أكَـذا خُـلِقْـتَ أبـا أُسـامَـةَ أمْ ... لَوَّنْتَ سَالِفَتَيْكَ بالعُصْفُرْ[3]

وأخذه أبو نواس فقال أيضًا: [الكامل]

وابنُ الحُبَابِ صليبةٌ زَعَمُوا ... ومِنَ المُحَالِ صليبةٌ أشْقَرْ[4]

ومصدر الدَّعِيِّ الدِّعوة والدِّعاوة. وناصبَتْني، أي عادَتْني؛ ويقال: ناصَبْتُ فلانًا الحربَ والعداوةَ، ونصَبنا لهم حَرْبًا. ويقال: العَرَبُ العارِبة والعَرْباءُ، أي الخُلَّص. والعرب المستعرِبَةُ: الذين دخلوا فيهم بَعْدُ.

وقوله: «عَرَبُ الألوان» مثل قولهم: سُرُوجٌ خَزُّ الصُّفَّاتِ[5].

و«عرَبًا صِحاحًا» أي صِحَاحَ الأنسابِ. والنُّباح يُستعمَل في صَوت التَّيس عند السِّفاد، وفي الهُدْهُد والظَّبْي. ويستعمل في الشَّاعر على طريق الذم. ويقال: نَبَحَه

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال إبراهيم بن هرمة».

(٢) البيتان في الأغاني ١٦: ١٤٤.

(٣) أبو أسامة: كنية والبة بن الحباب.

(٤) البيت في الأغاني منسوب إلى أبي العتاهية مع البيتين السابقين.

(٥) الصَّفّة للسرج مثل المثيرة من الرحل.

ونَبَح عليه. قال الهُذليُّ: [الطويل]

ولـو نـبـحـتْـنِـي بـالـشَّـكـاةِ كِـلابُـهـا[1]

والمراد بقوله: «لهُم نُباحًا»: لم أُجِبْ نُباحَهم. «ولهم» تبيينٌ.

وقوله: «أَمِنهُمْ أنتمُ» في موضع المفعول من قلتُ، وانتَصَبَ «فأَكُفَّ» بإضمار أن، وَهو جوابُ الاستفهام بالفاء. والصُّرَاح: الخالصُ من كلِّ شيء، وكذلك الصَّريحُ والصَّرَاحُ. ورجُلٌ صريحٌ: ضدّ هَجِينٍ، من قومٍ صُرَحاء. وخَمْرٌ صُرَاحٌ: لم تُشَبْ بمِزاج.

وقوله: «حَسبُكَ تُهمَةً» ارتفع على الابتداء، ويُكتفَى به لأنَّ فيه معنى الأمر، أي اكْتَفِ. وانتَصَب تُهمةً على التَّمييز، ومعنى الأبيات ظاهر.

٦٥٢ ـ وقال مُدْرِكٌ[2]: [الطويل]

١ ـ لقد كنتُ أَرْمِي الوَحْشَ وهيَ بِغِرَّةٍ ... وتَسكُنُ أحيانًا إليَّ شَرُودُها

٢ ـ فقد أمكَنَتْنِي الوَحشُ مُذْ رَثَّ أَسْهُمي ... وما ضرَّ وَحشًا قانِصٌ لا يَصِيدُها

٣ ـ فأعرَضْتُ عن سَلْمَى وقلتُ لصاحبي ... سواءٌ علينا بُخْلُ سَلمى وَجُودُها

جعلَ الوَحشَ كنايةً عن النساء. وإنما يذكُر أيامَ شبابِه، ووقتَ صِبَاه ولهوِه، فيقول: كنت أتعرَّض للنساء وهي مغترَّة وفي غَفلَةٍ عنّي، فأصيبُها بمحاسني وأصطادُها. والشاردةُ منها النافِرةُ من الرِّيَب تَسكُنُ إليّ وتميل نحوي وقتًا بعد وقت، وحالًا بعد حال. هذا فيما مضَى من عمري، والآنَ قد شِخْتُ فسهامي قد رَثَّت، وآلاتي كلَّت. وإنما يريد محاسنه عندَهُنّ من قبلُ، وأنها قد بارَت، وما كان يُنفِّقُه عندهنّ من نفوذِ نصالِه عِند الرِّماء فيهنّ كَلت. قال: فالوَحش تُمْكِنُني وأنا لا أرميها وتُكْثِبُ لي وأنا غافلٌ دونها. ومعنى تمكنني أنّ النساءَ تنبسط إليّ فلا تَنْقَبِضُ، وتستنيم فلا تَنفِرُ لأمْنِها من توجُّه الرِّيبة. قال: والصائد لا يَضُرُّ الوَحشَ إذا لم يَصِدْها، يعني نفسَه. وهذا الكلامُ يَجرِي مَجرى الأمثال. والمعنى أنّهنّ لا يَنفِرْن مني، وقد سَكَنَّ إليّ وأَمِنَّ رَمْيِي.

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح ديوان الهذليين ١: ٨٠ وصدره:
«ولا هـرّهـا كـلـبـي لـيـبـعـد نـفـرهـا»

(٢) التبريزي: «أو مغلّس بن حصن الفقعسي».

وقوله: «فأعرَضتُ عن سَلمَى»، يقول: تركتُ صاحبتي التي كنتُ أولَعُ بها؛ وأستلذُّ ذِكرَها، زاهدًا فيها، وقلت لقَرِيتي وألِيفي: بُخلُها وجودُها يَستويانِ عليّ مع إعراضي وضعف حاجتي، وكَلَالِ حَدِّي، وعجْز قُدرتي، وتسلُّط رَثَياتِ الشَّيب عليّ، وتمكُّنِ أبدال اللَّهو مِنّي. وقوله: «سواءٌ علينا» سواء مصدرٌ في الأصل، وقد وُصِفَ به.

٤ ـ فَلَا تَحسُدَنْ عَبسًا على ما أصَابَها ... وذُمَّ حَيَاةً قَد تَوَلَّى زَهِيدُها

٥ ـ تَشَبَّهَ عَبسٌ هاشِمًا أنْ تَسَربَلَت ... سَرَابِيلَ خَزٍّ أنكَرَتها جُلُودُها

كان الوليد وسليمان ابنا عبد الملك أمهما عبسيَّة، فارتفَعَ شأنُ بني عَبس بها، واختلَطُوا بمُدَبِّري الخِلافة وسُوَّاس الرعيّة، والذَّابِّين عن المملكة. فيقول مخاطبًا لصاحبٍ له: لا تَحسُدَنْ بني عَبسٍ على ما نالَتْه من المُلْكِ والرِّياسة، وذُمَّ زَمَانًا ساعَدَها على ذلك وأهَّلَها له، وحياةً قد تولّى زهيدُها في الشَّقاء بها، ومكابَدة الأوابد منهم فيها. والزَّهيدُ: القليلُ الخَير، ويقال: رجُلٌ زهيد وامرأة زهيدةٌ، وهما القليل الطُّعْم، يريد أنَّ أمرهم خُلْسَةٌ من خُلَسِ الدهر، وسينقطع منكَرُهُ ويعود إلى دونِ ما يجبُ له.

وقوله: «تَشَبَّهَ عَبسٌ هاشمًا»، يُقال: شبَّهتُه كذا وبكذا، وتَشَبَّه زيد بكذا وكذا. يقول: تنعَّموا بلَذّات الدُّنيا وزخارفها، وشاركُوا أربابَ الخلافة ووُلاتِها في ملابسهم التي تُنكِرُها جُلودُهم، ومَطاعِمهم التي لم تَذُقْهَا لَهَواتهم، فحدَّثوا أنفسهم بأنَّهم أمثالُهم، ووسوسَ الشَّيطانُ إليهِمْ مماثَلَةَ حالِهم لأحوالهم عند الحَفْل، وفي الخَلَوات. وقوله: «أن تَسَرْبَلَتْ» يريد: لأنْ تسربَلَتْ. كأنَّهم لمُساعَدة الأحوال لهم فَعَلُوا ما فَعَلُوا. وإنما قال: «أنكرَتْهَا جُلودُها» لأنَّها لم تعتَدْها مِن قَبْل. ومثله قولُ الآخر: [الطويل]

بَكَى الخَزُّ من عَوْفٍ وأنكَرَ جِلدَهُ ... وضَجَّتْ ضجيجًا من جُذَامَ المَطَارِفُ[1]

٦ ـ فلا تَحسَبَنَّ الخَيرَ ضَربةَ لَازِبٍ ... لِعَبسٍ إذا ما ماتَ عَنها وَلِيدُها

٧ ـ فَسَادة عَبسٍ فِي الحديثِ نِساؤُها ... وقَادَةُ عَبسٍ في القَدِيمِ عَبِيدُها

(١) لحميدة بنت النعمان في سمط اللآلي ص ١٨٠ ومعجم الأدباء ١١: ٢٠، وبلا نسبة في الكتاب ٣: ٢٤٨.

هُوَ ذا يُسَلِّي صاحبَهُ عما تداخَلَه من الغَيظ على زمانٍ بلغ ببني عَبْسٍ ما بَلَغ، فيقول: لا تظُنَّنَّ أنَّ هذه الأمورَ تَجرِي على ما تشاهدها سليمةً من الحوادث، وأنَّ الدّولة تمتدُّ لبنِي عبسٍ وتَصِير كالواجب لها، بريئةً من الصَّوارفِ، نقيَّةً من الشوائب؛ فإنَّ كلَّ ذلك بعَرَضِ الزَّوال والتغيُّر، متى مات مَن تقدموا به، وهو الوليد بنُ عبد الملك.

وحُكِيَ عن الحُضَيْن بن المُنذِر أنّه قال لبعض بني عَبْسٍ وقد تنازعا في شيء: «إنَّما أنتم يا بني عَبْسٍ بِحِرٍ، فإن ابتلَّ ابتللتم، وإن يَبِس يبستم».

وقوله: فسادةُ عَبسٍ نساؤُها، يعني أمَّ الوليد والمتَّصلاتِ بها. هذا في الحديث زَعَم. قال: وفي القديم كانوا بالعبيد، يعني به عَنترةَ بنَ شَدّاد، لأنّه عَبْسِيٌّ، وكان هجينًا، ولذلك قال: [الكامل]

إنّي امرُؤٌ من خَيْر عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِي وأَحْمِي سَائري بالمُنْصُلِ[1]

وقال أيضًا: [الرجز]

أنا الهَجِينُ عَنْتَرَهْ كلُّ امرِئٍ يَحْمِي حِرَه
أسودَهُ وأحمَرَه[2]

وهو أحَدُ الفُرسانِ الذين جلَّ أمرُهم، وعظُم شأنُهم.

٦٥٣ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ أقولُ حِينَ أرى كَعْبًا ولِحْيَتَهُ لا بَارَكَ اللهُ في بِضْعٍ وسِتِّينِ

٢ ـ مِنَ السِّنِينَ تَمَلَّاهَا بِلَا حَسَبٍ ولا حَيَاءٍ ولا قَدْرٍ ولا دِينِ

أجْرَى جمعَ السلامة في أن أعرب آخِرَهُ مَجرى جموع التَّكسير، وقد جاء ذلك كثيرًا. على هذا قولُ الآخر: [الوافر]

وقد جاوزْتُ حَدَّ الأربَعِينِ[3]

(١) لعنترة في ديوانه ٢٤٨، واللسان (ضمر)، وتاج العروس (ضمر، نصل).
(٢) الرجز لعنترة في ديوانه ٣٢٩، وبلا نسبة في اللسان (حرح).
(٣) هذا عجز بيت لسحيم بن وثيل الرياحي في إصلاح المنطق ١٥٦، واللسان «نجذ، وربع، دري» وصدره:

«وماذا تبتغي الشعراءُ منّي»

وقوله: [البسيط]

وابـنُ أَبِـيِّ أَبِـيٍّ مِـن أَبِـيِّـيـنِ[١]

وقوله: «من السِّنين» تعلّق بقوله في بِضعٍ. والبِضْعُ مُختلفٌ فيه، فمنهم مَن يقول: يتناول ما بين الثّلاثة إلى العشرة كُلّه، ومنهم مَن يجعله متناوِلًا للنّصف من ذلك. والأوّل هو الصحيح. وقيل في قوله: ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الرُّوم: الآية ٤] إنّها سبعة، وقد حُكِيَ الفتحُ في الباء منه أيضًا، وأصله من القَطْع.

وقوله: «تَمَلَّاها» عاش مُلَاوَتَها. والمَلاوَةُ تُكسر مِيمهُ وتُضَمّ. ومنه المَلِيُّ من الدَّهر، وقولُهُم: تملَّيْتُ حَبِيبًا.

٦٥٤ ـ وقال عُوَيْفُ القَوَافِي[٢]: [الطويل]

١ ـ وما أُمُّكُمْ تَحتَ الخَوَافِقِ والقَنَا ... بِثَكْلَى ولا زَهْرَاءَ من نِسْوَةٍ زُهْرِ

٢ ـ أَلَسْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لِوائِهِمْ ... وأكثَرَهُمْ عِنْدَ الذَّبيحَةِ والقِدْرِ

وصفهم بأنّهم يتصوّنون، فلا يبتذلون أنفسَهم في الحروب، فأمّهاتهم تَثْكلهم تحتَ الأعلام إذا خفقَت، والرّماحِ إذا أُشرِعت. وقوله: «ولا زهراءَ»، أي ليست هي بكريمةٍ في نفسها. وهذا ضدُّ قول الآخر: [المنسرح]

أُمُّـكَ بـيـضـاءُ مـن قُـضـاعَـةَ[٣]

يريد بياض الكَرَم لا بياضَ اللون.

وقوله: «ألستم أقلّ النّاس»، ويقرِّرُهم على لؤمهم وتأخرهم في الحروب، وقلّتهم عِند خَفْق البنُود، وعند عقدها للرِّياسات؛ وعلى أنّهم يَكثُرون في المآدب، ويتزاحمون على الذّبائح. وإنّما يُقرَّر بأَلَيْس وبأَلَمْ وما أشبهه في الواجب، لأنَّ

---

(١) لذي الإصبع العدواني في خزانة الأدب ٨:٦٦، واللسان (أبي)، وشرح المفصل ٥:١٣، وصدره:

«إنـي أَبِـيٌّ أَبِـيٌّ ذو مـحـافـظـةٍ»

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٧٢).

(٣) لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ١٤، وتاج العروس (بيض)، وبلا نسبة في اللسان (بيض)، وتمامه:

«أمّـك بـيـضـاءُ مـن قـضـاعـة الـ ... ـبيتِ الذي تستظلُّ في طُنُبِهْ»

الاستفهامَ كالنَّفي، والنَّفيُ إذا دخلَ على النَّفي صار واجبًا، وقد مرَّ الكلامُ فيه فيما تقدَّم.

٦٥٥ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ونُبِّيتُ رُكْبَانَ الطَّرِيقِ تَنَاذَرُوا عَقِيلًا إذا حَلُّوا الذِّنَابَ فَصَرخَدا

٢ ـ فَتًى يَجْعَلُ المَحْضَ الصَّرِيحَ لبَطْنِهِ شِعَارًا ويَقْرِي الضَّيفَ عَضبًا مُهَنَّدا(١)

قوله: «تناذروا»، أي أنذر بعضُهم بعضًا، وموضعه من الإعراب نصبٌ على أن يكون مفعولًا ثالثًا لنبِّئْتُ. والذِّناب وصَرْخَدٌ: موضعان. والمعنى أنَّ السَّفر والسَّابلةَ والمارَّةَ قد عَرَفوا عقيلًا بالغَدر والخِيانة، والطَّمعِ في مال الضَّيف والجار والحَليف، فإذا نَزَلوا هذين الموضعَين وهما مما يقارِبُ محلَّ عَقِيلٍ ومأواه، حذَّر بعضُهم بعضًا، وتواصَوا بالاحتراز منه، ثم قال: هو فتًى يملأ بطنَه من خالص المحض، فالمحضُ شِعارُ بطنه، يليه ويَشحَنه ويلتَبِس به، ويُعِدُّ لقِرَى ضَيْفِه سيفًا قاطِعًا. والأصل في الشِّعار ما يَلِي الجَسَدَ من الثياب، ثم تُوُسِّعَ فيه فقيل: أشعرَ قلبي هَمًّا أي أبطَنَهُ. وحكى بعضُهم: هَنَّدتُ السَّيفَ: شحذته وأحددتُه. والمشهور نسبته إلى هِنْدٍ.

وقد استَعمَلَ القِرَى على هذا غيرُه فقال، وهو أبو وَجْزَةَ: [البسيط]

ذاكَ القِرَى ولا قِرَى قَوْمٍ رأيتُهُم يَقْرُونَ ضَيْفَهُم الملويَّةَ الجُدُدَا(٢)

يَعني السِّياط.

٦٥٦ ـ وقال آخر: [الوافر]

١ ـ أنَاخَ اللُّؤْمُ وَسْطَ بَنِي رِيَاحٍ مَطِيَّتَهُ فأقْسَمَ لا يَرِيمُ

٢ ـ كَذَلِكَ كلُّ ذِي سَفَرٍ إذا ما تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ مُقِيمُ

يقال: أَنَخْتُ البعير فبرك، ولا يقال فناخَ. وهذا من باب ما استُغني به عن غيره، ومعنى لا يريم لا يبرح.

وقوله: «كذلك» في موضع الحال، لأنَّ «كلُّ ذي سَفَرٍ» مبتدأٌ، ومُقيمٌ خَبَرُهُ، كأنه قال، وكلُّ مسافر إذا ما انتهى إلى غايته يُلْقِي عَصَاهُ، ويَحُطّ رَحْلَهُ. كذلك، أي مثل إقامة اللُّؤم فيهم.

---

(١) التبريزي: «عضبًا مجرّدًا».

(٢) في الكامل ١٠٧ (ليبسك).

وهذا المعنى قد نقله البحتُرِيُّ إلى المدح فيهم: [الكامل]

أوَ ما رأيتَ المجدَ ألقى رحْلَهُ ... في آلِ طلحةَ ثم لم يتحَوّلِ

٦٥٧ ـ وقال آخر: [الوافر]

١ ـ إذا بَكْرِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلامًا ... فَيَا لُؤمًا لِذَلِكَ مِنْ غُلَامِ

٢ ـ يُزَاحِمُ في المآدِبِ كُلَّ عَبْدٍ ... ولَيْسَ لَدَى الْحِفَاظِ بِذِي زِحَامِ

قوله: «يا لُؤمًا» لفظه لفظ النّداء والمعنى معنى التعجُّب، أي ما أشَدَّه من لؤم. ومثله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: الآية ٣٠]، وقولُ الشّاعر: [الطويل]

فيا شاعِرًا لا شاعِرَ اليومَ مثلَهُ ... جريرٌ ولكن في كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ[1]

وقوله: «يُزاحم في المآدب» يشبه قول عُوَيف: [الطويل]

ألَسْتُمْ أقلّ النّاس عند لوائِهِم ... وأكثَرَهُمْ عند الذّبيحةِ والقِدْرِ[2]

وإن كانَ زاد عليه لمّا جَعَل مزاحمتَه على الطّعام مع العبيد. وقوله: «من غُلَامِ» أي لذلك الغُلام من بين الغِلْمانِ. وواحد المآدِب مأدُبة، والفِعْلُ منه أَدَبْتُ.

٦٥٨ ـ وقال آخر: [الوافر]

١ ـ رِدِي ثُمّ اشْرَبِي نَهَلًا وعَلًّا ... ولا يَغْرُرْكِ أقوالُ ابنِ ذِيبِ[3]

٢ ـ فلو كانَ القَلِيبُ على لِحَاهُمْ ... لأَسْهَلَ وَطْؤُها شَفَةَ القَلِيبِ

يشجعها على الورود والصَّدَر، وشرب العلل بعد النَّهَل. وعلى ألّا تحتفل بتهدُّد ابنِ ذئبٍ وإرعادِهِ وإبراقِهِ، فإنّه قولٌ لا فِعلَ معه، وقعقعةٌ لا وَقْعَ بَعْدَها. وكانَ التّخاصُمُ في بئر، فلذلك قال ما قال.

وقوله: «فلو كان القَلِيب على لِحَاهم» استخفافٌ بهم وإهانة. ومعنى أَسْهل: وجدَها سهلًا، ويعني بوطئها وَطءَ الإبل، ولم يَجرِ لها ذكر، ولكنّ المرادَ مفهوم: والمعنى: كانت تَجِدُ حَرفَ البئرِ سهلًا لا حَزْنًا. يقول: لو كان موضع البئر

---

(١) للصلتان العبدي في خزانة الأدب ٢:١٧٤، والشعر والشعراء ١:٥٠٨، والكتاب ٢:٢٣٧، واللسان (كرب).

(٢) البيت الثاني من الحماسية رقم (٦٥٤). (٣) التبريزي: «ولا تغررك».

لِحَاهُم ما جَسَروا على المنع، ولا على التَّمانع، ولا كان يتعقَّب ورودَها إنكارٌ ولا وَبال.

٦٥٩ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ إنْ تُبغضوني فَقَدْ أَسْخَنتُ أعيُنَكُمْ وقَدْ أتيتُ حَرَامًا ما تَظُنُّونَا

٢ ـ وقد ضَمَمْتُ إلى الأحْشَاءِ جَارِيَةً عَذْبًا مُقَبَّلُهَا مِمَّا تَصُونُونَا

يقول: لا مَلَامَ عليكم في بَغضائكم لي، فقد نِلْتُ منكم ما استحققتُ به ذاك. وانتَصَب «حرامًا» على الحال من أتيتُ، وما تظُنّونا في موضع المفعول، والضمير العائد من الصِّلة محذوف. وقوله: «مما تصونونا» ولم يَقُل ممَّن، لأن القَصْد إلى الجنس و«ما» للصِّفات والأجناس ولما دون النَّاطِقين. فأمَّا قولُه «تظنُّون» فيجوز أن يكون من غالب الظَّنّ، ويجوز أن يكون من اليقين.

٦٦٠ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ يا قَبَّحَ اللهُ أقوامًا إذا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيرَةَ رَهْطَ اللُّؤْمِ والعَارِ

٢ ـ قَومٌ إذا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلجُوا في سَوْءَةٍ لم يُجِنُّوها بأسْتَارِ

المنادَى في قوله: «يا قَبَّحَ الله» محذوف، كأنّه قال: يا قوم، أو يا نَاسُ قبَّح الله أقوامًا، أي أبعدَهم الله. و«بني عُمَيرة» انتصَبَ على البدل مِن أقوامًا، والمعنَى في قوله: «إذا ذُكِروا» أيَّ وقتٍ ذُكِرُوا فأبعدَهُم الله. و«رَهطَ اللُّؤم» انتصَبَ على الذمّ والاختصاص، والعامل فيه فِعلٌ مُضمَرٌ، كأنّه قال: أذكُر رَهطَ اللُّؤمِ.

وقوله: «قومٌ» ارتفَعَ على أنّه خبر المبتدإ، أي هم قوم إذا خَرجُوا مِن سَوءةٍ ومَخْزِيَةٍ، أي من اكتسابهما وفِعلهما، دخَلُوا في مِثلِها أو أسوأَ منها وأُخرى لا يتستَرون فيها ولا يسْتَحيون منها.

٦٦١ ـ وقال آخر يَهجُو الحَضَرِيَّ ويَمْدَح البدويّ: [السريع]

١ ـ جَوَّابُ بَيْدَاءَ بِهَا عَزُوفُ[1]

(١) التبريزي: «عزوف: يقال: رجل عزوف وعزوفة وعزيف، أي عازف».

٢ ـ لا يـأكُـلُ الـبَـقْـلَ ولا يَـرِيـفُ
٣ ـ ولا يُـرَى فـي بَـيْـتِـهِ الـقَـلِيـفُ
٤ ـ إلَّا الـحميتُ الـمُـفْعَم الـمكشوفُ
٥ ـ لـلجـارِ والـضَّـيْـفِ إذا يَـضِـيـفُ
٦ ـ والـحَضَـرِيُّ مُـبْـطَـنٌ مَـعْـلُوفُ(١)
٧ ـ لِلْفَـسْـوِ فِـي أثْـوَابِـهِ شَـفِـيـفُ
٨ ـ أَغْـجَـبُ بَـيْـتَـيْـهِ لـه الـكَـنِـيـفُ
٩ ـ أوطَـايَـةٌ مُـبْـقِـلَـةٌ وسِـيـفُ(٢)

قوله: «جَوَّابُ بيداء» يصف به البدوي، أي قطَّاع المَفاوز بليغ المعرفة بها. ويقال: رجل عَرُوفٌ وعَرُوفَةٌ وعَرِيفٌ، أي عَارِفٌ. ويقال من العِرْفِ بكسر العين، وهو الصبر: عارِفٌ وعَرُوفٌ أي صَبُورٌ؛ فيجوز فيه الوجهان. ويُروَى: «جَوَّابُ بيد أَيِّهٌ عَرُوفُ»، والأَيِّهُ: الصَّيِّت المتيقظ الحيُّ القلبِ والنَّفس: والبِيد: جمع بيداء.

وقوله: «لا يأكل البَقل»، أي هو قَوِيٌّ صُلْبُ العُروق، لأنَّ البقول تَرخِي الأعصاب. و«لا يريف» أي لا يدخل الحَضَر. والرِّيفُ: الخُضرة. وقال الدُّرَيْديّ: الرِّيف: ما قَارَبَ السَّوادَ من أرض العرب، والجميع أريافٌ ورُيُوف. وتَرَيَّفَ القومُ ورافوا: دَنَوْا من الرِّيف.

وقوله: «ولا يُرَى في بيتهِ القليفُ» أي طعامُه طعام البدويِّين: اللبنُ والتَّمر، لا الخُبز. وقُلَافَةُ الخُبز وقَليفُه: الذي يَلزَق منه بالتَّنُّور.

وقوله: «إلا الحَمِيتُ» بدلٌ من القَليف، وهو نِحْيُ السَّمْن. والمُفْعَم: المملوء. وجَعَلَهُ مكشوفًا للجار والضَّيف ليدلَّ على سَخائه بما فيه، ولا سِتْرَ عليه ولا حجابَ دونه، فاللام مِن قوله للجَار يتعلق بالمكشوف.

وقوله: «والحَضَرِيُّ مُبْطَنٌ مَعلُوف»، أي يُطيعُه ما يأكُله، ويَرتَع فيه فيَنهَمُ فيه ويتجاوز حدودَ أكلِ النَّاس حتَّى يصيرَ معلوفًا كما تُعلَف الدّوابُّ للسِّمَن. والمُبْطَن: المُوسَعُ البَطْن. وقد بَطِن بَطَنًا، أي عَظُم بَطْنُه، وأصابته البِطْنَةُ. وفي المَثَل: «البِطْنة

---

(١) التبريزي: «بطنه معلوف». (٢) التبريزي: «أوطانه».

تُذهِبُ الفِطنة»، أي كثرةُ الأكلِ تُحدِث البَلادة، ورجلٌ بطينٌ ومِبْطَان: عظيم البَطْن. والمُبطَّن: الخَمِيص البطن. قال: [الكامل]

فـأتَـتْ بـه حُـوشَ الـفـؤادِ مُـبَـطَّـنـا[1]

وقال مُتمِّمُ: [الطويل]

فتًى غيرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ أرْوَعَا[2]

والشَفِيف: بَرْد ريحٍ في نُدُوَّةٍ، واسمُ تلك الرِّيح الشَّفَّانُ.

وقوله: «أَعْجَبُ بَيْتَيْه» أي الذي يأكل فيه والذي يُحْدِثُ فيه. والكَنيفُ جعلَه أعجبَ إليه لكثرة اطِّيافه.

والطايةُ: الأرض الفضاء الواسعة. والسِّيفُ: ساحل البحر. وأبْقَلَ المكانُ: كثُر بَقْلُه.

٦٦٢ ـ وقال رِبْعان: [الطويل]

١ ـ إذَا كُنتَ عَمِّيًا فكُنْ فَقْعَ قَرْقَرٍ   وإلَّا فكُنْ إنْ شِئتَ أَيرَ حِمَارِ[3]

٢ ـ فما دَارُ عَمِّيٍّ بِدَارِ خَفَارَةٍ   ولا عَقْدُ عَمِّيٍّ بعَقْدِ جِوَارِ

يعني بالفَقْعِ الكَمْأة. ويضربُ المثل بهذا في الذُّلّ فيقال: «أذَلُّ مِنْ فَقْعٍ بِقَاعٍ»[4]، وذلك لأنه يَجْتَنيها من يشاء، وأضافَهُ إلى قَرْقَرٍ منبتِه. ويقال: قاعٌ قرقر، أي مستوٍ. وأتى بالصِّفة لأنَّ المرادَ مفهوم، والمعنى: إذا كنتَ عمِّيًا فكنْ ذليلًا كالفَقْع، أو شيئًا يُتحامَى ذكره ومنظرُه كذلك العُضو. وأخفرتُه، إذا نقَضْتَ عهدَه. والمعنى ظاهر. وجعل لا من قوله: «ولا عَقْدُ» بدلًا من ما، ولذلك أدخلَ الباء في بعَقْدِ.

(١) لأبي كبير الهذلي في جمهرة اللغة ٣٦٠، وخزانة الأدب ٨: ١٩٤، وشرح أشعار الهذليين ٣: ١٠٧٣، والشعر والشعراء ٢: ٦٧٥. وعجزه:
«سُهُدًا إذا ما نامَ ليلُ الهوجلِ»

(٢) لمتمم بن نويرة في ديوانه ١٠٦، واللسان (بطن، ردى)، وجمهرة أشعار العرب ٧٤٨. وصدره:
«لقد كفَّن المنهال تحت ردائه»

(٣) العَمِّيّ: نسبة إلى بني العمّ، وهم بنو مرة بن مالك بن حنظلة (اللسان عمم).

(٤) «الفقع: ضرب من أردأ الكمأة، ويشبّه به الرجل الذليل فيقال: هو فقع قرقر، ويقال أيضًا: أذل من فقع بقرقر، لأن الدوابّ تنجله بأرجلها» (اللسان فقع).

٦٦٣ ـ وقال آخر: [الوافر]

١ ـ أُرَانِي فِي بَنِي حَكَمٍ غَرِيبًا عَلَى قُتُرٍ أَزُورُ ولا أُزَارُ
٢ ـ أُنَاسٌ يَأكُلونَ اللَّحْمَ دُونِي وتَأتِينِي المَعَاذِرُ والقُتَار

قولُه: «على قُتُرٍ» أي على حرف. ويقال: قُتْرٌ وقُتُرٌ. يقول: ليس فيهم تمكنٌ، لغُربتي. والقُتُر والقُطر والحَرْف والجانب تتقارب. وقد استعمل الحرف استعمال القُتُرِ، بل هو أشهر في هذا المعنى، وأكثرُ تصرُّفًا، يقال: هو على حَرْفٍ من أمْرِه، أي انحراف، وانحرفَت بهم دُنياهم، وما لي عن كذا مَحْرَفٌ، أي مَصرِفٌ ومُنتَحًى، وفي القرآن: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ [الحج: الآية ١١]: وإنما وصفهم بأنّ من جاورهم يسيئون عِشرتَه ولا يروْن له ما يَراه لهم مِن قضاءِ ذِمَامٍ، وإيجاب حق، بل يطَّرحونه ويُهملونه. وقوله: «وتأتيني المعاذرُ»، أراد ريح عَذِراتهم وأفنيتهم، فحذف المضاف. «والقُتار»، أي وتأتيني ريحُ اللحم المشويّ. وقيل في المعاذِر: إنها جمع مَعذِرة. والأوّل أبلغ. والعاذر والعاذرة والعَذِرَةُ: الحَدَث، وقد أَعْذَرَ، أي أحدث. ويرتفع أناسٌ على أنه خبر مبتدإٍ محذوف، كأنّه أراد: هم أُناس، وقد وُصِفوا بجملتين. وقد كان يجب أن يقول: وتأتيني المعاذِر والقُتارُ منهم، فحذف الضمير، ويجوز أن يكون «وتأتيني» على الاستئناف.

٦٦٤ ـ وقال آخر: [الوافر]

١ ـ ما إنْ في الحَرِيش ولا عُقَيلٍ ولا أولادِ جَعْدَةَ مِنْ كَرِيم
٢ ـ ولا البُرْصِ الفِقَاحِ بَنِي نُمَيرٍ ولا العَجْلَانِ زائِدَةِ الظَّلِيمِ
٣ ـ أُولئكَ مَعْشَرٌ كبَنَاتِ نَعْشٍ رواكِدَ لا تَسِيرُ مع النُّجومِ

يعني بزائدةِ الظَّليم الخُفّ، لأنّه لا يكون للطّير. أي هم زيادةٌ في النَّاس بمنزلةِ تلك الزائدة في الظَّليم.

وقوله: «أولئك معشرٌ كبناتِ نعش»، يريد أنّهم لا ينهَضون لاكتساب مكْرُمَةٍ. ولا يقومون لاجتلاب مَنْقَبَةٍ، فهم لا خيرَ فيهم يلزمون مضاجِعَهم كَسَلًا وقِصرَ همةٍ، ورِضًى بأدنى الهِمَّتين وأسقطِ العيشتَيْن. والعرب تسمِّي مَن كان كذلك ضاجِعًا وضُجْعِيًا وضُجَعَة. وبنات نعشٍ ليستْ من النُّجوم السَّيَّارة، فلذلك شبَّهَه بها.

٦٦٥ ـ وقالَ رجلٌ من بني جَرْمٍ[1]: [الوافر]

١ ـ دَلَفْتُ إلى صَمِيمِكَ بالقَوَافِي عَشِيَّةَ مَحْفِلٍ فَهَتَمْتُ فاكا
٢ ـ وصَدَّقَ ما أقُولُ عَلَيكَ قومٌ عَرَفْتَ أباهُمُ ونَفَوْا أباكا

الصَّميم: الخالصُ من النَّسب والفخر. وجعل له ذلك على طريق الهُزْء، فهو كقول الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: الآية ٤٩]. يقول: ما كان مِن حسَبِك خالصًا، ومن نسبِك صَافِيًا لا شَوْبَ فيه ولا لَبْسَ دونَه، أبطلتُه بقَوافيَّ، وزيَّفتُه حينَ اختلفنا في المَجمَعة بمرامِيَّ، فهتَمْتُ أسنانَك، وأخرسْتُك في دَعاوِيك. والهِتْمُ: كسْر الثَّنيَّة من الأصل، وجعَلَ الفمَ كنايةً عن الأسنان. أي جعلتُك بحيثُ لا مَعَضَّ لك، ومَشهَدُنا مشهود، وأهلُ التمييز حضورٌ، وصَدَّقَني مَن له القِدْمَةُ والسّابِقة عليك، وأنت تعرفهم وتَعرِف أوّلِيَّتهم، وهم ينكرون سلَفَك، ويُبطِلون دعاويَك.

٦٦٦ ـ وقال زِيادُ الأعْجَم[2]: [الطويل]

١ ـ ومَنْ أنتُمْ إنّا نَسِينا مَنَ انْتُمُ وريحُكُمُ مِنْ أيِّ ريحِ الأعاصِرِ
٢ ـ وأنتُمْ أُولَى جِئْتُم مَعَ البَقْلِ والدَّبا فَطارَ وهَذا شَخْصُكُم غَيرُ طائرِ
٣ ـ فلَمْ تَسْمَعُوا إلّا بمَنْ كانَ قَبْلَكُم ولم تُدرِكُوا إلّا مَدَقَّ الحَوافِرِ

قوله: «إنا نسينا مَن أنتم» يجوز أن تجعل مَنْ استفهامًا، وقد كرَّره، وعَلَّقَ نسينا قبله، وإنْ لم يكن من أفعال الشَّكّ واليقين، لأنّه أجراه مَجرى نقيضِه، وهو عَرَفْتُ وذَكَرْتُ؛ وهم يجرون النظير مَجرى النّظير، والنَّقيضَ مَجرى النَّقيض. وقد مرَّ له نظائر. ويجوز أن نجعل مَنْ بمعنى الذي. وقد حُذِفَ صلتُه، كأنه قال: إنّا نسينا الذين هم أنتم. والأوّل أوجَهُ. ونظيرُ الأول عند أصحابنا البَصريِّين قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾ [الكهف: الآية ١٢]. وفي باب الذي قوله تعالى:

---

(١) التبريزي: «... لزياد الأعجم، وقيل إنه لزياد الأعجم».
(٢) زياد بن سليمان الأعجم، أبو أُمامة العبدي مولى بني عبد القيس، من شعراء الدولة الأموية، جزل الشعر، فصيح الألفاظ كان في لسانه عجمة فلقّب بالأعجم، وكان هجّاءً. (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمته في الشعر والشعراء ١٦٥، وتاريخ الإسلام ٤:١١٣، وطبقات فحول الشعراء ٥٥١.

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٤] لأنَّ المعنى مَن هو أحسن. وقوله: «مِن أيِّ ريحِ الأعاصر»، والأعاصر: جمع الإعصار، وهو الغُبار السَّاطع المستدير، وفي المَثَل: «إنْ كنتَ ريحًا فقد لاقيتَ إعصارًا». وإنَّما خَصَّها بالذِّكر لأنَّها تَسُوقُ غَيْثًا، ولا تَدُرُّ سَحابًا، ولا تُلْقِحُ شَجَرًا، فضُرِبَ المثَلُ بها لقلَّة الانتفاع بهم. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

وأنتَ على الأدنى شَمالٌ عَرِيَّةٌ ... شآمِيَةٌ تَزْوِي الوُجوهَ بَلِيلُ(١)

وهم يجعلون الرِّيح كنايةً عن الدَّولة، فيقال: فلانٌ هَبَّتْ له ريحٌ، فكأنه جعل دولتهم لا تُجدى ولا تردّ نفعًا، بل تُتْوِي وتجرّ شَرًّا، وقوله: «وأنتم أُولَى جئتم»، يريد الذين جئتم مع البَقْلِ. والمعنى أن شَرَفكم حديث.

ومثله قول الآخر: [الطويل]

تموتُونَ هَزْلَى في السِّنين وأنتُمُ ... أساريعُ تحيا كُلَّما نبتَ البَقْلُ

وقوله: «فطارَ وهذا شخصُكم غير طائ؛ تضجُّر بهم وتعجُّب من بقائهم، وعَتْبٌ على الزمان في استبقائهم».

وقوله: «فلمْ تَسمَعوا إلّا بمن كان قبلكم» يريد أنَّ كلَّ من يُذكَر لكم وعِنْدَكم فهو سابِقٌ لكم، مقدَّم عليكم بالزمان والفَضْل، فأنتم على السّاقةِ لم تُدْرِكوا ممَّن أَحْرَزَ قصباتِ السَّبْقِ إلَّا مَدَقَّ الحوافر، ومواطىء الأقدام. جَعَلَهُمْ فَسَاكِلَ، ومتأخِّرين عند الفضائل.

٦٦٧ ـ وقال عَمْرو بنُ الهُذَيل(٢): [الطويل]

١ ـ نحنُ أقمنا أمْرَ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ ... وأَنْتَ بِثَأْجٍ ما تُمِرُّ وما تُحْلي(٣)

٢ ـ وما تَستَوِي أحْسابُ قَوْمٍ تُوُرِّثَتْ ... قديمًا وأَحسابٌ نَبَتْنَ مع البَقْلِ

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٨٠، واللسان (رزغ).

(٢) التبريزي: «... العبدي: وقال أبو رياش: هي لرجل من بني عجل».

(٣) قبله عند التبريزي:

«لا ترجُ خيرًا عند باب ابن مِسمعٍ ... إذا كنتَ من حيَّيْ حنيفةَ أو عجلِ

يخاطب مالك بن مسمع حين فرّ أيام العصَبية فنزل ثاجًا حتى انجلت العصبية».

ثَأْجٌ: اسم ماءٍ. وما تُمِرُّ وما تُحْلي، أي لا تأتي بحُلْوٍ ولا مُرٍّ. يصف عَجزَه وضَعفَه، وقُعودَه عن المعونة أوَانَ الحاجة. وقول زُهَير: [الطويل]

عَلَى صِيرِ أَمْرٍ ما يُمِرُّ وما يَحْلُو(١)

فأمَرَّ فيه بمعنى صار مُرًّا. ويقال في هذا مَرَّ أيضًا. وقولُهم في المَثَل: «ما أمرَّ فلانٌ وما أَحْلَى» فهو مِثلُ المعنى الذي في البيت. والمعنى: ما أتَى بحُلوٍ ولا مُرٍّ. ومرادُ الشّاعر في هذا البيتِ ظاهر، وهو المعنى المتقدِّم.

وقوله: «وما تستوي أحسابُ قومٍ» تستوي بمعنى تُساوِي وتُمَاثِل، وقد يكون استَوَى بمعنى استعلَى. على ذلك قولهم: [الرجز]

قد استَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ(٢)

٦٦٨ ـ وقالت كَنْزَة في مَيَّةَ(٣): [الطويل]

١ ـ ألَا حَبَّذَا أَهلُ المَلَا غيرَ أنَّهُ ... إذا ذُكِرتْ مَيٌّ فلا حَبَّذَا هِيَا

٢ ـ عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِن مَلَاحَةٍ ... وتَحْتَ الثِّيابِ الخِزيُ لو كانَ بادِيا

٣ ـ ألَمْ تَرَ أنَّ الماءَ يُخلِفُ طَعْمُه ... وإنْ كانَ لَونُ الماءِ في العَينِ صافيا(٤)

٤ ـ إذا ما أتَاهُ وارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ ... تَوَلَّى بأضعافِ الذي جاء ظَامِيا

٥ ـ كذلِكَ مَيٌّ في الثِّيابِ إذا بَدَتْ ... وأثوابُها يُخْفِينَ مِنْها المَخَازِيا

٦ ـ فَلَوْ أنّ غَيلانَ الشَّقِيَّ بَدَتْ لَهُ ... مُجَرَّدَةً يومًا لما قالَ ذَا ليا

٧ ـ كَقَولٍ مَضَى مِنْهُ ولكنْ لَرَدَّهُ ... إلى غَيرِ مَيٍّ أو لأضْبَحَ سَالِيا

(١) لزهير في ديوانه ٩٦، واللسان (صير)، وإصلاح المنطق ٢٧، وصدره:
«وقد كنت من ليلى سنينَ ثمانيًا»

(٢) الرجز للأخطل في تاج العروس (سوا) وليس في ديوانه، وبلا نسبة في اللسان (سوا) ورصف المباني ٣٧٢، وبعده:
«من غير سيفٍ ودمٍ مهراقِ»

(٣) التبريزي: «كنزة أم شملة المنقري في ميّة صاحبة ذيّ الرمة، وقيل: هي لذي الرمة، وذلك أنه كان يشبّب بميّة وكانت من أجمل الناس ولم تره قط، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة أول ما تراه، فلما رأته رأت رجلًا دميمًا أسود، فقالت: واسأتاه، فقال ذو الرمة فيها الأبيات». وقد سبقت ترجمة كنزة في الحماسية (٢٤٠).

(٤) التبريزي: «لون الماء أبيضَ صافيًا».

قوله ذا من لفظة «حبّذا» أُشِيرَ به إلى الشَّيء، وهو مع حَبَّ بمنزلة الرجل مِن نِعْم الرَّجل، إلّا أنّه أُجْرِي معه مَجْرَى الأمثال، لا يغيّرُ ولا يُفْصَلُ بينهما. والمعنى: محبوبٌ في الأشياء أهل الملا غَيْرَ مَيّ، فإنّها إذا ذُكِرتْ لا تستحقُّ مدحًا ولا اختصاصًا، ولا ثناءَ ولا إطراءَ، فلا تُعْطَى هذا القولَ، ولا تُذْكَرُ عند الدُّعاء بالسُّقيا، ولا تَدخُل عند الحمد أو الحُبّ في الذِّكرى. وقولها: «فلَا حبَّذا هي» جَعَل أَلِفَ ذا على انفصالها تأسيسًا، لأنّ الرَّوِيَّ من اسم مُضْمَر وهو هِيَ.

وقولها: «على وجهِ مَيّ مَسْحَةٌ» تريدُ أنّ ظاهِرَها حَسَنٌ، كأنّ الله عزّ وجلّ قد مسّها بالجمال مَسْحًا، ويكون أصله من المَسْح باليد، وقد استُعمِل في الدُّعاء فقيل للمريض: مَسَح الله ما بكَ من علّة، وقيل أيضًا: هو ممسوح الوَجه أي مستوِي الخِلْقة. وقولها: «وتَحتَ الثّياب الخِزْي» تريدُ أنّ ما سِوَى المعارِي منها ممّا هو مُوَارًى من بَدَنها، ومَسْتُورٌ بثيابها، قبيح. وقولها: «لو كان باديًا» جواب لو مُقَدّمٌ عليه. أرادت: لو ظَهَر الخافي منها كان خِزْيًا. ثم شبَّهَتْها بالماء يتناهَى صفاؤه ولونه، ويَتراءى للنّاظر زُرْقَتُه، ويُحْسَبُ عَذْبًا سَلسالًا فإذا هو مِلْحٌ أُجاجٌ، حتّى إذا ورَدَه الواردُ فنَظَر إليه صار كأنه يَعِدُه من نفسه بظاهِرِه عُذُوبةً، فإذا طَعِمَهُ يُخْلِفُ ولا يَفِي، بل يُعطيه مرارةً. هذا إذا رُوِي «يُخْلِفُ» لأنّه من الخُلْف في الوعد، وقد رُوِي «يَخْلُفُ» فيكون من الخُلُوف: التّغيُّر. وفي الحديث «خُلُوفُ فَم الصّائِم أطيَبُ عند الله مِنْ رِيح المسك» والمراد أنّ ظاهرَ هذه المرأة كظاهر هذا الماء، وباطنَها كباطِنِه فكما أنّ وارد هذا الماء وقد اضطرّه العَطَشُ وساقَهُ حرارةُ الجَوْف والغُلّة يَصدُر عنه وقد تضاعَفَ ظمؤُه وتزايدت حِرَّتُه، كذلك هذه المرأةُ للكاشف على أمْرِها، والذّائق بعدَ الاغترارِ بها. وقولها: «بأضعاف الذي جاء»، تريد جاء عليه، فحذف حَرفَ الجَرّ وَوَصَل الفِعلُ بنفسه، فصار جاءَهُ، ثم حَذَفَ الضّمير من الصِّلة استثقالًا واستطالةً لكون أربعة أشياءَ شيئًا واحدًا: الموصول، والفعل، والفاعل، والمفعول. ومَنْ جَوَّزَ حذفَ الجار والمجرور من الصِّلة فالأمرُ عنده أقربُ. وانتصب «ظامئًا» على الحال.

وقولها: «فلو أنّ غيلان الشَّقيّ» تعني به ذا الرُّمَّة، لأنه كان ينسُبُ بميّة، وكان يسمّيها مرّة مَيًّا ومرةً مَيّة. فتقول: لو أنّها تجرّدَت له لتبرّأ منها وتندَّمَ على ما سَيَّرهُ من النَّسيب فيها. وانتَصَب «مُجَرَّدَةً» على الحال. وأشارت بذا من قولها «لما قال ذالِيَا» إلى مُجَرِّدِ مَيَّةَ، أي ما حَدَّثَ نفسَه بأنه له. ويُروَى: «لما قال آلِيَا» وهذا يتعلّق بما

بعده. أرادت: لما قال كقوله فيما سَلَف ذاليا. وآليا، أي مقصِّرًا عندَ نفسه في دعواه، ولَصَرف تشبيبَهُ إلى غيرها، ولَتَسَلَّى من النِّساء رأسًا. وزَهِد فيهنَّ استبْشاعًا لهَا. وآلِيا، من قولك: لا آلو في كذا، أي لا أقصِّر، وينتصب على الحال. وقولها: «لرَدَّهُ»، اللام جواب يمين مضمرة. وذكر بعضهم أنَّ معنى آلِيًا حالِفًا، أي كان لا يُقْسِمُ بها، وهذا خطأ، لأنَّه كان يَجبُ أن يكون مُولِيًا. ألا تَرَى أنَّه يقال: آلَيْتُ في اليمين إيلاءً. وقيل: آا: توجُّعٌ فهو كأوْهِ، والمعنى: لم يَقُل لما يَستجِدُّ من الزُّهد فيها آالِي، متأوِّهًا ومتوجِّعًا ـ وهذا كما يُقال في الأمر وقد نَكأَ في متولِّيه: شقاءً لي، بكاءً لي، وأشقَى لي، وأبكَى لي ـ وجْدًا بها، فعلى هذا يكونُ آالِي حكايةَ صوتٍ موضعُه رفْعٌ بالابتداء، ولي خبَرُه، والأوَّلُ أقرب عندي.

٦٦٩ ـ وقال أبو العَتَاهِيَة[1]: [الكامل]

١ ـ جُزِيَ البَخِيلُ عَلَيَّ صالِحَةً ... عَنِّي بخِفَّتِهِ عَلَى ظَهْرِي

٢ ـ أَعْلَى وأَكْرَمَ عَنْ يَدَيهِ يَدِي ... فَعَلَتْ وَنَزَّهَ قَدْرُهُ قَدْرِي

٣ ـ وَرُزِقْتُ مِنْ جَدْوَاهُ عَافِيَةً ... أَلَّا يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِي

٤ ـ وَغَنِيتُ خِلْوًا مِنْ تَفَضُّلِهِ ... أَحْنُو عَلَيهِ بِأَحسَنِ العُذْرِ

٥ ـ ما فاتَنِي خَيرُ امرِئٍ وَضَعَتْ ... عَنِّي يَدَاهُ مَؤُونَةَ الشُّكْرِ

يَقُول: جَزَى الله البخيلَ عَلَيَّ بمالِهِ خَصْلَةً صالحةً، فقد خَفَّ مَحْمِلُه على ظهري، لسقوط مِنَّته عنِّي، وذاكَ أنَّه أجَلَّنِي عن صنيعتِهِ، وأكرَمَ مَحَلِّي إذْ أخْلَاني من عارِفَتِهِ، وصان قَدرِي حين لم يبتذِلْه لعطيَّته، ورفَع يدي وكَرَّمَها حينَ لم يَشِنْها بمرزِيَتِه، فَرَزَقَنِي الله عافيةً من ضِيق الذَّرْع بشُكره، والتَّطوُّق بأفضاله، واستغنيتُ عنه خاليًا من بِرِّه، مُنصرِفًا مِن تفضُّله، متعطِّفًا عليه ببَسط عُذرِه حينَ لم يَجُدْ عَلَيَّ، ولم يتلَقَّ إقبالي عليه بقبوله لي.

ولمّا قال: أعلَى يدي فَعَلَت، كان الأحسنُ في مقابلته أن يقول: وَنَزَّهَ قَدْرِي فَنَزُهَ. ويقال: فلانٌ نزيهٌ كريمٌ، إذا كان بعيدًا من اللؤم. وقوله: «ألَّا يَضِيق» لك

---

(١) أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، شاعر مكثر سريع الخاطر، في شعره إبداع، يُعَدّ من مقدّمي المولّدين من طبقة بشار وأبي نواس. (ت ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م). ترجمته في: تاريخ بغداد ٦: ٢٥٠، والشعر والشعراء ص ٣٠٩.

أن ترفعه وأن تنصبه، فالنَّصب على أن يكون أنْ النَّاصبة للأفعال، والرفع على أن تكون أنْ مخفَّفة من الثَّقيلة، ويكون اسمهُ مُضْمَرًا، كأنَّه قال: أنَّه لا يَضِيقُ، والجملة خَبَره. والعافيَةُ: مصدر كالعاقبة، ومثله ما أُبَالِيه بالِيَةً، وقم قائمًا؛ لأنَّه لا خِلَافَ أنَّ اسم الفاعل يكون اسمًا للمصدر وإن اختلفُوا في بناء المفعول. وموضع «ألّا يضيق» نَصبٌ بكونه بدلًا من قوله عافِيَةً. وانتَصَبَ «خِلْوًا» على الحال. وجملة المعنى: أنَّه لم يَفتْنِي إحسانُ رجلٍ لم يَلْزَمْنِي له شُكْرُ إفضالٍ، ولم يَجِب بفعله بي عَلَيَّ اعتداءٌ.

٦٧٠ ـ قال ابن عَبْدَلِ الأسديّ(١): [الكامل]

١ ـ أَضْحَى عُرَاجَةُ قَدْ تَعَوَّجَ دِينُهُ   بَعْدَ المَشِيبِ تَعَوُّجَ المِسمَارِ

٢ ـ وإذَا نَظَرْتَ إلى عُرَاجَةَ خِلْتَهُ   فُرِجَتْ قَوائِمُه بأَيرِ حِمَارِ

أراد أنْ يُظْهِر أنَّه يَجسُرُ على تشبيهه بالسَّوْءَة. وضَرَبَ الخَنا والفُحْش مَثَلًا له في هجوه، فأما المعنى فظاهر، وإنما شَبَّهَ تعوُّجَ دينه على كِبْرَتِه وسِنِّه بتعوُّج المِسمارِ في العَمَل، وقد عَجَزَ عمَّا حُمِّل، فإن أُكرِه على النَّفاذ انكسَرَ؛ وإن طُلِبَ نَزْعُهُ ليُجْعل أَقْوَى منه بَدَلَهُ تَعَسَّرَ، فكذلك عُرَاجَةُ في اعوجاج دِينهِ والتوائه، لا صَرْفُه ورَدْعه ممكن، ولا احتمالُه عليه مُسَوَّغ.

٦٧١ ـ وقالت أم عمرِو بنت وَقْدان: [الكامل]

١ ـ إنْ أَنتُمُ لم تَطلُبُوا بأخِيكُمُ   فَذَرُوا السِّلَاحَ ووَحِّشُوا بالأَبْرَقِ

٢ ـ وخُذُوا المَكَاحِلَ وَالمَجاسِدَ والبَسُوا   نُقَبَ النِّساءِ فبِئْسَ رَهْطُ المُرْهَقِ

٣ ـ أَلْهاكُمُ أنْ تطلبوا بأخيكُمُ   أَكْلُ الخَزِيرِ ولَعْقُ أَجْرَدَ أَمْحَقِ

تقول: إن ضيَّعتم دمَ أخيكم، وقعدتم عن الانتقام له، لتقصيركم في طلب ثأره، فضعوا السِّلاح واطَّرحوه بالأبرَق. ويقال: وَحَّشَ بثوبه وبسيفه، إذا رَمَى به بعيدًا. وفي الحديث: «وَحَّشُوا برماحهم»، أي رمَوْا بها. ويجوز أن تريد توحَّشُوا، أي صِيرُوا مع الوَحْشِ حياءً من فعلكم، وهاجِرُوا النَّاسَ وجانبُوهم. والعرب تقول:

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٠).

إذا أظلمَ الليلُ تأنَّسَ كلُّ وحشيٍّ، وتوحَّش كلُّ إنسيّ. يريدون بتأنَّسَ استأنس، وبتوحَّش استوحَش. ومثلُ وَحَّشَ بمعنى توحَّشَ قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ، ونبَّه بمعنى تنبَّه. وعلى هذا يُحمَلُ قولُ امرىء القيس: [الكامل]

وأَنا المُنَبِّهُ بَعْدَ ما قد نَوَّموا   وأَنا المُعَالِنُ صَفحةَ النُّوَّامِ(١)

لأنه إن لم يجعل منبِّه بمعنى متنبِّه يصير عجزُ البيت كصَدرِه في أنَّهما بمعنًى واحد. وقال بعضهم: وحِّشوا معناه اطلبوا صَيدَ الوحش وتَقَوَّتُوه. وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه؛ لأن معناه فارِقوا الناسَ والكَونَ معهم.

وخَصَّتِ الأبرقَ لأنه كان مما وَلِيَهم، وهو المكان فيه حجارةٌ سُودٌ وبِيض. ويقال: جبلٌ أبرق، إذا كانت طاقاتُه سُودًا وبيضًا.

وقولُها: «وخُذُوا المكاحِل»، تريد: اجعَلوا بدلَ السِّلاح آلاتِ النساء: والمَجاسد: جمع المُجسَدِ، وهو الثَّوْبُ المُشْبَع صِبْغًا. والجِسَادُ: الزَّعفران. والنُّقَبُ: جمع نُقْبَةٍ، وهي إزارٌ تُجعل له حُجْزَةٌ كحُجْزة السَّراويل تَلبُسه المرأة. قال: [الرجز]

بيضاء مثل القُلْبِ   في نُقْبَةٍ وإتْبِ(٢)

والإتْب: القميص.

والمعنى: إن لم تثأروا لصاحبكم فتزيَّوا بزيِّ النساء فإنكم إناث، وبئس رهط المُرهَق: المضيَّق عليه أنتم. وحذَفَ المذموم ببئس، وهو أنتم، لأن المراد مفهوم. وهذا الكلام بَعثٌ وتحضيض على طلَب الدّم، فهو كقول أُختِ عمْرو حين بعثَتْ عَمْرًا على طلب دَمِ أخيه عبدِ الله فقالت: [الطويل]

فإنْ أَنتُمُ لم تثأَرُوا بأخيكُمُ   **فمشُوا بآذانِ النّعامِ المُصَلَّمِ**(٣)

ولا تَرِدُوا إلّا فُضولَ نِسائكم   إذا ارتَمَلتْ أَعقابُهنّ من الدَّمِ

وقولها: «ألهاكُم أن تَطلُبوا» تهييج وإغراء. والخزير: حَساءٌ يُحسَى. والأجرد: الأمحق، يرادُ به نِحْيٌ أو زِقُّ دِبسٍ. والأمحَق: القليل، كأنه يصير لكم مَحْقًا لا يُبارِك

---

(١) ديوانه ١٨٦ (مؤسسة النور)، من قصيدة مطلعها:

«لمن الديار غشيتها بسمام   فعمايتين فهضبِ ذي أقدامِ»

(٢) الرجز بلا نسبة في جمهرة اللغة ٣٧٤، والقُلب: قلب النخلة.

(٣) البيتان في الحماسية رقم (٥٢).

الله فيه، وأمحَقُ من باب أفعَل الذي لا فَعْلاءَ له واللَّعْقُ، هو لِما في النَّحي لا لَه، فتُوسِّعَ فيه.

٦٧٢ ـ وقال امرأةٌ من طيء(١): [الطويل]

١ ـ فلَوْ أنَّ قَومي قَتَّلَتْهُمْ عِمَارةٌ ... من السَّرَوَاتِ والرُّؤُوسِ الذَّوائبِ(٢)

٢ ـ صَبَرْنَا لِمَا يَأْتِي به الدَّهرُ عامِدًا ... ولكِنَّما أَثْآرُنَا في مُحَارِبِ

٣ ـ قَبِيلٌ لِئامٌ إن ظَفِرْنَا عليهِمُ ... وإن يَغْلِبونا يُوجَدُوا شَرَّ غالِبِ(٣)

العِمارةُ: الحيُّ العظيم يُطيق الانفراد، وقد يُفتح العين منه فيقال: العَمارةُ، لُغةٌ. ومثله العَمِيرَةُ، وقيل: هما جميعًا البطن. والسَّرَوَاتُ: الرُّؤساء. والذَّوائب: الأعالي، وهو جمعُ ذُؤابة، واستَعملوا الذنائب في خلافه، وهو جمعُ ذُنابةٍ، وهما اسمانِ في الأصل وُصِفَ بهما. وأثآرٌ: جمع الثَّأر. يقول: همُ الذين أصابونا عن ذِلَّتِهم وخِسَّتِهم، فالبَلاء أعظم، وقَرْحُ القَلْبِ أَوجَع، ولو أصابنا غيرُهم كان الخَطْبُ أيسَرَ، والصبرُ عليه أَوسَع. وهذا كما يقال في المَثَل السائر: «لو ذاتُ سِوَارٍ لطمَتْني»(٤).

وقولها: «قَبِيلٌ لئامٌ»، هو تفصيلُ ما أجملَهُ. وقولها: «إن ظَفِرنا عليهم» عَدَّى ظفِرنا تعديةَ عَلَوْنا، لأنه في معناه، وهم يَحمِلون الضمير على الضمير. والمعنى: لا اشتفاءَ في الانتقامِ منهم إذا نِيلُوا، ولا يُنِيمون طلَّابَ الأوتارِ إذا ثأَروا. وجواب الشرط، وهو قوله إنْ ظَفِرنا، متقدِّم يشتمل عليه قوله: «قَبِيلٌ لئامٌ»، لأن فيه معنى الفعل.

ومثل قولها: «وإن يَغلِبونا يوجَدُوا شَرَّ غالب» قولُ امرىء القيس: [الطويل]

ولَـم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ(٥)

إلا أنه في النَّسيب.

---

(١) التبريزي: «... وهي عاصية البولانية».

(٢) قبله عند التبريزي:

«أعاصيَ جودي بالدموعِ السواكبِ ... وبكّي لكِ الويلاتُ قتلى محاربِ»

(٣) التبريزي: «إن ظهرنا».

(٤) المثل في مجمع الأمثال ٢: ١٦١، ومعناه: لو لطمتني حرّة، فجعل السوار علامة للحرية لأن العرب قلما تُلبس الإماء السوار فهو يقول: لو كانت اللاطمة حرّة لكان أخفّ عليّ.

(٥) هذه قطعة من بائية امرىء القيس وهو بتمامه:

«فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ... ضعيفٍ ولم يغلبكَ مثل مغلّبِ»

٦٧٣ ـ وقال آخر[١]: [الوافر]

١ ـ إذا ما الرِّزْقُ أَحجَمَ عن كَرِيمٍ فألجأَهُ الزَّمانُ إلى زِيادِ[٢]

٢ ـ تَلَقَّاهُ بوجْهٍ مُكْفَهِرٍّ كأنَّ عليهِ أرزاقَ العِبادِ

الإحجام: النكوص عن القِرْن هيبةً له. وقد تُوسِّعَ به هنا. وضدُّه الإقدام. ويقال: نكَصَ على عَقِبيه. والمكفهِرّ: المستقبِل بكراهةٍ وتَغَضُّنِ وَجْهٍ. ويقال: سَحَابٌ مكفهِرٌّ، إذا تراكمَ، ووجهٌ مكفهِرٌّ، ويُروى: «بوجهٍ مقشَعِرٍّ»، والأصل في الاقشعرار تقبُّض الجِلد وانتصابُ الشَّعَر، ثم يُتوسَّعُ فيه فيقال: اقشعرَّت الأرضُ والنباتُ والسَّنة. والمعنى ظاهرٌ، وهو أنَّ العافِيَ إذا وَرَدَ عليه تلقَّاه بعُبوسٍ، كأنه اجتمع عليه لوُرود واحدٍ من الناس أرزاقُ الخَلْقِ كلِّهم. وجوابُ إذا «تلقَّاه».

٦٧٤ ـ وقال أبو محمدٍ اليزيديّ[٣]: [الكامل]

١ ـ عَجَبًا لأحمَدَ والعجائبُ جَمَّةٌ أنَّى يَلُومُ على الزَّمانِ تَبذُّلي

٢ ـ إنَّ العَجِيبَ لِمَا أُبثُّكَ أَمرَهُ مِنْ كلِّ مَثلوجِ الفؤادِ مُهَبَّلِ

٣ ـ وَغْدٍ يَلُوكُ لسانَه بِلَهَاتِه وتَرَى ضَبَابةَ قَلْبِه لا تَنجَلي

٤ ـ مُتَصَرِّفٍ للنُّوكِ في غُلَوائِه زَمِرِ المُرُوءةِ جامِحٍ في المِسْحَلِ

٥ ـ وإذا شَهِدْتَ به مَجالسَ ذي النُّهَى وَبِلَتْ سَحَابتُهُ بنُوكٍ مُسْهِلِ

٦ ـ غَلَبَ الزَّمانُ بِجَدِّهِ فَسَمَا به وَكَبَا الزمانُ لوجْهِه والكَلْكَلِ

قوله: «والعجائبُ جَمَّةٌ» اعتراضٌ بين أحمد وقصَّته التي عَجَّبَ منها. ويقال: أَمْرٌ عَجَبٌ وعُجَابٌ وعَجِيبٌ وعاجِبٌ. وأبلغ هذه الأبنية العُجاب. وانتَصَب «عَجَبًا» على المصدر. يقول: أتعجَّبُ لأحمد كيف أَنكَرَ خُلقِي وطريقتي، حتى لامَني في تبذُّلي على تنكرِ الأيام وتغيُّرِها، ومن أينَ استطرَف ما رأى من

---

(١) التبريزي: «وقالت غيرها». والبيتان في الحماسة البصرية ٢:٢٩١ لعميرة بنت مرّة الحرشيّ أو ليزيد بن مفرّغ الحميري.

(٢) التبريزي: «والجاه».

(٣) هو يحيىٰ بن المبارك بن المغيرة العدوي، المقرىء النحوي اللغوي، مولى بني عدي بن عبد مناة، سكن بغداد، اتّصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. من كتبه «النوادر» في اللغة و«المقصور والممدود ومختصر في النحو» (ت ٢٠٢ هـ/ ٨١٨ م) ترجمته في وفيات الأعيان ٢:٢٣٠، والنجوم الزاهرة ٢:١٧٣.

حالي وقِصَّتي، ومُقتَضى الوقتِ وموجَبُ حكمه لا يَدْعُوَان إلى غيره. ثم أقبلَ يخاطِب أحمدَ بعد الإخبار عنه فقال: إنّ العَجَب ما أُطلِعك عليه وأُباثُك فيه، وأكشِفُ لك مستورَه وخافِيَه، مِن كلّ رجلٍ بطيءِ الفهم، ميِّت الخاطر، مَدْعُوٌّ عليه بالهبَل لِثِقَله وعَجْزِه غَبِيّ، عَيِيٍّ، إنْ حَدَّثَ أدار لسانَهُ في فيّه يَمضُغُ كلامَه، وإن ائتُمِنَ خانَ، وكان ذا لونين لِنفاقِه، وكأنَّ قلبَه قد رِينَ عليه لما يضمِرُه من غِلٍّ، فعَلَيه لكلّ أحدٍ ضَبَابةٌ، فلا تصفو نيَّتُه، ولا تخلُص طويَّتُه، متصرفٍ في غُلَوَاءِ الْحَمقِ وارتفاعِه وانتهائه، قليلِ المرُوءة، زَمِرِ الحمِيَّة، يركبُ رأسَه فيما يَعِنّ، ويَغْفُل عن القَصْد فيما فيه يَجِدُّ، ويمضي قُدُمًا في الشرّ فلا يرتدع، ويعلو على زاجِرِه فلا يَرْجعُ، ولا يقف وإن كُبِحَ بلجام المَنْع، ولا يَرْعَوِي، وإن أُوذِن بالهُلْكِ؛ ثمّ إنْ حضَرَتَ به مجالِسَ الفَضْل والعَقْل، سالَتْ سحابةُ جهله بِخمْقٍ تلتطم أمواجهُ، وتتدافعُ بصَوْبِه أركانُه؛ وعلى ما بِهِ من النَّذالة والجهالة رُزِقَ جَدًّا فحَظِيَ، وغَلَبَ على أهلِ زمانِه بما قُسِمَ له فَعَلِيَ، وذَلَّ له الدَّهرُ فكبا لصدره ووجهه ضارعًا، وانقاد لأمرِه ونَهيِه صاغرًا، حتى أدرك ما شاء ممتدًّا في شأوه، مُشترِفًا في شأنِه، آخذًا قَصَب السَّبْق في مَيدانه، فإن تعَجَّبْتَ فالعجيبُ هذا، وإن استنكرت فالنَّكير هذا.

ويُروَى:

غَلبَ الزَّمانُ بجَدِّه وسَمَا به ... فكبَا الزَّمانُ..........

فيُجعل الفعل للزمان ويكون معنى سَمَا به رفعَه. ثم أخذ يدعو على الزَّمان فقال: سقَط لوجهِه وكلكلِه، حين اختارَ مثلَه لإحسانه، وهذا حَسَنٌ جِدًّا. والوَغْدُ: الدَّنيُّ، مِن قولك: وغَدتُ القومَ إذ خدَمتَهم. والنُّهى: العُقول، والواحدة نُهْية. والنُّوك: الْحُمُق. والمِسْحَلان: حَلْقَتَا شَكِيم اللِّجام، والجميع المَساحل. ومعنى «على الزَّمان»، على تصاريف الزَّمان؛ فحذَف المضاف.

وقوله: أُبِثك أَمرَهُ» أي أجعل أمرَهُ مما تَبُثُّ وتَحزَن له. والمَثْلُوج الفؤاد: البليد الخالي من الذَّكاء والحِدّة. واللَّوْك: المَضغ.

٧ ـ ولقد سَمَوْتُ بِهِمَّتِي وسَمَا بها ... طَلَبِي المَكارِمَ بالفَعَالِ الأفضَلِ

٨ ـ لِأنالَ مَكْرمَةَ الحياةِ وَرُبَّما ... عَثَرَ الزمانُ بذِي الدَّهاءِ الْحُوَّلِ

٩ ـ فلئن غُلِبْتُ لَتُمْضِيَنَّ ضريبَتِي ... كَلبَ الزَّمانِ بعفَّةٍ وتَجمُّلِ

رجع إلى صفة نفسه على تنكُّر الزمانِ له، فقال: إني وإن لم تساعدْني الحالُ، ولا يَقوم لما أَنويه المال، فلي هِمّةٌ رفيعةٌ، ونفسٌ أَبِيّةٌ، يسمو بهما ارتقائي في درجاتِ الفضل، وطلبي المعاليَ بأحسن الفعل، لأعيش مكرّمًا مَصُونًا، فلا يَفوتُني سَلامة الدِّين والمروءة، وإن فاتَتْني الزِّيادة في الحال والمَقْدُرَةِ؛ والدَّهر قد يَعثر بالرَّجُلِ التامّ النُّكر، المرير القُوَّة والْحَوْل، لجهلِهِ بموضع الصَّنيعة، فإن غلَبَني على حَظِّي، وتخطّاني عند القَسْم إلى غيري، فطبيعتي تُسلِّيني وتُرْضيني، ومعرفتي بمن عندَه المالُ والعَتَادُ تَصرِفُ الهمَّ عنِّي، فتَنْمحي آثار الْحَدَثان، وعَرَامةُ الليالي والأيَّام، بعفافٍ أستعمِلُه، وتجمُّل ألتزِمُه، لئلَّا يَشْمَتَ عَدُوٌّ، أو يفرَحَ حَسودٌ.

تم باب الهجاء بحمد الله وعونه

والحمد لله على تظاهُر آلائه، والصلاة على سيّدنا محمدٍ وآله

وبهذا يتمّ الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع

وأوله: باب الأضياف

شرح

ديوان الحماسة

لأبي تمّام

تأليف

أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

علّق عليه وكتب حواشيه

غريد الشيخ

وضع فهارسه العامة

إبراهيم شمس الدين

الجزء الرابع

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بابُ الأضياف[1]

٦٧٥ ـ قال عُتْبَة بن بُجَيْرِ الحارثيّ[2]: [الطويل]

١ ـ ومُسْتَنْبِحٍ باتَ الصَّدَى يَسْتَتِيهُه إلى كلّ صوتٍ فهوَ في الرَّحْلِ جانِحُ

يَعني بالمستنبح ضيفًا ألجأه الضلالُ عن الطريق ليلًا، أو دَعاه ضِيقُ الوقت وجَهْد المسير مُنفِضًا إلى أن يتكلف نُباحَ الكَلْبِ وحكايتَه، لتُجاوِبَه كلابُ الحيّ المتوهَّم نزولُهم في سَمْتِه ووِجهته فيهتدِيَ إليهم بصِياحها، ويَستعينَ بهم على ضُرِّه وحَيْرَتِه. وهكذا كان يفعلُه الضالُّ والمقرور في ظلام الليل. وكانوا إذا قَرُبوا من البيوت المظنونِ دنوُّها، أو المعلوم حُلولُها، ربما حملوا رواحِلَهم على الرُّغاء أو البُغام، إيذانًا بأنفسهم. ولذلك جاء في الأمثال السائرة: «كَفَى برُغائها مُنادِيًا»[3]. وأصله أنَّ بعضَ المتعرِّضين للقِرى أرْغَى ناقتَه فلم يُتلَقَّ بالاستنزال، فجعل يُذمّ، فقيل: لو ناديتَهم ليعلموا بك؟ فقال: «كفَى برُغائها مناديًا». وقال متمِّم: [الطويل]

وضَيْفٍ إذا أَرْغَى طُرُوقًا بَعِيرَهُ وعَانٍ ثَوَى في القِدِّ حتى تكنَّعَا[4]

وقوله: «باتَ الصَّدَى يَستَتِيهُه»، الصدى: صوتٌ يَرْجِعُ إليك من الجبَل أو مما يَجرِي مَجراه في ردِّ الصوت. يريد: أنه لمّا استَنْبَحَ صارَ الصوتُ الراجعُ إليه يَحمِلُه على أن يتيهَ إلى كل صوتٍ يدركُه متبيِّنًا للصدى من غير الصَّدَى لكي يؤدِّيَه ما يَبين له

---

(١) التبريزي: «والمديح».

(٢) التبريزي: «قال عتيبة بن بجير المازني، من بني الحارث بن كعب».

(٣) في اللسان (رغا): «أي إن رغاء بعيره يقوم مقام ندائه في التعرّض للضيافة والقِرى».

(٤) لمتمم بن نويرة في ديوانه ١٠٩، واللسان (كنع) وشرح اختيارات المفضل ص ١١٧٣، وجمهرة أشعار العرب ٧٥٠، والكامل ١٠٥٨.

إلى مطلوبه من حَيٍّ أو ما سبيلُه سبيلُهم. وجعلَه في الرَّحلِ مائلًا لغلَبة النَّوم عليه، أو لتهيُّئه لإدراك الصوت. ويقال: جنَحَ يَجنَح جُنوحًا، إذا مال. ومعنى «يَستَتِيهُه إلى كلِّ صوتٍ» جعل الفعل مضافًا إلى الصَّدَى لغلبته عليه، واعتقادِه في كلِّ صوتٍ أنه هو، فقد صار تائهًا إليه.

٢ ـ فقلتُ لِأهلي ما بُغامُ مَطِيَّةٍ   وسارٍ أضافَتْهُ الكلابُ النَّوابِحُ
٣ ـ فقالوا غريبٌ طارقٌ طرَّحَتْ به   مُتُونُ الفَيافِي والخُطُوبُ الطَّوارِحُ

رجعَ إلى أهله في التعرُّف لِمَا غشِيَه بُغامُ بعيرِ الطارق، فقال سائلًا: ما بُغامُ مَطيَّةٍ. و«ما» يُستفهَم به عمَّا دونَ الناطقين، وعن صِفات الناطقين. فكأنَّه سألَ عن صِفات الساري وعما أدركَه من صوت المَطِيَّة. وجعل الكلابَ مُضِيفةً للساري لاستنباحه ولإجابتِها إيَّاه.

وقوله: «غريبٌ طارقٌ» هو بيانُ ما سأل عنه من صفة السارِي، واكتفَى بوصفِه لأنَّ البُغامَ وإن سُئل عنه أيضًا فهو من توابع الساري. ومعنى «طَرَّحَتْ به» رَمَتْ به. ومُتُونُ الفَيافي: جمع مَتْنٍ، وهو ما ارتَفع وغَلُظ من الأرض. وكلُّ صلبٍ غليظٍ متينٌ. ويقال: ماتَنْتُ الرَّجُل، إذا فعلتَ من ذلك ما يفعله. ومَتَن بالمكان: أقامَ به. وقوله: طَرَّحَت به المُتُون والخطوب، فيه دَلالةٌ قويةٌ على ضَلالِه وضُرِّه وإنفاضه. ويروَى: «طوَّحَت به» و: «الخُطوبُ الطَّوائح». وكان يجب أن يقول: والخطوبُ المطوِّحات في الجمع بالألف والتاء، لأن اسمَ الفاعل من طَوَّحَ مُطَوِّحٌ، ولكنَّه أخرَجَ الطوائح على حذف الزيادة من الفِعل. ومثله قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحِجر: الآية ٢٢]، لأن أصلَه أن يجيء على مَلاقِح أو مُلْقِحات، لكونها مُلْقِحَةً للأشجار. والفعل منه أَلْقَحَ، فأخرجَه على حذف الزَّوائد فصار لَقَح ولواقح. وكذلك «الطوائح» قياسُه أن يكون إذا عُدِلَ عن الجمع بالتاء: مَطاوِحُ. وارتفع «غريبٌ» على أنه خبر مبتدإٍ محذوف، كأنه قال: هو غريبٌ طارقٌ. ومعنى طَوَّحت به: حملَتْه على ركوبِ المهالك. والطائحُ: الهالك، والذاهِب الفاني. ويقال: تطاوَحْنا الأمرَ بينَنا، كما يقال تطارَحْنا.

٤ ـ فقُمْتُ ولم أَجثِمْ مكاني ولم تَقُمْ   مع النَّفسِ عِلَّاتُ البَخِيلِ الفَواضِحُ
٥ ـ ونادَيتُ شِبْلًا فاستَجَابَ ورُبَّما   ضَمِنَّا قِرَى عَشرٍ لمن لا نصافِحُ[1]

---

(١) التبريزي: «قِرى عُشْرٍ» وقال: «قال أبو العلاء: أي ربما ضمّنا قِرى عُشْر أموالنا لمن لا نعرف، =

يقول: لمّا بانَ لي أمرُ الضّيف الطارق قمتُ من مكاني مستعجِلًا غيرَ متلوِّم، حِرصًا على إصلاح أمره، وتوطيد مَحَلّه. ويقال: جثَمَ مكانَهُ وفي مكانه بمعنًى. والجُثُوم، أصلُه إلصاقُ الصدر بالأرض ولزومُها، ويستعمل كثيرًا في الطَّير والسِّباع. والجُثْمان: الشخص منه اشتُقّ. ومعنى «لم تَقُمْ مع النفس عِلّات البَخيل» يريد أنّ نفسي لمّا تهيّأَتْ للإضافة وتشمّرَتْ لم تَقُم معها العِلّاتُ التي تفضَحُ أربابَها، والمعاذيرُ التي تحسّن التفريط في اللّوازِم عند مُستَعِدِّها. وجعل العِلّاتِ تَفضَح لِمَا يتعقّبها من ذميم القالة، وتضييق المَعذِرَة، وتجاوُب الناسِ في الإنكار إذا كانت العللُ كاذبةً، ووجوهُ التنصُّل مسودَّةً.

وقوله: «وناديْتُ شِبْلًا» يَعنِي بِشِبْل ابنَه، يستعين به فيما يُقام مِن خدمة الضيف، فذكر أنّه استجابَ وتخفَّفَ معه. وذِكر استجاب هٰهنا أحسنُ مِن أجاب، وذاك أنّ قول القائل: دعوْتُ زَيْدًا فأجابني، كقوله: أمرته فأطاعني. وقوله: دعوْتُه فاستجاب لي، أي تقبّل ما قلتُهُ وطاوَعَني فيه. وعلى هذا يفسّرُ أصحابُ المعاني قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٦]. وكذلك بيتُ كَعب بن سعد: [الطويل]

وداعٍ دَعَا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى ... فلم يَسْتَجِبْهُ عندَ ذاكَ مُجيبُ[١]

أي لم يُذعِنْ لدعائه أحد. ويقال: استجبتُه واستجبتُ له. وقوله: «وربَّما ضَمِنّا قِرَى عَشْرِ» أي التزمنا قِرَى عَشرِ نَسَمةٍ، ولا معرفَةَ بيني وبينهم سابقةٌ، ولا ما يوجِبُ عند الالتقاء مصافَحةً. والقصد بقوله: «ضَمِنّا» إلى توطينهم النفسَ على توسيع القِرَى لمن لا حُرْمَةَ له سِوَى حُرْمَةِ الضّيافة. ولا يمتنع أن يريد بقوله: «قِرَى عَشرِ» قِرَى عَشرِ ليالٍ، وهُم إن أرادوها بأيّامها يغلِّبون التأنيث. قال سيبويه: «وتقول: سار خَمْسَ عَشْرَةَ من بين يوم وليلةٍ، لأنّكَ ألقيت على الليالي، فكأنّك قلت خمس عشرة ليلة. وقوله: من بين يوْمٍ وليلةٍ، توكيدٌ بعد ما وقعَ على الليالي، لأنّه قد عُلِم أن الأيام داخِلةٌ مع الليالي. وعندهم أنّ الليلَ قبلَ النهار، فلهذا يؤرِّخون بها. وتقول: أعطاه خمسةَ عشَرَ مِن بَيْنِ عَبْدٍ وجاريةٍ، لا غير،

= وقد يمكن أن يكون عُشْر جمع عشير، وهو الذي يعاشر من الغرباء، أو يكون من عشيرته، ومن روى: عُسر بالسين غير معجمة فالمعنى: إنا نقري الضيف وإن كنا معسرين».

(١) لكعب بن سعد الغنوي في الأصمعيات ص ٩٦، واللسان (جوب)، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٠٥.

لاختلاطهما». قال سيبويه: «وقد يجوز في القياس خَمسةَ عشَر من بين يومٍ وليلةٍ، وليس على حدِّ كَلام العرب».

وقوله: «لمن لا نُصافِحُ» يجوز أن يكون من المصافحة المعروفة، ويجوز أن يكون من صَفَحْتُ الناسَ، أي نظَرْتُ في أحوالهم.

٦ ـ فـقـامَ أبـو ضَـيْـفٍ كـريـمٌ كـأنّـهُ وقـد جَـدَّ مـن فَـرْط الـفـكـاهـةِ مـازِحُ
٧ ـ إلـى جِـذْمِ مـالٍ قـد نَـهِـكْـنـا سَـوَامَـهُ وأعـرَاضُـنـا فِـيـهِ بَـوَاقٍ صَـحَـائـحُ

يعني بأبي الضيف نفسَه، وهذا كما يقال: هو أبو مَثْوَاي، وهي أمُّ مثواي. وجعله كالمازِح المُفاكِه لِمَا أظهرَهُ من التطلُّق والبَشاشة، وإظهار السرور بما يأتي من توفير الضيافة والاحتفال فيه، وإيناس الضيف والبَسط منه، مُحْتَفًّا بالضِّيافة. وارتَفَع «مازح» على أنه خبر كأنَّ. وموضع «وقد جَدَّ» موضعُ الحال، كأنه قال: يُشابِهُ المازِحَ من فرط الفكاهة وهو جادٌّ، لأنّه قاضي ذِمامٍ، وباني مكارِم. ويقال: فاكَهْتُه بمُلَح الكلام، وهي الفَكِيهة والفُكاهة.

وقوله: «إلى جِذْمِ مالٍ» تعلّق إلى بقَامَ، ويريد بالقيام غير الذي هو ضدُّ القُعود، وإنما يريد به الاشتغالَ له بما يؤنِّسه ويرحِّبُ منزلَهُ ويطيِّب قلبَه. على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المَائدة: الآية ٦]، لأنه لم يُرِد القيام المضادّ للقعود، بل أراد التهيُّؤَ والتشمُّرَ له. والجِذْمُ: الأصل. ومعنى «نَهِكْنا سَوَامَه» أثرنا في السائمة من المال بما عوَّدناها من النَّحر والتفريق. ويقال: نَهكَهُ المرضُ، إذا أضرَّ به.

وقوله: «وأعراضُنا فيه بَوَاقٍ صحائحُ»، أي نفوسُنا باقيةٌ على حَدِّها من الظَّلَفِ والصِّيانة، لم تَشِنْها الأفعالُ الذميمة، ولا كسَرتْها التكاليف المُبَخِّلةُ، فهي سليمةٌ لا آفةَ بها، ولا عارَ يكتنِفُها، وإن كانت أموالُنا مشفوهةً مُفرَّقةً.

٨ ـ جـعَـلْـنـاهُ دُونَ الـذَّمِّ حـتـى كـأنّـه إذا عُـدَّ مـالُ الـمُـكْـثِـرِيـنَ الـمَـنَـائـح
٩ ـ لـنـا حَـمْـدُ أربابِ الْمِـئِـيـنَ ولا يُـرَى إلـى بـيـتِـنـا مـالٌ مـع الـلـيـلِ رائـحُ

الضمير من قوله: «جعلناه»، للمال، أي وقَيْنا به أنفسَنا من لَوْم اللائم، ودَرَنِ العائب. وقوله: كأنّه المنائحُ، يريد أنَّ إبِلَنا، وإن كانت مِلْكًا لنا، فهي كالعوارِي عندنا، لِمَا يتسلَّط عليها بأفعالنا من النُّقْلةِ والتغييرات. والمنائح: جمع المَنِيحةِ، وهي

الناقة تُدْفَع ليُنتفعَ بلبنها ما دام بها لبَنٌ، فإذا انقطع لبنُها رُدَّتْ. و«إذا عُدَّ مالُ المكْثِرين»، أشار به إلى قِلّة مالِه. والمكْثِرُ: صاحِبُ الكثير من المال، أي مالُنا في جَنْبِ مال المكثِرين كذلك.

وقوله: «جعلناه دُون الذمّ»، يريدُ صيَّرناه دون الذمّ، فعلى ذلك يحتمل أن يكون ظرفًا، ويجوز أن يكون مفعولًا ثانيًا، فيكون معنى دون الذمّ قاصرًا عن الذم، فيَبْعُدُ الذّمُّ عنا ولا يَلْحَقُنا، لأنَّ مالنا يحُولُ بيننا وبين الذم.

ومعنى «لنا حَمْدُ أرباب المِئِينَ»، أي نكتسب بمالِنا القليل حَمدَ أربابِ المال الكثير، أي الحمد الذي يكسبه أولئك هذا ولا يُرَى مالٌ يَروح إلى بيتنا مع الليل لأنها على قلتها باركةٌ بالفِناء، معدّة للنوائب والحقوق، ولم تبلغ ما يصير منها سارحةً ورائحةً، وباركة بالفَناء وسائمةً.

٦٧٦ ـ وقال مُرَّةُ بن مَحْكان[1]: [البسيط]

١ ـ يا رَبَّةَ البيتِ قُومي غيرَ صاغرةٍ ضُمِّي إليكِ رِحالَ القومِ والقُرُبا
٢ ـ في ليلةٍ مِن جُمَادَى ذاتِ أنْدِيَةٍ لا يُبصِرُ الكَلْبُ مِن ظلمائها الطُّنُبا
٣ ـ لا يَنبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتى يلُفَّ على خُرطومِهِ الذَّنَبا[2]

خاطبَ امرأته، وبعثَها على القيام للاحتفاف بالنازلين من الأضياف. وقوله: «غير صاغرةٍ»، يقال: صَغِرَ يَصْغَرُ صَغَارًا، إذا ذَلَّ وهان؛ وصَغُر يَصْغُر صِغَرًا: ضدّ كَبِر. والقُرُبُ: جمع قِراب، وهو جرابٌ واسِعٌ يُصانُ فيه السِّلاح والثياب.

وقوله: «في ليلة»، إن شئت جعلتَ الجارّ متعلّقًا بضُمّي، وإن شئت جعلته متعلقًا بقُومي. والأجود في الجمع بين الفعلين في باب الأمر أن يدخل الثاني حرف العطف، كقول الله عزَّ وجلّ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر: الآيتان ٢، ٣]، واذنْ فاكتُبْ، وما أشبهَ ذلك. وهذا قال: قومي غير صاغرةٍ ضُمّي إليك، ولم يأت بالعاطف فيه، وهو جائز. وانتصب «غيرَ» على الحال. وجعلَ الليلةَ من ليالي جُمادَى لأنها من شهور البرد، والمراد في ليلةٍ من ليالي جمادى ذاتِ أنداءٍ وأمطار. وكانوا

---

(١) التبريزي: «... التميمي» وهو أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر مقلّ إسلامي، من شعراء الدولة الإسلامية. ترجمته في المرزباني ٣٨٣، والشعر والشعراء ٦٦٧.

(٢) التبريزي: «على خيشومه».

يجعلون شهر البرد جُمَادى وإن لم يكن جُمادى في الحقيقة، كأنَّ الأسماءَ وُضعَتْ في الأصل مقسّمة على عوارض الزّمان، والحرّ والبرد، والرّيح والمطَر، وتبدُّل الفصول، ثم تغيَّرَت فصارت تُستعار.

وقوله: «ذاتِ أندية»، تكلمَ الناسُ فيه، لأنَّ جمع النَّدَى أنداء. قال الشاعر: [الطويل]

إذا سَقطَ الأنداءُ صِينَتْ وأُشعِرَت حَبِيرًا ولم تُدْرَجْ عليها المَعاوِزُ[1]

فكان أبو العباس المبرِّد يقول: هو جَمْع نَدِيّ المجلس. وكان أماثلُ الناسِ وأغنياؤُهم إذا اشتدَّ الزّمانُ وجدَّ القحطُ والجَدْب يَجلسون مجالسَ يدبِّرون أمرَ الضُّعفاء، ويفرِّقون فيها ما حصل عندهم من فضل الزّاد، ويَنصبُون الميسِرَ، ويَنحرون الجُزر مُتبارِين فيها ومُتباهين. فيريد: في ليلةٍ تُوجِب ذلك وتَقضِي به. وقال غيرُه: هو جمع ندًى، كأنه جمع فَعَلًا على فِعال، ثم جمع فِعَالًا على أَفعِلَة، كأنه نَدًى ونِدَاءٌ، ثم جمع النِّدَاء على الأندية، ككساء وأكسِية، ورِوَاق وأروِقة. وقيل أيضًا: هو شاذٌّ استُعِير ما للممدود للمقصور. وهم يفعلون ذلك في المباني كما يفعلون في الألفاظ. قالوا: ومثلُه قَفًا وأقفيةٌ، ورَحًى وأرْحِية. وهذا مما حكاه الكوفيُّون. وقال بعضهم: هو أَفعُلَةٌ بضم العين، كأنه جمع فَعَلًا على أَفعُلٍ، كما قيل زَمَنٌ وأَزْمُنٌ، فجاء نَدًى وأَنْدٍ، ثم أُلحقَ الهاءَ لتأنيث الجمع، كما تقول بعُولةٌ وحجارة، فصار أندِيةً، ويكون في هذا الوجه شاذًا أيضًا.

وقوله: «لا يُبصِر الكلبُ من ظلمائها الطُّنُبا»، فيه مبالغةٌ في وصف الظُّلمةِ وتراكمها. والطُّنُب: حَبْل البيت. والكلب قويُّ البصَر، فإذا بلَغَ أمرُه إلى ما وصفه فذاك لتكامُلِ الظلام وامتدادِه. لذلك قال الآخر: [الطويل]

أُنَاسٌ إذا ما أنكَرَ الكلبُ أهلَهُ حَمَوْا جارَهم من كلِّ شَنعاءَ مُعْضِلِ[2]

وقد قيل في هذا البيت وجهٌ آخر. وموضع الجملة على الصِّفة للَّيلة، فهو جرٌّ، وساغ ذلك فيها لاحتمالها ضميرها، وكذلك قوله: «لا يَنبَحُ الكلبُ فيها غير واحدةٍ»، وانتصب «غيرَ» على أنه مصدر، وأراد غير نَبْحَةٍ واحدة، ولمَّا لم يجىء إلا مُضافًا ولم

(١) للشماخ في ديوانه ١٩٣، واللسان (حبر)، وأساس البلاغة (عوز)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٨١٨.

(٢) البيت في الحيوان ٢: ٧٠، وأمالي القالي ١: ٥٥، وقد نُسب لطفيل الغنوي.

يكنْ له معنًى إلا مخالفةَ ما يضاف إليه جاز أن يجيء فاعلًا، ومفعولًا، وحالًا، وظرفًا، ووصفًا، واستثناءً، ومصدرًا.

وقوله: «حتّى يَلُفَّ» انتصبَ الفعلُ بإضمار أنْ. وحتى بمعنى إلى، كأنه قال: إلى أن يلفَّ الذنبَ على خُرطومه، أي لا ينبح إلى أن يلفّ الذنب على خُرطومه، أي لا ينبح إلى أن يلفّ الذنب إلا نَبحةً. ولو رفعتَ الفعلَ فقُلت: «حتى يَلُفُّ» لجازَ ذلك، ويُراد به الحال، والمعنى أن يكونَ الفعلُ الثاني متّصلًا بالأوّل، أي لا ينبح إلا نبحةً فهو يلفُّ الذنَب. وعلى هذا قولك: سِرْتُ حتى أدخُلُها، فقَرَن السَّير بالدخول، ومعناه أنه خرَج من السَّير إلى الدخول، إلا أنه يُخْبر أنه في حال دخولٍ، فمعناه كمعنى الفاء إذا قلت: سِرْتُ فأنا أدخلُها، أي هذا متَّصل بهذا.

٤ ـ مـاذا تَـرَيْـنَ أنُـدْنـيـهـمْ لأرْحُـلِنـا ... في جانبِ البيتِ أمْ نَبْني لَهُمْ قُبَبَا

٥ ـ لِمُـرْمِـلِ الـزَّادِ مَـعْـنِـيٌّ بـحـاجَـتِـه ... مَـن كـان يَكـرَهُ ذَمًّا أو يَقِي حَـسَـبا

أقبل يشاوِرُها ويستقِي الرأيَ من عندها، ويبعثُها على تعرُّف الحال منهم فيما يوافِقُهم ولا يَخرُج من مرادِهم ورِضاهم.

وقد تقدم القول في لفظة «ماذا» مشروحًا.

وتَرَيْنَ: أصله تَرْأَيِينَ، لأنه تَفْعَلِين، فحُذِف الهمزة استخفافًا بعد أن أُلقِي حركتُها على الراء، فصار تَرَيِينَ ثم قُلِبت الياء الأولى ألفًا لتحرُّكها وانفتاحِ ما قبلها فاجتمع ساكنان، وحذفت الألف منهما فصار تَرَيْنَ.

والمعنى: أَخبريني بعدَ رجُوعِك إليهم ماذا نأتِيهِ في شأنهم، وما الذي يَرَوْنَهُ في إقامتهم وظَعْنهم، فإن أرادوا إطالة اللُّبث بنَيْنا لهم قبابًا يتفرَّدون فيها، فذاك آنس لهم، وأبقَى لحِشمتِهم؛ وإن أرادوا تخفيفَ اللُّبْث خلَطْناهم بأنفُسنا، وأدنيناهم من رِحالنا في جوانِب بُيوتنا، لأنَّ الصبر مع خِفّة التلوُّمِ منهم على ما يعترض مِن أحوالهم مُمكن.

وقوله: «لمُرْمِل الزَّاد» تعلّق اللام بقوله: ماذا ترين، كأنه أعاد الذِّكر فقال: وذا السؤال والاستشارةُ مِن أجلهم، ولمكانهم. والمُرمِل: الذي قد انقطع زادُه. ويجوز أن يكون «لمرمل الزّاد» بدلًا من المضمَرين في «نبني لهم»، وقد أعاد حرف الجرّ معه.

وقوله: «مَن كان يكره» موضعه رفعٌ بمَغْنِيٍّ، كأنه قال: ذاك منّي لمُنقَطَع به، يعني بحاجته، مَن كان كارهًا لذمّ الناس، أو صائنًا لشرفه. كأنه بيَّنَ العِلّة في العناية به.

٦ ـ وقمتُ مُستَبْطِنًا سَيفِي وأعرَضَ لي مِثلُ المجَادِلِ كومٌ بَرَّكَتْ عُصَبا[١]

٧ ـ فصادَفَ السيفُ منها ساقَ مُتْلِيَةٍ جَلْسٍ فصادَفَ منه ساقُها عَطَبا

٨ ـ زَيَّافَةٍ بنتِ زَيَّافٍ مُذَكَّرَةٍ لمَّا نَعَوْها لراعِي سَرْحِنا انتَحَبا

انتصب «مستبطنًا» على الحال من قمتُ، والمعنى: شَغَلْتُ رَبَّةَ بيتي بما رتّبتُ من أمرهم، وقمتُ أنا حاملًا سَيفي ومتقلّدًا له. ويقال: استبطنتُ فلانًا دونَك، أي خاصَصتُه؛ وتبطّنت كذا: دخلتُ فيه حتى عرَفْتُ باطِنَه.

وقوله: «وأعرضَ لي» أي أبْدَى عُرْضَها لي نوقٌ كأنها قصورٌ، كمالَ جسمٍ وبُلوغَ سِمَن. والكُومُ: جمع أكْوَمَ وكَوماء، وهي العظام الأسنِمة.

وقوله: «بَرَّكَتْ» إنما ضَعَّفَ عين الفِعْل على التكثير أو التكرير. وجعل إبلَهُ فِرَقًا باركةً لشدَّة البرد، كما قال أبو ذؤيب الهُذَلِيُّ: [البسيط]

واعصَوْصَبَتْ بَكَرًا مِن حَرْجَفٍ وَلَهَا وَسْطَ الدِّيار رَذِيّاتٌ مَرازيحُ[٢]

وانتَصَب «عُصَبًا» على الحال، وهو جمع عُصْبَةٍ.

وقوله: «فصادَفَ السيفُ منها ساقَ مُتْلِيَةٍ» أراد: عَرْقَبَ ناقةً منها. والمُتْلِيَةُ هي التي لها ولدٌ يتلوها، وقيل: هي الحامل. والجَلْس: الصُّلْبة المشرِفةُ وقيل: هي الواسعةُ الأخْذِ من الأرض. ومعنى: «صادَفَ منه»، أي من السيف. والمعنى أنّ السيف والساق تصادما، فأبانَ السيفُ الساق منها.

والزَّيّافة، هي التي تَزِيفُ في مِشيتها وتَتَبختَر. جعلها بنتَ زَيّافٍ استكرامًا لعِرْقها وجَوهرها. والمذكَّرةُ: التي تشبه الذُّكورةَ في خِلقتها.

وقوله: «لمّا نَعَوْها»، الفاعلون هم الناس ولم يجرِ لهم ذِكر، لكن المراد مفهومٌ فأضمره. أي لمَّا ذكَر الناسُ ما جرَى عليها لراعي سَرْحِنا، أي راعي مالِنا السارحةِ

---

(١) التبريزي: «فأعرض لي».
(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٣، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤: ٣٣٩.

بكي بُكاءً فيه نحيبٌ وصوت، ضِنًّا بمثلها، وتحزُّنًا لما فاتَ منها، ولأنَّ لَبَنَها كان يبقى على مُحارَدة الإبل، وشدة اللَّزبة.

والعَطَبُ: الهلاك، ويقال: عَطِبَ البعيرُ، إذا انكسر.

٩ ـ امْطَيتُ جازِرَنا أَعلَى سَناسِنِها فصارَ جازِرُنا من فَوْقِها قَتَبا

١٠ ـ يُنَشْنِشُ اللَّحمَ عنها وهيَ بَارِكةٌ كما تُنَشْنِشُ كَفًّا قاتِلٍ سَلَبا

يقال: امتطيتُ البعيرَ، إذا ركبتَ مَطاهُ، وهو الظَّهر، وأمْطَيْتُه غيري. وإنما يَصِفُ إشرافَ الناقة التي وصَفها، فيقول: ركبَها جازِرُنا لمَّا نحرَها، إذ كان أعلى سنامِها لم تصل إليه يدُه فصار منها لمَّا علاها بمكان القَتَب حتى كأنَّها مقتَّبَة. والسَّناسِنُ: أعالي السَّنام والخارجُ مِن فَقارِ الظَّهر، واحدتها سِنْسِنَةٌ. ومعنى يُنشنِشُ يكشِف ويفرِّق. وقيل: النَّشنشة معاسَرةُ الشَّيء حتى تأخُذَه كما تريد. يقول: رَكب مطاها لمَّا لم يبلغ سنامَها لعِظَمها ولم يمكنْه أن يَكشِط الجلدَ عنها، فأقبلَ يقطِّع اللَّحم عنها وينتزِعُه منها، فِعلَ القاتل السالب لثياب المقتول وسلاحه. وهذا تشبيهٌ حسنٌ جاءَ على حَقِّه. ورواه بعضهم: «كما تُنَشْنِشُ كَفًّا فاتِلٍ سَلَبا»، وقال: شَبَّهَ نَشنشتَه بنَشنشةِ فاتلِ الحبل من السَّلَب، وهو نباتٌ يخرُج على صورة الشَّمَع وعلى قَدْره، فيُجَزُّ ويُفتَلُ منه الحبل. وبائعها ومتَّخذها السَّلَّاب.

هكذا حكاه أبو حَنيفة الدِّينَوَرِيُّ. والرِّواية الأولى أجوَدُ وأكثرُ مَشابِهَ.

١١ ـ وقُلتُ لما غَدَوْا أُوصِي قَعيدَتَنا غَدِّي بَنِيكِ فلَنْ تَلْقَيْهِمِ حِقَبا

١٢ ـ أُدْعَى أباهُمْ ولم أُقْرَفْ بأُمِّهِم وقد عَمِرْتُ ولم أعرِفْ لهم نَسَبا

١٣ ـ أَنا ابْنُ مَحْكانَ أخْوَالِي بَنُو مَطَرٍ أَنْمِي إليهم وكانوا مَعْشَرًا نُجُبا

قوله: «لما غَدَوْا» أي همُّوا بالارتحال غدُوًّا، لأنَّ «لمّا» عَلَمٌ للظَّرف. و«أوصِي» في موضع النَّصب على الحال، وتقديره: موصيًا قعيدتَنا. ومفعول قلتُ قوله: «غَدِّي بَنِيكِ». والمعنى بالِغِي في تفقد أضيافِك في هذه الغداة، فإنَّ لقاءهم سيتأخَّر زمانًا ممتدًّا. والحِقَب: السِّنُون، واحِدتها حِقْبةٌ. والمعنى غُدِّي الإحسانَ إليهم نُهزَة تفترِصينها، وزادًا من الإحسان تدَّخرينها، فإنَّه لا يَدرِي متى تظفَرين بأمثالهم، وهل يكون فيما بَقِيَ من الزمان لهم عودةٌ إلينا.

وإنما قال: «أَدْعَى أباهم»، لأنه يقال للمُضِيف: أبو المَثْوَى، وللمُضِيفة: أمُّ المَثْوَى.

«ولم أُقْرف بأمِّهم» أي لم أُتَّهم. والقِرفة؛ التُّهمة. ومعنى «عَمِرْتُ»: بقيت حَيًّا. وقصدُ الشَّاعرِ أن ينبِّه على أنَّه لا عواطف بينَهم، ولا أواصرَ تَجمعُهم، وقد التَزَم ما التزمَ لهم تكرُّمًا واصطناعًا. ثم نبَّهَ على طرفَيه فقال: أخوالي بنو مطر أنتمي إليهم وهم مُنجبون، وأعمامي بالفضل والإفضال معروفون، و«نَجْلُ الجَوادِ جَرْيَهُ يَتقيَّلُ»(١).

٦٧٧ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ ومُسْتَنْبِحٍ قَالَ الصَّدَى مثلَ قولِهِ   حَضَأْتُ لهُ نارًا لها حَطَبٌ جَزْلُ

٢ ـ فقمتُ إليه مُسْرِعًا فغَنِمْتُه   مَخافةَ قومِي أن يَفوزُوا به قَبْلُ

٣ ـ فأوْسَعَنِي حَمْدًا وأوسعتُهُ قِرًى   وأَرْخِصْ بِحمْدٍ كان كاسِبَه الأكْلُ

قوله: «ومستنبح» يريد به رجلًا ناكَدَهُ الزَّمانُ في سفره، أو لم تساعدْه الحال فيه على مُؤَنِه، فاستنبح كلابَ الأحياء ليهتديَ إليهم، فأقبَلَ الصَّدَى يُحاكِيه، ويؤدِّي إليه مثلَ صوته. ومعنى «حضأت له نارًا» فتحتُ عينَها لترتفع وتلتهب وقد أوقِدَتْ بغلاظ الحطَب وكبارِها، فقمت إلى الضَّيف متعجِّلًا، واستغنمت خدمتَه مُسارِعًا لئلَّا أُبادَرَ إليه فيغتنمَه غيري، ويفوزَ به سابقًا لي. وقوله: «حضأتُ له نارًا» جواب رب.

وانتصب «مسرعًا» على الحال، و«مخافةَ قومي» مفعول له، أي فعلتُ ما فعلت لهذه العلّة فأكثَرَ الضّيفُ من إطرائي وتزكيتي، وشُكرِي وتقريظي، وأكثرتُ القِرى له محتفِلًا ومتكثِّرًا، ومتودِّدًا ومتكرِّمًا، وما أرخَصَ حَمْدًا جالِبُه أَكْلٌ، وكاسِبُه إطعام. وقوله: «كان كاسِبَهُ أكل» جعل النكرة اسمَ كان، والمعرفةَ خبرًا. والإبهامُ الحاصل من التَّنكير في هذا الموضع أبلغُ في المعنى المستفاد. ومثله قول النابغة: [الوافر]

كأنَّ مُدامةً من بيتِ رَأْسٍ   يكونُ مزاجَها عَسَلٌ وماءُ(٢)

وإن شئت رويتَ: «وأرخِصْ بِحمْدٍ كان كاسِبهُ الأكل»؛ وأمرُه ظاهر.

(١) تقيّل فلان أباه: إذا نزع إليه في الشبه.

(٢) لحسان بن ثابت في ديوانه ٧١، وخزانة الأدب ٩: ٢٢٤، والدرر ٢: ٧٣، وشرح أبيات سيبويه ١: ٥٠.

٦٧٨ ـ آخر: [البسيط]

١ ـ تركتُ ضَأْنِي تَوَدُّ الذئبُ رَاعِيَها وأنَّها لا تراني آخِرَ الأبَدِ
٢ ـ الذئبُ يَطْرُقُها في الدَّهرِ واحدَةً وكُلَّ يَوْمٍ تراني مُدْيَةٌ بِيَدِي

قوله: «تودُّ الذئب راعيها»، لك أن تقول: عدّي تودُّ إلى مفعولين، ويسوِّغ ذلك فيه أنّه عطف على مفعوله الأول قوله: «وأنّها لا تراني آخِرَ الأبد»، ويكون التقدير لكَشفِه: وتودُّ أنّها لا تراني أبدًا. ويشهد لهذا قول الآخر: [الطويل]

وددتُ وما تُغنِي الوَدَادَةُ أنّني بما في ضميرِ الحاجبيَّةِ عَالِمُ(١)

ألا تَرَى أنَّ وقوع «أنَّ» بعده يقرّب الأمر في تعدّيه إلى مفعولين، وأنْ يُجرَى مجرى أفعال الشّك واليقين، كما تقول ظننتُ أنَّ زيدًا منطلِقٌ، وأصحابُنا النحويُّون بمثل هذا الاستدلالِ حكَموا على زَعَمْتُ بأنّه يتعدى إلى مفعولين. ولا يمتنع أن يكون «راعيَها» في موضع الحال، والمراد راعيًا لها، ويتعدى تودُّ حينئذٍ إلى مفعول واحد. والمعنى أنَّ ضَأْني تتمنّى أن يكون مدبّرها في الرِّعْيَةِ أعدَى عَدُوٍّ لها، وتخرج من مِلْكتِي ومِلْكِي، حَتَّى لا أراها آخر الدهر، وذلك أن عدوَّها ينفع معه الحَذَر، بل لا يكاد يتمكن من الإضرار بها طُولَ الدهر إلّا مرّة واحدة، وذلك لعارضِ إهمال أو اتّفاق سَيِّىء وإغفالٍ، أو لما هو عادةُ الزّمان في انتهاء الآماد من الإرصاد، وهي لا تحترزُ منّي إذا أردتُها وإن اجتهدَتْ، ولا تطيق دَفْعَهَا لي وإن احتفلَتْ.

وقوله: «الذئب يطرُقُها» هو بيانُ سببِ تمنّيها وكشف العِلّة في تفاديها من أن تكون في ضِمْن سياستِه لها. وانتصبَ واحدةً على الظرف، مرّة واحدة، ويجوز أن يكون صفةً لمصدرٍ محذوف، كأنّه أراد طَرْقَةً واحدةً. وقوله: «وكلَّ يوم» هو ظرف لقوله: «تراني مديةٌ بيدي»، وموضع مديةٌ بيدي نصب على الحال، أي تراني حاملًا مُدْيَةً لها، ومتهيِّئًا بآلةِ ذبحها. وإن شئتَ رويت «مُدْيَةً»، ويكون بَدَلًا من المضمر في تراني، وهذا البَدَل هو بدل الاشتمال، أي تَرَى مُدْيَةً. فأمّا وجهُ الرفع، فالضّمير الذي بيدي استغنى عن الواو المعلّقة للجُمَل بما بعدها وهي صفاتٌ أو أحوال، لأنَّ الضّمير يُعلِّق كما يُعلِّق العاطف، وفي الوجه الثاني وهو البدلُ مثلُه قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧].

---

(١) لكُثيِّر عَزّة في ديوانه ١٩٩، وخزانة الأدب ٨: ٣٨٣، وبلا نسبة في شرح الحماسة للتبريزي ص ٩٣٢.

٦٧٩ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ ما أنا بالسَّاعِي إلى أمِّ عاصِمٍ لأضرِبَها إني إذًا لجَهُولُ
٢ ـ لَكِ البيتُ إلّا فَينَةً تُحسِنينَها إذا حَانَ من ضَيفٍ عليَّ نُزُولُ

قوله: «لأضربَها» اللام منها لام كي. فإن قيل: كيف يكون كذلك وفي صدر الكلام ما النافية، ولمَ لا يكون لام الجحود؟ قلت: لام الجحود تقع بعدما كان وما تصرَّف منه، كقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]. وكقولك: ما كنت لأشتُمَكَ، لأنّه جواب قولِ قائل: كنت ستشتُمني، فأُجِيبَ: ما كنت لأشتُمَكَ، ولهذا لم يظهر معه أنْ النّاصبةُ للفعل وإن جاز ظهوره مع لام كي. و«إذًا» وقع لَغوًا لافتقار ما قبلها إلى ما وَقَعَ بَعْدَها. والجهول: الكثير الجهل وبناؤهُ للمبالغة. وهذا الكلام خارجٌ على سبب، كأنّه رأى إنسانًا يضرِب امرأتَه ويحول بينها وبين تدبيرها دَارَها، فنفَى عن نفسه مثلَ ذلك بعد أن اعتُقِد فيه أنّه يقتدي به حتّى كأنه أجاب مَن قال له: أكنت لتضربَ أمَّ عاصِمٍ؟ فقال: ما أنا بالسَّاعي لذلك. وبَيّن أنَّ ذلك يفعله المتناهِي في الجهل والغَباوة.

وقوله: «لكِ البيتُ إلا فَيْنَةً» حكى أبو زيد أنَّ قولَهم فَيْنَةً مما يعتقب عليه تعريفان: أحدهما بالوضع، والآخر بالألف واللام. ومثله شَعوبُ والشَّعُوب، والمراد به المنيّة، كما أنَّ المراد بالفَينة الوقت. كأنّه أقبلَ على امرأته فقال: إليكِ تدبيرُ البيت ولك الأمرُ فيه نافذًا إلا وقتًا تُحسِنين فيه، وهو وقتُ حين نزولِ الضَّيف فيه عليَّ، لأنّه من أجله يجب أن تُحسني إليه فيه، وتدبُّري له لا عليه، لأنَّ البيت كأنّه له ونحن مِن خَوَلِه. وقوله: «تحسنينها» قدَّر الظَّرف تقدير المفعولِ الصحيح، كما قال: [الطويل]

ويوم شَهدناهُ ....(١)

وما أشبهه. وروى بعضهم: «إلا فينة تَحْسَبِينَها» أي تظنّين فيها أنّه لغيرك لا لك، ويكون على هذا قد حُذف مفعولَا يَحْسِبُ وشُغِل بضمير الفَينة. والمعنى في ذلك: تجعلين النَّظرَ له والتجمُّل، والاحتفالَ بسببه. وانتَصَب «إلا فينةً» على الاستثناء

---

(١) لرجل من بني عامر في الدرر ٣:٩٦، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧:١٨١، واللسان (جزي)، وتمامه:

«ويومٍ شهدناه سُلَيمًا وعامرًا قليلٍ سوى الطعنِ النهالِ نوافلُهْ»

من واجب، كأنّه قال: لكِ البيت كلَّ وقت وساعةٍ إلَّا ساعةَ كذا. وهذا الاستثناء من معنى لكِ البيت، وممَّا انطوَى عليه فحوى الكلام. وقوله: «إذا حَانَ من ضَيْفٍ عليَّ نُزول» موضعه نصبٌ على أنّه بدل من فَيْنَةً. وإنَّما قال إذا حان لأنَّ الاستعداد والاحتشاد يتقدَّمان النزول.

٦٨٠ ـ وقال بعضُ بني أسد: [الطويل]

١ ـ وسَوْدَاءَ لا تُكْسَى الرِّقَاعَ نَبيلةٍ ... لها عِنْدَ قِرَّاتِ العَشِيَّاتِ أَزْمَلُ

٢ ـ إذا ما قَرَيْنَاهَا قِرَاهَا تضَمَّنَتْ ... قِرَى مَنْ عَرانا أو تزيدُ فتُفْضِلُ

أراد بالسَّوداء قِدْرًا، و«لا تُكْسَى الرِّقاع» في موضع الصفة لها.

وفي طريقته قول الآخر: [الوافر]

إذا النيرانُ أُلبِسَت القِنَاعَا(١)

وجعلَها مكسوّةً قِناعًا لأنَّ الرُّقعة والرقعتين لا تَكفِي في سَتْرِها لعِظَمها. وإنَّما تُستَر القُدورُ لشدَّة الزَّمان، بل تُعَطَّل وتُرفَض لضيق الأحوال، وقصور الأيدي عن المراد، مع اتِّساع الغاشِيَةِ وتورُّد الطُّلّاب.

ويشبه ما ذكَره من جمع الرِّقاع لعظم القِدْر قول الأعشَى، وقد وصف امرأةً بعظَم العَجِيزة: [المتقارب]

تَشُدُّ اللِّفاقَ عليها إزارًا(٢)

أي تُلَفِّق بين ثَوبين حتَّى يتسع إزارًا لها.

ويجوز أن يريد أنّها كبيرةٌ لا يمكن سَتْرُها بالرِّقاع، أو لا تستر، كما قال: [السريع]

ولا تَرَى الضَّبَّ بها ينْجَحِرْ(٣)

---

(١) هذا عجز بيت لأبي زيد الكلابي كما سيأتي في الحماسية رقم (٦٩١)، وصدره:
«له نارٌ تُشَبُّ على يفاعٍ»

(٢) للأعشى في ديوانه ٩٩، وبلا نسبة في اللسان (لفق)، وتاج العروس (لفق)، وصدره:
«ويا رُبَّ ناعيةٍ منهم»

(٣) هذا عجز بيت لابن أحمر في ديوانه ٦٧، وأمالي المرتضى ١: ٢٢٩، وخزانة الأدب ١٠: ١٩٢، وصدره:
«لا تُفزِعِ الأرنبَ أهوالُها»

والمعنى لا ضَبَّ هناك فينجحر.

وقوله: «نبيلة» أي عظيمة الشأن، وخَصَّ قِرَّات العَشِيَّات لأنَّها وقتُ الأضياف. والمراد: لها عند العشيّات القَرَّةِ أَزْمَلٌ، وهو الصَّوت، والمراد غليانها. والقَرُّ والقُرُّ والقِرَّةُ: البرد.

وقوله: «إذا ما قَرَيْنَاهَا قِراها»، يريد إذا ملأناها فِدَرًا وأوصالًا تضمَّنتْ لنا الكفايةَ لمن نَابَنَا من حَقٍّ، وأتانا من ضَيْفٍ، أو تزيد عن المطلوب فتُفْضِلُ على غيرهم ممن لا يُعَدّ في الوقت ولا يُذكَر. ويروى: «فتَفْضُلُ» بفتح التاء، وهو ظاهر المعنى، والأوَّل أحسن. وجعلَ المطبوخَ في القِدر قِرًى لِيُطابق قوله: تضمَّنَتْ قِرَى مَن عَرَانَا. وعادتُهم في طِباق الألفاظ ووِفاقِها في النِّظام معروفة.

٦٨١ ـ وقال آخر[(١)]: [الطويل]

١ ـ سَلِي الطَّارِقَ المُعْتَرَّ يا أُمَّ مَالِكٍ إذا ما أتاني بين قِدْري ومَجْزِرِي

٢ ـ أيُسْفِرُ وَجْهِي أنَّه أوَّلُ القِرَى وأَبْذُلُ معروفي له دُون مُنْكَرِي

الطَّارق: الآتي ليلًا. وسَلِي أصله اسألي فحذفت الهمزة وأُلقِي حركتها على السِّين ثم استُغني عن الهمزة المجتلبة، لتحرك السين بالفتحة، فحذفت. والمعتَرُّ: المتعرِّض ولا يَسأل. يقال: عَرَّهُ واعتَرَّهُ بمعنًى. وفُسِّرَ في التنزيل قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: الآية ٣٦] على ذلك، لأنَّ القانع قيل هو السَّائل، والمعترّ الذي يتعرَّض ولا يتكلَّم. وقال الأصمعيّ: عراه واعتراه وعَرَّه واعتَرَّهُ، إذا أتاه طالبًا لمعروفه. وقوله: «إذا ما أتاني بين قدري ومجزري» يريد إذا أتاني في موضع الضِّيافة ودارها بين مَسْقِطِ الجُزُرِ ومَنْصِبِ القُدور. والمعنى: سَلِي أضيافي عن أخلاقي معهم، وكَيْفِيَّةِ إكرامي لهم في مَثْواهم، وهل أتدرَّجُ في مدارج الخِدمة وأتوصَّل بأنواع التودُّد والقُربة من ابتداء نزُولهم، إلى انتهاء ذَهابهم عنِّي وخُفوفِهم. وإنَّما خاطب امرأةً على عادتهم في نِسبة الملامات بسبب التَّبذير والإسراف والتوسُّع في الإنفاق إليهنَّ، وإقامة الحِجاج والجِدال في الانصباب إلى جوانب الخسارات معهنّ. ويجوز أن يكون التبجُّح عندها بما يُحمَد من خِصاله، فلذلك خصَّها بالخطاب.

(١) التبريزي: «عروة بن الورد». وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٦).

وقوله: «أيُسْفِرُ وجهي» في موضع المفعول الثاني لسَلِي، وقد اكتفى به لأنَّ في الكلام إضمارَ أمْ لَا. وساغ حذفُه لما يدلُّ عليه من قرائن اللفظ والحال. وقال سيبويه: «لو قلتَ علمتُ أزيدٌ في الدَّار لاكْتُفِيَ به من دون إضمار. ولو قلتَ: سواءٌ عليَّ، أو ما أُبالي، لم يكن بُدٌّ من ذِكْر أمْ لا بعدهما».

ومعنى قوله: «أنّه أوَّلُ القِرى»، يريد أنّ إظهار البَشاشة للضَّيف وتطلُّقِ الوجه معه، وإظهارَ السرور بقصده ومَثْواه من أوائل قِراهُ. ثمَّ التَّرحيبَ به وإيناسَهُ مِن بَعْدُ حتَّى كان يُنتظَر كما ينتظر الغائب الآيب، ثم المبالغةَ في الإنزال وحَطِّ الأثقال، وإظهار سَعَةِ الرَّحْل والمكان إلى غير ذلك ـ ممَّا يَبْسُطُ منه، ويُزيل الحِشمةَ والانقباض عنه؛ لذلك قال:

وأبذل معروفي له دون منكري

لأنَّ قوله: «معروفي» دخلَ تحتَه كلُّ محمودٍ من الأفعال والرُّسوم، كما أنَّ قوله: «دون منكري»اشتَمَل على نَفْيِ كلِّ مذموم من الخصال والأمور. وقيل: إنَّ المنكَر هو أن يَسألَ عن حاله ونسَبه، وقَصدِه في سفَره، وكيفيّة مأتاه حينَ نزلَ به؛ لأنَّ جميعَ ذلك مما يجلب عليه حياء، ويُوسِعه نفورًا وإمساكًا. والضمير من قوله: «أنّه أوَّل القِرى» لما يدلُّ عليه قوله: «أيُسْفِرُ وجهي»؛ لأن الفعل يدلُّ على مصدره. والمراد أنَّ الإسفار أوَّلُ القِرى، وعلى هذا قولُهم: مَن كذَب كان شرًّا له، وما أشبَهَه.

٦٨٢ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ وإنّا لَمشَّاؤون بَينَ رِحالِنا … إلى الضَّيف مِنَّا لاحِفٌ ومُنيمُ

٢ ـ فذُوا الحِلْمِ منا جاهلٌ دون ضَيفِهِ … وذو الجهل مِنّا عَنْ أذاهُ حَليمُ

قوله: «إنا لمشّاؤون» إبانةٌ عن حسن خِدمتهم للضَّيف، وعن قُربِ مَحَطِّهِ مِن رحالهم ومَقَارِّهم. وقوله: «منّا لاحِفٌ ومنيِمُ» يريد: ومنّا مُنيم. فحذف لأنَّ المراد مفهوم. وفي القرآن: ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ [هود: الآية ١٠٠]. واللاحِف والمُنِيمُ إنَّما ينهضان بعد تَقَضِّي الإطعام والإيناس. ألا تَرَى قولَ الآخر: [الطويل]

أُحَدِّثُهُ إنَّ الحديثَ من القِرَى … وتَعْلَمُ نفسِي أنّه سوف يَهْجَعُ(١)

(١) لعروة بن الورد في ديوانه ١٠١، واللسان (بصبص)، ولعتبة بن بجير في الحماسية (٧٦١).

وقوله: «فذو الحلم منّا جاهلٌ دون ضَيفه» في هذا البيت بعضُ ما في قول الآخر: [الطويل]

وأبذلُ معروفي له دون مُنْكَرِي[1]

وإنما يتجاهل الحليمُ دون ضيفه إذا أوذِيَ عند طلب ثأرٍ من جِهَته أو تَخْشِينِ جانبٍ له بكلامٍ أو فَعال.

وقوله: «وذو الجهل مِنّا عن أذاه حليمٌ»، يريد به وإنْ أخَذَ الضَّيفُ يؤذينا ترى الجهول يحتملُه، ويَغفر زَلَّته، ولا يَطلب مؤاخذتَه ومكافأته.

٦٨٣ ـ وقال ابن هَرْمَةَ[2]: [الطويل]

١ ـ أغشَى الطَّريقَ بقُبَّتِي ورواقِها وأَحُلُّ في نَشْزِ الرُّبى فأُقِيمُ

٢ ـ إنَّ امرأً جَعَلَ الطَّريقَ لِبَيْتِهِ طُنُبًا وأَنكَرَ حَقَّهُ لَلَئِيمُ

يقارب ما قالَه قولُ الآخر: [الكامل]

يَسِطُ البُيوتَ لكي يكونَ مَظِنَّةً من حيثُ توضَعُ جَفْنَةُ المُسْتَرْفِدِ[3]

وقول الآخر: [الوافر]

ويَأْبَى الذَّمَّ لي أنّي كريمٌ وأنَّ مَحَلِّيَ القَبَلُ اليَفَاعُ[4]

وذلك أنَّ الكِرَام ينزلون الرَّوابي والإكام، ويتوسَّطون النّاسَ في أيّام الجدب، وعند اشتمال القَحط، لكي تهتدي إليهم السابِلة والمارَّة، ويشترِكَ في خيرهم الدّاني والقاصي. واللِّئام ينزلون الأهْضامَ وبطون الأودية، ويتفرَّدون عن النّاس إبقاءً على زادهم، وضِنًّا بطعامهم، وتفَاديًا من أن تُعرفَ أماكنُهم فيكثر قَصدُ أبناءِ السَّبيل لهم، ووطْؤُهم إيّاهم، وتنضمَّ الطوائف والفِرق إليهم. لذلك قال المُرَقِّش: [الطويل]

وعادَ الجميعُ نُجْعَةً للزَّعانِفِ[5]

---

(١) عجز البيت الثاني من الحماسية (٦٨٠)، وصدره:

«أيسفر وجهي أنه أولُ القِرى»

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٧٠).

(٣) بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٤: ٣٦٤، واللسان (وسط)، والتبريزي ٩٣٦،

(٤) لربيعة بن مقروم في المفضلية (٣٩).

(٥) البيت من المفضلية (٥٠) وصدره:

«وكان الرفاد كل قدح مقرم»

أي تأوِي الفِرق القليلة إلى الجَمْع، لتعيش بعيشهم. فيقول: إنّي أَنزِلُ على الطَّريق وأبني عليها قُبَّتِي، وقد مُدَّ رِواقُها ورُفِع سَمْكُها لتمتدَّ العيونُ إليها، ويغشاني ذَوُو الحاجاتِ فيها. وكذلك أَحُلُّ التِّلاع والنِّشازَ تَشهيرًا لمكانِي، وتعرُّضًا لتعليق الآمال بِي إذا اشتدَّ الزمان، وأُوثِرَ الخُمولُ والانْدِفان. والقِبابُ يتَّخذها الرؤساء، فلذلك خَصَّها بالذكر، ولم يرض بذلك حتَّى جعل لها رواقًا ممدودًا، وموضِعًا له من الطَّريق مَغْشيًّا موطوءًا.

ولمثل ذلك قال أبو تمام: [الكامل]

لـولا بـنـو جُشَـمِ بن بكـرٍ فيكُـمُ   رُفِعَـتْ خِيامُكـمْ بغَيـر قِبَـابِ[١]

والنِّشْزُ: ما ارتفع من الأرض. والرُّبَى: جمع رُبوة. ولم يَرْضَ بالحلول حَتَّى وَصَلَه بالإقامة.

وقوله: «إنَّ امرءًا جعلَ الطَّريق لبيته طُنُبًا»، أراد جَعَلَ الطريق موضع طُنُبِ بيتهِ، فحَذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ويجوز أن يكون على القَلْب، أراد: جعل طُنُبَ بيته للطَّريق، أي مما يليه، ثمَّ لم يقمْ بحقِّه ولم يلتزم ما يجب عليه فيه، لَلَئيم. وإنَّما أعاد هذا الذكرَ تأكيدًا لما يأتيه، واعترافًا بالواجب فيه. والأَطْنَاب: حبال البيوت، قال الشاعر: [الطويل]

تُقَطِّعُ أطنابَ البُيوتِ بحاصب

وقد تسمَّى عروقُ الشَّجر أطنابًا على التشبيه، وهذا كما سمِّيت أذنابًا وأشطانًا. قال: [الطويل]

.... تستقي   بأذنابها قبل استقاء الحناجِرِ[٢]

وقال آخر: [البسيط]

أشطانها في عِذَاب البَحْرِ تستَبِقُ[٣]

---

(١) ديوانه ١٨.

(٢) للنابغة الذبياني في ديوانه ٩٩، واللسان (حنجر) وتهذيب اللغة ٥: ٣٠٩، وتمامه:

«من الواردات الماء بالقاع تستقي   بأعجازها قبل استقاء الحناجرِ»

(٣) بلا نسبة في اللسان (كفأ، جلح)، وتهذيب اللغة ١٠: ١٩٠ وصدره:

«غُلْبٌ، مجاليحُ، عند المحلِ كُفْأتُها»

٦٨٤ ـ وقال آخر[1]: [الطويل]

١ ـ ومُسْتَنْبِحٍ يَستكشِطُ الرِّيحِ ثوبَهُ ... ليسقُطَ عنه وهو بالثَّوبِ مُعصِمُ[2]

٢ ـ عَوَى في سَوَادِ اللَّيلِ بعد اعتسافِهِ ... لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أو لِيَفْزَعَ نُوَّمُ

كَشَطَ واستكشط بمعنًى، فهو كعجِب واستعجب. والكَشْطُ يقارب الكشف. ويقال: كُشِطَ الجلدُ عن الجَزُور، ويُستعمَل في الجزور خاصَّة كثيرًا وإن أُجرِيَ على غيرِه أيضًا. والجلد يقال له الكِشاط؛ يقال: ارفَعْ عنه كِشَاطَهُ. والمُعْصِم والمستعصم واحد، وهو المستمسك بالشَّيء، وإنَّما أراد أن يصوِّر حال المستنبح وما هو ممنوٌّ به من البرد والرِّيح.

وقوله: «عَوَى في سَوَاد الليل» أي نبح وصاح. وفي المثل السائر: «لَوْلَكَ عَوَيْتُ لم أَعْوِ»[3]. وأصله المستنبح أجابَه الذِّئب. ويقال: «فلانٌ ما يُعوِي ولا يُنبِح» إذا استضعِف. ويقال للدَّاعي إلى الفتنة: عَوَى، تشبيهًا له بالكلب وإزراءً به. فأمَّا قولهم للحازم: «ما يُنْهَى ولا يُعْوَى»، فالمعنى لا يُثْنَى ولا يُردُّ. وعوَيتُ الشَّيء ولويتُه بمعنًى. والاعتساف: الأخذ في الطريق على غيرِ هداية. وإنَّما قال: «أو لِيَفْزَعَ نُوَّمُ» لأنَّهم إذا انتبهوا لصَوته أجابوه أو تلقَّوه أو رفعوا النَّار له وذلك على حَسَب مكانِه منهم في القُرب والبُعْد. وجوابُ رُبَّ: عَوَى.

٣ ـ فجاوَبَهُ مُستَسمِعُ الصَّوتِ للقِرَى ... لَهُ مَعَ إتْيَانِ المُهِبِّينَ مَطْعَمُ

٤ ـ يكادُ إذا ما أَبصَرَ الضيفَ مُقبِلًا ... يُكلِّمُه مِنْ حُبِّهِ وهو أعْجَمُ

يعني بمستسمع الصَّوت: الكلب. ويقال: استسمع بمعنى سمع، فهو كاستعجب وعجب. وإنما قال: «مع إتْيان المُهِبِّين مطعم» لسَعة عيش الكلب فيما يُنْحَرُ للضَّيف. والمُهِبُّون: الأضياف. ويقال: هَبَّ من مَنامه، وأهببتُه.

وقوله: «يكاد إذا ما أبصرَ الضَّيف مُقبِلًا يكلِّمه»، أي يكاد الكلْبُ يكلِّم الضيف حُبًّا له إذا أقبَلَ، على عُجمته. وانتَصَب «مقبلًا» على الحال، والكلبُ ممَّا يُوصَف به

---

(١) الأبيات لإبراهيم بن هرمة في البيان والتبيين ٣: ٢٠٥، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضًا: يعني ابن هرمة»، والأبيات في الحيوان ١: ٣٧٧ بلا نسبة.

(٢) التبريزي: «تستكشطُ».

(٣) انظر كلام أكثم بن صيفي في المعمرين للسجستاني ١٤.

حُبُّه للضَّيف، لذلك قال الآخر: [الطويل]

حَبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ مُنَاخُه بَغِيضٌ إلى الكَوْمَاءِ والكَلْبُ أَبْصَرُ(١)

وحبُّه للطَّاعن، لذلك قيل في المثل: «أحبُّ أهل الكلب إليه الطَّاعن» وحبُّه لوقوع الآفات في المال، لذلك قيل في المثل: «نعيمُ كلْبٍ في بُؤسَى أهلِه». واللام من قوله: «للقرى» يجوز أن يتعلّق بقوله جاوَبَه، أي لهذه العِلّة جاوَبَه، ويجوز أن يتعلَّق بقوله مستسمع الصوت.

٦٨٥ ـ وقال سالم بن قُحْفَان(٢): [الطويل]

١ ـ لا تَعْذُلِينِي في العَطَاءِ ويسِّري لِكلِّ بَعِيرٍ جاءَ طالِبُه حَبْلَا

٢ ـ فإنِّيَ لا تَبْكِي عَلَيَّ إفالُها إذا شَبِعَتْ من رَوْضِ أوطانِها بَقْلَا

٣ ـ فلَمْ أرَ مِثْلَ الإبلِ مَالًا لمُقْتَنٍ ولا مِثْلَ أيَّامِ العَطاءِ لها سُبْلَا(٣)

كانت امرأتُه عاتَبتْه وأنكرَتْ منه تبذيرَ المال، وقلّةَ الفكر في عواقب الأمور وحاضِرِ العِيال، وقال لها اطّرِحي اللّوم معي فيما تعوَّدتُه وأَجرِي عليه من البَذْل والسَّخاء، وهيِّئي لكلِّ بعير جاء طالبٌ له حَبْلًا يقتاده به، حتّى تكوني شريكًا لي في العَطاء ومُعينًا، واعلَمِي أنّي إن أبْقَيْتُ على مالي وسعيت في توفيرها وتثميرها، وأهنتُ نَفْسي بإعزازها، فإنّها لا تبكي عليّ إفالُها إذا مِتُّ وقد طاعَ لها المَرتَع من قبلُ فشَبِعت من بُقول الرِّياض، وسمنت بالتَّوديع وحسن الإرعاء، ولا تذكُرُني بجميل، وإنما يفعل ذلك من أحسنتُ إليه في حياتي واصطفيته بإسدائي، وآثَرْته باتِّخاذ الأيادي إليه، وإكمال النِّعَم عليه.

---

(١) البيت الثالث من الحماسية رقم (٧٢٠).

(٢) التبريزي: «... العنبري». وذكر خبر الأبيات: «أن سالم بن قحفان أتاه أخو امرأته، فأعطاه بعيرًا من إبله وقال لامرأته: هاتي حبلًا يقرن به ما أعطيناه إلى بعيره ثم أعطاه بعيرًا آخر، وقال هاتي حبلًا، ثم أعطاه ثالثًا فقال هاتي حبلًا، فقالت: ما بقي عندي حبل، فقال: عليّ الجمال» وعليك الحبال، فرمت إليه خمارها، وقالت: اجعله حبلًا لبعضها، فقال الأبيات».

(٣) التبريزي: «فأجابته امرأته: [الطويل]

حلفتُ يمينًا يا ابن قحفان بالذي تكفّلَ بالأرزاقِ في السهلِ والجبلْ

تزالُ حبالٌ محصداتٌ أعدّها لها ما مشى منها على خُفِّهِ جملْ

فأعطِ ولا تبخلْ لمن جاء طالبًا فعندي لها خُطمٌ وقد زاحت العللْ»

وقوله: «لم أر مثل الإبل مَالًا لمُقْتَنِ» فالمقتنِي: الذي يتَّخذها قِنْيَةً للنَّسْل، والمراد أنَّها إذا لم يوجد للاقتناءِ خيرٌ منها، فلا طريقَ تُصرَف إليه أصلحُ من طُرُق الحقوق الرَّاتبة فيها. وانتصب «بَقْلًا» على التمييز. وإنَّما قال: «لا تبكي عليَّ إفالُهَا» وهي الصغار منها، والواحد أفِيلٌ، إزراءً بها إذْ صارت إرْثًا، ولم تدخل تحت ما فَرَّقَهُ في النوائب الطَّارقة، والفُروض الواجبة.

٦٨٦ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ ألا تَـرَيْـنَ وقـد قَـطَّـعْـتِـنِـي عَـذَلًا ماذا من البُعْدِ بين البُخْلِ والجُودِ

٢ ـ إلَّا يَـكُـنْ وَرَقِـي غَـضًّـا أَرَاحُ بـه لـلـمُـعْـتَـفِـيـنَ فـإنِّـي لَـيِّـنُ الـعُـودِ

يخاطب امرأةً ويقرِّرها على ما أنكرَتْ عليه في السَّخاء والبَذْل، ويُريها أنَّ الصَّواب فيما يختاره ويجري عليه من اكتساب الحمْد ببذل ما تملكه يدَاه، وابتناء المكْرُمات بالتخرُّق في العطاء، فيقول: قد قَطَّعْتِنِي لَوْمًا، وحَرَّقْتِنِي توبيخًا وعَذْلًا، ومتى راجعتِ نفسَكِ، وناجيتِ عَقْلَكِ، وخايرت تجربَتَك عرَفتِ التَّفاوُتَ بين الإمساك والبَذْل، وبين التسخِّي والبُخْل، وبان لَكِ أنَّ الصوابَ فيما أَختارُهُ، وعلى تغيُّر الأحوال أُراجِعُه وأعتاده، وأنَّ الخطأ فيما تبعثين عليه، وتَسُوقين إليه. ثم قال: إنْ كان في مالي قصورٌ عن المراد، وقعود عند حُضور المرتاد، فإنَّ نفسي سَمْحَةٌ مجيبة، وعلى ما تقصر الحالُ عنه متحسِّرة، وسيعود عُودِي وَرِيقًا، فحينئذٍ أرتاحُ للعُفاة بوَرَقي غَضًّا طريًّا، وأُزِلُ معروفي موفورًا هنيًّا. ويقال: رِحْتُ له أَرَاحُ، أي: ارتَحْتُ. وقيل: الأَرِيحي أفْعَليٌّ من هذا. وذِكر الورَق كنايةٌ عن المال الكثير في كلامهم. وقال زهير: [البسيط]

وليسَ مانِعَ ذي قُرْبَى ولا رَحِمٍ يومًا ولا مُعْدِمًا من خَابِطٍ وَرَقا(١)

لما استعار الورَق للمال وَصَله بالخابط تشبِيعًا للفظه، وتحسينًا لكلامه، وكذلك هذا لمَّا كَنَى عن معروفه بالورَق وصَلَهُ بالعُود. وإذا لانَ العودُ اهتزَّ، وعن الاهتزاز للخير يحصل التَّندِّي ويَكْرُم الطَّبعُ.

---

(١) لزهير في ديوانه ٥٣، واللسان (خبط)، وتهذيب اللغة ٢: ٢٥١.

٦٨٧ ـ وقال قَيسُ بن عاصم[1]: [الكامل]

١ ـ إنِّي امْـرُؤٌ لا يَـعْـتَـرِي خُـلُقـي دَنَـسٌ يُـفَـنِّـدُهُ ولا أَفَـنُ
٢ ـ مِـن مِـنْـقَـرٍ فـي بَـيْـتِ مَـكْـرُمَـةٍ والـفَـرْعُ يَـنْـبُـتُ حَـوْلَهُ الـغُـصُـنُ[2]
٣ ـ خُـطَـبـاءُ حِـيـنَ يَـقُـومُ قـائِلُهـمْ بِـيـضُ الـوُجُـوهِ مَـصَـاقِـعٌ لُسُـنُ
٤ ـ لا يَـفْـطُـنُـون لـعَـيْـبِ جـارِهِـمُ وهُـمُ لـحِـفْـظِ جِـوَارِهِ فُـطُـنُ

قوله: «يفنِّده» أي يفحِّشه، والفَنَد: الفُحْش. ويقال: أَفْنَدَ الرَّجلُ، إذا أتَى بالفُحْش. والأَفْنُ أصلُه في استخراج اللَّبَن من الضَّرع حتَّى يخلوَ منه، ثم قيل: أُفِنَ الرَّجُل فهو مأفون، إذا زالَ عقله. والمعنى: إنِّي رجلٌ لا يتسلَّط على خلقي ما يدنِّسه ويفحِّشه من تغيُّر وتبدُّل، وتسرُّع إلى الشرّ وتلوُّن، وزَوالٍ عن السَّنَن المعهود، وذَهابٍ في طريقِ المأفون المَعْتوه، ولكنَّني أبقَى على حالةٍ واحدة محمودة، لا أَحُول ولا أزول. ثم إنني من بني مِنْقَرٍ في بيت من الكَرَم قد فَرَعْتُه، والفَرْع من شأنه أن يلتفَّ بأغصانه النَّابتةِ حولَه. وهذا مثلٌ ضرَبَهُ للمحتفِّين به من أقاربه، والآخِذِين إخذه في طبائعه ومَذاهبه. ثم وصَفَهم فقال: هم خطباءُ إذا قامَ قائلهم يُبينُ عن نَفسه وعن عشيرته، كِرَامٌ لا يسوِّد وجوهَهم عارٌ في الأصل، ولا شَيْنٌ مُكتسَبٌ على وَجه الدَّهر. المَصَاقِعُ: جمع مِصقع، وأصل الصَّقْع الضَّرب، وكما وُصِفَ به اللِّسان وُصِف بالسَّلْقِ والصَّلْق فقيل: خطيب مِصقَع مِصْلَقٌ مِسْلَقٌ سَلَّاق. وفي القرآن: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: الآية ١٩]. واللُّسُن: جمع اللَّسِنِ. ويقال: لَسِنَ يَلْسَنُ لَسَنًا، إذا تناهَى في البَلاغة والفصاحة. ويقال: لَسَنْتُ فلانًا، إذا ضايقتَه فيما يجاذِبُه من الكلام. على هذا قوله: [الرمل]

وإذا تَـلْسُـنُـنِـي أَلْسُـنُـهَـا[3]

---

(١) قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي: أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة. وهو ممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية. (ت نحو ٢٠ هـ/ نحو ٦٤٠ م). ترجمته في الإصابة تر (٧١٩٤)، والمزرباني ٣٢٩، وحسن الصحابة ٣٢٩.

(٢) التبريزي:

«والـغـصـن يـنـبـتُ حـولـه الـغـصـن»

(٣) لطرفة بن العبد في ديوانه ٥٣، واللسان (فقر، لسن، وهن)، وديوان الأدب ٢:١٣٧، وعجزه:

«إنـنـي لـسـت بـمـوهـونٍ فَـقِـرْ»

وقوله: «لا يفطُنون لعيبِ جارهم»، يقول: هم يُلابِسون الجار على ظاهر أمره، لا يتجسّسون عليه، ولا يتطَلّبون مشاينَه ومَقَابِحَه، وإن اتّفق له ما يوجب عليهم حِفظَه لِعَقد الجوار فَطِنُوا له، وحافَظُوا عليه. وإنما قال هذا لِمَا سارَ في النّاس وجَرَى مَجرى الأمثال، من أنَّ التكرُّمَ مِكيالٌ ثُلثاه حُسن الفِطنة وحِدَّة الذَّكاء في العارضات، وأنَّ اللُّؤمَ مكيالٌ ثلثاهُ سوء الفطنة واستعمالُ التجوُّز في الواجبات. والفُطْن: جمع فَطِنٍ وهو كَخشِنٍ وخُشْنٍ.

٦٨٨ ـ وقال ابن عَنقاءَ الفزارِيُّ[١]: [الطويل]

١ ـ رآني على ما بي عُمَيلَةُ فاشتَكَى ... إلى مالِهِ حالي أسَرَّ كَمَا جَهَرْ
٢ ـ دَعاني فآساني ولو ضَنَّ لم ألُمْ ... على حِينَ لا بادٍ يُرَجَّى ولا حَضَرْ[٢]
٣ ـ فقلتُ له خيرًا وأثنيتُ فعلَهُ ... وأوفاك ما أسديتَ مَن ذَمَّ أو شكر[٣]

يقول: رَاعَى حالي عُميلةُ وتأمَّلَها على ما بها، فأنهَى رثاثتَها واختلالها إلى مالِه، متحمِّلًا الشُّكوى منها على قلبه ونفسِه ظاهرًا وباطنًا، ومُسِرًّا ومُعلِنًا، لا يَشُوبه مُدَاجاةٌ ولا نِفَاقٌ، ولا يتخلَّل فِعَله مخاتَلةٌ ولا رِياء، بل اعتَنَى بها على خلوص نِيّة، واهتمامٍ بإحسان مع نَقَاء طوِيَّة.

وقوله: «دعاني فآساني»، يقول: ابتدأ في تغيير حالي، وإزالةِ ما مَسَّنِي من فَقْري من ذات نفسه، فجبَرَني وانتاشني، ولو سَعَى سَعْي غيره من البُخَلاء لم يَلحقْه منِّي عيْب في وقتٍ قد تساوَى النَّاسُ في المَنْع واطِّراح الحقوق حتَّى لا ذُو البَدْوِ

(١) التبريزي: «قال أبو رياش: مرّ عميلة الفزاري على ابن عنقاء الفزاريّ وهو يحتش لغنمه، وقيل: يحفر عن البقل ويأكله، فقال: يا ابن عنقاء، ما أصارك إلى هذه الحال؟ فقال له ابن عنقاء: تغيّر الزمان، وتعذّر الإخوان وضنّ أمثالك بما معهم، فقال عميلة: لا جرم والله، لا تطلع الشمس غدًا إلا وأنت كأحدنا. ثم انصرف كل واحد إلى أهله، وكان عميلة غلامًا حين بقل وجهه، فبات ابن عنقاء يتململ على فراشه، فقالت له امرأته: ما شأنك؟ فأخبرها الخبر، فقالت: قد خرفت وذهب عقلك حتى تعلق نفسك بكلام غلام حديث السن لا يحفل بما يجري على لسانه. ويُحكى أنه لما أصبح قالت له ابنته: لو أتيتَ عميلة فقد وعدك أن يقاسمك ماله، فقال: يا بنيّة إن الفتى سكرن ولا أدري لعله لم يعقل ما قال. فبينا هي تراجعه أقبل عليهم كالليل من إبل وغنم وخيل، وإذا عميلة قد وقف عليه، فقال: يا ابن عنقاء، اخرج إليّ، فخرج إليه. فقال: هذا مالي أجمع، هلمّ نقتسمه فقاسمه إياه: بعيرًا وبعيرًا، وفرسًا وفرسًا، وشاة وشاة، وجارية وجارية، وغلامًا وغلامًا، ثم انصرف فقال ابن عنقاء الأبيات».

(٢) التبريزي: «على حينَ لا بدوٌ». (٣) هذا البيت الأخير عند التبريزي.

يُرَجَّى ولا ذو الحضَر. وقوله: «ولا حَضَر» حَذَف المضافَ وأقام المضاف إليه مَقامه. وهذا كما يقال: الجُودُ حاتِم، يراد جُود حاتم. وكان الوجه أن يقول: ولا حاضر، مع ذكر البادِي، ليكون الكلامُ أشدَّ التئامًا، أوْ يقول: فلا بَدْوٌ يرجَّى، مع قوله ولا حضر.

وقوله: «فقلت له خيرًا»، يقول: شكرتُه على اصطناعه، وأثنيتُ على فِعله، وكثَّرتُ في النَّاس ما تكلَّفَه لي وتبرّع به ونشَرتُه، وقد وفَّاك حَقَّكَ في الإسداء مَن حَمِدك، كما وفَّاك في المكافأة مَن أسأتَ إليه إذا ذَمَّك. وكان وجه الكلام أن يقول: وأوفاك ما أسديت أو أسأت من ذمّ أو شكّر، فاقتَصَر على ذكر الإسداء وإن كان يستعمل في الخير لا غَير. وأصله من السَّدَى وهو نَدَى اللَّيل خاصَّة. يقال: سَدِيَتْ ليلتُنا، إذا كثُرَ نداها، ولا يكاد يُستعمل في النَّهار. قَال:

فأنت النَّدَى فيما يَنُوبُك والسَّدَى

وقيل: أصله من السَّدْوِ، وهو التَّذرُّع في المَشْي اتّساع الخَطْو. يقال: سَدَى البعيرُ وأسديتُه، والأوَّل هو الصَّواب.

ومثل قوله: «وَافَاك ما أسْدَيْتَ مَن ذَمٍّ أو شَكَر» قولُ الآخر: [الوافر]

فـمـا أدرِي إذَا يَـمَّـمْـتُ أرْضًـا أريـدُ الـخـيـرَ أيُّـهـمـا يَـلِـيـنـي[1]

لأنَّ المراد أريد الخير وأَجْتَنِبُ الشرّ، فاكتفَى بذِكر أحدِهما، ألَا تَرَى أنَّه قال مِن بَعْدُ:

أألـخـيـر الـذي أنـا أبـتـغـيـه أمِ الـشَّـرُّ الـذي هـو يَـبـتَـغـيـنـي

وقوله: «وأثنيتُ فِعْلَه» أصلُه على فِعْلِه، فحذف الجارّ ووصل الفعل بنفسه.

٤ ـ غـلامٌ رمـاه اللهُ بـالـخَـيـرِ مُـقْـبِـلًا لـه سِيمِيَاءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ[2]

٥ ـ كـأنَّ الـثُّـريـا عُـلِّـقَـتْ فـوق نَـحْـرِهِ وفي أنفه الشِّعْرَى وفي خَدِّه القَمَرْ[3]

---

(١) البيت للمثقب العبدي في ديوانه ٢١٢، وخزانة الأدب ١١: ٨٠، وشرح اختيارات المفضل ١٢٦٧.

(٢) التبريزي: «بالخير يافعاً».

(٣) التبريزي: «وفي خدّه الشّعرى وفي وجهه القمر».

٦ ـ إذا قِيلَتِ العَوْرَاءُ أغْضَى كأنه ذَليلٌ بِلا ذُلٍّ ولو شاءَ لانتَصرْ[١]

قوله: «رماه الله بالخير» معناه كساه الخير ومسَحه به مُقبِلًا فيه لا مُدبِرًا. وقد كشَف معنى الرَّمي بقوله: «له سيمِياءُ لا تَشُقُّ على البصر»، يريدُ ما عليه من حسن القَبول والتمكُّن من النُّفوس والقُلوب، حتّى إنّ المبصرين له يجدُون راحةً في النَّظَر إليه، فلا تملُّها العيون، ولا تنطبق دونها الجُفون. ومثل قوله: رماه الله بالخير في باب الاستعارَة، قولُه تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: الآية ٣٩].

والسِّيمِياء أصله العلامة، ومنه الخيل المُسَوَّمة. ويقال: سِيمَاء وسِيمِيَاءُ جميعًا. وانتَصَبَ «مُقبِلًا» على الحال. وتحقيق معنى سيمياء أي قد وسمه الله تعالى بسيمياءَ حسنةٍ مقبولة، يلتذُّ الناظرُ بالنَّظر إليها.

وقوله: «كأنّ الثُّريّا عُلّقت فوق نحره» يريد أنّه قد غشِّيَ من كل جانبٍ بما ينوِّره، فالثُّريّا فوقَ نَحرِه، والشِّعرى، يعني العَبُور، مُرَكَزَةٌ في أنفه، والقمر متلألىءٌ في خدِّه، فهو نورٌ على نور.

وقوله: «إذا قيلت العَوراءُ أغضى»، كأنّه يصف فيه اجتواءَه للخَنا والفُحش، واطِّراحَه لقُبح القول، ورفْضَه لأنواع الهُجر، فمتى ذُكِرَتْ عنده فحشاءُ أطرقَ مغضيًا، عاركًا بجنبه متحلّمًا، فكأنّه ذَليلٌ لتغابِيه، وتَركِ المحاسَبة فيه، ولو شاء لانتقم. وهذا غايةُ ما يكون من حُسن الاحتمال، ومُصابَرة النّاس على أذاهم، مع التعزُّز والاقتدار.

٦٨٩ ـ آخر[٢]: [الطويل]

١ ـ سَأشكُرُ عَمْرًا إنْ تراخَتْ مَنِيَّتي أيادِيَ لم تُمنَنْ وإنْ هيَ جَلَّتِ

٢ ـ فَتًى غَيرُ محجوبِ الغِنَى عن صَدِيقهِ ولا مُظهِرِ الشَّكوَى إذا النَّعلُ زَلَّتِ

٣ ـ رأى زَلَّتِي من حَيثُ يَخفَى مكانُها فكانَتْ قَذَى عينَيه حتّى تَجَلَّتِ

---

(١) بعده عند التبريزي:
«ولمّا رأى المجدَ استعيرت ثيابُه تردّى رداءً واسعَ الذيلِ واتّزرْ»

(٢) في الحماسة البصرية ١:١٣٥ لعبد الله بن الزبير، وتُروى لعمرو بن كميل يمدح عمرو بن ذكوان، وقيل: لأبي الأسود الدؤلي وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص. وفي معجم الشعراء للمرزباني ٤٢١ لمحمد بن سعد الكاتب التميمي.

يقول: إنّي سأنشر آلاء عمرٍو ونِعَمَه عندي إن نُفّس من عمري، وتراخَت غايةُ المقدار من منيّتي، فإنها صافيةٌ من المَنّ والأذى على جلالتها وفخامتها. وقوله: «لم تُمنن» يجوز أن يكون المراد ولَمْ تُقْطع وإن عَظُمت، وقال ذلك لأنّ الأياديَ السَّنيَّة لا تكاد تتناسق. ويقال: حَبْل مَنِينٌ وممنون. وفي القرآن: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فُصّلَت: الآية ٨]. ويجوز أن يكون المراد به لم يُخلَط بمَنّ.

وقوله: «فتًى غير محجوب الغِنى» أخَذَ يصفُه. وارتفع فتًى على أنه خبر مبتدأ محذوف، والمعنى هو فتى يُشرِك صديقَه في غِناه مدَّةَ مساعدةِ الزَّمان له، فإنْ تَولّى الأمرُ وزلّت النّعلُ تراه لا يتشكّى ولا يتألّم. وهذا مثل قول الآخر: [المتقارب]

أبـو مـالـكٍ قـاصـرٌ فـقـرَه   عـلى نـفـسـه ومُـشِـيـعٌ غِـنـاهْ

ويقال في الكناية عن نزول الشر وامتحان المرء: زَلّت القدم به، كما يقال: زلّت النّعل به.

وقوله: «رأى خَلّتي من حيث يخفَى مكانها» زائد على ما تقدَّم من قول ابن عِنقاءَ الفَزاري، وهو: [الطويل]

رآني على ما بي عُمَيْلَةُ فاشتكى   إلى مالِه حالي أسرَّ كما جَهَرْ[1]

وذاك لأنَّ هذا قال: «رأى خَلّتي من حيث يَخفَى مكانها»، فكأنّه أدرك الحال، من طريق الاستدلال، والاهتمامِ المبعوث من جَودة التفطُّن، وإن كان صاحبُه يتعفَّف عن السُّؤال ويتجمّل، وابنُ عنقاءَ شاهدَ الحَالَ عِيانًا، فاشتكى إلى ماله سرًّا وجهرًا، وقال هذا بإزاء الاشتكاء: فكان قَذَى عينيه، أي من حسن الاهتمام ما جَعَله كالدَّاء الملازم له، حتى تلافاه بالإصلاح، وإذا كان كذلك فموضعُ الزِّيادة في كلامه وقَصْدِه ظاهر.

٦٩٠ ـ آخر[2]: [الكامل]

١ ـ إنْ أَجْزِ عَلْقَمَةَ بنَ سيفٍ سعيَه   لا أَجْزِهِ بِبَلاءِ يَومٍ واحِدِ

---

(١) البيت الأول من الحماسية رقم (٦٨٧).

(٢) التبريزي: «وقال رجل من بهراء، واسمه فَدَكي». وذكر التبريزي خبر الأبيات فقال: «ومن خبر فدكيّ أنه كان مجاورًا في بني تغلب لبني عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيب بن=

٢ ـ لأحَبَّنِي حُبَّ الصَّبِيّ ورَمَّني رَمَّ الهدِيِّ إلى الغَنِيّ الواجدِ[١]
٣ ـ ولقد نَضَحْتُ مَلِيلَتِي فتميَّثت عن آلِ عَتَّابٍ بماءٍ بارِدِ

يقول: إن رُمْتُ القيام بواجب سَعْيِ عَلقمةَ لي، وأدَّيتُ المفروض لِحُسْن بلائه عندي، لم أقابلْه على صنيعةٍ واحدة، ولا جازيتُه لبلاءِ نِعمةٍ فاردة، لأنّ أياديَه عندي كثيرةٌ متظاهرة، وآلاءه لديّ متواتِرَةٌ متناصرة، فوالله لقد أحبّني كما يُحَبُّ الصبيُّ، وأصلحَ من أُموري، ما يُصْلَحُ من شأن العَروس إذا زُفَّتْ إلى المُوسِرِ الغنيّ، فَتَضاعَفَ مُؤَنُها، وتَزايد التكاليفُ في هِدائها وتحويلها. فقوله لأحبَّني، اللام جواب يمين مضمرة، وإنما قال: «حُبَّ الصَّبيّ» لأنه يخلَط بمحبَّته زيادة الشفقة، وكَفالةُ التَّرفرفِ عليه والمَرحَمَة.

وسئل بعضُ حُكمَاء العرب عن أحب أولاده إليه فقال: «الصغير حتّى يكبَر، والغائبُ حتى يَقْدَم، والعليل حتى يبرَأ».

وإذا تأملتَ وجدتَ حَال الغائب والعليل كحال الصَّغير فيما ذكرتُ، فلذلك جَمَعَها في قَرَن الذِّكر.

وقوله: «ولقد نَضَحت مليلتي» يريد. ولقد رششت غليلي من آلِ عَتَّابٍ وما امتلَّه نارُ وَجدي من أحشائي وصدري بماءٍ بارد، فسكنَتْ وزالَ حَمِيمُها، حتّى كأنَّها لم تكن. وإنما قال ذلك لأنَّ آل عَتَّاب كانوا وتَرُوه فاشتدَّ بَرْح حَمِيَّته واتَّسع قَرْح وِترِه، فأعانه على إدراك الثَّأر علقمةُ بن سيف، وشَفاه من دائه. وإذا تُؤُمِّلَ ما عَدَّده من أياديه لَدَيه حَصَل فيه الميل والإكرام، والبرّ والإنعام، وإصلاح الحال، والمؤاساة بالمال، والشِّفاء من الداء، والانتقام من الأعداء، وذلك ما لا مَزِيد عليه. ومعنى تميَّثَت تذلَّلت وتذوَّبَت. ويقال: مِيثْتُ الشَّيْءَ، إذا مَرَسته. والنَّضْخُ بالخاء المعجمة أبلَغُ من النَّضح.

= عمرو بن غنم بن تغلب فأقام فيهم مدة، ثم إن علقمة بن سيف العتابي غزا في بعض مغازيه، فأغار حنش بن معبد أحد بني ثعلبة بن بكر بن حبيب فأخذ إبل البهراني، فكان إذا أورد بنو عتّاب نعمهم حوّض حوضًا واستقى فيه حتى يملأه ثم يغمس في ذكره، ويقول: اشرب فمالي مال غيرك، فلما قدم علقمة أخبروه شأن البهراني فسعى في استردادها فلم يوفّق، لأن حنشًا حلف أن لا يردّ منها بعيرًا، فلما رجعوا أخرج علقمة بن سيف من ماله مائة بعير فأعطاها البهراني، فقال البهراني هذه الأبيات».

(١) بعده عند التبريزي:
«وأجابني يوم الصراخِ بهجمةٍ مائةٍ تشقُّ على عِصِيِّ النزائدِ»

٦٩١ ـ وقال أبو زيادٍ الأعرابي[١]: [الوافر]

١ ـ لـه نـارٌ تـشَـبُّ بـكـلّ وَادٍ إذا النّيرانُ أُلبِسَتِ القِناعا[٢]

٢ ـ ولـم يَـكُ أكـثَـرَ الـفِـتْـيانِ مـالًا ولـكِـنْ كـانَ أرحـبَـهـم ذِرَاعـا

قوله: «تُشَبُّ» أي تُوقدُ، وموضع الجملة من الإعراب رفع على أن يكون صفة لنار، والمعنى أنَّ نارَ ضيافته تُوقَد بكلّ وادٍ ينزِل به إذا النِّيران في الآفاق سُتِرت وحُجبت عن الاستدلال بها، مخافةَ طُرُوق الأضياف. وجواب إذا مُقَدَّم عليه، كأنه قال: إذا النِّيران جُعلت كذلك فله نارٌ توقد بكلّ واد. ويجوز أن يكون أوقِدت ناره في جوانب مَحَلّه وفي كل وادٍ من أودية فِنائه وداره وإذا أُخمِدَت نِيرانُ النَّاس، فلذلك قال: تُشَبُّ بكلّ واد، وهذا يكون منه كإتمامهم الأيسار، ونيابتِهم عن غيرهم إذا عُدِم الشُّركاء.

وقوله: «ولم يك أكثر الفتيان» قد تقدم الكلام في حذف النون من يكُ في غير موضع. وانتصب «مالا» على التمييز، وكذلك «ذراعا». والمعنى: أنّ ما تحمّلَه وتكلّفه لم يك السببُ فيه اليسارَ، وكثرةَ المال. ولكن كرمه الفائض، وعِزّقُه الزّاخِر.

٦٩٢ ـ وقال العَرَنْدَس أحد بني أبي بكر ابن كلاب[٣]: [البسيط]

١ ـ هَـيْـنُـونَ لَيْـنُـونَ أيـسـارٌ ذَوُو كَـرَمٍ سُـوَّاسُ مَـكْـرُمَـةٍ أبـنـاءُ أيـسـارِ

٢ ـ إن يُسألوا الخيرَ يُعطوهُ وإن خُبِرُوا في الجَهْدِ أُدرِكَ منهم طِيبُ أخبار

٣ ـ وإن تـودَّدْتَـهـم لانُـوا وإن شُـهِـمُـوا كَـشَـفْـتَ أذْمَـارَ شَـرٍّ غَـيْـرَ أَشْـرَارِ

العَرَنْدَس في اللغة: الأسد العظيم، وكذلك الجمل. ويقال: هو هَيْنٌ لَيْنٌ وهيِّنٌ ليِّنٌ، والتَّشديد الأصل، والتخفيفُ على عادتهم في الهرب من ثِقَل التضعيف وما

---

(١) التبريزي: «... الكلابي» وهو: يزيد بن عبد الله بن الحرّ بن همام الكلابي، عالم بالأدب، له شعر جيد وهو صاحب كتاب «النوادر»، وكتاب «الفروق» وكتاب «الإبل» (ت نحو ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م)، ترجمته في فهرست ابن النديم ٤٤، وخزانة الأدب ٣:١١٨.

(٢) التبريزي: «تشبّ على يفاع».

(٣) التبريزي: «يمدح بني عمرو الغنويين، وكان أبو عبيدة إذا أنشدها يقول: هذا والله محال، كلابي يمدح غنويًّا».

يجري مجراه. والمعنى أنّهم يلزمهم السَّكينةُ والوقارُ في مجالسهم. ويقال: جاء يمشي هَوْنًا، وهو المصدر. والأيسار: جمع اليَسَر، وهم الذين يجتمعون في الميسر على الْجَزورِ عند الجذْب والقَحْط، فيُجيلون القِداحَ عليها، ثم يفرّقونه في الفقراء وأربابِ الحاجة والضَّرَّاء. ويقال: يَسَرَ الرجل إذا أجَالَ قِدَحَه، فهو ياسرٌ ويَسَر. قال: [الطويل]

إذا يَسَرُوا لم يورثِ اليَسْرُ بينهم فَوَاحِشَ يُنْعَى ذِكْرُها بالمصايفِ[١]

وقال أبو ذؤيب: [الكامل]

فكأنّهنّ رِبابَةٌ وكأنه يَسَرٌ يُفِيضُ على القِداح ويَصْدَعُ[٢]

والمعنى أنّهم يرجعون إلى سَجاحةِ خُلُق[٣]، وسَلاسة طبع، مُوَقَّرون في مجالسهم، متكرّمون في عاداتهم وشؤونهم، متعطِّفون على الفقراء زَمَنَ االجذب بميسرهم، يَسُوسون المكارمَ ويَعمُرونها بعد ابتنائها، ولا يَغْفُلون عنها؛ وأنّ هذه الخصالَ لم يَرِثوها عن كَلالة وأنّ آباءَهم على ذلك دَرَجُوا وتَقَضَّوْا. ثم قال: «إنْ يُسألوا الخيرَ يُعطُوه»، يريد أنّهم لا يتقاعدون عن البذل في الحقوق والنَّوائب، ولا يُحوِجُون إلى استخراج ذلك منهم بالعُنف والاستقصاء بل يُخرِجون منها إلى أصحابها، والمطالبِين بها؛ وإنْ جُرِّبوا عند جَهْدِ البلاء، واشتِمال الشِّدَّة والبأساء، وحُمِّلوا أكثَرَ ممَّا يلزمهم، وأثْقَلَ ممَّا ينهض به حالُهم، طابتْ أفعالهم، وحسُنت أنباؤهم، والأحاديثُ عنهم. ومَن انتَمَى بِتَقرُّبٍ إليهم، أو تودُّدٍ لهم، لانُوا له، وانقادوا لما يريده من جهتهم. وإنْ أُوذوا وأُحرِجوا انكشَفوا عن أذمار شَرّ ـ وهو جَمْع الذِّمْر، وهو الشديد لا يُطاق ـ وإنْ كانوا في أنفُسهم وسجاياهم غير أشرار، إلا أنّهم إذا جُذِبوا إلى الشَّرّ وأُلجِئوا زادوا على الأشرار.

وقوله: «شُهِمُوا» أي هُيِّجُوا، ويقال: فرسٌ شَهْمٌ، أي حديد نشيط ذكيّ؛ ومنه الشَّيْهَم[٤]. ويقال: شُهِمَ الرجلُ، إذا ذُعِرَ أيضًا، ويرجع في المعنى إلى الأوّل.

---

(١) للمرقش في المفضلية (٥٠)، وبلا نسبة في التبريزي ٩٤٣.
(٢) لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ص ١٨، واللسان (ربب، يسر، صدع، علا)، وديوان الأدب ٣: ٩٥.
(٣) سجاحة الخلق: لينه وسهولته. (٤) الشيهم: الذكر من القنافذ.

٤ ـ فِيهِمْ ومنهم يُعَدُّ الْخَيْرُ مُتَّلِدًا ولا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ ولا عَارِ[١]

٥ ـ لا يَنطقون على الفَحْشاءِ إن نَطَقُوا ولا يُمَارُونَ إنْ مَارَوْا بِإكْثَارِ[٢]

٦ ـ مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ التي يَسرِي بها السَّارِي

وصفَهم بأنَّ الخير مَرْجُوٌّ مِن جهتهم، ومعدودٌ في خصالهم قديمًا وحديثًا، وسَلَفًا وخَلَفًا، ولا يُعَدُّ في أفعالهم ما يُخزِي ذِكْرُه، والتَّحدُّث به، أو يجلب عارًا عليهم لدَى الكشف عنه والتأمُّل له، وذلك لخُلوص مناقبهم عمَّا يَشينُ ولا يَزين، وحُسْن قُصودهم فيما يتصرَّفون فيه فيتناولونَه بالنَّقض والإبرام، ثمَّ إنْ تكلَّموا فليس عَنْ فحشاء يُضمِرونها، ولا عَنْ نكراءَ ينطوُون عليها، فكانت الأقوال توافق الضمائر وتَقْفوها، والظواهر تطابق السرائر وتتلوها، بل يُولُون الكلمة العوراء إذا أدركوها الغُفُولَ عنها، والإغضاء على القَذَى فيها، تحلُّمًا وترفُّعًا. وإن جاذبوا غيرهم وحُمِلوا على لَجَاجٍ في نِزاعِهم عُرِفَتْ نهايةُ جِدالِهم، ونَكَّتُوا فيما يُدْلُونَ به من حِجاجهم، فقولُهم فَصْل، وإمساكهم قَصْدٌ وعَدْل، لا إكثارَ ولا إسراف، إذْ كان مَنْ أكْثَرَ أَهْجَر، ومن أسْرَفَ أفحش؛ ولأنَّ عادتَهم الاقتصادُ فيما يخافون أداءه إلى القَبيح، والامتدادُ إلى أبعد الغايات فيما يَحسُن مَسْمَعُه عند ذَوِي التَّحصيل.

وقوله: «من تَلْق منهم»، يريد أنَّ النباهة تَشملُهم، فكلٌّ منهم يَتَّسِم بسِيمَا الرِّياسة، ويتصوَّر بصُورةِ السِّيادة، وهم في الاشتهار والتَّميُّز عن طوائفِ النَّاس كالنجُوم المعروفة النيِّرة، التي يهتدي بها السابلةُ والمارَّة، ويتفقَّد المعرفةَ بها في طُلوعها وأُفولها أولُو النَّحل والمُمارَسات.

وقوله: «فيهم ومنهم يُعدّ الخير متَّلدًا» يريد ما يَلزَمهم من الخِصال وما يتعدَّاهم. وانتصب «متَّلدًا» على الحال. ويقال: تَلِد وأَتْلَدَ بمعنًى. والنَّثا يستعمل في الخير والشر، والثناء يستعمل في الخير لا غير، ويقال: نثا الخَبَرَ ينثوه نَثْوًا.

٦٩٣ ـ آخر[٣]: [الطويل]

١ ـ رَهَنْتُ يَدِي بالعَجْزِ عن شُكر بِرِّه وما فَوقَ شُكري للشَّكُورِ مَزِيدُ

---

(١) التبريزي: «يعدّ المجدُ». (٢) التبريزي: «عن الفحشاء».

(٣) التبريزي: «وقال آخر»، وفي الحماسة البصرية ١:١٦٥ ليزيد بن المهلب بن المغيرة بن أبي صفرة.

٢ ـ ولو أنَّ شيئًا يُستطاعُ استطعْتُهُ ولكنَّ ما لا يُستطاعُ شَدِيدُ

يقول: غَمَرني بِرُّه وعَجَّزَ حَوامِلي نِعَمُه، فاعترَفْتُ بالقصور، والقُعودِ عن الوفاء بأداء الفروض، وجعلتُ يَدِي مُرتَهَنةً بالعجز، ولساني معقولةً عن التصرُّف في الشُّكر، وإن كان لا مَزِيدَ على ما أتولَّاه منه لمُبالغٍ في الحمد، ولا فَوقَ اجتهادي غايةٌ يَرتقي إليها في النَّشر والثَّناءِ مُرْتَقٍ؛ فإنِّي لم أُوتَ من تَقصير يَلْزُني، أو إقصاءٍ مع قُدرةٍ يدفعني، ولكن لكون مِنَنِهِ مُعجِزةً غيرَ داخلةٍ تحت استطاعتي؛ وما لا يُطاقُ تحمُّله مَنِيع، والنُّهوضُ به عَسِرٌ شديد.

٦٩٤ ـ وقال الحُسَين بن مُطَيرٍ[١]: [الطويل]

١ ـ له يَومُ بُوسٍ فيهِ للنَّاس أَبْؤُسٌ ويَوْمُ نَعِيمٍ فيه للنَّاسِ أَنْعُمُ

٢ ـ فيَمطُرُ يَوْمَ الجُودِ مِنْ كفِّهِ النَّدَى ويَمطُرُ يومَ البأس مِن كَفِّهِ الدَّمُ

٣ ـ ولو أنَّ يومَ البَأْسِ خَلَّى عِقابَه على النَّاسِ لم يُصْبِحْ على الأرضِ مُجْرِمُ

٤ ـ ولو أنَّ يَوْمَ الجود خَلَّى يَمِينَه عَلَى النَّاسِ لم يُصبِحْ عَلَى الأرض مُعْدِمُ

يقول: أيَّامُ هذا الممدوحِ مُقتَسمة بين إنعامٍ وانتقام، مِنْ إحياءٍ وإهلاك، وإفْضال وإعدام، فله يومُ بوسٍ يَشقَى به أعداؤُه، ويوم نعيم يَحيا به ويَسعدُ أولياؤه، فيومُ جوده يَعمُّ نداه مؤمِّليه وعُفاتَه، ويومُ بُؤسه يَعُمُّ إهلاكُه مُنابِذِيه وحُسَّادَه، ولو أرادَ في اليوم المخصوص بالانتقام أن يجعَلَ عقابَه مُخَلًّى يتناولُ طبقاتِ النَّاس، لم يبق في الأرض مجرمٌ ولا حَسودٌ يُضمِر سوءًا له، ولكن أَبَى عَفوُه إلَّا إبقاء؛ كما أنَّه لو خَلَّى يومَ جوده مَنافعَ يمينه تعمُّ طوائفَ الخَلْق لم يَبقَ في الأرض فقير، ولكن أبى ذلك بُعدُه عنهم، وقُصورُ معرفتِه بهم.

ويجوز أن يكون المراد بقوله: «لم يصبح على الأرض مجرم»، أنه كان يُغْنِي الخَلْق حتَّى لا يبقى مجرمٌ وغيرُ مجرم.

٦٩٥ ـ وقال أبو الطَّمَحانِ[٢]: [الطويل]

١ ـ إذا قيل أيُّ النَّاس خيرٌ قبيلةً وأَصبرُ يومًا لا تُوارَى كواكبُهْ

---

(١) التبريزي: «الأسدي» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٣١٩).

(٢) التبريزي: «وقال أبو الطمحان القيني، واسمه شرقي بن حنظلة». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٤٧٨).

٢ ـ فإنَّ بَنِي لأمِ بنِ عمرٍو أرُومَةٌ سَمَتْ فَوْقَ صَعْبٍ لا تُنال مَراقِبُه

٣ ـ أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم دُجَى الليلِ حتى نَظَّم الجَزْعَ ثاقِبُهْ

يقول: لم تُمَّمَ الناسُ بالسُّؤال عنهم فقيل أيُّهم خير أصلًا وسلفًا وأيُّهم أصبر يومًا ومشهَدًا تُرى كواكبُه ظُهرًا، لكان يَجيء في جواب هذا السؤال: بنو لأم بن عمْرو؛ ولأنَّ لهم مَنصِبًا علا شرفًا باذِخًا، وعِزًّا شامخًا لا تُدرك مَراقبُه، ولا تُنال مَطالِعه. والغَرَض من الجملة تفضيلُهم على جميع الخَلْق. والأرومة: الأصل الثَّابت الراسي. وانتصب «قبيلة» على التمييز، وكذلك «يومًا». ويَعني بذكر اليوم الوَقَعات والحُروب. وعلى ذلك قولهم: يوم جبَلَةَ، ويومُ الكُلاب وما أشبههما. وقوله: «لا تُوارَى كواكبه» إن شئت فتحْتَ فرويتَ: «لا تَوارَى كواكبه»، والمعنى لا تتوارى كواكبه، فحذف إحدى التاءين تخفيفًا. ومعنى «لا تُوارَى» بضم التاء لا تُستر، والأصل في هذا، وهو يجري مجرى الأمثال، يومُ حليمة، وذلك أنّه سُدَّت عين الشَّمس في ذلك الغُبار الثَّائر في الجوّ فرُئيت الكواكب ظُهرًا، فقيل: «ما يومُ حليمةَ بِسِرٍّ»(١)، وصار الأمر إلى أنْ قيل في التوعُّد: لأرِيَنَّك الكواكبَ ظُهْرًا. وأصلُ الصَّبر حبسُ النَّفس على الشرّ، لذلك قيل: قُتِل فلانٌ صبرًا.

وقوله: «سَمَتْ فوق صَعْبٍ»، يريد: فوقَ جبلٍ صعب يَشُقُّ الارتقاءُ إليه. والمَرَاقب هي المَحَارس، واحدتها مَرْقَبة، وكلُّ ذلك أمثال.

وقوله: «أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم»، يريد طهارة أنفسهم، وزَكاءَ أصولهم وفروعهم، فهُم بِيضُ الوُجوه نَيِّرُو الأحساب، فَدُجَى ليلهم تَنكشِفُ مِنْ نور أحساسهم، حتَّى أن ثاقِبَهُ يُسهِّلُ نَظْمَ الجَزْع فيه لناظِمه، وهذا مَثَلٌ أيضًا. والهاء من «ثاقبه» يعود إلى ما دلَّ عليه قوله: «أضاءت لهم أحسابهم»، والثُّقوب: الإضاءة، ويقال: نار ثاقبة، وكوكب ثاقب، وحَسَبٌ ثاقب، وقد ثَقَب أي اشتدَّ ضوءه وتَلألُؤُهُ. ومعنى نَظَّم حمل على النَّظْم وأقْدَرَ، فهو بمعنى أنظم. ومثلُه كَرَّم وأكرم. والضمير من «ثاقِبُهُ» يدل على ظاهره صدرُ البيت، فهو مثل قولهم: مَن كَذَبَ كان شرًّا له، ومن صَدَقَ كان خيرًا له، يريد كان الكذِب وكان الصِّدق، فكذلك هذا، كأنّه قال: حتَّى نَظَّمَ ثاقبُ حَسَبِهم الجَزْعَ لناظِمِه.

---

(١) المثل في تمثال الأمثال رقم (٣٨٨) والمستقصى ٢: ٣٤٠، وأمثال الضبي ٧٩، والدرة الفاخرة ١: ٣٠١، ويضرب للمشهور المتعالم.

٦٩٦ ـ وقال آخر[1]: [البسيط]

١ ـ يا أيُّها المُتَمَنِّي أن يَكونَ فتًى ... مثلَ ابنِ زيدٍ لَقَدْ خَلَّى لَكَ السُّبُلا

٢ ـ اعْدُدْ نَظَائرَ أخلاقِ عُدِدْنَ لَهُ ... هَلْ سَبَّ مِن أحدٍ أو سُبَّ أو بَخِلا[2]

يقول: يا من يَوَدُّ ويشتهي أن تكونَ فُتوَّتُه مثلَ فتوَّة عُروة بنِ زيدِ الخيل، لقد خَلَّى لك الطُّرُق في اكتساب مَنَاقب الفتوّةِ وادِّخار أسبابها ومُوجباتِها، فاسْعَ واطلبْ، لأنَّ مَباغِيك إن قَدَرْتَ مُعْرِضَةٌ لك، وغيرُ ممتنِعة عليك، وسُبُلُها غير مُنْسَدَّةٍ ولا محجوبة عن ذهابِكَ واختراقك، ثم قال: هاتِ خصالك واعدُدْ نظائرَ أخلاقِه المعدودة له، وانظرْ هل أنتَ في اشتمال الكرَم والتحاف العِزّ بحيثُ لا تَسُبُّ أحدًا تَعَلّيا وارتفاعَ منزلة، وفي نقاء الجَيْب وطهارة الأصل والفَرْع بحيثُ لا يَسُبُّكَ أحد توقّيًا وتَعَفُّفًا، وهل تقِفُ موقفًا تبعد فيه وتتنزَّه عن أن يُقَالَ: ما بَخِلَ بما في يده، ولا مَنَع أحدًا على رجائه به، فإنَّه حينئذٍ يَبِينُ لك تفاوتُ ما بينك وبينه.

٦٩٧ ـ وقال آخر: [الوافر]

١ ـ لم أرَ مَعْشَرًا كبَنِي صُرَيمٍ ... تَلُفُّهُمُ التهائمُ والنُّجُودُ

٢ ـ أَجَلَّ جَلَالَةً وأَعَزَّ فَقْدًا ... وأَقْضَى للحُقُوقِ وهم قُعُودُ

٣ ـ وأكْثَرَ ناشِئًا مِخْرَاقَ حَرْبٍ ... يُعِينُ عَلَى السِّيادَةِ أو يَسُودُ

قوله: «تَلُفُّهُمُ التهائِمُ» أي تجمعهم، وانتصب «جَلالة» على التمييز، وكذلك قوله: «فَقْدًا»، ولا يجوز أن يكون مصدرًا، أعني قوله جَلَالَةً، لأنَّ أفعل هذا لا يؤكَّدُ بالمصدر، فهو من باب شِعْرٌ شَاعِرٌ ومَوْتٌ مائت، لأنَّ أصلَه مأخوذ من جلالٍ جليل. وانتصب «أَجَلَّ» بفعلٍ مضمر، كأنه قال: لم أرَ أجلَّ جلالةً منهم، لكنه اختَصَر وحَذَفَ. وقوله: «تَلُفُّهُم التّهائم» موضعه نَصبٌ لأنَّه صفة لقوله مَعْشَرًا، والتقدير: لم أر معشرًا تلفُّهم الأعوار والأنجاد كبني صُرَيْم، ولم أرَ أجلَّ جلالةً منهم أيضًا. وتِهامَةُ من الغَوْرِ، بل هو أَعْمَقُها. ثمَّ بَيَّنَ ما فَضَّلُهم فيه بعد أن أبهم، وفَصَّل ما أجمل،

(١) التبريزي: «وتروى لمحمد بن بشير الخارجي» وكذلك في الزهرة ٢: ٥٨١.

(٢) التبريزي: «وفيها:

«إن تُنفقِ المالَ أو تكلفْ مساعِيَهُ ... يَصعُبْ عليك وتفعلْ دون ما فعلا

لو يُبعثُ الناسُ أدناهم وأبعدُهم ... في ساحةِ الأرضِ حتى يحرثوا الإبلا

كي يطلبوا فوق ظهر الأرضِ لم يجدوا ... مثلَ الذي غيّبوا في بطنِهِ رجلا»

فقال: هم أتَمُّهم رياسةً وأفخمُهم فخامة، وأشدُّهم على النّاس فَقْدًا، وأحسنُهم في قضاء الحقوق الواجبة عليهم أداءً، هذا وهُم قعود. وإنَّما قال ذلك لأنَّ الرئيس ينفُذ أمرُه في مَطالبه وإنْ لم يبرح مكانَه. و«أَعزَّ فَقْدًا»، يريد شدَّة حاجةِ النّاس إلى حياتهم، لوُفور فضائلهم وأفضالهم.

وقوله: «وأكثر ناشئًا» يريدُ به الشابَّ المبتدىء في اكتساب ما يَعْتَلي به ويَفُوق أقرانَه. وانتصاب «ناشئًا» على التَّمييز. والمِخْراق: بناء الآلة، فهو كالمِفتاح، يريد أنَّه يتخرَّق في الحرب ويسعى سَعْيًا بليغًا. وأصل المِخْراق هو ما يَتَلاعبُ به الصِّبْيان مِن منديلٍ يَفْتِلُونه، أو زقٍّ ينفخونه، أو ما يجري مَجراهما. وسُمِّي مِخراقًا لأنَّه يَخْرِق الهواءَ في استعمالهم إيّاه. لذلك قال: [الطويل]

كأنَّ يدِي بالسَّيف مِخْرَاقُ لاعِبِ(١)

وقوله: «يُعينُ على السِّيادة أو يَسُود» جمَعَ بين الأمرين، وذلك لأنَّ الفضلاء إذا قسِّمُوا ودُرِّجوا في مراتبهم فهم من بين سَيِّدٍ يقوم بنفسه ويكمُل بخصاله، ومِن بين مُعِينٍ على السِّيادة يصلح لأن يكونَ تابعًا لا متبوعًا، ومَسُودًا لا سيِّدًا.

٦٩٨ ـ وقال شُقْرانُ مَوْلَى سَلَامان(٢): [الطويل]

١ ـ لو كُنْتُ مولى قَيسِ عَيْلَانَ لم تَجِدْ ... عليَّ لإنسانٍ من الناس دِرْهَما

٢ ـ ولكِنَّنِي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا ... فلستُ أُبالي أنْ أَدِينَ وتَغْرَمَا

يقول: لو كان ولائي في قيس عَيْلَانَ لاقتديتُ بهم، واستننْتُ بسنَّتهم في الكفِّ عن الإنفاق، وحَبْس النَّفس على شرائط الانقباض والإمساك، فكنتُ أُرَى خفيفَ الظَّهر في جميع ما يَعرِض، فسيحَ الصَّدر بكل ما يَعِنُّ ويَسنَح، لم يَركبْني دَيْنٌ فأستَنزَل، ولا عِبْءٌ على قلبي من مُتَقَاضٍ فأتضجَّر، لكنْ ولائي في قُضاعة كلِّها فأتبسَّط في أَخْذ القروض إذا استغرقتْ مِلْكَ يميني، وأتوسَّعُ في إضافة ما لغيري إلى

(١) لقيس بن الخطيم في ديوانه ٨٨، والأغاني ٣: ١٠٩، وديوان المعاني ٢: ٥٠، ومعجم البلدان (حديقة) وصدره:

«أُجالدهم يومَ الحديقةِ حاسراً»

(٢) شقران: شاعر كان معاصرًا لابن ميادة وكان بينهما مهاجاة (الأغاني ٢: ٢٠٢). والأبيات (١، ٢، ٣) في الحماسة البصرية ١: ١٦٤ لمروان عبد بني قضاعة.

مالي ثقةً بأنهم يتحملون عنّي الأثقال إذا استحملتُهم، وأنّهم يعُدُّون الغَرامة غُنمًا إذا أَحَلْتُ عليهم، فلا أُبالي كيف تَخرَّقْتُ، وفي أي وجه من وُجوه البر أنفقْتُ، وإن كانت معلومةً من لازمِ حَقٍّ أؤدّيه، وعارِضِ مَكْرُمَةٍ أوفيِّه، إلى كلّ ما يكون التبجُّح به مشتَرَكًا، واكتسابُ الفَخر والأجْر فيه مُشتمَلًا.

وقوله: «فلست أبالي» أصله من البلاء النعمة، وقد تقدَّم القولُ في شرحه وما حَصَل بالاستعمال عليه.

٣ ـ أولـئـكَ قَـومِـي بـارَكَ اللهُ فـيـهِـمُ ... عـلى كُـلِّ حـالٍ مـا أعَـفَّ وأكْـرَمـا

٤ ـ ثِـقَـالُ الـجِـفـانِ والـحُـلُومِ رَحَـاهُـمُ ... رَحَى الماءِ يكتالُون كيْلًا غَذَ مْذَمَا

٥ ـ جُفَاةُ الـمَحَزِّ لا يُـصيبونَ مَفصِلًا ... ولا يَـأكـلون الـلَّحـمَ إلَّا تَـخَـذُّمَـا

أشار بقوله: «أولئك قومي» إلى قُضاعة، ثم أخبر عنهم بأنّهم كثروا وطابوا ونَمَوا بما جعل الله من البركة فيهم، فازدادوا. وقوله: «على كلّ حال» تَعَلّقَ بقوله: «بارك الله فيهم»، ومَوْضعه من الإعراب نصبٌ على الحال، أي بارك الله فيهم متحوّلين في إبدال الدَّهر وتصاريفه من عُسْرٍ ويُسْرٍ، وسَعَةٍ وضِيقٍ، وقِلّة وكثرة، وانحطاطٍ وارتفاع. ثمَّ قال مستأنِفًا: ما أعفَّهم وأكرمَهم، أي تمَّت عفّتُهم، وكمُلت أُكرومتُهم في حالتَي الإعسار والإيسار، والإضاقة والإيساع، والإقلال والإكثار.

وقوله: «ثِقال الجفان» أي هم مطاعيم في الخِصْب والجَدْب، فجفانُهم ثقيلة، وأفنيتهم بالوُرّاد والطُّرّاق مأهولة معمورة، وحلومُهم ثابتة قائمة، لا يستخفُّها جَزع، ولا يُطغِيها فرَح؛ وتَرَى رَحَاهُم لكثرةِ غاشِيَتهم وحشَمِ دُورِهم، رحَى الماء، إذْ أنّى الاكتفاءُ بيسير الزَّاد مع العدد الجمّ، والخير الدَّثْر، والنِّعَم الغَمْر، وإذْ كان سائرُ الأرحاء لا يُستَغْنَى بها، ولا يَفِي بالمطلوب منه دوَرانُها؛ ثم إذا كالُوا اكتالوا واسعًا لا استقاءَ فيه ولا مضايقَةَ، فهو يَجري مَجرى ما يُهالُ هَيْلًا، أو يُؤخَذ جُزافًا لا كَيْلًا. والغَذْم: الأكل بسرعة، ومنه الغَذَمْذَم. وإنْ حَضَرُوا مَقْسِمَ الجُزُرِ وتكرَّمُوا بتولّي قَسْمِها، وجَذَّتَهم يُوسِعون الحزّ، ويُخطِئون المَفصِل، إذ لم يكن فِعْلُ ذلك مِن عادتهم وطبائعهم، لكونهم ملوكًا، ولأنّهم متى تأخَّر الخَدَم عنهم لم يُحسِنُوا التصرُّف في شيء من وجوه المِهَن، ولا دَرَوا كيف تُسْلَخُ الجزُر وتُقتسَم الأبداء، وإذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولُوه إلا قَطْعًا بالسَّكاكين، لا نهشًا بالأسنان، إقامةً للمروءات، وذَهابًا عن شنيع العادات.

وقوله: «إلّا تخذُّمًا» انتصب تخذُّمًا على أنّه مصدرٌ في موضع الحال. والخَذْم: سرعة القطع، وفي التخذُّم زيادةُ تكلُّف. ويقال: سيف خَذُوم ومِخْذَم. وقوله: «يكتالون كيلًا» وضع كيلًا موضع الاكتيال، كما وضع النَّبات موضع الإنبات، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نُوح: الآية ١٧].

٦٩٩ ـ وقال أبو دَهبلٍ الْجُمَحيّ[١]: [الكامل]

١ ـ إنَّ البُيوتَ مَعادِنٌ فنِجارُهُ ... ذَهَبٌ وكلُّ بُيوتِهِ ضَخْمُ

٢ ـ عُقِمَ النِّساءُ فَما يلدْنَ شبيهَهُ ... إنَّ النِّساءَ بِمثْلِهِ عُقْمُ

٣ ـ متهلّلٌ بِنَعَمْ، بِلَا مُتَباعِدٌ ... سِيَّانِ منه الوَفْرُ والعُدْمُ

٤ ـ نَزْرُ الكلامِ من الحَياءِ تَخالُهُ ... ضَمِنًا وليس بِجِسْمِهِ سُقْمُ

المعادن: جمع المَعدِن، وهو مِنْ عَدَن بالمكان إذا أقام عَدْنًا وعُدُونًا، وقيل: بل هو من قولهم عَدَنْتُ الحَجَر، إذا قلعتَه، لأنَّ المعدِن يُقلَع منه ما ضُمِّن، ويُرتَجَع منه ما أودع. وفي القرآن: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ [التّوبَة: الآية ٧٢]، أي جنات إقامة. والمراد أنَّ بيوتَ النّاس وأصولهم مختلفة المَسْبَر، متفاوتة المَخْبَر، تتفاضَلُ تَفاضُلَ المعادن، ونِجَار هذا الرَّجلِ أفضلُ النُّجُر فهو كالذَّهب الإبريز. ويقال: هو من نَجْرٍ كريم ونِجَارٍ كريم، أي أصل كريم. وقوله: «وكلُّ بيوتِه ضخم» أي هو من أطرافه: أعمامِهِ وأخواله، عظيمُ الشَّأنِ نبيهٌ. وإنما قال ضَخْمٌ لأنَّ المراد بكلٍّ الاتّحاد، أي كلُّ واحدٍ من بيوته. ومثْل كلّ «كِلَا» لأنَّ كُلّاً يراد به مرةً الاتحادُ، وكذلك كِلَا يُرادُ به مرّةً التَّثنية ومرة الاتِّحاد. وقد ذكرت أمرهما مشروحًا في غير هذا الكتاب.

وقوله: «عُقِمَ النِّسَاءُ» أصل العَقْم المنع، ويقال: عُقِمَتِ المرأة وعُقِمت الرّحِمُ عُقْمًا بضم العين فعَقِمَتْ، وهي معقومة بناء على عُقِمت، وعقيم بناءً على عَقِمتْ، ولهذا يجمع عقيم على عُقم، لأنّه فعيل بمعنى فاعل، ولم يُلحَقْ به الهاء للمؤنّث لأنَّ المراد به النّسبة، فهو كقولهم طالق وحائض. ولو كان عقيم كجريح وصريح في أنّه فعيل بمعنى مفعولةٍ لوجَبَ أن يقال في الجمع عَقْمَى، كما قيل جَرْحَى وصَرْعى. ويقال: رجل عقيم، وريحٌ عقيم، والدُّنيا عقيم، والمُلْك عَقِيم.

---

(١) التبريزي: «قالوا: يمدح النبيّ ﷺ». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٥٢١).

ومعنى البيت أنَّ هذا الرجل لا شبيهَ له فَضلًا وتفضّلًا، وكمالًا وتبرُّعًا، لأنَّ النساء مُنِعْنَ أنْ يأتين بمثله فعقِمْن، أي صرن كذلك.

وقوله: «متهلل بنَعَمْ»، يريد بلفظ نعم. وجعل نَعَم اسمًا، أي هو بَشٌّ طَلْقُ الوجه قريب المأخذ، مُجِيبٌ فيما يُسأل، وعِند كلّ ما يُطْلبُ منه ويُقترح عليه، بقوله نعم، وهو متهلّل، أي ضاحك مستبشر. وقوله: «بلا متباعد» أي يتباعد عن كلّ أحدٍ بأن يَصُكَّ في وجهه فيما يُطْلَبُ نيله منه بأنْ يقول لا، و«لا» جعله كالاسم. فنَعَمْ كأنّه اسمُ الإسعاف، ولا كأنّه اسم المَنع والدِّفاع. وقوله: «سِيَّان منه والوَفْرُ والعُدْم» أي مِثْلَان عنده الغِنى والفقر لا يَخِلُّ بالمعهود منه، ولا يترك عادَتَه فيه.

وقوله: «نَزْرُ الكلام من الحياء»، أي هو قليلُ الكلام حتّى كأنّه مُلْجَمٌ لغلَبة الحياء عليه، وحتّى يَظُنَّ مَن لا يعرفُه أنّه لِآفةٍ يترُك الكلامَ، ولا آفةَ ثَمَّ، إنما مانِعُه ما يمتلكه من حَيَاءٍ ممتزجٍ بالكرم، ولقلّة رضاه عن نفسه في كلّ ما يَرْتئيه أو يأتيه، إذْ كانت طباعه لا ترضى عنه بشيءٍ يبلغه، فالحياءُ يُمسِكُه، والكَرَمُ يُسْكِتُه، لا تحَمُّدَ منه ولا تبجُّح، ولا تَسَحُّبَ ولا تَعَلِّيَ.

ومثل هذا قولُ الآخر: [البسيط]

راحوا تخالُهُمُ مَرْضى من الكَرم[(١)]

والضَّمِنُ: الزَّمِنُ، ومصدره الضَّمانة.

٧٠٠ ـ وقالت لَيلَى الأخْيَلِيَّة[(٢)]: [الكامل]

١ ـ يـا أيُّـهـا الـسَّـدِمُ الـمُـلَوّي رَأسَـهُ ... لِيَـقُـودَ مـن أهْـلِ الـحِـجـازِ بَـرِيـمَـا

السَّدِم والسَّادم: النَّادم الحزين، وقيل: بل السادم مأخوذٌ من المِيَاهِ الأسدام، وهي المتغيِّرة لطول المُكْث. والسَّدِم أيضًا: الفَحل العظيم الهائج. والسَّدِم أيضًا: اللَّهِجُ بالشَّيء. وحكى أبو حاتم قال: قلتُ للأصمعي يومًا: إنَّك تحفظ من الرَّجَزِ ما

(١) لليلى الأخيلية في اللسان (نضا)، وليس في ديوانها، وللشمردل في الحيوان ٣: ٩١، وصدره:
«إذا غدا المسكُ يجري في مفارقهم»

(٢) ليلى بن عبد الله بن الرحال الأخيلية: من بني عامر بن صعصعة شاعرة فصيحة ذكية جميلة، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير (ت نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمتها في فوات الوفيات ٢: ١٤١، والنجوم الزاهرة ١: ١٩٣.

لم يحفظه أحد. فقال: «إنَّه كان هَمَّنا وسَدَمنا». والبيت يحتمل الوجوه الثلاثة فيه. و«المُلَوِّي رأسَه» يجوز أن يكون مثلَ قول الآخر(١): [السريع]

.........غــارِزًا رأســه فــي سِــنَــةٍ.........

والمراد: كأنَّه مَلَكهُ التحيُّر فهو يُلوّي رأسَه. وتَلويةُ الرأسِ كما يكون من الفِكر والتحيُّرِ فقد يكون من الكِبْر والتجبّر، وقلّةِ الاحتفال بالمختضِر كقوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ [الإسراء: الآية ٥١] فالنَّغْضُ كالتَّلْويَة وإن كان النَّغْضُ أقرب إلى الحقيقة.

وقولها: «ليقودَ مِن أهل الحجاز بَرِيمًا»، فأصلُ البَرِيم خَيطٌ يُفتَل مِن قُوَى بِيضٍ وسود. ويقال: قَطِيع بريم، إذا كان فيه خِلْطَانِ ضَأْنٌ ومِعْزَى. وقال الدُّريديّ: كلُّ لونين اجتمعا مثلَ السَّواد والبياض فهو البَرِيم، وإنما يتَّخذون البَرِيم من الخيوط ليُشَدَّ في أحْقِي الصِّبيان فيُدفَع به العَين. والمراد به هنا جيشٌ متفاوتون أدنياء، كالبريم وهو الخيط المُبَرم من عِدَّة ألوان. والقَصدُ فيما ذكرَتْه إلى الإنكار على المخاطَبِ فيما يأتيه، وتوبيخه فيما حَدَّث به نفسَه من قَوْدِ جيشٍ إلى عمْرو بن الخليع، كما وصفَتْه.

٢ ـ أتـريـدُ عـمْـرو بـنَ الـخَـلِـيـعِ ودُونَـهُ كَـعْـبٌ إذًا لَوَجَـدْتَـهُ مَـزْؤومـا

٣ ـ إنَّ الـخـلـيـعَ ورَهْـطُـه فـي عَـامِـرٍ كـالـقَـلْـبِ أُلْبِسَ جُؤجُؤًا وحَـزِيـمَـا

تقول مقرِّعة ومقبِّحةً لما أنكرَته من مُخاطَبِها ومُوبِّخة: أتقصِد بما هممت به من جَمْع الجموع الحجازيّة عمرو بن الخليع وحوله بنو كعب، إذًا لوجدته معطوفًا عليه، محروسًا منكَ ومن لفيفِك. أمَا علمت أنَّ الخليعَ وعشيرتَه من بني عامرٍ بمكان القلبِ من النَّفس، قد التفَّ به الصَّدرُ والحزيم، وَحَماهُ الحشا والجَوفُ.

والحزيم والمحزِم: موضع الحِزام من الصَّدر. يقال للرَّجُل إذا أريد تشمُّرُه: شدَّ حزيمك للأمر، وحيازيمَك وحَيزُومك. والحَيزوم: وسط الصدر. والمعنى: أنَّ مكانه من الحَيّ مكين، ومحلَّه من جانب المنع منه والدِّفاعِ دونَه عزيز مَصُون. ويقال: رأمته أرأَمُه رَأْمًا ورِئمانًا. والمعنى: كيف يقعُ في نفسك نِزاعُهم، أو يُتَصوَّر في وهمك غَلَبُهم.

---

(١) هذه قطعة من بيت هو مطلع الحماسية (٢٢) لابن زيابة وتمامه:

«نُـبِّـئْـتُ عـمْـرًا غـارزًا رأسَـه فـي سِـنَـه يـوعِـد أخـوالَـه»

ثمَّ أخذت تحذِّر فقالت: لا تغزونَّهم ولا تستشعرنَّ ذلك فيهم.

٤ ـ لا تَغْزَونَّ الدَّهرَ آلَ مُطَرِّفٍ ... لا ظالِمًا أبدًا ولا مَظْلُوما
٥ ـ قومٌ رِبَاطُ الخَيلِ وَسْطَ بيوتِهِم ... وأسِنَّةٌ زُرْقٌ يُخَلْنَ نُجُومَا[١]
٦ ـ ومُخَرَّقٌ عَنْهُ القَمِيصُ تخالُه ... وَسَطَ البُيوتِ مِن الحياء سقيما
٧ ـ حَتَّى إذا رُفِعَ اللِّواءُ رأيتَهُ ... تَحتَ اللِّواء عَلَى الخَمِيس زَعِيمَا

نَهَتْهُ عن غَزْوِهم على كلِّ حالٍ. وانتصب «ظالما» على الحال. فيقول لا تَقصِدْهم طامعًا فيهم ومحاربًا لهم، لا منتقمًا ولا مبتدئًا، فإنَّك لا تُطيقهم، إذْ كان هَمُّهم الغزو، ومَرْبِطُ خيولهم وَسْطَ بيوتهم، يضمِّرونها ويتفرَّسون على ظهورها، ولا يأتمنون عليها في سياستها وصَنْعتها إلَّا أنفسَهم، فلا ترى إلَّا مَن يهذِّب آلتَه للحرب ويُصلِحها، فمَركوبُه صنيع، وسِنانُ رمحِه مَجْلُوٌّ سَنين، ونفسُه مُبتذَلَةٌ فيما يحصِّل به أُكرومةً، لا يهمُّه مطعومٌ ولا مَلْبُوسٌ. ثمَّ لفَرط حيائِه وتَناهِي كرمِه تحسبه وسطَ بيوتِ الحيِّ سقيمًا، قِلَّةَ كلامٍ ولينَ جانب، وضَعفَ مجاذَبة، فإذا نُصبَ لواءُ الجيش مجهَّزًا لِطَلَب وِتْرٍ، وانتواءِ غَزْوٍ، أوْ محاماة على وليٍّ، أوْ سدِّ ثغر، رأيتَه مُهَيَّأً للزَّعامة، معتمَدًا للرِّياسة والسياسة، غيرَ مزاحَمٍ ولا مدافَع.

٧٠١ ـ وقال آخر[٢]: [الكامل]

١ ـ نَحنُ الأخَايِلُ لا يَزالُ غُلَامُنَا ... حَتَّى يَدِبَّ على العَصَا مَذْكُورَا
٢ ـ تبكي السُّيوفُ إذا فَقَدْنَ أكُفَّنَا ... جَزَعًا وتَعْلَمُنَا الرِّفَاقُ بُحُورَا
ولَنَحنُ أوْثَقُ في صُدورِ نِسَائِكُمْ ... مِنكُمْ إذا بَكَر الصُّراخُ بُكُورا

الأخايل جمع، وهي قبيلتها. ويقال للشَّاهِينِ الأخْيَل، والجميع الأخايل، فأمَّا قول الشَّاعر: [الطويل]

لَهُ بَعْدَ إدْلَاجٍ مِرَاحٌ وأَخْيَلُ[٣]

(١) التبريزي: «تُخال نجوما».
(٢) التبريزي: «وقالت: ويقال: بل قالها أبوها».
(٣) للأخطل في ديوانه ١٥٤، وبلا نسبة في اللسان (خيل)، وتاج العروس (خيل)، وصدره: «فلذَّتْ لمرتاحٍ، وطابت لشاربٍ»

فهو الخُيَلاء، والفعل منه اختال. ومراد الشاعر: نحن المعروفون المشهورون، كما قال أبو النَّجم: [الرجز]

أنا أبو النَّجم وشِعْرِي شِعْرِي[1]

أي أصحاب هذا الاسم النَّبيه الخطير. ولا يزال غلامُنا أي الغلامُ مِنَّا وفينا، مِن وقتِ تَرعرُعِه إلى وقت دبيبه، معتمِدًا على عُكَّازِه، رفيعَ الذِّكر عليَّ الشَّأن تقدُّمًا وتكرُّمًا. والسُّيوفُ إذا فَقَدَتْ أيدينا بَكَتْ حنينًا إليها، وجَزَعًا على ما يفوتُهَا منها. والمرافقون في الأسفار لنا تَعلمُنا بُحورًا، لِمَا يُقْسَمُ لهم من إفضالنا، ويَعُمُّهم من تفضُّلِنا، ولحُسْن توفُّرِنا على الرُّوَّاد والورَّاد، ويُمْنِ صُحبتنا على الأدانِي والبُعَداء.

وقوله: «ولَنحنُ أوثَقُ في صدور نِساءكم»، يريد أنَّهنَّ إذا صُبِّحْنَ بالغارة فارتفعَ لما يتداخلُهُنَّ من الرُّعْبِ الصُّرَاخُ، لأنَّهن خِفْنَ السِّباءَ وما يَلْحَقُ من العار، فقلن: واصَبَاحاه أو واسُوءَ صباحنا! واسم ذلك الصَّوت الصرخة والصُّرَاخ. وفي المَثَل: «لهم صَرْخَةُ الحُبْلَى».

ومعنى البيت أنَّا في ذلك الوقتِ أوثقُ في اعتقاد النِّساء، وفيما يشتمل عليه ظَنُّهُنَّ ويعتمِده استفامتهنّ مِنكم، لما عَرَفْن من ذَبِّنا وحِمَايتنا، واشتهرنا به من غَيرتنا وحميَّتنا.

٧٠٢ ـ آخر[2]: [البسيط]

١ ـ يُشَبِّهُونَ سُيُوفًا في صَرَائِمِهِم   وطُول أَنْضِيَةِ الأعناقِ والأُمَمِ[3]

٢ ـ إذا غَدَا المِسْكُ يَجرِي في مَفارِقِهم   رَاحُوا تخالُهمُ مَرضَى من الكَرَمِ

يقال: شَبَّهْتُه كذا وبكذا، كما يقال نصحتك ونصحت لك. والصَّرائم: العزائم، والواحدة صريمة. وقال الخليل: الصَّريمة إحكامك الأمرَ وعزمُك عليه. وكان أصله من الصَّرْم: القَطْع. والأنضِيَة: جمع النَّضِيّ؛ وهو مركَّب النَّصل في السَّيف في

(١) لأبي النجم في أمالي المرتضى ١:٣٥٠، وخزانة الأدب ١:٤٣٩، والدرر ١:١٨٥.
(٢) البيتان في الحيوان ٣:٩١، وأمالي القالي ١:٢٣٨ للشمردل بن شريك اليربوعي وهو من شعراء الدولة الأموية، وبدون نسبة في الكامل ٣٥.
(٣) التبريزي: «في صرامتهم».

الأصل، والمراد به هنا مرَكَّب الرّأس في العنق. ونَضِيُّ السَّهم: قِدْحُه، وهو ما جاوز من السَّهم الرِّيشَ إلى النَّصل. وأنشد الخليل في ذلك: [الطويل]

فمَرَّ نَضِيُّ السَّهمِ تَحتَ لَبَانِه ... وجالَ عَلَى وحْشِيِّه لم يُعَتِّمِ(١)

والأُمم: جمع أُمَّة وهي القامة؛ يقال: ما أحسَنَ أُمَّته. وقوله: «راحُوا تخَالهمُ مَرضَى من الكَرَم»، أي من الحياء. وصَفَهم بالصَّرامة والنَّفاذ في الأمور، فكأنَّهم السُّيوف؛ وبطول القَوَام وحُسْن الشَّطاط، وباستعمال العِطر وكَرَم النَّفس وشِدَّة الحياء بعد الشُّرب، وبتَمام الأُبَهة والمُروءةِ في مجالس الأُنس. وهذا وإنْ لم يصرِّح به فهو متبيِّنٌ من فَحوَى: إذا غدَا المِسك راحوا وكأنَّهم مرضى. على ذلك رَسْمُ الاصطباح، وعادةُ كِرام شُرَّاب الرّاح.

٧٠٣ ـ وقال آخر(٢): [الوافر]

١ ـ فإنْ تَكُنِ الحوادِثُ حَرَّقتْنِي ... فلَمْ أرَ هالِكًا كابْنَي زِيادِ

٢ ـ هما رُمْحانِ خَطِّيَّانِ كانا ... من السُّمْرِ المثَقَّفةِ الصِّعَادِ

٣ ـ تُهَالُ الأرضُ أن يَطَأ عليها ... بمِثْلِهما تُسالم أو تُعادِي

يقول: إن كانت نوائبُ الزَّمان أثَّرتْ فيّ وأزالت تحمُّلي بالصَّبر، وتجلُّدي لِرَيْب الدَّهر، فإنّي لم أر فيمن شاهَدتُهم هالكًا كهذين الرَّجُلين؛ وابنَا زيادٍ لم يكونا منه بسبيلٍ، لا قُربَى ولا قرابة، ولا آصرةَ ولا وسيلة، فيكون الكلام تأبينًا والشِّعر مرثِيَة؛ وإنما كان من جملة مَن تأذَّى بهم، وساقُوا الشَّرَّ إليه بسَعيهم، لكنَّه شَهِدَ لهُما بما شَهِد، مُورِدًا الحقَ، وتابعًا الصِّدق، فهو بالمدْح أشبَهُ منه بالمراثي، إذْ كان الرِّثاء من شرطِهِ التوجع والتَّحزُّن وقد عُدِما هنا، والثَّناء على العدوّ ثناءٌ على نفسه. ويجوز أن يكون المراد: لي بهما على فَضْلهما ونفاذِهما وتقدُّمها، أُسوةٌ في الرِّضا بما قُدِّر لي، والصَّبر على ما حُكِم به عليّ، ولأنَّ الأرضَ لو هابت ماشيًا على ظَهرِها، لكانت تهاب هذين لما أُوتِيا من قُدرة، وأُبلِغا من عِزٍّ وقوة.

وشبَّههما برُمحين استواءَ خلقةٍ وامتدادَ قامة، وسُرعةَ نفاذٍ وحُسنَ توجه. والسُّمْرةُ في ألوان الرِّماح محمودة. والصَّعْدَةُ: القناة تنبت مستويةً. وقوله: «من السُّمر

(١) للأعشى في ديوانه ١٧١، واللسان (نضا)، وأساس البلاغة (نضو).
(٢) التبريزي: «... من طيّىء، يرثي الربيع وعمارة ابني زياد العبسيين».

المثقَّفة الصِّعاد»، سَوَّى بينَهما في التَّشبيه حتَّى لا مخالفةَ، وتنبيهًا على ما يُقصَد من المبالَغة وتناهِي البراعة.

وقوله: «تُهَالُ الأرضُ أن يَطَئَا عليها» أي لأن يَطَئَا عليها، فحذف حرف الجر. يريد: أنّ قُوَّتَهما بالغة، ومَشيَهما شديد، والأرضَ لشدَّة وَطْئهما لها في هَوْلٍ عظيم، وزَلْزَال فظيع. ويجوز أن يريد بالأرض أهل الأرض فحذف المضاف. ثم قال: وبمثلهما تُسَالِمُ أو تُعَادِي، يريد أنَّهما أهلُ الصَّلاح والفَساد والخير والشّرّ، والعَداوة والصَّداقة. و«أو» من قوله: «أو تُعادي» أو الإباحة وقد نُقِل إلى الْخَبَر.

٧٠٤ ـ آخر[1]: [الطويل]

١ ـ كَريمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلَ حيائهِ ... ويَدنُو وأطرافُ الرِّماحِ دَوَانِ

٢ ـ وكالسَّيفِ إنْ لا يَنتَهُ لانَ مَسُّهُ ... وحَدَّاه إنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ

يصفُه بأن خصالَ الكرم قد اجتمعت فيه، فلِتَنَاهِي حيائه تراه يَكْسِر طرفَه عند النَّظَر، فِعْلَ مَن عَمِل ما يُستَحيا منه، أو لزِمَهُ مِنَّةُ مُنعِمٍ توالَى نِعمُه عليه، أو قَصَّرَ في أداء واجبٍ فيخاف عَتْبَهُ فيه؛ ولكمال حَمِيَّته في الحرب يقتحم على الشّرّ، فلا يزدادُ والرِّماحُ شارعةٌ نحوَه إلا قُرْبًا منها، وتهجُّمًا عليها، ثم هو في طباعِه كأنه السيف متى لاينتَه وجدتَ اللِّينَ في صفحتيه عند مَلمَسه، ومتى خاشَنْتَهُ وجدتَ القَطْع والخشونةَ في حَدَّيه ومَضْرِبه.

ومثل هذا قول الآخر[2]: [الرجز]

ضَرْبًا تَرَى منه الغُلَامَ الشَّطْبَا ... إذا أَحَسَّ وجعًا أو كَرْبَا

دنا فما يَزْدَادُ إلّا قُرْبا ... تَحَكُّكَ الْجَرباءِ لاقَتْ جُرْبا

وقد مَرَّت مستقصًى شرحُها في باب الحماسة.

٧٠٥ ـ وقال العُجَير السَّلُوليّ[3]: [الطويل]

١ ـ إنَّ ابنَ عَمِّي لَابنُ زيدٍ وإنَّهُ ... لَبَلَّالُ أيدي جِلَّةِ الشَّوْلِ بالدَّمِ

---

(١) البيتان لأبي الشّيص الخزاعي ص ١١٢، وبلا نسبة في البيان والتبيين ٢: ١٧١.
(٢) الرجز لعبد الرحمٰن المعني في الحماسية (١٩٧).
(٣) سبقت ترجمته في الحماسية (٣١١).

٢ ـ طَلُوعُ الثَّنايا بالمطايا وسابِقٌ ... إلى غايَةٍ مَن يَبتَدِرْها يُقَدَّمِ

افتخرَ بابنِ عمه، وبمكانِه من قرابته، ذاكرًا اسمَ أبيه، ومكتفيًا به لاشتهاره، ثمّ وصفَه بأنّه أوانَ الْجَذب والقَحط، وعند إسنات الناس، ووقتَ طُروق الأضياف، يُعرقِبُ الإبلَ السِّمان فيَبَلُّ أيديَها من دماء عراقيبها.

وقد أحسن لبيدٌ كلّ الإحسان في قولِهِ لما سلكَ هذا المسلك: [الرمل]

مُذمِنٌ يَجلو بأطراف الذُّرَى ... دَنَسَ الأسْؤُقِ بالعَضْبِ الأفَلّ(١)

وقوله: «طَلُوعُ الثّنايا بالمطايا» يريد أنّه يَعلُو العِقاب ويُشْرِفُ عليها مرتبئًا فيها، أو نافضًا طرق الصّيد عليها. ومثله قولُهم: طَلَّاعُ مَرْقبة، وطَلّاعُ أنجِدَةٍ. إلّا أنّ هذا زادَ على ما قالوا لقوله: «بالمطايا».

وقوله: «وسابِقٌ إلى غايَةٍ» مثلُه قولُ تأبّط شَرًّا: [البسيط]

سَبَّاقِ غاياتِ مَجْدٍ في عشيرته(٢)

وقوله: «مَن يبتدِرْها يقدَّم» في موضع الصفة لغاية، والمعنى: من يبتدر مثلَ تلك الغاية قُدِّم في أقرانه ونُظَرائه، وسُلِّم السَّبْق له.

٣ ـ مِنَ النَّفَرِ المُدْلِينَ في كُلِّ حُجَّةٍ ... بِمُسْتَحْصِدٍ في جَوْلة الرَّأي مُحْكَمِ

٤ ـ جَدِيرُونَ ألّا يَذْكُروك بِرِيبةٍ ... ولا يُغْرِمُوكَ الدَّهرَ ما لم تَغَرَّمِ

يقال: أدلَى بحُجّته، إذا أظهرها وقام بها؛ وأدلى رداءه في البئر ليبتلّ، ودلّاه على كذا فتدلَّى. وقال الهُذَليّ: [الطويل]

تَدَلَّى عليها بين سِبٍّ وخَيْطَةٍ(٣)

وتوسّعوا فيه فقالوا: دَلَّاه بغُرور. فيقول: هذا الرَّجُل من القوم الذين إذا أوردُوا حُجّةً قوّموها برأيٍ محكَم الفتل فيما يَجُول من الرّأي مُحْصَفٍ. والنَّفَر يقع على ما

---

(١) للبيد في ديوانه ١٩٨، وكتاب الجيم ٣: ٥٠.

(٢) لتأبط شرًا في ديوانه ١٣٦، وتاج العروس (رفق)، وشرح اختيارات المفضل ١١٨، وعجزه:
«مرجّع الصوتِ هدًا بين أرفاقِ»

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٥٣، واللسان (سبب، جرد، دعس، خيط، وكف)، وديوان الأدب ٣: ٢٠٧، وعجزه:
«بجرداءَ مثلِ الوكفِ يكبو غرابُها»

بين الثلاثة إلى العشرة، ولذلك صَلَح أنْ يقال ثلاثة نَفَرٍ وأربعة نفر. ونافرةُ الرّجُل: بنو أبيه الذين يَغضَبون لغضَبه. قال: [الرجز]

لَوْ أنَّ حَوْلِي من عُلَيْمٍ نافِرَه ... ما غَلَبَتْني هذه الضَّياطِرهْ[1]

وقوله: «جديرون ألّا يَذكُروك بريبةٍ»، يريد أنّهم أحِقّاءُ بألّا يغتابوك إذا غِبتَ عنهم، لسلامة صُدورهم من الدَّغَل والغِش والخيانة، ولا يَقذِفوك بريبةٍ تَشينك أو يقبُح في الأحدوثة بها عنك، وبألّا يُجرُوا عليك أبدًا جريرةً يَثْقُل وطأتُها عليك فتحتاجُ أن تَغْرَمَ لها ما لا تَطِيبُ نفسُك به، ولا تسمحُ بتحمُّلها في مالك.

٧٠٦ ـ وله أيضًا: [الطويل]

١ ـ أقُولُ لِعَبدِ الله وَهْنًا ودُونَنا ... مُنَاخُ المَطَايا مِن مِنًى فالمحصَّبُ

٢ ـ لَكَ الخيرُ عَلِّلْنَا بها عَلَّ ساعَةً ... تمُرُّ وسَهْوَانٌ من اللَّيل يَذْهَبُ[2]

٣ ـ فقامَ فأدنَى من وِسَادِي وِسادَهُ ... طَوِي البَطْنِ مَمشُوقُ الذِّراعين شَرْحَبُ

٤ ـ بعيدٌ من الشَّيءِ القليلِ احتفاظُه ... عليكَ ومَنْزورُ الرِّضا حين يَغْضَبُ

٥ ـ هو الظَّفِرُ الميمونُ إنْ راح أو غَدَا ... به الرَّكْبُ والتِّلْعَابةُ المتَحَبِّبُ

وَهْنًا، أي بعد ساعةٍ من الليل؛ ومنه المَوْهِن. ومفعول أقول أوّل البيت الثاني، وهو «لك الخير»؛ وموضع «ودوننا مناخ المطايا» موضع الحال. فيقول: أخاطبُ عبدَ الله وقد تقضّى من اللّيل بعضُه، ومَبرَك الإبل من مِنًى فموضعُ الجمار منه بقربٍ منّا: مُلِّكْت الخير ولُقِّيت السَّعادة، علِّلْنا في هذه الأرض بأحاديثك لعلّ ساعةً تمرّ تَرجِع إلينا نَفْسُنا وطائفةً من الليل تمضي نطويها على بعض مرادنا، ولأن التعلُّل بالأحاديث وقطعَ الأوقات به، للنّفس فيه راحة، ولها به اعتبار. وقوله: «وسَهْوانٌ» أي طائفة. ويُروَى: «وسهواءُ» ويقال: لَقِيته بعد سهواءٍ من اللّيل، أي بعد مُضِيّ صَدْرِه. ويجوز أن يكون فَعلاء من السَّهو، وتكون همزتها ملحَقة، ويجوز أن يكون فَعْوَالًا ويكون همزتُها مبدلةً من الواو. فأمّا سهوان فكأنّه أُرِيد به

---

(١) بلا نسبة في تاج العروس (نفر)، وأساس البلاغة (نفر)، وجمهرة اللغة ٧٨٨، وكتاب الجيم ٢: ١٩٤.

(٢) التبريزي «تمرُّ وسهواءُ» وقال: «وسهواء: يجوز أن تكون فعلاء من السهو، ويجوز أن تكون فعلالًا».

الوقت الذي يَسهُو فيه الناسُ عن مَباغيهم، وعلى ذلك يُحْمَلُ السَّهواءُ. وفي المثل: «إنّ الموصَّينَ بنو سَهْوَان»، أي الذين يَسهُون عن الحاجة يُحتاج معهم إلى التَّوصية. ولا يمتنع أن يكون السَّهوانُ في الوقت مأخوذًا من السَّاهية، وهو ما استطال واتَّسع من الأرض من غير خَمَرٍ يردُّ العين؛ فنُقِل من المكان إلى الزّمان، أي طائفة من اللَّيل ممتدَّة واسعة.

وقوله: «فقامَ فأدنَى من وِسَادِي وسادَه» جَمعَ بين فِعلَين قام وأدنى. فيجوز أن يكون «طَوِي البَطْن» يرتفع بالأوّل منهما، وهو قام، ويجوز أن يرتفع بأدنى وقد أُضمر في قام على شريطة التَّفسير فاعلُه. والمعنى: فقام به أو منه رجلٌ هكذا فقَرَّب مجلسَه من مجلِسي. الشّرجب: الطّويل. والطَّوِي البَطْنِ: الصغيرُه خلقَةً. والممشوق: الطَّوِيل القَلِيل اللَّحم. وجاريةٌ ممشوقة: حَسنة القَوام قليلةُ اللَّحم.

وقوله: «بعيد من الشَّيْء القليل احتفاظه» أي غضبُه، يريد أنّه سهلُ الجانب لا يكاد يَحتمِي من الشّيء القليل الخَطَرِ والموقِع من النُّفوس، لكنَّه قليل الرِّضا إذا غَضِب، لا يكاد يَرجع إذا ذهَبَ عنك بالهُوَيْنَا. وذِكْر البعد هٰهنا يريد النَّفي، وهذا كما يُستعمل القليل والأقلُّ ويراد بهما النَّفي. والمعنى لا يحتفظ بالشّيء القليل ولا يُؤاخِذ بصغائر الذنوب.

وقوله: «هو الظَّفِر الميمون» يصفُ إقبالَه في متصرّفاته، وأنّ المَناجِح والسَّعادات في رِفاقِع لمَطالِبه ومَباغيه، والمَيَامِن ترفرف على جوانب آرائه وأهوائه، ثم هو حَسَنُ البِشر، ليِّن العَرِيكة، ضحَّاك لَعوب. والاحتفاظ: افتعالٌ من الحِفْظة والحَفيظةِ: الغَضَبِ. والتِّلعابة على بنائه التِّقوالة والتِّلْقامة والهاء في آخره للمبالغة. ويقال: نزرْتُ الشيء نَزْرًا، ثم يقال للمَنْزور: هو نَزْرٌ.

٧٠٧ ـ وقال أبو دَهْبَلٍ[١] في الأزرق[٢]: [البسيط]

١ ـ ماذا رُزِينَا غَداةَ الخَلِّ من رِمَعٍ عند التَّفرُّق مِن خِيمٍ ومن كَرَمِ

٢ ـ ظَلّ لنا واقفًا يُعْطِي فأكثرُ ما قُلْنا وقالَ لنا في وجْهِهِ نَعَمِ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٢١).

(٢) في الأغاني ٦ : ١٥٧ : «هو ابن الأزرق واسمه عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الوليد بن شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم».

الخَل: الطّريق في الرّمل. ورمع: موضع، وقيل هو جبل باليمن، يقول: أُصِبْنَا وفُجِعْنا غداةَ اجتماعنا لتوديع الفِراقِ، بعظيم نبيه من الكرم والخِيم، وهو سَعَةُ الخلق.

وقوله: «ظلّ لنا واقفًا يُعطي» يعني الأزرق. أي بَقِيَ نهارَه واقفًا ونحن محتفّون به ومجتمعون حولَه، وأكثرُ ما قلناه في وَجهِهِ وخاطَبْناه به، وقال لنا في جوابه «نعم». كأنّ القومَ المعترّين اكتفَوْا بعَرْضِ نُفوسِهم عليه من ذكر حاجاتهم لتمام كرَمه، وكمالِ فِطنته، وهو يَعِدُهم الخيرَ ويقرّب لهم الإسعاف والبَذْل، ويقول لكلٍّ منهم: نَعَمْ، عالمًا بما يقترحه، وضامنًا لما يطلبه، وماءُ الوجوه في مواضِعها لم تُهرَق.

ونَعَم: حرف إيجاب، «ويُعطِي» موضعه نصبٌ على الحال.

٣ ـ ثم انتَحى غيرَ مذمومٍ وأعيُنُنَا لما تَوَلَّى بدَمْعٍ سافِحٍ سُجُمِ

٤ ـ تَحمِلُهُ النّاقةُ الأدماءُ معتَجِرًا بالبُرْد كالبَدر جَلَّى ليلةَ الظُّلَمِ[1]

٥ ـ وكيفَ أَنسَاكَ لا نُعماكَ واحِدةٌ عِندِي ولا بِالّذِي أسْدَيتَ مِنْ قِدَمِ[2]

يقول: اعتَمَدَ، بعدَ الوقوفِ لنا والنّظَر في مآربنا، لوجهته، وهو مُمَدَّح بالألسنة، محبَّبٌ في الصُّدور والأفئدة، وأعينُنا لِنَوازع نُفوسِنا لَمّا وَلَّى، سَيَّالةٌ بدموعها. ومعنى سافِح: ذو سَفْحٍ، أي ذو انصباب. والسُّجُم: جمع سَجُوم.

وقوله: «تَحمله النّاقة الأدماء معتجِرًا»، يريد ملتَفًّا. والاعتجار: لفُّ المِعجَر، وهو العِمامة، في الرّأس من غير إدارةٍ تحتَ الحَنَك. وقيل: بل المِعْجَر ضربٌ من ثياب اليَمَن. وشبَّهها بالبَدْر في تلألئِه ونُوره. ألا ترَى أنّه قال: «جلّى ليلة الظُّلَم».

وقوله: «وكيف أنساك»، يريد أنَّ أياديَه عنده تذكره لأنها كثرت وعَمّت وغمرَت فلا يعرِّج على مُنفِسةٍ إلا كانت منه، ولا يردِّد نظرهُ في ذخيرة إلا وكان السببَ فيها، ولم تأتِ اللّيالي والأيام عليها فتقادَمَ عهدُها، وحالَ النّسيان دُونَها، بل هي غَضّة طريّة تُنادِي على نُفوسها، وتَلُوحُ الجِدَّة على صفحاتها، وتَحمِي من الدُّروس ذِكْرَ مُولِيها.

وقوله: «لا نُعماكَ واحدةٌ» في موضع الحال من «لا أنساكَ». وقد تقدَّم القول في الإسداء وأصلِه.

---

(١) التبريزي: «جلّى داجيَ الظُّلَمِ». (٢) التبريزي: «أوليتَ من قِدَمِ».

٧٠٨ ـ وقال أيضًا فيه: [المنسرح]

١ ـ ما زِلتَ في العَفوِ للذُّنوبِ وإطْـ ـلَاقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ
٢ ـ حتَّى تَمنَّى البُرَاةُ أنَّهُمُ عِندَكَ أمسَوْا في القِدِّ والحَلَقِ

قوله: «في العفو» في موضع النَّصب على أنه خبر ما زال، والجارُّ منه تعلّقَ بمضمَر، كأنَّه قال: ما زلتَ آخِذًا في العَفْو وداخلًا فيه، إلى أنْ تمنَّى مَن لا جُرمَ له أن يكون جارمًا عليك حتَّى يتوفرَ عليه نَظَرُك وإحسانُك.

وألمَّ أبو تمَّامٍ بهذا المعنى فقال: [الكامل]

وتَكَفَّلَ الأيتامَ عن آبائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أنَّنا أيتامُ[١]

فعدّه كثيرٌ من أصحاب المعاني خطأً فيه، وقالوا: جعلَه لا يعرف مواضع الصَّنيعة إذ صار النَّاسُ يتمنَّوْن منزلةَ الأيتام عِنده وحُرُماتِهم لدَيه حتَّى ينالَهم إفضالُه، ولو ساغَ هذا القول فيما قاله أبو دَهْبَلٍ، وهو تمنِّي البُراةِ أن يكونوا أُسَراءَ مصفَّدين لدَيه حتَّى يلحقهم إحسانُه، إذْ لا فَرقَ بين الموضعين. ولم يُنكِر أحدٌ من المتقدِّمين والمتأخِّرين ما قاله أبو دَهبل ولا قَدَحوا فيه. وقد أحكمْتُ القولَ في التَّسوية بينهما في «رسالة الانتصار، من ظَلَمة أبي تمَّام»، وبيَّنتُ أن المعنى الذي انتحاه سليمٌ من العَيب صحيح.

والعَاني: الأسير. والغَلِقُ: المتروك لا يُفَكُّ.

٧٠٩ ـ وقال الفَرزدقُ يمدحُ عليَّ[٢] بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجوههم: [البسيط]

١ ـ إذا رأتْهُ قُرَيشٌ قالَ قائِلُها إلى مكارِمِ هذا يَنتَهِي الكَرَمُ
٢ ـ هَذَا الّذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وطأتَهُ والبَيْتُ يَعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ[٣]

---

(١) ديوانه ٢٧٩.

(٢) التبريزي: «وقال الحزين الليثي في عليّ بن أبي طالب: والحزين الكناني هو عمرو بن عبد بن وهيب بن مالك...، ويقال: إنها للفرزدق، قالها حين قال الشامي لهشام بن عبد الملك: من هذا الذي أعظمه الناس وفرحوا له عند استلام الحجر؟ فقال: لا أدري، فقال الفرزدق: لكنني أعرفه، فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟ فقال: الأبيات».

(٣) هذا البيت هو الأول عند التبريزي.

٣ ـ يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرفانَ رَاحَتِه رُكْنُ الحَطِيم إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ

فائدة إلى في قوله: «إلى مكارم هذا» الانتهاء، والجملة في موضع المفعول لقال. والمعنى أنَّ الكريم إذا انتهى إلى درجةِ مكارم هذا وقَفَ، لأنها الغايةُ السَّامية، والمرتبةُ التي لا مُتجاوَزَ منها إلى ما هو أعلَى. ثم قال: «هذا»، يعني عليَّ بن الحسين بن عليّ صلوات الله عليه «الذي تَعرِف البَطحاءُ وَطأتَه» من بين وطَآت النَّاس إذا مشَوا عليها وفيها. والبطحاء: أرض مكّة المنبطحة، وكذلك الأبطح. وبيوت مكّة التي هي للأشرافِ بالأبْطَح، والتي هي في الرَّوابي والجِبال للغُرَباء وأوساطِ الناس. والحَطِيم: الجِدار الذي عليه مِيزابُ الكعبة، فكأنّه حُطِمَ بعض حَجَرِهِ. والأبْطَحُ والبطحاءُ وإنْ كانا صفتين فإنّهما قد لحقا بالأسماء، لذلك جُمِعا على الأباطح والبطحاوات. وانتصب «عرفانَ» على أنّه مفعول له أي يكاد يمسكه رُكنُ الحطيم لأن عَرَف راحتَه. ويَستلم، بمعنى يَلمسُ الحجرَ الأسود. يريد: أنّه ابنُ رسولِ الله ﷺ الذي شَرُف به هذه المواضعُ، فهي عارفةٌ به، وإذا جاء إلى المُستَلَم يكادُ يتمسَّك به الرُّكنُ تمييزًا لراحتِه عن راحة غيره. وأصل يستلِمُ تناوُلَ الحجرَ باليَدِ أو بالقُبْلة أو مَسَحه بالكفّ، فكأنه من السِّلام: الحجارة. قال الخليل: ولم نسمع أحدًا يفردها.

٤ ـ أيُّ القبائِلِ ليسَتْ في رقابِهِم لأوَّلِيَّةِ هـذا أو لَهُ نِـعَـمُ
٥ ـ بِكَفِّهِ خَيزُرانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ في عِرْنينه شَمَمُ[١]
٦ ـ يُغْضِي حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فـما يُـكَـلَّمُ إلّا حِـينَ يَـبْـتَـسِـمُ

يريد: أنّ طوائفَ النَّاس مغمورون بنِعَمه أو نِعَم سلفه، يعني النبيّ والوصيّ عليهما السلام، لأنهم اهتَدَوْا بدعائهم، وفارقوا الهُلْك والضلالةَ بإرشادهم ودَلالتهم فلا قبيلَ إلّا ورقابُهم قد شُغِلَتْ بما قُلِّدَتْ مِن مِنَنهم، وذِمَمُهم قد رُهِنَتْ بما حُمِّلت من عَوَارفهم.

وقوله: «بكفِّهِ خيزُرانٌ» يعني به المِخْصَرَةَ التي يمسكها الملوك بأيديهم يتعبَّثون بها. وقوله: «ريحه عَبِقٌ»، إذا فتح الباء فمخرجه مَخرج المصادر، كأنّه نفسُ الشيء، أو على حذف المضاف، والأصل ذاتُ عَبَقٍ. وإذا كسرت فهو اسم الفاعل، ومعناه

(١) التبريزي: «ريحها عبق».

اللاصِق بالشيء لا يفارقه. يريد أنّ رائحته تبقى فهي تُشَمُّ الدَّهر من كفّ أروعَ، وهو الجميل الوجه. والشَّمَم: الطُّول. والعِرنِين: الأنف وما ارتفَعَ من الأرض، وأوّل الشّيء، وتُجعَل العرانينُ كنايةً عن الأشراف والسادة. وإذا قُرِن الشَّمَم بالعِرنين أو الأنف، فالقصد إلى الكَرَم. لذلك قال حسّان بن ثابتٍ: [الكامل]

شَمُّ الأنوف من الطِّرازِ الأوّلِ[1]

وقوله: «يُغضِي حياءً»، أي لحَيائه يغُضُّ طرفَه، فهو في مَلَكته وكالمَنْخَزِل له». و«يُغضَى من مهابته» أي ويغضَى معه مهابةً له، فمِنْ مهابته في موضع المفعول له، كما أنَّ قوله: «حياء» انتصَبَ لمثل ذلك، والمفعول له لا يقام مقام الفاعل، كما أنّ الحال والتمييز لا يُقام واحدٌ منهما مقام الفاعل.

فإنْ قيل: إذا كان الأمرُ على هذا فأين الذي يرتفع بيُغضَى؟ قلتَ: يقوم مقامَ فاعِلِه المصدرُ، كأنه قال: ويُغضَى الإغضاءُ من مَهابته. والدال على الإغضاء يُغضَى، كما أنّك إذا قلت سِيرَ بزيدٍ يومَين، لك أن تجعل القائم مقام الفاعل المصدر، كأنّه قيل: سِيرَ السَّيرُ بزيد يومين، وهو أحدُ الوجوه التي فيه، فاعلَمْه.

٧١٠ ـ آخر: [البسيط]

١ ـ إذَا انْتَدَى واحْتَبَى بالسَّيف دَانَ لَهُ ... شُوسُ الرِّجال خُضوعَ الجُرْبِ للطَّالِي

٢ ـ كأنّما الطَّيرُ مِنهُمْ فوقَ هامِهِمِ ... لا خَوْفَ ظُلْمٍ ولكنْ خوفَ إجلالِ

انتدى: جلَسَ في نادي القوم، وهو مجمعهم. وقوله: «احتَبَى بالسَّيف»، أي حَضَرَ لعَقْد جِوارٍ، أو فَصلِ أمرِ حَربٍ، أو إيقاع حِلْف، أو تَسويدِ رئيسٍ أو ما يَجري هذا المَجرَى وذلك أن السيف في أمثالِ هذه الأحوال ربّما مَسّت الحاجةُ إليه، لذلك قال جرير: [المتقارب]

ولا يَحْتَبِي عِند عَقْد الجِوارِ ... بِغَيْرِ السُّيوفِ ولا يَرْتَدِي

وفي غير هذه الأحوال إنما يَحتَبُون بالأردية وأشباهِها. ودانَ له، أي خضع. وشُوسُ الرِّجال: جمع أَشْوَس، وهو الذي ينظر بمُؤْخِرِ عينِه عداوةً أو كِبْرًا. وانتصب

---

(١) لحسان بن ثابت في ديوانه ١٢٢، واللسان (طرز، أنف)، وتاج العروس (طرز، أنف). وصدره:

«بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم»

«خُضوعَ الجُزب» على أنّه مصدرٌ من غير لفظه، لأنّ معنى دان له، أي خَضَع له. ومثلُه: [الطويل]

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعبةً أيَّ إذلالِ[1]

لأنَّ معنى رُضت أذللت، وانتصب أيَّ إذلال عنه.

وخَصَّ الجُزبَ لأنّها إذا هُنِئَتْ بالطِّلاء طابَ لها وطاعَتْ لطالِبها، لذلك قال امرؤ القيس: [الطويل]

كما شَغَفَ المهنوءَةَ الرَّجلُ الطَّالي[2]

وقوله: «كأنما الطَّيرُ منهم فوق هامهم»، أراد أنَّ مجالسَهم مَهيبة، وأنَّ حاضِريها لا يموجون ولا يتخفَّفون، بل يتوقّرون ويَسكنُون فكأنَّ على رؤوسهم الطَّير، فإنْ حرّكوا رؤوسهم طارت إعظامًا لها وتبجيلًا لصاحبها. وقوله: «لا خوفَ ظلم»، أي يخافونه لا خوفَ ظُلمٍ وانتقام، ولكن خوفَ جلالةٍ واحتشام، وتوقيرٍ وإعظام. ودلَّ على يَخافونه حتّى انتصب عنه لا خوفَ، قولُه كأنما الطَّير منهم فوق هامِهم. ولما كانَ غيرُ هذا الشّاعر أراد التهكُّمَ والسُخرية قال في وصف قوم: [الطويل]

كأنّ خُرُوءَ الطَّير فوق رؤوسهم[3]

وقد مَرَّ ذلك.

٧١١ ـ وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ[4]: [الوافر]

١ ـ فـإنّـي لَمْ أكـدْ آتـيـكَ تَـهْـوِي بِـرَحْـلِـيَ رَادَةُ الأَصْـلَابِ نَـابُ

٢ ـ قَرِيـحُ الـظَّـهْـرِ يَـفْـرَحُ أنْ يَـرَاهـا إذا وُضِـعَـتْ ولِيَّـتُـهـا الـغُـرابُ

قولها: «لم أكدْ آتيك»، من قولهم: أعطاني الأمير ما لم يكد يُعْطِي، وسَمَح بما لم يكد يسمح. تقول: لم أكد أزورك وقد زُرْتُك تطير برحلي راحلةٌ وثيقةُ الظَّهْرِ

(١) لامرىء القيس في ديوانه ٣٢، وخزانة الأدب ٩: ١٨٧، واللسان (روض)، وصدره:
«فصرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامُنا»

(٢) لامرىء القيس في ديوانه ٣٣، وشرح أبيات سيبويه ٢: ٢٢٢، واللسان (قطر، شعف)، وصدره:
«أتقتلني وقد شغفتُ فؤادها»

(٣) البيت الخامس من الحماسية رقم (٦٠٩)، وعجزه:
«إذا اجتمعت قيس معًا وتميمُ»

(٤) سبقت ترجمتها في الحماسية رقم (٦٩٩).

ليِّنته، قد أخذَت من السِّنّ والقُوَّة بالنَّصيب الأوفر، دَبِرةُ الظَّهر يَفرحُ الغُرابُ إذا وُضعت عنها بَرذعتُها فنظَر إلى ظهرها، لأنّه يَنْقُره ويُدْمِيه إنْ تُرِك.

وقولها: «زَادَةُ» مِن راد يرود، إذا جاء وذهبَ لِلِينه؛ والأصل رائدة، فحذفت الهمزة تخفيفًا، كما قيل في شَائكٍ شَاكُ السِّلاح. ويجوز أن يكون فَعِلَةً بُنِيث منه، وعلى ذلك قولهم: رجلٌ مالٌ، كأنه مَوِلٌ. ورواه بعضهم: «رَارَةُ الأصلاب». وزعم أن عينَه ياء، واحتجَّ له بقول الآخر: [مشطور الرجز]

والسَّـاقُ مِنِّـي بـاديـاتُ الرِّيْـرِ(١)

والرَّارُ والرِّيْرُ: المُخ. وليس الصُّلب بموضعِ مخٍّ، فاعلمهُ. ومثله على الوجه الأول قولُه: [مشطور الرجز]

في صَلَبٍ مثلِ العِنانِ المُؤْدَمِ(٢)

ألا تَرَى أنه شبهه بالعِنان لِلِينه.

٧١٢ ـ وقال العُرْيَان(٣): [الطويل]

١ ـ مررتُ على دَارِ امرِىءِ السَّوءِ حَوْلَهُ لَبُـونٌ كـعَـيْـدانٍ بـحـائِطِ بُـسـتـانِ
٢ ـ فقال ألَا أضحَتْ لَبُوني كما ترَى كـأنَّ عـلى لَبَّـاتِـهـا طِـيـنَ أفـدانِ
٣ ـ فقلتُ عَسَى أنْ يَحْوِيَ الجيْشُ سَرْبَهَا ولا واحدٌ يَسْعَى عليها ولا اثنانِ

يعني بامرىء السَّوء المُبَخَّلَ الملوَّم، الذي لا همّ له إلَّا تثميرُ ماله وحِفظُها ومَنعُها من الحقوق الواجبة فيها. واللَّبُون، أراد بها الجِنس، لذلك قال: «حوله لَبُون». وأصل اللَّبون الإبلُ ذوات الألبان. والعَيْدانُ: النَّخل الطِّوال، واحدُها عَيْدَانةٌ، وهُو فيعالةٌ مِن عَدَن بالمكان، إذا أقام. ومثله غَيْدَاقٌ من غَدَق. ويعني بها الرَّاسياتِ الثَّابتات على مَرِّ السِّنين. وعنى بالحائط موضعَ شجر. والبُستان: النَّخل. والأصل في الحائط أنَّه اسم الفاعل من حاطَ، واستُعمِل استعمالَ اسم الفاعل الذي لم يُشتقّ من الأفعال، ومثلُه من جِنسه قولهم وَالِدٌ وصاحِبٌ، ومن المصادر: لله دَرُّك. وشبَّه الإبلَ

---

(١) بلا نسبة في اللسان (رير)، ديوان الأدب ٣:٣٠١.
(٢) للعجاج في ديوانه ١:٤٤٩، واللسان (صلب، أدم)، وديوان الأدب ١:٢٠٤.
(٣) التبريزي: «وقال العريان لسهلة، وذمّ غيره ٢٢، وفي نوادر أبي زيد ص ٦٥، والخزانة ٢:٥٢٢ لعريان بن سهلة الجرميّ، وهو شاعر جاهلي.

بالعَيدان لطُولها، ومثل هذا قول الآخر: [الرجز]

طيِّبةُ الأنفس بالدَّرِّ نُعُسْ كأنَّها حائطُ نخلٍ مُلتَبِسْ

وقوله: «فقال ألا أصحَتْ لَبوني كما ترى» أخَذَ يتبجَّح عنده بوُفور ماله وسِمَنِها، وتراكُم اللَّحم والشَّحم على ظهورها، فأخذ يعجِّبه منها، ثم شبَّه اللَّحمَ للسِّمَن على لَبَّاتها بِطِين قُصورٍ طُيِّنَت به، فالإبلُ كالقصور، وما قُذِفَ به من زِيادة اللَّحم كالطين. وهذا كقول القطامي: [الوافر]

كما بَطَّنتَ بالفَدَنِ السَّياعَا[1]

وقوله: «فقلت عسى أن يَحوِيَ الجيشُ»، هذه أمنيَّة تمنَّاها. أراد كايَدْتُه وقلت عسَى أن يقبِّض الله لها جيشًا يحويها، ويَحُول بينَك وبين التمتُّع بها، فلا يسعَى عليها مالِكٌ واحد ولا اثنان، لكنَّها تصير مقسَّمة في المُغِيرين، موزَّعة في السَّالبين. ويجوز أن يريد: لا يتفقَّدها مُصلِحًا لها لا واحدٌ ولا اثنان، لكنَّها تُساق وتُذَال بالغَارة وتُهان.

٤ ـ ورحتُ إلى دار امرىء الصِّدْقِ حَوْلَهُ مَرابِطُ أفراسٍ ومَلْعَبُ فِتيانِ
٥ ـ ومَنحَرُ مِثناثٍ يُجَرُّ حُوارُها ومَلْعَبُ إخوانٍ إلى جَنبِ إخوانِ[2]
٦ ـ فقلتُ له إنِّي أتيتُك راغِبًا بذِغلِيَةٍ تَدمَى وإنِّي امرُؤٌ عَانِ
٧ ـ فقال ألا أهلًا وسَهلًا ومَرحَبًا جَعَلتُكَ مِنِّي حيثُ أجعَلُ أشجانِي
٨ ـ فقلت لهُ جادَتْ عليكَ سَحابةٌ بِنَوْءٍ يُنَدِّي كلَّ فَغْوٍ ورَيحَانِ
٩ ـ وقلتُ سَقَاكَ اللهُ خَمرَ سُلافَةٍ بماءِ سَحابٍ حائرٍ بين مُضْدَانِ

قوله: «دار امرِىء الصِّدق» ضدُّ قولهم: امرىء السَّوء، والمعنى فيهما نعم الرجل وبئس الرَّجُل. وإذا قُصِد إلى الوصف به فُتِح فقيل الصَّدقُ. يقال: رَجُلٌ صَدْقٌ ونساء صَدْقات. والسَّوء يُوصَف به فيقال الرَّجل السوء. وقال الخليل: الصَّدْق بفتح الصاد: الكاملُ من كلِّ شيء. فتقول: عَدَلْتُ رائحًا إلى دار الرجلِ الكريم الممدَّح بالألسنة، المرْضِيِّ المحبَّب إلى كلِّ طائفةٍ، المرزَّأ في مالِه، المِنفاقِ على أضيافه

---

(١) للقطامي في ديوانه ٤٠، وأساس البلاغة (فدن)، واللسان (تيز)، وصدره:
«فلمَّا أن جرى سِمَنٌ عليها»

(٢) التبريزي: «وموضع إخوانٍ».

وزُوَّاره وحولَه مرابطُ الخَيل، وفناؤه مَلعبُ الفِتْيان، إذْ كان همُّه الاشتغالَ بالفُروسيَّةِ وما يَكتسِب به فُنونَ الذِّكرِ الجميل وضروبَ المَحْمَدة، ونُدماؤه الفِتيانُ ذوُو الكرَم والحريَّة، والافتنان في اللَّعِب والشَّطارة، وبقُرب دارِه مَدارج الكرامات، ومُبَوَّأ الضِّيافات، ومَجْزَر النُّوق العِشارِ الصَّحيحات الرَّائعات، فتُجَرُّ جِيرانُها إذا بُعجَتْ عَنْها بُطونها لكِبَرها. يريد أنّ ما يُضَنُّ بأمثالها ويُتَنافَس فيها، هو يَبْتَذِلُها ويَسْتهينُ بها، وله دار نِدامَةٍ ووفادة، تُنصَب فيها الموائد، وقد رُتِّب عليها الإخوان على سَنَن الدَّوام، ولا يقع فيه خَللٌ ولا تجوُّز، ولا فُتور ولا تخوُّن.

وقوله: «فقلت له إنّي أتيتُك راغبًا» يريد تعرَّضْتُ له وأريتُه رغبتي في مَعروفِه، وعَرَّفته أنّي قصدتُه على ناقةٍ سريعةٍ من مكان بعيد، فقد دَمِيَتْ أخفافُها وحَفِيت، وأنّي رجلٌ مضرور، أسيرُ فاقةٍ وفقرٍ، محتاجٌ من جهته إلى تفقُّدٍ ومُواساة. فقال في جوابي: أتيتَ أهلًا لا غُرَباء، ونزلت سَهْلًا من الجوانب لا حَزْنًا، واخترت رُحْبًا لا ضِيقًا، فأنتَ في قلبي وصدري بحيثُ أجعل مُهِمَّاتي وحاجاتي، تَشملُك عنايتي، ويَسَعُك إفضالي، فكُنْ كالشَّريك فيما لَنَا، لا تمايُزَ ولا تباين، ولا تمانُعَ ولا تَضايُق. فقُلت له في مقابلةِ ما أَوْرَدَه داعيًا وشاكرًا: هنَّأَكَ الله ما أعطاك، ومَطَر أرضَك ومأواكَ، بجَوْدٍ من سَحابةٍ نشأت بنَوءٍ يُحيِي كلَّ نبتٍ ورَيْحان، بكلِّ أرضٍ ومكان. وقلت أيضًا: داعيًا له بالسُّقيا: سقاكَ الله خَمْرَةً صافية رقيقةً، ممزوجة بماء مطرٍ حائرٍ بين المناقع والغُدْران، بعد أن تقاذفَتْه المَدافعُ والمُسْلان، وتقطَّع بأنضاد الحجر، وتَغلغَلَ في جوانب الخَمر. والمُضْدَان: جمع مَضَاد، وهي شُقوق الجبال. وقال الخليل: المُضْدَان: الهضاب، واحدها مَضَادٌ، وفي أدنَى العَدَد أمضِدة، ومنه سمِّي المَعقِل مَصادًا. والفَغْو: ما له رائحةٌ طيِّبة من النَّبات، وكذلك الفاغية. والذِّعْلِبَة يُوصف بها النَّعامة والنَّاقةُ الشَّديدة السريعة. ويقال: اذْلَعَبَّ البعيرُ إذا أسرَعَ. وسُلافة الخَمْرِ: أوَّلُ ما يخرج من عَصيرها. وإضافةُ الخَمْرِ إليها على طريق التَّبيين. وهذا كما يفيده «من» من قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: الآية ٣٠].

٧١٣ ـ وقال آخر[1]: [الطويل]

١ ـ لَمَسْتُ بكفِّي كفَّهُ أبتغي الغِنَى ... ولم أدرِ أنَّ الجودَ مِن كَفِّهِ يُعْدِي

---

(١) التبريزي: «قال أبو هلال: هذا الشعر لعبد الله بن سالم الخياط مولى هذيل، دخل على المهدي فأنشده هذين البيتين، فأمر له بخمسين ألف درهم، ففرّقها ولم يرجع إلى منزله منها بشيء».

٢ ـ فلا أنا مِنهُ ما أفادَ ذوُو الغِنَى أفَدْتُ وأعْدَاني فأتْلَفْتُ ما عِندِي

قوله: «أبتغي الغنى» في موضع الحال، وأفدت بمعنى استفدت. يقول: لمَّا زُرته صافحتُه واضعًا كفّي في كفّه، وملتمسًا الغِنَى من عنده، وراجيًا نَيل الْخَيْرِ في قَصده، ولم أعلمْ أنَّ السَّخَاء يُعْدِي من يدِه، فلا أنا استفَدْتُ من جهتِه ما استفادَه الأغنياءُ منه، وأَعْداني لمْسُ كفِّه الجودَ فأهلكتُ ما عندي أيضًا.

وقوله: «ما أفَاد» في موضع المفعول من قوله أفدتُ.

٧١٤ ـ وقال آخر[1]: [الوافر]

١ ـ إذا لاَقَيْتِ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قومًا بصَاحِبِهِمْ خَبِيرا[2]

٢ ـ هَلَ اعْفُو عن أُصولِ الْحَقّ فيهِمْ إذا عَسِرَتْ وأقْتَطِعُ الصُّدورا

يتبجَّحُ قائلُه عند المرأة التي خاطبها، بسهُولة جانبِه، وترْكِ المناقَشة في استخراج حُقوقِه، وسماحةِ نَفْسه بما يملكه، فيقول: إذا رأيتِ قومي فارجعي إليهم سائلةً عنّي، ومستخبِرةً حالي ومعتمدةً على ما تسمعينه من قِصَّتي وأمري، فكفى بقومي عالمًا بي وبأخلاقي. وقوله: «كَفَى قومًا بصاحبهم» مقلوبٌ وكان الواجب أن يقول: كَفَى بقومي خبيرًا بصاحبهم، ويعني بصاحبهم نفسَه. والخبير: ذو الخِبرة التامّةِ والمعرفةِ الكاملة. وانتصابُه على الحال إن شئتَ، وإن شئتَ على التَّمييز وقد وضع خبيرًا موضع خُبْرًا، ومثله في القرآن: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النّساء: الآية ٦٩]. وفاعلُ كَفَى قبل القلب «بقومي» وهذا كقوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الرّعد: الآية ٤٣] والباء زائدة.

وقوله: «هَلَ اعفو عن أُصول الحقّ فيهم» يريد سَليهم هل أُسامِحُ بما يجبُ لي مِن أُصول حقّي، وهل أَتركُ الاستقصاءَ في استخراجها، وهل أَعْنُف بهم إذا تعسَّرَتْ عِندَهم، وهل أَجْبِي صَدْرَ ما يحلُّ لي ويَجِبُ راضيًا به، وغيرَ معرِّج على أواخره وأعجازه، لئلا أكون مناقِشًا في الاستقصاء مُضايقًا، ويكون هذا مثلَ قول

---

(١) التبريزي: «قال أبو هلال: هو لجثامة بن قيس، وهو أخو بلعاء بن قيس».

(٢) التبريزي: «كفى قومي».

الآخر: [الرجز]

إنّا إذا شارَبَنا شَرِيبُ ... لـه ذَنُوبٌ ولنا ذَنوبُ
فإنْ أبى كانت له القَليبُ[١]

وقيل: معنى «أقتطِعُ الصُدورَ» أراد به مَوَدّات الصُدور، فحذَف المضاف. وقيل: بل أراد بالصُدور الرُؤساء. والمراد من البيت أني أُسامِح في مُعاملةِ أوساط قومي لأمتلكَهم بذلك، وأجعلَ رؤساءَهم منصبِّين إليّ ومائِلينَ نحوي، لأنّي أقتطعهم عن غيري، وأعدِلُ بهم عمَّن سِواي.

٧١٥ ـ وقال عَمرو ابنُ الإطْنابة[٢]: [الكامل]

١ ـ إنّي مِنَ القومِ الّذِين إذا انتَدَوْا ... بَدَؤوا بحقِّ اللهِ ثمَّ النّائِلِ
٢ ـ المانِعينَ من الخَنا جاراتِهِمْ ... والحاشِدِين على طعام النّازِلِ
٣ ـ والخالِطِين فقِيرَهم بغنيِّهِمْ ... والباذِلِينَ عطاءَهم للسّائلِ
٤ ـ والضّارِبين الكبْشَ يَبرُقُ بَيْضُه ... ضَرْبَ المُجَهْجِه عن حِياضِ الآبل[٣]

يفتخر بأنه من القومِ الذين إذا عَقَدُوا مجلسًا للنَّظَر في أحوال الجِيران لشِدَّة الزمان، ولإصلاح الأمور في جوانب الحيِّ عند فسادها، وكان اليومُ مشهودًا، والتوفُّر على المصالح في الأباعد بعد الأقارب شديدًا، ابتدأوا بإخراج حقِّ الله تعالى جدُّه الواجبِ عليهم في أموالهم، ثم كرُّوا على النّائل مِن بَعْدُ. ويريد بالنّائل العطايا التي لا تَجِب في فرائض الدِّين ونوافِلِها، وإنما يُقِيمون بها المروءات، ويتطلَّبون بفعلها وجُوهَ التحمُّد والتشكُّر.

وقوله: «المانعينَ من الخنا جاراتهم» قَصَدَ فيه إلى تعداد خِصالهم، ورواتبِ سِيَرهم، مع الإفضال التامّ، والبِرِّ العامّ، فقال: يمنعون جاراتِهم من الفُحش ويصونونهنَّ من دَرَن الرِّيبة وقُبْح القالة، وإذا نَزَلَ بهم نازلٌ حَشَدُوا الطَّعامَ له ـ

(١) بلا نسبة في اللسان (ذنب)، وكتاب العين ٨: ١٩٠، وتاج العروس (ذنب).

(٢) عمرو ابن الإطنابة: عمرو بن عامر بن زيد مناة، الكعبي الخزرجي، شاعر جاهلي فارسي، اشتهر بنسبته إلى أمه الإطنابة بنت شهاب من بني القين. كان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس ترجمته في المرزباني ٢٠٣، والأغاني طبعة دار الكتب ١١: ١٢١.

(٣) التبريزي: «ضرب المهجهج» «والمهجهج: الذي يطرد الإبل عن الحوض إذا رويت».

والحَشْد: ما لا تكلفَ فيه ـ ذلكَ ليكون أدنَى لانبساطه، وأدعَى إلى إقامته. ولو قال بَدَل الحاشد محتشد أو مُتَحشِّدٌ لكان لا بدَّ من اقتران الكلْفة بما يأتون به. وتعلّق «على» من قوله: «على طعَام النَّازل» بالحاشد، كأنَّهم يجتمعون على إعداد الطَّعام له، ويتعاونون في إزالة الوهم في أنَّه زِيدَ على الحاضر منه، ليكون أهنأ، وعلى المجموع له أخَفَّ.

وقوله: «والخالِطِين فقيرَهم بغنيِّهم»، يريد أنَّهم يسوُّون بين طوائف الأقارب فترى الفقيرَ منهم لا يتميَّز عن الغنيّ ولا ينحطّ في الإكرام عنه، فينقبض أو يمتعِض، ثم يبذلون للأجانب والغُرباءِ فُرَّاطِهم ووُرَّادِهم، لا يَدَّخِرُون مقدورًا عليه، ولا يعتلون بما يكون سببًا في حِرمانهم. والمعنى أن حِرمانَهم ليس بقمصورٍ على من يُدْلِي بقُربَى وقَرابة، بل تَشترِك فيه الكافّة.

وقوله: «والضّارِبين الكبش»، وَصَفهم بأنَّهم يُقاتِلون الرُّؤساءَ متدجِّجين في السِّلاح، فيَضرِبونهم ضَرب المُدَافِعِ غرائب الإبلِ عن حياض الآبِل. والآبل: صاحب الإبل الكثيرة. وقوله: «يبرُق بيضه» في موضع الحال. والمُجَهْجِهُ والمُهَجْهِجُ: الزَّاجر بقوله: هَجْ هَجْ، وجَهْ جَهْ. وقد حذف مفعول قوله ضَرْبَ المجهجِه.

ويقال: فلانٌ آبَلُ من فلانٍ، أي أحذَق برَعْي الإبِل وتثميرها.

٥ ـ والقاتِلِين لدَى الوَغَى أقرانَهم إنَّ المنيَّة مِن وَراءِ الوائِلِ

٦ ـ خُزرٌ عُيونُهمُ إلى أعدائِهِمْ يَمْشُونَ مشيَ الأُسْدِ تحتَ الوابِلِ

قوله: «والقاتِلين لدَى الوغَى أقرانهم»، أصل الوغى هو الجَلَبة والصَّوت، ثم كثر استعمالُه فصار كناية عن الحرب، فيريد أنَّهم يَقتُلون نُظراءَهم من الكُماةِ والأبطال في الوَغَى، ومَنْ وَأَلَ من أعدائهم في حالٍ من أحوالهم فالمنيَّةُ من ورائهم، لأنَّهم يُمْهِلون ولا يُهمِلون، ويَطلُبون أوتارَهم ولا يضيِّعون.

وقوله: «خُزْرٌ عيونهم إلى أعدائهم»، يريد أنَّهم يتخازَرُون إذا نَظروا إلى أعدائهم، فِعْلَ المتكبِّر المتوعِّد، فلا يَملؤون أعينَهم مِنهم، ولا يُسوُّون النَّظرَ إليهم، بل يَتبيَّن في نَظرِهم ما تنطوي عليه قلوبُهم، وإذا مشَوْا رأيتَهم كالأُسْد تحتَ المَطر الشَّديدِ وهي تُبادرُ إلى مواضعها من العَرِين.

٧ ـ والقائِلينَ فلا يُعابُ كلامُهم يَومَ المَقامَةِ بالقَضاء الفاصِلِ

٨ ـ لَيسُوا بأنكاسٍ ولا مِيلٍ إذا ... مَا الحَرْبُ شُبَّتْ أَشعَلُوا بالشَّاعلِ

أجرى قوله: «القائلين» مُجرى قوله المتكلِّمين والنَّاطقين، لذلك عدَّاه بالباء فقال: «بالقضاء الفاصل». ومثلُه قول عُمَر بن أبي ربيعة: [الطويل]

بحاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جوابِها ... فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمَقالةُ تُعْذِرُ

أي لم تتكلَّم. ومما يدلُّ على ذلك قوله: «فلا يُعاب كلامهم» ولم يَقُل قولُهم. ويقال: فلانٌ يقول بالإمامة، أي يدين بها ويعتقدُها مَذهبًا. فيجوز أن يكون قوله على هذه الطريقة. وإنما وصَفَهم بأنَّهم مفوَّهون خُطباءُ يَفصِلون الأمورَ عند المجامع بالحُكْم العَدْل، والقضاء الفَصْل، ولا يُتَجاوَزُ مرسومُهم، ولا يُعابُ مَقْضِيُّهم؛ ثمَّ إذا حضروا الحرب وأُوقِدَ نارُها فلَيْسُوا فيها بضِعاف العَقْد.

والأنكاس: جمع النِّكس، والنِّكس أصله في السِّهام، تنكسر فيجعل أسفلُها أعلاها فتَضعُف. والمِيلُ: جمع أَمْيَلَ، وهو الذي لا يستقيمُ على الدَّابَّة. وقوله: «أشعلوا بالشَّاعل» يقول: أوقَدوا وهَيجوا. والشاعل يجوز أن يُرادَ به يسير الإيقاد، والإشعال له تقوِيَتُه، والباء مُقْحمة، والمراد أشعَلُوا الشَّاعل وقوَّوْه وزادوا فيه. ويجوز أن يُرادَ بالشَّاعل ذا الشَّعْل أو الإشعال أو الاشتعال، ويكون معناه المُشْعِل، كما يقال: لابِنٌ وتامِرٌ، وحينئذٍ يكون الباءُ داخلًا على حدِّه. والمعنى أشعلوها بالمُشْعِل. ويقال: أشعَلْتُ الخيلَ في الغارة فشَعَلَت وهي شاعِلةٌ، وأشعلْتُ النارَ في الحطَب فاشتعلَتْ.

٧١٦ ـ وقالت حبيبةُ ابنةُ عبدِ العُزَّى[(١)]: [الكامل]

١ ـ أَإلى الفَتى بَرٍّ تَلَكَّأُ نَاقتي ... فكَسا مَنَاسِمَها النَّجيعُ الأسودُ

٢ ـ إنِّي وربِّ الرَّاقِصاتِ إلى مِنًى ... بِجُنُوبِ مَكَّةَ هَدْيُهُنَّ مُقَلَّدُ

٣ ـ أُولي على هُلْكِ الطَّعامِ أَلِيَّةً ... أبدًا ولكنِّي أُبِينُ وأُنْشِدُ

تريد أتتلكَّأ ناقتي، أي أتتحبَّس وتتباطأ، فحذَفَ إحدى التاءين تخفيفًا، لأنَّ الإدغام ممتنِع هنا. وبَرٌّ: اسم الممدوح. والمعنى الإنكارُ والاستفظاع، وإن كان اللَّفظ على الاستفهام. وانجرَّ بَرٌّ على البَدَل من الفتى، والمراد أنَّ ذلك لا يكون، ثم دعت على ناقتها بالعَرقبة فقالت: إن تأخَّرَتْ أو تلوَّمتْ في المسير فعقَرها الله حتى يسيل دَمُ

(١) التبريزي: «حبيبة بنت عبد العزّى العوراء».

أسودُ ثخينٌ على مَناسِمها فيصيرَ كاللّباس لها. والنَّجيع في الأصل دم الجوف، ويقال: تنجَّعَ به، أي تلطَّخ.

وقولها: إنّي وربِّ الرّاقصات إلى مِنًى» أقسمَتْ بالله مالِك رواحلِ الحجيج وهي تسيرُ إلى مِنًى مِن جوانب الحَرَم وفيها الهَدْيُ المُقَلَّدُ. والهدي: ما يُهدَى إلى البيت، وكانوا يقلّدونه ويجعلون في عُنُقه لِحَاءَ الشَّجر أو الصُّوف المفتول ليكون علامةً لإهدائها.

وقولها: «أُولِي على هُلك الطّعام أَلِيَّةً» هو جواب القَسَم، أي لا أولِي، فحُذف حرف للنّفي ولم يُخَفِ الالتباس، لأنه لو أريد الإيجاب لوجَبَ أن يقال: لأُولِيَنَّ باللام وإحدى النونين، والمعنى لا أحلفُ على أنْ أصونَ طعامي ولا أُطعِم النّاسَ، مدَّعيةً أنه قد نَفِدَ وهَلَك، ولكنّي أظهِرُه وأَنْشُد مَن أُطعِمُه. ويجوز أن يريد بأَنشُد: أقولُ للزّائر والمارِّ بي: أنشُدُكَ الله أن تُفارِقَ حتَّى تَطْعَم. وقولها: «هذيهنَّ مقلَّد» في موضع الحال للرّاقصات، واكتفى بضميرها في الجملة عن إدخالِ العاطف عليه، لأنَّ الضمير يعلّق الحال بما قبله كما يعلّق حرفُ العطف. ومثله في القرآن: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: الآية ٢٢]، والمراد بهَذْيهنَّ التكثير لا الواحد. و«أبدًا» في المستقبل بإزاء قَطُّ في المُضِيّ.

٤ ـ وَصّى بها جَدّي وعَلّمَنِي أبي ‏ ‏ نَفْضَ الوِعاءِ وكلُّ زادٍ يَنْفَدُ

٥ ـ فاحْفَظْ حَمِيتَكَ لا أَبَا لَكَ واحتَرِسْ ‏ ‏ لا تَخْرِقَنْهُ فَأْرَةٌ أو جُدْجُدُ

تريد أنَّ هذه الأفعالَ التي ذكرْتُها هي موروثةٌ عن الأسلاف، ومأخوذة عن عاداتهم، جَدّي وصَّى بها أبي، وأبي علّمَنيها فَهُمْ قِدْوَتي، وهذه دأبي وسجيَّتي، أَصُبُّ الزّادَ صبًّا، وأنفُض وِعاءَه بعد أن أُخْلِيَهُ نَفْضًا. والزّاد كلُّه لا يبقى وإن بُخِل به، فلماذا يُكتَسَب الذَّمُّ فيه. ثم أقبلَتْ على من تَذُمُّه وتبخّله فقالت متهكِّمة وساخرةً منه: احفَظْ نِحْيَ سَمْنِك لا أبَا لَكَ ـ وهذا بعثٌ وتحضيض ـ واحذَرْ عليه الفأر والجُدْجُد لا يقطّعه.

وقد مرَّ القولُ في قولهم «لا أبا لك» وإعرابِه. والفأر مهموز، ويقال مكان فَئِرٌ، إذا كثُر فأْرُهُ.

٧١٧ ـ وقال مالك بن جَعْدَةَ[١]: [الوافر]

١ ـ وأَبـلِـغْ صَـلْهَـبًـا عـنِّـي وسَـعْـدًا ... تـحـيَّـاتٍ مَـآثِـرُهـا سـفُـورُ[٢]

٢ ـ فـإنَّـك يَـوْمَ تَـأتِـيـنـي حـرِيـبًـا ... تَـحِـلُّ عَـلَـيَّ يَـومَـئِذٍ نُـذُورُ

٣ ـ تَـحِـلُّ عَـلَيّ مُـفْـرِهَـةٌ سِـنَـادٌ ... عَـلَى أخْـفَـافِـهـا عَـلَقٌ يَـمُـورُ

٤ ـ لأُمِّـكَ وَيْـلَـةٌ وعـلـيـك أُخْـرَى ... فـلا شـاةٌ تُـنِـيـلُ ولا بَـعـيـرُ

يقول على وجه الإزراء بالمخاطَب والغَضِّ منه: أبلِغْ عنِّي هذين الرَّجُلَين تحيَّات ما يُؤثَر منها وعنها، ويُتَحدَّث بها، تتَّسعُ لها وتستغرِقُها سفُورٌ إذا اكتُتِبَتْ ونُسِخَتْ. والسُّفُور: جمع سِفْر، وهو الكتاب. ويقال: سِفْرٌ وأسفار وسُفور. وفي القرآن: ﴿يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجُمُعَة: الآية ٥]. والمآثر، واحدتها مَأثُرَة، ويجوز أن يريد مكارِمَها التي تُؤثَر، أي تُروَى وتُنسَب، واضحة كسُفور الصُّبح. ويقال: سَفَر الصُّبحُ وأسفَرَ، وكان الأصمعيُّ يأبى إلَّا أسْفَر.

وقوله: «فإنَّك يومَ تأتيني حريبًا، أيْ سليبًا، وانتصابه على الحال. و«يوم» مضاف إلى «تأتيني» على وجه التبيين، وهو ظرف لقوله: «تحِلُّ عليَّ يومئذٍ نذور». وانتصب «يومئذ» على البدل من يوم يأتيني، وكأنَّ الشَّاعر عَرَاه سائلًا فحرَمَه، ووعَدَهُ بما لم يَفِ به له فقال: إنَّك إن أتيتني حَرِيبًا وجدتَني لك بخلاف ما كنتَ لي، وعليَّ نذورٌ يلزَمُني الوفاءُ بها متى احتجتَ إليَّ ورأيتُك على الحالة الدَّاعيةِ إلى الإلمام بي، والقصد لي. ومعنى «تَحِلُّ عليَّ» تَجِبُ مَحِلًّا. والمُفْرِهَة: النَّاقة التي تَلِدُ الفُرْهَ من الأولاد. والسِّنَاد: القويَّة. ويقال للمرتفِع في قُبُلِ جبلٍ سَنَد وسِناد. أي أَعقِرُ في جُملة النُّذور لك ناقةً هكذا، فيمورُ أي يَسيل العَلَقُ، وهو الدَّمُ على أخفافها.

وقوله: «لأمِّكَ ويلةٌ» دُعَاءٌ عليه مُصَرِّحًا بالذَّمِّ وذاكرًا الحرمةَ منه بقوله: لأمِّك وَيْلَةٌ. وقوله: «وعليك أخرى» أي ويلةٌ أخرى. واللام وعلى هنا متقاربان في المعنى. وقوله: «فلا شاةٌ تُنِيلُ» لك أن تنصب شاةً بتُنيل، ويرتفع «ولا بعيرُ» على الاستئناف، كأنَّه قال ولا بعير مطموعٌ فيه منك ومَنُولٌ. ولك أن ترفعهما جميعًا، ويكون مفعول

---

(١) التبريزي: «مالك بن جعدة الثعلبي» وفي معجم المرزباني ٣٦٤: «التغلبي»، وهو من شعراء الدولة الأموية هجا المختار بن أبي عبيد فردّ عليه الطرماح.

(٢) التبريزي: «فأبلغ».

تُنيل محذوفًا، والمراد لا يُرْجَى من جِهَتك شاةٌ ولا ما فوقَها. ويقال: نِلْتُ الشَّيءَ فهو مَنِيلٌ نَيْلًا، إذا كنتَ تتناولُه بيدك، وليس هو من التَّناول، لأنَّ التَّناول من النَّوال، ويقال منه نُلْتُ أنول. ومن الأوَّل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ [التوبة: الآية ١٢٠]، ومن الثاني: نَولك أن تفعل كذلك.

٧١٨ ـ وقال عَبدُ اللهِ الحَوَاليّ(١): [الطويل]

١ ـ لَمَّا تَعَيَّا بالقَلُوصِ ورَحْلِها كَفَى اللهُ كَعْبًا ما تَعَيَّا به كَعْبُ

٢ ـ دَعَوْنَا لها قَيْنًا رفيقًا بمُدْيةٍ يُجَزِّئُها فِينَا كما يُجزَأُ النَّهْبُ

يقال: عَيِيتُ الأمرَ وعَيِيت بالأمر. والقَلُوصُ في الإبل، بمنزلة الجارية في الناس. يقول: لَمَّا أعيا كَعْبًا مزاوَلةُ القَلوصِ وشدُّ الرحل عليها كَفَاهُ الله أمرَها، لأنَّا دعَوْنا لها جَزّارًا حاذِقًا بِسكِّينٍ لينحَرَها ويَقْسِمَها فينا كما يُقْسَم النَّهب، أي المال المُنتَهب. والقَيْن: الحَدَّاد في الأصل، واستعاره، وهُم في ذَوِي المِهَن وأسماء الصُّنَّاع يفعلون هذا. ألَا ترى قولَ الآخر: [الرجز]

وشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاها إسْكافْ(٢)

والرَّحْل: مصدر رحلْتُ البعيرَ، وإنما أعيا كعبًا ما أعياهُ منها لنشاطِها وعِرَضْنَتِها في سِيرتها. والضمير من قوله: «ما تَعَيَّا به» راجع إلى ما. ويقال: تعَايا عليه كذا، أي أعياه، قال أوْس: [الطويل]

.... كلما تَعَايا عليه طُولُ مَرْقًى تَوَصَّلَا(٣)

٣ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ ضَيَّعْتَ يا كَعْبُ نَاقَةً يَسيرًا عليها أنْ يُضِرَّ بها الرَّكْبُ

٤ ـ مُوَكَّلةً بالأوَّلِينَ فكلَّما رأتْ رُفْقَةً فالأوَّلُون لها نَصْبُ

أقبَلَ على كعبٍ يوبِّخه في أمرها، وذاك أنَّه كان كَثُرَ شَكْوُه منها، فيقول: وبقائي لقد ضيَّعتَ ناقةً يا كعب يخفُّ عليها ويَقِلُّ في قوّتها إضرارُ القوم بها في الحَمل

---

(١) التبريزي: «عبد الله الحواليّ من الأزد، وبنو حوالة: حيٌّ من العرب».

(٢) للشماخ في ديوانه ٣٦٨، ومقاييس اللغة ٣: ٩٠، وديوان الأدب ١: ٢٧٧، وبلا نسبة في اللسان (ميس، سكف).

(٣) لأوس بن حجر في ديوانه ص ٨٧، وأساس البلاغة (أكل)، وسمط اللآلي ٤٩٢. وصدره: «وقد أكلت أظفاره الصخرُ كلما»

والرُّكوب والاستحثاث في السَّير، فلا تُبالي بما تُحمَّل أو تُكلَّف، حتَّى أنّها كانت كالموكلة بالسَّابق المتقدِّم، فكلّما رأتْ رُفْقَةً فالهوَادِي منها نَصْبُ عَينيْها حتَّى تلحَق بها أو تتقدَّمها. ومعنى التَّضييع أنَّها لم تكن سمينةً ولا مُستصلَحةً للنَّحر، وإنما كانت للعمل لا غير.

٧١٩ ـ وقال حُجْر بن خالد[١]: [الطويل]

١ ـ سَمِعْتُ بِفِعْلِ الفَاعِلِينَ فلَمْ أَجِدْ ... كمِثْلِ أبي قابُوسَ حَزمًا ونائِلَا[٢]

٢ ـ فَساق إلـٰهِي الغَيثَ من كل بَلْدَةٍ ... إليكَ فأضْحَى حَوْلَ بيتِك نازِلَا

٣ ـ فأصْبَحَ مِنْه كلُّ وادٍ حَلَلْتَهُ ... مِنَ الأرضِ مَسفُوحَ المذَانِبِ سائِلَا

يقول: بلَغني سعيُ طالبِي الحمد، ومدَّخِري الشَّرف والمجد، وما عليه مُلوكُ الأرض في مَصَارفهم ومَباغيهم، وحَزمِهم ومساعيهم، فَقِسْتُ بعضَه ببعضٍ، فلم أجد كحزم أبي قابوسَ حَزمًا، ولا كنائلهِ نائلًا. ثمَّ دعا له بالسُّقْيَا ولمِحَلِّهِ بالخِصْبِ والحَيَا فقال: جَمَع الله لك وفي فنائك ما هو مفرّقٌ في أطوار الأرض، وجوانب الأفقِ، من سواكب الغَيث، فصار حواليك، فأيُّ وادٍ نزلْتَهُ من الأرض جعلَه ممطورَ التِّلاع والمذَانب، مُخْصِبَ المَسايل والمدافع، سائلًا بصَوبه، مغمورًا بنَداه وبَرَكته.

وانتَصب «حَزمًا» على التميز، والكاف من «كمثل أبي قابوس» زائدة، ومثله: [الرجز]

لَوَاحِقُ الأقرابِ فيها كالمَقَقْ[٣]

أراد فيها المَقَق، كما أنَّ هذا يريدُ: لم أر مثلَ أبي قابوس. وفي القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١]، ويروى: «فسِيق إليه الغيثُ في كلِّ بلدة إليك». وكأنَّه أخبر في صدر البيت ثم خاطَب على عادتهم. وقوله: «من كلِّ بلدة إليك» أي إليك أمرُها وتدبيرُها، فصرتَ تتولَّاها. وهذا كما يقال: جُعِل بلدُ كذا إلى فلان. والمراد من البيت على هذه الرِّواية: جعل الله الدُّنيا تحت أمرك، ومَنُوطة بتدبيرك، ثم ساقَ الغيثَ من آفاقِها وأطوارها كلِّها إلى ما حَولَك فصار محتفًّا ببيتك.

---

(١) التبريزي: «... يمدح النعمان بن المنذر». (٢) أبو قابوس: كنية النعمان.

(٣) لرؤبة في ديوانه ١٠٦، وجواهر الأدب ١٢٩، وخزانة الأدب ١: ٨٩، وتاج العروس (كوف، زهق، لحق، مقق)، واللسان (كوف، مقق).

ومشتمِلًا على محلِّك. فأينَ تنقَّلت ونزَلْتَ صَحِبكَ الخيرُ وانساقَ معك الغيث. وعلى هذا يكون قوله: «من كل بلدةٍ» عَامًا في أقطار الأرض وأبلادها. ورُوِي أيضًا: «فسيق الغَمامُ الغُر من كلِّ بلدة» وهو ظاهر المعنى. وقوله: «فأصبح منه»، أي من الغيث. وقوله: «كلُّ وادٍ» وصفَه بقوله: «حَللْتَهُ» وانتصب «مَسفوحَ المَذَانب» عى أنَّه خبر أصبح.

٤ ـ مَتَى تُنع يُنْعَ البَأسُ والْجودُ والنّدى وتُضبِحْ قَلُوصُ الْحَربِ جَزباءَ حائلا[(١)]

٥ ـ فلا مَلِكٌ مَا يُدرِكَنْكَ سَعْيُهُ ولا سُوقَةٌ ما يَمْدَحَنْكَ باطلا

يقول: بَقاء السَّخاءِ والمروءةِ وتقوى الإله والشّدَّةُ، متَّصِلٌ ببقائك، لأنها شِيَمُك وطبائعك، فأنتَ تُقيمُها وترُبُّها، وتحفظُها عن الذَّهاب والدُّروس وتحرسها فإنْ هلكْتَ فقد هلَكَ جميعُها، ويُضبح الاستسْلام والانقياد للهَضِيمة والشّرّ شاملَينِ للنّاسِ، فلا يكون بهم دونها دِفاع، ولا إباءٌ منها ولا امتناع، وتصير قلوصُ الحرب سيِّئة الحال يَقْتَطِعُها الحِيال عن اللِّقاح، ويمتلكها ما بنَفسِها من الْجَرَب والضَّعف عن النَّزْوِ والجِذاب. وهذا مَثَلٌ لما يفارق الناس من العزِّ والاقتدار، ويُلازِمهم من الذُّلِّ والاكتئاب. وضدُّ هذا قول زهير: [الطويل]

. . . . وَتَلْقَحْ كِشَافًا ثُمَّ تَحْمِل فتُتْئِم[(٢)]

فتُنْتجْ لكم غِلْمَانَ أَشأَمَ كلُّهم كأحْمَرِ عَادٍ ثم تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

وقوله: «فلا ملكٌ ما يدركنّك سعيهُ» يصفُه بأنَّه لا غايةَ وراء غايتِه لمُرْتَقٍ ولا فَوْقَ نهايته نهايةٌ لمُعْتَلٍ، فكلُّ ساعٍ من الملوك يَقِفُ دونَها، وينحطُّ عن درجتها، وأن السُّوَقَ، وإنْ أسرَفُوا وأفرَطوا في التقريظ والإطراء، يَقْصُرون عن بُلوغ حَدِّه بالوصف، وتصويرِ كُنهِه عند النَّعت، بل أحسَنُ أحوالهم أن يقولوا بعضَ ما قيل من الحقّ.

وأدخَلَ النُّون الثَّقيلة في «يمدحنَّك» و«يدركنَّك» لما في الكلام من معنى النَّفي، ولأن ما الزائدة للتأكيد لفظُه لفظُ ما النافية. ومثله: [الطويل]

في عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُها[(٣)]

---

(١) التبريزي: «يُنْعَ الجودُ والبأس والتقى».

(٢) لزهير في ديوانه ١٩، واللسان (كشف، عرك، تفل)، وصدره:

«فتعرككم عرك الرَّحى بثفالها»

(٣) بلا نسبة في خزانة الأدب ٤:٢٢، والكتاب ٣:٥١٧، واللسان (شكر، عضه)، وصدره: =

وبألم ما تَخْتِنَنَّه. وقوله: «ما يمدحنّك باطلًا» أراد مدحًا باطلًا، فانتصب باطلًا على أنه صفة لمصدرٍ محذوف.

ومثل البيت الأوّل قولُ النابغة: [الوافر]

فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ النَّاسِ والشَّهْرُ الْحَرَامُ
ونَأْخذْ بعدَه بذِنابِ عَيْشٍ أَجَبُّ الظَّهرَ ليس له سَنَامُ

وقول الآخر: [المديد]

فإذا وَلّى أبو دُلَفٍ وَلّتِ الدُّنيا على أثَرِه(١)

٧٢٠ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ومُسْتَنْبِحٍ بعد الهُدُوّ دَعْوَتُهُ بِشَقْرَاءَ مِثْلِ الفَجْرِ ذَاكٍ وَقُودُها
٢ ـ فَقلتُ لها أهلًا وسهلًا ومَرْحَبًا بِمُوقِدِ نَارٍ مُحْمِدٍ مَنْ يَرُودُها
٣ ـ نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبابَةٍ من الدُّهْمِ مِبْطَانًا طَوِيلًا رُكودُها
٤ ـ فإنْ شِئتَ أَثْوَيْنَاكَ في الحَيِّ مُكْرَمًا وإن شئتَ بلَّغناك أرضًا تُرِيدُها

يعني بالمستنبح طالبَ ضيافة، وقد تقدم الكلام فيه. ومعنى «دعوته بشقراء» أي رفعت له نارًا شقراءَ حتّى اهتدَى بها، فكأنّي دعوتُه. وجعل النَّار شَقْراء، وربما قيل صفراء، لأنّها أُوقِدَتْ خاليةً من طَرْحِ اللَّحْم عليها فاشتعلَتْ شقراء، ولو كُبِّبَ عليها اللَّحْمُ لالتهبَتْ كُمَيْتَ اللّون من أجل دُخَانها. لذلك قال الأعشى: [الطويل]

وأوقَدْتَها صَفراءَ في رأسِ تَنْضُبٍ وَلَلْكُمْتُ أَزْوَى للنَّزِيلِ وأَشْبَعُ(٢)

وذَاكٍ وُقودُها، أي مُضيءٌ اتِّقادها. فقلت له أهلًا، انتصب «أهلًا» بفعل مضمرٍ. والباء من قوله: «بمُوقد نار» تعلّق بفعل مضمر، كأنه قال: يُنالُ ذلك كلُّه بمُوقِدِ نارٍ يُحْمِدُها مَن يرودُها. ومعنى «مُحْمِدٍ مَن يرودُها» أي مصادِفِ الحمد مَن يطلبها. ويقال: أحمدتُ فلانًا، كما يقال أجْبَنْتُه وأبْخَلْته.

= «إذا مات منهم ميّتٌ سرق ابنُهُ»

(١) البيت لعلي بن جبلة في الشعر والشعراء ٨٤٠، والأغاني ١٨: ١٠٣.

(٢) البيت ليس في ديوان الأعشى، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين ٥: ٦٣ إلى الأزرق الهمداني.

وقوله: «نصبنا له جَوفاءَ» يعني به قِدْرًا كثيرةَ الأخْذ، واسعةَ الجوف. والضَّبابة: ما يَتعقَّب المطرَ من الظُّلمة الرَّقيقة والسَّحاب الركيك. وذِكرُها هٰهنا مثل. ويُروى: «ذاتَ صُبابة»، وهي البقيَّة، أي يَفضُل ما فيها عن الآكلينَ لعِظَمها. والدُّهم: السُّود. والمِبْطان: العظيم البَطْن. ومِفْعالٌ بناءُ المبالغة. وجعلَها طويلةَ الرُّكود لأنَّها إذا نُصِبت لم تُنْزَلْ إلا بعد لأيٍ لكِبَرها، ولأنه لا يخفّ مَحمِلُها فيُتناوَل كلَّ وَقْتٍ.

وقوله: «فإن شئت أثويناك»، هذا تخييرٌ منهم للضيف بعد إطعامه، ويقال: ثَوَى بالمَكان، إذا أقام؛ وأثْواهُ غيره. وانتصب «مُكْرَمًا» على الحال. والمعنى: إنْ أردتَ المقام أقمتَ مُكْرَمًا مُعَظَّمًا، وإنْ أردتَ التوجُّه في مَقصِدك، والارتحال لِطيَّتِك، بلَّغناكَ مَقَرَّك مَحمِيًا مُشيَّعًا.

٧٢١ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ ومُسْتَنْبِحٍ تَهوِي مَسَاقِطُ رأسِه ... إلى كلِّ شَخْصٍ فهو للسَّمْع أَصْوَرُ

٢ ـ يُصَفِّقُه أنفٌ مِن الرِّيحِ بارِدٌ ... ونَكْباءُ لَيلٍ مِنْ جُمَادَى وصَرْصَرُ

٣ ـ حَبيبٌ إلى كَلْبِ الكريمِ مُناخُهُ ... بَغيضٌ إلى الكَوْماءِ والكَلْبُ أبْصَرُ

يعني بالمستنبح ضَيفًا. ومَسَاقط رأسه: جمع مَسْقِطٍ، ويعني به المصدر لا اسم المكان. ومعنى تَهوِي تَقصِد وتُسرع. ويقال في الفَرَس: إنَّه يُساقِطُ العَدْوَ سِقَاطًا. واسقُط علينا، أي اقْصِدْنا. وقال: [الطويل]

يُساقِطُ عنهُ رَوْقُهُ ضارِيَاتِها ... سِقاطَ حديدِ القَيْنِ أخْوَلَ أخْوَلا[1]

أي يُزيلها ويُبْعدها. ومعنى «تَهوي مَساقطُ رأسه»، أي يُساقِط رأسَه الشُّخوصُ سِقاطًا سريعًا. وقوله: «فهو للسَّمع أصْوَرُ» أي مائل. والسَّمْع: مصدر سَمِع. ومعنى البيت: رُبَّ مُستَضِيفٍ بنُباحِه يتسرَّع مَيْلُ رأسِه ومَهواه إلى كلِّ شخصٍ يمثُلُ له، فهو مائلٌ للسَّمع، ومنتظرٌ متى يُجيبه الكلامُ أو يتلقَّاه مَن يُنزله.

وقوله: «يصفِّقه» أي يَضربه. والأنْف من الرِّيح: أوله. ومنه استأنَفتُ الأمر. وكلأٌ أُنُفٌ، إذا لم يُرْعَ. وقوله: «ونكباءُ ليل» يريد: وريحٌ تَنكَّبُ عن مَهابِّ الرِّياح الأربع، في لَيلةٍ من ليالي جُمادَى. وصَرْصَر، أي وبردٌ شديد. والصَّرُّ والصَّرصَرُ

(١) لضابىء بن الحارث في الدرر ٤: ٣٤، والشعر والشعراء ٢١: ٣٥٩، واللسان (سقط، خول) ونوادر أبي زيد ١٤٥.

بمعنًى، وليس من بناءٍ وَاحد، لأنَّ صرصَر رُباعيٌّ وذلك ثُلاثيّ. وجُمادى، يريد به شهرًا من شُهور الشِّتاء وإن لم يكن جُمادَى في الحقيقة. وإنما وصَفَ ما قد أشرفَ عليه المستنبحُ من أذَى الرِّيح والبردِ والمطر، ليكون ذلك عُذْرًا في الاستنباح وطلب النُّزول.

وقوله: «حبيبٌ إلى كَلْبِ الكريمِ مُناخه»، يجوز أن يرتفع حبيبٌ على أنَّه خبرٌ مقدّم، والمبتدأ مُناخه. ويجوز أن يكونَ صفةً للمستنبح. وقد جُعِل خبرَ مبتدأ مضمر، فيرتفع مناخُه على أنَّه مفعولٌ لم يسمَّ فاعلُه من حبيب. ويقال: أَنَخْتُ البعيرَ إناخةً ومُناخًا فبرك. واستغنَى ببَركَ عن ناخ. وإنا حُبِّب مُناخُ الضَّيف إلى الكلْب لأنَّه يَسعَدُ بنُزولِه ويَشرَكُه في القِرَى المهيَّأ له. وأضافَ الكلب إلى الكريم، لأنَّ كلبَ اللَّئيم يَعقِر السَّابِلَة والمارَّة، ولا يَعرِف الاستضافَة والاستنزال.

وقوله: «بغيض إلى الكَوماء» لأنَّها تُنحَر. والكَوماء: العظيمة السَّنام. وقوله: «والكَلْب أبصَر» ممَّا وقَعَ في أحسنِ موقعٍ وشَرُفَ المعنى بِهِ وجاد البيت.

٤ ـ حَضَأْتُ لَهُ نَارِي فَأَبصَرَ ضَوْءَها وما كَادَ لَولَا حَضأَةُ النَّارِ يُبْصِرُ
٥ ـ دَعَتْهُ بِغَيرِ اسْمٍ هَلُمَّ إلى القِرَى فأَسْرَى يَبُوعُ الأرضَ والنَّارُ تَزْهَرُ
٦ ـ فلمَّا أضاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَبًا هَلُمَّ ولِلصَّالِينَ بالنَّارِ أبشِرُوا

قوله: «حضأْت له ناري» جواب ربَّ المضمَرة في قوله ومستنبِحٍ. ومعنى حضَأْتُ النَّارَ رفَعتُها وهيَّجتها له فأبصَرَها واستدلَّ بها، ولولا رَفْعِي النَّارَ وتَهييجي إيَّاها لكان لا يُبْصِرُ الطَّريق ولا يَرَى مُستدَلاً به. وفصل بين كاد وخبره بقوله: «لولا حَضأَة النار»، وفي كاد ضمير المُستنبِح، لولا ذلك لَمَا جاز أنْ يقال: زيد كادَ يخرج، لأنَّ الفعل لا يلي الفعل.

وقوله: «حَضأَة» ارتفع بالابتداء وخبره محذوف استُغنِيَ بجواب لولا عنه، وجواب لولا في قوله: وما كاد يُبْصِرُ لولا حَضأَةُ النَّار.

وقوله: «دعَتْهُ بغير اسم» يريد: دعت الضَّيفَ النارُ، كأنَّه سَمَّى استدلالَه بها وتَصوُّرَ النَّارِ له دُعَاءً منها وإجَابةً من الضَّيْف. وقوله: «بغير اسم» إنَّما نكَّره ولم يَقُلْ بغير اسمِهِ، لأنّ المدعوَّ قد يُدعَى باسمه، وبكُنيته، وبلقبٍ له، وباسم جنْسِه، وبِصفةٍ له، كقولك يا رجلُ، ويا فتى، ويا مُقْبِل، ويا راكب، ويا فلان، ويأبا فلان. والنَّار

لم تَدْعُ الضَّيف بشيء من ذلك، فلذلك قال بغير اسمٍ، أي بغير اسم يُدْعَى به مثلُه. ويجوز أن يكون قال ذلك لأنَّ دعوتَها لم تكن بكلامٍ، وإنما كان علامةً واستدلالًا، كما أنَّ الإجابةَ كانت قَصْدًا وإسراءً. وكذلك قوله: «هلُمَّ إلى القِرَى» من ذلك، لأنَّ النَّارَ لم تتكلَّمْ بهذا الكلام. وهلمَّ يجوز أن يكون أصله هاء التنبيه ولُمَّ فِعْلٌ، وعلى هذا يُثَنَّى ويجمع. ويجوز أن يكون اسمًا للفعل، وحينئذٍ لا يثنَّى ولا يُجْمَع ولا يؤنَّث، وهذا أفصحُ اللُّغَتَين. وفي القرآن: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨]. وقوله أسرى، يقال سَرَى وأسرى بمعنًى. ويَبُوعُ الأرضَ أي يقطعها بخَطْوٍ واسعٍ وحركةٍ سريعة. يقال: بُعْتُ الشَّيء أبوع بَوْعًا في هذا. وفرسٌ بَيِّع: واسع الْخَطْو. وكما استُعمِلَ البَوْع في هذا استُعم الذَّرْع أيضًا. ومنه قيل: ناقة ذَرِعَةٌ، إذا كانت واسعةَ الْخَطْوِ. وقوله: «والنَّار تَزْهَرُ» الواو واو الحال، وتَزْهَر أي تضيء في صعود.

وقوله: «فلما أضاءتْ شَخصَه قلتُ مَرْحبا»، أي لمّا دنا منّي وتراءى لي شخصُه بضوءِ النَّار تلقَّيتُه بالترحيب والاستدناء، وقلت لمَنْ حولَ النَّار من المُصْطَلين ومن الأهل والْخَوَل: استَبْشِرُوا بالضّيف فقد طَرَقَ، وبمُرادٍ فإنَّه حَصَل. ويقال صَلِيتُ بالنَّار، أي دنوتُ منها، أَصْلَى صُلِيًّا. وقوله: مَرْحَبًا، هَلُمَّ: كلامانِ، ولم يتوسَّطْهما العاطف، لأن مرحبًا تسليم عليه، وهلمَّ أمْرٌ بالدُّنُوّ، فكأنَّه استأنف هذا الكلام بعد التَّسليم بهذا الكلام، ولم يَجمعْهما اللَّفظُ به في حالةٍ واحدة.

٧ ـ فجاءَ ومَحمودُ القِرَى يَستَفِزُّه إليها وداعِي اللَّيل بالصّبحِ يَصْفِرُ[1]

٨ ـ تأخَّرتَ حَتَّى لم تَكَدْ تَصْطفِي القِرَى على أهلِهِ والحَقُّ لا يتأخَّرُ

يقول: جاء الضّيفُ وما هُيِّيء له من القِرَى المحمود يَجتذِبُه ويَهديه إلى النَّار الموقَدة والدِّيكُ يَصْفِر مُؤذِنًا بإصباح اللَّيل. وإنما قال: «ومحمود القِرى» لأنَّ طعامَ الكِرام لا يُستَنكف منه، ويَستطِيبه كلُّ متناوِلٍ ويستمرئه، كما يَستكرِم المثوَى عندَهم كلُّ نازلٍ بهم.

وقوله: «تأخَّرتَ» استبطاءٌ من القارى للضَّيف. والمراد أنَّك تأخَّرتَ عن أوَّلِ الليل حتى كأنَّكَ لم تكدْ تطلبُ اختيار صَفْوِ القِرَى على النَّازِلين، ونحنُ وإنْ فعلتَ

(١) التبريزي: «ويروى: وداعي، فمن روى داعي بالدال أراد ما يصوّت سحرًا نحو الديك وغيره».

ذلك فلكَ الواجبُ من حقِّك، والمفروضُ من قِسْطك، ولن يتأخَّر إن تأخرت. والمعنى أنَّا نستأنِفُ لك ونَحتفِل، ونُقِيم الرّسمَ ونتكلّف، ونُفرِدُك بما يَجبُ لكَ وإنْ تقدَّمَك مَنْ تقدَّم. والهاء من قوله: «على أهله» يعود إلى القِرى.

٩ ـ وقُمْتُ بِنَصْلِ السَّيفِ والبَرْكُ هاجِدٌ بَهَازِرُهُ والمَوتُ في السَّيف يَنظُرُ

١٠ ـ فَأَعْضَضْتُهُ الطُّولَى سَنَامًا وَخيرَهَا بلاءً وخَيرُ الْخَيرِ ما يُتَخَيَّرُ

يقول: قُمتُ مجرِّدًا السيفَ ومتجرِّدًا لعقرِ ناقةٍ، والإبلُ الباركة بفنائي نائمة ساكِنة، عِظَامٌ سِمانٌ، والموتُ ينظُر في سَيفي: أيُها المُعَدُّ والموعودُ به. وإنما قال: «والبَرْكُ هاجد» ولم يقل هاجدة، ردًّا على لفظه، لأنّ لفظَه لفظُ الواحد وإن أُريدَ به الكثرة. ورُدَّ «بهازرُهُ» على المعنى لا على اللفظ. والهُجود: النَّوم، وقال الخليل: هَجَدوا، أي ناموا، هجودًا؛ وتهجَّدوا: استيقظوا، تهجُّدًا. والبهازِرُ: السِّمان الصفايا، واحدتها بِهزارٌ في القياس. والواو من قوله: «والموتُ في السَّيف ينظُر» واو الحال. وقد حَسُنَ موقع هذا العَجُز من صدر البيت. ويجوز أن يكون المعنى: والموتُ المركَّب في السَّيف يَنْتظر ماذا يكون منّي.

وقوله: «أعضضْتُه الطُّولَى سَنَامًا» أي عرقَبتُها به، وجعلتُه يعَضُّ عليها. وانتَصَب «سنامًا» على التمييز، وكان الواجب في مقابلة الطُّولى أن يقول: والخُورَى بلاءً، أو خُورَاها بلاءً، فَعَدَلَ به الوَزْنُ عن تخيُّر المقابلة. ومعنى «خَيرَها بلاءً» يعني في العمل والوِلادة وغَزارة الدَّرّ. وقوله: «وخير الخير ما يُتَخَيَّر» يريد أن البَرْك كلُّها خِيار، ثم إنّي اخترتُ مِن بينها خيرَها، إكرامًا للضّيف، وخَير الخير ما يُتَخَيَّر من الخير.

١١ ـ فأَوْفَضَ عنها وهيَ تَرْغُو حُشَاشَةً بِذِي نَفْسِها والسَّيفُ عُرْيانُ أحْمَرُ[١]

١٢ ـ فباتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِن لِحَامِهَا وَفُوهَا بما في جَوْفِها يَتَغَرغَرُ

قوله: «أوفَضَ عنها» يريدُ أنَّ البَرْك لمَّا جرى منّي على صاحبتها التي اخترتُها ما جَرَى من العَرْقبة نفَرْن وتفرَّقْنَ عنها، وهي، يعني المعقورة، تَرغُو بِرُوحها حُشاشةً، وقال: «بذي نفسها» يريد خالصة نفسها. والحُشَاشة: البقيّة من ذَمائها، وقال الخليل: رُوح القلب، وهو رَمَقٌ من حياة النَّفس. وانتصابه على الحال، ويجوز أن ينتصب على التمييز، فيكون ممَّا نُقل الفعلُ عنه، كأنّه كان وهي ترغو

---

(١) التبريزي: «فأوفضن عنها» أي تفرّقن بسرعة.

حُشاشتها، فنُقِل الفِعلُ إليها، فصار تمييزًا كقولك طِبْتُ نفسًا وما أشبَهَه. وقوله: «والسَّيف عُريانُ أحمر» يريد أنّه متجرِّد من غِمده. ولم يصرف عريانُ ضرورةً، وجعله أحمَرَ ممَّا تلطخ من دمها.

وقوله: «فباتَتْ رُحابٌ» يعني القِدر. ويقال: رحيبٌ ورُحاب، كما يقال: طويل وطُوال، وعَجِيب وعُجاب، وهي الواسعة. والْجَوْنة: السَّوداء. وقوله: «من لحامها» خبر باتت، كقولك أنتَ منِّي. والمعنى: باتت مملوءةً من لِحامها. وقوله: «وفوها يتغرغر» أي يسيل ما في جوفها، يعني عندَ غَلَيانِها على النار. ومثله: [الكامل]

إذْ لا تـزالُ لـكـم مُـغَـرْغِـرَةٌ تَـغْـلِي وأعـلى لَوْنِـهـا كِـتْـرُ[(١)]

والكِتْرُ: السَّنام، ويكون أبيضَ اللون.

٧٢٢ ـ آخر: [الوافر]

١ ـ ومَـا يَـكُ فِـيَّ مِـنْ عَـيْـبٍ فـإنِّـي جَـبَـانُ الـكـلْـبِ مَـهْـزولُ الـفَـصـيـلِ

إنما قال: «جَبَانُ الكلب» لأنّه عُوِّد أن يُسالِم الطُّرّاق لئلا يتأذَّى به الضُّيوفُ إذا وَرَدوا، فقد أُدِّب لذلك ودُرِّب عليه، ولأنّه بِطُول اعتياده لنُزول السَّابلة بِهِم أَلِفَهمْ، فصار لا يَستَنفِر منهم. وقال: «مهزول الفصيل» لأنّه يُؤْثَر بلبَن أمِّه غيرُه أو تُنحَر عنه. ومثله قولُ الآخر: [الوافر]

تَرَى فُصْلَانَهُمْ في الوِرْدِ هَزْلَى وتَسْمَنُ في المَقَارِي والحِبَالِ[(٢)]

٧٢٣ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ سَأَقْدَحُ مِنْ قِدري نَصِيبًا لجارتي وإنْ كانَ ما فيها كَفَافًا على أَهْلي

٢ ـ إذَا أنتَ لم تُشرِكْ رفيقَكَ في الذي يَكُونُ قليلًا لم تُشارِكْهُ في الفَضْلِ

سأقْدَح، أي سأغرف من قِدري نصيبَ الجارة وإن كان ما فيها كَفَافًا على أهلي، أي لا يَفْضُل عنهم ولا ينقُص من حاجَتِهم. وفي طريقته قولُ الآخر: [الطويل]

نُقَسِّمُ ما فيها فإنْ هي قَسَّمَتْ فذاكَ وإنْ أَكْرَتْ فعَنْ أهلِها تُكْرِي[(٣)]

---

(١) لعنترة في اللسان (غرر).

(٢) بلا نسبة في اللسان (قرا)، وتاج العروس (قري).

(٣) للأسود بن يعفر في ديوانه ٣٨، وبلا نسبة في اللسان (قسم، كرا)، وتهذيب اللغة ١٠: ٣٤٣.

قَسَّمَت بمعنى تَقَسَّمت، ومثله نَبَّه بمعنى تنبَّه، ووجَّه بمعنى توجَّه. ومعنى أَكْرَتْ نقصَت، يريد أنَّه يوفِّر نصيبَ الغريب ولا ينقص منه، بل يجعل النُّقصان في نصيب العيال. وكذلك قولُ الآخر: [الكامل]

لیسَ العطاءُ من الفُضولِ سَمَاحَةً حتَّى تجودَ وما لَدَيْكَ قَليلُ(١)

يريد: والذي لديك قليلٌ، وقال الرَّاعي: [البسيط]

إنِّي أقسِّم قِدري وهي بارزة إذْ كلُّ قِدْرٍ عَرُوسٌ ذاتُ جلبابِ

أي مستورة مغطَّاة، لشِدَّة الزَّمان.

٧٢٤ ـ وقال عَمْرو بن الأهتم(٢): [الطويل]

١ ـ ذَرِيني فإنَّ الشُّحَّ يا أمَّ هَيْثَمٍ لِصَالِحِ أخلاقِ الرِّجالِ سَرُوقُ(٣)

٢ ـ ذَرِيني وحُطِّي في هَوَايَ فإنَّني على الحَسبِ الزَّاكِي الرَّفيعِ شَفِيقُ

يقول: اتركيني على أخلاقي وإنْ أنكرتِها فإنَّ ما تَبعَثين عليه من الإمساك والإبقاء على المال هو البُخل، والبُخل مُزْرٍ بأخلاق الرِّجال الكريمة، ومستهلِكٌ متحيِّف لها، وواضعٌ من عوالي رُتَبها.

«ذريني وحُطِّي» أي اتركيني واخفضي من كلامك ووَصَاتك فيما أهواه وأُوثره. وكرَّر «ذريني» على طريق التَّأكيد ومظهرًا التبرُّمَ بإفراطها. والمراد: انزِلي عن مراكبك في اللَّوم واتَّبِعي هوايَ، فإنَّني مُشفِق على الحسَب الذي رفعتُ بناءَه، إذْ كانت الأحساب متى لم تُتفقَّدْ بالعمارة استرَمَّ بناؤُها وشيكًا، وتهدَّمت وبارت أخيرًا.

٣ ـ ذَرِيني فإني ذو فَعَالٍ تَهُمُّنِي نوائِبُ يَغْشَى رُزْؤها وحُقُوقُ(٤)

---

(١) للمقنع الكندي في الحماسية رقم (٧٧٣)، وخزانة الأدب ٣: ٣٧٠، والدرر ٤: ٧٥، وبلا نسبة في الجنى الداني ٥٥٥.

(٢) عمرو بن سنان بن تميم المنقري أبو ربعيّ: أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام، من أهل نجد، كان يدعى (المكحل) لجماله في شبابه، وفد على الرسول ﷺ فأسلم ولقي إكرامًا وحفاوةً، (ت ٥٧ هـ/ ٦٧٧ م). ترجمته في الإصابة (٥٧٧٢)، والمرزباني ٢١٢، والشعر والشعراء ٢٤٠.

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة في المفضليات وهي المفضلية (٢٣).

(٤) الشطر الأول في المفضليات:

«وإني كريمٌ ذو عيالٍ تَهمني»

٤ ـ وكلُّ كريم يتَّقِي الذَّمَّ بالقِرى وَلِلحَقِّ بين الصَّالحِين طَرِيقُ[١]

يقول: اترُكيني واختياري، فإنّي قَدَّمت مساعيَ تقتضيني مراعاتَها، وأسَّستُ مبانِيَ تدعو إلى استكمالها وتَبعثُ على الزِّيادة فيها، وعوَّدتُ النَّاسَ مِنّي عاداتٍ تُوجِبُ عليَّ الصبرَ لها وعليها، وتَغْشَاني نوائبُ تَنُوبني، وحقوقٌ يلزمني الخروجُ منها. ثم إنَّ الكرام يتَّقون ببَذْل القِرَى وإقامتِه على أشرَفِ وُجوهِه ذَمَّ النُّزَّال، وشَكْوَ الطُّرّاق. ولقَضاء واجباتِ الحقوق في الكَرم والمروءة طريقةٌ مسلوكة معروفة، متى أُخِلَّ بها ولم تُعْمَر باستطراقها والنَّظَر في مصالحها والإنفاق في استبقائها، دَرَسَتْ وخَفِيت. ويُروى: «وللحمد بين الصَّالحين طريق»، والمعنى ولكسبِ الحمد. ومعنى «يَغْشَى رُزْؤها» أي يَغْشاني رزؤها، فحذَف المفعولَ، أي إصابةُ الناس وانتفاعُهم بي. ويقال منه: هو مُرَزَّأٌ، إذا كان سخِيًّا ينال النَّاسَ إفضالُه.

٧٢٥ ـ وقال عُروة بن الوَرْد[٢]: [الطويل]

١ ـ إنِّي امرؤٌ عَافِي إنائيَ شِرْكَةٌ وأنتَ امرؤٌ عافي إنائِكَ واحِدُ
٢ ـ أتهزَأُ منِّي أنْ سَمِنْتَ وأن ترَى بوجْهِي شُحوبَ الحقِّ والحقُّ جَاهِدُ
٣ ـ أُقَسِّمُ جِسْمِي في جُسومٍ كثيرةٍ وأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ والماءُ بارِدُ

قوله: «عَافِي إنائيَ شِرْكَةٌ» أي يأكل مَعِي عِدَّةٌ يشاركونني فيما في الإناء، وأنتَ رجلٌ تأكل وحدَكَ فعافِي إنائك واحدٌ. وأصلُ العافي مِن عفَاه واعتفاه، إذا طَلبَ معروفه، فأعفاه أي أعطاه، كما يقال: طلَبَ منه فأطْلَبَهُ، ومنه عافِيَةُ الطَّيرِ والسِّباع. وأنشد بعضُهم فيه: [المتقارب]

لَعَزَّ علينا ونِعْمَ الفَتى مَصِيرُك يا عَمْرُو للعافِيهْ[٣]

أي السِّباع والطُّيور، وقيل: بل أراد العُوَّاد. ومثله قول حاتم: [البسيط]

يَرى البخيلُ سَبِيلَ المالِ واحدةً إنَّ الجَوادَ يَرَى في مَالِهِ سُبُلا

لأنَّ قوله: «سبيل المال واحدة» يريد إنْفاقه على نَفْسِه دونَ غيره.

---

(١) بعده عند التبريزي:
«لعمرك ضاقت بلادٌ بأهلِها ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ»
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٥). (٣) بلا نسبة في اللسان (عفا).

وقوله: «أتهزأ منّي أنْ سَمِنْتَ» أي لأنْ سمِنت ولأنْ ترَى بوجهي شُحوبَ الحق. وأضاف الشُّحوبَ إلى الحقّ لأنْ سببَه كان توفُّرَه على إقامة الحقوق وأدائها في وجوهها. وهم يُضِيفون الشَّيء إلى الشَّيء لأدنَى مناسبةٍ بينهما، فكأنَّه قال الشحوب الذي كان سببه توفُّري على الحق، وتوفيري الأزواد على طُلَّابها. وقوله: «والحقُّ جاهد» يريد القيام بالحقّ في الشَّدائد وأدائِه يَجْهَد النُّفوسَ ويغيِّر الألوان ويُنْضي الأبدان.

وقوله: «أُقَسِّمُ» أراد قوتَ جِسمي وطُعْمَهُ، لأنّي أوثِرُ به الغَير على نفسي وأجتزىء بحَسْوِ الماء القَراح، وهو البَحْتُ الذي لا يُخالِطه شيءٌ من اللَّبَنِ وغيرِه، والماء بارد، أي والشّتاءُ شاتٍ والبردُ مُتَناهٍ. وقال بعضُهم: المهزول يجد بَرْدَ الماء أكثَرَ ممَّا يجدُه السَّمين. وأنشد: [الخفيف]

عافَتِ الماءَ في الشِّتاءِ فقُلْنا ... بل رِدِيه تُصادِفِيه سخينا[1]

أي سَمِنْتِ فرِدِيه تُصادِفِي حارًا ما صادفْتِه باردًا. قال: وَيدُلّ على أنَّه كنَى عن الهُزَال ببَرْد الماء قولُه:

أتهزأ منّي أنْ سمنْتَ وأن ترَى ... بوجهي شُحوبَ الحقّ والحقُّ جاهدُ

٧٢٦ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرتَ إلى الغِنَى ... وكلُّ غَنِيٍّ فِي القُلوبِ جَلِيلُ

٢ ـ وليسَ الغِنَى إلا غِنًى زَيَّنَ الفَتَى ... عَشِيَّةَ يَقْرِي أو غَداةَ يُنِيلُ

يقول: لما استغنَيْتَ عظُمْتَ في عيون النَّاس فأجلُّوا قَدرَك ورفَعوا مكانتَك، وكذا الأغنياءُ مواقعُهم من النُّفوس عظيمة، ومَحالُّهم في الأفئدة والقُلوب جليلة رفيعة، وأقدارُهم موقوفة على سَعة أحوالهم، ومردودةٌ إلى مقادير قُدَرهم، لكنَّ الغِنَى المحمودَ المتَّفق على فَضْله عند التَّحصيل هو ما يَزين الفتَى فلا يَشِينه، ويَكْسِب له الحمدَ والذُّخرَ فلا يَذِيمه، عشيةَ يَنزلُ الأضيافُ فيُكْرِم مَثْواهم، أو غَداةَ يُنِيلُ العُفاةَ ويوسِّع في فنائه مأواهم.

---

(١) بلا نسبة في اللسان (برد)، وتاج العروس (برد).

٧٢٧ ـ وقال المثَلَّمُ بن رِيَاحٍ(١): [الكامل]

١ ـ بَكَرَ العواذِلُ بالسَّوَادِ يلُمْنَنِي جَهْلًا يَقُلْنَ ألا تَرَى ما تَصْنَعُ
٢ ـ أفنَيتَ مَالَكَ في السَّفاهِ وإنما أَمْرُ السفاهَة ما أَمَرْنَكَ أَجْمَعُ

يقول: بَكَر اللوائم في سَواد اللَّيل، ولم تَصْبِرْ إلى وقت الإصباح، حِرْصًا مِنْ نفوسهنَّ على تقريعي وتوبيخي، لجَهلهنّ وضعفِ رأيهنّ، وقُصور بَصائرهنّ عن معرفةِ ما لهنّ وعليهنّ، يَقُلْن لي مستعظِماتٍ لما آتيه، ومُستنكِراتٍ لما أُنفقه وأُفرّقه: أَلا ترى ما تأتي وما تذَرَ. وإنما صَلَح أن يقول بَكَرْن بالسَّواد لأنَّ البكورَ الابتداءُ في الشيء، ومنه باكُورة الرَّبيع، والبِكْر في النِّساء.

وهذا كما قال غيره: [الطويل]

ألا بَكَرَتْ عِرْسِي بلَيْلٍ تَلومُني

وقوله: «أهلكْتَ مَالَكَ» هو تفسيرُ ما أبهَمَه قولُه: «ألا ترَى ما تصنع» والمعنى: صرفْتَ مالَكَ فيما هو سَفَهٌ وضلال، وغَبَاوةٌ وضَياع. ثم قال: وإذا تُؤمّل الحالُ فيما يُراوِدْنَكَ عليه فالأمرُ بالسَّفاهة ما أَمَرْنَكَهُ كلُّه. جعل يخاطبُ نفسه بذلك. ويقال: أمرتك كذا وبكذا. قال الشاعر: [البسيط]

أمَرْتُكَ الخيرَ فافعَلْ ما أُمِرْتَ به(٢)

فجمع بين الوجهين. وفي القرآن: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحِجر: الآية ٩٤]. ويجوز أن يكون معنى أمر السَّفاهة الأمر الذي تولَّد عن السفاهة، ويكون الإضافةُ فيه إضافةَ المسبَّب إلى السبب، كأنّه جَعل السفاهة فيهنّ ومنهنّ. وقوله: «ما أمرنَك» ما مع الفعل في تقدير المصدر، وأَجمَعُ توكيد له. والسَّفاهَةُ والسَّفاهُ والسَّفَهُ: الخفّة والطَّيش. ويقال: زِمامٌ سَفِيه كما يقال زِمامٌ عَيَّار. وسَفَهَتِ الرِّيحُ الغصنَ: حرّكَته. وتسفَّهت الرِّياحُ: اضطربت. و«يلمنني» في موضع الحال. و«جهلًا» يجوز أن تكون مفعولًا له، ويجوز أن تكون في موضع الحال. و«ألَا ترَى ما تصنع» في موضع

---

(١) التبريزي: «... المرّي». وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣١).
(٢) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ٦٣، وخزانة الأدب ٩: ١٢٤، ولخفاف بن ندبة في ديوانه ١٢٦، وللعباس بن مرداس في ديوانه ١٣١، ولأعشى طرود في المؤتلف والمختلف ١٧. وعجزه:

«فقد تركتك ذا مالٍ وذا نشبِ»

مفعول يَقُلْنَ. وما من قوله: «ما تَصْنَعُ» يجوز أن يكون بمعنى الذي، وقد حُذف المفعول من صِلَته، يريد تصنعه. ويجوز أن يكون مفعولًا مُقَدَّمًا لتصنع، والمعنى أيَّ شيءٍ تَصْنَع.

٣ ـ وقُتُودِ ناجِيَةٍ وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ والطَّيْرُ غاشِيَةُ العَوافِي وُقَّعُ

٤ ـ بِمُهَنَّدٍ ذي حِلْيَةٍ جَرَّدْتُهُ يَبْرِي الأَصَمَّ مِنَ العِظَامِ وَيَقْطَعُ

قوله: «وقُتُودِ ناجِيَةٍ» انجرَّ بإضمار رُبَّ، وجوابه وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ، والواو من قوله: والطَّيْرُ واو الحال. فيقول: ربَّ رَحْلِ ناقة سريعةٍ وَضَعْتُهُ بمكانٍ خالٍ وتركتُه، لأنّي عَرْقَبْتُها، والطّير عوافيها تغشاها وتقع عليها. وأكثر ما يجيء المجرور برُبَّ يجيء موصوفًا ثم يجيء الجواب، وههنا لم يَصِفْه. وقوله: «غاشية العوافي» وجب أن يكونَ فيه ضميرٌ للناقة، حتّى يكون بين ذِي الحال وبينه تعلُّق، فحذف ذلك الضّمير لأن المراد مفهوم، ولو أتى به لكان والطّير غاشية العوافِي إيّاها وُقَّعٌ عليها. والعوافي: جمع عافية، وهو من قولهم عَفَاه واعتفاه؛ وقد مرَّ ذكره.

وقوله: «بمهنّد» تعلّق الباءُ منه بقوله: وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ، لأنه لم يَحُطَّ الرَّحلَ عن النّاجية ولم يَضَعْها بالقَفْرة إلا وقد عَرْقَبها، فكأنّه جَعَلَ وضعْتُ بقَفْرةٍ دلالةً على العَقْرِ والعَرْقَبَة.

وقوله: «ذي حِلْيةٍ» يريد أنّه كان ملطَّخًا بالدّم، فجعل ذلك الدَّمَ كالحلية لها. وقوله: «يَبرِي الأصمَّ من العظام ويقطع» يعني بالأصمّ ما ليس بأجوفَ، وذلك أصلَب، فإذا بَرَى الأصمَّ فهو للمجوَّف أبْرَى.

٥ ـ لِتَنُوبَ نائِبَةٌ فَتَعلَمَ أنّني مِمَّن يُغَرُّ على الثَّناءِ فيُخْدَعُ

٦ ـ إنّي مُقَسِّمُ ما مَلَكْتُ فجاعِلٌ أجْرًا لآخرةٍ ودُنْيا تَنْفَعُ

قوله: «لتَنُوبَ» تعلّق اللام بفعل مضمَرٍ دلَّ عليه ما تقدَّم، كأنّه قال: فعلتُ ذلك لكيْ إذا نابتْ نائبة علِمَتْ أنّي أنهَضُ فيها، وأطلُبُ الأُحدوثةَ الجميلة في دَفْعها، وأنّي أُحمَلُ على الغرَر، وأُخْدَعُ عن المال بالثّناء والشُّكر. ثم قال: إنّي أقسِم ما أمْلِكه بين أمرين: مُدَّخَرٍ للآخرة، ومنتَفَعٍ به في الدنيا. وجعل قوله لآخرةٍ ودُنْيا نكرتَيْنِ، وقد جاء في غير هذا المكان دُنْيا في صورة المعرفة،

قال: [الرجز]

في سَعْيِ دُنْيَا طَالَ ما قَدْ مُدَّتِ[١]

ووجه التنكير فيها وفي آخرةٍ أنْ يُرادَ أجرٌ عائدٌ في أَمَدٍ من آمادِ الآخرة، ومنفعةٌ في مثله من الدنيا، وكان الواجب أن يقول ومنفعةً لدُنْيا، حتَّى يكون لِفْقَ الأوّل فيما ساقَهُ من الكلام، وتفسيرًا لما قَسَمَهُ من مَصَارف المال، إلّا أنّه رَمَى بالكلام على ما تَرَى لمَّا لم يلتَبِسْ.

٧٢٨ ـ وقال أبو البرج القاسم بن حَنْبَل[٢]: [الوافر]

١ ـ أرَى الخُلَّانَ بعدَ أبي خُبَيْبٍ وحُجْرٍ في جَنَابِهِم جَفَاءُ[٣]

٢ ـ مِنَ البِيضِ الوُجوهِ بَنِي سِنَانٍ لَوَ انَّكَ تَسْتَضِيءُ بهم أضاءُوا

٣ ـ لهمْ شَمْسُ النَّهارِ إذا استقلَّتْ ونُورٌ ما يُغَيِّبُهُ العَمَاءُ

٤ ـ هُمُ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ المُعَلَّى ومِنْ حَسَبِ العَشِيرةِ حيث شَاءُوا

الجنابُ: ناحية القَوم. ويقال: فلانٌ رَحْبُ الجَناب، كأنّه استَجْفَى نُبُوَّهُم فعَتَبَ عليهم، ثم أخَذَ يمدحُهم ويستعطفهم، فيقول: أجدُ الأصدقاءَ بعد هذين الرَّجلين يَجفُو جَنابُهم عنّي ويَنْبو جانبُهم، وهم من القَوم الكرام الغُرّ الوجوه، أَذْكر بني سِنانٍ. فقوله: «بني سِنان» يجوز أن ينتصب على المدح والاختصاص، ويجوز أن يجعل مجرورًا على البَدَل من البيض الوجوه. وإنَّما وَصَفَهم بنَقاء الحَسَب وانتفاء العار والعَيب من الذَّمم. قال فلو استضأتَ بنُور وجوههم لأضاءُوا في بُهَم الظُّلَم. فلهم من نُور الكَرَم مثلُ شَمْس النَّهارِ إذا ارتفعت وعَلَتْ، ومثل نور اللّيل الذي لا يستُرُه ظَلام، ولا يُخْفِيه عَمَاءٌ، وهو الغَيْم الرَّقيق، وهمْ حَلُّوا من الشَّرف الذي اكتسبوه، وبحَميدِ أفعالهم شَيَّدُوه، المُعَلَّى يعني المُرَفَّع، إلى أبعد الغايات، وأقصى النّهايات. ويجوز أن يكون أراد القِدْحَ المُعَلَّى، لأنّه أشرفُ القِدَاح وأكثرها أنْصِباءً، فجعله مثلًا لأرْفَع المدارج وأسنَى المراتب. وقوله: «ومن حسَب العشيرة» يريد به المتوارَث، أي نزلوا منه حيثُ اختاروه وأحبُّوه. ومراده أنّه جَمَع لهم بَيْنَ المُكتَسَب والمتوارَث من الشَّرَف والحسب. وأضاف الحسَب إلى العشيرة لأنّهم شُركاءُ في التَّليد منه.

---

(١) للعجاج في ديوانه ١: ٤١٠، وخزانة الأدب ٨: ٢٩٦، وشرح المفصل ٦: ١٠٠.

(٢) التبريزي: «أبو البرج القاسم بن حنبل المري، في زفر بن أبي هاشم بن مسعود بن سنان».

(٣) التبريزي «أبي حبيب» بالحاء المهملة.

وأزْيَدُ ممّا قصده في قوله من «البيض الوجوه بني سِنان» قولُ الآخر[١]

٥ ـ بُـنـاةُ مَـكـارِمٍ وأُسـاةُ كَـلْـمٍ　　دماؤُهـمُ مـن الـكـلَـبِ الـشِّـفـاءُ
٦ ـ فـأمّـا بيـتُـكُـمْ إن عُـدَّ بَـيْـتٌ　　فَطَالَ الـسَّـمْـكُ واتَّـسَـعَ الـفِـنَـاءُ
٧ ـ وأمّـا أُسُّـهُ فَـعَـلَـى قـديـمٍ　　مِـن الـعَـادِيِّ إنْ ذُكِـرَ الـبِـنَـاءُ
٨ ـ فـلو أنَّ الـسَّـمـاءَ دَنَـتْ لِمَـجْـدٍ　　ومَـكْـرُمَـةٍ دَنَـتْ لَهـمُ الـسَّـمـاءُ

البُنَاةُ: جمع بَانٍ. والأُساة: جمع آسٍ، وهذا الجمع يختصُّ بالمعتلّ، كما أنّ فَعَلَةَ نحو كَفرَةٍ وظَلَمةٍ يختصُّ بالصَّحيح. والآسِي: مُدَاوِي الجِراحات. والكَلْمُ: الجَرح. وهذا مثَلٌ لشدّة الأهوال واضطرابِ الأحوال. والمعنى: إذا تفاقَمَت الأمورُ، وحرِجَتْ بما اجتمعتْ فيها الصُّدور، فإنَّهم يتلافَوْنَها بعُنْفهم أو لُطفهم، وهم مُلوكٌ ففي دِمائهم شِفَاءٌ من عضّ الكَلْبِ الكَلِب، وهو الذي يَكْلَب بأكْل لُحوم النَّاس، فيأخذه من ذلك شِبْهُ الجُنون، فلا يَعَضُّ إنسانًا إلّا كلِبَ. ويقال: إن مَن عَضّهُ ينبحُ نَبِيح الكلاب فيُنتَظر به سبعة أيام، فإنْ بَالَ هَنَاتٍ على خِلْقة الكلاب بَرَأَ وإلّا ماتَ بزعمهم. ويقولون: إنّه لا دواءَ له أنجعُ من شُرْب دمِ مَلِكٍ. ومثلُه قول الفرزدق: [الطويل]

ولو تَشْرَبُ الكلْبَي المِراضُ دِماءَنَا　　شَفَتْها وذُو الخَبْلِ الذي هو أَدْنَفُ[٢]

وقوله: «فأمّا بيتكم إن عُدّ بيتٌ» فإنّه يريد: إذا عُدَّت البيوتُ فبَيتُكم طويلُ السَّمْك ثابت الأُسّ، فسيح السَّاحةِ والفِناء، واسع الأقطار والأرجاء. والسَّمْك: أعلَى البيت الداخل، فأمّا أعلاه الخارج فإنّه الصَّهْوة. والعاديُّ: القديم، نُسِبَ إلى عَادٍ. فيريد: بناءُ شرفِكم قديمٌ، ومكانُه وَسِيعٌ، وسُمُوقُه رفيع، ورسوخُه عميق.

وقوله: «فلو أنَّ السَّماء دَنَتْ لمجدٍ»، يريد لو مَلَكَتِ السَّماءُ الدُّنوَّ والانحطاط عن موضعهِ الذي سُمِكَ فيه ليرتقيَ إليها مجدُهم، أو ليشاركَ الأرضَ في إقلالهم وإيوَائهم، والاحتواء على مكارمهم، لفعلَتْ ذلك، ولكنَّها عاجزةٌ غير مالكة.

---

(١) لا بدّ أنه يشير إلى بيت أبي الطمحان القيني في الحماسية (٦٩٤):
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم　　دجى الليل حتى نظّم الجزعَ ثاقبه»
(٢) للفرزدق في ديوانه ٢: ٣٠، وكتاب العين ٥: ٣٧٦.

٧٢٩ ـ وقال أَرْطاةُ بن سُهَيَّة[١]: [الطويل]

١ ـ لو أنَّ ما نُعْطِي مِن المال نَبْتَغِي به الحَمْدَ يُعْطِي مِثْلَهُ زاخِرُ البَحْرِ

٢ ـ لَظَلَّتْ قَرَاقِيرٌ صِيَامًا بظاهِرٍ مِنَ الضَّحْلِ كانَتْ قَبْلُ في لُجَجٍ خُضْرِ

قوله: «نبتغي» موضعه نصب على الحال، وموضِعُ «يُعْطِي مِثْلَه» الجملةُ رفْعٌ على أنّه خبر أنَّ، وقد حُذِف الضَّمير العائد إلى ما من قوله نُعطي، كأنّه قال: لو أنَّ الذي نُعطيه من المال مُبْتَغِين به الحمدَ يُعطِي مِثْلَهُ طَامِي البحر ومرتَفِعُه لظلَّت سفنٌ راكدةً وواقفةً بظاهِرٍ من الماء قليلٍ، كانت مِن قَبْلُ في مَعاظِمَ من البحر خُضْرٍ كثيرة. وقوله: «لَظَلَّتْ» جواب لَوْ. وقوله: «كانت قبل» من صفة القراقير، وهي السفن، والواحدُ قُرْقُورٌ. وقد فَصَلَ بين الصفة والموصوف بخبر لظلَّتْ وهو قوله: «صيامًا». يريدُ أنَّ السُّفنَ التي كانت في الماء في بحر تَعودُ بمثل العطايا منه إلى أنْ تكون واقفةً في ضَحْلٍ، إذ كان ماؤه لا يقوم مع الاغتراف منه لما يقوم له مالُنا على الإسراف العظيم منه. والضَّحل: الماء القليل، والجميع الضُّحول. وأَتَانُ الضَّحْلِ: صخرة بعضُها في الماء مغمور وبعضها ظاهرٌ مكشوف، فيَصْلُب ويَمْلَاسُ. واللُّجَج: جمع لُجّة، وهي مُعْظَم الماء. ويقال: التجَّ البحرُ. والصِّيام: القِيام. والزَّاخر من البُحور: الطامي الماء، المرتفعُ الموج. وإذا جَاشَ القومُ لنَفِيرٍ أو حَرْبٍ، قيل: زَخَرُوا.

٣ ـ ولا نَكْسِرُ العَظْمَ الصَّحِيحَ تَعَذُّرًا ونَغنَى عن المَوْلَى ونَجْبُرُ ذا الكسرِ[٢]

٤ ـ غَلَبْنَا بَنِي حَوَّاءَ مَجْدًا وَسُودَدًا ولكنَّنا لم نَسْتَطِعْ غَلَبَ الدَّهرِ

يصفُ كَرمَهم في عشيرتهم، وأنهم يتعطَّفون على الضِّعاف الفقراءِ منهم ويتحَدَّبون، فيجبُرون كَسْرَهُم، ويَسُدُّون مَفاقِرَهم، ويُظهِرون الغِنَى عن مواليهم، فلا يُصْلِحون أحوالَ أنفسهم بل يوفِّرُونهم على مصالح أمورهم، ويُخَلُّونهم واختياراتِهم في مَباغيهم ومكاسِبِهم، ومَنْ كان مستقيمَ الأمر واسعَ المراد يقُوم برَمِّ عَيْشِه، ويَنْهَضُ بتدبير تجمُّله، لا يُلِحُّون عليه في نوائبه، ولا يُضَاعِفُون المُؤَن في مَصَارِفِه، متوصِّلين بذلك إلى الغَضِّ منهُ والحطِّ من قَدْرِه، وجلالِه ومكانِه، لحَسَدِهم واستِعلائهم.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٥). (٢) التبريزي: «تعزّزًا».

وقوله: «غَلَبْنا بَنِي حَوَّاءَ»، يريد أنَّا قَهَرْنا النَّاسَ على طبقاتِهم وتبايُنِ منازِلهم رياسةً وشرفًا، فلمَّا جاء الدَّهرُ يَغْلِبُنا على ما نريدهُ من استبقاءٍ وبقاء، واستصلاحٍ وصَلاح، لم نَستطِعْ دَفعَه، ولم نُطِقْ غَلَبته ومَنْعه. وانتصب قوله: «تعزُّزًا» على أنه مصدر في موضع الحال، ولا يمتنع أن يكون مفعولًا له.

٧٣٠ ـ وقال حُجْر بن حَيَّةَ(١): [البسيط]

١ ـ ولا أُدَوِّمُ قِدْرِي بعدَما نَضِجَتْ ... بُخْلًا لِتَمْنَعَ ما فيها أثافِيها

٢ ـ لا أَخْرِمُ الجارةَ الدُّنْيا إذا اقتَرَبَتْ ... ولا أقومُ بها في الحيِّ أُخْزِيها

٣ ـ ولا أُكلِّمُها إلّا عَلانِيَةً ... ولا أُخَبِّرُها إلّا أُناديها

قوله: «لا أدوِّم» يريد لا أطيل إدامةَ قِدْري بعد إدراكها على الأثافيّ، بُخلًا بما فيها، ولتَمنَعَها عن طلّابها أثافيها. جعَلَ المنع للأثافي، لأنها لما لم تُغْرَف ما دامت منصوبةً على الأثافي جَعَلَ الفِعلَ لها، كأنها هي المانعة. وانتصب «بُخْلًا» على التمييز أو على الحالِ إنْ شِئت. ويقال: أَدَمْتُ الشَّيء، إذا سكَّنتَه ودوَّمتُه أيضًا. والماء الدَّائم: الساكن الذي لا يَجْرِي، وكأنَّ البخيلَ منهم يَفعَلُ ذلك ليُرِي أنّ القِدْرَ لم تُدرِكْ، وأنَّ ما فيها لم ينضَجْ، انتظارًا لمن تأخَّرَ عنهُ ويُوجب الحالُ حُضُورَه.

وقوله: «لا أَحرِمُ الجارةَ الدنيا إذا اقترَبَتْ»، يريد أنه يُشرِكُها في فَضْل نعمته بعد دنوِّها من داره، وأنه لا يطلُب عَثَرَاتها ولا يقبِّحُ آثارَها، فلا يقومُ بذِكْرِها في الحيِّ مُخْزِيًا لها. وقال بعضهم: أراد لا أحكي عليها قبيحًا. يقال: قام بي فلانٌ وقعَدَ، أي نَثَا عَنِّي قبيحًا. وقوله: «أُخزيها» يجوز أن يكون ألف النَّقل دخلَ على خَزِيَ خِزْيًا من الهَوَان، ويجوز أن يكون دخل على خَزِي خَزَاية من الاستحياء، وذاك لأنها إذا ذُكِرَتْ بالقبيح أو شُهِرَت بما تَستُره وكُشِفَت، فقد تستحيي كما تذِلُّ، أوْ تذل كما تستحيي.

وقوله: «ولا أكلِّمها إلَّا عَلانيةً» انتصب علانيةً على أنه مصدرٌ في موضع الحال، وكذلك قولُه: «إلا أناديها»، الجملة في موضع الحال، ونِظام الكلام يقتضيه أنْ يقول: ولا أخبِّرُها، إلَّا أنه لما كان الغرضُ إلّا مناديًا لها، نابَ الفعلُ عن المصدر. ولا يجوز في علانيةً أن يكون تمييزًا، بدَلالة أنَّ الصدر يجب أن يكون

---

(١) التبريزي: «. . . العبسي».

حكمه حكمَ العجزُ، ومن الظَّاهر أنَّ أُنَادِيها في موضع الحال، والمعنى أنَّه لا يَقِفُ، لسَلامةِ طريقتِه وتكامُل عِفَّته، الجارةَ في مواقف التُّهْمة، فلا يُخفِي مُكالَمَتَها، ولا يُخاطِبُها مخبرًا لها إلَّا برفْع صوتٍ ونداءٍ عال. كلُّ ذلك هربًا من قِرفة تَحصلُ، أو تُهْمة تَتوجَّه، وهذا هو الغايةُ في العفاف، والدَّرجةُ القاصية في التوقِّي من العار.

٧٣١ ـ وقال المسَاوِرُ بن هند بن قَيس ابن زُهير[١]: [الطويل]

١ ـ فِدًى لِبَنِي عَبْدٍ غَدَاةَ دَعَوْتُهُمْ ... بِجَوِّ وَبَالَ النَّفْسُ والأَبَوَانِ[٢]

٢ ـ إذَا جارَةٌ شُلَّتْ لِسَعْدِ بن مَالِكٍ ... لَهَا إِبِلٌ شُلَّتْ بِهَا إِبِلَانِ

خبر المبتدإ الذي هو «فِدًى» قوله: «النفس»، و«جَوُّ وَبال» أضاف الجوَّ إلى وبال، وهو اسمُ ماء. وإنما دعا لبني عَبْدٍ بالتَّفدية لأنَّه وجَدَهم عندَ الظَّنِّ بهم لمَّا استنصَرَهم على أعدائه بجوِّ وبال.

وقوله: «إذا جارة» ظرف لقوله: «شُلَّت به إبِلان»، وهو جوابُه. وتلخيص الكلام: إذا شُلّت بها إبلٌ لجارةٍ لسعدِ بن مالك شُلَّتْ بسَببِها ولمكانها إبلانِ، وذلك لكَرَم محافَظَتهم، وللعزِّ اللَّاحقِ في مُعاقَدةِ جِوارهم. ومعنى شُلَّتْ: طُرِدَت، شَلًّا. وقد فَصَل بين المرتفع به وهو إبل، وبينه بقوله: «لسعد بن مالك»، ولولا أنَّ حكمَه حكمُ الظُّروف وقد توسَّعوا فيها، لكان ذلك غيرَ جائز، لأنَّ الفصلَ بين الفِعل وبين المبنيِّ عليه بأجنبيٍّ لا يجوز عندنا. ألا تَرى أنَّهم امتنعوا من جواز قول القائل: كانَتْ زيدًا الحميّ تأخُذ، وإنْ جوَّزوا: كان في الدار زيدٌ واقفًا، لكون الحائِلِ هنا ظَرْفًا وفي ذاك غَيْرَ ظرف. وأمَّا قوله: «لها إبل» فموقع لهاأنْ يكون بعد إبل، لأنَّه صفةٌ لها، والصفةُ لا تتقدَّم على الموصوف، كما أنَّ الصِّلة لا تتقدَّم على الموصول، لكنَّها قُدِّمت على أن تكون حالًا، والحال كما يتأخَّرُ يتقدَّم إذا لم يمنَعْه مانع، فهو كقول الآخر: [مجزوء الوافر]

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ ... كَأَنَّ رُسُومَهَا الخِلَلُ[٣]

وتقدُّم «لها» على «إبل» كتقدُّم مُوحِشًا على طلل.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٥٥). (٢) التبريزي: «لبني هند».

(٣) لكُثَيِّر عَزَّة في ديوانه ٥٠٦، وخزانة الأدب ٣: ٢١١، واللسان (وحش).

وقوله: «إبلٌ»، اسمٌ صيغ للجمع، ويتناول الكثيرَ دون القليل. وقد ثُنِّيَ هٰهنا على معنى فِرقتان، فقيل: إبلان. وهذا كما يقال قومانِ وعشيرتانِ وأهلان. وقوله: «شُلَّتْ بها»، أي مِن أجلها وبسببها. ويروى: «شُلَّتْ لها إبلان»، ويرجع معناه إلى معنى الباء، وذلك أنَّه في معنى المفعول له، أي شُلَّت عِوَضًا عما شُلَّ مِنها، فيكون «لها» الأولى في موضع الحال كما قلت، لكونه صِفةً متقدِّمة، وضميرُها يرجع إلى الجارَة لا غير، أي إبل متملَّكة لجارةٍ لقبيلة سعدِ بن مالك. و«لها» الثانية تكون في موضع المفعول له، والضمير منها يعود إلى الإبل إن شئت، وإن شئتَ إلى الجارَة. فاعرف الفَضْل بينهما إنْ شاء الله.

٣ ـ إذا عَقَدَتْ أَفْنَاءُ سَعْدِ بنِ مالِكٍ ... لها ذِمَّةً عَزَّتْ بكلِّ مكانِ

٤ ـ إذا سُئِلوا ما ليسَ بالحقِّ فيهِمُ ... أَبَى كلُّ مَجْنِيّ عليهِ وَجَانِ

٥ ـ ودارِ حِفاظٍ قد حَلَلْتُمْ مُهانَةٍ ... بها نِيبُكُمْ والضَّيفُ غيرُ مُهَانِ

قوله: «إذا عقَدتْ أفناءُ سعد بن مالك»، يصفهم بحُسْن التعاوُن والتَّرافُد فيما بينهم، وانتفاء التخاذُل والتبايُن عن سِيرَهم وأخلاقهم، فإنهم يدٌ واحدةٌ على مَن سواهم، لا استبدادَ للكبير فيهم، ولا انحطاطَ للصغير منهم، بل كلٌّ يرضَى فِعلَ صاحبِه، واختصاصُ النَّفر منهم في الأمور كفِعل الْجمهور، فمتى دخل واحدٌ من أفنائهم في الأمر العظيم وتكفَّلَ به، أعانَه الرُّؤساء حتَّى يَخرُجَ منه، لا يُهمِلون أمرَه، ولا يَستهينون بشأنه. وإن عقدَتْ أوساطُهم أو المتأخِّرون منهم ذِمَّة لها عزَّتْ تلك الذِّمَّة وغَلَبَتْ في الأماكن كلِّها، وجب الوفاءُ فيها عليهم بأَسْرهم، لا اختلال منهم في دَفْعها، ولا انفكاكَ لهم من ملازمتها.

وقوله: «إذا سُئِلوا ما ليسَ بالحقِّ فيهم»، يريد أنهم إذا سِيمُوا خُطَّةَ الضَّيْم اجتمعوا على اجتوائها والتَّسخُّط لها، واتِرين كانوا أو موتورين، وطالِبين كانوا أو مطلوبين، لِمَا يفرِضونه على أنفسهم من إباء الدَّنيَّة، والتشارُك في طُروق البليَّة، إلى أن تَنقَضِيَ بمدافعتهم لها، وبالانتقامِ من جالبِيها.

وقوله: «ودار حِفاظٍ قد حَلَلتُم»، يعني أنهم إذا نزلَوا دارَ المحافظة على الشَّرَف رأَوْا مراغمةَ الأعداء لَدَى الصَّبرِ على الكُلَفِ، وحَسُنَ ثباتهم، وكَرُمَ بلاؤهم، وطابت أخبارُهم، وكثُرت غاشِيتهم، لأنهم يُهينون كرائمَ أموالِهم، ويُعِزُّون مقارَّ ضيوفهم.

وهذا كما قال الآخر[(١)]: [المتقارب]

ودارِ حِفاظٍ أطَلْنا المُقام ... بها فحَلَلْنا مَحلًّا كريما
إذا كان بعضُهمُ للهَوانِ ... خليطَ صَفاءٍ وأمًّا رؤوما

٧٣٢ ـ وقال[(٢)]: [الطويل]

١ ـ جَزَى اللهُ خيرًا غالبًا من عشيرةٍ ... إذا حَدَثان الدَّهرِ نابَتْ نوائبُهْ
٢ ـ فكم دافَعوا من كُربَةٍ قد تَلاحَمَتْ ... عَلَيَّ ومَوْجٍ قد عَلَتْنِي غوارِبُهْ

يقول متشكِّرًا وداعيًا: جزَى اللهُ غالبًا من بين العشائر خيرًا أشَدَّ ما كان حاجةً إلى مَن يكافئه على مستحدَث بلائه الحسَن في أضيَق أوقات النُّوَب، فكم مَرَّةٍ دَافعوا دوني واشتَلَوْني من كُرَبٍ انضمَّتْ عَلَيَّ، وأطبقَتْ لها الدنيا بظلامها لدَيَّ، فكأنِّي غريقٌ تتلاعَبُ الأمواج بي، وتُقامِسني[(٣)] في غِمارها، وتَرَادُني في لُجَجِها.

وقوله: «حَدَثان الدَّهر»، مصدر حَدَث. والكُرْبة: الاسم من الكَرْب، وهو الغمّ الذي يأخُذُ بالنَّفْس. والمُتلاحم: الملازم بعد أن كان متباينًا. ويقال: التحَم وتلاحَمَ بمعنًى. والغارِبُ: أعلَى الموج، وأعلَى الظَّهر. ومنه قولهم: حَبْلُكِ عَلَى غارِبك. وكم موضعه من الإعراب نَصْبٌ على الظَّرف، والمعنى فمرارًا كثيرة دافعوا دوني.

٣ ـ إذا قلتُ عُودُوا عادَ كلُّ شَمَرْدَلٍ ... أشَمَّ من الفِتْيانِ جَزْلٍ مَواهِبُهْ
٤ ـ إذا أخَذَتْ بُزْلُ المَخاضِ سِلاحَها ... تَجَرَّدَ فيها مُتْلِفُ المالِ كاسِبُهْ

يقول: إذا عُرِضَ على كلِّ واحدٍ من بني غالب مُعاودةُ الحروبِ والكرور فيها عادَ منهم كلُّ رجلٍ تامّ الخلْقة ممتدّ القامة، كريم النَّفْس، كثير العطيَّة. وأصل الشَّمم ارتفاع الأنف، ولك أن تروي: أَشَمُّ جَزْلٌ، وأشَمَّ جَزْلٍ، فالرَّفع على كلّ والجرُّ على شمردل. والشَّمردل: الطويل. والشَّمم كناية عن الكرم.

---

(١) لربيعة بن مقروم في المفضلية (٣٩).
(٢) يدلّ الكلام على أن القائل هو نفسه المساور بن هند، بينما قال التبريزي: «وقال آخر». والأبيات ما عدا الرابع في الزهرة ٢: ٧٥٥ ونسبتها إلى المساور بن هند.
(٣) تقامسني: تغامسني.

وقوله: «إذا أخذَتْ بُزْلُ المَخَاضِ سلاحَها» فالمراد بسلاحها مَحاسنُها وأمارات عِتْقِها وكَرَمِها، كأنَّها تتحلَّى بتلك المحاسِنِ في عين أربابها حتَّى تَخْلَى، فيصير ذلك سببًا للضِّنّ بها. وقوله: «مُتْلِفُ المال كاسِبُهْ» هو كقولهم: مُفِيدٌ مُفِيتٌ، ومِخْلاف مِتْلاف، ومُخْلِف مُتْلِف. والبُزْلُ: جمع بازل، وهو المُتناهِي قُوَّةً وشبابًا. وأصل البَزْل الشَّق. والمَخَاض: النُّوق الحوامل، وهو اسمٌ مصوغ للجَمْع كالقوم والنِّسوة. ومعنى «تجرَّد فيها» أي تشمَّرَ في عَقْرِها ونَحْرِها، يريد أنَّ تحسُّنَها بسِلاحها في عَينِه لا يُجْدِي عليها نفعًا، ولا يَدفعُ عنها مكروهًا، لما بِهِ من إكرام الضُّيوف، ويُوجِب على نَفْسه مِن قَضاء الحقوق.

٧٣٣ ـ وقال آخر[1]: [الطويل]

١ ـ أيـا ابـنـةَ عـبـدِ الله وابـنـةَ مـالِكٍ ... ويـا ابنَةَ ذِي البُـرْدَيْنِ والفَرَسِ الـوَرْدِ
٢ ـ إذا مَـا صَـنَـعْـتِ الـزَّادَ فـالـتَـمِـسِـي لَهُ ... أَكِـيـلًا فـإنِّـي لـسـتُ آكِـلَهُ وَحْـدِي
٣ ـ أخًـا طـارِقًـا أو جـارَ بَـيـتٍ فـإنَّـنـي ... أخافُ مَذَمَّاتِ الأحـاديـثِ مِنْ بَعْدِي
٤ ـ وإنِّـي لَعَـبْـدُ الـضَّـيْـفِ مـا دامَ نـازِلًا ... ومـا فِـيَّ إلَّا تِـلْـكَ مِـنْ شِـيَـمِ الـعَـبْـدِ

حَسُنَ تكرير ابنةٍ وإن كانَ المرادُ واحدةً لاختلافِ المضاف إليه، والقصدِ إلى تفخيم أمرها وتَعظيم شأنها. والذي يدلُّ على أنَّ المرادَ واحدة قولُه: «إذا ما صَنَعْتِ الزَّاد فالتمسي». ويَعنِي بذي البُرْدين عامرَ بن أُحَيْمِرِ بنِ بَهْدَلَة. وكان من حديث البُرْدَين حتَّى لُقِّبَ به، أنَّ وفود العرب اجتَمعَتْ عند المنذِر بن ماء السماء ـ وهو المُنذر بن امرىءِ القيس، وماءُ السَّماء أمُّه نُسِبَ إليها لشَرَفِها. وقيل: ماء السَّماء لُقِّبَتْ به لصفاء نَسَبِها، وقيل: لنَقاء لونها، يُراد أنَّها كماء السماء لم يَحْتَمِلْ كُدورة ـ فأخرج المنذرُ بُردَينِ يومًا يَبْلُو الوُفود، وقال: لِيَقُمْ أعزُّ العَرَبِ قبيلةً فليأخذْهُما. فقام عامرُ بن أُحَيمِرٍ فأخذَهما واتَّزر بأَحدهما وارتدَى بالآخَر، فقال له المنذر: بِمَ أنتَ أعَزُّ العربِ قبيلةً؟ قال: العِزُّ والعَدَد في مَعَدّ، ثمَّ في نِزار، ثمَّ في مُضَر، ثمَّ في خِنْدِف، ثمَّ في تميم، ثمَّ في سعد، ثمَّ في كعب، ثمَّ في عوف، ثمَّ في بَهْدَلة، فمنْ أنكَرَ هذا فلْينافِرْني! فسكَتَ النَّاس، فقال المنذر: هذه عشيرتك كما تزعُمُ،

---

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ٢: ٢٣٨ لحاتم الطائي، وهي في ديوانه ٧٧، وتروى لقيس بن عاصم المنقري، وفي عيون الأخبار ٣: ٢٨٦ بدون نسبة، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال آخر، وهو الحواس الحارثي، وقيل لحاتم الطائي يخاطب امرأته».

فكيفَ أنتَ في أهل بيتكَ وفي نفسك؟ فقال: أنا أبو عشرة، وخالُ عَشَرة، وعمُّ عشرة؛ وأمَّا أنا في نَفْسي فشاهِدُ العِزِّ شاهِدي. ثمَّ وضع قدمَه على الأرض فقال: مَنْ أزالَها عن مكانها فله مائةٌ من الإبل! فلم يَقُمْ إليه أحدٌ من الحاضرين، وفازَ بالبُرْدَين.

وقوله: «إذا ما صنَعْتِ الزاد»، يريدُ إذا فَرغْتِ من اتِّخاذ الزَّاد وإعداده فاطلُبِي من أجله من يؤاكلني، فإنِّي لم أُعوِّدْ نفسي التفرُّدَ في الأكل. وهذا الذي أَنِفَ منه حتَّى تَبرَّأ من الرِّضا به قد ورَدَ في الخبر ما يقوِّي استقباح العربِ له، وتزييفَهم إيَّاه فيما يحتارونَه من كرَم الطِّباع، وإقامة المروءات. ألَا ترى أنَّه قال ﷺ، فيما رُوِيَ عنه: «ألَا أُخبركم بِشَرِّ النَّاس؟ مَنْ أكل وحده، ومَنَع رِفْدَهُ، وضربَ عبده».

وموضع «وَحْدِي» من الإعراب نصبٌ على المصدر، والتقدير لست آكله وقد أوحدت نَفْسِي في أكْلِهِ إيحادًا، فوضع وحدَه موضع الإيحاد. والكوفيُّون يجعلون وحدِي في موضع الحال، وإن كان لفظُه معرفةً، يجعلونه من باب: جاءُوا قَضَّهم بقَضِيضهم، وكلَّمتُه فاهُ إلي فِيَّ، وما أشبهه.

وجواب إذا قولُه: «فالتمِسِي له أكيلا». وأكِيلُ الرَّجل وشَرِيبه ونديمُه وجليسه، يقال كلٌّ مِنها فيمن عُرِف بالصِّفة. لا يقال لمَنْ أكَلَ مع صاحِبِه مرَّة واحدة هو أَكِيلُه، ولا لمن شربَ معه مرّة واحدة هو شَرِيبه. وعلى ذلك قولُهم: هو جليسه، لا يُطلَق إلَّا على مَن عُرِف بهذه الصِّفة فتكرَّرت منه.

فإن قيل: كيف نَكَّره وقال التمسي له أكيلًا؟ وهلَّا قال أكيلي؟ قلتَ: لا يمتنع أنْ يكون قد عُرِفَ بمواكلته عِدَّةٌ، فأراد التَمِسي من أجله بَعْدَ ما هيَّأتِه واحدًا من المعروفين بمواكلتي، ألَا ترى أنَّه قال مفصِّلًا لما أجْمَلَه، وشارحًا لما أبهمه: «أخًا طارقًا أو جارَ بيتٍ»، فأبدل من الأوَّل وهو أكيلًا ما أبدل. والمراد: التَمِسي أكِيلًا من أحدِ هذين النَّوعين طارقًا آخَيْناه، أو جارَ بيت باسَطْناه. وقوله: «فإنَّني أخافُ مَذَمَّاتِ الأحاديث من بعدي»، بيانُ عِلَّة امتناعِه من التفرُّد في الأكل. يريد: أخشى ما يَلْحَقُ من العار في الأكل منفردًا إذا افتُقِدَتْ أو ذُكِرَتْ أحوالُ النَّاس، واستُعرِضت عاداتُهم، فاستُهجن الهَجِين منها، واستُكرِم الكريم. والمَذَمَّة بالفتح: الذَّمّ، وجمعها مذَمّات. والمَذِمَّة بالكسر: الذِّمام. وأضاف المَذَمَّات إلى الأحاديث ليُرِيَ أنَّ خوفَه ممّا يبقى من الذّمّ فيما يُتَحَدَّث به بعده.

وقوله: «وإنّي لعَبدُ الضَّيفِ ما دام ثاويًا»، يُروى: «نازلًا». ويقال: ثَوَى بالمكان وأثْوَى بمعنًى. يريدُ أنّي أتكلّف من خدمة الضّيف ما يتكلّفه العَبِيد، لا أستنكِف ولا آنَف، وليس لي مِن أخلاق العبيد وطبائعهم إلّا تلك، يريد إلّا تلك الخِدمةَ، أو تلك الخليقة. وموضع «ما دام» نصبٌ على الظّرف أي مدّةَ دوامِ ثَوَائِه عندي. وموضع «من شِيَم العَبد» رفعٌ على أن يكون اسم ما، وخبره «فِيّ» و«إلّا تلك» استثناء مقدَّم، وفائدة «مِنْ» التّبيين فهو كمِن الذي في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحجّ: الآية ٣٠]، لأنّ الأوثانَ كلّها رجس، وليس يريد التّبعيض بذكر مِن، لكنّ المراد اجتنِبوا الرِّجْسَ من الضّرب، إذ كان الأهمّ فيما يجب اجتنابُه.

٧٣٤ ـ وقال آخر(١): [الطويل]

١ ـ ولَيسَ فَتَى الفِتْيَانِ مَنْ كُلُّ هَمِّه صَبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَى فَفَضْلُ غَبُوقِ

٢ ـ وَلَكِنْ فَتَى الفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

يقول: ليس المختارُ من الفِتْيان والكاملُ الفُتُوّةِ فيهم مَن إذا أصبحَ كان معظم همّه ما يشربه صباحًا، وإذا أمسى كان معظم هَمِّه ما يشربُه مَساءً. والصَّبُوح: ما يُصْطَبحُ به، اسمًا له. والغَبُوق: ما يُغتَبق به. يريد أنّ الفتوّة ليس في إعداد الأطعمة والأشربة، وإعطاء النّفس مُناها منهما، لكنّ الفُتُوّةَ هو السّعيُ غُدوًّا ورَوَاحًا في جَرِّ ضررٍ على مُنابِذٍ مُداجٍ، أو جلْب نَفْعٍ إلى ناصحٍ مُوَاخٍ.

٧٣٥ ـ وقال حَزَازُ بن عمْرو، من بني عبْد مناف(٢): [المتقارب]

١ ـ لَنَا إِبِلٌ لم تُهِنْ رَبَّهَا كَرَامَتُهَا وَالفَتَى ذاهِبُ

٢ ـ هِجَانٌ تَكَافَأَ فِيهَا الصَّدِيقُ وَيُدْرِكُ فِيهَا المُنَى الرَّاغِبُ(٣)

٣ ـ ونَطْعُنُ عنها نُحورَ العِدَى وَيَشْرَبُ مِنَّا بِهَا الشَّارِبُ

قوله: «لنا إبلٌ لم تُهِنْ رَبَّهَا كرامتُها»، يريد: أنّا نُؤثر إكرامَ النُّفوس وصيانَتَها على إكرام المال وصيانته، لأنّ الأموال إذا لم تُجعَلْ واقيةً للنّفس جلبت العارَ وكَسَبت

(١) في الحماسة البصرية ٢: ٥٦ لوالبة بن الحباب.
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٣). (٣) التبريزي: «يُكافأُ منها الصديق».

الشِّنار، فنحن نُهينُها ونبتذلُها صَوْنًا للنّفس، ولئلّا يكون المال كالمالك لنا، إذ كان عُمْرُ الفتى عاريَّة مستَرَدَّة، فهو هالكٌ وإنْ أُمهِلَ مدَّة، وما يُقدِّمه يذكر به، فصيانةُ مروءتنا من أن تَرِثَّ أو تَهُون، أجْدَى وأوجَبُ من صِيانة المال وتثميرها والضَّنِّ بها. وقد اعتَرَض بقوله: «والفتى ذاهب» بين الصِّفة والموصوف، لأنَّ قوله هِجَانٌ من صفَة الإبل، كما أنّ «لم تُهِنْ رَبَّها» من صفتها أيضًا. ولولا تأكُّدُ الجملة به لكان يَقْبُح ما فعَلَ، لكون الاعتراضِ أجنبيًّا مما قبله وبعده. والهِجان يَقَع على الواحد والجميع، وذلك أنَّ فِعالًا كما يكون جمعًا لفعيل، نحو ظريف وظِراف، وكريم وكِرام، وكبير وكِبار، كسَّرُوا عليه فِعالًا أيضًا، فقالوا: دِرْعٌ دِلَاص وأدْرُع دِلاص، وبعيرٌ هِجان وإبل هجان، لأنّ فعيلًا وفِعالًا مُتَواخيان في أنَّهما من الثلاثي، وفي موقع الزّائد منهما، وفي عدد حُروفِهما، فيتشاركانِ في أحكامهما، وإذا كان كذلك فهِجَان وهو للواحد، كضِناكٍ وكِنَازٍ وما أشبههما، وهجان وهو للجميع، كظِراف وكِبار. قال: سيبويه: يدلُّك على أنَّ هجانًا ليس كالمصادر التي وُصِف بها نحو ضَيْفٍ وجُنُبٍ وزَوْرٍ وما أشبهها، أنَّك تقول هجانان فتثنِّيه، وإذا كان مُرْصَدًا للتَّثنية فهو للجمع كذلك. ومعنى «تَكَافأ فيها الصَّديق» تماثَلَ، من الكُفْء المِثْلِ في المال والحَسَبِ وغيرهما. والمراد بالصَّديق الجِنس، يريد يتساوَوْن فيها، لا استئثار منَّا بشيء منها دُونَهم ولا تفرُّد، بلْ كُلٌّ مِنَّا ومن الأصدقاء يتصرَّف فيه على مرادِهِ نافذًا أمرُه، وبالغًا حُكْمُه. وقوله: «ويُدْرِك فيها المُنَى الراغب»، أراد الرَّاغبين. أي إنَّ العُفاةَ وطُلَّابَ الخير إذا نَزَلوا بساحتنا نالُوا أمانِيَّهم منها كاملةً لا يتخلَّلها خَرْم، ولا يتسلَّط عليها ثَلْم.

وقوله: «ونطعُن عنها نُحورَ العِدَى»، لمّا عَدَّد الوجوهَ التي ذكر أنَّهم يَصرِفون أموالَهم إليها، ويقتسمونها فيما ذَكَر في أثنائه أنَّهم يُدافعون عنها الأعداء فعليها حافظٌ من محافظتهم، ودونَها دافع من مدافَعَتهم، لا يطمع الأعداءُ في الإغارة عليها، ولا في احتجان شيء منها، بل يمتلكها وجهان: مَثُوبةٌ أو صنيعة وقوله: «ويَشرب منّا بها الشَّارب»، أراد أنَّهم يَسْبَؤُون بها الخمر ويجعلونَها في أثمانها. فهو في هذا وفيما سَلَكه كقول الآخر: [الطويل]

نُحَابِي بها أَكْفَاءَنا ونُهِينُها ونَشْرَبُ في أَثمانها ونُقامِرُ[1]

---

(١) لسبرة بن عمرو الفقعسي في خزانة الأدب ٩: ٥٠٣، واللسان (٢٣٩)، والحماسية رقم (٦٠).

٤ ـ ونُؤْلِفُهَا في السِّنينَ الكُلُولَ إذَا لم يجِدْ مَكْسَبًا كاسِبُ
٥ ـ ولم تَكُ يَوْمًا إذا رُوِّحَتْ عَلَى الحيِّ يُلْفَى لها جَادِبُ
٦ ـ حَبَانَا بها جَدُّنا والإلٰهُ وضَرْبٌ لنا خَذِمٌ صَائِبُ

قوله: «ونؤلفها في السِّنينَ الكُلولَ» يعني بالسِّنين الأعوامَ التي تَقِلُّ الأمطارُ فيها وتَشملُ النَّاسَ الآفاتُ لها. يقال: أصابتهم السَّنةُ. وقد أَسْنَتَ الرّجلُ، إذا أصابه القَحطُ والجَدْب. وأراد بالكُلُول مَنْ كان كَلًّا على صاحبِه وعيالًا لمُعِيله، لا يُحْسِنُ التَّوجُهَ لكسبٍ، ولا يهتدي لارتزاء خيرٍ وترقيح عيش، كالأيتام والأراملِ وذَوِي العاهة. وقوله: «إذا لم يجد مَكْسَبًا كاسِبُ» بَدَلٌ من قوله في السنين. أي إذا اشتدَّ الزمان وتضايقت الخطوبُ بما يَعُمُّ من القَحْط، وأعْوَزَ الكاسبِينَ كسبُهم فلزِمُوا مقارَّهم آيسِين من إقبال الزّمان وأهلِه، جعلْنا إبلَنا يألفها كُلُولُ النَّاس فينالون منها، ويعيشون فيما يَعُود عليهم من ألبانها ومنافِعها.

وقوله: «ولم يَكُ يَوْمًا إذا رُوِّحَت»، يريد رُدَّت في مراعيها رَواحًا فورَدَتْ على الحيِّ لم يُوجَد لها عائبٌ يَعيبُها، أي لم يُوجَد لأربابها مَنْ يعيبُهم فيرميهم بالبُخْل والإمساك. وإنما قال: «يُلْفَى لها» لأنّه يريد يُلْفَى مِن أجْلها. والجادِب: العائب. كأن المرادَ اتّفاقُ النّاس على حَمْدهم، ونَفْيُ العيبِ على العِلّاتِ كلِّها عن أخلاقهم، وتسليمِ الفضلِ والإفضال لهم.

وقوله: «حبانا بها جَدُّنا والإلٰه» أشار بالجَدِّ إلى استسعادهم بالزّمان، فهم محظوظون فيه، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ خَصَّهم بالغنى لما عَرَفه من استحقاقهم، ومِن طَوْلِهم إذا مُكِّنُوا ومُلِّكوا. وقال: «والإلٰه» فأتى به على الأصل، وقلّما يَعدِلون عن لفظة الله تعالى إلى الإلٰه، إذْ كان جاريًا مجرى الأعلام بعد لزوم الألف واللام له عِوَضًا من المحذوف منه.

وأشار بقوله: «وضربٌ لنا خَذِمٌ صائب» إلى ما نالوا من الأعداء وإيقاع الغارات بهم. والخَذْمُ: القَطْع. ويقال: سيفٌ مِخْذَمٌ وخَذُوم. ومعنى صائب ذُو صَواب، وأخرجه مَخرج النَّسب. ويجوز أن يكون مِن صَابَ المطر، إذا وَقَعَ، صَوْبًا. فإنْ جعلتَه من الصَّواب كان المعنى ضَرْبٌ يقع على حَدِّه من الاستحقاق والقَصد، وإذا جعلته من الصَّوْب فالمعنى واقعٌ موقِعَه عند الحاجة إليه.

وهذه الأبياتُ يزيد تفاصيلُها على جُمَلِها عند الفَحص عنها. وقد وقع دُونَ غايتها قولُ الآخَر وقد سلَكَ مسلكَه في تَعداد مَصارِفِ أموالهم: [الطويل]

ثـلاثـة أثـلاث فـأثـمـانُ خَـيْـلَـنـا وأقواتُنا وما نَسُوق إلى القَتْلِ[1]

وإن اختلفت الطَّريقتان. وكُلٌّ يدعُو إلى نَفْسه في حُسْنه وشُمُوله واستيفائه.

٧٣٦ ـ وقال منصور بن مِسْجاحٍ[2]: [الطويل]

١ ـ ومُـخْـتَـبِـطٍ قَـدْ جـاءَ أو ذِي قَـرَابَـةٍ فـمـا اعـتَـذَرَتْ إبْلِي عَلَيْهِ ولا نَفْسِي
٢ ـ حَبَسْنَا ولَمْ نَسْرَحْ لكَيْ لا يَلُومَنَا عَلَى حُكْمِهِ صَبْرًا مُعَوَّدَةَ الحَبْسِ
٣ ـ فطافَ كما طَافَ المُصَدِّقُ وَسْطَهَا يُخَيِّرُ منها في البَوَازِلِ والسُّدْسِ

أصل الاختباط في الوَرَق. يقال: خبطتُ الورقَ واختبطْته، إذا نفضْتَه من الشجر؛ والمنفوضُ خَبَط ومختَبَط. وكما يستعار الوَرَق فيُكْنى به عن المال يستعارُ الخَبَط فيُكْنَى به عن طَلَبِه. على ذلك قولُ زهير: [البسيط]

ولَيْسَ مانعَ ذي قُرْبَى ولا رَحِمٍ يومًا ولا مُعْدِمًا من خَابِطٍ وَرَقا[3]

وكأنّ الاختباط يختصُّ بفعل من يسأل عَن عُرُضٍ، ولا يَقِف على تحرُّم أو توسُّل أو تذرُّع، ولكنْ يكون به السُّؤالُ وبَذْلُ الوَجْه كيف جاء. وفي الافتعال زيادةُ تكلُّف، فلذلك اختَصَّ هذا الاختصاص. وعلى هذا قولهم الاكتساب والكَسْبُ. وقوله: «أو ذي قرابة»، خصَّ من يمتُّ بالنَّسب أو السَّبب فيقول: رُبَّ سائلٍ تعرَّضَ لنا، أوْ ذِي نَسَبٍ اعتمدنا، فلا نفسي احتجزَتْ عنه بِمَنْعٍ، ولا إبلي اعتذرتْ عليه بعُذْر. كأنّ عُذْرَ الإبلِ تأخُّرُها عن مَباءتها، أو ذِكْرُ وقوعِ آفةٍ فيها أو تسلُّطِ جدبٍ عليها. واحتجاز النَّفس: بُخْلُها بها، وإقامةُ المَعاذِير الكاذبةِ دونها، وما يَجري هذا المجرى.

وقوله: «حَبَسْنا ولم نَسْرَح» جواب رُبَّ مُخْتَبِط، وبيانُ ما تَلقّاه به عند استقباله من القَبول. ويقال: سَرَحْتُ الماشيةَ بالغداة، إذا أخرجتَها إلى مراعيها، وأرَحْتها إذا رددتَها رواحًا إلى أفنيتها. ومفعول «حبسنا» قوله: «معوَّدَةَ الْحَبْس»، ومفعول «لم نَسْرَح» محذوف، أي لم نَسْرَحْها.

---

(١) لعمرو بن كلثوم في الحماسية (١٦٠).
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٠٧).
(٣) لزهير في ديوانه ٥٣، واللسان (خبط).

وقوله: «على حُكْمِه» تعلّق بحبَسْنا. وانتصب «صبرًا» على أنه مصدر من غير لفظه، لأنّ معنَى حبَسْنا وصبَرْنا واحدٌ. وتقدير البيت: حَبَسنا على حُكْم هذا المختبِط العافي أو النَّسِيب إبلًا جُعِلَ من عادتها الحبسُ بالفِناء صَبْرًا، ولم نُخْرِجْها إلى المرعَى لئلا يَجِدَ طريقًا إلى لَوْمِنا فيما يقدِّره عندنا. ويجوز أن ينتصب «صبرًا» على أنه مصدرٌ لعِلّة، أي لصَبْرِنا على ما نَمُونه ونتحمَّلُه للعُفاة فعلنا ذلك. ويجوز أيضًا أن يكون انتصابُه على الحال، لأنّ المصادر تقع مَواقع الأحوال، أي صابرين على ذلك لهم.

وقوله: «فطاف كما طاف المُصَدِّق»، يريد أنّ هذا الطالبَ مكَّنَّاه من إبلنا المحبوسة في الفِناء فطاف فيها متخيِّرًا منها في خِيَارِها وكرائمها، وإذا كان متخيِّرًا في بوازِلها وسُدسها وهي أكرمُ الإبل وأقواها، فما دونَها أولى أن يكون مخيَّرًا فيها. وتشبيهُه إياه بالمصدِّق وهو طالب الصَّدَقة تحقيقٌ لتحكُّمه وتبسُّطه وتسحُّبه. يريد أنّ إدلالَه إدلالُ مَن يستخرِج حقًّا واجبًا لله تعالى.

وقوله: «يخيَّر منها»، إعرابه نصبٌ في موضع الحال مِن طاف الأوّل. ومعنى يخيَّرُ، يُجعل له الاختيارُ منها. وهذا تحكيمٌ ثانٍ سِوَى ما سوَّغَتْ له نفسُه بإدلاله.

٧٣٧ ـ وقال عامر بن حَوْطٍ، من بني عامر[(١)]: [الكامل]

١ ـ ولـقـد عَـلِمْـتُ لـتَـأْتِـيَـنَّ عَـشِـيَّـةٌ ... مـا بَـعْـدَهـا خـوفٌ عَـلَـيَّ ولا عَـدَمْ

٢ ـ وأَزورُ بـيـتَ الـحـقِّ زَورَةَ مـاكِـثٍ ... فـعـلَامَ أَحـفِـلُ مـا تَـقَـوَّضَ وانـهَـدَمْ

٣ ـ فَـلأَتْـرُكَـنَّ الـسَّـامِـلِـيـنَ حِـيـاضَـهُـم ... ولأَحْـبِـسَـنَّ عَـلَـى مـكـارِمِـيَ الـنَّـعَـمْ[(٢)]

قوله: «ولقد علمت» يَجرِي على القسَم، ولذلك أجابَه بلتأتينَّ. ويعني بالعشيَّة آخر النهار من يومِ موته. فيقول: تيقَّنْتُ والله أنه يأتي عليَّ عشيَّةٌ من يوم قد تخلَّيت فيه من الدُّنيا وانقطعت الأسبابُ بيني وبينها، فلا أكونُ من الفَقْر على رِقْبة، ولا من حوادث الدَّهر على خِيفةٍ، وأزور القبرَ الذي هو «بيتُ الحقّ». وأضاف البيت إلى الحق لأنّه لا سُكْنَى بَعْدَه، فكأنّه الموضع الذي يُؤوِي إليه الحقُّ ويُفْضِي إليه مَن أنزلَهُ الموتُ ناقلًا من دار إلى دار. وقوله: «زَورةَ ماكث» أي أزورُه زيارةَ المُقيم المنتظر

(١) التبريزي: «... من بني عامر بن عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبّة».
(٢) التبريزي: «ولأتركن للساملين».

الذي لا عجلَة به، فلماذا أُبالِي بما تقوَّض منه أو انهدم. والمعنى أنَّ تدبيرَ أمرِه يصير إلى غيرِه فلا يهتمُّ لمأواهُ اهتمامَه له أيَّامَ حياته. ويقال: لا أَحْفِل كذا، ولا أَحْفِلُ بكذا. و«عَلَام» ما في الاستفهام إذا اتَّصل بحرف الجر يُحذَف الألف من آخره. وقد مضى مثلُه مشروحًا أمره. وهذا الاستفهام هو على طريق الإنكار، أي لم أحْفِل. والأحوالُ في كونِ البيت عامرًا أو غامرًا تَتساوَى عِندي.

وقوله: «فلأتركَنَّ السامِلين حِياضَهم» السَّامل: المُصلِح. والمعنى: إنِّي أرفضُ حالَ مَن همَّته مقصورةٌ على تثمير مالِه، وعِمارة حياضِه، والفِكرِ في مَوارِدِ إبلِه ومصادِرها. ومن سَمْل الحَوض سُمِّي الماءُ الذي يبقَى في أسفَلِ الحَوض السَّمَلة. قال: [الرجز]

ممغوثَةٌ أعْراضُهُمْ مُمَرْطَلَهْ ... في كلِ ماءٍ آجِنٍ وسَمَلَهْ[1]

والمراد: أَهْجُرُ مَن هذا همَّتُه من عَيشه، وأَحْبِسُ نَعَمِي على عِمارة المكارم وتفقُّدِ ما تَشيَّدَ لي من المعالي. والنَّعَم يقع على الأزواج الثَّمانية، والغالب عليه الإبل، وهو مذكّر، يقال: هذا نَعم وارد. وحَبْسُه على المكارم هو أن يَصْرِف منافعَه إلى المستحقِّين من الوُرَّاد والزوَّار، مقصورةً عليهم ومشغولةً بهم.

٧٣٨ ـ وقال زيد بن حُصَين[2]: [الطويل]

١ ـ أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ابنةَ مُنْذِرِ ... ونَامِي فإن لم تَشتَهِي النَّوْمَ فاسْهَرِي

٢ ـ ألم تَعْلَمِي أنِّي إذا الدَّهْرُ مَسَّنِي ... بنائبةٍ زَلَّتْ ولم أتَتَرْتَرِ

يخاطب لائمةً له تبرَّمَ بلَومها فقال: قَلِّلي من لومك عليَّ ونامي عنِّي، فإنْ تعذَّر النَّومُ عليك ضجرًا بالحالة التي تجمعنا فاسهري، فليس لك من عَتْبِكِ ما يَرُدُّ نَفْعًا عليَّ ولا عليك. ثم أخَذَ يقرِّرها على قلَّة احتفالِهِ بما يأتي به الدَّهر، فقال: أمَا علمتِ أنَّ الزمان إذا مَسَّنِي بحَدَثانه ذهَبَ عنِّي ولم أتردَّد في حَيرته، ولم أتنكَّسْ في لواحق شَرِّه ونوائبه، بل أَمضِي قُدُمًا على ما يمسُّني منه ويخُصُّني، راضيًا بما يُقْسَم لي من عَفْوِه، وملتزِمًا ما يَعرِض منه عند جَهْدِه.

---

(١) لصخر بن عمير في اللسان (مغث، ثمل، مرطل)، وتاج العروس (مغث، مرطل) وبلا نسبة في ديوان الأدب ١: ٢٤١.

(٢) التبريزي: «وقال زيد الفوارس بن حصين بن ضرار» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (١٨٠).

وقوله: «زَلَّت» استعارة حسنة. كأنَّ صبرَه على الشِّدة، وثباتَه في وجه المِحْنَة، تُزِلُّ النُّوَب عنه كما يُزِلُّ الماءُ الدَّنَسَ عن الصُّخور، ويقال: قِدْحٌ زَلُول، كما يقال للشَّيء السريع الدَّوران: دَرور، والتَّترتُر: العَجَلة، فكأنَّ المراد: زَلَّتِ النائبةُ ولم تستخفَّني فكنتُ أعجَلُ أو أتحوَّلُ عمَّا كنتُ عليه.

٣ ـ يَرَانِي العَدُوُّ بَعْدَ غِبِّ لِقائِهِ خَلِيًّا نَعِيمَ البالِ لم أَتَغَيَّرِ

يقول: وإذا قاسيتُ من العدوِّ مضارَّة ومناكدة فيما يتجاذبُه ومجاحَشَةً، يَراني بعد يوم لقائه بيومٍ وكأنّه ما مَسَّنِي أذًى، ولا نالَنِي مكروه، لأنّه يَجِدُني خليًّا منعَّم البال، لم أتغيَّرْ عمَّا عُهِدت عليه قبلَ الامتحان به، ولم أتبذَّل. وقوله: «نعيم البال» هو من الضَّوالّ التي وُجِدَت الآن، وذاكَ لأنَّ فعيلًا في معنى مُفْعَلٍ معدود محصور، وقد ذكرتُه في غير هذا الموضع وتقصَّيْته. ونعيم البال من ذلك، يقال: أنعَمَ الله بالَك، وبالٌ مُنْعَمٌ ونَعيم. ولا يمتنع أن يكون نَعيمٌ فعيلًا من نَعمُ أو نَعِمَ عيشُه، وأكثر ما يُستعمل مصدرًا. يقول: هو في نعيمٍ لا يزول، وإذا كان كذلك فهو غريبٌ إنْ جعَلْته اسمَ الفاعل، كقَدُم فهو قديمٌ أو حَزِن فهو حزين؛ أو فعيلًا في معنى مُفْعَلٍ، كفرسٍ حَبِيس ومُحْبَس، وبابٍ تَريصٍ ومُتْرَص. وانتصب «خليًّا» على الحال من يَراني، وهو الذي لا همَّ له. وفي المَثَل: «ويْلٌ للشَّجِيِّ من الخَلِيِّ» وقد يكون في غير هذا المكان المُخَلَّى.

٤ ـ وراكِدَةٍ عَتْبَى طَويلٍ صِيامُها قَسَمْتُ على ضَوءٍ مِنَ النَّارِ مُبْصِرِ[1]

٥ ـ طُرُوقًا فلم أُفْحِشْ وقَسَّمْتُ لَحْمَها إذا اجْتَنَبَ العَافُونَ نارَ العَذَوَّرِ

يعني بالرَّاكدة قِدرًا لانتصابها وبقائها على الأثافيّ. ويقال: ماء راكد، أي ساكن. وجعلها «عَتْبَى» لغَلَيانها كأنها تَعْتِب وتَشْكُو. وهذا مِن عَتَب عليه من المَوجِدة. يقال: عَتَبْتُ عليه فأعْتَبَ. ويروى: «غَيْرَى» فيكون من الغَيْرة، لأنَّ صاحبها يحتدّ، فشبَّه غليانَها بغَلَيان الغَيْرَى. وفي الحديث: «رُدُّوني إلى أَهْلِي غَيْرَى نغرَةً[2]». والصِّيام: القيام. ووصفه بالطُّول، فقال: «طويل صيامُها» لكبَرها. كأنَّه لا تُنْزَل قريبًا إذا نُصِبَتْ.

---

(١) التبريزي: «وراكدةٍ عندي».
(٢) انظر لسان العرب مادة (نغر).

وقوله: «قَسَمْتُ على ضوءٍ من النار مُبْصِرِ»، جعل الضَّوء مبْصِرًا لمَّا كان الإبصار فيه، على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: الآية ١٢]. وجعَلَ قَسْمَةَ القِدْرِ وهو يريد قِسمة مَرَقها وما احتوَتْ عليه ليلًا، وبضَوءٍ من النَّار، لشدَّة الزَّمان، وتَنَاهِي البرد، ولأنَّه وقتُ طروق الضَّيف. وقوله: «لم أَفْحِش» أي لم آتِ بفُحشٍ لا فِعلًا ولا قولًا، ولم أقترِفْ ما يقبُح من الذِّكر ويُستنكَر في السَّمع. وقوله: «إذا اجتنب العَافُون» طرفٌ لقوله: لم أُفْحِش، و«طُروقًا» ظرف لقَسَمْتُ على ضوءٍ، ويكون تقدير البيتين: وراكدةٍ طويلةِ القيام قسمْتُ مَرَقَها ظَلامًا وقتَ طُرُوق العُفاةِ والأضياف، وبدَّدتُ لحمَها، ولم آتِ بفَحْشاءَ، في وقتٍ يتسرَّع الضَّجَرُ مِن كثرة الوُرّاد وازدحام الأشغال إلى مَنْ كان سيِّءَ الخلُق، سريعَ التغيُّر، حتَّى اجتُنِب نارُه، وزُهِد في ضيافته. وجَعَلَ لنفسه قِسمَين كان أحدُهما للمَرَق على الثُّرُدِ، والثَّاني لِقِدَر اللَّحم. وعلى الأوَّل قول الآخر: [البسيط]

وَسِّعْ بِمَدِّكَ ماءَ اللَّحْمِ تَقْسِمُهُ[1]

٧٣٩ ـ وقال الهُذَيْلُ بن مَشْجَعَة البَوْلَانيّ: [الكامل]

١ ـ إنِّي وإنْ كَانَ ابنُ عَمِّيَ غَائِبًا لَمُقَاذِفٌ مِنْ خَلْفِهِ وورَائِه

٢ ـ ومُفِيدُهُ نَصْرِي وإنْ كَان امرأً مُتَزَحْزِحًا في أرْضِهِ وسَمَائِه

يصف كَرَم محافظته وحُسْنَ نِيابَته عَنْ غُيَّاب أهلِهِ وذَوِيه، فيقول: إنِّي لَمُدَافِعٌ مُرَام دونَ ابنِ عمِّي إذا غابَ عنِّي، فأذُبُّ مِن قُدَّامه وخَلْفِه. والمعنى: أنِّي أُقاتِلُ دونَه كنتُ هاديًا له وقد تخلَّفَ عنِّي، أو حاديًا له وقد تقدَّمَني. فقوله: «من ورائه»، من البيِّن الظَّاهر أنَّه بمعنى القُدَّام، وقد ذكر معه خَلْف. واشتقاقه من المُواراةِ وهي المُساتَرة، ولذلك صَلَحَ وقوعُه موقع الخَلف والقُدَّام. وفي القرآن: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: الآية ٧٩]، وموضع «من خلفه» نصبٌ على الحال أي متخلِّفًا أو متقدِّمًا.

وقوله: «ومُفيدُه نصري» أي لا أُمسِك عن معونته وإن تباعَدَ عنِّي في أرضِهِ وسمائه. والمعنى: أنِّي بظهر الغَيب لا أخذُله وإنْ اشتغل عنِّي بمصارف حياتِه في

(١) صدر البيت الأول من الحماسية رقم (٧٤٥) وعجزه:
«وأكثر الشوب إن لم يكثر اللبنُ»

بلاده وأوطانه. وعَطَفَ على أرضه السماءَ تأكيدًا لتَنائِيه عنه، واشتغالِه دُونَه بمباغيه، كأنَّه لمَّا جعل له أرضًا مبايِنةً لأرضه، جعل لأرضه سماء مُبايِنةً لسماء أرضه. ولا يمتنع أن يكون جعَلَ ذلك مثلًا لاختلاف أحواله، كما يقال نَفَضْتُ تَهائمَ فُلانٍ ونُجودَه. والمعنى: جرَّبْتُه وكشفتُ عن أحواله. وعلى هذا قولهم: خَبَرْتُ ضُحَى فُلانٍ ودُجاهُ، والمعنى سِرّه وإعلانه.

٣ ـ ومَتَى أجِئه في الشَّديدة مُرْمِلًا ألْقِ الَّذي في مِزْوَدِي لِوعائِهِ[١]

٤ ـ وإذا تتبَّعَتِ الجَلَائف مَالَنَا خُلِطَتْ صحيحتُنا إلى جَرْبائِهِ[٢]

يقول: ومتى زرتُه في شَدائد الزمان فوجدته مُنقَطَعًا به لم أُحْوِجْهُ إلى السّؤال وبَذْل الوجه واستحمال المَفَاقر عنه، لكن أُلقيتُ في وعائِه ما كان في مِزْوَدي. أي أرُمُّ حالَه في السِّرّ من غير أن يلحقه خَجَل، أو يمسّه تعب.

وقوله: «وإذا تتبعَت الجَلائف»، يقول: وإذا تعاونت الآفاتُ والسِّنونَ على أموالنا، وتتابعت الأزمات معترِضةً في أحوالنا، فقشرَتْها ولحتْها، وأثَّرَتْ بالسُّوءَى فيها «خُلِطَ مَا سَلِم مِن مالنا بالمَعِيب من ماله. وذِكر الصَّحيحة والجرباء مَثَل. والمعنى: أصلَحنا فاسد حاله بصالح حالنا: وتحمّلْنا أوزارَ الأيَّام السيِّئة عنه بما خَفَّ مِن ظُهورنا. والجلائف: جمع جَليفة، وهي الأعوام المُجْدبة. وأصل الجَلْف القَشْر. يقال: جَلفْتُ الدَّنَّ، إذا قشرتَ الطِّين عنه.

٥ ـ وإذا أتَى مِن وِجْهَةٍ بطَرِيفَةٍ لم أطَّلِعْ مما وراءَ خِبَائه

يروى: «منْ وَجْهِهِ»، والمعنى من حيث ما تَوجَّهَ له كاسبًا للمال. وقوله: «من وِجهة» وهو اسمٌ وليس بمصدر، ولذلك سلم فاؤه. والمصدر الجِهَة، أعِلَّ كما أعلّ فعلُه، على ذلك العِدَة والزِّنة، والوِعْدة والوِزنة إذا بنَيْتَ اسمًا.

والطَّريفة، أراد ما استُطرِف من المال واستُحدِثَ، لكنَّ القصدَ هنا إلى ما يُسْتحسن من الأعراض، لكونه طُرْفَةً. وقوله: «لم أطَّلِعْ مما وراءَ خِبائه» أي لم أتعرَّضْ له تعرُّضَ المتتبِّع لحاله، المتطلِّع على سَرائرِ أمره. ووراءَ هٰهنا بمعنى خلف.

(١) التبريزي: «في الشدائدِ».

(٢) التبريزي: «يروى: الجلائف، والخلائف، قال أبو العلاء: إذا رويت الخلائف بالخاء فهي جمع خليفة».

ويجوز أن يكون المعنى: لم أَعْرِض نفسي عليه متعرِّفًا ما جاء به ليُشْرِكَنِي في طُرَفه، ويَجعَلني إسوةَ نفسِه.

٦ ـ وإذا اكتَسَى ثوبًا جميلًا لم أقُلْ يا لَيتَ أنَّ عَلَيَّ حُسْنَ رِدائه

يصف طِيبَ نَفسِه بما يناله صاحبُه من الخير، وينفرد به من زيادةِ تجمُّل، أو ظُهور أثرِ نعمة، وقِلَّةَ حسدِه له، وأنّه لا يشتمل صدرُه فيه على غِلّ، ولا ينطوي قلبُه له على مكنونِ حقدٍ لما يَرَى به من ظُهورِ غِنًى، واتِّساعِ أمر، حتّى يتمنَّى مكانتَه، ويختار الاستبدادَ بما أُوتِيَه، أو مشاركتَه فيه.

وقوله: «يا ليت» المنادى محذوف، وموضع يا ليت نصبٌ على أنه مفعول لم أَقُل، كأنه قال: لم أقل يا ناسُ، ليتَ أنَّ عليَّ رداءَه الحسَنَ.

٧٤٠ ـ وقال حَسَّانُ بن حَنْظَلة[1]: [الكامل]

١ ـ تِلْكَ ابنةُ العَدَويّ قالَتْ باطِلًا أَزْرَى بقَومِكَ قِلَّةُ الأموالِ

٢ ـ إنَّا لعَمْرُ أَبِيكِ يَحْمَدُ ضَيفُنا ويَسُود مُقْتِرُنَا على الإقلال

انتصب «باطلًا» على أنه مفعول قالت. ومن شرط القول أن يحكى ما بعدَه إذا كان جملة، تقول: قال زيدٌ عمْرٌو خارج. فإنْ كان ما بعده معنى جملةٍ ولم يكن جملةً كاملة انتصبَ على أن يكون مفعولَهُ، كقولك قال زيد حقًّا وقال كِذْبًا وصِدقًا. وموضع قوله: «أزرَى بقومِك قلّةُ الأموال» نصبٌ على البدل من قوله باطلًا. ويجوز أن ينتصب باطلًا على أنّه صفةٌ لمصدر محذوف، كأنّه قال قالت قولًا باطلًا، ويكون أزرَى بقومك في موضع المفعول لقالتْ وقد حكاه لكونه جملة. وقوله: «قالت باطلًا» رَفْعٌ على أنّه خبر المبتدإ، وابنة العدَويّ ارتفَعَ على أنّه عطف البيانِ لتلك.

ومعنى البيت: قالت ابنة العَدَويّ زُورًا من القول وباطلًا: لقد قَصَّر بقومك فقرُهم وقلّةُ مالِهم، وإعراضُ الدُّنيا عنهم! فأجبتها بقولي: إنّا لعَمر أبيكِ يحمَدُنا الضَّيفُ، ويشكُرُنا الزّائر والمجْتاز. والمعنى: ليس الاعتبارُ بكثرة المالِ واتِّساع الحال، فإنّا وحقِّ أبيك يَحمَدُنا ضيوفُنا إذا نزَلُوا بنا، فينصرفون مادِحِينَ لنا، وترى مُقِلَّنا ينال السِّيادةَ على إقلاله، ولا يؤخِّره ذلك عن رتبة أمثاله. وحذف من قوله: «إنّا

(١) التبريزي: «... بن أبي رُهم بن حسان بن حيّة بن شعبة الطائي».

لعمر أبيك» فأجبتها أو قلتُ لها. ومثل هذا يُحذَف في الكلام كثيرًا. على ذلك قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٦]، أي يقال لهم: أكفرتُم بعد إيمانكم.

٣ ـ غَضِبَتْ عَلَيَّ أنِ اتَّصَلْتُ بِطَيِّءٍ وأنَا امرؤٌ مِنْ طَيِّءِ الأَجْبالِ

٤ ـ وأنَا امرُؤٌ مِنْ آلِ حَيَّةَ مَنصِبي وبنو جُوَيْنٍ، فاسألي، أَخْوَالي

يقول: أنكرَتْ منّي هذه المرأةُ انتسابي إلى طيِّء، وتأثُّلي فيهم، واعتزائي إليهم، وتَغَضَّبَتْ لتَجَرُّني إلى تميم وتُحَوِّلَني فيهم، وذلك بعيدٌ لا يقع في الوَهْم كَونُه، ولا يُستَجاز حصولُه، وذلك أنّي رجلٌ من طيِّء خرجتُ، وفي عُشِّها درجْت، وعلى طرائقهم وشِيَمِهم تخرَّجت، إذْ كانوا الأصلَ الذي منه تفرَّعت، وعليهم إذا ذُكِرَت المناسبُ نَسبِي أُدرَت، وقوله: «وأنا امرُؤٌ مِن آلِ حَيَّةَ مَنصِبي»، ذكر طرَفيه فزعَمَ أنَّ آلَ حيّةَ عمومتُه التي تُؤويه، وأنَّ بني جُوَيْنٍ خُؤولته التي تُدْنِيه، والقَصد إلى مُرَاغمةِ تِلكَ وتشهير نفسِه بما تُنكرُه منه. وقوله: «من طيِّء الأجبال» يعني سَلْمَى وأجأ. وهذه الإضافة على طريق التَّخصيص والتَّبيين، وذلك لأنَّ طيِّئًا فرقتان: فرقةٌ تَنزِل السُّفلَ من جبالهم، وفرقةٌ تنزل العِلْو. وقوله: «منصبي» يجوز أن يكون مبتدأً ومِن آل حيَّةَ خبره، والجملة في موضع الصفة لامرىء، ويجوز أن يكون «من آل حيّة» في موضع الصِّفة، ومنصبي في موضع الرَّفع على البدل من امرُؤٌ، كأنَّه قال: أنا مَنصبِي من آل حيَّة. وقوله: فاسألي» اعتراضٌ، وقد توسط المبتدأَ والخبر، ومفعولُه محذوف.

٥ ـ وإذا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيلَةَ جَاءَنِي مُرْدٌ على جُرْدِ المُتُونِ طِوَالِ

٦ ـ أحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزَانَةً ويَزِيدُ جاهِلُنَا على الجُهَّالِ

بنو جَدِيلة: من طيِّىء. أراد أن يبيِّن أنَّه كما يَعتزِي إليهم يَقبلُونه ويتبجَّحون بكونه منهم وينصرونه، فمتى استغاثَ بهم واستعانَهم على دهرِه أو عدوِّه أعانَه رجالٌ مُرْدٌ، على خَيلٍ جُرْدٍ، وانتقموا له وانتَصَفُوا مِن أعدائه.

وقوله: «أحلامنا تَزِن الجبال»، مَدَحَ نفسَه وقبيلتَه، والمراد أنَّهم مِن الوَقار والسُّكون والرَّزانةِ والهُدُوّ في المنزِل الأعلى، والمكان الأقصى، لا يَتحلحلُون للنَّوائب، ولا يَتَضعضَعُون للشَّدائد. هذا ما لم يُحْرَجُوا أو يُحْوَجُوا، فإن استُجهِلوا من بَعْدُ، واستُجِرُّوا إلى الشَّرّ، وُجِدَ جاهِلُهم يَزِيد على الجُهَّال قهرًا وتأبِّيًا، واشتطاطًا في

الحكم وتصعُّبًا. وإنما افتخر بأنَّ حِلمَهم موجودٌ ثابت ما لم يُسَامُوا خَسْفًا، فإنْ عُدِلَ بهم عن طريق النَّصَفَة، وأُرُوا في معاملتهم عَسْفًا، كان جهلهُم مُعَدًّا، وزائدًا على كلِّ ما يُقدَّر فيُعَدّ عدًا.

وقوله: «تَزِنُ الجبالَ رزانةً» الوزنُ: مثقالُ كلِّ شيء، ثمَّ كَثُر حتَّى قيل: هو راجح الوَزْن، أي راجح الرَّأي والعقل؛ وهو يَزِن كذا، أي هو على وَزْنه؛ وهو أوزَنُ قومِه، أي هو أرجَحُهم وأوْجَهُهم.

٧٤١ ـ وقال إياس بن الأرَتّ[1]: [الطويل]

١ ـ إنِّـي لَقَــوَّالٌ لِعَــافِــيَّ مَــرْحَـبًــا ... ولِلطَّـالِبِ الـمـعـروفِ إنَّـكَ وَاجِـدُهْ[2]

٢ ـ وَإنِّي لَمِمَّـا أبـسُـطُ الـكَـفَّ بـالـنَّـدَى ... إذَا شَنِجَتْ كفُّ البَخِيل وسَاعِدُهْ[3]

قوله: «عافيَّ» أصله عافُوني، لكن الواو والياء إذا اجتمعا فأيُّهما سبَقَ الآخَر بالسُّكون يُقْلَبُ الواو ياءً، ثم يدغم الأوّل في الثاني، وكُسِر الفاء لمجاورته للياء. وانتصب «مرحبًا» على المصدر، وقد وقع وهو يَجرِي مجرى الجُمَل لمكان العامِلِ فيه معه مَوقِعَ المفعول من قوله قَوَّال. وانعطف عليه قوله: «وللطالب المعروف إنك واجِدُه» كأنَّه قال: وقوَّالٌ للطَّالب المعروف إنَّك واجدُه. فقوله: إنَّك واجِدُه واقعٌ في مثل قوله مَرْحبًا. والمعنى أنَّ العُفاةَ وطُلَّاب العُرْف إذا نَزَلُوا بي تلقَّيتُهم بالتَّرحيب والإكرام، وتَلطيف القَول في الإنزال، وأقول: إنَّكُم تَجِدُون ما تطلبون، لا مَنْعَ ولا حِرْمان، ولا دِفاعَ ولا مِطال؛ لأنِّي إذا تقبَّضَت أكفُّ البُخَلاء فلم تنبَسِط، وقصُرت سواعدُهم عن الامتداد في البَذْل فلم تَطُلْ، تندَّيْتُ وعَلَتْ على أكَفِّ السُّؤَّال كفِّي فبَسِطَت، لأنَّ معروفي دارٌّ وخيري مبْذُول. وقوله: «لمِمَّا أبسُط الكَفَّ» أي لَمِن الأمر أنِّي أبْسُطُ الكفَّ بالنَّدَى، فـ«أبْسُطُ» شَرَحَ المبهمَ بلفظة ما. و«إذا شَنِجَت» ظرفٌ لأبسُط، ويشير إلى زمان السَّوء، وشُمول المَحْل، وظُهور البُخْل.

٣ ـ لَعَـمْـرُكَ مـا تَـدْرِي أُمـامَـةُ أنّـهـا ... ثِـنَـى مِـنْ خَـيَـالٍ مـا أَزَالُ أُعـاوِدُهْ

٤ ـ فشقَّتْ على صَحْبِي وَعَنَّتْ ركائبي ... وَرَدَّت عـلـيَّ الـلَّـيلَ قِـرنًـا أُكـابِـدُهْ[4]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٧).
(٢) التبريزي: «وإني».
(٣) التبريزي: «وإني لممّن يبسط».
(٤) التبريزي: «فشقَّت على ركبي».

لعمرك: مبتدأ وخبره محذوف، وقد مضى القول فيه فيما تقدّم. فيقول: وبقائك، ما تعلم هذه المرأةُ أنّ خيالَها يأتيني ثِنًى، أي مرّةً بعد أخرى. وفي الحديث: «لا ثِنَى في الصَّدقة»[١]، أي لا تؤخذ في السنة مرتين. وقوله: «ما أزال أعاوده» يريد أنّي ممتحَنٌ بمجيئها، لأنّها تُراجِعُني فتَصرِفُني عن أسبابي، وتَعُوقني عن مُهِمّاتي. والمعنى أنّها غافلةٌ عما أكابِدُه من خيالها في المنام، ومِنْ مُلازَمَةِ ذكرها لي عند الانتباه، لأنّها لا تَجِدُ مِثلَ وَجدِي، فلا الذِّكرُ يهيِّج الشّوق، ولا الفِكر يجدِّد الطَّيف. وهذا الكلامُ تَشَكٍّ منه وتعتُّبٌ على صاحبته، يدلُّ عليه قوله: «فَشَقَّت على صَحْبِي»، يعني الخيال؛ وذاكَ لأنّه لمّا سَهِرَ بعَثَ أصحابه على النُّهوض مَعَهُ والانبعاثِ في السَّير مساعِدِينَ له، فهذا معنى الشُّقَّة عليه. وقوله: «وعنَّت ركائبي» جمع رَكُوبة، وهي تجري مَجرى الأسماء في انفرادِها عن الموصوف، لا يقال ناقة رَكُوبة. والمعنى: أتعَبْتُ رواحِلِي، لأنّي أزعَجْتُها للسَّير، وبعثْتُها من القَرار، وحُلْت بينها وبين الرّاحة. وقوله: «وَرَدَّتْ على اللَّيلَ قِرنًا أكابِده» أي جعلتني ممتطِيًا لِلّيل، ومُتَخِذًا قِرنًا لي أزاوِلُه وأُجاذِبه، أي أشاقُّه وأُناصِبُه. وأصله من الكبَد، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البَلَد: الآية ٤]، أي في شِدَّة ومشاقَّة. وقال الخليل: يقال: كابدتْ ظلمةَ الليل بِكَابِدٍ شديد أي مُكابَدَة شديدة. وكلُّ هذا الكلام تبجُّح منه عندَها بأنّها تَملِكُه على غَفْلتِها عنه، وانفرادِهِ بالبثّ فيها، فخَيالُها يصرِّفه التَّصريفَ الذي وصف. وانتصب «قرنًا» على الحال.

٧٤٢ ـ وقال آخر[٢]: [البسيط]

١ ـ أَثْنِي عَلَيَّ بما لا تُكَذَّبِينَ به ... يا بَكْرُ أَيُّ فَتًى للضَّيفِ والجَارِ[٣]

٢ ـ إنّي أُجاوِرُ مَا جاوَرْتُ في حَسَبِي ... ولا أُفارِقُ إلّا طَيِّبَ الدَّارِ

قوله: «بما لا تُكَذَّبينَ به» أي لا تُصَادَفين بذكره كاذبةً. يقال: خَبَّرَني فلانٌ فأكْذَبْتُه، أي وجدته كاذبًا. والمعنى: ليكُن ثناؤُكِ عليَّ حقًّا، وبما لا يَستسرِفُه سامعُه ولا يستنكره مُخبَرُه. ثم علَّمها فقال: قُولِي يا بَكْرُ، أيَّ فَتًى كنتَ للجار إذا استجار، والضَّيف إذا استضافَ.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (١٥٩٠٢).

(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضًا» يعني إياس بن الأرتّ، وقد جاء البيتان مع البيتين في الحماسية التالية كحماسية واحدة.

(٣) التبريزي: «يا طَيِّبَ أيُّ».

وقوله: «إني أجاوِرُ مَا جاوَرْتُ في حسبي»، يريدُ أنَّ مَن صاحَبْتُه مجاوِرًا له يَجِدُني حسيبًا في فَعَالي، كريمًا عند مَقَالي. هذا مدَّةَ الجِوار، ثم إنْ فارقتُه فارقته والدَّار تَنطِقُ بالثَّناء عليَّ، فأخباري تُستطاب في السَّماع إذا غبْتُ، كما أنَّ أخلاقي تُستَماح إذا شَهِدْت. وفي هذه الطريقة قولُ الآخر: [الطويل]

إذَا كنتَ في دَارٍ فحاوَلْتَ تَركَهَا فَدَعْهَا وفيها إن رَجَعْتَ مَعَادُ

وقوله: «في حَسَبي» أي معي حسبي، فموضعه نصبٌ على الحال. وإذا جاورَ ومعه حسَبُه منعَه ممَّا لا يَحسُن. ألا ترى قولَه تعالى في صِفَة المؤمنين: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفُرقان: الآية ٧٢]، أي الكرمُ مَنَعَهم من التَّعريج على اللَّغو. ويقال: جاءنا فلانٌ في دِرْعٍ، أي عليه دِرْعٌ، والعامل في موضع «في حسبي» أجاور، وكذلك قوله: «إلّا طيِّبَ الدار» انتصَبَ على الحال، والعامل فيه لا أفارق. وقوله: «أيُّ فتًى» مبتدأ وخبره مضمر، كأنَّه قال: أيُّ فتى أنت؟ وقد جعل الطيِّبَ كنايةً عن الكريم؛ على ذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٣]، أي كَرُمتُم.

٧٤٣ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ كَمْ مِنْ لَئِيمٍ رَأَيْنَا كانَ ذَا إِبِلٍ فأَصْبَحَ اليَوْمَ لا مُعْطٍ ولا قَارِ

٢ ـ ولو يَكُونُ على الحدَّادِ يَمْلِكُه لم يَسْقِ ذا غُلَّةٍ من مائه الجارِي(١)

كم موضعه نصبٌ على المفعول من رأينا. يريد: رأيْنا كثيرًا من اللِّئام يملِكُون نفائسَ الأموالِ وكِرامَها، ثمَّ ماتوا عنها أو أُزِيلَتْ نِعَمُهم وحِيلَ بينهم وبَينَها، فصاروا مِنْ بَعْدُ لا هُمْ مُعطُونَ ولا قارُونَ، أي عادوا وقد تغيَّرَتْ حالُهم، فلا يُرْجَى ذلك من جهتهم. وقوله: «فأصبح اليومَ» و«كان ذا إبل»، كلُّ ذلك مردودٌ على لفظ لئيم، وإن كان من حَيْثُ المعنى يُفِيد الكثرة.

وقوله: «ولو يكون على الحُدَّاد»، يريد: ولو وُلِّيَ فَيْضَ الحُدَّاد، وهو اسم بحرٍ، ممتلكًا له أيَّامَ غِناهُ لَمَا بَرَّدَ غليلَ رجلٍ حرّانَ، ولا سقاهُ ماءً لِفِيه، لبُخْلِه وقَسوةِ قَلْبه. ومعنى «على الحُدَّاد» أي متوليًا له ومدبِّرًا أمره، يقال: مَنْ عليكم؟ أي مَن يأمرُ عليكم ويليكم. وإذا كان كذلك فقوله على الحدّاد يتمّ الكلامُ به، لأنّه خبر يكون،

(١) هذا البيت في اللسان (حدد) وقد نسبه لإياس بن الأرتّ.

ويملكه في موضع النَّصب على الحال. وقوله: «لا مُعْطٍ» مُعْطٍ في موضع خبر المبتدأ كأنّه قال: لا هو مُعْطٍ. والكلامُ بعثٌ على البَذْل والسَّخاء، وأنَّ المالَ في الدنيا بعَرَضِ الحوادث مُلْقًى، وعلى طريق النَّوائب، فلا يَبقَى لمالِكه، كما أنَّ مالكَه لا يبقى له، فما يقدِّمه في اجتلابِ شُكرٍ واكتساب أَجْرٍ هو الباقي لهُ، دونَ ما يخلِّفه فيقتسمُه الوُرَّاثُ بَعدَه فائزِينَ به، وذامِّين له.

٧٤٤ ـ وقال حسَّانُ بن ثابت[١]: [البسيط]

١ ـ المَالُ يَغشَى رِجالًا لا طَباخَ لَهُم   كالسَّيلِ يَغشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البالي[٢]

٢ ـ أَصُونُ عِرْضِي بمَالي لا أُدنِّسهُ   لا بارَكَ اللهُ بَعْدَ العِرْضِ في المالِ

٣ ـ أَحْتَالُ للمالِ إنْ أوْدَى فأَجْمَعُه   ولستُ للعِرضِ إنْ أوْدَى بمحتَالِ

قوله: «لا طَبَاخَ لهم»، أي لا خير عندهم. ويقال: هذا لحمٌ لا طَبَاخَ له، أي لا دَسَمَ له. وشابٌّ مُطَبَّخٌ، أَمَلأُ ما يكون شبابًا وأرواه. وطبَّخَ الغُلامُ، إذا تَرعرَعَ وعَمِل. والدِّنْدِن: المسوَدُّ من الكلإ لقِدَمِه ويُبْسِه. والمعنى أنَّ المَرْء لا يُؤتَى الغِنَى لفضلٍ فيه وغَناءٍ لديه، وإنما ذلك لمقادِيرَ قُدِّرت على حَسَب ما عرَفَه الله تعالى جَدُّه، وهو الذي يُغْنِي ويُقْنِي مِنْ مَصالح خلقه. وإذا كانَ كذلك فقد يتَّفق حصولُ المال عندَ مَن لا يستحقُّه بفضل أُوتِيَهُ، أو ذِمَامٍ وَجَبَ له، بل يكون كالسَّيل يمتدُّ من المَذَانب والتِّلاعِ حتَّى يقفَ حاصلًا في أُصول يابِسِ الكلإ ومُسْوَدِّه، في أنّه لا يُنتَفَع به ولا يرُدُّ خيرًا على جامِعِه، كما لا ينتفِعُ الدِّنْدِنُ البالي بما يَغشَى أصولَه من ماءِ المَطَر. وفي مثل هذا قولُ الرَّاعي: [البسيط]

وخَادَعَ المجْدَ أقوامٌ لهم وَرَقٌ   رَاحَ العِضاهُ به والعِرْقُ مَدْخُولُ[٣]

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فقالَ وأحسَنَ: [الكامل]

لا تُنكِري عَطَلَ الكَريمِ مِن الغِنَى   فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمَكانِ العالي[٤]

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري: صحابي، شاعر النبيّ ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام (ت ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م). ترجمته في تهذيب التهذيب ٢:٢٤٧، والإصابة ١:٣٢٦، والشعر والشعراء ١٠٤.

(٢) التبريزي: «لا طباخ بهم».

(٣) للراعي النميري في ديوانه ١٩٤، واللسان (روح، خدع)، وتهذيب اللغة ٥:٢١٦.

(٤) لأبي تمام في أساس البلاغة (حرب).

وقوله: «أصون عِرْضي بمالي»، يريد أنّي أجعلُ المالَ واقيةً لحسبِي ونَسَبِي، فأصونُه ولا أُدنّسه بتثميره وتوفيره، وإن تقلّدتُ العارَ له واكتسبتُ الإثمَ الفاحشَ فيه، فلا بارَكَ الله في المالِ بعد النَّفْس، لأنَّ المال يُحتَاج إليه لتنتفعَ به النَّفس، ولتتنزَّهَ عن المعايب والمَقاذر بإنفاقه. فأما قوله: «بارَكَ» فأصله من اللزُّوم، ومنه بَرَكَ البعيرُ، إذا لَزِم مكانَه. فمعنى بارَكَ الله فيه: بقَّاه الله. وعلى ذلك قولُ المسلمين: تبارك الله: أي بَقِيَ ودامَ، فهو تفاعَلَ في معنى فَعَلَ ولا تكلُّف فيه، تعالى الله عن ذلك.

وقوله: «أَحْتَالُ للمال إنْ أوْدَى فأجمعه»، يريد أنَّ المالَ إذا استهلكه مُنفِقُه أمكَنَ الاعتياضُ منه، ونفذَ الاحتيالُ في جَمْعِهِ وتثميره، وإذا هلَكَ العِرضُ فلا طريقَ إلى ردِّه إلى ما كان عليه، ولا استطاعةَ في تنقِيَته مِنْ دَرَن العار وقد جُعِلَ وقاية للمال.

٧٤٥ ـ وقال عبد العزيز بن زُرَارة الكِلابيُّ[١]: [الطويل]

١ ـ دَعَوْتُ إليها فِتْيَةً بأكُفِّهِمْ ... من الجَزْرِ في بَرْدِ الشِّتاءِ كلُومُ
٢ ـ إذ ما اشتَهَوْا مِنْهَا شِوَاءً سَعَى لَهُمْ ... به هِذْرِيانٌ للكِرام خَدُومُ[٢]
٣ ـ فإلّا أكُنْ عَينَ الجَوادِ فإنَّني ... على الزَّادِ في الظَّلْماءِ غَيرُ شَتِيمِ
٤ ـ وإلّا أكُنْ عَينَ الشُّجَاعِ فإنَّني ... أردُّ سِنَانَ الرُّمحِ غَيرَ سَليمِ

«إليها»، يعني إلى راحلته. وجعل الفِتية مَكلومِي الأكفِّ عِنْدَما يتولَّونه من قِسمة الجزُور وتَفصيل أوصالها، لأنَّهم لا يهتدون إلى المفاصل، ولم يُزاوِلوا نحْرَ الإبل وجَزْرَها قبل ذلك. فيقول: جمعْتُ على قِسمةِ ناقتي فتيانًا قد تكلَّفُوا ما دعوتُهم إليه تكرُّمًا، وإنْ لم يكنْ ذلك مِن شأنهم، ولا صار منهم ببالٍ، لكنَّ شدَّةَ الزَّمانِ، وتَنَاهِيَ الضُّرِّ في الجِيران وطوائف النَّاس فَرَض على أمثالِهم تَجَشُّمِ فِعله لهم، وحُسْنَ تولِّيه فيهم.

---

(١) عبد العزيز بن زرارة الكلابي: قائد من الشجعان المقدّمين في زمن معاوية، أبلى في قتال الروم بلاءً عجيبًا، وقتل في إحدى الوقائع (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) ترجمته في الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٩، والبيان ٢: ٧٥.

(٢) إلى هنا تنتهي المقطوعة عند التبريزي، وفصل بين هذين البيتين وبين تاليهما بقوله: وقال آخر. والبيتان التاليان لعبد العزيز بن زرارة في الزهرة ٢: ٦٥٥.

وقوله: «إذا ما اشتَهَوْا منها شِوَاءُ»، يريد: وإذا انبسَطُوا للتّناوُل وتواضَعُوا وأظهَرُوا في المعاوَنة اهتزازَهم فنَشِطوا، سَعَى في اتِّخاذ الشِّواء لهم وتَهيئَتِه رجلٌ خفيفُ السَّعْي، كثيرُ الألطاف، حسَنُ الخِدمةِ للكرام، عارفٌ برُسومهم في اكتسَاب المكرُمات. ويعني به نفسَه.

وقوله: «فإلَّا أكُنْ عَيْنَ الْجَوَاد»، يريد إنْ لم أكنْ كُلَّ الْجَوَادِ والجامعَ لأسبابِ السَّخَاء، فإنّني لا أُشْتَمُ في الظَّلماء بعلّة الزاد وحَبْسِه عن مريدِه؛ وإنْ لم أكُنْ حَقَّ الشُّجاع، والتّامَّ الآلات في المِصَاع، فإنّي أُجِرُّ الرُّمحَ في المطعونِ وأرُدُّ سِنانَه كسيرًا. وليس الجودُ ولا الشجاعةُ إلّا ما ذكَرَه، ولكنّه أراد أن تكون دعواه قاصرةً عن الغاية المرموقة، ليكونَ أحسَنَ في الأُحدوثة، وأدخَلَ في العقل، وأقرَبَ في الذِّكْر. وقد مَرَّ القولُ في مثله في باب الحماسة أشبَعَ من هذا.

والهِذْريَان والهَيْذَارُ: الكثير الكلام فيما يُحمد. والهَذِرُ والمِهْذَارُ: الكثير الكلام في كلِّ باب.

٧٤٦ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ وَسِّعْ بِمَدِّكَ مَاءَ اللَحْمِ تَقْسِمُهُ وأَكْثِرِ الشَّوْبَ إنْ لم يَكْثُرِ اللَّبَنُ

٢ ـ وسِّعْ بِهِ وتَلَفَّتْ حَوْلَ حاضِرِهِ إنَّ الكَرِيمَ الذي لم يُخْلِهِ الفِطَنُ

قوله: «بمَدِّك» مصدر مددت القِدرَ، إذا أكثرتَ مرَقَها. ويقال: مددتُ الدَّواةَ أيضًا، إذا أكثَرْتَ ماءَها. وأمدَدْتُ الجيشَ، إذا أتْبَعْتَهُ بمَددٍ يكثُرُهُ ويقوّيه. فيقول: كثّر مَرَق قِدْرِك ليتّسع لغاشيتها، وأكثِرْ خَلْطَ اللّبن إن لم يكثُر في نَفْسه ولم يتَّسِعْ لوُرّاده. والشَّوْبُ: مصدر شاب يَشُوبُ، إذا خَلَطَ وهذا مِثلُ ما سارَ به المَثَل، وهو «مِثْلُ الماءِ خَيْرٌ من الماء». وأصله أنَّ رجلًا استسقَى غَيْرَه لبنًا، فقال: إنّه مثل الماء، أي فضلةٌ بقيَتْ من لَبَنٍ مَشُوبٍ. فقال المستسقِي: مثلُ الماء خيرٌ من الماء. يريد أنَّ المَشُوبَ من اللّبن خيرٌ من الماء القَرَاح. ومثله قولُ الآخر: [الطويل]

نَمُدُّ لهمْ بالماء مِنْ غير هَوْنِهِم ولكنْ إذا ما ضاقَ شَيءٌ يُوَسَّعُ[1]

وقوله: «وسِّعْ له وتلفَّتْ حولَ حاضرِه» يريد كثّره والتفِتْ فيمن حَولَكَ مِن جارٍ ومُحتاج، ولا تنتظرْ بما تفرِّقُه السُّؤَالَ والطَّلَبَ، ولكنْ ليكن مِن نفسِك باعثٌ على

(١) بلا نسبة في اللسان (مدد).

تمييز المحتاج، والنَّظرِ له، والإفضال عليه؛ لأنَّ الكريمَ هو الذي لا يُخلِّيه فِطَنُه، والتفاتُه ونَظَرُه. واللُّؤم: سوءُ التَّغافل.

وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

إنَّ الـكـريـمَ مَـنْ تَـلَفَّـتَ حـوْلَهُ وإنَّ اللئيمَ دائمُ الطَّرفِ أقْوَدُ[1]

٧٤٧ ـ وقال آخر[2]: [الطويل]

١ ـ إذَا هِيَ لـم تَـمْـنَـعْ بِرِسْـلٍ لُحُـومَـهـا من السَّيْفِ لاقَتْ حَدَّهُ وهو قاطِعُ

٢ ـ نُـدافِـعُ عَـنْ أحـسـابِـنَـا بـلُحـومِـهـا وألـبـانِـهـا إنّ الـكَـريـمَ يُـدافِـعُ

٣ ـ ومَنْ يقترف خُلْقًا سِوَى خُلْقِ نَفْسِه يَـدَعْـهُ وتَـرجِـعْـهُ إلـيـه الـرَّوَاجِـعُ

قوله: «إذا هي لم تمنع»، يعني الإبل. فيقول: إذا لم يكن في النُّوق لبَنٌ تَحمي نفوسَها به من العَقْر عند نُزول الضِّيفان لاقت حَدّ السَّيف وهو يَجزُرها ويُقَطِّعها. ومثله قول الآخر: [الطويل]

وإنْ تعتذِرْ بالمَحْلِ من ذي ضُروعها على الضّيفِ يَجْرَحْ في عَراقيبِها نَصْلِي[3]

وأبلغُ منهما قولُ الآخر: [الطويل]

فتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقْضِي ذِمامَه إذا نَزَلَ الأضيافُ أو تُنْحَرَ الجُزْرُ[4]

وقوله: «نُدافِع عن أحسابنا بلحومها»، يريد بإطعام لحومها، وسَقْيِ ألبانها لأنّ عادتَنا تَفرِض علينا المدافعة عن الكَرَم، والمحاماةَ على الشَّرَف، وذلك خُلُقنا الذي نَنْشأ عليه، ونَنبُت فيه، ومَنْ يَتعاطَ خُلقًا مُستَجَدًا مخالِفًا لما أَلِفَه وتعوَّده يفارِقْه ويَرْجِع إليه الخُلُق الأوّل. ومثله قولُ الآخَر: [البسيط]

كلُّ امرىءٍ راجعٌ يومًا لشِيمَتِهِ وإنْ تـخـلّقَ أخـلاقًـا إلـى حِـيـنِ[5]

والقَرْف يكون من الذّنب والجُرْم، يقال: هو يَقتَرِف ذنبًا، أي يأتيه ويفعله، ويقال أيضًا: هو يَقترِفُ لعِياله، أي يكتسب. واقترف حسنَةً، أي اكتسبَها. وقوله:

---

(١) بلا نسبة في اللسان (قود)، وكتاب العين ٥:١٩٧، وأساس البلاغة (قود).

(٢) هو المخضّع القيسي كما في معجم المزرباني ٤٧٥.

(٣) لذي الرمة في ديوانه ١٥٦، وأساس البلاغة (عذر)، وخزانة الأدب ٢:١٢٨.

(٤) للأبيرد اليربوعي في الحماسية (٣٨٣). (٥) لذي الإصبع العدواني من المفضلية (٣١).

«وتَرجِعه إليّ الرواجع»، يقال: رجَع فلانٌ مِنْ كذا رُجوعًا، ورجَعْتُهُ أنا رَجْعًا، ومثله صَدّ وصددتُه، وكَسَبَ وكسَبْتُه.

٧٤٨ ـ وقال مُضَرِّسُ بنُ رِبعِيٍّ[(١)]: [الطويل]

١ ـ وإنّي لأدْعُو الضّيفَ بالضّوْءِ بَعْدَما كَسَا الأرضَ نَضّاخُ الجَلِيدِ وجَامِدُه

٢ ـ لأُكْرِمَهُ إنّ الكَرامَةَ حَقُّهُ ومِثْلانِ عِنْدِي قُرْبُهُ وتَباعُدُهْ

٣ ـ أَبِيتُ أُعَشِّيهِ السَّدِيفَ وإنّني بما قَالَ حَتَّى يَتْرُكَ الحَيَّ حَامِدُهْ[(٢)]

يقول: إني أدعُو الضّيفَ بإيقاد النّار وإعلاء ضوئها، عند اشتداد البَرْد، واكتساء الأرض من جامد الماء، ومنتضِحِ الجليد، أي نَدَاه الذي يَبّسَه البرد، لأقضيَ حقَّه بإكرامه وإلطافه. والنّضْحُ كالنَّضخ، إلّا أن النَّضخ له أثر. والعين تنضح بالماء، وكذلك الكُوزُ. والنَّضِيحُ: العَرَق، لأنّ جِرْم الإنسان يَنضَح به. وسمَّى أبو ذؤيبٍ الهُذَليُّ ساقيَ النّخل نَضّاحًا، كما سُمِّي البعيرُ الذي يُستَقى عليه الماء: النّاضح، فقال: [البسيط]

. . . . كَما يَسقِي الجُذوعَ خِلالَ الدُّور نَضّاحُ[(٣)]

وقوله: «ومِثْلانِ عندي قربُه وتَباعُده»، يريد في النّسب. أي يتساوَى عِنْدِي تمازُجُه وتَواشُجه، وتنائيهِ وتَبايُنُه؛ لأنّ الواجبَ له عليّ أقيمُه لا أتحمَّد بذلك عليه، لأنّ إكرامَ الضّيف فرضٌ على ذِي المروءة، ومُسقِطُ الفَرْض عَنْ نفسه لا يستحقُّ من الناس اعتدادًا.

وقوله: «أبِيتُ أعشّيهِ السَّديفَ» فالسَّديف: شَحْم السَّنام. والمراد: أبقَى ليلتي مُطعِمًا له خيارَ ما عِندي ويَحضُرُني من شُطَب السَّنام، ثم إن اقْتَرَحَ عليَّ شيئًا أعدُّه نعمةً تتجدَّد له يتسوجب منّي حَمْدًا وشكرًا عليها، وذلك له طُولَ مُقَامِهِ إلى أنْ يُفارِقَني، ويَترُكَ عشيرتي.

٧٤٩ ـ وقال حِمَاسُ بن ثَامِلٍ: [الطويل]

١ ـ ومُسْتَنْبِحٍ في لُجِّ لَيلٍ دَعَوْتُه بِمشْبُوبةٍ في رَأْس صَمْدٍ مقابِلِ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسة (٤٤١). (٢) التبريزي: «بما نال».

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٦٥، واللسان (عصب، نضح، رهط). وصدره:
«هبطن بطن رهاط واعتصبن كما»

٢ ـ فقلتُ له أقْبِلْ فإنَّكَ راشدٌ وإنَّ عَلَى النَّار النَّدَى وابنَ ثامِلِ[١]

المشبوبة: النَّار، وتوسعوا فقيل: شَبَبْتُ الحرب، كما قيل: شَبَبْتُ النَّار. ولُجُّ اللَّيل: مُعظَم ظُلْمته، وكذلك لُجُ البحر. والصَّمْدُ: الجَبَل أو الأرضُ المرتفِعة. جعل نارَه في يَفاعٍ مُقابِلٍ لسَمْتِ الضَّيف، فدَعاهُ بها لما أعلاها ورَفَعها حتَّى اهتَدَى لها. وهذا مِثْلُ ما قد شرَحْتُه.

وقوله: «فقلتُ له أقبل فإنَّكَ راشد» أي قوَّيْتُ نَفسه في النُّزول، وأرَيْتُه استبشاري له وانتظاري إيَّاه. ألَا تَرَى أنَّه قال: «وإنَّ على النَّار النَّدَى وابن ثاملِ». ولولا اشتهارُه بالطَّوْل والإفضال لما قال ذلك. وهذا مثل قول الأعشى: [الطويل]

وباتَ على النَّارِ النَّدَى والمُحَلِّقُ[٢]

٧٥٠ ـ وقال النَّمرِيُّ[٣]، ويقال إنَّها لرجلٍ من باهلة: [الطويل]

١ ـ وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ الهُدُوِّ كأنَّما يُقاتِلُ أهوالَ السُّرَى وتُقاتِلُهْ

٢ ـ دَعَا بائِسًا شِبْهَ الجُنُونِ وما بِهِ جنونٌ ولكِنْ كَيدُ أَمرٍ يُحاوِلُه

يَعنِي بالدَّاعي مستنبِحًا طلبَ بَعْدَ أن مَضَى من اللّيل قطعةٌ مَن يُغيثُه ويَستنقِذُه من هَول الليل، وبَلاء الضُّرّ، حتَّى كأنما كان يُقاتِل أسبابَ السُّرَى لشِدَّة الأمر عليه، وتقاتله، أي بَلَغَ الحالُ به حدًّا رأى السُّرَى تُغَالِبُه عن نفسه، وتُصارِعه عنها.

وقوله: «دعا بائسًا» يعني كلبًا ذا بُؤْسٍ لضَرَر القَحْط، ويكون على هذا مفعولًا. ويجوز أن ينتصب على الحال للدَّاعي، أي دعَا وهو ذو بؤسٍ. ويجوز أن يريد دَعَا دُعَاءً عن بُؤْسٍ يُشْبه الجنون. فأمَّا تكريره للدُّعاء فهو لتهويل الأمر وتَفظيعِ الشَّأن. وانتصب «شِبْهَ الجُنونِ» أي دُعاءً يُشْبِه الجُنُونَ، فهو صفةٌ للمصدر المحذوف. قال: وليس به جنون، لكنَّه يُكابِد أمْرًا، ويعاني مَشَقَّة وضُرًّا، فهو يطلب الخلاص من مِحْنَةٍ

(١) التبريزي: «وقلت له».

(٢) للأعشى في ديوانه ٢٧٥، والأغاني ٩: ١١١، وخزانة الأدب ٧: ١٤٤، وصدره:
«تُشَبُّ لمقرورين يصطليانها»

(٣) لعلّه منصور بن الزبرقان أحد بني النمر بن قاسط، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية وكان مقدّمًا عند الرشيد. ترجمته في الشعر والشعراء ٨٣٥، وتاريخ بغداد ١٣: ٦٥.

لا طريقَ لَلمخَلص منها إلّا على ذلك الوجه. وتحقيق الكلام: ليس به جنون، ولكنْ به كَيْدُ أمرٍ يَطلُب دَفْعَه والسَّلامةَ منه.

٣ ـ فلَمَّا سَمِعتُ الصَّوتَ نادَيتُ نَحوَهُ بصَوْتِ كَرِيمِ الجَدِّ حُلْوٍ شمائِلُهْ

٤ ـ فأبْرَزْتُ نارِي ثُمَّ أثْقَبْتُ ضَوءَها وأخرجْتُ كَلْبي وهو في البَيْتِ دَاخِلُه

يقول: جَمَعْتَ في تلقِّيه وإغاثته بينَ الأسباب التي يُستنزَل بها الضَّيف، ويُستَقبَل بها الجِيران؛ لإشَالَتِه من صَرْعَتهِ، واشتلائه من مِحْنَته، فناديتُه بنَفْسي على رَفْعِ من صَوتي، وهو صوتُ رجلٍ كريمِ الأصل، حُلْوِ الطِّبَائع، سَهلِ الجانب، حسَنِ الاشتمال على الضَّيف، وجعلْتُ ناري في بَرَاز، وهو المرتَفِع من الأرض. ومثل البَراز البَرْز. قال:

يظَلُّ على البَرْزِ اليَفَاعِ كأنّه

قال: ثمَّ أيّدْتها بثَقُوبٍ يرتفع الضَّوءُ له، ويَقوَى به، وأخرجْتُ كَلبِي من مَقَرِّه، وهو لشدَّةِ البَرد ملازمٌ للبيت لا يَخرُج، كلُّ ذلك فعلتُه تقريبًا للأمر على الضَّيف، وتسهيلًا لهِدايته. وقوله: «وهو في البيت داخله» في البيت موضعه خَبَر الابتداء وليس بلَغْوٍ، وداخلُه خبر ثانٍ، والهاء من داخله يعود إلى البيت كأنّه قال: وهو مستقر في البيت داخلٌ فيه، ولا يمتنع أن يكون داخلُه في موضع البَدَل من قوله في البيت، ويكون كقولك زيدٌ داخل البيت وخارجُه.

٥ ـ فَلمَّا رآني كَبَّرَ اللهَ وحْدَهُ وبَشَّرَ قَلْبًا كانَ جَمًّا بَلابِلُهْ

٦ ـ فقُلْتُ له أهلًا وسَهلًا ومَرْحَبًا رَشَدْتَ ولم أقْعُدْ إليه أُسائِلُه

يقول: لمَّا رآني هذا الضَّيف قال: الله أكبر! استبشارًا واغتباطًا بما تَعجَّلَ له من الفَرَح، وفرَّحَ قلبًا كانت غمومُه مجتمِعةً عليه يأسًا من الخَير في مثلِ مكانِه، وطمعًا فيما يَستبقيه من حياته؛ فقلت له: أتيتَ أهلًا لا غُرَباءَ، ووَرَدْتَ سهلًا من الأفنيةِ لا حَزْنًا، وتعمَّدْتَ رُحْبًا من الأماكن لا ضِيقًا، وصَحِبتَ الرَّشادَ في عُدُولِكَ إليَّ لا الضَّلال، ووافَقتَ السَّعادةَ لا الشَّقاءَ والهَلَكة، ولم أَقْعُدْ إليه مسائلًا عن أخباره وعمَّا أدَّاه إلى أرضِي في انتقالاته، بل عَمَدتُ إلى الاحتفال له، وقَصَرْتُ سَعِيبي على ما يقتضي إنزالَه، وعلى تهيئة القِرَى والأنزال له. وانتصب «وحده» على المصدر، لأنه موضوعٌ موضع الإيحاد، أي أوحَدَ اللهَ إيحادًا.

٧ ـ فقمتُ إلى بَرْكٍ هِجانٍ أُعِدُّهُ   لِوَجْبَةِ حَقٍّ نازِلٍ أنا فاعِلهْ[١]

٨ ـ بِأبيَضَ خطَّتْ نَعْلُهُ حَيثُ أدركتْ   مِنَ الأرضِه لم تَخطَلْ عليّ حَمَائلُهْ

يقول: وقمتُ إلى إبلٍ باركة بالفناء، كريمةٍ بِيض، أُعِدَّتْ لواجب حقٍّ يَنزِلُ بي. وزادَ الهاء في «وجبة» للمرَّة الواحدة، ويجوز دخولها لهذا المعنى في المصادر كلها، وقد شرحتُ القولَ في لفظة هجان ووقوعه بلفظِه للواحد والجمع[٢].

وقوله: «بأبيض» تعلق الباء منه بقوله: قمت. واللام من قوله: «لوجْبةِ حقٍّ» متعلِّق بقوله: أُعِدُّه، وموضع الجملة صفةٌ للبَرك، كما أنَّ قوله: «أنا فاعله» صفة للحق. والمعنى: قمت وقد تقلَّدت سيفًا مصقولًا، تَخُطُّ حديدةُ جَفنِه في الأرض إذا أدركَتْهَا خَطًّا؛ وليس ذلك لأنَّ حمائله اضطربت عليَّ أو قصُرت قامتي عن ارتدائها لطولها، ولكن تَخْتَطُّ حيث تُدرِك، لارتفاعِ أرضٍ أو عارِضٍ حَالٍ. والحمائل: جمع الحِمالة. وإذا طالَ النِّجادُ خَطَلَ على لابِسِه واضطرَب. وافتخارُهم بامتداد القامة وطُول الحِمالة معروف. والنَّعْلُ: الحديدةُ التي يُغَشَّى بها أسفلُ الجَفْن. وعلى ذلك قوله: [الطويل]

طويل نِجادِ السَّيف ليس بِجَيْدَر

٩ ـ فجالَ قليلًا واتَّقانِي بخَيرِهِ   سَنامًا وأملاهُ مِنَ النَّيِّ كاهِلُهْ

١٠ ـ بقَرْمِ هِجَانٍ مُصْعَبٍ كان فَحلَهَا   طَويلُ القَرَى لم يَعْدُ أنْ شَقَّ بازِلُهْ

قوله: «جال قليلًا» انتصب قليلًا على الظَّرف، أي زمنًا قليلًا. وفاعل جَال هو البَرْكُ. ويجوز أن ينتصب قَليلًا على أنه صفةٌ لمصدر محذوف، كأنّه قال: جال جَوْلًا قليلًا؛ فأقامَ الصِّفةَ مقامَ الموصوف، لأنَّ المراد مفهوم. والمعنى: لَمَّا بَصُر البَرْكُ بي ثارت مِن مَبارِكها، لم يَغْشاها من الخوف المعتاد لها واضطربَتْ، ثمَّ اتقَتْني ـ أي جعلَتْ بيني وبينها ـ بأتْمكِها سَنامًا، وأملاها من النَّيِّ كاهلًا. والنَّيُّ: الشَّحم واللَّحم. وانتصب «سَناما» على التمييز. وارتفع قوله: «كاهلُه» بفعلٍ مضمَر دلَّ عليه وأملاه، كأنّه لمَّا قال وأملاه من النَّيّ قال: امتلأ كاهلُه. ويشبه هذا قولَ الآخر في إضمار الفعل، وإن كان هذا ناصبًا وذاك رافعًا،

---

(١) التبريزي: «وقمت».

(٢) انظر شرح البيت الثالث من الحماسية (٧٣٤).

وهو: [الطويل]

وأَضْرَبَ مِنَّا بالسُّيوفِ القوانِسَا[1]

وانتصاب القوانس بفعلٍ مضمَر دلَّ عليه وأضرَب منا، كما أنَّ ارتفاع الكاهل بفعلٍ دَلَّ عليه: وأملاه.

وقوله: «بِقَرْمٍ هجان» أعاد حرفَ الجرّ فيه، وهو بدل من قوله: «بخيرِهِ سَنامًا». ومثله في إعادةِ حرف الجرّ في المبدَل قولُه تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٧٥]. والهِجان، وُصِفَ به الواحد هٰهنا، فهو في زنةِ قولهم: ناقة دِلاثٌ، وإزارٌ وخِمارٌ. وفي قوله: بَرْكٌ هِجان وُصِف الجمع به، فهو كظِرافٍ وحِسان. والمُصْعَبُ: الفَحل الكريم الذي لا يُبْتَذَل في العوارِض، بل يُقصَر على الفِحْلَة. وقال الخليل: هو الذي لم يُركَبْ قطُّ ولم يَمْسَسه حَبل. ويقال أُصْعِبَ الفحلُ فهو مُصْعَبٌ، وبه سُمِّيَ الرَّجلُ إذا كان مسوَّدًا مُصْعَبًا. وقوله: «كان فحلها» رجع الضمير إلى البَرْك، أي كان هذا القَرْم فَحْلَ هذِهِ البَرْكِ، وهو طَويل الظَّهر لم يتجاوزْ بازلُه أن انشَقَّ اللحم عنه. يعني أنَّه كان في غاية ما يُرَاعَى من شَبابه وقُوَّته. والبُزول: في السنة التاسعة. والمعنى أنَّه لم يَعْدُ هذه الحالةَ إلى ما وراءها، فكان يَضعُف.

١١ ـ فَخَرَّ وَظِيفُ القَرْمِ في نِصْفِ ساقِهِ وذاكَ عِقالٌ لا يُنَشَّطُ عاقِلُهْ

١٢ ـ بذلك أَوصانِي أَبِي وبِمِثْلِهِ كذلك أوصاهُ قَدِيمًا أوائِلُهْ

خَرَّ: سَقط، يخِرُّ خُرورًا. وخَرَّ الماءُ يَخِرُّ خريرًا. في الكلام إضمارٌ، كأنَّه قال اتّقاني بخيرِهِ فعرقَبْتُه فخَرَّ وظيفُه. ويُروَى: «فحَزَّ وظيفَ القَرْمِ في نِصف سَاقِه»، وفاعِل حَزَّ يكون السَّيفَ، أي عَقرتُها فعمِل السَّيفُ في وَظِيفِهِ وأندرَه من نِصْف ساقِه، وذلك شَدٌّ عاقِلُه لا ينشَّط، أي لا يحتاج إلى إحكامه وإبرامه لأنَّه لا يقع إلا مُبرَمًا. ويقال: نشَّطتُ العَقْد تنشيطًا، إذا أحكمته؛ وأنشطتُه، إذا حَللتَه. وعَقَدَ عليه بأُنشوطةٍ، إذا جعَله مهيَّئًا للحَلِّ مقرِّبًا أمرُه فيه. ومما يَجري مَجرى المثل: «كأنَّما أُنشِط مِنْ عِقَالٍ». وذكر بعضُهم أنَّ الشَّاعر سَهَا فوضع نَشَّطَ موضع أنشط؛ لأنَّ المراد ذاك عِقَالٌ

---

(١) البيت الثاني من الحماسية (١٥١) للعباس بن مرداس وصدره:

«أكرّ وأحمي للحقيقة منهم»

عاقِلُه لا يَحُلُّه ولا ينقُضُ ما يُبْرَمُ منه. وكلامُ الشّاعر سليمٌ من العَيب قويم. والمعنى فيه ما ذكرت.

وقوله: «بذلك أوصاني أبي وبمثله»، يعني في أمر الضيف أتى، بذا الفعل الذي وصفته وصّاني أبي وبما يماثِله. ثم قال: كذلك أسلافُه أوصَوْه قديمًا. وموضع «كذلك» نصبٌ على الحال وانتصب «قديمًا» على الظّرف، والمعنى أنّي لم أرِثْ ذلك عن كَلالةٍ، وإنّما وَرِثْناه أبًا عن أب وخلفًا عن سَلَف.

٧٥١ ـ وقال النّابغةُ الذُّبيانيّ: [الطويل]

١ ـ لَهُ بِفِنَاءِ البَيْتِ سَوْدَاءُ فَخْمَةٌ ... تَلَقَّمُ أَوْصَالَ الجَزُورِ العُرَاعِرِ[1]

٢ ـ بَقِيَّةُ قِدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُوُرِّثَتْ ... لآلِ الجُلَاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

٣ ـ تَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَهَا ... كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرِ

أراد بالسّوداء قِدْرًا. والفَخْمة: الضّخمة. تَلقَّمُ: تحتوي وتَبتلِع لعِظَمها أعضاءَ الجَزْور مُوَفَّرة. والعُراعِر: الضّخم السّمينِ، وجمعه عَراعِر، بفتح العين. ومثله جُوَالق وجَوَالق. وعُرْعُرَةُ الجَبَل: مُعْظَمه. فيقول: لهذا الرَّجلِ بإزاء القَوم وفِناء الدّارِ منهم، قِدرٌ هذه صفتها من العِظَم، وتضمّن أعضاء الجزور موربّة لم تُنتَقَضْ، وهي بقيّة قِدرٍ من قُدورٍ تُوُرِّثت من أسلافهم آلِ الجُلاح كبيرًا بعد كبير، ورئيسًا بعد رئيس، ولم يوجد كابِرٌ في معنى كبير إلّا في هذا المكان. وقد بيّن بذكر لفظة «بَعْدَ» أنّ «عَنْ» في قوله: «كابرًا عن كابر» بمعنى بعد. وكان أبو عليٍّ رحمه الله يقول قولهم كابرًا ليس باسم الفاعل، كالقاعد والقائم والجالس، وإنّما هو اسمٌ صيغ للجَمْع، كالباقر والجامل. والمراد كُبَراء بعد كُبَراء.

وقوله: «تظلُّ الإماء يَبتدِرْنَ قَدِيحَها»، يريد وقتَ القسمة، أي يستَبِقْن طُولَ النّهار إليها، وإلى تَناوُل الغُرُفات منها، استِباقَ بني سعدٍ مياهَ هذا المكان. وقُراقِر: موضعٌ فيه ماءٌ لقُضاعة، وهو فِراطَةٌ بين أحيائهم، أي شَرَعٌ لا تناوُبَ فيه، بل يفوزُ السّابقُ إليه. فشبَّهَ تَبادُرَ الإماء نحوَ القِدْرِ بتَبادُرِ بُطونِ سَعْدٍ إلى تلك المياه. والقَدِيح: فعيل بمعنى مفعول، وهو المَرَق المقدوح.

---

(١) التبريزي: «ويروي: دهماء جونة: يعني قِدرًا».

٧٥٢ ـ وقال الفَرَزْدَق[١]: [الطويل]

١ ـ وَدَاعٍ بِلَحْنِ الكَلْبِ يَدْعُو ودُونَه مِنَ اللَّيلِ سِجْفَا ظُلْمَةٍ وغُيُومُهَا
٢ ـ دَعَا وهُو يَرجُو أن يُنَبَّهَ إذْ دَعَا فتًى كابنِ لَيلَى حِينَ غَارَتْ نُجُومُها
٣ ـ بَعَثْتُ لَهُ دَهْمَاءَ لَيسَتْ بِلِقْحَةٍ تَدُرُّ إذا ما هَبَّ نَحْسًا عَقِيمُها

قوله: «داعٍ بلحن الكلب»، يعني مستنبِحًا تكلَّفَ نَبِيحَ الكلب في صَوته، ولَحنَ لَحْنَه، وفَعَلَ ذلك إذْ حال بينَه وبينَ المَنَاظِر من اللَّيل سِتْرَانِ من الظُّلَم، والتباسُ الغُيوم. وإنما قال: «سِجْفَا ظُلْمَةٍ وغيومُها» تأكيدًا، كما قيل: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: الآية ٤٠] ولهذا لم يَرْضَ بذلك حتَّى أضافَ إليه ظُلْمة السَّحابِ أيضًا المُغَطِّيَة للكواكب.

وقوله: «دَعَا وهو يَرجُو أن يُنَبَّه إذْ دَعَا»، يقول: استَنْبَح، وهو يؤمِّل أن يَنْتَبِه لدعائه ويَنبعث فتًى كغالبٍ، حِينَ غارت النُّجوم باللَّيل، والأهوالُ متراكمةٌ، وظُلَم اللَّيلِ والسَّحابِ مُتراكِبةٌ، واستَبدَّتْ فُرَج السَّماء وآفاقُ الجوّ. كأنَّ الضَّيفَ تمنَّى أنْ يتَّفِق له إجابةٌ كإجابةِ غالب، وهو ابن ليلى، فاتفق أن هيىء له إجابة الفرزدق. يشهد لذلك قولُه: «بعَثْتُ له دَهْماء»، يعني بها قدرًا. وكشَفَ عن مُرادِه بقوله: «ليست بلِقْحَةٍ»، أي ليست هي بناقةٍ، وإنما هي قِدرٌ تَدرُّ مَرَقَتُها إذا هَبَّ عَقِيمُ الرِّياح بالنَّحس. ويعني به الدَّبور، لأنَّها لا تُلْقِح، وبها هَلكت الأُمم السَّالفة. وجواب رُبَّ المضمرة في قوله: «داعٍ» قوله: «بعثْتُ له دَهماءَ». وقد اعتَرَض بينهما بيتٌ.

٤ ـ كأنَّ المَحَالَ الغُرَّ في حَجَرَاتِها عَذَارَى بَدَتْ لَمَّا أُصِيبَ حَمِيمُها
٥ ـ غَضُوبٌ كحَيزُوم النَّعَامةِ أُحْمِشَتْ بأجْوازِ خُشْبٍ زَالَ عَنها هَشِيمُها[٢]
٦ ـ مُحَضَّرَةٌ لا يُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَها إذا المُرْضِعُ العَوْجَاء جَالَ بَرِيمُها

جعل المَحَالَ، وهي فِقَر الظَّهر، والواحدة مَحالة، في نواحي القِدْر وجوانبِها لسِمَنها وبياضِها مع تضمُّن القِدر السَّوداءِ لها، وإحاطتِها بها، كأبكار النِّساء، وقد لبِسْنَ ثِيابَ السِّلابِ لمّا أُصِبْنَ بحميمهنَّ، فيَبْدُونَ بِيضَ الوجُوه، سُودَ الثِّياب. وقد أُحكِم القول في أصل «عذارى» في غير هذا الموضع.

---

(١) الأبيات ما عدا الخامس في ديوانه ٨٠٣.
(٢) التبريزي: «غضوبًا» ونصب غضوبًا ردًّا إلى دهماء.

وقوله: «غَضُوب»، يريد غليانَها وهِزَّتها، ثمّ شبَّه إشرافَها بحيزومِ النَّعامة، كما قال الآخر: [الطويل]

نَعَامَةَ حِزْباءٍ تقاصَرَ جِيدُها(١)

وجعلها قد أوقِد تَحتَها النّارُ بحَطب جَزْلٍ أُفرِدَ عنها دُقاقُها وما تَهشَّمَ مِن وَرَقها، والقَصْدُ في هذا إلى تَعظيم النَّار الموقَدةِ تحتَها لكِبرها.

وقوله: «مُحَضَّرَة» أي لا يُمنَع منها أَحَدٌ ولا تُقنَّعُ بما يَستُرها عن العُيون إذا أَمْحَلَ الزَّمان، واشتَدَّ القَحْطُ، وصارت المرأةُ المُرضِعُ قد اعوجَّ خِلقَتُها فجالَ عليها وِشاحُها، لانحسارِ اللَّحم عنها، وتأثير الهُزَال فيها. والبَريم: خَيط يُفتَل من صُوفٍ أبيضَ وأسود يُشَدُّ في أحقِي الصِّبيان لتُدفَعَ العَينُ به عنها. ومثل ما وَصَف قولُ الرَّاعي: [البسيط]

إنّـي أُقَسِّـمُ قِـدْرِي وهـي بـارزَةٌ   إذْ كلُّ قِدْرٍ عرُوسٌ ذاتُ جِلْبَابِ

وقوله: «إذا المرضع العوجاء جال بريمها» طرفٌ لقوله مُحَضَّرة، أو لقوله: «لا يُجعَل السِّتْرُ دونها» وفيهما جواب إذا. والحجرَات: النَّواحي، واحدتها حَجْرة، ويقال: قعد حَجْرَةً، فيُجعل ظرفًا. وإحماش النَّار: إلهابُها. وأَحْمَشْتُ القِدرَ، إذا أشبَعْتَ وَقُودَ النّار تحتَها حتَّى تَغْلي، ومنه حَمِشَ الشَّرُّ والغَضَبُ، إذا اشتدّ. وقوله: «بأجواز خُشْب»، جَوْز كلِّ شيء: وسَطُه. وإنما أراد الغِلاظ من الحَطَب.

٧٥٣ ـ وقال شُرَيح بن الأَحْوَص(٢): [الطويل]

١ ـ وَمُسْتَنْبِحٍ يَبْغي المَبيتَ وَدُونَه   مِنَ اللَّيلِ سِجْفَا ظُلْمَةٍ وكُسورُها
٢ ـ رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَما اهْتَدَى بِها   زَجَرْتُ كِلَابي أنْ يَهِرَّ عَقُورُها
٣ ـ فَبَاتَ وإنْ أَسْرَى من اللَّيلِ عُقْبَةً   بِلَيلَةِ صِدْقٍ غاب عنها شُرُورُها

(١) البيت السادس من الحماسية (٦٣٩) للراعي النميري، وصدره:
«إذا نُصبت للطارقين حَسِبتها»

(٢) التبريزي: «شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب» وشريح بن الأحوص: شاعر من شعراء الجاهلية وأمير من أمرائها، وكان والده الأحوص رئيس بني عامر يوم رحرحان الثاني، وهو يوم لبني عامر بن صعصعة على بني تميم، وكان شريح رئيس النحيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم. ترجمته في الأغاني ١٠: ٣٢.

يريد: ربَّ مُستضِيف بالنُّباح يَطْلُب لنَفْسه مكانًا يبيت فيه، وقد سقَطَ عنه كُلَفُ السَّير، وأسبابُ الجَهْد، وحَجَزَ بينه وبين اللَّيل سِجفًا ظُلمةٍ وكُسورُها. والسِّجف: السِّتر، وتكسر السين منه وتفتح. والكُسور: جمع الكِسْر، وهو جانِبُ البيت. قال الخليل: الكَسر والكِسْر: الشُّقَّة السُّفلى من الخِباء، يُرفَع أحيانًا ويُرخى أحيانًا، وكذلك من كلِّ قُبَّةٍ وغِشاء، حتَّى يقال لنا لناحِيَتَي الصَّحراء كِسرَاها. ولَمَّا استعار السِّجف لتَرَاكُم الظُّلمة استعارَ الكُسورَ لها أيضًا، كأنَّه جعلَ اللَّيلة كالبيت لِظَلَامها وقد أُرخِي سِجْفاهُ وأُلبِسَ كِسراه، فأظْلَمَ داخلُه. وجواب ربّ قوله: «رَفَعْتُ له ناري»، والواو من قوله: «ودونه» واو الحال. وقوله: «فلمَّا اهْتَدَى بها» يريد لَمَّا رفَعْتُ النَّار فأبْصَرَها وأقْبَلَ نَحْوِي منعتُ كلابي من أنْ يَهِرَّ في وجهه عَقُورُها. والعَقُور، يريد به السيِّئة الخُلُق منها، المولَعة بالعقر.

فإن قيل: ولِمَ جعل في كِلابه العَقورَ حتَّى احتاجَ إلى زَجْرِه عن ضَيفه؟ قلتَ: كأنَّه كان في الكِلاب ما لم يكنْ يلزَمُ الفِناء، وإنما يكونُ مع الرَّاعي في السَّرْح للحِفْظ، فاتَّفَقَ أنْ حَضَرَ مع كلاب الحيّ، فلذلك احتاجَ إلى زَجْره.

وقوله: «فباتَ وإنْ أسرى من الليل عُقْبَةً» خبر بات «بليلة صدق» وجواب إنِ الجزاءِ ما اشتَمَل عليه البيت. فيقول: مكَثَ الضَّيفُ عِندي في ليلةِ صدقٍ لا نَحْس فيه ولا شَرّ، والرَّاحةُ تُعاوِده، والسَّلامةُ تَلزَمُه وتتلقَّاه، وإنْ كانَ قد سَرَى عُقبةً منها، أي طائفة. وانتصب «عُقبةً» على الظَّرف، وأصلها أنْ يتعاقَبَ اثنانِ على البعير، فإذا رَكِبَ أحدُهما مشَى صاحبُه، ثم كثُر استعمالُه فأُجرِيَ مجرى النَّوبة والفُرصة، فيقال: سار عُقبةً كما يقال: سار نَوْبة. وقال الخليل: العُقْبة فرسخان؛ وهما يتعاقبانِ الرُّكوبَ بينهما. وقوله: «أنْ يَهِرّ» في موضع النَّصب على البلد من كلابي. وقد تقدَّم القولُ في ليلة صِدْقٍ وما أشبَهَه.

٧٥٤ ـ وقال مِسْكينٌ الدَّارِميّ[1]: [الوافر]

١ ـ كأنَّ قُدورَ قَومي كُلَّ يَومٍ قِبَابُ التُّرْكِ مُلْبَسَةَ الجِلَالِ

٢ ـ كأنَّ المُوفِدِينَ لها جِمَالٌ طَلَاهَا الزِّفْتَ والقَطِرانَ طَالِ

٣ ـ بأيديهِمْ مَغارِفُ مِنْ حديدٍ أُشَبِّهُها مُقَيَّرَةَ الدَّوَالي

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٩٩).

جعل قدورَ قومِه متبجِّحًا بها، منصوبةً في كلّ وقت. وجعلها لكبرها مشبَّهةً بخَرْكَاهَات(١) التُّرك وقد جُلِّلت وأُلبِست أغطيةً سَوْدَاء.

وقوله: «كأنَّ الموفِدِين لها»، يريد المُزاوِلين لها في نَصْبِها وإنزالها، وطَبْخها وتهيئتها. والمُوفِد: المشرِفُ على الشّيءِ العالي له. وانتَصب «مُلبَسَةَ الجِلَال» على الحال. وشبَّه المُوفِدِين في سَواد ثِيابهم وتدنُّسها بالغَمَرِ وتلطُّخها بالدَّرَن بجمالٍ مَطْليَّة بالقَطِران. والزِّفتُ، هو القار، وقال الدُّريديّ: أصلُه معرَّب، وقد تكلمت العرب به كثيرًا، وفي الحديث: «نَهى عن الدُّبَّاء والمُزَفَّتِ». ويقال: طلاه كذا وبكذا، فهو مطليّ.

وقوله: «بأيديهم مَغارِفُ مِن حديدٍ» جعَلَ القُدور كالأنهار أو البحور، والمَغَارِفَ لها كالدَّوالي المقيَّرة، لاحتمالها الماءَ من الأنهار وصبِّها إلى أعاليها. وجعَلَ المغارفَ سُودًا لِمَا عَلِق بها في الممارسة من سَوادِ القُدور والنَّار، ومن زُهومة اللَّحم والشَّحم. وقوله: «أشبَهُها مقيَّرةَ الدَّوالي»، يقال: شبَّهته كذا وبِكذا وموضع الجملةِ رفعٌ على الصِّفة للمغارف.

٧٥٥ ـ وقال آخر(٢): [الطويل]

١ ـ أَعَـاذِلَ بَـكِّـيـنـي لأَضْـيَـافِ لَيْـلةٍ   نَزُورِ القِرَى أَمْسَـتْ بَلِيلًا شَمَالُها
٢ ـ أَعَـامِـرُ مَـهْـلًا لا تَـلُـمْـنـي ولا تَـكُـنْ   خَفِيًّا إذَا الـخَـيْراتُ عُـدَّت رِجالُها

بكِّيني، أي أكثِرِي البُكاءَ لي وكرِّريه، مِن أجْل أضيافِ ليلةٍ قليلة القِرى، لإمساك النَّاس عن الإنفاق، وإعوازهم الزَّاد، وقد أَمسَتْ ريح الشَّمال فيها ذاتَ بلَلٍ وشَفَّانٍ للنَّدَى والبرد، فإذا وَرَدُوا فَقَدُوا حُسْنَ تفقُّدِي لهم، وتوفُّرِي عليهم.

وقوله: «أعامرُ مهلًا» جَمَعَ على نفسه لائمةً ولائمًا، فيقول: يا عامرُ رِفقًا في عتْبك عليَّ، ولومِك إيّاي، واقتَدِ بي في طلب السُّموِّ والاستعلاءِ على الأقران. فأمّا انتقالُه عن ذكراللَّائمةِ إلى مذكَّرٍ، فمثله قولُ تأبَّط شرًّا: [البسيط]

يـا مَـنْ لِعَـذَّالـةٍ خَـذَّالـة أَشِـبٍ   حَرَّقَ بـالـلَّوم جِلدِي أيَّ تَـحْـراقِ(٣)

---

(١) الخركاهات: جمع خركاه: لفظة فارسية. وهي بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشّى بالجوخ ونحوه، تحمل في السفر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد (صبح الأعشى ٢:١٤٦ طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) التبريزي: «وقال العكلي».

(٣) هو البيت العشرون من المفضلية الأولى. وصدره:

«بـل مـن لـعـذّالـة»

ثم قال:

عـاذِلَتَا إنَّ بـعـضَ الـلَّوم مَـعْـنَـفَـةٌ وهـل مَـتَـاعٌ وإن أبـقـيْـتُـه بـاقِ

والمراد بيان تعاون العشيرة في اللَّوم والإنكار، وتَسَاعُدِ رجالهم ونسائهم على الوَعظ والإنذار. وقوله: «ولا تكن خفيًّا»، يريد اتَّخِذْني إسوةً واعمَلْ على أن تكون سامِيَ الذِّكْر، عاليَ الصِّيت، حتَّى لا يخفى إذا عُدَّتْ رجالُ الخيرات أمرُك، ولا يَنْمحِيَ إذا بانت آثار الصالحين أثرُك. وأشارَ بالخيرات إلى الخِصال الصالحة والخلال الشَّريفة. وواحدتها خَيْرةٌ. وليست هذه التي تكون في موضع أفعَلَ من كذا ومعناهُ، كقولك فلانٌ خيرٌ من فلان، بل هي الواردةُ في قوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٧٠]، وفي قول الشَّاعر: [المنسرح]

وأمُّـهـا خَـيْـرَة الـنِّـسـاءِ عـلـى ما خان منها الدِّحَاقُ والأَتَمُ(١)

٣ ـ أَرَى إبِـلِـي تَـجْـزِي مَـجَـازِيَ هَـجْـمَـةٍ كَـثـيـرٍ وإنْ كـانـت قَـلِـيـلًا إفَـالُـهـا

٤ ـ مَـثَـاكِـيـلُ مـا تَـنـفَـكُّ أَرْحُـلَ جُـمَّـةٍ تُـرَدُّ عـلـيـهـم نُـوقُـهـا وجِـمَـالُـهـا

قوله: «أرى إبلي تَجزي» يقول: أجد إبلي تَقْضِي عنِّي وتحصُل في النَّيل منها وتورُد الحقوق إيّاها مَحَاصِلَ هَجْمَةٍ، وهي القطعةُ من الإبل بين السِّتين إلى المائة. والجِزْيَةُ من هذا، وهي الخَرَاج الموضوع، لأنَّها قضاءٌ لما عليه أُخِذَ. وفي القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: الآية ٤٨]، أي لا تَقضي ولا تُغني. وفي الحديث: «كان رجلٌ يداينُ النَّاس، وله كاتب ومُتَجازٍ». وقوله: «وإن كانت قليلًا إفالُها»، يريد وإنْ كانت ضعيفةَ النَّسل، قليلةَ العدَد. والإفال: صَغار الإبل واحدها أَفِيل، وإنَّما قلَّت إفالُها لذَهاب التَّثمير والزَّكاء عنها، ولكونها محبَّسَةً بالأفنية، مقصورةً على الحُقوق، مصروفةً إلى أرزاق العُفَاة. يشهد لذلك قولُه: «مثاكيل»، وهي جمع مِثكالٍ: التي تَثْكَل أولادَها كثيرًا؛ لأنَّ ربَّها يَفصِل دائمًا بينها وبين أولادها بالنَّحر تارةً وبالهِبَة أخرى. وقوله: «ما تنفك أرحُلَ جُمَّةٍ»، أي لا تزال أرحُلَ جماعةٍ من النَّاس، وهو جمع الرَّحْل، أي مَثْواهم ومَقِيلهم. ويقال: عادَ إلى رحلِهِ أي مَنزِله. وفي الحديث: «إذا ابتَلَّتِ النِّعالُ فالصَّلاةُ في الرِّحال». أي لا يزال مأوَى جماعةٍ تُصرَف إليهم إذا وَرَدوا ذكورُها وإناثها. أمَّا إناثُها فللحَلْب، وأمَّا ذكورُها فللنَّحر.

(١) بلا نسبة في مقاييس اللغة ٢: ٣٢٢ (دحق).

وأصل الجُمَّة الجماعة تَردُ في سُؤالِ تحمُّلِ الدِّيات عنهم إذا ثَقُلَت، أو السَّعي في صُلْحٍ أو الدَم بين عشائر. قال: [الرجز]

وجُـمَّـةٍ تـسـألـنـي أعـطـيـتُ[(١)]

وجعلَه اسمَ الجماعة من النَّاس وإنْ وردوا لغَيْرِ ذلك القَصْد.

٧٥٦ ـ وقال جابر بن حُبَاب[(٢)]: [الطويل]

١ ـ وإنْ يـقـتـسـم مَـالـي بنِيَّ ونِـسْـوَتـي فلن يَقْسِموا خُلْقي الجَمِيلَ ولا فِعْلي

٢ ـ أُهـيـنُ لَهُـمْ مَـالي وأعْـلَمُ أنَّـنِـي سـأورِثُه الأحـيـاءَ، سِـيـرَةَ مَـنْ قَـبْـلي

٣ ـ ومـا وَجَدَ الأضـيـافُ فِـيـمَـا يَـنُـوبُـهـمْ لـهـم عـنـد عِـلَّاتِ الـزَّمـانِ أبَـا مِـثْـلي

يقول: إن اقتسَمَ مالي أولادي وأزواجي وبناتي، وفازوا بما أخلِّفه فيهم فلنْ يقتَسِموا ما تفرَّدْتُ به من خُلُق كريم أُعدّه لزُوَّاري، وفَعَال شريفٍ أُقِيمُه لعُفاتي، وأُدِيمُه لمن يعتلق حبلي، أو يتَّصل سَبَبُه ونَسَبه بسببي ونسبي.

وقوله: «أهينُ لهم مالي»، يريد أنّي أبذله وأبتذله، لعلمي بأنَّ ما أبقِيه للأحياء سِيرةَ مَن تَقدَّمَني فليس بمالٍ لي، وأنَّ الذي يختصّ بملكي هو ما أتولّى تفريقَه وإنفاقه في الوجوه المحمودة عندي. وانتصب «سِيرة» على المصدرِ ممَّا دلّ عليه قوله: «سأورثه الأحياءَ»، كأنّه قال: أَسِيرُ فيما أتركُه من مالي سِيرةَ أسلافي والنَّاسِ قبلي. يقال: سارَ سِيرةً حسنة؛ يُشَارُ بها إلى الحالِ في السِّيرة المعتادة. ثمَّ أُجرِيَ مَجرى الشِّيَم والعادات. وقال القُطامي: [الوافر]

وسـارَتْ سِـيـرةً تُـرْضِـيـكَ مـنـهـا يَكاد وَسِيجُها يَشفِي الصُّدَاعا[(٣)]

وقوله: «وما وَجَدَ الأضيافُ فيما ينوبُهم»، يريد بيانَ مكانِه من مآرب أضيافِه، وأنّهم لا يعتاضون فيما ينوبهم عند الزَّمان وتغيُّره وإمكان العِلّات في البُخْل وأهله أبَا مِثْلَهُ إذا فَقَدوه. وجعل نفسَه أبًا على عادتهم في تسمية المُضِيف أبا المَثْوى. على

(١) لأبي محمد الفقعسي في اللسان (جمم)، وتاج العروس (جمم)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٩٢، وكتاب العين ٨: ٣٦٤، وبعده

«وسـائـلٍ عـن خـبـرٍ لـويـتُ فـقـلـتُ: لا أدري، وقـد دريـتُ»

(٢) التبريزي: «جابر بن حيّان».

(٣) للقطامي في ديوانه ٤١، وتاج العروس (صدع).

ذلك قال أبو العِيال الهُذَلِيّ: [الوافر]

أبــو الأضــيــاف والأيــتــا م ســاعَــةَ لا يُــعَــدُّ أَبُ[١]

ويجوز أن يكون المراد بعِلّات الزّمان تَحوُّلَه وتبدُّله.

٧٥٧ ـ وقال حاتم[٢]: [الطويل]

١ ـ وعــاذِلَةٍ قــامَــتْ عَــلَيّ تَــلُومُــنِــي كَأَنّي إذَا أعطَيتُ مَالِي أَضِيمُها[٣]

٢ ـ أعــاذِلَ إنّ الــجُــودَ لَيسَ بِــمُــهْــلِكِــي ولا يُخْلِدُ النَّفسَ الشَّحِيحةَ لُومُها[٤]

قوله: «وعاذِلَةٍ» انجرّ بإضمار ربَّ، وجوابُه يجوز أن يكون قامَتْ عليَّ وتلومني في موضع الحال، ويجوز أن يكون الجواب محذوفًا، كأنّه قال: قلتُ لها: أعاذِلَ إنّ الجود ليس بمُهْلِكي، لأنّ «قامت عليّ» من صفة العاذلة. وقوله: «كأنّي إذا أعطيتُ مالي أَضِيمُها» اعتراضٌ وقَعَ بين رُبَّ وجوابه. والمجرور بِرُبَّ أكثرُ ما يجيء موصوفًا. ويجوز أن يكون قوله: «كأنّي إذَا أعطَيتُ مالي أضيمها» الجواب.

ثمَّ أقبل عليها يخاطبها، وهذا تَشبيهٌ يَجري مجرى تصوير الحال في إخراج الخافي إلى البيان، فيقول: ربَّ لائمةٍ قامت عليَّ تعتِبُ وتوبِّخ، كأنّي أبْخَسُ حظًّا لها إذا بذَلْتُ مالي، أو أَغْصِبُها حقًّا من حقوقها، لتَتَاهِي ظلامتِها ـ قلت لها: إنَّ ما أعتدُه من البَذْل والسَّخاء لا يُقرّب منيّتي عَن أمَدِها، ولُؤم النّفس البخيلة، لا يُديمُ بقاءَها في دُنْياها، فإذَا كان الجودُ يُفْني والبخلُ لا يُبقِي ولا يُقْنِي وكان في السَّخاء إقامةُ المرُوءة واكتسابُ الأكرومة، وادّخار الشُّكر واقتناء الأجْر، فالعقلُ يُوجِب الأخْذَ به، والحزمُ يَقتضِي الزُّهدَ في غيره.

٣ ـ وتُــذْكَــرُ أخــلَاقُ الــفــتَــى وعِــظَــامُــهُ مُــغَــيَّــبَــةٌ فــي الــلَّحْــدِ بَــالٍ رَمِــيــمُــهــا

٤ ـ ومَنْ يَبتدِعْ ما لَيسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِه يَدَعْهُ ويَغلِبْهُ على النَّفْسِ خِيمُها

يقول: إنَّ أخلاقَ الفتى مذكورةٌ بعد موته، ومتردّدة في المجالس مع اسمِه، فإنْ حَسُنَتْ عند الفَحْص حُمِدَتْ، وإن قَبُحت في السَّمع ذُمَّت. هذا وعظامُه باليةٌ قد صارت رِمَّةً في لحده، ومغيَّبةٌ عن المشاهدَةِ ضمْنَ قبره. ومَنْ تكلَّفَ ما ليس من

(١) ديوان الهذليين ٢: ٢٤٤.
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٢٧).
(٣) التبريزي: «ويروى: وعاذلة هبّت بليل أي قامت من نومها».
(٤) للتبريزي: «ولا فُحلِهِ النفسِ الشحيحةِ».

خُلُقِهِ، أو استَبدَع خِيمًا ليس من شأنه، فارَقَه المُستحدَث، وعاوَدَه المستقدَم. ومثله: [الطويل]

ومن يَبتدِعْ خُلقًا سِوَى خُلقِ نَفسِهِ   يَدَعْهُ فترجِعْهُ إليه الرّواجعُ[١]

ويقال: فلانٌ كريم الخِيم، أي الطَّبيعة، وقال أبو عبيدة: هو فارسيةٌ معرَّبة.

٧٥٨ ـ وقال آخر[٢]: [الطويل]

١ ـ أَكُفُّ يَدِي عَنْ أن يَنَالَ التماسُها   أَكُفَّ صِحَابي حِينَ حاجتُنا مَعا[٣]

٢ ـ أَبِيتُ هَضِيمَ الكَشْحِ مُضطَمِرَ الحَشَا   مِنَ الجُوعِ أَخْشَى الذَّمَّ أن أَتَضَلَّعا

يقول: إذا اجتمعت مع أصحابي على طعامٍ لم تُزاحم كَفي أكفَّهم، بل آثَرْتُهم بما يروقُ من الزَّاد فقَبِلتْه العين، واصطفاه القَصْد، وانقبضْتُ ليستأثِروا به دوني إذا كانت حاجتُنا متوافقة، وأيدي الآكلين متوارِدة؛ وأَبْقَى ليلتي صغيرَ البطن، ضامرَ الجَنْبِ، والزَّادُ ممكِن، والمُشتَهَى مُساعِدٌ، فلا أتضلَّعُ شِبَعًا خشيةً مِن ذَمّ يَلحق، أو عارٍ يَلزم. وقوله: «أنْ أتضلَّعا»، أي مخافةَ أن أتضلَّع. ويقولون: «هو الحِصْنُ أن يُرام» ويراد: هو الذي يحصَّن من أن يُرَامَ. قال لبيد: [الكامل]

وهُمُ العشيرةُ أَنْ يُبَطِّىء حاسِدٌ[٤]

أي تعاشَرُوا وتعاوَنُوا مخافةَ أن يبطِّئهم حاسد.

وحذْفُ حرفِ الجرّ يكثُر مع أن.

وقوله: «حين حاجتنا مَعًا» حاجتنا مبتدأ، ومَعًا سدَّ مسدَّ الخبر، وإن كان في موضع الحال، لأنَّ المصادر إذا ابتُدىء بها وقعت الأحوالُ أخبارًا لها، كقولك: ضَرْبي زيدًا قائمًا. وكذلك المضافُ إلى المصدر تقول: أكثر ضربي زيدًا قائمًا. وانتصب «حين» على الظرف وقد أُضِيف إلى الجملة بعدَه، والعامل فيه أكفُّ يدي.

---

(١) البيت للمخضع القيسي كما في حواشي الحماسية (٧٤٦)، وفي حماسة البحتري ٣٥٨ نسب للمخضع النبهاني.

(٢) التبريزي: «وقال:» أي حاتم. وهي في ديوانه ٦٨ (صادر).

(٣) في الديوان:

«أقصّرُ كفي أن تنال أكفَّهم   إذا نحن أهوينا، وحاجاتنا معاً»

(٤) البيت الأخير من معلَّقته وعجزه:

«أو أن يميل مع العدو لئامها»

٣ ـ وإني لأستَحْيِي رَفيقِيَ أنْ يَرَى مَكانَ يَدِي مِنْ جانِبِ الزّادِ أَقْرَعَا
٤ ـ وإنك مهما تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

وصَفَ حُسْنَ أدبِه في مُواكلة رفيقِه ولَفِّه، وأنَّه لا يستأثر بما يُعجِبُ من الزّاد، ولا تَظهَر منه نَهْمة وحِرْصٌ، بل يستحْيِي من أن يُرَى ما يَلِي يدَه من الزّاد خاليَ المكان. وليسَ لأحدٍ أنْ يقول إنَّ انقباضَه يؤدِّي إلى انقباضِ أكيله، وذلك مذموم، وإنما المحمود أن يَنبسِط في الأكل ويَبسُط مِن أكيله وذلك أنّه قد بيَّنَ الغرضَ في البيت الذي بعدَه، لأنّه قال:

وإنَّكَ مهما تُعطِ بطنَك سُؤلَه وفَرْجَك نالا مُنتهى الذمّ...

فبيَّن أنَّ إبقاءَه جانبَه من الزّاد مشغولًا ليس مع حاجةٍ إليه، ولا عن إمساكٍ يؤدِّي إلى ما ذكرتُه، فيصيرُ ذَلك سببًا في انقباضِ مَنْ يُوَاكله، وإنما يُريد ما يجرِي به عادةُ النّاس من إظهار الشَّرَهِ والذَّهاب فيه إلى حَدِّ السَّرَف، حتّى يمدّ يدَه إلى ما يَلِي غيرَهُ، ويتخطّى أيدِيَ الناس، وهذا ظاهر. وموضع «أجمع» من الإعراب جَرٌّ على أن يكون تأكيدًا للذّمّ، وهو إلى التّأكيد أحوجُ من قوله: «منتهى»، لأنّه متناولٌ للجنْس والعُموم، وما يفيده في الجِنْس أولى. وقوله: «نالَا منتهى الذّمّ»، كأن الأجود أن يأتي المضارعُ في جواب الشّرط، وقد حصل مضارعًا وظهرت الجزميّةُ فيه، لكنّه أتى به ماضيًا للضرورة.

وقد ألَمّ بهذه الطَّريقة المُرَقِّشُ فقال في الغَزَل: [الطويل]

وإني لأستَحيِي فُطَيْمَةَ جائعًا خميصًا وأَستحيِي فُطَيمةَ طاعِما
وإني لأستحييكِ والخَرْقُ بيننا مخافة أن تَلْقَيْ أخًا ليَ لائما

ألا ترى أنه أجملَ ما فصّله هذا الشاعر في قوله: أستحيي طاعمًا، وجائعًا. هذا مع البُعْد بينه وبين صاحبته. ويجوز أن يريد بقوله: «مكانَ يَدِي من جانب الزاد أقرعا»، أنه يكثِّر الزادَ حتى يَسَعَه وجماعتَهم ويَفضُلَ أيضًا، والأوّل أحسن. وأصل القَرَع ذَهاب شَعَر الرأسِ من داءِ. وحُكِيَ أنه قَلّ نَعامةٌ تُسِنُّ إلا قَرِعَت؛ لذلك قيل: نَعامٌ قُرْعٌ. والسُّول يجوز أن يكون من سِلْتُ أَسَالُ، لغة هذيلٍ في سأل. ويجوز أن يكون ليَّن عمزتَه وأصله الهمزة. ويجوز أن يكون من سوَّلتْ له نفسه كذا، إذا زَيَّنت له. وسَوَّل له الشيطان كذا، إذا أَرْخَى حبلَه فيه وفي القرآن: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ [محمّد: الآية ٢٥].

وقال الهذليُّ: [السريع]

سَحٌّ نَجَاءِ الحَمَلِ الأَسْوَلِ(١)

فوصَفَ السَّحابَ بالسَّوَل لتدلِّيه واسترخائه، لكثرة مائه.

٧٥٩ ـ وقال آخر(٢): [الطويل]

١ ـ أمَا والذي لا يَعلَمُ السِّرَّ غيرُهُ ... ويُحيي العِظامَ البِيضَ وهيَ رَمِيمُ

٢ ـ لقد كنتُ أختارُ القِرَى طاوِيَ الحَشَا ... مُحافَظةً من أن يُقالَ لَئِيمُ

٣ ـ وإني لأستَحيي يَميني وبَينَها ... وبَينَ فَمِي داجي الظَّلَامِ بَهيمُ

أقسَمَ بالله تعالى المطَّلِع على الضمائر، العالِم بخفيَّات الأمور، والمحيي للأمواتِ بعد أن رَمَّت عظامُها وبَليَتْ يومَ النُّشور، بأنه يختارُ إطْعامَ الضَّيف وإيثارَه بالزادِ وهو محتاجٌ إليه قد اضطَمَرَ حشاهُ من الجوع، لئلّا يُنسَبَ إلى اللُّؤم، وليُحافِظَ على الشَّرَف القديم. ويروى: «لقد كنتُ أختارُ الخَوَى». والخَوَى: خَلاء الجَوْف من الطعام، وخَلاء الدار من السُّكّان. فأمَّا مَن روى: «أختارُ القِرَى» فمعناه ظاهر، يريد أختار إقامةَ القِرَى، فحذف المضاف. وبعضُهم رواه: «لقد كنتُ أختارِ القَوَى» وزعَمَ أنه مقصورٌ من القَوَاءِ؛ وليس بشيءٍ.

وقوله: «وإني لأستحيي يميني وبينها وبين فَمي داجي الظلام»، فقد زادَ فيه على ما تقدَّم في المقطوعة قبلَه، لأنه ذكر أنه يستحيي من نفسِه ويَدِه وهو لا ثانيَ له، في الليلة الظلماء، وإنما يريد تعوُّدَه ما يُستحسَنُ في الأكل، ويُختار في الإطعام، فإذا تفَرَّدَ جرى على عادته إذا تجمَّع. وانتصب «محافظةً» على أنه مفعول له. و«طاوي الحشا»، انتصبَ على الحال، ويجوز أن يريد إن لم يَرَني الضيفُ فيما آتيهِ عند الأكل للظَّلام الشامل، ولم يَبْنِ له ما أَترُك، فإني أستحيي من يَدي فلا أحتَجِنُ ولا أستأثر. والأوَّل أحسن. والبَهِيم: المُظلِم، وأصله الذي لا شِيَةَ فيه ولا وَضَح، أيَّ لونٍ كان، وأراد به هنا تأكيد السَّواد، لأنَّ قوله: «داجي الظَّلام» أفاد الإظلام.

---

(١) للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٥٨، واللسان (حمل، سحل، سول، جنن)، وللهذلي في جمهرة اللغة ٥٦٦، ومقاييس اللغة ٢: ١٠٨، وصدره:

«كالسحل البيض جلا لونها»

(٢) التبريزي: «وقال أيضًا» أي حاتم، والأبيات في ديوانه ٨٦.

٧٦٠ ـ وقال رجل من آل حَرْب[1]: [البسيط]

١ ـ باتَتْ تَلُومُ وتَلْحَاني عَلَى خُلُقٍ عُوِّدْتُه عادةً والجُودُ تعويدُ
٢ ـ قالت أَراكَ بما أنفقْتَ ذا سَرَفٍ فيما فَعَلْتَ فهَلَّا فيك تَصْرِيدُ
٣ ـ قلتُ اتركيني أَبِعْ مالي بمَكْرُمَةٍ يَبْقَى ثنائي بها ما أَوْرَقَ العُودُ
٤ ـ إنَّا إذا ما أَتَينَا أمرَ مكْرُمَةٍ قالت لنا أنفُسٌ حَرْبِيَّةٌ عُودُوا

يقول: بَقِيَتْ هذه المرأةُ ليلتَها تَعتِب عليّ وتذمُّني في عادةٍ نشأت عليها، وخَليقةٍ تخلَّقْتُ بها، والجودُ عادةٌ وإلْفٌ. وقوله: «والجود تعويدُ» اعتراض دخَلَ في أثناء الحكاية عنها، فقالت لي: أراكَ تُسرِفُ في الإنفاقِ، وتَجْرِي إلى ما لا يقوم له مالُك في التقدير، ولا يَفِي به وُجدُكَ عند التحصيل، فهلّا فطمْتَ نفسَك عنها، وجَرَيْتَ على سَنَنٍ يُساعِدُكَ عليه حالُك، ولا تَعجِزُ عنه مقدرتك. والأصل في التَّصريد تقليل الشُّرب. يقال: سَقاه سَقْيةً مُصَرَّدَةً.

وقوله: «قلتُ اتركيني»، أي أجبتُها بأنْ خلِّيني وابتياعَ المكارم بمالي، ليَبقى ثَناءُ الناس على أبدًا بها، ومُدَّةَ إيراقِ الشَّجَر. فما أورق العودُ، في موضع الظَّرف. وقوله: «ثنائي بها» أضاف المصدرَ إلى المفعول، والمراد ثناءُ الناس عليّ. وقال: «أَبِعْ مالي»، والمال ثمن المَبيعات، لأنّ المتبايِعَين كلٌّ منهما يبيع ويشتري.

وقوله: «إنَّا إذا ما أتينا أمر مكرُمة»، يقول: من شأننا أن لا نرضى في ابتناء المكارمِ، وإسداءِ المعروف والصَّنائع بالإيحادِ فيها، والاكتفاء بالوِتْر عند فِعْلها، ولكنَّا نشفع ونعاود، ونُتبِع الأكْرُومة بأُختها فنُطابِق.

وقوله: «عوِّدتُه عادةً» انتصب «عادةً» على المصدر، لأنها وُضِعت موضع التعويد، كما يوضع الطاعة موضع الإطاعة، يدُلُّ على أنّ ذلك هو المراد قوله: «والجود تعويد». ويقال: تعوَّدتُ كذا واعتدتُه واستعدتُه وأعَدتُه بمعنًى، وفعحْلٌ مُعِيدٌ ومعاوِدٌ، أي معتاد للضِّراب، وإنما قال: «أنفسٌ حربيّة» تبجُّحًا بأسلافه، وإظهارًا بأنّ مَن كان منهم لا يأتِي عِرْقُه ونَجْرُه إلّا الكَرَم.

(١) التبريزي: «ذكر المدائني أن السفّاح أمر بقتل رجل من بني أمية فتبعته امرأته وابنه الصغير، فجعل يفرّق أمواله وامرأته تقول: ولدك ولدك، فقال هذه الأبيات».

٧٦١ ـ وقال أبو كَذراءَ العِجْليُّ[١]: [البسيط]

١ ـ يـا أمَّ كَـذْرَاءَ مَـهْـلًا لا تَـلُومِـيـنِـي إنِّـي كَـرِيـمٌ وإنَّ الـلَّـوْمَ يُـؤْذِيـنـي
٢ ـ فـإنْ بَـخِـلْـتُ فـإنَّ الـبُـخْـلَ مـشْـتَـرَكٌ وإن أَجُـدْ أُعْـطِ عَـفْـوًا غـيـرَ مَـمْـنـونِ

يخاطب امرأته وقد تضجَّرَ بملامتِها ولَذْعةِ إنكارِها وعتابِها، فيقول: رِفْقًا فيما تَسلُكينه، وكفًّا عما أُولِعْتِ به، فإنِّي نشأتُ على الكَرَمِ فَلوْمُك يُؤْذيني ولا يُغني عنكِ شيئًا؛ لأنِّي لا أقابلُه بالقَبول، وقد يؤدِّي الإفراطُ في القول إلى الزِّيادة في الوَلُوع، ولأنِّي إن بَخِلْتُ فالمبخولُ به مشتَرَكٌ بيني وبين ورثتي، وإنْ أَجُدْ أُعْطِ مالي عَفْوًا، أي تَسمَحُ نفسي به فلا أكون مجهودًا، ولا أمتَنُّ على مَن يأخذُه، لأنِّي أَقضِي بالبَذْلِ لذَّةً ومأرَبةً، وأُمضِي هَوًى لي في مَصارفي ومُنْيَةً، مُسْتَخْلَصًا من شِرْكة غيري، ومُقتَسَمًا في وجوه إرادتي وبَذْلي.

وقوله: «فإنَّ البُخْل مشتَرَكٌ» إنْ شئت جعلته على حذف المضاف، ويكون المراد: فإنَّ ذا البخل. وإنْ شئتَ جعلته المفعولَ، كما يقال: الخَلْقُ والمراد المخلوق، ودِرهمٌ ضربٌ والمراد مضروب.

والممنون يجوز أن يكون من المَنّ، وهو القطع، أي أُدِيمُ ذلك إدامةَ مَنْ يتصرَّف في مِلْكه لا من يتصرَّف في مُشتَرَكه. ويجوز أن يكون من المَنِّ والأذَى. وقال بعضهم: أراد بقوله إنّ البخلَ مشتَرَك، أنَّ الناس أكثرُهم بُخَّال، فيكونُ لي شركاء. وهذا كلامُ معتذِرٍ من البخلِ لا كلامُ ذَامٍّ له. ومع ذلك فعَجُز البيت يَبْعُد عنه ولا يلائمه، وقد أبانَ عمَّا ذكرتُه فيما يليه، لأنَّه قال:

٣ ـ لَيـسَـتْ بـبـاكـيـةٍ إبـلـي إذا فَـقَـدَتْ صَوْتي ولا وارِثي في الحَيِّ يَبْكِيني
٤ ـ بَـنَـى الـبُـنَـاةُ لَـنَـا مَـجْـدًا ومَـكْـرُمَـةً لا كـالـبِـنـاءِ مـن الآجُـرِّ والـطِّـيـنِ

يقول: إنِّي لا أُبقِي على إبلي ولا أُبقِّي منها ما يَفْضُلُ عن إفضالي، فإذا متُّ عنها وفَقدَتْ صوتي في زَجْرِها والأمرِ بتفريقها، فإنَّها لا تَبكيني؛ وكذا وارِثي لا يحصِّل شيئًا من إرْثي فلا تراهُ يندُبني. ثم قال: إنَّ أسلافي بَنَوا لي مَجْدًا وكَرَمًا، فأحتاجُ أن أقتَدِيَ بهم وأَعمُرَ خِطَطهم، وإنْ لم يكنْ كالبِناء المبنيِّ من الطِّين والآجرّ، لأنَّ المكارم تَسترِمُّ فتدعو إلى تفقُّدها، بخلاف ما تُتفقَّد به المصانعُ إذا استَرَمَّت.

---

(١) أبو كدراء: هو زيد بن ظالم، أحد بني مالك بن ربيعة بن لجيم (المؤتلف للآمدي ١٧١).

٧٦٢ ـ وقال عُتْبَةُ بن بُجَير[١]: [الطويل]

١ ـ لِحَافِي لِحافُ الضَّيفِ والبَيتُ بَيْتُهُ ... ولم يُلْهِنِي عَنهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ

٢ ـ أُحَدِّثُه إنَّ الحَدِيثَ مِنَ القِرَى ... وتَعْلَمُ نَفْسِي أنَّه سَوفَ يَهْجَعُ[٢]

يقول: إذا نَزَل الضَّيف بي فإنِّي أُوثِرُه بأشرفِ مكانٍ من بيتي، وأعزِّ فِراشٍ لي، ولم يَشغَلْني عنه لا الأهلُ ولا الولد، فأخدُمُه وأؤنِسُه، وأبسُطُ منه وأخرِّفه، وكلُّ ذلك من شَرْط القِرَى وإنْ لم يكن طعامًا؛ ومع ذلك تعلمُ نفسي وقتَ هُجوعِهِ فلا أُمِلُّه ولا أُتعِبه، ولا أَشغلُه عن راحتِه ولا أُضجِرُه.

فإن قيل: كيف تَحمَّدَ بقوله: «أحدِّثه إنَّ الحديثَ من القِرى»، وقد قال غيره في إنزال الضيف: «ولم أقعُدْ إليه أسائلُه»؟ قلتَ: ليس قوله أحدِّثُه ممَّا انتفى منه ذاكَ في قوله: ولم أقعُدْ إليه أسائله؛ لأن ذاك أشار إلى ابتداء النزول، وذلك وقتُ الاشتغال بالاحتفال له أَوْلَى. وهذا يريد أنَّه يحدِّثه بعد الإطعام، كأنَّه يسامرُه حتَّى تطيبَ نفسُه، فإذا رآه يَميلُ إلى النَّوم يخلِّيه.

قال الأصمعيّ: من سنَّة العرب أنَّ الغريب منهم إذا نَزَل فصادفَ هَشاشة وفكاهةً أيقَنَ بالتكرُّم وحُسْنِ التَّفقّد، وإن رأى إعراضًا والتواءً عَرَفَ ابتذالًا وحِرْمانًا. فلذلك قال: «إنَّ الحديث من القِرَى».

٧٦٣ ـ وقال عَمرو بن أَحْمَرَ الباهِليّ[٣]: [الطويل]

١ ـ ودُهْمٍ تُصَادِيهَا الوَلائِدُ جِلَّةٍ ... إذا جَهِلَتْ أجْوافُها لم تَحَلَّمِ

٢ ـ تَرَى كُلَّ هِرْجَابٍ لَجُوجٍ لِهَمَّةٍ ... زَفُوفٍ بِشِلْوِ النَّابِ هَوْجاءَ عَيلَمِ

أراد بالدُّهم قُدورًا سُودًا. ومعنى «تُصادِيها» تداريها وتُمارسُها في النَّصْب والإنزال وإعدادِ الآلات لها. والولائد: الجواري. والجِلَّةُ: الكِبار العظام. وقوله: «إذا جَهِلتْ أجوافُها»، يريد إذا غَلَتْ وأرزَمَتْ. فعَدَّ ذلك جهلًا منها. وقال:

---

(١) التبريزي: «وقيل: إنه لمسكين الدارمي».

(٢) هذا البيت لعروة بن الورد في ديوانه (١٠١)، واللسان (بصص).

(٣) عمرو بن أحمر بن العَمَرَّد الباهلي، أبو الخطاب: شاعر مخضرم، كان من شعراء الجاهلية وأسلم، غزا مغازي في الروم، وأصيبت إحدى عينيه. عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الإسلاميين (ت نحو ٦٥ هـ/ نحو ٦٨٥ م). ترجمته في: الإصابة ٦٤٦٨، والمرزباني ٢١٤، والأغاني ٨: ٢٣٤.

«أجوافُها» جَمْعًا على ما حَوْلَه. وقوله: «لم تَحلَّم» أراد لم تَسْكُن بالهُوَينى لعظَمها.

وقوله: «تَرَى كلَّ هِرْجَابٍ»، فالهِرْجاب: الضَّخم الثقيل. واللَّجوج هي التي إذا استَعَرت النّارُ تحتها لَجّت. واللُّهَمَّةُ: الكبيرة التي تلتهم الأوصالَ الموفَّرة، والأعضاء المورَّبة. وقوله: «زَفوف بشِلْو النّاب» أي لسعَتها ترمي جوانبُها بأشلاء النَّاب وتَزِفُّ بها. والزَّفيف: ضَربٌ من السَّير. والهَوْجاء: التي كأنَّ بها هَوَجًا وجُنونًا. والعَيْلم: الواسعةُ الكثيرة الأخْذ من المَرَق، كالعَيْلَم من الآبار.

٣ ـ لَهَا لَغَطٌ جِنْحَ الظَّلامِ كأنَّها ... عَجارِفُ غَيْثٍ رَائحٍ مُتَهَزِّمِ[1]

٤ ـ إذا رَكَدتْ حَولَ البُيوت كأنَّما ... تَرَى الآلَ يَجْرِي عن قَنابِلَ صُيَّمِ

اللَّغَط: الصَّوت، يعني هِزَّتَها في الغليان. وانتصب «جِنْحَ الظَّلام» على الظَّرف، يريد أنَّها تَغلِي إذا جنَحَ الظَّلامُ بالعشيّ، وذاك وقتُ الضيافة، وكأنَّ لغَطَه صوتُ رعدٍ من غَيْثٍ ذي تَعجرُفٍ. والعَجَارف: شِدَّةُ وقوع المطَرِ وتتابعه، يريد أنّه هبَّت الرِّيحُ فيه وصار له هَزْمَةٌ أي صوت. شَبَّهَ صوتَ القِدْرِ في غَلَيانها بصوت الرّعد من سَحَابٍ هكذا.

وقوله: «إذا ركَدَتْ حول البيوت» رجع إلى صفة القُدور كلِّها، فيقول: إذا نُصِبت فثَبتَتْ على الأثافيّ حولَ البيوت وقد أُشبِعَت وحُفِّلت باللُّحوم والدُّسوم، تراها تَبرُقُ إهالتُها، وتتلألأ تلألُؤَ الآلِ، وقد جَرَى على مُتُون خُيولٍ واقفةٍ، فساعَدَه بريقُ السِّلاح. والقنابل: الجماعاتُ من الخيل، واحدها قنبلة. والصُيَّم: جمع صائم، وهو القائم. والصَّوْم قيامٌ بلا عَمَل. وصام الفرسُ على المِعْلَف، إذا لم يَعتلِف.

٧٦٤ ـ وقال المرَّارُ الفقعَسِيُّ[2]: [الطويل]

١ ـ آلَيْتُ لا أُخفِي إذا اللَّيلُ جَنَّنِي ... سَنَا النَّارِ عن سَارٍ ولا مُتَنوِّرِ

٢ ـ فيا مُوقِدَيْ نَارِي ارْفَعَاها لعلَّها ... تُضِيءُ لِسَارٍ آخِرَ اللَّيل مُقْتِرِ

يقول: أخذتُ على نفسي مُوليًا ومُقسِمًا، أنّي لا أُخفِي إذا اللَّيلُ سَتَرَني بظلامِه ضوءَ نارِي عن سارٍ يَبغِي مبيتًا، ولا ناظرٍ إلى نارٍ ليهتدي بها.

(١) التبريزي: «كأنه».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٦٦).

ثمَّ تَرَكَ الإخبارَ عن نفسه، وأقبَلَ يخاطب موقِدَيْ ناره فقال ارفعاها، أي اجْعلاها في يَفَاعٍ ومَكانٍ مُشْرِف، فعسى أن تُضيءَ لِسَارٍ مُرْمِلٍ فقيرٍ في آخر اللَّيل، وقد كابَدَ ما كابَدَ من أوّله، فخَلَص إلينا، واهتدى بنارنا. والمتنوِّر: النَّاظر إلى النَّار. وإنما قال: «فيا موقِدَيْ ناري» على عادتِهم في جَعْلِ مُزَاوِلِي الأمور اثنَيْن اثنين. على ذلك قولُ الآخَرَ: [الطويل]

تَــرَى جَــازِرَيْــه يُــرْعَــدَانِ[١]

وكما قالوا في الحَلَب البائن والمُستَعلِي، وفي الاستقاء القابل والمُستَقِي.

و«لعلّ» يعد معَ أفعال المقارَبة وإنْ كان حرفًا. والمُقْتِرُ: الفقير. ويقال: قَتَر وأقْتر بمعنى. وقد يُجعَل المُقْتِر نقيضَ المكثر.

٣ ـ ومــاذَا عــلـيـنــا أن يُــواجِـهَ نــارَنــا ... كَـريـمُ الـمُـحَـيَّـا شاحِبُ الـمُـتَـحَسَّرِ
٤ ـ إذا قــالَ مَــنْ أنــتـم لِيَـعْـرِفَ أَهْـلَـهـا ... رَفَـعْـتُ لـه بـاسـمـي ولـم أَتـنـكَّـرِ
٥ ـ فـبِـتْـنـا بـخَـيْـرٍ مِـنْ كـرَامـةِ ضَـيْـفِـنـا ... وبِـتْـنـا نُـهَـدِّي طُـعْـمَـةً غـيـرَ مَـيْـسِـرِ[٢]

قوله: «وماذا علينا»، أي أيُّ ضررٍ يلحقُنا في أن يَتوجَّه إلى نارِنا رجلٌ كريمُ الوجه، هزيلُ المعرَّى، قد ظهَرَ أثرُ الضُّرّ على متحسَّرِهِ، أي حيث يتحسَّرُ الثَّوب عنه، كالوجه وسائرِ ما لا يغطِّيه. وقوله: «كريم المحيّا» ضدّ قولهم: لئيم المَقَذِّ، لأنّ المحيّا هو الوجه، فأضيف الكرمُ إليه. والمَقَذُّ: منتهى الشَّعَرِ من القَفا، فأضيف اللؤم إليه، وقد قيل: حُرُّ الوجه، وعَبد المَقَذِّ، وعَبْدُ القفا.

وقوله: «إذا قال من أنتم»، يريد أنَّه يتعرَّف لينظرَ هل على النَّار من يَكْرُم قِراه ويطيبُ النُّزولُ عليه. وقوله: «رفعتُ له باسمِي» جوابُ إذا، أي عَرَّفته اسمي إذا سَأَل، ولم أُلبِسْ نَفْسِي خُمولًا، ثِقَةً بأنّه يَرْضَاني لنزوله، ولأنّهم كانوا يَرُوزون المستضافَ بالكلام، لينظُروا ماذا يكون منه من استهلالٍ واهتزاز، أو ازورارٍ وانقباض.

---

(١) لزينب بنت الطثرية في اللسان (عدمل)، وتاج العروس (صمل)، وللعجير السلولي في اللسان (صمل). وتمامه:

«تــرى جــازريــه يُــرعــدانِ ونــارُه ... عليها عداميل والهشيمِ وصامِلُه»

(٢) التبريزي: «نهدي طُعْمَهُ».

وقوله: «فبِتْنا بخيرٍ من كرامةِ ضَيْفِنا»، يريد: احتفَلْنا لضيفِنا فشرِكْناه في الخَير المعدِّ له، وبقِينَا ليلتَنا نُهدِّي إلى الجيران مِن فَواضل الطّعامِ والزّادِ عنّا وعن ضيفنا، وذلك «غير مَيْسِرِ»، أي لم يكن مما ضُرِبَ عليه بالقِداح وتياسَرْناه أي اقتسمناه، بل كانَ مما نَجْشَم للضّيف لا يَشرَكنا أحدٌ فيه.

٧٦٥ ـ وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ[١]: [الطويل]

١ ـ أَرَى أُمَّ حَسَّانَ الغَدَاةَ تَلُومُني ... تُخَوِّفني الأعداءَ والنَّفسُ أَخْوَفُ[٢]

٢ ـ لَعَلَّ الذي خَوَّفتِنَا مِنْ أَمَامِنا ... يُصادِفُه في أهله المتخلِّفُ

يقول: لمَّا هممتُ بالسَّفَر وجعلتُه منِّي ببالٍ اعترضَتْ هذه المرأةُ عليَّ وأقبلَتْ تلومُني وتحذِّرني الأعداءَ في الوجه الذي أردت تيمِيمَه، ونَفْسي أشدُّ خوفًا لأنها حسّاسةٌ حذِرَة، لكنّي تجلَّدتُ لها وأجَبْتُها بأنَّ الذي أنذَرْتِناهُ من قُدّامنا، والسَّمْتِ الذي هو نِيَّتُنا وطِيَّتنا، لعلّه يَلْقاه المتخلِّفُ عن السَّعْيِ في طلَب الرِّزق المقيمُ في أهلِه راضيًا بأدْوَنِ العَيش؛ لأنَّ الحَذَر لا يُغنِي عن القَدَر، وقد يُؤتَى الإنسانُ من ناحية أَمْنِه، ويصادف فيه ما لا يصادفه الخائفُ من ناحية خوفه. وقوله: «خَوَّفتِنا» حذفَ الضميرَ العائد إلى الذي منه، استطالةً للاسم بصِلَته. وقوله: «مِن أمامِنا»، يريد من حيث نأتمُّه، والوجهِ الذي نتوجَّه إليه، وذلك قُدَّامَه لا شكَّ. وموضع «يصادفه» رفعٌ على أن يكون خبرَ لعلّ، و«في أهله» تَعَلّق الجارُّ منه بفعلٍ مضمر، وموضعُه نصبٌ على الحال، أي يصادفه المتخلِّف مقيمًا في أهله ومستقِرًّا.

٣ ـ إذا قُلْتُ قد جاءَ الغِنَى حال دُونَه ... أَبو صِبْيَةٍ يَشكُو المفَاقِرَ أَعْجَفُ

٤ ـ لَهُ خَلَّةٌ لا يَدخُلُ الحَقُّ دُونها ... كَرِيمٌ أصابَتْهُ حَوادثُ تَجْرُفُ

يقول: إذا اتَّفق لي في مقصَدٍ من مقاصدِي ما أُقَدِّر فيه حصولَ الغنى وجوازَ الاعتماد عليه في مَبَاغي الدُّنيا، ووعَدْتُ نفسي له ومن أجله بالاكتفاء عِندَ الفِكْر في مُؤَن العِيال، حالَ بيني وبينه اجتداءُ صاحبِ عَيْلَةٍ، ووالدِ صِبْيةٍ، ظاهرِ الفقر، سيِّءِ الحال، يشكو زمانَه وتأثيرَ الضُّرّ فيه، وعليه مما يتألَّم منه شواهدُ تمنع دخول حقٍّ دون خَلَّتِه، وتأبى أن يقالَ في شيءٍ من المفاقِرِ هو أولَى منه. فكأنّه يعني بالحقِّ نسيبًا

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (١٤٥).
(٢) أم حسّان: هي زوجته وكانت تخوّفه وتنهاه عن الغزو.

أو جارًا أو متحرِّمًا بحُرمة، لأنَّه متى قُوبِلَ حالُه بحالِ مَن ذكَرَه لم يوجِبْ تقديمه عليه، ولم يستحقَّ العدولَ عنهُ إليه. هذا من طريق الوُجوب له، ثمَّ هو في نفسِه يرجِعُ إلى كرم ومُروءة، ويَسْتَظهِرُ بعُنوانِ نَعْمَةٍ وتُرْفَةٍ، وقد نابته نوائبُ تجرُف المال، أي تُتْوِيهِ جملةً لا تُزِيلُه شيئًا بعدَ شيءٍ، كما يُكالُ الشّيء، أو يُوزَن، فعهدُه به قريب، والتَّوفُّر عليه متعيِّنٌ مفروض. فإذا التزَمْتُ له واجبَه، وآثرتُه بصَرْفِ ما في يدي إليه، عُدتُ محتاجًا كما كنتُ، وساعيًا في الطَّلَب كما ابتدأت. وقوله: «كريم» من صفة أبو صِبْيَةٍ، وقد تابَعَ بينَ صفاتٍ من مُفردٍ وجملة.

٧٦٦ ـ وقال يَزِيدُ بن الطَّثْرِيَّةِ[1]: [الطويل]

١ ـ إذَا أَرْسَلُونِي عِنْدَ تَقْدِيرِ حَاجَةٍ أُمارِسُ فيها كُنتُ عينَ المُمَارِسِ[2]

٢ ـ ونَفْعِي نَفْعُ المُوسِرِينَ وإنما سَوَامِي سَوَامُ المقْتِرِينَ المَفَالِسِ

يقول: إذا أرسلَني عشيرتي في مُهِمّ لهم يُقدِّرون ارتفاعَه بي وبسَعيِي، ويؤمّلون انتفاعَهم به عند اجتهادي، فاعتَمَدُوا مُزاوَلَتي، ووَثِقوا بالنَّجاح لدى ممارستي، كنتُ فيه حقَّ الممارِس، لا أضجِّع فيه ولا أفرِّط ولا أقصِّر، بل زِدتُ على ظَنِّهم بي، وتجاوَزْتُ الغايةَ التي يَقِفون فيها من رجائي، فنَفْعِي نَفْعُ المكْثِرِينَ وإن كان مالِي الراعيةُ مالَ المُفلسين المُقترين. وقوله: «المَفَالس»، الإفلاس: لفظةٌ عربيّة وإن كَثُر التَّداولُ لها في أَلسِنَة العامّة. وكان الأصلُ في أفلَسَ الرّجلُ أن يصيرَ صاحب فُلوسٍ بعد أنْ كان صاحبَ أموال. وتَفْليس الحاكم معروف، وهو من هذا، كأنّه ينسُبُه إلى ذلك، فهو كالتَّعديل والتَّنسيق. والسَّوَام من قولهم: سامَتِ الماشيةُ تسوم، وهي سائمة. والمِرَاس: مُزاوَلَة الشَّيء، ويقال: مَرِس الحبلُ، إذا نَشِب في البَكْرة عند الاستقاء. ويقال لمن يردُّه إلى موضعه أمرَسَ فهو مُمْرِس. على ذلك قولُه: [الرجز]

بئس مَقَامُ الشَّيخِ أَمْرِسْ أَمْرِسِ[3]

ثمَّ يقال في الصَّبور على طلَب الشَّيء القويّ: هو مَرِسٌ، وشديدُ الممارَسةِ والمِرَاس. وقوله: «أمارس فيها» في موضع الجرّ على أن يكون وصفًا لحاجَة.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٥٤١). (٢) التبريزي: «كنت نعمَ الممارسُ».

(٣) بلا نسبة في إصلاح المنطق ٨٢، والدرر ٥: ٢١٩، ومجالس ثعلب ١: ٢٥٦، وديوان الأدب ٢: ٣٠٤، واللسان (مقس، مرس)، وبعده:

«إما على قعو وإما اقعنس»

٧٦٧ ـ وقال سالم بن قُحْفَانَ[١]، وقد عاتبَتْه امرأتُه: [الطويل]

١ ـ لقَدْ بَكَرَتْ أمُّ الوَلِيدِ تَلُومُنِي ... ولم أَجْتَرِمْ جُرْمًا فَقُلْتُ لها مَهْلا

٢ ـ فلا تُحْرِقِيني بالمَلَامَةِ واجْعَلِي ... لكلِّ بعيرٍ جاءَ طالبُه حَبْلا[٢]

٣ ـ فلَمْ أَرَ مِثْلَ الإبْلِ مالًا لمُقْتَنٍ ... ولا مِثْلَ أيَّامِ العَطاءِ لها سُبْلَا[٣]

يقول: ابتكرت هذه المرأةُ لائمةً لي وعاتبةً عليَّ من غير جنايةٍ جنَيْتُها واكتسبتها، ولا جريمةٍ اجترمْتُها وقَدَّمْتُها، فقلت لها: رِفْقًا في قولِكِ لا خُرْقا، وصبرًا على مضَضِك واقتصادًا؛ ولا تُحرقيني بنارِ عَتْبِك، وسُلْطانِ غَيظِك، ولكن اتَّبِعِي مُرَادي، واهتَدِي بهَدْيِي، واثقةً بأنَّ الصَّوابَ في فعلي وقَولي، وجوامعَ الخير مقرونةٌ بعَفْوِي وجَهدِي، واجعَلِي لكلِّ بعيرٍ نَصَصتُ عليه لسائلٍ حبلًا، ليقتادَه به، مشارَكَةً لي في الكرمِ وابتغاءِ الصَّلاح، وموافَقةً فيما أُوثِرُه من وجوه الاصطناع، لا يَظْهَرُ منكِ تكرُّه، ولا اشتطاطٌ وتَسَخُّط. واعلَمِي أني لم أر مالًا مثلَ الإبل لمن يَقْتنِي خيرًا، ويدَّخِرُ أجرًا، ولا مثلَ أوقات العَطاءِ سبيلًا لها ومَمَرًّا. ويجوز أن يريد بقوله: «مالًا لمُقْتَنٍ» أي لمن يجمع ما يقتنيه ويجعلُه الأصلَ في يساره وغناه. ويَعْدَ ذلك فتحويلُها إلى العُفاة برُمَّتها أعْوَدُ عليهم وأَرَدُّ، وأبقَى في حالِهم وأغنَى. والاقتناء: اتِّخاذ الشَّيء للنَّفس لا للبَيع. ويقال: هذه إبلٌ قُنْيَةٍ، وهذهِ مالٌ قُنيان، لِمَا يُتَّخذ للنَّسْل لا للتِّجارة. ويقال: قَنَا يَقْنُو، وقَنِي يَقْنَى، لغتان، ومن الثَّانية قولهم: أَقْنَى حياءَكِ. ومن الأولى قولُه: [الطويل]

كذلِكَ أقْنُو كلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ[٤]

٧٦٨ ـ فرمَت إليه امرأتُه بخِمارها وقالت: صيِّرْهُ حبلًا لبعضِها وأنشأَتْ تقول: [الطويل]

١ ـ حَلَفْتُ يمينًا يا ابنَ قُحفَانَ بالَّذي ... تكفَّلَ بالأرزاقِ في السَّهْلِ والجَبَلْ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٨٤). (٢) التبريزي: «جاء سائله حبلاً».

(٣) التبريزي: «مالًا لمُقترٍ».

(٤) للمتلمس في ديوانه ٦٥، واللسان (قنا)، وتاج العروس (كفر، قنا). وصدره:

«فألقيتُها في الثني من جنب كافرٍ»

٢ ـ تَـزَالُ حِـبَـالٌ مُـبْـرَمـاتٌ أُعِـدُّهـا لها ما مَشَى يومًا عَلَى خُفِّهِ جَمَلْ

٣ ـ فـأَعْـطِ ولا تَـبْـخَـلْ إذا جـاءَ سـائِـلٌ فَعِنْدِي لها عُقْلٌ وقد زاحَتِ العِلَلْ

يقول: أقسمتُ يمينًا بالله الذي تضمَّنَ الأرزاقَ لمرتزقِها، وفَطَر الخَلقَ الذي اخترعَهم في سَهْلِ الأرض وحَزْنها، لا تَزالُ من جهتي حِبالٌ مُستحصَدةٌ معدَّة لإبلِكَ التي صَرَفتَها في مصارفِ بَذْلِكَ مدَّةَ الدهر، اقتداءً بك، ودُخولًا تحتَ طاعتك. فالمتكفِّل بالأرزاق هو الله تعالى في أقطار الأرض، وقد وَثِقْنا بتفضُّله والتعيُّشِ من فضله.

وقولها: «تَزالُ» حذفَتْ حرفَ النَّفْي منه لأَمْنِها من الالتباس، وقد مرَّ القول فيه في غيرِ موضع.

وقولها: «فأَعْطِ» ترغيبٌ منها وتحضيض، أي توسَّعْ في البَذْل منها، ودَع البُخْلَ بها، فلا اعتراضَ عليك، ولا مُرادَّةَ معك، والعُقُل من جِهَتي معَدَّة، والعللُ معي مرتفعة. ويقال: أزَحْتُ العِلَّة في كذا فزاحَتْ، أي أزلتُها فزالت. وحكى الدُّريديُّ: زاح الشيءُ يَزِيحُ ويَزُوح زَيْحًا وزَيَحانًا، أي تحرَّكَ عن مكانه. وزُحْته فانزاح، وأزَحْتُه فزَاح، وهو مَزُوحٌ ومُزَاحٌ. وقولها: «ما مشَى يومًا» في موضع الظَّرف، والعامل فيه لا تزال حِبالٌ.

٧٦٩ ـ وقال الأقرع بن مُعاذٍ[١]: [البسيط]

١ ـ إنّ لـنـا صِـرْمـةً تُـلْفَـى مُـحَـبَّـسَـةً فـيـهـا مَـعـادٌ وفـي أربـابـهـا كَـرَمُ

٢ ـ نُـسَـلِّفُ الـجـارَ شِـرْبًـا وهـي حـائـمـةٌ ولا تَـبِـيـتُ عـلى أغـنـاقِـهـا قَـسَـمُ[٢]

٣ ـ ولا تُـسَـفِّهُ عِـنْـدَ الـحَـوْضِ عَـطْـشَـتُـها أَحْـلامَـنـا وشـريـب الـسَّـوْءِ يَـحـتَـدِمُ

الصِّرْمَةُ: القليل من المال، ويريد بالمحبَّسة أنّها مُناخَة بالفِناء لا تُسَامُ في المراعي. وقوله: «فيها مَعَاد» أي أنّها تحتمل ما تُحَمَّل من مُؤَن العُفَاةِ عَوْدًا على بَدْءٍ. وقوله: «في أربابها كرم» أي في مُلَّاكها سعَةُ صدرٍ وحُسْنُ صبرٍ على ما يعتريهم من حُقوق السُّؤَّال والمُجْتَدِين.

---

(١) الأقرع بن معاذ: اسمه الأشيم بن معاذ بن سنان بن عبد الله بن حزن. . . بن قشير، كان في أيام هشام بن عبد الملك (المرزباني ٣٨٠).

(٢) التبريزي: «تُسَلِّفُ»، و«ولا يبيت».

وقوله: «نسلِّفُ الجار شِرْبًا وهي حائمة» الحائمة: العِطاش؛ يقال: هو يَحُوم حولَ الماء، إذا دارَ حولَه. وهو حائم لائب، إذا اشتدَّ عطَشُه وحامَ حولَ الماء. فيقول: نقدِّم الجارَ على أنفسنا عند سَقْيِ الإبل وإن كانت إبلُنا عِطاشًا، كأنّا نَجعل الزيادةَ على نصيبِهِ كالسَّلَف عندَه. ويقال: أسلفتُ كذا وسَلَّفْتُ جميعًا.

وقوله: «ولا تبيتُ على أعناقها قَسَم» يعني الأيمان التي يؤكّد بها المعاذير والعِلَلُ عند المنع والبُخْل. فيقول: لا تبيت صِرْمَتُنا وقد لزِمَها كفّارةُ يمين احتجزْتُ بها عن البَذْلِ. ولك أن تروي: «تُسلِّفُ الجار» بالتاء، حتى يكون الإخبار في العَجْز والصَّدر عن الإبل، والحال لا تلتبس في أنّ ذلك كلّه لإربابها.

وقوله: «ولا تُسَفِّه عند الحوْض عَطْشَتُها»، أي لا تستخفُّ حاجتُها إلى الماء أحلامَنا فنَبْطِشَ بشُركائنا في الوِرْد، ونفعلَ ما يفعله المتعزِّز والمقتدر من الهَضِيمة في الشُّرب، لأنّ شَرِيبَ السَّوءِ هو الذي يتحفَّظ ويغضَب فيحتدم. والاحتدام: شدة الإحماء. قال الأعشى: [المتقارب]

وهـاجِـرَةٍ حَـرُّهـا مُـحْـتَـدِم[1]

٧٧٠ ـ وقال يزيد بن الجَهْم الهِلاليّ[2]: [الطويل]

١ ـ لـقـد أمَـرتْ بـالـبُـخْـلِ أُمُّ مُـحَـمَّـدِ فقلتُ لها حُثِّي على البُخْلِ أَحْمَدَا

٢ ـ فـإنِّـي امـرُؤٌ عَـوَّدْتُ نَـفْـسِـيَ عـادةً وكـلُّ امـرىءٍ جـارٍ عـلـى مـا تـعَـوَّدَا

يقول: أمرَتْني هذه المرأةُ بالإمساك عند البَذْل. والإبقاءِ على المال، فقلتُ لها حُثِّي على البُخْلِ وابعثي عليه إنسانًا أَحمَدَ لك وأرضى بوَعْظِك منِّي، فيكون أحمد مفعولًا، وقد نابت الصِّفة عن الموصوف. ويُروَى: «حُثِّي على الجُود أحْمَدا» ويكون قوله: «أحمد» منتصبًا بإضمار فعل، كأنه لما قال حُثِّي على الجود نوَى ائتي ما هو أحمدُ لك. وهذا كما يقال: وراءَك أوسَعَ لك، واتّقِ الله أعْوَدَ لك. وفي القرآن: ﴿انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النّساء: الآية ١٧١] ومَن روى: «حُثِّي على البُخل»، يجوز أن يكون أحمدُ اسمًا علَمًا لولدٍ لها أو قريبٍ منها، فقال: ابعثي ذلك على البُخل من

---

(١) للأعشى في ديوانه ٨٧، واللسان (حدم)، وكتاب العين ٣:١٨٨، وصدره:

«وإدلاجُ لـيـلٍ عـلـى غِـرَّةٍ»

(٢) التبريزي: «ويروى لحميد بن ثور»، والأبيات في معجم الأدباء ١١:١١ لحميد بن ثور أيضًا وهي في ديوانه ٧٦ (طبعة دار الكتب المصرية)، وفي اللسان (سقط) ليزيد بن الجهم.

دُوني، لأنّي لا أُصغِي إليك ولا ائتَمِرُ لك، فقد تعوّدتُ منذُ كنتُ عادةَ فَطْمِي عنها ومَنْعي منها يتعذَّر ويبعد، وكلُّ رجلٍ سيَجْرِي على عادتِه، وما هو من هِجِّيراه وسَمْتِه.

٣ ـ أَحِينَ بَدَا في الرَّأسِ شَيبٌ وأَقبَلَتْ إليَّ بنو غَيلَانَ مَثْنَى ومَوْحَدَا

٤ ـ رَجَوْتِ سِقَاطِي واعتِلَالِي ونَبْوَتِي ورَاءَكِ عَنِّي طَالِقًا وارْحَلِي غَدَا

ألف الاستفهام وإن كان المراد بها التوبيخ والتقريع، يَطْلُب الفعل وهو رجوت. فيقول: أرَجَوْتِ منّي بعد اشتعال الشَّيب في رأسي اتِّباعي لكِ، وقَبُولي منك، وبعدَ أن أَلِفَ الناسُ منّي طريقةً أجرِي عليها وقد أقبلتْ بنو غَيلانَ شُرَّعًا نَحوِي اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا، من طُرُقٍ مختلفة، ووُجوهٍ مفترِقة، وقد علَّقوا آمالهم بي، يكون منّي نُبُوٌّ عنهم، واعتلالٌ عليهم، وزَوالٌ عن السُّنَّة المعروفة فيهم ومعهم، إلى غيرِها. وقوله: «سِقاطِي»، يقال لمن لم يأتِ مَأْتَى الكِرام: هو يُسَاقِط. قال الشاعر: [الرمل]

كيفَ يَرجُونَ سِقاطي بَعْدَ ما جَلَّلَ الرَّأسَ مَشِيبٌ وَصَلَعْ[1]

والمعنى: كيفَ أَمَّلْتِ مُساقَطتي عن هذا الدَّأبِ مع اجتماع هذه الأحوال، ومَعَ تجربتي وكمالي، اذْهَبي عنّي بائنَةً منّي وارحَلِي غَدًا. وقوله: «وراءك» ظَرفٌ في الأصل، وقد جعله اسمًا للفِعل. والمراد: ابْعُدِي عنّي. وعطف عليه «وارحَلِي» وهو فعلٌ، وهذا يبيِّن قوّةَ الظروف إذا جُعِلَت أسماءً للأفعال، لأنه لولا ثَباتُها في النِّيابة عن الأفعال والاستغناءِ بها عنها، لَمَا جاز عطفُ الفعل عليها؛ وذلك أنَّ المعطوفَ والمعطوفَ عليه في حكم المثَنّى، والتَّثنية لا تَحسُن إلّا بين متوافِقَين، فكذلك العطف. ومَثْنَى ومَوْحَدُ مما عُدِل في النَّكِرة، فلا ينصرف في المعرفةِ والنَّكرةِ جميعًا، لكونِه معدولًا عن أسماء الأعداد وعن الإفراد إلى التكرير. و«طالقًا» انتصَبَ على الحال من قوله: «وراءَكِ عَنّي»، ولم يقل طالقةً لأنه أخرجَه مَخرج النَّسَب.

٧٧١ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ إنّي وإنْ لم يَنَلْ مالي مَدَى خُلُقِي فَيّاضُ ما مَلَكَتْ كَفّايَ مِنْ مالِ

---

(١) لسويد بن أبي كاهل في ديوانه ٣٢، واللسان (سقط)، ومقاييس اللغة ٣:٨٦، وشرح اختيارات المفضّل ٩٠٧.

٢ ـ لا أَحبِسُ المالَ إلّا رَيثَ أُتلِفُهُ ولَا تُغَيِّرُني حالٌ إلى حالِ

يقول: أنا وإن كان مالي لا يقوم بمُؤَني، وكان عاجزًا عن غايةِ خُلُقِي، وقاصرًا دونَ مدى بَذْلي وأفضالي، فإني أَصُبُّ ما تملكه يداي فيفِيض فيضًا لا أمنعُهُ طالبًا له كيف يتوسَّل، وبماذا يتوصَّل، إذ كنت لا أحبِس المال ولا أخزُنه إبطاءَه إلّا قَدْرَ الوقتِ في إتلافِه وتفرقته، ولا تَنقُلني حَلةٌ تعرِض عن حالي الأُولى فيما أعتاده وآلَفُه. يريد أنه مستمرٌ فيما يَجري عليه كف واتاهُ الزمان، وأداره الأحوال. وقوله: «إلّا رَيثَ» في موضع الظَّرف من لا أحبِسُ.

٧٧٢ ـ وقال سَوَادةُ اليَرْبوعيّ: [الطويل]

١ ـ لقد بَكَرَتْ مَيٌّ عَلَيَّ تَلومُني تقولُ ألَا أهلَكْتَ مَنْ أنتَ عائلُهْ(١)

٢ ـ ذَرِيني فإنّ البُخلَ لا يُخلِدُ الفَتى ولا يُهلِكُ المعروفُ مَنْ هُوَ فاعِلُهْ

يقول: اغتدَتْ هذه المرأة إليّ لائمةً وقائلةً: لقد أهلَكْتَ من تكفُلُه وتَمُونه، إذْ كنتَ بعَرَض الفَقْر، لتضييعِك ما تملكه، وسَرَفِك فيما تبذُله. فأجبتها وقلت: اترُكيني على عادتي، فإنّ البخلَ بالمال لا يُبْقِي صاحبَه، والبَذْلَ لا يُميت مُعتادَه، وقد مضى مثل هذا.

٧٧٣ ـ وقال حُطائط بن يَعْفُر أخو الأسْوَد(٢): [الطويل]

١ ـ تقولُ ابنةُ العَتَّابِ رُهْمٌ حَرَبْتَنا حُطائطُ لم تَترُكْ لنفسِكَ مَقعَدَا(٣)

٢ ـ إذا مَا أَفَدنا صِرْمَةً بعد هَجْمَةٍ تكونُ عليها كابنِ أُمّك أسْوَدَا

رِهْمٌ ارتفع على البدل من ابنة العتّاب، وحُطَائط منادًى مفرد. ويقولون: ما تَرَك فلانٌ لك مُقامًا ولا مَقْعَدًا، أي لم يُبْقِ لك ما يُمكنِكُ الإقامةُ والقعودُ له به. والصِّرْمة: القليل من الإبل. والهَجْمَةُ أكثرُ منها، لأنّها تقع على الثّلاثين أو الأربعين. فيقول: عاتَبَتْني هذه المرأةُ في إنفاقي وإفضالي، وقالت: أفقَرْتَنا يا حُطائط، وأزَلْتَ تجمُّلَنا، وجَنيتَ على نفسك أيضًا، إذْ لم تتركْ من المال ما تكتفي به، وتستغني عن

(١) التبريزي: «ألا بكرت ميّ».
(٢) أخوه الأسود بن يعفر من شعراء الجاهلية المشهورين (انظر الشعر والشعراء ١١).
(٣) التبريزي: «العبّاب».

السَّعي والتجول معه، فتُرِيحُ نفسَك من الحَلّ والتَّرحال في طَلبِه، وتقعُدُ عن التَّصرُّف وتحمُّلِ المشاقّ في حَوْزِه واحتجانه، لأنّا مَتى استفدنا قليلًا من الإبل بعدما تُفِيتُنا الكثيرَ منها تَعودُ عليها سالكًا طريقَ أخيك الأسودِ بن يَعفُر، فتُفْنِيه وتخْلينا منه. وإنّما قال: «تكون عليها» لأنّه لمّا لم يَسْعَ في تثميرها كان عليها لا لها. وقد جمع الشّاعرُ بين سَيْرَيْنِ في خَرْزَةٍ في قوله: «تكون عليها كابنِ أمّك».

٣ ـ فَقُلْتُ وَلَمْ أَعْيَ الجوابَ تَبَيَّنِي ... أَكانَ الهُزالُ حَتْفَ زَيْدٍ وأَرْبَدَا[1]

٤ ـ أَرِينِي جَوادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي ... أَرَى ما تَرَيْنَ أو بَخِيلًا مُخَلَّدَا

قوله: «ولم أعْيَ الجَوَابَ»، يقال: عَيِيتُ الأمرَ وعييت به عِيًّا، ورجلٌ عَيِيٌّ وعَيٌّ، وعَيِيَ عن حجته عَيًّا. يريد: أجبتها ولم أَعْجِزْ عن محاجّتِها: تأمَّلي وانظُري، هل كان الفَقْرُ والهُزال سببَ موتِ مَن مات مِن عشيرتنا، وأريني سخِيًّا أماتَهُ الضُّرُّ، منّا أو من غيرنا، لعلّني أهتدِي بهَدْيك وأعتَقِدُ مذهبَك، وأئتمر لك فيما تَرَيْنَهُ رشادًا، أو بخيلًا بَقِيَ في الدُّنيا وعاش ما أرادَ ليُطلَبَ بموافقَتِه ما حَصَلَ له من الدَّوام، وانْصرَفَ عنه من الشّقاء والفناء.

وقوله: «أريني جوادًا» أيّ دُلّيني عليه وعرّفيني مكانَه. وقال أبو عبيدةَ في قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: الآية ١٢٨] المراد علِّمْنا، ويروَى: «لأنّني أرى ما تَرَين»، وهو بمعنى لعلّني. يقال: ائتِ السُوقَ لَأنّك تَشترِي لنا شيئًا، أي لعلّك. ويقال أيضًا: أنّكَ تشتري، وهذا كما تقول: عَلّك ولعَلّك. ويقال في هذا المعنى: لَعَنّكَ. ويُنشَد بيتُ أبي النجم: [الرجز]

وَاغْدُ لَعَنّا فِي الرِّهانِ نُرْسِلُهْ[2]

وبعضهم ينشده: «لَأنّا» أي لعلّنا. وإبدالُ الهمزة من العين والعين من الهمزة كثيرٌ لا يُنكَر.

٧٧٤ ـ وقال المُقَنَّعُ الكِنْديُّ[3]: [الكامل]

١ ـ نَزَلَ المَشِيبُ فأينَ تَذْهَبُ بَعْدَهُ ... وقَدِ ارْعَوَيْتَ وحَانَ مِنْكَ رَحِيلُ

---

(١) التبريزي: ويروى: «حتف نهدٍ وأربدا».

(٢) لأبي النجم في الدرر ٢: ١٦٦، واللسان (علل)، وسمط اللآلي ٣٢٨.

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٣٨).

٢ ـ كانَ الشَّبابُ خَفيفةً أيَّامُه والشَّيبُ مَحمَلُه عَلَيكَ ثَقيلُ

٣ ـ لَيسَ العطاءُ من الفُضولِ سَمَاحَةً حتَّى تَجُودَ وما لَدَيكَ قَليلُ

يَعِظُ نفسَه ويذكره ما انتهى إليه حالُه في عَيْشِه وتصرُّفه، فيقول: قد مَسَّكَ الكِبَرُ، فأيَّ طريقٍ تَسلُك، وأيَّ مذهبٍ تذهب، وقد رجَعْتَ عن جَهالتك، وارتدَعْتَ عن كثيرٍ مما كنتَ تُلابِسُه بغباوتك، وقَرُب منك التَّحوُّل من دارِ الفَناء إلى دار البقاء، وقد كانَ أيَّامُ الشَّباب طيِّبَة الممرّ، خفيفةَ المستقَرّ، وأيَّامُ الشَّيبِ البادي كريهةَ الظُّهور، ثقيلةَ الأعباء والحُمُول؛ فعَليكَ بما يجمع لك إلى الحمد ذُخرًا، وإلى ثناء النَّاس وشُكرِهم أجرًا. واعلمْ أنَّ البذل مما يَفْضُل عنكَ ليس بسَمَاحَةٍ، إنَّما الجُود أن تُعطيَ مِن قليلِك، وتُنفقَ من كفايتك. وقوله: «وما لديك قليل»، يجوز أن يريد والذي لديك، ويكون ما مبتدأ ولديك صلته وقليل خبره؛ ويجوز أن يكون ما نافِيَةً وقليلٌ اسمه، ولَدَيْك خَبَرُه. والمعنى حتَّى تجودَ بكلِّ شيءٍ لك فلا يبقى قليلُه أيضًا.

٧٧٥ ـ وقال جُؤَيَّةُ بنُ النَّضْر: [البسيط]

١ ـ قالتْ طُرَيفَةُ ما تَبْقى دَراهِمُنا وما بِنا سَرَفٌ فيها ولا خُرُقُ

٢ ـ إنَّا إذا اجتَمَعَتْ يومًا دَراهِمُنا ظَلَّتْ إلى طُرُقِ المعروفِ تَستَبِقُ[1]

يقول: اشتكت هذه المرأةُ الحالَ في سُرعةِ نفادِ ما يحصلُ عندَهم من الوَرِق والمال، وهم لا يُسرِفون في الإنفاق، ولا يَخْرُقُون في الإتلاف، فقالت: لا بَرَكَةَ مع سوء التَّدبير، ولزومِ التَّضييع والتَّفريق. وتَنسُبُ قِلَّةَ تلوُّمِه وخِفَّةَ بقائه إلى ضَعفِ النَّظر وعَجزِ التَّدبير، وإرهاق التعجُّلِ ونَقْص التَّقصير. فقلت لها: إنَّ دراهمَنا إذا اجتمعَتْ تسابقَتْ إلى مَنافذ المعروف، وتلاحقت في مصارِف الإحسان المألوف، فذلك سببُ سرعةِ فنائها، وعَجَلةِ ذَهابها لا غير. فقوله: «إذا اجتمعت» ظرفٌ لقوله: «ظَلَّت إلى طُرُق المعروف تستبق». ويومًا ظرفٌ لاجتَمَعَتْ.

٧٧٦ ـ وقال زُرْعةُ بن عَمْرٍو[2]: [الوافر]

١ ـ وأَرْمَلَةٍ تَنُوءُ على يَدَيْها مِنَ الضَّرَّاءِ أو قَصَصِ الهُزَالِ

---

(١) بعده عند التبريزي:

«ما يألفُ الدرهمُ الصيَّاحُ صرّتنا لكن يمرُّ عليها وهو منطلقُ
حتى يصيرَ إلى نذلٍ يُخلِّدُه يكادُ من صَرِّه إيَّاه ينمزقُ»

(٢) زرعة بن عمرو بن خويلد بن نفيل: كان فارسًا شجاعًا وممن شهد يوم رحرحان مع أبيه عمرو=

٢ ـ خَلَطْتُ بِغَثِّها سِمَنِي فأضْحَتْ شَرِيكَةَ مَنْ يُعَدُّ من العِيَالِ

يقول: رُبَّ امرأةٍ منقَطَعٍ بها سيِّئة الحال ضعيفةِ الحَرَاكِ، إذا أرادت النهوضَ تعتمدُ على يدَيْها، لتأثير الضُّرّ فيها، أو لإقْصاص الهُزَال إيّاها، وهو دُنُوُّ الموتِ منها ـ ويقال: أقَصّهُ كذا من الموتِ، أي أدناه ـ أنا خلَطْتُ بفقرها غِنايَ، وبما رَقَّ من حالها كثافةَ حالي، فصارت تُعَدُّ في جملة العِيال، ومشارِكةً فيما أَقتنيهِ من المال، لا تمايُزَ يظهر لها، ولا تبايُنَ يوجِب انقباضَها. وقوله: «تنوء على يديها»، أي تنهض، وهو في موضع الصِّفة لأرملة. وجواب رُبَّ «خلطتُ بغثِّها سِمَني». ويقال: لحمٌ غَثٌّ بيِّنُ الغَثَاثة والغُثُوثة، إذا كان مهزولًا. وقيل: كلام غَثٌّ، على التّشبيه، أي لا طُلاوةَ عليه.

٣ ـ وأفْنَتْنِي اللَّيالي، أُمَّ عَمْرو وحَلِّي في التَّنَائِفِ وارتِحالي

٤ ـ وتَربِيَتِي الصَّغِيرَ إلى مَدَاهُ وتَأمِيلي هِلَالًا عن هِلَالِ

يقول: أفنى قُوايَ نوائبُ الزّمان، وتصاريفُ اللّيالي والأيّام، وتنزُّلي في المَفَاوِز والقِفار، وتنقُّلي في مختلِفات الأسفار، وتربيتي الطِّفلَ الرضيع إلى أن يبلُغَ ويجتمع، واليافعَ الكبيرَ إلى أن يعلوَ ويستكمل، وتعليقي الأمَلَ بشهرٍ مُستَهَلٍّ بعد شَهر، وحَوْل مؤتَنَفٍ بعد حَوْلٍ، وإنّما يصف ما عاناه، وامتُحن به حالًا بعد حال، وتردّدَ فيه فقاساه وقتًا بعد وقت، إلى أن تَقَضّى عمرُه، ونفِدَتْ قوَّتُه.

ويشبه هذه الأبياتُ قول الآخر[1]: [الوافر]

لقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ حَتَّى بَلِيتُ وقَدْ أَنَى لِيَ لَو أَبِيدُ
وأفنانِي ولا يَفْنَى نَهَارٌ ولَيلٌ كُلَّما يَمْضِي يَعُودُ
وشَهْرٌ مُسْتَهَلٌّ بعد شَهْرٍ وحَوْلٌ بعدَه حَوْلٌ جَدِيدُ
ومَفقودٌ عزيزُ الفَقْدِ تأتي مَنِيَّتُه ومأمولٌ وليدُ

وإن كان هذا أحسنَ استيفاء.

= وأخيه يزيد (الأغاني ١١: ١٠٥، ١٣٣ دار الكتب العلمية).

(١) هذه الأبيات لمسجاح بن سباع في الحماسية (٣٥٢).

وقوله: «وتأميلي هِلَالًا عن هِلَالِ»، أي بعد هِلَالٍ. ومما جاء فيه «عَنْ» بمعنى بَعْدَ قَوْلُهم: «سَادُوكَ كَابِرًا عن كَابِرٍ»، لأنَّ معناه كبيرًا بعد كبير. والمراد: شَغَلَهُ أَمَلُه بما يُتاح له في مؤتنَفِ الأيّام من الخير، والتَّمكُّنِ من المراد.

٧٧٧ ـ وقال عبدُ الله بن الحَشْرَج[١]: [الوافر]

١ ـ أَلَا كَتَبَتْ تَلُومُكَ أُمُّ سَلْمٍ وغَيْرُ اللَّوْمِ أَدْنَى لِلسَّدَادِ[٢]

٢ ـ وما بَذْلِي تِلَادِي دُونَ عِرْضِي بإِسْرَافٍ، أُمَيْمَ، ولا فَسَادِ

يقول: خاطبتني هذه المرأةُ تعتِبُ عليَّ، واستعمالُ غيرِ اللَّوم أقربُ في تسديدي وإرشادي، إذْ كان اللَّومُ ربَّما يعودُ إغراءً، ولا سيَّما إذا تُكُلِّف فيما لا يُستَحقُّ فيه، فما إعطائي ماليَ القديم في وقاية نَفْسِي بإسراف فيُنكَرَ، ولا بإفساد فَأُعْتَب. وقوله: «تَلُومُك» في موضع الحال، أي لائمةً لك. وخاطَبَ نفسَه في البيت الأوّل، ثمّ نقَلَ الخِطابَ إلى الإخبار، على عادتهم في كلامهم.

٣ ـ فَلَا وأَبِيكِ لا أُعْطِي صَدِيقِي مُكَاشَرَتِي وأَمْنَعُهُ تِلَادِي

٤ ـ ولكنِّي امرُؤٌ عَوَّدْتُ نَفْسِي عَلَى عِلَّاتِها جَرْيَ الْجِيَادِ

٥ ـ مُحَافَظَةً عَلَى حَسَبِي وأَرْعَى مَسَاعِيَ آلِ وَرْدٍ والرُّقَادِ

أخذَ يخاطبُها مجيبًا عن كِتابِها، ومخبرًا عن طرائقه وأخلاقه، فيقول: أنا وحقِّ أبيك لا أُرضِي صديقي بأن أُكْشِرَ في وجهه إذا لقيتُه ـ والكَشْر: إبداءُ الأسنان بالضَّحِك ـ ثمَّ أمنَعُه مالي وأحرِمُه خيري. وقوله: «وأمنعه» عَطْفٌ على أُعْطِي، فرفعه. والمعنى: لا أُكْشِرُ للصَّديق ولا أمنعه تِلَادِي، يريد لا أضاحكه باسطًا من أَمَلِه، وقابضًا يدي عن بذْلِه. ومثله في القرآن: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المُرسَلات: الآية ٣٦]، لأن المعنى لا يؤذن لهم ولا يعتذرون. ولو رويت «وأمنَعَه» بالنَّصب كان جائزًا، ويكون انتصابُه بأنْ مضمرة، ويكون كقولهم: لا يَسَعُني شيءٌ ويَعْجِزَ عنك. والمعنى: لا يسعني شيءٌ عاجزًا عنك، فكذلك هذا، وتقديره: ما

---

(١) عبد الله بن الحشرج: من سادات قيس وشعرائها، وأحد الأجواد المعدودين وَلِيَ أكثر أعمال خراسان في أيام عبد الملك بن مروان (ت نحو ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م) ترجمته في الأغاني ١٠: ١٤٤.

(٢) التبريزي: «ألا بكرت».

أُعطِي صديقي مكاشَرَتي مانعًا له تلادي، أي لا يجتمع هذان في شيء: العَجْزُ لك والسَّعَة لي، فكذلك لا يجتمع على صديقي منّي الكَشْر والمنْع. ويجوز في رفع «أمنَعُه» وجهٌ آخر، وهو أن يكون على الاستئناف والانقطاع مما قبله، ويكون المعنى: لا أعطي صديقي مُكاشَرتي وأنا أمنَعُه تلادي، ومثله قولُ القائل: ما تأتيني وتحدِّثُني، والمراد: ما تأتيني وأنت الآن تحدِّثُني. والرفعُ أجود، ألا تَرَى أن القائل إذا قال: ما جاءني زيدٌ وعمرو، كان دون قوله: ما جاءني زيد ولا عمرٌو، لأنَّ الأوَّلَ يجوز أن يريد أنّهما لم يجتمعا في المجيء، ولكنْ تفرَّدَ كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه فيه، وفي الثاني إذا قال: «ولا» جمَعَهُما النّفي، فلا يجيء على حالٍ من الأحوال. وكذلك البيت، لو كان فيه حرفُ النّفي لكان يمتنع حصولُ الكَشْر والمنع جميعًا على كلِّ وجه، ووجهُ الرَّفع عليه يدور.

وقوله: «ولكنّي امرؤٌ عَوّدْتُ نفسي»، يريد أنّي جَعلتُ من عادتها على ما يَعرِضُ لها من حوادث الدهر أن تَجرِي في مَكرُماتها، أي في اكتساب مكرماتها، جَرْيَ الْجِياد السُّبَّق، لا الكَوادِن البِطَاء. وقوله: «محافظةً» انتصبَ على أنّه مفعول له. فيقول: أفعَلُ ذلك لأحفَظَ شرفي، وأرعَى مكارمَ آبائي وأسلافي.

وقوله: «أرعى» حمَلَه على المعنى فعطف على ما قبله وإن اختلفا، أي أفعلُ ذلك لأحافظ وأرعَى، محافظةً على الشَّرف ورَعيًا لمساعي آلِ وَرْدِ. و«المَساعي» واحدتها مَسْعاةٌ، وهي السَّعيُ في تحصيل الكَرَم والجود. ويقال: وهو يسعى لعِياله، أي يكسب لهم. وقيل: السَّعي العَمَل في الكسب.

٧٧٨ ـ وقال رجلٌ من بني سَعد: [الطويل]

١ ـ ألَا بَكَرَتْ أُمُّ الكِلابِ تَلُومُني ... تقولُ ألَا قد أبكأَ الدَّرَّ حالِبُهْ

٢ ـ تقول: ألا أهلَكْتَ مالَكَ ضَلَّةً ... وهل ضَلَّةٌ أن يُنفِقَ المالَ كاسِبُهْ

يقول: لامتني هذه المرأةُ وقالت: قد قَلَّلَ اللَّبنَ مَن يحلُب الإبل ـ ومعنى أبكأَ الدَّرَّ: أتى به بَكِئًا. ويجوز أن يريد صادفَه بَكِئًا، كما يقال: أَحمَدْتُ فلانًا. والبَكْءُ: قِلّة اللّبن. يقال: ناقة بكِئةٌ، وهي ضدُّ الغزيرة ـ فأنتَ في ضلالٍ ما دام تضييعُ المال منك ببالٍ. فأجبتُها وقلتُ منكِرًا عليها، ورادًّا لكلامها: وهل يُسَمَّى جامعُ المال إذا فرَّقَه ضالاً، وكاسبُه إذا أنفقَه فيما يريده ويهواه مضيِّعًا. وانتَصَب «ضَلَّةً» على المصدر، وهو في موضع الحال، ويجوز أن يكون مصدرًا لِعِلّةٍ، فيكون مفعولًا له.

وإنما أعاد قوله: «تقولُ» إيذانًا بتفنُّنها في المَلَام، وتوسُّع مَجَالها في الكلام. وقوله: «هل ضَلّةٌ» خبر مقدم، وأن ينفِق المال في موضع المبتدإ. والتقدير: وهل إنفاقُ كاسبِ المال له ضلالٌ.

٧٧٩ ـ وقال مُزَعْفرٌ: [الطويل]

١ ـ وإني لأُسْدِي نِعْمَتي ثم أبتَغِي لها أُختَها حتى أَعُلَّ فأَشفَعا[1]

٢ ـ وأجعَلُ نُعْمَى ما فعَلتُ ذَمَامَةً عليَّ وآتِي صاحِبِي حيثُ وَدَّعا

قوله: «وإني لأُسدِي نِعمَتي»، يقول: إذا اصطنَعْتُ عند إنسانٍ صنيعة، وأوليتُه لاتّصال رجائه بي عارفة، لم أرضَ بإفرادها، لكني أطلُبُ لها توابعَ ولواحق، حتى تصيرَ النِّعمةُ عنده شَفْعًا لا وِتْرًا، والإحسانُ إليه مكرَّرًا لا بِدْعًا، كلُّ ذلك تلذُّذًا بالإفضال، وشهوةً في إسداء العُرفِ والإجمال. ويقال: شاةٌ شافعٌ، إذا كان معها ولدُها. والعَلَل: الشُّرب الثاني. والنَّهَل: الشُّرب الأوّل، فاستعارَه لإتباع الصَّنيعة بمثلها.

«وأجعَلُ نُعْمَى ما فعلتُ ذَمامةً»، أجعلُ: أسمِّي، من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزّخرُف: الآية ١٩]. ويجوز أن يكون بمعنى أصيِّر، كأنّه يعتقد في الإحسان أنّه إساءة. والذَّمامَةُ: الذَّمُّ. والذِّمام، بكسر الذّال: الحُرمة. والمعنى: أتذَمَّم من نُعْمَايَ عند غيري، لأنّي بالغًا ما بَلَغْتُ أكونُ لنفْسي مُستقصِرًا، ولفعلي مُستَزِيدًا، فلا أعتدُّ بما أُسْدِيه، ولا أتحمَّد بالإنعام فيه، ولكنّه أعُدُّه كالوَصْمة التي يُتذمَّم منها.

وقوله: «وآتِي صاحبي حيثُ وَدَّعا»، يريد أنَّ من يستغيث بي أُجيبُه وأُغيثه أشدَّ ما كانَ حاجةً إليّ حين وَدَّعَ أهلَه وعشيرَته، ليأسِه من الدُّنيا وتوطينه النَّفس على الهُلْكِ والرَّدى، فآتيهِ مُستَنقِذًا ومُحامِيًا، ومنتعِشًا ومُرامِيًا. وقوله: «حيث ودَّعا»، يجوز أن يكون للزّمان والمكان جميعًا. وقد تقدَّم القول فيه. وقد جَعَل «وَدَّع» بمعنى مات، وبيت مُتَمِّم يشهدُ له، وهو: [الطويل]

فقد بانَ محمودًا أخي حِينَ وَدَّعا[2]

---

(١) التبريزي: «وأشفعا».

(٢) لمتمم بن نويرة في ديوانه ١١٢، وشرح اختيارات المفضل ١١٧٨، وصدره:
«وإن تكن الأيامُ فَرّقنَ بيننا»

٣ ـ وإنّي بما يكفي من الزّادِ أهلَهُ أقابِلُ بَذْلَ المالِ حِلْسَاهُ أجْمَعا[١]

يقول: إنّي أقابِلُ بما يكون فيه كفايةُ الأهل من الزّاد بَذْلَ حِلْسَيِ المالِ كُلّه. فقوله: «حلساه» في موضع الجرّ على أن يكون بدلًا من المال، ويكون على لغة من يجعل المثنّى بالألف في موضع النّصب والجرّ. و«أَجْمَعَا» في موضع الجر، ويكون تأكيدًا للمُضمَرِ المتّصل بحِلْسَاهُ. ولك أن تجعله تأكيدًا للمال. وأجود من هذا أن يُجعلَ حِلساه مرتفعًا بقوله: بَذْلَ، فيكون فاعلًا. وقد أضاف المصدرَ إلى المفعول، كقولك: أعجبَني ضربُ زيدٍ عمْرٌو. وجعلَ الحِلسَ باذلًا وإن كان الفعلُ لصاحبِه، على السّعة، ويكون التّقدير: أنّي أقابلُ بما يُكتفى به من الزّاد أنْ يَبْذُلَ حِلْسَا المال جميعَ ما يَحوِيانِه، ويكون على هذا أجمع تأكيدًا للمضمر المتّصل بحلساه لا غير. والمعنى: إذا حصَلَت الكفايةُ لأهل الزّاد فإنّي أنفضُ الوِعاءَ الجامعَ للمال، وأفرّق كلّ ما فيه، أي أقتصِرُ على الكفاية، وما تعدّاه أعُدُّهُ فَضلًا. والحِلْسُ: الواحد من أحْلَاس البيت. قال الخليل: وهو ما يُبسَط تحتَ حُرِّ المَتاع من مِسْحٍ وجُوالِقٍ ونحوِهما.

٧٨٠ ـ وقال عارقُ الطّائيُّ[٢]: [الطويل]

١ ـ ألَا حَيِّ قَبْلَ البَيْنِ مَنْ أنتَ عَاشِقُهْ ومَنْ أنتَ مُشتاقٌ إليه وشائِقُهْ

٢ ـ ومَنْ لا تُواتِي دارُهُ غَيْرَ فَيْنَةٍ ومَنْ أنتَ تَبْكي كُلَّ يَوْمٍ تُفارِقُهْ

افتتح كلامه بألَا، ثمّ قال: جَدِّد عَهْدَكَ بصاحِبِكَ وسَلِّمْ عليه، قبل أن تَحُولَ النّوَى بينكما فيُهَيِّجَ شوقَك تعشُّقُك له، وبُعْدُ الدّارِ منه، وتُهيِّجُ شوقَه لمثل ذلك، لأنّ جميعَ ما أقوله من مُقتَضَيات صفاءِ المِقَةِ، واستِحكام المحبّة.

وقوله: «ومَنْ لا تُواتي داره غَيْرَ فَيْنَةٍ» الأحسن أن ترفع الدّار بتُواتي، يريد مَن لا تقاربُك دارُه إلّا ساعةً لا تَطُوعُك الزّيارةُ إلّا فيها. والفَيْنَةُ: الوقت، ويكون معرفةً ونكرة، وقد مرّ القول فيه، وأنّه يجري مجرى الصّفات في ذلك إذا جُعِلت أعلامًا كالحارثِ والعَبّاسِ. ولك أن تنصب «دارَه». والمعنى تَبكيهِ أو تبكي عليه، وكذلك قوله: «تُفارقه» أريد تُفارِقُ فيه فحذف مفعول الفعلين، ولا يمتنع أن يُجعل «كلَّ يوم» مفعول تبكي. والمعنى تتأسّف على كلّ يومٍ تفارقُه فيه، فتَبكيه شَوْقًا إليه، إذْ كان

---

(١) هذا البيت لم يروه التبريزي.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٠٤).

التَّوديعُ جَمعَكَ وإيّاه فيه. ويُكتفَى في هذا الوجه بالضَّمير العائد من تفارقه، فأمّا إضمار «فيه» في «تفارقه» فلا بدَّ منه. وقوله: «منْ» وقد كرَّره في البيتين جميعًا مِرارًا، يجوز أن يكون بمعنى الذي، والجُمَل بعده في صِلَتِهِ، كأنّه قال: حَيِّ الذي أنت عاشِقُهُ والذي أنتَ مشتاقٌ إليه وشائقه والذي أنت كذا. ويجوز أن يكون نكرةً في معنى إنسان، ويكون الجُمَلُ بعده صفاتٍ له. يريد: حيِّ إنسانًا هذه صفاتُه. فأمّا تكريره له فهو على طريق التَّعظيم والتفخيم. وهكذا العادةُ فيما يُهَوَّلُ أمرُه من مَرجوٍّ أو مَخُوفٍ.

٣ ـ تَخُبُّ بصَحْرَاءِ الثُّوَيَّةِ نَاقَتِي كَعَدْوِ رَبَاعٍ قد أَمَخَّتْ نواهِقُهْ[1]

٤ ـ إلى المُنْذِرِ الخَيرِ بنِ هِنْدٍ نَزُورُهُ ولَيسَ مِنَ الفَوْتِ الذي هو سابِقُهْ[2]

يقول: تَسِيرُ ناقتي الخَبَبَ ـ وهو ضربٌ من العَدْوِ ـ في هذه الصَّحراءِ تَحْتِي، عَدْوَ فرسٍ، أو عَيْرٍ قد أَرْبَعَ. والإرباعُ بينَه وبين القُرُوح سَنَةٌ، فكأنَّه أراد استحكامَ شبابِه وقُوَّتِه، إذْ ليس بينَه وبين النِّهاية وهي القُروح إلّا سنَةٌ. ومعنى «أَمَخَّتْ نواهِقُهْ» أي قد أطاعه العَلَفُ أو المَرْتَع فصارَ لعِظامِه مُخٌّ، والنَّواهِقُ: عَظْمَانِ في السَّاقِ، وفي غير هذا المكانِ ما يكتنف الخياشيمَ من الدَّابّة، والواحدة ناهِقَةٌ.

وقوله: «إلى المنذرِ» تَعَلَّق بتَخُبُّ والخَيْر من صِفَته، وهو الذي تأنيثه خَيْرَةٌ. ولا يمتنع أن يكون مخفَّفًا من الخَيِّر، كما يقال: لَيْنٌ وليِّن، وهَيْنٌ وهَيِّن. و«نزور» في موضع الحال، ويريد المنذر بن ماء السماء. وقوله: «وليس من الفَوْت الذي هو سابِقُهْ» أراد سابِقٌ به، وفي الكلام وعيدٌ.

ولهذا الشِّعر قصّة، وهو أنَّ الملِك كان غَزَا أرضًا فأخفق، وفي مُنْصَرَفِه عَثَر بطائفةٍ من طيِّىء كانوا في ذِمَّته وعهدِه، فأراد تجاوُزَهم فقال بعضُ نُدَمائه له: استغنِمْهم وأَوقِعْ بهم. فقال: إنَّهم في ذِمَّتِي! فلم يَزَلْ يقرِّب الأمرَ فيه معه حتَّى استباحَهُم. لذلك توعَّدَ فقال: ما سَبَق به لا يَفُوت تدارُكه.

٥ ـ فإنَّ نساءً غيرَ ما قال قائِلٌ غَنِيمَةُ سَوْءٍ وَسْطَهُنَّ مَهارِقُهْ

٦ ـ ولو نِيلَ في عَهْدٍ لنا لَحْمُ أَرْنَبٍ وَفَيْنَا وهذا العَهْدُ أنت مُغالِقُهْ

---

(١) الثوية: موضع قريب من الكوفة (معجم البلدان ٢: ٨٧).

(٢) التبريزي: «تزوره».

٧ ـ أَكُلُّ خَمِيسٍ أَخطأ الغُنْمَ مَرَّةً وصَادَفَ حَيًّا دائنًا هو سائِقُه

قوله: «غير ما قال قائل»، يجوز أن يكون صفة لنساء. وقوله: «غَنيمة سَوْءٍ» يرتفع على أن يكون خبر مبتدإ، كأنّه قال: هُنّ غنيمةُ سَوءٍ، حكايةً لكلام القائل الذي ذكره. وإضافةُ الغنيمة إلى السَّوْء يكون على طريق الإزراء والاستحقار. وقوله: «وَسْطَهُنَّ مَهَارِقُه»، الجملة في موضع خبر إنّ، فيكون المعنى إنَّ نساءً مخالِفَةً صفتُها لما قاله قائل، يعني مَنْ حَسَّن في عَين الملك الإيقاعَ بهنّ هُنَّ غنيمةُ سوءٍ معهنّ كُتُبُ العهد والذِّمَةِ اللذَينِ يَخرُجْن بهما عن كونهنَّ غنيمة. فهذا وجه، ويجوز أن يكون «غنيمةُ سَوْء» خبر إن، و«وسطهنَّ مهارقُه» من صفة النساء، وقد فَصَل بين الصفة والموصوف بخبر إنّ، وغير ما قال قائل ينتصب على المصدر، فيكون مؤكِّدًا للقصة، والتقدير: إنّ نساءَ وسطهنّ مهارقُه غنيمةُ سَوء، غيرَ قولِ القائل المحسِّن الإيقاع بهن. ويجري هذا مَجرى قولهم: هذا ولا زعَمَاتِكَ. أي هذا هو الحقُّ لا ما تزعُمه. ويكون المعنى: إن نساء معهنَّ عهدُك، ولا أقول ما قاله قائلٌ حسَّنَ الإيقاع بهنّ، غنيمةُ سَوء لا غنيمةُ صِدْق. والمهارق: جمع المُهْرَق، وهو فارسيَّة معرّبة. وكانت العرب تَصْقُل الثيابَ البيضَ وتكتب فيها كُتُبَ العهودِ وما أرادوا إبقاءَه على الدَّهر.

وقوله: «ولو نِيلَ في عهدٍ لنا لحمُ أرنبٍ وفَيْنَا» يقبِّح عندَه ما ارتكبَهُ منهنّ. فيقول: ولو أُصِيبَ لحمُ أرنبٍ فيما تشمَلُه أذِمَّتُنا لوَفَيْنا به. ثم أنت أيُّها الملك تُغالِقُ هذا العهد. وتَستجيزُ تخطِّيَه، وتَستحسِنُ نَقْضَه وتَرْكَ الوفاء به. وقوله: «لحم أرنب» ذكَره تحقيرًا وأنه صيْدٌ مُستباحٌ.

وقوله: «أنت مُغالِقُه» لك أن تروي «مُعَالقه»[1] بالعين. والمعنى: وهذا العهدُ الذي معهنَّ متعلِّقٌ بذمّتك وفي رقبتكَ حتى تخرجَ منه. ومن رَوَى «مُغالِقُه» بالغين معجمة، يكون من غَلِق الرَّهْن، أي أنت مُفْسِده ومُخْتبِسُه تاركًا للوفاء به.

وقوله: «أَكُلُّ خَميسٍ» لفظه استفهام ومعناه تقريع. فيقول: أكلُّ جَيْشٍ أخفَقَ في وجهِ قَدَّرَ الغُنْمَ فيه، وصادف في مُنصَرِفِه حَيًّا فِي طاعته يَسُوقه ويُوقِعُ به. أي إنّ ذلك غيرُ مُستجاز في السياسة والدِّيانة، ولا مُستحسَنٍ في المروءة؛ والغَدر مَغبَّته ذميمة، وعاقبتُه قبيحة ذَميمة.

(١) هذه رواية التبريزي.

٨ ـ وكُنَّا أُناسًا دائنِين بغِبْطَةٍ يَسيلُ بنا تَلْعُ المَلَا وأبارِقُهْ

٩ ـ فأقسَمْتُ لا أحتلُّ إلّا بصَهوَةٍ حَرَامٌ عليكَ رَمْلُهُ وشقائِقُهْ

قوله: «دائنين»، أي آخذين بالطاعة، مغتبطِينَ بما لنا من الذِّمّة. ويكون «بغبطةٍ» في موضع الحال. ورُوِي: «دائبين»، وهو أقرب، ويكون من الدُّؤوب. والمعنى إنَّا كُنَّا نَسِيرُ مغتبطِين آمنين فرحين حيثُ شئنا. ويدلُّ على هذا قوله: «يسيلُ بنا تَلْعُ المَلَا وأبارِقُه». وإنما يَقتَصُّ حالهم قبل معاهَدتِه لهم، ومعاقَدَتِه الذِّمَّةَ بينه وبينهم. والمَلَا: الصَّحْراء. والتَّلْعَةُ: مسيل ماءٍ، وجمعُها تَلْعٌ، كَجوْزَةٍ وجَوْزٍ. والأبارق: جمع الأبرَق، وهي المواضع التي قد أُلبِسَتْ حجارةً سُودًا. ومنه حَبْلٌ أبرقُ، إذا كان ذا لونين سوادٍ وبياضٍ.

وقوله: «لا أحتلّ إلّا بصهوةٍ»، يقول: حَلَفْتُ لا أنزلُ إلا بعيدًا من أرضِكَ، وخارجًا من مَلَكتك، في صَهْوَةٍ أو في مكان عالٍ تَحْرُمُ عليك جوانبُه وآفاقُه. والشَّقائق: جمع شَقِيقة، وهي رَمْلَة بين أرْضَين. و«رَمْلُهُ» ترتفع بحرام، أي يحرمُ عليك. ولك أن تروي «حرامٌ عليك رَمْلُهُ» فيكون خبرًا مقدمًا، ورملهُ مبتدأ، والجملة في موضع الصِّفة للصهوة.

١٠ ـ حَلَفْتُ بِهَدْيٍ مُشْعَرٍ بَكَرَاتُهُ تَخُبُّ بصَحْراءِ الغَبِيطِ دَرادِقُهْ

١١ ـ لَئِنْ لم تغيِّرْ بَعْضَ ما قد صَنَعْتُمُ لأَنْتَحِيَنْ لِلعَظْمِ ذُو أنا عارِقُه[1]

يقول: أقسمت بقَرابِينِ الحَرَم وقد أُعْلِمَتْ بَكَراتُه بعلاماتِ الإهداء. والإشعار، هو أن يُطْعَنَ في أسنمتها فَيسيلَ الدَّمُ عليها، فيُستدَلُّ بذلك على كونه هَدْيًا. وجَعل الهَدْي دالًّا على الجِنس وما بعده صِفَتُه. وقوله: «تَخُبُّ بصَحراء الغَبِيطِ درادِقُه»، يريد سَوْقَها نحوَ البيت. والدَّرادِق: صغار الإبل. والخَبَبُ: ضَربٌ من السَّير. وجواب القَسَم «لأنتحِيَنْ للعظم»، ولئن فيما بين القَسَم والمَقْسَم له موطِّئة للقسَم. فيقول: آليتُ إنْ لم تُغيِّرْ أيُّها الملك بعضَ صنيعِك، ولَم تَتداركْ ما فاتنا من عَدْلِك ووفائك. لأقصِدَنَّ في مقاتلتك كَسْرَ العَظْم الذي صرتُ أعرُقُه فيُنتزَع العَظْمُ منه. جعلَ تقبيحَه لما أتاه وشكواهُ كالعَرْقِ، وهو انتزاعُ اللَّحمِ وما بعده. إنْ لم يغيِّرْ معاملته، تأثيرًا في العَظْم نفسه. وقد أحسَنَ في التوعُدِ، وفي الكِناية عن فعله وعمَّا يَهُمُّ به بَعدَه. وقوله:

---

(١) التبريزي: «بعد ما قد صنعتم».

«ذو أنا» لُغَتُهم وهو في معنى الذي، وأنا عارقُه من صلته، وقد مضى الكلام في مثله.

٧٨١ ـ وقال بُرجُ بن مُسهِرٍ[1]: [الطويل]

١ ـ سَرَتْ مِنْ لِوَى المَرُوتِ حتّى تجاوَزَتْ إلـيَّ ودُونِـي مِـنْ قَـنَـاةَ شُـجُـونُـهـا

٢ ـ إلى رَجُلٍ يُزجِي المَطِيَّ عَلَى الوَجَى دِقـاقًـا ويشقَـى بـالسِّـنَان سَـمِـيـنُـهـا

٣ ـ فـلِلقَـوْمِ مـنـهـا بـالـمَـرَاجِـل طَـبْـخَـةٌ ولـلطَّـيـرِ مـنـهـا فَـرْثُـهـا وجَـنـيـنُـهـا

اللِّوَى: مسترَقُّ الرَّمل. والمَرُوت: فَعُولٌ من المَرْت، وهو الأرض التي لا تُنْبِتُ شيئًا. وقال الدُّريديُّ: هو المكان القَفْر. وقناة: موضع. وشُجونها: جوانبُها المتقاربة ونواحيها. والشُّجُون أيضًا: الأشجار الملتفَّة المتداخِلة. والشَّواجن، واحدتها شاجنةٌ، وهي المواضع التي فيها الشُّجُون. ومن التَّداخل والالتفاف قولُهم: «الحديثُ ذو شجون». وإنما يُخبر عن خَيَالٍ زارَهُ.

وقوله: «إلى رَجُلٍ»، تَعلَّق إلى بسَرَتْ. ويعني بالرَّجُل نفسَه، ويُزجِي المطيَّ، أي يسوقُها. والوَجَى: الحَفَا؛ أي لا يُبقِي عليها ولا يرفُق بها، لكنَّه يُدِيم السَّير عليها ولا يَقِيها مع الحفا ولا يُبقِي عليها مما يُهْلِكُها. و«دِقاقًا» انتصبَ على الحال، أي ضوامِرَ مهازيلَ. ويَشقَى بالسِّنان سمينُها، أي بالسِّنان له، فحذف الضمير لأنَّه لا يُخيِّلُ. والمعنى أنَّه لا ينحر سِمَانُ الإبل للعُفاة والضِّيوف. وقوله: «فللقوم منها بالمَرَاجل طَبْخَةٌ» منها رَجَع الضمير إلى قوله: سَمِينُها، لأنَّه أراد بها الجنس، وهذا إخبارٌ عن حالتها وقد جُزِرَتْ. فيقول: للوُرَّاد منها طَبْخَةٌ في المراجل، وللطَّير فَرْثُها والولدُ الذي في بَطْنِها.

٧٨٢ ـ وقال مُلْحَةُ الجَرْمِيّ[2]: [الطويل]

١ ـ فَتًى عُـزِلَتْ عَـنْـهُ الـفَـوَاحِـشُ كُـلُّـهـا فـلَـمْ تَـخْـتَـلِـطْ مـنـه بـلـحـمٍ ولا دَمِ

٢ ـ كـأنَّ زُرُورَ الـقُـبْـطُـرِيَّـة عُـلِّـقَـتْ عـلائِـقُـهـا مِـنْـهُ بِـجِـذْعٍ مُـقَـوَّمِ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٢).

(٢) ذكره المرزباني في معجمه ٤٧٣ وأنشد له البيتين الأول والرابع، والأبيات (٢، ٣، ٥) لعديّ بن الرقاع في ديوانه، وأنشد الأزهري البيت الخامس ونسبه لابن ميادة.

يمدحه بالرَّزانة والعَقْل، ونَقاء الجِسم من العيب، وصفاء السَّبب والنَّسب من الفُحش ومعنى عُزِلَتْ نُحِّيَتْ منه في جانب. ويقال: هو بمعْزَلٍ عن هذا الأمر والأصحاب، فيقول: بُعِّدَتْ عنه الفواحِشُ كُلُّها وصُرِفَتْ، وجُعِل بينه وبينها حاجِزٌ حتَّى لا تمازُجَ ولا تَخالُطَ، ولا تَدانِيَ ولا تشابُكَ. والقُبطُرِيَّة: جنسٌ من الثِّياب رفيع. ومعنى البيت أنَّه طويلُ القامة مديد الجسم، فكأن زُرُور القُمُصِ من هذا الجِنْس من الثِّياب عُلِّقت منه على جِذْع مقوَّم. أرادَ أنَّ طُولَه طول جِذْعٍ هكذا. وهُمْ يتمدَّحون بامتداد القَوام، والبَسْطة في الأجسام.

٣ ـ عَمَلَّسُ أَسْفَارٍ إذا استَقْبَلتْ لَهُ ... سَمُومٌ كَحَرِّ النَّار لم يَتَلَثَّمِ

٤ ـ إذا ما رَمَى أصحابُهُ بِجَبِينِهِ ... سُرَى لَيلةِ الظَّلْماءِ لم يَتهكَّمِ

٥ ـ كأنَّ قُرَادَيْ زَوْرِه طَبعَتْهما ... بِطِينٍ مِنَ الجَوْلَانِ كُتَّابُ أَعْجَمِ

العَمَلَّس: الجريء المِقدام، ويوصف به الذِّئاب، وكذلك السَّلَمَّع ويوصَفُ به الخبيث من الذِّئاب والكلاب. ويقال: هو عَمَلَّس دَلَجاتٍ، أي قَوِيٌّ على السَّيْرِ. وزاد اللام في قوله: «إذا استقبَلَتْ له» تأكيدًا، والأصل استقبَلَته. وجواب إذا «لم يتلَثَّم» وهو العامِلُ فيه. فيقول: هو في السَّفَر بهذه الصفة مبتذِلًا نفسَه لا يَتَوقَّى من السَّمائم، ولا يتخشَّى من أنواع المهالك، فإذا قابَلَتْهُ السَّمُوم المُخرِقَةُ إحراقَ النّار لم يَصنْ وجهَه منها، ولا جَعَل على محيَّاهُ لِثامًا. واللِّثام: رَدُّ المرأةِ قِناعَها على أنفها، وقد تلثَّمت، وتَلَثَّمَ الرجلُ بعمامته. والمَلْثَمُ ما حول الفَم، وقيل: الأنف وما حوله واللِّفام: رَدُّ القِناع على الفَم، وقيل أيضًا: هو مثل اللِّثام لا فرق بينهما.

وقوله: «إذا ما رَمَى أصحابُه بجبينه» أراد أنهم إذا قَدَّموه ليهتدوا به وهم يَسْرُونَ في ليلةٍ شديدة الظَّلام هائلة لم يَجْبُن ولم يتكَذَّب، ولكنْ تقدَّمَهُم وقادَهم على عادته.

وقوله: «كأنَّ قُرادَيْ زَوْرِه طبَعتْهما» وصفَهما بالصِّغر، ثم شبَّههما بطابَعَيْن من طين الجَوْلان، ويقال: إنَّه أسْوَدُ، تَولَّى طبعَهما كاتبٌ من كُتَّاب العجم. وخَصَّهم لأنَّهم حينئذٍ كانوا أَحذَقَ بالكتابة وأسبابها. وهم يتمدَّحون بالهُزَالِ وقِلّة اللَّحْم. والطَّبْع: الخَتْمُ. والطَّابَعُ: الخاتَم. وحُكِيَ: هذا طُبْعَانُ الأمِير، أي طينه الذي يَختِم به.

٧٨٣ ـ وقال بعضهم[(١)]: [مشطور الرجز]

١ ـ إنَّك يا ابنَ جَعْفَرٍ نِعْمَ الفَتَى
٢ ـ ونِعْمَ مَأْوَى طارِقٍ إذا أتَى
٣ ـ ورُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الحَيَّ سُرَى
٤ ـ صادَفَ زادًا وحديثًا ما اشْتَهَى
٥ ـ إنَّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى
٦ ـ ثُمَّ اللِّحَافُ بعد ذاكَ في الذُّرَى

يخاطب بهذا الكلام عبدَ الله بن جعفر بن محمدٍ الصّادق رضي الله عنهم، فيقول: نِعْمَ الفتى أنت، أي محمودٌ في الفِتيانِ أنتَ ومحمودٌ دارك وفناؤك، مأوَى الطُّرّاق إذا وَرَدوا. وقوله: «مأوى طَارِقٍ» أضافَهُ إلى النَّكِرَة لأنَّ القَصْدَ بطارِقٍ إلى الجنس. واسمُ الجنسِ في مثل هذا المكان وأن تنكَّر فائدتُه فائدةُ المعارف، وإذا كان كذلك كان قولُك: «مأوى طارِقٍ» بمنزلة مأوَى الطُّرّاق. والمحمود هو المُخَاطَبُ. ويجب أن يكون في نِعْم ضميرٌ يعود إلى المخاطَب، وقد اشتمل عليه قوله نِعْم الفَتى ونِعْم مأوى طَارِقٍ، لأنَّ فائدة نِعْم الرّجل، محمودٌ في الرجال. فكأنّه قال: إنَّك محمودٌ في الفتيان يا ابنَ جعفر. وقد قيل في قول القائل: زيدٌ نعم الرجل: إنّه لما كان القصدُ بالرَّجل إلى الجنس، وكان زيد منهم، اكتفى بكونه منهم من ضميرٍ يعود إليه.

وقوله: «وربَّ ضيْفٍ طرَقَ الحيَّ سُرَى»، يريد ليلًا؛ لأنَّ السُّرَى لا يكون إلّا باللَّيل فالسُّرى في موضع ظرف، واسمُ الزّمانِ محذوف معه، وهو كقولك: جِئتك مَقْدَمَ الحاجّ وما أشبهه. فيقول: ربَّ ضيفٍ أتَى الحيَّ راجيًا وجودَ القِرى عندَه، أنزلتَه فصادَفَ في فنائك زادًا عتيدًا، وحديثًا مؤنِسًا، وإكرامًا مُبِرًّا. وقوله: «ما اشتهى» في موضع الظَّرف، فهو كقوله: [الطويل]

أحدِّثه إنَّ الحديثَ من القِرَى ... وتعلمُ نَفسِي أنّه سوفَ يهجعُ[(٢)]

(١) الأبيات للشمّاخ بن ضرار في ديوانه ٤٦٤، وفي خزانة الأدب ٤: ٢٥٤، وأمالي المرتضى ١: ٤٩٣.

(٢) البيت لعتبة بن بجير أو مسكين الدارمي كما في الحماسية رقم (٧٦١)، وهو لعروة بن الورد في ديوانه ١٠١، ولسان العرب (بصص).

لأنَّ في قوله: «ما اشتَهَى» المعنى الذي اشتمل عليه قوله: «تَعلم نَفسِي أنّه سوف يهجع».

وقوله: «إنَّ الحديث جانبٌ من القِرى»، يقول: تأنيسُ الضَّيف بمُلَحِ من الحديث من أسباب القِرَى وشرائطه، وخِصالِه التي تكمّله وتفضّله.

وقوله: «ثُمَّ اللِّحافُ بعد ذاك في الذَّرَى»، إشارةٌ إلى إكرامه بما يُفتَرش له ويمهّد به موضعُه. والذَّرَى: الكَنَف.

٧٨٤ ـ وقال الشّمّاخ(١): [الطويل]

١ ـ وأَشعَثَ قَدْ قَدَّ السِّفَارُ قَمِيصَه ... وجَرُّ شِوَاءٍ بالعَصَا غيرَ مُنْضَجِ
٢ ـ دَعَوْتُ إلى ما نابَنِي فأجابَني ... كَرِيمٌ من الفِتْيان غيرُ مُزَلَّجِ

يصف مُضيفًا. والأشعث: الذي يبتذل نفسَه ولا يصونُها عن التعمُّل، فيصير مقطوعَ القميص في السَّفَر، لتحمُّله عن أصحابه أثقالَ المِهن، حتَّى يتشعَّث ظواهرُه، ويغبَرّ شَعَره، وترِثَّ ثيابُه، ويختلّ أمره. وقوله: «وجَرُّ شِواءٍ» إشارة إلى تَوَلِّيه من خدمة الرُّفقاء والأصحاب ما لا يكون من عمله. وجعلَ الشِّواءَ غير مدرَكٍ لتعجُّله وحرصِهِ على تقديم أمرِهم والتَّسرُّع في إطعامهم. ويجوز أن ينتصبَ «غير» على أن يكون حالًا للنكرة ـ وهو أجود الرِّوايتين ـ حتَّى لا يكونَ قد فصل بين الصِّفة والموصوف بالأجنبيّ منهما، وهو قوله بالعَصَا، لأنَّ التعلُّق بينهما يقارب التعلّق بين الصِّلة والموصول.

وقوله: «دعوتُ إلى ما نابني»، أي استغثت به وطلبت منه الإغاثة على ما نابني من حَدَثان الدَّهر فأجابَني منه كريمٌ من الفِتيانِ غيرُ ضعيفِ المُنَّةِ، ولا مؤخَّرٍ عن الغاية البعيدة. وأصل التَّزليج من قولهم قِدْحٌ زَلوجٌ، أي سريع في الإجالة. أي إذا وقَفَ على حَدّ مكرُمةٍ وأشرف على الفوز بمَنقَبَة لم يُزَلَّج عنه ولم يُدْفَعْ مِنه، لأنّ الزَّلَج السرعةُ في المشي وغيره. وكلُّ زالجٍ سريع، ومنه مزلاجُ الباب للخَشَبة التي يُغلَق بها.

٣ ـ فَتًى يَملأُ الشِّيزَى ويُروِي سِنَانَهُ ... ويَضرِبُ في رَأْسِ الكَمِيِّ المدَجَّجِ
٤ ـ فتًى ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ... ولا في بيوتِ الحيّ بالمُتَوَلِّجِ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٣٨٨).

يقول: هذا المدعوُّ المستغاث به فتًى يملأ الجِفان المتخذة من الشِّيزَى للضيوف والرُّفقاء، ويُروِي سنانَ رمحِه من دِماء الأعداء، وإذا بارزَه في الحرب القِرنُ التامُّ السِّلاح، الكَمِيُّ بين الصِّحاب، غلبَه وركِبَه، وأتَى عليه فأسقطه، وهو فتًى لا يرضَى لنفسه في دُنياه بأقرب الهمَّتين، وأدْوَن المعيشتين، ولكن يطلبُ غاياتِ الكَرَم ونهاياتِ الفضل، ولا يُداخِل بيوتَ الحيّ والمُجاوِرَة، ولا يخالط النساءَ للرِّيبة والمغازلَة. يصفُه بالعِفّة والجدّ، وصيانة النَّفْس، وارتفاع الهِمّة والهَمّ عما يُزيل الحِشْمة، ويدنِّس المروءة.

وقوله: «ولا في بيوت الحيّ»، جعَلَ في بيوت تبيينًا، وقد حصل الاكتفاء بقوله: المتولّج، فيكون موقعُه منه كموقع بك بعد مَرحبًا، لئلّا يحصل تقديم الصِّلة على الموصول، وإن شئت جعلت الألف واللام في قوله: «المتولّج» للتعريف، لا بمعنى الذي، فلا يحتاج إلى تقدير الصلة في الكلام. وقد مرَّ نظائرُه.

بابُ المدح[1]

٧٨٥ ـ وقال يزيدُ الحارثي[2]: [الكامل]

١ ـ وإذا الفتَى لاقَى الحِمَامَ رأيتَه ... لولَا الثناءُ كأنّه لم يولَدِ
٢ ـ وأتيتُ أبيضَ سابغًا سِرْبالُه ... يَكفِي المَشاهِدَ غَيبَ مَنْ لم يَشْهَدِ

يقول: إذا أخلَى الفتَى مكانَه من الدُّنيا وانقضى عمرُه، فانتقل من الأولى إلى الأخرى، فلولا ثناءُ الناس عليه، وذكرُه بالجميل الذي يقدِّمه ويُسديه، لنُسِيَ وقتُه وأمَدُه، وصار حكمُه حكمَ مَن لم يولَد فيعرفَ يومُه وغده، لكنَّ باقيَ الذكر وناميَ العهد والرَّسم، بما يُنشَرَ من حديثٍ حسنٍ وقِصَّة، ويُحمَد من عادةٍ وسُنّة، هو الذي يَصِير به في حكم الحيِّ الذي لم يَمُت، والمشهود الذي لم يَفُتْ. وقد توصَّل بهذا الكلام إلى إطرائه مَن يتشكَّره والثناء عليه، وهو قوله: «وأتيتُ أبيضَ سابغًا سرباله»، يريد: وزُرت رجلًا كريمًا حُرًّا، نقيَّ الحَسَب من العُيوب، واسع العِطاف والقميص، لباسُه لباسُ الرُّؤساء والسادة.

وقولُه: «يكفي المَشاهِد» يريد أنه ينوب في مجالس الكبار عمن لا يحضرها، فيحسِّن المَحضَر، ويُقصِّر لسانَ المغتاب. ومثله قوله الآخر: [الكامل]

إنَّا لَنَذْكُرُ والرِّماحُ تَنُوشُنا ... تحتَ العجاجةِ ما يقال ضُحَى الغَدِ

---

(١) التبريزي جعل «باب الأضياف والمديح» بابًا واحدًا.
(٢) يزيد بن المخرّم بن حزن بن زياد الحارثي: من سادات الجاهلية وشعرائها، شهد يوم الكلاب الثاني. ترجمته في النقائص طبعة ليدن ص ١٥٠، واللباب ٣: ١٠٩، ومعجم المرزباني ٤٩٤.

٧٨٦ ـ وقال دُرَيدُ بن الصِّمَّة[1]: [الطويل]

١ ـ تَراه خَمِيصَ البَطْنِ والزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ ويَغْدُو في القَميصِ المُقَدَّدِ

وقد مرّت هذه الأبيات مشروحة[2].

٧٨٧ ـ وقال آخر[3]: [الطويل]

١ ـ كَريمٌ رأى الإقتارَ عَارًا فلم يَزَلْ أخا طَلَبٍ للمالِ حتَّى تَمَوَّلا

٢ ـ فلما أفَادَ المالَ عادَ بفَضْلِه على كُلِّ مَنْ يرجو جَدَاهُ مُؤَمِّلا

الإقتار: نقيض الإكثار. يقال: فلان مُكثِرٌ، وفلان مُقتِرٌ. وكذلك التَّقتير عقيب التَّكثير. ويقال: قَتَرَ على أهله وأَقْتَرَ، إذا ضَيَّقَ عليهم في الإنفاق، وفي القرآن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفُرقان: الآية ٦٧]، قُرِئ بضم الياء وفتحها على اللُّغتين. يقول: لمَّا رأى في ماله القصورَ والعجزَ عن مدى هَمِّه، رأى ذلك عارًا ومنقَصة، فلم يزلْ يمتطي المَراكب الشَّاقّة طالبًا للمال، ويديم الحَلَّ والتَّرحالَ في كَسْبِه وجمعِه، حتَّى إذا استغنى ونال مُناه، لم ينفرِدْ به دونَ مؤمِّليه، ولم يجعَلْه مقصورًا على لذَّاته ومباغيه، ولكن عادَ يُفْضِلُ عليهم، وأقبل يُشرِكهم فيه ويعطيهم. ويقال: أفاد بمعنى استفاد. والجَدَا والجَدْوَى: العطيّة.

٧٨٨ ـ لمَّا أُتِيَ يزيدُ بن عبد الملكِ بآل المُهلَّبِ قام (كُثَيِّر) بينَ يديه فقال[4]: [الطويل]

١ ـ حَليمٌ إذا ما نال عَاقَبَ مُجْمِلًا أشَدَّ العِقابِ أو عفَا لم يُثَرِّبِ

٢ ـ فَعفْوًا أميرَ المُؤمنين وحِسْبَةً فما تَحتَسِبْ مِن صَالحٍ لك يُكْتَبِ[5]

٣ ـ أساءُوا فإنْ تَغفِرْ فإنَّكَ أهلُه وأفضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

---

(١) بعده عند التبريزي:

«وإن مسَّه الإقواءُ والجهدُ زاده سماحًا وإتلافًا لما كان في اليدِ
قصيرُ الإزارِ خارجٌ نصفُ ساقِه صبورٌ على العزّاء طلاّعُ أنجدِ
قليلُ التشكّي للمصيباتِ حافظٌ من اليومِ أعقابَ الأحاديثِ في غدِ»

(٢) انظر الحماسية (٢٧١).

(٣) في الحماسة البصرية ١: ١١٣ لأحمر بن سالم المرّي.

(٤) الأبيات في ديوانه ٤٧.

(٥) في التبريزي والديوان «فما تكتسب».

يَصِفُه بكرم النَّفْس وكَظْم الغيظ، واستعمالِ الحلم في وقته، والانتقام من الأعداء بأشدّه في إبّانه وحِينه. فيقول: إذا نالَ الجانيَ عليه، أو العدوّ المكاشِحَ له، عاقَبَهُ وهو مُجْمِلٌ، أي لا يشتطُّ ولا يُسْرِف، ولكن ينتهج طُرُق العَدْلِ في الانتقام، ويَقصِدُ الحقَّ في إقامة الحدّ عند التمكّن واللِّزام، وذلك أشدُّ ما يُعَاقِبُ به مثلُه، أو عفا عنه غيرَ موبِّخ على ذَنْبه، ولا مكدِّرٍ نعمته في عَفْوِه. وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يُوسُف: الآية ٩٢]: لا تخليطَ ولا إفساد. وقال غيره: لا تعيير ولا توبيخ.

وقوله: «فعفوًا أميرَ المؤمنين» طَلَبٌ وسُؤال، وانتصاب عَفْوًا على المصدر. فيقول: اعْفُ وقد قَدَرْتَ، واحْتَسِبْ عند الله بما تأتيه، فهو مكتوبٌ لك إلى يومِ فاقتك، ومُدَّخرٌ إلى وقت مجازاتِك، فكما تعفو يُعْفَى عنك.

وقوله: «أساؤوا فإن تغفِرْ»، اعترافٌ بالذّنب، واستعطاف بالغَفر. فيقول: إن تجافيت عن إساءتهم واستعملت ما أنت أهله من العفو عنهم، فإنَّ ذاك هو المرجوُّ منك، والمعتادُ من نَظَرِك، وأفضلُ الحِلْمِ احتسابًا وأجرًا حِلْمُ المغِيظ، والمُضْجَر الممتَلَك.

فرُوِي أن يزيدَ لما قَرَعَ سمعَه هذه الأبياتُ قال: لولا أنَّهم قدَحُوا في المُلْكِ لعفَوْت عنهم[1].

٧٨٩ ـ وقال يزيدُ بنُ الجهْم[2]: [الوافر]

١ ـ تُسائِلُني هَوَازِنُ أينَ مَالي وهل لِي غَيرَ ما أنفقْتُ مَالُ

٢ ـ فقلتُ لها هَوَازِنُ إنَّ مالي أَضَرَّ به المُلِمَّاتُ الثِّقالُ

٣ ـ أَضَرَّ به نَعَمْ ونَعَمْ قديمًا على ما كان من مَالٍ وَبالُ

يقول: تباحِثُني هذه القبيلةُ عن حالي، وتسائلني عن وجوه غِناي، ومَصارِف مالي. وهذا إخبارٌ عنهم وهن مباحَثتهم واستكشافهم في إنكارهم. وقوله: «وهل لي» استفهام على طريق النَّفي، كأنّه قال: ومالي مالٌ إلا ما أتلفتُه ووضعتُه حيث اخترتُه. وهذا اعتراضٌ بيْن الابتداء من هَوازن في السُّؤال وبين ما أتى به في الجواب، وهو

(١) التبريزي: «فقال له يزيد: أطّتْ بك الرحم، أي عطفتك عليهم الرحم».

(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال يزيد بن الحكم الهلالي».

قوله: «فقلت لها هوازن». وانتصب غيرَ على أنّه استثناءٌ مُقدَّم، كأنه لم يعتدَّ بما فَضَلَ له عن مآرِبه، وبقي عنده في جواب مطالِبِه. والمعنى أنّه لا مالَ له إلّا ما أنفقَه وقدَّمه لا ما يُسأل عنه.

وقوله: «فقلت لها هوازن»، يريد أجبتهم وقلت: مَا لي أفناهُ ما نزَلَ بي من المُلِمّات الفادحة، والنَّوائب المجحفة، وأَضَرَّ به قولي في جواب السُّؤَّال والوُرَّاد: نَعَم، إيجابًا لهم، وإسعافًا بمقترحاتهم. وهذه اللفظة وَبالٌ على الأموال معروفٌ فيما تقادَمَ من الأزمان. وانتَصَبَ «قديمًا» على الظَّرف، والعمل فيه ما اشتمل عليه قوله: «عليه ما كان من مالٍ وَبالُ».

ونعَم: حرفٌ وضع للإيجاب، ونقيضه لا. وقد جعله الشاعر على هيئته منقولًا إلى باب الأسماء، فهو فاعلٌ لأضَرَّ، ومبتدأ في قوله: «ونَعَم قديمًا» والخبر وبال.

فأما قول أبي تَمّام: [الكامل]

تـقـولُ إن قُـلتـمُ لا لا مـسـلّمـةً لأمْرِكـمْ ونَعَـمْ إنْ قُلْتُمُ نَـعَـمـا[1]

فقد عِيبَ عليه قوله نعما، وليس كما ظُنَّ، لأنّه لمّا نقَلَها وجعلها اسمًا نصبها بقُلتُم، على حدِّ قولك: قلتُ خيرًا وقلتُ شرًّا.

ويجوز أن يكون «قديمًا» انتصب على الصِّفة المتقدِّمة، أي نَعم وَبالٌ قديم على الأموال، فلما قدَّمه نصبه. ومثلُه: [مجزوء الرمل]

لِمَـيَّـةَ مُـوحِـشًـا طَـلَلُ[2]

٧٩٠ ـ وقال أعرابيّ: [مشطور الرجز]

١ ـ أَلَا فَـتًـى نـالَ الـعُـلَا بـهـمِّـهِ

٢ ـ لـيـس أبـوهُ بـابـنِ عـمِّ أُمِّـهِ

٣ ـ تَـرى الـرِّجـالَ تَـهـتـدِي بـأَمِّـهِ

---

(١) ديوانه ٣٠٥.

(٢) لكُثَيِّر عَزَّة في ديوانه ٥٠٦، وخزانة الأدب ٣: ٢١١، واللسان (وحش) وعجزه:

«كـأن رسـومـهـا الـخـلـلُ»

قوله: «أَلَا فَتَى» تمنّ، وألف الاستفهام دخل على لا النافية لهذا المعنى، ولذلك حذف التّنوين من فتى. ومعنى «نال العُلا بهمّه» أي صرفَ هَمَّه، وشَغَل نفسَه بما ابتنى به العُلَا، وعَمَر به مكارمَ قومه وذَوِيه.

وقوله: «ليس أبوهُ بابن عمّ أمّه»، هو المعنى الذي ورد به الخبر: «اغترِبُوا لا تُضوُوا»، لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ الولدَ إذا حصَلَ بين متشاركَيْن في النّسب متقارِبين، جاء ضاويًا.

وقوله: «تَرَى الرِّجالَ تهتدي بأمّه»، أي تراهم يَطَؤُون عقبَه ويقدِّمونه فيهتدون بقصده، ويقتدون برسمه، لرياستِه وفَضْله.

٧٩١ ـ وقال ابنُ المولى[١]، ليزيد بن حاتم[٢]: [الكامل]

١ ـ وإذا تُباعُ كَرِيمةٌ أو تُشتَرى ... فسِوَاكَ بائعُها وأنتَ المشتري

٢ ـ وإذا توعَّرَتِ المَسَالكُ لم يكنْ ... منها السَّبيلُ إلى نَدَاكَ بأوْعَرِ

يقول: إذا قامت سوقُ المكارم، وثارَ رهجُ المغانم بين طُلَّاب المعالي وتُجّار المَحامد، فغيرُكَ مِن حاضريها يزهد في حَوْز المكرُمات، ويرفعُ يدَه عنها، فكأنّه يبيعها؛ وأنتَ تحصِّلها وتجمع يدَك عليها، وتفوز بابتياعها وإن كانَ بأغلى الأثمان، وأثقل السِّيَم، فلا رغبةَ إذا نظَرْنا في مَجامعِ المجد، واعتبرنا فيها دَواعيَ طُلَّاب الثَّناء والحمد، كرغبتك. وقوله: تُباعُ أو تُشتَرى، أوْ بمعنى الواو، فهو كما يكتب في العقود: «وكلُّ حقٍّ له داخلٍ أو خارجٍ».

وقوله: «وإذا توعَّرت المسالك»، يريد وإذا اشتدَّ الزّمان وانسدَّت الطُّرُق إلى من يتندَّى ويَشتهِر بفعل المعروف، لشُمول القَحط وإمحال الناس، فعادَتْ مسالكُ الجُود وَعْرةً لا يُمكِن قطعُها، ولا الوصولُ إلى أسباب الخير منها، كنتَ قريبَ المأْخَذ، سهلَ الفِناء، حسنَ الإقبال على مُجتَديك، جميلَ الاشتمال على قُصّادك وزائريك، فلا تُستَحزَنُ أرضُك، ولا يُستَوعَر جنابُك. وتوعَّرَت، من قولهم: طريق وَعْرٌ، أي غليظ. وقد وَعِرَ يَوْعَر. وطريق أوْعَرُ، من هذه اللُّغة.

---

(١) ابن المولى: محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار: شاعر متقدّم مجيد، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ظريفًا عفيفًا حسن الهيئة (ت نحو ١٧٠ هـ/ نحو ٧٨٦ م). ترجمته في الأغاني ١٢: ١٦١، دار الكتب العلمية، والمرزباني ٤١١.

(٢) التبريزي: «يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب».

٣ ـ وإذا صنَعْتَ صَنيعةً أتممتَها بيدينِ ليس نَداهُما بمكدِّرِ
٤ ـ وإذا هَمَمْتَ لمُعْتَفِيك بنائِلٍ قالَ النَّدَى فأطعتَهُ لَكَ أَكْثِرِ
٥ ـ يا واحِدَ العربِ الذي ما إنْ لَهُمْ من مَذهبٍ عنه ولا من مَقْصِرِ

قوله: «وإذا صنعتَ صنيعة»، يقول: وإذا اتَّخذتَ عند إنسانٍ يدًا وَأزْلَلتَ إليه نعمةً، فإنَّك لا تُخدِجُها ولا تترك تربيتَها، لكنَّك تكمِّلُها وتقوم بعمارتها، مصُونةً من المَنِّ والتَّكدير، صافيةً من الشَّوائب والتعذير؛ ومتى نويت لمُجتَدِيك الإفضالَ عليه اقتضاك كرمُك والنَّدى الذي هو هَمُّك وسَدَمُك، وقالا وأنتَ تُطيعُهما وتوجب مَرْسُومَهُما: أكثِرْ له ليستغنيَ عن غيرِك، ويَخلُصَ المنُّ لك.

وقوله: «يا واحدَ العرب»، يجوز أن يتَّصل بقول النَّدى ويكونَ الشَّاعرُ حاكيًا، ويجوز أن يتَّصل بمخاطَبَة الشَّاعر، والقصد في الدُّعاء التَّخصِيصُ والإطراء. والمعنى أنَّه واحدُ العَرَب لا نظيرَ له فيهم، فهو المنظور إليه من بينهم، فلا مَعْدِلَ عنه في المُهمَّات، ولا مَقْصِرَ دونه في المُلِمَّات. والمَقْصر: الكفُّ والإمساك.

٧٩٢ ـ وقال المُعَذَّلُ[(١)]: [الطويل]

١ ـ جَزَى الله فِتْيَانَ العَتِيكِ وإن نَأَتْ بِيَ الدَّارُ عنهم خيرَ ما كانَ جازِيَا
٢ ـ هُمُ خَلَطُونِي بالنُّفوس وأكرمُوا الـ ـصَّحَابةَ لمَّا حُمَّ ما كُنتُ لاقِيَا

كان المعذَّل أُخِذَ بِجُرم، فكفل عليه النَّهسُ بن رَبيعةَ العَتَكي، وكان حيثُ كَفَلَ عليه: دُفِعَ إليه فحملَه على فرسٍ وبَغْل، وأمَرَه أن ينجوَ بدمه، وأسلَم نفسَه مكانَه، فقال المعذَّل: اختر أنْ أمتدِحَكَ أو أمتدحَ قومك. فاختار امتداحَ قومه، فقال: تولَّى اللهُ عنِّي جزاءَ فتيانِ العتيكِ، فقابَلَهم بخيرِ ما يُجازِي به مُستحِقًّا لجزاء، وإنْ بَعُدْتُ عنهم، وتناءت دارِي عن دارهم.

ثمَّ أخذ يقتصُّ ما عُومل به فذَكَرهم وقال: هم الذين خَلَطوني بأنفسهم، وأسقطوا الحِشمةَ بيني وبينهم، فجعَلُوني أشاركُهم في خيرهم، ولا أتفرَّد بالضَّير فيهم؛ ثم إنَّهم صاحبوني مصاحبةً كريمة لمَّا قُدِّر لي ما كنتُ أكابِدُه، فضَمُّوني إلى أنفسهم متكفِّلين بي، وصابرين على المكروه دوني، ثم فكوا أسرِي وأبلغوني مَأْمني.

---

(١) التبريزي: «المعذَّل بن عبد الله الليثي».

فإن قيل: ما فائدةُ قوله: «وإنْ نأت بيَ الدّارُ عنهم»؟ قلتَ: أراد أنّه لا يشكرهم مُقارِضًا ولا طامعًا فيؤثّر فيما هو الغرضُ فيه قُرْبُ الدّار وبُعْدُها، بل يؤدّي حَقَّ نِعمةٍ، ويقضي لازمَ فريصة وقوله: «لَمَّا حُمَّ» يجوز أن يكون ظرفًا لأكرموا. ومعنى حُمَّ قُدِّر.

٣ ـ هُمُ يُفرِشُونَ اللِّبْدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ وأَجْرَدَ سبَّاحٍ يَبُذُّ المُغاليَا

٤ ـ طَعامُهُمُ فَوْضَى فضًا في رِحالِهِمْ ولا يُحسِنُون السِّرَّ إلّا تَنادِيا

٥ ـ كأنّ دَنانيرًا على قَسِماتِهمْ إذا الموتُ للأبطالِ كانَ تَحاسِيَا

ذكر ما شاهدهم عليه في مُجاورتهم، ويَجْرُون عليه في عاداتهم ومَصارفهم، ويَنْتَقِلون فيه أوقاتَ حَفْلهم، وعند خَلوتهم، وفيما ينوبهم من نائبةٍ تخصُّهم أو تعمُّهم. فقوله: «يُفرشون اللِّبْدَ» بضمّ الياء، أي يجعلون اللِّبْد فِراشًا لظهر كلّ رَمَكةٍ وثّابة، وكلّ فحلٍ كريم سَبّاحٍ في عدْوِه، غَلابٍ لمُباريه في الغُلُوّ، سَبّاقٍ في الرِّهان يَحُوز قَصَبَ التّقدُّم والعلوّ.

ويقال: فَرَشْتُ الفِراش وأفرشَنيه فلان، وافترشت الأرضَ والمرأة. وروى بعضهم: «هم يَفْرِشُون» بفتح الياء، وقال: أراد يَفْرِش اللِّبْدَ على كلّ طِمِرّةٍ، فحذف الجار، قال: ويقال: فرشتُ ساحتي الآجُرَّ وبالآجُرّ.

وقوله: «يَبُذُّ المغاليا» إن ضممت الميم جاز أن يُراد به السهْمُ نفسه أو فَرَسٌ يُغاليه. وجاز أن يراد به الرّافع يَدَه بالسَّهمِ يريدُ به أقصى الغاية. ويقال: بيني وبينه غَلْوَةُ سهم، كما يقال قِيدُ رُمْح وقابُ قوس. وإن فتحتَ الميم يكون جَمْعًا للمِغْلاة، وهي السهم يُتّخَذ للمغالاة. والمعنى: يسبق السَّهمَ في غَلوته.

ومُراد الشّاعر أنّ سعيَهم مقصورٌ على تفقُّد الخيلِ وخِدْمتها، والتفرُّسِ على ظهورها.

وقوله: «طعامهُم فوضَى فَضًا» فوضَى من فوّضْتُ الأمرَ إليك. والفَضا من فَضَت الأرضُ، إذا اتّسعَت؛ ومنه الفَضاء، وأفضَيْت إليه بكذا. والمعنى أنّ الطعام عندَهم وفيهم لا يُكالُ ولا يُوزَن، ولا يُقْتَسم ولا يُفْرَز، بل يأكلُه في رِحالهم كلُّ من احتاجَ إليه، غيرَ ممنوعٍ عنه. وقوله: «ولا يُحسِنُون السِّرَّ إلّا تناديا»، أي لا ريبةَ في أقوالهم وأفعالهم فيَخفِضُوا الصَّوتَ بما يتخاطَبون به، فعلى هذا يكون تناديًا مستثنى، ويكون التقدير: لا يحسنون السِّرَّ لكنّهم يتنادون. ويجوز أن يكون «تناديا» في موضع

الحال، ويكون من باب: [الوافر]

تحيةُ بينهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[1]

و:

أُعْتِبُوا بالصَّيْلمِ[2]

وما أشبههما.

وقوله: «كأنَّ دنانيرًا على قَسِماتهم» فالقَسِمة: الوجه. ويقال: وجهٌ مقسَّم، إذا وُفِّيَ كلُّ جُزْءٍ منه حَظَّهُ من الحسن يريد أنَّ الشَّدائد لا تَكسِرُ شوكتَهم ولا تغضُّ أبصارَهم ولا تَغِيض مياهَ وُجوههم، بل يزدادُون على طول المِراس والجِذاب حُسْنًا ونشاطًا. فكأنَّ سَحَناتِهم غُشِّيَت بالدَّنانيرِ إشراقًا ونورًا، في وقتٍ تتحامى الأبطالُ فيه الموت. وهذا مَثَلٌ للشِّدَّة وقد وُطِّنت النُّفوس عليها، وذُلِّلت لها. أي تشرب الشُّجعانُ كؤوسَ الموت حَسَوات.

٧٩٣ - وقال بعضهم[3]: [الطويل]

١ - وزادٍ وَضَعْتُ الكَفَّ فيه تأنُّسًا ... وما بِيَ لولا أُنسَةُ الضَّيفِ مِنْ أَكْلِ

٢ - وزادٍ رَفَعتُ الكَفَّ عنه تكرُّمًا ... إذا ابتَدَرَ القومُ القَليلَ من الثُّفْلِ

٣ - وزادٍ أَكَلْناهُ ولم نَنْتَظِرْ بِهِ ... غَدًا إنَّ بُخلَ المَرْءِ من أَسْوَأ الفِعْلِ

يصف وُفُورَ عقله وحُسْنَ تأتِّيه في تقلّب الأحوال به، ودهابَه مع الكرم أنَّى اعتمَدَ، ومَعَ مَنْ تَصرَّف. فيقول: رُبَّ زادٍ وضعتُ كفِّي فيه إيناسًا للمجتمعين عليه، وتأنُّسًا بمؤاكلتهم، ولكي يَنْشَطوا بكوني معهم، ويطَّرِحُوا الحشمةَ لانضمامي إليهم، لولا ذلك لكنتُ غيرَ محتاج إليه، ولزَهِدْتُ في التَّناول منه. وقوله: «أُنسَةُ الضَّيف»، يقال: أُنسٌ وأُنسَةٌ كما يقال بُعْدٌ وبُعْدَةٌ، وشقاءٌ وشقاوةٌ، ومَنزِل ومنزلة، ودار ودارة.

وربَّ زادٍ أمسكتُ عن أكله، وانقبضتُ عن الاجتماع مع آكِليهِ مؤثرًا لِغيري به، وتوسيعًا على متناوليه، في وقتٍ من الزمان يُرَى القومُ يستَبِقُون إلى القليل من سَقَط

---

(١) البيت لعمرو بن معديكرب وصدره:

«وخيلٍ دلفتُ لها بخيلٍ»

(٢) هذه قطعة من بيت لبشر بن أبي خازم في اللسان (صلم)، وهو بتمامه:

غضبت تميمٌ أن تقتّلَ عامرٌ ... يوم النار فأُعتبوا بالصِلم

(٣) التبريزي: «وقال أعرابي».

الزاد، لعزّته وشدَّةِ حاجتهم إليه، وبعد عَهْدهم بأطايبه، وربَّ زادٍ أفنيناه وتوسَّعْنا فيه، غير مفكِّر في مستأنَف الزّمان، ولا خائفٍ من عواصف الحَدَثان، ولو بَقَّيناه لعُدَّ ذلك من فِعلنا بُخْلًا به، والبُخل من أسوأ أفعال المرء وأقبحها. وانتصب «تأنُّسًا» على أنّه مصدر في موضع الحال. وقوله: «من أكل» في موضع الرّفع لأنّه اسم ما، والنّفي بما تناوله من حديث لولا. وكذلك قوله: «تكرُّمًا» في موضع الحال، و«إذا ابتدر» ظرف لرفعت، وهو جوابه. وهو قوله: «لم نَنْتظرْ به غَدًا» أي لم ننتظِرْ باستيفائه غدًا، أي مجيء الوقت الذي نُسميه غَدًا.

٧٩٤ ـ وقال بعضهم: [البسيط]

١ ـ لَقَلّ عَارًا إذا ضَيفٌ تَضَيَّفَني ... ما كانَ عِنْدِي إذا أعطيتُ مَجْهُودي

٢ ـ جَهْدُ المُقِلّ إذا أعطاكَ نائِلَهُ ... ومُكْثِرٍ في الغِنَى سِيَّانِ في الجُودِ

اللام من «لَقَلّ» جواب يمين مضمرة، وفاعل قلّ ما كان عندي. و«عارًا» انتصب على التمييز، وهو ممّا نُقِل الفعلُ عنه، كأنّه كان لَقَلّ ما كان عندي، فنقل قَلّ وجعله لقوله ما كان، وأشبه عارًا المفعولَ فنصبه. وقوله: «إذا أعطيت» ظرفٌ لقوله: «قلّ ما كان عندي». وإذا ضيفٌ تضيَّفَنِي، ظرف لقوله: «إذا أعطيت مجهودي». وتلخيص الكلام: لقد قلّ عارُ ما كان عندِي إذا أعطيتُ منه مجهودي إذا ضَيفٌ تضيَّفنِي. والمعنى: لا عارَ في القليل الذي عندي إذا أعطيتُ مجهودي في الوقتِ الذي يتضيَّفُني الضَّيف. ومثل هذا البيت فيما اجتمع فيه من الظَّرفَين قول الآخر: [الطويل]

عَلَامَ تقولُ الرمح يُثْقِلُ ساعِدِي ... إذا أنا لم أَطْعُن إذا الخَيْلُ كَرَّتِ(١)

وقوله: «جَهْدُ المُقِلّ» مبتدأ، وعطف مُكْثِرٍ على المُقِلّ، وقد حذف المضاف منه، والمراد وجَهْدُ مُكْثِرٍ في الغِنَى، فاكتفَى بالأوّل عن الثاني، وسِيّان خبر المبتدأ، كأنّه قال: جَهْدُ المُقِلّ إذا أعطاك ما عنده وجَهدُ مكثرٍ في الغنى مِثْلانِ في أحكام الجُود وشرائطه، لأنّ كلّا منها فَعَل مجهودَه. وإنما قلنا هذا لأنّك إنْ لم تضمر في قوله: «ومكثر» المضافَ تكون قد جمعتَ بين الحَدَث وهو جَهْد المُقِلّ، وبين الذّات وهو مُكْثِر فجعلتَهما سِيَّيْنِ. والشّرط أن يُضَمّ الحَدَثُ إلى الحدث، والذّاتُ إلى الذّات. وقوله: «في الغنى» في موضع الصِّفة لمكْثر، كأنّه قال ومكْثرٍ غَنِيٍّ.

(١) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ٧٢، وخزانة الأدب ٢: ٤٣٦، والدرر ٢: ٢٧٤.

وهذا كما تقول: جاءني رجل في جُبَّةٍ، تريد وعليه جُبَّة، وتحقيقه: جاءني رجلٌ لابسٌ جبة.

وقد تُبيِّن من البيت الثاني معنى البيت الأوّل، واعتذارُه من القليل الذي يُعطيه إذا ضاف ضَيْفٌ.

٧٩٥ ـ وقال خَلَفُ بنُ خليفة[1]: [الطويل]

١ ـ عَدَلْتُ إلى فَخرِ العَشِيرةِ والهَوَى ... إليهم وفي تَعداد مَجْدِهِم شُغُلُ

٢ ـ إلى هَضْبَةٍ من آلِ شَيْبانَ أشرَفَتْ ... لها الذِّروةُ العَلْياءُ والكاهل العَبْلُ

٣ ـ إلى النَّفَرِ البِيضِ الأُولاءِ كأنَّهم ... صفائحُ يَوْمَ الرَّوْعِ أخلَصَها الصَّقْلُ

٤ ـ إلى مَعْدِنِ العِزِّ المؤيَّدِ والنَّدَى ... هُناكَ هُناكَ الفَضْلُ والخُلُقُ الجَزْلُ

قوله: «والهوى إليهم» مبتدأ وخبره قد اعترَضَ بَين صَدر البيت وعَجُزه، والواو واو الحال. والمعنى: وهوايَ معهم؛ لأنَّ إلى بمعنى مع، كما يقال هذا إلى ذاك. ويجوز أن يُعطف والهوى على فخر العشيرة، فيكون المراد عَدَلْتَ إلى الافتخار بهم، وإلى الهوى معهم. فيقول: صرفتُ همّي إلى ذِكر مَفاخر العشيرة، وهوايَ معهم، وتركت غَيرَه لأنَّ في عدِّ مجدِهم وإحصائه ما يَشغَلُني عن غَيره. ثم كَرّر «إلى» مفخِّمًا ومعظِّمًا، فقال: إلى هضبةٍ مِن شأنها كذا، وإلى النَّفر الذين من شأنهم كذا، وإلى معدن العزِّ الذي من أمرهِ كذا. والمراد بجميع ما ذكر العشيرةُ وإن اختلفت العبارات عنها.

وقوله: «أشرفَتْ لها الذِّروةُ العلياء»، يعني هضْبةَ العزّ. فيقول: عَلَت لهذه الهَضْبة ذِروةٌ شامخةٌ وكاهلٌ ضخم، يريد عِظَم الهضْبة وسُموقَها واتِّساعَ جوانبها.

وقوله: «إلى النَّفر البِيض» يعني آلَ شيبان. ذكر عِزَّهم وكَنى عنه بالهضْبة، والقصدُ إلى أنَّهم الملجأ والمعقل. «والأُولاء» في معنى الذين، وما بعدهُ من صِلَته، ويُمَدُّ ويُقصر، فيقال: الأُولاء والأُولَى. وأراد بالبِيض الكرام المُنَقَّى الأحساب. وقوله: «كأنّهم صفائح يوم الرَّوْع»، يجوز أن يضيف صفائح إلى يوم الرَّوع، ويريد تشبيهَهم في نفاذهم وقُدودِهم بالسُّيوف المعدَّة ليَوم الروع، لا المَعاضِدِ وما يُبتَذَل في العوارض سِوى الحَرْب. ولك أن تنصب «يوم» على الظَّرف. يريد صفائح مصقولة

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٩٦).

جُرّدت يَومَ الروع، وأعمِلت وأُنفذت. وعلى الوجهين جميعًا يكون «أخلَصَها الصَّقْل» من صفة الصّفائح.

وقوله: «إلى مَعْدِن العزِّ المؤيد» معنى المؤيّد المقوّى بموادّه التي تُصرف إليه، لحسن مراعاتهم ومحافظتهم على المجد. ولك أن تروي «المؤبّد» بالباء، ويكون المعنى العزّ الدائم الثابت على مَرّ الأيّام. وقوله: «والندى» لك أن تجرّه معطوفًا على العزّ وتصير هناك مكرّرًا، والفضل مبتدأ وهناك خبره، وقد كرر الخبرَ تفخيمًا وتعظيمًا. وكما يكرَّر الخبر يكرَّر المبتدأ، تقول: زيدٌ زيدٌ عاقل، وزيد عاقل عاقل. ولك أن تجعل «والنَّدَى» مبتدأ ويكون هناك الأوّل خبره، والواو واو الحال، ويكون «هناك الفضل» مستأنَفًا.

وقوله: «الخُلُق الجَزْل» الجَزَالة مستعملَة في الرّأي والخُلُق، وفي القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤]، فاستعمل العِظَم أيضًا.

٥ ـ أُحِبُّ بَقَاءَ القَوْمِ بالمِصْرِ إنَّهُمْ ... مَتَى يَظعنوا عن مِصْرِهِمْ ساعَةً يَخْلُو[1]

٦ ـ عِذَابٌ على الأفواه ما لم يَذُقْهُمُ ... عَدُوٌّ وبالأفواه أَسْمَاؤُهمْ تَحلُو

٧ ـ عليهِمْ وَقَارُ الحِلْمِ حتّى كأنّما ... وليدُهُمُ من أَجْلِ هَيبتِهِ كَهْلُ

٨ ـ إذا استُجْهِلُوا لم يَعْزُبِ الحِلْم عنهُمُ ... وإن آثَرُوا أنْ يَجْهَلُو عظُم الجَهْلُ

قوله: «أُحِبُّ بقاءَ القوم بالمصر» يصف به كثرةَ خيرِهم وعمومَ النَّفع بمكانِهم في مُقامهم، وسُكونَ النّاس إليهم، وقيام مُروّاتهم وسياساتهم في أوطانهم ومظانّهم، فيقول: أحبُّ لَبْثَهم في دُورهم ومواضعهم، فإنّهم متى ارتَحَلوا عن مصرهم ساعةً خلا وصارَ في حُكْم ما لم يُختطّ من البلاد ولم يُؤْهَلْ بالقُطّان والسُّكّان، لأنَّ عمارتَه كانت بهم، ودخل في عداد الأمصار بسُكناهم. وانجزم «يخلو» لأنّه جواب الشَّرط، وهو متى يظعنوا، لكنّه أطلَقَ فزاد ما يلحق للإطلاق في قوله: تخلو. قالوا: وهٰهنا ليست التي كانت لامَ الفعل، وإنّما هي كالواو التي في قولك:

.... أيّتُها الخيامُو[2]

---

(١) التبريزي: «من مصرهم».

(٢) قطعة من بيت لجرير في ديوانه ٥١٢، وتمامه:

«متى كان الخيام بذي طلوح ... سقيت الغيث أيتها الخيام»

وبمثل هذا تقول في لم نرمِي، ولم يَخْشَى، إذا وَقعتْ في القافية، فيصير الألف كألف «الجَرعا» والياء كياء «الأيَّامِي». وعلى هذا القول في: [الطويل]

ألا أيها اللَّيل الطَّويل ألا انْجَلِي[١]

الياء فيه للإطلاق، فأمَّا مَن قال: [الطويل]

ألـم يـأتِـيـكَ والأنـبـاءُ تَـنْـمِـي[٢]

[الرجز]

ولا تَـرَضَّـاهـا ولا تَـمَـلَّـقِ[٣]

[البسيط]

منْ هَجْوِ زَبَّانَ لم يَهْجُو ولم يدَعِ[٤]

فالياء والواو والألف لاماتٌ بُقِّيت في موضع الجَزْم، لأنّ المحذوف للجزم عنده مِن هذ الأفعال وأشباهها حركاتٌ كانت في النِّيّة استُثقِل اللَّفظُ بها في موضع الرَّفع مع حروف المدّ، ثم حُذفَتْ حروفُ المد ليكونَ الفعل مجزومًا أنقصَ لفظًا منه وهو غير مجزوم، فعند الضرورة أثبتَها ولم يكن مخطِئًا، إذْ لم يكنْ سقوطُها إعرابًا، ويكون الياء على هذا القول في قوله: «ألَا انجلي» لام الفعل أيضًا.

وقوله: «عِذابٌ على الأفواه ما لم يَذُقْهُم» ما في موضع الظَّرف. أراد أنَّ طَعمَهم حُلوٌ إلَّا على أفواه العُداة، لأنّ أخلاقَهم تَشْمُسُ عند الأعداء فَيَخْشُن جانبُهم لهم، ويمُرُّ مَذاقُهم على أفواههم إذا ذاقوهم. وقد جمع بين الطَّعم والذِّكر، لذلك أعاد ذِكر الأفواه فقال: وبالأفواه، كأنَّه قصد في الأوّل الإنباء عن كرم طبعِهم ولينِ أخلاقهم عند التَّجرِبة، وفي الثاني أنّه يُسْتَحْلَى ذِكْرُهم فيطيب في المَسْمَعة، لشُمول إحسانهم، وكَثْرةِ محاسِنِهم، فتقوم الشَّهادتُ بفَضْلهم في الحالتين.

---

(١) البيت لامرىء القيس في معلقته وعجزه:

«بصبح وما الإصباح فيك بأمثل»

(٢) لقيس بن زهير في الأغاني ١٧: ١٣١، وخزانة الأدب ٨: ٣٥٩، وعجزه:

«بـمـا لاقـت لـبـون بـنـي زيـادِ»

(٣) لرؤبة في ملحق ديوانه ١٧٩، وخزانة الأدب ٨: ٣٥٩، والدرر ١: ١٦١.

(٤) لزبان بن العلاء في معجم الأدباء ١١: ١٥٨، وبلا نسبة في تاج العروس (زبب، زبن)، والإنصاف ١: ٢٤. وصدره:

«هجوتَ زبّانَ ثم جئتَ معتذرًا»

وقوله: «عليهمْ وَقار الحِلْم»، أراد أنّهم يحلُمون في المعاملة، ويتوقَّرون مع من يجرّ الجرائر عليهم، فصغارُهم لهيبتهم في النفوس كالكُهول من غيرهم؛ وإن حُمِلوا على جهلٍ في وقتٍ، بأن يصير مُجاذبهم عاديًا طَورَه، لم يفارقْهم الحِلْم أيضًا، بل يكافئون المُسيءَ على قدر إساءته. ثم إنْ آثروا استعمالَ الجهلِ لأمرٍ يُوجِب ذلك فاستمرُّوا فيه واشتطُّوا عَظُم البلاءُ بهم فلم يُطاقوا.

ويقال أَثِرْتُ الشيءَ وآثرتُ بمعنى.

٩ ـ هُمُ الجبلُ الأعلى إذا ما تناكَرَتْ مُلُوكُ الرِّجالِ أو تَخاطَرتِ البُزْلُ

١٠ ـ ألم تَرَ أنّ القَتلَ غالٍ إذا رَضُوا وأن غَضِبوا في موطنٍ رَخُصَ القَتْلُ

١١ ـ لنا فيهِمُ حِصْنٌ حَصِينٌ ومَعْقِلٌ إذا حَرَّك الناسَ المخاوِفُ والأزْلُ

١٢ ـ لَعَمْري لَنِعْمَ الحيُّ يَدْعو صَرِيخُهُم إذَا الجارُ والمأكول أرهَقَه الأكلُ

وصفَهم بعُلوِّ الشأن وارتفاع المكان، فقال: هم الرُّكن الأرفع، والطوْد الأمنع، وقتَ مداهاةِ الرِّجال بعضِهم بعضًا، ومناكَدة الأملاكِ حالًا فحالًا، فلا يُغالَبُ رأيُهم، ولا يُحلَّلُ عقدُهم، ولا يُبلَغ غورهم، ولا يُستقصَرُ مكرهم. فقوله: «تناكَرَت» تفاعَلَ من النُّكر الداهية؛ وهو حسن. ويجوز أن يكون تفاعل من الإنكار، فيكون تناكَرَت ضدَّ تعارفَت، أي ينكر بعضُهم بعضًا، لِمَا يَنطوي عليه كلٌّ لصاحبِه من سُوء الرأي وإضمار الشر.

وقوله: «أو تخاطرت البُزْل» هو تَفاعل من الخَطَران، وهو إشالة الأذناب وإدارتُها عند الهِياج. وهذا إشارةٌ إلى المتحارِبين المتجاذِبين إذا تدافَعُوا بأركانهم، كما أنّ قوله: «تناكَرَتْ ملوكُ الرجال»، يريد إذا تداهوا بمكايدهم. فيريد أنهم يَعلُون رؤساء الناس قولًا وفعلًا، ومكرًا ودَهْيًا.

وقوله: «ألم تر أنّ القتلَ غالٍ إذا رضَوا»، يريد أنّ من أَوى إليهم واستنامَ إلى جانبهم، فاستعطف هواهم وحصَّل رضاهم، أمِنَ وعَزَّ فلا يلحقُه قَصْدٌ، وسَلِمَ على الدهر فلا يجري عليه جَور؛ ومَن عَدَلَ عنهم واستنَّ في سَنَن غضَبهم، عرَّضَ بنفسه وتعجَّلَ الطمعَ من كل أحدٍ فيه، فقتْلُه يَسْهُل ويَرخُص إذا قَتْلُ المتعزِّز بهم يصعب أو يغلو. ثم قال: «لنا فيهم حصنٌ حصين»، يصف ما عمَّهم من الأمَنَة فيهم وبمكانهم. فيقول: هم لنا معقلٌ حريز وحصن حصين، في وقتٍ يَقلقُ الناسُ فيه، لاستيلاء الخوفِ عليهم، واستعلاء القَحط والبلاد فيهم. والأزْل: الضّيق.

وقوله: «لعمري لنعم الحيُّ»، المحمود بنعم محذوف، كأنه قال: إذا استغاثَ بهم الصريخ وهو المستغيث فاستصرخَهم أجابوه ونصروه، فنعم الحيُّ هم وقد دُعوا، إذا الجارُ مأكولٌ ومطموع فيه، وإذا اشتد الزّمانُ ففَنِيَ الزاد وعزَّ الطعام. وقوله: «الجار» مبتدأ وأرهقه الأكل في موضع الخبر. واكتَفَى بالإخبار عنه وإن كان عَطَف المأكول عليه، كأنه قال: إذا الجار أرهقه الأكل والمأكول كذلك.

ويشبهه قولُ الآخر في الإخبار عن المعطوف عليه دون المعطوف: [الطويل]

فإني وقيّارًا بها لغريبُ[1]

وقد مرّ مثلُه.

ومعنى أرهقه الأكل ضيَّق عليه وغَشِيه. وقد قيل: أكلتُ فلانًا، إذا غلبتَه وقهرتَه. وكُنِيَ عن المستضعَف باللّحم والشَّحم فقيل: تُرِك فلانٌ لحمًا على وضَمٍ، وفلان شحمةٌ للمتبلِّغ. قال الشّاعر: [الطويل]

فلا تحسَبَنّي يا ابنَ أزنَمَ شَحْمَةً ... تَزَرَّدَها طاهي شِواءٍ مُلَهْوَجِ

١٣ ـ سُعَاةٌ على أفناءِ بَكْرِ بن وَائِلٍ ... وتَبْلُ أقاصِي قَوْمِهِمْ لَهُمُ تَبْلُ

١٤ ـ إذا طَلَبُوا ذَحْلًا فلَا الذَّحْلُ فائتٌ ... وإن ظَلَمُوا أكفاءَهم بطَلَ الذَّحلُ

١٥ ـ مَوَاعِيدُهمْ فِعْلٌ إذا ما تكلَّمُوا ... بتِلكَ التي إن سُمِّيَتْ وَجَبَ الفِعلُ

١٦ ـ بُحُورٌ تُلاقيها بُحورٌ غَزِيرةٌ ... إذا زَخَرَتْ قَيسٌ وإخوتها ذُهْلُ

قوله: «سُعاة عَلَى أفناءِ بكر»، السّعي يُستعمَل على وجوه، وكذلك السّعاية. ويقال للمصدِّق السّاعي، والمصدر السّعاية. وهو يَسعَى على قومه، إذا قامَ بأمورهم. والمَسْعَاة في الكرَم والجُود. والشّاعر يريد أنّهم يذُبُّون عنها ويَسعَون في مصالحهم وحِفْظ ذِمَمهم. وقوله: «وتَبْل أقاصي قومهم» تبل يؤكّد ما قبله. والمعنى ذَحْل الأباعد من قومهم كذحل المختَصّ بهم، لأنّهم يتشمّرون في الانتقام والانتصار فيهما على حَدٍّ واحد.

---

(١) هذا عجز بيت لضابىء بن الحارث البرجمي وصدره:

«فمن يك أمسى بالمدينة رحله»

وقوله: «إذا طَلَبوا ذحْلًا فليس بفائت»، يقال: طلبت عند فلانٍ ذَحلًا، إذا رُمْتَ مكافأته على عداوةٍ منه أو جِناية. وأراد أنّهم إن وُتِروا لا يفوتُهم إدراك الوِتر، وإن وَتَروا غيرَهم من أكفائهم وظَلَموهم لم يُنْتَصَفْ منهم، ولم يُدرَكِ الثّأرُ من جهتهم.

وقوله: «مواعيدهم فعل»، أراد أنّهم ينجزون الوعد ويصدِّقون الأقوال بالفعل، وأنّ هذا دأبُهم في الخصال التي إذا سمِّيت موعودًا بها وذكِرت، قال النّاس يجب مع القول فِعْلُها، استبعادًا للوفاء.

وقوله: «بحور تُلاقِيها بُحور غزيرة»، يريد أنّهم في أنفسهم كالبحور كثرة وسماحًا، واتِّساعًا وعِزّة، فإذا لاقتْها بحورُ قيس وذُهْلٍ زاخرةً فقد كَمُل الأمر وتناهَى العِزُّ، واطّرَدَ الماءُ، وطما التّيّارُ حتّى لا يُطاق.

٧٩٦ ـ وقال آخر: [الكامل]

١ ـ عادَوْا مُروءَتَنا وضُلِّلَ سَعْيُهُمْ ... ولكلِّ بَيتِ مُروءةٍ أعْداءُ[١]
٢ ـ لَسْنا إذا ذُكِرَ الفَعالُ كمَعْشَرٍ ... أَزْرَى بفِعْلِ أبيهمِ الأبناءُ

يشبههُ قولُ الآخر: [الكامل]

لا يَملِكون عَداوةً مِن حاسدٍ ... وجِذاءَ كُلِّ مُروءةٍ حُسّادُها

وقول الآخر: [البسيط]

إنّ العَرانِينَ تلقاها مُحَسَّدَةً ... ولا ترى لِلِئام النّاسِ حُسّادا[٢]

وقوله: «وضُلِّلَ سعيهم» أي نُسِب إلى الضّلال لمّا لم يلحقوا شأوَهم.

وقوله: «لسنا إذا ذُكِرَ الفَعال كمعشَرٍ» يريد: لا نعتمد على مَنَاسِبِنا، وعلى ما قدّمه أسلافُنا من المفاخر والمساعي، لكنّا نَعْمُر ما شيّدوه، ونستحدث بأفعالنا ما يقوّيه ويكثّره، ولا يصيرُ مُزرِيًا به.

---

(١) التبريزي: «فضُلِّلَ».
(٢) بلا نسبة في أساس البلاغة (حسد)، والتبريزي ١٠٣٤.

٧٩٧ ـ وقال أعشى ربيعة[1] يمدح عبدَ الملك ابنَ مَرْوان: [الطويل]

ويقال إنّه دخل عليه فقال: يا أبا المغيرة، ما بقيَ مِن شِعرك؟ فقال: لقد بَقِيَ منه وذَهَب. عَلَى أنّي أنا الذي أقول. ثم أنشد هذه الأبيات:

١ ـ وما أنا في حَقِّي ولا في خُصُومتي ... بـمـهـتَـضَـمٍ حَـقِّـي ولا قَـارِعٍ قِـرْنـي
٢ ـ ولا مُـسْـلِمٌ مَـوْلَايَ عِـنْـدَ جِـنـايـةٍ ... ولا خائفٌ مَولايَ مِنْ شرِّ ما أجْنِي

قوله: «في حقّي» أي فيما استحقُّه من النّاس كافّة، من الصّيانة والتّمييز، لما تُوُحّدتُ به من فَضلٍ ومزيةً. وقوله: «بمهتضَم حقّي»، يريد به حقوقَه عند النّاس. فيقول: إني فيما أُجاذِبُ فيه الغير وأنازعُه، وفي طلب حقوقي إذا حَلّت لي عندهم، وفيما يجبُ لي عند المُزاوَلات والمحاكمات من التّبجيل عليهم، لا أُبْخَسُ ولا أُظْلَمُ، ولا أُدْفَعُ ولا أهان. وقولُه: وقولُه: «ولا قارعٍ قِرني»، يريد أنّه لا يأمنني فيشتغلَ عنّي بأسبابه ومَصارفه، ولكن يكون أبدًا خائفًا منّي، ومشغولًا بي وحذِرًا من الإيقاع به.

وقوله: «ولا مُسْلِمٍ مولايَ عِنْدَ جناية» يزيد بقوله: مولاي أجنَاسَ ما يسمّى مولًى مِن حليفٍ ونسيبٍ، ومنتَمٍ بوَلاءٍ بعيدٍ أو قريب. فيقول: إنّي لا أخذُلُ أحدًا منهم عند جنايةٍ يجتنيها، أو جريمةٍ يجترمُها، بل أنصُرُه وأستنقذه كيفَ ما أمكن، سَهُل أو تَعذَّر، ثم إنّي لا أجُرُّ الجرائر عليهم فيؤاخَذُوا بي وبما تكتسبُه يدي، لأنّ ما يرجع إليَّ من النّوائب أقومُ في وجهه، وأحتال في نَقْضِه ودفعه، سواءٌ عليَّ حَقُّ ذلك في مالي أو في نَفْسي.

٣ ـ وإنَّ فـؤادًا بَـيْـنَ جـنْـبَـيَّ عـالِمٌ ... بما أبصرَتْ عَيني وما سمعت أُذُني
٤ ـ وفَـضّـلَنِي فـي الـشّـعْـرِ والـلُّبِّ أنّـني ... أقـول عـلى عِـلْمٍ وأعـرِفُ مَـنْ أعـنِـي
٥ ـ وَأصْـبَـحْـتُ إذ فَـضّـلْـتُ مَـرْوَانَ وَابـنَـه ... على النّاس قد فضلت خيرَ أَبٍ وَابْنِ

يقول: إني اكتسبت من مشاهداتي والأخبارِ الواقعة إليَّ، الصّادقة في مواردها، المتواترة على أَلْسُنِ حَمَلَتِها ما صار قلبي به عَالِمًا ومتميِّزًا، فلا يلتبس عليَّ وجوهُ

---

(١) أعشى ربيعة: هو عبد الله بن خارجة بن حبيب . . .بن شيبان، شاعر إسلامي من ساكني الكوفة، وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمته في: الأغاني ١٦:١٥٥، والمؤتلف والمختلف ١٢.

الحقِّ وحدودُه، ولا صُنوف الصِّدق وفنونُه، فإذا قلت الشِّعر قلتُه على علم بِمَرافِقِه وأساليبه، ومعرفة المَقُول فيه ومستَحِقِّه، فلا أكذبُ في الأخبار ولا أتزيَّد في الأوصاف، ولكن أُعطي كلَّ منعوتٍ حقَّه من القول والوصف، وأقسِمُ لكل مُنَوَّهٍ به قِسطَه من التَّقريظ والمدح، فمن أجل ذلك أصبحتُ إذْ فضلتُ مروانَ وابنه عبدَ الملك على النَّاس قد فضلت خير والدٍ وولد، فلا يقال كذب أو أخطأ، أو اشتَبَه عليه أو شُبِّه له، فلم يأتِ بالحقّ، ولم يقتصر على الصِّدق.

وقوله: «وإنّ فؤادًا» جعله نكرةً لأنّه باتّصال قوله: «بين جنبيَّ» به اختَصَّ، حتَّى علم أنّه قلبُه من بين القُلوب.

٧٩٨ ـ وقال في سليمانَ بنِ عبد الملك: [الطويل]

١ ـ أَتَينا سليمانَ الأميرَ نزورُهُ ... وكان امرَءًا يُحبَى ويُكرَمُ زائرُهْ

٢ ـ إذا كنتَ في النَّجوَى به مُتَفَرِّدًا ... فلا الْجُودُ يُخلِيه ولا البُخْلُ حاضِرُهْ[1]

٣ ـ كِلا شافِعَيْ سُؤّالِه من ضميره ... عن الْجَهلِ ناهيهِ وبالْحِلْمِ آمِرُهْ

يقول: قصدتُ هذا الرجل، وكان لحُسن تعطفِه وكرم تألُّفِه، وكمال احتفافه بزائريه، وجمال إقباله على عُفاته ومُجتديه، يُنِيل الْحِباءَ مؤمِّليه على أبلَغِ ما تعلَّق الرَّجاء به وفيه.

وقوله: «إذا كنتَ في النَّجوى به متفرِّدًا» فالنجوى: المُسارَّة. فيقول: إذا وقَعتَ في خاطرِه، وتفرَّدتَ بمناجاته، فالجُود نَصْبُ عينيه، والبخل غائبٌ عن هِمَّته، لا يحتاج إلى باعث ولا شافع، ولا مذكِّر ولا عاطِفٍ.

وقوله: «كلا شافِعَيْ سُؤّاله من ضميره» جعل السُّؤّال من سانح فِكره وجائل صدرِهِ شافِعَيْن، وزعَمَ أنَّ كلًّا منهما ينهاهُ عن البُخل، ويأمُره بالإفضال والبَذْل. وهذا على طريقتهم في أنَّ الإنسان له نفسانِ عندما يَحْضره من الفَعَال والمَقَال، فأحدهما يأمره بالفِعل، والآخر ينهاه ويبعثه على التَّرك، فقال هذا الشاعر: إنَّ نفسَيْ هذا الممدوح هما يشفعانِ لوُرَّاد حضرته، ورُوَّاد سَيْله ومَطَره، فكلٌّ يدعو إلى الإسداء

(١) التبريزي: «فلا الجود مُخليه».

إليه، ويبعث على الإفضال عليه. ومثله:

إذا ائتمرَتْ نَفساهُ في السِّرِّ خاليا[١]

والنَّجوى مصدر، ويستَعمل وصفًا فيقع على الواحد والجمع، وقد مضَى القول فيه.

٧٩٩ ـ وقال المتوكِّل اللَّيثيّ[٢]: [الطويل]

١ ـ مَدَحتُ سعيدًا واصطفيتُ ابنَ خالدٍ ... وللخير أسبابٌ بها يُتَوَسَّمُ

٢ ـ فكنتُ كمجْتَسٍّ بِمِخفارِه الثَّرَى ... فصادفَ عينَ الماءِ إذْ يَتَرَسَّمُ

يقول: اخترتُ من بين الناس ابن خالد، وقَرَّظْت في شِعري سعيدًا، وللخير حدودٌ ووجوهٌ بها يُتبيَّن رسمُه وعلامته، فكنت في اصطفائي إيّاهما، وصرفي ثنائي إليهما، كرجلٍ يتطلَّب الماء بِمِحفاره مِن ثَرَى الأرض، فصادفَ عينَه ومَنبَعَه، إذ تتبَّعَ أثرَه ورسمه. والمعنى: أصبتُ في القصد والاختيار، ووضعت الثناءَ موضعَه من الإيثار، فسيقَ الخيرُ إليَّ من مطلبي، وحُصِّل التوفر عليَّ من مَقصَدي. فأما مَن روى «مُحْتَسٍّ» فهو مفتعِل من الحَسّ. والمِحْفار: اسمُ الآلة التي يُحفَر بها، كالمِغول وما أشبهه. وهذا مَثَل واستعارة. ومن روى «كمجتَسٍّ» بالجيم، فهو مُفْتَعِلٌ من الْجَس. والتَّحسُّس والتَّجسُّس يتقاربان. ومعنى يترسَّم: يتتبَّع رسومه.

٣ ـ فإن يَسأَلِ اللهُ الشُّهورَ شهادةً ... تُنبِّىءْ جُمادَى عنكُم والمُحَرَّمُ

٤ ـ بأنَّكما خيرُ الحجازِ وأهلِه ... إذا جعَل المُعْطِي يَمَلُّ ويَسْأَمُ

يصف دوامَ بَذْلهم في فصول السنة، واتصالَ جَدْوَاهم في شهور الضِّيق والسَّعَة، وفي الجَدب والْخِصب، وعند شمول الحرّ والبرد. وجمادى من أزمان القَحْط والضُّر، والمحرَّم من الأشهر الحرُم. فيقول: إن استَشهَد الله تعالى أوقاتَ السَّنَة وأهِلَّة الشهور شهِدَتْ لكم، وأخبرَتْ عنكم بأنكم خيرُ أهلِ الحجاز بَذْلًا وإفضالًا، وحُسْنَ تفقُّد وإحسانًا، في الوقت الذي تَرَى المُعْطى يَمَلُّ الإعطاء، ويتبرَّم بالسؤال، فيصيرُ ذلك داعيةً له إلى الإمساك والكف.

---

(١) عجز البيت الثاني من الحماسية (٣٨٣) وصدره:
«فتى كان لا يطوي على البخل نفسه»

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٤٢).

وقوله: «إذا جعَل المعطى» إذا ظرفٌ لما دَلّ عليه قوله: «خير الحجاز». وجعَل بمعنى طَفِق وأقبَلَ، فلا يتعدَّى. والسآمة فوقَ المَلال.

٨٠٠ ـ وقال نُصَيب[1] في عُمَر بن عُبَيْدِ الله ابن مَعْمَرٍ:

[الطويل]

١ ـ واللهِ مـا يَـدرِي امـرُؤٌ ذو جَـنـابـةٍ ولا جارُ بـيـتٍ أيُّ يـوْمَـيْـكَ أجْـوَدُ

٢ ـ أيَـوْمٌ إذا أُلْقِـيـتَـه ذا يَـسَـارَةٍ فأَعطيتَ عَفْوًا منك أم يوْمَ تُجْهَدُ

أقسَمَ بالله عزّ وجلّ أنه لا الغريب المُجانب ولا القريب المجاوِر يعلمُ أيَّ يَوْمَيْ هذا الممدوحِ أكثرُ سخاءً وأتمُّ إفضالًا. وجعلَ الجود لليوم على طريقةِ قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سَبأ: الآية ٣٣] لمّا كان فيهما. وعلى حدِّ قولِ الناس: نهارُه صائمٌ، وليلُه قائم.

وقوله: «أيومٌ إذا أُلقِيتَه» تفصيل لما أجمله. ومعنى أُلفِيتَه أُلفيتَ فيه، فحذف الجارّ وجعَلَ اليومَ مفعولًا على السَّعة.

وقوله: «ذا يَسارةٍ»، يقال: يَسَار ويسارة، كما يقال: ذِكْر وذكرَى، ومكان ومكانةٌ.

وقوله: «أم يوم تُجهَد»، يريد أم يومَ تُجهَد فيه، فأضاف اليوم إلى الفِعْل وأوصَلَ الفعلَ بنفْسه. والمعنى: لا يَعلم الغريبُ المتنائي عنك، ولا القريب المتداني منك، أيُّ وقتَيْك أكثَرُ سخاءً وخيرًا، أيومٌ نلقَى فيه مُوسِرًا فتُعطِي ما تُعطيه عفوًا، أم يوم توجد فيه مُعسِرًا فتُعطي ما تعطِيه مجهودًا متعَبًا. يريد: أنه لا يَبِين أحدُ وقتيْهِ من الآخر، كما لا يَبِين إحدى حالتيه من الأخرى. ويروى: «أيومًا إذا أُلفِيتُه ذا يسارةً... أم يومَ تُجهَد» ويكون هذا مردودًا على المعنى، لأنه لمّا أراد بقوله: «أيُّ يوميك أجْوَدُ» أيَّ جُودَيك أفضل، قال: «أيومًا»، أي أجودك في يومٍ إذا أُلفِيتَ فيه مُوسِرًا أم جودك في يومٍ تكون فيه مجهودًا مُعْسِرًا.

٣ ـ وإنّ خَـلِـيـلَـيْـكَ الـسَّـمـاحـةَ والـنَّـدَى مُقيمان بالمعروف ما دُمْتَ توجَدُ

٤ ـ مُـقِـيـمـانِ لَيـسَـا تـارِكَـيْـكَ لِخَـلَّةٍ من الدَّهرِ حتى يُفقَدَا حِينَ تُفْقَدُ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٩٥).

جَمع بين السماحة والنَّدَى، لأن السماحةَ هو سهولةُ الجانب في الإعطاء، وطِيبُ النفس به.

وقوله: «مقيمان» أي ثابتان، من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٧٥]. ومنه أقام بالمكان، أي جعَلَ لنفسِه ثباتًا. ومنه قِوَام الأمر، أي دوامه. وما دُمْتَ ظرفٌ. فيقول: السماحة والنَّدَى يقيمانِ بسبب معروفك وله، ويدُومانِ ما دمتَ ثابتًا وقائمًا. وإنما قال بالمعروف كما يُقال: فلانٌ مقيمٌ بمكان كذا، أي يجعلُ قِيامَه به وثباتَه. فكذلك جعل قيامَه بالمعروف على هذا الوجه.

وقوله: «مقيمان ليسا تاركَيك لخَلَّةٍ»، يريد: هما مقيمان بسبب معروفك، وثابتان لك ولمكانك، لا يفارقانِكَ لِخَلَّةٍ من خَلّات الدهر تَعرِض، ولا لفقر يحصُل، إلى أن يُفقَدَا وقتَ فقدِك.

٨٠١ ـ وقال أُمَيَّة بنُ أبي الصَّلْت[1]: [الوافر]

١ ـ أَأَذكُر حاجَتِي أمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُك إنَّ شِيمَتَك الحَيَاءُ

٢ ـ وعِلْمُكَ بالحُقُوقِ وأنت فَرْعٌ ... لَكَ الحَسَبُ المُهذَّبُ والسَّنَاءُ

٣ ـ خَلِيلٌ لا يُغَيِّرُه صَبَاحٌ ... عن الخُلُقِ الجَميلِ ولا مَسَاءُ

قوله: «أأذكر حاجتي أم قَد كفاني». يقول: أيُّ الأمرين أعتمِدُ منك؟ لأنَّ أمْ هذه هي المعادِلة لألف الاستفهام والمفسَّرة بأي. فيقول: أُلقي حاجتي قِبَلَك إليك، وأُنهِي قِصَّتي المرفوعةَ إليك، أم أَعتمِدُ اكتفائي بكَرَم فِطْنتك، وذكاءِ مَعرِفتك، وحُسن التفاتِك إلى المتعلِّقين بحبلك، والرَّاجِين لخيرك وفَضْلك، لأنَّ مِلَاكَ خُلُقِك الحياء، فإذا توصَّل تابِعك بعَرْض وَجْهِه عليك، صار ذلك مهيِّجًا لحيائك، وداعيًا إلى الفكر فيما أحوَجَه إليك، وسائقًا إلى قضاء مَأرُبته لديك؛ ولأنَّ محافظتك على أُولِي المَوَاتِّ والحُرَم، تبعثك على صِيانتهم، وتحميهم من ابتذالٍ يلحقهم، إذْ كنتَ الفرعَ لأصلٍ يجمع إلى الحسب المُنَقَّى، والمجدِ المزكَّى، علُوَّ همَّةٍ وارتفاعَ منزِلة.

وقوله: «خليل» ارتفع بأنّه خبر مبتدإٍ مضمر، كأنّه قال: أنت خليلٌ لا تغيِّره الأوقاتُ عما أُلِف من بِرّه، وعُهِد من كرمه. وأشار في قوله: الصَّباحِ والمَساء، وهما

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٥٤).

طرفا النهار ووَقتَا الغارةِ والضِّيافة، إلى أنّه لا يتغيَّر على عِلَّات الزمان ولِمَا يتغيَّر الإنسان من عارضِ مَلَالٍ حادث، أو تضجُّرٍ بمَصارفِ أمرٍ سانح.

٤ ـ وأرضُكَ كلُّ مَكْرُمةٍ بَنَتْها بنو تَيْمٍ وأنتَ لَهَا سماءُ

٥ ـ إذَا أثنَى عَلَيكَ المَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ

قوله: «وأرضُك»، يريد ما تَوطَّدَ له من مَبَانِي المَجْدِ والشَّرَف بقومه وفصيلته، فجعلَه كالأرض له، وجَعَل مراعاتَه له من بَعْدُ وتوفُّرَه على ما يُشيِّده بنَفْسه كالسَّماء له، وقد عُلِمَ أنَّ حياةَ الأرضِ وإضاءتَها بِمَا يأتي عليها من حَيَا السَّماءِ وبِنُورها. فيريد أنَّ عمارةَ مَكارمِ آبائه كانت بِرَمِّه لها، وبالموادِّ الذي يُمِدُّها بها، فلذلك زَكَت ورَبَتْ، وثَبَتَتْ على مَرِّ الأيّام وعَلَت.

وقوله: «إذَا أثنَى عليك المرءُ يومًا»، يقول: إنَّ المُثنِيَ عليك لا يحتاجُ إلى قَصدِك به، لأنه متَى تأدَّى إليك ثناؤه أنَلْتَه إحسانَك، وأغْنيتَه عن التعرُّض والقَصْد، وقطْعِ المسافةِ دُونَك وحمل المشاقّ والجَهْد.

٦ ـ تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمةً ومَجْدًا إذَا مَا الكَلْبُ أجْحَرَهُ الشِّتاءُ

يقول: يَدوم عَطاؤُك ويتَّصل، فكأنَّك تُبارِي الرِّيحَ في هُبوبِها أوانَ الجَدْبِ والقحط، وحين يَقِلُّ صَبرُ الكَلْبِ على الاعتساسِ والطَّوف، حتَّى يصيرَ رابضًا في البُيوت، ومُستدفِئًا بجوانب الأخْبيةِ والكُسور. وقوله: «إذا ما الكلب» ظرفٌ لتُبارِي أي تَفعلُ ذلك في مثلِ هذا الوقت. و«مكرمةً»، انتصبَ على أنَّه مفعول له، ويجوز أن يكون في موضع الحال.

٨٠٢ ـ وقال ابن عَبْدَلِ الأسَديُّ(١): [الكامل]

١ ـ بَيْنَا هُمُ بالظَّهْرِ قَدْ جَلَسُوا يَوْمًا بحَيثُ يُنَزَّعُ الذُّبَحُ

٢ ـ فإذَا ابنُ بِشْرٍ في مَوَاكِبِهِ تَهْوِي بِهِ خَطَّارَةٌ سُرُحُ

٣ ـ فكأنَّمَا نَظَرُوا إلَى قَمَرٍ أو حَيْثُ عَلَّقَ قَوْسَهُ قُزَحُ

بينا يستعمل في المفاجأة، وكذلك بينما. وكان شيخُنا أبو عليّ ـ رحِمه الله ـ يقول: هو ظرف زمان، كأنَّ الأصلَ كان: بين أوقات، فحُذف المضاف إليه.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٠).

والظُّهر: موضع. ويومًا انتصب على البدل من بيناهم، ويريد به المتَّصلَ من الأوقات، كما يقال: فلانٌ يَفعلُ كذا وكذا، وكان بالأمس يفعل كذا. والذُّبَح: نبتٌ له أصل يُفَتَّشُ عنه ويُخرَج كالجَزَر، ويُقشَر عنه جِلدٌ أسود، وهو حُلو يؤكل. وهذا أعني قوله: «بحيثُ ينزِّع الذُّبَح»، بيانٌ للميقات المشار إليه.

وقوله: «فإذَا ابنُ بشرٍ في مواكبه»، الفاء زائدة، لأنَّ بينا وبينما يجيئان ولا فاءَ فيما يقع فيهما. على ذلك قولُه: [الوافر]

فبينَا يَمشيانِ جَرَتْ عُقَابٌ مِن العِقْبَانِ خائتةٌ طَلُوبُ[(١)]

فأمَّا «إذَا» فقد ذكر سيبويه خاصّةً أنّ إذْ تقع بعدهما ولم يَذكر إذا. تقول: بينما نحنُ نسيرُ إذْ أقبَلَ زيد. وكثيرٌ من النحويِّين والأصمعيّ يُنكِرون هذا ويقولون: لا حاجة إلَى إذْ وإذا، ويستشهدون بقول أبي ذؤيب: [الكامل]

بَيْنَا تعنُّقِه الكُماةَ ورَوْغِهِ يَومًا أُتِيحَ له جَريٌّ سَلْفَعُ[(٢)]

وإذا رجَعْنَا إلى الموجود فيما يختارونه هو الأكثر. واستَشهدَ سيبوَيه بقوله: [الخفيف]

بينما نحنُ بالكَثِيب ضُحَى إذا أتَى راكِبٌ على جَمَلِه[(٣)]

والبيت الذي نحن فيه جاء بإذا، فهو أغرب.

ومعنى تَهوِي به: تُسرع. والخَطَّارة: النّاقة تَخطِرُ بذَنَبها نشاطًا فِعْلَ الفُحولة، أو تَخطِر في مَشيها. والسُّرُح: السَّهلة اليدين. فيقول: بينَ أوقاتِ النَّاسُ جالسونَ بهذا المكان، حيثُ يُقتَلَع هذا النَّبت، إذا ابنُ بِشْرٍ وخَلْفَه مواكبُه، تُسرِع به نجيبةٌ هكذا، فكأنَّما نَظَرُوا إلى قمرٍ، أي لمَّا اجتازَ بهم شبَّهوه في إشراقِه ونُوره، وبَهاء مَوكِبه، بالقَمرِ، أوْ نَظَروا إلى حيثُ يتراءَى للنَّاظرِينَ قَوسُ قُزَح. فقوله: «أو حيث» يجوز أن يكون معطوفًا على قمر، فيكون المعنى: نَظَروا إلى قمرٍ أو إلى مكانٍ قُوسِ قُزح. ونَكَّر قمرًا لأن فائدة المعرفة والنكرة إذا وقعَ في مثل هذا المكان لا تتغيّر. ويجوز أن

---

(١) في التبريزي: «طلوبًا» وهو لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١٠٨، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٢:٢٢٦.

(٢) لأبي ذؤيب في خزانة الأدب ٥:٢٥٨، والدرر ٣:١٢٠، وشرح أشعار الهذليين ١:٣٧.

(٣) البيت لجميل في ديوانه ١٨٨، وشرح شواهد المغني ١:٣٦٦.

يكون «حيث» في موضع الظَّرف، كأنَّه قال: نَظَروا إلى قمر، أو نَظَروا حيثُ علَّقَ قوسَه قُزَح. وجعل قُزَح فاعلًا على اعتقاد مَن يعتقِد أنّ قُزَحَ اسمُ شَيطان، لهذا أخبَرَ عن المضاف إليه من قولهم قَوْس قزح. وقد ورد في الخبر النَّهيُ عن هذا، وهو مشهور، وقال الخليل حكايةً عن أبي الدُّقَيش: تَقْزِيحه: طرائقُه، واحده قُزْحَة، والجمع قُزَح. وذُكِر في الخَبَر أنّ فيه أمانًا من الغَرَق. ويُروى: «عَليٍّ قوسَه قُزَح» من العلوّ. وعند النحويِّين أنّ قولهم قَوسُ قُزَح كحَمارِ قَبَّانَ وما أشبَهَه. وإذا كان كذلك لم يَصلُح الإخبارُ عن المضاف إليه. وذكر بعضُهم أنّه يقال لقوس قُزَح: قوسُ قَزِيع، وهو من تقزّع الفرسُ، إذا تشمَّر للعَدْوِ وخفّ.

٨٠٣ ـ وقال حاتمُ طَيِّىء[1]: [الطويل]

١ ـ مَتَى ما يَجِيءْ يَوْمًا إلى المَالِ وارِثِي يَجِدْ جُمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلْأَى ولا صِفرِ

٢ ـ يَجِدْ فَرَسًا مِثْلَ العِنانِ وصارِمًا حُسَامًا إذا ما هُزّ لَمْ يَرْضَ بالهَبْرِ

٣ ـ وأسْمَرَ خَطِّيًّا كأنّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قَدْ أرْبَى ذِراعًا عَلَى العَشْرِ

قوله: «جمع كفّ» هو القَدْر الذي يُجمَع عليه الكفّ من المالِ وغيره. ويقال للمرأة الحاملِ: هي بجُمْعٍ، وكذلك للبِكر منهنّ. والصِّفر: الخالي من الشَّيء. فيقول: متى جاءَ وارثي بَعْدَ موتي يجدْ قَدْرًا من المال لا يُوصَف بالكثرةِ ولا بالقِلّة، يَجِدْ فرسًا ضامرًا كالعِنانِ في إدماجه وضُمْرِه، وسيفًا قاطعًا إذا حُرِّك في الضَّريبة لم يَرضَ بالقَطْع، ولكن يتجاوزُه ويَخرُجُ إلى ما وراءه، ورُمحًا أسمَرَ في لونه، وذاك أصلَبُ، محمولًا من الخَطِّ، وهو اسمُ جزيرةٍ يُجلَب منها الرِّماح. والكُعوب: العُقَد. شَبَّهها في صَلَابتِها بنَوَى القَسْب. والقَسْب: ضربٌ من التَّمْر رديءٌ غليظُ النَّوَى صُلْبُها. وقوله: «قد أربَى ذراعًا على العَشر»، وصفَهُ بأنّه لم يكن طويلًا ولا قصيرًا حتَّى لا يكون مضطربًا ولا قاصرًا، بل يجرِي مع الاعتدال. وقال الدُّريدي: القَسْبُ البُسْر اليابس. ونَوَى القَسْب يشبَّهُ به أيضًا ما في جَوفِ الحافِرِ من النُّسور. قال: [الهزج]

لَهُ بَيْنَ حَوامِيهِ نُسورٌ كَنَوَى القَسْبِ[2]

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٢٧).

(٢) لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه ٢٨٩، واللسان (صلف، حما)، ولعقبة بن سابق في الأصمعيات ٤١، وتاج العروس (صمي).

وقَصد الشّاعرُ إلى أنَّ ما يَحصُلُ له يَجُود به، فإذا ماتَ لم يَبْقَ له إلّا ما ذَكَرهُ من آلاتِ الحرب والغَزْو.

٨٠٤ ـ وقال آخر[١]: [البسيط]

١ ـ آلُ المهلَّب قومٌ خُوِّلوا شَرَفًا ... ما نالَهُ عَرَبيٌّ لَا ولَا كادَا

٢ ـ لوْ قِيلَ للمَجْدِ حِدْ عنهم وخالِهِمِ ... بما احتَكَمْتَ من الدنيا لما حادَا

٣ ـ إنّ المكارِمَ أرواحٌ يكونُ لها ... آلُ المهلَّب دُونَ الناس أجسادا

وصفَهم بأنهم أُعطُوا مجدًا لم يَنلْه قبلَهم عربيٌّ، ولا قَرُب من أن ينالَه، فهم متفرّدون به، لا ينبغي لغيرِهم. ثمّ قال: لو قيل للمجد حِدْ عنهم. يريد أنهم للمجد موضعٌ ومقرٌّ حتى لو كان يَعقِل ثم سِيم ترْكَهُ إياهم، وإخلالَه بهم بما يَحتَكِمُ من الدنيا، ويَقترِحُه من أعراضها، لما تجنَّبهم، ولا عَدَلَ عنهم، وذاكَ لأنَّ المجدَ رضِيهم مَحَلاً، ورَضُوا هُم بسُكناه أهلاً. والقَذْر يَجرِي إلى القَذْرِ. وقد ألَمَّ بهذا المعنى البُحتريُّ في قوله: [الكامل]

أَوَ ما رأيتَ المجدَ ألقَى رَحْلَهُ ... في آلِ طلحةَ ثم لم يَتحوَّلِ

ويقال: خالَى فلانٌ قبيلتَه، إذا تركَهم وتحوَّلَ عنهم. قال النابغة: [البسيط]

قالَتْ بنو عامرٍ خالُوا بني أسَدٍ ... يا بُوسَ للجَهْلِ ضَرَّارًا لأقوامِ[٢]

معناه تارِكُوهم وفارِقوهم.

وقوله: «إنّ المكارم أرواح» جعَلَ آلَ المهلَّب كالأجساد، والمكارمُ لها كالأرواح، كما جعَلَهُم في الأوّل دارًا، والمجدَ سُكّانًا، والروح لا يثبُت إلّا في جسمٍ على صفةٍ، كما أنَّ الجسمَ لا يتصرَّف إلا بالروح الحاصلِ فيه مع القدرة. فيريد أنهم مَقَارّ للمكارم، مصرَّفون في اكتساب المعالي، فالمكارمُ بهم تثبت وتبقى، كما أنَّ تصرُّفَهم واقتدارَهم من بينِ الأجسام بها ولها.

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي ص ٣٧٣: «وقال نهار بن توسعة اليشكري» وفي الحماسة البصرية ١: ١٤١ لعمرو بن لجأ التميمي.

(٢) للنابغة الذبياني في ديوانه ٨٢، وخزانة الأدب ٢: ١٣٠، والدرر ٣: ١٩.

٨٠٥ ـ وقالت أختُ النَّضر بن الحارث[١]: [البسيط]

١ ـ الواهِبُ الألفَ لا يَبْغِي به بَدَلًا إلّا الإلٰهَ ومَعْرُوفًا بما اصْطَنَعَا

تقول: إنّه يفرّق ما يفرّق من ماله لا لطلبِ عِوَضٍ، ولا اجتذَابِ نفعٍ واجتلابِ مَحْمَدة، ولكنْ يريد به التقرُّبَ إلى الله تعالى، وأن يفعلَ المعروفَ بما يصنعُه، فهو يتلذَّذُ بفعل المعروف، وباحتساب الأجرِ عندَ الله.

٨٠٦ ـ وقالت صَفِيَّة بنتُ عبد المطلب[٢]

١ ـ ألَا مَنْ مُبلِغٌ عَنِّي قُرَيشًا فَفِيمَ الأمْرُ فِينا والإمارُ

٢ ـ لنَا السَّلَفُ المقدَّمُ قد عَلِمْتُمْ ولم تُوقَدْ لنا بالغَدْرِ نارُ

٣ ـ وَكُلُّ مَنَاقِبِ الخيراتِ فِينَا وبعضُ الأمرِ مَنْقَصَةٌ وعَارُ

الرسالة التي تَطلُب إبلاغَها، وترتاد من تَضَعُها على لسانِه فيحتملُها، قولها «ففِيمَ الأمر فينا»، وما في الاستفهام إذا اتَّصل بحرف الجرّ يُحذَف الألفُ من آخره، تقول: فيم وبم. وقد تُقُصّي القولُ فيه من قبلُ. كأنَّ هذه المرأة تستبطىء قبيلتَها قريشًا. فتقول: مَن يبلِّغهم عنّي لِمَاذا كان الأمرُ فيهم والتَّشاوُر، والاقتداء والتَّرافُع، حتَّى صار النَّاسُ تَبَعًا، وما لَكُم تنقبضون فيما يَجِبُ عليكم السَّعيُ فيه، ولنَا الشَّرفُ الرَّفيعُ والسَّلَفُ القديم، وقد علمتموه عِلمًا خاليًا من الشَّكّ، بريئًا من الشُّبهة، ولم يُعرفْ غَدْرٌ لنا بجارٍ أو ذِي محرم، وقَدَتْ مِنْ أجْلِه لنا نار. وكانت العربُ إذا أرادتْ تشهيرَ غَدْرِ غادرٍ حتَّى يتجنَّبَه النّاس أوقدَتْ نارًا في يَفاعِ هَضْبةٍ، ونصبَتْ لواءً عند مجمعٍ لهم أو سوقٍ عظيمة، وينادون: هذه نارُ فُلانٍ الغادر ولواؤه!! يشهِّرون أمرَه، ويقبِّحون صورتَه على هذا يُحمَل قول زهير: [الوافر]

وتوقَدُ نارُكم شَرَرًا ويُرفَع لكُمْ في كلِّ مَجْمَعَةٍ لِواءُ[٣]

ولا يمتنع أن يراد بإيقاد النّار قيامُ النّاس وقُعودهم، وتفاوُضُهم للغَدْرةِ إذا ظهرَتْ مَن الغادر، وما يثور من الفَضيحةِ والذِّكْرِ القبيح، فيكون هذا مثل قول أبي

---

(١) في نسخة ثانية: قالت قُتيلة أخت النضر بن الحارث.

(٢) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: عمّة النبيّ ﷺ، شاعرة باسلة، أسلمت قبل الهجرة وهاجرت إلى المدينة (ت ٢٠ هـ/ ٦٤١ م). ترجمتها في الإصابة كتاب النساء ص ٦٥١، وطبقات ابن سعد ٨: ٢٧.

(٣) لزهير في ديوانه ٨٥ (شررًا)، واللسان (جمع)، وتاج العروس (جمع).

ذؤيب: [الطويل]

تُـحَـرَّقُ نـارِي بـالـشَّـكـاةِ ونـارُهـا[١]

والأوّل أشهر.

وقوله: «وكلُّ مَناقب الخَيراتِ فينَا»، تريد أنَّ مَعالم الخيرِ ومَواسِمَ الفَضْل فيهم، لا يَدفعُها دافع، ولا يختلِط بها تنقُّصٌ من عائب. ومَنْقَبَة: مَفْعَلة من النِّقَابة وهي المعرِفة. فتقول: فينا أنواعُ الخير والشّر، معلومةٌ للنّاس، وبعضُ ما يُذكَر من الأمور عارٌ على صاحبِ ونقصٌ في شأنه، إذْ كان لا يَسلم على المجاذبين.

٨٠٧ ـ وقال المتوكِّلُ اللَّيثيُّ[٢]: [الكامل]

١ ـ لَسـنـا وإنْ أَحـسـابُـنـا كَـرُمَـتْ ... مِـمَّـن عـلى الأحـسـاب يَـتَّـكِـلُ[٣]

٢ ـ نَـبْـنِـي كـمـا كـانـتَ أوائِلُنـا ... تَـبـنِـي ونَـفـعَـلُ مِـثْـلَ مـا فَـعَـلُوا

يقاربه قولُ الآخَر: [الكامل]

لَسنـا إذا ذُكِـر الـفَـعَـالُ كـمـعشرٍ ... أَزْرَى بـفِـعْـل أبـيـهِـمِ الأبـنـاءُ

وقد مضى القولُ فيه مشروحًا.

٨٠٨ ـ وقال طُرَيح بن إسماعيل[٤]: [الطويل]

١ ـ طَلَبْتُ ابتِغاءَ الشُّكْر فيما فَعَلْتَ بِي ... فـقَـصَّـرْتُ مـغـلوبًـا وإنِّـي لَشـاكِـرُ[٥]

٢ ـ وقد كُنْتَ تُعطِينِي الجَزِيلَ بَدِيهةً ... وأنـتَ لِمَـا اسـتَـكْـثَـرْتُ من ذاك حاقِرُ

٣ ـ فـأرجِـعُ مَـغْـبـوطًـا وتَـرجِـعُ بـالـتـي ... لَهَـا أوّلٌ فـي الـمَـكْـرُمـاتِ وآخِـرُ

---

(١) لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ص ٧٠، واللسان (ظهر)، وتاج العروس (ظهر)، وصدره:

«أبى القلبُ إلا أمَّ عمرٍو فأصبحت»

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٤٢). (٣) التبريزي: «نتكلُ».

(٤) طريح بن إسماعيل بن عبيد الثقفي، أبو الصلت: شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليله، وأكثر شعره في مدحه. (ت ١٦٥ هـ/ ٧٨١ م). ترجمته في الأغاني ٧:١٢٧، وتهذيب ابن عساكر ٧:٥٣.

(٥) التبريزي: «صنعتَ بي».

يقول: غَمَرني إحسانُك، وغَلَبني بِرُّك واعتناؤك، لا جَرَم أنّي لما طلبتُ مقابلتَك بالشُّكر على صنيعك بي، صِرْتُ كالمفرِّط مغلوبًا وأنا مجتهدٌ في الشُّكر، بالغٌ إلى أقصى الغايات في النَّشر، لكنَّ إحسانَك كثَّرني وخلَّفني بالبُعد من غايته، لأنَّك كنت تُعطِيني الكثيرَ من المال مبتدئًا لا عَن سؤال تقدَّمَ، ولا عن ذِكرٍ في نفسكَ تَرَدُّد، ومع ذلك كنتَ تَستحقِرُ عطاياكَ وتَزدريها، وأنا أستكثِرُها وأعجِز نفسي عن ضَبْطها وإحصائها، وأَبلُغُ بها مبالغ المكْثرين والمتكلّفين، ثم أرجعُ مغبوطًا عنك مرموقًا، ومُحَسَّدًا في النَّاس مذكورًا، وترجعُ بِخَصْلِ الكَرَم والسَّبْق إلى الغاية المطلوبة، التي لها عند طُلَّاب المكارم أوّلٌ يُبتدَأ به، وآخرٌ يُنتهَى إليه.

٨٠٩ ـ وقال حبيب بن عَوْفٍ(١): [الطويل]

١ ـ فتًى زَادَهُ السُّلطانُ في الحَمْدِ رَغْبَةً ... إذا غَـيَّـرَ الـسُّـلطـانُ كَـلَّ خَـلـيـلِ

يقول: لم يُبْطِرْك الغِنَى ولا أَطْغَتْك السَّلْطَنة ونيلُ أسبابِ العُلى في الدُّنيا، لكنَّها زادتك رغبةً في الخيرِ واكتساب الحمد بين الناس إذا غيَّر مُساعَدةُ القَدَر، ومُطاوَعة الجَدّ والْجِدَةِ كلَّ خليلٍ لصاحبه.

والسُّلطان في غيرِ هذه: الحُجّة، وقيل اشتقاقُه من السَّليط: الزَّيت.

٨١٠ ـ وقال ابن الزُّبير(٢)، يمدح محمدَ ابنَ مَرْوان: [الكامل]

١ ـ لا تَـجْـعَـلَنَّ مُـبَـدَّنًـا ذَا سُـرَّةٍ ... ضَخْمًا سُرادِقُه وَطِيءَ الـمَرْكَبِ(٣)

٢ ـ كـأغَـرَّ يَـتَّـخِـذُ الـسُّـيـوفَ سُـرادِقًـا ... يَـمْـشِـي بِـرايَـتِـهِ كـمَـشْـيِ الأنْـكَـبِ

قوله: «مُبدَّنًا»، أي سمينًا عظيمَ البدن، ويُروى «مُثْدَّنًا»، وهو العظيم الثَّنْدُوة وعلى ما يقتضيه بناءُ الفعل يكون ثَنْدُوَةٌ مقلوبة والأصل ثَدْنُوَةٌ، فَعْلُوَة، فأما ثُنْدُؤةٌ بضم الأول والهمز فهو بناءٌ آخر. فكأنَّه يخاطب إنسانًا فقال: لا تجعلَنَّ صاحبًا لك هِمَّته في الأكل وتسمين البَدَن، وتحسين الهَيئة والسَّحْنة، فترى مركَبَه وطيئًا، وسُرادِقَه

(١) نسبة في الحيوان ٧: ١٥١ إلى زياد الأعجم.

(٢) هو عبد الله بن الزبير الأسدي، وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٣٢٢).

(٣) التبريزي: «مُثْدَّنًا» و«عظيم الموكب» وقال: «المثدّن: الثقيل الجسم الكثير اللحم».

ضَخْمًا، وجمالَه باهرًا ومنظره رائعًا، كرجلٍ كريم سُرادِقُه ظلالُ السُّيوف، وقد غُشِّيت بما تُفيء عليه، ثمَّ يَمْشِي قُدّامَ أتباعِه وأصحابِه برايته مَشْيَ الأنكب، والأنكب: الذي أحَدُ مَنْكِبَيه أشرفُ من الآخَر. وهذا تصويرٌ في التَّشبيه. وإنَّما يتحمَّل الرَّايةَ بنفسه إذا لم يأمَنْ عثرةَ حاملِه وإسقاطَه إيَّاها عندَ ما يغشاه من الذُّعر، فهو يَمْشِي بها لينظرَ أصحابُه إليها فيَثْبُتون معه، ويحاربون على مُرادِه وهواه.

٣ ـ فَتَحَ الإلـهُ بِشَدَّةٍ قد شَدَّها ما بَينَ مَشرِق أهلِها والمَغرِبِ[١]

٤ ـ جَمَعَ ابنُ مَروانَ الأغَرُّ محمَّدٌ بَينَ ابنِ الأشْتَرِ وبينَ المُصْعَبِ

يقول: فتَح الله تعالى على يدِه بما تَوحَّدَهُ به مِن فضلِه، وسعيه وجِدِّه، ما بَينَ أقاصِي الشَّرق والغرب، بحمْلةٍ حملَها في جوانبها، ثمَّ جمَعَ بين قَتْل الأشتر ومُصعبِ بن الزُّبير، فأراحَ العبادَ والبلادَ منهما، وأزاحَ عن الإسلام والمسلمين شرَّهما وفِتنتَهما. وإنما قال: «بشَدَّةٍ» لِمَا تعجَّل وترادف من الأُمور في نَهَضاته، وتسرَّع وترافَدَ من كَسْر الجُمهور عندما تكلَّف من مداراته.

وقوله: «أشْتَرهم» أضافَهُ إلى مَن كان يَدِين له، ويدخلُ تحتَ طاعته وهواه.

٨١١ ـ وقال الكُمَيت[٢] في مَسْلمة ابنِ عبد الملك:

[الطويل]

١ ـ فما غابَ عَنْ حِلْمٍ ولا شَهِدَ الْخَنَا ولا استَعْذَبَ العَوْرَاءَ يَوْمًا فَقَالَها

٢ ـ يَدومُ على خَيرِ الخِلالِ وَيَتَّقي تَصَرُّفَها مِن شِيمةٍ وَانفِتَالَها[٣]

٣ ـ وتَفْضُلُ أيمَانَ الرِّجالِ شِمالُهُ كما فَضَلَتْ يُمْنَى يَدَيْهِ شِمالَها

يقول: ما أَخَلَّ هذا الممدوحُ بالأخذ بالحِلم، وتَرْكِ السَّفَه والجَهلِ في مشهدٍ من المشاهد، وعندَ حضورِ أمرٍ من الأمور، ولا استَحسنَ الفاحشةَ فرضِيَ بها أو تولَّاها، ولا استطاب اللَّفظَ بالكلمة القبيحة فتفوَّهَ بها يومًا أو توخَّاها، لكنَّه يَدُوم على

(١) التبريزي: «لكَ شدَّها» و«ما بين مشرقها وبين المغربِ».

(٢) الكميت بن زيد الأسدي: شاعر الهاشميين من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالمًا بآداب العرب ولغاتها وأنسابها، ثقة في علمه، وهو من أصحاب الملحمات (ت ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م). ترجمته في الأغاني ١٥: ١٠٨، والمرزباني ٣٤٧، والشعر والشعراء ٥٦٢.

(٣) التبريزي: «تصرّمها»، و«وانتقالها».

الخِصال المحمودة، والأخلاقِ الشريفة، ويتّقي انصرافَه عن شِيمةٍ زكيّةٍ عُرِف بها، وذَهابَه عن طبيعةٍ رضيَّة فيقال تسخَّطها أو رفَضَها، فهو في درَجات المجْد يسمو ويَصعَد، وعلى مطالع الشَّرَف يعلو ويَغلب.

والانفتال: مطاوعة فَتَلْتُه فَتْلًا، وهو الانصرافُ والالتواء. والعوراء: الكلمة القبيحة. والعَوْرَة: السَّوْءَةُ وكلُّ ما يُستَحيا منه.

وقوله: «وتَفْضُل أيمانَ الرِّجال شِمالُه»، يقول: تَزيدُ في الفَضْل والإفضال شِمالُ هذا الرَّجلِ على أيمان الرِّجال كلِّهم وتَعلُو عليها، كما غَلبت اليمنى من يديه الشِّمال. والضمير من «شمالها» يرجع إلى اليمنى، أي كما غَلبت يمينُه شمالَه غلبت شمالُه أيمانَ الرِّجال كلِّهم. ويكون هذا كقول الآخر: [الوافر]

وما فَضْلُ الجَوَادِ على أخيهِ ... إذا اجتهدَا وكلٌّ غيرُ آلِ
فبرَّزَ سابقًا إلّا كفضلِ الـ ... ـيمينِ من اليَدَيْنِ على الشِّمال

فهذا وجه، والأجود أن يُجعَل الضَّمير من الشمال عائدًا إلى الرِّجال، فيكون المعنى: كما فضلت يُمناهُ شِمالَ الرِّجال كلهم. يريد أن زيادةَ شِماله على أيمانهم في الظُّهور مِثلُ زيادةِ يمينه على شمائلهم في الظُّهور.

٤ ـ وما أَجِمَ المَعروفَ مِنْ طُولِ كرِّهِ ... وأمْرًا بأفعالِ النَّدَى وافتِعَالَها
٥ ـ ويبتذل النَّفسَ المَصُونَةَ نَفسُهُ ... إذا ما رأى حَقًّا عليه ابتذَالَها

قوله: «ما أَجِم»، أي ما كَرِه فِعلَ المعروف حتَّى كان ينصرفُ عنه وإن طالَ تكرُّره على يدِه، ودامَ اكتسابُه له، بل يَزدادُ على مَرِّ الأيّام رغبةً فيه، ووُلُوعًا به. ويقال: فلانٌ أَجِمَ من الطعام، إذا عافَه وانصرفَتْ نفسُه عنه. وقوله: «وأمْرًا بأفعال النَّدَى» عطفَه على المعروف، ويريد: ولم يأجم الأمرَ بفِعْل الندى واكتسابَه له، كأنَّه كان يبعث الغَيرَ عليه، ويتولّى فِعلَه بنَفْسه.

وقوله: «ويبتذل النَّفسَ المصونةَ نفسَه». نصب «نفسَه» على البدل من النَّفس. ويكون المعنى أنّه إذا رأى ابتذالَ نفسِه المصونةِ واجبًا عليه، وحقًّا ملازمًا له، يبتذلها ولا يَصُونها. وإنَّما يريد أنّه يفعلُ ذلك في الشَّدائد وعندَ احتماءِ البَأس. وهذا كما رُوِيَ في الخبر: «كُنّا إذا اشتَدَّ البَأسُ اتَّقينا برسول الله ﷺ». ويُروى «نفسُه» بالرفع، ويكون فاعل تبتذل. ويريد بالنَّفس المصونةِ كرائمَ أصحابه وأمواله، فالمعنى أنّه لا

يُبقّي ذخيرةً من ذخائره إذا وجَبَ إنفاقُها، ولا يَصُون نفسًا غزيزة عليه من كرائمِه إذا وجَب ابتذالُها.

٦ ـ بَلَوْنَاكَ فِي أَهْلِ النَّدَى فَفَضَلْتَهم وباعَك في الأبواع قِدْمًا فَطَالَها

٧ ـ فأنتَ النَّدَى فيما يَنُوبُك والسَّدَى إذا الخَوْدُ عَدَّت عُقْبَةَ القِدْرِ مالَها

يقول: خَبَرْناكَ في جملةِ من يَدَّعِي النَّدى وزُمْرتِهم، فغلبْتَهم وسَبقتَهم، كما بلونا بَسْطَ يدِكَ، واتِّساعَ باعِكَ عند البَذْل في الأبواع كلِّها قديمًا، فغَلَبَها في الطول. وقوله: «فضلتَهم»، هو للمبالغة؛ يقال: فاضَلتُه فَفَضَلْتُه أَفْضُله. ولذلك تَعَدَّى وإن كان فَضَلَ الشَّيءُ إذا زادَ لا يتعدَّى. ومن شرط فَعَلَ في المبالَغة أن يُجعَل مستقبلُه على يَفْعُل إذا كانَ صحيحًا، وإن كان في الأصل يجيءُ مفتوحَ العين أو مضمومَه أو مكسوره. وكذلك قوله: «فطالها» إنما تعدَّى وطالَ الذي هوضدُّ قَصُرَ لا يتعدَّى لأنّه من طاوَلْتُه فطُلْته أَطُوله. والمعتلّ في هذا المعنى يجري على أصله، يقال: باكيته فبكيته، إذا غلبتَه في البكاء، وطاولتُه فطُلْتُه، إذا غلبتَه في الطُّول. وإنَّما لم يغيِّروا المعتلَّ لئلا يلتبسَ بناتُ الواو ببنات الياء. ولا يجيء هذا في كلّ فعل.

وقوله: «فأنت النَّدى فيما يَنُوبك والسَّدى»، يريد ترطُّبَه للمعروف وتندِّيَ كفِّه في العطاء عند يُبوس المَحْل، واشتدادِ الجَدْب. والنَّدَى والسَّدَى هما بمعنًى واحد. وقد قيل النَّدَى بالنَّهار والسَّدَى باللَّيل.

وقوله: «إذا الخَوْد عَدَّتْ»، يريد أنَّه يفعَلُ ذلك في الوقتِ الذي تَعُدُّ عَقِيلةُ الحيِّ وكريمةُ القوم مالَها الذي تَعِيش منه وتعتمده، ما يُرَدُّ عليها من المَرَق في القِدر إذا استُعيرت. وهذا كانوا يَفعَلُونه في تناهي القَحْط، وفي شِدَّة الزَّمان، وعند إسنات النَّاس. وكما يسمَّى المردودُ في القِدر عُقْبةً سمِّي عافِيًا قال الكُمَيْت: [البسيط]

وجالَت الرِّيحُ من تِلقاءِ مَغْرِبها وضَنَّ من قِدْرِه ذو القِدْر بالعُقَبِ

وقال آخر: [الطويل]

فلا تسألِيني واسألِي ما خَليقتِي إذا رَدَّ عافِي القِدْرِ مَنْ يَستعِيرُها[1]

---

(١) لمضرّس الأسدي في اللسان (عفا)، وللكميت في أساس البلاغة (عفو)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في اللسان (فور).

وخَصَّ الخَود لكَرَمها ونَعْمتها وكَرامتِها في ذَويها وقال الخليل: الخَوْد: المرأة الشابّة ما لم تَصِرْ نَصَفًا. وقال الدُّريديّ: الخَود: الفتاة النّاعمة؛ ولم يُبْنَ منه فِعْل.

٨١٢ ـ وقال الأعجم[1]، يمدح عُمَر ابن عبيد الله[2]: [الوافر]

١ ـ أَخٌ لَكَ لَيسَ خُلّتُه بِمَذْقٍ إذا ما عادَ فَقرُ أخيهِ عادَا

٢ ـ أَخٌ لَكَ لا تَراه الدَّهرَ إلّا على العِلّات بَسّامًا جَوَادَا

المَذْق: اللَّبنُ وقد خُلِط به الماء، فاستعاره للمودّه. ويقال: فلانٌ يَمْذُق الوُدَّ، وهو يُماذِقني. فيقول: صداقةُ هذا الأخِ صافيةٌ من الشَّوائب، لأنّه لا يَنطوِي لك على غِلّ ولا حِقْدٍ، ولا سوء دِخْلَةٍ، ولا فَسَاد طَوِيّة، وإذا أعطَى راجيَهُ أغناه، فإن راجَعَه الفقرُ لكثرة مُؤَنه، وتزَايُدِ غاشيته، أوْ لتحامُلِ نوائب الزَّمان عليه، وَجَدَ على خُلْقِه ومالِه مَحْمِلًا، فعادَ بالإحسان إليه. ثمّ لا تراه على تغيّر الزمان، واختلاف الأحوال، إلّا ضحوكًا طَلْقَ الوجه، جَوادًا طيّب النفس. وبَسّام: بناء المبالغة، ولم يُبْنَ على بَسَمَ، لأن البناء على بَسَم باسِمٌ. ويقال: بَسَم، وابتسم، وتبسَّم.

٨١٣ ـ وقالت امرأةٌ من بني مخزوم: [السريع]

١ ـ إنْ تَسألي فالمَجْدُ غَيرُ البَدِيعْ قَدْ حَلَّ في تَيمٍ ومَخزومِ[3]

٢ ـ قومٌ إذا صُوّتَ يَومَ النَّزَالْ قَامُوا إلى الجُرْدِ اللَّهامِيمِ

٣ ـ من كُلِّ مَحبوكٍ طُوَالِ القَرَى مِثلِ سِنَانِ الرُّمحِ مَشهُومِ

قولها: «غير البديع» انتصبَ على الحال، وإنّما تُخاطب امرأةً. فتقول: إنْ سألتِ الناسَ عن مَقَرِّ المجدِ ومَسكَنِه، فقد حَلّ غيرَ مُستبدَع ولا مستَنْكَرٍ، في بني تَيْم ومخزوم، وهم قومٌ إذا تَدَاعَى الأبطالُ يومَ النِّزال، وصاحَ المستغيث بناصره عند

---

(١) التبريزي: «وقال زياد الأعجم» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٦٦٥).

(٢) التبريزي: «عمر بن عبيد الله بن معمر».

(٣) التبريزي: «هذه من السريع، والبيتان شاذان، وذلك أن في وزنهما شيئًا لم تجر العادة باستعمال مثله، وهما يزيدان على البيت الثالث فالبيت الأول يزيد بالعين من (البديع) والبيت الثاني يزيد باللام من (النزال) على ما جرت به العادة وهو في ذلك مثل البيت الأول».

القِراع، قاموا إلى خيلٍ قِصار الشُّعور عِرابٍ، كِرَامٍ سِرَاعٍ. ولهاميم الإبل: غِزارُها. ولهاميم النّاس: أسخياؤهم.

وقولها: «مِن كلّ محبوكٍ طُوَال القَرَى»، تريد: مِنْ كلّ فَرَسٍ مُحْكَم الخَلْق، مُشْرِفٍ طويل الظَّهْر، خفيفٍ نافذٍ في العَدْو، كأنّه سِنانُ رُمْحٍ. والمسهوم: الذي قد أثّر الغَزْوُ فيه ولَوَّحَهُ سَمُوم الحربِ والحَرّ. هذا إذا رويته «مَسْهُوم» بالسين غير معجمة، ومن رواه «مشهوم» بالشين معجمةً فمعناه حَدِيدُ القلب؛ ومنه الشَّيْهم: اسم القُنْفُذ، للشَّوْك الذي في ظهره.

٨١٤ ـ وقالت أخرى: [الطويل]

١ ـ أَلَا إنّ عبدَ الواحِدِ الرَّجُلُ الذي يُنيلُكَ ما طالَبْتَ والوَجْهُ وافِرُ[1]

تقول: يُعطِي قبل أن يُسأل ويُبْذَلَ الوجهُ له. ويشبهه قولُ الآخر: [الرمل]

أهْنَأ المعروفِ ما لم يُبتَذَل فيه الوُجوهْ

ويقال: نِلْتُ الشيءَ أنالَه نَيْلًا، وأنالَنِيه فلان. والنَّيْل والنَّوْل يتقاربانِ في المعنى وإن كان بناءاهما مُختلِفَين، يقال: نِلْتُه أنولُه نَوْلًا، فهذا من النَّوال، ونوَّلتُه وتناوَلَ الشَّيء، وما كان نَوْلُكَ أن تفعَلَ كذا، أي ما كان ينبغي لك.

٨١٥ ـ وقالت الخَنْساء[2]: [السريع]

١ ـ دَلَّ عَلَى معروفِهِ وَجْهُهُ بُورِكَ هذا هادِيًا مِنْ دَليلْ

٢ ـ تَحْسِبُه غَضْبانَ مِنْ عِزِّهِ ذلِكَ مِنْهُ خُلُقٌ لا يَحُولْ

٣ ـ وَيْلُ أمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ إذا أُلْقِيَ فيها وعَلَيْهِ الشَّلِيلْ

قولها: «دَلّ على معروفه وجهه»، تريد طلاقةَ وجهِه وتهلُّلَه عند تعرُّض السّائل له، وفَرَحَهُ وبشاشتَه به إذا حَصَل عنده، ثم قال: بارَكَ الله في هذا الدليل من بين

---

(١) التبريزي:

«ينيلك ما تبغيه والعِرضُ وافرُ»

(٢) الخنساء: هي تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، من قيس عيلان، أشهر شواعر العرب وأشعرهن، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على الرسول ﷺ وأنشدته من شعرها (ت ٢٤ هـ/ ٦٤٥ م) ترجمتها في الشعر والشعراء ص ١٢٣، وأعلام النساء ١: ٣٠٥.

الأدلَّاء، يعني وجهه. وأصلُ البَرَكة النَّماء والزيادة، وقيل: هو من اللُّزوم والثَّبات، ومنه بَرَكَ البعير. وانتصب «هاديًا» على الحال.

وقولها: «تحسَبه غَضبانَ من عِزِّه»، هم ـ أعني العرب ـ يشبِّهون الحيَّ الكريم بالمتشكِّي من عِلَّة، والعزيزَ المنيعَ بالمتغضِّبِ من عِزَّةٍ. ولا غضَبَ في هذا كما أنَّه لا عِلَّةَ ثَمَّ، وإنما يراد في العزيز إباءُ النَّفس وأُبَّهةَ النُّبل، كما أنَّه يُراد في الحَيِّ لينُ الجانب، والانخزالُ من الكَرَم. وقولها: «ذلكَ منه خُلُقٌ لا يَحُولْ»، يريد أنَّه طُبع على ذلك، فلا يَزُول عنه ولا يتحوَّل منه.

وقولها: «ويلُ أمِّه مِسعَر حربٍ» انتصبَ مسعر على التمييز، وقد مرَّ القولُ في ويلُ أمِّه. والكلام تعجُّب وتعظيم. والمِسْعر من أبنية الآلات، يراد أنَّه كالآلة في إيقاد نار الحَرْب إذا أُلقِيَ فيها وقد تَدجَّج في السلاح. والشَّلِيل: الدِّرْع.

٨١٦ ـ وقالت امرأةٌ من إياد: [البسيط]

١ ـ الخَيلُ تَعلَمُ يَومَ الرَّوْعِ إذ هُزِمَتْ ... أنَّ ابنَ عمْرٍو لدَى الهيجاءِ يَحْمِيها[(١)]

٢ ـ لم يُبْدِ فُحْشًا ولم يُهْدَدْ لِمُعْظَمَةٍ ... وكلُّ مَكْرُمةٍ يُلْفَى يُسَامِيها

تعني بالخيل الفُرسان. تريد: قد تيقَّنوا أنَّه إذا اتَّفق عليهم كسرٌ، وأثَّر فيهم رَدْعٌ في يوم حرب، لا يَدفع عنهم ولا يَذُبُّ دونَهم إلّا ابنُ عَمْرٍو، فهم ساكنون إليه، ومُعتَمِدون عليه عند استعار نار الرَّوْع والاصطلاءِ بحَرِّها، لأنَّه جابرٌ كَسْرَهم، ومُخْمِدٌ جَمْرَهم.

وقولها: «لم يُبْدِ فُحْشًا» تريد أنَّه لا يَعرف القبيح، فلا يظهر في أفعاله وأقواله ما يُستهجن أو يُسْتَفْحَش، ثم إذا مُنِي بخَصْلَةٍ فظيعة لا يُهَدُّ لها، ولا يَحار فيها، بل يَصبِر وَيثْبُت، ويَحسُنُ حديثُه في أفواه الناس لخُروجِهِ منها ويَعْذُب؛ وكلُّ مَكرُمةٍ تَسنَح، ومأثُرةٍ على القُرب والبُعد تتَّفِق وتَعرِض، تراه تَطْمَحُ عينه إليها، وتحرِصُ نَفْسه على جَمْع يدِه عليها، لعُلُوِّ هِمَّته، وكمالِ خصاله. وقولها: «يساميها» في موضع الحال أي مُسامِيًا لها، ولك أن تروي «يُلقَى» بالقاف، و«يُلْفَى» بالفاء، ومعناهما قريب.

(١) التبريزي: «إن هزمت».

٣ ـ المستَشار لأمرِ القومِ يَحْزُبُهُمْ إذا الهَنَاتُ أَهَمَّ القومَ ما فيها
٤ ـ لا يَرْهَبُ الجارُ منه غَدْرةً أبدًا وإن ألمّتْ أُمورٌ فهو كَافِيها

وصفَتْه بجَزَالة الرَّأي، وبراعة النَّفس والعقل، وأنَّ المرجعَ فيما يَدْهَمُ القومَ إليه، والمعتمَدَ عندما يَهجُم فيُهمُّهم عليه، فهم يستضيئون بتدبيره في ظُلَم الخطوب ويستكشفُونه ما يتغشَّاهم مِن دَوَاهِي الأمور. والهَنات: جمع هَنَةٍ، وهي كالكِناية عن المنكَرات، ولا تُستعمل في الخير البَتَّة. وقولها: «أهمَّ القومَ»، أي جعل مِنْ همِّمهم، وموضع يَحْزُبُهُمْ نصبٌ على الحال.

وقولها: «لا يَرْهَبُ الجار منه غَدْرَةً» تصِفُه بحُسْن الوفاء فيما يَعقِد للجار من ذِمَّةٍ، ويُعطيه مِن عَهْدٍ ومَوْثِقَةٍ. فيقول: جاره آمنٌ لا يخاف خَتْلًا ولا مكْرًا وإن نزلَتْ به أمورٌ خارجة من الجِوار فهو يقومُ بها ويتكفَّل بالكفاية فيها. وانتصب «أبَدًا» على الظَّرف، وهو في المستقبل بمنزلة قَطُّ في الماضي.

تم البابُ بعونِ الله وحُسن توفيقه، والصَّلاة على نبيّه محمد وآله مِن بعده

بابُ الصِّفات

٨١٧ ـ قال بعضهم[1]: [الطويل]

١ ـ وهاجِرَةٍ تَشْوِي مَهَاهَا سَمُومُها طَبَخْتُ بها عَيْرَانةً واشْتَوَيتُها
٢ ـ مُفَرَّجَةً مَنفوجةً حَضْرَمِيَّةً مُسَانَدَةً سِرَّ المَهَارَى انتقيتُها

أراد بالهاجرة الوقتَ الذي يُهجَر السَّيرُ له إذا قامَ قائمُ الظَّهيرة وغَلب الحرُّ فيه، وهي فاعلة بمعنى مفعولة. والمَهَا: بقَرُ الوحش. فيريد أنَّ حرَّها يَشْوِي الوحشَ ويطَبُخها. وقوله: «طبخْتُ بها عيرانة» يعني بتِلك الهاجرةِ. والعَيْرَانة: النَّاقة تُشبِه العَيْر. و«شويتها» أي سرتُ عليها حتَّى أنضاها الهواجر وحَسَرها وأذهَبَ لحمَها، فصارت كالمحترقة. والمُفَرَّجة: هي التي بَعُدت مرافقُها عن زَوْرِها واتَّسعتْ آباطُها وفرَّجتْ ما بين قوائمها، فهي فَتْلاء المِرْفَق لا يصير حازًّا ولا ناكتًا ولا ضاغِطًا. والمنفوجة: الواسعة الجنبَيْن. والحضرميَّة هي التي حَصَلت من نَسْلِ إبلِ حَضْرَمَوت، وهي قريةٌ بالشأم. والمُسَانَدَةُ: القويَّة الظهر. وسِرّ المَهارَى، أي خِيارُها. والمهارَى: جمع مَهْرِيَّةٍ وهي المنسوبة إلى مَهْرَة بن حَيْدَان، أي من نِتاجِه. وانتقيتُها: أي اخترتُها. والمراد أنَّه قَطَاعٌ للمَفَاوز في الهَوَاجِر، مبتذِلٌ لنفسِه وراحِلته لا يُبقى عليهما في حَرٍّ، ولا يقيهما من سَمُوم وتعب. وقوله: «تَشوِي مَهَاها سَمومُها» في موضع الصِّفة للهاجرة. وقوله: «طبخْتُ» جواب رُبَّ.

٣ ـ فَطِرْتُ بها شَجْعاءَ قَرْوَاءَ جُرْشُعًا إذا عُدَّ مَجْدُ العيسِ قُدِّمَ بَيتُها
٤ ـ وجَدْتُ أباها رائضَيها وأمَّها فأعطَيتُ فيها الحُكْمَ حَتَّى حَوَيْتُها

---

(١) التبريزي: «قال البعيث الحنفي» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (١٣٠).

قوله: «فطِرت بها» قيل: أراد به حثثتُها واستَعجلتُها في السَّير، فيكون طِرْت بها بمعنى أطرتُها على هذا، كما يقال ذهبْت بزيد وأذهبته بمعنًى، ويجوز أن يكون المراد أنّي انتزعتُها من عيون الباعة والمشترين، واختلستُها وفُزْتُ بها، بدَلالة أنّه قال: «وأعطيتُ فيها الحكم حتَّى حَوَيْتُها». والشَّجْعَاءُ: الجريئة القلب، وانتصب على الحال. والقَرْوَاء: الطَّويلة الظهر. والجُرْشُع: المنتفِخة الجنبَين.

وقوله: «إذا عُدَّ مَجدُ العِيس» يريد إذا ذُكِرت مَفاخرُ العِيس ومناسِبُها قُدِّم نَسْلُها وقَبيلُها الذي يُؤْويها.

وقوله: «وجدت أباها رائضَيْهَا وأمَّها» فَصَل بين المعطوف والمعطوف عليه بمفعول وجدتُ الثاني، والمعنى: وجدتُ أباها وأمَّها رائضَيْن لها، كأنَّها نُتِجَتْ مَرُوضَةً مؤدَّبَةً، فما حُمِد منها حَصَل لها وِراثةً لا تعلُّما.

وقوله: «أعطيتُ فيها» أي بذلْتُ في تملُّكها ما احتَكَم بائعُها واقترحَه واستامَ بها، حتَّى حصّلتُها.

٨١٨ ـ وقال عَنتَرَةُ بنُ الأخْرَس(١): [الطويل]

١ ـ لَعَلَّك تُمْنَى مِنْ أراقِمِ أَرْضِنَا ... بأرْقَم يَسْقِي السَّمَّ مِن كُلِّ مَنْطَفِ

٢ ـ تَرَاهُ بأَجْوازِ الهَشِيم كأنَّما ... على مَتْنِهِ أَخْلاقُ بُرْدٍ مُفَوَّفِ

الأراقِم: الحيَّات. والكلامُ دعاءٌ على المخاطَب وإن كان لفظُه ترجِّيًا وتأمِيلًا. ومعنى تُمْنَى تُمتحَن. يُقَال: مُنِيَ بكذا، أي بُلِيَ بِهِ وقَاسَى شَرَّهُ. ومعنى «يَسقِي السَّمَّ من كل مَنطَف» يريد من كل مَقْطَر، لأنّ نَطَف الماءُ معناه قَطَر. وسُمِّي الماءُ نُطْفَةً لذلك. يريد أنّه يَرْشَحُ بالسَّمِّ، فسُموم جلده تَقْطُر به. ولعلّ: طَمَعٌ وإشفاق. كذا قال سيبويه: ويُستعمَل بأنْ وبغير أنْ. يقال: لعلَّك أن تفعل كذا، كما تقول لعلك تفعل كذا.

وقوله: «تَراه بأجواز الهَشِيم» فالهَشِيم: اليابس من الأشجار والنَّبات، والقَصْدُ إلى النَّبات هنا. يقول: تراه يتخلل الهشيمَ ويتوسَّط أثناءَه، فكأنَّ على متنه بجلده الذي سَلخَه قِطَعَ بُرْدٍ وَشْيُه كالفُوفِ، وهو البياضُ الذي يظهر في أظافير الأحداث. وجعله سالخًا ليكون أخبَثَ.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٥٣).

٣ ـ كَأنّ بِضَاحِي جِلْدِهِ وَسرَاتِه ... وَمَجْمع لِيتَيهِ تَهَاوِيلَ زُخْرُفِ

أراد أنّه ملوَّن الجِلد. والضَّاحي: البارز للشّمس في الأصل، والمراد به هنا ظاهر الجِلد. والتّهاويل: ما يُعلَّق من العُهون على الإبل. ولا واحدَ له من لفظه، والقياس تِهْوَالٌ، كما يقال تِجفَاف وتجافيف. والزُّخرُف: كلُّ ما حُسِّنَ به شيء، وأصله الذّهب. فشبَّهَ بارزَ جلدِ الحيَّة وظهرَه ومَجمع صَفحتَيْ عُنقِه لاختلاف ألوانِها بالتّهاويل التي تُزَخرف بها الإبل.

٤ ـ كأنّ مُثَنَّى نِسْعَةٍ تَحتَ حَلْقِهِ ... بما قد طَوَى مِنْ جِلدِهِ المتغَضِّفِ
٥ ـ إذا نَسَلَ الحيَّاتُ بالصَّيفِ لم يَزَلْ ... يُشَاعِرُ باقي جُلْبَةٍ لم تُقَرَّفِ(١)

شبَّهَ غُضونَ حَلْقه لِما انطوَى من جِلدِه المتكسِّر لكونِهِ فاضلًا عن لحمه، وذلك لكَثرة سَمِّه بنِسْعةٍ مثنيَّة جُعِلَتْ تحتَ حَلْقه، ويقال: إنّ الحيّاتِ إذا اجتمعت سمومُها وكثُرَتْ دَقّتْ وهُزِلت، لأنّ سمَّها ينقُص لحمَها، فلذلك يَفضُل جِلدُها عن حجمها فيتغضّف، أي يتثنَّى، والغَضَف: انكسارٌ في الأذُن.

وقوله: «إذا نَسَلَ الحيّاتُ» يريد أنّه بِخُبْثِهِ يقاتل سائرَ الحيّات، سُوءَ خلُقٍ منه وعَرَامةً، فإذا انتشرت الحيّاتُ في الصَّيف لا يزالُ يمارِسُ ويُطاوِلُ بَوَاقيَ جُلَبٍ منه لم تُقْشَر عنه، لأنّه في مُقاتَلةِ الحيّات يحصل على جُروح طولَ الصَّيف وتَيْبَسَ عليه جُلَبها. وقوله: «يُشَاعِرُ باقي جُلْبَةٍ»، ويروى «يساعر» بالسين، من قولهم كلب سَعِرٌ، أي كَلِبٌ. وفي القرآن فُسِّرَ قولُه تعالى: ﴿فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القَمَر: الآية ٤٧]، أي جُنون. ومنه ناقةٌ مسعورة: لا تستقرُّ قلقًا، ومن قولهم: عُنُق مِسْعَرٌ، أي طويل. وأنْ تَروِيَ «يشاعر» بالشين المعجمة أحسَنُ، تَجعلُه من الشِّعار الذي هو خلاف الدِّثار. ويقال: جَلَبَ الجُرْحُ وأجْلَبَ، إذا يَبِس الدَّمُ عليه.

٨١٩ ـ وقال مُلحَةُ الجَرْميُّ(٢): [الطويل]

١ ـ أَرِقْتُ وطالَ اللَّيل للبارِقِ الوَمْضِ ... حَبِيًا سَرَى مُجْتَابَ أَرْضٍ إلى أرضِ
٢ ـ نَشَاوَى من الإدلاج كُدْرِيُّ مُزْنِهِ ... يُقَضِّي بجَذب الأرض ما لم يَكَدْ يَقْضِي
٣ ـ تَحِنُّ بأجْوازِ الفَلا قُطُرَاتُه ... كما حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إلى بَعْضِ

(١) التبريزي: «إذا أنسل».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٧٨١).

قوله: «أرِقْتُ»، يريد سهرت، ولا يكون الأرق إلّا باللّيل. فيقول: فارقَني النَّومُ وطالَ ليلي من أجلِ سَحابٍ فيه بَرْقٌ يُومض، أَسرَى ليلًا وقد قَطعَ أرضًا إلى أرض. والوَمْضُ: مصدرٌ كالوميض، وهو لَمَعانُ البرق. وقد وَصفَ به. ويقال: وَمَض وأومَض. وانتصب «حَبِيًّا» على الحال، وهو المشرف. والعامل فيه إن شئت البارق، وإن شئت الوَمْضُ. و«مُجتَابَ أرضٍ»، أي قاطِعَها، وانتصابه على الحال، والعامِلُ سَرَى.

وقوله: «نَشاوَى من الإدلاج» رَدَّه على قِطَع السَّحاب. ألا تَرَى أنّه قال في البيت الأول «للبارق الوَمْض»، ثم قال: «نَشاوَى من الإدلاج». وهو جمع نَشْوَان. يريد أنَّ أقطاعَهُ لسُرَاهُ صارت كالسُّكارَى تميل من جانبٍ إلى جانب، وتَنْعَطِف من أرضٍ إلى أرض. كأنّه جعل حالَ السَّارِي من السحاب كحال السَّاري من الإنسان. وقوله: «كُذرِيُّ مُزْنِهِ» مبتدأ، و«يقضّي بجَذْب الأرض» في موضع الخبر، و«ما لم يكد» مفعول يقضّي. وجعَلَ في لونه كُدْرَةً لكَثْرَة مائه وارتوائه. والمعنى أنَّ الكُدْرِيَّ منه يَحكم للمُجْدِب من الأرض، ويَقْسِم من المَطَر له ما لم يكد يَقْضِي به لنفسه، ولم يقرُبْ من قَسْمِه له كأنّه يَصبُّ لجدب الأرض أكثَرَ ممَّا يَحتكم به لو حُكِّم، ويختارُه لو خُيِّر. ولك أن تروي «ما لم تكد تقضي» بالتاء؛ تردُّه على الأرض. وقال بعضهم: هذا كما يقال: أعطاني الأميرُ ما لم يكد يعطيه لأحدٍ، وسمحَ لي بما لم يَكَدْ يسمح به لأحد. والأوّل أحسنُ وأغرب. وقال بعضهم: أخبرَ أنَّ هذا السَّحابَ إذا أتى على أرضٍ مُجْدبةٍ لم يفارِقْها مطرُها حتّى يُهْرِيق بها من الماء ما يكون فيه عَهْدٌ ووَلِيٌّ في دَفعةٍ واحدة وفراغُه من هذا لا يكون سريعًا هيِّنًا. كأنَّ حاجةَ السَّحاب في الأرض المُجْدِبة إحياؤُها وإخصابُها من مَطْرَةٍ واحدة، فلمّا فعَلَ قضَى وطَرَه، ولم يكَدْ يَقضيهِ إلّا بعد بُطْءٍ.

وقوله: «تَحِنُّ بأجواز الفَلَا قُطراتُه» أي نواحيه. والقُطْر: الجَنْب. ويقال: قَطَّرَه، إذا ألقاه على قُطْرِه. ويقال في معناه: قُتْرٌ أيضًا بالتاء. يريد أنَّ جوانبَه تتَجاوَبُ بالرَّعد، فكأنّها تَحِنُّ إلى مواضِعَ لها قد ألِفَتْها، فهي تشتاقُها وتتشوَّف. ثُمَّ شَبَّهَ حنينَها بحنين الإبل وقد فُرِّقت بعد اجتماع، فتحانَّت وتهادرت.

ويقرب من هذا قولُ الهُذَليّ: [البسيط]

يَجُشُّ رَغْدًا كهَدْر الفحل يَتْبَعُهُ أُدْمٌ تَعَطَّفُ حولَ الفَحْلِ ضَحْضاحُ[1]

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٦٧، واللسان (ضمح)، وللهذلي في جمهرة=

٤ ـ كأنَّ الشَّماريخَ الأولَى من صَبِيره شَمارِيخُ من لُبْنَانَ بالطُّولِ والعَرْضِ
٥ ـ تُبارِي الرِّياحَ الحَضرَمِيّاتِ مُزْنُهُ بِمُنْهمِرِ الأرواقِ ذي قَزَعٍ رَفْضِ[1]

الشماريخ: الأعالي. والصَّبير: السَّحاب الأبيض. ولُبْنان: جبل. شَبَّهَ أعاليَ السَّحاب بأعالي هذا الجبل وأنوفِه التي تتقدَّم منه، وقال: «الأولَى» تخصيصًا لما كان من صَبِيرِه خاصَّة، وقال: «بالطُّول والعرض» ليبيِّن وجه التَّشبيه.

وقوله: «تُبارِي» أي تُحَاكِي وتُسامِي الرِّياحَ الشَّاميَّةَ سُحُبُه بمطرٍ سامي الأعالي. ويقال للسَّحابة إذا ألحَّتْ بالمطَر في موضِع: ألقَتْ عليه أوراقَها. ويقال للرَّجل إذا ألقى همَّه على الشيءِ ونَفْسَه: ألقى عليه أوراقه. لذلك قال تأبَّط شرًّا: [البسيط]

أَلقيتُ ليلةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أوراقِي[2]

والقَزَعُ: قِطَعٌ من السَّحاب متفرِّقة، والواحدة قَزَعَةٌ. وقال الخليل: القَزَعُ قِطع من السَّحاب رقيقةٌ كالظِّلّ. وعلى ما قاله يكون الإشارةُ من الشّاعر إلى السَّحاب إلى وَصْفِه وقد هَرَاقَ ماءَه فَرَقَ. قال الخليل: ولذلك قيل: شَعَر مُقَزَّعٌ، أي خفيف. والرَّفْضُ: المُرْفَضُّ المتفرِّق، وكأنَّ الأصل فيه الرَّفَض، مُحَرَّك الفاء، والجميع الأرفاض، فسكِّن. ويجوز أن يكون وصف بالمصدَر، لأنه يقال رفَضتُ الشيء رفضًا، والمرفض رَفْضٌ. والمعنى أنَّ مُزْنَه وهو السَّحاب، تُحاكي الرِّياح الهابَّة من ناحية الشأم ـ يشير إلى الشَّمال ـ بمطرٍ ذا صِفتُه من سحاب كذلك.

٦ ـ يُغَادِرُ مَحْضَ الماءِ ذُو هُوَ مَحْضُه على إِثْرِه إن كان للماء مِنْ مَحْضِ
٧ ـ يُرَوِّي العُروقَ الهامِداتِ من البِلَى مِن العَرْفَجِ النَّجْديِّ ذُوبادَ والحَمْضِ

أصل المَحْض اللَّبن الحامض بلا رغوة، ثم استُعمل في الحسب وغيره، يقول: يترك خالصَ الماءِ الذي هو خالصةُ السَّحابِ وصافيتُه، ويخلِّفُه في مسايل الأودية على إثرِه. وإنَّما يُشيرُ إلى ما تَقطَّعَ ورقَّ من ماء المطر بنَضَد الأحجار، وأُصولِ الأشجار، حتَّى صفا من شوائب الكُدورة، وقَرَّ في المناقع وقراراتِ الأودية.

= اللغة ١٣٠٥.
(١) التبريزي: «يباري».
(٢) لتأبط شرًّا في ديوانه ١٢٩، واللسان (روق) وكتاب الجيم ٢: ٢٢، وشرح اختيارات المفضل ص ١٠٤.

وقوله: «إن كان للماء من مَخض»، لأنّ ماءَ المطر جنسٌ واحدٌ إذا لم يختلطْ به غيره لا يختلف. وقد مرَّ القولُ في ذو وأنّه بمعنى الذي في لغة طيّيء، فقوله: «ذو باد»، أي الذي باد، وهو في موضع الجرّ، لكنه لا يغيَّر عن بِنْيتِه.

وقوله: «ويروِّي العروق الهامِدات من البلَى»، يريد أنّه أحيا ما أشرَفَ على اليُبْس من عُروق الشّجر البالية خُلّتِها وحَمْضِها، وأعادها غَضّةً مرتوية. والهُمُودُ أبلغ من الخُمود.

٨ ـ وباتَ الحَبِيُّ الجَوْنُ يَنهَضُ مُقْدِمًا كنَهْضِ المُدَانَى قَيْدُهُ المُوعِثِ النَّقْضِ

الحبيّ من السّحاب: المشرِف المتراكم. والجَوْن: الأسود هنا، وجعلَه كذلك لارتوائه وكثرة مائه. وقوله: «ينهض مُقْدِمًا» انتصب مُقْدِمًا على الحال، يريد أنَّ سَير السَّحاب لثِقَله وحركاته مثلُ سيرِ هذا البعير وحركتِه؛ ثمّ وصَفَه. والمُدانَى قَيده: الذي قُصِّر عِقَالُه وضُيِّق عليه قَيده. ولم يَرضَ بذلك حتّى جعلَه سائرًا في الوَعْثِ، وهي الأرض اللَّيِّنة الكثيرةُ التُّراب والرَّمل، والسَّير فيها يَصْعُب. ويقال في الدُّعاء: «اللهمَّ إنّي أعوذ بك مِن وَعْثاء السَّفَر»، يُراد شِدَّتُه وصُعوبته. ويقال: أَوْعَثَ، إذا صارَ في الوَعْثاء، كما يقال أَسْهَلَ إذا صارَ في السهل. ثمّ لم يَرْضَ بعد ذلك أيضًا حتَّى جعله نِقْضًا، وهو المهزول الضَّعيف. ويقال: نَقَضْت البعير نَقْضًا، والمنقوض نِقْضٌ.

وقد زاد في هذا الوصف على الأعشى لمَّا قال ـ وإن كان الأعشى يصف امرأةً بالنِّعْمة والتَّرْفة، وهذا يصف سحابةً ثقيلة ـ: [البسيط]

تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَجِلُ[1]

لأن هذا جعل البعير مُدانَى القَيْد أيضًا.

تم الباب بحمد الله تعالى ومنّه، وحسن توفيقه وعونه

---

(١) للأعشى في ديوانه ١٠٥، وتاج العروس (عرض، وجى)، وصدره:
«غرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها»

بابُ السَّير والنُّعاس

٨٢٠ ـ وقال حَطِيم[1]: [الطويل]

١ ـ وقال وقَدْ مالتْ به نَشْوَةُ الكَرَى ... نُعَاسًا ومَنْ يَعْلَقْ سُرَى اللَّيل يَكْسَلِ

٢ ـ أَنِخْ نُعْطِ أَنضاءَ النُّعَاسِ دَوَاءَها ... قليلًا وَرَفِّهْ عن قَلائصَ ذُبَّلِ

٣ ـ فقُلتُ لَهُ كَيفَ الإناخةُ بَعْدَما ... حَدَا اللَّيلَ عُرْيَانُ الطَّريقةِ مُنْجَلي

مفعول قال أوَّل البيت الثاني، وهو «أَنِخْ نُعْطِ». وقوله: «وقد مالَتْ به نَشْوةُ الكَرَى»، الواو واو الحال. والنَّشوة: السُّكر. والكَرَى: النَّوم. وانتصب «نُعاسًا» على أنَّه مصدر في موضع الحال.

وقوله: «ومَنْ يَعْلَق سُرَى اللَّيل يَكْسَلِ» اعتراضٌ بيْنَ الفِعل ومفعوله. ويَعْلَق في معنى يتعلَّق. والسُّرَى: سَير اللَّيل خاصَّة، وأضافه إلى اللَّيل فقال: سُرَى الليل، تأكيدًا. ومعنى البيت: وقال رفيقي وقد انتَشى من الكَرَى وصار يتميَّل ولا يستقيم وهو ناعس، ومن يُمارسِ السَّير ويُهاجِر النَّومَ يتسلَّطْ عليه الكسلُ: أَنِخْ راحلتَك نُدَاوِ المطايا التي أنضاها النُّعاسُ وهَزَلها الجَهْد، دَواءَها من الرَّاحة والنَّوم، وسكِّنْ من قَلائصَ مهازيل، ووسِّعْ ما ضيَّقْتَ عليها من أوقاتها. والقَلُوص في الإبل بمنزلة الجارية في النَّاس. والذُّبَّل: جمع ذابل. والتَّرفِيهُ: التوسيع والتَّنفيس. ويقال: رَفَّهتُ البعيرَ، إذا تركتَ الحَمْلَ عليه، وعيشٌ رافِهٌ ورَفِيهٌ: فيه رَفاهةٌ وخِصْبٌ. وانتصب قليلًا على الظَّرف، ويجوز أن يكون صفةً لمصدر محذوف، كأنَّه قال نُعطِها دواءَها إعطاءً قليلًا، أو وقتًا قليلًا. والأنضاء: جمع النِّضو، وهو المهزول.

---

(١) التبريزي: «الخطيم».

وقوله: «فقلت له كيف الإناخة»، يريد كيفَ الوصول إلى النُّزول وقد أصبحنا وساقَ اللَّيلَ صُبْحٌ واضحُ الطَّريقة، متكشِّف الشريعة، يجلِّي الظَّلَامُ فيه ويفرِّق. يريد أنَّ الرأيَ وقد انصرَمَ اللَّيلُ أن نتبلَّغ إلى الماء الذي نَقصِده ثمَّ ننزل.

٨٢١ ـ آخر: [الوافر]

١ ـ وفِـتـيـانٍ بَـنَـيـتُ لـهُـمْ ردائـي ... عـلى أَسْيـافِـنـا وعَـلَى الـقِـسِـيِّ
٢ ـ فـظَـلُّوا لائِـذِيـنَ بـه وظـلَّـتْ ... مَـطَـايـاهُـمْ ضَـوَارِبَ بـالـلُّحِـيِّ
٣ ـ فـلما صَـارَ نِـصْـفُ الـظِّـلِّ هَـنًّـا ... وهَـنًّـا نِـصْـفُـهُ قَـسْـمَ الـسَّـوِيِّ

يقول: ربَّ فتيانٍ أثَّر فيهم الحرُّ، ومالوا إلى النُّزول، فبنيتُ لهمْ ما أظلَّهم على الأسياف والقِسيّ، وقد غشَّيتُ بردائي فظَلُّوا من نَهارهم مُلْجَئين إليه ولائذين من الحَرِّ به، وبقيَتْ مطاياهم لتأثير أُوَارِه فيها، وإحراقها بتوقُّد الهاجرة عليها، تَضرِب بلُحِيِّها على الأرض، فلمَّا زالَ قائم الظهيرة، وصار الظِّلُّ نِصفَين لا شَطَط في انقسامه، ولا اعوجاجَ في سَوِيِّه. وجواب لمَّا مُنتَظَر. وقوله: «هَنًّا» انتصبَ على الظَّرف، وقد وقع موقع خبر صار.

وسمعت شيخنا أبا عليٍّ الفارسيَّ رحمه الله يقول: ليس هَنًّا من لفظ هُنا في شيء، ووزنه فَعْلَل مثل جعفر، فهو رباعي، وهُنا ثلاثي. كأنَّ أصلَه هَنَّنُ، فأبدلوا من إحدى نوناته الألف هربًا من التضعيف.

وقوله: «قَسْمَ السَّوِيّ» انتصب على المصدر، والمراد وقد قَسَمَ قَسْمَ الإنصاف. ودلّ على الفعل قوله: «نِصفُ الظِّلِّ هَنًا».

والسَّوِيّ أكثر ما يجيء في آخره هاء التأنيث: السوِيّة، قال الشاعر: [الوافر]

أَلَا إنَّ الـسَّـوِيَّـةَ أن تُـضَـامُـوا[(١)]

ويجوز أن يريد بالسوِيّ المسوَّى، كما جاء في الخبر: «لا تحلُّ الصَّدقةُ لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّة سَوِيّ»[(٢)].

٤ ـ دَعَـوْتُ فَـتًـى أَجـابَ فَـتًـى دَعَـاهُ ... بـلَبَّـيْـهِ أَشَـمَّ شَـمَـرْدَلِيِّ

---

(١) للبراء بن عازب الضبي في اللسان (سوا) وصدره:
«أتـسـألـنـي الـسـويّـةَ وسـط زيـدٍ»

(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة باب ٢٤، والترمذي في الزكاة باب ٢٣، وأحمد في المسند ٢: ١٦٤.

٥ ـ فقامَ يُصارِعُ البُزدَينِ لَدْنَا يَقُوتُ العينَ من نَومٍ شَهِيّ
٦ ـ فقاموا يَزحَلُون مُنَفَّهاتٍ كأنّ عُيونَها نُزُحُ الرَّكِيّ

قوله: «دعوت» جواب لما من قوله: «فلما صار نصفُ الظّلّ»، وهو العامل فيه، لكونه عَلَمًا للظرف. وقوله: «أجابَ فَتًى دَعَاهُ» يريد أجابني، لأنّه هو الداعي له. وقوله: «بلبَّيْهِ» أراد أجاب بالتّلبية، أضاف لَبَّيْ إلى ضمير المجيب، وحكى ما لُفِظ به. ولَبَّيْك، من قولهم: أَلَبَّ بالمكان، إذا أقام به، وهذه اللفظة مثنًى، والتّثنية فيها إيذانٌ بأنّ المراد إلبابٌ بعد إلباب، لأنّ قد تفيد التكثير، فكأنّ المراد: دوامٌ على طاعتك، وإقامةٌ عليها مرّةً بعد أخرى. قال سيبويه: انتصابُه على المصدر كانتصاب سبحان الله، ولا ينصرف كما لا ينصرف سبحان. وقال يونس: إنّه واحدٌ غيرُ مثنًى، والياء فيه كالياء في عليك ولديك، وأنشد الخليل وسيبويه عن العرب، قول القائل: [المتقارب]

فَلبَّى فَلبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ[1]

وموضع الحجّة أنه لو كان كَلَدي وعلَى لكان يجيء بالألف إذا أضيف إلى الظّاهر، كما تقول لَدَى زَيْدٍ وعلى عمرو، والشّاعر قال: لَبَّيْ يَدَيْ.

وقوله: «أَشمَّ» في موضع الجر على أن يكون بدلًا من الضّمير المتصّل بلبّيْه. وأصل الشَّمَم الطُّول في الأنف، لكنّه جعل لفظة أشمّ كناية عن الكريم. والشّمردل: الطّويل. وزاد ياءَ النِّسبة في آخره توكيدًا للوصفية، فهو كقول رُؤْبة: [الرجز]

أَطَرَبًا وأنتَ قِنَّسْرِيُّ والدَّهرُ بالإنسانِ دَوَّارِيُّ[2]

يريد قِنَّسْرًا، ودَوَّارًا، فزاد الياء لمثل ذلك.

ومراد الشاعر: لمّا انقسَمَ الظِّلُّ هذا الانقسام، وخفَّ احتدامُ الوقت واشتدَّ أمرُ الحرّ على مُوَاصِلِ السَّير والسُّرَى، دعوتُ فتًى أجابَني بلبَّيك، كريمِ مَديدِ القامة، تامّ

---

(١) لرجل من بني أسد في الدرر ٣: ٦٨، واللسان (لبى)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٢: ٩٢، وشرح أبيات سيبويه ١: ٣٧٩. وصدره:
«دعوتُ لمّا نابني مسورًا»

(٢) للعجاج في ديوانه ١: ٤٨٠، واللسان (دور، قسر، قعسر، قنسر)، وخزانة الأدب ١١: ٢٧٤، والدرر ٣: ٧٤.

الخلقة، فقام ولِمَا لَحِقه من التَّعَب والكلال وتَرْك النَّوم يَتمايَلُ، فكأنَّه يصارع بُرْدَيْه. وهو ليِّن الأعطاف، يهتزُّ اهتزاز الرمح اللَّدْن، وهو يَنفِي عن عينه نومًا لذيذًا تمكَّنَ منها، فهو لها قوتٌ وقِوام وينفضها منه شيئًا بعد شيء. وإنما قال ذلك لأنّه لم يكن استوفَى من الرّاحة والنوم ما يكتفِي ويتماسك له إذ كان هيَّجَه وبعثه للارتحال قبلَ ذلك. وقوله: «وقاموا يَرحَلون» يريد: قامَ هو وأصحابه يرحلون رواحلَ لهم قد أسقَطَها واستَنْفَدَ قُوَاها السَّير المتصل الحثيث، فهي غائرةُ العيون، ساقطةُ القُوَى، قد دخلت مُقَلُها في أقفائها، فكأنّ عيونَها آبارٌ نُزِحَتْ مياهُها. ويقال: نَفِهَتْ نَفْسُه ونَفَّهْتُها أنا. والنُّزُح: جمع نَزِيح.

٨٢٢ ـ آخر(١): [الكامل]

١ ـ ولقَدْ هَدَيتُ الرَّكْبَ في دَيْمُومَةٍ فِيها الدَّلِيلُ يَعَضُّ بالخَمْسِ
٢ ـ مُسْتَعْجِلِينَ إلَى رَكِيٍّ آجِنٍ هَيهَاتَ عَهْدُ المَاءِ بالإنْسِ

يريد أنّه يتعسّف البلادَ، ويركبُها بأصحابه، وهو هاديهم، وأنه وَرَّادٌ للمياهِ التي انقطَعَ الناسُ عنها فلا يَرِدُها إلّا السِّباعُ والطَّير. ولا خلاف بينهم أنّ القَطا أهدَى الطّير، وأنّ الذئبَ أهدَى السِّباع، وهما السابقان إلى المياه؛ لذلك وصفَهُما الشُّعراء وضربوا الأمثالَ بهما. والرَّكْبُ: رُكْبان الإبل. والدَّيْمُومَة: المَفَازة، واشتقاقه من دَمَّهُ، أي أهلكه، وهو يجري مجرى مَهْلَكَةٍ ومَفَازةٍ، والياء فيه زائدة. وقوله: «يَعَضُّ بالخمس»، يقال عَضَّ كذا، وعضَّ على كذا، وعضَّ بكذا، قال:

فَعَضَّ بإبهام اليمينِ ندامَةً

وقال غيرُه: [الرجز]

عَضَّ على شِبْدَعِهِ الأريبُ(٢)

وفي القرآن: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٩]. وإنّما جعل الدَّليلَ يفعلُ ذلك لخَوفه الهلاكَ والضّلالَ على نفسِه ومَنْ مَعَه. ويريد بالخَمْس، الأصابعَ، وهي مؤنّثة، لذلك قيل: السَّبَّابة، والدَّعَّاءَة، والوُسْطَى.

---

(١) التبريزي: «وقال رجل من بني بكر».
(٢) بلا نسبة في تاج العروس (عضض)، وبعده:
«فآض لا يلحى ولا يحوبُ»

وقوله: «مُستعجِلينَ إلى رَكِيٍّ آجنٍ»، أراد: مُبادِرِينَ إلى بئرٍ متغيِّرة الماء، فلمَّا وَرِدُوها بعيدةَ العَهدِ بالإنس، لأنَّ المفازةَ التي يَقصِدُها بالوصف كانت غيرَ مسلوكةٍ لهم إلَّا في النادر، وإنَّما يرد الماءَ بها الطَّير والوحش. وارتفع «عَهْدُ الماء» بقوله: هيهات، وهو اسم لِبَعُد. والمراد رَكِيٌّ متغيِّر بَعُد عَهْدُ مائِه بالإنْس. وقد رُوِيَ عَهدُ الماءِ بالأمس» ويكون على هذا عهد الماء مرتفعًا بالابتداء، وبالأمس خبره. وأتى بلفظة «هيهاتَ» على طريق الاستبعاد، كأنَّه قال: إلى رَكِيٍّ آجِنٍ بَعُدَ المطلوبُ والمبتغى. ثم قال: «عهدُ الماء بالأمس»، أي كان الماء في وقتٍ متقادِمٍ. والرواية الأولَى أصحُّ وأجْوَد وأحسن. وفي طريقته قولُ الشَّمَّاخ: [الوافر]

ومـاءٍ قَـدْ وَرَدْتُ لِـوَصْـلِ أَرْوَى عـليـهِ الـطَّـيـرُ كـالـوَرَقِ الـلَّجِـيـنِ
ذَعَـرْتُ بـه الـقَـطَـا ونَـفَـيْـتُ عـنـهُ مَـقـامَ الـذِّئـبِ كـالـرَّجُـلِ الـلَّعـيـن

وقال ذو الرُّمَّة: [الطويل]

وماءٍ بعيدِ العَهْدِ بالنَّاس آجِنٍ كأنَّ الدَّبَا ماء الغَضَا فيه يَبْصُقُ
وَرَدْتُ اعتسافًا والثُّريَّا كأنَّها على قِمَّةِ الرَّأْسِ ابنُ مَاءٍ مُحَلِّقُ

٣ ـ مُـسْـتَـعـجِـلـيـنَ فَـمُـشْـتَـوٍ ومُـعَـالِـجٌ نَـقَـبًـا بِـخُـفٍّ جُـلَالَـةٍ عَـنْـسِ
٤ ـ ومُـهَـوِّمٍ رَكِـبَ الـشِّـمَـالَ كـأنَّـمـا بِـفُـؤَاده عَـرَضٌ مِـنَ الـمَـسِّ

أعاد لفظ «مستعجلين» تأكيدًا، والأول منهما حال للرَّكْبِ. وقوله: «فمشْتَوٍ» مبتدأ وخبره مضمر. كأنَّه قال على الاستئناف: فمنهم مشتوٍ ومنهم معالجٌ نَقَبًا، ومنهم مُهوِّمٌ. وذِكرُه للمشتوي وغيرِه لِيُرِيَ ضِيقَ الوقت، وأن آرابَهم لم تُقْضَ فيه عند نزولهم: مِن الأكْل وإصلاح عواضِّ السفر، إلى سائرِ ما أحاط التَّعدادُ به ودلَّ عليه، فإنَّه أزعَجهم وهيَّجهم للارتحال. والنَّقَب: الحَفَى. والجُلَالة: النَّاقة العظيمة الجسم. والعَنْسُ: الصُّلْبة.

وقوله: «ومُهَوِّم» أراد: وربَّ رجلٍ نائم لمّا نبَّهه رَكِبَ شِمالَه لغلَبةِ النَّوم عليه، وكأنما بقلبه عَرَضٌ من الجنون. والمراد بقولِه: «رَكِب الشِّمال» أنه أخطأ في القَصْد. من قولهم ركِب شُؤْمَه وركب الشِّقَّ الأشأَم، للعادل عن سَواء السبيل، وللمنهزِم والمخطِىء. ويجوز أن يريد بقوله: «ركب الشمال» شِمالَ نفسه، والراكب إذا لم يَزِغْ من شَرْطِه أن يركبَ من يمينِ نفسه وَشِمال مركوبه، ومتى ركب من شِمال نفسه

ويمين مركوبه كان معكوسَ الرُّكوب. ويجوز أن يريد: ركب الشمال مرّةً واليمينَ أخرى، فاكتفى بذِكر أحدِهما. والمعنى: لا يُبالي على أيِّ جنبيه سقَط، لغَلَبة النُّعاسِ عليه.

وفي هذه الطريقة قولُ لبيد: [الرمل]

قَـلّما عَـرَّسَ حـتـى هِـجْـتُـهُ ... بـالـتباشيرِ من الـصبح الأُوَلْ

يَـلمُـسُ الأحـلاسَ فـي مَـنـزِلـه ... بـيـديـهِ كـالـيـهـوديِّ الـمُـصَـلّ

يَـتـمـارَى فـي الـذي قُـلْتُ لـه ... ولـقـد يَـسْـمَـعُ قـوْلـي حَـيَّ هَـل

٨٢٣ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ وهُـنّ مُـنـاخـاتٌ يـحـاذِرنَ قَـوْلَةً ... من القـومِ أنْ شُدُّوا قُـتُودَ الرَّكـائـبِ

٢ ـ تَـكـادُ إذا قـمـنـا يُـطِـيرُ قـلُوبَـهـا ... تَـسَـرْبُـلُـنـا ولَوْثُـنـا بـالـعَـصـائـب

قوله: «هُنّ مُناخات»، يريد الإبل، و«يحاذرن» في موضع الصِّفة أي خائفةً محاذرة. وقوله: «من القوم» اتصل بقولةً. و«أن شُدُّوا» في موضع المفعول لقولة. وأنْ مخفَّفةٌ من الثَّقيلة واسمهُ مضمر. والمراد أنّ الأمر والشأن شُدُّوا قُتودَ ركائبكم. و«شُدُّوا» بما بعدَه في موضع الخبر. ويريد أنّ مطاياهم وهي مناخةٌ في ركائبها خائفاتٌ قولَ مُنادي القوم تهيَّئوا للانفصال وشُدُّوا على رواحلكم الرِّحال.

ثم قال: «تكادُ إذا قمنا يُطِيرُ قلوبَها» أي قلوبَ الإبل، أي إنها لما استشعرَتْ من هَول السَّير ولِما تخوَّنَها وأثّر في قُواها من الكَلال والتَّعب، إذا رأَتْنا نتسربلُ ونَلُفُّ عمائمنا على رؤوسنا، تكاد تطيرُ قلوبُها انزعاجًا وخوفًا، لعلمها بما تُكابدُه وتعانيه.

٨٢٤ ـ آخر: [الرجز]

١ ـ حُـبِـسْـنَ فـي قُـرْحَ وفـي داراتِـهـا

٢ ـ سَـبْـعَ لَـيـالٍ غَـيـرَ مـعـلوفـاتـهـا

٣ ـ حـتـى إذا قَـضَّـيـتُ مـن بَـتَـاتِـهـا

٤ ـ ومـا تُـقَـضّـي الـنَّـفسُ من حاجاتها

٥ ـ حَـمَّـلْتُ أثـقـالي مُـصَـمِّـمَـاتِـهـا

٦ ـ غُـلْبَ الـذِّفـارَى وعَـفـرْنَـيـاتـهـا

قُرْح: موضع. ويريد بالداراتِ داراتِ الرَّمل. ودارات العرب نيِّف وعشرون، قد ذكرناها في موضعٍ آخر. وانتصب «سبع ليال» على الظَّرف. و«غير معلوفاتها» في موضع الحال، والمراد: غير معلوفاتٍ فيها، لكنَّه قدَّر الظَّرف تقديرَ المفعول الصحيح، وحذَف في. والبَتَات: المَتَاع. والمصمِّمات هي التي لا تَرْغو. والغُلْبُ: الغِلاظ الأعناق. والذَّفارَى: جمع الذِّفْرَى، وهي الحَيْد الناتىء عن يمين النُّقْرَةِ وَشِمالها. والعَفَرْنَيَات: الصُّلبة السريعة، والواحدة عَفَرناةٌ. فيقول: حُبِست هذه الإبلُ في هذا الموضع، وفي داراتِ رمالِها لياليَ سبعًا غير مستوفيةٍ من عَلَفِها حظوظَها وكِفايتَها، حتى إذا أَصلَحْتُ أحوالَها، وفَرَغْتُ من قضاء حاجاتِ نفسي فيها وفي غيرها، من رفيقٍ وصاحب، حمَّلتُ أثقالي صابراتِها في السَّير، وهي التي لا تَرغو ولا تَشكو، وقد غَلُظَت أعناقُها، وعادتُها أن تخفَّ في السَّير وتُسرع.

والبَتَاتُ: المَتَاع. والبِتَات، بكسر الباء: جمع البَتِّ، وهو الكساء. وانعطف «وما تُقضِّي النَّفسُ» على بتات، يريد: وما تقضِّيه النَّفسُ من مُهِمَّاتها.

وقوله: «حَمَّلْتُ أثقالي» جواب إذا، والمصمِّمات: الصَّابرات على السَّيرِ الماضياتُ، وهي لا تَرغو.

وغُلْبَ الذَّفارَى، انتصبَ على البذل من مصمِّماتها.

٧ ـ فانْصَلَتَتْ تَعْجَبُ لانْصِلَاتِها

٨ ـ كأنَّما أَعْناقُ سَامِيَاتِها

٩ ـ بَيْنَ قَرَوْرَى وَمَرَوْرَيَاتِها

١٠ ـ قِسِيُّ نَبْعٍ رُدَّ مِن سِيَاتِها

١١ ـ كَيفَ تَرَى مَرَّ طُلَاحِيَاتِها

١٢ ـ وَالْحَمَضِيَاتُ على عِلَّاتِها

١٣ ـ يَبِتْنَ يَنْقُلْنَ بأَجْهِزَاتِها

١٤ ـ وَالْحَادِيَ اللَّاغِبَ مِن حُدَاتِها

قوله: «فانصلتت» أي مضت جادَّةً حتَّى تَعجب لمُضِيِّها، وكأنَّ أعناقَ اللَّاتِي تَسمُو بأعْيُنها، وترفع رؤوسَها، وتمدُّ في المَسِير أضباعَها، بين هذه المواضع قَرَوْرَى

وما حولَها، من الأرَضِين التي لا نبات فيها، في طُولِها وتجرُّدها ـ قسيٌّ نَبْعِيَّةٌ رُدَّ ما عُطِف من أطرافها.

ثم قال: «كيف تَرَى مَرَّ طُلاحيَّاتها» على طريق التعجُّب منها، والإعجابِ بها. وطِلَاحٌ بكسر الحاء: جمع طَلْحَة، ويقال إبل طِلاحِيَّةٌ، إذا أَلِفَتْ الطَّلْح وأَكَلَتْهُ، وقياسُه إذا كسرتَ الطَّاء طِلْحيَّة، لأنَّ الجمع يُرَدُّ إلى واحِدِه، وهو صِفةٌ في النَّسَب، قال الفرَّاءُ في طُلَاحِيّ إذا نُسِب إلى الطَّلْح: هو بمنزلة أُذانِيٍّ ورُؤاسيٍّ، وأُنَافيٍّ، وإنَّما هذه النسبة تكون للأعضاء، فشُبِّه طلَاحِيٌّ به إذْ كان ملازمًا له، فصار كأنَّه منه. وقال غيره: قيل طُلَاحِيٌّ كما قيل نُبَاطِيٌّ، وهو منسوب إلى النَّبَط، وكيفما كان فإنَّه لم يجيء على القياس الأكثرِ، وما هو الأصل. وقال الكسائيّ: إذا اشتكت الإبلُ بطونَها عن أكل الأراك قيل: إبِلٌ أَرَاكَى، وإن كان من الطَّلْح قيل: طَلَاحى بفتح الحاء مقصورًا.

وقوله: «والحَمَضِيّات»، أراد ومَرَّ الحَمَضِيّات على عِلّاتها، أي على ما يعترض لها من الأسباب الباعثةِ والمانعة، والأحوال المهيِّجة والمبطِّئة. وحَرَّك الميم من الحَمَضيات لأنَّ هذا ممّا غُيِّرَ في النَّسَب. وقال أبو العبَّاس المبرّد: يقال: حَمْضٌ وحَمَض، وإذا صحَّ هذا فقد جاء على وجهه.

وقوله: «يبِتْنَ يَنْقُلْنَ بأجهزاتها» أي يَنْقُلْن أجهزاتِها، فزاد الباء تأكيدًا، وهو جَمْع الجمع، يقال جَهَازٌ وأجهزة وأَجْهِزات، وهي الأمتعة.

وقوله: «والحاديَ اللّاغبَ» عَطَف الحاديَ على موضع «بأجهزاتِها»، أي ويَنْقُلن الحاديَ والمُعْيِيَ لدوامِ حُدَائها. ويُروى «بالغَضَويَّات»، وهي التي تَرْعَى الغَضا. قال: [الطويل]

فَمَا وَجْدُ مِلْيَاعِ الهَوَى غَضَوِيَّةٍ ... بِلَوْذِ الشَّرَى في غُلَّةٍ وهُيَامِ

٨٢٥ ـ وقال حَكِيم بنُ قَبِيصة[١]: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرُ أَبِي بِشْرٍ لَقَدْ خانَهُ بِشْرُ ... على سَاعَةٍ فيها إلى صَاحِبٍ فَقْرُ

٢ ـ فما جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ هاجَرْتَ تَبْتَغِي ... ولكنْ دَعَاكَ الخُبْزُ أَحسِبُ والتَّمْرُ

(١) التبريزي: «وحكيم بن قبيصة بن ضرار لابنه بشر وقد هاجر».

ذكر المدائنيُّ (في كتاب العَقَقة)، أنَّ هذا الشِّعر لحكيم بن ضِرارِ الضَّبّي، قاله لابنِهِ وكان غزا وتركَ أباه. وذكر غيرُه أنّه حكيم بن قَبِيصة، وأنَّ ابنَه كان فارقَه مهاجرًا البَدْوَ إلى الأمصار. يقول: وبقاء أبِي بشرٍ ـ يعني نفسه ـ لقد خانَه بشر، يعني ابنَه، في وقتٍ كان يشتدُّ فقرُه إليه. يشير إلى أوانِ كَبْرَتِهِ وضَعْفِه، وتعليقِه الرَّجاءَ بالانتفاع به وتحمُّلِه أعباءَ المُؤَن عنه في ظَعْنه وإقامته. فقوله: «على ساعة» في موضع الحال، وتعلَّق عَلَى بفعل مضمَر، كأنه قال: مُشْرِفًا على وقتٍ هكذا. وقوله: «إلى صاحب» في موضع النَّصب على الصِّفة المتقدِّمة، لأنَّ المراد: فيها فقر إلى صاحبٍ، وصِفَة النَّكرة إذا قُدِّمت عليه صارت حالًا. على هذا قولُه: [مجزوء الوافر]

لِمَـيَّـةَ مُـوحِـشًـا طَـلَلٌ[1]

وقوله: «فما جَنَّةَ الفِردوس» جنةَ انتصبَ على أنّه مفعول تبتغي، وتبتغي في موضع الحال، والتقدير: ما هاجرتَ مبتغيًا جنّةَ الفِردوس. ووجَّه هذا الكلامَ نحو الابن مُعيِّرًا. يريد أنَّ الذي دعاكَ إلى الهِجْرة نَهْمَةُ بَطنِك، ورَغْبتُك في أطعمة الحَضَر، لا الدِّينُ وطلَبُ الآخِرة، إذْ كان ذلك يَفرِضُ عليك طاعةَ أبويك، وطلبَ رضاهما. وقوله: «أحسِب» قد حُذف فيه مفعولاه، فهو كقول الآخر: [الطويل]

تَرَى حُبَّهُم عَارًا عَلَيَّ وتَحْسِبُ[2]

وفي الكلام مع التَّعيير تقريعٌ وتهكُّمٌ وسُخْرِيٌّ.

٣ ـ أقُـرصٌ تُـصَـلِّي ظَـهـرَهُ نَـبَـطِـيَّـةٌ بِـتَـنُّـورِهـا حَـتَّـى يـطـيـرَ لـه قِـشْـرُ

٤ ـ أَحَـبُّ إلَيْـكَ أَمْ لِقَـاحٌ كـثـيـرةٌ مُـعَـطَّـفَـةٌ فـيـهـا الـجَـلِـيلةُ والـبَـكْـرُ

هذا الاستفهامُ أتَى به على طريق التَّبْكيت، ولُيرِيَه الخطأَ فيما اختاره من الحَضَر على البَدْو، ومن تَرْكِ والدِه والعصيانِ له أشدَّ ما كان حاجةً إليه. فقال: أقُرْصٌ تُنضِجه في التَّنُّور امرأةٌ خَبّازة نَبَطية حتَّى يصيرَ له قُرَافَةٌ تتقشَّر عنه، أحبُّ إليكَ أم نُوقٌ حواملُ كثيرة قد عُطِفَتْ على أولادها، وفيها الجُلالة الكبيرة والأفتاءُ القويَّة. يريد أنَّ فِعلَه فِعلُ مَن لا يَفْرُق بين هاتين الخَصْلتين، ولا يميِّز الرُّجحانَ في أيِّ جانبيهما يكون

---

(١) لكُثيِّر عَزّة في ديوانه ٥٠٦، وعجزه:

«كـأنَّ رسـومـهـا الـخـلـل»

(٢) للكميت في خزانة الأدب ٩: ١٣٧، والدرر ١: ٢٧٢، وصدره:

«بـأيِّ كـتـابٍ، أم بـآيـةِ سـنَّـةٍ»

فيختاره. ويقال: صَلَيْتُ الشّواءَ، إذا شويتَه. وأصليتُه وصلَّيته، إذا ألقيتَه في النّار. ويقال أيضًا صَلَّى عصاهُ، إذا أدارَها على النّار، فهو مثلُ أكرمْتُه وكرَّمْته، وأفرحته وفرَّحته. وفي القرآن: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصّافات: الآية ١٦٣]. ويقال: تصلَّيتُ حَرَّ النار واصطليتُه.

٥ ـ كأنَّ أَدَاوَى بالمدينة عُلِّقَتْ مِلاءً بأَخقِيها إذا طَلَع الفَجْرُ

٦ ـ كأنَّ قُرَى نَمْلٍ على سَرَوَاتِها يُلَبِّدُها في لَيلِ سارِيةٍ قَطْرُ

استمرّ في وصف اللِّقاح، لأنَّ تفخيمَ أمرها يزيد في بيان الخطإ فيما اختارَه. وشبَّهَ ضُروعَها بمَزادٍ مملوءٍ. والأخقِي: جمع حَقْوٍ، وهو من الإنسان مَعْقِد الإزار من كلِّ ناحية، ومن غيره مما يُحْلَبُ مواضع الضروع. والمعنى أنّها بالغُدْوَات وقد حَفَلَتْ من اللّيل، كأنّما عُلِّقَتْ بمواضع ضُروعها أَدَاوَى مملوءة ماءً. وانتصب «مِلَاءً» على الحال.

وقوله: «كأنَّ قُرَى نَمْلٍ عَلَى سرَوَاتها» يشبههُ قولُ الآخر: [الرجز]

إلى سراةٍ مثلِ بيتِ النَّمْلِ غَنِيَّةٍ مِنْ وَبَرٍ وخَمْلِ

والسَّرَوَات: الأعالي. وقَريةُ النّمل ربَّما تُرَى كأعظمِ جُثْوَةٍ، ولذلك شبَّهَ ارتفاعَ أسنمتِها وكثرةَ اللّحم والشّحم عليها بها. ومعنى يلبِّدُها: يصلِّبها. والسّارية: السَّحابة تسري ليلًا.

٨٢٦ ـ وقال واقِدُ بن الغِطْريف[1] وكان مريضًا فحُمِيَ الماءَ واللَّبَنَ: [الطويل]

١ ـ يقُولُونَ لا تَشْرَبْ نَسِيئًا فإنَّهُ وإنْ كُنْتُ حَرّانًا عَلَيكَ وَخِيمُ

٢ ـ لَئِنْ لَبَنُ المِعْزَى بماءِ مُوَيْسِلٍ بَغَانِيَ داءً إنَّني لَسَقِيمُ

النَّسِيءُ: الرَّثيئةُ. والحَرّان: الشّديد العطش. وعليك من صفة وخيم، وقد قدَّمه فانتصب على الحال. ومُوَسل: تصغير مَأْسَلٍ الذي ذكره امرؤ القيس في قوله: [الطويل]

وجارتِها أمّ الرَّبابِ بمَأْسَلِ[2]

(١) التبريزي: «واقد بن الغطريف بن طريف بن مالك بن طيّىء».
(٢) لامرىء القيس في ديوانه ٩، وخزانة الأدب ٣:٢٢٣، وتاج العروس (أسل) وصدره: =

فيما أظنُّ. يريد: قال النَّاسُ وهم يَحْمونني الماءَ واللَّبن: لا تشربْهما وإن اشتدَّ حَمْيُ كَبِدِك، وغليلُ جوفِك، فإنَّه يثقُل عليك، ويزيد في ألَمِك من العارضِ لك. فقلتُ مجيبًا لهم: إن كان اللَّبنُ ممزوجًا بماء هذه العَين يُورِثُني خبالًا، ويَكسِبُني إتْخامًا، وهو غذائي ومِساكُ قوَّتي منذُ كنت، إنِّني لمتناهي السُّقْم والله. فأطلَق لفظة سقيم، والمراد المبالغة، وفَعِيل من أبنيتها.

ومثل هذا ممَّا رُمي به هذا المَرمَى قَوْلُ الآخر، وقد مرَّ في باب النَّسيب: [الطويل]

لَئِن كانَ يُهْدَى بَرْدُ أنيابها العُلَى لأَفْقَرَ مِنِّي إنني لفَقيرُ[1]

فهذا بإزاء ذاك، وهو على منهاجه. ومعنى «بَغانِيَ داءً» كَسبني وأنزَلَ بي. وقوله: «بماء مُوَيسلٍ»، الباءُ أفادَ الجمع والاختلاط. ويقولون: خُذْ كذا بكذا، والمعنى مجموعًا إليه ومخلوطًا به.

٨٢٧ ـ وقال حُنْدُج بن حندج[2]: [البسيط]

١ ـ في لَيل صُولٍ تَناهَى العَرضُ والطُّولُ كأنَّما ليلُهُ بالليلِ مَوْصولُ[3]

٢ ـ لا فارق الصُّبحُ كَفِّي إنْ ظفِرْتُ بِهِ وإنْ بَدَتْ غُرَّةٌ منه وتَحْجِيلُ

٣ ـ لساهرٍ طالَ في صُولٍ تَمَلْمُلُهُ كأنَّهُ حَيَّةٌ بالسَّوْطِ مَقْتُولُ

جعل اللَّيْلَ كالمُجَسَّمات حتَّى صار ذا طُول وعَرْض عنده. وقال: «تناهى العَرض والطُّولُ» لأنه قد عَلِم أنَّهما لِلَيل، كما أنَّك تقول: زيد حسَنُ الوجهِ، لأنَّه عُلِم أنَّه لم يُرَدْ إلَّا وجهه. والمعنى أنَّ في ليلِ هذا المكان بلغ الطول والعَرْض نهايتهما وغايتهما، حتى وقفا لا مستزاد فيهما، فكأنَّما ليلُ صولٍ موصولٌ بجِنسهِ كلِّه، فليس ينقطِعُ ولا ينكشف.

وقد قال أبو تمامٍ الطائيُّ مستطيلًا ليوم: [الطويل]

بيومٍ كَطُولِ الدَّهرِ في عَرْض مثلِهِ[4]

= «كدأبك من أمّ الحويرث قبلها»

(١) لعبد الله بن الدمينة. (٢) التبريزي: «المرّي».

(٣) الأبيات في معجم البلدان (صول).

(٤) ديوانه ص ٢٤٤ وعجزه:

«ووجدي من هذا وهذاك أطولُ»

ومن كلام الناس: عِشْنا زَمَنًا طويلًا عريضًا، والدَّهرَ الطَّويلَ العريضَ. وكلُّ ذلك تشبيهٌ بالأجسام. وعلى ما فسَّرناه يتعلَّق الجارّ من قوله: في ليل صُولٍ بتَنَاهَى. وقد استُعمِل العَرض منفردًا عن الطُّول والمراد به السعة؛ على ذلك قولُه تعالى: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فُصّلَت: الآية ٥١]، وقولُه عزّ وجلّ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٣].

وقوله: «لا فارق الصُّبح كَفِّي»، يجوز أن يكون دعاءً، يريد: إنْ ظفِرتُ بالصُّبح فلا فرّق الله بيني وبينه، كما يقال: لا بارك الله في الكُفّار، ويجوز أن يكون إخبارًا. والمعنى أنّه يتشبَّث به فلا يُخلِّيه للزّوال. وهذا على التَّشوُّق له والتَّبرُّم بليلِه. واللَّيل في الاستعمال بإزاء النهار على الإطلاق، واللَّيلة بإزاء اليوم. وهذا يدلُّ على أنه لم يَقْصِد إلى ليلةٍ واحدة، وإنما أراد: اللَّيلُ في صُولٍ هكذا عَلَيّ.

وقوله: «إنْ بَدَتْ غُرَّةٌ منه وتحجيل»، يريد تباشيرَه ممتزجةً بالظلام. كأنّه جَرَى على عادة النَّاس في قولهم للمتشوِّف المتوقِّع: إن ظفِرتُ بزيدٍ أو رأيتُ وجهَه فعلتُ كذا، والمراد إظهار الفاقةِ إليه وشدَّةِ التشوُّف له، وطولِ الملازمة له إذا ظَفِر به. والغُرَّةُ والتَّحجيل معروفان. وقد قيل: صُبْحٌ أَقْرَحُ، مأخوذ من القُرحة، لأنه بياضٌ في سواد. وقوله: «لساهر»، اللام تعلَّق بقوله: «وإنْ بَدَتْ». ويعني بالساهر نفسه، كما أراد بذكر الغُرّة والتَّحجيل نَفْسَ الصبح. والتَّململ: القلقُ والانزعاج. وإنما تَقَلْقَلَ على فِراشه لأرَقِه واستطالته لِلَّيل، ثمّ شبَّه نفسه في التوائه واضطرابه بحيّةٍ قُتِل بالسَّوْطِ فطال اضطرابُه لطول ذَمائه.

٤ ـ مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخَايِلُه ... والـلَّيـلُ قـد مُزِّقـت عَـنْـهُ الـسَّـرابـيـلُ

٥ ـ لَيلٌ تَحَيَّرَ ما يَنْحَطُّ في جِهَةٍ ... كـأنّـه فـوقَ مَـتْـنِ الأرضِ مَـشْـكُـولُ

٦ ـ نُـجُـومُـه رُكَّـدٌ لَيـسَـتْ بِـزَائِلَةٍ ... كـأنَّـمـا هُـنَّ فـي الـجَـوّ الـقَـنـادِيـلُ

قوله: «متَى أرى الصُّبحَ» لفظه استفهام ومعناه التَّمنّي والتَّطلُّع، واستبعاد المنتظَر المترقَّب. ومَخايِلُه: ما يَتَبيَّن به دُنُوّه. كأنّه أظهَرَ ما عليه النَّفسُ مِن ضَجَره باللَّيل واستراحته للصُّبح. ولك أن تروي «واللَّيلَ» بالنَّصب، ويكون مردودًا على الصُّبح وداخلًا تحت متَى أرى. ولك أن تروي «واللَّيلُ» بالرفع ويكون الواو للحال، ويرتفع اللَّيل بالابتداء. و«قد مُزِّقت» في موضع الخبر، ويعنِي بالسَّرابيل الظَّلام.

ثمَّ جعَلَ اللَّيلَ لامتداده واتِّصال دوامِه كالمتحيِّر الواقفِ كواكبُه عن المَسِير، القائِم على حَدٍّ لا يزول عنه ولا يَحُول، ولا يجنَح ولا يَمِيل.

والمَشكول: المقيَّدُ. وهذا المعنى هو الذي يَؤُمُّه امرؤ القيس في قوله: [الطويل]

كأنَّ الثُريّا عُلِّقَتْ في مَصَامِهَا ... بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ(١)

وشبَّه النجوم في إضاءتها بالقناديل، وإنَّما يعلو ضوءُ الكواكب ويَزْهَر عند تراكم الظَّلام واستحكامه. والرُّكَّدُ: جمع الرَّاكد. وجعَلَ الكواكبَ في الجوِّ لأنَّه توهَّمَها كالقناديل المعلَّقة.

٧ ـ ما أَقْدَرَ اللهُ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ ... مَنْ دَارُهُ الحَزْنُ مِمَّنْ دارُه صُولُ

٨ ـ اللهُ يَطْوِي بَسَاطَ الأرْضِ بَيْنَهُما ... حَتَّى يُرَى الرَّبْعُ مِنْه وهو مَأْهُولُ

قوله: «ما أقدر الله» لفظُه تعجُّبٌ ومعناه الطَّلبُ والتَّمنِّي. وكان الواجبُ أن يقول: ما أقدرَ اللهَ على أن يُدْنِيَ، فحذَف الجار، ومثل هذا الحذفِ يكثُر مع أنْ لطولِهِ بصِلَته. والشَّحْطُ: البُعْد، شَحَط شَحطًا وشُحُوطًا. قال: [الرجز]

والشَّحْطُ قَطَّاعٌ رَجَاءَ مَنْ رَجَا(٢)

لكنّه حرَّك الحاء. ويقال: منزلٌ شاحط وشحيط. وموضعُ «على شَحَطٍ» نصبٌ على الحال.

وقوله: «الله يَطوِي بَسَاطَ الأرض بينهما» البَسَاط: الأرض الواسعة. وجعلَ الكلامَ لما يتمنَّاه، ويَطلُب قُرَبه ويتشَّهاه، على أنّه إخبارٌ عن الشَّيء وقد وقَع. وكلُّ ذلك تحقيقٌ لما يؤمِّله ويَسأله. وهذا كما يُجعَل الدُّعاء على لفظ الخبر، كأنَّه لقُوَّة الأملِ يَجعل المطلوبَ في حُكمِ ما قَد حَصَل. وقوله: «حتَّى يُرَى الرَّبع منه»، يعني الرَّبع بالحَزْن ممَّن هو مقيمٌ بِصُولٍ.

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١٩، واللسان (حبل، صوم).

(٢) للعجاج في ديوانه ٢:٢٧، واللسان (حوج) وكتاب العين ٣:٢٥٩ وبعده:

«إلا احتضارَ الحاجِ مَنْ تحوّجا»

٨٢٨ ـ وقال حُمَيْدٌ الأَرْقَط[1]: [المشطور الرجز]

١ ـ قَدْ أَغْتَدِي والصُّبْحُ مُحْمَرُّ الطُّرَرْ
٢ ـ واللَّيلُ يَحدُوهُ تَباشِيرُ السَّحَرْ
٣ ـ وفِي تَوَالِيهِ نُجومٌ كالشَّرَرْ
٤ ـ بِسُحُقِ المَيْعَةِ مَيَّالِ العُذَرْ

الطُّرر: جمع الطُّرَّة، وهي النَّاحِية والحرف، ومنه أطرار الوادي. وفي المثل: «أَطِرِّي فإنَّك ناعلة»[2]، أي اركبي أطرارَ الطَّريق. والبَغداديُّون يروونه: «أَظِرِّي» بالظاء معجمةً، والمعنى اركبي الظُّرر، وهي حجارةٌ محدَّدة يصعب المشيُ عليها. فيقول: أبْتكرُ ـ والصبح محمرٌّ الأرجاء والنَّواحي، واللَّيلُ قد تجلَّى بما يَطرُده مقدِّماتُ السَّحَر وعلاماتُه، وفي مآخِيرِه ومَدارسِ آثارِه من الظَّلام نُجومٌ تتوقَّدُ كأنَّها شَرَر النَّار ـ بفَرسٍ بعيدِ غَورِ النَّشاط، يضطرب عُذَرُه على خَدَّيهِ وجَبْهته. والمَيْعة: النَّشاط. وجعَلَه سُحُقًا لاتِّصاله ودَوامِه. والسُّحُق: البُعْد. ونَخلةٌ سَحُوقٌ، منه، أي طويلةٌ. والعُذَر: الخُصَل من الشَّعَرِ. والعُذَر أيضًا: علامةٌ تُعقَد في ناصية الفَرَس السَّابق من العِهْن، والواحدة عُذْرَةٌ. وقال الخليل: المَيْعَةُ: مَيْعة الشَّباب والحُضر أوَّلهما. وروى السُّكَّرِيّ: «بمُشْعَلِ المَيْعَةِ» وهو من إشعال النَّار والقصب.

٥ ـ كأنَّه يَوْمَ الرِّهانِ المُحْتَضَرْ
٦ ـ وقَدْ بَدَا أوَّلَ شَخْصٍ يُنْتَظَرْ
٧ ـ دُونَ أثابيَّ من الخَيْلِ زُمَرْ
٨ ـ ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِئْبانَ المَطَرْ

قوله: «كأنَّه يومَ الرِّهان»، يريد: كأنَّ هذا الفرسَ يومَ السِّباق وقد حَضَره النَّاسُ فصار يومًا مشهودًا. والمحتضَر: الذي يَحضُره النَّاس. ويروى «يومَ الرِّهان المُبْتَدَر».

---

(١) حميد الأرقط: حميد بن مالك، شاعر إسلامي مجيد محسن، لُقِّبَ بالأرقط لآثار كانت بوجهه، عدّه أبو عبيدة من نجلاء العرب الأربعة وهم: الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان (ترجمته في الأغاني ٢: ٤٤).

(٢) المثل في اللسان (طرر)، «وقيل: معناه أدلّي فإن عليك نعلين، يضرب للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع على لفظ التأنيث، والتهذيب: هذا المثل يقال في جلادة الرجل، قال: ومعناه: أي اركب الأمر الشديد فإنك قويّ عليه».

والأثابِيُّ: الجماعات، وليس لها واحد، وقيل: واحدها أُثبِيّة، أفعولة من الثُّبة، وهي الجماعةُ الكثيرة؛ ومنه تَبَيَّتُ الثّناءَ، إذا أكثرتَه. والمعنى: كأنّه وقد جاءَ في هذا اليومِ سابقًا وأوّلَ طالعٍ يُنتَظَر دُونَ جماعاتٍ من الخيل جاءت زُمرةً بعد زُمرة، صقرٌ قد ضَرِيَ بالصّيد، ابتَكَر وقد مُطِرَ اللّيل، فهو يَنفُض صِغارَ القَطْر وكِبارَه عَنْ رِيشِه، وهو شديد الإلحاح في طلَب الصّيد بعد الانقضاضِ عليه.

٩ ـ عَنْ زِفٍّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ الْمُنكَدَرْ
١٠ ـ أَقْنَى يَظَلُّ طَيرُهُ على حَذَرْ
١١ ـ يَلُذْنَ مِنهُ تحتَ أَفنانِ الشَّجَرْ
١٢ ـ مِنْ صَادِقِ الوَقْعِ طَرُوحٍ بالبَصَرْ(١)
١٣ ـ بَعِيدِ تَوْهِيمِ الوِقاعِ والنَّظَرْ
١٤ ـ كأنّما عَيناهُ في حَرْفَيْ حَجَرْ
١٥ ـ بَينَ مَآقٍ لم تُخَرَّقْ بالإبَرْ

قال الدُّرَيديّ: الزِّفُّ صِغار الرّيش كالزَّغَب، وقال قومٌ: لا يكون الزِّفُّ إلّا للنَّعام إلّا على وجه التّشبيه. والمِلحاح: بناء المبالَغة من أَلَحَّ. أي يُلِحُّ في الصّيد على نَفْسه. ويجوز أن يكون من لَحَّتْ عينُه ولَحِحَتْ؛ إذا التصقَتْ أجفانها بالرَّمَصِ، كأنّه يلتصِق بالصّيد التصاقًا شديدًا. ومن هذا قولهم: هو ابنُ عمّي لَحًا، أي لاصقُ النَّسبِ. وقوله: «بعيد المنكدَر» يقال: انكدَرَ، وانصَلَتَ، وخاتَ، وانقضَّ بمعنًى. وهذا كما قال(٢) الآخر: [الرجز]

ضارٍ يُضَرَّى بِطَرِيِّ اللَّحْمِ   أَكْدَرُ كالجُلْمُودِ يَوْمَ الرَّجْمِ
إذا تَقَضَّى من أعالي النَّجْمِ   ضَمَّ جناحَيهِ انخراطَ السَّهْمِ

وقوله: «أقنَى» القَنا يُستَحبُّ في الصُّقورة والشّواهين، وكذلك طولُ المِنسر، وقِصَر الذَّنَب، وغُؤور العينَين، وبُعْدُ ما بين المنكبين. وقال: «تَظَلُّ طيرُه على حَذَرْ»، أراد ما عَرَفَهُ من الطَّير أو رآه، فلذلك أضافَ إليه. والمعنى يَخافُه فيحذَره، ويَلُوذ منه بغُصون الأشجار فيستخفي فيه، وهو صادق الوَقْع، أي لا يكذب فيه، بعيدُ المطلبِ

(١) التبريزي: «من صادق الودق».
(٢) لرؤبة في ديوانه ١٤١.

والنَّظَرِ، شديدُ المواقَعة والبَغْت. ويقال: طَرْفٌ مِطْرحٌ، أي بعيدُ النَّظَر، ورُمْحٌ مِطْرَحٌ، أي طويل، وفَحْلٌ مِطْرحٌ: بَعيد موقعِ الماءِ في الرّحم.

ومثل قوله: «يَلُذْنَ منه تحتَ أفنان الشجر» قولُ الآخر: [المتقارب]

رأى أرنبًا سَنَحتْ بالفضاء فبَادَرَها ولَجَاتِ الخَمَرْ

وقوله: «كأنّما عيناه في حَرْفَيْ حَجَرْ»، أي في جانبَيْ حجرٍ، يعني رأسَه، ونفسَه بين مآقٍ ولم تُخَطْ، أي لم يُضطَد فكان في التّعليم تُخاط عيناه. والمآقي جمع مُؤْقٍ مثل مُغْقٍ، وبعد القاف ياء زائدة، فهو من الفعل فُعْلُوٌ، نُقِلت إلى فُعْل. وفي هذه اللّفظة لغاتٌ كثيرة، وقد عمِلْتها مسألةً وشرحتُها.

تمّ الباب بحَمْد الله ومَنّه وحسن توفيقِه وعَوْنه
والصّلاة على خيرته من خلقه محمد وآله من بعده

بابُ المُلَح

٨٢٩ ـ لبعضهم[١]: [الوافر]

١ ـ يقولُ ليَ الأميرُ بغيرِ نُصحٍ تَقَدَّمْ حِينَ جَدَّ بنا المِرَاسُ
٢ ـ وما لِي إن أَطَعْتُكَ مِنْ حَياةٍ وما لِي بَعْدَ هذا الرَّاسِ رَاسُ[٢]

ذكر أبو العَبّاس المبرِّد أنّ المُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ قال يومًا وقد حَمِيَتْ نائرة الحَرْب بينَه وبين الخوارج، لأبي عَلقمةَ اليَحْمَديّ: أمدِدنا بخيلِ اليحمَد وقل لهم: أعيرُونا جَماجِمَكم ساعةً. فقال: أيُّها الأمير، إنَّ جماجمَهم ليست بفَخّار فتُعار، وأعناقَهم ليست بكُرّاثٍ فتَنْبُت. وقال لحبيب: كُرَّ عَلَى القوم!! فقال: «يقول لي الأميرُ بغير نُصحٍ».

وقوله: «جَدَّ بنا المِرَاس» أي اشتدّ. والمِرَاس: المجاذَبة والمُدافَعة.

٨٣٠ ـ وقالت امرأة[٣]: [المتقارب]

١ ـ فَقَدْتُ الشُّيوخَ وأَشياعَهُمْ وذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أقوالِيَهْ
٢ ـ تَرَى زَوْجَةَ الشَّيخِ مغمومةً وتُمْسِي لصُحْبَتِهِ قالِيَهْ

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي ٣٨٤: «قال أبو دلامة، وتروى للأعور الشَّنّي» وفي الحماسة البصرية ٢:٣٦٥ للأعور وقيل لحبيب بن عوف، وأبو دلامة هو زيد بن الجون الأسدي (ت ١٦١ هـ).

(٢) التبريزي: «فما لي».

(٣) هي حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري: شاعرة ابنة شاعر، كانت تحت خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد تزوّج بها لما قدم على عبد الملك بن مروان بدمشق فقالت فيه هذه الأبيات والأبيات (٤، ٥، ٦) مع ترجمتها في معجم الأدباء ٣:٢٦٩.

٣ ـ فــلا بَــارَكَ الله فــي عَــزْدِه ولا في غُـضُـون اسْـتِـهِ البـالِيَـة
٤ ـ وإنَّ دِمَــشْــق وفِــتْــيــانَــهــا أحـبُّ إلـيـنـا مـن الـجـالـيَـة[1]
٥ ـ نَـكَـحْـتُ الـمـدينـيَّ إذْ جاءني فـيـا لَكِ مـن نَـكْـحَـةٍ غـالـيـة
٦ ـ لَهُ ذَفَـرٌ كَـصُـنَـان الـتُّـيـوس أعـيَـا عـلى الـمِـسْـك والـغَـالـيـة

الكلامُ دعاءٌ على الشُّيوخ وإظهارُ القِلَى لصُحبتهم والكونِ معهم. وأرادت بالأشياع مَنْ يرضى مُناكحتَهم، أو يتعصَّبُ لهم، أو يَهْوَى هَوَاهم. وقولها: «وذلك من بعض أقواليه» إيذانٌ منها بأنّ لها في الشُّيوخ وذَمِّهم طرائقَ من القول، وألوانًا من الوَصف. وما أظهرَتْه جزءٌ من تلك الجملة. والعَزْدُ: الفَرْج. وقال الخليل: هو الشَّديد المنتصب من كلِّ شيء، ومنه وَتَرٌ عُردٌ.

وقولها: «تَرَى زوجَة الشَّيخ مغمومةً» بيانٌ للعِلّة في الدُّعاء والذَّمِّ. والغُضون: جمع غَضَنٍ، وهو تكسُّر الجِلد وتثنِّي فُضوله على الشَّيخ لِبِلَاه.

وقولها: «وإنّ دِمَشقَ»، كانَ هواها ثَمَّ. وكان يجب أن تقول: أحبُّ إلينا من الجاليةِ وفِتْيانها، فاكتفَتْ بما ذكرتْ، إذْ كان مرادُها مفهومًا.

وقولها: «يا لكِ مِن نَكحة غالية» لفظها لفظُ النِّداء، والمعنى التعجُّب. وإنّما قالت من نَكْحة غالية، لتبيِّن أنّها مكروهة كما يُكْرَه ما يُشترى بغَلاء. والذَّفَر: شِدَّة النَّتْن هنا، ويكون الطيِّبَ أيضًا. والدَّفَر، بالدال غير معجمة، لا يكون إلّا للنَّتْن. والصُّنان: ريح الإبط، ومنه الصِّنُّ: بَول الوَبْر. قال[2] جرير: [الوافر]

بِـصِـنِّ الـوَبْـرِ تَـحْـسِـبُـهُ الـمَـلَابَـا

وقولها: «أعْيَا على المسك» موضعُه من الإعراب نصبٌ على الحال للمضمَر في أعيا. ومفعول أعيا محذوفٌ، أي أعجز ذلك الذَّفَر ما يُستعمل من الطِّيب.

٨٣١ ـ وقال آخر: [السريع]

١ ـ مِن أيْـنـا تَـضْـحَـكُ ذاتُ الـحِـجْـلَـيْـنِ

---

(١) في معجم الأدباء «كهولُ دمشقَ وشبانها».
(٢) ديوانه ص ٧٣، وصدره:

«تـطـلـى وهـي سـيـئـة الـمـعـرى»

٢ ـ أبْـدَلَهـا اللهُ بِـلَوْنٍ لَونَـيْـنِ
٣ ـ سَـوادَ وَجْـهٍ وَبَـيَـاضَ عَـيْـنَـيْـنِ

الجِحْل: الخلخال. وفي الكلام هزؤٌ وإزراء، ثمَّ دَعا عليها بأنْ يغيِّر الله لونَها ويبدِّلها منه لونَين. وقال بعضُهم: «بلونٍ لونَين» هو كقولك بُدِّلَتْ بالشَّبابِ هَرَمًا وضَعْفًا، وبالعِزِّ خضوعًا وقِلَّةَ ناصر. وشرْحُ هذا أنه جعلَ اللَّونَ منتظِمًا للألوان، ثمَّ أبدَل منها السوادَ والبياض. ويجوز أن يريد بقوله: «بلون» لونَها المعروف، أي أبدلَها مما خُلِقت عليه من لونٍ لونَين آخرَين، ثمَّ فسَّرهما.

٨٣٢ ـ آخر[١]: [البسيط]

١ ـ أعـوذُ بـاللهِ مِـن لـيـلٍ يـقـرِّبُـنـي   إلى مُـضـاجِـعـةٍ كـالـدَّلْكِ بـالـمَـسَـدِ
٢ ـ لـقـد لَـمـسـتُ مُـعَـرَّاهـا فـمـا وَقَـعَـتْ   مـمَّـا لـمـسْـتُ يـدِي إلّا عـلى وَتِـدِ
٣ ـ في كـلِّ عُـضـوٍ لـهـا قَـرْنٌ تَـصُـكُّ بـه   جَنْبَ الضَّجيعِ فيُضْحِي واهيَ الجسَدِ

الدَّلْك: الغَمْز والفَرْك. يقال: دَلَكْتَ السُّنبُل فانفرَكَ قِشرُه عن حَبِّه. والمَسَد: الحَبْل، وأصله من الفَتْل. ويقال: مَسدت الحبل مَسْدًا، والحبل ممسود ومَسَدٌ، كما يُقال نفضت الشيءَ نفْضًا، والشيءُ منفوضٌ ونفَض. قال: [الرجز]

ومَـسَـدٍ أُمِـرَّ مِـن أيـانـقِ[٢]

أي حبل فُتِل من جلود النُّوق. فأما قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المَسَد: الآية ٥]. فقيل: المسَدُ: لِيفُ المُقْل. ولا يمتنع أن يكون اللِّيف مَسَدًا بما يَؤُول إليه من الفَتْل عند اتِّخاذ الحبل، ثم استمرَّ الاستعمال به فقيل له المَسَدُ وإن لم يُمْسَد.

وقوله: «لقد لَمَسْتُ مُعَرّاها» يريدُ مَسَحْتُ ظاهرَ بدنِها فما وقَعَتْ يَدِي مما مَسَحْتُه عَنها إلّا على الأوتاد. يَصِفُها بالهُزال وتعرِّي العِظام من اللَّحم، حتَّى صار لها حُجُومٌ فأشبَهَت الأوتاد. وقوله: «في كلِّ عُضو لها قَرْنٌ» العِضْو والعُضْو لغتان،

(١) التبريزي: «وقال أبو الخندق الأسدي، وقيل: إنه لدعبل». والأبيات في ديوان دعبل ٣٢٩.
(٢) لعمارة بن طارق في اللسان (حقق) ولعثمان بن طارق في اللسان (زهق) ولعمارة بن طارق أو لعقبة الهجيمي في اللسان (مسد)، وقبله:
«فاعجلْ بغربٍ مثل غرب طارقِ»

والمراد بالقَرن نُتُوُّ عِظامِها. والصَّكُّ: الدفع. يقال: صَكَّهُ، إذا ضربَه بحجرٍ أو غيرِه. وصَكَّ البازِي صَيْدَهُ، إذا ضَرَبَهُ بكفِّه يَحُطُّه. قال: [الوافر]

إذا اجتَمعُوا عَلَيَّ فَخَلِّ عنِّي ... وعَنْ بَازٍ يَصُكُّ حُبَارَياتِ[1]

٨٣٣ ـ آخر[2]: [الكامل]

١ ـ وإذا مَرَرْتَ به مَرَرْتَ بِقَانِصٍ ... مُتَشَمِّسٍ في شَرْقَةٍ مَقْرُورِ
٢ ـ لِلقَمْلِ حَوْلَ أبي العَلاءِ مَصَارِعٌ ... مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وبَيْنِ عَقِيرِ
٣ ـ وكأنَّهنَّ لَدَى فُرُوزِ قَمِيصِهِ ... فَذٌّ وتَوْءَمُ سِمْسِمٍ مَقْشُورِ
٤ ـ ضَرِجِ الأنامِلِ مِنْ دِمَاءِ قَتِيلِهَا ... حَنِقٍ على أُخْرَى العَدُوِّ مُغِيرِ

تَشَمَّسَ: جَلَس في الشَّمس. ويقال: شَمَسَ يَوْمُنا وأَشْمَسَ، إذا اشتدَّت شمسُه. والشُّرْقَة والمَشْرُقَةُ بمعنًى، وهما المكان الذي يُتَشرَّق فيه. والفَذُّ الفَرْدُ. والتَّوْءَم: اثنان. وقد بسَطْنا القولَ فيه في شرح الفصيح.

ويقال: ضَرَّجْتُ الثَّوْبَ، إذا صَبَغْتَهُ بالحُمْرَةِ خَاصّة، فَضَرِجَ وانْضرَج. ومنه قيل: تَضَرَّجَ الخَدُّ عِنْدَ الخَجَلِ، إذا احْمَرَّ. والحَنِقُ: المغتاظ الشَّديد الغَيْظ.

٨٣٤ ـ آخر[3]: [الخفيف]

١ ـ خَبَّرُوهَا بأنَّني قَدْ تَزَوَّجْـ ... ـتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الغَيْظَ سِرًّا
٢ ـ ثم قالتْ لأُخْتِها ولأُخْرَى ... جَزَعًا لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرَا
٣ ـ وأشارَتْ إلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا ... ما تَرَى دُونَهُنَّ لِلسِّرِّ سِتْرَا
٤ ـ ما لِقَلْبِي كأنَّه لَيسَ مِنِّي ... وعِظَامِي أخَالُ فيهِنَّ فَتْرَا[4]

يقال: خَبَّرْتُه كذا وبكذا. والكَتْمُ: نَقِيضُ الإعلانِ. ويقالُ: كاتَمْتَ، إذا كان الكتمانُ من اثنين. وقد حذَف المفعول الأوّل من تُكاتِمُ. ويجوز أن يكون تُكاتم

(١) لجرير في ديوانه ٨٢٧، والخصائص ١: ٧.
(٢) التبريزي: «وقال آخر، ومرّ بأبي العلاء العقيلي يفلي ثيابه». والأبيات في الحيوان ٥: ٣٧٨، وفي فوات الراغب ٢: ١٣٣.
(٣) التبريزي: «هو لبعض الحجازيين». والأبيات لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٣٨٤.
(٤) التبريزي: «كأنّ فيهن فترا».

بمعنى تَكْتُمُ، فلا يكون من اثنين، ولكن كما يقال: قاتَلَه الله. والكَتُوم في النَّاقة: التي لا تَرْغُو، وفي القَوس التي لا شَق في نَبْعِها. و«سرًّا» يجوز أن يكون مصدرًا من غير لفظه، لأنّ تُكاتِمُ بمعنى تَسْتُر، ويكون كقوله: [الطويل]

ورُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أيَّ إذْلَالِ(١)

ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال. وجَزَعًا انتصبَ على أنه مفعول له. وموضع قوله: «لَيْتَهُ تَزَوَّج عَشرًا» نصْبٌ على أنه مفعول ثالث، وقوله: «للسرّ سِتْرًا»، يجوز أن يُرْوَى «سَتْرًا» بفتح السين، فيكون مصدر سَتَرْتُ، ويجوز أن يُرْوَى «سِتْرًا» بكسر السين فيكون واحِدَ السُّتور، والمعنى في الوجهين ظاهر. وقوله: «فيهنّ فَتْرًا»، يقال: فَتَرَ الإنسانُ، إذا لانَتْ مَفاصلُه وضعُفت فَتْرًا وفُتورًا، وإخَالُ كَسْرُ الهمْزِ منه لغة هُذَيْل، ثم فَشَتْ في غيرها.

٨٣٥ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ جَزَى اللهُ عَنّا ذاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ عَلَى عَزَبٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَهْلُ
٢ ـ فإنّا سَنَجْزِيها بما فَعَلَتْ بِنَا إذا مَا تَزَوَّجْنَا ولَيْسَ لَهَا بَعْلُ
٣ ـ أَفِيضُوا عَلَى عُزَّابِكُمْ بِنِسَائِكم فَمَا في كِتَابِ اللهِ أن يُحْرَمَ الفَضْلُ

روى محمَّدُ بنُ حَبيب أنّ هذا الشَّاعرَ صَعِدَ إلى مِئذنةٍ وَسْطَ الحيّ وأنشد هذه الأبيات، فاجتمعَ عليه غَيَارَى الحيِّ وفُتَّاكه فقتلُوه.

وقوله: «عُزَّابِكم»، هو جمع العازِبِ، وقَصْدُه إلى جَمْع العَزَبِ، وهو الأعزابُ، لكنَّه تَصوَّرَ بُعْدَهُما عن الأهل وتساوِيَهما فيه، فجعل العَزَبَ والعازِبَ بمعنًى واحِدٍ، ثمَّ استعار بِنَاءَ جَمْعِ العازب للعَزَب. وهذا كما قيل: نَمِرٌ ونُمْرٌ، لأنّه لما تُصُوِّر أنه أَنْمَرُ في لونِه جَمَعُوه جَمْع أَنْمَر، فأجرَوْهُ مجرى أحْمَرَ وحُمْرٍ.

وقوله: «أفيضوا على عُزَّابكم بنسائكم» توهَّمَ في أَفِيضُوا معنى تصدَّقوا، فعدَّاه تعدِيَتَه، فلذلك زاد الباء في «بنسائكم». ويجوز أن يكون من قولهم أفاض الإناءَ بمائه علينا، ويكون التَّقدير: أفيضوا العطاءَ بنسائكم. وقوله: «فما في كِتاب الله» يجوز أن يريد بالكِتاب المصدر، والمعنى فيما كتَبَه وفرَضَه. ويجوز أن يُريد به القرآن.

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ٣٢، وخزانة الأدب ٩:١٨٧ واللسان (روض) وصدره:
«فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامُنا»

٨٣٦ ـ آخر : [مشطور الرجز]

١ ـ أنْشُدُ باللهِ وبالدَّلْوِ الخَلَقْ
٢ ـ يا رَبِّ مَنْ أَحَسَّها مِمَّن صَدَقْ
٣ ـ فَهَبْ له بَيضاءَ بَلْهاءَ الخُلُقْ
٤ ـ ومَنْ نَوَى كِتْمَانَ دَلْوِي فاحتَرَقْ
٥ ـ فابعَثْ عليه عَلَقًا من العَلَقْ

أنشُد بالله، أي مستعينًا بالله أو مذكِّرًا بالله. وقوله: «وبالدَّلو الخلق»، يريد وبسبب الدلو نِشْدَاني وطَلبي. ففصَل بين دخول الباءين.

وقوله: «مَنْ أَحَسَّها» أي من رآها وأدركَها بعلمِهِ، ثمَّ صدَّقني عند السُّؤال عنها. فقوله: «ممن صَدَق» يجوز أن يكون «مِن» نكرةً، والمراد من إنسان يَصْدُق أو عادتُه الصِّدق. ويجوز أن يكون «مِنْ» معرفة، والمراد مِن الذين يَصْدُقون في المقال.

وقوله: «فهب له بيضاءَ بَلْهاء» دعاءٌ له بأن يملِّكه الله تعالى امرأةً كريمةً مستقيمة الطريقة، سليمةَ الصَّدر، لا غائل لها ولا غُلولَ لديها.

ومثل هذا قولُ الآخَر: [الرجز]

بَلْهَاءَ لم تَحْفَظْ ولم تُضَيِّعِ(١)

وقوله: «ومَنْ نَوَى كتمانَ دَلوي فاحترَقْ» يريد فأحرَقَه الله ولا تَهَنَّأَ بعَيش. والعَلَق: دوَيْبَّة حمراءُ تكونُ في الماء وتأخذ بالحَلْق. ويجوز أن يكون العلَقُ مصدرَ عَلِقَتْ به العَلُوق الدَّاهية. وسُمِّي الأذى نفسُه العَلَق، واسم الحَدَثِ قد يُجعل صِفةً للفاعل، ويكون على هذا عَلَقًا يتناول واحدًا من الجِنْس. والعَلَقُ يتناوَلُ الجنسَ كلَّه.

٦ ـ إنْ لم يُصَبِّحْهُ بما سَاءَ طَرَقْ
٧ ـ وبَاتَ في جَهْدِ بَلاءٍ وأَرَقْ
٨ ـ وهَبْ لَهُ ذاتَ صِدَارٍ مُنْخَرِقْ
٩ ـ مَشْؤومةً تَخلِطُ شُؤمًا بخُرَقْ

(١) لأبي النجم في تاج العروس (برقع)، وبلا نسبة في اللسان (سقط، بله).

فاعل يصبِّحه العَلَقُ المذكور. والطُّروق يكون بالليل. وقوله: «في جَهْدِ بَلَاء»، أي فيما يجهده ويشقُّ عليه من مقاساة البَلاء. والأرَق: السهر باللَّيل. والصِّدارُ: الثَّوب الذي يبلغ الصَّدر. وجعلَه منخرِقًا لجتون صاحبته، لأنه دعا على مَن يكتم دلوَه بأنْ يَهبَ له امرأة مجنونة تُخْرِجُ يدَها من جَيب صِدَارِها فتُمزِّق على نفسها.

وفي هذه الطريقة قولُ الآخر: [مجزوء الوافر]

كـجـيْـبِ الـدِّفْـنِـسِ الـوَرْهـا ءِ رِيـعـتْ بـعـد إجـفـالِ[1]

وإنما وصف طَعْنَةً، فشبَّه سَعَتَها بسَعَةِ جَيب الوَرْهاء. ويقال: رجلٌ مشؤوم، وقد شُئِم، وشَأَمَ فلانٌ أصحابه إذا أصابهُم شُؤْمٌ من قِبَلِه. وتقول: هذا طائرٌ أشْأَمُ، وطَيْرٌ أشائمُ، أي جاريةٌ بالشؤم. والخُرْقُ: ضدُّ الرِّفْق.

٨٣٧ ـ وقال أعرابِيٌّ: [الرجز]

١ ـ كـأنَّ خُـصْـيَـيْـهِ مـن الـتَّـدَلْدُلِ

٢ ـ سَحْقُ جرابٍ فيه ثِنْتَا حَنظَلِ

التَّدلدل: الاضطراب. ويقال: ثوبٌ سَحْقٌ وَجَرْدٌ، وقد انسحَقَ وانجرَد. وإنما قال: «ثنتا حَنظَل» لأنَّ مرادَه ثنتان من الحنظل. ولو أراد تثنية حنظلة لم يَجُزْ إلا حنظلتان. وقد أُحكِم القول فيه وفي أمثاله في غير هذا الموضع.

٨٣٨ ـ آخر: [الرجز]

١ ـ كـأنَّ خُـصْـيَـيْـهِ إذَا تَـدَلْدَلَا

٢ ـ أُثْـفِـيَّـتَـانِ تَـحْـمِـلَانِ الـمِـرْجَـلَا[2]

قوله: «أُثْفِيَّة» يجوز أن يكون أفعولةً بدلالة قولهم: أثفيتُ القِدْرَ وَثَفَّيتُها. ويجوز أن يكون فُعليَّةً، بدَلالة قولهم أثَّفتُ القِدْرَ. ألَا تَرَى النابغة يقول: [البسيط]

وإنْ تـأثَّـفَـكَ الأعـداءُ بـالـرِّفَـدِ[3]

(١) للفند الزماني في الحماسية (١٧٦)، وكتاب الجيم ١: ٢٧٥.
(٢) التبريزي: «مرجلًا».
(٣) البيت في ديوانه ٣٨ (مؤسسة النور)، من معلقته: وصدره:
«لا تـقـذفـنـي بـركـن لا كـفـاء لـه»

فتأثَّفَ تفعَّل. والهمزة أصليّة. وإنما يتّفق مثلُ هذين التقديرين في الكلمة الواحدة من لغتين. ويقتضي كيفيّةُ وقوعِ الاختلاف في مثلها كلامًا ليس هذا مَوضعَه، فاعلَمْه إن شاء الله.

٨٣٩ ـ آخر[1]: [السريع]

١ ـ كـأنَّ خُـصْـيَـيْـهِ إذا مـا جَـبَّـى

٢ ـ دَجَـاجَـتَـانِ تَـلْـقُـطَـانِ حَـبَّـا

جَبَّى: قام منحنيًا للاحتراش، وهو إثارة الضَّبّ. ويقال: جَبَّى تجبيَةً، إذا سقَطَ لركبتيه وطَأْمَنَ بدنَه ويديه.

٨٤٠ ـ وقال آخر: [الرجز]

١ ـ وفَـيْـشَـةٍ زَيْـنٍ ولَـيْـسَـتْ فَـاضِـحَـهْ

٢ ـ نَـابِـلَـةٍ طَـوْرًا وطَـوْرًا رَامِـحَـهْ

٣ ـ عـلى الـعَـدُوِّ والـصَّـديـقِ جـامِـحَـه

٤ ـ مَـنْ لَقِـيَـتْ فَـهْـيَ لَهُ مُـصَـافِـحَـهْ

٥ ـ تَـسُـدُّ فَـرْجَ الـقَـحْـبَـةِ الـمُـسَـافِـحَـهْ

٦ ـ مُـفْـسِـدَةٍ لابـنِ الـعـجـوز الـصَّـالـحـهْ

٧ ـ كـأنَّـهـا صـنـجـةُ أَلْفٍ راجِـحَـهْ[2]

الفَيْشَةُ: رأس القَضِيب، والفَيْشَلةُ في معناه، وليس من بنائه، لكنّه من باب سَبِطٍ وسِبَطْرٍ وما أشبهه. والرامح: صاحبُ الرُّمح. والنابل: صاحب النَّبل. ورَمَحَت الدّابّةُ رَمْحًا: ضربَتْ برجْلها. ويقولون: برئتُ إليك من الجِمَاح والرِّماح؛ لأنّ الجموحَ صلابةُ الرأس وأن يَمضيَ الشيءُ لوجهه فلا يُضبَط. وفَرَسٌ جَمُوحٌ وجامحٌ. والمُصَافحةُ أصله في الالتقاء والتسليم ووضع اليدِ في اليد. ويقال: لقيتُه صِفَاحًا، أي مُفاجَأةً. والقَحْبةُ: الفاجرة. وأهل اللُّغة يقولون: هو من القُحَابِ: السُّعال، لأنّ مُرَاوِدَها إذا مشَى في إثْرِها تَقْحَب لتلتفتَ إليه، فيُشير إليها بما يريد. والمُسافِحة:

(١) التبريزي: «وقال امرأة تهجو زوجها». وفي الحماسة البصرية ٢: ٤٠٣ لهند بنت أبي سفيان في أبيها، وفي أشعار النساء ٥٩ لريّا بنت الأعرف من بني عقيل.

(٢) الصبخة: حديدة الميزان التي في وسطه من فوق.

الزّانية، أصله من سَفْح الماءِ عندَ الجِمَاع. وهذا كما يقال مِن المَذْي: ماذَيْته. واشتهر السِّفاح بمضادةِ النِّكاح.

٨٤١ ـ آخر[1]: [السريع]

١ ـ وفَـيْشَـةٍ لـيـسـت كـهـذِي الـفَـيْشِ

٢ ـ قـد مُـلِئَتْ مِـنْ خُـرُقٍ وطَـيْـشِ

٣ ـ إذا بَـدَتْ قُـلْـتَ أمـيـرُ الـجَـيْـشِ

٤ ـ مَـنْ ذَاقَـهـا يـعـرفُ طَـعْـمَ الـعَـيْـشِ

٨٤٢ ـ آخر[2]: [الطويل]

١ ـ لا أَكْـتُـمُ الأسـرارَ لَكِـنْ أَنُـمُّـهـا ... ولا أَتْرُكُ الأَسْرارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي

٢ ـ وإنَّ قَـلِيلَ الـعَـقْـلِ مَـنْ بـاتَ لـيـلةً ... تُـقَـلِّبُه الأسـرارُ جَـنْـبًـا إلـى جَـنْـبِ

أَنُمُّها: أُفْشِيها وأُظْهِرها. وقوله: «جنْبًا إلى جنب» في موضع الحال. والمعنى: يَقلقُ في مضجَعِه محافظةً على السِّرّ، ولا يَعْرُكُها بجنبه. ويجوز أن يكون بدلًا من الهاء في تُقَلِّبُهُ.

٨٤٣ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ فجَاؤوا بشَـيْـخٍ كَـدَّحَ الـشَّـرُّ وَجْـهَـهُ ... جَـهُـولٍ مَـتَـى ما يَـنْـفَـدِ الـسَّـبُّ يَـلْـطِـمِ

الكَدْح والخَدْش والخَمْش، تتقاربُ في المعنى. ويقال: نَفِد الشيء إذا فَنِيَ، وأنفدتُه أنا.

٨٤٤ ـ وقالت قابِلةٌ لامرأةٍ أخذَها الطَّلْق واسمها سَحابة: [الرجز]

١ ـ أيـا سَـحَـابَ طَـرِّقِـي بِـخَـيْـرِ

٢ ـ وطَـرِّقـي بِـخُـصْـيَـةٍ وأَيْـرِ

٣ ـ ولا تُـرِيـنـي طَـرَفَ الـبُـظَـيْـرِ

---

(١) الأبيات في اللسان (فيش)، وسرّ صناعة الإعراب ١: ٣٢٢.

(٢) هو سحيم الفقعسي كما في الحيوان ٥: ١٨٤.

التطريق: أن يظهر عند الولادة طَرْقة الولد، وهي أطرافُه: رأسُه ويداه. ولك أن تروي «يا سحابَ» بفتح الباء على أصل التَّرخيم، ولك أن تضمَّها نَوَيْتَ تمام الاسم بعد ذهاب الهاء ثم بنيتَ على الضَّمّ للنّداء.

٨٤٥ ـ آخر: [الوافر]

١ ـ فإنَّكَ إنْ تَرَى عَرَصَاتِ جُمْلٍ   بعاقِبَةٍ فأنتَ إذًا سَعِيدُ

٢ ـ لها عَيْنَانِ من أَقِطٍ وتَمْرٍ   وسائرُ خَلْقِها بَعْدُ الثَّرِيدُ

قوله: «إن تَرَى» أتى بتَرَى تامًا وإن كان في موضع الجزم. فهو كقول الآخر: [الرجز]

ولا تَرَضَّاهَا ولا تَمَلَّقِ(١)

وكقول الآخر: [الوافر]

ألم يأتِيكَ والأنباءُ تَنْمِي   بما لاقَتْ لَبُونُ بني زِيادِ(٢)

وجُمْل: اسمُ امرأة. وعَرْصَة الدّارِ وحَرْصَتُها بمعنًى. ويكون الذي حذَفَه للجزم في تَرَى حركةً كانت في النِّيَّة في موضع الرَّفع. وحروفُ المدّ تُحذف من الأواخر، ليكون بين الأفعال وهي في موضع الرَّفع وبينها وهي في موضع الجزم فَصْلٌ، فلذلك جاز أن تأتيَ بها تامّة، ولولا ذلك لكان لحنًا. وقوله: «فأنت إذًا سعيد» جَمَع بين الفاء وبين إذًا في جواب الشرط تأكيدًا للجزاء، ولو قال فأنت سعيد، لكفَى وأغنَى، ويكون إذًا للحال، كأنّه يحكي الكائنَ من الأمر في ذلك الوقت، وكذلك لو قال فأنت إذٍ سعيدٌ، لجاز كما قال الهذليّ: [الوافر]

بعاقبةٍ وأنت إذٍ صحيحُ(٣)

وقوله: «سعيد» يجوز أن يكون اسمَ الفاعل من سَعِد، ويجوز أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول، ويقال: سَعَدَه الله بمعنى أسعدَه الله. وقوله: «بعاقبةٍ» أي بعَقِب ما

---

(١) لرؤبة بن العجاج في الخزانة ٣:٥٣٤، وملحق ديوانه ١٧٩.

(٢) لقيس بن زهير العبسي في الخزانة ٣:٥٣٦.

(٣) لأبي ذؤيب في خزانة الأدب ٦:٥٣٩، وشرح أشعار الهذليين ١:١٧١، واللسان (أذذ، إذ، شلل)، وصدره:

«نهيتك عن طلابك أمّ عمرٍو»

عَرَفْتَها ودُفِعتَ إليها. ومن روى «فأنتَ إذٍ» يريد فأنت إذِ الأمرُ ذلك وفي ذلك الوقت. ونوَّن إذٍ ليكونَ التَّنوينُ فيه عوضًا مما كان يُضاف إليه من الجمل، وعلى هذا حينئذٍ، ويومَئذٍ.

٨٤٦ ـ آخر[1]: [الطويل]

١ ـ أَنِخْ فاصطنِع قُرْصًا إذا اعتادَكَ الهَوَى بزَيْتٍ كما يَكفِيكَ فَقْدَ الحبائبِ

٢ ـ إذا اجتَمَعَ الجوعُ المبرِّحُ والهَوَى نَسِيتَ وصالَ الآنساتِ الكَواعب

رواه بعضهم: «فاصطنِعْ» كأنّه يَجعلُه من الصُّنع، كما قال الآخر: [الطويل]

إذا ما صَنَعْتِ الزَّادَ فالتَمِسِي لَهُ أَكيلًا فإنّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي[2]

وليس هذا بشيء، وإنّما الرِّواية «فاصطبغ» من الصِّباغ وهو الأُدم، يدلُّ على صِحَّة هذه الرِّواية قوله: «بزيت». ومثل هذا قولُ الآخر: [مجزوء الخفيف]

كُلْ إذا كُنْتَ عاشِقًا ما تَهَيَّا من الدَّسَمْ

وادفَعِ الشَّوْقَ والصُّدو دَ عنِ القَلْبِ بالتُّخَمْ

وصاحِبُ الأكلِ في الهَوَى ليس يَخشَى من السَّقَمْ

وقوله: «كما يكفيك» رواه الكوفيُّون، ويقولون كما في معنى كَيْما. ورووْا أيضًا حجَّةً فيه قولَ الآخر: [الطويل]

إذا جِئْتَ فامنَحْ طَرْفَ عَيْنِك غَيْرَنا كَمَا يحسِبُوا أنَّ الهوَى حيث تَنْظُرُ[3]

وأصحابُنا البصريُّون يروونه «لكي يحسبوا». وكذلك رووا البيتَ الأوّل «لكَيْ يَكفِيكَ»، ولا يعرفون ما ذَكَروه. والآنسات: ذوات الأُنس. والكواعب: اللّاتي نَهَدَت ثُدِيُّها.

٨٤٧ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ كأنَّ ثَنَاياها وما ذُقْتُ طَعْمَها لِبَا نَعْجَةٍ سَوَّطتَه بدَقيقِ

---

(١) البيتان في الحيوان ٤:٨٣ بدون عزو، والأول في الإنصاف ٢:٥٩٢.

(٢) لحاتم الطائي في الحماسية (٧٣٢).

(٣) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ١٠١، وخزانة الأدب ٥:٣٢، والدرر ٤:٧٠، ولجميل في ديوانه ٩٠.

يقال: سُطتُ الشَّيء، إذا جمعْتَه مع غيره في الإناء وضربتَهما حتَّى يختلطا. قال الدُّريدي: وبه سمِّي السَّوطُ الذي يُضرَبُ به لأنَّه يَسُوط اللَّحمَ بالدَّم.

٨٤٨ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ رَمَتْنِي بسَهْمِ الحُبِّ أمَّا قِذَاذُه فتَمْرٌ وأمَّا رِيشُهُ فَسَوِيقُ

يريد أنَّها كانت تُطْعِمُه التَّمرَ والسَّويق، فلذلك أحبَّها. والقِذَاذ: جمع القُذَّة، وهي الرِّيش، ويقال: قَذَذْتُ السَّهمَ، إذا جعلتَ له قُذَذا. وكان أبو زيد يُجيز: أقْذَذْتُ أيضًا، وأباه الأصمعيُّ. وكل شيء سويتَه وأصلحتَه فقد قذذته. والسهم الأقَذّ، الذي لا ريش له. ومن أمثالهم: ما أصبْت منه أقذّ ولا مَرِيشا[1].

٨٤٩ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ ألا رُبَّ خَوْدٍ عَيْنُها من خَزِيرةٍ وأنيابُها الغُرُّ الحِسَانُ سَوِيقُ

الخَوْدُ: المرأة الناعمة الجسم. والخزيرة: دقيقٌ يُلبَّك بشحمٍ. وكانت العرب تُعيِّر بأكله. وقيل: إنّ المقصود بذلك بنو مُجاشعٍ وقريشٌ، وهي السَّخِينة.

٨٥٠ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ وما العَيْشُ إلّا نَوْمَةٌ وتَشَرُّقٌ وتَمْرٌ كأكْبادِ الجَرَادِ وماءُ

٨٥١ ـ آخر: [مشطور الرجز]

١ ـ قامَتْ تَمَطَّى والقَمِيصُ مُنْخَرِقْ

٢ ـ فصادَفَ الخرقُ مكانًا قد حُلِقْ

٣ ـ كأنَّه قَعْبُ نُضارٍ مُنْفَلِقْ

تَمَطَّى، أراد تتمَطَّى، أي تتمدَّد، فحذف إحدى التاءين. والنُّضار: شجَرٌ يُتَّخذ من خَشبِهِ القِصَاع. ومثل هذا قولُ الآخر: [الرجز]

إذا قعَدْتُ مَقْعَدًا نَبَا بِيَهْ كالقَدَحِ المَكبُوبِ فوقَ الرَّابِيَهْ

---

(١) المثل في اللسان (قذذ): «الأقذّ: السهم الذي قد تمرّطت قذذه وهي آذانه، والمريش: السهم الذي عليه ريش، أي لم أُصب منه شيئًا».

٨٥٢ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ إذا اجتمع الجُوع المبرِّحُ والهَوَى على الرَّجُلِ المِسْكِينِ كادَ يَمُوتُ

٨٥٣ ـ آخر: [الرجز]

١ ـ يا رَبِّ إنْ قَتلْتَها فَعُذْ لها
٢ ـ فلَنْ تموتَ أو تشدَّ قَتْلَها[١]

أراد إلّا أنْ تشدَّ قتلَها وتبالغ فيه.

٨٥٤ ـ آخر[٢]: [البسيط]

١ ـ وأُبغِضُ الضَّيفَ ما بي جُلُّ مأكَلِه إلّا تَنَفُّجَهُ حَولي إذَا قَعَدَا
٢ ـ ما زال يَنفُجُ جَنبيهِ وحُبوَتَهُ حتّى أقولُ لَعلَّ الضيفَ قد وَلَدَا[٣]

قوله: «إلّا تنفُّجه» استثناءٌ خارج. والتنفُّج قيل هو التجشُّؤ. ويقال: تنفَّجَ فلانٌ، أي توسَّعَ في جُلوسه. ومنه: هو مُنتَفِجُ الجنبين. وهذا غَرَضُ الشاعر، بدَلالة قوله: ما زالَ ينفُج جنبيه وحُبْوَتَه. والنَّفْجُ: الكِبْر، وفي التنفُّجِ زيادةُ تكلُّف.

٨٥٥ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ وإنَّا لنَجفُو الضيفَ مِنْ غيرِ عُسْرَةٍ مَخافَةَ أن يَضْرَى بنا فيعودُ[٤]

قوله: «فيعود» لم يعطفه على أن يَضْرَى بنا، لكنه قَصَدَ به إلى الاستئناف، والمراد فهو يَعود، ويقال: إنّ بعضَ المتحذلِقين في زمن الأصمعيّ خالفَه في هذا وزَعَمَ أنّ الشاعر تمدَّحَ بهذا ولم يتملَّح، وزعم أنّ المرادَ إنَّا لا نتكلَّف للضيف ولا نحتشد له، بل نُقدِّم إليه ما يحضُرنا لئلّا يَنفِر من احتشامنا له، فينقبضَ عنَّا، ولا يعودَ إلينا. قال: ومعنى «مخافةَ أن يَضرَى» أن لا يَضرَى بنا، ولا مُضمرة، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: الآية ١٧٦]. وهذا كما تكلَّفَ

---

(١) التبريزي: «أو تجيدَ قتلها».
(٢) في العقد الفريد ٦: ٣٠٢ لحميد الأرقط.
(٣) روى التبريزي بعده مقطوعة: «وقال بلال بن جرير: [الطويل]
وعكليّةٍ قالت لجارة بيتها إذا العَيْرُ أدلى: حبّذا مثلُ ذا عِلقا»
(٤) بعده عند التبريزي:
«ونُشلي عليه الكلبَ عند محلّه ونبدي له الحرمانَ ثم نزيدُ»

بعضُهم القولَ في قوله: [البسيط]

قومٌ إذا استَنبح الأضيافُ كلبَهمُ قالوا لأمِّهمِ بُولِي على النَّارِ(١)

وزعم أنَّه مَدْح مع اتِّفاق النَّاس على أنَّه أَهْجَى بيت.

٨٥٦ ـ آخر: [مشطور الرجز]

ونَظَرَ إلى جاريةٍ سوداء تَخْضِب كفَّها فقال:

١ ـ تَخضِبُ كَفًّا بُتِكَتْ مِنْ زَنْدِهَا

٢ ـ فَتَخْضِبُ الحِنَّاءَ مِن مُسْوَدِّها

٣ ـ كأنَّها والكُحْلُ في مِرْوَدِّها

٤ ـ تَكحُلُ عَينَيها ببَعْضِ جِلْدِها

وقوله: «بُتِكَتْ من زَنْدِها» منقطعٌ مما قبله، كأنَّه خبَّر عنها، ثم دعا على كَفِّها. ولا يجوز أن يتّصل بما قبله، لأنَّه حينئذٍ يكون واقعًا موقعَ الصِّفةِ للكفِّ، والأمرُ والنَّهْيُ والدعاء لا تكون صفاتٍ ولا صلاتٍ ولا أخبارًا إلّا بتأويل.

وقوله: «فتَخْضِبُ الحِناءَ من مُسْوَدِّها»، يريد أنَّ سَواد لونِها يغيِّر من الحِنَاءِ فيَخْضِبه. والحِنّاءُ وزنه فِعّالٌ، والهمزة منه أصلية، بدلالة قولهم: حنَّأْتُه بالحِنَّاء.

وقوله: «في مِرْوَدِّها» استقبحَ الزِّحاف فشدَّد الدال، ومثله: [الرجز]

تَعَرُّضَ المُهْرَةِ في الطِّوَلّ(٢)

٨٥٧ ـ آخر(٣): [الطويل]

١ ـ لَعَمْرِي لقد حَذَّرْتُ قُرْطًا وجارَه ولا يَنْفعُ التّحذيرُ مَنْ ليس يَحْذَرُ

٢ ـ نَهَيتهما عن نُورَةٍ أَحْرَقَتْهُمَا وحَمّامِ سَوْءٍ ماؤُهُ يَتَسَعَّرُ

٣ ـ فما مِنْهُما إلا أتاني مُوَقَّعًا بهِ أثَرٌ من مَسِّها يَتَقَشَّرُ

---

(١) للأخطل في ديوانه ٢٣٤، واللسان (ردب)، وتاج العروس (ردب، نج).

(٢) لمنظور بن مرثد الأسدي في اللسان (طول، قتل) وتاج العروس (عرض، طول) وبلا نسبة في اللسان (عرض، أنن).

(٣) التبريزي: «وقال أعرابي لابنه، وكان قد دخل الحمام فأحرقته النورة».

٤ ـ أَجِدَّكُما لم تَعْلَما أَنَّ جَارَنَا ... أبا الحِسْلِ بالصَّحْرَاءِ لا يَتَنَوَّرُ

٥ ـ ولم تَعْلَما حَمَّامَنَا ببلادنا ... إذا جعَلَ الحِرْباءُ بالجِذْلِ يَخْطِرُ

قوله: «أتاني مُوَقَّعًا»، انتصب على الحال. ويقال: بعيرٌ موقَّع الظَّهر، إذا كان به آثار الجرَب. ورجلٌ موقَّعٌ، إذا كان به آثار الجراح. قال: [المنسرح]

مِثْلَ الحمارِ الموقَّع السَّوْءِ لا ... يُحْسِنُ مَشْيًا إلَّا إذا ضُرِبَا[(١)]

وقوله: «لا يَتَنَوَّرُ» الأجود في هذا أن يقال: لا يتَنأر، وقد قيل: تَنَوَّر أيضًا.

وقوله: «أجِدَّكُما» انتصب على المصدر من فعلٍ مُضمَر، كأنّه قال: أتجدَّانِ جِدَّكُما.

وذكره سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر توكيدًا لما قبله، كقولك هذا زَيْدٌ حقًّا لا باطلًا، وهذا القولُ لا قولَكَ، وهذا زيدٌ غَيرَ ما تقول، والتقدير: هذا القول لا أقول قولَك. قال سيبويه: ومثلُه في الاستفهام أَجِدَّكَ لا تفعَلُ كذا، ولا يُستَعمَل إلَّا مضافًا، والتقدير أجِدًّا منك. وَجَرَى هذا مَجْرَى ما لَزِمَتْهُ الإضافةُ نحو لبَّيك وما أشبهه، ومَعاذَ الله. والمعنى أعلى جِدٍّ لما تعلما ما ذكرتُ. والحِرْباء أعظَمُ من العَظَاءَة، وهو أغبَرُ ما دام صغيرًا، ثم يصفرُّ إذا كَبِرَ، فإذا حَمِيَت الشَّمسُ عليه أخذَ جلدُه يخضرُّ. ولذلك قال ذُو الرُّمَّة لمَّا وصفه: [الطويل]

ويخْضَرُّ من لَفحِ الهَجيرِ غباغِبُهْ[(٢)]

وقال الطِّرِمَّاح: [الخفيف]

وانْتَمَى ابنُ الفَلَاةِ في طَرَفِ الجِذْ ... لِ وأَعْيَا عَلَيْهِ مُلْتَحَدُهْ[(٣)]

وابنُ الفَلَاة: الحِرْباء. والجِذْلُ: العُود وأصلُ الشَّجَرة. وقال آخَر: [البسيط]

أَنَّى أُتِيحَ له حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ ... لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلَّا مُمْسِكًا سَاقا[(٤)]

---

(١) للحكم بن عبدل في الحماسية ٤٥٠، وتاج العروس (وقع)، واللسان (وقع).

(٢) لذي الرمة في ديوانه ٤٧، وبلا نسبة في اللسان (غبب)، والمخصص (غبب)، وصدره:

«إذا جعل الحرباءُ يبيضُّ رأسُه»

(٣) للطرماح في ديوانه ٢٠٨، والمخصص ١٣: ٢٠٠.

(٤) لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه ص ٢٣٦ واللسان (حرب)، وللحارث بن دوسر في المستقصى ٢: ٢٦٩.

تَنْضُبَةٌ: شجرة. والحِرْباء يَستقبل الشَّمسَ فيدورُ معها في سُوق الأشجار.

وقوله: «جعَل الحِرْباءُ» بمعنى طفِقَ.

وقوله: «لا يُرْسِلُ السَّاقَ» مَثلٌ للمُلْحِف الذي لا يَقضِي حاجَةً إلا سَأل أُخرَى.

٨٥٨ ـ آخر: [البسيط]

١ ـ أَلَا فَتَى عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُنِي عَلَيْهِما إِنَّني شَيْخٌ عَلَى سَفَرِ

٢ ـ أَشْكُو إِلى اللهِ أَحْوالًا أُمارِسُها مِنَ الجِبالِ وَأَنِّي سَيِّئُ النَّظَرِ

٣ ـ إِذَا سَرَى القَوْمُ لَم أُبْصِرْ طَرِيقَهُمُ إِنْ لَم يكن لَهُمُ ضَوْءٌ من القَمَرِ

يروَى «إنِّي شَيخٌ على سفر» بكسر الهمزة على الاستئناف، ويروى «أنِّي» بفتح الهمزة، والمعنى لأنِّي شيخ.

وقوله: «لم أُبصِر طريقَهم»، يريد أنَّه لا جادَّةَ في بلادهم. وهذا خلافُ قول الآخر: [البسيط]

.... ترى للسَّائلين إلى أبوابه طُرُقَا[1]

كأنَّه عيَّرهم متملِّحًا.

٨٥٩ ـ وقالت جارية في جاريةٍ تَسُبُّها[2]: [السريع]

١ ـ سُبِّي أبي سَبُّكِ لَنْ يَضِيرَهْ

٢ ـ إنَّ مَعِي قَوافِيًا كَثِيرَه

٣ ـ يَنْفَحُ منها المِسْكُ والذَّرِيرَهْ

يروى: «سَبّكِ لي بَصِيره». وإذا رويتَ «سَبُّكِ لي بصيرة» يرتفع سَبُّك بالابتداء. وتنصب سَبَّك على المصدر، أي كما تسبِّبنني، فسُبِّي أبي أيضًا، و«بصيرة» على النِّداء.

---

(١) روى التبريزي البيت كاملًا:
«قد جعل المبتغون الخيرَ في هرمٍ والسائلون إلى أبوابه طرقا»
وهذا البيت لزهير.

(٢) التبريزي: «وقالت جارية في نساء يتسابين».

٨٦٠ ـ وقالت أخرى: [السريع]

١ ـ إنَّ أبَــاكِ زَهــزَقٌ دَقِــيــقُ
٢ ـ لا حَـسَـنُ الـوجـهِ ولا عَـتِـيـقُ
٣ ـ تَـضـحَـكُ مـن طُـرطُـبِّـهِ الـعُـنُـوقُ

الزُّهزعقُ: اللَّئيم الدَّقيق الحسَب. والعتيق: الكريم الرائع مِن كلّ شيء. والفعل منه عَتُق عِتقًا. والطُّرطُبُ: صوت الرَّاعي إذا سَكَّن مِعزاه. والعُنُوق: إناثُ أولادِ المعزى، أي كأنَّها تُسَرُّ لفَعلته تلك. ويُروى: «تَضحَك من طُرْطُبِّه العَبُوقُ»، وذكر أن المخاطَب كان لثَديهِ حَلمة طويلة ـ والضَّرع الطَّويل يقال له الطُّرْطُبّ ـ وأنَّ العَبوق امرأةٌ، يريد أنَّها تَسخَر منه وتُعجِبُها خِلقتُه.

٨٦١ ـ وقالت أخرى: [مشطور الرجز]

١ ـ يـا رَبِّ مَـنْ عَـادَى أبـي فـعـادِهِ
٢ ـ وارْمِ بِـسَـهـمَـيـنِ عـلـى فُـؤادِهِ
٣ ـ واجـعَـلْ حِـمـامَ نَـفْـسِـهِ فـي زَادِهِ

٨٦٢ ـ وقالت أمُّ النَّحِيف[1]: [الطويل]

١ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ أخلَفْتَ ظَنِّي وسُؤْتَنِي ... فَحُزتَ بعِصْيانِي النَّدامَةَ فاصْبِرِ
٢ ـ ولاتَكُ مِطْلاقًا مَلُومًا وسَامِحِ الـ ... ـقَرِينَةَ وافعَلْ فِعْلَ حُرٍّ مُشَهَّرِ
٣ ـ فقَدْ حُزتَ بالوَرْهاءِ أَخْبَثَ خِبْثَةٍ ... فَدَعْ عَنْكَ ما قد قُلْتَ يا سَعْدُ واحْذَرِ
٤ ـ تَرَبَّصْ بِها الأيَّامَ عَلَّ صُرُوفَها ... سَتَرْمِي بها في جَاحِمٍ مُتَسَعِّرِ
٥ ـ فكَمْ مِن كَريمٍ قَدْ مَناهُ إلٰهُهُ ... بمَذْمُومةِ الأخلاقِ وَاسِعَةِ الحِرِ
٦ ـ فطَاوَلَها حَتَّى أتَتْها مَنِيَّةٌ ... فصارَتْ سَفَاةً جُثْوَةً بينَ أَقْبُرِ
٧ ـ فأُعْقِبَ لمَّا كان بالصَّبْرِ مُعْصِمًا ... فَتاةً تَمَشَّى بينَ إتْبٍ ومِئْزَرِ
٨ ـ مُهَفهفَةَ الكَشْحَيْنِ مَخطُوطَةَ الحَشَا ... كَهَمِّ الفَتَى في كلِّ مَبْدًى ومَحْضَرِ[2]

---

(١) التبريزي: «وهو سعد بن قرط أحد بني جذيمة، وكان تزوّج امرأة نهته أمّه عنها».
(٢) التبريزي: «محطومة المطا».

٩ ـ لها كَفَلٌ كالدِّعْصِ لَبَّدَهُ الثَّرى وثَغْرٌ نَقِيٌّ كالأقاحِي المُنَوِّرِ[1]

كأنّ المخاطَب كان تزوّج بامرأةٍ لم تَرضَها له، فلم تَحمَدِ العاقبة، فأخذَتْ توبِّخه في الخلاف عليها، والعصيانِ لها، وتشير عليه بمصابَرتها وإنْ لم يستوفِقْها منتظِرًا رَيْبَ الزّمان وأحداثه فيها. فقالت: عامِلْها معاملةَ الأحرار الكرام، فلا تطلِّقْها وإن تلكَ قد حُزتَ بها وَرهاء، وهي الحمقاء. وأصل الوَرَه الخُرْق في كلّ عمل. ويقال: توَرَّه الرجلُ في عمله. وقولها: «أخْبَثَ خِبْثَةٍ» فالخبيث نعت كل فاسد، وكذلك الخابث. وقد استُعمِل الْخِبْثة في العجوز أيضًا. والأخبثان: البَخَر والسَّهَر، وقيل: الرَّجيع والبَوْل.

وقولها: «دع عنكَ ما قد قلت»، كأنه كان هَمَّ بمُباينتِها فأنكرتْ ذلك وقالت: تربَّصْ بها. والجاحم: النار الشديدة التأجُّج. ومنه جاحِم الحرب، وجَحَمت النارُ والحربُ جَحْمةً: اشتدَّت. والسَّفَاةُ: التُّراب. والجُثْوَةُ: الكُبَّةُ منه. والإتْبُ: الدِّرْع. وأعصَمَ من الشرّ واعتصَمَ: التجأَ وامتَنَع. مَحطوطةُ الْحَشا، أي أنها قد صُقِلت بالْمِحَطّ، وهو ما يُحط به السيف والجِلد. والمُهفهَفة: الخميصة البَطْن الدقيقة الخَصْر.

وقولها: «كَهَمِّ الفَتَى» أي كما يهواه ويَهُمُّ به حيثما تصرَّف. والدِّعْص: المجتمِع من الرَّمل. ولَبَّده: صَلَّبَه. يعني أنّ لحمَها في تراكُمِه واكتنازِه كذلك.

٨٦٣ ـ وقال أبو الطَّمَحان الأسديُّ[2]: [الطويل]

١ ـ وبالحِيرَةِ البيضاءِ شَيخٌ مُسَلَّطٌ إذا حَلَفَ الأيمانَ باللهِ بَرَّتِ

٢ ـ لَقَدْ حَلَقُوا مِنها غُدافًا كأنَّهُ عَنَاقِيدُ كَرمٍ أَيْنَعَتْ فاسبكَرَّتِ

٣ ـ فَظَلَّ العَذارَى يومَ تُحلَقُ لِمَّتِي عَلَى عَجَلٍ يَلْقُطْنَها حيثُ خَرَّتِ

---

(١) التبريزي: «لَبّده الندى». وبعده عند التبريزي: «وقال سعد، وليس من الكتاب: [البسيط]

يا ليت ما أُمّنا شالت نعامتها أيما إلى جنّةٍ أيما إلى نارِ

تلتهمُ الوَسْقَ مشدودًا أشظّته كأنما وجهُها قد طُليَ بالقارِ

ليست بشبعى ولو أوردتَها هجرًا ولا بَريًا ولو قاظتْ بذي قارِ»

(٢) التبريزي: «وحلقه صاحب شرطة يوسف بن عمر» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٤٧٨).

بَرَّت اليمينُ بَرًّا، وهي بارّة وبَرَّةٌ، وأبررتها أنا. قال:

إنـي حَـلَفْـتُ عـلى يَـمـيـنٍ بَـرَّةٍ(١)

ويقال: يَنَعت الثمرةُ، إذا نَضِجَت، وأينَعَت أيضًا. واسبكَرَّت: استرخت ولانت. وخَرَّت: سقَطَت خُرورًا. وخرَّ الماءُ خريرًا. شَبَّهَ الشَّعَر في طُوله ولينه ولونه بعناقيدَ من الكَرْم استرسلَت.

وقوله: «لقد حلَقُوا منها»، أي من الهامَة. والغُداف: الأسود، ووُصِفَ به الغُرابُ لذلك. وظَلَّ العذارى، بمعنى صار. وإنما التقطن لِمَّتَها لحسنها ووَلوعهنَّ بها مِن قَبل.

(١) للراعي في جمهرة أشعار العرب ١٧٢، وعجزه:

«لا أكـذب الـيـوم الـخـلـيـفـة قـيـلا»

بابُ مَذَمَّة النِّساء

٨٦٤ ـ قال بعضهم: [الطويل]

١ ـ دِمَشْقُ خُذِيها واعلمي أنّ ليلَةً تمُرُّ بعُودَيْ نَعْشِها ليلةُ القَدْرِ(١)

٢ ـ أكَلْتُ دَمًا إنْ لم أرُعْكِ بضَرَّةٍ بَعيدةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبةِ النَّشْرِ(٢)

أظهرَ التضجُّر بها وبالكونِ معها، وطلب الخلاصَ منها، وبَعثَ البلدةَ على أَخْذِها وقبضها إلى نَفْسها. وقوله: «تمُرُّ بعودَيْ نَعْشِها» إنْ جَعَلْتَ الفِعْل لدمشْقَ اقتضى أن يكون في قوله تمُرُّ بعودَيْ نعشِها ضميرٌ يرجع إلى ليلةٍ، والمراد تمرُّ بعودَيْ نعشها فيها ليلةُ القدر. فإن جعلتَ الفعلَ لليلة يكون المعنى أن الليلة التي تموت فيها أو تُميتُها تَحُلّ منها في عِظَمِ موقِعها محلَّ ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألْفِ شهر ليس فيها ليلةُ القدر. وجاء في الخبر أنه إنَّما عَظُم موقِعُها لأنّ الله تعالى أنزَلَ فيها جملةَ القرآنِ إلى سماء الدنيا، ثم أنزَلَ منها نجومًا الشيءَ بعد الشيء على ما عَرَف من المصلحة فيه.

وقوله: «أكلتُ دَمًا» يَجرِي مَجرَى اليمين، وإنْ كان لفظُه لفظَ الدُّعاء. وأَكلُ الدَّمَ يَسُوغ عند الإشفاء على الهَلَكة وجَهْدِ البَلَاء في الإعواز. والمعنى: إنْ لم أُفَزِّعْكِ

---

(١) البيت في الحماسة البصرية ٢:٣٠٨ بلا نسبة.

(٢) التبريزي: «وأنشد أبو رياش:

«أما لكِ عمرٌ إنما أنت حيّةٌ إذا هي لم تُقْتَلْ تَعِشْ آخرَ الدهرِ

ثلاثين حولاً لا أرى منك راحةً لَهِنَّكِ في الدنيا لَباقيةُ العمرِ

دمشقُ خذيها لا تَفُتْكِ فليلةٌ يُراحُ بفودي نعشِها ليلةُ القدر

فإن أنفلتْ من عمرٍ صعبةَ سالمًا تكن من نساءِ النساء لي بيضةُ العُقرِ

هذه الهاء من (لَهِنَّكِ) بدل من همزة إنّ في قول البصريين، وقال غيرهم: هي في معنى إنك.

بأن أتزوّجَ بامرأةٍ حسنَةِ السّالفة، طيّبة الرّائحة، فابتلاني الله تعالى بما يَحِلُّ معه أَكْلُ الدّم.

٨٦٥ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ سَقَى اللهُ دَارًا فَرَّقَ الدَّهرُ بَيْنَنا وَبَيْنَكِ فيها وَابلًا سائلُ القَطْرِ

٢ ـ وَلا ذَكَرَ الرَّحمٰنُ يَومًا ولَيلَةً مَلَكْناكِ فِيهَا لم تَكُنْ لَيلَةَ البَدْرِ

دعَا للدّار المُفرّقةِ بينهما بالسُّقيا الغَزيرة وعلى ما جَمَع بينهما من أيّام الدّهر ولياليها بمَنْعها الخَير، وحِرمانِها الحَيَا والقَطْر، ثم قال: «فيها» فردّ الضّمير على أحدِهما واختار الأقربَ، إذْ عُلِمَ أنّ المعطوفَ والمعطوف عليه يستويان في الإخبار. ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: الآية ٣٤]. وقوله: «لم تكُنْ ليلةَ البدر» من صفة اللّيل، أي كانت تلك اللّيلةُ مظلمةً لا نُورَ فيها ولا سُعود. ومعنى «ولا ذَكَر الرّحمٰن»، أي لا تعطّفَ عليها، ولا قَسَم لها خيرًا.

٨٦٦ ـ وقال آخرُ في امرأتين تزوّجَ بهما[1]: [مرفّل الكامل]

١ ـ رَحَلَتْ أُنَيسَةُ بالطَّلَاقِ وَعَتَقْتُ مِنْ رِقِّ الوَثَاقِ

٢ ـ بانَتْ فلم يَألَمْ لَهَا قَلبي ولم تَبْكِ المَآقِي

٣ ـ ودَوَاءُ ما لا تَشْتَهِيهِ الـ نَّفسُ تَعجِيلُ الفِراقِ

٤ ـ لَوْ لَمْ أُرَحْ بفِراقِها لأَرَحْتُ نَفسِي بالإِبَاقِ

٥ ـ وخَصَيْتُ نَفسي لا أُريـ دُ حَليلةً حتّى التّلاقِي

يريد: طلّقتها فبانت منّي وفارقَتْني، فصِرتُ حُرًّا عتيقًا. ومعنى «رِقّ الوَثَاق»، يريد أنّي كُنتُ كالمُوثَق الأسي ففكَكْت وَثَاقي، وجعَلَ البكاءَ للمآقي مجازًا، وهو جمع المُؤقِي على وزن المُعْقِي، وهو طَرَف العَين الذي يَلِي الأنف، وهو مَخْرج الدّمع، فلذلك جعل الفعلَ لها. وفي هذه اللفظة عدة لغات: مَأْقٌ على وزن المَعْق وجمعه آماقٌ، وماقٍ على زنة قاضٍ والجميع مَوَاقٍ. وحكى أبو زيد ماقِيءُ والجمع

(١) التبريزي: «في امرأة طلّقها».

مواقِىءُ. وقال امرؤ القَيْس في المآقي: [المتقارب]

شُـقـتْ مـآقـيـهـمـا مـن أُخَـرْ[١]

وحكى يعقوب (في المنطق[٢]) عن الفَرَّاء، أنّه ليس في كلام العرب مَفْعِلٌ بكسر العين إلّا حرفان: مَأْقِي العَين، ومَأْوِي الإبل، وهذه اللّفظةُ على اختلاف اللُّغات قد عمِلتُها مسألةً، وتكلّمتُ في وُجوهها، وبيَّنْتُ خطأً من وزنَ مَأْقِي العَين بمَفْعِلٍ بكسر العين. وقوله: «تعجيل الفِراق»، يريد تعجيل فراقِه، فجعل اللّفظ عامًّا، والمراد الخاصّ، وعلى هذا قوله: «من رِقّ الوَثاقِ»، يريد وَثاقِها. والإبَاق: الهَرَب. والرَّاحة: وِجدانك الرَّوْح بعد مَشَقَّةٍ. وما لَكَ رَوَاح، أي راحة. والتَّراويح في رمضان منه، وكذلك قولهم: تراوحَتْه الأمطار، وأَفْعَلُ ذلك في سَرَاحٍ ورَوَاحٍ. والحَليلةُ: الزَّوجة، سمِّيت بذلك لأنّها تُحَالُّ بَعلَها، أي تُنازله وينازلها. وقوله: «حتّى التَّلاقي»، أي إلى وقتِ تلاقِي الخَلْق في يومِ القِيامة.

وانعطف «وخَصَيْتُ» على قوله: «لأرحتُ نَفْسي». وموضع لا أريد نصبٌ على الحال، والعامل فيه خَصَيْتُ.

٨٦٧ ـ وقال آخر: [البسيط]

١ ـ أَلْمِمْ بِجَوْهَرَ بالْقُضْبَانِ والمَدَرِ ... وبالعِصِيّ التي في رُوسِها عُجَرُ

٢ ـ أَلْمِمْ بها لا لتسليمٍ ولا مِقَةٍ ... إلّا ليَكسرَ مِنها أَنفَها الحجَرُ

٣ ـ أَلْمِمْ بوَطْباءَ في أَشداقِها سَعَةٌ ... في صُورةِ الكَلْبِ إلّا أنّها بَشَرُ

٤ ـ حَذْبَاءُ وَقْصَاءُ صِيغَتْ صِيغةً عَجَبًا ... وفي تَرَائبِها عن صَدرِها زَوَرُ

الإلمام: الزِّيارة الخفيفة، والباء من قوله: «بجوهر» تعلّق به. وقوله: «بالقضبان» أي والقُضبان معكَ، وهذا كما يقال: خرج بسلاحه، أي والسِّلاح عليه، والعُجَر: جمع عُجْرة، وهي العُقدة، وخَيْطٌ عَجِرٌ وعَصًا عَجْراء: فيهما عُقَد. وقالوا في روس جمع رأس، لأنّه جمع فَعْلًا على فُعُل، كقولهم سَقْفٌ وسُقُف، ورَهْنٌ ورُهُن.

---

(١) لامرىء القيس في ديوانه ١٦٦، واللسان (أخر، بدر، حدر)، وديوان الأدب ١:١٣٨ وصدره:
«وعـيـنٌ لـهـا حـدْرةٌ بـدرةٌ»

(٢) يريد كتابه «إصلاح المنطق» انظر ص ١٣٧.

وقد أقْوَى في بيتٍ واحد، فهو أقبح.

وقال: «في أشداقها» جمعًا على ما حواليه، كما يقال هو ضَخْم العَثَانِين. والوَطْباء: العظيمة الثَّدْيين، وهي فَعْلَاءُ ولا أفْعَلَ لها. ومثله دِيمَةٌ هَطْلَاءُ، والحَلْوَاءُ. وقد مرَّ نظيرُه. وقوله: «إلّا أنّها بشَر»، البشر يقع على الواحد والجمع، ويتناول الإنس دون سائره. والوقصاء: القصيرة العنُق. والترائب: جمع التَّرِيبة، وهي موضع القِلادة. وإنَّما يصِف اعوجاجَها في خِلْقتها وهُزالها.

٨٦٨ ـ آخر: [البسيط]

١ ـ تَـمَّـتْ عُـبَـيْـدَةُ إلّا فـي مَـحَـاسِـنِـهـا والمِلْحُ منها مكانَ الشَّمْسِ والقَمرِ[١]

٢ ـ قُلْ لـلَّذِي عَـابَـهـا مِـنْ عـائِـبٍ حَـنِـقٍ أَقْصِرْ فَرَأْسُ الذي قد عِيبَ وَالحَجَرُ[٢]

قوله: «تَمَّتْ عُبيدةُ إلّا في محاسنها»، أطلَقَ القولَ بتمامها، ثمّ استثنى المحاسنَ من خِصالِها، فخلَصَ التَّمامُ في المَقَابح لا غير. وقوله: «والمِلحُ منها مكان الشَّمس»، لك أن تنصب مكانَ على الظَّرف، يريد أنَّ الملحَ بعيد، فهو في السَّماء، ولك أن ترفعَه كما تقول: هو منِّي فَرسخانِ، فتجعلَ الملحَ منها نفسَ السَّماءِ، كما تجعل المُخْبَر عنه في قولك: هو منِّي نَفْسَ الفَرْسَخَين، وعلى هذا ينعطف قوله: «والقمر»، فإمَّا أن تُجرِيَ على موضع مكانَ وقد نُصِب لأنَّه وهو ظرفٌ في موضع الرَّفع، وإمَّا أن تُجْرِيَ على لفظ مكان وقد رُفع لأنَّه يصح أن يقال الملح منها القَمرُ كما يصِحُّ أنْ يقال الملحُ منها مكانُ القمر. وإذا جررتَ «والقمر» كان معطوفًا على الشَّمس، ويكون الشَّاعرُ مُقْوِيًا في البيت الذي بعده.

وقوله: «فرأس الذي قد عيب»، أي رأس الإنسان الذي قد عيب، لذلك لم يقل فرأس التي. وعطْف الحجر على الرَّأس على أحد وجهين: إما أن يريد رأسُه والحجرُ مقرونانِ على طَريق الدُّعاء لا على طريق الإخبار، فحذَف الخبرَ لأنَّ المراد مفهوم. وهذا كما يقال: كلُّ امرىءٍ وشأنه. وإما أن يريد بالواو معنى مع، كأنه قال رأسه مع الحجر، وحيئنذٍ يكون الخبر في الواو، وهذا يكون كقولهم: الرِّجال وأعضادُها، والنساء وأعجازها، لأن المراد الرجال بأعضادها والنساء بأعجازها. وإنما

(١) التبريزي: «إلا من محاسنها».

(٢) التبريزي: «قد عبتَ».

قال: «قُلْ للذي عابَها من عائبٍ حنق» تخفيفًا لقُبْحها وتسليمًا لانتهاء عَيْبها. والحَنَق: أشدُّ الغَيظ.

٨٦٩ ـ وقال آخر: [الطويل]

١ ـ لا تَنْكِحَنَّ الدهرَ ما عِشتَ أَيِّمًا ... مُجَرَّبةً قد مُلَّ منها ومَلَّتِ[1]

٢ ـ تَحُكُّ قَفاها مِنْ وَراءِ خِمارِها ... إذا فَقَدَت شيئًا من البيتِ جُنَّتِ

٣ ـ تَجُودُ بِرجليها وتَمْنَعُ دَرَّها ... وإن طُلِبَت منها المودَّةُ هَرَّتِ

قوله: «لا تَنكحنَّ» أراد بالنّكاح العَقْد لا الجماع. والأيِّم: التي قد مات عنها زوجُها. وقد آمَت تَئيمُ أَيْمَةً.

وقوله: «قد مُلَّ منها ومَلَّت» يريد أنها طَعنَتْ في السِّنْ، فقَضَت مآربَ الشّهوات وقُضِيَت منها.

وقوله: «تَحُكُّ قفاها من وراءِ خمارها»، أي تركَت التنظُّف والتنطُّس، ونسِيَت الحياء والأنفة، فرأسُها تَحُكُّها دائبًا، ومحبّتُها للحقير تُجَنِّنُها، حتى إذا فَقَدت ما لا خطَرَ له، كان عندها كالكبير الذي لا عِوَضَ منه.

وقوله: «تَجُود برجليها وتَمنع دَرَّها»، ويجوز أن يكون مثلًا لقِلّة خَيرها، فشبَّهها بالشّاةِ التي تُفاجُ رِجلَيها، فإذا أُرِيدَ حَلَبُها مَنَعَتْ. ويجوز أن يكون المراد أنّها قَعدتْ عن الوِلادِ فهي تُسَاعِدُ في الجماع ولا تَحمِلُ ولا تَلِد.

وقوله: «وإن طُلِبَتْ منها المودَّةُ هَرَّتِ» يريد أنّها لا يُبتغَى عندها من نتائج الوُدِّ وأسباب الشَّفَقةِ والحُبّ شيء إلّا نَبحتْ نَبيحَ الكِلاب. ويجوز أن يريد بهَرَّتِ كرهت وتقبَّضت.

٨٧٠ ـ آخر: [الطويل]

١ ـ لأسماءَ وَجْهٌ بِدعةٌ مِن سَماجةٍ ... يُرَغِّبُني في نَيكِ كُلِّ أَتانِ

٢ ـ بَدَا فبدَتْ لي شُقَّةٌ مِن جَهَنَّمٍ ... فقُمتُ ومالي بالجَحيم يَدانِ

٣ ـ وغادَرْتُ أصحابي الذين تخلَّفوا ... بما شِيتَ من خِزْيٍ وطُولِ هَوانِ

٤ ـ وما كُنتُ أدري قَبْلَها أنّ في النِّسا ... جَحِيمًا أراها جَهْرَةً وتَراني

---

(١) التبريزي: «مُخرّمة».

قوله: «بدا» الفِعل للوجه، وشُقَّة، أي قِطعة. ولك أن ترويه بكسر الشين، فيكون كصِرْمة وكِسرة وجذْوةٍ وقِطْعةٍ وفِذرةٍ، ولك أن تضمَّ الشّين فيكون كالشُّعْبة والعُجرة والعُقدة؛ فاروِهِ كيف شئت. وقوله: «فقمت ومالي بالجحيم يدان» أي تهيَّأت للهَرَب منها، إذْ لم يكن لي طاقةٌ بالصَّبر عليها، ولا قُوَّة في ملاقاتها.

وقوله: «وغادرتُ أصحابي» كأنّه شايَعه في النَّهضةِ قَومٌ وتخلَّفَ عنه قوم، فقال: مَن تخلَّفَ عنِّي كانت حالُه على ذلك.

٨٧١ ـ آخر: [البسيط]

١ ـ لا تَنكِحَنَّ عَجُوزًا إنْ أُتِيتَ بها ... واخْلَعْ ثِيابكَ منها مُمْعِنًا هَرَبا

٢ ـ فإنْ أتَوكَ وقالوا إنَّها نَصَفٌ ... فإنَّ أَمْثَلَ نِصفَيها الذي ذَهَبا[١]

المراد بالنِّكاح العَقْد هٰهنا، وفي القرآن: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النِّساء: الآية ٣]. وقوله: «واخلَعْ ثيابَك» يجوز أن يكونَ مثلَ قول امرىء القيس: [الطويل]

فَسُلِّي ثيابي مِنْ ثيابِكِ تَنْسُلِ[٢]

وكما يقال ضُمَّ إليك مِن كذا جَناحَك. ويجوز أنْ يريد به تشمَّرْ وتخفَّفْ واخرجْ من مَسْكِك. ومعنى «منها» أي من أجلها. ونَصب «ممعِنًا» على الحال. ويقال: أَمعَنَ في السَّير، إذا أَبْعَدَ. و«هَرَبًا» يريد هاربًا. وإنَّما سامَه ما سامَه ليكون أخفَّ سيرًا وأسرع حَرَاكًا.

وقوله: «فإنَّ أَمثَلَ نصفَيها» أي أصلحهما، ويقال: فلانٌ أَمثَلُ من فلان، أي هو أدنَى منه إلى الخَيْر. وأماثل القَوم: خيارهم.

٨٧٢ ـ آخر[٣]: [البسيط]

١ ـ رَقْطَاءُ حَدْباءُ يُبْدِي الكِبْدَ مَضحَكُها ... قَنْواءُ بالعَرْضِ والعَينانِ بالطُّولِ

(١) التبريزي: «وإن أتوك فقالوا».
(٢) هذا عجز بيت من معلقته وصدره:
«وإن تكُ قد ساءتك في خليقةٌ»
(٣) لدعبل الخزاعي في ديوانه ٢٦٩.

٢ ـ لها فَمٌ مُلتقَى شَدقَيهِ نُقرَتُها كأنَّ مِشفَرَها قد طُرَّ مِن فِيلِ
٣ ـ أَسنانُها أُضعِفَتْ في خَلقِها عدَدًا مُظَهَّراتٍ جَميعًا بالرَّواويلِ

الرَّقطاء: المنقَّشة بالبَرَش. والقَنا: طُول الأنف، وإذا كانَ بالعَرض كانَ كأنف الخِنزير.

وقوله: «مُلتقَى شِدقَيه نُقرتُها»، أراد أنَّها لسِعَةِ فمها يلتقيان عند نُقْرة القَفا. ومعنى طُرَّ قُطِعَ. وقوله: «مُظهَّرات» أي جُعل لها ظِهارةٌ كما يُجعَل للفرش ظِهارة، وكما قيل من الظِّهارة ظُهِّر قيل من البِطانة بُطِّن، ويجوز أن يكون من قولك هو ظَهِيرُك أي مُعينك. ويقال: بعير مظهَّرٌ، أي شديد الظَّهر قويٌّ. والظَّهر: ما غَلُظ من الأرض وارتفَع. والظَّاهرة مثله، وهما ممَّا تقدَّم. والرَّواويل: زوائدُ على عدد الأسنان، والواحد رَاوُول.

٨٧٣ ـ آخر(١): [الخفيف]

١ ـ اضرِمِيني يا خِلقَةَ المِجْدَارِ وصِلِيني بطُول بُعْدِ المَزَارِ
٢ ـ فلقَدْ سُمْتِنِي بوجهِك والوَصْـ ـلِ قُروحًا أعْيَتْ على المِسبَارِ
٣ ـ ذَقَنٌ ناقصٌ وأنفٌ غليظٌ وجَبِينٌ كَسَاجَةِ القُسطَارِ
٤ ـ طَالَ لَيلِي بِها فبِتُّ أُنادِي يالَثاراتِ مُستَضاءِ النَّهارِ
٥ ـ قَامَةُ القُضعُلِ الضَّعيفِ وَكَفٌّ خِنصراها كُذَينَقَا القَصَّارِ

قوله: «يا خِلْقَة المِجْدار» يريد أنتِ غليظةٌ ثقيلة، فكأنَّك في غِلَظِ الجدار وثقَله، وكما قيل من الجِدار مجدارٌ قيل في الغليظ الثَّقيل من الجبل مِجْبال. وقال امرؤ القيس: [الطويل]

إذَا ما الضَّجيعُ ابتزَّها مِن ثيابها تَميلُ عليه هَوْنَةً غيرَ مِجْبَالِ(٢)

ومِفْعَال من أبنية الآلات، فهو كالمفتاح والمقْياس والمدْراك، وكان الأصل في الجَدْر الارتفاع والنُّتُوّ. ويقال: جَدَرْتُ الجِدَار. وقال بعضهم: الجُدَريّ منه اشتُق.

والقُروح: الجراح. والمِسْبار: المُلْمُول الذي يقَدَّرُ به الجُرْح وغَوْرُه، وهو من سَبَرْتُ، وتُوُسِّع في استعماله حتَّى وُضِع موضعَ جَرَّبْتُ. والقُسْطار: الصَّيرفيُّ، وساجته: لَوحه الذي يَقُوم عليه كِفَّتا الشَّاهِين إذا وُزِن به.

(١) الأبيات لدعبل في ديوانه ٢٠٣.
(٢) ديوانه ١٦٠ (مؤسسة النور).

وقوله: «يا لَثارات» يا حرف النداء، واللام لام الاستغاثة. وإنَّما يستغيث بمن يَرُدّ عليه النَّهار.

والقُصْعُل: القصير، والخليلُ أهمله وكذلك الخارَزَنْجِيُّ والدُّرَيدي. والضَّئيل: الدَّقيق. ورواه بعضهم: «قامة الفصْعُل»، بالفاء، وهو العقرب الصَّغير، والرَّجل اللئيم. والمراد أنَّ في أعضائها تفاوُتًا فلا يتلاءم خَلْقُها.

٨٧٤ ـ آخر[١]: [الطويل]

١ ـ أَلَامُ على بُغضِي لما بَينَ حَيَّةٍ ... وضَبْعٍ وتِمْسَاحٍ تَغَشَّاكَ من بَخرِ
٢ ـ تُحاكِي نَعِيمًا زالَ في قُبحِ وَجْهِها ... وصفحتُها لَمَّا بَدتْ سَطْوةُ الدَّهرِ
٣ ـ هي الضَّرَبانُ في المَفَاصِل خاليًا ... وشُعْبَةُ بِرْسَامٍ ضَمَمْتَ إلى النَّحْرِ
٤ ـ إذا سَفَرَتْ كانَت بعينيكَ سُخْنَةً ... وإن بَرْقَعَتْ فالفقرُ في غايةِ الفَقْرِ[٢]
٥ ـ وإنْ حَدَّثَتْ كانتْ جميعَ مصائِبِ ... مُوَفَّرَةً تأتي بقاصِمة الظَّهرِ
٦ ـ حديثٌ كَقَلْعِ الضِّرْسِ أو نَتْفِ شَارِبِ ... وغُنْجٌ كَحَطْمِ الأنفِ عِيلَ به صَبْرِي
٧ ـ وتَفْتَرُّ عن قُلْحٍ عَدِمْتُ حديثَها ... وعَن جَبَلَيْ طَيٍّ وعن هَرَمَيْ مِصْرِ

جَمَع بين الحيَّة والضَّبُع والتِّمساح، لأنه ليس يقصد التَّشبيهَ من وجهٍ واحد، وإنَّما يريد التَّشبيه من وجوهٍ كثيرة من الخَلْق والخُلُق. والتِّمساح: الدَّابة المعروفة، والرَّجلُ الكذَّاب. وجاء على هذا البناء شيءٌ من الأسماء قليل لأن المصادر كلَّها على تَفْعال بفتح التاء، إلَّا حرفين وهما تِبْيَان وتِلقاء، وقد حصرتُها في كتابي المسمى بـ «عُنوانِ الأديب».

وقوله: «تُحاكِي نعيمًا زال»، يريد به المثلَ السَّائر: «أقبح مِن زوَال النِّعمة». يريد: تُحاكي في قُبح وجهها قُبحَ زوالِ النِّعمة، فجعل اللَّفظَ توسُّعًا على ما ترى، ثم جعل جانبها وما تُصافح به مُلاقِيَها كسطوة الدَّهر. والسَّطوة: البَسْط على الإنسان تَقْهَرُه من فَوق، وتقول: سَطَوْتُ به، وفي القرآن: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٢]. قال الخليل: سُمِّي الفرسُ ساطيًا لأنَّه يَسطُو على غيره فيقوم على رجلَيه ويَسطُو على يديه. وقوله: «هي الضَّرَبانُ في المَفَاصل خاليًا»، أي

(١) لدعبل في ديوانه ٣٣٧.

(٢) التبريزي: «كانت لعينك».

إذا خلوتُ بها كانت خَلوتُها كمَوَجان العُروق بالألم في مفاصل المُنَقْرَس، وإنْ جذبتَها إلى نفسِك مرتديًا بها قاسيتَ منها ما يُقاسِي المُبَرْسَمُ من عارِضِه، وإنْ ألقَتْ قِناعَها سَخِنت العَينُ بالنَّظَر إليها. كأنَّها إذا تبرقَعَتْ تناهَى افتقارُك من كلِّ منظرٍ يروق، ومَطْلَع يُعْجِب ويَروع، في رَدِّ الطَّرْفِ إليها. وقوله: «فالفقرُ في غايةِ الفقر»، أي إذا تناهَى الفقْرُ، حتَّى لا يكونَ وراءَه شيءٌ منه.

والمصائب: جمع مُصِيبة، وهي مُفْعِلَةٌ، وشُبِّه مَدَّتها بمَدَّة فَعيلة، وجمعت جَمْعَها، والقياس مصاوِب وقد جاءَ ولكنَّه في الاستعمال دونَ مصائب. وهذا مما شذَّ في القياس، أعني مصائب. ومَصاوب شاذٌّ في الاستعمال مُطَّرِد في القياس. ومُوَفَّرَةُ، أي مكمَّلة. وقاصمة: كاسِرة، أي رَزِيَّة هكذا وداهية هكذا.

وقوله: «كَحَطْم الأنف»، الكسر للشَّيء اليابس. والحُطام، ما تَحطَّم، من ذلك. ورجل حُطَمٌ. وعِيلَ به صَبرِي، أي غُلِب. وفي المثل: «عِيلَ ما هو عائِلُه».

وقوله: «عَدِمتُ حدِيثَها» دعاءٌ لنفسه وعليها، وهو من الحَشْو الحَسَن. ومثلُه في الدُّعاءِ وحُسْنِ المَوقِعِ قولُ الآخَر: [السريع]

إنَّ الثمانينَ وبُلِّغْتَها ... قد أحْوجت سَمْعِي إلى تَرْجُمَانْ[1]

وتَفْتَرُّ، أي تضحك، ومنه فَرَرْتُ الدابة. وقوله: «جبلَيْ طَيٍّ» يعني أجأَ وسَلْمَى، وإنَّما يَعني اختلافَ أسنانِها وعِظَمها.

٨٧٥ ـ آخر: [الخفيف]

١ ـ لو تَسَمَّعتَ صَوْتَه قُلتَ هذا ... صَوتُ فَرْخٍ في عُشِّه مَزْقُوقِ
٢ ـ أو تَأَمَّلْتَ رَأْسَه قلتَ هذا ... حَجَرٌ مِن حِجارةِ المَنْجنيقِ
٣ ـ مُغمِلٌ قَرَضَ لِحْيَةٍ لو تَراها ... قُلْتَ عُثْنُونُ هِرْبِذٍ مَخْلُوقِ[2]
٤ ـ لَمْ أَعِبْهُ أَلَّا يَكُونَ تَقِيًّا ... مُؤمِنًا مُبْغِضًا لأهلِ الفُسوقِ
٥ ـ غيرَ أنِّي أردتُ أنْ يَنظُرَ النَّا ... سُ إلى خَلْقِ رَبِّنا المَخْلُوقِ

(١) لعوف بن محلم في الدرر ٤: ٣١، وطبقات الشعراء ١٨٧، ومعاهد التنصيص ١: ٣٦٩.
(٢) الهربذ: الذي يصلّي بالمجوس.

مزقوق أي يزقُّه أَبَوَاهُ زَقًّا. قال:

نَتَسَاقى الرِّيقَ فيما بَيْنَنا زَقَّ أُمَّاتِ القَطَا زُغْبَ القَطَا

وقوله: «قلتَ هذا حَجَر»، يريد شبَّهته فقلت مِن كِبَره: هو حجر المِنْجَنيق.

والمِنْجنيق معرَّبة، وقد اختُلف في الفعل منه، فقال بعضهم: الميم زائدة، واحتجَّ بما حكاه التَّوَّزِيُّ عن أبي عبيدة، قال: سألت أعرابيًا عن حروبٍ كانت بَينَهم، فقال: «كانت بيننا حروبٌ عُونٌ، تُفقأ فيها العُيون، مرة نُجْنَقُ، ومرة نُرْشَقُ». قال: فقوله: نُجْنَق دالٌّ على أنّ الميمَ زائدة، ولو كانت أصليَّةً لقال نُمَجْنَق. وإلى هذا ذهب الدُّريديّ.

وكان أبو عُثمانَ المازنيّ يقول: الميم من نفس الكلمة، والنون زائدة، لقولهم مَجَانيق، فسُقوط النُّون في الجمع كسقوط الياء في جمع عَيْضَمُوز إذا قلت عَضَامِيز. وحكى الفَرَّاء: جَنَقوكم بالمجانيق أيضًا. فهذا على الوجه الأوَّل.

وقوله: «مُغمِلٌ قَرضَ لحيةٍ» أي قَطْعَ لحية. و«لو تراها» حَمَل اللفظ على اللِّحية والمراد مَنبِتُها. والعُثْنُون: أصل اللَّحْي، وأوائل الرِّيح والسَّحاب.

وقوله: «خَلْقِ رَبِّنا المخلوق»، وَصَفَ الخلْق بالمخلوق تأكيدًا، ويجوز أن يكون المراد خَلْق ربِّنا المقدَّر، لأنَّ الأصل في الخَلْق التقدير. ألا تَرَى قوله: [مجزوء الكامل]

ولأنتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبعـ ـضُ القَومِ يَخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي[1]

٨٧٦ ـ آخر[2]: [الطويل]

١ ـ وأُقْسِمُ لو خَرَّت مِن استِكَ بيضةٌ لما انكَسَرَتْ لقُرْبِ بَعْضِكَ من بَعْضِ[3]

الخُرور: السقوط للوَجْه. وخَرَّ الماءُ المكانَ: جعَلَ فيه أخاديدَ.

والخَرْخار: الماءُ الكثير الجاري.

---

(١) البيت لزهير في ديوانه ٩٤، واللسان (خلق، فرا) وديوان الأدب ٢: ١٢٣.

(٢) التبريزي: «وقال آخر في القِصَر».

(٣) قبله عند التبريزي:

«ألا يا شبيهَ الذِّبِّ مالك معرضًا وقد جعل الرحمٰن طولكِ في العرضِ»

٨٧٧ ـ آخر(١): [الطويل]

١ ـ أَظُنُّ خَلِيلِي مِنْ تقارُبِ شَخْصِهِ يَعَضُّ القُرَادُ باسْتِهِ وهو قائمُ

٨٧٨ ـ آخر(٢): [الكامل]

١ ـ ولقد غَدَوْتُ بِمُشْرِفٍ يافُوخُهُ عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤُه يَتَدَفَّقُ

٢ ـ أَرِنٍ يَسِيلُ من النَّشاطِ لُعابُه ويكاد جِلْدُ إهابِه يتمزَّقُ

كأنه أَلْغَزَ في هذا، وأراد بمُشْرِفِ اليافوخ ذلك العضو.

ورُوِيَ أنَّ أعرابيًا حضرَ مجلسَ أبي عبيدة، فألقى البيتين عليه، فذهب أبو عُبيدة إلى أنَّ الشَّاعرَ يَصِفُ به فرسًا، وأخَذَ يفسِّره، فقال الأعرابيّ: حَمَلك اللهُ يا شيخُ عَلَى مِثْلِه! ففطِنَ أبو عبيدةَ وخَجِل. ومعنى يتدفق يتصبب شيئًا فشيئًا. والأرِن النشيط، ويقال للمستنّ من النَّشاط: أَرِن يَأْرَنُ أَرَنًا. وقيل: إنَّ الأَرَن نَشَاط الخَيل، كما أنَّ الهَبَص نَشَاط الظِّباء. والسَّنَنُ: نشاط الإبِل، ومنه جاء في المثل: «استنَّت الفِصالُ حتَّى القَرْعَى». والأَشَرُ: نَشَاط الإنسان. والإهاب: الجِلْد الذي هو أُهْبَةُ ما وراءَه من اللَّحم. كما أنَّه سُمِّي ما يُمْسِكُه المَسْكَ. ولذلك قال: «جلد إهابه» فأضاف الجِلْدَ إليه.

٨٧٩ ـ آخر(٣): [الخفيف]

١ ـ لو تأَتَّى لَكِ التَّحَوُّلُ حَتَّى تَجْعَلِي خَلْفَكِ اللَّطِيفَ أَمَامَا

٢ ـ ويكونَ الأَمامُ ذُو الخِلْقَة الجَبْـ ـلَةِ خَلْفًا مُرَكَّنًا مُسْتَكَامَا

٣ ـ لإِذًا كُنْتِ يا عُبَيْدَةُ خَيْرَ الـ ـنَّاسِ خَلْفًا وخَيْرَهُمْ قُدَّاما

يَصِفُها بأنَّها قليلة اللَّحم على العَجِيزة، عظيمةُ البطن. فيقول لو قُدِّمَ مُؤَخَّرُكِ وأُخِّرَ مُقَدَّمُكِ لارتُضِيَ خَلْفُكِ وقُدَّامُك، لالتئام أعضائك، واعتدالِ مقاسِمِك. واستُعمل الخَلْفُ والأمام استعمالَ المُقَدَّم والمؤخَّر فجُعِلا اسمين. والمركَّنُ: الذي له أركان. والجَبْلَةُ: الغَليظة. والمستكام، من الكَوْم، وهو الجِماع. وانتصب خَلْفًا وقُدَّامًا على التمييز.

---

(١) هو الحزين الكناني يهجو كثيّرًا الشاعر، وقصة البيت في الأغاني ٨:٢٨، والحيوان ٥:٣٤٩.

(٢) هذه الحماسية رواها التبريزي في باب الملح.

(٣) التبريزي: «وقال بعض المدنيين».

٨٨٠ ـ وأَنْشَدَ لأبي الغَطمَّشِ[(١)] أبو عُبَيْدَةَ: [المتقارب]

١ ـ مُنِيتُ بِزِنْمِرْدَةٍ كالعَصَا ... أَلَصَّ وأَخْبَثَ من كُنْدُشِ

٢ ـ تُحِبُّ النّساءَ وتَأْبَى الرِّجالَ ... وتَمْشِي مع الأَخْبَثِ الأَطْيَشِ

٣ ـ لها شَعَرُ قِرْدٍ إذا ازَّيَّنَتْ ... وَوَجْهٌ كبَيْضِ القَطَا الأَبْرَشِ[(٢)]

٤ ـ وثَدْيٌ يَجُولُ عَلَى نَحْرِها ... كَقِرْبَةِ ذِي الثُّلَّةِ المُعْطِشِ

يُروى «زَنْمِرْدَةٍ» بفتح الزاي وكسر الميم، ويكون مما عُرِّب ولا نظيرَ له في أبنية العرب. ويُروَى بفتح الزاي وفتح الميم ويكون على مثال قَهْقَرٌ، وهو حَجَرٌ يملأ الكفّ. ويُروَى «زِنْمَرْدَةٍ» بكسر الزاي وفتح الميم فيكون على وزن فِعَّلَةٍ من الرُّباعيّ نحو عِلَّكْدٍ، وهو الغليظ الشديد، أو يكون فِعْلَلٌ من الخُماسي نحن خِنْزَقْرٍ، وهو القصير، وقِرْطَعبٌ دابّة. والمراد بها المرأة التي خَلْقُها وخُلُقها كما يكون للرِّجال. وشبَّهها بالعَصا لقلّة لحمِها وهُزالِها، واستواء صَدْرِها وظهرِها. وكُنْدُشٌ: لقبُ لصٍّ كان معروفًا عندهم. وقوله: «إذا ازَّيَّنَت» أراد تزيَّنَت، فأراد الإدغام فيها وأبدلَ من التَّاء زاءً فسكّن أوّلَها، فجُلِبَ ألفُ الوصل ليتوصَّل إلى النُّطق بساكن، فصار كما ترى. والثُّلَّةُ: الفِرقة والطَّائفة من الضَّأنِ. والمُعطِشُ: الرَّاعي الذي قد عَطِشت رعيَّتُه.

٥ ـ لَهَا رَكَبٌ مِثْلَ ظِلْفِ الغَزَالِ ... أَشَدُّ اصفِرارًا مِنَ المِشْمِشِ

٦ ـ وأَبْرَدُ من ثلج ساتِيدَمَا ... وأَكْثَرُ ماءً مِنَ العِكْرِشِ[(٣)]

٧ ـ وفَخْذَانِ بَيْنَهُمَا نَفْنَفٌ ... تُجِيزُ المَحَامِلَ لا تَخْدِشِ[(٤)]

٨ ـ وسَاقٌ مُخَلْخَلُها حَمْشَةٌ ... كَسَاقِ الجَرَادةِ أو أَحْمَشِ

٩ ـ كأَنَّ الثَّآلِيلَ في وَجْهِهَا ... إذا سَفَرَتْ بِدَدُ القِشْمِشِ[(٥)]

١٠ ـ لها جُمَّةٌ فَرْعُها جَثْلَةٌ ... كمِثْلِ الخَوَافي مِنَ المُرْعَشِ

---

(١) كذا جاءت نسبة الأبيات في اللسان (كندش)، وفي الأغاني ١٠: ١٣١ جاءت منسوبة إلى إسماعيل بن عامر وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين يقولها في هجاء أم ولد له.

(٢) التبريزي: «لها وجه قرد»، «لون كبيضِ القطا الأبرشِ».

(٣) هذا البيت ليس عند التبريزي. وساتيدما: جبل بين ميافارقين وسعرت. والعكرش: ماء لبني عدي باليمامة.

(٤) التبريزي: «تجيز المحاملَ لا تخدِشِ». (٥) التبريزي: «الكشمشِ».

الرَّكَبُ: أصل الفَخِذ الذي عليه لَحمُ الفَرْج من المرأة ومُعلَّق الذَّكَر من الرَّجُل. والنُّفْنَف: المَهْواة بين الجبَلَين. والخَدْشُ والخَمْشُ والكَدْحُ نظائر. والحَمْشَةُ: الدَّقيقة. وإنَّما أنَّثَ والمُخَلْخَلُ مذكَّر لأنَّ المخلخلَ من السَّاق، والسَّاق مؤنَّثة، وبعضُ الشَّيء إذا أُطْلِقَ عيه اسمُ الكُلِّ أجْرِي في الأحْوَال مجراه إلا أن يمنع مانع. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ من الدَّمِ(١)

لأنَّ صدر القناة قناة، كما أنَّ المخلخلَ يقال له السَّاق. فالبِدَدُ: جمع بِدَّةٍ، وهي القِطْعة المتفرِّقة. وتبادَّ القَومُ: تباعَدُوا. والجُمَّة من الشَّعر: دون اللِّمَّة في الطُّول. والجَثْلَةُ: الكثيرة الأصول. والمُرْعَشُ: الحَمام الأبيض. والخوافي: ما دُون الرِّيشات العَشْر.

٨٨١ ـ وقال آخر(٢): [البسيط]

١ ـ ماذا يُؤرِّقُنِي قِدْمًا ويُسْهِرُنِي ... مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَثَاتٍ ساكِنِ الدَّار
٢ ـ كأنَّ حُمَّاضَةً في رأسِهِ نبتَتْ ... في أوَّلِ الصَّيفِ قَدْ هَمَّتْ بإثْمَارِ

قوله: «ماذا يؤرِّقني» لفظه استفهامٌ ومعناه تعجُّب. وقد مرَّ القول في لفظة ماذا. وقوله: «مِنْ صَوتِ ذي رَعَثاتٍ» أي من انتظارِ صوتِه، فحذف المضاف. ورَعَثات: جمع رَعَثَةٍ وهي من الدِّيك عُثْنُونه. ورعَثَة الشَّاة: زَنَمتها. والرِّعَاثُ: كلُّ مَعْلَاقٍ من قُرطٍ أو قِلادة أو غيرهما، وربما عُلِّق من الرَّحْل والهودَج رَعْثٌ من الصُّوف. والحُمَّاض، من ذُكور البَقْل، له زَهْرةٌ حمراءُ كأنَّها الدَّم. والإثمار: إخراج الثَّمر. وشبَّهَ عُرفَ الدِّيك به.

٨٨٢ ـ وقال آخر(٣): [البسيط]

١ ـ صَوْتُ النَّواقيسِ بالأسْحَار هَيَّجَنِي ... بَلِ الدُّيوكُ التي قَدْ هِجْنَ تَشوِيقي

---

(١) للأعشى في ديوانه ٧٣، وخزانة الأدب ٥:١٠٦، والدرر ٥:١٩، وصدره:
«وتَشْرَقُ بالقول الذي قد أذعتَهُ»

(٢) البيت الأول في اللسان (رعث) للأخطل والبيتان في اللسان (حمض)، والحيوان ٢:٣٤٦، ومحاضرات الراغب ٢:٣٠١.

(٣) البيت الأول في الحماسة البصرية ٢:٢٤١ ليحيىٰ بن ثابت يصف ديكًا، والبيت الرابع في اللسان (فتك) بلا عزو.

٢ ـ كأنَّ أعرافَها مِنْ فوقِها شُرَفٌ حُمْرٌ بُنِينَ على بَعْضِ الجَوَاسِيقِ
٣ ـ عَلَى نَعَانِعَ سَالَتْ في بَلاعِمِها كثيرةِ الوَشْيِ في لِينٍ وتَزْقِيقِ
٤ ـ كأنَّما لَبِسَتْ أوْ أُلبِسَتْ فَنَكًا فَقَلَّصَتْ مِنْ حَوَاشِيه عن السُّوقِ

قوله: «صَوت النَّواقيس» أي انتظارُ صوتِ النَّواقيس هيَّجني، فحذَف المضاف. وهذا كما قال الآخر: [البسيط]

لمَّا تذكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ هيَّجَنِي صَوْتُ الدَّجاج وقَرْعٌ بالنواقيسِ(١)

وقال غيرهما: [المتقارب]

وصوت نواقيسَ لم تُضرَبِ

فنبَّهَ بقوله: «لم تُضرَب» على أنَّه كان منتظَرًا لا واقعًا. والجواسيق: جمع الجَوْسَق، وهي قريبةٌ من القُصور. وأشبع الكسرةَ في السِّين فتولَّد منها ياء. ومثله: [البسيط]

نَفْيَ الدَّراهيمِ تَنْقَادُ الصَّياريفِ(٢)

والنَّعَانِعُ: أعراف الدِّيَكَة. وأصل التَّنعْنع الاضطراب. لذلك قيل للطَّويل المضطرِب النُّعْنُع. ونَعَانِعُ المِنْطَقَةِ: ذِنابُها. والبُلْعُوم والبُلْعُم: مَجرَى الطَّعام، وباطنُ العنُق.

وهذه المقطوعة وما قبلَها، بابُ الصفات أولَى بهما، فاتَّفق وقوعُهما هنا.

وهذا آخر الاختيار. والحمد لله ربِّ العالمين
وصلواتُه على النبيِّ محمَّدٍ وآلِه أجمعين

قد سَهَّل الله وله الحمدُ، تعالى جَدُّه، بلوغَ المنتَظَر من تتميم شرحِ هذا الاختيار، واللهُ بمَنِّه وطَوْلِه ينفعُك وإيَّانا به، ويُعينُك على تفهُّمه.

وهذا الكتابُ وإنْ عظُم حَجْمُه، وكَثُر ورقُه، فإنَّه لا يُملُّك تصفُّحه وقراءتُه، إذْ كان كلُّ بابٍ من أبوابه ذا فنونٍ من آثار العقول الصَّحيحة، والقرائح السَّليمة، فكلُّ

---

(١) لجرير في ديوانه ١٢٦، والحيوان ٢:٣٤٢، وخزانة الأدب ٣:١٠٧.
(٢) هذا عجز بيت للفرزدق في ديوانه ٥٧٠، والخزانة ٢:٢٥٦ وصدره:
«تنفي يداها الحصى في كل هاجرة»

نوعٍ من أنواعه جَمَامٌ لما يليه، وجِلاءٌ لما يَعِيه، ولأنّ غوامضَ المَقَاصِد إذا تبرَّجَتْ لكَ في روائع المعارض، وأقبَلَ فهمُكَ رائدًا لقلبك، يتشمَّم نوادرَ الزَّهَر في مَغارس الفِطَن، ويتخيَّر فرائدَ الدُّرَر من قلائد الحِكَم، فكلَّما ازداد التقاطًا زادك نشاطًا، كما أنّ مَن عَرَف الفَرق بين الإطناب والإيجاز، وبين التَّطويل والتَّقصير، وعَلِمَ أنّ الإطناب تفخيمٌ وتكميل، كما أنّ الإيجاز تخليص وتهذيب، وأن التَّطويل زيادةٌ على الكفاية، وذَهابٌ عن غاية الحاجة، كما أنّ التَّقصير قُصورٌ عن الحدِّ المرتاد، ووقوفٌ دونَ مَدَى المراد، حَمِدَ الإطنابَ والإيجازَ لما نالَهما من سِهام البلاغة، وذَمَّ التَّطويلَ والتَّقصيرَ بما فاتهما من أقسام الفَصاحة.

واعلَمْ صَحِبَكَ التَّوفيقُ في مباغيك، أنّ ما جَمعْتُ منتشِرَهُ، وأثَرْتُ مُكْتَمِنَهُ، وحَلَلْتُ معقودَه، وأعدتُ محذوفَه، ونَشرتُ مطويَّه، ومَدَدتُ مقصوره من بُيوتِ هذا الاختيار وفصولِه، فإنّي لم أُدرِكْهُ إلّا في مدّةٍ طويلةٍ لا أذكر طرَفيْها، وبمجاهداتٍ لشُيوخ الصِّناعة عجيبة لا أنسى مُجاذَبَاتي فيها، حين كان في القول إمكانٌ، وللتَّحصيل إرصاد، ولسَهم النِّضال تسديد، وفي قَوس الرِّماءِ مَنْزَعٌ وتوتير، وكانَ الرَّأي وَلُودًا، والخاطر عَمُولًا، والحدُّ حديدًا، والحِرْصُ عتيدًا، مع تَمام البَراعة، واجتماع المادّة والآلة.

فلا تظُنَّنَّ فيه ما يَظنُّه الوادعُ في جَهْدِ المكدود، فإنَّ أَهْوَنَ السَّقْي التَّشريع، ولن تنالَه إلّا بتعبٍ شديد. وتيقَّنْ أني أمليتُ هذا الشَّرح مُسْتَعْمِلًا أرفقَ الآلات في اختراعه، وأوفقَ الألفاظ في تصويره وبيانه، ومستحضِرًا من الشَّواهد والمُثُل ما لم يكملْ إلّا بتعاونِه وحضوره، ولو عَدَلْتُ عن نَهج التَّقريب مشتغلًا بأبواب الإعراب والغريب إلى غيرهما مما يُعَدُّ في الفضول، لتضاعَفَت المُؤَن، وضاعت في غُمارها النُّكت. على أنّي أرجو أن يكون ضِنُّنا في تحصيله وحصره، وسماحتُنا بَعدَه بتصنيفه وبَذْله، يُكسِبُنا من القلوب استحلاءً، ومنَ النُّفوس مَيلًا واستحبابًا، وأنّه لا تَزال تلك المحبَّةُ زائدةً ناميةً، ما دامت فوائدُه ثائمةً باقيةً. وعلى الله تعالى جَدُّه مُعَوَّلنا في أنْ يوفِّقنا لمرضاتِه، وأنْ يجعلَ سعيَنا له وفيه، وحسبنا هو ونِعْم الوكيل. والحمدُ لله الواحد القهّار، وصلواتُه على نبيِّنا محمدٍ وآله الطيِّبين الطَّاهرين الأخيار.

تمَّ الكتاب، ويليه

الفهارس العامّة

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عِمرَان

رقم الآية	الآيـــة	رقم الصفحة
٥٨	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾	٢٨، ٧٤٦
٥٩	﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾	٣٢٠، ١٠٢١

سورة الإسراء

رقم الآية	الآيـــة	رقم الصفحة
١	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾	٦٤
١	﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾	٦٤
١٢	﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾	١١٧٧
٥١	﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾	١١٢٥
٦٤	﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾	٩٦
٧٦	﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾	٧٧٥
١٠٠	﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾	٨٥٥

سورة الكهف

رقم الآية	الآيـــة	رقم الصفحة
١٢	﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾	١٠٧٦
١٨	﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾	٦٥
١٨	﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾	٣٥
٢٢	﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	١١٤٥
٥١	﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٤٨
٦٠	﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾	٢٤٢
٧٩	﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾	٥٥٠
٧٩	﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾	١١٧٧
٧٩	﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾	٢٣٦، ١٠٢٧

سورة القَصَص

سورة العَنكبوت

سورة الرُّوم

سورة لقمَان

سورة السَّجدَة

سورة الأحزَاب

٢ ـ فهرس الأحاديث النبويَّة

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٣ ـ فهرس القوافي في متن الحماسة(*)

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
			قافية الألف		
عجبتُ	فالرَّحا	الطويل	الراعي النميري	١٣	١٠٤٩، ١٠٥٢
يعقوب	الثَّرى	الكامل	أبو حنش الهلالي	٤	٦٦٧، ٦٦٨
لعمري	هَوَى	الطويل	سويد المراثد الحارثي	٥	٥٩٥، ٥٩٧
صبغتْ	دنياها	الكامل	جوَّاس بن القعطل الكلبي	٦	١٠٤٣
			قافية الهمزة		
			الهمزة المفتوحة		
طعنتُ	أضاءَها	الطويل	قيس بن الخطيم	٧	١٣٦، ١٣٩
			الهمزة المضمومة		
عادوا	أعداءُ	الكامل	ـ	٢	١٢٤٥
أرى	جفاءُ	الوافر	أبو البرج القاسم بن حنبل المري	٨	١١٦١، ١١٦٢
وما بعض	بلاءُ	الوافر	قيس بن الخطيم	٨	٨٣٤، ٨٣٥
وما العيش	وماءُ	الطويل	ـ	١	١٢٩٨
أبلغ	فناءُ	الطويل	محرز بن المكعبر الضبِّي	٨	١٠١٧، ١٠١٨
لا تعذلي	سواءُ	الطويل	ـ	٣	١٩٥، ١٩٦

(*) هذا الفهرس خاص بالقوافي التي وردت في متن الحماسة فقط، وقد أفردنا فهرسًا آخر للقوافي الواردة في شرح المرزوقي، وقد رتَّبنا القوافي ترتيبًا ألفبائيًا عكسيًا بدءًا بحرف القافية ثم بعده بالأحرف التي تسبقه. وبدأنا بالقوافي الساكنة ثم المفتوحة ثم المضمومة ثم المكسورة. ولم نأخذ بعين الاعتبار الضمائر المُلحَقة بحرف الرّويّ.

الباء المكسورة

قافية التاء

التاء المضمومة

التاء المكسورة

قافية الجيم

الجيم المفتوحة

الجيم المكسورة

قافية الحاء

الحاء المفتوحة

الحاء المضمومة

قافية الراء

الراء الساكنة

الراء المفتوحة

الراء المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أتنسى	قراقرُ	الطويل	سبرة بن عمرو الفقعسي	٤	١٧٣، ١٧٥
لعمرُ	فقرُ	الطويل	حكيم بن قبيصة بن ضرار	٦	١٢٧٨، ١٢٨٠
فتًى	الفقرُ	الطويل	النابغة الجعدي	١	٦٨٣
طلبتُ	لشاكرُ	الطويل	طريح بن إسماعيل الثقفي	٣	١٢٥٦
جذّام	تعتكرُ	البسيط	أوس بن ثعلبة	٢	٤٨٩
أما والذي	الأمرُ	الطويل	أبو صخر الهذلي	٤	٨٦٢، ٨٦٣
هل الوجد	الجمرُ	الطويل	[قائد بن المنذر القشيري]	٣	٨٨٨
ذكرتكِ	السمرُ	الطويل	أبو عطاء السندي	٣	٤٤، ٤٥
الدهر	الدهرُ	الكامل	منقذ الهلالي	٤	٧٣٦، ٧٣٧
أقول	السهرُ	البسيط	أبو دهبل الجمحي	٤	٩٤٥
ولمّا نعى	الظهرُ	الطويل	الأبيرد اليربوعي	٤	٧٥٤، ٧٥٦
أأترك	لصبورُ	الطويل	أبو دهبل الجمحي	٤	٩٢٣
ومستنبح	وستورُها	الطويل	شريح بن الأحوص بن جعفر	٣	١٠٠٠، ١٠٠١
وبالبيداء	النذورُ	الوافر	هلال بن رزين	٥	٢٤٧، ٢٤٩
ولقد	لفرورُ	الرمل	عمرو بن معديكرب	٤	١٣٥، ١٣٦
لا يكشف	يزورُها	الطويل	جعفر بن علبة الكلبي	٢	٣٩، ٤٠
ومستنبح	وكسورُها	الطويل	شريح بن الأحوص	٣	١١٩٥
ومستنبح	أصورُ	الطويل	ـ	١٢	١١٥١، ١١٥٤
شققتِ	الفطورُ	الوافر	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود	٢	٩٤٧
فأبلغ	سفورُ	الوافر	مالك بن جعدة الثعلبي	٤	١١٤٦
ألا قالت	الدهورُ	الوافر	نفر بن قيس	٢	٨٩١
وإني لترّاك	أستثيرُها	الطويل	شبيب بن البرصاء	٦	٧٨٩، ٧٩٠
لَهْفَا	مجيرُ	الكامل	التيمي	٧	٦٧٠، ٦٧١
ترى	مزيرُ	الوافر	العباس بن مرداس	٩	٨١٠، ٨١٢
يطول	قصيرُ	الوافر	ابن أبي دباكل الخزاعي	٢	٩٤٦، ٩٤٧
أطِلْ	تضيرُ	الوافر	عنترة بن الأخرس المعني	٤	١٦١، ١٦٢
يقول	يضيرُها	الطويل	توبة بن الحميّر	٢	٩٤٦
لئن كان	لفقيرُ	الطويل	[ابن الدمينة]	٢	٩١٣، ٩١٤

العين المكسورة

قافية الفاء

الفاء المفتوحة

الفاء المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
إنّ أباكِ	عتيقُ	السريع	امرأة	١	١٣٠٣
تفرّق	فريقُ	الطويل	جميل بثينة	٣	٩٤٣
ألا رُبّ	سويقُ	الطويل	ـ	١	١٢٩٨
رمتني	فسويقُ	الطويل	ـ	١	١٢٩٨

القاف المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
رحلتْ	الوثاقِ	الكامل	ـ	٥	١٣٠٧
وما في	المذاقِ	الوافر	ـ	٤	٩٣٧
إذا كنتَ	تلاقِ	الطويل	[علية بنت المهدي أو العباس بن الأحنف]	٢	٩٠٩
يا زمل	تسبقِ	الكامل	سالم بن دارة	٢	٢٧٨
ألم ترَ	البوارقِ	الطويل	قبيصة بن النصراني	٥	٤٤١، ٤٤٢
إن أنتم	بالأبرقِ	الكامل	أم عمرو بنت وقدان	٣	١٠٨١
جزى	الممزّقِ	الطويل	الشمّاخ بن ضرار	٦	٦٧٦، ٦٧٧
أقول	مشفقِ	الطويل	رجل من بني أسد	٢	٢٦٤، ٢٦٥
لأن أزجّي	بالعلقِ	البسيط	محمد بن بشير	٤	٨٢٣، ٨٢٤
ما زلتَ	غلقِ	المنسرح	أبو دهبل الجمحي	٢	١١٣٤
وليس	غبوقِ	الطويل	[والبة بن الحباب]	٢	١١٧٠
لو تسمّعتَ	مزقوقِ	الخفيف	ـ	٥	١٣١٤
كأنّ	بدقيقِ	الطويل	ـ	١	١٢٩٧
صوت	تشويقي	البسيط	[جرير]	٤	١٣١٨، ١٣١٩

قافية الكاف

الكاف الساكنة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
طاف	فهلكْ	المديد	امرأة	٩	٦٤٥، ٦٤٨

الكاف المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
دلفتُ	فاكا	الوافر	رجل من جرم، وقيل لزياد الأعجم	٢	١٠٧٦

الكاف المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
خليليّ	كراكُما	الطويل	رجل من بني أسد	٥	٦١٨، ٦٢٠

اللام المضمومة

اللام المكسورة

قافية الميم

الميم الساكنة

الميم المفتوحة

الميم المضمومة

الميم المكسورة

قافية النون

النون الساكنة

النون المفتوحة

النون المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أعاتبُ	حزينُ	الطويل	خلف بن خليفة	٤	٦٢٨
ظلتُ	معينُ	الوافر	ابن عمّار الأسدي	٢	٧٤٦

النون المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وإنّي لأنسى	الضغائنِ	الطويل	ـ	٢	٨٢٠
إنّي على	والشنآنِ	الكامل	الأحوص بن محمد الأنصاري	٤	١٦٢، ١٦٤
لأسماء	أتانِ	الطويل	ـ	٤	١٣١٠
مررتُ	بستانِ	الطويل	العريان	٩	١١٣٨، ١١٣٩
أتخطر	للخطرانِ	الطويل	بشير بن أبي جذيمة	٣	١٠٠٩
رُوِّعتُ	وجيراني	البسيط	[مؤرّج السدوسي]	٢	١٩٩
وكم من	اللسانِ	الوافر	ربيعة بن مقروم	٥	٧٩٧
لا يمنعنك	وأوطانِ	البسيط	ـ	٢	٢٠١، ٢٠٢
شفيتُ	شفاني	الوافر	قيس بن زهير العبسي	٢	١٤٩
حنين	مختلفانِ	الطويل	مسلم بن الوليد	٣	٦٦٤
إنّي من	أمانِ	الوافر	هدبة بن الخشرم	٣	٣٣٨، ٣٣٩
فلو سألتْ	زماني	الوافر	سوّار بن المضرب السعدي	٤	٩٧، ٩٩
إن الرباط	رهانِ	الطويل	بشر بن أُبيّ بن حمام العبسي	٤	٣٢٤، ٣٢٦
فدًا	والأبوانِ	الطويل	المساور بن هند	٥	١١٦٥، ١١٦٦
كريم	دواني	الطويل	[أبو الشيص الخزاعي]	٢	١١٢٩
رويدَ	سفوانِ	الطويل	وذّاك بن نُمَيل المازني	٥	٩٥، ٩٧
إني ونجمًا	لمؤتسيانِ	الطويل	الأرقط بن دعبل	٣	٤٨٥
وما أنا	قرني	الطويل	أعشى ربيعة	٥	١٢٤٦
وما أنا	سنّي	الطويل	أعشى ربيعة	٥	١٢٤٦
أضحتْ	ثمنِ	البسيط	أبو الحجناء	٢	٦٢٦
ولمّا أن	دوني	الوافر	بعض لصوص طيىء	٤	٤٤٧، ٤٤٨
فليت	لقوني	الطويل	جميل بثينة	٤	٢٣٦
إنّ شواء	الأمونِ	البسيط	سلميّ بن ربيعة	٦	٧٩٨

قافية الهاء

الهاء المفتوحة

قافية الواو

الواو الساكنة

قافية الياء

الياء الساكنة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
			الياء المفتوحة		
قضى	تنائيا	الطويل	شبيب بن عوانة الطائي	٢	٢٣٥، ٢٣٦
أجاري	تنائيا	الطويل	ـ	٤	٦٤١
فتًى	الأعاديا	الطويل	النابغة الجعدي	٢	٦٨٤
جزى	جازيا	الطويل	المعذل بن عبد الله الليثي	٥	١٢٣٦، ١٢٣٧
لحا الله	التقاضيا	الطويل	أعرابي	٢	٧٥٤
حلفتُ	حافيَهْ	الطويل	امرأة	٤	١٠٦٠
بني عمّنا	القوافيا	الطويل	الشميذر الحارثي	٥	٩٣، ٩٥
فإن تمنعوا	والقوافيَا	الطويل	ـ	٢	٩١٨
ولستُ	البواكيا	الطويل	منظور بن سحيم	٤	٨١٣، ٨١٤
ولمّا نزلنا	حاليا	الطويل	أبو بكر بن عبد الرحمٰن الزهري	٢	٩٢٥
ما أحدث	تقاليا	الطويل	[جميل بثينة]	٣	٩٤٢
ألم تعلمي	ولا ليَا	الطويل	النابغة الجعدي	٤	٧٤٣
وقالوا	ما ليا	الطويل	صخر بن عمرو بن الحارث	٦	٧٦٦، ٧٦٨
خليليّ	قلتما ليا	الطويل	[قتادة بن خرجة الثعلبي]	٢	٨٣٤
وقد قادني	جِمالِيا	الطويل	الراعي النميري	٢	٢٠٠
فيا أهل	بها ليا	الطويل	ـ	٢	٩٣٤
فقدتُ	أقوالِيَهْ	المتقارب	[حميدة بنت النعمان بن بشير]	٦	١٢٨٧، ١٢٨٨
لستُ	مواليا	الطويل	أُبيّ بن حمام العبسي	٦	٣٠٠، ٣٠٢
لعمرك	هَوَى لِيَا	الطويل	حريث بن جابر بن سريّ	٢	٢٧١، ٢٧٢
تبغّى	لياليَا	الطويل	جزء بن كليب الفقعسي	٥	١٧٦، ١٧٨
تقيم	المراميا	الطويل	إياس بن القائف	٣	٧٩٦، ٧٩٧
ألا لا	حِمَاميا	الطويل	جعفر بن علبة الحارثي	٤	٢٥٨، ٢٥٩
وكنتُ	ارتدانيا	الطويل	أبو حكيم المري	٢	٧٣٦
قد كنتُ	علانيا	الطويل	ـ	٣	٨٧٥
أقول	الغوانيا	الطويل	حفص العليمي	٤	٩٣٥

الياء المكسورة

٤ ـ فهرس الأرجاز في متن الحماسة(*)

(*) هذا الفهرس خاص بالأرجاز التي وردت في متن الحماسة فقط، وقد أفردنا فهرسًا آخر للأرجاز الواردة في شرح المرزوقي.

٥ ـ فهرس شعراء الحماسة(*)

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي ألفاظ «ابن»، «ابن أبي»، «أبو»، «بنت»، «أم» «أخت»... الخ. ونشير إلى أننا وضعنا المجاهيل في هذا الفهرس بعد حرف الياء تحت عنوان «المجاهيل من شعراء الحماسة».

(د)

(غ)

(*) الذين لم يُسَمُّوا ولم يُنسَبوا، أو نُسِبوا إلى قبيلة.

٦ ـ فهرس القوافي في الشرح(*)

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
		قافية الألف المقصورة			
أشارت	أتى	الطويل	ـ	١	٢٧٢
إذا	الفتى	الطويل	ـ	١	٨١
يرفعُ	اليسرَى	السريع	ـ	١	٩١٦
شاور	بلَى	الرمل	ـ	٢	٧٠٦
ولم	جنَى	الطويل	ـ	١	٩٩
		قافية الهمزة			
		الهمزة المفتوحة			
طلع	كساءَ	الرمل	ـ		١٠٣٤
		الهمزة المضمومة			
وإني	رجاءُ	الطويل	ـ	١	٦٧٧
فدعوت	داءُ	الكامل	ـ	١	٧٩٥
ودعوت	داءُ	الكامل	[النمر بن تولب]	١	٦٣٠
كانت	والإمساءُ	الكامل	ـ	١	٣٣٣
كانت	والإمساءُ	الكامل	[النمر بن تولب]	١	١٨٩
وحملناهم	الأنساءُ	الخفيف	[الحارث بن حلزة]	١	٥٩٢
جسورٌ	اتقاءُ	الوافر	ـ	١	٥٥

(*) رتّبنا القوافي ترتيبًا ألفبائيًا عكسيًا بدءًا بحرف القافية ثم بعده بالأحرف التي تسبقه، وبدأنا بالقوافي الساكنة ثم المفتوحة ثم المضمومة ثم المكسورة ولم نأخذ بعين الاعتبار الضمائر الملحقة بحرف الرويّ.

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
يـــا	والقربا	البسيط	[مرّة بن محكان]	١	٤١٧
قوم	الذنبا	البسيط	[الحطيئة]	١	٣٥٨
			الباء المضمومة		
أبـو	أبُ	الوافر	أبو العيال الهذلي	١	١٢٠٠
وأقسم	ذئابها	الطويل	ـ	١	٨٧٩
إذا	بابُها	الطويل	ـ	١	٢٨٤
ولا	كلابُها	الطويل	ـ	١	٤١٩
ولا	كلابُها	الطويل	الهذلي	١	٢٧٢
إذا	صاحبُهُ	الطويل	المرار	١	٤٧٣
وإني	صاحبُه	الطويل	[لقيط بن زرارة]	١	٧٨
جاري	مصطحبُ	البسيط	ـ	١	٧٩١
لــم	تغربُ	الكامل	أبو تمام	٢	٨٦٨
بأي	وتحسبُ	الطويل	الكميت	١	٤٩١
باتت	العطبُ	البسيط	ـ	٤	٥٥٢، ٥٥٣
عصاني	عواقبُه	الطويل	المتلمس	١	٥٧٧
لأمرٍ	عواقبُه	الطويل	أبو تمام	١	٣٣٤
دنًى	مناكبُهْ	الطويل	ـ	١	٨٨٥
وحوافرٌ	صُلُبُ	الكامل	الهذلي	١	٣٠٣
هوت	يؤوبُ	الطويل	[كعب بن سعد]	١	٦٥٨
فبينا	طلوبُ	الوافر	ـ	١	١٢٥٢
فـإنْ	ذنوبُ	الطويل	[كعب بن سعد]	١	٢٠٨
فـإنْ	طبيبُ	الطويل	علقمة بن عبدة	٣	٤٥٦
فمـا	أجيبُ	الطويل	[كُثَيِّر عَزَّة]	١	٦٣٩
وداعٍ	مجيبُ	الطويل	كعب بن سعد	١	١٠٩١
وكنت	تذيبُها	الطويل	[بشر بن أبي خازم]	١	٢٩٩
			الباء المكسورة		
ولا	الكتائبِ	الطويل	النابغة الذبياني	١	٩١، ٢٠٧، ٦٨٤
نعرض	للسبابِ	الوافر	[القتال الكلابي]	١	٧٨
فمـا	ضبابي	الوافر	[كُثَيِّر]	١	٧٩٧

قافية الحاء

الحاء الساكنة

الحاء المفتوحة

الحاء المضمومة

الحاء المكسورة

الراء المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
دعوت	مسورِ	الطويل	ـ	١	٨٧٤
إنّ	مكفورِ	البسيط	ـ	١	٣٢٥، ٤٤٣
فلولا	بالذكورِ	الوافر	المهلهل	١	١٣٧

قافية الزاي

الزاي المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لنـا	عنزُ	الطويل	[الأخطل]	١	٦١
إذا	المعاوزُ	الطويل	[الشماخ]	١	١٠٩٤

قافية السين

السين المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ولا	يمارسا	الطويل	ـ	١	٤٩
فلـو	أنفسا	الطويل	امرؤ القيس	١	٥٦٢

السين المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
خضنا	الأرؤسُ	الكامل	ـ	١	٤٨٩
ودار	ودارسُ	الطويل	أبو نواس	٣	٥٥٦
علام	يأنسُ	الطويل	ـ	٢	٣٥٢
أفي	السريسُ	الوافر	[أبو زبيد الطائي]	١	٦٩٤
ولما	جليسُ	الوافر	ـ	٢	٥١٦

السين المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
بصحن	الناسِ	السريع	ـ	١	٧٧٩
فطأطأت	بهجسي	الوافر	ـ	١	٤٨٩
يعـزّ	وهجرسِ	الطويل	ـ	١	٨٥٨
ولولا	نفسي	الوافر	الخنساء	١	٦٠١، ٦١٥
لمـا	بالنواقيسِ	البسيط	[جرير]	١	٢٢٥، ١٣١٩

قافية الضاد

الضاد المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
بتيهاء	بيوضُها	الطويل	ابن أحمر	١	٥٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
			القاف المكسورة		
يـــا	تحراقِ	البسيط	تأبط شرًا	٢	١١٩٧
ولا	وإشفاقِ	البسيط	[تأبّط شرًا]	١	٢١٦
يا قرّ	الأحماقِ	الكامل	[جبار بن سلمى]	١	٣٢٦
وشبت	المفارقِ	الطويل	ــ	١	٨٠
أقول	مشفقِ	الطويل	موسى بن جابر	١	٢٦٩
أبعد	بأسؤقِ	الطويل	[الشماخ]	١	٧٣١
			قافية الكاف		
			الكاف المفتوحة		
وكنت	حالكا	الطويل	ــ	١	٦٦٤
حيازيمك	لاقيكا	الهزج	علي بن أبي طالب	١	٢٤١
			الكاف المكسورة		
وقوم	السنابكِ	الطويل	طرفة	١	٥٠
إذا	الضواحكِ	الطويل	تأبط شرًا	١	٤٩١
قفي	لكِ	الطويل	ابن الدمينة	١	٩٩٠
قليل	والمسالكِ	الطويل	[تأبط شرًا]	١	٤٤٨
فقلت	مالكِ	الطويل	[متمّم بن نويرة]	١	٦٢٩
قفي	جمالكِ	الطويل	طرفة	٢	٦٨٥
يظلّ	المهالكِ	الطويل	[تأبّط شرًا]	١	٥٩٠
يا أطيب	المساويكِ	البسيط	[بشار بن برد]	١	٨٩٩
			قافية اللام		
			اللام الساكنة		
فانتضلنا	ويجلْ	الرمل	لبيد	٢	٥٢٤، ٦٩٠
أكان	الأجلْ	المتقارب	ــ	٢	١٤٥
فإنْ	فخلْ	المتقارب	ــ	١	٧٨٦
وضع	فلْ	الرمل	[النابغة الجعدي]	١	٥٧٢
مدمنٌ	الأفلْ	الرمل	لبيد	١	١١٣٠

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
نفسي	أبطالِ	السريع	ـ	١	٢٥
تنوّرتها	عالِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٢٢٦، ٩٥١
لا	العالي	الكامل	أبو تمام	١	١١٨٤
رضوا	الفعالِ	الوافر	ـ	١	٢٧٠
كجيب	إجفالِ	مجزوء الوافر	[الفند الزماني]	١	١٢٩٣
صرفت	قالِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٩٢٥
فلسنا	النعَالِ	الوافر	ـ	١	٢٨٦
سقى	هلالِ	الوافر	لبيد	١	٧٥
خيال	اندمالِ	المتقارب	ـ	١	٢٧٣
هـم	شمالي	الوافر	[لبيد]	١	٦٣٩
وخمار	بشمالِها	الكامل	ـ	١	١٧٤
كـأنّ	طوالِ	الوافر	[الأعلم الهذلي]	٢	٦٩
نـمْ	الخيالِ	الخفيف	أبو تمام	١	٩٢٨
يبكَى	الإبلِ	البسيط	المهلهل	١	٤٢٠
ثلاثة	القتلِ	الطويل	[عمرو بن كلثوم]	١	١١٧٣
معاذ	القتلِ	الطويل	عمرو بن كلثوم	١	٨٢
مقرنةً	المراجلِ	الطويل	النابغة الذبياني	٢	٧٠٢
فأصبح	ترجّلِ	الطويل	مزرّد	١	٤٦٢
فظلّ	معجّلِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٩٥٣
دار	يرحلِ	الكامل	ـ	١	٥٣
كـأنّ	جندلِ	الطويل	امرؤ القيس	١	١٢٨٣
وتيماء	بجندلِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٥٠٣
سجراء	عذّلِ	الكامل	ـ	١	١٧١
قولا	الباسلِ	السريع	ـ	١	٤٧
وإنْ	نصلي	الطويل	[ذو الرمة]	١	١١٨٧
وقـد	نصلي	الهزج	ـ	١	٤٧
إنـي	بالمنصلِ	الكامل	عنترة	١	١٢٦، ١٠٦٨
أناس	معضلِ	الطويل	ـ	١	١٠٩٤
لمـا	الأخطلِ	الكامل	جرير	١	٥١
تنورتها	علِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٣٠٦

قافية الميم

الميم الساكنة

الميم المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فقد	بأقوامِ	البسيط	[همام الرقاشي]	١	٣٨٥
قالت	لأقوامِ	البسيط	النابغة الذبياني	١	١٢٥٤
وأنا	النوّامِ	الكامل	امرؤ القيس	١	١٠٨٢
فما	وهيامِ	الطويل	ـ	١	١٢٧٨
فمرّ	يعتّمِ	الطويل	[الأعشى]	١	١١٢٨
فلا	الجماجمِ	الطويل	أبو تمام	١	٣٠٩
فازورّ	وتحمحمِ	الكامل	عنترة	١	١١٥
وكأنما	الخمخمِ	الكامل	ابن هرمة	١	٣٨٦
أرسل	دمي	الطويل	كبشة	١	٢١
لو	بدمِ	المنسرح	[المهلهل]	١	٨٩
استودعت	القدمِ	المنسرح	ـ	١	٩٠٣
إذْ	مقدمي	الكامل	عنترة	١	١١٧
فلو	التندّمِ	الطويل	عدي بن الرقاع	٢	٩٠٤
ومن	لهذمِ	الطويل	زهير	١	٣١
هلموا	الأكارمِ	الطويل	جرير	١	١٨٦
إذا	مقرمِ	الطويل	ـ	١	٧١٠
وإنْ	مقرمِ	الطويل	[أوس بن حجر]	١	٤٢٨
جلاميد	المواسمِ	الطويل	ـ	١	٨٩
فتنتج	فتعظمِ	الطويل	زهر	١	١١٤٩
يا دهر	العظمِ	الكامل	[الأعشى]	١	٥٤٤
عُلِّقتها	بمزعمِ	الكامل	عنترة	١	٨٥٤، ٨٧٩
ولقد	المطعمِ	الكامل	[عنترة]	١	٨١٦
تمسّ	سالمِ	الطويل	الفرزدق	١	١٠٠٧
فإن	المصلّمِ	الطويل	أخت عمرو بن معديكرب	٢	١٠٨٢
إناس	مظلمِ	الطويل	[طفيل الغنوي]	١	٢٧٢
ولا	مظلمِ	الطويل	كبشة	١	٦٠٠
ومن	يظلمِ	الطويل	زهير بن أبي سلمى	١	٣٦٩
وإذا	يُكْلمِ	الكامل	عنترة	٢	١٣٩

٧ ـ فهرس الأرجاز في الشرح

٨ ـ فهرس أنصاف وأجزاء الأبيات في الشرح(*)

(*) مرتبًا ترتيبًا ألفبائيًا.

باب الباء

باب القاف

باب الميم

باب النون

باب الياء

٩ ـ فهرس الأعلام(*)

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي ألفاظ «ابن»، «أبو»، «ابن أبي»... الخ. ونشير إلى أننا أفردنا أسماء أعلام شعراء الحماسة بفهرس خاص ولم نذكر أسماءهم هنا إلا إذا وردت ضمن الشرح.

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(غ)

(ف)

(و)

(ي)

١٠ ـ فهرس القبائل والبطون. . . الخ(*)

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي لفظتي «آل» و«بنو».

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

١١ ـ فهرس الأماكن والبلدان

(ي)

١٢ ـ فهرس الأيام والوقائع والحروب(*)

(*) عبارات «يوم» و«حرب» و«وقعة» و«ليلة» لم تؤخذ بالاعتبار عند الترتيب الألفبائي.

١٣ - فهرس الأمثال

١٤ ـ فهرس المحتويات

الفهارس العامّة